جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

تحقيق الجزء الأول من حاشية العلامة
سعد التفتازاني
على الكشاف للزمخشري

رسالة دكتوراه
مقدمة الى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) فى البلاغة والنقد

اعداد
عبد الفتاح عيسى البربري

اشراف
الأستاذ الدكتور كامل إمام الخولي

١٣٩٨ هـ
١٩٧٨ م

١٦/٦/٨١ ط

:: بسم الله الرحمن الرحيم ::

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

وبعد

فعندما عزمت – بعون الله – على البحث عن موضوع ليكون سبيلى للحصول على الدكتوراه فى البلاغة بقسم البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية ، كان هناك اتجاه نحو تحقيق الكتب البلاغية المخطوطة لابراز ما فيها من قيمة علمية أودعها فيها أسلافنا العظام .

ولقد انبعثت أبحث هنا وهناك ، وأقلب صفحات الكتب البلاغية المخطوطة فكنت أرى معظمها يسير على ذلك المنهج المنطقى الفلسفى الذى ألفناه فى دراستنا البلاغية ، وكنت قد تطلعت الى كتاب آخر ، يعنى بالمنهج التذوقى فى دراسة البلاغة ، ويهتم بمعايشة النصوص والأساليب وتوضيح ما يكمن فيها من محاسن وأسرار .

وأضنانى البحث ، الى أن وفقنى الله سبحانه وتعالى الى العثور على ذلك الكتاب للعلامة سعد الدين التفتازانى ، فرأيت فيه ضالتى المنشودة للاعتبارات التالية :

١ – ان دراستنا للبلاغة العربية تهدف فى المقام الأول الى خدمة كتاب الله الكريم ، وتوضيح لطائف الأسرار التى ينطوى عليها نظمه ، وبها يدرك وجه الاعجاز فيه ، وقد استطاع الزمخشرى بكتابه الكشاف أن يحقق قدرا كبيرا من ذلك الهدف الأسمى للدراسة البلاغية ، أعانه فى ذلك حس أدبى مرهف ، وبصيرة نافذة تتغلغل فى مسالك التنزيل وتبرز ما يكمن فيه من كمال وجلال .

ومن هنا كانت أهمية الكشاف ، وأهمية الكتب والدراسات التى ألفت حوله ، ومنها حاشية العلامة سعد الدين التفتازانى .

٢ – ان هذه الحاشية تعطى صورة جديدة ومشرقة لبلاغة العلامة سعد الدين التفتازانى ، تختلف عن تلك الصورة التى عرفت عنه فى كتابيه : المطول ،

والمختصر ، والتي اعتمدت على التحديد ، والتقسيم ، والتقعيد ، وطغى عليها جفاف الفلسفة ، وجمود القواعد والتقسيمات المنطقية .

أما في هذه الحاشية ، وفي معظم بحوثها البلاغية ، فقد عني سعد الدين عناية كبيرة بالجانب التطبيقي التذوقي في الدراسة البلاغية ؛ اذ رأيناه يعني بتحليل التراكيب ، وابراز محاسن الصياغات ، ودلالات الخصوصيات في الآيات القرآنية الكريمة وفي أسلوب الزمخشري في تفسيره لها .

٣ ـ ان تحقيق هذه الحاشية عمل ذو ثمرة طيبة ، اذ سيمكننا من الحصول على قيمتها العلمية ، وسيجد الباحث في مكتبة البلاغة والاعجاز كتابا جديدا لعلم من أعلام البلاغة النابهين في متناول يديه ؛ ليكون مرجعا يهتدي به ويستفاد منه .

٤ ـ ومما زادني حرصا على تحقيق هذا الكتاب أنه آخر الكتب التي ألفها سعد الدين التفتازاني في حياته ؛ اذ أن شروعه فيه كان سنة ٧٨٩ هـ باجماع المؤرخين ، أي قبل وفاته بمدة قليلة ، ومات قبل أن يتمه ، وهذا يعني أنه ألفه في مرحلة الاستعداد العلمي التام ، والنضوج الكامل ، وبعد أن قضى هذا العمر المديد في الادمان ، والممارسة ، والمعايشة لكتب اللغة العربية والبلاغة ، والتفسير ، والأدب ، قراءة وتدريسا ، وتصنيفا وتأليفا ، حتى اكتسب ذوق هذه اللغة ، وأصبح ملما بلطائف تراكيبها ، ومحاسن فقرها ، ودقائق أسرارها مستوعبا لشتى فنونها ، ومختلف علومها .

ومن ثم فاننا سنجد أن الآثار العلمية التي أودعها التفتازاني مباحث هذا الكتاب تعد ضالة الباحثين والناظرين .

٥ ـ فاذا أضفنا الى ذلك أن هناك شروحا وحواشي أخرى ألفت على الكشاف قبل حاشية السعد ، فاننا بتحقيق تلك الحاشية سنقف على قيمتها ومنزلتها بين تلك الحواشي الأخرى ومدى أخذ السعد أو تأثره فيها بمن سبقه ممن شرحوا الكشاف .

لكل هذه الأسباب ، ومع رغبة وتشجيع أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور كامل الخولي الذي يرجع اليه الفضل الأكبر في توجيهنا نحو احياء تراث أسلافنا العظام فجزاه الله خير الجزاء ، قمت بتحقيق الجزء الأول من الحاشية ، والذي

يبدأ من أول الكتاب وينتهى الى آخر سورة آل عمران ، وهو يمثل نصف ما أتمه السعد منها قبل وفاته ، أو أكثر قليلا من النصف .

وقد بذلت — والحمد لله — أقصى مالدى من الطاقة ، وفوق ما أتحمل من الجهد فى التحقيق والدراسة ، حتى خرج البحث بالصورة التى هو عليها الآن ، فان كنت قد وفقت الى الصواب ، فذلك فضل الله وحده ، وان كان هناك بعض قصور أو تقصير ، فتلك طبيعة البشر ، والكمال لله وحده ، وحسبى أننى أخلصت القصد ، وبذلت الجهد .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ! .

مقدم البحث

" عبد الفتاح عيسى البربرى "

:: خطــة البحـــث ::

لقـد قسـمت البحث الى قسـمين :

القســم الأول : الدراسة ، ويشتمل على أربعة فصـول :

الفصل الأول :

عرضت فيه ـ بايجاز ـ للتعريف بالزمخشرى من حيث نسبه ، ومولـده ، وشيوخه وتلاميذه ، ومكانته العلمية ، ومؤلفاته ، ثم تحدثت عن كتابه "الكشاف" وأهميته ، والباعث له على وضعه ، وثناء العلماء عليه ، ثم ماألف حوله من كتب ودراسـات .

الفصل الثانى :

وتناولت فيه الحديث عن عصر العلامة التفتازانى من النواحى السياسيـة ، والاجتماعية ، والعلمية ، ثم تحدثت عن اسمه ولقبه ، ومولده ، ومذهبـه ، وشيوخه وتلاميذه ، وآثاره العلمية ، ومكانته بين العلماء ، وعلاقته بالسيـد الشريف الجرجانى ، ثم وفاته .

الفصل الثالث :

وتحدثت فيه عن حاشية السعد على الكشاف مبينا الباعث على وضعهـا ، والزمان والمكان الذى ألفها فيه ، والنسخ الموجودة منها ، ثم وثقت نسبتها اليه وبينت منهجه فيها ، والمصادر التى استقى منها مادته العلمية ، وموقفه فيها من صاحب الكشاف ثم تحدثت عن شخصيته العلمية ومدى استقلاله فى الحاشـية أو متابعتـه لغـيره .

الفصل الرابـع :

ولما كانت المسائل البلاغية فى الحاشية متناثرة فى ثناياها ـ شأنها فـى ذلك شأن الكشاف ـ لاتظهر ملامحها محددة واضحة فى كل موضع على حـدة ، عمدت فى هذا الفصل الى بيانها وتوضيحها ، فتتبعت الفكر البلاغية فى الحاشية وقرأتها من أجل ذلك مرات ومرات ، وجمعت النظير الى نظيره ، حتى يستطيع القارئ أن يقف بصورة واضحة وشاملة على جهود العلامة التفتازانى فى كل مبحث من المباحث البلاغية فى كل من علومها الثلاثة : المعانى ، والبيان ، والبديع .

:: القسم الأول ::

الدراسة

" الفصل الأول "

الزمخشري وكتابه الكشاف

وبعد ذلك تحدثت عن المنهج الذى اتبعته فى تحقيق الكتاب والنسخ التى اعتمدت عليها فى الدراسة والتحقيق .

وفى ختام ذلك ذكرت أهم النتائج التى ظهرت من خلال البحث .

القسم الثانى : التحقيق ، ويشتمل على توثيق نص الكتاب وتصحيحه ، وقد حافظت عليه كما ورد فى نسخة الأصل الا اذا اقتضت الضرورة خلاف ذلك ، مع اثبات اختلاف النسخ الأخرى مع نسخة الأصل ، وتفسير المفردات اللغوية ، والعبارات الغامضة ، وتخريج الشواهد القرآنية ، والقراءات ، والأحاديث النبوية ، والأمثال ، والشعر ، وترجمة لبعض الأعلام المذكورين فى النص ، وتوثيق النصوص والآراء التى ذكرها السعد فى الكتاب ونسبتها الى أصحابها .

ثم قمت بعمل فهارس للكتاب وتشمل فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية ، وفهرس الأمثال ، وفهرس الشواهد الشعرية ، ثم فهرس مصادر البحث ومراجعه .

هذا وبالله التوفيق .

***

:: الزمخشـــــرى(*) ::

هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر ، وهى قرية كبيرة من قرى خوارزم ، وأقبل على دراسة العلوم اللغوية والدينية ، ورحل كثيرا فأقام ببغداد مدة ، وجاور بمكة طويلا ومن ثم قيل له : جار الله ، وكان يلقب أيضا بفخر خوارزم(١) .

وكان الزمخشرى حنفى المذهب ، معتزلى الاعتقاد ، وكانْ متسامحا مع مخالفيه فى المذهب الفقهى ، حتى انه نوه بمكانة الامام الشافعى وذكر أنه من أعلام العلم وأئمة الشرع ورءوس المجتهدين ، وألف كتابا أسماه : " شافى العى من كلام الشافعى "(٢) . ولكنه كان متشددا متعصبا فى مذهبه الاعتزالى ، يتطاول على أهل السنة ويصفهم بأهل البدع والأهواء(٣) ، ويقول ابن خلكان : وكان الزمخشرى معتزلى الاعتقاد متظاهرا به ، حتى نقل عنه أنه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب(٤) .

وكان الزمخشرى شغوفا بطلب العلم والمعرفة ، يجد المتعة كل المتعة فى الدرس والتحصيل ، وهو القائل :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى * من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساق(٥)

(*) انظر انباه الرواة ٣/٢٦٥ ـ ٢٧٢ ، والأنساب للسمعانى الورقة ٢٧٧ ، والبداية والنهاية ١٢/٢١٩ ، وبغية الوعاة ٢/٢٧٩ ، ودائرة المعارف الاسلامية ١٠/٤٠٣ ، وروضات الجنات ٦٨١ ، وشذرات الذهب ٤/١١٨ ، وطبقات المفسرين ٣١ ، واللباب فى تهذيب الأنساب ١/٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، ومرآة الجنان ٣/٢٦٩ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٢٦ ـ ١٣٥ ، ومعجم البلدان مادة (زمخشر) ، ومعجم المؤلفين ١٢/١٨٦ ، ومفتاح السعادة ١/١٢٨ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٧٤ ، ونزهة الألباء ٤٦٩ ـ ٤٧٢ ، ووفيات الأعيان ٤/٢٥٤ ـ ٢٦٠ .

(١) بغية الوعاة ٢/٢٧٩ . (٢) الكشاف ١/٣٦١ .

(٣) الكشاف ٤/٥٩٧ . (٤) وفيات الأعيان ٤/٢٥٥ .

(٥) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ٢٧ .

وكان أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها (١)، وكان من علماء اللغة ، يفضل فى علمها تفضيلا على الرغم من أصله الفارسى ، وكان لا يستخدم لغته الأولى الا فى تعليم المبتدئين (٢) .

وقد أخذ الأدب عن أبى مضر محمود بن جرير الضبى الأصبهانى ، وأبى الحسن على بن المظفر النيسابورى ، وسمع من شيخ الاسلام أبى منصور نصر الحارثى ، ومن أبى سعد الشقانى (٣) ، ومن أبى الخطاب بن البطر (٤) ، ولما قدم بغداد اجتمع بالشريف أبى السعادات هبة الله بن الشجرى (٥)، وبالدامغانى الفقيه الحنفى (٦) ، ويقول القفطى : قدم الزمخشرى علينا بغداد سنة ٥٣٣ ورأيته عند شيخنا أبى منصور بن الجواليقى مرتين قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها (٧) .

ويقول القفطى أيضا : كان الزمخشرى علامة الأدب ونسابة العرب، دخل خراسان ، وورد العراق ، وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه ، أقام بخوارزم تضرب اليه أكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ،وتحدى باسمه مطايا الآمال ، ثم خرج منها الى الحج ، ولما نزل مكة وجد بها الشريف أبا الحسن على بن عيسى بن حمزة الحسنى فعرف قدره ، ورفع أمره ، وأكثر الاستفادة منه ، وأخذ عن الزمخشرى وأخذ الزمخشرى عنه ، ونشطه لتصنيف ماصنف وتأليف ما ألف (٨) .

ويقول ياقوت الحموى : كان الزمخشرى اماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفننا فى علوم شتى (٩) . ويقول صاحب الأنساب : ان الزمخشرى كان يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو ، لقى الأفاضل والأكابر (١٠) . ويقول ابن خلكان : انه الامام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ،

---

(١) انباه الرواة ٣/ ٢٧٠ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
(٣) معجم الأدباء ١٩/ ١٢٧ .
(٤) طبقات المفسرين للسيوطى ٤١ .
(٥) معجم الأدباء ١٩/ ١٢٨ .
(٦) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٥ .
(٧) انباه الرواة ٣/ ٢٧٠ .
(٨) المرجع السابق ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨ .
(٩) معجم الأدباء ١٩/ ١٢٦ .
(١٠) الأنساب للسمعانى الورقة ٢٧٧ .

كان امام عصره من غير منازع ، تشد اليه الرحال فى فنونه (١) . وصنف التصانيف البديعة فى التفسير والحديث والرواة وعلم الفرائض والنحو والفقه واللغة والأمثال والأصول والعروض والشعر (٢) .

ومن هذه التصانيف : الكشاف ، والفائق فى غريب الحديث ، ونكت الاعراب فى غريب اعراب القرآن ، ومتشابه أسماء الرواة ، ومختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، والكلم النوابغ وأطواق الذهب ، والنصائح الكبار ، والنصائح الصغار ، والمقامات ، ونزهة المستأنس ، والرسالة الناصحة ، ورسالة المسأمة ، والرائض فى الفرائض ، ومعجم الحدود ، والمنهاج فى الأصول ، وضالة الناشد ، والنموذج فى النحو ، والمفصل ، والمفرد والمؤلف ، وصميم العربية ، والأمالى ، وأساس البلاغة فى اللغة ، وجواهر اللغة ، ومقدمة الأدب ، وكتاب الأسماء ، وكتاب الأجناس ، والقسطاس فى العروض ، وحاشية على المفصل وشرح المقامات ، وسوائر الأمثال ، والمستقصى فى أمثال العرب ، وربيع الأبرار فى الأدب والمحاضرات ، وتسلية الضرير ، ورسالة الأسرار ، وأعجب العجب فى شرح لامية العرب ، وديوان التمثيل ، وديوان خطب ، وديوان رسائل ، وديوان شعر ، وشرح كتاب سيبويه ، وكتاب الجبال والأمكنة ، وشافى العى من كلام الشافعى ، وشقائق النعمان فى حقائق النعمان فى مناقب الامام أبى حنيفة ، والمفرد والمركب فى العربية (٣) ، وغير ذلك من التصانيف القيمة التى أثرى بها الزمخشرى المكتبة العربية ، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ بجرجانية ، وهى قصبة خوارزم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٢٥٤ .
(٢) انباه الرواه ٣/٢٧٠ .
(٣) معجم الادباء ١٩/١٣٤ ـ ١٣٥ .

:: الكشـــــاف ::

يحدثنا الزمخشرى عن سبب تأليفه للكشاف فيذكر أن جماعة من المعتزلة كانوا يرجعون اليه فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، فلما أبرز لهم بعض حقائقها أفاضوا فى التعجب والاستحسان ، واستطيروا شوقا الى مصنف يضم أطرافا من تلك الحقائق .

ثم اجتمعوا اليه مقترحين أن يملى عليهم " الكشاف عن حقائق التنزيـــل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل " فاستعفاهم ، فأبوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد ، فأملى عليهم مسألة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة ، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجـواب طويل الذيول والأذناب ؛ لكى يكون لهم منارا ينتحونه ، ومثالا يحتذونه .

فلما توجه تلقاء مكة وجد فى كل بلد أجتازها أناسا متشوقين الى ذلك الذى أملاه على بعض المعتزلة ، عطشى الأكباد الى العثور عليه ، متطلعين الـــى ايناسه ، حراصا على اقتباسه .. يقول الزمخشرى :

فهز ما رأيت من عطفى ، وحرك الساكن من نشاطى ، فلما حططت الرحـل بمكة اذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف على بن حمـزه بن وهاس أعطش الناس كبدا ، وألهبهم حشى ، وأوفاهم رغبة ، حتى ذكر أنـه كان يحدث نفسه فى مدة غيبته عن الحجاز — مع تزاحم ما هو فيه من المشاغـل — بقطع الفيافى وطى المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض. فقلت : قد ضاقت على المستعفى الحيل ، وعيت به العلل ، ورأيتنى قد أخذت منى السن ، وتقعقع الشن [1] ، وناهزت العشر التى سمتها العرب دقاقـة الرقاب ، فأخذت فى طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائـــد ، ووفق الله وسدد ففرغ منه فى مقدار مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان يقدر تمامه فى أكثر من ثلاثين سـنة [2] .

---

(١) تقعقع أى تصوت ، والشن : القربة ، أراد جفاف جلده لكبر سنه .
(٢) مقدمة الكشاف / ك ، ل .

وكان فراغ الزمخشري من تأليف الكشاف ـ وهو مجاور بمكة ـ ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة (١) .

وتفسير كتاب الله كما يرى الزمخشري ينبغي أن يبنى أساسا على علمي المعاني والبيان ، فهما العلمان المختصان بالقرآن وبهما يدرك سر اعجازه ؛ ولذلك ينبغي أن يكون المفسر بارعا فيهما ، قد تمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله .

هذا الى جانب أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، كثير المطالعات ، قد رجع زمانا ورجع اليه ، فارسا في علم الاعراب ، مقدما في حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف (٢) .

ولقد جاء تفسير الكشاف على تلك الصورة التي يراها الزمخشري للتفسير ، فقد عني فيه عناية فائقة بابراز مواطن البلاغة في الآيات القرآنية الكريمة ، وتوضيح دقائق الأسرار ولطائف المعاني ومحاسن النكت التي ينطوي عليها النظم القرآني العظيم ، وبها يدرك وجه الاعجاز فيه .

هذا الى جانب أن الكشاف موسوعة حافلة بموضوعات كثيرة في الاعتزال واللغة والنحو والأدب والفقه والقراءات .

ولقد كان للكشاف دوي هائل منذ ألفه صاحبه وطار صيته في شرق العالم الاسلامي وغربه ، اذ أنه كما يقول ابن خلكان : لم يصنف قبله مثله (٣) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : نال الزمخشري شهرة مدوية في العالم الاسلامي منذ عصره بسبب الكشاف ، اذ استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن ، تعينه في ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل وتكشف

---

(١) خاتمة الكشاف ٤/٦٥٩ . (٢) مقدمة الكشاف / ك ، ل .
(٣) وفيات الأعيان ٤/٢٥٤ .

عن خباياه ودقائقه ، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا ، وما يطوى فيه من كمال وجلال ، وهو من هذه الناحية ليس له قرين سابق ولا لاحق في تاريخ التفسير ، بل لقد بذ الأوائل والأواخر (١) .

وعلى الرغم من أن أهل السنة قد بالغوا في معارضة الكشاف حتى دعوا الناس الى مقاطعته ، فانهم شهدوا للزمخشري بطول الباع ونفاذ البصر والتبحر في جميع العلوم ، وكان مناقشه الألد أحمد بن المنير الاسكندري كثير الثناء على علمه باللغة والأدب ، ويصفه بأنه خريت الأساليب أي دليلها الحاذق (٢) .

وها هو ذا ابن خلدون يذكر أن كتاب الكشاف للزمخشري من أحسن ما اشتمل عليه فن التفسير الذي يعتمد على اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب ويقول : الا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن الكريم من طرق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه ، مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة (٣) .

ويقول يحيى العلوي عن الكشاف : انه تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري ، فقد أسسه على قواعد المعاني والبيان فاتضح وجه الاعجاز من التنزيل ، وعرف وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وانه لاسبيل الى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن الا بادراك الكشاف والوقوف على أسراره وأغواره ، ومن أجل هذا الوجه كان متميزا عن سائر التفاسير لأني لم أعلم تفسيرا مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواه (٤) .

ويبدو أن الزمخشري قد أدرك قيمة تفسيره وأثره فقال مفتخرا :

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ٢١٩ .
(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٦٠ — ٦١ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ٣ / ٩٩٨ .
(٤) الطراز ١/٥ .

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمرى مثل كشافى
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافى(1)

ولقد أحدث الكشاف نشاطا واسع المدى منذ ظهوره وشغل الأئمة والمحققون به ، وعنوا به عناية فائقة ، ويبدو ذلك واضحا فى تنوع دراساتهم التى دارت حوله .

وكثير منها حواش اهتمت بالدراسة البلاغية وتحرير الرأى فيها ، واهتمت كذلك بالنواحى اللغوية والنحوية وغيرها مما جاء فى الكشاف توضيحا وتهذيبا وتنقيحا . وبعضها عنى بجوانب معينة كالرد على مسائل الاعتزال فى الكشاف ، أو مناقشة ما جاء به من وجوه الاعراب ، أو تخريج أحاديثه ، أو شرح شواهده ، وبعضها عنى باختصار الكشاف وتلخيصه .

فمن الحواشى التى كتبت على الكشاف :

١ ـ حاشية العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى فى مجلدين ، وتوفى سنة ٧١٠ هـ .

٢ ـ حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى فى ستة مجلدات ضخام سماها " فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب " وتوفى سنة ٧٤٣ هـ .

٣ ـ حاشية العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسى ، سماها " الكشف " وتوفى سنة ٧٤٥ هـ .

٤ ـ حاشية العلامة فخر الدين أحمد بن حسن الجاربردى المتوفى سنة ٧٤٦ هـ .

٥ ـ حاشية العلامة عماد الدين يحيى بن قاسم العلوى المعروف بالفاضل اليمنى ، سماها " درر الأصداف من حواشى الكشاف " ، وله حاشية أخرى سماها " تحفة الاشراف فى كشف غوامض الكشاف " ، وتوفى سنة ٧٥٠ هـ .

---

(1) معجم الأدباء ١٩/١٢٩ .

٦ ـ حاشية العلامة قطب الدين التحتاني محمد بن محمد الرازي ، وصل فيها الى سورة الأنبياء ، وتوفي سنة ٧٦٦ هـ . وعليها اعتراضات أوردها جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي ، وقد أجاب عن هذه الاعتراضات العلامة عبد الكريم بن عبد الجبار وسمى أجوبته " المحاكمات" ، وأجاب عن المحاكمات ابن سمادنة .

٧ ـ حاشية العلامة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي وصل فيها الى تمام الزهراوين ، وتوفي سنة ٧٨٦ هـ .

٨ ـ حاشية العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني وهي تلك التي أقوم بتحقيق الجزء الأول منها في هذه الرسالة .

٩ ـ حاشية العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني وصل فيها الى قوله تعالى : " ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما " وأكثر فيها من الاعتراضات على سعد الدين ، وتوفي سنة ٨١٦ هـ .

وعلى حاشية السعد كتب المولى برهان الدين حيدر بن محمد الهروي تلميذ السعد حاشية أجاب فيها عن اعتراضات السيد ، وتوفي سنة ٨٣٠هـ وعلق المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بقوشجي على أوائل حاشية السعد ، وتوفي سنة ٨٧٩ هـ . وللمولى شيخ الاسلام بهراة يحيى الهروي المعروف بالحفيد حاشية على حاشية جده سعد الدين أجاب فيها أيضا عن اعتراضات السيد .

وعلى حاشية السيد حاشية للمولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري المتوفى سنة ٨٨٦ هـ ، وحاشية لعلاء الدين علي الطوسي المتوفى سنة ٨٨٧ هـ ، وحاشية للمولى محيي الدين محمد بن الخطيب المتوفى سنة ٩٠١ هـ ، وحاشية للمولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا المتوفى سنة ٩٠٤ هـ .

١٠ ـ حاشية العلامة يوسف بن حسن التبريزي المتوفى ٨٠٤ هـ .

١١ ـ حاشية لشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني سماها "الكشاف على الكشاف" وتوفي سنة ٨٠٥ هـ .

١٢ ـ حاشية الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ الكبير عبد الرحيم العراقى فى مجلدين ، وتوفى سنة ٨٢٦ هـ .

١٣ ـ حاشية الفاضل يوسف بن الحسين الحلوانى ، المتوفى سنة ٨٥٤ .

١٤ ـ حاشية الامام أبى العباس أحمد بن عثمان الأزدى الشهير بابن البناء .

١٥ ـ حاشية الفاضل علاء الدين على المعروف ببهلوان .

١٦ ـ حاشية الشيخ علاء الدين على بن محمد الشاهرودى الشهير بمصنفك فرغ منها سنة ٨٥٦ هـ ، وتوفى سنة ٨٧١ هـ .

١٧ ـ حاشية خير الدين خضر بن عمر العطوفى المتوفى سنة ٩٤٨ هـ[١] .

وهناك شرح لخطبة الكشاف للشيخ الامام مجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادى الشيرازى المتوفى سنة ٨١٧ هـ سماه " قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف " ، ثم كتب ثانيا وسماه " نغبة الرشاف من خطبة الكشاف ".

ومن علق على أوائله :

سيف الدين الهروى المعروف بحفيد التفتازانى المتوفى سنة ٩٠٦ هـ .
والمولى صنع الله بن جعفر المتوفى سنة ١٠٢١ هـ .

ومن علق على بعض مواضعه أيضا :

المولى أبو السعود بن محمد العمادى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ .
والمولى كمال الدين اسماعيل القرمانى المعروف بقرة كمال من علماء الدولة الفاتحيـة .

والعلامة شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ .

والمولى مهدى الشيرازى المتوفى سنة ٩٥٦ هـ[٢]

---

(١) كشف الظنون ٢/١٤٧٧ ـ ١٤٨٠ .
(٢) كشف الظنون ٢ / ١٤٨٠ .

ومن عني بالرد على مسائل الاعتزال في الكشاف :

الامام ناصر الدين أحمد بن المنير الاسكندري في كتابه " الانتصاف " وتوفى سنة ٦٨٣ هـ .

وتلاه الامام علم الدين عبد الكريم بن على العراقي في كتاب " الانصاف " وجعله حكما بين الكشاف والانتصاف ، وتوفى سنة ٧٠٤ هـ .

ولخصهما الامام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام في مختصر لطيف مع يسير زيادة ، وتوفى سنة ٧٦٢ هـ .

وصنف أبو على عمر بن محمد السكوني المغربي كتابا سماه : " التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز " (١) .

ومن ناقشه في وجوه الاعراب :

الامام أبو حيان في " البحر المحيط " ، وتلاه تلميذه الشهاب أحمد ابن يوسف الحلبي المشهور بالسمين ، والبرهان ابراهيم بن محمد السفاقسي في اعرابيهما ، ولخص الشيخ تاج الدين أحمد بن مكتوم مناقشات شيخه أبي حيان في تأليف مفرد سماه " الدر اللقيط من البحر المحيط " (٢) .

ومن خرج أحاديثه :

الامام المحدث جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ ، ولخص كتابه الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر في كتاب سماه " الكافي الشافي في تحرير أحاديث الكشاف " ، وتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

ومن شرح شواهده :

العلامة خضر بن محمد الموصلي ، وهناك أيضا شرح لأبيات الكشاف وضعه بعض الأفاضل .

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١٤٧٧ .
(٢) المرجع السابق .

وأما المختصرون فكثيرون :

منهم الشيخ محمد بن على الأنصارى ، أزال عنه الاعتزال ، وتوفى سنة ٦٦٢ هـ .

والعلامة قطب الدين محمد بن مسعود السيرافى ، سمى تلخيصه " تقريب التفسير " وهو كتاب صغير الحجم وجيز النظم مشتمل على محض الأهم من الكشاف مع زيادات شريفه . وعلى التقريب حاشية مسماة بتوضيح مشكلات التقريب لعلى بن عمر الأرزنجانى .

والمولى محب الدين محمد بن أحمد المدعو بمولانا زاده الحنفى المتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

والمولى عبد الأول بن حسين الشهير بام ولد ، المتوفى سنة ٩٥٠ هـ .

وسيد المختصرات هو كتاب " أنوار التنزيل " للقاضى العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى ، لخص الكشاف وأجاد ، وأزال عنه الاعتزال وكانت وفاته سنة ٦٩٢ هـ(١) .

* * *

---

(١) المرجع السابق ٢/ ١٤٨٠ .

:: الفصـــــل الثانـــــى ::

" العلامة سعد الدين التفتازانـــى "

((عصـــــره وحياتـــــه))

:: أولا : عصر العلامة التفتازانى ::

الحالة السياسية

عاش سعد الدين التفتازانى فى القرن الثامن الهجرى فى بلاد فارس وخراسان ، ويصور المؤرخون أحوال تلك البلاد فى هذه الفترة بأنها كانت مضطربة لما ساد فيها من الفتن والحروب التى أدت الى الدمار والخراب فى كثير من الأحيان .

وكانت فاتحة هذا القرن على يد الملك أبى سعيد بن أولجايتو بن أرغون خان ، وهو آخر الملوك الأقوياء المشهورين من سلالة جنكيز خان ، وكانت خاتمته على يد تيمور لنك الذى انتزع الملك من المغول الايلخانيين ومن جماعة أخرى من الأمراء المتنافسين الذين كانوا يحكمون الولايات المختلفة فى فترة الضعف التى توسطت بين موت أبى سعيد ونشأة الدولة الفتية التى أسسها تيمور لنك .

وكان عهد أبى سعيد مليئا بالفتن والحروب ومشبعا بالعواصف ، فقد تولى الملك وهو صغير لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره ، فشجع هذا كثيرا من الأمراء على التمرد عليه والخروج على طاعته ومحاربته ، ولكنه استطاع فى معظم الأحيان القضاء على هؤلاء المتمردين ولذلك ظلت الدولة الايلخانية قوية فى عهده .

وتوفى أبو سعيد سنة ٧٣٦ هـ وبموته تبدأ دولة المغول الايلخانيين فى الانهيار ، اذ تنقسم الى دويلات صغيرة تقع بعد قليل فريسة هينة لتيمور لنك الذى شاءت المصادفات أن يولد فى نفس السنة التى مات فيها أبو سعيد (١) .

ولنا أن نتصور حالة الاضطراب والفوضى السياسية التى عمت البلاد بعد موت أبى سعيد اذا عرفنا أن أكثر من أحد عشر واليا تغلب كل منهم على قطعة من البلاد وأخذوا يتحكمون فى تعيين السلطان الجديد ، واشتدت بينهم المنافسات

---

(١) حافظ الشيرازى ص٣٥ ، ٦٤ _ ٦٦ ، والنجوم الزاهرة ٩/٣٠٩ .

والخصومات بحيث أدت فى كثير من الأحيان الى قتل هؤلاء السلاطين الضعاف الذين تولوا عرش جنكيز خان بعد موت أبى سعيد (١) .

وظهر هناك فى هذه الفترة دويلات محلية أخذت تستبد بالأمر وتسعى الى تثبيت أقدامها فيما استولت عليه بعد موت أبى سعيد الى أن قضى عليها جميعا تيمورلنك ، وهذه الدويلات هى :

١ – دولة آل كرت ، وكان مقرها فى مدينة هراة ولكن نفوذها كان يمتد الى الولايات القريبة منها فيشمل بعض بلاد الغور واقليم غرجستان وولاية سجستان .

٢ – دولة السربداريين فى سبزواز ، وهم جماعة استأثروا بالسلطة فى الولايات الشمالية من ايران .

٣ – دولة الجلايريين فى تبريز وبغداد .

٤ – دولة آل المظفر فى شيراز والولايات الجنوبية من ايران .

وكانت السمة الغالبة على حكام هذه الدول الصغيرة هى التطاحن والتقاتل فيما بينهم ، وشن الحروب التى تأكل الأخضر واليابس من أجل الوصول الى الحكم والاستبداد بالملك ، وقد حدث هذا حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ، بين الأب وأبنائه ، وبين الأخ وأخيه ، كما حدث فى آل المظفر مع مبارز الدين محمد بن المظفر الذى لم يكد يستقر فى ملكه حتى انقض عليه أولاده فقبضوا عليه وسملوا عينيه ثم سجنوه ، وكانت هذه الحادثة فاتحة لنزاع طويل ومرير بين أعضاء أسرته فكل واحد منهم يطمح فى الحكم ويرى أنه أحق به دون الآخرين ، وكانت عقوبة المغلوب منهم ان يسمل الغالب عينيه ولم يكن فى ملكهم من يستطيع الصلح بينهم فهم أخوة وأبناء عم والمتوسط بينهم لا شك يصيبه كثير من الأذى (٢) .

وقد كان هذا التقاتل والتناحر بين هؤلاء الحكام سببا فى اضعافهم جميعا مما ساعد تيمور على القضاء عليهم والاستيلاء على ممالكهم .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١٥٤/١ .
(٢) شذرات الذهب ٢٩٧/٦ ، وحافظ الشيرازى ١١٧ .

وقد ولد تيمور فى شعبان سنة ٧٣٦ فى قرية من قرى كش وظهرت شجاعته وفروسيته منذ حداثته ، وقد اذكى فيه أبوه مشاعره السياسية التى كانت تهدف الى تقويض أركان الدولة المغولية ولم يكن تيمور هذا دون المغول فى ميله الى السلب والنهب والقتل واشاعة الدمار ، فكانت أطماعه وغزواته التى يشنها هنا وهناك تكملة لحلقات الدمار التى منيت بها بلاد ماوراء النهر فى هذه الحقبة المؤلمة من تاريخ هذه الأقاليم (١) .

فبعد أن استولى على خوارزم وأصبحت آسيا الوسطى كلها تخضع لسلطانه نراه لايقنع بذلك ويتعطش الى مزيد من الدماء ، وكان يترسم خطى جنكيز خان الذى كان يرى فيه مثلا أعلى فى الحرب ، وطمح تيمور الى دور " فاتح العالم " وكان دائما لا يعدم سببا يبرر به اعتداءاته ، فنراه يردد قوله " اذا كان هناك رب واحد فحسب ، فكذلك يجب أن لا يكون هناك الا سلطان واحد ، وما تكون الدنيا بأسرها بالقياس الى طموح أمير عظيم " ويقول أيضا : " فى كل اقليم يسود العسف والظلم يصبح من واجب كل أمير أن يقتلع أرباب الفتن ويغزو هذا الاقليم ، وذلك لصالح السلام العام والأمن ، وعلى كل أمير مظفر أن يخلص الناس من الذين يستبدون بهم وهذا هو الذى دفعنى الى فتح خراسان والى تخليص ممالك فارس والعراق والشام من الفوضى التى كانت تسودها (٢) .

وكان تيمور لايتورع من ارتكاب أعمال القتل والمذابح الوحشية ضد أى بلد تقاوم فتوحاته أو تتمرد عليه ، يقول أرمنيوس فامبرى : أهلك تيمور من أهل أصفهان سبعين ألفا ، وكانت مذبحة شنيعة ، وعندما ذهب لتأديب الثوار فى "مازندران " وهى من مناطق ايران الجبلية أنزل بأبطالها جزاء دفاعهم الجسور عنها مذبحة بشعة يعجز عن وصفها حتى قلم المؤرخ الشرقى (٣) .

وبالجملة فقد كان العصر الذى عاش فيه سعد الدين التفتازانى يتسم بالفتن والحروب والاضطرابات وما يصحبها دائما من التخريب والتدمير وسفك الدماء ، لذلك فقد ضاق عالمنا الجليل ذرعا بزمانه ، فعاش قلقا متنقلا كثيـر

---

(١) تاريخ بخارى ٢٠٥ . (٢) المرجع السابق ٢٢٠ .
(٣) أرمنيوس فامبرى ، تاريخ بخارى ٢٢٧ .

الأسفار لا يستقر على قرار ، ونراه يشكو زمانه متبرما به حيث يقول في مقدمة حاشيته : وكان الأمثل بحالي والأليق بمالي أن لا أقتصر بما سألوا فما ، ولا أبل بما راموا قلما ، لما أرى عليه الزمان من قلة الانصاف ، وفرط الجور والاعتساف ، وميل الطباع الى الحسد والعناد ، وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي العباد [1] .

ويقول في مقدمة كتابه المطول : وحين فرغت من تسويد الصحائف بتلك اللطائف .

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال

وذلك من توارد الأخبار بتفاقم المصائب في العشائر والاخوان عند تلاطم أمواج الفتن ببلاد خراسان [2] .

ويكرر نفس الشكوى في مقدمته لشرح المقاصد [3] ، وفي حاشيته على شرح العضد لمختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب [4] .

* * *

---

(١) حاشية السعد على الكشاف ص ٦ .
(٢) المطول ص ٤ .
(٣) شرح المقاصد ١/٥ .
(٤) حاشية السعد على شرح العضد لمختصر المنتهى الأصولي ص ٣ .

الحالة الاجتماعية والعلمية

والاضطراب السياسى لا يعنى بالضرورة تخلفا علميا وحضاريا ، فقد يكون هناك ـ مع عدم الاستقرار السياسى ـ اهتمام بجوانب من الحضارة المعمارية وغيرها ، وكذلك تكريم للعلماء وتشجيع لهم على التصنيف والتأليف .

وهذا ما حدث بالفعل فى البيئة الايرانية فى عصر العلامة التفتازانى ، فقد عنى كثير من الملوك والسلاطين ـ مع اشتغالهم بالحروب ـ بتشجيع العلماء ، واغداق الأموال عليهم ، وبناء الكثير من المؤسسات المدنية والاجتماعية ، وكان لبعضهم ولوع بلون من ألوان الفنون ، يمارسه ويشجع عليه .

يقول صاحب النجوم الزاهرة عن السلطان أبى سعيد : وكان أبو سعيد ملكا جليلا مهابا كريما عاقلا ، وكان يجيد ضرب العود والموسيقى ، وصنف فى ذلك قطعا جيدة فى أنغام غريبة من مذاهب النغم (١) .

ومن الملوك الذين اشتهروا بمحبة العلماء وتشجيعهم الملك معز الدين حسين ، ويقول الدكتور ابراهيم الشواربى : انه خلاصة ملوك هراة من آل كرت ، كان يتصف بالعدل والشجاعة والصلاح ومحبة العلماء ورجال الدين ، ولما مات السلطان أبو سعيد واختلت أحوال خراسان والعراق فرّ الأكابر والأعيان الى هراة لكثرة ما سمعوه عن عدل الملك "معز الدين حسين" ورعايته للانصاف ، وقد شملهم جميعا بظلال رعايته وأحاطهم بحمايته . (٢)

وقد بنى الملك معز الدين كثيرا من بقاع الخير ، وعمر مسجد هراة ، كما شيد الخانقاه الجديدة المتصلة بالمسجد الجامع ، ومدرسة سيزفيروز آباد ، وخانقاه السلطان ، وخانقاه سيز خيابان . (٣)

ومن العلماء الذين سعدوا برعاية الملك معز الدين حسين العلامة سعد الدين التفتازانى الذى أهداه كتابه المطول (٤) ، ونراه فى مقدمته يغالى فى

---

(١) النجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٩ . (٢) حافظ الشيرازى ٨٨ ـ ٨٩ .
(٣) المرجع السابق . (٤) روضات الجنات ٣٠٨ .

الثناء عليه حيث يقول : ثم ألجأني فرط الملال وضيق البال الى أن تلفظتني أرض الى أرض حتى أنخت بمحروسة هراة ، فشاهدت أن قد سطعت أنوار العلم والهداية ، وخمدت نيران الجهل والغواية ، واستظل الأنام بظلال العدل والاحسان ، وارتعوا في رياض الأمن والأمان ، كل ذلك بميامن دولة سلطان الاسلام ، ظل الله على الأنام ، مالك رقاب الأمم ، خليفة الله في العالم ، السلطان الغازي المجاهد في سبيل الله ، معز الحق والدنيا والدين ، غياث الاسلام ومغيث المسلمين أبو الحسين محمد كرت(١).

ومن السلاطين الذين اتصل بهم السعد أيضا ونال رعايتهم السلطان محمود جاني بيك في غجدوان ، وقد أهداه السعد كتابه "المختصر"(٢) ، وأثنى عليه في مقدمته ــ مع المبالغة والغلو في ذلك أيضا ــ اذ يقول عنه انه "حضرة من أنام الأنام في ظل الأمان ، وأفاض عليهم سجال العدل والاحسان ، ورد بسياسته القرار الى الأجفان ، وهو السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم ، ملاذ سلاطين العرب والعجم ، ظل الله على بريته وخليفته في خليقته ، حامي البلاد ، ناصر العباد ، ماحي الظلم والعناد ،

كهف الأنام ملاذ الخلق قاطبة

ظل الاله جلال الحق والدين

أبو المظفر السلطان محمود جاني بيك (٣) .

ويبين صاحب تاريخ بخارى ما كان يتمتع به العلماء ورجال الدين من مكانة ومهابة لدى الملوك في ذلك العصر فيقول : انه قد ازدهرت العلوم الشرعية وفروعها في هذا العصر وتلك البيئة أيما ازدهار حيث كان الشيوخ في تركستان يستمتعون بقدر من الحماية في أيام الجغتائيين ، وذلك بفضل التسامح الديني من جهة ، والاعتقاد في هيبة رجال الدين من جهة أخرى ، وبهذا صار رجال الدين بدورهم حماة لمن يعيشون في دائرتهم ، حتى انه في ذلك

---

(١) المطول ٤ ــ ٦ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٣٩ ، وروضات الجنات ٣٠٨ .
(٣) المختصر طبعة شروح التلخيص ١/ ٢٦ ــ ٣١ .

الوقت كان صدر الشريعة ورؤساء القضاة بل وكان من يشتهرون بالورع والتقـوى يستمتعون فى بلاد ما وراء النهر بنفوذ لم تعرف له البلاد الاسلامية الأخرى نظـيرا[1] .

أما عن مظاهر الحياة الحضارية والعلمية فى عهد تيمورلنك الذى اتصل به التفتازانى أيضا وكان له الصدارة فى بلاطه فيحدثنا التاريخ أن هذا الغازى الفتاك كان للعلم وللعلماء مكانة أخرى عنده ، فقد أمر جنوده وهم ينهبـون أصفهان أن لا يتعرضوا بسوء للحى الذى يسكنه العلماء ، وكان يشارك فلاسفة هراة وحلب محاوراتهم الشرعية ، ويبذل العطاء الوفير حتى لمن كان منهم علـى خلاف معه فى الرأى ، كما فعل مع العالمين المشهورين : شمس الديـن الفنـارى ، ومحمد الجزرى ، فقد سعى لكسب ودهما ، وبذل لهما العطايـا الكثيرة ، وبالغ فى استرضائهما برغم ما كان يعلمه من شدة عدائهما له ، وكانـا قد وقعا فى أسره ببلاط عدو له .

كذلك كان تيمور يعتبر أن أعظم كسب خرج به من البلاد التى فتحهـا هو حصوله على هؤلاء الصناع وأهل الفنون من أبناء تلك الأصقاع الذين ألحقهـم بخدمته ، وأيضا حصوله على ثروة علمية لها قيمتها ، فقد روى عنه أنه أمـر ذات مرة بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال من بروصة الى سمرقنـد[2] .

وقد عنى تيمور بتشييد بلاطه على أروع طراز ، ويقول أرمنيـوس فامبرى : لم يبلغ بلاط كمبالو أو غزنة أو بخارى بل ولا بلاط أية دولة فـى القديم ما بلغه بلاط تيمور من الأبهة والثراء .

وقد حرص تيمور على أن يخلد ذكرى كل نصر أحرزه بتذكار من المنشآت ، وجلب لذلك مئات من البنائين من الهند ، وأمهر رجال المعمار من شـيراز وأصفهان ودمشق ، مما يدل على أن ذلك الغازى الذى ما فتئ يوصـف بالوحشية والعنف لم يكن خلوا من تذوقه للجمال .

---

(١) تاريخ بخارى ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٢) المرجع السابق ٢٢٧ - ٢٤١ .

ومن المنشآت التي أقامها تيمور : مسجد في تبريز ، وقصر في شيراز ، ومدرسة في بغداد ، وأجمل هذه المنشآت ما أقيم بكش وسمرقند ، فقد أقام في كش ، وهي موطنه الأصلي ـ ضريحا ضم قبر أبيه وقبر ابنه الأكبر جهانكير ، ومسجدا له ساحة خارجية يرتل فيها الشيوخ القرآن ليل نهار ، وظلت عناية تيمور بكش حتى جعل منها بالفعل قصبة أسيا الوسطى الثقافية ، وصارت تشتهر باسم قبة العلم والأدب ، وكان يجلب اليها العلماء من مدارس خوارزم المشهورة والاساتذة من بخارى وفرغانة (١)

أما سمرقند فيذكر "هارولد لامب" أن تيمور تسلمها بلدة صغيرة فأصبحت في سنوات قليلة درة البلاد الآسيوية وأجمل مدن الشرق ، وزينها بكل ما في البلاد من جمال وفن وحضارة ، وأسكن فيها العلماء والكتاب والفلاسفة (٢) .

ويذكر "أرمنيوس فامبرى" أن سمرقند استطاعت بجمال موقعها أن تتغلب على اغراء كش حتى صارت قصبة تيمور ، وكان جمالها يتجلى في بساتينها الرائعة التي تمتد الى مسافة أميال خمسة أو ستة أو ما يزيد ، وتتناثر فيها الدور الخاصة الأنيقة والقصور السلطانية (٣)

والى جانب ما فيها من بساتين وقصور نجد المدارس التي خصصت للصلاة والدراسة حيث يقوم فيها العلماء بالتدريس (٤) .

وقد تميز عهد تيمور باقامة المدارس الكثيرة واجراء الأرزاق عليها ، وجعل تيمور من نفسه في ذلك مثالا يحتذى ، فقد أخذ فريق من أبناء أسرته ومن الوزراء والنبلاء يتنافسون في بناء المدارس والمساجد ودور الشفاء واجراء الأرزاق عليها .

والى تيمور يرجع الفضل في اشاعة الاهتمام الجدى بالحركة العقلية

---

(١) تاريخ بخارى ٢٤٩ ـ ٢٥٠ . (٢) كتاب تيمورلنك ١٠٤ .
(٣) تاريخ بخارى ٢٥١ . (٤) كتاب تيمورلنك ١٠٧ .

والعلمية بالبلاد ، فبرغم الحروب التي خاضها شهدت بلاده نهضة عقلية لا تنكر في ميداني الدين والعلم ، فكان في بلاطه من الصوفية السيد علي الهمداني الذي درج العالم المتحضر اكثر من ثلاث مرات يعظ الناس ويهديهم وله مؤلفات عديدة في مواضيع اخلاقية وصوفية ، وثمة صوفي آخر كبير هو خواجه بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ، ومن العلماء الذين كانت لهم الصدارة في بلاط تيمور سعد الدين التفتازاني ، والسيد الشريف الجرجاني ، كذلك شمل تيمور بعطفه ورعايته عددا ملحوظا من العلماء والشعراء من أولئك الذين أجبرهم على الهجرة الى بلاطه قسرا ومن بين هؤلاء عالم النحو واللغة المعروف محمد الجزري ، وغيره من علماء مختلف البلاد الآسيوية والذين صارت لهم مناصب مرموقة في بلاطه . أما العلماء المعلمون الذين قدموا من نيسابور ومرو وخوارزم وبغداد فقد بذلت لهم وظائف مجزية في مدارس بخارى وسمرقند وكان تزيد على مناصبهم التي تركوها (١)

نخلص من هذا كله الى أن الاضطراب السياسي في عصر التفتازاني لم ينسحب بدوره على النواحي الاجتماعية والفكرية ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام : لا ينبغي أن تقاس حال العلوم والآداب بالأحوال السياسية ، ولا يجوز أن تلتمس في التاريخ مسايرة رقي العلوم وتدليها للقوة السياسية والضعف، وان يكن لاضطراب السياسة أثر سيء في العلوم والآداب ولاستقرارها أثر حسن فيهما (٢) .

على أن الحركة العلمية في هذا العصر أخذت طريقا خاصا وهو الاهتمام بمعارف السابقين ودراستها ووضع الحواشي والشروح عليها ، وقد واكب التفتازاني عصره في ذلك ووضع كثيرا من الشروح والحواشي في مجالات العلوم المختلفة كما سنبين بعد ذلك .

---

(١) تاريخ بخارى ٢٥٤ ـ ٢٥٧.
(٢) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، للدكتور عبد الوهاب عزام ص ٩.

ثانيا ـ حياة العلامة التفتازانى

اسمه ونسبه

هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى ، هذا ما اتفقت عليه معظم كتب التراجم التى ترجمت للعلامة التفتازانى(١) ، بخلاف ما ذكره ابن حجر فى كتابه " انباء الغمر "(٢) ، وفى موضع من كتابه " الدرر الكامنة " من أن اسمه " محمود "(٣) ، وهو غير صحيح ، ويبدو أن ابن حجر تنبه الى ذلك فذكره فى موضع آخر من " الدرر الكامنة " ـ وترجمة أكثر تفصيلا ـ بلفظ " مسعود "(٤) ، ويلقب العلامة التفتازانى بسعد الدين ، و " التفتازانى " نسبة الى القرية التى ولد بها ، وهى قرية " تفتازان " قرية كبيرة بنواحى " نسا " من بلاد خراسان(٥) .

مولده

ذكرت كتب التراجم تاريخين لمولده :

الأول : أنه ولد سنة ٧١٢ هـ ، وهذا ما ذكره ابن حجر فى كتابه " الدرر الكامنة " وقال : وكان مولده سنة ٧١٢ هـ على ما وجد بخط ابن الجزرى(٦) ، ونقل هذا التاريخ عن ابن حجر السيوطى فى بغية

---

(١) وهى : البدر الطالع ٢/٣٠٣ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٣٩ ، والأعلام ٨/١١٣ ، وروضات الجنات ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ٦/٣١٩ ، والفوائد البهية ٤٩ ، وكشف الظنون ٢/١٤٧٨ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٢٥١ ، ومفتاح السعادة ١/٢٠٥ ، والمنهل الصافى ٣/٣٥٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢/٢٢٨ ، وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣٥ ، وهدية العارفين ٢/٤٢٩ .

(٢) انباء الغمر ١/٣٨٩ (٣) الدرر الكامنة ٥/١٠٠

(٤) الدرر الكامنة ٥/١١٩ (٥) اللباب فى تهذيب الأنساب ١/١٧٨ ، ومعجم البلدان ٥/٣٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٨/٢٨٢ .

(٦) الدرر الكامنة ٥/١٢٠

الوعاة [١] ، وابن العماد فى شذرات الذهب [٢] ، والخوانسارى فى روضـــات الجنات [٣]، وطاشكيرى زاده فى مفتاح السعادة [٤] ، وذكره أيضا ابن تغـرى بردى فى المنهل الصافى [٥] .

الثانى : أنه ولد فى صفر سنة ٧٢٢ هـ ، وذكره طاشكيرى زاده نقلا عن فتح الله الشروانى الذى ذكر فى أوائل شرحه لكتاب "الارشاد" للتفتازانى أنه زار مرقده بسرخس فوجد مكتوبا عليه : ولد عليه الرحمـــة والرضوان فى صفر سنة ٧٢٢ هـ [٦] وذكره أيضا الخوانسارى فـــى "روضات الجنات" وقال : ان هذا التاريخ وجد على ظهر بعـــض نسخ المطول القديمة ، ونقل أيضا عن بعض ما وجد بخط شيخنـــا البهائى وهو أنه قال : ولد العلامة التفتازانى فى صفر سنـــة ٧٢٢ وتوفى سنة ٧٩٢ هـ فكان عمره سبعين سنة [٧] ، وذكر هـــذا التاريخ كذلك : البغدادى فى هدية العارفين [٨] ، والشوكانـــى فى البدر الطالع [٩] ، واللكنوى فى الفوائد البهية [١٠] ، والكفـــوى فى كتائب أعلام الأخيار [١١] ، ودائرة المعارف الاسلامية [١٢] ، وأرمنيوس فامبرى فى تاريخ بخارى [١٣] وجورجى زيدان فى تاريخ آداب اللغـة العربيـــة [١٤] .

واننى أميل الى ترجيح التاريخ الثانى لمولده ، حيث جاء فى كثير من كتب التراجم [١٥] أن سعد الدين التفتازانى قد ألف أول كتاب له وهـــو "شرح التصريف للزنجانى" وعمره ست عشرة سنة ، وكان ذلك سنـــة

---

(١) بغية الوعاة ٢/ ٢٨٥ (٢) شذرات الذهب ٦/ ٣١٩
(٣) روضات الجنات ٣٠٨ (٤) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ (٥) المنهل الصافى ٣/ ٣٥٦ (٦) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ (٧) روضات الجنات ٣٠٩
(٨) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩ (٩) البدر الطالع ٢/ ٣٠٣
(١٠) الفوائد البهية ٤٩ ـ ٥٠ (١١) كتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣٥
(١٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٢٩ (١٣) تاريخ بخارى ٢٥٦
(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٢٥١ (١٥) ومنها : مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤١ ، وتاريـــخ بخارى ٢٥٦ ، والفوائد البهية ٤٩ ، وكشف الظنون ٢/ ١١٣٩ .

ثمان وثلاثين وسبعمائة ، كذلك ذكر الخوانسارى أن سعد الدين شرع في تأليف شرحه المطول على التلخيص فى أواسط سنة ٧٤٢ ، وفرغ منه سنة ٧٤٨ وقال : وكان عمره حين الشروع عشرين سنة (١) ، وهذا كله يؤيد أن مولده كان سنة ٧٢٢ هـ .

مذهبه :

اختلف أصحاب التراجم فى مذهب العلامة التفتازانى ، فمنهم من ذكر أنه شافعى ، ومن هؤلاء : السيوطى (٢) ، وطاشكبرى زاده (٣) والخوانسارى (٤) ، والكفوى (٥) ، ومنهم من ذكر أنه حنفى ، ومن هؤلاء : البغدادى (٦) وابن تغرى بردى (٧) .

ويبين اللكنوى هذا الاختلاف فى مذهب السعد فيقول : ان طائفة جعلوه حنفيا اغترارا بتصانيفه فى الفقه الحنفى ، منهم : الشيخ زين الدين ابن نجم المصرى فى كتابه "فتح الغفار شرح المنار" ونقله السيد أحمد الطحطاوى فى أواخر حواشيه على الدر المختار ... وانتهت اليه رياسة الحنفية فى زمانه حتى ولى قضاء الحنفية ، وله : " تكملة شرح الهداية للسروجى " و" فتاوى الحنفية " ، ومنهم على القارئ حيث ذكره فى طبقات الحنفية لكنه قلب اسم أبيه وجعله مكان اسمه فقال : عمر بن مسعود سعد الدين التفتازانى .

وطائفة جعلوه شافعيا منهم حسن چلبى ذكره فى حواشيه على المطول ، ومنهم الكفوى حيث قال فى ترجمة السيد الشريف : كان التفتازانى من كبار علماء الشافعية ، ومع ذلك له آثار جليلة فى أصول الحنفية (٨)

---

(١) روضات الجنات ٣٠٩ (٢) بغية الوعاة ٢ / ٢٨٥

(٣) كتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٥ (٤) مفتاح السعادة ١ / ٢٠٥ .

(٥) هدية العارفين ٢ / ٤٢٩ (٦) روضات الجنات ٣٠٨

(٧) المنهل الصافى ٣ / ٣٥٦ (٨) انظر الفوائد البهية ٤٩ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٤٠ .

تنقلاته :

ذكرنا أن جو الاضطراب السياسي في عصر السعد كان له أثره الكبير عليه فعاش قلقا متنقلا كثير الأسفار لا يستقر على قرار ، وليس هناك في كتب التراجم شيئا مفصلا عن حياته ورحلاته ، وعن السنوات التي قضاها في كل بلد رحل اليها ، لكن بعض هذه الكتب عني بمصنفاته فذكر المكان والزمان الذي ألف فيه بعض تلك المصنفات ، وهذا هو الخيط الوحيد الذي أمسكت به لكي أتوصل - بقدر الامكان - الى ترتيب رحلاته واقامته في مختلف البلدان التي ذهب اليها ، والتي أجملها صاحب تاريخ بخاري بقوله " عاش التفتازاني بهراة ، وجام ، وسرخس ، وسمرقند ، وغجدوان ، وتركستان ، وخوارزم [1] " وهذا الاجمال غير مرتب وانما يعبر عن كثرة أسفار العلامة التفتازاني ، وتنقلاته ، وعدم استقراره في حياته ، ولكني سأرتبها مهتديا - كما قلت - بتواريخ الشروع أو الفراغ من بعض مصنفاته في مختلف البلاد كما ذكرتها كتب التراجم ، وذلك على النحو التالي :

١ - جرجانية خوارزم [2] : حيث شرع في شرحه المطول على التلخيص سنة ٧٤٢ ، وذلك مذكور في نهاية المطول [3] ، كما ذكره أيضا طاشكيري زادة [4] ، والخوانساري [5] .

٢ - هراة [6] : حيث فرغ من الكتاب السابق سنة ٧٤٨ وأهداه الى ملك هراة " معز الدين أبو الحسين محمد كرت " كما سبق ، وقد ذكر هذا التاريخ ابن العماد [7] ، وطاشكيري زاده [8] ، والخوانساري [9] ،

---

(١) تاريخ بخاري ٢٥٦ (٢) وهي اسم لقصبة اقليم خوارزم ، وهي مدينة عظيمة على شاطئ نهرجيحون . انظر معجم البلدان ٣/ ٤٧٤ .
(٣) المطول ٤٨٣ (٤) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥
(٥) روضات الجنات ٣٠٩ (٦) مدينة كبيره من أمهات مدن خراسان ، انظر معجم البلدان ٨/ ٤٥١
(٧) شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ (٨) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥
(٩) روضات الجنات ٣٠٨ .

والكفوى [١] ، واللكنوى [٢] ، وذكر أيضا فى دائرة المعارف الاسلامية [٣] ، ونهاية المطـول [٤] .

٣ — جام [٥] : حيث فرغ من كتابه " شرح الشمسية " فى المنطق سنـة ٧٥٢ ، وقد ذكر ذلك صاحب مفتاح السعادة [٦] ، كما ذكر فى خاتمة المطـول [٧] .

٤ — غجدوان [٨] : حيث فرغ من المختصر على التلخيص سنة ٧٥٦ كما ذكر ابن العماد [٩] ، وطاشكيرى زاده [١٠] ، والكفوى [١١] ، واللكنوى [١٢] وذكر كذلك فى خاتمة المطول [١٣] ، ودائرة المعارف الاسلامية [١٤] .

٥ — كلستان تركستان [١٥] : حيث فرغ من " التلويح على توضيح غوامض التنقيح " سنة ٧٥٨ ، وذكر ذلك الشوكانى [١٦] ، والكفـوى [١٧] ، وابن العماد [١٨] وطاشكيرى زاده [١٩] .

٦ — هراة : حيث عاد اليها وشرع فى تأليف " فتاوى الحنفية " سنـة ٧٥٩ كما ذكر ذلك صاحب مفتاح السعادة [٢٠] .

---

(١) كتائب اعلام الأخيار ٤٣٥ (٢) الفوائد البهية ٥٠
(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٣٩
(٤) المطول ٤٨٣ (٥) مدينة كبيرة قرب نهر هراة ، انظر " بلدان الخلافة الشرقية " ص ٣٩٦ (٦) مفتاح السعادة ١ / ٢٠٥
(٧) المطول ٤٨٣ (٨) من قرى بخارى ، انظر معجم البلدان ٦ / ٢٦٨
(٩) شذرات الذهب ٦ / ٣١٩
(١٠) مفتاح السعادة ١ / ٢٠٦ (١١) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥
(١٢) الفوائد البهية ٤٩ (١٣) المطول ٤٨٣
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٣٣٩
(١٥) تركستان : اقليم من اقاليم نهر سيحون ، وكلستان : بلد من بلدانها ، أنظر " بلدان الخلافة الشرقية " ص ٥٢٥
(١٦) البدر الطالع ٢ / ٣٠٣ (١٧) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥
(١٨) شذرات الذهب ٦ / ٣٢٠ (١٩) مفتاح السعادة ١ / ٢٠٦
(٢٠) مفتاح السعادة ١ / ٢٠٧ .

٧ — جرجانية خوارزم : ويعود اليها سعد الدين ليستقر به المقام فيهـــا حوالى عشر سنوات حيث فرغ من " شرح العقائد النسفية " سنـــة ٧٦٨ كما ذكر الشوكانى (١) ، وطاشكيرى زاده (٢) ، وابن العمـــاد (٣) ، والكفوى (٤) وفرغ من حاشية شرح مختصر الأصول سنة ٧٧٠ ، وقد ذكـــر ذلك ابن العماد (٥) ، وطاشكيرى زاده (٦) ، والكفوى (٧) ، واللكنـــوى (٨) ، والشوكانى (٩) ، ومن الارشاد فى النحو سنة ٧٧٤ كما ذكر الشوكانـــى (١٠) ، وابن العماد (١١) والكفوى (١٢) ، أو سنة ٧٧٨ كما ذكره طاشكـــيرى زاده (١٣) .

ومن ثم ينقل كاتب دائرة المعارف الاسلامية عن خواند مير أن التفتازانى قد استقر به المقام فى خوارزم ، ويقول : ويؤيد ذلك أن تواليفـــه التى أتمها فى أعوام ٧٦٨ ، ٧٧٠ ، ٧٧٨ قد أتمها هناك (١٤) .

٨ — سرخس (١٥) : حيث شرع فى " مفتاح الفقه " سنة ٧٨٢ وقد ذكـــر ذلك الكفوى (١٦) ، وطاشكيرى زاده (١٧) ، وفى " شرح تلخيص الجامـــع " سنة ٧٨٥ كما ذكره طاشكيرى زاده (١٨) ، أو سنة ٧٨٦ كما ذكـــره الكفوى (١٩) والشوكانى (٢٠) ، وابن العماد (٢١)

---

(١) البدر الطالع ٢/ ٣٠٣ (٢) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٧
(٣) شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠ (٤) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥
(٥) شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ (٦) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥
(٧) كتائب اعلام الأخيار ٤٣٥ (٨) الفوائد البهية ٥٠
(٩) البدر الطالع ٢/ ٣٠٣ (١٠) البدر الطالع ٢/ ٣٠٤
(١١) شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠ (١٢) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥
(١٣) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ (١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٠
(١٥) مدينة كبيرة من نواحى خراسان بين نيسابور ومرو انظر معجم البلدان ٥/ ٦٥ (١٦) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥
(١٧) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ (١٨) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٦
(١٩) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ (٢٠) البدر الطالع ٢/ ٣٠٤
(٢١) شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠

وقد كان قدوم السعد من خوارزم الى سرخس بين عامى ٧٨٠ و ٧٨١ حيث جاء فى دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن صاحب "حبيب السير" أنه لما غزا تيمور خوارزم فى ذلك الوقت ، طلب الملك "محمد السرخسى" بن الملك "معز الدين حسين كرت" الى ابن أخيه "بير محمد غياث الدين بير على" — وكان من بطانة تيمور — أن يستأذن مولاه فى ايفاد التفتازانى الى سرخس ، فأذن تيمور ، ولكنه عرف بعد ذلك فضله فى العلم ، فأرسل اليه يستقدمه الى سمرقند (١) ، وقعد التفتازانى أول الأمر عن اجابة دعوته ، معتذرا بأنه يتهيأ للسفر الى الحجاز ، فأرسل اليه يدعوه ثانية ، فانتقل الى سمرقند ، وأكرم تيمور وفادته (٢).

٩ — سمرقند : وقدم اليها كما ذكرنا تلبية لدعوة تيمور ، وألف فيها كتاب "المقاصد" فى الكلام" وشرحه" سنة ٧٨٤ كما ذكر ذلك الشوكانى (٣) ، وطاشكيرى زاده (٤) ، واللكنوى (٥) ، وابن العماد (٦) ، والكفوى (٧) وذكر أيضا فى خاتمة المطول (٨)

١٠ — سرخس : حيث عاد اليها ، وتولى التدريس فيها ، وشرع فى تأليف شرح تلخيص الجامع" سنة ٧٨٥ كما ذكره طاشكيرى زاده (٩) ، أو سنة ٧٨٦ كما ذكره الشوكانى (١٠) ، والكفوى (١١).

١١ — سمرقند : وعاد اليها مرة أخرى من سرخس ، وانتهى فيها من كتابيه "تهذيب المنطق" ، و" شرح القسم الثالث من المفتاح" سنة

---

(١) بلد مشهور فى اقليم أزبكستان ، انظر معجم البلدان ١٢١/٥

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٣٤٠/٥ (٣) البدر الطالع ٣٠٤/٢

(٤) مفتاح السعادة ٢٠٥/١ (٥) الفوائد البهية ٤٩

(٦) شذرات الذهب ٣١٩/٦ (٧) كتائب اعلام الأخبار ٤٣٥

(٨) المطول ٤٨٣ (٩) مفتاح السعادة ٢٠٥/١

(١٠) البدر الطالع ٣٠٤/٢

(١١) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥

٧٨٩ ، كما ذكره طاشكيرى زاده (١) ، وابن العماد (٢) ، واللكنوى (٣)، وشرع فى نفس العام فى حاشيته على الكشاف ، وقد ذكر ذلك ابن العماد (٤) ، والكفوى (٥) ، واللكنوى (٦) ، وطاشكيرى زاده (٧) ، والشوكانى (٨) ، وكانت سمرقند هى نهاية المطاف حيث توفى بها رحمه الله ونقل بعد وفاته الى سرخس ودفن بها كما سنبين ذلك فيما بعد .

هذا ، وهناك اختلاف حول تواريخ تأليف السعد لبعض الكتب التى ذكرتها هنا سأبينه عند الحديث عن آثاره العلمية ، وما ذكرته منها ههنا هو الأرجح حيث اتفق عليه معظم أصحاب كتب التراجم .

* * *

---

(١) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ (٢) شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠
(٣) الفوائد البهية ٥٠ (٤) شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠
(٥) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ (٦) الفوائد البهية ٥٠
(٧) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ (٨) البدر الطالع ٢/ ٣٠٤

شيوخـــــه وأساتذتـــــه

١ ـ قطب الدين الرازى التحتانـــى (١) :

ذكر فى كثير من الكتب التى ترجمت للعلامة التفتازانى أنه أخذ عـــن عالمين فاضلين وهما : القطب والعضد (٢) ، أما القطب فهو الامام العلامـــة قطب الدين محمد بن محمد الرازى الشافعى الفقيه المتكلم الشهير بالقطـــب التحتانى ، وقد ذكر ابن تغرى بردى أن سعد الدين أخذ عن القطـــب الشيرازى (٣) ، وهذا غير صحيح لأن القطب الشيرازى توفى سنة ٧١٠ ، أى قبل أن يولد سعد الدين ، ويقول الخوانسارى فى روضات الجنات : ان المـراد بالقطب الذى أخذ عنه التفتازانى هو قطب الدين الرازى الامامى دون الشيرازى العامى (٤) ، ويقصد الخوانسارى بالعامى : السنى ، حيث كان الشيعـــة يعبرون عن مخالفيهم بقولهم : العامة .

وكان مولد القطب الرازى سنة ٦٤٩ هـ واشتغل بالعلوم العقلية وأتقنها ، وشارك فى العلوم الشرعية ، ومن تصانيفه ، شرح الشمسية ، وشرح المطالع ، وحاشية على الكشاف للزمخشرى وغير ذلك ، وتوفى سنة ٧٦٦ هـ ، وأمـــا العضد فهـــو :

٢ ـ عضد الدين الايجى : (٥)

وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضى عضد الدين الايجـــى

---

(١) انظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٥/١٠٧ ـ ١٠٨ ، وهدية العارفـين ٢/١٦٣ ، والضوء اللامع ٥/٣٢٨ ، والتعليقات السنية على الفوائـــد البهية ص ٤٧ ، والنجوم الزاهرة ١١/٠٨٧

(٢) ومن هذه الكتب التى ذكرت ذلك : بغية الوعاة ٢/٢٨٥ ، وانباء الغمـر ١/٢٨٩ وشذرات الذهب ٦/٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/٢٠٥ ، والمنهل الصافى ٣/٣٥٦

(٣) المنهل الصافى ٣/٣٥٦

(٤) روضات الجنات ٣٠٨ ـ ٣٠٩

(٥) انظر ترجمته فى : الدرر الكامنـة ٢/٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، وهديه العارفين ١/٥٢٧ ، وطبقات الشافعيـــة الكبرى ٦/١٠٨ ، والبدر الطالع ١/٣٢٦ ، ومفتاح السعادة ١/٢١١ ، والمنهل الصافى ٢/ ٢٨٥ ، وشذرات الذهب ٦/١٧٤ .

العلامة الشافعي المشهور بالعضد ، كان مولده بايج من نواحي شيراز بعد سنة ٧٠٠ كما ذكر ابن حجر (١) ، أو بعد سنة ٧٠٨ كما ذكر السبكي (٢) ، وأخذ عن مشايخ عصره ، ولازم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ البيضاوي وغيره ، وولي قضاء الممالك ، وكان اماما في المعقول ، قائما بالأصول والمعاني والعربية ، مشاركا في الفنون كريم النفس ، كثير المال جدا ، كثير الانعام على الطلبة ، وقد انجب تلامذة عظاما اشتهروا في الآفاق ، منهم : الشيخ شمس الدين الكرماني ، وضياء الدين العفيفي ، وسعد الدين التفتازاني وغيرهم ، ومن تصانيفه : شرح مختصر ابن الحاجب ، والمدخل في علم المعاني والبيان والبديع ، وكتاب المواقف ، وغير ذلك ، وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة ومات مسجونا سنة ٧٥٦ هـ ، وقيل سنة ٧٥٣ هـ.

ومن شيوخ السعد أيضا :

٣ ـ ضياء الدين القرمي (٣) :

وهو عبد الله بن محمد بن عثمان القزويني القرمي العفيفي الشافعي يعرف بقاضي القرم ، وذكرت المصادر التي ترجمت له أنه تقدم في العلم حتى أن سعد الدين التفتازاني قرأ عليه وأخذ عنه ، رغم أنهما كانا متعاصرين وأخذ كلاهما عن العضد ، وكان اسمه " عبيد الله " فغيره لموافقته اسم عبيد الله بن زياد بن ابيه قاتل الحسين ، وكان يستحضر المذهبين : الحنفي والشافعي ، ويفتي فيهما ، وكان يقول : أنا حنفي الأصول شافعي الفروع ، وتوفي ثاني ذي الحجة سنة ٧٨٠هـ

---

(١) الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٩

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٠٨

(٣) انظر ترجمته في : انباء الغمر ١/ ١٨٣ ، والدرر الكامنة ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٦ ، والمنهل الصافي ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، والنجوم الزاهره ١١/ ١٩٣.

٤ - أحمد بن عبد الوهاب القوصى (١) :

وقد ذكر العلامة التفتازانى فى كتابه " شرح الأربعين للنووى " أنه أخذ عنه (٢) ، وهو العلامة أحمد بن عبد الوهاب بن داود بن على المحمدى القوصى ، ولد بقوص وتفقه ، ثم دخل القاهرة واشتغل ، ثم دخل الشام فأقام بها ، ثم دخل العراق ، وأقام بتبريز ، وأصبهان ، ويزد ، وشيراز ، ثم استمر مقيما بشيراز بالمدرسة البهائية الى أن مات فى ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هـ.

٥ - محمد بن سعيد الكازرونى (٣) :

وذكره السعد أيضا فى كتابه شرح الأربعين للنووى (٤) ، وهو نسيم الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن مسعود النيسابورى ثم الكازرونى الفقيه الشافعى ، كان يذكر أنه من ذرية أبى على الدقاق وأنه ولد سنة ٧٣٥ ، وأن المزى أجاز له ، واشتغل بكازرون على أبيه وبرع فى العربية ، وشارك فى الفقه وغيره ، وتوفى سنة ٨٠١ هـ .

٦ - بهاء الدين السمرقندى :

وذكره ابن تغرى بردى فيمن أخذ عنهم سعد الدين التفتازانى فقال : وأخذ عن مولانا بهاء الدين السمرقندى الحنفى وبه تفقه (٥) ، ولم أعثر له على ترجمة .

---

(١) انظر ترجمته فى : شذرات الذهب ٧/ ٢٥ ، وانباء الغمر ٢/ ١٥٤ .
(٢) انظر " شرح الاربعين للنووى " ص ٤ حيث قال السعد : "أخبرنى أحمد ابن السيد عبد الوهاب المصرى المحمدى سماعا عليه" .
(٣) انظر ترجمته فى شذرات الذهب ٧/ ١٠ ، وانباء الغمر ٢/ ٨٤
(٤) حيث قال : " واخبرنى محمد بن سعيد الكازرونى سماعا عليه وأجازه ... " انظر شرح الاربعين ص ٤
(٥) المنهل الصافى ٣/ ٣٥٦

تلامذتـــــــــــــــه

ذكر الشوكانى فى البدر الطالع أن سعد الدين التفتازانى قد طار صيتـه واشتهر ذكره ورحل اليه الطلبة [١] ، وذكر الاستاذ عبدالمتعال الصعيـــدى أن طلاب العلم فى الدولة العثمانية التركية كانوا يتجهون الى سمرقند لتكميل ثقافتهم ، وللأخذ عن سعدالدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانـــى اللذين كانا يجمعان بين المعقول والمنقول [٢] ، واذا كان التفتازانى قد بـــدأ التصنيف والتأليف وعمره ستة عشر عاما ، وكان طول حياته متنقلا بين البـــلاد طالبا للعلم ، ومؤلفا ومصنفا ، وناشرا لما حصله من المعارف ، فلا عجـــب أن يكون له تلاميذ كثيرون ، ومن هؤلاء التلاميذ :

١ — حسام الدين الابيوردى [٣] :

وهو الحسن بن على بن محمد الأبيوردى حسام الدين الشافعى الخطيب نزيل مكة ، ولد سنة ٧٦١ هـ ولازم سعدالدين التفتازانى ملازمـــة جيدة ، ومرع فى المعقولات ، ورحل الى بغداد وأخذ عن شيوخهـــا ورحل كذلك الى خراسان وقزوين وأصبهان وبخارى ثم دخل اليمـــن واجتمع بالناصر ففوض اليه التدريس ببعض المدارس بتعـــز ، ومـــن تصانيفه " ربيع الجنان فى المعانى والبيان وغيره ، وتوفى سنة ٨١٦هـ.

٢ — حيدر الشيرازى : [٤]

وهو برهان الدين حيدر بن محمود الشيرازى ثم الرومى ، كان علامـــة

---

(١) البدر الطالع ٢/٣٠٣ (٢) المجددون فى الاسلام ٢٩٠ ، ٣٢١

(٣) انظر ترجمته وتلمذته للتفتازانى فى : انباء الغمر ٣/٢٤ ، والضـــوء اللامع ٣/١٠٩ ، وشذرات الذهب ٧/١٢٠ ، وروضات الجنات ٣٠٩ ودائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٠ .

(٤) أنظر : روضات الجنات ٣٠٩ ، والضوء اللامع ٣/١٦٦ ، وشـــذرات الذهب ٧/١٤٥ ، ومفتاح السعادة ١/٢١١ ، والبدر الطالـــع ٢/٣٠٤ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٠ ، وكشف الظنـــون ٢/١٢٤٧

بالمعانى والبيان والعربية ، أخذ عن التفتازانى ، وشرح الايضاح للقزوينى شرحا ممزوجا ، وقدم الروم وأقرأ وأفتى على مذهب أبى حنيفة ، وأخذ عنه العلامة محى الدين الكافيجى ، وتوفى بعد سنة ٨٢٠ هـ

٣ ـ علاء الدين الرومى(١) :

وهو على بن موسى بن ابراهيم الرومى الحنفى الشيخ الامام العلامة ولد سنة ٧٥٦ هـ ، وكان فقيها بارعا فى علوم شتى ، أخذ عن سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى وحضر أبحاثهما بحضرة تيمور وغيره ، فكان يحفظ تلك الاسئلة والأجوبة المفحمة ويتقنها ، وقدم مصر فى عهد الملك الأشرف برسباى ، فأكرم وفادته وولاه مشيخة الصوفية بمدرسته التى أنشأها وتدريسها ، فباشرها مدة ، ثم تركها وتوجه الى الحج ، وكان متضلعا من العلوم عارفا بالجدل ، الا أنه كان يستخف بكثير من علماء مصر ، وقد انضم اليه طلبتها لما قدم اليها آخرا وأخذ فى الاشتغال فلم تطل مدته ، وتوفى يوم الأحد العشرين من رمضان سنة ٨٤١ هـ.

٤ ـ جلال الدين الأوبهى(٢) :

وهو العلامة جلال الدين يوسف بن ركن الدين مسيح ، كان من مقدمى علماء خراسان والعراق وما وراء النهر ، وكان وحيد دهره فى علم العربية ، سيما فى حل الكشاف والمفتاح ، وكان يضرب به المثل فى ذكاء الطبيعة وقوة القريحة ، وكان من تلامذة مولانا سعد الدين التفتازانى وقد أجازه التفتازانى من بين تلامذته بتغيير مصنفاته وقال : أما بعد حمدا لله والصلاة على رسول الله ، فقد أجزت للمولى العالم الفاضل الكامل جلال الدين يوسف بن الامام المرحوم ركن الدين مسيح أن يروى عنى مقروءاتى ، ومسموعاتى ، ومستجازاتى عموما ،

---

(١) انظر : شذرات الذهب ٢٤١/٧ ، والضوء اللامع ٤١/٦ ـ ٤٢ ، والشقائق النعمانية ٥١/١ ، والمنهل الصافى ٤٥٢/٢ ـ ٤٥٣ ، والمجددون فى الاسلام ٣٢٤ .

(٢) مفتاح السعادة ١٩٠/١ ـ ١٩١ .

ومصنفاتي خصوصا ، فقد قرأ الكثير ، وسمع الكثير ، مثل : شرح الكشاف ، والمفتاح ، وغيرهما ، وأن يدرسهما ويصلح ما يتفق أنه من سهو البنان أو البيان ، بعد التأمل والاحتياط والمراجعة والمطالعة الوافرة ، وهذا خط الفقير سعد الدين التفتازاني ، كتبه في آخر سفر حياته ، والاتصال بوفاته وهو الأواخر من محرم سنة ٧٩٢ هـ بسمرقند .

٥ ـ علاء الدين البخاري : (١)

وهو محمد بن محمد علاء الدين البخاري العجمي الحنفي العلامة ، ولد سنة ٧٧٩ ببلاد العجم ، ونشأ ببخارى فتفقه بأبيه وعمه العلاء عبد الرحمن ، وأخذ الأدبيات والعقليات عن سعد الدين التفتازاني وغيره ، ورحل الى الاقطار واجتهد في الأخذ عن العلماء ، حتى برع في المعقول والمنقول ، وصار امام عصره ، وتوجه الى الهند فاستوطنه مدة وعظم أمره عند ملوكه : لما شاهدوه من غزير علمه وزهده وورعه ، ثم قدم مكة فأقام بها مدة ودخل مصر فتصدر للاقراء بها وأخذ عنه الطلبة وانتفعوا به علما ، وجاها ، ومالا ، ثم توجه الى الشام حيث توفي في خامس شهر رمضان سنة ٨٤١ هـ .

٦ ـ حيدر الرومي (٢) :

وهو حيدر بن أحمد بن ابراهيم أبو الحسن الرومي الأصل العجمي الحنفي الرفاعي نزيل القاهرة ، ويعرف بشيخ التاج والسبع وجوه ، ولد بشيراز في حدود سنة ٧٨٠ ، ووفد على الملوك والعلماء ، وكان ممن اجتمع به العلامة التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني وغيرهما ، وقدم القاهرة سنة ٨٢٤ فأكرمه الملك الأشرف برسباي ، وصار يتردد الى السلطان ويقصد بمجلسه ، وكان حافظا لكثير من الشعر فصيحا باللغتين : التركية والعجمية ، وانتهت اليه الرياسة في فني الموسيقى والألحان ، وتوفي في الحادي عشر

---

(١) انظر : شذرات الذهب ٧/٢٤١ ـ ٢٤٢ ، والمنهل الصافي ٣/٢٨٦ ـ ٢٩٠ .

(٢) انظر : الضوء اللامع ٣/١٦٨ ـ ١٦٩ ، والمنهل الصافي ٢/٥٢ ـ ٥٤ .

من ربيع الأول سنة ٨٥٤ هـ ، ودفن بباب الوزير .

٧ - علاء الدين القوجحصارى :(١)

وهو على بن محمد الامام العلامة علاء الدين القوجحصارى العالم الفاضل ارتحل الى بلاد العجم وقرأ عناك على العلامة التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، ثم أتى بلاد الروم وفوض اليه تدريس بعض المدارس ، وصنف حاشية على شرح المفتاح للعلامة التفتازانى ، وحاشية على أوائل شرح الكشاف للعلامة التفتازانى أيضا ، وكان له مهارة تامة فى علوم العربية .

٨ - محمد بن عطاء الله :(٢)

وهو محمد بن عطاء الله بن محمد ، ولد بهراة سنة ٧٦٧ هـ ، واشتغل فى بلاده حنفيا ، ثم تحول شافعيا ، وأخذ عن التفتازانى وغيره ، واتصل بتيمور ثم حصل له منه جفاء فتحول لبلاد الروم ، وقدم القاهرة وولى التدريس ببعض مدارسها ، وكان اماما عالما غواصا على المعانى ، وكان يحفظ متونا كثيرة ، ومن تصانيفه : شرح مشارق الأنوار ، وشرح صحيح مسلم ، وغير ذلك ، وتوفى فى التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٨٢٩ هـ .

٩ - الشمس الكريمى :(٣)

وهو محمد بن فضل الله أحمد الشمس الكريمى ، ولد فى حدود سنة ٧٧٣ بخوارزم ، ثم انتقل به أبوه الى بخارى فقرأ بها القرآن وأخذ النحو عن المولى عبد الرحمن التشلاقى تلميذ العضد ، ثم انتقل الى سمرقند فأخذ المعانى والبيان عن النور الخوارزمى وحضر عند سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وقدم القاهرة فلازم الاقراء بها وانتفع به جماعة فى كتب العلامة التفتازانى فى المعانى والبيان وتوفى سنة ٨٦١ هـ . بأدرنه من بلاد الروم .

---

(١) الشقائق النعمانية ١/١٦٨ (٢) الضوء اللامع ٨/١٥١ - ١٥٥ .
(٣) الضوء اللامع ٤/٢٩٣ - ٨/٢٧٩ .

١٠ - ميرك الصيرامى (أو السيرامى) :

وذكره صاحب الضوء اللامع فى ترجمة عبد السلام بن أحمد الحسينى القيلوى حيث قال " انه قرأ كثيرا من شروح التلخيص فى المعانى ، وكثيرا من الكشاف على مولانا ميرك الصيرامى أحد تلامذة التفتازانى (١) .

ولعله يحيى بن يوسف المصرى الحنفى المعروف بالسيرامى المتوفى سنة ٨٢٣ الذى صنف حاشيته فى البلاغة على المطول للتفتازانى كما ذكره صاحب كشف الظنون (٢) ، وصاحب هدية العارفين (٣) .

١١ - لطف الله السمرقندى :

وذكره السخاوى فى ترجمة ابراهيم بن على الشبارى حيث قال : وقد أخذ المعانى والبيان والمنطق وأصول الدين عن لطف الله السمرقندى تلميذ التفتازانى (٤) ، وقال السخاوى فى الأسماء التى تبدأ باللام والطاء : لطف الله الكمال السمرقندى أحد تلامذة التفتازانى (٥) .

١٢ - يوسف الحلاج : (٦)

وهو يوسف الجمال الحلاج الهروى الشافعى ممن أخذ عن التفتازانى وغيره ، وتقدم فى الفضائل ، وشرح " الحاوى " شرحا متوسطا ، وأخذ عنه على بن ابراهيم الجويمى شرح المقاصد للتفتازانى ، وقرأ عليه شرح المفتاح للتفتازانى أيضا .

١٣ - شهاب الدين محمد :

وذكره اللكنوى فى ترجمة نور الدين عبد الرحمن الجامى حيث قال : انه حضر درس مولانا شهاب الدين محمد تلميذ التفتازانى (٧) .

---

(١) الضوء اللامع ٤ / ١٩٨
(٢) كشف الظنون ١ / ٤٧٥
(٣) هدية العارفين ٢ / ٥٢٧
(٤) الضوء اللامع ١ / ٨٦
(٥) الضوء اللامع ٦ / ٢٣٣
(٦) الضوء اللامع ٥ / ١٥٨ ، ١٠ / ٣٣٩
(٧) الفوائد البهية ٣٤

١٤ - شمس الدين الفنرى :

وهو محمد بن حمزة العلامة قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله الفنرى الرومى الحنفى ، كان عارفا بالعربية والمعانى ، ولد سنة ٧٥١هـ وجاء فى ترجمة حفيده محمد بن عمر بن محمد بن حمزة أن جده هذا كان من بلاد ما وراء النهر من تلامذة سعد الدين التفتازانى (١) ، وكان الشيخ شمس الدين سببا فى اظهار كتب العلامة التفتازانى اذ أنها اشتهرت ورغب الطلبة فى قراءتها ولم تكن موجودة بالشراء لعدم انتشار نسخها ، فاحتاجوا الى كتابتها ولكن عطلتهم الاسبوعية وهى يوم الجمعة والثلاثاء لم تكن وقتا كافيا لكتابة هذه الكتب فأضاف شمس الدين يوم الاثنين الى العطلة ليتمكن الطلبة من التزود بكتب العلامة سعد الدين (٢) :

١٥ - الأثير البغدادى (٣) :

وهو جبريل بن صالح الأثير البغدادى ممن تتلمذ على التفتازانى ، وقد أخذ عنه محمود بن أحمد العينى وقرأ عليه المفصل فى النحو ، والتوضيح مع متنه التنقيح .

١٦ - سعد الدين لر :

وذكره السخاوى فى ترجمة أبى الحسن على الكرمانى وقال : ومن شيوخه سعد الدين لر ، من طلبة التفتازانى (٤)

١٧ - محمود السرائى :

وذكره السخاوى أيضا فى ترجمة يوسف بن الحسن بن محمود السرائى حيث قال : وجده محمود قيل انه ممن أخذ عن التفتازانى وغيره (٥)

---

(١) الشقائق النعمانية ٢/ ٣ (٢) الشقائق النعمانية ١/ ٥٠
(٣) الضوء اللامع ١٠/ ١٣١ (٤) الضوء اللامع ٦ / ٥٧
(٥) " " ١٠/ ٣١٠

١٨ — قــــــره داود :

وذكره صاحب كشف الظنون حيث ذكر أن للسيد الشريف الجرجانى حاشية على شرح الشمسية لقطب الدين التحتانى ، وعلى هذه الحاشية حواش منها حاشية للمولى قره داود من تلامذة سعد الدين (١) .

١٩ — فتح اللـه الشروانـــى :

وهو فتح الله بن عبد الله الشروانى الرومى الحنفى ، أخذ عن العلامة التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وأفاد منهما فى العلوم العقلية والشرعية ، ومن تصانيفه " شرح كتاب ارشاد الهادى " فى النحو للعلامة التفتازانى وغيره ، وتوفى سنة ٨٥٧ هـ (٢)

* * *

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١٠٦٣

(٢) انظر كشف الظنون ١ / ٦٧ ، ومفتاح السعادة ١ / ٢٠٦ ، والشقائق النعمانية ١ / ١٧٠ .

مكانتـــه العلميـــــة :

جاء في معظم الكتب التي ترجمت للتفتازاني وصفه بالامام العلامـــــة ، وأنه عالم برع في النحو ، والتصريف ، والمعاني ، والبيان ، والفقه ، والتفسير ، والأصلين ، والمنطق ، وغيرها ، وتقدم في الفنون ، واشتهر ذكره ، وطار صيته ، وانتفع الناس بتصانيفه ، وانتهت اليه معرفة العلوم بالمشرق (١) .

ويذكر ابن حجر أنه العلامة الكبير صاحب التصانيف المشهورة الـــتي تنافس الأئمة في تحصيلها والاعتناء بها ، وأن علوم البلاغة والمعقول قد انتهت اليه لا بالمشرق فحسب وانما بسائر الأمصار اذ لم يكن له نظير في معرفة هـــذه العلـــــوم (٢) .

ويقول صاحب روضات الجنات عن التفتازاني : كان من أعاظم علماء العربية وأفاضل محققيهم المتبحرين ، ومصنفاته الجمة تدل على عظم موقعه ، وجـــودة فهمـــه ، ووفور علمه ، ومتانة رأيه ، واستقامة سليقته ، وكثرة احاطته ، وحســن تصرفه ، وتماميـــة فضله ، وكونه علامة من العلماء ، ومحققا في فنون شـــتى ، مع أن الجامعية والتحقيق قلما يجتمعان في رجل واحد (٣)

ويصفه طاشكبري زاده "بأنه امام الدنيا الذي أشرقت الأرض بنـــــور علومه وتصنيفاته وتأليفاته (٤) " ويعده عالما حكيما كابن سينا والرازي وذلــــك حيث يقول " ومن جملة أساطين الحكمة أبو علي بن سينا ، والامام فخر الدين الرازي ، ومن نحا نحوهما : نصير الديـــن الطوسي ، وممن يلي هؤلاء : الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وممن انخرط في سلكهم : العلامة مولانـــا قطب الدين الشيرازي والعلامة مولانا قطب الدين الرازي ، ومولانا سعد الديـــن التفتازانـــــي (٥) "

---

(١) انظر انباء الغمر ١/٣٨٩ ، وبغية الوعاة ٢/٢٨٥ ، وشذرات الذهـــب ٦/٣١٩ ، وروضات الجنات ٣٠٨ ، ومفتاح السعادة ١/٢٠٥ ، ومعجـــم المؤلفين ١٢/٢٢٨ ، وهدية العارفين ٢/٤٢٩ ، والبدر الطالــــع ٢/٣٠٣ ، وتاريخ بخارى ٢٥٦ . (٢) الدرر الكامنة ٥/١١٩

(٣) روضات الجنات ٣٠٨ (٤) مفتاح السعادة ١/١٩١

(٥) مفتاح السعادة ١/٣١٨ — ٣٢٠ .

ويذكر البغدادى أنه الامام العلامة الفقيه الأديب [1] .

ويقول الشوكانى : أخذ التفتازانى عن أكابر أهل العلم فى عصره ، وفاق فى كثير من العلوم ، وطار صيته ، ورحل اليه الطلبة ، وشرع فى التصنيف وعمره ست عشرة سنة ، وقد تفرد بعلومه فى القرن الثامن لم يكن له فى أهله نظير فيها ، وله من الحظ والشهرة والصيت فى أهل عصره فمن بعدهم مالا يلحق به غيره فيه ، ومصنفاته قد طارت فى حياته الى جميع البلدان ، وتنافس الناس فى تحصيلها [2] .

ويقول ملازادة عن السعد : أستاذ العلماء المتأخرين ، وسيد الفضلاء المتقدمين ، مولانا سعد الملة والدين ، معدل ميزان المعقول والمنقول ، مفتح أغصان الفروع والأصول [3] .

وفى دائرة المعارف الاسلامية : هو حجة مشهور فى البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة وغيرها من العلوم [4] .

ويقول اللكنوى : كان السعد حبرا غواصا فى بحار المعارف ، وبحرا مواجا يؤخذ منه درر العوارف ، قد رمقت نحو سواحله عيون الحذاق ، وطبق لألى تصانيفه أطباق الآفاق ، له التآليف الدالة على مزيد فطنته وذكائه ، ومزيد قيمته وارتفاعه [5] .

ويقول صاحب كتائب أعلام الأخيار : كان التفتازانى من كبار علماء الشافعية ، ومع ذلك له آثار جليلة فى أصول الحنفية ، وكان من محاسن الزمان ، لم تر العيون مثله فى الأعلام والأعيان ، وهو الأستاذ على الاطلاق ، والمشار اليه بالاشتقاق ، والمشهور فى ظهور الآفاق ، المذكور فى بطون الاوراق ، اشتهرت تصانيفه فى الأرض ، وأتت بالطول والعرض ، حتى أن السيد الشريف

---

(١) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩ (٢) البدر الطالع ٢/ ٣٠٣

(٣) المرجع السابق (٤) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٣٩

(٥) الفوائد البهية ٤٧ — ٤٩

فى مبادى التأليف ، وأثناء التصنيف ، كان يغوص فى بحار تحقيقه وتحريره ، ويلتقط الدرر من تدقيقه وتسطيره ، ويعترف برفعة شأنه ، وجلالة قدره ، وعلو مقامه ، الا أنه لما وقع بينهما المشاجرة والمنافرة ، بسبب ما حدث فى مجلس تيمور من المباحثة والمناظرة ، والمجادلة والمكابرة ، لم يبق الوفاق ، والتزم بتزييف كل ما قال ، وكلاهما من الفضلاء فى الورى ، ويضرب بهما الأمثال (١) .

ويصف ابن تغرى بردى سعد الدين بأنه فريد عصره ، ووحيد دهره ، وأنه برع فى المعقول ، وساد على أقرانه ، وشارك فى المنقول وفى أنواع من العلوم ، وتصدى للاقراء والتدريس والتصنيف ، وانتفع به وبمصنفاته الخاص والعام (٢) .

وقد عرف ابن خلدون فضل التفتازانى فاطلع على مصنفاته فى علم البيان ، والكلام ، وأصول الفقه ، ووصفه بأنه من عظماء هراة ، وأشاد بمكانته فى العلوم العقلية ، وذلك حيث يقول فى مقدمته : ولقد وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان ، يشهر بسعد الدين التفتازانى ، منها فى علم الكلام ، وأصول الفقه ، والبيان ، تشهد بأن له ملكة راسخة فى هذه العلوم ، وفى أثنائها ما يدل على أن له اطلاعا على العلوم الحكمية ، وقدما عالية فى سائر الفنون العقلية (٣)

وهكذا أجمع المؤرخون والعلماء على فضل العلامة التفتازانى ونبوغه ، وتفوقه ، وعلو مكانته العلمية ، ورسوخ قدمه فى سائر العلوم العقلية والنقلية ، وسوف نعرض فيما يلى لآثاره العلمية تلك التى طبقت الآفاق ، وطارت فى حياته وبعد مماته الى جميع البلدان وتنافس الناس فى تحصيلها ، والتى تدل على أنه كان ذا حظ عظيم ونصيب وافر من العلوم البلاغية واللغوية والمنطقية وغيرها حتى نال تلك المكانة العظيمة بين العلماء .

---

(١) كتائب أعلام الأخبار الورقة ٤٣٥ (٢) المنهل الصافى ٣/٣٥٦
(٣) مقدمة ابن خلدون ٣/١٠٩١

آثاره العلميـــــــــة

أولا : في البلاغـــــة :

أجمعت كتب التراجم على أن للتفتازاني مؤلفات بلاغية ثلاثة ، وهي :

١ ـ " المطول على التلخيص " وهو الاسم الغالب على شرحـــــه الكبير لتلخيص المفتاح للقزويني ، ويطلق عليه أيضا " الشرح المطول " أو "شرح التلخيص المطول " ، وقد شرع فيه السعد يوم الاثنين الثاني من رمضـــــان سنة ٧٤٢ بجرجانية خوارزم ، وأتمه يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنـــة ٧٤٨ بمحروسة هراة (١)

٢ ـ " المختصر على التلخيص " ويطلق عليه أيضا " مختصر المعاني " أو " مختصر شرح تلخيص المفتاح " أو " اختصار شرح تلخيص المفتاح " أو " الشرح المختصر " أو " المختصر " فقط ، وقد فرغ منه السعد سنـــة ٧٥٦ بغجدوان كما في كثير من الكتب (٢) ، وانفرد صاحب روضات الجنـــات بتاريخ بعيد عن هذا التاريخ وهو أن الفراغ من المختصر كان في حدود سنـــة ٧٧٤هـ (٣) وهو بعيـــد .

٣ ـ " شرح القسم الثالث من المفتاح " وهو من المؤلفات الـــتي كتبها التفتازاني في أواخر عهده بالتأليف فقد أتمه في سمرقند في شـــوال سنة ٧٨٩ هـ كما هو الراجح اذ اتفق عليه معظم أصحاب التراجم (٤) ، وقيـــل

---

(١) انظر كشف الظنون ٤٧٤ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤١ ، والفوائد البهية ٥٠ ، وروضات الجنات ٣٠٨ ، والمطول ٤٨٢ .

(٢) وهي نفس المراجع السابقة ما عدا روضات الجنات .

(٣) روضات الجنات ٣٠٨ ـ ٣٠٩

(٤) وهم : ابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، والشوكاني في البـدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، والكفوي في كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، واللكنـــوي في الفوائد البهية ٥٠ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١٧٦٣

سنة ٧٨٧هـ [١] ، وقيل سنة ٧٧٠هـ . [٢]

ثانيا : آثاره فى التفسير :

١ - حاشيته على الكشاف للزمخشرى وهى التى أقوم بتحقيق الجزء الأول منها فى هذه الرسالة والذى يبتدئ من أول الكتاب وينتهى عند آخر سورة آل عمران ، وسوف أتحدث فيما بعد عن تاريخ ومكان تأليفها ، لكننى أشير هنا الى أن العلامة التفتازانى توفى قبل اتمامها فقد وصل فيها الى أثناء سورة يونس الآية ٥٧ ، وشرح قطعة من أول سورة ص الى سورة الفتح الآية ٤ ، وعلى غلاف احدى نسخ الكتاب المخطوطة وهى النسخة رقم ٥٠٢ تفسير طلعت بدار الكتب المصرية كتب ما يلى : شرع فى هذا الكتاب فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٧٨٩ من سورة ص الى سورة الفتح ، ثم ابتدأ من سورة الفاتحة الى أثناء سورة يونس فتوفاه الله تعالى ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون حيث قال : وفرغ منها سنة ٧٨٩ [٣] اذ الصواب أنه شرع فيها فى ذلك العام كما سيأتى .

٢ - "كشف الأسرار وعدة الأبرار" وهو تفسير للقرآن باللغة الفارسية ، وذكره صاحب كشف الظنون [٤] ، وصاحب هدية العارفين [٥] ، ودائرة المعارف الاسلامية [٦]

ثالثا : آثاره فى الحديث :

وله فى الحديث كتاب (شرح الأربعين للنووى" كما فى كشف الظنون [٧] وهدية العارفين [٨] ، والأعلام [٩] .

---

(١) كما فى دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٢ (٢) كما فى روضات الجنات ٣٠٨
(٣) كشف الظنون ١٤٧٨ (٤) كشف الظنون ١٤٨٧
(٥) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩ (٦) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٥
(٧) كشف الظنون ١٠٣٦ (٨) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩
(٩) الأعلام ٨/ ١١٣

رابعا : في النحــــو :

١ –" الارشاد " أو " ارشاد الهادى " وقد أتمه التفتازانى بخــوارزم سنة ٧٧٤ (١) ، ونقل طاشكيرى زادة عن فتح الله الشروانى أن فراغ السعــــد من الارشاد كان فى سنة ٧٧٨ (٢) ، وقد ذكر ذلك أيضا صاحب كشف الظنون (٣) وقيل كان الفراغ منه سنه ٧٨٧هـ (٤)

٢ – " التركيب الجليل "

٣ – " الاصباح فى شرح ديباجة المصباح " ، وقد ذكر هذيــــن الكتابين ضمن مصنفات السعد : البغدادى فى هدية العارفين (٥)

خامسا : فى الصــــرف :

١ – " شرح تصريف الزنجانى " أو " شرح التصريف العزى " وهــو شرح للعلامة التفتازانى على مختصر العلامة عز الدين عبد الوهاب بن ابراهــيم الزنجانى فى فن الصرف ، وهو أول كتاب ألفه السعد وقد أتمه سنة ثمــان وثلاثين وسبعمائة وكان عمره حينذاك ست عشرة سنة كما فى كثير من كتب التراجم (٦) وفى خاتمة المطول نقل أن السعد قال : فرغت من تأليف شرح التصريف للزنجانى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأنا ابن ست عشرة سنة (٧) ويقول الخوانســـارى ، وفرغ من شرحه على تصريف الزنجانى سنة ٧٤٤ هـ (٨)

٢ – " قوانين الصرف " وذكره البغدادى فى هدية العارفين . (٩)

---

(١) انظر شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، والفوائــــد البهية ٥٠ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ (٢) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥

(٣) كشف الظنون ٦٧ (٤) روضات الجنات ٣٠٨

(٥) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩ (٦) ومنها : مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، والفوائد البهية ٤٩ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، ودائرة المعـارف الاسلامية ٥/ ٣٤١ . (٧) المطــــول ٤٨٣

(٨) روضات الجنات ٣٠٨ (٩) هدية العارفين ٢/ ٤٢٩

سادسا : فى المنطــــق :

١ ـ " شرح الرسالة الشمسية " أو " شرح الشمسية " وهو شـــرح لرسالة الكاتبى (نجم الدين على بن عمر القزوينى) فى المنطق ، أتمـــه السعد فى جام فى جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ (١) ، وقيل : سنة ٧٥٣ (٢) ، وقيل سنة ٧٥٧ (٣) ، وقيل سنة ٧٦٢ (٤) ، وقيل : سنة ٧٧٢هـ (٥)

٢ ـ " تهذيب المنطق والكلام " أو " غاية تهذيب الكلام فى تحرير المنطق والكلام " وهو رسالة فى المنطق والكلام أتمها السعد بظاهـــر سمرقند فى رجب سنة ٧٨٩ (٦) ، وقيل فى سنة ٧٨٤ (٧) ، وقيل فى سنـــة ٧٧٠ هـ (٨)

سابعا : فى علم الكــــلام :

١ ـ " تهذيب المنطق والكلام " وهو الكتاب السابق .

٢ ـ " المقاصد " أو " مقاصد الطالبين " وهو موجز فى علــــم الكلام أتمه التفتازانى وشرحه فى ذى القعدة سنة ٧٨٤ بسمرقند (٩) ، وقيـــل : سنة ٧٧٤ هـ (١٠)

---

(١) انظر مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وخاتمة المطول ٤٨٣

(٢) كشف الظنون ١٠٦٣

(٣) انظر كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، والفوائد البهية ٥٠

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٣

(٥) روضاء الجنات ٣٠٨

(٦) انظر كشف الظنون ٥١٥ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٣ ، والفوائد البهية ٥٠ .

(٧) انظر البدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، وكتائب أعلام الاخيار ٤٣٥

(٨) روضات الجنات ٣٠٨

(٩) انظر المطول ٤٨٣ ، وكشف الظنون ١٧٨٠ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، وكتائب أعـــلام الأخيار ٤٣٥ ، والفوائد البهية ٥٠

(١٠) روضات الجنات ٣٠٨

٣ ـ " شرح العقائد النسفية " وهو شرح لموجز عمر بن محمد النسفي في العقائد ، وقد أتمه سعد الدين في خوارزم في شعبان سنة ٧٦٨ هـ[1] وقيل سنة ٧٤٨ هـ[2]

٤ ـ رد على زندقة ابن عربي في مؤلفه " فصوص الحكم " وفي دائرة المعارف الاسلامية أن هذا الرد مخطوط في برلين رقم ٢٨٩١ وعلى الورقة الأولى منه عنوان مشكوك فيه وهو " فضيحة الملحدين[3] .

ثامنا : في أصول الفقه :

١ ـ " التلويح في كشف حقائق التنقيح " أو " التلويح الى كشف غوامض التنقيح " أو " التلويح على توضيح غوامض التنقيح " وهو حاشية على توضيح التنقيح لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي ، وقد أتمه السعد في التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٥٨ هـ بكلستان تركستان[4] ، وقيل : سنة ٧٧٨ هـ[5]

٢ ـ " حاشية شرح مختصر الأصول " أو " شرح الشرح " ، وهو شرح على شرح عضد الدين الايجي لمختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب ، وقد أتمه السعد في خوارزم في ذي الحجة سنة ٧٧٠[6] ، وقيل سنة ٧٧٥[7].

---

(١) انظر شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، وكشف الظنون ١١٤٥ ، والمطول ٤٨٣ . (٢) انظر الفوائد البهية ٥٠ ، وروضات الجنات ٣٠٨

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٤

(٤) انظر مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٣ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٥ ، والفوائد البهية ٥٠ ، والمطول ٤٨٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٤ ، وكشف الظنون ٤٩٦ (٥) روضات الجنات ٣٠٩

(٦) انظر البدر الطالع ٢/ ٣٠٤ ، والفوائد البهية ٥٠ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣٥ ، وخاتمة المطول ٤٨٣ .

(٧) روضات الجنات ٣٠٩

تاسعا : فــي الفقـــــه :

١ ـ " مفتاح الفقه " وهو كتاب في فروع الفقه الشافعي ، وشرع السعـــد في تأليفه بسرخس سنة ٧٨٢ (١) ، وقيل سنة ٧٧٢ (٢) ، وقيل : سنة ٧٨٧ (٣).

٢ ـ " اختصار شرح تلخيص الجامع الكبير " وهو موجز لم يتمه لشـــرح مسعود بن محمد الغجدواني على مختصر الخلاطي لرسالة الشيباني في فـــروع الفقه الشافعي المعروفة بالجامع الكبير ، وقد شرع السعد في تأليفه بسرخس سنة ٧٨٥ (٤) وقيل سنة ٧٨٦ (٥).

٣ ـ " الفتاوى الحنفية " وشرع السعد في تأليفه يوم الأحد التاسع من ذي القعدة سنة ٧٥٩ (٦) بهراة ، وقيل سنة ٧٦٩ هـ (٧) ، وقيل سنـــة ٧٨٩ هـ (٨) وقيل : بل شرع فيه في سرخس سنة ٧٦٦ (٩).

عاشرا : في فقـــه اللغـــــة :

١ ـ " النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ " وهو شرح للكلم التوابــــغ للزمخشري ، وقد ذكره البغدادي (١٠) ، وحاجي خليفة (١١) ، والزركلي (١٢).

---

(١) انظر شذرات الذهب ٦/ ٣٢٠ ، والفوائد البهية ٥٠ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٤ . (٢) انظر مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وكتائب أعلام الأخيـــار ٤٣٥ . (٣) روضات الجنات ٣٠٨

(٤) انظر : الفوائد البهية ٤٩ ـ ٥٠ ، وروضات الجنات ٣٠٨ ، ومفتـــاح السعادة ١/ ٢٠٥.

(٥) انظر : شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٤ ، وكتائـــب أعلام الأخيار ٤٣٥ . (٦) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥

(٧) انظر البدر الطالع ٢/ ٣٠٤ ، والفوائد البهية ٥٠

(٨) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥

(٩) شذرات الذهب ٦/ ٣١٩

(١٠) هدية العارفين ٢/ ٤٣٠

(١١) كشف الظنون ١٩٧٨

(١٢) الأعـــــلام ٨/ ١١٣

٢ - ترجمة نثرية باللغة التركية لديوان سعدى المعروف بالبستان ، وقام بها التفتازانى عام ٧٥٥ هـ ، وقد ذكر ذلك فى دائرة المعارف الاسلامية (١) .

ومن المصنفات التى ذكرتها كتب التراجم لسعد الدين بالاضافة الى ما سبق :

١ - " رسالة الاكراه " وقد ذكرها صاحب كشف الظنون (٢) ، وصاحب هدية العارفين (٣) .

٢ - " تكملة شرح الهداية للسروجى " وذكره اللكنوى فى الفوائد البهية (٤) .

٣ - " دفع النصوص والنقوض " وذكره البغدادى فى هدية العارفين (٥) .

هذا ، وللعلامة التفتازانى كتب كثيرة أخرى لم تذكرها كتب التراجم ، ويقول أرمنيوس فامبرى : لقد كان التفتازانى نابغة فى علم الأصول ، والفقه ، والنحو ، والتفسير على السواء ، ويقال ان مؤلفاته وأبحاثه التى كتبها تزيد فى عددها على سنوات عمره بكثير (٦) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٦

(٢) كشف الظنون ٨٤٧ .

(٣) هدية العارفين ٢/٤٢٩

(٤) الفوائد البهية ٤٩

(٥) هدية العارفين ٢/٤٣٠

(٦) تاريخ بخارى ٢٥٧

بين التفتازانى والسيد الشريف

يعتبر سعد الدين التفتازانى ـ من الناحية العلمية ـ أستاذا للسيد الشريف ، وكان صاحب الفضل عليه فى تمكينه من الاتصال بولاة الأمر وجعله معروفا لديهم ، فقد ذهب الشريف الى السعد وطلب منه أن يساعده فى لقائه بالسلطان شاه شجاع ، فأجابه السعد وقدمه للسلطان الذى أحسن لقاءه (١) ، وكان ذلك سببا فى علو نجم السيد الشريف بعد ذلك .

وكان السيد قد تعرف على سعد الدين بالتتلمذ على كتبه أولا فقد اطلع عليها وأفاد منها ، وكان ـ كما يقول الكفوى ـ يغوص فى بحار تحقيقه وتحريره ، ويلتقط الدرر من تدقيقه وتسطيره ، ويعترف برفعة شأنه ، وجلالة قدره ، وعلو مقامه ، الا أنه لما وقع بينهما المنافرة بسبب ما حدث فى مجلس تيمور من المناظرة لم يبق الوفاق والتزم بتزييف كل ما قال (٢) .

وقد جرت تلك المناظرة بين سعد الدين والسيد الشريف سنة ٧٩١ هـ فى مجلس تيمورلنك الذى أمر بتقديم الشريف على سعد الدين وأعطاه الصدارة بعد أن كانت خاصة بالعلامة التفتازانى .

وكان تقديم تيمورلنك للسيد على السعد على أساس ليس بعلمى اذ كان يقول : فرضنا أنهما سيان فى الفضل والعرفان فللسيد شرف النسب (٣) ، فما علاقة النسب بالعلم والمعرفة !! ، وكان من الطبيعى أن ينشرح صدر السيد الشريف ويقدم على افحام التفتازانى ، وكانت المناظرة بينهما تدور حول اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية فى كلام صاحب الكشاف فى قوله تعالى " أولئك على هدى من ربهم " وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمى المعتزلى فرجح السيد فاشتهر عند الخواص والعوام غلبة السيد بالافحام فاغتم لذلك السعد فلم يبق بعد هذه الواقعة الا قليلا (٤) .

---

(١) انظر كتائب اعلام الأخيار ٤٣٢ ، والفوائد البهية ٤٩

(٢) كتائب أعلام الأخيار ٤٣٥

(٣) انظر شذرات الذهب ٦/٣١٩ ، وكتائب أعلام الأخيار ٤٣٤ ، والفوائد البهيه ٤٧ . (٤) شذرات الذهب ٦/٣٢١ ـ ٣٢٢ .

وقد كتبت عن هذه المناظرة أبحاث وصل الينا منها بحثان مستقلان :
أولهما - كتاب مسالك الخلاص فى مهالك الخواص لطاشكبرى زاده وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت الأرقام التالية : ٣٠٨ بلاغة ، ٤٨٧ مجاميع ، ٦ ش بلاغة .

وثانيهما - رسالة فى تحقيق الاستعارة التمثيلية ونقل ما جرى فيها بين السعد التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى لابن صدر الدين زاده ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٨ مجاميع .

وقد تحدث عن هذه المناظرة أيضا طاشكبرى زاده فى شرح الفوائد الغياثية فى علمى المعانى والبيان ص ٢٥٠ ، ٢٥١ . كما ذكرها صدر الدين زاده فى كتابه الفوائد الخاقانية وهو مخطوط بمكتبة الأزهر برقم (٧ ١٦) ٣٤٦٤٤ حليم ، كما ذكرها أيضا الكفوى فى كتائب أعلام الأخيار فى الورقات ٤٣٥ - ٤٤١ وهو مخطوط بدار الكتب برقم ٨٤ تاريخ م ، وأشار اليها اللكنوى فى الفوائد البهية ص ٤٩ ، وابن العماد فى شذرات الذهب حـ ٦ ص ٣٢٢ ، وابن تغرى بردى فى المنهل الصافى حـ ٣ الورقة ٣٥٦ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

هذا ، وقد أشرت الى طرف من تلك المناظرة عند الحديث عن الاستعارة فى الفصل الذى عقدته للحديث عن البلاغة فى حاشية السعد .

وفاة العلامة التفتازانى

ذكرت كتب التراجم ستة تواريخ لوفاة العلامة التفتازانى أوضحها على النحو التالى :

أولا : كانت وفاته سنة ٧٨٧ هـ ، وذكر ذلك فى دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن مجمل فصيحى[1] . وهذا التاريخ لا يتفق وتواريخ بعض مؤلفاته

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٠ .

التى ألفها بعده ، كما أن المناظرة المشهورة بينه وبين السيد الشريف قد حدثت كما ذكرت سنة ٧٩١ هـ ، فهو فى غاية البعد .

ثانيا : توفى بسمرقند سنة ٧٩١هـ ، وذكر ذلك ابن حجر (١) ، والسيوطى (٢) وابن العماد (٣) ، وطاشكيرى زاده (٤) ، والخوانسارى فى روضات الجنات نقلا عن ابن حجر وعن السيوطى فى بغية الوعاة (٥) ، وذكر ابن تغرى بردى أن التفتازانى توفى فى شهر المحرم من هذه السنة (٦)

ثالثا : توفى بسمرقند سنة ٧٩٢ فى شهر صفر كما ذكر ابن حجر (٧) ، أو فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من المحرم كما ذكر الكفوى (٨) ، واللكنوى (٩) ، والبغدادى (١٠) والشوكانى فى البدر الطالع نقلا عن منلازاده (١١) ، والخوانسارى فى روضات الجنات نقلا عن الشيخ البهائى (١٢).

ونرجح هذا التاريخ لوفاة العلامة السعد حيث جاء فى مفتاح السعادة أن سعد الدين قد كتب اجازة لتلميذه جلال الدين الأوهى وقال : وهذا خط الفقير سعد الدين التفتازانى كتبه فى آخر سفر حياته والاتصال بوفاته وهو الأواخر من محرم سنة ٧٩٢ بسرقند (١٣) ، ويبدو وكأن السعد كتب هذه الاجازه وهو على فراش الموت ، كما أن طاشكيرى زاده نقل عن فتح الله الشروانى تلميذا لسعد فى أوائل شرحه لكتاب الارشاد لاستاذه أنه

---

(١) انظر انباء الغمر ١/ ٣٨٩ ، والدرر الكامنة ٥/ ١٢٠
(٢) بغية الوعاة ٢/ ٢٨٥ (٣) شذرات الذهب ٦/ ٣١٩
(٤) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ . (٥) روضات الجنات ٣٠٨
(٦) المنهل الصافى ٣/ ٢٥١ (٧) الدرر الكامنة ٥/ ١٢٠
(٨) كتائب أعلام الأخيار . الوقة ٤٣٥
(٩) الفوائد البهية ٤٧ ، ٥٠ .
(١٠) هدية العارفين ٢/ ٤٢٦
(١١) البدر الطالع ٢/ ٣٠٤
(١٢) روضات الجنات ٣٠٩
(١٣) مفتاح السعاده ١/ ١٩٠ — ١٩١

زار مرقده فوجد مكتوبا عليه : وتوفى يوم الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة اثنين وتسعين وسبعمائه بسمرقند ونقل الى سرخس ودفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى بهذه السنة(١)

رابعا : توفى سنة ٧٩٣ كما فى الأعلام للزركلى(٢) ، ودائرة المعارف الاسلامية(٣) .

خامسا : توفى فى سنة ٧٩٤ كما جاء فى تاريخ بخارى(٤) .

سادسا : توفى فى سنة ٧٩٧ كما ذكر فى دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن صاحب حبيب السير(٥) .

* * *

---

(١) مفتاح السعادة ١/٢٠٦

(٢) الأعلام ٨/١١٣

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٠

(٤) تاريخ بخارى ٢٥٦

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٤٠ .

" الفصل الثالث "

حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف

توثيق نسبة الكتاب للسعد

ان ما يدل على أن هذا الكتاب لسعد الدين التفتازاني وليس لغيره ما يلي :

١ — ان جميع كتب التراجم والكتب المختصة بذكر أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم قد أجمعت على أن للسعد التفتازاني حاشية على الكشاف للزمخشري (١)

٢ — ليس هناك قول لعالم أو مؤرخ يشكك في نسبة الكتاب الى سعد الدين التفتازاني .

٣ — لا يوجد على أي نسخة من النسخ المخطوطة للكتاب ما يفيد بأن واحدة منها قد نسبت الى غير السعد التفتازاني ، بل قد ذكر على غلاف كل منها أنها حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف للزمخشري.

٤ — يشير السعد في كثير من آرائه الى كتبه الأخرى التي ذكر فيها هذه الآراء كشرح التلخيص وشرح المقاصد وغيرها ، ومقارنة ما ذكره هنا بما ذكره في تلك الكتب نجد أنها هي هي دون تغيير .

٥ — يذكر السعد هنا بعض آرائه التي ذكرها في كتبه الأخرى وان لم يشر اليها ، كتعريف علم البيان مثلا بأنه علم يبحث فيه عن أحوال التشبيه والمجاز والكناية (٢) .

---

(١) ومن هذه الكتب : كشف الظنون ٢/ ١٤٧٨ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٥ ، وروضات الجنات ٣٠٨ ، وانباء الغمر ١/ ٣٨٩ ، والدرر الكامنة ٥/ ١٢٠ ، وهدية العارفين ٢/ ٤٢٩ ، والبدر الطالع ٢/ ٣٠٤ ، والفوائد البهية ٤٩ ، والمنهل الصافي ٣/ ٣٥٦ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٣٤٦ ، وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣٥ ، والأعلام ٨/ ١١٤ ، وغير ذلك .

(٢) الحاشية ١١١ أ

٦ — نجد في كثير من كتب الأئمة المتأخرين عن العلامة التفتازاني[1] اشارات ونقولا من حاشية السعد على الكشاف ومقارنة ما ذكروه بما ذكره نجد انه هو هو دون تغيير أو تبديل ،

لكل هذا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن هذا الكتاب لسعد الدين التفتازاني .

" الباعث على وضع الكتاب

عرض السعد في مقدمة كتابه لسبب وضعه له ، فذكر أن كثيرا من الفضلاء السابقين قد اتجهوا الى دراسة الكشاف يكشفون الحجب عن أسراره والسدف عن أنواره ، وأنه دخل في زمرتهم ، يستكشف خفايا الكشاف وخباياه ، ويدئب في سبيل ذلك ركاب الطلب ومطاياه ، ثم طفق يبذل للطالبين ما صادف من مخزون فقره ، وينثر على الراغبين ما حصل من مكنون درره[2] .

ويصف السعد رد الفعل لدى هؤلاء الطالبين والراغبين فيقول : وكانوا كلما رجعوا اليّ وسمعوا ما لديّ ، أفاضوا في الاستغراب ، وقالوا ان هذا لشيء عجاب ، ما سمعنا به في الأولين والأقدمين ، ولا حام حوله المهرة من المتقنين ، وطلبوا مني ان أثبت ما ثبت عندي ، وأقرر لهم ما تقرر في يدي ، مما سمعت من كبار الأفاضل ، أو التقطت من كلام الأوائل ، أو سمح به الخاطر الفاتر ، أو سنح للنظر القاصر ، حين كان الرأي ولودا ، والفكر عسولا ، والتأمل قطوفا وصولا ، وزعموا أني كأني أحدث في هذا الكتاب ما عند المصنف طرا ، وأحطت بما لديه خبرا ، وجمعت في ذلك الكتاب من الحقائق الجلائل والدقائق ما لم يجمعه أحد من الخلائق ، وان الخوض فيه على فرض العين ، وضعوا بعض ما كتبت على الرأس والعين[3] .

---

(١) كالسيوطي والألوسي وغيرهما (٢) الحاشية ٦ أ
(٣) الحاشية ٦ ب

ويمضى السعد فيذكر أنهم كرروا كلمتهم ورددوا ، وألحوا فـــى طلبهم وأكدوا ، بحيث لم يبق الى الممانعة مهيع [1] ، ولا فى قوى المدافعة مـــنزع .

وحينئذ يقرر السعد وضع الكتاب فيقول : فصرفت الهمــة والعزيمــة ، وأحكمت النية والصريمة ، وحللت من الفكر بملتقى طرقه ، ومن النظر بمجتمـــع فرقه ، ثم أخذت فى نشر فرائده المخزونة ، ونشر فرائده المكنونه ، ومحت برموزه التى كانت عن الأنظار خفية ، وسمحت بكنوزه التى كانت مدى الأعصـار خبية ، بحيث ينشد ضالته كل طالب عارف ، ويعثر على دالته كل ناظـــر واصـــف [2] .

زمـن تأليـف الكتـاب ومكانـــه

يذكر طاشكيرى زاده نقلا عن فتح الله الشروانى أنه زار مرقد السعـــد بسرخس فوجد مكتوبا عليه : شرع فى شرح الكشاف فى الثامن عشر من ربيـــع الآخر سنة ٧٨٩ بظاهر سمرقند [3] .

وينقل ابن العماد عن بعضهم أن شروع السعد فى شرح الكشاف كـان فى الثانى من ربيع الآخر سنة ٧٨٩ بظاهر سمرقند [4] .

ويذكر الشوكانى [5] ، واللكنوى [6] أن سعد الدين التفتازانى شرع فـى حاشية الكشاف فى ثامن ربيع الآخر سنة ٧٨٩ بظاهر سمرقند .

وعلى غلاف احدى النسخ المخطوطة للكتاب [7] كتب ما يلى : شرع فى هذا الكتاب فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٧٨٩هـ .

---

(١) مهيع أى طريق بين المنافذ . (٢) الحاشية ٦ ب
(٣) مفتاح السعادة ١/٢٠٦ (٤) شذرات الذهب ٦/٣٢١
(٥) البدر الطالع ٢/ ٣٠٤ (٦) الفوائد البهية ٥٠
(٧) وهى النسخة رقم ٥٠٢ تفسير طلعت بدار الكتب المصرية .

فهناك اجماع على أن شروح السعد فى تأليف الكتاب كان فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٨٩ هـ ، والاختلاف انما هو فى اليوم الذى شرع فيه من هذا الشهر ، والأمر فى ذلك هين .

هذا عن تاريخ الشروع فى الكتاب ، أما تاريخ الانتهاء منه فهو نفس تاريخ وفاته . وقد ذكرت فيما سبق أن السعد لم يتم هذا الكتاب حيث وافاه أجله قبل الفراغ منه ، ويقول صاحب كشف الظنون : وقد تحققت أن هذا الشرح درة لم تثقب ، ومهرة لم تركب ، وهو شرح ما له من نظير لاشتماله على التحقيق والتدقيق ، ولطائف التوفيق والتلفيق ، لكنه فوت الفرصة واشتغل به فى آخر عمره ، فأتاه بريد الأجل قبل الفراغ من العمل (١)

أما مكان تأليفه فهو ظاهر سمرقند كما سبق وهو الراجح ، لأنه قضى فى سمرقند السنوات الأخيرة من حياته ، لا كما هو موجود فى خاتمة المطول من أنه كان مشغولا بدراسة وكتابة حاشيته على الكشاف فى بلدة هراة الى ان جاء خطاب " ارجعى الى ربك " (٢)

نسخ الكتاب

توجد احدى عشرة نسخة للكتاب وهى تختلف من حيث تمامها ونقصانها ، ومن حيث أحجامها فمنها ما هو بالحجم الكبير وما هو بالمتوسط أو الصغير ، ومن حيث عدد أسطرها ، وجودة خطها أو رداءته ، ومن حيث أزمنة كتابتها فلم تكتب كلها فى زمن واحد بل فى أزمنة مختلفة ، وتوجد نسخة من هذه النسخ فى مكتبة الأزهر برقم ٤٢٧٣٧ بخيت ، ونسخة فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية برقم ١٢٩ تفسير ، أما النسخ الأخرى فتوجد فى دار الكتب المصرية تحت الأرقام التالية : ٣٥ تفسير خليل أغا ، ٢٦ تفسير قوله ، ٢١٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ تفسير طلعت ، ٢٣٧٢٩ ب ، ٢٥٤ ، ٢٨٦ تفسير تيمور .

هذا وسوف أتعرض فيما بعد لذكر النسخ التى اعتمدت عليها فى التحقيق .

---

(١) كشف الظنون ٢/١٤٧٨ (٢) خاتمة المطول ٤٨٣

مصادر الكتاب

ان من يطلع على كتاب السعد يتبين له كثرة المصادر التى استقى منها مادته العلمية ، وتنوعها ، ويتضح ذلك من كثرة العلماء الذين ترددت أسماؤهم فى هذا الكتاب ، ومن هؤلاء :

عبدالقاهر الجرجانى ، والسكاكى ، والخطيب القزوينى ، والجاحظ والسيد بن الشجرى ، والشريف المرتضى ، والمرزوقى ، وسيبويه ، والخليل ، ويونس ، وأبو الخطاب الأخفش ، وأبو الحسن الأخفش ، وعيسى بن عمر الثقفى ، وقطرب ، والسيرافى ، والجرمى ، والمازنى ، والمبرد ، والسخاوى ، والزجاج ، وعبدالرحمن بن الأنبارى ، وأبو على الفارسى ، والفراء ، وابن جنى ، وابن الحاجب ، وابن مالك ، وعلى بن عيسى الربعى ، والكسائى ، وأبو البقاء العكبرى ، وأبو نصر الفارابى ، والميدانى ، وأبو عبيده معمر بن المثنى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأبو منصور الأزهرى ، والجوهرى ، وابن السكيت ، والمفضل الضبى ، والأصمعى ، وأبو زيد الأنصارى ، والليث ، واللحيانى ، وابن الأعرابى ، والراغب الأصفهانى ، والمطرزى ، والقاضى البيضاوى ، وفخر الدين الرازى ، والكواشى ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة ، وأبو الحسن الأشعرى ، وأبو الحسين البصرى ، وأبو على الجبائى ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبو العلاء المعرى ، وعبدالقاهر البغدادى ، وغيرهم .

ونستطيع أن نعرف من تردد ذكر هؤلاء الأعلام فى الكتاب وكثرة النقول عنهم ، والاستشهاد بآرائهم ان السعد كان واسع الاطلاع غزير المعرفة ، وأنه استطاع أن يستوعب ثقافة المتقدمين من الأئمة والعلماء فى مختلف الفنون ، وأن يضع خلاصتها فى كتابه .

ومن الطبيعى أن يطلع السعد على الشروح والحواشى التى وضعت على الكشاف قبله ، وقد أفادته كثيرا ، ونقد بعضا من آراء أصحابها ، وقد أوضحت ذلك أثناء التحقيق .

وقد وضع التفتازانى هذا الكتاب فى اخر حياته كما عرفنا ، وهذا يعنى أنه وضعه فى مرحلة اكتملت فيها ثقافته اكتمالا تاما ، بحيث أصبح ملما بشتى أنواع العلوم والمعارف ، وكأن سعد الدين أدرك خطورة التصدى لشرح كتاب مثل الكشاف — وهو موسوعة حافلة بمسائل البلاغة والأدب واللغة والنحو والفقه والأصول — فلم يشرع فى القيام بهذا العمل الا بعد مرحلة النضوج الكامل فى كل ألوان العلوم والثقافات ، وبعد أن توافرت لديه كل المصادر التى تعينه وتمكنه من شرح الكشاف .

وهذه المصادر قد تعددت وتنوعت ، حيث استشهد بآيات القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والشعر ، والأمثال ، ورجع الى كثير من كتب التفسير مثل : أنوار التنزيل للقاضى البيضاوى ، ومفاتيح الغيب للامام الرازى ، واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ، ومعانى القرآن للفراء ، والتبصرة فى التفسير للكواشى ، واللباب من علوم الكتاب المعروف بتفسير ابن عادل ، وغير ذلك ، كما عنى بالمسائل الفقهية فى الكتاب وذكر كلا من الامامين أبى حنيفة والشافعى فى أكثر من خمسة وعشرين موضعا فى الجزء الأول الذى أقوم بتحقيقه ، كما لم يخل كتابه من المباحث الأدبية والآراء النقدية للأدباء أمثال الجاحظ والشريف المرتضى والمرزوقى وغيرهم ، هذا فضلا عن المصادر اللغوية والنحوية والكلامية والبلاغية ، والتى سأتناولها بشئ من التفصيل فيما يلى :—

المصادر اللغويـــة :

اعتمد التفتازانى اعتمادا كبيرا فى تفسير المفردات اللغوية على كتاب " أساس البلاغة " للزمخشرى ، فقد رجع اليه فى أربعة وتسعين موضعا فى هذا الجزء من الكتاب ، ومنها قوله : فى الأساس : قفيته ، وقفيته به ، وقفيت به على أثره اذا أتبعته اياه [1] .

---

(١) الحاشية ٤٤ أ ، وأساس البلاغة مادة (قفو) .

واعتمد السعد اعتمادا كبيرا أيضا على " الصحاح " للجوهري ، وقد رجع اليه في تسعة وسبعين موضعا ، منها قوله : في الصحاح فرعت القوم : علوتهم بالشرف أو بالجمال[١].

وقد أفاد السعد كذلك من الصحاح في استشهاده بآراء علماء اللغة أمثال : أبى عبيدة ، والأصمعي ، وغيرهما ، وأحيانا كان يشير الى ذلك كقوله " في الصحاح قال الأصمعي الشبب المسن من ثيران الوحش[٢] " وأحيانا لا يشير كقوله " قال ابن الأعرابي لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في أشعارهم فاسق ، وهذا عجيب ، وانه كلام عربي[٣] " وهذا الكلام منقول بالحرف من الصحاح[٤].

وقد رجع السعد كذلك في تفسير المفردات اللغوية الى كتاب " تهذيب اللغة " لأبى منصور الأزهري ، وكتاب " مجمل اللغة " لأحمد ابن فارس ، وكتاب " ديوان اللغة " لاسحق بن ابراهيم الفارابي ، ومن الأمثلة على ذلك قوله " قال الأزهري الراحلة هي البعير القوي على الأسفار والأحمال التام الخلق ، يطلق على الذكر والأنثى ، والتاء للمبالغة "[٥] ، وقوله : " الفرع مصدر بمعنى العلو ، على ما ذكر في المجمل[٦] " وقوله " يقال روحه أي أراحه ، ذكره في ديوان اللغة[٧] ".

---

(١) الحاشية ٩ ب ، والصحاح مادة (فرع).

(٢) الحاشية ١٧٠ أ ، والصحاح مادة (شبب).

(٣) الحاشية ٩٦ أ .

(٤) الصحاح مادة (فسق) .

(٥) الحاشية ٩٥ ب ، والتهذيب ٥/٥ مادة (رحل) .

(٦) الحاشية ٩ ب ، ومجمل اللغة ٣/٣٩١ مادة (فرع).

(٧) الحاشية ١٠٩ أ ، وديوان الأدب ، باب التفعيل .

المصادر النحوية :

شغلت المباحث النحوية حيزا كبيرا من حاشية السعد ، وقد استشهد خلالها بآراء أشهر النحويين ، وأشهر المذاهب النحوية كمذهب الكوفيين ، والبصريين ، ويعتبر كتاب سيبويه وكتاب المفصل للزمخشرى المصدرين الرئيسيين اللذين أفاد السعد منهما فى تحقيقاته النحوية ، فقد ورد ذكر الأول فى ٣٤ موضعا والثانى فى ٢٠ موضعا ، ومن ذلك قوله " وطائفة قد أهمتهم أنفسهم " الواو للحال ، نص عليه سيبويه [١] ، وقوله : استطالوا عليه : تطاولوا ، واستطال الشئ طال ، وقد استعمله فى المفصل فى بحث الموصول متعديا حيث قال : ولاستطالتهم اياه بصلته [٢].

وقد رجع السعد كذلك الى ابن الحاجب وذلك فى أحد عشر موضعا ، ومنها : قال ابن الحاجب فى قولهم : الذى يطير فيغضب زيد الذباب : الفاء انما جئ بها للسببية لا للعطف [٣] . ورجع الى الزجاج فى تسعة مواضع ، ومنها : قال الزجاج : اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل [٤].

وقد رجع السعد كذلك الى الخليل فى ثمانية مواضع ، والى أبى على الفارسى فى سبعة مواضع ، وكذلك الى أبى الحسن الأخفش ، والى الفراء فى ستة مواضع ، وكذلك الى المبرد وابن مالك .

ومن النحويين الذين أفاد السعد منهم أيضا : السيرافى ، والجرمى ، والمازنى ، وقطرب ، ويونس ، وأبو الخطاب الأخفش وابن جنى ، والكسائى ، وكثير غيرهم .

---

(١) الحاشية ٢٤٠ أ ، وكتاب سيبويه ١/ ٤٧

(٢) الحاشية ٦٦ أ ، والمفصل ٦٧

(٣) الحاشية ١١٤ أ ، والكافيه ١٣ .

(٤) الحاشية ٢٤١ ب ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٤٣٣

المصادر الكلاميـــة :

عرض السعد فى حاشيته لكثير من المباحث الكلامية ، وذلك فى مجـال التعليق على مسائل الاعتزال التى ذهب اليها الزمخشرى فى الكشاف ، وفـى أثناء ذلك يذكر كثيرا من علماء الكلام كأبى الحسن الأشعرى ، وفخر الديـن الرازى ، وأبى الحسين البصرى وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد وغيرهـم ، كما يعرض لكثير من آراء الفرق الكلامية كالمشبهة ، والمجبرة ، والحشويـة ، والخوارج والروافض ، والمرجئة [1] وغيرها .

ومن الأمثلة على ذلك ما نقله السعد عن الشريف المرتضى - تعليقـا على قول الزمخشرى " ان الفاسق هو النازل بين المنزلتين " [2] - أن واصل ابن عطاء هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر على أقوال : فالخوارج يسمونهم بالكفر والشرك ، والمرجئـة بالايمان ، والحسن البصرى وأتباعه بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهـم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين ، واحتج بأن الأمة اتفقوا على اسـم الفسق دون ما عداه من الايمان والكفر والنفاق ، فقال عمرو بن عبيـد : القول قولك وانى قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب ، فقيل : سمـوا المعتزلة لذلك [3]

المصادر البلاغيـة :

يعتبر الامام عبد القاهر الجرجانى فى مقدمة الأئمة الذين رجع السعـد اليهم فى البحوث البلاغية فى كتابه ، فقد أفاد كثيرا من كتابيه دلائل الاعجـاز وأسرار البلاغة ، فمن افادته من دلائل الاعجاز ما ذكره تعليقا على قـول الزمخشرى : ان معنى تعريف الخبر فى " وأولئك هم المفلحون " أنهـم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقيـة فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة [4] . فقال السعد : ينبغى أن يعلم أنـه

---

(١) الحاشية ٢٣٠ ب (٢) الكشاف ١/٨٩
(٣) الحاشية ٦٦ أ (٤) الكشاف ١/٣٦

اشارة الى معنى آخر لتعريف الخبر أورده الشيخ في " دلائل الاعجاز " حيث قال " اعلم أن للخبر المعرف باللام معنى آخر دقيقا يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر ، وذلك أن قولك : هو البطل المحامي ... تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فان كنت قبلته علما ، وتصورته حق تصوره ، فعليك بصاحبك واشدد به يدك ، فهو ضالتك ، وعنده بغيتك ، وطريقه طريقة قولك : هل سمعت بالأسد ؟ وهل تعرف ما هو ؟ فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه " ثم بالغ في توضيح هذا المعنى وتكثير أمثلته وقال : " هذا كله على معنى الوهم والتقدير وأن تصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ، ثم يجريه مجرى ما علمه ، وليس شيء بأغلب على هذا الضرب الموهوم من " الذي " فانه يجيء كثيرا على أنك تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي كقوله :

أخوك الذي ان تدعه لملمة

يجبك وان تغضب الى السيف يغضب (١)

ومن افادة السعد من دلائل الاعجاز أيضا قوله : ذكر الشيخ عبدالقاهر في قولها :

فانما هي اقبال وادبار

أنه لا مجاز في شيء من الطرفين ، وانما المجاز في الاسناد نفسه حيث جعلت كأنها تجسمت من الاقبال والادبار ، ولو قلنا : المراد ذات اقبال وادبار لخرجنا الى شيء مغسول وكلام عامي مرذول (٢) .

وأخذ السعد من الدلائل غير ذلك كثير ، ومن أمثلة افادته من أسرار البلاغة قوله : قال الشيخ عبدالقاهر : تشبيه الربيع بالفاعل القادر في تعلق

---

(١) الحاشية ٤٣ ب ، ودلائل الاعجاز ١٢٩ ـ ١٣١

(٢) الحاشية ١٨٦ أ ، ودلائل الاعجاز ٢٠٥ ـ ٢٠٧

الفعل ليس هو التشبيه الذى يحقق فى الكلام ويفاد بكأن والكاف ونحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر المختار فى اسناد الفعل اليه ، كما يقال ، شبهت " ما " بليس فرفع بها المبتدأ ونصب الخبر (١) .

وقوله : قال الشيخ عبد القاهر فى قول القائل :

وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

لو قلت : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا ، لكن أين هو من التشبيه المفيد فى يريك الهيئة التى تملأ النواظر عجبا ، وتستوقف العيون ، وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى من طلوع النجوم مؤتلقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية بحسب الرؤية ، والنجوم تتلألأ وتبرق فى أثناء تلك الزرقة ، ومن لك بهذه الصورة اذا جعلت التشبيه مفرقا ؟! (٢)

وقد أفاد التفتازانى أيضا فى البحوث البلاغية فى كتابه من العلامة السكاكى وكتابه " مفتاح العلوم " فقد ذكره فى أكثر من ثلاثة وعشرين موضعا منها قوله : فى المفتاح أن " باسم ربك " متعلق باقرأ الثانى ، ومعنى الأول : اوجد القراءة (٣).

ومنها ايضا قوله : قال صاحب المفتاح ان قولنا : المنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، كلاهما يفيد حصر الانطلاق على زيد (٤) .

وقوله : فى المفتاح ان فائدة الالتفات التنبيه على أن القراءة يجب أن تكون عن تأمل وحضور قلب ، بحيث يجد القارئ من نفسه محركا على الاقبال على المنعم ، يزداد ذلك المحرك بحسب اجراء الصفات على المنعم الى مقام الحضور والمشاهدة حتى يعبد ربه كأنه يراه ويشاهده ويخاطبه فى الاخبار

---

(١) الحاشية ٤٩ ب ، وأسرار البلاغة ٣٣١ .
(٢) الحاشية ٧١ ب ، ٧٢ أ ، وأسرار البلاغة ١٦٩ .
(٣) الحاشية ١٥ أ ، ومفتاح العلوم ١٢٧ .
(٤) الحاشية ٤٣ أ ، ومفتاح العلوم ١١٦ .

عن عبادته (١) .

وقد رجع السعد كذلك الى الخطيب القزويني ، ومن ذلك قوله في الاستعارة المكنية : صرح صاحب الايضاح أنها التشبيه المضمر في النفس (٢) .

ومن المصادر البلاغية التي أفاد منها السعد حاشية العلامة عمر بن عبدالرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٤٥ على الكشاف للزمخشري والتي تسمى بكشف الكشاف ، ومن افادة السعد منها ما ذكره في الاستعارة التبعية والمكنية حيث قال : ونعم ما قال بعض أهل التدقيق أنه اذا كان الغرض الأصلي تشبيه المصدر وذكرت المتعلقات بالعرض والتبع فالاستعارة تبعية كما في قوله :

تقري الرياح رياض الحزن مزهرة

اذا سرى النوم في الأجفان ايقاظا

فان حسن التشبيه بحسب الأصالة انما هو فيما بين هبوب الرياح والقرى ، لا فيما بين الرياح والضيف ، أو الايقاظ والطعام ، واذا كان في المتعلق وذكر الفعل بالتبع كما في قوله تعالى : " ينقضون عهد الله " فاستعارة بالكناية لشيوع تشبيه الحبل بالعهد ، واذا كان الأمران على السواء كما في نطقت الحال ، فمحتمل اذ كل من تشبيه الدلالة بالنطق ، والحال بالناطق حسن (٣) .

هذا وقد أشار السعد كثيرا في هذا الكتاب الى شرحه لتخليص المفتاح كقوله في المجاز العقلي : ان السكاكي يجعله من باب الاستعارة بالكناية ، وأن المجاز على هذا لا يكون في الاسناد بل في المسند اليه ، حيث أريد به الفاعل الحقيقي ادعاء بقرينة نسبة المسند الذي هو من خواص الفاعل الحقيقي اليه ، وقصده بذلك حصر المجاز في اللغوي وجعل العقلي راجعا اليه ميلا الى زيادة الضبط بتقليل الأقسام . ثم قال : وفي هذا المقام

---

(١) الحاشية ١٢٤ أ ، ومفتاح العلوم ١٠٧ - ١٠٦

(٢) الحاشية ١٩٧ أ ، والايضاح ١٧٦

(٣) الحاشية ٤٧ ب ، وكشف الكشاف الورقة ١٨ ب

زيادة تفصيل تطلب من شرح التلخيص[1].

وكقوله في شمول الجمع المعرف باللام لكل فرد : وأما شمول الجمع المعرف باللام لكل فرد مما سمي به مفرده فمما اتفق عليه أئمة التفسير والأصول والنحو ، والكشاف مشحون بذلك وقد بسطنا الكلام فيه في شرح التلخيص[2].

تلك أهم المصادر التي استعان بها السعد ، واعتمد عليها ، وأشار اليها ، وهناك مصادر أخرى كثيرة أفاد منها السعد ولم يشر اليها بل كان يكتفي بقوله : وقيل ، أو : وما يقال ، أو ومنهم من قال ، أو ومن الناظرين في هذا الكتاب من ذهب الى كذا ، الى غير ذلك ، وقد تمكنت من معرفة الكثير من تلك المصادر - ومنها على سبيل المثال فتوح الغيب لشرف الدين الطيبي ، وتحفة الأشراف للفاضل اليمني وغير ذلك - وقد أوضحتها في مواضعها من التحقيق .

منهج العلامة التفتازاني في الكتاب

يحدثنا العلامة التفتازاني في مقدمة هذا الكتاب عن المنهج الذي رسمه لنفسه فيه فيقول : أخذت في نشر فرائده المخزونة ، ونشر فوائده المكنونة ، بحيث ينشد ضالته كل طالب عارف ، ويعثر على دالته كل ناظر واصف ، وبحث برموزه التي كانت عن الانظار خفية ، وسمحت بكنوزه التي كانت مدى الأعصار خبية ، وان كان حقيقا بأن لا يبذل منها الا الواحد فالواحد ، ولا يدخل فيها الا الوارد بعد الوارد ، اذ لم أدركها الا في مدة طويلة لا أذكر طرفيها ، ومجاهدات عجيبة لا أنسى مجاذباتي فيها ، ومراجعات كثيرة الى الثقات ، ومطالعات عديقة لما أثبته الأثبات ، وآثرت في معترك الوجوه ومزدحم المعاني ما هو الأبعد من مج الأسماع ، والأقرب امتزاجا بالطباع ، وأوردت في كشف المعضلات وحل التراكيب أشرف الأنماط وأحسن الأساليب ،

---

(١) الحاشية ٤٩ ب ، والمطول ٦٥ - ٦٧

(٢) الحاشية ٢١ ب ، والمطول ٧٩ ، ٨٦ .

بتقريرات تتفتح لها الآذان ، وتهتز عند ورودها الأذهان ، وينبس السامع لديها فوديه ، ويميل الواقف عليها عطفيه ، وتحريرات تضمحل بها على التحقيق الشبه ، ويسكت عندها المنطيق المفوه ، ويندفع ما في بعض الحواشي من الميل ، أو وقع لبعض الأفهام من الزلل ، وعولت في مصاك الركب ومصاف الأقدام على ما هو الأوثق في الاعتصام ، والأوفق بالمرام ، وما به يخمد من الباطل الضرام ويغمد من العاطل الحسام (1).

هذه عبارة السعد ونستطيع ان نقول أنه ألزم نفسه بمايلي :

— توضيح ما خفي من عبارات الكشاف ، وما دق من مسائله وقضاياه ، وكشف النقاب أمام الطالبين له عن لطائفه المخزونة ، وخباياه المكنونة .

— وهو في أثناء ذلك يبوح بكل ما لديه من علم ومعرفة ، ويسمح بكل ما استطاع الحصول عليه من كنوز الكشاف ومكنون درره التي لم يصل اليها غيره ، ولم يبخل بشيء منها رغم ما قاساه في سبيل الحصول عليها والوصول اليها .

— وهو يراعي في كتابه الطبع والذوق ، فيؤثر من بين الوجوه ما تهش له الأسماع ، ويمتزج بالطباع ، أما ما يجافي الطبع وتمجه الأسماع فانه يرده ويرفضه .

— وفي سبيل كشفه لمعضلات الكشاف ودقائقه يختار من الأنماط أشرفها ، ومن الأساليب أحسنها ، وذلك بايراده تقريرات تروق للناظر وتعجبه ، وتحريرات ترد على من يورد الشبه على الكشاف وتفحمه ، وتدفع ما وقع في بعض حواشي الكشاف الأخرى من الزلل والخطأ في كشف غوامضه وحل تراكيبه .

— وفي المواضع التي تختلف فيها الآراء ، وتتعدد الوجوه يختار السعد أقواها حجة وأوفقها بما يريده الزمخشري ويقصده .

---

(1) الحاشية ٦ ب و ٧ أ

هذا هو منهجه كما رسمه لنفسه فى هذا الكتاب ، وهو منهج عام ، وأستطيع أن أقول أنه ـ فى الغالب ـ قد التزم به وسيتضح ذلك من استعراضنا لمنهجه فى جوانب الكتاب المختلفة ، أما الجانب البلاغى ـ وهو ما يعنينا فى هذا الكتاب ـ فقد أفردت له فصلا على حده هو الفصل الرابع فى هذه الدراسة ، وأما الجوانب الأخرى فسنستعرض منهجه فيها كما يلى :

ـ يلاحظ أن المنهج الذى سار عليه السعد فى شرحه للكشاف وتوضيحه والتعليق عليه هو نفس المنهج الذى سار عليه فى شرحه للقسم الثالث من المفتاح ، وسار عليه أيضا السيد الشريف فى كتاب المصباح ، وهو الالتزام بطريقة القول ، بمعنى أنه يورد كلمة أو جملة أو جملا من المتن بقوله : قوله كذا ، ثم يبدأ بالشرح والتوضيح والتعليق على هذا القول أو على ما يتعلق به فى الموضع الذى أورده منه .

والسعد لا يشير دائما بهذا القول الى كلام الزمخشرى ، بل قد يقصد به قول الله تبارك وتعالى ، ومن ذلك قوله :

قوله " بالليل والنهار سرا وعلانية " (1) لاخفاء فى ان الأربعة ليست أقساما متقابلة بالذات ، بل باعتبار الوصف ورعاية الجهة اعنى كونه فى ليل أو نهار بأى صفة أنفق ، وكونه سرا وعلانية فى أى وقت أنفق (2)

ـ والسعد فى شرحه يعنى بذكر المعنى اللغوى للكلمة كقوله " القرآن فى اللغة الجمع (3) " وقوله " الاستشفاع طلب الشفاعة يقال استشفعته واستشفعت به أى سألته أن يشفع لى (4) " .

وقد يذكر المعنى الاصطلاحى كقوله : " علم المعانى علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، وعلم التفسير هو العلم الباحث عن أحوال

---

(1) من الآية ٢٧٤ من سورة البقرة

(2) الحاشية ١٩٨ ب (3) الحاشية ١٧

(4) الحاشية ١١ ب .

كلام الله تعالى من حيث الدلالة على المراد "(١).

واذا كان للكلمة أكثر من وجه فالسعد يشرحها على وجوهها المختلفة كقوله : " المعازة " بالزاى المعجمة : المغالبة ، وبالراء المهملة : المضادة من المعرة وهى الاثم ، يقال عر أمره اذا أفسده (٢)

وفى بيان المعنى يلجأ السعد الى الأمثلة ليزيد المعنى وضوحا كقوله : " العرب العرباء " الخلص منهم كليل أليل وظل ظليل (٣).

وقد يذكر السعد المعنى المراد مبينا أصل هذا المعنى كقوله " التحدى " طلب المعارضة ، وأصله من الحداء يتبارى فيه الحاديان ، و" خطيب مصقع " أى بليغ جهر بخطبته من صقع الديك اذا صاح ، وقيل : لأنه يأخذ فى كل صقع أى جانب من الكلام (٤).

- والسعد فى شرحه كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والأمثال ، والشعر ، وكتب اللغة وأقوال علمائها .

فمن استشهاده بالقرآن الكريم ما ذكره تعليقا على قول الزمخشرى : " ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده " (٥) حيث قال : لم يطلقوه أى لم يذكروه بدون الاضافة الا فى حق الله تعالى ، يعنى لفظ " الرب " بخلاف الجمع كالأرباب كما يقال : رب الأرباب ، وفى التنزيل : " أأرباب متفرقون خير أم الله " (٦).

ومن استشهاده بالحديث والشعر وأقوال علماء اللغة قوله : " الشادخ الغرة " واسعها ، والغرة بياض فى جبهة الفرس ، و" التحجيل " فى قوائمها ، وذلك استعارة للشرف والاستهار حتى صار عند العرب بمنزلة الحقيقة .

أغر أبلج تأتم الهداة به
مبارك الاسم أغر اللقب

---

(١) الحاشية ١١ أ
(٢) الحاشية ٩ أ
(٣) الحاشية ٩ أ
(٤) الحاشية ٩ أ
(٥) الكشاف ١/ ٨
(٦) الحاشية ١٢ أ

وفى الحديث "ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء" قال الجوهرى : التحجيل البياض فى قوائم الفرس ، وفرس محجل ، وقد حجلت قوائمه تحجيلا (١)

ومن استشهاده بالأمثال قوله : العرب تتيمن بالسانح وهو الذى يمر من مياسرك الى ميامنك ، وتتشاءم بالبارح وهو الذى يمر من ميامنك الى مياسرك ، وهذا معنى قولهم : السانح ما ولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما ، والبارح ما ولاك مياسره ، وفى المثل "من لى بالسانح بعد البارح" (٢)

وهذا قليل من كثير فالشواهد التى ذكرها السعد فى كتابه أكثر من أن تحصى .

لكن يلاحظ أن السعد عنى عناية خاصة بالشواهد الشعرية ومن أسماء الشعراء الذين ذكرهم : الكميت ، والفرزدق ، والحارث بن حلزة ، وذو الرمة ، وعوف بن الأحوص ، وأبو العلاء المعرى ، وامرؤ القيس ، وحسان ابن ثابت ، وزهير بن أبى سلمى ، ولبيد ، وجرير ، والبحترى ، وأبو تمام ، والحويدرة ، وبشر بن أبى خازم ، والحطيئة ، والحارث بن كلدة الثقفى ، والعباس بن مرداس ، والطرماح ، والحارث بن ظالم المرى ، والنابغة الذبيانى ، والنابغة الجعدى ، والأعشى ، وابن الرومى ، وغيرهم كثير .

وبالنسبة للشواهد الشعرية التى أضافها السعد الى شواهد الكشاف يلاحظ أنه قد يستشهد بشطر من البيت كما سبق ، وقد يستشهد بجزء منه كقوله : ان معنى أسد على : مجترئ صائل ، ومعنى نعامة فى الحروب : جبان هارب ، وفى شعر أبى العلاء :

والطير أغربة عليه

أى باكية (٣) .

---

(١) الحاشية ٩ ب (٢) الحاشية ٦٩ أ .

(٣) الحاشية ٦٩ ب

وقد يستشهد بالبيت كاملا كقوله : لا معنى للتشبيه المركب الا أن تنتزع كيفية من أمور متعددة فتشبه بكيفية أخرى كذلك ، فيقع فى كل من الطرفين عدة أمور ، ربما يكون التشبيه فيما بينها ظاهرا ، لكن لا يلتفت اليه ، بل الى الهيئة الحاصلة من المجموع كما فى قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نشرن على بساط أزرق (١)

وقد يستشهد بأكثر من بيت كقوله : وقد يتناسى التشبيه مع التصريح بالطرفين كما فى قولـه :

هى الشمس مسكنها فى السما * ء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعو * د ولن تستطيع اليك النزولا (٢)

أما الشواهد الشعرية المذكورة فى الكشاف فقد كان منهج السعد بالنسبة لها أنه يشرحها ويوضح ما يحتاج الى توضيح من مفرداتها كما فى قول الزمخشرى : وقال ذو الرمة :

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا (٣)

حيث يقول السعد : قوله " الناس " بالرفع مبتدأ خبره " ينتجعون " من انتجعت فلانا ، أى أتيته أطلب معروفه ، والجملة مفعول " سمعت " على الحكاية ، و" صيدح " اسم ناقة ذى الرمة ، و" بلال " هو بلال ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى قاضى البصرة وكان جوادا فياضا (٤).

وقد يحدد السعد مع ذلك اسم الشاعر ، والمناسبة التى قيل فيها ذلك الشعر ، ويرجع الى ديوان الشاعر ويذكر الرواية الموجودة فيه اذا كانت تخالف رواية الكشاف ، ففى قول الزمخشرى : قال الهذلى :

فلا وأبى الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم (٥)

---

(١) الحاشية ٦٨ أ   (٢) الحاشية ٦٩ أ
(٣) الكشاف ١ / ١٨   (٤) الحاشية ٢٨ ب
(٥) الكشاف ١ / ٣٥

يقول السعد : الهذلى هو أبو خراش خويلد بن مرة يرثى خالد بن زهير و " لقد وقعت " جواب القسم ، والخطاب للطير ، وتنكير " لحم " للتعظيم ولذلك استعظم الطير الواقعة عليه حيث أقسم بها بل بأبيها ، قصدا الى زيادة التعظيم ، " والمربة " المقيمة ، والشعر فى ديوان الهذليين هكذا :

لعمر أبى الطير المربة غدوة * على خالد لقد عكفن على لحم
فلا وأبى لا يأكل الطير مثله * عشية أمسى لا يبين من السلم (١)

وقد يرجع السعد الى أكثر من مصدر للوقوف على روايات البيت وعلى قائله ففى قول الزمخشرى : وقال

اذا رد عافى القدر من يستعيرها (٢)

يقول السعد : فى " الأساس " انه للكميت وأوله :

فلا تسألينى وانظرى ما خليقتى

وفى " المفضليات " أنه لعوف بن الأحوص وأوله :

فلا تسألينى واسألى عن خليقتى

أى خلقى وطبيعتى فى زمان شدة القحط (٣)

وقد يذكر السعد بعض الأبيات قبل البيت الذى أورده الزمخشرى أو بعده فمن الأول : يقول الزمخشرى : ومنه قوله :

فقلت الى الطعام فقال منهم
زعيم نحسد الانس الطعاما (٤)

ويقول السعد : قوله " فقلت الى الطعام " أى هلموا اليه وقبل البيت : أتوا نارى فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما (٥)

---

(١) الحاشية ٤٢ أ — (٢) الكشاف ١/ ٤٠
(٣) الحاشية ٥٠ أ — (٤) الكشاف ١ / ٢
(٥) الحاشية ١١٤ أ

ومن الثانى يقول الزمخشرى : قولـــه :

يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب (١)

ويشرح السعد هذا البيت ثم يقول : وبعده :

والله لو لاقيته وحده * لآب سيفانا مع الغالب (٢)

وقد يذكر الزمخشرى جزء بيت فيكمله السعد ثم يبرز ما فيه من نكات بلاغية وأسرار جمالية ، ومن الأمثلة على ذلك : يقول الزمخشرى : الجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف ، قال زهير :

تسقى جنة سحقا (٣)

ويقول السعد : قال زهير :

كأن عينى فى غربى مقتلة

من النواضح تسقى جنة سحقا

الغرب : الدلو العظيمة ، ناقة مقتلة : مذللة مرنت على العمل .
النواضح : الابل التى يسقى بها ، السحق : جمع سحوق وهو الطويل من النخل ، ولا يخفى ما فى ايثار " الغرب " وتثنيتها المنبئة عن دوام الانسكاب بتعاقبهما مجيئا وذهابا ، وذكر المذللة التى تخرج الدلو ملأى لا كالصعبة التى تسيل بنفرتها الماء من جوانب الغرب ، وكونها من النواضح المستمرة على هذا الوصف ، المتمرنة عليه ، وذكر الجنة الملتفة الكثيرة الأشجار ، والنخل المفتقر الى الكثير من الماء ، سيما الطوال منها الصاعدة فى الهواء ، من المبالغات ، وجعل عينيه فى الغربين دون أن يجعلهما غربين كناية لطيفة ، كأن ما ينصب من الغربين ينصب من العينين (٤)

الأعـــلام :

- ذكر السعد فى كتابه كثيرا من العلماء الأعلام ، وقد أشرت الى بعضهم عند الحديث عن مصادره ، ويلاحظ أنه يذكر بعض هؤلاء الأعلام بألقاب معينة ،

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢ (٢) الحاشية ٩٣ أ
(٣) الكشاف ١/ ٧٦ (٤) الحاشية ٨٨ ب

حتى اذا ما أطلق هذه الألقاب لا ينصرف الذهن الى غير من يقصدهم بهما من الأعلام ، فبالاستقراء المستوعب لكتابه نرى أنه يذكر الزمخشري دائما بلفظ " المصنف " ولم يذكره بغيره الا في ثلاثة مواضع أطلق عليه في الموضع الأول لقب الشيخ والعلامة حيث قال : وبعد فان كتاب الكشاف للشيخ العلامة ... الخ (١) ، وفي الثاني لقب الشيخ حيث قال : ومنهم من حاول التوفيق بين كلامي الشيخين (٢) ، يقصد الزمخشري والسكاكي ، وفي الثالث ذكره بلقب جار الله حيث قال : وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه الخ (٣)

ويطلق لقب " القاضي " على ناصر الدين البيضاوي صاحب " أنوار التنزيل " ومن ذلك قوله : وقال القاضي : قوله " بغيا " علة " أن يكفروا " ، دون " اشتروا " (٤).

ويطلق لقب " الامام " على فخر الدين الرازي كقوله : ونعم ما قال الامام في هذا المقام (٥) ... الخ .

ويطلق لقب " الشيخ " على عبد القاهر الجرجاني كقوله : المعنى أنه ليس هناك من يزيدهم مرضا حقيقة ، على ما هو رأي الشيخ أنه لا يلزم في الاسناد المجازي أن يكون للفعل فاعل يكون الاسناد اليه حقيقة مثل : يزيدك وجهه حسنا (٦) .

وقد يذكر اسم عبد القاهر مع لقب الشيخ أو يذكره بدون اللقب كقوله : يشير الى ما ذكره الشيخ عبد القاهر (٧) ... أوصرح بذلك الشيخ عبد القاهر (٨) .. أو وقال الشيخ عبد القاهر (٩) ، وكقوله : عبارة " ما هو الا شهوات لا غير مما منحه عبد القاهر (١٠) .

---

(١) الحاشية ٦ أ
(٢) الحاشية ١٠٦ أ .
(٣) الحاشية ١٢٤ أ
(٤) الحاشية ١٢٦ أ
(٥) الحاشية ١١٦ أ
(٦) الحاشية ٥٦ .
(٧) الحاشية ١٤ ب
(٨) الحاشية ٤٩ ب .
(٩) الحاشية ٧١ ب
(١٠) الحاشية ٢٠٩ ب

وقد يترجم السعد لبعض الأعلام فى كتابه ويعرض فى ترجمته لاسم الرجل وثقافته وموطنه وسنه وبعض الأخبار عنه وعن أسرته ، وقد يعرض لاساتذته وتلاميذه ، كقوله : " ابن القرية " بكسر القاف والراء المشددة : أحد الفصحاء الحفاظ نقل الكتب القديمة الى العربية ، قتله الحجاج ، اسمه أيوب ، والقرية اسم أمه (١) . و " الحسن البصرى " كان بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، بلغ من السن تسعا وثمانين سنة ، اسم أبيه يسار ، من أهل ميسان ، وكان مولى لبعض الانصار ، واسم أمه خيرة ، وكانت مملوكة لأم سلمة ، ويقال : كانت أم سلمة تأخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها وتدر عليه (٢) . و " سيبويه " هو عمرو بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب ، أخذ النحو عن الخليل وهو استاذه ، وعن يونس وعيسى بن عمرو وغيرهم وأخذ اللغة عن أبى الخطاب الأخفش وغيره ، ونجم (٣) من أصحابه أبو الحسن الأخفش وقطرب ، ومعنى سيبويه رائحة التفاح ، مات فى أيام الرشيد (٤) .

وينبه السعد الى أن بعض الأسماء حين تطلق فانما يراد بها علما معينا كقوله : ان " عبدالله " عند الاطلاق هو عبدالله بن مسعود (٥) . و " يعقوب " حيث أطلق فى كتب اللغة هو ابن السكيت صاحب " اصلاح المنطق (٦) " .

وقد يذكر السعد المرجع الذى اعتمد عليه فى ترجمته لبعض الأعلام كقوله : " ابن التيهان " هو أبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد الياء وكسرها ، ذكره فى " جامع الأصول " وغيره (٧) .

أثر النحو فى منهج السعد :

لقد كان للسعد ثقافته النحوية العميقة ، وله بعض المؤلفات النحوية ،

---

(١) الحاشية ١١أ

(٢) الحاشية ١١أ .

(٣) نجم أى ظهر

(٤) الحاشية ١١ أ

(٥) الحاشية ٢٥أ

(٦) الحاشية ٣٨ ب

(٧) الحاشية ٩٧أ

وكان لهذا أثره الكبير فى منهجه فى هذا الكتاب ، سيما والزمخشرى يعنى عناية كبيرة بالمسائل النحوية والأوجه الاعرابية فكان لا بد لمن يتصدى لشرح الكشاف أن يكون ملما بالمذاهب النحوية وأن يوجه عناية خاصة لتلك الناحية .

وقد ذكر السعد كثيرا من أئمة النحو وأعلامه ، كما ذكر المذاهب النحوية ورجع الى كثير من كتب النحو ككتاب سيبويه وغيره ، ووجه عناية كبيرة لاعراب تراكيب الكشاف وارجاع الضمائر ، وقد يستطرد فيذكر آراء نحوية متعددة ووجوها اعرابية مختلفة مناقشا ذلك ، ومستشهدا بالقرآن الكريم أحيانا ، ومرجحا بعض تلك الوجوه ورافضا بعضها مع ذكر أسباب الترجيح أو الرفض .

ومن الأمثلة على ذلك : يقول الزمخشرى : وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما ، وفصله سورا وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات (١)

ويقول السعد : قوله " على قسمين " حال من الضمير المنصوب و" متشابها " بدل من الحال ، أى أوحاه متشابها ومحكما ، لا من محل المجرور أى أوحاه على متشابه ومحكم ، وقد يجعل تمييزا أو حالا على الترادف أو التداخل ، أو نصبا بتقدير أعنى ، و" سورا " حال أو مفعول ثان على تضمين " فصل " معنى الجعل والتصيير ، وضمير " بينهن " للسور والآيات ، على معنى : ميز بين الآيات بالفصول أى أواخر الآى ، وبين السور بالغايات أى أواخر السور (٢) .

وفى قوله تعالى " اياك نعبد " يقول الزمخشرى : " ايا " ضمير منفصل للمنصوب ، واللواحق التى تلحقه من الكاف والهاء والياء لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ، ولا محل لها من الاعراب ، كما لا محل للكاف فى " أرأيتك " وليست بأسماء مضمرة ، وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون ، وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب " اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب

---

(١) مقدمة الكشاف / ى

(٢) الحاشية ٨ أ

فشىء شاذ لا يعول عليه (١) .

ويقول السعد : المحققون كالخليل ، وسيبويه ، والأخفش والمازني ، وأبى على ، وغيرهم على أن " ايا " ضمير ، الا أن الجمهور منهم على أن اللواحق بعده حروف دالة على أحوال المرجوع اليه فلا يكون لها محل ، والخليل على أنها أسماء أضيف اليها " ايا " فتكون فى محل الجر ، وقال الزجاج والسيرافى أن " ايا " اسم ظاهر واللواحق ضمرات أضيف اليها " ايا " فكأن اياك بمعنى نفسك ، وقال قوم من الكوفيين : اياك واياى واياه بكمالها أسماء ولا تركيب فيها ، وآخرون منهم على أن الضمائر هى اللواحق و" ايا " دعامة لها لتصير بسببها منفصلة ، وكذا فى " أنت " التاء ضمير ، وأن دعامة ، والى هذا مال بعض البصريين ، ومذهب الفراء أن " أنت " بكماله اسم ، والمحققون على أن الضمير هو أن واللواحق حروف ، وأما الكاف فى أرأيتك بمعنى أخبرنى فحرف اجماعا فلذا جعله المقيس عليه دون اللواحق بأن لا اجماع (٢)

أثر الصرف :

ولقد عرض السعد فى كتابه لكثير من المباحث الصرفية ، ومن ذلك قوله : " شاكى السلاح " الأصل شائك ، وقد تحذف العين فيقال : شاك السلاح بضم الكاف ، وقد تقلب الى موضع اللام وتعل فيقال : شاك السلاح بكسرها (٢)

ومن ذلك أيضا ما ذكره تعليقا على قول الزمخشرى فى قوله تعالى " فليؤد الذى اؤتمن أمانته " : والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال ، أو ياء فتقول : الذاؤتمن أو الذى تمن ، وعن عاصم : أنه

(١) الكشاف ١/١٠٥ (٢) الحاشية ١٢٣ أ

(٣) الحاشية ٦٦ أ

قرأ الذتمن بادغام الياء فى التاء ، قياسا على أتسر فى الافتعال من اليسر ، وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة ، فهى فى حكم الهمزة ، و " أتزر " عامــي[1]

فقال السعد : قوله " والقراءة " يعنى القراءة المعتد بها ، واؤتمن مبنى للمفعول من ائتمنه على كذا ، أصله أؤتمن بهمزتين قلبت الثانيــة الساكنة واوا لوقوع الهمزة المضمومة قبلها ، أعنى همزة الوصل ، فاذا وقعت فى الدرج سقطت وعادت الهمزة المنقلبة همزة ، وحذفت ياء الذى لالتقــاء الساكنين ، فصار الذئتمن بهمزة ساكنة بعد الذال ، وجاز قلب الهمــزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، فصار الذيتمن بياء ساكنة بعد الــذال ، ومثل هذه الياء لا تدغم فى فاء افتعل ، فلا يقال فى ايتزر : اتــزر ، بخلاف مثل : اتسر واتحد ، وقد بين ذلك فى علم الصرف ، فلذا حكــم بأن ما نقل عن عاصم ليس بصحيــح[2]

أثر الأصول :

ولقد كان لعلم الأصول أثر واضح فى منهج السعد فى هذا الكتــاب حيث عرض لآراء الأصوليين فى أكثر من موضع ومن ذلك قوله : القول بمفهــوم الشرط وانتفاء الحكم عند انتفائه انما يكون اذا لم يكن خارجا مخــرج الأغلب ، على ما بين فى الأصــول[3] .

وقوله : لا مانع من الأمر بالحسبان لأنه ظن لا شك ، والتكليــف بالظن واقع كما فى قوله تعالى " فاعتبروا " أمرا بالقياس وتحصيل الظــن على ما يراه الأصوليــون[4] .

وكذلك قوله : وفى عبارة الأصوليين " الوقت " قد يكون معيارا كالنهــار للصوم ، وقد لا يكون كالوقت للصلاة[5] . والأمثلة غير ذلك كثيرة .

---

(١) الكشاف ١/ ٢٥٢ (٢) الحاشية ٢٠٢ أ .
(٣) الحاشية ٢٠٢ أ (٤) الحاشية ٢٤٤ ب
(٥) الحاشية ٢٢٠ أ .

أثر علم الكـــــــلام :

ذكرت أن الزمخشري كان معتزليا متعصبا لمذهب المعتزلة ، يهاجم أهل السنة بعنف ، ويشدد النكير عليهم ، وقد عنى فى كشافه عناية كبيرة بالانتصار للمعتزلة وتأويل الآيات القرآنية بما يتفق وآراءهم وما يشايع مذهبهم ، فكان من الطبيعى أن يعنى السعد بالجانب الكلامى فى شرحه على الكشاف ، سيما وهو رجل مناصر لمذهب أهل السنة ، وذو ثقافة واسعة فى علم الكلام ، وقد ألف فيه أكثر من كتاب ، فكان أثر المذهب الكلامى فى حاشيته واضحا كل الوضوح .

وهنا نلاحظ أمرين :

الاول : كثرة المباحث الكلامية فى الحاشية تبعا لكثرتها فى الكشاف ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر : يقول الزمخشري فى قوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون " : واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بأنهم ينفقون الحلال الذى يستأهل أن يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه (١) .

ويقول السعد : لاخفاء فى أن المراد بما رزقناهم هو الحلال لكن عند المعتزلة من جهة أن الحرام ليس برزق ، فالاسناد الى الله تعالى يكون للاشعار بأنه لا يكون الا حلالا ، اذ القبائح لا تسند الى الله تعالى ، وعندنا من جهة أن المدح والاتصاف بالتقوى انما يكون فى الانفاق من الحلال ، سيما عند التصريح بالاسناد الى الله تعالى ، فانه ينصرف الى الأفضل الأكمل ، ففائدة الاسناد الاعلام بأنهم ينفقون من الحلال ما هو من عظام المنائح (٢)

الثانى : تلك العبارات القاسية ، والنبرة الحادة ، والتهكم اللاذع الذى وجهه السعد للزمخشري فى كثير من المناقشات الكلامية ، ويبدو أن التفتازانى وهو مناصر لأهل السنة قد عامل الزمخشري بالمثل ، وكال له صاعا بصاع ،

---

(١) الكشاف ١/٣١-٣٢ (٢) الحاشية ٣٨ ب

وان كنت أرى أنه قد تجاوز فى ذلك كل الحدود ، كقوله معرضا بالزمخشرى : من له مسكة من الانصاف يعلم كذا (١) ... وقوله : ومن كان له شمة من الانصاف فهم من هذه الآية كذا (٢) ، وقوله : وهذا من هيمانه فى وادى عدله وتوحيده (٣) . وقوله : فكيف يصح الحصر على جثالة المعتزلة ؟ ! (٤) وقوله : وهذا بين جلى لمن لم يعمه ولم يصممه حب عدم الرؤية والتعصب فى باطله (٥) وقوله : وهذا بين جلى على صبيان الكتاب ، ولكن الأعمى لا يهتدى الى طريق الصواب (٦) !!! الى غير ذلك.

أثر الفقه :

عرض السعد لكثير من المباحث الفقهية فى كتابه ، وذلك فى مجال التعليق على ما جاء فى الكشاف بشأن آيات الذكاة والوصية والأيمان والطلاق والحيض وغير ذلك .

ومن الأمثلة على ذلك قوله : واختلف الفقهاء فيما هو المراد باللغو من اليمين ، فعلى قول الشافعى عدم العقد ظاهر ، وأما على قول أبى حنيفة فمعناه عدم القصد الى الكذب فى اليمين لأنه حلف على الشىء حال كونه ظانا أن الشىء كائن على الوجه الذى حلف هو عليه من الثبوت أو الانتفاء (٧)

أثر اللغة الفارسية :

بالرغم من أن أسلوب السعد فى كتابه أسلوب عربى سليم يسير بوضوح وسلاسة مع قواعد اللغة العربية ومناهجها ، فاننا نجده أيضا متأثرا بلغته الفارسية التى أتقنها حيث يذكر معنى بعض الكلمات أو العبارات باللغة الفارسية كقوله : الايمان أن يعتقد الحق ، أى يربط القلب به ، بحيث يحصل المعنى المسمى فى الفارسية : بكرويد ن وفى العربية بالتصديق (٨)

---

(١) الحاشية ١٩٣ ب — (٢) الحاشية ١٩١ ب

(٣) الحاشية ٢١٣ أ — (٤) الحاشية ٢١٢ أ .

(٥) الحاشية ١١٤ ب — (٦) الحاشية ٢١٢ ب.

(٧) الحاشية ١٧٧ ب — (٨) الحاشية ٣٧ أ .

ومن ذلك أيضا قوله : وأما مثل بايعته فعلى جعل المبايعة مشاركة ومبادلة في أمر البيع والشراء مشتركة بينهما ، ومعناه بالفارسية ، خريد وفروخت كردن [1].

الاقتباس :

ويلاحظ المتتبع لأسلوب السعد في حاشيته أنه يقتبس من القرآن الكريم أحيانا كقوله في المقدمة : وان كان ذو عيب في ريب فليأت بحديث مثله ، أوليمت بغيظه في جهله ، " فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " ... " وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب [2] ".

ومنه أيضا قوله : فان قيل : " لم تقولون ما لا تفعلون " ؟ قلنا : مخصوص بالاجماع على وجوب الأمر بالمعروف من غير تفرقة بين أن تفعل وأن لا تفعل [3] .

وضع الاسئلة الافتراضية والاجابة عليها :

ومن منهج السعد في هذا الكتاب أنه يقوم بوضع الاسئلة الافتراضية ثم يجيب عليها بطريقة : فان قلت ... قلت أو قلنا ، أو فان قيل ... قلنا ، وكأنه يتبع في ذلك طريقة الزمخشري في الكشاف ، واليك بعض الامثلة لتوضيح ذلك :

يقول الزمخشري فان قلت : لم كرر " قلنا اهبطوا " [4] ؟ قلت : للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله " فاما يأتينكم مني هدى " [5].

ويقول السعد : قوله " للتأكيد ، ولما نيط به " فان قيل : على الأول فلم قدم ذكر تلقي الكلمات عليه ، وعلى الثاني ان ما ذكر لا يصلح علة للتكرير ، اذ أمكن أن تناط الزيادة بالأول من غير تكرير ، قلنا : أما الأول فلفرط الاهتمام

---

(١) الحاشية ١١٣ أ
(٢) الحاشية ١٧ أ
(٣) الحاشية ١٢٣ أ ، ب
(٤) أي في الآيتين ٣٦ ، ٣٨ سورة البقرة
(٥) الكشاف ١/ ٩٦

بصلاح حاله والاخبار بقبول توبته وازاحة ما عسى تتشبث به الملائكة فيما زعموا فى حقه ، وقد فضله عليهم ، وأمرهم بالسجود له ، وأما الثانى فليكون بيان حال فريقى المؤمنين والكافرين كالمذكور قصدا ، حيث استؤنف له ذكر الأمر بالهبوط ليرتب عليه الابتلاء بالتكليف (١).

لا يقال ... لأنا نقول :

ومن منهج السعد أيضا أنه يكثر فى مناقشاته من نفى ما قاله غيره أو ما يمكن أن يقوله غيره ثم يحلل ذلك بطريقة : لايقال لأنا نقول ، ومن أمثلة ذلك :

يقول الزمخشرى فى تفسير " يقيمون الصلاة " : ان معنى اقامة الصلاة أداؤها ، فعبر عن الأداء بالاقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام (٢)

ويقول السعد ـ معترضا على الزمخشرى ـ : ان الجزء للصلاة هو القيام لا الاقامة ، فلا معنى لقوله " عبر عن الأداء بالاقامة لأن القيام بعض أركانها " لا يقال : الاقامة فعل القيام وهو ركن للصلاة لأنا نقول : الركن فعل القيام ، بمعنى تحصيل الهيئة التى هى القيام فى نفس الفاعل ، لا بمعنى ايجاد القيام فى شئ آخر سيما فى الصلاة ، ولا يقال : الاقامة ايجاد القيام ، ومعنى أداء الصلاة ايجاد جميع الأركان التى منها القيام ، فتكون الاقامة جزءا من أداء الصلاة بناء على أن القيام بعض أركانها فيتم التقريب لأنا نقول : فحينئذ يكون " يقيمون " بمعنى يؤدون الصلاة ، فلا يصح ذكر الصلاة وايقاعها مفعول يقيمون الا بتكلف شديد لا يذهب اليه وهم أحد ممن يقول أو يسمع اقامة الصلاة ، فالأحسن أن معناها جعل الصلاة قائمة حاصلة فى الخارج ، من قولهم : قام هذا بنفسه وذاك بغيره (٣)

---

(١) الحاشية ١٠٤ أ   (٢) الكشاف ١/ ٣١

(٣) الحاشية ١٣٨ أ ، ب

طريقة البحث :

وهى أنه يقرر بعض المسائل ويحققها مبتدئا ذلك بقوله : وههنا بحث ، أو بقى ههنا بحث ، أو يبدى اعتراضه على بعض ما يقرره الزمخشرى بقوله : وفيه بحث ، أو وذلك محل بحث .

ومن الأمثلة على ذلك قوله : ... بقى ههنا بحث وهو أن ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح وشهد به الاستعمال مثل : " ان الله هو الرزاق " أى لا رازق سواه ، فكيف يدل " انهم هم المفسدون " على أنهم مقصورون على صفة الافساد لا يتجاوزونه الى الاصلاح ؟ والجواب : أنه اذا كان فى الكلام ما يفيد القصر فضمير الفصل انما يفيد تأكيده سواء كان قصر المسند على المسند اليه أو بالعكس (١) .

ومنها : يقول الزمخشرى : والله يتعالى عن فعل القبيح لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه ، وقد نص على تنزيه ذاته بقوله " وما أنا بظلام للعبيد " ، " ان الله لا يأمر بالفحشاء " (٢)

ويقول السعد : استدل (المصنف) بالعقلى وهو ظاهر ، والسمعى وفيه بحث لأن كونه غير ظالم ، وغير آمر بالفحشاء ونحو ذلك مما نطق به التنزيل ، لا يدل على أنه لا يفعل القبيح أصلا (٣)

أسلوب الاستطراد :

وهو أمر يلحظه القارئ فى أكثر من موضع من كتاب السعد فهو فى تعليقه على بعض ما جاء فى الكشاف يورد اشكالات ، ويجيب عليها بأكثر من وجه ، ثم يورد اعتراضات على تلك الأجوبة ، ويجيب عليها أيضا وهكذا . وسوف أشير فقط الى مثال لذلك ولن أذكره كاملا خشية الاطالة .

---

(١) الحاشية ٥٧ ب (٢) الكشاف ١ / ٣٩
(٣) الحاشية ٤٨ ب

يقول الزمخشري في قوله تعالى " واذ وعدنا موسى أربعين ليلة " : وقرىء " واعدنا " لأن الله تعالى وعده الوحي ، ووعد المجيء الى الطور للميقات.(١)

ويقول السعد : قوله : " وقرىء واعدنا " لما لزم في المواعدة أن تكون من الجانبين بينها بأن الله تعالى وعده الوحي ، وموسى وعد المجيء للميقات الى الطور ، وكثيرا مايسلك المصنف هذه الطريقة أعني جعل متعلق المفاعلة بالنسبة الى كل من المتشاركين شيئا آخر ، وعلى تقدير صحته فأربعين ليلة يقع ظرفا مع أن المواعدة لم تقع فيها ، وانما الكلام في المناجاة في أنها كانت فيها كلها أوفي أولها أو في العشر الأخير منها أو بعد انقضائها على ماذكر في سورة الأعراف .

وحاصل الاشكال أن " أربعين ليلة " اما مفعول فيه أو مفعول به ، ولا سبيل الى الأول لأن المواعدة لم تقع فيها ، ولا الى الثاني ، أما بدون تقدير المضاف فلأنه لا معنى لمواعدة نفس الزمان ، وأما مع تقدير المضاف فلأنه اما أن يقدر الأمران ولم يعهد في العربية تقدير مضافين محذوفين لشيء واحد مثل : رأيت زيدا ، بمعنى ثوبه وفرسه أو يقدر واحدا منهما وليس يصح تعليق المواعدة به لأن الوحي موعود من الله تعالى لا من موسى ، والمجيء بالعكس ... ثم قال السعد : وأجيب بوجهين : أحدهما ... وثانيهما ... ثم قال : واعترض بكذا ، وبين الاعتراض ، ثم قال : وفيه نظر : أما أولا ... وأما ثانيا ... وأما ثالثا ...

وعلى هذا المنوال يمضي السعد حتى تبلغ المناقشة في هذا الموضع أربع صفحات كاملة ، ويبدو أنه هو نفسه قد شعر بالاطالة الزائدة فقال : فان قلت : قد طال الكلام فما حقيقة المقام ؟ قلت ان أربعين ليلة في موقع المفعول به باعتبار مايتعلق بها من الأحوال والأفعال الصالحة لتعلق الوعدية ، ويكون من الطرفين وعد متعلق به الا أنه من الله الوحي وتنزيل التوراة ومن موسى المجيء أو الاستماع والقبول(٢) .

ذكر المعنى بعبارتين مختلفتين :

قد يعبر السعد عن المعنى بعبارة معينة ، ثم يبدو له أنه لم يفصح تماما عما يريد أن يقوله ، فيعيد المعنى مرة ثانية بعبارة مختلفة عن الأولى قائلا : وبعبارة أخرى كذا .

---

(١) الكشاف ١ / ١٠٤ .
(٢) الحاشية من ١١٢ أ الى ١١٣ ب

ومن أمثلة ذلك قوله : وانما كانت الثلاثة (وهي الثناء على الله تعالى ، والتعبد بالأمر والنهي ، والوعد والوعيد) أصول مقاصد القرآن لأن الغرض الأصلي منه الارشاد الى المعارف الالهية وما به نظام المعاش ونجاة المعاد ، وبعبارة أخرى : الى معرفة المبدأ والمعاد ، وما بينهما من دار التكليف ، ولهذا كان علم الكلام بحثا عن أحوال الصانع والنبوة والمعاد (١) .

تلخيص الكلام وأخذ الحاصل منه :

ومن طريقة التفتازاني في هذا الكتاب انه أحيانا يذكر تلخيصا لما ذكره الزمخشري ويأخذ الحاصل منه ، ومن امثلة ذلك : يقول الزمخشري : فان قلت : فلم قيل هدى للمتقين " والمتقون مهتدون ؟ قلت : هو كقولك للعزيز المكرم : أعزك الله ، وأكرمك ، تريد طلب الزيادة الى ماهو ثابت فيه واستدامته ، كقوله " اهدنا الصراط المستقيم " ، ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قتل قتيلا فله سلبه " وعن ابن عباس " اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكتف الحاجة " فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالا ، ومنه قوله تعالى " ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " أي صائرا الى الفجور والكفر (٢) .

وقال السعد : حاصل السؤال أن في " هدى للمتقين " على ماذكر ايصال الواصل وتحصيل الحاصل ، وحاصل الجواب : صرف الهدى أو المتقين عن الظاهر ، بأن يراد بالهدى زيادة الهدي الى مطالب أخر ، والتثبيت على ماكان حاصلا ، أو بالمتقين الصائرون الى التقوى (٣) .

الاستقراء :

لقد كانت دراسة السعد للكشاف دراسة شاملة مستوعبة ، ونظرته فيه كانت نظرة فاحصة متأنية ، فألم بكل مسائله وقضاياه واستقرأ جميع مباحثه ودقائقه ، ومن ثم فاننا نراه يقول : ان المصنف كثيرا مايفعل كذا ، أو جرت عادته أن يفعل كذا ، أو ومثل هذا كثير في كلام المصنف ، أو ومثل هذا شائع في هذا الكتاب الخ ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

---

(١) الحاشية ١٣ أ
(٢) الكشاف ١ / ٢٨
(٣) الحاشية ٣٤ ب

يقول السعد : والمصنف كثيرا مايقول باشتقاق المجرد من المزيد اذا كان هو أشهر في المعنى المشترك[١] .

ويقول : كثيرا مايترك المصنف بعض المحتملات من وجوه الاعراب والبيان ويذكره في موضع آخر .[٢]

ويقول : ان اطلاق الكناية على التعبير بالملزوم عن اللازم شائع في كلام المصنف[٣]

ويقول : جرت عادته في هذا الكتاب بأنه يعتبر في أمثال قولهم " أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم " التفاوت والبعد بين المعطوف عليه وبين مادخله النفي من المعطوف[٤] . الخ .

كيفية الأخذ من المصادر :

ان منهج السعد في أخذه من المصادر يسير على النحو التالي :

أ - كان يعين بعض المصادر التي يأخذ منها ويحددها ، وينسب الآراء الى أصحابها ، وقد ذكرت أمثلة كثيرة لذلك عند الحديث عن مصادره .

ب - وكان يفيد من مصادر أخرى ويذكر آراء كثيرة ، بدون أن يحدد تلك المصادر أو يعين أصحاب الآراء ، بل يكتفي بقوله : وقيل ، أو وقد يقال ، أو ومن الناظرين في هذا الكتاب من ذهب الى كذا ، او وقد تقرر في بعض الأذهان كذا ، الخ ، وقد تمكنت من تعيين معظم أصحاب هذه الآراء ، وذكرتها في مواضعها من التحقيق ، واكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة :

يقول السعد : وقيل " ما " في قوله تعالى " مايدعون من دونه من شيء " استفهامية ، و " من " بيانية .[٥]

والذي قال ذلك هو أبو البقاء العكبري في كتابه " التبيان في اعراب القرآن "[٦]

ويقول السعد في قوله تعالى : " فان آمنوا بمثل ماآمنتم به " : وقد يقال بزيادة المثل ، أو بزيادة الباء أي ان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم على أن "ما" مصدرية .[٧]

---

(١) الحاشية ٧٦ ب .
(٢) الحاشية ١٩٣ أ .
(٣) الحاشية ٨٥ .
(٤) الحاشية ١٦٨ أ .
(٥) الحاشية ٩٣ ب .
(٦) التبيان في أعراب القرآن ٢ / ١١٢ .
(٧) الحاشية ١٤٠ ب .

ومن قال بزيادة المثل محمد بن أبي بكر الرازي[1] ، وبزيادة الباء القاضي البيضاوي[2] .

وفي آية الأهلة يقول السعد : ومنهم من قال : لما كان جواب السؤال عن الأهلة من الأسلوب الحكيم حيث سألوا عن السبب فأجيبوا بالحكمة والفائدة ، كان فيه التنبيه على تعدى موضع السؤال فهو بر ، وليس ما عم فيه من البر ، لأن السائل عن الأفعال الالهية فيما لم يتعلق بالمكلف اذا لم يكن برا في أفعاله وأقواله ، فالأولى اصلاح حاله وترك التعرض لجواب سؤاله ، فسواء قيل : دعوا السؤال وانظروا ، أو قيل : هو بر وما أنتم فيه ليس ببر لم يختلف المقصود اذ الغرض بيان الجامع بين الأمرين[3] .

وصاحب هذا الرأي هو عمر بن عبد الرحمن الفارسي في كتابه " كشف الكشاف "[4] .

ج — ويلاحظ أن التفتازاني يثني في كتابه على بعض من أخذ عنهم ورجع اليهم كقوله : ونعم ماقال المرزوقي في شرحه :

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت ساحتنا بوجه نهار[5]

وكقوله : ونعم ماقال ابن جني أن هذا من أبعد الشواذ[6] ، وكقوله ونعم ماقال بعض أهل التدقيق[7] .. يقصد العلامة عمر بن عبد الرحمن صاحب حاشية " كشف الكشاف " .

د — ويلاحظ كذلك أن السعد يتصدى لبعض السابقين الناظرين قبله في الكشاف بالنقد والتضعيف ، وتوهين آرائهم ، والتقليل من شأنهم رغم أنه اطلع على مصنفاتهم وأفاد منها الكثير ، ومن هؤلاء شرف الدين الطيبي صاحب حاشية " فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب " فاننا نرى السعد يشير الى آرائه دائما بقوله : وقد زعم بعضهم ، أو وقد توهم بعضهم ، أو مايقال ، ثم يحكم على مايذهب اليه بأنه ليس بشيء ، أو أنه تعسف وتكلف أو انه خبط كله ، وهكذا واليك بعض الأمثلة لتوضيح ذلك :

---

(١) انظر كتابه " أنموذج جليل في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل " الجزء الأول ص١٠ .
(٢) انوار التنزيل للبيضاوي ١ / ١٩٣ .
(٣) الحاشية ١٦٢ أ .
(٤) كشف الكشاف الورقة ٧١ أ .
(٥) الحاشية ٢٢٤ أ .
(٦) الحاشية ١٢٩ ب .
(٧) الحاشية ٤٧ أ .

يقول الزمخشري في شأن المنافقين : فان قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت: في أنهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة (١) وبعد أن يقرر السعد أن سؤال الزمخشري هنا عن وجه الشبه يشير الى رأى الطيبي قائلا : وبهذا يسقط ماقيل : ان أريد الاضاءة حقيقة لم يشترك فيها المنافقون ، أو مجازا لم يشترك فيها المستوقد (٢) .

وفي موضع آخر يقول السعد : ومن الناظرين في هذا الكتاب من زعم أن قول المصنف " فيم شبهت حالهم بحال المستوقد " سؤال عن المشبه دون وجه الشبه (٣) .

وفي قول الزمخشري " وكما يجب على البليغ أن يوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يشبع " (٤) يقول السعد مشيرا الى رأى الطيبي : وقيل " كما " في موضع المبتدأ و " ما " موصولة ، ولذلك دخلت الفاء في الخبر أعني " فكذلك " (٥) ، وهو خبط كله ، (٦) .

ويذهب السعد الى أن قوله تعالى " وما يستوى البحران .. " و "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء .. " الآيتين من قبيل التشبيه المطوى فيه ذكر المشبه كما يطوى في الاستعارة ، وبعد أن يوضح ذلك يقول مشيرا الى رأى الطيبي متهكما به : وقد خفي هذا البيان على بعض الأذهان فذهبوا الى أن الآيتين مثالان للاستعارة ، ولا أدرى كيف يتصدى أمثال هؤلاء لشرح مثل هذا الكتاب (٧) .

ومع هذا النقد من السعد والتحامل على الطيبي فقد أفاد منه كثيرا كما قلت ، ومن الأمثلة على ذلك : يقول السعد في قوله تعالى " الله يستهزئ بهم " أن الفعل " يستهزئ " لكونه مستعملا في مقام لا يناسبه التقيد بحال دون حال ، يفيد التجدد حالا بعد حال ، وهو معنى الاستمرار (٨) .

وهذا هو ماذهب اليه الطيبي حيث يقول : وافادة المضارع ذلك من اقتضاء المقام ، فانك اذا قلت في مقام المدح : فلان يقرى الضيف ، عنيت أنه يستمر عليه . (٩)

---

(١) الكشاف ١ / ٥٧ .
(٢) الحاشية ٦٧ ب ، وفتوح الغيب ١ / ٧٧ .
(٣) الحاشية ٦٨ أ ، " " ١ / ٧٦ .
(٤) الكشاف ١ / ٥٩ .
(٥) فتوح الغيب ١ / ٧٩
(٦) الحاشية ٧٠ أ
(٧) الحاشية ٧١ أ ، وفتوح الغيب ١ / ٨٠
(٨) الحاشية ٦١ أ .
(٩) فتوح الغيب ١ / ٦٩

ويقول السعد : ان قوله تعالى " ضربت عليهم المسكنة " على تشبيه المسكنة بالقبة استعارة بالكناية ، ثم اثبات الضرب عليهم تخييل لها ، وأما اعتبار كونه كناية كما فى :

قبة ضربت على ابن الحشرج

فوهم فاسد (١) .

وهذا هو نفس ما ذهب اليه الطيبى ، اذ يقول : أن فى الآية استعارة مكنية وليس بكناية كما ذهب اليه وهم أكثر الناس أنه من باب قوله :

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج (٢)

الاحالة الى المصادر :

كثيرا ما يتحدث السعد عن مسألة من المسائل أو مبحث من المباحث ثم يشير الى المصدر الذى استوفيت مناقشة ذلك المبحث وتمت فيه دراسته بصورة أشمل وأكمل ، ويحيل القارئ عليه ومن ذلك على سبيل المثال قوله : وفى هذا المقام زيادة تفصيل تطلب من شرح تلخيص المفتاح (٣) ، وقوله : ولهذا المقام زيادة بسط أوردناه فى شرح التنقيح (٤) ، وقوله : وتمام تحقيق مباحث الايمان يطلب من كتب الكلام ، وقد استوفيناه فى شرح المقاصد (٥) ، وغير ذلك كثير .

دقة السعد وتوثيقه للآراء :

ومن السمات الواضحة فى هذا الكتاب دقة السعد ورجوعه الى المصادر التى ذكرها الزمخشرى فى الكشاف وتوثيق ما نقله عنها ومن الأمثلة على ذلك . :

يقول الزمخشرى : الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه ، قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية : وانما يخرج التأنيث من التذكير ، ألا ترى أن الشيء يقع على ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، والشيء مذكر وهو أعم العام . كما أن الله أخص الخاص . (٦)

---

(١) الحاشية ١ ٢٣١ ب
(٢) فتوح الغيب ١ / ٣٢٣ .
(٣) الحاشية ٨٨ أ
(٤) الحاشية ٦٨ أ
(٥) الحاشية ٣٧ ب .
(٦) الكشاف ١ / ٦٦ .

ويقول السعد : قوله " وهو أعم العام " من كلام المصنف لا من كلام سيبويه [1] .
وهذا يدل على أنه رجع الى كتاب سيبويه ليوثق ما ينقله عنه الزمخشري ، وليميز كلام أحدهما عن الآخر .

ولم يمن السعد بتوثيق آراء الكشاف فحسب ، بل وثق أيضا الآراء التى اطلع عليها فى الكتب والحواشى التى ألفت حول الكشاف ومن الأمثلة على ذلك :
يقول السعد فى قوله تعالى " ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " حيث استدل الزمخشري بهذه الآية على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة [2] ،
يقول (السعد) : ذكر فى بعض الحواشى أنه أجاب القاضى بأن النصر نفع مع قوة فلا يلزم من نفى النصر نفى من ينفعهم على طريق آخر ، وفيه أن الاستدلال بقوله " لا يقبل منها شفاعة " لا بقوله " ولا هم ينصرون " .

ثم يبين السعد أنه رجع الى تفسير البيضاوى ليتأكد من صحة هذا الكلام أو عدم صحته فيقول :

ونحن لا نجد فى تفسير القاضى البيضاوى سوى أن الآية مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة لأهل الكبائر ، ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت فيهم ردا لما زعمت اليهود أن آباءهم تشفع لهم [3]
وهكذا يرجع السعد الى المصادر ، ويحقق ، ويدقق ، ليثبت الصحيح من الآراء ويرد ما جانب منها الصواب .

بين السعد والزمخشرى :

لقد كانت نظرة السعد الى الزمخشرى فى مجموعها نظرة الاجلال والاكبار ، ففى مقدمة الحاشية يثنى عليه وعلى كتابه الكشاف فيقول : ان كتاب الكشاف للشيخ العلامة ، احله الله تعالى من فضله دار المقامة ، قد طار صيت جلالة قدره كالأمطار فى الأقطار ، وسار من نباهة ذكره كالأمثال فى الأمصار ، رمقت نحوه عيون العيون من الأفاضل ، ونطقت بفضله كلمة الكملة من الأماثل [4] .. الخ .

---

(١) الحاشية ٧٦ أ ، وكتاب سيبويه ١ / ٧ .
(٢) الكشاف ١ / ١٠٢ .
(٣) الحاشية ١١٠ ب ، وأنوار التنزيل ١ / ٧٩ .
(٤) الحاشية ٦ أ .

وهو يعتبر الزمخشري أصلا في البلاغة واماما يقرر أصولها ويؤخذ عنه " بدليل أنه اعتبر وضع السكاكي اسم " التلويح " للكناية البعيدة اصطلاحا جديدا ، وقد كان الاصطلاح على أن التلويح اسم للتعريض كما ذكر ذلك الزمخشري في قوله " والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره ، وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده " (١)

وهذا بخلاف مثل الفاضل اليمني الذي اعتبر صنيع السكاكي هو الأصل ، ولذلك ذهب الى تخطئة الزمخشري وقال : ان في كلامه تسامحا ، (٢)

والسعد يعتبر الزمخشري أيضا اماما في اللغة وثقة فيها وأن استعماله بمنزلة روايته ، ففي قول الزمخشري عن القرآن " أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء ، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء " (٣) يقول السعد : قوله " وأبكم به من تحدى " أي جعله أبكم ، ولم يوجد في كلام غيره ، فكأنه قاس أو وجد ، فانه ثقة في اللغة ، فاستعماله بمنزلة روايته (٤) .

وليس معنى هذا أن سعد الدين لم يختلف مع الزمخشري أو ينقده ، بل انه كثيرا ما اختلف معه ووجه النقد اليه ، وقد اختلف هذا النقد بين الهدوء والحدة ، وتراوح بين اللين والشدة ، فاذا كانت المناقشة تدور حول مسألة من مسائل الاعتزال والتي يختلف الزمخشري فيها مع أهل السنة فاننا نرى السعد حاد النبرة شديد اللهجة في نقده للزمخشري واستنكاره لآرائه الاعتزالية ، وقد ضربت الأمثلة على ذلك عند الحديث عن أثر علم الكلام في منهج السعد .

أما في غير المسائل الاعتزالية ، وبعيدا عن المناقشات الكلامية ، فقد كان نقد السعد للزمخشري — في الغالب — يتسم بالهدوء ، ولا يتجاوز ما ينبغي أن يكون عليه الخلاف بين العلماء من الالتزام بالموضوعية والانصاف ، وكان في معظمه نقدا موجها الى عبارة الزمخشري ، محاولا توجيهها ذاكرا أن الأولى أن يقول كذا ، أو حق الكلام أن يكون كذا .. الخ .

واليك بعض الأمثلة لتوضيح ذلك :

---

(١) الحاشية ١٨٥ أ ، والكشاف ١ / ٢١٥ .
(٢) تحفة الأشراف للفاضل اليمني ١ / ١٣٨ .
(٣) مقدمة الكشاف / ى .
(٤) الحاشية ٨ ب .

يقول الزمخشري " يقال : لقيته ، ولاقيته ، اذا استقبلته قريبا منه (١) " ويقول السعد : حق الكلام : " تقول " على لفظ الخطاب ، أو " أي استقبلته " بضم التاء وأى المفسرة . (٢)

ويقول الزمخشري : وجه النهار أوله كقوله :

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار (٣)

ويقول السعد : قال المرزوقي : رأيت ابن العميد يقول : انى لأتعجب من أبي تمام مع تكلفه لم جوانب ما اختاره من أبيات كيف ترك قوله " فليأت نسوتنا " وهى لفظة شنيعة جدا ، ونعم ما قال المرزوقي في شرحه " فليأت ساحتنا " ، ثم قال السعد : وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر ؟(٤)

وقد تحتد نبرة السعد في النقد بعض الشيء اذا كان الخطأ الذى وقع فيه الزمخشري لا ينبغى لامام كبير مثله أن يقع فيه ، وذلك كما في قوله في تفسير " وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم " : أي لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم (٥) .

ومن المعروف أن " الاهتداء " لا يكون في الاطلاق الا عن جهل وضلال ولذلك قال السعد : ان في قول المصنف " لا يهتدى اليه الا الله " ركاكة وسماجة ، ولا أدرى كيف خفى ذلك عليه مع أنه يعض في معرفة الكلام بضرس قاطع (٦) .

وهذا قليل من كثير من النقد الذى وجهه السعد للزمخشري ، والذى يستطيع القارئ لكتابه أن يراه بوضوح .

شخصية السعد في كتابه :

لعله قد أصبح واضحا تماما الآن ، وبعد أن استعرضنا منهج السعد في كتابه أن شخصيته العلمية واضحة كل الوضوح ومستقلة تمام الاستقلال ، ويستطيع القارئ أن يلمس ذلك بسهولة اذا نظر في أى موضع من الكتاب .

---

(١) الكشاف ١ / ٥٠ .
(٢) الحاشية ٥٩ ب .
(٣) الكشاف ١ / ١٨٥ .
(٤) الحاشية ٢٢٤ أ
(٥) الكشاف ١ / ٢٥٩ .
(٦) الحاشية ٢٠٦ ب

فالسعد يورد قول الزمخشرى ،ثم يشرح ويوضح ،ويحقق ويدقق ،ويناقش الزمخشرى فيما ذهب اليه ،ويؤيده ، أو يعارضه مستشهدا لما يراه بآراء غيره من العلماء .

وقد رأينا كثرة هؤلاء العلماء والأئمة الذين ذكر آراءهم فى كتابه من بلاغيين ، ولغويين ، ونحاة وفلاسفة ،وأدباء ومتكلمين ،ومفسرين وغيرهم ،وهو حينما يسوق هذه الآراء لا يقبلها على علاتها وانما يناقشهم فيها ليثبت الحق منها ويرد ماهو غير ذلك ،وقد أضاف بهذه المناقشات ثراء علميا لا ينكره منصف فضلا عما أودعه فى كتابه من مادة علمية غزيرة نابعة من سعة ثقافته وكثرة اطلاعه .

ومما يدل على وضوح شخصية السعد العلمية فى هذا الكتاب،وقوة تلك الشخصية واعتزازه بها وثقته بنفسه أنه كثيرا مايذكر آراء غيره من العلماء ثم يبين رأيه قائلا : " والأظهر كذا [1] " أو يقول : " ولا يعجبنى ذلك والحق كذا " [2] ،وقد يبين رأيه ويدعمه بما يراه من الحجج والبراهين والأدلة والشواهد ،ثم يقول معتزا بذلك الرأى : ولا يخفى على من له قدم فى علم البيان أن الوجه ماذكرنا [3] الى غير ذلك .

* * *

---

(١) الحاشية ٤٣ أ .
(٢) الحاشية ٥٤ ب .
(٣) الحاشية ٤٧ أ .

:: الفصل الرابـــــع ::

(البلاغة فى حاشية العلامـــة التفتازانـى)

:: علم المعانـــي ::

أولا : نظرات في أحوال الكلمـــة

لقد كانت بلاغة السعد في هذا الكتاب في الغالب بلاغة تطبيقية ، عنى السعد فيها بتحليل التراكيب ، وابراز محاسن الصياغات في الآيات القرآنية الكريمة وفي أسلوب الزمخشري في تفسيره لها ، ولقد وقف السعد كثيرا مع الكلمة في أحوالها المختلفة من حيث مادتها ، وهيئتها ، وتعريفها ، وتنكيرها ، وتقديمها ، وتأخيرها ، وغير ذلك ، موضحا الدلالات البلاغية لهذه الأحوال ، مستشفا ماوراءها من نكت وأسرار .

* * *

مع الكلمة من حيث مادتها
....

فى قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " يذكر الزمخشرى أن السمع داخل فى حكم الختم لا التغشية لقوله تعالى " وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة " ولوقفهم على " سمعهم " دون " قلوبهم " (١)

ويرى السعد أن فى مادتى الختم والتغشية اشعار بما ذهب اليه الزمخشرى وتأييد له لأن السمع والقلب لما كان ادراكهما من جميع الجوانب جعل المانع الختم الذى يمنع من جميع الجهات ، ولما كان ادراك البصر من جهة المقابلة خص المانع عنه بما يكون كذلك لظهور أن الغشاء يكون بين المرئى والرائى (٢) .

ويقول الزمخشرى فى قوله تعالى " ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " : فيه رمز الى قبح الكذب وتخييل أن العذاب لاحق بهم من أجل كذبهم (٣) . ويقول السعد : وانما قال " تخييل " لأن السامع يعلم أن جهات لحوق العذاب كثيرة أدناها الكذب وان الغرض من ذكره الرمز الى قبحه زجرا عنه (٤) .

وقد يشير الزمخشرى اجمالا الى المبالغة فى الكلمة كقوله : ان فى " الصيب " مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير (٥) . ويفصل السعد ذلك فيذكر أن المبالغات فى تلك الكلمة من جهة المادة الأولى لأن الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة ، ومن جهة المادة الثانية لأن الصوب فرط الانسكاب والوقوع ، ومن جهة الصورة لأن فيعلا صفة مشبهة دالة على الثبوت ، ومن جهة العارض لأن التنكير للتعظيم والتهويل (٦) .

وفى قول زهير (٧) .

كأن عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا (٨)

---

(١) الكشاف ١ / ٤١ .
(٢) الحاشية ٥٠ أ ، ب
(٣) الكشاف ١ / ٤٦ .
(٤) الحاشية ٥٦ ب
(٥) الكشاف ١ / ٦٣
(٦) الحاشية ٧٣ أ .
(٧) الكشاف ١ / ٧٩
(٨) الغرب : الدلو العظيمة ، ناقة مقتلة : مذللة مرنت على العمل ، النواضح : الابل التى يستقى عليها ، السحق جمع سحوق وهو الطويل من النخل .

ينبه السعد الى مافى كلمات البيت من أسرار وايحاءات فيقول : ولا يخفى مافى ايثار الغرب وتثنيتها المنبئة عن دوام الانسكاب بتعاقبهما مجيئا وذهابا ، وذكر المذللة التى تخرج الدلو مالأى ، لا كالصعبة التى تسيل بنفرتها الماء من جواب الغرب ، وكونها من النواضح المتقررة على هذا الوصف المتمرنة عليه ، وذكر الجنة الملتفة الكثيرة الأشجار والنخل المفتقر الى الكثير من الماء سيما الطوال منها الصاعدة فى الهواء من المبالغات ، وجعل عينيه فى الغربين دون أن يجعلهما غربين كناية لطيفة كأن ماينصب من الغربين ينصب من العينين (١) .

وفى قوله تعالى : " ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا " يقول السعد : فان قلت : لم عبرعن الرياسة بلفظ الثمن ؟ قلت : للاشارة الى أنها ينبغى أن تكون وسيلة مبتذلة مصروفة فى نيل المآرب ، لا مرغوبة مطلوبة ببذل ماهو أعز الأشياء أعنى الآيات المضافة الى من هو منبع كل خير وكمال . وفيه تقريع وتجهيل قوى حيث جعلوا الأشرف الأكمل وسيلة الى الأخس الأنزل ، واغراب لطيف حيث جعل المشترى ثمنا باطلاق لفظ الثمن عليه ثم جعل الثمن مشترى بايقاعه بدلا لما جعل ثمنا بدخول الباء عليه (٢) .

وفى قوله تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة " يقول الزمخشرى : فان قلت : لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب ؟ قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة (٣) .

ويبين السعد وجه هذه الدلالة وأنها ترجع الى مادة الكلمة وهيئتها وما وراءهما من الايحاء فيقول : انه أدل على شدة القسوة لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها ، وفى ذلك من الايماء الى الاعتناء ببيان الزيادة مالا يخفى (٤) .

وفى قوله تعالى : " ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها " يتساءل الزمخشرى : كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة ؟ ويجيب بأن المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا (٥) . ولكن السعد يرى أن فى مادتى الكلمتين

---

(١) الحاشية ٨٨ ب .
(٢) الحاشية ١٠٧ أ ، ب
(٣) الكشاف ١ / ١١٥
(٤) الحاشية ١٢١ ب
(٥) الكشاف ١ / ٣١٣

مايوحي بأن كلا منهما قد وضعت في مكانها لتؤدي الغرض المقصود منها فيقـــول : لا يخفى أن المس ينبيء عن أدنى مراتب الاصابة ويدل على أن أدنى اصابة خسير تسؤهم ، وأما الشر والسيئة فانما تسرهم الاصابة منه والوصول التام بحيث يعتد به(١) .

مع الكلمة من حيث صيغتهـــا

للكلمة مع الافراد والتثنية والجمع أسرار بلاغية يشير اليها السعد ويوضحها ، ففي قوله تعالى : " ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة " يقول السعد : وصحة أمر الغائـــب بصيغة افعل للتغليب مثل : أنا وزيد فعلنا ، وايثاره على اسكنا للاشعار بالاصالـــة والتبعية (٢)

ويشير السعد الى معنى التثنية في قولهم : " أقام بين ظهراني القوم " فيقـــول ان المعنى أقام بينهم ، وزيادة الألف والنون على ظهر عند التثنية للتأكيد وكـــأن معناها أن ظهرا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنوف من جانبيه(٣) .

وجمع الكلمة قد يكون للتكرير والاستمرار كما في قوله تعالى : " أولئك عليهـــم صلوات من ربهم ورحمة " يقول السعد : جمع الصلوات للتكرير كالتثنية في لبيك وسعديك بمعنى أنه لا انقطاع لرأفته ، وذلك لأن حمل الصلوات على عدة من ذلك ثلاثـــة أو مافوقها مما ليس له كثير معنى (٤) .

وصيغة الجمع تؤدي دورها في مقام الامتنان من الله تعالى على عباده ، فقد فسر الزمخشري الطيبات في قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم " بقوله : من مستلذاته لأن كل مارزقه الله لا يكون الا حلالا (٥)

وقال السعد انه لم يفسره بالخالي عن الشبهة كما في قوله تعالى : " كلوا مما في الأرض حلالا طيبا (٦) " لأن هذا في مقام الامتنان وطلب الشكر وصيغة الجمع ، وذاك في مقام الأمر بالاحتياط والتحرز عن الشبهات(٧) .

---

(١) الحاشية ٢٣٣ أ .

ويظهر أن رأي الزمخشري أرجح لقوله تعالى " ثم يمسهم منا عذاب أليم " والعذاب الأليم ليس أدنى اصابة .

(٢) الحاشية ١٠٣ أ

(٣) الحاشية ٦٠ أ

(٤) الحاشية ١٤٦ ب

(٥) الكشاف ١ / ١٦١

(٦) الكشاف ١ / ١٥٩

(٧) الحاشية ١٥٠ ب

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات (أى المذكورة فى قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا الآية) قيل له عند كل كلمة : قد فعلت [١] ، يقول السعد : والنكتة فى صيغة الجمع أن للاجتماعات تأثيرات وبركات ، ولارادة العبد خيرا لأخيه أثرا فى استنزال الخيرات [٢] .

وقد يوضع جمع القلة مكان جمع الكثرة لنكتة يقتضيها المقام كما فى قوله تعالى " يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " يقول السعد : ان النكتة فى ذكر الأنفس وهى جمع قلة مع أنها نفوس كثيرة الايماء الى أن التطليق ينبغى أن يكون قليل الوقوع من الرجال . [٣]

ويشير السعد الى أن الزمخشرى يلاحظ فى تفسيره ماتوحى به صيغة الكلمة من دلالات ، فقد فسر الزمخشرى قوله تعالى " وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار " بقوله : يتدفق منها الماء الكثير الغزير [٤] . وقال السعد : ان الكثرة مستفادة من صيغة الجمع ولفظ النهر وهو المجرى الواسع [٥] .

وفسر الزمخشرى قوله تعالى " فله عذاب أليم " بقوله : نوع من العذاب شديد الألم [٦] ، وذكر السعد أن الشدة مستفادة من بناء فعيل وهو صفة مشبهة [٧] .

وصيغة التفاعل قد تفيد الكثرة فى الفاعل ففى تفسير قوله تعالى : " انما حرم عليكم الميتة والدم " قال الزمخشرى : فان قلت فى الميتات مايحل وهو السمك والجراد ، قلت : قصد مايتفاهمه الناس ويتعارفونه فى العادة [٨] وقال السعد : معنى يتفاهمونه ويتعارفونه يفهمونه ويعرفونه ، عدل الى تفاعل للكثرة فى الفاعل ، والافليس فى اللغة الا تعارفوا بمعنى عرف بعضهم بعضا . [٩]

وفى قوله تعالى : " وعلى أبصارهم غشاوة " يذكر الزمخشرى أن معنى التنكير فى " غشاوة " أن على أبصارهم نوعا من الأغطية هو غطاء التعامى عن آيات الله [١٠] ، ويلمح

---

(١) الكشاف ١ / ٢٥٥ .
(٢) الحاشية ٢٠٤ أ .
(٣) الحاشية ١٨٠ أ
(٤) الكشاف ١ / ١١٦
(٥) الحاشية ١٢٢ أ
(٦) الكشاف ١ / ١٦٧ .
(٧) الحاشية ١٥٤ أ .
(٨) الكشاف ١ / ١٦١
(٩) الحاشية ١٥١ أ .
(١٠) الكشاف ١ / ٤١ .

السعد ماتوحى به كلمة " التعامى " فى قول الزمخشرى ، وأنه ذكرها دون " العمى " مع أنهم من أهل الطبع اشارة الى أن ذلك من سوء اختيارهم وشؤم اصرارهم (١) .

وصيغة أسم الفاعل فى قوله تعالى : " مالك يوم الدين " يذكر الزمخشرى أن اضافته ههنا حقيقة اما على قصد معنى الماضى كقولك : هو مالك عبده أمس : أو زمان مستمر كقولك : زيد مالك العبيد (٢) .

ويبين السعد السر البلاغى فى هذا المقام على كلا الوجهين فيقول : فان قيل : التقييد بيوم الدين ينافى الاستمرار لكونه صريحا فى الاستقبال ، قلنا : معناه الثبات والاستمرار من غير اعتبار حدوث فى أحد الأزمنة ، ومثل هذا المعنى لا يمتنع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين ، كأنه قيل : هو ثابت المالكية فى يوم الدين ، ومثله لا يجعل عاملا ، أو المراد أنه يجعل يوم الدين لتحقق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر مالكيته فى جميع الأزمنة ، وأما فى الوجه الثانى وهو أن يكون بمعنى الماضى أى ملك الأمور فى يوم الدين فيختص بالماضى ثم يستعمل فى المستقبل المشبه به فى تحقق الوقوع ، فلا يكون اسم فاعل بمعنى المستقبل ليكون عاملا بل بمعنى الماضى لكن مستعملا فى معنى مجازى هو المستقبل المشبه بالماضى (٣) .

ويلاحظ السعد ماتفيده صيغ الأفعال الماضية من المعانى البلاغية فى مقاماتها المختلفة وذلك كصيغتى أنزل ، ونزل فى قول الزمخشرى فى مقدمة الكشاف : الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ، ونزله بحسب المصالح منجما . (٤)

يقول السعد : المروى أن الله تعالى أنزل القرآن دفعة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزله منها الى النبى صلى الله عليه وسلم منجما موزعا على حسب المصالح وفقا الحوادث ، وعبر عن ذلك بالتنزيل لما فيه من الدلالة على التدريج والتكثير . (٥)

وهناك فرق بين صيغة فعل وافتعل أشار اليه الزمخشرى فى قوله تعالى : " لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت " وقال ان الشر لما كان مما تشتهيه النفس كانت فى تحصيله أجد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير (٦)

---

(١) الحاشية ٥ ب
(٢) الكشاف ١ / ١٠
(٣) الحاشية ٢٢ ب
(٤) مقدمة الكشاف / ى
(٥) الحاشية ٧ ب
(٦) الكشاف ١ / ٢٥٤

ويستشف السعد نكتة أخرى من استعمال الكسب في جانب الخير والاكتساب في جانب الشر وهي التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير كيف ما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وشدة التصرف (١)

وبناء الفعل للمجهول له أسراره البلاغية التي يشير اليها السعد ويوضحها ففي قول الزمخشري في المقدمة عن الكشاف وتأليفه : فقرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) . يقول السعد : ولم يقل " فرغت " اشارة الى أن الفراغ في تلك المدة القليلة لم يكن الا بمحض توفيق الله تعالى ، حتى كأنه لا مساغ لاسناده الى نفسه (٣) .

وفي قوله تعالى : " أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل " يذكر السعد أن الآية صدرت بلفظ " أم " المنقطعة بمعنى بل والهمزة الانكارية مبالغة في النهي ، حتى كأنهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال ، أي أن من شأن العاقل ان لا يتصدى لارادة ذلك ، وقوله تعالى " كما سئل " بلفظ المبني للمجهول ترشيح لهذا المعنى بمعنى أن من يسأل مثل هذا السؤال حقيق بأن يصان عن ذكره المقال (٤) .

وفي قوله تعالى : " ومايفعلوا من خير فلن يكفروه " ذكر السعد أنه جيء بيكفروه على لفظ المبني للمفعول لأمرين : لتنزيهه عن اسناد الكفران اليه كقوله تعالى " وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا " ، وليأتي به على لفظ الكبرياء والعظمة (٥) .

من أغراض التعريف

التعريف باللام

والتعريف باللام قد يكون للعهد كما في قوله تعالى " واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان " ، وقوله تعالى " ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا " يقول السعد : ان سر التعريف باللام للكتاب والفرقان في الآية الأولى وللفرقان خاصة —

---

(١) الحاشية ٢٠٣ ب .
(٢) مقدمة الكشاف/ل .
(٣) الحاشية ٢ اب .
(٤) الحاشية ١٢ ب
(٥) الحاشية ٢٢١ ب

دون الضياء والذكر — في الآية الثانية أن اسم الكتاب والفرقان قد صار معهودا حتى كاد يلحق بالأعلام في حق كل نبي بخلاف اسم الضياء والذكر (١) .

وقد يكون للجنس كتعريف الحمد في قوله " الحمد لله " ومعناه — كما يقول الزمخشري — الاشارة الى مايعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو ، وينفي الزمخشري أن يكون التعريف هنا للاستغراق ويقول : والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم (٢) ويعلل السعد ذلك بأن اللام للتعريف اجماعا ومعناه التعيين والاشارة وهذا ليس في شيء من الاحاطة والشمول الذي هو معنى الاستغراق ويقول : وهذا هو رأى بعض النحاة ، ولقد حصر المصنف في المفصل فائدة اللام في التعريف ، والتعريف في العهد والجنس (٣) ، ونقل عنه أيضا ان اللام لا تفيد سوى التعريف والاشارة والاسم لا يدل الا على مسماه فاذن لا يكون ثمة استغراق .

فان قيل : قد يقع في مواضع من كلامه جعل المعرف باللام للشمول والاحاطة وهو معنى الاستغراق ، قلنا : التحقيق في هذا المقام أنه للتعريف والتعيين والاشارة الى نفس المسمى وهو لام الجنس ، أو الى حصة منه وهو لام العهد ومثله علم الشخص ، والأول اما أن يقصد به الماهية من حيث هي هي كقولنا : الانسان حيوان ناطق والرجل خير من المرأة ، وتسمى لام الحقيقة والطبيعة ومثله علم الجنس كأسامة . واما أن يقصد به الماهية من حيث الوجود في ضمن الأفراد ، وحينئذ اما أن توجد قرينة البعضية كما في قولنا : ادخل السوق ، واشتر اللحم ، وفي التنزيل " وأخاف أن يأكله الذئب " وتسمى لام العهد الذهني ومثله النكرة في الاثبات . أو لا توجد قرينة البعضية ففي المقام الخطابي تحمل على العموم والاستغراق احترازا عن ترجيح أحد المتساويين ، ومثله لفظ كل مضافا الى النكرة ، وفي المقام الاستدلالي على الأقل لأنه المتيقن (٤) .

وفي المعهود الذهني يجوز أن يعتبر فيه جانب اللفظ فيوصف بالمعرفة ، ويجوز أن يعتبر جانب المعنى فيوصف بالنكرة كما في قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبني ＊ فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

أي على لئيم يسبني اذ لا مرور على الكل ولا دلالة على التعيين ليكون للاستغراق أو

---

(١) الحاشية ١١٣ ب .
(٢) الكشاف ١/٨ .
(٣) المفصل ٢ — ٨ .
(٤) الحاشية ١٢٠ب — ١٢١أ

التعهد ، فيسمى صفة لا حال ، اذ ليس المعنى على أنه يختص عثمن يشبه حال المرور ، بل عمن ذلك دأبه وهجيراه ، فالمناسب أن يجعل مما يدل على أحوال الذات دون هيات الفعل وبه كمال الحكم والاغضاء [١] .

ولام الجنس قد تفيد معنى الكمال في الصفة وقصرها على الموصوف ، يقول الزمخشري في قوله تعالى " ذلك الكتاب " : معناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا كما قال :

هم القوم كل القوم يا أم خالـد [٢]

وقال السعد : ان هذه اللام هي لام الجنس لعدم العهد ، ومثله يفيد الحصر فحمله المصنف على الكمال ليصح الحصر ، ثم بين وجه التعبير عن حصر الكامل عليه بحصر الجنس بأن الناقص كأنه خارج عن الجنس بقوله " وانه الذى يستأهل أن يسمى كتابا " ، ثم أوضح ذلك زيادة ايضاح حيث وقع التصريح بكلية الجنس للكامل في قوله : هم القوم كل القوم ، فانه صريح في أنهم تمام جنس القوم بحيث لا يشذ منه فرد مما يطلق عليه القوم [٣] .

وفي قوله تعالى " واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم " يذكر السعد أن تعريف الحق ههنا لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى أنه خاصة هو الحق الذى يقارن تصديق كتابهم ، ولولا الحال اى " مصدقا " لم يستقم الحصر لأنه في مقابلة كتابهم وهو أيضا حق [٤] .

وفي قوله تعالى " وأولئك هم المفلحون " ذكر الزمخشري في تعريف " المفلحون " معنيين : الأول الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة . والثاني هو الدلالة على أنهم الذين ان حصلت صفة المتقين وتحققوا ماهم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة ، كما تقول لصاحبك : هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ؟ ان زيدا هو هو [٥] .

وبين السعد أن اللام على المعنى الأول للعهد . أما المعنى الثاني فقد

---

(١) الحاشية ٢٥ ب
(٢) الكشاف ١ / ٢٦ .
(٣) الحاشية ٢٦ ب .
(٤) الحاشية ٢٦ أ
(٥) الكشاف ١ / ٣٦ .

أطبق الناظرون فى الكشاف على أنه يريد به تعريف الجنس وتعيين الحقيقة المسمى بالعهد الذهنى ، ثم منهم من زعم أنه لقصر المبتدأ على الخبر نظرا الى قوله "لا يعدون تلك الحقيقة"(١) " على عكس ما تحقق وتقرر فى مثل : زيد الأمير وعمرو الشجاع ، ومنهم من ذهب الى أن قوله " لا يعدون تلك الحقيقة " ليس بمستقيم اذ ليس المتقون نفس حقيقة المفلحين ، ومنهم من ذهب الى أنه لقصر المسند على المسند اليه قصر قلب(٢) .

ولكن السعد يخالفهم جميعا ويرى أن هذا المعنى الثانى اشارة الى ماذكره الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز فى معانى تعريف الخبر حيث قال بعد ماذكر العهد والجنس : اعلم ان للخبر المعرف باللام معنى آخر دقيقا يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر ، وذلك أن قولك " هو البطل المحامى " لا تشير الى معنى علم أنه كان ولم يعلم ممن كان كما فى زيد المنطلق ولا تريد أن تقصر معنى عليه على أنه لم يحصل لغيره على الكمال كما فى زيد هو الشجاع ، ولا أن تقول انه ظاهر أنه بهذه الصفة كما فى قولك : ووالدك العبد ، ولكنك تريد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فان كنت قبلته عاما وتصورته حق تصوره فعليك بصاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ، وطريقته طريقة قولك : هل سمعت بالأسد ؟ هل تعرف ما هو ؟ فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه(٣) .

ويعرف الجمع باللام للدلالة على تعلق الحكم بكل فرد من أفراده ففى قوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " يتساءل الزمخشرى عن سر جمع العالمين ويجيب بقوله : ليشمل كل جنس مما سمى به(٤) . ويوضح السعد ذلك فيقول : انه لو أفرد لربما يتبادر الى الفهم أنه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف ، أو الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس سمى بالعالم لأنه لا عهد . وفى الجمع دلالة على أن القصد الى الأفراد دون نفس الحقيقة .

---

(١) وهو ماذهب اليه الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٥١ .
(٢) الحاشية ٤٣ ب
(٣) الحاشية ٤٣ ب ــ ٤٤ أ ، ودلائل الاعجاز ١٢٩ .
(٤) الكشاف ١ / ٩

فان قيل : قد ذكروا أن استغراق المفرد أشمل بناء على أن معنى استغراق الجمع شموله الجموع وهو لا ينافي خروج فرد أو فردين ،قلنا : ذاك انما يصح في مثل لا رجل ولا رجال ،وأما شمول الجمع المعرف باللام لكل فرد مما اتفق عليه أئمة التفسير والأصول والنحو والكشاف مشحون بذلك [1] .

وفي موضع آخر فرق الزمخشري بين اللام داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع فقال :اذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس الى أن يحاط به ،وأن يراد به بعضه الى الواحد منه . واذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس ،وأن يراد به بعضه لا الى الواحد منه ،لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية ،والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه [2] .

ويوضح السعد ذلك بأنه في المفرد يجوز أن يراد في جانب القلة البعض الى الواحد ،وفي الجمع الى الثلاثة ،لأن المراد به الجنس بصفة الجمعية ولا جمعية في أقل من الثلاثة ،وهذا معنى قوله " والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه " وأما في جانب الكثرة فيراد بكل منهما الجنس الى أن يحاط به ،أي بحيث لا يبقى فرد ما من أفراد الجنس خارجا . وهذا صريح في أن الجمع المعرف اذا قصد به الاستغراق كان متناولا لكل فرد من غير فرق في الحاصل . غايته أن تناول الكل في المفرد يكون باعتبار أن معناه كل فرد ،وفي الجمع باعتبار أن معناه كل جمع وهو يستلزم الحكم على كل فرد ،اذ كل واحد أو اثنين فرد فهو مع اثنين أو واحد آخر جمع من الجموع ، اذ لا تعين للأفراد ،على أن كون معنى الجمع هذا مما ينازع فيه بل معناه أيضا كل فرد [3] .

وقد يكون التعريف باللام قائما مقام التعريف الاضافي كتعريف الأنهار في قوله تعالى " لهم جنات تجري من تحتها الأنهار " فقد ذكر الزمخشري أن المراد : " أنهارها " فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة [4] .

ويبين السعد أنه ليس معنى هذا أن اللام عوض عن المضاف اليه وانما معناها الدلالة على التعيين والاشارة لأن الزمخشري قد ذكر في قوله تعالى : " فان الجحيم

---

(١) الكشاف ١ / ٩ ، ٣٠٧ ، ٤٣٦ ، ٤٦ / ٤٨٠ .
(٢) الكشاف ١ / ٧٩ .
(٣) الحاشية ٨٨أ
(٤) الكشاف ١ / ٨٠

عى المأوى " أن المعنى: عى مأواه وتركت الاضافة للعلم بها ،وليست اللام بدلا من الاضافة ،وانما معناها الدلالة على أنه أريد مأوى معين (١) ،وكذا فى " واشتعل الرأس شيبا " انه لم يضف الرأس لاكتفاء بعلم المخاطب (٢) . يعنى من جهة جعله خبرا عن " انى " وعطفه على " وهن العظم منى " فظهر أن المعنى على الاضافة ،وصح أن التعريف باللام بدل من تعريف الاضافة من غير أن تكون اللام بدلا من المضاف اليه (٣) .

التعريف بالموصول

يرى الزمخشرى أن التعريف بالموصول قد يكون كالتعريف باللام ففى قوله تعالى : " ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " يقول : والتعريف فى الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم . وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده . (٤)

ويقول السعد : يريد أن تعريف الذى كتعريف ذى اللام قد يكون للعهد ،وقد يكون للجنس ،وكما أن الجمع المعرف بلام الجنس قد يقصد به جنس المجموع الى أن يحاط به فيستغرق ،وقد يقصد به الجنس الى الثلاثة فكذلك الذين ،وكما أن الأصل فى المعرف بلام الجنس الاستغراق مالم تقم قرينة البعضية فكذلك فى الذين ،وههنا الاخبار عنهم باستواء الانذار وتركه قرينة دالة على أن المراد بالذين كفروا المصرون منهم دون الذى تجدى عليهم الألطاف ويؤثر فيهم الانذار وهم الذين آمنوا من الكفار . (٥)

ومن أغراض التعريف بالموصول تحقيق الخبر كما ذكره السعد فى قوله تعالى : " ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم " (٦) .

وقد توضع " ما " موضع " من " فى الحديث عن أولى العلم ويكون القصد بذلك الابهام والتحقير أو الابهام والتعظيم حسبما يقتضى المقام ففى قوله تعالى : "وقالوا

---

(١) الكشاف ٤/٥٥٨ .
(٢) " ٣/٣ .
(٣) الحاشية ٨٩ ب
(٤) الكشاف ١/٣٦ .
(٥) الحاشية ٤٤ ب
(٦) الحاشية ٢٢٧ ب ،والكشاف ١/٢٩٣

اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون " يقول الزمخشري : والتنوين في "كل" عوض من المضاف اليه أي كل مافي السموات والأرض فان قلت: كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله " قانتون "؟ قلت: هو كقوله : سبحان ما سخركن لنا ، وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله " وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا "(١) .

ويوضح السعد معنى السؤال والجواب في عبارة الزمخشري فيقول : معنى السؤال : كيف غلب غير العقلاء وأتى بلفظ " ما " مع تغليب العقلاء في نفس هذا الكلام حيث جمع الخبر وهو قوله " قانتون " بالواو والنون فوقع في الخبر تغليب العقلاء وفي المبتدأ عكسه ؟ فأجاب بأن تغليب العقلاء على الأصل ، وعكسه لنكتة التحقير . وهذا ما يقال أن " له مافي السموات والأرض " اشارة الى مقام الألوهية والعقلاء فيه بمنزلة الجمادات ، و " كل له قانتون " الى مقام العبودية والجمادات فيه بمنزلة العقلاء .

ويقرر السعد الجواب بعبارة أخرى فيقول : انه عبر عن العقلاء وغيرهم بلفظ "ما" تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوهم ولدا لله تعالى كما عبر عن الملائكة في مثل هذا المقام بلفظ الجنة المنبئ عن التستر والخفاء ، فكان هذا من قبيل : ما سخركن لنا ، حيث عبر عن ذوي العلم خاصة بلفظ " ما " الدال على ابهام الوصف تعظيما لشأنه ، فصار الحاصل أن اطلاق " ما " على أولي العلم في ضمن الموجودات لقصد الابهام والتحقير كاطلاقه على ذي العلم خاصة في ذلك القول لقصد الابهام والتعظيم (٢) .

التعريف بالاشارة

ومن أغراضه تصوير المعاني والمعقولات وجعلها بمنزلة الأمور المحسوسة المشاهدة لنكتة يقتضيها المقام ، كما في قوله تعالى " ذلك الكتاب لاريب فيه " فقد ذكر الزمخشري أنه قيل : ذلك الكتاب الذي وعدوا به (٣) .

وقال السعد : ظاهر قوله " وعدوا " يشعر بأنه الموعود على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ، وقيل : بقوله تعالى " سنلقي عليك قولا ثقيلا " ، وانما جاز

---

(١) الكشاف ١ / ١٣٤ — ١٣٥ .
(٢) الحاشية ٢ ١٣ ب .
(٣) الكشاف ١ / ٢٥ .

الاشارة بذلك مع أنه ليس بموجود فضلا عن المحسوس لأنه جعل بمنزلة المحسوس اشارة الى صدق الوعد (١) .

وقد يكون اسم الاشارة للايذان بأن مايرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم ، كما ذكر الزمخشري في قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٢) " .

ووجه السعد هذا الايذان بأن اسم الاشارة اشارة الى الذات بملاحظة تلك الصفات ، كأنه قيل : ذلك المشار اليه المتميز بتلك الصفات . (٣)

وقد تكون الاشارة للدلالة على شيوع المشار اليه وظهوره وعلى غباوة منكريه ، ففي تفسير قوله تعالى " ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها " يقول الزمخشري — ناعيا على الكفار مااستنكروه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل —: وهذه أمثال العربيين أيديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء (٤) .

ويدرك السعد سر التعبير باسم الاشارة في قول الزمخشري فيقول : ولا يخفى لطف الاشارة بهذه والدلالة على غاية شيوعها وظهورها وعلى غباوة الكفرة المنكرين (٥) .

وقد تكون الاشارة للتحقير ، يقول الزمخشري في قوله تعالى " ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم " : يعني أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقى (٦) . وعقب السعد بقوله : يعني أن اسم الاشارة للتحقير والاسترذال (٧) .

وقد تكون لكمال العناية بتمييز المشار اليه لما له من الأوصاف العجيبة كما في قوله تعالى " أنى لك هذا " قال الزمخشري في معناه : من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا ، وهو آت في غير حينه ، والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (٨) . وقال السعد : استفيدت الأوصاف من اسم الاشارة المستعمل لكمال العناية بالتمييز لما له من الأوصاف العجيبة الشأن (٩) .

---

(١) الحاشية ٣٣ ب
(٢) الكشاف ١ / ٣٤ .
(٣) الحاشية ٤٤ أ
(٤) الكشاف ١ / ٨٤
(٥) الحاشية ٩٢ أ
(٦) الكشاف ١ / ٢٨٤
(٧) الحاشية ٢٢٣ ب
(٨) الكشاف ١ / ٢٧٥
(٩) الحاشية ٢١٨ ب

وفي قوله تعالى : " ربنا ماخلقت هذا باطلا " قال الزمخشري : ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا ، وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله : " ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (١) .

وبين السعد أن التعجيب والتعظيم هنا مستفاد من العدول عن الضمير الى اسم الاشارة الدال على أن المذكور يجب أن يعتنى بكمال تمييزه تعجبا منه واستعظاما له . (٢)

والاشارة للبعيد قد تستعمل للقريب لغرض يقتضيه المقام كما في قوله تعالى : " واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك " قال الزمخشري : من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل (٣) ،

وبين السعد وجه عظم الأمر في هذا المقام بقوله : استفيد عظمه من الاشارة بلفظ " ذلك " مع قرب المشار اليه (٤) .

التعريف بالاضافة

ومن أغراضه التأدب مع المضاف اليه كما في قول الزمخشري في " ختم الله على قلوبهم " : ويجوز أن يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله ، فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز ، وهو لغيره حقيقة (٥) ويقول السعد : ان أريد لغير الله فلفظ اسم في قوله " الى اسم الله " مقحم للتأدب (٦) .

وقد تفيد الاضافة الغاية في الأمر والنهاية فيه كما في قوله تعالى : " ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب " فقد ذكر السعد أنه ليس المراد بأشد العذاب أشد من عذاب الدنيا ، بل أشد أنواع العذاب لأنه المفهوم من الاضافة . (٧)

وقد تفيد الاضافة التهكم والتحقير فقد ذكر الزمخشري ان اضافة الايمان الى الكفار في قوله تعالى " بئسما يأمركم به ايمانكم " للتهكم (٨) .

---

(١) الكشاف ١ / ٣٥٠
(٢) الحاشية ٢٤٨ ب
(٣) الكشاف ١ / ١٠٤
(٤) الحاشية ١١٣ ب
(٥) الكشاف ١ / ٤٠
(٦) الحاشية ٤٩ أ
(٧) الحاشية ١٢٤ ب
(٨) الكشاف ١ / ١٢٤

وأضاف السعد شاهدا آخر مؤكدا أن هذه النكتة مستفادة من الاضافة وليست على أنها استعارة تهكمية فقال: وهذا ظاهر كما في قوله تعالى: " ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون " تحقيرا واسترذالا ودلالة على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى ايمانا الا باضافته اليكم ، وليس المراد أنه استعارة تهكمية فليتأمل (١) .

وقد تكون الاضافة للايضاح والبيان كما فى قول الشاعر :

لنعم البيت بيت أبى دثار

يقول السعد : ابو دثار هو الكلة التى تضرب دفعا لأذى البعوض ، فاضافة بيت اليه للبيان . (٢)

وقد تكون للاختصاص كما فى اضافة الطغيان الى المنافقين فى قوله تعالى : " الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون " فقد ذكر الزمخشرى أن النكتة فى هذه الاضافة أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أيديهم ، وأن الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين " لو شاء الله ما أشركنا " (٣)

ويؤكد السعد الاختصاص فى هذه الاضافة وان كان تفسيره يختلف بين أهل السنة والمعتزلة ، فالطغيان على رأى أهل السنة فعل الكفرة بطريق المحلية والاتصاف وعلى رأى المعتزلة فعل الكفرة الذى يحق أن يضاف اليهم ويختص بهم من غير أن يضاف الى الله تعالى خلقا ولا مشيئة ، ويقول السعد : فلولا هذا الاختصاص لكان التصريح بالاضافة لغوا على ما هو شأن الدلالات البيانية والاشارات الخطابية (٤)

ومن الاضافة للاختصاص كذلك :

قول النبى صلى الله عليه وسلم : " المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور " يقول السعد : واضافة الثوبين الى الزور على معنى اختصاصهما به من جهة كونهما ملبوسين لأجله (٥) .

وقد يكون التعريف بالاضافة كالتعريف باللام فى أنه قد يكون للعهد وقد يكون

---

(١) الحاشية ١٢٦ ب
(٢) الحاشية ٩٣ ب
(٣) الكشاف ١ / ٥٢
(٤) الحاشية ٦٢ أ
(٥) الحاشية ٢٢٤ أ

للجنس ،ففى قوله تعالى : "كل آمن بالله وملائكته وكتبه" قرأ ابن عباس: "وكتابه" وقال الزمخشرى: يريد القرآن أو الجنس .(١) وأوضح السعد أن الزمخشرى يريد أن الاضافة كاللام للتعيين والاشارة الى حصة من الجنس أو الى الجنس نفسه . وحينئذ قد تدل القرينة على البعضية فيصرف الى البعض ،وقد لا فينصرف الى الكل ،وهو معنى الاستغراق (٢) .

التنكير

ومن أغراضه التعظيم كما فى قول الشاعر :

فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

يقول السعد : وتنكير "لحم" للتعظيم ،ولذلك استعظم الطير الواقعة عليه حيث أقسم بها بل بأبيها قصدا الى زيادة التعظيم (٣) .

وفى قول عدى بن حاتم للنبى صلى الله عليه وسلم "انى من دين" يبين السعد سر التنكير فى "دين" فيقول : كأنه منَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يترك دينا عظيما ،يعنى النصرانية ،لأنه جاء وفى عنقه صليب من ذهب . (٤)

وفى قوله تعالى "أو كصيب من السماء" أوضح السعد أن التنكير فى صيب للتعظيم والتهويل (٥) .

وقد يكون التنكير للدلالة على التناهى والكمال كما فى قول الزمخشرى "وعدا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل (٦)" . يقول السعد : والتنكير فى قوله : "بمنزل" للتناهى والكمال (٧)

وقد يكون التنكير للتحقير كما فى قول الزمخشرى فى مقدمة الكشاف: على أن السيف القاضب مخراق لاعب(٨) . يقول السعد : وتنكير "لاعب" للتحقير (٩) .

وقد يكون للنوعية كما فى قوله تعالى "وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"

---

(١) الكشاف ١ / ٢٥٣ .
(٢) الحاشية ٢٠٣ أ
(٣) الحاشية ٤٢ أ ،والكشاف ١ / ٣٥ .
(٤) الحاشية ١٣٩ ب والكشاف ١ / ١٤٥
(٥) الحاشية ٧٣ أ ،والكشاف ١ / ٦٣ .
(٦) الكشاف ١ / ٢٢ .
(٧) الحاشية ٣١ أ
(٨) مقدمة الكشاف / ى
(٩) الحاشية ٩ ب

يقول الزمخشري : ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية هو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله (١) ويقول السعد : يريد أن التنكير للنوعية ، والعذاب لما وصف بالعظيم كان المعنى نوع عظيم منه ، فليس القصد الى أن تنكيره للتعظيم (٢) .

وقد يكون للمغايرة والتنوع فقد ذكر الزمخشري أن تنكير النار في قوله تعالى " قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة " وقوله تعالى " فأنذرتكم نارا تلظى " يدل على تنوع نيران الجحيم (٣) .

ويرى السعد أن الدلالة على التنوع هنا ليست قطعية لأنه معلوم أن المتوعد بها نار الجحيم وقد نكرت ووصفت بصفتين مختلفتين ، ومثل هذا يشعر بالامتياز وان لم يكن قطعيا بناء على احتمال أن يكون للامتياز عن نيران الدنيا ، أو للتهويل (٤) .

وقد يفيد التنكير البعضية كما في قول الشاعر :

فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء

يقول السعد : نكر أرضا وسماء للبعضية ، اذ ليس بينهما بعد جميع الأرض وجميع السماء ، يعني أتوجع من ذكراها ومن حيلولة قطعة من الأرض وناحية من السماء بيننا (٥) .

وقد يفيد التكثير كما في قوله تعالى " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب " قال الزمخشري : أى حصلوا نصيبا وافرا من التوراة (٦) ، وعقب السعد بقوله : لافادة التنكير التكثير (٧) .

وقد يفيد التقليل كما في قوله تعالى " وما الله يريد ظلما للعالمين " قال الزمخشري : ونكر " ظلما " على معنى ما يريد شيئا من الظلم (٨) . وبين السعد دلالة التنكير على ذلك بأنه للتقليل بقرينة المقام فيدل في سياق النفي على أنه لا يريد شيئا من الظلم (٩) .

---

(١) الكشاف ١ / ٤١
(٢) الحاشية ٥٥ ب
(٣) الكشاف ١ / ٧٧
(٤) الحاشية ٨٦ ب
(٥) الحاشية ٧٣ أ ، والكشاف ١ / ٦٢
(٦) الكشاف ١ / ٢٦٧
(٧) الحاشية ٢١٤ أ
(٨) الكشاف ١ / ٣٠٧
(٩) الحاشية ، ٢٣ ب

الوصـــــف

ومن أغراضه الدلالة على أن الموصوف جدير بما نسب اليه أو اختص به ، وذلك مثل قول الزمخشري : الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ، ونزله بحسب المصالح منجما الخ . (١)

فقد تساءل السعد : أى دخل للأوصاف المذكورة فى اقتضاء الحمد ؟ وأجاب بأن القرآن مفتاح للمنافع الدينية والدنياوية ، لارشاده الى نظام المعاش ونجاة المعاد ، فايصاله الى العباد بالانزال ثم التنزيل من أصول النعم وجلائلها (٢) .

وهذا الغرض من الوصف صرح به الزمخشري وأكده السعد فى قوله تعالى "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين" فقد ذكرا أن هذه الأوصاف التى وصف بها " الله " دليل على اختصاص الحمد به ، وكونه الحقيق بالحمد دون ما سواه ، بمعنى أن منه المبدأ ، واليه المعاد ، وبه البقاء ، فلا أحق بالحمد منه (٣) .

ومن أغراض الوصف تفخيم شأن الموصوف كما فى وصف الكتاب بأنه بالغ فى الهداية حد الكمال فى قوله تعالى " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٤)".

ومنها التحقير والتضعيف كما فى قول الزمخشري : وأما ماحكاه الخليل عن بعض العرب" اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب" فشىء شاذ (٥) . يقول السعد : قوله " فشىء شاذ " زيادة تحقير له وتضعيف . (٦)

أى أن وصف كلمة " شىء " بالشذوذ فضلا عما توحى به مادتها وتنكيرها ، كل ذلك أفاد زيادة التحقير والتضعيف .

وقد يكون الوصف كشفا وتوضيحا للموصوف أو مدحا له أو تخصيصا ، يقول السعد مقررا ماذكره الزمخشري فى قوله تعالى " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية " : اعلم أن المتقى من تقى نفسه تعاطى مايستحق به العقوبة من فعل معصية أو ترك طاعة ، وحاصله أنه الذى يفعل الحسنات ويترك السيآت ، وحينئذ ان جعل الايمان

---

(١) مقدمة الكشاف/ ى
(٢) الحاشية ٨ أ
(٣) الكشاف ١ / ١٠ ، والحاشية ٥٦ .
(٤) الحاشية ٤٤ أ
(٥) الكشاف ١ / ١٠ ـ ١١
(٦) الحاشية ٢٣ أ

بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة كناية عن فعل جميع الحسنات وترك جميع السيآت فالصفة كاشفة لكون مفهومها مفهوم الموصوف مع زيادة تفصيل وبيان ، والا فالصفة مادحة لدلالتها على أشرف المعاني الفاضلة الداخلة في مفهوم الموصوف . وقد يراد بالمتقي من يجتنب المعاصي أي فعل القبائح والمنهيات سواء كان يمتثل الأوامر ويأتي بالحسنات أم لا ، وحينئذ فالصفة مخصصة كزيد التاجر لدلالتها على بعض الأحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف(١) .

ومن أغراض الوصف مالاحظه السعد في قول الزمخشري " فلنولينك قبلة ترضاها " أي تحبها وتميل اليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته(٢) .

فقد لاحظ السعد أن وصف الأغراض بالصحة والموافقة لمشيئة الله اشارة الى أن ميل النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة لم يكن من جهة هوى النفس ، واجابة الله تعالى اياه لم تكن لمجرد ميله ومحبته بل لموافقته ارادته وحكمته(٣) .

ومنها مالاحظه السعد في قول الشاعر :

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فقد أشار السعد الى سر وصف الحطب بالجزل وهو أنه اشارة الى قوة النار وكثرة الضيفان وفرط الاهتداء الى النار .(٤)

العطف

ومن أسراره البلاغية قوة الاختصاص ، فقد لا يكون المعطوف عليه مقصودا بالحكم ، وانما يذكر ويسند الحكم اليه للدلالة على قوة صلته واختصاصه بالمعطوف وأنه منه بمكان ، وذلك كما في قوله تعالى " يخادعون الله والذين آمنوا " فقد جوز الزمخشري أن يكون المعنى : يخادعون الذين آمنوا ، ويكون من قولهم : أعجبني زيد وكرمه ، وقال : وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك(٥) .

(١) الكشاف ١ / ٢٩ ، والحاشية ١٣٦ أ ، ب
(٢) الكشاف ١ / ١٥١
(٣) الحاشية ١٤٣ ب
(٤) الحاشية ٢٠٢ ب
(٥) الكشاف ١ / ٤٤ .

ووضح السعد ذلك بقوله : وفائدة هذه الطريقة أى طريقة اسناد الفعل الى شئ والمقصود اسناده الى ماعطف عليه قوة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه من جهة الدلالة على أنه صار من التلبس بحيث يصح أن تسند أوصافه وأفعاله وأحواله الى الشئ الأول قصدا كأنه بمنزلته ولا كذلك الابدال مثل : أعجبنى زيد كرمه لاشعاره بأن المقصود بالنسبة هو الثانى فقط ، بخلاف العطف فان التابع مقصود مع وجود المتبوع(١) .

وقد يكون العطف للدلالة على زيادة الشرف والفضيلة فى المعطوف كما فى قول الزمخشرى : والصلاة والسلام على خير من أوحى اليه .. وعلى آله الأطهار ، وخلفائه من الأختان والأصهار ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار(٢) يقول السعد : ان كان المراد بآله الأطهار أهل البيت المشار اليهم بقوله تعالى " ويطهركم تطهيرا " فعطف " وخلفائه " على ظاهره ، وعطف " على جميع المهاجرين والأنصار " تعميم بعد تخصيص ، وان كان المؤمنين الأتقياء فالعطف لزيادة الشرف والفضيلة(٣) .

وكما فى قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا " فقد ذكر الزمخشرى أن المصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على مايجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته(٤) . وقال السعد : وانما خص بعد العموم لشدته فكان أكمل وأفضل من الصبر على ماسواه ، فيكون كعطف جبريل على الملائكة ، والصلاة الوسطى على الصلوات(٥) .

البـدل

ومن أغراضه زيادة التصريح بالمقصود والتفصيل للمجمل ، كما فى قول الزمخشرى الحمد لله الذى أنزل القرآن ... أنشأه كتابا ساطعا تبيانه(٦) . قال السعد : قوله " أنشأه " بدل من أنزل زيادة تصريح بما قصد وتفصيل لما أجمل(٧) .

---

(١) الحاشية ٥٤ أ
(٢) مقدمة الكشاف / ى
(٣) الحاشية ١٠ أ
(٤) الكشاف ١ / ٣٥٤ .
(٥) الحاشية ٢٥١ أ
(٦) مقدمة الكشاف / ى
(٧) الحاشية ٨ ب .

واذا كان البدل على حكم تكرير العامل فهو يفيد التأكيد فضلا عن البيان فقد ذكر الزمخشري أن : " صراط الذين أنعمت عليهم " بدل من " الصراط المستقيم " وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل : اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، ولذلك فهو يفيد التوكيد ، ومن فوائده أيضا الاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده (١) .

ولخص السعد ما ذكره الزمخشري في فائدة البدل وقال انها التأكيد لما فيه من التثنية والتكرير ، ولما فيه من التفسير بعد الابهام ، والتفصيل بعد الاجمال ، ثم قال : ويتميز عن التأكيد وعطف البيان بأنه المقصود بالنسبة دونهما (٢)

التقديم

لم يقتصر السعد في ذكره لأسرار التقديم في حاشيته على الكلمة المفردة ، بل تناول أيضا تقديم الجملة والجمل على الجملة أو الجمل الأخرى ، ولكني أذكره هنا في أحوال الكلمة لأن معظم المباحث التي ذكرت فيه تدور حول اللفظ المفرد .

وفي بناء الجملة ، وما هو الركن الذي ينبغي تقديمه فيها ؟ أهو الركن المعلوم للمخاطب ثم الحكم عليه بالركن غير المعلوم له ؟ أم أن الركن المشكوك فيه أو المسئول عنه هو الذي يقدم أولا ؟

يبدو مما سيأتي أن السعد يرجح الوجه الأول وهو أن الركن المعلوم هو الذي يقدم في بناء الجملة وان كان لم يذكر رأيه صراحة ، ويورد كلاما للامام عبد القاهر ، ويقول : أن بعضه يؤيد الوجه الأول ، وبعضه يؤيد الوجه الثاني .

يقول الزمخشري : ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة ، كما اذا بلغك أن انسانا قد تاب من أهل بلدك ، فاستخبرت من هو ؟ فقيل : زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته (٣) .

ويلاحظ السعد قوله " فاستخبرت من هو ؟ فقيل : زيد التائب " ويقول : ان السابق

---

(١) الكشاف ١ / ١٣

(٢) الحاشية ٢٥ أ

(٣) الكشاف ١ / ٣٦ .

الى كثير من الافهام أن هذا القول ليس بمستقيم ، بل المناسب حينئذ : التائب زيد ، حتى لو اقتصر على ذكر زيد كان خبرا لا مبتدأ ، لأنك قد عرفت أن انسانا قد تاب ، وأنت كالطالب أن تحكم عليه بأنه زيد أو عمرو أو غيرهما .

فان قيل : من التائب؟ في معنى : أزيد التائب أم عمرو أم غيرهما ؟ فينبغي أن يجاب بزيد التائب بتقديم زيد ليكون على وفق السؤال ولأن ذكر المسئول عنه أهم . قلنا : منقوض بقولهم : قام زيد ، في جواب من قام؟ قال الله تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " و " كذلك يحييها الذى انشأها " في جواب " من يحيي العظام " .

وأورد الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز كلاما يؤيد أوله كلام المصنف وآخره كلام المعترض وذلك أنه قال : انك في قولك زيد منطلق وزيد المنطلق تثبت فعل الانطلاق لزيد ، لكن تثبت في الأول فعلا لم يسمع السامع من أصله أنه كان ، وفي الثاني فعلا قد علم السامع أنه كان ، ولكنه لم يعلمه لزيد ، فاذا بلغك أنه كان من انسان انطلاق مخصوص ، وجوزت ان يكون ذلك من زيد ، ثم قيل لك : زيد المنطلق انقلب ذلك الجواز وجوبا ، وزال الشك ، وحصل القطع بأنه كان من زيد ، ثم اذا قصد تأكيد هذا الوجوب قيل : زيد هو المنطلق ، فلهذا جاز زيد منطلق وعمرو ، دون زيد المنطلق وعمرو ، لأن الانطلاق المخصوص الذى كان من زيد يمتنع أن يثبت لعمرو ، ولو كان ذلك منهما جميعا كان ينبغي أن يقال زيد وعمرو هما المنطلقان . (١)

واذا قيل : المنطلق زيد فالمعنى على أنك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم يثبت ولم تعلم أزيد هو أم عمرو؟ فقال لك صاحبك : المنطلق زيد أى هذا الشخص الذى تراه من بعيد هو زيد ، وقد تشاهد لابس ديباج ، وقد كنت تعرفه فنسيته ، فيقال لك : اللابس الديباج صاحبك الذى كان معك في وقت كذا ، فيكون الغرض اثبات انه ذلك الشخص المعهود ، لا اثبات لبس الديباج لأنه مشاهد (٢) .

واذا لاحظنا التقديم في الحاشية نجد أنه قد يكون للتخصيص ، وقد يكون للتقوى ، وقد يكون للعناية والاهتمام ، أو لأغراض أخرى تتعلق بالسياق ويقتضيها المقام .

---

(١) دلائل الاعجاز ١٢٦ — ١٢٧

(٢) الحاشية ١٤٣ أ ، ب ودلائل الاعجاز ١٣٢

فتقديم الظرف يكون للقصر عليه ، وكذلك تقديم المسند اليه على الخبر الفعلى ، كما فى قوله تعالى : " وبالآخرة هم يوقنون " يقول الزمخشرى : وفى تقديم الآخرة وبناء "يوقنون" على "هم" تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان ، وأن اليقين ماعليه المؤمنون (١) .

ويوضح السعد أن الزمخشرى يعنى : أن تقديم الظرف للقصر عليه ، كما فى قوله تعالى : "لالى الله تحشرون " أى اليه تحشرون لا الى غيره (٢) . وتقديم المسند اليه سيما الضمير وبناء الفعل عليه أيضا للقصر عليه ، كما فى قولك : أنا سعيت فى حاجتك ، ومعنى القصر : افادة تعلق شئ بشئ ، مع نفيه عن غيره ، بمعنى أنهم يوقنون بحقيقة الآخرة ، لا بما هو على خلاف حقيقتها كما يزعم اليهود ، وأن الايقان بالآخرة مقصور عليهم لا يتجاوزهم الى أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالقرآن ، فان كلامهم صادر عن وهم وريبة ، لا عن علم ويقين فلزم من هذين القصرين التعريض بأهل الكتاب وبما هم عليه من أمر الآخرة . (٣)

وقول السعد ههنا : " وتقديم المسند اليه سيما الضمير وبناء الفعل عليه للقصر " لا يعنى أنه اذا كان اسما ظاهرا لا يفيد القصر ، ففى قوله تعالى : "الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به " قال الزمخشرى أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين (٤) . وقال السعد : يعنى أن بناء الفعل على المبتدأ وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر مثل : " الله يستهزئ بهم " (٥)

وتقديم المسند اليه اذا كان ضميرا وولى حرف النفى يذكر السعد انه كثيرا مايكون للاختصاص عند الزمخشرى مثل : " وما أنت علينا بعزيز " ، " وما أنا بطارد الذين آمنوا " ونحو ذلك ، وقد يكون لمجرد التقوى اذا لم يناسب الاختصاص المقام كما فى قوله تعالى : " وما هم بخارجين من النار " فانه ليس المقام مقام تردد ونزاع فى أن الخارج هم أم غيرهم على الشركة أو الانفراد ، بل اللائق بمقام اراءة اعمالهم حسرات عليهم القطع والبت بأنهم لا يخرجون من النار ألبتة ، ولذا قال الزمخشرى : "هم" بمنزلته فى قوله : هم يفرشون اللبد كل طمرة فى دلالته على قوة أمرهم فيما أسند اليهم

---

(١) الكشاف ١/ ٣٣ .
(٢) الحاشية ٢٤٢ أ .
(٣) الحاشية ٤٠ أ .
(٤) الكشاف ١/ ١٣٦
(٥) الحاشية ١٣٣ ب

لا على الاختصاص[1] ، فمراد الشاعر تحقيق أنهم يحدون كرام الخيل لاغاثة من يستغيثهم لكون ذلك مطمح نظرهم ومرمى غرضهم ، لا نفي الشركة أو انفراد الغير بذلك[2] .

وتقديم الخبر وهو جار ومجرور يفيد قصر المبتدأ عليه ولذا لم يقدم في قوله تعالى " لا ريب فيه " لأن المقصود نفي الريب عن الكتاب واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعون ، ولو قدم الخبر لأفاد معنى هو بعيد عن المرام غير لائق بالمقام وهو أن الريب انما هو في كتاب آخر لا في هذا الكتاب[3] .

وقد يكون تقديم الخبر لقصره على المبتدأ فقد ذكر الزمخشري في قوله تعالى : " لها ماكسبت ولكم ماكسبتم " أن المعنى أن أحد لا ينفعه كسب غيره[4] ، وقال السعد : كلامه هذا يشعر بأن في الآية قصر المسند على المسند اليه أي لها كسبها لا كسب غيرها ، ولكم كسبكم لا كسب غيركم ، وهذا كما قيل : في " لكم دينكم " أي لا ديني " ولي ديني " أي لا دينكم[5] ، وكذا في قوله تعالى " لنا أعمالنا ولكم أعمالكم " أي لنا أعمالنا لا أعمالكم وبالعكس[6] .

ومن التقديم للاختصاص تقديم المفعول ، يقول الزمخشري في قوله تعالى " اياك نعبد واياك نستعين " : وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : " قل أفغير الله تأمروني اعبد " ، " قل أغير الله أبغي ربا "[7]

ويحقق السعد الاختصاص في الآيتين الاخيرتين قائلا : فان قلت : لو كان التقديم في الآيتين للاختصاص لكان مدلول الكلام انكار اختصاص الغير بالعبادة والربوبية وهو لا يفيد انكار الشركة ، بل ربما يفيد جوازها ، بناء على ماتقرر عندهم من أن النفي اذا دخل في كلام فيه قيد توجه الى القيد خاصة ، وأفاد ثبوت أصل الحكم ، قلت : ذاك انما يكون اذا اعتبر القيد أولا ثم نفي ، وأما اذا اعتبر النفي أولا ثم قيد فلا ، والتعويل على القرائن وههنا اعتبر النفي والانكار ثم الاختصاص ، فكان لاختصاص الغير بالانكار بمعنى أن المنكر هو الأمر بعبادة الغير ، ألا ترى الى قولنا : ما زيدا

---

(١) الكشاف ١/ ١٥٩

(٢) الحاشية ١٤٩ أ

(٣) الكشاف ١/ ٢٧ ، والحاشية ٣٤ أ

(٤) الكشاف ١/ ١٤٥

(٥) الحاشية ١٣٩ ب

(٦) الحاشية ١٤١ ب

(٧) الكشاف ١/ ١١

ضربت ، وما أنا قلت هذا . معناه : ولكن ضربت غيره ، وقاله غيري ؟ ولو كان لنفـــي الاختصاص لكان المعنى ولكن ضربته وغيره ، وقلته أنا وغيري (١) .

هذا وهناك صورة لتقديم المفعول أوكد في افادة الاختصاص وهي نحو قولـــــه تعالى : " واياي فارهبون " حيث قال الزمخشري انه من قولك : زيدا رهبته ، وهو أوكد في افادة الاختصاص من " اياك نعبد " (٢) .

وأوضح السعد وجه الزيادة في افادة الاختصاص في مثل هذه الصورة بأن الاضمار على شريطة التفسير نحو : زيدا ضربته ، اذا دلت القرينة على أن المحذوف يقـــدر مؤخرا ، كان أوكد في افادة الاختصاص ، لأن الاختصاص عبارة عن اثبات ونفي فـــاذا تكرر الاثبات صار أوكد ، على أن الاثبات اللاحق يمكن أن يعتبر على وجه الاختصـــاص بقرينة كونه تفسيرا للسابق ، وان لم يكن هناك شيء من أدوات الحصر ، وحينئذ يتكرر الاختصاص فيصير أوكد .

وكذا الكلام فيما اذا كان الفعل أمرا ونهيا مثل : زيدا اضربه ، وزيدا لا تضربه . وقد يؤكد الاختصاص بدخول الفاء في الفعل مثل : زيدا فاضربه ، وعليه قوله تعالى : " بل الله فاعبد " و " بذلك فليفرحوا " و " ربك فكبر " أي ان كنت عابدا فالله اعبد ، وان فرحوا بشيء فليخصوه بالفرح ، وذكره المصنف في قوله تعالى : " وربك فكبر " أي اختص ربك بالتكبير ، ودخول الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل مهما يكن فلا تدع تكبيره (٣) أي مهما يكن من شيء فلا تترك وصفه بالكبرياء ، وقريب منه مايقال : ان مثله على حذف أما ، أي أما زيدا فاضرب .

وقد يجمع بين الطريقين أي دخول الفاء وتكرير الاثبات بأن يجعل الفعل مشغولا بالضمير نحو : زيدا فاضربه ، وعليه فقوله تعالى : " فاياي فاعبدون " ، " واياي فارهبون ينبغي أن يكون أوكد من الأوكد ، ووجهه على قانون تقرير المصنف مهما يكن من شيء فاياي ارهبوا ارهبوني ، فتكرير التعلق تأكيد للاختصاص ، وتعليقه بالشرط العام الذي هو وقوع شيء ما تأكيد على تأكيد . (٤)

---

(١) الحاشية ٢٣ أ ، ب
(٢) الكشاف ١ / ٩٧ .
(٣) الكشاف ٤ / ٥١٦ .
(٤) الحاشية ١٠٥ أ ، ب

والاختصاص وجه من وجوه الاهتمام ، وقد أشار الزمخشري الى ذلك حين ذكر أن المحذوف في " بسم الله " يقدر متأخرا ، لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به ، لأنهم كانوا يبدأون بأسماء آلهتهم فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء (١) .

وقال السعد ان ذلك اشارة الى ماذكره الشيخ عبد القاهر من أنا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيئا يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، الا أنه لا يكفى أن يقال : قدم للاهتمام ، بل ينبغى أن يبين أنه لم كان أعنى به وبم كان أهم (٢) ؟ ويضيف السعد : ثم ان بعض وجوه الاهتمام الاختصاص (٣) .

ومع ذلك فقد أكثر السعد من القول بأن التقديم للاهتمام من غير أن يبين وجه هذا الاهتمام .

ففي قول الزمخشري في مقدمة الكشاف : وجدت في مجتازى بكل بلد من فيه مسكة من أهلها ـ وقليل ماهم ـ عطشى الأكباد (٤) . يقول السعد : " قليل " خبر " هم " قدم للاهتمام (٥) .

وفي قوله : أسأل الله أن يجعل ماتعبت فيه منه سببا ينجينى (٦) . يقول السعد : ضمير فيه لما ، والثانى لله ، والظرف حال من سببا قدم للاهتمام . (٧)

وفي قول الشاعر :

تباعد عنى فطحل اذ دعوته * امين فزاد الله مابيننا بعدا (٨)

يقول السعد : امين طلب الاستجابة لقوله : فزاد الله مابيننا بعدا ، قدم للاهتمام (٩) .

وقد يكون التقديم لأغراض أخرى تتعلق بالسياق ويقتضيها المقام ، ففي بيان الزمخشري لحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال : ذى اللواء المرفوع في بني لؤى

---

(١) الكشاف ١ / ٣
(٢) دلائل الاعجاز ٨٣
(٣) الحاشية ٤ اب
(٤) مقدمة الكشاف / ك
(٥) الحاشية ٢ اب
(٦) مقدمة الكشاف / ل
(٧) الحاشية ٢ اب
(٨) الكشاف ١ / ١٤
(٩) الحاشية ٢٦ ب

وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قصى (١) .

وبين السعد سر تقديم الجد الأعلى وهو لؤى على الأدنى وهو عبد مناف، وقال : لأن علو القدر فيما بين المنتسبين الى الجد الأعلى أدخل فى كمال الحسب وجلالة المحل (٢) .

وفى قول الزمخشرى : وحافظ القصص وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصرى أوعظ . (٣) يبين السعد أن تقديم " من " على أفعل التفضيل غريب ولكنه آثره رعاية للسجع . (٤)

وفى قوله تعالى : " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا .. " يتساءل السعد : اذا كان " قلنا اهبطوا " الثانى لتأكيد الأول (٥) فلم قدم ذكر تلقى الكلمات عليه ؟ ويجيب بأنه لفرط الاهتمام بصلاح حال آدم عليه السلام وفراغ باله ، والاخبار بقبول توبته ، والتجاوز عن هفوته ، وازاحة ماعسى تتشبث به الملائكة فيما زعموا فى حقه ، وقد فضله عليهم وأمرهم بالسجود له . (٦)

وفى قوله تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة " يقول الزمخشرى أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة وما يجب فيها من اخلاص القلب والخشوع (٧) .

ويلاحظ السعد أن فى قوله " وأن تصلوا صابرين " اشارة الى أنه كان ينبغى أن يقدم ذكر الصلاة ، الا أن الصبر قدم عليها فى كلام الحق عز وجل دلالة على أن الصبر عليها على هذا الوجه أشق والأمر برعايته أحق (٨) .

وفى قوله تعالى " لاتأخذه سنة ولا نوم " يذكر السعد أن السنة قدمت على النوم لمراعاة ترتب الوجود على طريقة " لايغادر صغيرة ولا كبيرة " قصدا الى الاحاطة والاحصاء . (٩)

---

(١) مقدمة الكشاف/ى
(٢) الحاشية ٩ ب
(٣) مقدمة الكشاف/ك
(٤) الحاشية ١١ أ
(٥) الكشاف ١/ ٩٦
(٦) الحاشية ١٠٤ أ
(٧) الكشاف ١/ ١٠٠
(٨) الحاشية ١٠٨ ب
(٩) الحاشية ١٩٢ أ

ويلاحظ السعد أن موقع الكلمة قد يتغير فى آيتين فيقدم المتأخر ويؤخر المتقدم، ثم يستكشف السر وراء هذا العدول مستعينا بسياق الآيات والغرض منها، ففى قوله تعالى : " ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون، ولئن متم او قتلتم لا لى الله تحشرون " يقول السعد : قدم القتل فى الآية الأولى لأنه أوفق بالمقام وأحق بالمغفرة والرحمة، وقدم فى الاخبار بالحشر الموت لأن المحشور بالموت اكثر من المقتول (١) .

من أسرار الحروف

الفاء

لاحظ السعد أن من أسرار الفاء فى أسلوب الزمخشرى أنه يأتى بها دائما فى صدر السؤال حين يكون مسببا عما قبلها، ومن ذلك قوله فى البسملة : فان قلت : فلم حذفت الألف فى الخط وأثبتت فى قوله " باسم ربك " ؟ قلت : قد اتبعوا فى حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذى عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال (٢) .

وقال السعد : أتى بالفاء (أى فى قوله : فلم حذفت الخ) لأن السؤال ناشىء عما سبق لأنها لما كانت للابتداء ، ومن قواعدهم أن وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج لزم أن لا تحذف بل تثبت كما فى باسم ربك ، فلهذا لم يقتصر فى الجواب على أن يقول لكثرة الاستعمال ، بل تعرض لتلك المقدمة المطوية التى هى مبنى السؤال (٣) .

ومن أسرار الفاء البلاغية دلالتها على محذوف تتعلق به ، وهى الفاء الفصيحة كما فى قوله تعالى : " فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت " قال الزمخشرى : الفاء متعلقة بمحذوف ، أى فضرب فانفجرت ، أو فان ضربت فقد انفجرت ، وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ (٤) وقال السعد : الحلم فى الفاء الفصيحة قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

---

(١) الحاشية ٢٤٢ أ
(٢) الكشاف ١ / ٤ .
(٣) الحاشية ١٦ أ
(٤) الكشاف ١ / ١٠٨

فهى على التقدير الثانى ، وفى المفتاح على التقدير الأول (١) ، والأكثرون على التقديرين .

ثم بين السعد أن وجه فصاحة تلك الفاء هو انبارها عن ذلك المحذوف ، بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن ، مع حسن موقع ذوقى لا يمكن التعبير عنه (٢) .

ثم

ومن معانيها الدلالة على البعد والتفاوت بين الأمرين كما فى قوله :

اذا مارأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمت صممـا

يقول السعد : ثمت حرف عطف لحقته التاء ، أتى به لبعد مابين القصد والتصميم (٣) .

ومن معانيها الاستبعاد كما ذكر الزمخشرى فى قوله تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " من أن معناه استبعاد القسوة من بعد ماذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها (٤) .

وقال السعد : بمعنى أنها ينبغى أن لا تقع لوجود أسباب وقوع الضد كما فى قوله تعالى : " ثم أنتم تمترون " لا بمعنى بعد المرتبة كما فى قوله تعالى : " ثم كان من الذين آمنوا " (٥) .

على

من أسرار التعبير بعلى دلالته على معنى الاطلاع على الشىء وترك ستره ، ففى تفسير قوله تعالى : " يخادعون الله والذين آمنوا " قال الزمخشرى : فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الأغراض بخداعهم عنها ؟ (٦)

وأوضح السعد سر التعبير بعلى فى قوله " فلو أظهر عليهم " مبتدئا بمناقشة ورد ماذهب اليه الآخرون فى هذا الصدد فقال : أطبقوا على أن ضمير " عليهم " للمؤمنين والعدول عن اللام الى على للدلالة على الظهور المكشوف الذى لا يدفع ، ولا يعجبنى ذلك ، كيف والكلام فى المنافقين ، وضمير " لا يصلوا " اليهم ؟ فالحق أن هذا من قبيل : أفشيت عليه سره ، وهتكت عليه ستره على تضمين معنى الاطلاع وترك الستر ، كأنه

---

(١) مفتاح العلوم ١٥١
(٢) الحاشية ١١٥ أ .
(٣) الحاشية ٤١ ب
(٤) الكشاف ١ / ١١٥
(٥) الحاشية ١٢١ أ
(٦) الكشاف ١ / ٤٥

قيل : فلو لم يستر على المنافقين وأطلع على حالهم المؤمنين ، أما كان أصلح ؟ (١)

ياء النســـب

ويلاحظ السعد ما لياء النسب من المبالغة فى قول الزمخشري عن ما فى العلوم من محاسن النكت ولطائف المعانى وأنه " لا يكشف لهم عنها من الخاصة الا أوحديهم " (٢) . يقول السعد : والياء للمبالغة ، كأنه أوحد عريق فى الوحدة وعدم النظير ، يستأهـــل أن ينسب الى ذلك (٣) .

كاف الخطـــاب

يشير السعد الى سره البلاغى فى قوله تعالى : " فقلنا اضربوه ببعضها كذلـــك يحيى الله الموتى " فيقول : ان حرف الخطاب فى " كذلك " لمن يتلقى الكلام ايماء الى ان الاحياء أمر عظيم يجب أن يخاطب به كل من يتأتى له أن يخاطب (٤) .

لن

وهى للمبالغة فى النفى كما فى قوله تعالى : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " قال الزمخشرى : كأنهم قالوا : لن نرضى عنك وان أبلغت فى طلب رضانا (٥) .

وعقب السعد بقوله : وان أبلغت أى بالغت ولم تقصر - على ما تشعر به كلمـــــة لن - (٦) .

السين

وكما أن لن للمبالغة فى النفى فالسين للمبالغة فى الاثبات كما فى قوله تعالـى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا " قــــال

---

(١) الحاشية ٤ ب
(٢) مقدمة الكشاف / ك ه
(٣) الحاشية ٥ اب
(٤) الحاشية ٢٠ اب
(٥) الكشاف ١ / ١٣٦
(٦) الحاشية ١٣٣ ب

الزمخشري : معناه لن يفوتنا أبدا اثباته وتدوينه (١) .

وأوضح السعد دلالة السين في هذا المقام بقوله : والسين لتأكيد الاثبات أتى بها ليكون الوعيد على طريق التأكيد كالاخبار بوجود السماع (٢) .

أداتا الشرط

ان ، اذا

المشهور بين علماء البلاغة أن " ان " تأتي للشرط المشكوك فيه ، "واذا للشرط المقطوع به ، ويقرر السعد هذه الدلالة ويبين اصابتها للغرض والمقام في صورها المختلفة .

يقول الزمخشري في مقدمة الكشاف : اعلم أن متن كل علم ، وعمود كل صناعة ، طبقات العلماء فيه متدانية ، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ، ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة (٣) .

ويلاحظ السعد أن الأمر لا يخلو من سبق عالم لعالم ، فهو شيء مقطوع به ، فكانت " اذا " أليق بالمقام ، لكنه يدرك أن الشرطية ههنا بيان للتقارب وأن الشك في السبق أقرب الى هذا المعنى ، ومن هنا استعمل الزمخشري ان دون اذا ، انظر الى قول السعد : والشرطية بيان وتفسير للتقارب ، ولفظ إذا أليق بالمقام الا ان كلمة ان أوفى بتأدية معنى التقارب وقلة التفاوت (٤) .

وفي قوله تعالى : " فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله " يذكر الزمخشري أنه قيل : فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة (٥) . ويربط السعد بين هذا الحكم الشرعي وبين دلالة اذا البلاغية فيقول : انه في الآية ذكر الافاضة بكلمة " اذا " الدالة على معنى القطع ، وهو في حكم الشرع الوجوب ، كأنه قال : الافاضة واجبة عليكم فاذا أتيتم بها فاذكروا الله (٦) .

وكلمة " ان " يقول السعد انها لا تكون في كلام الله تعالى على ظاهرها قط لعلمه بالوقوع أو اللاوقوع ، بل لاعتبار معتقد السامع أو أمر آخر يناسب المقام (٧)

---

(١) الكشاف ١/ ٣٤٤
(٢) الحاشية ٢٤٧ ب
(٣) مقدمة الكشاف/ى
(٤) الحاشية ١٠ أ
(٥) الكشاف ١/ ١٨٦
(٦) الحاشية ١٦٧ أ
(٧) الحاشية ٢٣٨ أ

ففى قوله تعالى : " ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين " يلاحظ موقع ان ، وكيف أنها تستحث المؤمنين على عدم الضعف والوهن ، لأن فيها نوع تهييج وتنبيه على أن مافيهم من الايمان الموجب للقوة ينافى الوهن .(١)

وقد تستعمل ان فى الشرط المقطوع بعدمه كما فى قوله تعالى: " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " يذكر الزمخشرى : انه استبعاد لاستطاعتهم(٢) . ويوضح السعد معنى هذا الاستبعاد بأنه اشارة الى أن ذلك لا يكون الا على سبيل الفرض والتقدير كما يفرض المحال(٣) .

٢ — نظرات فى أحوال الجملة

الجملة الاسمية والفعلية

تفيد الجملة الاسمية الثبات والتأكيد ، ويلاحظ السعد أن الزمخشرى يأخذ هذه الدلالة فى اعتباره وهو يفسر الآيات القرآنية الكريمة . وذلك مثل تفسيره لقوله تعالى : " والله مخرج ماكنتم تكتمون " بقوله : مظهر لا محالة ماكتمتم(٤) . فيذكر السعد أن تأكيده بقوله " لا محالة " بدلالة العدول الى الجملة الاسمية(٥) .

ويذكر السعد أن الزمخشرى استفاد من قوله تعالى " أولئك يلعنهم الله " أن اللعن فى الحياة ، ومن قوله تعالى " عليهم لعنة الله " أنه بعد الممات ، لما أن أمر الدنيا على التجدد والحدوث ، وأمر الآخرة على الثبات والاستمرار(٦)

ومن أسرار العدول الى الجملة الاسمية ماذكره الزمخشرى فى قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " فقد تساءل : كيف طابق قوله " وما هم بمؤمنين " قولهم " آمنا بالله وباليوم الآخر " والأول فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثانى بالعكس ؟ وأجاب بأن القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه ، فسلك فى ذلك طريق أدى الى الغرض المطلوب ، وفيه من التوكيد والمبالغة ماليس فى غيره ، وهو اخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم

---

(١) الحاشية ٢٣٦ ب
(٢) الكشاف ١ / ١٩٦
(٣) الحاشية ١٧٣ ب
(٤) الكشاف ١ / ١١٤
(٥) الحاشية ١٢٠ ب
(٦) الحاشية ١٤٧ أ ، والكشاف ١ / ١٥٧

من خالفهم المنافية لخلال الداخلين فى الإيمان ، وإذا شهد عليهم بأنهم فى أنفسهم على هذه الصفة ، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع ، ونحوه قوله تعالى " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " وهو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها .(١)

ويختلف السعد مع ما ذهب إليه شرف الدين الطيبى وتبعه الفاضل اليمنى من أن هذا الأسلوب من قبيل الكناية أو من باب التقديم لإفادة الاختصاص(٢) ، ويرى أنه من باب العدول إلى الجملة الاسمية لرد كلامهم بأبلغ وجه وآكده ، كما فى قوله تعالى : " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " لأنه ليس للاختصاص عنده(٣) ، كأنه قيل : إنهم ليسوا فى شىء من الإيمان ، ولا يصدق هذا الوصف عليهم ألبتة .

وأضاف السعد : لا يقال الاسمية تدل على الثبات فنفيها يفيد حينئذ نفى الثبات لا ثبات النفى وتأكده ، لأنا نقول : ذلك إذا اعتبر إثبات بطريق التأكيد والدوام ونحو ذلك ثم نفى ، وههنا اعتبر النفى أولا ثم أكد وجعل بحيث يفيد الثبات والدوام ، وذلك كما أن " ما أنا سعيت فى حاجتك " لاختصاص النفى لا لنفى الاختصاص ، وبالجملة فرق بين تقييد النفى ونفى التقييد(٤) .

ولما تفيده الاسمية من الثبات والتأكيد فإنها تستعمل فى الأمر الثابت الراجح أما الأمر البعيد أو المرجوح أو الأمر المبنى على التجدد والحدوث فإن الفعل أقرب إليه وأحق به . يقول الزمخشرى : المراد بالفرقان جنس الكتب السماوية ، أو الكتب التى ذكرها ، أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور ، أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح(٥) . ويرى السعد أن المصنف غير أسلوب الجملة الاسمية الذى هو الظاهر إلى قوله : أو أراد ، أو كرر ، لأنه كأنه يرى هذين الوجهين أبعد من الأولين .(٦)

---

(١) الكشاف ١ / ٤٢ - ٤٣ .
(٢) فتوح الغيب ١ / ٦٠ ، وتحفة الأشراف ١ / ٤٦ - ٤٧ .
(٣) الكشاف ١ / ٤٨٩
(٤) الحاشية ٥٣ أ
(٥) الكشاف ١ / ٢٥٧
(٦) الحاشية ٢٠٦ أ

وفى تفسير قوله تعالى " فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا " يقول الزمخشرى : المراد به مافى قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد ... أو يراد ماتداخل قلوبهم من الضعف والجبن (١) . ويلاحظ السعد قوله " أو يراد " بتكرير الارادة وذكرها بلفظ الفصل فيقول : وانما غير الأسلوب ولم يقل : ومن الضعف والجبن لطول الفصل ، واختصاص هذا بالعروض والحدوث بعد قوة الاسلام وشوكة المسلمين ، ولذا قال فى الأولين : مافى قلوبهم ، وفى هذا : ماتداخل قلوبهم (٢) .

الجملة الخبرية

الأصل فى الخبر افادة المخاطب نفس الحكم أو لازمه من غير أن يكون له أغراض أخرى ، ومن ذلك قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " يقول السعد : قد يقال انه لا يتصور لمثل هذا الاخبار فائدة ، والجواب بأنه للاخبار بالبعضية أو للتعجب واستعظام أن يختص بعض من الناس بمثل تلك الصفات فانها تنافى الانسانية ، بحيث كان ينبغى أن لا يعد المتصف بها من جنس الناس ـ ضعيف ، فان مثل هذا التركيب شائع ذائع فى مواضع لا يتأتى فيها مثل هذه الاعتبارات ، ولا يقصد فيها الا الاخبار بأن من هذا الجنس طائفة تتصف بكذا ، فالوجه أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ بمعنى : وبعض الناس أو وبعض من الناس من هو كذا وكذا ، فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف (٣) .

وقد لا يقصد بالخبر افادة الحكم أو لازمه ، وانما يكون له أغراض أخرى يقتضيها المقام ، يقول السعد : الاخبار عرفا هو ايقاع الجملة الخبرية مرادا بها معناها ، سواء حصل بها العلم أولا ، وان كان حقيقته اللغوية هو الاعلام وما ذكر الامام المرزوقى فى قول الشاعر :

قومى هم قتلوا أميم أخى

من أن هذا الكلام تأسف وتحسر وليس باخبار (٤) ، فمبناه على أنه لم يقصد به افادة مضمون الجملة ، ولا أنه عالم به (٥) ، وكذلك فى قوله تعالى : " قالت رب انى وضعتها

---

(١) الكشاف ١ / ٤٥
(٢) الحاشية ٥٥ ب
(٣) الحاشية ٥١ ب
(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١ / ٢٠٤
(٥) الحاشية ٨٧ ب

أنثى " أرادت مريم اظهار التحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها[١] ولذلك قال الله تعالى " والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى " تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهبها منه[٢] .

أما قولها : " واني سميتها مريم " فالغرض منه التقرب الى الله تعالى ، والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ، لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة[٣] .

وقد يكون الخبر على سبيل التهكم ، وذلك كما فى قول أبى سفيان ـ يوم أحد ردا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ : انكم تزعمون ذلك ، فقد خبنا اذن وخسرنا وكان عمر قد قال له : قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار .

يقول السعد : قوله " فقد خبنا " تهكم[٤] .

وقد يقصد بالخبر الوعيد والتهديد كما فى قوله تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا " قال الزمخشرى : سنكتب على جهة الوعيد بمعنى : لن يفوتنا أبدا اثباته وتدوينه[٥] .

وقال السعد : فالقصد بهذا الاخبار الى الوعيد والسين لتأكيد الاثبات أتى بها ليكون الوعيد على طريق التأكيد[٦] .

والخبر مع المنكر يكون مؤكدا ، ومع غير المنكر يكون بدون تأكيد ، وقد يكون هناك مايقتضى غير ذلك من جهة المتكلم أو من جهة المخاطب . ففى قوله تعالى : "واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم " تساءل الزمخشرى لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان ؟ وأجاب بأن ماخاطبوا به المؤمنين ليس جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما ، لأنهم فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم ، اما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه .. واما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة .. وأما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط

---

(١) الكشاف ١ / ٢٧٣ ، والحاشية ٢١٧ أ
(٢) المرجعين السابقين
(٣) الكشاف ١ / ٢٧٣ ، والحاشية ٢١٧ ب
(٤) الحاشية ٢٣٧ أ
(٥) الكشاف ١ / ٣٤٤
(٦) الحاشية ٢٤٧ ب

وارتياح للتكلم به ، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم ، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (١) .

وقرر السعد هذا الكلام مبينا أن وجه السؤال هو أن قولهم للمؤمنين " آمنـــا " كلام مع المنكر ، وقد ترك التأكيد ، وقولهم لشياطينهم " انا معكم " كلام مع غير المنكر ، وقد أكد بان واسمية الجملة ، مع أن مقتضى البلاغة عكس ذلك ، والجواب أن تـــرك التأكيد كما يكون لعدم الانكار ، فقد يكون لعدم الباعث والمحرك من جهة المتكلـم ، ولعدم الرواج والقبول من جهة السامع ، وكذلك التأكيد كما يكون لازالة الشك ونفي الانكار عن السامع ، فقد يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ، ونين الرواج والقبول من السامع ، فلذا جاء " آمنا " بالجملة الفعلية من غير تأكيد ، و " انا معكم " بالاسمية مؤكدة بان (٢)

الانشـــاء

أولا - الاستفهـــــــام

سبق في بحث التقديم الحديث عن بعض صور الاستفهام الانكاري ، ودلالـــة التقديم فيها على التخصيص ، واذا تتبعنا الحديث عن الاستفهام في الحاشية نجد أنه قد تناول كثيرا من المعاني التي تفيدها صوره المختلفة بعيدا عن معناه الحقيقي .

ومن هذه المعاني التعظيم للأمر والاستصحاب لما فيه ، وذلك كما في قول السعد عن كتاب سيبويه : وكان المبرد يقول لمن يريد أن يقرأ : هل ركبت البحر ؟ تعظيمـا له ، واستصعابا لما فيه . (٣)

ومنها التقريع كما في قوله تعالى : " سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينـة " يقول الزمخشري : وهذا السؤال سؤال تقريع (٤) . ويزيده السعد بيانا بقوله : أي السؤال المأمور به الرسول أو كل أحد لقصد تقريع بني اسرائيل ، لا لقصد أن يجيبوا فيعلم من جوابهم أمر . (٥)

ومنها الاستبطاء كما في قوله تعالى " وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه

---

(١) الكشاف ١ / ٥٠
(٢) الحاشية ٥٩ ب
(٣) الحاشية ١١ ب
(٤) الكشاف ١ / ١٩٢
(٥) الحاشية ١٧٠ ب

متى نصر الله " ففيه دلالة على تناهى الأمر فى الشدة ،حيث ضج وضجر واستبطأ النصر من هو غاية فى الثبات والصبر (١) .

ومنها التسوية أو التردد كما فى قول ذى الرمة يصف ناقته :

أذاك أم نمش بالوشى أكرعه * مسفع الخد غاد ناشط شبب
أذاك أم خاضب بالسى مرتعه * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب (٢)

يقول السعد : وسط بين التشبيهات همزة الاستفهام دلالة على التسوية ،أو التردد والتحير فى وصف الناقة وشدة عدوها ،فذاك الأول اشارة الى الحمار الموصوف فى الأبيات السابقة ،والثانى الى الثور ،أى أذاك الحمار يشبه ناقتى أم الثور النمش ، وأذاك الثور يشبهها أم الظليم الخاضب ؟ (٣) .

ومنها التعجب كما فى قوله تعالى : " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " قال الزمخشرى : انه تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية (٤) ،وأضاف السعد : اذ الانكار لا يتصور من الملائكة (٥) .

وفى قوله تعالى " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه " الى قوله " أو كالذى مر على قرية " يقول الزمخشرى : " أو كالذى " معناه : أو أرأيت مثل الذى مر؟ فحذف لدلالة " ألم تر " عليه . لأن كلتيهما كلمة تعجيب ،ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ ،كأنه قيل : أرأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية ؟ (٦)

ويلاحظ السعد ملاحظة دقيقة فى الفرق بين " ألم تر " و " أرأيت " وهى أن الأولى تتعلق بالمتعجب منه فيقال : ألم تر الى الذى صنع كذا ؟ بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله ،والثانية تتعلق بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذى صنع كذا ؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل ،ولا يصح : ألم تر الى مثله؟ اذ

---

(١) الكشاف ١ / ١٩٤ ،والحاشية ١٧٢ أ
(٢) النمش : اللون ،والوشى : لون يخالف لون بقية الشىء ،والأكرع : جمع كراع وهو الساق ،والمسفع : الأسود ،والناشط : الخارج من أرض لأخرى ،والشبب : المسن من بقر الوحش ،والخاضب : الظليم الذى احمرت ساقاه او اصفرتا من أكل الربيع ، والسى : المستوى من الأرض ،واسم موضع بعينه .
(٣) الحاشية ٧٠ ب
(٤) الكشاف ١ / ٩٣
(٥) الحاشية ١٠١ أ
(٦) الكشاف ١ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤

يكون المعنى : انظر الى المثل وتعجب من الذى صنع ، فلذا لم يستقم عطف "كالذى مر" على " الذى حاج " واحتيج الى التأويل فى المعطوف بجعله متعلقا بمحذوف أى أرأيت كالذى مر ، ليكون من عطف الجملة ، أو فى المعطوف عليه نظرا الى أنه فى معنى : أرأيت كالذى حاج ليصح العطف عليه ، فظهر أن عدم الاستقامة ليس بمجرد امتناع دخول كلمة الى على الكاف ، اسمية كانت أو حرفية ، حتى لو قلت : ألم تر الى الذى حاج أو مثل الذى مر ؟ فعدم الاستقامة بحاله عند من له معرفة بأساليب الكلام . (١)

ومن أغراض الاستفهام أيضا التقرير مع التوبيخ والتعجيب كما فى قوله تعالى : " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " ذكر الزمخشرى أن الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم (٢) . وحقق السعد معنى التقرير ، وأوضح أن له معنيين ، واستشهد لكل منهما بآية أخرى من القرآن غير تلك التى نحن بصددها ، فقال : التقرير عندهم يقال للحمل على الاقرار والالجاء اليه ، وللتحقيق والتثبيت ، وكلاهما مناسب ههنا ، وفى قوله تعالى : " أأنت قلت للناس " تقرير بالمعنى الأول ، أى يقر بأنه لم يقل ذلك ، وفى قوله تعالى : " هل ثوب الكفار " بالمعنى الثانى (٣) .

ومن الاستفهام للتقرير والتعجيب قوله تعالى : " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت " قال الزمخشرى : " ألم تر " تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين ، وتعجيب من شأنهم ، ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع (٤) .

ورجح السعد الوجه الثانى موجها ذلك بقوله : والأوجه عموم الخطاب دلالة على شيوع القصة وشهرتها ، بحيث ينبغى لكل أحد أن يتعجب منها ، وأنه حقيق بأن يحمل على الاقرار برؤيتهم ، وان لم يرهم ولم يسمع بقصتهم (٥) .

وقد يكون للتقرير والانكار كقول الأعشى :

أفى كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا

يقول السعد : ومعنى البيت أنه ينكر على نفسه طول غيبته عن الحى ، وركوبه كل عام مخاطرة الحروب والغارات ، لكن القصد الى اثبات ذلك ، فهو استفهام لتقرير يشوبه انكار (٦)

---

(١) الحاشية ١٩٤ أ
(٢) الكشاف ١ / ٩٩
(٣) الحاشية ١٠٨ أ .
(٤) الكشاف ١ / ٢٢٠
(٥) الحاشية ١٨٨ أ

وقد يكون للاستبعاد والانكار ، وذلك كما فى قول الزمخشرى عن الالتفات فى " إياك نعبد " : فان قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت: هذا يسمى الالتفات فى علم البيان الخ (١) . يقول السعد : لما دل السؤال على ثبوت استبعاد واستنكار ، أجاب بأنه ليس بمستبعد ، بل هو مشهور فيما بين علماء البيان ، له اسم معين ، وأنواع متعددة ، وفوائد جمة . (٢)

والاستبعاد قد يصاحب بالانكار كما رأينا وقد يكون لمجرد التعجب ، ففى قوله تعالى " أنى يحيى هذه الله بعد موتها " ذكر الزمخشرى أن المار على القرية كان كافرا بالبعث ، واستدل على ذلك بانتظامه مع نمروذ فى سلك حيث سيق الكلام للتعجب من حالهما ، وبكلمة الاستبعاد (٣) . وبين السعد وجه الاستدلال بكلمة الاستبعاد بأنها فى مثل هذا المقام تشعر بالانكار ظاهرا ، وقال : وانما تكون لمجرد التعجب اذا علم أن المتكلم جازم بالوقوع كما فى " أنى يكون لى غلام " ، و " أنى يكون لى ولد " (٤) .

ومن الاستفهام الانكارى بمعنى لا يكون : قوله تعالى : " أنؤمن كما آمن السفهاء " قال الزمخشرى : والاستفهام فى " انؤمن " فى معنى الانكار (٥) . وعقب السعد بقوله : أى لا يكون ذلك (٦) .

وبمعنى لم يكن : قوله تعالى " أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى " قال الزمخشرى : هى أم المنقطعة ، ومعنى الهمزة فيها الانكار (٧) . وأوضح السعد أن الانكار هنا بمعنى لم يكن ، أى ماكنتم حاضرين ذلك ، وما شاهدتم تلك الأحوال ، ولا سمعتم ذلك المقال (٨) .

وبمعنى ماكان ينبغى أن يكون : قول أبى تمام :

أحاولت ارشادى فعقلى مرشدى * أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى

---

(١) الكشاف ١ / ١١

(٢) الحاشية ٢٣ ب

(٣) الكشاف ١ / ٢٣٤

(٤) الحاشية ١٩٤ ب

(٥) الكشاف ١ / ٤٩

(٦) الحاشية ٥٩ أ

(٧) الكشاف ١ / ١٤٤

(٨) الحاشية ١٣٨ أ

قال السعد : والهمزة في " أحاولت " للانكار بمعنى ماكان ينبغي (١) .

وبمعنى ماكان ينبغي أو لا ينبغي أن يكون : قوله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " ذكر الزمخشري أن الهمزة في أم بمعنى الانكار (٢) . وأضاف السعد : انه بمعنى ماكان ينبغي أولا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقيقته النهي عن الحسبان (٣) .

وقد يضم مع الانكار بمعنى ماكان ينبغي العتاب كما في قوله تعالى : " واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم " فقد ذكر الزمخشري في تفسيره وجهين :

الأول — واذا خلا البعض الذين لم ينافقوا من اليهود الى البعض الذين نافقوا منهم ، قالوا عاتبين عليهم : اتحدثونهم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد ؟

والثاني — قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم : أتحدثونهم (٤) ؟ .

وقرر السعد معنى الاستفهام على كلا الوجهين فقال : والاستفهام في " أتحدثونهم " على الأول للعتاب والانكار على ماكان يصدر عن المنافقين من التحديث ، بمعنى : ماكان ينبغي أن يقع ذلك ، وعلى الثاني لانكار أن يصدر عن الأعقاب تحديثهم فيما يستقبل من الزمان ، بمعنى : لا ينبغي أن يقع . (٥)

وقد يشير السعد الى مايؤديه الاستفهام الانكاري من مبالغة تخدم الغرض العام الذي تهدف اليه الجملة القرآنية . ومن ذلك قوله تعالى : " أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل " يقول السعد : وانما ذكر التوصية بلفظ أم المنقطعة بمعنى بل والهمزة الانكارية مبالغة في النهي ، حتى كأنهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال ، يعني أن من شأن العاقل أن لا يتصدى لارادة ذلك (٦)

ثانيا : الأمــــر

من المعروف عند المتأخرين أن صيغة الأمر موضوعة لطلب الفعل على جهة الاستعلاء ، ويفهم مما ذكره السعد أن قيد الاستعلاء غير معتبر عند الزمخشري في

---

(١) الحاشية ٧٥ ب
(٢) الكشاف ١ / ٣٢٣
(٣) الحاشية ٢٣٧ ب
(٤) الكشاف ١ / ١١٦
(٥) الحاشية ١٢٢ ب
(٦) الحاشية ١٣٠ ب

صيغة الأمر .

ففى تفسير قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " قال الزمخشرى : وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب ، وانما يتفاوتان فى المرتبة[١] .

وقال السعد : يشير الى أنها (أى صيغة الأمر) موضوعة لطلب الفعل ، سواء كان على سبيل الاستعلاء فايجاب أو ندب ، أو التضرع فدعاء ، أو التساوى فالتماس ، ولا مجاز فى شىء من ذلك[٢] .

هذا وقد فسر الزمخشرى الأمر فى موضع آخر بأنه " طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه[٣] " .

فهل يفهم من قوله " ممن هو دونك " أنه طلب الفعل على جهة الاستعلاء ؟ الاجابة قطعا بنعم ، ولذا قال السعد فى شرح هذا القول : ممن هو دونك أى أدنى منك حقيقة أو بزعمك ، فيوافق ماقيل أنه الطلب على طريق الاستعلاء وان لم يكن علو[٤]

فهل معنى ذلك أن الزمخشرى تناقض فى عدم اعتبار قيد الاستعلاء أو اعتباره فى صيغة الأمر ؟ اقول : لا ، لأن قوله فى الموضع الأول " وانما يتفاوتان فى الرتبة " يفهم منه أن صيغة الأمر على جهة الاستعلاء ، والدعاء على جهة التضرع ، ويتحدان فى أن كلا منهما طلب كما قال ، وليس كما فسر السعد أنها موضوعة لطلب الفعل ، سواء كان على سبيل الاستعلاء أو التضرع أو التساوى ، ويبدو أن السعد لم يلتفت الى مايفيده قوله " وانما يتفاوتان فى الرتبة " .

وقد لا يقصد بصيغة الأمر طلب الفعل ، وانما تفيد معانى بلاغية مختلفة حسب مايقتضى المقام كالتهكم ، والاستدراج ، والتبكيت ، والتعجيز ، والاستهزاء ، وغير ذلك . يقول السعد : ذكر (أى الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى " وادعوا شهداءكم من دون الله ") ستة أوجه : تنبنى ثلاثة منها على تعلق " من دون الله " بشهداءكم ، وثلاثة على تعلقه بادعوا . أما الثلاثة الأول : فالأولان منها - ادعوا للاستظهار فى معارضة القرآن أصنامكم الذين تزعمون أنهم يشهدون يوم القيامة لا الله أو بين يدى الله أنكم على الحق . وثالثها - ادعوا شهداءكم أى أشرافكم ورؤساءكم ليشهدوا

---

(١) الكشاف ١ / ١٢ .
(٢) الحاشية ٢٥ أ .
(٣) الكشاف ١ / ٩١ .
(٤) الحاشية ٩٨ أ

أنكم أتيتم بمثل القرآن متجاوزين أولياء الله المؤمنين ، فانهم لا شهادة لهم فسي ذلك ، يعني أن أشرافكم أيضا لا يشهدون بذلك لظهور بطلانه .

وأما الثلاثة الأخيرة : فأحدها — تجاوزوا المؤمنين وادعوا رؤساءكم ليشهدوا أنكم أتيتم بمثله ، يعني أنهم أيضا لا يشهدون بذلك . وثانيها — ادعوا شهداءكم من الناس ، فصححوا دعواكم ، ولا تقتصروا على قولكم : الله يشهد أن ماندعيه حق ، كما هو شأن العاجز عن البينة . وثالثها — ادعوا للاستظهار في معارضة القرآن كل من يحضركم سوى الله ، يعني لا تدعوا الله تعالى ، فانه القادر وحده على الاتيان بمثل القرآن .

فالأمر على الأولين للتهكم ، وعلى الثالث والرابع للاستدراج وعلى الأخيرين للتبكيت والتعجيز (١) .

ومن الأمر للاستهزاء قوله تعالى : " فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين " فالأمر بالدرء استهزاء بهم ، أي ان كنتم دافعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا . (٢)

ومن المعاني التي يأتي لها الأمر أيضا ماذكره الزمخشري في قوله تعالى : " لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا " من أن المراد : وأحسنوا سماع مايكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو واسمعوا سماع قبول وطاعة . أو واسمعوا بجد حتى لا ترجعوا الى مانهيتم عنه . (٣)

وعلل السعد ماذهب اليه الزمخشري بأنه لا فائدة في الأمر بنفس السماع الحاصل عند سلامة الحاسة المنفي عند اختلالها ، فوجب الحمل على مايفيد ، وهو مابينه بالوجوه الثلاثة (٤)

ثالثا : النهي

من الأسرار البلاغية التي يفيدها النهي ماأشار اليه السعد في قوله تعالى : " الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " قال : ان كان الخطاب عاما فظاهر ، أي

(١) الكشاف ١ / ٧٥ ، والحاشية ٨٣ ب
(٢) الكشاف ١ / ٣٣٨ ، والحاشية ٢٤٤ ب
(٣) الكشاف ١ / ١٣٠
(٤) الحاشية ١٣٠ أ

لا ينبغى لأحد أن يشك ، وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم فلقصد الثبات على اليقين ، ولنهى الأمة عن الامتراء بألطف وجه ، بمعنى أن من كانت أمة لك كان امتراؤها امتراءك (١) .

وقد يكون النهى عن الشىء كناية عن الأمر بضده ، كما فى قوله تعالى : " ولا تتخذوا آيات الله هزوا " يقول الزمخشرى : أى جدوا فى الأخذ بها والعمل بما فيها (٢) ، ويبين السعد أن مراده : أن هذا النهى كناية عن ذلك الأمر (٣) .

وقد يكون النهى عن شىء ليس باستطاعة المرء أن يفعله أو لا يفعله ، وفى هذه الحالة لا ينصرف النهى الى ذلك الشىء ، وانما الى بعض قيوده وصفاته . ففى قوله تعالى : " ولا تموتن الا وأنتم مسلمون " ذكر الزمخشرى أن معناه ، ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدركم الموت (٤) ، وقال السعد : يعنى أن النهى راجع الى القيد . (٥)

وقد يوجه المتكلم النهى الى نفسه ، ويكون مراده نهى المخاطب عن شىء معين لغرض يقتضيه المقام ، وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا لا أعرفن أحدكم يأتى ببعير له رغاء وببقرة لها خوار .. الحديث (٦) " يقول السعد : قوله " ألا لا أعرفن " يحتمل أن يكون دعاء ، وأن يكون نهيا على طريقة : لا أرينك ههنا ظاهره نهى نفسه ، والمقصود نهى المخاطب أن يكون بتلك الحال (٧) .

رابعا ــ النــداء

ذكر الزمخشرى أن حرف النداء " يا " وضع فى أصله لنداء البعيد ، ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة البعيد ، فاذا نودى به القريب المفاطن فذلك للايذان بأن ما بعد النداء خطاب يعتنى بشأنه ثم تساءل الزمخشرى فما بال الداعى يقول فى دعائه : يارب ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ؟ وأجاب بما ملخصه ــ كما ذكر السعد ــ أنه اشارة الى بعد المرتبة بين المدعو والداعى ،

---

(١) الحاشية ١٤٥ أ
(٢) الكشاف ١/ ٢١١
(٣) الحاشية ١٨٢ أ
(٤) الكشاف ١/ ٢٠٢
(٥) الحاشية ٢٢٩ ب
(٦) الكشاف ١/ ٣٣٤
(٧) الحاشية ٢٤٢ ب

والى حرص الداعي على استجابة دعائه والاستماع لندائه ، كالاعتناء التام بشـــأن الخطاب في المعنى السابق ، ولأنه يؤذن بزيادة اجتهاد في طلب الاقبال والأذن للابتهال .

ويبين السعد أن هذا المعنى — الذي أفاده النداء في الدعاء — لم يكثر كثرة المعاني السابقة ، بل ربما لا يحسن الا في نداء البارى تعالى ، فلذا لم يعده المصنف في اثنائها ، وجعله في جواب سؤال على حدة (١) .

ومن الأغراض التي يفيدها النداء التعجب كما في قول الزمخشري : يالها من سيادة (٢) . يقول السعد : انه نداء تعجب ، والضمير مبهم يفسره مابعده ، ومثله : يالك من ليل (٣) .

الخروج عن مقتضى الظاهــــر

أولا : الالتفــــات

ذكر السعد — في معرض تعليقه على ماذكره الزمخشري بشأن الالتفات فــي " اياك نعبد " — أن اسم الالتفات مأخوذ من التفات الانسان يمنة ويسرة ، وأمــا أنواعه فستة باعتبار الانتقال من كل من الطرق الثلاثة أي التكلم والخطاب والغيبــة الى الآخرين ، وأما الأمثلة فكثيرة جدا .

ثم لخص ماذكره الزمخشري من الفائدة في مطلق الالتفات وفيما اختص بـــه الالتفات في " اياك نعبد " عارضا لما ذكره السكاكي في هذا المقام فقال :

وأما الفائدة ، ففي مطلق الالتفات وجهان : يرجع أحدهما الى المتكلم ، وهــو قصد التفنن في الكلام والتصرف فيه ، بوجوه مختلفة ، من غير اعتبار لجانب السامــع ، والثاني الى السامع ، وهو حسن تنشيطه ولطف ايقاظه .

وأما الالتفات في " اياك نعبد " فمن جملة فوائده أن في تعليق العبادة له ، والاستعانة منه بصيغة الخطاب اشعارا بأن ذلك انما هو لاتصافه بتلك الصفــات ، وهذا كما ذكره في فائدة اسم الاشارة في قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم (٤) " ، وفي المفتاح أن فائدة الالتفات التنبيه على أن القراءة يجب أن تكون عن تأمــل وحضور قلب ، بحيث يجد القارئ من نفسه محركا على الاقبال على المنعم ، يــزداد

---

(١) الكشاف ١/٦٨ ، والحاشية ٧٦ ب ، ٧٧ أ

(٢) الكشاف ١/٢٧٦

(٣) الحاشية ٢١٨ ب

(٤) الكشاف ١/٣٤

ذلك المحرك بحسب اجراء الصفات على المنعم الى مقام الحضور والمشاهدة ،حتى يعبد ربه كأنه يراه ويشاهده ويخاطبه في الاخبار عن عبادته [١] .

ويبين السعد أن الالتفات عند الزمخشري مخالفة مقتضى الظاهر بالتعبير عن الشيء باحدى الطرق الثلاث ،بعد التعبير عنه بطريق آخر ، أو بعد أن يكون مقتضى الظاهر طريقا آخر ، وأن هذا هو الذى اختاره صاحب المفتاح [٢] .

وعلى هذا فقول الزمخشري : وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالاثمد .. الأبيات [٣]

ظاهر في أن الالتفات الأول في " ليلك " حيث ترك التكلم الذى كان مقتضى الظاهر الى الخطاب [٤] .

ويرى السعد أن كلام الزمخشري في بعض المواضع مشعر بأن أحد أقسام التجريد وهو مخاطبة الانسان نفسه كما في " تطاول ليلك " التفات [٥] ، أى أنه لا منافاة بينهما ،ولكن السيد الشريف يتهم السعد بالسهو في هذا ويذكر أن قوله " تطاول ليلك " ان حمل على الالتفات لم يكن تجريدا ،وان عد تجريدا لم يكن التفاتا ،لأن مبنى التجريد على مغايرة المنتزع للمنتزع منه ليترتب عليه ماقصد به من المبالغة في الوصف . ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليحصل ماأريد به من ايراد المعنى في صورة أخرى غير مايستحقه بحسب الظاهر [٦] . ويذكر الطيبي أن الذى عليه أبوعلي وابن جني وابن الأثير أن قوله : " تطاول ليلك " تجريد ،وانشدوا قول الاعشى :

وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

ثم يقول الطيبي : وهذا هو الحق [٧] .

ويشير السعد الى لون من ألوان الالتفات عند الزمخشري هو الالتفات في الكلام الواحد ،ويقول عن هذا اللون انه قليل في الكلام ،ومع ذلك يحرص على أن يورد له شاهدا آخر من القرآن لزيادة التوضيح .

---

(١) الحاشية ٢٣ب ،ومفتاح العلوم ١٠٧ ،والكشاف ١/ ١٢

(٢) مفتاح العلوم ١٠٦

(٣) الكشاف ١/ ١١

(٤) الحاشية ٢٤أ

(٥) الحاشية ٢٤ أ

(٦) حاشية السيد الشريف على الكشاف ١/ ٦٣

(٧) فتوح الغيب ١/ ٢٦

ففى قوله تعالى : " واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله " قال الزمخشرى : وقرئ " يرجعون " بالياء على طريقة الالتفات (١) . وقال السعد موضحا ذلك : قراءة الياء التفات فى كلام واحد ، وهو قليل ، ومنه قوله تعالى : " ليريه من آياتنا " فيمن قرأ بياء الغيبة (٢) .

وينبه السعد الى موقع الالتفات مبينا سره فى قول الشاعر :

والله لو لاقيته وحده * لآب سيفانا مع الغالب

فكان مقتضى الظاهر أن يقول : معى ، فالتفت لادعاء ظهور أن الغلبة له (٣) .

وفى قوله تعالى : " صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم " دون أن يقول : غير الذين غضبت عليهم ، نكتة بلاغية أشار اليها ابن جنى ، وراقت للسعد واستحسنها فقال : وماذكر ابن جنى من أنه أسند النعمة اليه بطريق الخطاب تقربا ، ثم انحرف عن ذلك الى الغيبة عند ذكر الغضب تأدبا ، كلام حسن (٤) .

وفى قوله تعالى " وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " يقول السعد : ان كان الخطاب أى فى " ثم الى مرجعكم .. الآية " للذين اتبعوا والذين كفروا ، فالتفات من الغيبة الى الخطاب للدلالة على شدة ارادة ايصال الثواب والعقاب ، لأن الخطاب أدل فى اثبات ما أجرى له الكلام (٥) .

ثانيا - الأسلوب الحكيم

عند الحديث عن قوله تعالى : " يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج .. " ذكر السعد رأيا لم يشر اليه فى كتابه المطول عند تناول هذه الآية ، وذلك فى باب الأسلوب الحكيم .

ففى المطول لم يختلف السعد مع ما ذهب اليه السكاكى والخطيب من أن الآية من قبيل : تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره ، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له ، حيث سألوا عن السبب فى اختلاف القمر فى زيادة النور ونقصانه ، فأجيبوا ببيان الغرض والحكمة من هذا الاختلاف . (٦)

---

(١) الكشاف ١ / ٢٤٧
(٢) الحاشية ١٩٩ ب ، ٢٠٠ أ
(٣) الحاشية ١٣٩ أ
(٤) الحاشية ١٢٦ أ
(٥) الحاشية ٢٢٢ أ
(٦) المطول ١٣٦

أما في هذه الحاشية فقد رأى السعد أن السؤال عن الحكمة لا عن السبب، وأن الجواب مطابق للسؤال وليست الآية على خلاف مقتضى الظاهر، وليس في كلام الزمخشري مايشير الى أنها من الأسلوب الحكيم .

وبدأ السعد باستعراض رأى صاحب فتوح الغيب، وصاحب تحفة الاشراف ، وصاحب كشف الكشاف، ممن فهموا من كلام الزمخشري أن الآية من الأسلوب الحكيم ، ثم رد عليهم مبينا أن كلام المصنف يدل على أن الآية على مقتضى الظاهر من غير عدول الى الأسلوب الحكيم كما فهم هؤلاء ، وكما فهم السكاكي .

يقول الزمخشري في سبب نزول الآية : ان معاذ بن جبل ، وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا : يارسول الله ، مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، لا يكون على حالة واحدة ، فنزلت .

ثم يبين وجه اتصال " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " بما قبله من الآية فيقول : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها : أن كل مايفعله الله عز وجل لا يكون الا لحكمة بالغة ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ، مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا (١) .

وحول كلام الزمخشري هذا ، كان الاختلاف بين السعد وبين غيره من أصحاب الحواشي الأخرى .

قال السعد مشيرا الى ماذهبوا اليه :

منهم من قرره بأنه من باب الأسلوب الحكيم وهو تلقى السائل بغير مايتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه تعدى السؤال اللائق بحاله والأهم له (٢) .

ومنهم من زاد بصيرة فقال : هو بيان لسبب الاعراض عن جواب سؤالهم الى سلوك طريق الأسلوب الحكيم ، يعنى أن ذلك السؤال لم يكن لائقا بحالهم ، ومهما لهم ، وانما المهم لهم السؤال عن وقائعهم ، مثل هذه الفعلة التى يحسبونها برا .

ومنهم من زاد وهو غاية في التدقيق فقال : لما كان جواب السؤال عن الأهلة من الأسلوب الحكيم ، حيث سألوا عن السبب ، فأجيبوا بالحكمة والفائدة ، كان فيه

---

(١) الكشاف ١/١٧٦ — ١٧٧

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٠٣ ، وتحفة الأشراف ١/ ١٢٣

التنبيه على تعدي موضع السؤال ، فهو بر ، وليس ماهم فيه من البر ، لأن السائل عن الأفعال الالهية فيما لم يتعلق بالمكلف اذا لم يكن برا فى أفعاله وأقواله ، فالأولى اصلاح حاله ، وترك التعرض لجواب سؤاله ، فسواء قيل : دعوا السؤال وانظروا ، أو قيل : هو بر وما أنتم فيه ليس ببر لم يختلف المقصود ، اذ الغرض بيان الجامع بين الأمرين ، وقد انساق الكلام اليه (١) .

ثم عقب السعد على هذه الآراء مبينا رأيه قائلا : وأنا لا أزيد على التعجب سوى أني أقول : أي دلالة لقولهم " مابال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد " على أنه سؤال عن السبب والفاعل دون الغاية والحكمة ؟ ، ثم أي دلالة في كلام المصنف على أنه فهم ذلك ؟ ، وهل قوله " كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها " الى آخره ، وقوله " والمراد وجوب توطين النفوس على أن جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب حتى لا يسأل عنه لما فى السؤال من الايهام بمقارفة الشك " (٢) الا مناديا على أنه فهم السؤال عن الحكمة والمصلحة ، وجعل الجواب جوابا عنه مطابقا له من غير عدول الى الأسلوب الحكيم على مافهمه السكاكى (٣) ؟ ،

ثم أي وجه لسكوت المصنف ههنا عن سؤال كيفية مطابقة الجواب للسؤال ، والجواب عنه بأن مافيه بناء الكلام على الأليق الأهم ، على ماذكره فى قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون .. الآية " (٤) ؟ ، وكيف لم تقع منه اشارة ما الى هذا المعنى ؟ ،

ثم وجه الاتصال على ماذكر ظاهر ، وهو أنهم لما أجيبوا عن سؤال الحكمة فى الأهلة ببيان الحكمة لهم ، قيل لهم : دعوا السؤال عن الحكمة والمصلحة فى أفعال الله تعالى ، واعتقدوا أنها كلها حكم ومصالح ، وانظروا فى فعلة واحدة من أفعالكم تحسبونها برا ، وليست من البر فى شيء ، فان هذا أليق بحالكم ، وأحق بأن تصرفوا اليه أفكاركم (٥) .

---

(١) انظر كشف الكشاف الورقة ١٧١ أ
(٢) الكشاف ١ / ١٧٧
(٣) مفتاح العلوم ١٧٥
(٤) الكشاف ١ / ١٦٤
(٥) الحاشية ١٦٢ أ

ثالثا – وضع الظاهر موضع المضمر

ومن أسراره البلاغية ماذكره السعد فى قوله تعالى " يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين " من أن وضع الظاهر أى الكافرين موضع المضمر تنبيه على أن ذوى الصيب كفرة يستحقون الشدة ، ليكون أبلغ كما فى قوله تعالى : " كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم " (١) .

وكذلك فى قوله تعالى " ولو ير الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب " يقرر السعد ماذكره الزمخشرى من أن " الذين ظلموا " من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن مايرون من قطع العذاب ، انما هو بفاحش ظلمهم الذى هو الشرك (٢) .

ويذكر السعد فى قوله تعالى : " سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب " أن " نعمة الله " اشارة الى الآية ، وضعا للظاهر موضع المضمر ، تصريحا بكونها نعمة لقصد مزيد التقريع (٣) .

وفى قوله تعالى : " ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد " يقول الزمخشرى معناه أن الالهية تنافى خلف الميعاد (٤) ويوضح السعد ذلك بأن العدول عن المضمر المخاطب على ما هو الظاهر الى الاسم المظهر بغير لفظه المتقدم وهو " ربنا " ، للدلالة على أن الحكم مرتب على مايدل عليه اسم الله ، كما فى التعليق بالوصف ، ويقول : ولا يخفى أن فى هذا ملاحظة المعنى الأصل قبل العلمية (٥) .

وفى قوله تعالى : " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " جوز الزمخشرى أن يراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح (٦) . وتعقيبا على هذا قال السعد : فيكون من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على علة أنه ليس منهم ، وتعريضا بأنهم مشركون ، وتأكيدا لكونه حنيفا مسلما (٧) .

---

(١) الحاشية ٧٤ ب
(٢) الكشاف ١/ ١٥٩ ، والحاشية ١٤٨ ب
(٣) الحاشية ، ١٧٠ ب
(٤) الكشاف ١/ ٢٦٠
(٥) الحاشية ٢٠٧ ب
(٦) الكشاف ١/ ٢٨٥
(٧) الحاشية ٢٢٣ ب

وقد يكون وضع الظاهر موضع المضمر للبعد وخوف الالباس كما في قول الزمخشري " فأمر المسلمين بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا ، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا ، أو يقول المسلمون .. الخ (١) .

يقول السعد : قوله " أو يقول المسلمون " عطف على " أن يقولوا لهم " أي أمر المسلمين بأن يقول المسلمون ، فوضع الظاهر موضع المضمر للبعد وخوف الالباس (٢) .

رابعا — وضع المضارع موضع الماضي وبالعكس

والمضارع يقع موقع الماضي لحكاية الحال الماضية واستحضار صورتها ، وكأنها ماثلة أمامنا ، تراها الأعين وتسمعها الأذن . ويوضح السعد ذلك بقوله : معناه أنك تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان الماضي ، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن (٣) .

ومن ذلك قوله تعالى : " ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله " فقد ذكر الزمخشري أن الشرط والجزاء في معنى المضي دون الاستقبال (٤) . وقال السعد : ولابد من حمل " يمسسكم " على حكاية الحال لقصد الاستحضار . (٥)

وكذلك قوله تعالى " ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب " حيث فسره الزمخشري بقوله " اذا عاينوا العذاب يوم القيامه " (٦) . وقال السعد : فسره بعاينوا دون يعاينون لأن اذ للماضي ، فنزل ما هو للوقوع منزلة الواقع ، وحينئذ فكلمة " لو " في " ولو يرى " اما أن تكون بمعنى أن على مايراه بعض النحاة ، واما أن يكون المضارع بعدها لقصد استحضار الصورة الهائلة ، ويكون الجميع في تقدير المضي بمعنى : لو رأيت حالهم الفظيعة لرأيت أمرا عظيما . (٧)

وقد يقع المضارع موقع الماضي ، لكن لا لقصد استحضار الصورة ، وانما لقصد

---

(١) الكشاف ١ / ١٤٧
(٢) الحاشية ١٤٠ ب ، ١٤١ أ
(٣) الحاشية ٢٤١ أ
(٤) الكشاف ١ / ٣٢٢
(٥) الحاشية ٢٣٦ ب
(٦) الكشاف ١ / ١٥٩
(٧) الحاشية ٤٨ ب

الاستمرار في معنى الفصل ، كما في قوله تعالى " زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا " فقد جوز السعد عطف " يسخرون " على " زين " ، وقال : والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار (١) .

وفي قوله تعالى " والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ".. الآية ذكر الزمخشري أنه يحتمل أن يراد بهم مؤمنوا أهل الكتاب الذين آمنوا أيضا برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . وقال السعد : وعدل عن آمنوا وأيقنوا الى يؤمنون ويوقنون ، دلالة على الاستمرار (٣) .

ومن وقوع الماضي موقع المضارع للدلالة على تحقق الوقوع قول الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

يقول السعد : قوله " مضيت " بمعنى أمضي ، عبر عنه بلفظ الماضي تحقيقا لمعنى الاغضاء والاعراض (٤) .

خامسا — الرجوع من الواحد الى المثنى والجمع
ومن المثنى الى الواحد

فمن الأول قوله تعالى : " ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما " حيث ثنى الضمير في " بهما " مع أن المرجع المذكور أحد الأمرين أي " غنيا أو فقيرا " ، والضمير في الشرط وهو قوله " ان يكن " مفرد ، نظرا الى ما دل عليه الكلام من تعدد الجنسين والمعنى ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا ، فلا يمنعكم من الشهادة على الأقرباء غناهم أو فقرهم ، فالله أولى بجنسي الغني والفقير ، فترك افراد الضمير لئلا يتوهم أن أولوية الله تعالى بالنسبة الى ذات المشهود عليه ، فنبه على أنها باعتبار الوصفين ليعم المشهود عليه وغيره (٥) .

ومن الثاني قول الزمخشري في مقدمة الكشاف عن الأمير علي بن حمزة بن وهاس : " أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز .. بقطع الفيافي .. والوفادة علينا بخوارزم (٦) " يقول السعد : وجمع الضمير (أي في قوله " علينا ")

---

(١) الحاشية ١٣٧أ
(٢) الكشاف ١/ ٣٢ — ٣٣
(٣) الحاشية ٣٩أ
(٤) الحاشية ٢٥ب
(٥) الكشاف ١/ ٨١ ، والحاشية ٥٠ب
(٦) مقدمة الكشاف/ل

للتعظيم حيث حاول مثل هذا الأمير الوفادة عليه . أو للتواضع والاشارة الى أن وفادته لا تكون على وحدى ، بل مع اخوانى من الأفاضل (١) .

ومن الثالث قوله تعالى " والله ورسوله أحق أن يرضوه " حيث وحد الضمير فى قوله " يرضوه " دلالة على أن المقصود ارضاء الرسول ، وانما ذكر " الله " لافادة قوة اختصاص الرسول به ، وكونه بمكان منه (٢) .

سادسا - وقوع الخبر موقع الانشاء

وذلك نحو قوله تعالى : " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " فقد ذكر الزمخشرى أن " يتربصن " خبر فى معنى الأمر ، للاشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله ، فأنهن امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجودا ، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد (٣) .

ويبين السعد أن " يتربصن " فى الآية الكريمة مثل : زيد اضربه ، بالرفع على جعل خبر المبتدأ جملة انشائية مثل : أين زيد ؟ ومتى القتال ؟ ونعم الرجل زيد ، على أحد الوجهين ، و " بل أنتم لا مرحبا بكم " ، وأمثال ذلك . وان تقدير القول تكلف لا حاجة اليه ، ولا يبقى معه ماذكر فى هذا المقام من التأكيد .

ويمضى السعد فيبين أن وقوع المضارع هذا الموقع من قبيل المجاز ، ووجهه : تشبيه ما هو مطلوب الوقوع بما هو متحقق الوقوع فى الماضى كما فى رحمه الله ، أو فى المستقبل أو الحال كما فى هذا المثال (٤) .

وفى قوله تعالى : " واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله " يقول الزمخشرى " لا تعبدون " اخبار فى معنى النهى ، وهو أبلغ لأنه كأنه سورع الى الانتهاء ، فهو يخبر عنه (٥) . ويؤكد السعد ذلك ، وأن المضارع فى هذا المقام يؤدى هذا الغرض البلاغى فيقول : فان قيل : ماذكر انما يصح لو كان الاخبار بلفظ الماضى ، قلنا : وكذلك بالحال . (٦)

---

(١) الحاشية ١٢ ب
(٢) الكشاف ١ / ٤٤ ، والحاشية ٥٤ أ
(٣) الكشاف ١ / ٢٠٥
(٤) الحاشية ١٧٨ ب
(٥) الكشاف ١ / ١١٨
(٦) الحاشية ١٢٣ ب

سابعا — التغليب

ذكر الزمخشري أن المراد بالمنزل في قوله تعالى " والذين يؤمنون بما أنزل اليك " هو القرآن كله والشريعة عن آخرها ، وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد ، كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان ، ولأنه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول ، جعل كأن كله قد نزل ، ويدل عليه قوله تعالى " انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى " ولم يسمعوا جميع الكتاب ، ولا كان كله منزلا ، ولكن سبيله سبيل ماذكرنا ، ونظيره قولك : كل ماخطب به فلان فهو فصيح ، ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي ، لكونه معقودا بعضه ببعض ، ومربوطا آتيه بماضيه (١)

ويجنح السعد الى بلاغة التقعيد والمنطق في تقرير هذا الكلام فيقول : يعني أن الوجه في التعبير عن الماضي والآتي بلفظ الماضي اما تغليب ماحصل له الوجود على ما لم يحصل ، واما جعل المترقب بمنزلة المتحقق ، فالأول مجاز باعتبار تسمية الكل باسم الجزء ، والثاني استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق .

ويرد على كلا الوجهين : أولا — أنه جمع بين الحقيقة والمجاز ، ولا يتصور معنى مجازي يعم المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ليكون من عموم المجاز ، والجواب أن الجمع هو أن يراد باللفظ معناه الحقيقي والمجازي على أن كلا منهما مراد باللفظ ، وههنا أريد المعنى الذي بعض أجزائه من أفراد الحقيقة دون البعض .

وثانيا — أن وجوب اشتمال الايمان على السالف والمرتقب لا ينافي الاخبار عنهم في ذلك الوقت بأنهم يؤمنون بالفعل السالف ، اذ الايمان بالمترقب انما يكون عند تحققه ، وان أريد الايمان بأن كل ماينزل فهو حق ، فهذا حاصل الآن من غير حاجة الى اعتبار تحقق نزوله . والجواب أنه لما وجب ذلك وجب في مقام الاخبار عنهم بأنهم يؤمنون بكل مايجب الايمان به — أن يتعرض لذلك ، سيما وقد أورد " يؤمنون " بلفظ المضارع المنبيء عن الاستمرار وعدم الاقتصار على الماضي .

وهذا ظاهر اذا أريد بالذين يؤمنون مطلق المؤمنين ، وأما اذا أريد الذين آمنوا من أهل الكتاب ، فلا يخلو عن تكلف ، ثم انه يتقوى الاشكال في قوله تعالى : " انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى " فان السماع لم يتعلق الا بما تحقق انزاله

---

(١) الكشاف ١ / ٣٣

بالحقيقة ، فكيف يكون سبيله سبيل ما ذكر من جعل غير المتحقق بمنزلة المتحقق ؟ غاية الأمر أن الكتاب اسم للمجموع فيجب أن يراد به البعض ، أو يحمل على المفهوم الكلي الصادق على الكل وعلى البعض ، فأشار الى دفع ذلك بقوله " ونظيره قولك : كل ما خطب به فلان فهو فصيح " يعني أن المراد في مثل هذا الكلام يكون هو الكل من الماضي والآتي جميعا ، لا الماضي فقط ، فوجب التأويل في هذه الآية أيضا بمعنى أن الكتاب كأنه قد نزل كله وسمعوه ، فالتجوز في ايقاع السماع على الكتاب المراد به الكل مع أنه لم يسمع الا بعضه .

ثم لا يخفى أن اعتبار التغليب في : انا وأنت فعلنا ، انما يكون اذا عبر أولا عن الذي مع المتكلم بطريق الخطاب أو الغيبة . بخلاف ما اذا قيل ابتداء : نحن فعلنا ، مع أن المتكلم واحد ليس الا ، لكنه جعل الآخر ايضا متكلما ، ولم يقل أحد بأنه من التغليب .(١)

ومن المواضع التي أشار السعد فيها الى التغليب وسره البلاغي قوله تعالى : " يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة " قال السعد : وصحة أمر الغائب بصيغة أفعل للتغليب ، مثل : أنا وزيد فعلنا ، وايثاره على اسكنا للاشعار بالأصالة والتبعية(٢) .

وهناك مواضع أخرى كثيرة تناول السعد فيها تغليب المذكر على المؤنث أو المخاطب على الغائب الى غير ذلك ولكنه لم يعن ببيان الأسرار البلاغية في هذا التغليب ، أو لم يذكر زيادة على ما ذكره الزمخشري فيه .

القصر

من طرق القصر التي عرض السعد لها في كتابه التقديم وقد سبق الحديث عنه .

ومنها التعريف بلام الجنس وقد ذكر أن تعريف المسند اليه بها يفيد قصره على المسند وذلك نحو : الحمد لله ، والكرم في العرب(٣) ، وتعريف المسند بها يفيد قصره على المسند اليه مثل : زيد الأمير ، وعمرو الشجاع (٤) .

وقد لاحظ السعد أن كلام الزمخشري في الفائق مشعر بأن التعريف بـلام

---

(١) الحاشية ٣٩ب ، ٤٠ أ

(٢) الحاشية ١٠٣ أ

(٣) الحاشية ٢٣ أ

(٤) الحاشية ٢٤ب

الجنس يفيد قصر المبتدأ على الخبر سواء كان المعرف بها هو المبتدأ أو الخبر ، فقد صرح الزمخشري بأن معنى قوله " فان الدهر هو الله " أن جالب الحوادث هو الله لاغيره ،فوضع الدهر موضع جالب الحوادث ،وأن معنى قوله " فان الله هو الدهر " ان الله هو الجالب للحوادث لاغير الجالب ،ردا لاعتقادهم أن الله تعالى ليس من جلبها في شيء وأن جالبها الدهر (١)

وبين السعد موقفه من هذا الكلام بقوله :

والأظهر أن قولنا : الله الجالب للحوادث ،لا يفيد الا قصر جلب الحوادث عليه مثل قولنا : الجالب للحوادث هو الله • واستشهد بما قاله صاحب المفتاح من أن قولنا :المنطلق زيد ،وزيد المنطلق ،كلاهما يفيد قصر الانطلاق على زيد (٢) وقال السعد : وكأنه رد لكلام الفائق • (٣)

لكن هل معنى هذا أن السعد يرى أن المعرف باللام من المسند أو المسند اليه يكون هو المقصور على الآخر ضربة لازب ؟ الواقع أن الأمر ليس كذلك ،بل ان السعد يحتكم الى المقام دائما في تحديد المقصور والمقصور عليه بدليل أنه ذكر أن معنى قوله تعالى " ألا انهم هم المفسدون " أنهم مقصورون على صفة الافساد لا يتجاوزونه الى الاصلاح • (٤)

وقد صرح بأن المقام هو الفيصل في هذا الأمر حيث قال : الوجه أن يقال : تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه ،وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام (٥) •

ويقول في موضع آخر : الظاهر أنه يختلف باختلاف المقامات ،والأكثر حصر مايكون فيه عموم وجنسية سواء قدم أو أخر مثل : زيد الرجل والرجل زيد ،فاذا استويا فالمبتدأ محصور على الخبر مثل : الكرم التقوى ،والتقوى الكرم ،والعالم المتقي ، والمتقي العالم (٦)

ومن طرق القصر ضمير الفصل • وقد ذكر السعد أنه لقصر المسند على المسند اليه بشهادة الاستعمال مثل : " ان الله هو الرزاق " ،و " كنت أنت الرقيب عليهم "

---

(١) الفائق ١ / ٢٠٨
(٢) مفتاح العلوم ١١٦ •
(٣) الحاشية ٤٣ أ
(٤) الحاشية ٥٨ أ
(٥) الحاشية ٥٨ أ
(٦) الحاشية ٨٦ ب

ونحو ذلك ، وقال : وهذا انما يتم اذا ثبت القصر فى مثل : كان زيد هو أفضل من عمرو ، مما الخبر فيه نكرة ، والا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ وان لم يكن هناك ضمير فصل مثل زيد الأمير وعمرو الشجاع ، وتعريف المبتدأ بلام الجنس يفيد قصره على الخبر وان كان مع ضمير الفصل كقولك : الكرم هو التقوى ، والحسب هو المال ، والدين هو النصيحة ، أى لاكرم الا التقوى ، ولا حسب الا المال ، ولا دين الا النصيحة (١) أى أن ضمير الفصل انما يفيد القصر اذا لم يكن طريق غيره ، أما اذا كان فى الكلام مايفيد القصر فضمير الفصل انما يفيد تأكيده ، سواء كان قصر المسند على المسند اليه أو بالعكس (٢) .

ومن طرق القصر " انما " وقد ذكر الزمخشرى أنها لقصر الحكم على شيء كقولك : انما ينطلق زيد ، أو لقصر الشيء على حكم كقولك : انما زيد كاتب ، ومعنى قوله تعالى " انما نحن مصلحون " أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد (٣) .

وقال السعد : يعنى أنه قصر افراد لأن نهيهم عن الافساد يشعر بأن فيهم افسادا ، فنفوا ذلك بادعاء أنهم مقصورون على الاصلاح من غير شائبة افساد ، وآثروا " انما " دلالة على أن ذلك ظاهر بين لا ينبغى أن يشك فيه ، فرد الله عليهم ذلك بقوله " ألا إنهم هم المفسدون " قصر قلب ، أى هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون فى جملة المصلحين أصلا ، مع المبالغة بالاستئناف المقصود به تمكين الحكم فى ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد السؤال والطلب ، وبالتأكيد بحرفى التنبيه والتحقيق المقصود بهما تنبه السامع للحكم وتقرره عنده بحيث لا مجال فيه للريبة ، وبتعريف الخبر المفيد للحصر ، وبتوسيط ضمير الفصل المؤكد لذلك ، وبقوله " ولكن لا يشعرون " الدال على أن كونهم مفسدين مما ظهر ظهور المحسوس لكن لا احساس لهم ليدركوه (٤) .

ومنها : النفى والاستثناء كما فى قوله تعالى : " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " ذكر الزمخشرى أن المعنى أن الرسول

---

(١) الحاشية ٤١ ب ، ٤٢ ب
(٢) الحاشية ٥٨ أ
(٣) الكشاف ١ / ٤٨ — ٤٩
(٤) الحاشية ٥٧ ب ، ٥٨ أ

سيخلو كما خلت الرسل من قبله ،وكما أن اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم ، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه ، والفاء في " أفان مات " معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب ،والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه ،مع أن علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (١) .

وقرر السعد القصر في الآية الكريمة بما يتفق وما ذكره الزمخشري ،وبين أنه يخالف ماذهب اليه السكاكي في هذا المقام فقال : صرح صاحب المفتاح بأنه قصر افراد اخراجا للكلام لا على مقتضى الظاهر بتنزيل استعظامهم هلاكه منزلة استبعادهم اياه وانكارهم ،حتى كأنهم اعتقدوا فيه وصفين : الرسالة ،والتبرؤ عن الهلاك ،فقصر على الرسالة نفيا للتبرؤ عن الهلاك (٢) . وفيه بعد من جهة عدم اعتباره الوصف ،أعني " قد خلت من قبله الرسل " حتى كأنه لم يجعل وصفا ،بل ابتداء كلام لبيان أنه ليس متبرئا عن الهلاك كسائر الرسل . وعلى اعتبار الوصف لا يكون القصر الا قصر قلب ، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم ،فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما خلوا ، ويجب التمسك بدينه بعده ، كما وجب التمسك بدينهم بعدهم ،فرد عليهم بأنه ليس الا رسولا كسائر الرسل ، سيخلو كما خلوا ،ويجب التمسك بدينه كما وجب بدينهم ،وهذا صريح كلام المصنف .

ومن زعم أنه يلزم من حمله على قصر القلب أن يكون المخاطبون منكرين للرسالة فقد أخطأ خطأ بينا وذهل عن الوصف (٣) . ثم لا خفاء في أن الفاء في " أفان مات " تفيد تعليق الجملة الشرطية ،أعني مضمون الجزاء مع اعتبار التقييد بالشرط بالجملة قبلها وهي " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل " تعليقا على وجه تسببها عن الجملة السابقة وترتبها عليها وتوسيط الهمزة لانكار ذلك ،أي لا ينبغي أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه ،بل سببا لتمسكهم بدينه كما هو حكم سائر الأنبياء ،ففي انقلابهم على أعقابهم تعكيس لموجب القضية المحققة التي هي كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل (٤) .

---

(١) الكشاف ١ / ٣٢٦
(٢) مفتاح العلوم ١٥٧
(٣) الحاشية ٢٣٨ أ
(٤) الحاشية ٢٣٨ أ

وقد لاحظ السعد أن الزمخشري قد جمع في عبارته أكثر من مرة بين طريقي : النفي والاستثناء ، والعطف بلا ، مع أن ذلك ممتنع ، واستشهد لهذا الامتناع برأى عبد القاهر ، والسكاكي ، ففي قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : " زين للناس حب الشهوات " : ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير [١] يقول السعد : عبارة " ما هو الا شهوات لا غير " مما منعه عبد القاهر والسكاكي . والاعتذار بأن " لا " في " لا غير " لنفي الجنس لا للعطف ، وهو اختيار بعض النحاة ، ليس بشيء ، لأن مثل هذا واقع في هذا الكتاب كثيرا حيث لا طريق سوى العطف كقوله : وما كان ذلك الاختلاف الا حسدا لا شبهة في الاسلام [٢] . وقد يعتذر بأنها صفة كما في : بقرة لا فارض ، وظل لا بارد ، وهو من جهة المعنى بعيد جدا .

واحتج عبد القاهر على هذا الامتناع بأن شرط المنفي بلا العاطفة أن لا يكون منفيا قبلها بشيء من أدوات النفي ، لأنها موضوعة لأن تنفي بها ما أوجبته للمتبوع لا لأن تفيد بها النفي في شيء قد نفيته . [٣]

هذا وقد لا يكون هناك طريق من طرق القصر ، ولكنه يستفاد من المقام ، كما في قوله تعالى : " فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " يقول الزمخشري : أي لزمتكم الحجة ، فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم [٤] .

ويقول السعد : والحصر مستفاد من المقام [٥] .

وقد يستفاد القصر من تعليق الحكم بالوصف ، يقول السعد : وتقرير كلام المصنف مشعر بأن في قوله تعالى " أولئك على هدى " اختصاصا ، اذ المعنى أولئك الموصوفون بالصفات المذكورة على هدى ، فينبنى الحكم على الوصف ، فينتفي بانتفائه [٦]

الفصل والوصل

قرر الزمخشري ضرورة التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه ، وكذلك ضرورة التغاير

---

(١) الكشاف ١ / ٢٦٣ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٦٦ .
(٣) دلائل الاعجاز ٢٣٥ والحاشية ٢٠٩ ب
(٤) الكشاف ١ / ٢٨٤
(٥) الحاشية ٢٢٣ ب
(٦) الكشاف ١ / ٣٤ ، والحاشية ٤٠ ب

فلا يأتى العاطف بين الجمل المنفصلة غاية الانفصال ، أو المتصلة غاية الاتصال ، بل لابد من التوسط بين الأمرين .

ففى قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " جاء العاطف لاختلاف الخبرين ، بخلاف قوله تعالى : " أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " لاتفاق الخبرين لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شىء واحد (١) .

ويوضح السعد ذلك بقوله : ان الخبرين فى الآية الأولى بينهما اختلاف وتمايز فى التعقل والوجود ، اذ الهدى حاصل فى الدنيا ، وانما الفلاح فى الآخرة ، مع مابينهما من المناسبة ، فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ، فلذا جاء الكلام مع العاطف ، وهذا بخلاف كالأنعام ، والغافلون ، فانهما شىء واحد بحسب المقصود والمآل (٢) .

وفى قوله تعالى : " ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون .. " ذكر الزمخشرى أن سر الفصل بين قصة المؤمنين وقصة الكفار أن الأولى مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين ، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت ، فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب . (٣)

ويقول السعد : أما التباين فى الغرض فظاهر ، اذ الغرض من الأولى بيان أن الكتاب بالغ فى الهداية حد الكمال تقريرا لنفى الريب عنه ، وتحقيقا لكونه ذلك الكتاب الكامل ، ومن الثانية وصف الكفار بأنه لا تجدى عليهم الألطاف ولا يؤثر فيهم الانذار . وأما فى الأسلوب فلأن طريق الأولى الحكم على الكتاب بجملة محذوفة المبتدأ موصول بخبرها ذكر المتقين وأحوال المؤمنين . وطريق الثانية الحكم على الكافرين قصدا بجملة تامة مصدرة بان المشعرة بالأخذ فى فن آخر .

ويؤكد السعد هذا التباين بين القصتين ، ويبعد شبهة أن يكون الغرض من الأولى هو الغرض من الثانية فيقول : فان قيل : كما أن الأولى مسوقة لوصف الكتاب بأنه هدى للمتقين ، كذلك الثانية مسوقة لوصفه بأنه ليس بهدى لأضدادهم ، قلنا : الحكم على الكفار بأن وجود الكتاب وعدمه سواء عليهم لا يقتضى أن يكون كون الكتاب بهدى ،

---

(١) الكشاف ١ / ٣٥ .
(٢) الحاشية ٤٢ ب
(٣) الكشاف ١ / ٣٦ .

المثابة غرضا مسوقا له الكلام ، على أن الغرض من وصف الكتاب في هذا المقام تفخيم شأنه وذلك في الانتفاع به دون عدم الانتفاع (١) .

واذا كان التباين في الغرض سببا للفصل بين قصة المؤمنين وقصة الكافرين ،فان التناسب في الغرض هو سر الوصل بين قصة الكافرين وقصة المنافقين التي تبدأ بقوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين .. " يقول الزمخشري : وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا ،كما تعطف الجملة على الجملة (٢) .

ويبين السعد أن القدر المشترك الذي ينبغي وجوده لتصحيح عطف قصة على قصة هو تناسب الغرضين ولا يتكلف لجملة من هذه مناسبة مع جملة من تلك ،ولا يضر باشتمال احداهما على مالا يناسب المذكور في الأخرى (٣) .

واذا كان الأمر كذلك فليس من اللازم أن يتناسب الكلام المعطوف مع المعطوف عليه خبرا وانشاء فقد يعطف الانشاء على الخبر ،بل انه كثير كما ذكر السعد في قوله تعالى : " ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون " أن قوله " ولبئس ماشروا " عطف على جملة القسم والجواب أو على الجواب . وقال : وعطف الانشاء على الاخبار كثير (٤) .

وفي قوله تعالى : " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا " يقول الزمخشري : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه ،انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ،فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين ولك أن تقول : هو معطوف على قوله " فاتقوا " كما تقول يابني تميم ،احذروا عقوبة ماجنيتم وبشر يافلان بني أسد باحساني اليهم .(٥)

وبعد أن يقرر السعد ماذكره الزمخشري في الوجه الأول يقول : وحاصله : أنه عطف مجموع على مجموع لا باعتبار عطف شيء من هذا على شيء من ذلك ، وقد يقع

(١) الحاشية ٤٤ أ .
(٢) الكشاف ١ / ٤٢
(٣) الحاشية ٥١ أ
(٤) الحاشية ١٣٠ أ
(٥) الكشاف ١ / ٧٨

مثل هذا فى المفردات كما قيل فى قوله تعالى : " هو الأول والآخر والظاهر والباطن " : أن الواو الوسطى لعطف مجموع الصفتين الأخيرتين على مجموع الأوليين .

أما الوجه الثانى وهو العطف على " فاتقوا " فيذكر السعد وجه ربطه بالشرط أى " فان لم تفعلوا " وهو أن تبشير المصدقين أيضا مترتب على عدم معارضة الكفرة القرآن ، والا لم يكن معجزا ، فلا يثبت صدق النبى ، ولا يكون تصديقه وسيلة الى نيل الثواب ، كأنه قيل : فان لم تأتوا بسورة من مثله ، فقد ثبت صدقه ، فاتركوا العناد واتقوا النار أيها الكافرون ، وبشر المؤمنين بالجنات أيها النبى أو أيها المبشر .

ويشير السعد الى مافى الوجهين من البعد ، ويعرض لرأى السكاكى فى هذا المقام ، ووجه البعد والتكلف فيه ، ويبين رأى الخطيب القزوينى أيضا وان لم يصرح بنسبته اليه ، فيقول :

ولما فى الوجهين من البعد سيما الثانى ، فان ربطه بالشرط تكلف ، وعطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر من غير تصريح بالنداء مما منعه النحاة ، ذهب صاحب المفتاح الى أنه عطف على " قل " مرادا قبل " يا أيها الناس " كأنه قيل : قل كذا وكذا وبشر المؤمنين " (١) ولما فيه من البعد من جهة اشتمال الكلام السابق على قوله : " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا " وهو لا يصلح مقولا للنبى صلى الله عليه وسلم الا بتكلف ، وهو أن يكون مسوقا على طريق كلام الآمر ، أو يكون المقصود ذكره بعبارة تليق بحاله ، مثل : وان كنتم فى ريب مما نزله الله على ، ذهب بعضهم الى أنه عطف على " قل " مرادا قبل " فان لم تفعلوا " أو على محذوف يقابل " بشر " أى فأنذر الكافرين وبشر المؤمنين (٢) .

والاستئناف يعرض له الزمخشرى فى قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب " وقوله : " أولئك على هدى من ربهم " يقول : انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف ، وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على " أولئك " كأنه قيل : ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا .. واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجىء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث ، وتارة

---

(١) مفتاح العلوم ١٤١

(٢) بغية الايضاح ٢ / ٨٧ ، والحاشية ١٨٧ أ .

باعادة صفته ،والثانى أبلغ لاشتماله على بيان الموجب وتلخيصه (١) .

ويذكر السعد أن هذا النوع الذى تحدث عنه الزمخشري هو الذى يكون جوابا عن سؤال سبب الحكم ،بخلاف النوع الذى لا يكون كذلك ،كقوله :

قال لي : كيف أنت؟ قلت: عليل

سهر دائم وحزن طويل

وتساءل السعد قائلا : فان قلت: الاعادة باسم الاشارة من أى قبيلى هذا النوع ؟ وأجاب بأن الظاهر أنه من قبيل : الاعادة بالصفة ،لأنه اشارة الى الموصوف بالصفات، لا الى نفس الذات (٢) .

ومن وجوه المبالغة التى ذكرها السعد للاستئناف تمكين الحكم فى ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد السؤال والطلب . (٣) ونراه يفضل دائما الاستئناف ويرجحه اذا كان له وجه ،ففى قوله تعالى : " انا معكم انما نحن مستهزئون " ذكر الزمخشري وجوها ثلاثة : التوكيد ،والبدل ،والاستئناف (٤) ،ويتناول السعد تلك الوجوه بالتحليل ،مبينا رأى السكاكى فى هذا المقام ،ذاكرا ماعليه أرباب البيان فى الجمل التى لا محل لها من الاعراب ،منتهيا الى أن الأوجه والأرجح هو الاستئناف ،فيقول : لما لم يكن ظاهر كونهم مستهزئين تكريرا وتقريرا لموافقتهم الشياطين فى الثبات على اليهودية ،أخذ منه لازما جعل باعتباره تقريرا وتأكيدا ، وهو أنه نفي ورد للاسلام ،فيكون اثباتا وقبولا للكفر ،فيكون تأكيدا . وعكس صاحب المفتاح فأخذ من الأول لازما ،وهو انا نوهم أصحاب محمد الايمان ، فيكون الاستهزاء بهم والاستخفاف بدينهم تقريرا لذلك . (٥)

وأما البدل فلا يحتاج الى اعتبار أخذ اللازم فى أحد الجانبين ،ويكفى تصادق الثابت على الباطل والمستهزئ بالحق ،مع كون الثانى أوفى بالمقصود لما فى الأول من بعض القصور ،حيث يوافقون المسلمين فى بعض الأمور ،ثم الظاهر أنه بمنزلة بدل الكل .

وأرباب البيان لا يقولون بذلك فى الجمل التى لا محل لها من الاعراب ، ويعنون بما لا محل له مالا يكون خبرا أو صفة أو حالا ،وان كان فى موقع المقول

---

(١) الكشاف ١/ ٣٤
(٢) الحاشية ٥٠ب
(٣) الحاشية ٥٨ أ
(٤) الكشاف ١/ ٥٠
(٥) مفتاح العلوم ١٤٦

للقول ، فلذا كان الأوجه هو الاستئناف لظهور مظنة السؤال (١) .

وفي قوله تعالى : " الله يستهزئ بهم " يقول الزمخشري : هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله هو الذي يتولى بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء .. وأن الله هو الذي يستهزئ بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله . (٢)

ويضيف السعد مقررا عظمة الاستئناف في هذا المقام ، ومبعدا شبهة أن يكون ترك العطف هنا لسبب آخر غيره ، ومبينا ما دل عليه تصدير الجملة باسم الله الجامع لصفات الكمال ، مع بناء الفعل عليه لافادة الاختصاص ، من زيادة في فخامة الاستئناف وتعظيم لشأن المؤمنين ، فيقول :

قوله : " هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة " حيث دل على غاية شناعة ما ارتكبوه وتعاظمه على القلوب والأسماع ، بحيث يتوجه للسامع أن يقول : الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم ، وعقبى حالهم ، وكيف معاملة الله اياهم ؟ يعني ليس ترك العطف لمجرد دفع أن يتوهم عطفه على " انا معكم " فيكون من مقول المنافقين ، أو على " قالوا " فيقيد بالظرف ، أعني " اذا خلوا " .

ثم لم يصدر الاستئناف بذكر المؤمنين مع أنهم الذين يستهزئ المنافقون بهم ، وكان ينبغي أن يقابلوهم ويعارضوهم ، بل بذكر اسم الله تعالى الجامع لصفات الكمال ، مع بناء الفعل عليه لافادة الاختصاص ، فدل على أن الاستهزاء بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي يضمحل في جنبه استهزاؤهم ، لصدوره عن يضمحل في جنب علمه وقدرته علمهم وقدرتهم ، وعلى أن الله تعالى يكفي مؤنة المخلصين من عباده ، وينتقم لهم ، ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين باستهزاء هو مجرد سخرية واستخفاف ، وفيه تعظيم لشأن المؤمنين ، وهذا زيادة في فخامة الاستئناف (٣) .

الايجاز

أولا — ايجاز القصر

وذلك كما في قوله تعالى : " هدى للمتقين " اذ لو جيء بالعبارة المفصحة عنه لقيل : هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال (٤) .

---

(١) الحاشية ٦٠ أ ، ب

(٢) الكشاف ١ / ٥١

(٣) الحاشية ٦٠ ب

(٤) الكشاف ١ / ٢٨ ، والحاشية ٣٥ أ

ثانيا - ايجاز الحذف

ولقد عرض السعد في هذا الكتاب لكثير من أسراره البلاغية في صوره المختلفة .
ففي قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب " حذف الفعل أو المبتدأ ، أي أعني أو هم ،على أنه مدح منصوب أو مرفوع كما ذكر الزمخشري (١) .

وبين السعد وجه دلالة مثل هذا النصب أو الرفع على مايقصد به من المدح أو الذم ،وأن الحذف قد يكون للاهتمام بالمذكور لنكتة يقتضيها المقام ،فقال : ان في هذا الافتنان بمخالفة الاعراب وتغيير المألوف زيادة تنبيه وايقاظ للسامع ، وتحريك من رغبته في الاستماع ،وذلك سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ ،وهو أدل دليل على الاهتمام بالمذكور ،وذلك يكون لمدح أو ذم أو نحو ذلك مما يعينه المقام . (٢)

ومن الحذف للدلالة على أن الاهتمام بالمذكور أكثر قوله تعالى : " ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون " قال الزمخشري : ومتعلق اللام محذوف ،معناه : ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك (٣) .

وأوضح السعد أن الزمخشري قدر المحذوف متأخرا قصدا الى الاختصاص ، والى أن الحذف دليل على أن الاهتمام بالمذكور أكثر (٤) .

ومن ألطف الأسرار البلاغية للحذف ماجاء في قوله تعالى : " وأشربوا في قلوبهم العجل " فقد ذكر الزمخشري أن معناه : تداخلهم حبه والحرص على عبادته ، كما تداخل الثوب الصبغ (٥) .

وقال السعد : يريد أنه على حذف المضاف ،وأنه من قولهم : أشرب الثوب الصبغ ،اذا تداخل الصبغ أجزاءه تداخل الماء أعضاء الشارب كأنه جعل شاربا اياه . وفي حذف المضاف واسناد " أشرب " الى أنفسهم من المبالغة مالا يخفى ،كأنهم أشربوا بجملتهم العجل نفسه . (٦)

وقد يحذف المضاف رعاية للمناسبة كما في قوله تعالى : " وادعوا شهداءكم من دون الله " فقد جوز الزمخشري أن يكون المعنى : من دون أولياء الله ،على أن المراد بالشهداء الرؤساء . (٧)

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩
(٢) الحاشية ٣٦ أ
(٣) الكشاف ١/ ١٥٤
(٤) الحاشية ٤٦ أ
(٥) الكشاف ١/ ١٢٤
(٦) الحاشية ٦٦ ب
(٧) الكشاف ١/ ٧٦

وقال السعد : فاعتبر حذف المضاف رعاية للمناسبة بأن يقع في مقابلة أولياء الأصنام أولياء الله (١) .

ومن حذف المضاف اليه قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها " أي أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء كما ذكر الزمخشري (٢)
وقال السعد : انما احتاج الى اعتبار هذا الحذف ليتحقق مرجع ضمير " عرضهم " وينتظم " أنبئوني بأسماء هؤلاء " ، ولم يجعل المحذوف مضافا الى مسميات الأسماء لينتظم تعليق الانباء بالأسماء فيما ذكر بعد التعليم (٣) .

وقد يحذف الموصوف اذا كانت الصفة غالبة عليه كما في قوله تعالى "وبالآخرة هم يوقنون " والآخرة صفة الدار ، بدليل قوله تعالى : " تلك الدار الآخرة " وهي من الصفات الغالبة ، وكذلك الدنيا ، ولهذا قل ذكر الموصوف معهما . (٤)

أما حذف المفعول فقد يكون لعدم تعلق الغرض بذكره ويكون القصد الى الفعل نفسه غير متعد الى شيء ، كما في قول الزمخشري في مقدمة الكشاف : وميز بينهن بفصول وغايات (٥) " يقول السعد : والفعل في مثل : ميز بينهما ، وجمع بينهما منزل منزلة اللازم ، أي أوقع التمييز والجمع بينهما (٦) .

وكما في قوله تعالى : " وتركهم في ظلمات لا يبصرون " فالمفعول الساقط من " لا يبصرون " متروك مطرح لا يلتفت الى اخطاره بالبال ، والفعل جعل بمنزلة غير المتعدي (٧) .

وكذلك في قوله تعالى : " ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب " فالذين ظلموا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن مايرون من العذاب انما هو بفاحش ظلمهم الذي هو الشرك المدلول على عظمه وبلوغه الغاية باطلاق الفعل وترك المتعلق ، مثل : فلان يعطي (٨) .

وقد يكون حذف المفعول للابهام كأنه لا تحيط به العبارة ، كما في قوله تعالى : " وسنجزي الشاكرين " قال الزمخشري مشيرا الى المفعول المحذوف : الجزاء

---

(١) الحاشية ٨٤ أ
(٢) الكشاف ١ / ٩٤
(٣) الحاشية ١٠١ ب
(٤) الكشاف ١ / ٢٣ ، والحاشية ٤٠ أ
(٥) مقدمة الكشاف / ي
(٦) الحاشية ٨ أ
(٧) الكشاف ١ / ٥٦ ، والحاشية ٦٧ ب
(٨) الكشاف ١ / ١٥٩ ، والحاشية ١٤٨ ب

المبهم (١) .

وأوضح السعد أن ذلك مستفاد من ترك ذكره ، وقال : وليس معنى الابهام العموم ، بل الذي لا يكاد يدخل تحت البيان (٢) .

ويذكر الزمخشري أنه قد تكاثر حذف مفعول شاء وأراد ، ولا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله :

فلو شئت أن أبكي دما لبكيته (٣)

ويوجه السعد ذكر المفعول الغريب بأنه لغرابته لا يكتفى فيه بقرينة الجواب ، بل يصرح به تسجيلا ، ويقول : والاستعمال شاهد بذلك ، والتعليل بأنه لو حذف فقيل : لوشئت أن أبكي بكيت دما ، لاحتمل أن يكون المراد : لوشئت أن أبكي دمعا بكيت دما ، كما قال الآخر :

فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا

أى لخرج بدل الدمع التفكر ، ليس بمستقيم ، لأن الكلام في مفعول المشيئة ، فلو قيل : لو شئت بكيت دما ، واكتفى بقرينة الجواب لم يحتمل سوى لو شئت أن أبكي دما لبكيته (٤) .

ومن ألوان الايجاز التى وردت كثيرا في الكتاب التضمين ، ومن ذلك قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب " فقد ذكر الزمخشري أن الايمان قد عدى بالباء لتضمينه معنى الاعتراف ، فمعنى يؤمنون بالغيب يعترفون به . (٥)

وقال السعد : حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه ، وهو كثير في كلام العرب ، فان قيل : الفعل المذكور ان كان في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر ، وان كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي ، وان كان فيهما جميعا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، قلنا هو في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ، فقولنا : أحمد اليك فلانا ، معناه : أحمده منهيا اليك حمده ، ويقلب كفيه على كذا ، معناه : نادما على كذا ، وقد يعكس كما يشعر به قوله " يعترفون به " ، ولابد من اعتبار الحال أى يعترفون به مؤمنين ، والا لكان مجازا محضا لاتضمينا .

---

(١) الكشاف ١/ ٣٦٦
(٢) الحاشية ٢٣٨ ب
(٣) الكشاف ١/ ٦٦
(٤) الحاشية ٧٥ ب
(٥) الكشاف ١/ ٣٠

وربما يقال : ان ذكر صلة المتروك يدل على زيادة القصد اليه فجعله أصلا والمذكور حالا وتبعا أولى • ويجاب بأن ذكر صلته دلالة على اعتباره فى الجملة ، لا على زيادة القصد اليه ، اذ لا دلالة بدونه • فتعين جعل الأصل أصلا والتبع حالا (١) •

ولابد للحذف من قرينة تجوزه ومن داع يرجحه ، اذ الذكر هو الأصل ، ويفسر السعد ما ذكره الزمخشرى فى ذلك فى قوله تعالى : " فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم " حيث حذف جواب لما ، فيقول :

أما الأول (أى قرينة الحذف) فهو أن الغرض من التمثيل بيان حالهم ، وأنهم عقيب أدنى اضاءة وانتفاع بظاهر الاسلام واقعون فى ظلمة وعقاب سرمد • وكلمة "لما " تقتضى جوابا ، والجملة أعنى " ذهب الله بنورهم " لا تصلح لذلك ظاهرا لما فيها من الموانع المفتقرة الى التأويل والصرف عن الظاهر فيكون دالا لاشتمال مضمونها على ما هو المقصود ، أى خمدت النار فبقى المستوقد خابطا متحيرا خائبا متحسرا ونحو ذلك •

وأما الثانى (أى وجه ترجيح الحذف) فهو أن فى الحذف ايجازا وتوصلا بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى ، ومبالغة فى سوء حال المستوقد ، من جهة الاشارة الى أنه بحيث لا تحيط به العبارة (٢) •

ثم يضيف السعد اضافة جيدة يكشف بها عن اسهام الحذف فى بلاغة التمثيل الذى سيقت له الآية الكريمة ، وفى قوة ارتباطه بالتمثيل الآتى بعده فيقول : واذا كان الحذف أبلغ ، كانت المبالغة فى المشبه به المستلزمة للمبالغة فى المشبه أكثر ، وكان هذا التمثيل بالتمثيل الآتى أعنى قوله : " أو كصيب من السماء " الى آخره أوفق ، لما فيه من المبالغات ، سيما والاستئناف المذكور من جهة المعنى ادراج فى ذلك ، فتحصل غاية المبالغة والموافقة (٣) .

الاطنـــــــاب

أولا — الايضاح بعد الابهـــــام

يقول الزمخشرى فى قوله تعالى : " فسواهن سبع سموات ": الضمير فى "فسواهن "

---

(١) الحاشية ٣٧ أ
(٢) الكشاف ١ / ٥٥ ، والحاشية ٦٦ أ
(٣) الحاشية ٦٦ ب

ضمير مبهم ، و " سبع سموات " تفسيره ، كقولهم : ربه رجلا (١) .

ويضيف السعد شواهد أخرى ، ويبين السر البلاغي لهذا النوع من الاطناب فيقول : جعل الضمير مبهما مفسرا بسبع سموات مثل : ربه رجلا ، ونعم رجلا ، ويالها قصة ، وياله أمرا ، وويلها زوجة ، وهو كثير في كلامهم ، وفيه من التشويق والتفخيم والابهام ثم التفسير ، والتمكين في النفس ، ونحو ذلك مالا يخفى (٢) .

ثانيا — ذكر الخاص بعد العام

وذلك كما في قول الزمخشري في مقدمة الكشاف : والصلاة والسلام على خير من أوحي اليه .. وعلى آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار (٣) . يقول السعد : ان كان المراد بآله الأطهار المؤمنين الاتقياء فعطف الأختان والأصهار والمهاجرين والأنصار لزيادة الشرف والفضيلة (٤) .

وكما في قوله : " ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي " خصوصا (٥) يقول السعد : يعني أنه داخل في الذين اتبعوه وانما خص بالذكر لشرفه . (٦)

وفي قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا " ذكر الزمخشري أن المصابرة باب من الصبر ذكر بعد الأمر بالصبر المفيد باطلاقه الصبر على كل مايجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته (٧) . وقال السعد : وانما خص بعد العموم لشدته وصعوبته فكان أكمل وأفضل من الصبر على ماسواه ، فيكون كعطف جبريل على الملائكة ، والصلاة الوسطى على الصلوات . (٨)

ثالثا — التكرير

يقرر السعد ماذكره الزمخشري من أن كل تكرير جاء في القرآن فالغرض منه تمكين المعنى الذي كرر في النفوس وتقريره ، ولذلك لم تعدد أسماء السور كألم وغيرها في أول القرآن جملة واحدة ، لأنه لما كان الغرض منها التبكيت والالزام والايقاظ وتحريك النظر ، كان اعادة التنبيه سواء مع تكرير اللفظ كما في سورة البقرة وآل عمران أو بدونه كما في ألم وحم وغير ذلك أوصل الى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد

---

(١) الكشاف ١/ ٩٢

(٢) الحاشية ١٠٠ أ

(٣) مقدمة الكشاف/ى

(٤) الحاشية ١٠ أ

(٥) الكشاف ١/ ٢٨٥

(٦) الحاشية ٢٢٣ ب

(٧) الكشاف ١/ ٣٥٤

(٨) الحاشية ٢٥١ أ

ذكره مرة واحدة (١) .

ومن أسرار التكرير أن يتعلق بالثاني غرض غير الذى تعلق بالأول • وذلك كقوله تعالى : " قلنا اهبطوا منها جميعا " فقد ذكر الزمخشرى أنه كرر (أى فى الآيتين ٣٦ ، ٣٨ من سورة البقرة) للتأكيد ، ولما نيط بالثانى من زيادة قوله " فاما يأتينكم منى هدى ... " (٢) .

ويقول السعد : فان قيل : ان ما ذكر لا يصلح علة للتكرير اذ أمكن أن تناط الزيادة بالأول من غير تكرير ، قلنا : ان ذلك ليكون بيان حال فريقى المؤمنين والكافرين (أى بقوله " فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ") كالمذكور قصدا ، حيث استؤنف له ذكر الأمر بالهبوط ليرتب عليه الابتلاء بالتكليف . (٣)

ويشير السعد الى سر تكرير قوله تعالى : " يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم " فى الآيتين ٤٠ ، ٤٧ من سورة البقرة فيقول : انما أعاد النداء والأمر بذكر النعم لكونه أخذا فى تحديد النعم على التفصيل (٤) .

وفى قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك " الآية يذكر السعد أنه أعيد الموصول ولم يكتف بعطف الصلات للدلالة على مزية تلك الصفات ، حتى كأن الموصوف بها غير الموصوف بما سبق . (٥)

وفى قول الزمخشرى فى تفسير قوله " ألم " : وهم أمراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب (٦) • يقول السعد : وانما أعاد المسند اليه لأن الثانى بيان لكمال ارادتهم ، والأول لكمال قدرتهم (٧) .

ويلاحظ السعد سر اعادة الجار فى قوله تعالى : " أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض " وأنه للدلالة على استقلال كل من الانفاقين (٨) .

ويذكر الزمخشرى أن قوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

---

(١) الكشاف ١ / ٢٤ ، والحاشية ٢٠٣ ب
(٢) الكشاف ١ / ٩٦
(٣) الحاشية ١٠٤ أ
(٤) الحاشية ١٠٩ أ ، ب
(٥) الحاشية ٦٣ ب
(٦) الكشاف ١ / ٢٢
(٧) الحاشية ١٣١ أ
(٨) الحاشية ١٩٧ أ

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه " الى قوله " يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه " قد تكرر فيه قوله " ويحذركم الله نفسه " ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه . (١)

ولكن السعد يرى أن الأحسن مما ذكره الزمخشري ماقيل أن ذكره أولا للمنع عن موالاة الكافرين ، وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل السوء . (٢)

وقد يكون التكرير لطول الفصل كقوله تعالى : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر .. " وقد أورد السعد ماذكره ابن جني في سر تكرير " قال " وهو أنه لطول الكلام ، وللانتقال من الدعاء لقومه الى الدعاء على آخرين (٣) .

وفي قول الزمخشري : والمراد بالمرض مافي قلوبهم من سوء الاعتقاد .. أو يراد ماتداخل قلوبهم من الضعف والجبن (٤) . يذكر السعد أنه كرر الارادة ولم يقل : ومن الضعف والجبن لطول الفصل (٥) .

رابعا — التذييل

كقوله تعالى : " أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل " فقد ذكر السعد أن الآية ذيلت بقوله : " ومن يتبدل الكفر بالايمان " وأن الزمخشري فسره بترك الثقة بالآيات المنزلة واقتراح غيرها ، ليرتبط بما قبله من الكلام (٦) .

وقوله تعالى : " فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " قال الزمخشري في تفسيره : فكذلك أبى واستكبر كقوله " كان من الجن ففسق عن أمر ربه (٧) " .

ورأى السعد أن الزمخشري يريد بهذا التفسير أن قوله " وكان من الكافرين " تذييل للتعليل ، كما تفصح الفاء في قوله " ففسق عن أمر ربه " عن أن خروجه عن

---

(١) الكشاف ١ / ٢٧٠
(٢) الحاشية ٢١٦ أ
(٣) الحاشية ١٣٦ أ
(٤) الكشاف ١ / ٤٥ — ٤٦
(٥) الحاشية ٥٥ ب
(٦) الحاشية ١٣١ أ ، والكشاف ١ / ١٣١ .
(٧) الكشاف ١ / ٩٥

الطاعة وانقياد أمر السجود كاف بسبب كونه من جنس الجن أى من كفرتهم (١).

وقوله تعالى: " لله مافى السموات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم " يقول السعد ان قوله " لله مافى السموات ومافى الأرض" وتعقيبه بتعليق المغفرة والتعذيب بالمشيئة ، ثم تذييله بقوله " والله غفور رحيم " دليل على أنه يفعل مايشاء من غير وجوب عليه ولا استحقاق من العبد (٢).

خامسا ـ التكميل

يقول الزمخشري في مقدمة الكشاف: أفحم به من طولب بمعارضته . (٣)

ويلاحظ السعد أن لفظة " به " دفع لما عسى يتوهم من اسناد الافحام الى الله تعالى أن الاعجاز بالصرفة ، اذ المختار أنه بكمال البلاغة ، على مايشير اليه سوق الكلام . (٤)

ويقول الزمخشرى أيضا : وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها . (٥)

ويقول السعد مبينا مافى هذا القول من التكميل : مسترسل الطبيعة : سهل الوصول الى حقائق المعانى والقبول لها ، ومع ذلك له اشتعال وتوقد ، أى نفوذ فى الدقائق ، فالتوقد تكميل للاشتعال ، والاشتعال للاسترسال ، يعنى له طبيعة كالماء والنار . (٦)

وفى قوله تعالى: " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " يقول الزمخشرى فى تفسير " ذلك بما عصوا .. " : بسبب ارتكابهم أنواع المعاصى واعتدائهم حدود الله مع كفرهم بآيات الله . (٧)

ويذكر السعد أنه صرح بقوله " مع كفرهم " لئلا يتوهم أن هذا اضراب عن السبب الأول ، بل كل منهما سبب بالاستقلال (٨).

سادسا ـ التتميم

كقوله تعالى : " ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد " فقد قال الزمخشرى فى

---

(١) الحاشية ١٠٣ أ
(٢) الحاشية ٢٣٥ أ
(٣) مقدمة الكشاف/ى
(٤) الحاشية ٩ أ
(٥) مقدمة الكشاف/ك
(٦) الحاشية ١٠ ب
(٧) الكشاف ١/ ١٠٩
(٨) الحاشية ١١٦ أ

تفسيره : يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد ، لأنهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه ، دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه . (١)

وذكر السعد أن قوله " والله رؤوف بالعباد " على هذا التفسير من قبيل التتميم (٢) .

سابعا ـ الاعتراض

تحدث السعد عن الاعتراض فعرفه وذكر ماقيل عن موقعه وغرضه البلاغي ، فقال :ـ هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لهما من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام ، وجوز بعضهم كونه لدفع الايهام ، وبعضهم كونه في آخر الكلام . وأما اشتراط كونه للتأكيد فمما لم نسمعه . (٣)

أما مذهب الزمخشري في الاعتراض فقد تحدث السعد عنه مطبقا لهذا المذهب على ماذكره الزمخشري في قوله تعالى " أو كصيب من السماء .. " الآيتين فقد ذكر أن جملة " والله محيط بالكفرين " اعتراض لا محل لها . (٤)

وقال السعد : من مذهبه أن الاعتراض قد يكون في آخر الكلام كقوله تعالى : " ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥) " ، وذلك لأن كلا من الجمل الثلاث أعني : يجعلون ، ويكاد ، وكلما أضاء ، استئناف مستقل ، منشأ الأول : ورعد ، والأخيرين : وبرق ، فيكون " والله محيط بالكافرين " في آخر الكلام . والنكتة في الاعتراض التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد . (٦)

ومن الاعتراض في أثناء الكلام قوله تعالى : " قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى واني سميتها مريم " قال الزمخشري : " اني سميتها مريم " معطوف على " اني وضعتها أنثى " وما بينهما جملتان معترضتان ، كقوله تعالى : " وانه لقسم لو تعلمون عظيم " (٧) .

---

(١) الكشاف ١ / ٢٧٠
(٢) الحاشية ٢١٦ أ
(٣) الحاشية ٤٦ ب
(٤) الكشاف ١ / ٦٥
(٥) حيث جوز الزمخشري أن يكون قوله " وأنتم ظالمون " اعتراضا بمعنى : وأنتم قوم عادتكم الظلم . انظر الكشاف ١ / ١٢٤ .
(٦) الحاشية ٤٧ ب
(٧) الكشاف ١ / ٢٧٣

وبين السعد أن الاعتراض الأول وهو قوله " والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى "جملتان متعاطفتان والثاني جملتان متداخلتان ، لأن قوله " لو تعلمون " اعتراض بين الموصوف والصفة ، وان مع اسمها وخبرها اعتراض بين القسم أي " فلا أقسم بمواقع النجوم " وجوابه أي " انه لقرآن كريم "(١) .

ثم قال : فان قيل (أي في آية مريم) : الجملتان المعترضتان من كلام الله تعالى من غير حكاية ، وما فيه الاعتراض أعني " اني وضعتها " و " اني سميتها " من كلام امرأة عمران فكيف ذلك ؟ قلنا : هما أيضا من كلام الله تعالى ، لكن حكاية عن امرأة عمران ، ولا بعد في الاعتراض بكلام غير محكى بين كلامين محكيين . والحق أن هذا اعتراض في أثناء كلام واحد من متكلم واحد ، وهو قوله تعالى : " قالت رب " الى آخره ، كما تقول : ضرب زيد عمرا – ونعم ما فعل – وبكرا وخالدا ، فليتأمل(٢)

ومن الاعتراض بين كلامين متصلين معنى قوله تعالى " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " فقد ذكر الزمخشري أن قوله " قل هاتوا برهانكم " متصل " بقولهم " لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى " و " تلك أمانيهم " اعتراض(٣) .

وأوضح السعد أن هذا الاتصال هو من جهة المعنى لأن طلب البرهان يكون متعلقا بالدعوى ، وقال : فالاعتراض بين كلامين متصلين معنى . (٤)

* * *

---

(١) الحاشية ٢١٧ أ
(٢) الحاشية ٢١٧ أ ، ب
(٣) الكشاف ١/ ١٣٢
(٤) الحاشية ١٣١ أ

:: علم البيـــــــان ::

وقد عرفه السعد بأنه علم يبحث فيه عن أحوال التشبيه والمجاز والكناية (١) .
وسوف أتناول فيه المباحث التالية :

١ـ التشبيه .
٢ـ الاستعارة .
٣ـ المجاز المرسل .
٤ـ المجاز العقلي .
٥ـ الكناية .
٦ـ التعريض .

* * *

---

(١) الحاشية ١١ أ

أولا ـ التشبيـــه

والحديث عن التشبيه في الحاشية يتناول أركانه الأربعة : الطرفين ، والأداة ، والوجه ، والتشبيه المفرق والمركب ، والتشبيه والتمثيل ، والتشبيه البليغ ، وأخيرا التشبيه والتجريد .

طرفا التشـــبيه

المعروف أن الطرفين : المشبه والمشبه به لابد أن يكونا مذكورين في التشبيه ، أو في حكم المذكورين ، ولكن الزمخشري يشير الى أنه قد يجيء المشبه في التشبيه مطويا ذكره على سنن الاستعارة ، كقوله تعالى : " وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج " وقوله : " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل " (١) .

ويوضح السعد ماأراده الزمخشري فيقول : يعني قد يطوى في التشبيه ذكر المشبه كما يطوى في الاستعارة بحيث لا يكون في حكم المذكور ، ولا يحتاج الى تقديره في تمام الكلام ، الا أنه في التشبيه يكون منويا مرادا ، وفي الاستعارة منسيا غير مراد (٢) .

ثم يضع قاعدة هامة تعين على التفرقة بين التشبيه والاستعارة وهي : أن اسم المشبه به في الاستعارة يكون مستعملا في معنى المشبه مرادا به ذلك ، بحيث لو أقيم مقامه اسم المشبه استقام الكلام . وفي التشبيه يكون مستعملا في معناه الحقيقي مرادا به ذلك ، ففي آية المنافقين لو قلنا : مثلهم كمثل ذوى دين حق ، تتعلق به شبهات وفيه وعد ووعيد ، لم يكن له معنى . وكذا في قوله تعالى : " وما يستوى البحران " الآية ، لأن في قوله : " هذا عذب فرات سائغ " الى قوله " وترى الفلك فيه مواخر " دلالة قاطعة على أن المراد بهما معناهما الحقيقي ، فيكون تشبيها ، أي لا يستوى الكفر والاسلام اللذان هما كالبحرين الموصوفين . وكذا قوله تعالى : " ضرب الله مثلا " الآية ، معناه : جعل الله عبدا يملكه شركاء متشاكسون مثلا لعابد الأصنام ، وجعل عبدا سالما لمالك واحد مثلا للموحد . فذكر المشبه مطوى ، واسم المشبه به مستعمل في معناه الحقيقي .

ثم يشير السعد الى ماذهب اليه الطيبي وغيره من أن الآيتين من قبيل الاستعارة (٣)

---

(١) الكشاف ١ / ٦١ — (٢) الحاشية ١٧١

(٣) فتوح الغيب ١ / ٨٠

ناعيا عليهم ذلك ، مستنكرا لرأيهم فيقول :

وقد خفى هذا البيان على بعض الأذهان فذهبوا الى أن الآيتين مثالان للاستعارة ، ولا أدرى كيف يتصدى أمثال هؤلاء لشرح مثل هذا الكتاب . (١)

ومن الضرورى أن يكون بين طرفى التشبيه ملاءمة ومناسبة ، حتى وان كان التشبيه مركبا فلابد أن يكون المذكور فى الجانبين مما له دخل فى التشبيه ، وأن يكون ما اعتبر فى أحد الجانبين مما له مناسب فى الجانب الآخر كما يقول السعد (٢) .

ولذلك قدر الزمخشرى مضافا فى قوله تعالى " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة " أى مثل نفقتهم كمثل حبة ، أو مثلهم كمثل باذر حبة (٣) . أى لابد من اعتبار الحذف وتقديره فى جانب المشبه أو المشبه به لتحصل ملاءمة المثل للمثل ، وان كان التشبيه من المركب الذى لاعبرة فيه بتشبيه المفردات . (٤)

أداة التشبيه

يذكر الزمخشرى أن الأداة فى التشبيه المركب لا يلزم أن يكون مايليها هو المشبه به كما فى قوله تعالى : " انما مثل الحياة الدنيا كماء " ، ويقول السعد : لما أمكن فى هذه الآية تقدير مفرد يكون هو المشبه به ويلى الكاف ، أى كمثل ماء ، أورد المصنف مثالا آخر هو بين فى أن المشبه به لا يلى الكاف ، وهو قوله :

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع (٥)

لم يشبه الناس بالديار ، وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحال أهل الديار والمنازل فى نزولهم بها وسرعة نهوضهم عنها ، فهى يوم الحلول مأهولة ، وبالغد خالية . (٦)

وجه الشبه

وهو المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه . وقد يكون هو المذكور فى التشبيه

---

(١) الحاشية ١٧١أ
(٢) الحاشية ٥٠ اب
(٣) الكشاف ١ / ٢٣٧
(٤) الحاشية ٥٠ اب
(٥) غدوا : أصل كلمة غد ، حذفت اللام وجعل الدال حرف اعراب كدم ويد . وبلاقع : جمع بلقع أى قفر خالى .
(٦) الكشاف ١ / ٦١ ، والحاشية ١٧٢أ

حقيقة ،وقد يكون المذكور مستلزما له .

ففي قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا " يتساءل الزمخشرى : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ ويجيب بقوله : فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا في حيرة (١)

ويقرر السعد أن سؤال الزمخشري وجوابه هنا عن وجه الشبه ،خلافا لمن ذهب الى أنه عن المشبه (٢) ثم يقول :

والتحقيق أن هذا مع قبيل مايتسامح فيه ،فيذكر مكان وجه الشبه مايستتبعه . كما يقال : هذا الكلام كالعسل فى الحلاوة ،قصدا بالحلاوة الى لازمها الذى هو ميل الطبع . فكذا المقصود ههنا أنهم وقعوا بعد لازم الاضاءة فى لازم الظلمة . ولازم الاضاءة فى حال المنافقين هو الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم من متاركتهم واعفائهم عن المحاربة ،ومن الاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم فكأنه قيل : حالهم كحال المستوقد فى أنهم عقيب الانتفاع المعبر عنه بالاضاءة وقعوا فى ظلمة النفاق المفضى الى السخط والعقاب السرمد ،أو ظلمة الافتضاح بين المؤمنين بالاطلاع على أسرارهم ،أو ظلمة الطبع الحاصل من تزايد الرين بسبب امهالهم على النفاق ،وهذا أوجه بدليل قوله : " صم بكم عمى فهم لا يرجعون " فان هذا من خواص أهل الطبع . (٣)

ووجه الشبه المعتبر فى تشبيه الشئ بالشئ هو المشاركة فى بعض الأوصاف ،ومن هنا صح التشبيه فى قوله تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم " ووجه الشبه بينهما أنهما وجدا من غير أب ،فلا يمنع اختصاص آدم بأنه وجد من غير أم أيضا . (٤)

ويشير الزمخشرى الى أن وجه الشبه ينبغى أن يكون أتم وأكمل فى المشبه به منه فى المشبه فيقول : ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب شبه الغريب بالأغرب (٥) .

ويقول السعد : ان هذا بيان لاشتمال التشبيه على شرطه وهو كون المشبه به أتم وأكمل (٦) .

---

(١) الكشاف ١/ ٥٧
(٢) كالطيبى فى فتوح الغيب ١/ ٧٦
(٣) الحاشية ٦٧ ب
(٤) الكشاف ١/ ٢٨١ ،والحاشية ٢٢٢ب
(٥) الكشاف ١/ ٢٨١ — ٢٨٢
(٦) الحاشية ٢٢٢ب

التشبيه المفـرق والمركـب

يقرر السعد ماذكره الزمخشري في قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا " الى قوله " والله محيط بالكافرين " (١) فيقول : واعلم أن كلامه فى هذا المقام يصرح تارة بأن هذا تشبيه الحال بالحال ، ويشير تارة الى اعتبار التشبيه فى المفردات ، كتشبيه الانتفاع بالاضاءة ، والهدى بالنار ، والمنافق بالمستوقد ، واظهاره الايمان بالاضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، ثم قال بعد تفسير التشبيه : والصحيح أن التمثيلين من التمثيلات المركبة دون المفرقة . (٢)

ويقول السعد : ولا يخفى أن ماعتبره فى تشبيه المفردات على الوجوه المختلفة بيان لمحتمل اللفظ أو حكاية لكلام الغير ، والمختار عنده أن التمثيلين من جملة التشبيهات المركبة التى لا يتكلف فيها لتشبيه المفردات (٣) .

لكن لماذا اختار الزمخشري ذلك ؟ هل لأن التصريح بلفظ المثل ـ المراد به الحال والقصة ـ فى جانب المشبه ينافى حمل التشبيه على المفرق ؟ .

الجواب : لا ، بدليل أن الزمخشري بعد أن أوضح التشبيه المفرق فى التمثيل الثانى ، فقال : شبه دين الاسلام بالصيب الخ قال : والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة . (٤)

ويقول السعد : وفى التصريح بلفظ " مثل " دلالة على أن ليس ذكر المثل فى جانب المشبه اجمال المشبهات بحيث لا تكون مطوية ، والمقصود بيان أن مجرد ذكر المثل لاينافى حمل التشبيه على المفرق ، وانما النقصان فيه من جهة مافيه من التكلف فى تشبيه المفردات ، وطى ذكر المشبهات وفوات مافى المركب من تأدية الهيئات (٥) .

اذن ماللتشبيه المركب من قدرة على التصوير والتأثير هو الذى جعل الزمخشري يرجحه ويفضله ويرى أنه " هو القول الفحل والمذهب الجزل " (٦) .

ويؤكد السعد ذلك مستشهدا برأى الامام عبد القاهر فيقول : فان قلت : لم كان هذا هو القول الفحل والمذهب الجزل ؟ قلت : لأنه يحصل فى النفس من هيئة المركبات مالا يحصل من تصور المفردات . وان شئت فتأمل حال من أخذتهم السماء

---

(١) الكشاف ١ / ٥٥ ـ ٦١
(٢) الحاشية ٦٨ أ
(٣) الحاشية ٧٠ ب
(٤) الكشاف ١ / ٦٠
(٥) الحاشية ٧١ أ
(٦) الكشاف ١ / ٦١

بالمطر الهاطل ، مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب ، وتواتر الرعد القاصف ، والبرق الخاطف ، والصاعقة المحرقة ، ولهم فى أثناء ذلك اضطراب خوف الهلاك . أين ذلك من تشبيه الدين بالمطر ، والشبهة بالظلمة ، والوعد والوعيد بالرعد والبرق ؟ قال الشيخ عبد القاهر فى قول القائل :

وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق :

لو قلت : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا ، لكن أين هو من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ النواظر عجبا ، وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى ، من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية بحسب الرؤية ، والنجوم تتلألأ وتبرق فى أثناء تلك الزرقة ، ومن لك بهذه الصورة اذا جعلت التشبيه مفرقا ؟ (١)

التشبيه والتمثيل

لافرق بين التمثيل والتشبيه عند الزمخشرى فهو يطلق التمثيل على التشبيه مطلقا كما فى قوله : ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب (٢) .

ويقول السعد : المراد بالتمثيل التشبيه مطلقا سواء كان فى المفرد أو المركب ، على وجه الاستعارة أو غيرها (٣) .

التشبيه البليغ

ذكر الزمخشرى أن قوله تعالى : " صم بكم " من أسلوب جعل المشبه به على المشبه بحذف أداة التشبيه ووجهه ، وأنه عند المحققين يسمى تشبيها بليغا نظرا الى ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به ، لا استعارة لأنها انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ولا يكون فى حكم المنطوق كما فى الآية ، وكما فى قول من يخاطب الحجاج :

أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر . (٤)

ويقول السعد : وفى التمثيل بهذا البيت اشارة الى أن اسم المشبه به وان ذكر بحده

---

(١) الحاشية ١ / ٧٢ب ، ٧٢أ ، وأسرار البلاغة ١٦٩ .
(٢) الكشاف ١ / ٨٣
(٣) الحاشية ٦١ب
(٤) الكشاف ١ / ٥٨ — ٥٩ .

مايشعر بأنه ليس فى معناه كلفظ " على " فالكلام تشبيه . لكنا نقول : النزاع فى هذا المقام ليس لفظيا محضا ، بل مبنيا على أن اسم المشبه به ههنا فى معناه الحقيقى حتى لا يستقيم الكلام الا بتقدير الكاف ويكون تشبيها . أو فى معنى المشبه كالرجل الشجاع مثلا فيكون استعارة بمعنى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى ، ويصح الحمل من غير تقدير الكاف وهذا هو المختار عندى وقد شهد به الاستعمال ، فان معنى أسد على : مجترئ صائل ، ومعنى نعامة فى الحروب : جبان هارب ، وفى شعر أبى العلاء :

والطير أغربة عليه

أى باكية ، وتقول : هو أخى فى الله ، وهم اخوتنا فى الدين ، قال ابن مالك : اذا قلت : هذا أسد ، مشيرا الى السبع فلا ضمير فى الخبر ، واذا قلته مشيرا الى الرجل الشجاع ففيه ضمير مرفوع به ، لأنه مؤول بما فيه معنى الفصل . ولو أسند الى ظاهره لرفعه نحو : رأيت رجلا أسدا أبوه .(١)

وقد يطلق الزمخشرى على التشبيه البليغ الاستعارة فقد تساءل فى قوله تعالى " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا " قائلا : كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا ؟ وأجاب بقوله : يجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى أن لا روح ولا احساس(٢) .

وقال السعد : لا خفاء أنه من قبيل " صم بكم " فتسميته استعارة تسامح أو ذهاب الى ماعليه البعض(٣) .

وقد يطلق عليه المجاز كما فى قوله تعالى : " نساؤكم حرث لكم " حيث قال : وهذا مجاز ، شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف بالبذور .(٤)

وقال السعد : هذا المجاز قيل : باعتبار اطلاق الحرث على موضع الحرث ، وقيل : باعتبار تغيير حكم الكلمة فى الاعراب من جهة حذف المضاف كما فى " واسأل القرية " وقيل : باعتبار حمل المشبه به على المشبه كما فى زيد أسد فكثيرا مايقال له المجاز وان لم يكن استعارة ، وكأن التجوز فى ظاهر الحكم بأنه هو ، وقيل : هو استعارة بالكناية لأن فى جعل النساء محارث دلالة على أن النطف بذور على ماأشار اليه بقوله " تشبيها لما يلقى " الخ ، ولا أرى ذلك جاريا على القانون ، اللهم الا أن يقال : التقدير نساؤكم حرث لنطفكم ، ليكون المشبه مصرحا ، والمشبه به مكنيا(٥) .

---

(١) الحاشية ٦٨ ب
(٢) الكشاف ١/ ٢٩٢
(٣) الحاشية ٦٩ أ ، ب
(٤) الكشاف ١/ ٢٠٢
(٥) الحاشية ١٧٦ أ

ويلاحظ أن السعد أورد هذه التفسيرات ولم يرجح أيا منها وكأنه يجوزها على حد سواء .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : كأن الزمخشري أحس أن دخول الكاف لا يحسن في الآية ، وهو في ذلك يتطابق مع ماذهب اليه عبد القاهر من أنه ان لم يحسن دخول أداة التشبيه على المشبه به في التشبيه البليغ ، كان لا بأس من تسميته استعارة (١) .

التجريد

والزمخشري يعد التجريد من قبيل التشبيه ، فقد ذكر في قوله تعالى : " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " أن قوله : " من الفجر " بيان للخيط الأبيض ، وقال : فان قلت : أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه ؟ قلت : قوله " من الفجر " أخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قولك " رأيت أسدا " مجاز ، فاذا زدت " من فلان " رجع تشبيها . (٢)

ويبين السعد أن ماذكره الزمخشري يؤيد ماذكر في المفتاح من أن نحو : رأيت بزيد أسدا ، ولقيني منه أسد تشبيه (٣) . ثم يقول : لكن في كون من البيانية تجريدية كلام (٤) .

ويبدو أن ذلك راجع الى أن من البيانية عند الزمخشري ترجع الى ابتداء الغاية كما ذكر السعد في موضع آخر . (٥)

ثانيا — الاستعارة

ذكر الزمخشري أن الاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المشبه بالكلية بأن لا يكون مذكورا ولا في حكم المذكور نحو : رأيت أسدا يرمي ، ويكون الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد باسم المشبه به معناه الحقيقي كالسبع والمجازي كالرجل الشجاع ، لولا القرينة الحالية أو المقالية الدالة على أن المراد هو المعنى المجازي (٦) .

ويؤكد السعد أن هذا الذي ذكره المصنف ينطبق على الاستعارة التصريحية والمكنية ، ويدفع مايمكن أن يرد عليه في ذلك فيقول :

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ٢٤٠ — (٢) الكشاف ١ / ١٧٤
(٣) مفتاح العلوم ١٨٩ — (٤) الحاشية ١٥٩ أ
(٥) الحاشية ١٥٠ أ — (٦) الكشاف ١ / ٥٨

فان قيل : ماذكرانما يصح في الاستعارة التصريحية دون المكنية كأظفار المنية فان المستعار له هو المنية وقد ذكرت ، قلنا : ستطلع في قوله تعالى : " ينقضون عهد الله " من تفسير المصنف للاستعارة بالكناية أن ذكر المنية ههنا ذكر للسبع بطريق الكناية اذ المعتبر في الكناية هو المكنى عنه لا المكنى به ، فالمستعار لفظ السبع وهو مذكور بطريق الكناية ، والمستعار له وهو الموت مطوى بمنزلة قولك : أظفار السبع(١) .

ثم يشير السعد الى أنه ليس المراد بطي ذكر المشبه أن لا يكون له في الكلام ذكر أصلا ، بل أن لا يذكر مع المشبه به بطريق ينبئ عن التشبيه ، ولهذا أطبقوا على أن القمر في قوله :

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

استعارة . (٢)

الاستعارة والتمثيل

والزمخشري يقسم المجاز الى الاستعارة والتمثيل ويبين السعد أن الزمخشري يتبع في هذا الشيخ عبد القاهر وكثيرا من القدماء الذين يقسمون المجاز الى الاستعارة والتمثيل ، ويعنون بالتمثيل مايكون وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور ، وبالاستعارة مايكون بخلاف ذلك . (٣)

ففي قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم .. " الآية ذكر الزمخشري أن لا ختم ولا تغشية على الحقيقة ، وانما هو من باب المجاز ، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما : الاستعارة ، والتمثيل . أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده ، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم ، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كأنما غطى عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك . وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية . (٤)

---

(١) الحاشية ٦٨ ب ، ٦٩ أ ، ولا يخلو ماذهب اليه السعد من تكلف اذ أن المشبه في الاستعارة المكنية مذكور وان أريد به المشبه به .

(٢) الحاشية ٦٩ ب

(٣) الحاشية ٤٦ ب ، ٤٧ أ

(٤) الكشاف ١ / ٣٧ – ٣٨ .

ويقرر السعد أنه على هذا فالاستعارة في " ختم " تصريحية تبعية ، وفي "غشاوة" تصريحية أصلية ، بأن يشبه عدم نفوذ الحق في القلوب وتحقق نبو الأسماع عن قبوله بالختم عليها ، أي بكونها مختوما عليها ، على ماينبئ عنه قوله : " كأنها مستوثق منها بالختم " ، ويشبه عدم اجتلاء الأبصار للآيات والأدلة بالتغشية عليها ، أي بكونها مغطى عليها ، كل منهما تشبيه معقول بمحسوس ، والجامع الاشتمال على انتفاء القبول لمانع ، ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه ، واشتق من الختم المجازي صيغة الماضي ، فتكون الاستعارة في " ختم " تصريحية تبعية ، وفي " غشاوه " تصريحية أصلية .

وأما التمثيل فهو أن تشبه حال القلوب والأسماع والأبصار بحال أشياء مخلوقة للانتفاع بها مع المنع عن ذلك بطريق الختم والتغطية ، ثم يستعمل في المشبه اللفظ الدال على المشبه به ، والجامع عدم الانتفاع بما خلق للانتفاع به بناء على مانع عارض يلزمه ويلاصقه مع التكليف بالانتفاع ، وهو كما ترى أمر عقلي مركب من عدة أمور (١) .

ثم أشار السعد بعد ذلك الى أنه قد يتوهم من ظاهر عبارة الكشاف أن المشبه هو القلوب والأسماع ، ومن ههنا ذهب بعضهم الى أن القلوب استعارة بالكناية والختم تخييل (٢) . وقال : ولا يخفى على من له قدم في علم البيان أن الوجه ماذكرنا ، وأن قوله " تجعل القلوب " الخ بمنزلة قولك : تجعل الحال لكونها دالة على كذا كأنها ناطقة به ، وأن عبارته ظاهرة في أن الختم والتغشية مجاز . نعم لو ذهب الى مذهب السكاكي في رد الاستعارة التبعية الى الاستعارة بالكناية (٣) ، فذلك بحث آخر .

ثم أورد السعد قاعدة هامة وضعها بعض المدققين — وهو المولى سراج الدين عمر بن عبد الرحمن صاحب كشف الكشاف (٤) — تعين على الفرق بين الاستعارة التبعية والمكنية ، وتساعد على تبين هذه من تلك فقال :

ونعم ماقال بعض أهل التدقيق أنه اذا كان الغرض الأصلي والواضح الجلي تشبيه المصدر ، وذكرت المتعلقات بالعرض والتبع ، فالاستعارة تبعية كما في قوله :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة * اذا سرى النوم في الأجفان ايقاظا

فان حسن التشبيه بحسب الأصالة انما هو فيما بين هبوب الرياح والقرى ، لا فيما

---

(١) الحاشية ٤٧ أ .

(٢) وقد ذهب الى ذلك الطيبي في فتوح الغيب ١ / ٥٤ ، واليمني في تحفة الأشراف ١ / ٤١ .

(٣) مفتاح العلوم ٢٠٤ .

(٤) كشف الكشاف الورقة ٨ ب

بين الرياح والضيف أو الايقاظ والطعام ، واذا كان في المتعلق وذكر الفعل تبع كما في قوله تعالى : " ينقضون عهد الله " فاستعارة بالكناية لشيوع تشبيه العهد بالحبل ، وان كان الأمران على السواء كما في نطقت الحال فمحتمل ، اذ كل من تشبيه الدلالة بالنطق والحال بالناطق حسن (١) .

المثل والاستعارة التمثيلية

ولقد عرض الزمخشري للمثل ، وذكر أنه القول السائر الممثل مضربه بمورده ، وأنهم لم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير (٢) .

ويبين السعد أن ماذكره الزمخشري من أن المثل هو القول السائر الخ هو معنى قول البلاغيين : الاستعارة التمثيلية متى فشا استعمالها سميت مثلا (٣) .

واذا كان الزمخشري قد رأى أن المحافظة على الأمثال وعدم تغييرها انما هو من جهة اشتمالها على غرابة من بعض الوجوه ، فالأظهر عند السعد أن ذلك من جهة أن المثل استعارة فيجب أن يكون هو اللفظ الدال على المشبه به (٤) .

ويذكر الزمخشري في قوله تعالى : " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . " أنه يجوز أن يخاطب به من لم يرهم ولم يسمع بقصتهم لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب . (٥)

ويقول السعد : وتحقيق جري هذا الكلام مجرى المثل أنه شبه حال من لم يرهم بمن رآهم في أنه ينبغي أن لا تخفى عليه هذه القصة ، وأنه ينبغي أن يتعجب منها ، ثم أجرى هذا الكلام معه كما يجرى مع من رآهم وسمع قصتهم قصدا الى التعجب ، واشتهر في ذلك . (٦)

الاستعارة المكنية

ذكر الزمخشري في قوله تعالى : " الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه " أن النقض قد استعمل في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل

---

(١) الحاشية ٤٧ أ
(٢) الكشاف ١ / ٥٥
(٣) الحاشية ٦٤ أ
(٤) الحاشية ٦٤ أ
(٥) الكشاف ١ / ٢٢٠
(٦) الحاشية ١٨٨ أ

الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشئ المستعار ، ثم يرمزوا اليه بذكر شئ من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه (١) .

وقبل أن يوضح السعد مذهب الزمخشري في هذه الاستعارة أشار الى أن البلاغيين قد اتفقوا على أن في مثل : أظفار المنية ، ويد الشمال استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ، لكن اضطرب كلامهم في تحقيق الاستعارتين ، وفي أن قرينة الاستعارة بالكناية هل يلزم أن تكون استعارة تخييلية ألبتة ؟ وأن مثل الأظفار واليد هل هو مستعمل في معنى مجازى أم لا ؟ ثم قال - موضحا مذهب الزمخشري ومستصوبا اياه - : والأشبه بل الأصوب ما أشار اليه المصنف وهو أن المستعار بالكناية في أظفار المنية هو لفظ السبع المذكور كناية بذكر شئ من روادفه كالأظفار ، وهو مسكوت عنه صريحا ، ليس في اللفظ أصلا ، لكن المذكور كناية في حكم المذكور صريحا ، وكان بمنزلة أن يصرح باستعارة اسم المشبه به وهو السبع للمشبه وهو الموت ، وفي الآية قد سكت عن الحبل المستعار ، ونبه عليه بذكر النقض حتى كأنه قيل : ينقضون حبل الله أى عهده ، والنقض هنا استعارة تحقيقية تصريحية ، حيث شبه ابطال العهد بابطال تأليف الجسم ، وأطلق اسم المشبه به على المشبه ، لكنها انما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل ، فبهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد ، وبهذا ظهر أن الاستعارة بالكناية قد توجد بدون التخييلية ، وأن قرينتها قد تكون استعارة تحقيقية . (٢)

وكأن السعد قد ارتضى ماقرره من مذهب المصنف ورأى أن هذا المذهب هو ماينبغى أن يعول عليه ، وهو الجدير بالقبول فنراه يشكو من اختلاف أقوال القوم حول المكنية قائلا : ولقد كنا في عويل من اختلاف أقوال القوم الى ثلاثة : حيث فهم من كلام القدماء أن الاستعارة بالكناية هو اسم المشبه به المذكور كناية كالسبع مثلا ، وصرح صاحب المفتاح أنه اسم المشبه المستعمل في المشبه به كالمنية المراد بها السبع ادعاء بجعله مرادفا لاسم السبع على عكس الاستعارة التصريحية (٣) ، وصاحب الايضاح أنه التشبيه المضمر في النفس (٤) ، حتى فهم بعض الناظرين في هذا الكتاب (٥) أن الاستعارة بالكناية هي الأظفار من حيث كونها كناية عن استعارة السبع

---

(١) الكشاف ١ / ٩٠ (٢) الحاشية ٩٦ ب (٣) مفتاح العلوم ٢٠٦

(٤) الايضاح ١٧٦

(٥) هو عمر بن عبد الرحمن في كتابه كشف الكشاف الورقة ٤٤ أ

للمنية ، وفى قولنا : شجاع يفترس أقرانه : الافتراس ، مع أنه استعارة تصريحية لاهلاك الأقران ، فهو كناية عن استعارة الأسد للشجاع اذ الكناية لا تنافى ارادة الحقيقة لكن المقصود بالقصد الأول هو التنبيه على أنه أسد كى يجرى الافتراس وسائر ما للأسد من اللوازم بالضرورة . (١)

الاستعارة التهكمية

ذكر الزمخشرى فى قوله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم " أنه من العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه ، كما يقول الرجل لعدوه : أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك . (٢)

وبين السعد أن المراد بالعكس فى كلام الزمخشرى : اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر بتنزيل تضادهما منزلة التناسب بواسطة تهكم ان قصد الهزء والسخرية ، أو تمليح ان قصد مجرد التظرف والاتيان بشىء فيه ملاحة . وفى هذا المقام القصد الى الاستهزاء بالكفرة ليزيد فى غيظهم . (٣)

اجتماع التبعية والتمثيلية

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم " : ومعنى الاستعلاء فى قوله " على هدى " مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشىء وركبه . (٤)

وذهب السعد الى أن الاستعارة ههنا تبعية تمثيلية وقال : قوله " مثل " أى تمثيل وتصوير لتمكنهم من الهدى ، يعنى أن هذه الاستعارة تبعية تمثيلا ، أما التبعية فلجريانها أولا فى متعلق معنى الحرف ، وتبعيتها فى الحرف . وأما التمثيل فلكون كل من طرفى التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور ، لأنه شبهت حالهم فى اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن والاستقرار بحال من اعتلى الشىء وركبه ، فتكون الصفة بمنزلة المركوب . (٥)

واعترض السيد الشريف بقوله : ان انتزاع كل من طرفى التشبيه من أمور عدة يستلزم تركيبه من معان متعددة ، ولا شك أن متعلق معنى الحرف هو الاستعلاء ، وأنه من المعانى المفردة ، فلا يكون مشبها به فى التشبيه الذى يركب طرفاه .. نعم

---

(١) الحاشية ٩٧ أ
(٢) الكشاف ١/ ٧٩
(٣) الحاشية ٨٧ ب
(٤) الكشاف ١/ ٣٥
(٥) الحاشية ٤١ ب

ربما يعتبر هناك معه شيء آخر ليحصل منهما مجموع هو المشبه به ، واذا لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به في ذلك التشبيه فكيف يسرى التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف؟ ومحصله : أن كون "على" استعارة تبعية يستلزم كون معنى الاستعلاء مشبها به ، وأن تركب الطرفين يستلزم أن لا يكون مشبها به فلا يجتمعان (١) .

واذا تأملنا في اعتراض السيد الشريف نجد أنه بنى أساسا على أن الاستعلاء لا يصلح مشبها به في التشبيه المركب حتى وان اعتبر معه شيء آخر ليحصل بهما مجموع يكون هو المشبه به .

لكنى أرى أن معنى الاستعلاء هو المقصود هنا وهو العمدة كما ذكر السيد نفسه — وهو يوجه الاستعارة التمثيلية في الآية الكريمة — فقال : لم يصح بازاء المشبه به الا بكلمة "على" فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداه تبع له . (٢) ثم ان الاستعلاء يقتضى وجود معتل ومعتلى عليه فالتركيب اعتبارى . واذا كان الأمر كذلك فلم لا يسرى التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف على أنه هو المشبه به ؟

ويقول السعد في رده على السيد : ان انتزاع كل واحد من طرفي التشبيه عن أمور متعددة لا يستلزم تركبا في شيء من الطرفين ، بل في مأخذهما . (٣)

وعلى كل فاعتراض السيد ورد السعد ، وهذا الأخذ والرد والشد والجذب في تلك المناظرة المشهورة التي دارت حول هذه الآية ، والتي ذهب ضحيتها السعد التفتازاني لا يعدو أن يكون خلافا لفظيا منطقيا لا يمت بصلة الى روح البحث البلاغي ، ولا الى ما أراده الزمخشري من روعة المجاز في كلمة "على" وتصويرها بقوة وجلاء لمدى ما عليه المؤمنون من الهدى وتمكنهم من هذه الصفة .

وقد تكرر رأى السعد وتكرر معه اعتراض السيد في قوله تعالى : "والله محيط بالكافرين" حيث ذكر الزمخشري أن احاطة الله بالكافرين مجاز ، والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة . (٤)

---

(١) حاشية السيد الشريف على الكشاف ١٤٢ .
(٢) " " " " " ١٤٣ .
(٣) كتائب أعلام الأخبار للكفوى . الورقة ٤٣٥ .
(٤) الكشاف ١ / ٦٥

وقال السعد : انه تشبيه لحال قدرته الكاملة التى لا يفوتها المقدور ألبتــة باحاطة المحيط بالمحاط بحيث لا يفوته ،فتكون الاستعارة تبعية جارية فى الاحاطة ،وهذا لا ينافى كونها تمثيلية لما فى الطرفين من اعتبار التركيب . (١)

وقال السيد ان شبه شمول قدرته تعالى اياهم باحاطة المحيط بما أحاط بــه فى امتناع الفوات ،كان هناك استعارة تبعية فى الصفة سارية اليها من مصدرهـا ، وان شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحاط ،أى شبه هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها ،كان هناك استعارة تمثيلية الا أنه لم يصرح فيها الا بلفظ ماهو العمدة فى الهيئة المشبه بها ،أعنى الاحاطة والبواقى من الألفاظ منوية فى الارادة .

ثم أشار الى ماذهب اليه السعد فقال : ومن زعم أن كون هذه الاستعارة تبعية لا ينافى كونها تمثيلية لما فى الطرفين من اعتبار التركيب ،ان أراد به أن معــنى الاحاطة مركب ، فبطلانه ظاهر لأنها كالضرب مدلولها مفرد ،وان أراد اعتبار هيئة من مدلولها مع غيره ،لم يكن مدلول الاحاطة حينئذ مشبها به ،فكيف تسرى منــه استعارة الى الوصف المشتق منها ؟ . (٢)

ومرة أخرى أرد على السيد بأن المراد الأهم هنا هو معنى الاحاطة بمــا تستلزمه من محيط ومحاط به كما ذكر هو نفسه وهو يبين كونها استعارة تبعية فقـال : " شبه شمول قدرته تعالى اياهم باحاطة المحيط بما أحاط به " فهو لم يقل مثـلا : شبه الشمول بالاحاطة ،أى لم يذكر الصفة هكذا مجردة عما تتعلق به ،فلا معــنى لتأكيده وتركيزه على أن مدلولها مفرد .

ثم ماالذى أضافه اليها حين تحدث عن الاستعارة التمثيلية؟ لقد ذكر "أن لفظ الاحاطة هو العمدة فى الهيئة المشبه بها ،والبواقى من الألفاظ منوية "ولم يبــين ماهى هذه الألفاظ؟ أى أنه لم يزد شيئا يوضح به هذا التركيب الذى يرفض أن يكون اعتباريا ،وهل قوله " والبواقى من الألفاظ منوية فى الارادة " الا عودة الى رأى السعد فى التركيب الاعتبارى؟ .

أقول : انه لا مانع من اعتبار التركيب فى الاحاطة من هيئة المحيط واحاطتـــه بالمحاط ،فالمسألة اعتبارية ليس الا ،وعلى هذا فلا تنافى كما يقول السعد بــين الاستعارة التبعية والتمثيلية .

---

(١) الحاشية ٧٤ ب

(٢) حاشية السيد الشريف على الكشاف ٢١٨ .

ولزيادة التبيين والتوضيح أضيف شاهدا آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم : " ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا " يقول الزمخشري : هو جار على سبيل التمثيل ، مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه . (١)

ويذكر السعد أن المراد بالتمثيل فى قول الزمخشري هو الاستعارة التمثيلية ، وأن الزمخشري قد بين التشبيه في المصدر دلالة على أنها استعارة تبعية . ثم يقول السعد : وبذلك ظهر أن المستعار فى الاستعارة التمثيلية قد يكون لفظا مفردا دالا على معنى مركب . (٢)

الترشيح

ذكر الزمخشري فى معرض توجيهه لذكر الربح والتجارة فى قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم " أن ذلك من الصنعة البديعية التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات ، اذا تلاحقن ، لم تر كلاما أحسن منه ديباجة ، وأكثر ماء ورونقا ، وهو المجاز المرشح . (٣)

ويبين السعد أن المراد بقوله " من الصنعة البديعية " : الغريبة المستحسنة التى تفيد الكلام زيادة رونق وبهاء والمجاز كمال علو وسناء . (٤)

وكأنى بالسعد يرد بهذا على الطيبي الذى فهم من كلام الزمخشري أن الترشيح من الصيغ المذكورة في علم البديع حيث قال : والترشيح وان كان يبحث عنه فى البيان لكنه من المستحسنات البديعية ، لامن الدلالات الالتزامية ولهذا قال المصنف " لم تر كلاما أحسن ديباجة وأكثر ماء ورونقا . (٥)

ثم بين السعد أن المراد بالترشيح عند البلاغيين : أن يقرن بالمجاز صفة أو تفريع كلام يلائم المعنى الحقيقي . ونبه الى أنه أكثر مايكون فى الاستعارة كقولك: جاورت بحرا تتلاطم أمواجه ، وقد يكون فى المجاز المرسل كقولهم : له اليد الطولى أى القدرة الكاملة . وقال : وقد ذكرنا فى شرح التلخيص نبذا من الكلام في أن اللفظ الدال

---

(١) الكشاف ١ / ٨٥
(٢) الحاشية ٢ ٩ ب
(٣) الكشاف ١ / ٥٣
(٤) الحاشية ٦٢ ب
(٥) فتوح الغيب ١ / ٧١

على الترشيح حقيقة أو مجاز ،وفي الفرق بينه وبين الاستعارة التخييلية ،اذ في كل منهما اثبات لوازم المستعار منه وملائماته [١] . وأما اشتباهه بالاستعارة بالكناية ، فلا يخطر ببال من له مسكة من علم البيان ، لكن ينبغي أن يكون محققا عندك أن الترشيح انما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية ،وبالتخييل في المكنية ،وأنه قد يكون مجازا كما في قوله :

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش في وكريه جاش له صدري

فالنسر مستعار للشيب ،وابن دأية (أى الغراب) للشعر الأسود ،وذكر الوكر والتعشيش ترشيح ،وهما من المجاز فالوكران استعارة للحية والرأس ،أو للفودين (أى جانبي الرأس) ،والتعشيش للحلول والنزول . وقد يكون حقيقة كقولك : جاورت بحرا تتلاطم أمواجه [٢] .

هذا .. وصور الاستعارة في الحاشية كثيرة وغزيرة ويلاحظ أن السعد كان يكتفي في بيانه لها أحيانا باطلاق كلمة " المجاز " عليها كما في قوله : العسيلة مجاز عن قليل الجماع [٣] . وكما في قوله : أو جمل القرآن مجازا عن الصور المحفوظة أو المكتوبة [٤] وأحيانا كان يكتفي بذكر اسم الاستعارة الاصطلاحي كأن يقول : " وجه الزمان " استعارة مكنية وتخييل [٥] . وأحيانا يذكر المستعار منه والمستعار له كما قال في المثال السابق : أو الوجه مستعار للظاهر المكشوف من الزمان . [٦]

وقد يبين الاستعارة ويوضحها بدون أن يحدد اسمها الاصطلاحي كما قال في قول الزمخشري " ان البحر قد زخر فطم على الكواكب ،وان الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب " : مثل حال سطوع الآيات وظهور المعجزات واضمحلال الملفقات وانطماس المزخرفات بزخر البحر وطمه على الأنهار واشراق الشمس وطمسها للأنوار [٧] . فالسعد قد أوضح بهذا الشرح الأدبي للاستعارة أنها من قبيل الاستعارة التمثيلية ، ولم يعن بأن ينص على ذلك . والأمثلة والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ،وقد أشرت الى بعضها أثناء التحقيق .

---

(١) المطول ٣٩٧ـ٣٩٩
(٢) الحاشية ٦٣ أ ،ب
(٣) الحاشية ١٨١ ب
(٤) الحاشية ٧ ب
(٥) الحاشية ٨ ب
(٦) الحاشية ٨ ب
(٧) الحاشية ٩ ب

ثالثا — المجاز المرسل

ومن علاقاته التى ذكرت فى هذا الكتاب :

(١) الجزئية

يقول الزمخشرى: وتسمى الفاتحة المثانى لانها تثنى فى كل ركعة (١) . ويبين السعد أن المراد بالركعة فى عبارة الزمخشرى الصلاة تسمية للكل باسم الجزء (٢) .

وفى قوله تعالى : " فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله " يقول الزمخشرى: أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده . (٣) ويقول السعد : يعنى أن الوجه مجاز عن نفس الشىء وذاته كما فى " ويبقى وجه ربك " . أو عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل بأشرف الأجزاء . (٤)

أما ما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى : " يقيمون الصلاة " من أن معنى إقامتها أداؤها ، فعبر عن الأداء بالاقامة لأن القيام بعض أركانها ، كما عبر عنه بالقنوت وبالركوع وبالسجود ، وقالوا سبح ، اذا صلى لوجود التسبيح فيها (٥) . فالسعد يختلف معه فيه ويقول : ان الجزء للصلاة هو القيام لا الاقامة ، فلا معنى لقوله " عبر عن الأداء بالاقامة لأن القيام بعض أركانها " ، لا يقال : الاقامة فعل القيام وهو ركن للصلاة لأنا نقول ، الركن فعل القيام بمعنى تحصيل الهيئة التى هى القيام فى نفس الفاعل ، لا بمعنى ايجاد القيام فى شىء آخر ، ولا يقال : الاقامة ايجاد القيام ، ومعنى أداء الصلاة ايجاد جميع الأركان التى منها القيام ، فتكون الاقامة جزءا من أداء الصلاة بناء على أن القيام بعض أركان الصلاة ، فيتم التقريب ، لأنا نقول : فحينئذ يكون " يقيمون " بمعنى يؤدون الصلاة ، فلا يصح ذكر الصلاة وايقاعها مفعول يقيمون الا بتكلف شديد لا يذهب اليه ولم أحد ممن يقول أو يسمع اقامة الصلاة . فالأحسن أن معناها جعل الصلاة قائمة حاصلة فى الخارج من قولهم : قام هذا بنفسه ، وذاك بغيره (٦) .

---

(١) الكشاف ١/١
(٢) الحاشية ١٠ب
(٣) الكشاف ١/٢٦٦
(٤) الحاشية ٢١٣ ب
(٥) الكشاف ١/٣١
(٦) الحاشية ٣٧ب ، ٣٨أ

(٢) الكليـــــة

كما فى قول عمر بن عبد العزيز لمن يكتب البسملة : طول الباء وأظهر السينات[١] .
فقد ذكر السعد أن المراد بالسينات السنات تسمية للجزء الذى هو العمدة باسم الكل ، أى ماعدا السنات يطرح فى الدرج[٢] .

(٣) السـببية :

كما فى قوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه " فقد ذكر الزمخشرى أن معناه : لنميز التابع من الناكص فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز[٣] . وبين السعد أن ذلك تجوز باطلاق السبب أى العلم على المسبب أى التمييز فى علم المخلوق[٤] .

(٤) المسـببية :

كما فى قوله تعالى : "فلا جناح عليكم اذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف" قال الزمخشرى : ماأردتم ايتاءه[٥] . وأضاف السعد : لأن ماتحقق ايتاؤه لا يتصور تسليمه فى المستقبل[٦] .

وكذا فى قوله تعالى : " الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور " بين الزمخشرى أن معنى آمنوا : أرادوا أن يؤمنوا[٧] . وقال السعد : لأن من آمن حقيقة فهو مخرج من الكفر لا يتصور اخراجه .[٨]

(٥) اعتبار مايكـون :

ذكر الزمخشرى أن قوله تعالى : " هدى للمتقين " - والمتقون مهتدون - من قولك للعزيز المكرم : أعزك الله وأكرمك ، تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته ، أو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله تعالى : " ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " أى صائرا الى الفجور والكفر .[٩]

وقال السعد : فان قيل : هذا فى الطلب مثل : " اهدنا الصراط المستقيم " ، وأعزك الله ، ظاهر لأنه للاستقبال ، وأما فى الاخبار مثل : هذا هدى أو هاد للمتقى أو المهتدى ، فيجوز أن تكون تلك الهداية التى بها حصل الاهتداء من غير تجوز ، قلنا : المتبادر الى الفهم من تعلق الفعل بشئ هو اتصاف ذلك المتعلق بما عبر به عنه عند اعتبار التعلق حتى يقال : فيه شفاء للمريض أو مرض للصحيح ، وهدى للضال

---

(١) الكشاف ١ / ٤
(٢) الحاشية ١٦ ب
(٣) الكشاف ١ / ١٥٠
(٤) الحاشية ١٤٢ ب
(٥) الكشاف ١ / ٢١٣
(٦) الحاشية ١٨٤ أ
(٧) الكشاف ١ / ٢٣٢
(٨) الحاشية ١٩٣ أ
(٩) الكشاف ١ / ٢٨

أو اضلال للمهتدى ، ولو عكس لم يصح الا بتأول . واذا أريد الهداية التى بها حصل هذا الاهتداء ، فانما يعبر عن المتعلق بما يكون عليه حال اعتبار تعلق الهداية فيقال : هداية زيد مثلا أو الضال ، ولهذا نقول : ان المعتبر فى المجاز باعتبار المآل والمشارفة حال اعتبار الحكم لا حال الحكم ، فعصير الخمر مجاز وان صار عند الاخبار خمرا ، لأنه حال تعلق المصير به ليس بخمر ، وكذا عصر العصير أيضا مجاز ، وانما الحقيقة عصر العنب .

ثم هذا النوع من المجاز قد يكون بطريق الحصول بأن يحصل الاتصاف بالمعنى الحقيقى عقيب تعلق الحكم بلا تراخ كقتل القتيل ، ومرض المريض ، وقد يكون بطريق المصير بأن يكون شأنه المصير الى ذلك ولو بعد حين ، كما فى قوله تعالى : " ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " فان اتصاف المولود بذلك متراخ عن تعلق الولادة به (١) .

(٦) اعتبار ماكان :

كقوله تعالى : " واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن " فقد ذكر الزمخشرى أن قوله : " فلا تعضلوهن " اما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ، فلا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج ، واما أن يخاطب به الأولياء فى عضلهن أن يرجعن الى أزواجهن (٢) .

وقال السعد : فأزواجهن على الأول باعتبار مايكون ، وعلى الثانى باعتبار ماكان (٣) .

(٧) الملزومية

ذكر الزمخشرى أن الخشية فى قوله تعالى : " وان منها لما : يهبط من خشية الله " مجاز عن الانقياد لأمر الله تعالى (٤) . وأوضح السعد أن هذا المجاز من اطلاق اسم الملزوم على اللازم (٥) .

رابعا — المجاز العقلى

والحديث عنه هنا يتناوله من حيث ملابساته وهل يلزم أن يكون للفعل فيه فاعل اذا أسند اليه صار الاسناد حقيقة ؟ ثم بعض أسراره البلاغية .

يقول الزمخشرى فى قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم " : يجوز أن يستعار

---

(١) الحاشية ٣٤ب ، ٣٥ أ
(٢) الكشاف ١ / ٢١١
(٣) الحاشية ١٨٢ أ
(٤) الكشاف ١ / ١١٦
(٥) الحاشية ١٢٢ أ

الاسناد في نفسه من غير الله لله ، فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة ، تفسير هذا : أن للفعل ملابسات شتى : يلابس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والمسبب له ، فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة ، وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه ، فيقال في المفعول به : عيشة راضية ، وفي عكسه : سيل مفعم ، وفي المصدر : شعر شاعر وذيل ذائل ، وفي الزمان ، نهاره صائم ، وفي المكان : طريق سائر ، وفي المسبب : بنى الأمير المدينة . فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر الا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى السبب.(١)

ويبين السعد أن اسناد الختم الى الله في الآية الكريمة كقولهم : أحيى الأرض الربيع في كون المسند والاسناد مجازيين (٢) . وان الزمخشري اقتصر على ذكر الملابسات التي يصح الاسناد اليها بخلاف المفعول معه والحال والتمييز . والمراد بالفاعل في قوله : " يلابس الفاعل والمفعول به " وغير ذلك هو الفاعل النحوي ، أي اللفظ الذي أسند اليه الفعل ، وكذا البواقي . وفي قوله : " فاسناده الى الفاعل حقيقة " مايكون محلا للفعل ، والفعل وصفا له قائما به ، كالفاعل في المبني للفاعل والمفعول به في المبني للمفعول ، فان في قولنا : ضرب زيد عمرا ، الفاعل للضاربية زيد وللمضروبية عمرو ، والاسناد في ضرب عمرو مبنيا للمفعول يكون حقيقة لكونه اسنادا الى الفاعل ، وفي قوله : أفعم السيل مبنيا للمفعول يكون مجازا لكونه الى غير الفاعل ، وهو الوادي لأنه المتصف بالمفعمية ، وكذا في رضيت العيشة مبنيا للفاعل لأنه الى غير الفاعل اذ الرضى لصاحب العيشة ، مع أن الاسناد في جميع ذلك بل في جميع صور الاسناد المجازي الى الفاعل النحوي .

وقول المصنف : " على طريق المجاز المسمى استعارة " يوهم أنه من قبيل الاستعارة الاصطلاحية ، وذلك أنه استعير الاسناد من الفاعل الحقيقي لغيره بعلاقة المشابهة في ملابسة الفعل ، كما يستعار اسم الأسد للرجل الشجاع لمشابهته الأسد في الجراءة ، فيكون الاسناد مستعارا ، والفاعل مستعارا منه ، وغير الفاعل مستعارا له . لكن لا يخفى أن المجاز المسمى استعارة : لفظ استعمل في غير ماوضع له والاسناد ليس كذلك ، وليس

---

(١) الكشاف ١ / ٤٠ (٢) الحاشية ٤٨ أ

أيضا المستعار هو الفعل لأنه قد يكون حقيقة كما في أنبت الربيع ، وقد يكون مجازا مرسلا كما في ركع المقام بمعنى صلى ، وقد يكون استعارة كما في أحيى الأرض الربيع ، و "ختم الله" بمعنى منع من قبول الحق . فالوجه أن يقال : المراد أنه يسند الفعل الى غير الفاعل بناء على المشابهة كما هو طريق المجاز المسمى استعارة ، اذ فيه يطلق اللفظ على غير الموضوع له بناء على المشابهة ، وليس المراد أن المجاز في الاسناد استعارة اصطلاحية أعنى استعمال لفظ المشبه به في المشبه ، صرح بذلك الشيخ عبد القاهر وقال : تشبيه الربيع بالفاعل القادر في تعلق الفعل ليس هو التشبيه الذى يعقد في الكلام ويفاد بكأن والكاف ونحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر المختار في اسناد الفعل اليه كما يقال : شبهت " ما " بليس فرفع بها المبتدأ ونصب الخبر (١) .

فان قلت : لعله أراد أنه من باب الاستعارة بالكناية على ما يراه صاحب المفتاح ، قلت : لا يجوز ذلك لأن الاستعارة حينئذ لا تكون في الاسناد نفسه على ما صرح به ، بل في المسند اليه حيث أريد به الفاعل الحقيقى ادعاء بقرينة نسبة المسند الذى هو من خواص الفاعل الحقيقى اليه (٢) ، وقصده بذلك حصر المجاز في اللغوى وجعل العقلى راجعا اليه ميلا الى زيادة الضبط بتقليل الأقسام ، وكلام المصنف من هذا بمراحل (٣) .

ثم نبه السعد الى أن الاسناد المجازى لا يقتصر عند الزمخشرى على ما ذكر من الاسناد الى مصدر ذلك الفعل أو زمانه أو مكانه أو سببه ، اذ قد ذكر في قوله تعالى : " فما ربحت تجارتهم " أن الاسناد المجازى هو اسناد الفعل الى ماله تلبس بالفاعل الحقيقى كتلبس التجارة بالمشترين ، والعذاب والضرب بالقوم في " عذاب أليم " وضرب وجيع ، والحساب بأهله في " يوم يقوم الحساب " ، والكتاب بصاحبه في " الكتاب الحكيم " (٤) .

اذن فالزمخشرى يعتبر مجرد تلبس الفاعل المجازى بالفاعل الحقيقى كافيا في الاسناد المجازى ، ولذلك فان أي مثال يتوافر فيه ذلك مع وجود القرينة الدالة على التجوز فهو من الاسناد المجازى ، اذ لا يشترط السماع في أفراد المجاز فاذا قيل مثلا : ربح عبدك ، على الاسناد المجازى — لكونه ملتبسا بالرابح وهو البائع — فانه يصح اذا قامت القرينة على أن العبد رأس المال . (٥)

---

(١) أسرار البلاغة ١ ٣٣
(٢) مفتاح العلوم ٢١٢
(٣) الحاشية ٤٩ أ — ٥٠ أ
(٤) الحاشية ٥٦ ب
(٥) الكشاف ١ / ٥٣ ، والحاشية ٦٢ ب

وقد يكون المجاز العقلى فى النسبة بين المبتدأ والخبر ، يذكر الزمخشرى أن قوله تعالى : " ولكن البر من آمن " على تأويل حذف المضاف أى بر من آمن ، أو يتأول البر بمعنى ذى البر ، أو كما قالت :

فانما هى اقبال وادبـــار (١)

ويوضح السعد ذلك بقوله : يعنى يكون المجاز فى الاسناد من غير اعتبـــار حذف المضاف ، ولا جعل المصدر مجازا عن الصفة ، فيجعل المؤمن كأنه تجسد مـن البر كما جعلت الناقة متجسمة من الاقبال والادبار ، اذ لو أريد ذات اقبال أو مقبلة لم يكن شيئا فى نظر البلغاء ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : لو قلنا : المراد أنها ذات اقبال وادبار لأفسدنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا الى شئ مغسول ، وكـلام عامى مرذول (٢) .

وقد يكون للفعل فى الاسناد المجازى فاعل حقيقى كما فى قوله تعالى : " فـى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا " فالسعد قد أوضح أن عبارة الزمخشرى فى تفسير المجاز فى هذه الآية تفيد أن هناك فاعلا حقيقيا لزيادة المرض وهو المنافقون .

يقول الزمخشرى : ومعنى زيادة الله اياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم ، فكأن الله هو الذى زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له . (٣)

ويقول السعد : الزيادة تجئ لازما ومتعديا الى مفعولين والازدياد بمعنـاه الا أنه لا يستعمل متعديا الى مفعولين ، فالمنصوب فى قول المصنف " ازدادوا كفرا " ان كان مفعولا فالفاعل حقيقة هم المنافقون ، وان كان تمييزا والفعل لازما فالمعنى أنه ليس هناك من يزيدهم مرضا حقيقة على ما هو رأى الشيخ أنه لا يلزم فى الاسناد المجازى أن يكون للفعل فاعل يكون الاسناد اليه حقيقة مثل :

يزيدك وجهه حسـنا (٤)

لكن قوله (أى قول الزمخشرى) : " ازدادوه " يدل على أن المنصوب مفعول لا تمييز .

ومن الأسرار البلاغية التى يفيدها الاسناد المجازى الدلالة على كرامة القـرب والاختصاص وذلك فى اسناد الفعل الى ماله مزيد اختصاص بالفاعل الحقيقى كما فى قوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب

---

(١) الكشاف ١ / ١٦٣
(٢) الحاشية ١٥٢ أ ، ودلائل الاعجاز ٢٠٧
(٣) الكشاف ١ / ٤٦
(٤) دلائل الاعجاز ٢٠٢

على عقبيه " فقد ذكر الزمخشري أن معناه : ليعلم رسول الله والمؤمنون ، وانما أسند علمهم الى ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده (١) .

وبين السعد أن ذلك تجوز فى اسناد فعل بعض خواص الملك اليه تنبيها على كرامة القرب والاختصاص وأن قول المصنف " وانما أسند " الخ بدلالة بينة على أن ذلك ليس باعتبار حذف المضاف . (٢)

خامسا – الكناية

أوضح السعد معنى الكناية عند الزمخشري ، وذكر أنها كما تكون تعبيرا باللازم عن الملزوم فقد تكون بالملزوم عن اللازم ، وأن الكناية قسم من الحقيقة ، ومبنى الفرق بينها وبين المجاز هو جواز ارادة المعنى الحقيقي وعدمه ، وأن هذا المعنى الحقيقي قد يتحقق ويراد لا قصدا اليه وقد لا يتحقق أصلا ، وذكر صورا من الكناية بأقسامها الثلاثة ، وصورا من الكناية الايمائية والرمزية والتلويحية ، كما عرض لمجاز الكناية وكناية الكناية وأليك البيان :

يقول الزمخشري : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك : طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف . (٣)

ويقول السعد : ليس القصد الى تعريفها حتى يعترض بأن ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له شامل للمجاز ، بل الى تميز أحدهما عن الآخر (أى تميز الكناية عن التعريض) وحاصله : ان الكناية أن تذكر معنى مقصودا بلفظ لم يوضع له ، لكن استعمل فى الموضوع له ، لا على وجه القصد اليه ، بل لينتقل منه الى الشيء المقصود ، فطويل النجاد مستعمل فى معناه ، لكن لا ليكون هو المقصود بالاثبات ، بل لينتقل منه الى طول القامة ، فخرج بقيد الاستعمال فى معناه المجاز ، وبقيد عدم القصد الصريح من الحقيقة . (٤)

واذا كان السكاكي يرى أن الكناية تعبير باللازم عن الملزوم والمجاز بالعكس ، فالزمخشري لا يرى ذلك . يقول فى قوله تعالى " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار " : فان قلت : مامعنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا لزموا العناد مع ذلك استوجبوا العقاب بالنار ، فقيل لهم : ان استبنتم العجز فاتركوا العناد ، فوضع " فاتقوا النار " موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه

---

(١) الكشاف ١ / ١٥٠
(٢) الحاشية ٢ ١٤ ب
(٣) الكشاف ١ / ٢١٥
(٤) الحاشية ٥ ١٨ أ

ترك العناد ،من حيث أنه من نتائجه (١) .

وبعد أن يذكر السعد حاصل جواب المصنف وهو أن اتقاء النار كناية عن تـــرك العناد وهو مشروط بعدم القدرة على الاتيان بالسورة ومسبب عنه يقول :

وفي قوله " لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه " أي تـــرك العناد " من نتائجه " أي نتائج اتقاء النار ،اشعار بأن هذا تعبير بالملزوم عـــن اللازم ،فاعترض بأنه ينبغي أن يكون مجازا عن ترك العناد على ما اختاره صاحـــب المفتاح ،لا كناية اذ مبناها على التعبير باللازم عن الملزوم . والجواب أن اطـــلاق الكناية على التعبير بالملزوم عن اللازم شائع في كلام المصنف ،ومبنى الفرق بينها وبين المجاز عنده على ارادة المعنى الحقيقي وعدمها . وأما التفرقة بأن التعبير باللازم عن الملزوم كناية وعكسه مجاز فانما هي لصاحب المفتاح ،وقد ورد عليه ما ورد فاضطر آخر الأمر الى أن المجاز كما يكون باطلاق الملزوم على اللازم كما في رعينا الغيث أي النبات اللازم له ،فقد يكون باطلاق اللازم على الملزوم كما في أمطرت السماء نباتا أي غيثـــا ملزوما له ،الا أنه لا يكون الا في اللازم المساوي فيرجع الى اطلاق الملزوم على اللازم . وهذا جار في الكناية أيضا اذ اللازم من حيث أنه لازم قد يكون أعم ،ولا دلالة للأعم على الأخص ما لم يجعل في حد المساواة ولو بدلالة الحال وقرينة المقام (٢) .

والمعنى الحقيقي في الكناية قد يتحقق ويراد — لا قصدا اليه — وقد لا يتحقق أصلا ،ففي قوله تعالى : " ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم " قال الزمخشري : بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم ،فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه ،يقول الرجل : ماعلم الله في فلان خيرا ،يريد : ما فيه خير حتى يعلمه (٣) .

وقال السعد : لما كان علم الله تعالى بالشيء من لوازم تحققه جعل عدم العلـم كناية عن عدم ذلك الشيء ،فصار معنى لم يعلم الله جهادهم : لم يجاهدوا ،وفـي الكلام اشارة الى أن اللزوم الذي هو مبنى الكناية يعتبر أولا في العلم ووجود المتعلق ثم في نفيه ونفيه ،وبهذا يندفع ما يقال أنه شرط في الكناية امكان المعنى الحقيقـي ، وههنا نفي العلم عن الله تعالى محال (٤) .

وفي قوله تعالى : " ولا ينظر اليهم يوم القيامة " يقول الزمخشري : انه مجاز عـن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول : فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده بـــه

---

(١) الكشاف ١ / ٧٧ (٢) الحاشية ١٨٥ أ ،ب

(٣) الكشاف ١ / ٣٢٣ (٤) الحاشية ٢٣٧ ب

واحسانه اليه • فان قلت: أى فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه ؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية ، لأن من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر(١) •

وأوضح السعد أن الزمخشرى يريد : أن ترك النظر عند قرينة مانعة عن ارادة معناه الحقيقى يكون مجازا عن الاستهانة والسخط ، كما أن النظر يكون مجازا عن الاكرام والاحسان ، لكون النظر من لوازم الاحسان وتركه من لوازم الاهانة • وأنه فرق بين استعمال النظر نفيا واثباتا فى حق من يجوز عليه النظر كالانسان ، وبين من لا يجوز كالبارى تعالى بأنه اذا استعمل فيمن يجوز عليه النظر وأريد الاكرام والاحسان فهو كناية ، حيث جاز ارادة المعنى الحقيقى ، بل ربما أريد ، لكن لا ليكون مناط الاثبات والنفى ، والصدق والكذب ، والأمر والنهى ، ونحو ذلك ، بل لينتقل منه الى معنى آخر • واذا استعمل فيمن لا يجوز عليه النظر فهو مجاز لاغير ، لأن ارادة المعنى الحقيقى أو جواز ارادته لاغير شرط للكناية ، وههنا العلم بامتناع النظر عليه قرينة مانعة عن ارادته •

وأضاف السعد قائلا : وفى كلامه اشارة الى أنه عند الكناية قد يتحقق المعنى الحقيقى ويراد لا قصدا اليه ، وقد لا يتحقق أصلا وان جاز • وما ذكر ههنا مشكل بما ذكر فى قوله تعالى : " بل يداه مبسوطتان " ، " والسموات مطويات بيمينه " ، " الرحمن على العرش استوى " ونحو ذلك أنها كلها كنايات ، مع امتناع المعنى الحقيقى قطعا •

فان أجيب بأن ارادة المعنى الحقيقى لا تستلزم تحققه وهو ظاهر ، ولا يلزم منه الكذب لأن ارادته لا تكون على وجه القصد اليه اثباتا ونفيا ، وصدقا وكذبا ، بل لينتقل منه الى المقصود ، قلنا : فكذلك النظر فى حق من لا يجوز عليه النظر يراد ولا يتحقق ويكون كناية •

وأما مايقال من أنه اذا أريد المعنى الحقيقى لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز بمعنى ارادة المعنى الحقيقى والمجازى وهو ممتنع ، فمدفوع بأن ذلك انما هو حيث يكون كل منهما مناط الحكم ومرجع الصدق والكذب ، وأما اذا أريد الأول لينتقل الى الثانى فلا •

---

(١) الكشاف ١ / ٢٨٨

ولقد صرح صاحب المفتاح بأنه فى الكناية يراد بالكلمة معناها ومعنى معناهما جميعا ،وفى الحقيقة معناها فقط ،وفى المجاز معنى معناها [١] ويعنى بالحقيقة : الصريحة ،والا فقد صرح هو بأن الكناية حقيقة ،حيث قال : الحقيقة والكناية تشتركان فى كونهما حقيقتين ،وتفترقان فى الصريح وعدمه [٢] . وبهذا يظهر أن الكناية ليست واسطة بين الحقيقة والمجاز ،بل قسما من الحقيقة ،وحيث تجعل واسطة يسر الله بالحقيقة الصريح منها . وأما عند الأصوليين فكل من الحقيقة والمجاز ان استتر المراد به فكناية ،والا فصريح ،فليست الكناية واسطة ولا داخلة فى المجاز بناء على الاستعمال فى غير الموضوع له على ماتوهم . [٣]

هذا .. وفى الحاشية كثير من صور الكناية عن الصفة ومنها قول السعد : "تحاك الركب" كناية عن شدة الأمر وفرط الاجتهاد فى المسابقة . [٤] وقوله : "هز من عطفى" كناية عن السرور أى حصل فى بعض الارتياح [٥] . وقوله : "فلان لا يصطلى بناره" كناية عن علو رتبته ،أى لا تنال ناره فيصطلى بها [٦] .

أما الكناية عن الموصوف فنحو قوله تعالى : " ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء " حيث ذكر الزمخشرى أن معناه : لا يخفى عليه شئ فى العالم ، فعبر عنه بالسماء والأرض [٧] . وعلل السعد ذلك بقوله : لأنهما العالم كله فى النظر الظاهر [٨] .

والذي أوضح الكناية في هذا المقام زيادة ايضاح هو شرف الدين الطيبى الذى قال : يعنى أن الذى يقتضيه الظاهر أن يقال : لا يخفى عليه شئ فى العالم ، فكنى عنه بقوله : " لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء " لأن مؤداهما واحد ، لأن العالم اذا أطلق يتبادر الى الفهم السماء والأرض وما بينهما عرفا ،وسبيل هذه الكناية سبيل قولك فى الكناية عن الانسان : هو حى مستوى القامة عريض الأظفار [٩] .

وأما الكناية عن النسبة فكقوله تعالى " لا ذلول " بقراءة فتح اللام على أن " لا " لنفى الجنس والخبر محذوف والجملة صفة ذلول ،أى لا ذلول هناك ،أى حيث هى ،

---

(١) مفتاح العلوم ٢٢٠
(٢) المرجع السابق
(٣) الحاشية ٢٢٥ب - ٢٢٦ أ
(٤) الحاشية ١٠ أ
(٥) الحاشية ١٢ ب
(٦) الحاشية ١٨ أ
(٧) الكشاف ١ / ٢٥٨
(٨) الحاشية ٢٠٦ أ
(٩) فتوح الغيب ١ / ٢٨١

كناية عن نفي الذل عنها ، كما يقال : الذليل حيث هو ، كناية عن اثبات الذل له[1] .

ومن الكناية الايمائية قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم " فقد ذكر الزمخشري أنه للتنبيه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ، كقولهم : فلان مجبول على كذا ، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه[2] .

وقرر السعد معنى هذا الكلام بأنه كناية ايمائية عن فرط تمكن الصفة المعبر عنها بالختم فيهم ، لأن هذا المعنى ملزوم لكون الفعل مخلوقا لله تعالى كما يقال : فلان مجبول على الشر ، كناية عن فرط تمكن الشر فيه ، فيقصد مدلول اللفظ لا ليتعلق به الاثبات والنفي ، بل لينتقل منه الى ملزومه .[3]

ومن الاشارة الى الرمز والتلويح ماذكر في قوله تعالى : " انما يأمركم بالسوء والفحشاء " يقول الزمخشري : شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر ، وتحته رمز الى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له ، وقبولكم وساوسه[4] .

ويقول السعد : يشير الى أنه استعارة تبعية ، ويتبعها الرمز الى أنهم بمنزلة المأمورين له ، لما بين الآمرين والمأمورين من الملازمة والمرادفة[5] .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم : " ان كان وسادك لعريضا "[6]
يقول السعد : عرض الوسادة رمز الى عرض القفا ، وهو تلويح الى البلاهة وفرط الغفلة والنسيان لاشعاره بكثرة الرطوبات في الدماغ[7] .

وقد عرض الزمخشري لمجاز الكناية كما سبق في قوله تعالى : " ولا ينظر اليهم يوم القيامة " ويقول السعد : ويشبه أن يكون مثله من مجاز الكناية يسمى مجازا وكناية بالاعتبارين[8] . أما كناية الكناية فنحو قوله تعالى : " قل موتوا بغيظكم " حيث ذكر الزمخشري أنه دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به . وقال : والمراد بزيادة الغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله ، ومالهم في ذلك من الذل والخزي والعار[9] .

وقال السعد : يشير الى أن هذا من كناية الكناية ، عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء زيادة غيظهم الى حد الهلاك ، وبه عن ملزومه الذي هو قسوة

---

(١) الكشاف ١ / ١١٣ ، والحاشية ١٩١ ب
(٢) الكشاف ١ / ٣٩
(٣) الحاشية ٤٧ ب
(٤) الكشاف ١ / ١٦٠
(٥) الحاشية ١٥٠ أ
(٦) الكشاف ١ / ١٧٥
(٧) الحاشية ١٥٦ ب
(٨) الحاشية ٤٧ ب
(٩) الكشاف ١ / ٣١٣

الاسلام وعز أهله ، وذلك لأن مجرد الموت بالغيظ أو ازدياده ليس مما يحسن أن يطلب ويدعى (١) .

سادسا ـ التعريض

عرف الزمخشري التعريض فقال : التعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج اليه : جئتك لأسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا :

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا .

وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريد (٢) .

وأوضح السعد هذا الكلام مقارنا بين التعريض والكناية فقال : التعريض أن تذكر شيئا مقصودا في الجملة بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكنائي ، لتدل بذلك الشيء على شيء آخر لم يذكر في الكلام ، مثل أن تذكر المجيء للتسليم بلفظه لتدل على التقاضي وطلب العطاء ، فالتسليم مقصود وطلب العطاء غرض وقد أميل اليه الكلام من عرض أي جانب .

ويكون المعنى المذكور أولا مقصودا امتازعن الكنايات التي ليست كذلك ، فلم يلزم صدقه على جميع أقسام الكناية ، فمثل : جئتك لأسلم عليك كناية وتعريض ، ومثل : زيد طويل النجاد كناية لا تعريض ، ومثل قولك في عرض من يؤذيك وليس المخاطب : آذيتني فستعرف تعريض بتهديد المؤذي لا كناية .

والسعد يعتبر الزمخشري أصلا في البلاغة واماما يقرر أصولها ويضع قواعدها بدليل أنه اعتبر وضع السكاكي اسم التلويح للكناية البعيدة اصطلاحا جديدا ، وقد كان الاصطلاح على أن التلويح اسم للتعريض كما ذهب اليه الزمخشري (٣) .

وهذا بخلاف الفاضل اليمني مثلا الذي اعتبر صنيع السكاكي هو الأصل ولهذا قال : ان في كلام الزمخشري تسامحا (٤) .

* * *

(١) الحاشية ٢٣٣ أ
(٢) الكشاف ١ / ٢١٥
(٣) الحاشية ١٨٥ أ
(٤) تحفة الأشراف ١ / ١٣٨

ثالثا ـ علم البديع

ويتضمن انواع البديع التاليـــة :

١ـ الطباق

٢ـ مراعاة النظير

٣ـ المشاكلة

٤ـ الاستطراد

٥ـ اللف والنشر

٦ـ الجمع والتقسيم والتفريق

٧ـ التجريد

* * *

(١) الطبـــاق

ويعبر عنه السعد بالتضاد ،ففي قوله تعالى : "ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة " يشير السعد الى خفاء المناسبة بين بث الدواب في الأرض وبين كل من انزال الماء من السماء واحياء الأرض بالمطر ويقول : وغايتها الاتحاد بين متعلق "بث " ومفعول " أحيا " ، والتضاد بين متعلق "بث " و " أنزل " أعنى السماء والأرض .(١)

وقد يطلق السعد الطباق بمعنى الموافقة ،ففي قول الزمخشري : فان قلت : هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كما قيل " ظلمات "؟ قلت فيه وجهان :

أحدهما — أن يراد العينان ،ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل روعى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وان أريد معنى الجمع .

والثاني — أن يراد الحدثان ،كأنه قيل : وارعاد وابراق (٢) . يقول السعد : والحدثان بلفظ التثنية أحسن طباقا لقوله : العينان (٣) .

ومن الطباق بمعنى الموافقة أيضا قول السعد :

والاستفهام لا يكون ترجمة للخبر ،لا يصح أن تقول : أخبرني زيد قال لى :أتذهب؟ وكذلك كل مالا طباق له نحو: نهانى قال لى : اضرب ،وأمرنى قال لى : لاتضرب(٤) .

(٢) مراعاة النظـير

ومنها قول الزمخشري عن صفات القرآن : وما هى الا صفات مبتدأ مبتدع ،وسمات منشأ مخترع(٥) . فقد أوضح السعد معانى هذه الكلمات وأن المبتدأ : ماالوجـــود له أولية زمانية ،والمبتدع : ماأخرج من العدم ممتازا بنوع حكمة فيه ،والمنشأ : المحدث، والمخترع : المخرج من العدم بزيادة سعى وصرف للقدرة من الخرع وهو الشق . ثـم قال : وهى متقاربة المعانى جمع بينها تأكيدا لأمر الحدوث .(٦)

وكذلك قول الزمخشري : ان أملأ العلوم بما يغمر القرائح .. علم التفسير(٧) فقد بين السعد أن القريحة هى الطبيعة وأنها فى الأصل أول ماء يخرج من البئر، ثـم

---

(١) الحاشية ٤٧ اب
(٢) الكشاف ١/ ٦٣
(٣) الحاشية ٧٣ب
(٤) الحاشية ٤٠ ٢ب
(٥) مقدمة الكشاف/ى
(٦) الحاشية ٨ ب
(٧) مقدمة الكشاف/ك

قال : ولا يخفى حسن تلاؤم المل، والغمر ،والقريحة (١) .

(٣) المشاكلة

عرف السعد المشاكلة بأنها التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبتــه بطريق المقال مثل : " تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك " ،أو الحال كما فى قولــه تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " . وقد يجتمعان كما يقال لمــن يغرس الأشجار : لم تغرس الأشجار؟ اغرس كما يغرس فلان ،مشيرا الى رجل يصطنــع الكرام لنفسه . (٢)

ويقول الزمخشرى فى توجيه وصف الله سبحانه بالاستحياء فى قوله تعالــى : " ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما .. " : انه على سبيل التمثيل ،أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحى ان يتمثل بها لحقارتها ،ويجوز أن تقع هــذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب ، والعنكبوت ؟ فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال ،وهو فن مــن كلامهم بديع وطراز عجيب ،منه قول أبى تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلهــــــا * أنى بنيت الجار قبل المــــنزل

وشهد رجل عند شريح فقال : انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عنى ، فقال : لله بلادك ،وقبل شهادته ،فالذى سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هــو مراعاة المشاكلة ،ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ،وسبوطة الشهادة لامتنــع تجعيدها (٣) .

وربط السعد بين المشاكلة والاستعارة وأوضح أن المشاكلة ليست بحقيقــة ، ولكن وجه التجوز فيها غير ظاهر ،وأنه اذا أمكن اعتبار الاستعارة فى بعض صــور المشاكلة فغير ممكن ذلك فى كل صورها ،ثم أشار الى أن المشاكلة فى قوله " انها لم تجعد عنى " ليست من التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ،بل فى صحبة ضده ،ولذلك كانت أبدع وأعجب . انظر الى قول السعد :

قول المصنف : " ويجوز أن يريد " يعنى أن المشاكلة فن غير الاستعارة ،لكــن ظاهر أنه ليس بحقيقة ،ووجه التجوز ليس بظاهر ،ولذا قال : " هو فن بديع وطراز عجيب " وظاهر كلامهم أن مجرد وقوع مثل هذا اللفظ فى مقابلته ذاك جهة التجوز

---

(١) الحاشية ٠ ا ب
(٢) الحاشية ٤٠ ا ب
(٣) الكشاف ١ / ٨٥

والجواز على ماقال : " فالذى سوغ " الى قوله : " لا متنع تجعيد ها " ،ولا خفاء فى أنه يمكن فى بعض صور المشاكلة اعتبار استعارة بأن يشبه انقباض الشهادة عن الحفظ وتأبيها على الذاكرة بتجعيد الشعر ،لكن الكلام فى مطلق المشاكلة ،سيما مثل قوله :

قلت اطبخوا لى جبة وقميصا .

وقوله : " انها لم تجعد عنى " نوع من المشاكلة أبدع وأعجب ،اذ ليس تعبيرا عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة ذلك الغير ،بل فى صحبة ضده [1] .

وفى قوله تعالى : " فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين " ذكر الزمخشرى أن معناه : فلا تعتدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ،فوضع قوله : " الا على الظالمين " موضع على المنتهين . أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين . سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " [2] .

وقال السعد : الوجه الأول : كناية عن النهى عن العدوان على المنتهين ،أى العدوان مختص بالظالمين ،والمنتهون ليسوا بظالمين ،فلا تعتدوا عليهم ،والثانى : من قبيل المشاكلة وتسمية جزاء العدوان عدوانا ،أى لا تظلموا الا الظالمين دون المنتهين ،بمعنى لا تفعلوا ماهو فى صورة الظلم ومجازاة له بمثله الا مع الظالمين . ففى الوجهين القصد الى النهى مجازا أو كناية ،لكن النهى فى الأول عن قتال المنتهين لكونه ظلما حقيقة ،وفى الثانى عن مجازاة غير الظالمين بما هو فى صورة الظلم بالنسبة الى الظالمين [3] .

وألاحظ أن السعد أطلق المجاز على المشاكلة ،ولعله يقصد المجاز المرسل لما بين الظلم وجزائه من علاقة السببية .

(٤) الاستطراد

يقول الزمخشرى فى وجه اتصال قوله تعالى : " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " بما قبله : يجوز أن يجرى ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم فى الحج [4] .

---

(١) الحاشية ٩٢ ب — (٢) الكشاف ١ / ١٧٨

(٣) الحاشية ١٦٣ أ — (٤) الكشاف ١ / ١٧٧

ويذكر السعد معنى الاستطراد الاصطلاحى ، مبينا أصل هذا المعنى ، ومطبقا له على الآية الكريمة فيقول :

الاستطراد هو أن يذكر عند سوق الكلام لغرض : مايكون له نوع تعلق بـه ، ولا يكون السوق لأجله . ففى الآية لما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج ، وكان من جملة أفعالهم فى الحج دخول البيوت من ظهورها ، نهاهم عن ذلك ، وبين أنه ليس مـن البر فى شيء . وأصله : أن الصائد قصد صيدا بعينه ، فعرض له صيد آخر فطـرده لا عن قصد ومضى فى أمره .(١)

وفى قوله تعالى : " ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى " يقول الزمخشرى : ان قوله " منهم المؤمنون " و " لـن يضروكم " كلامان واردان على سبيل الاستطراد كما يقول القائل : وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت(٢) .

ويوضح السعد هذا الكلام ويذكر شاهدا لما أشار اليه الزمخشرى ، وهو أن يقول القائل : ان عمرا من عظماء الأنام ، يؤثر أصناف الانسان بأنواع الاحسان ، ولـو سار زيد بسيرته لكان أحرى ، وعلى ذكر زيد فانه من غلاة اللئام .

ثم يقول السعد : فقوله " وعلى ذكر زيد " ـ أى أبنى عليه وأتعرض له ـ تصـريـح بأنه على سبيل الاستطراد ، وهذا التركيب شائع فى عبارة البلغاء (٣) .

(٥) اللف والنشـــر

ومن اللف والنشر المرتب مابينه السعد فى قول الزمخشرى : " والاسم أحـــد الأسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون ، فاذا نطقوا بها مبتدئين ، زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن ، اذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ، ويقفوا علـى الساكن ، لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ، ولوضعها على غاية من الاحـــــكام والرصانة " (٤) .

قال السعد : يشبه أن تكون السلامة عن اللكنة والبشاعة علة رفض الابتـــداء بالساكن ، والوضع على غاية الاحكام والرصانة علة رفض الوقف على المتحرك لأنه يجـيء متقلقلا متزلزلا على مايشهد به الحس السليم . (٥)

---

(١) الحاشية ١٦١ ب
(٢) الكشاف ١ / ٣٠٨
(٣) الحاشية ٢٣١ أ
(٤) الكشاف ١ / ٤
(٥) الحاشية ١٦ أ

ومن غير المرتب قوله تعالى : " قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله " فقد فسر الزمخشري " نحن أنصار الله " بقوله : أي انصار دينه ورسوله[1] .

وقال السعد : المقصود طلب النصرة لرسوله في دينه ، فلذا فسر نحن أنصار الله بأنصار دينه ورسوله ، اما على الاطلاق فيهما ، واما على طريق اللف والنشر غير المرتب[2] .

ومما ذكر فيه المتعدد على جهة الاجمال ثم ذكر مالكل على التفصيل قوله تعالى : " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى " فقد ذكر الزمخشري أن الضمير في " قالوا " لأهل الكتاب من اليهود والنصارى . والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله ، وأمنا من الالباس ، لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه[3] .

وقال السعد : لقائل أن يقول : لما كان اللف بطريق الجمع كان المناسب أن يكون النشر كذلك ، لأن رد السامع مقول كل فريق الى صاحبه فيما اذا كان الأمران مقولين ، وكلمة " أو " لا تفيد الا مقولية أحد الأمرين . والجواب : أن مقول المجموع لم يستلزم دخول الفريقين ، بل دخول أحدهما ، لكن بعضهم هذا بالتعيين ، وبعضهم ذاك بالتعيين[4] .

وهناك نوع من اللف يلطف مسلكه ويدق فهمه وهو ما أشار اليه الزمخشري في قوله تعالى : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون " قال : الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق ، تقديره : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك ، يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في اباحة الفطر . فقوله " لتكملوا " علة الأمر بمراعاة العدة ، و " لتكبروا " علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ، و " لعلكم تشكرون " علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع من اللطائف المسلك ، لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان[5] .

---

(١) الكشاف ١/ ٢٨٠
(٢) الحاشية ٢٢١ ب
(٣) الكشاف ١/ ١٣٢
(٤) الحاشية ١٣١ أ
(٥) الكشاف ١/ ١٧٢

وأورد السعد اعتراضا وهو أن الزمخشري ذكر في تفصيل المعلل أمر الشاهد بالصوم دون تعليم كيفية القضاء ، وفي تطبيق العلل ورد كل منها الى معلل بالعكس ،فلم يقع بازاء صوم الشهر علة ،وبازاء لتكبروا معلل .

ثم أجاب بأن أمر الشاهد بصوم الشهر توطئة وتمهيد ،وفي الأمر بمراعاة العدة تعليم لكيفية القضاء ،لأن معناه : فليراع عدة ماأفطر ليصومها من شهر ،فيخرج عن العهدة .

ولاحظ السعد ملاحظة دقيقة مبينا وجه دقة هذا النوع من اللف وخفائه ولطف مسلكه فقال : ووجهه : أنه لم يصرح بالملفوف أولا بل بما يدل عليه ،وحين قصد ذكره حذف اللفظ الدال عليه .(١)

(٦) الجمع والتقسيم والتفريق .

ومنه قوله تعالى : " هو الذى أنزل عليك الكتاب .. " الآية ،فقد ذكر الزمخشري أن الوجه هو الوقوف على " والراسخون فى العلم " ،ومنهم من يقف على قوله " الا الله " ويبتدئ : " والراسخون فى العلم يقولون .. " (٢)

وبعد أن ذكر السعد أسباب هذا الترجيح للوجه الأول قال : وقد يرجح الثانى بأن "أما " للتفصيل فلابد فى مقابلة الحكم على الزائغين من حكم على الراسخين ليتحقق التفصيل ،غاية الأمر أنه حذف كلمة أما والفاء من اللفظ . وبأن الآية من قبيل الجمع والتقسيم والتفريق : فالجمع فى قوله : " أنزل عليك الكتاب " ،والتقسيم فى قوله : " منه آيات محكمات " ، " وأخر متشابهات " ،والتفريق فى قوله : " فأما الذين فى قلوبهم زيغ " فلابد فى مقابلة ذلك من حكم يتعلق بالمحكم وهو مضمون قوله : " والراسخون فى العلم " الى قوله : " أولوا الألباب " (٣) .

ومن التفريق أو الجمع قوله تعالى : " قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون " قال الزمخشري : " ونحن له مسلمون حال من فاعل " نعبد " أو من مفعوله (٤) .

وأضاف السعد : يعني على التفريق أو الجمع .(٥)

---

(١) الحاشية ١٥٧ ب
(٢) الكشاف ١ / ٢٦٠
(٣) الحاشية ٢٠٧ أ
(٤) الكشاف ١ / ١٤٥
(٥) الحاشية ١٣٩ ب

ومن التفريق دون الجمع مابينه السعد في قول الزمخشري " اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية (١) " قال : قوله " طبقات العلماء فيه " أي في متن العلم ،و " أقدام الصناع فيه " أي في عمود الصناعة ،فعود الضمير الى المتن وماعطف عليه بطريق التفريق دون الجمع (٢) .

ومن التقسيم بمعنى استيفاء أقسام الشيء بالذكر قول الزمخشري : " وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما " (٣) ،فقد ذكر السعد أن المراد بالمحكم : المتضح المعنى، وبالمتشابه : خلافه ،فيشملان جميع أقسام النظم من النص،والظاهر ،والمجمل ، والمأول ،وغير ذلك . (٤)

(٧) التجريد

ذكر السعد كثيرا من صور التجريد مبينا دلالتها البلاغية ،ومنها ماأشار اليه في قول الزمخشري في بيان نسب النبي صلى الله عليه وسلم : " ذى الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي (٥) " فقال : فان قيل : فرع الشيء أعلاه ،وفرع القوم سيدهم فما معنى " ذى الفرع " ههنا ؟ قلنا : الفرع ههنا مصدر بمعنى العلو ، وقد يقال : انه تجريد ،انتزع منه سيدا عالي القدر مبالغة في علو قدره . (٦)

وفي قول حبيب بن أوس :

أحاولت ارشادى فعقلي مرشدى * أم استمت تأديبي فدهرى مؤدبى

هما أظلما حالى ثمت أجليا * ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

يقول السعد : " هما أظلما " الضمير للعقل والدهر ،وحالاه : مايتوارد عليه من مثل الخير والشر ،و "ثمت أجليا " : ثم كشفا ظلاميهما عنى وأنا أمرد في السن أشيب في العقل أو في غير أوانه لمقاساة الأهوال ،وهذا تجريد (٧)

وذكر الزمخشري في قوله تعالى : " كمثل ريح فيها صر" وجوها منها : أن يكون من قوله تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " ،ومن قولك : ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل . (٨)

---

(١) مقدمة الكشاف/ى
(٢) الحاشية ١٠ أ
(٣) مقدمة الكشاف/ى
(٤) الحاشية ٨ أ
(٥) مقدمة الكشاف/ى
(٦) الحاشية ٩ ب
(٧) الحاشية ٧٥ أ ، ب
(٨) الكشاف ١ / ٣١٠

وقال السعد : أى أنه من باب التجريد ، انتزع من الريح ريحا باردة مبالغة فى بردها ، والا فهى نفسها صرحا أن الله كاف والرسول أسوة (١) .

وفى قوله تعالى : " فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير " يقول السعد : وقراءة " قال اعلم " على لفظ الأمر خطاب لنفسه على طريق التجريد (٢) .

وفى قوله تعالى : " يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا " ذكر الزمخشرى فى اعراب " الذين قالوا " أوجها منها : أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى " بأفواههم " أو " قلوبهم (٣) "

وأوضح السعد أنه على هذا الوجه يكون من باب التجريد ، كما فى قوله :

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا ، أى ويشرب بكف من كرم وجاد . (٤)

وبعد ..

فقد كانت هذه جهود السعد فى كل من علوم البلاغة الثلاثة : المعانى ، والبيان ، والبديع ، وكانت هذه الجهود موزعة بين صفحات الكتاب ، مبعثرة فى ثناياه ، لا تظهر ملامحها محددة واضحة فى كل مسألة على حده ، فقمت ببيانها وتوضيحها ، وقرأت الحاشية عدة مرات ، واستخرجت منها كل ما يتصل بمسائل البلاغة ، وجمعت النظير مع نظيره ، حتى يستطيع القارىء أن يقف بصورة واضحة وكاملة على ما صنعه السعد فى كل مبحث من المباحث البلاغية ، والله ولى التوفيق .

* * *

---

(١) الحاشية ٢٣٢ أ
(٢) الحاشية ١٩٥ أ
(٣) الكشاف ١ /٣٣٧
(٤) الحاشية ٢٤٤ أ

نسخ الكتاب التي اعتمدت عليها في التحقيق

ذكرت أن الموجود من نسخ الحاشية احدى عشرة نسخة ، منها نسخة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، ونسخة بمكتبة الأزهر ، وتسع نسخ بدار الكتب المصرية .

وقد اخترت من هذه النسخ خمس نسخ اعتمدت عليها في التحقيق ، اتخذت واحدة منها أصلا ، وقابلت عليها النسخ الأربع الباقية ، والتي رمزت لها بالحروف : ب ، خ ، ط ، م ، واليك بيان ذلك :

نسخة الأصل : وهي النسخة رقم ١٢٩ تفسير بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي مكتوبة بخط دقيق لدرجة تجعل قراءتها ليست سهلة ، ومع ذلك اتخذتها أصلا لأنها أقدم النسخ تاريخا حيث كتبت في القرن الثامن الذي عاش فيه المؤلف ، وهي بخط عيسى الصفوى الايجى ، وهي نسخة مصورة عدد لوحاتها ٤٩٠ لوحة ، كل لوحة منها تشتمل على صفحتين ، ويبتدئ نص الكتاب من اللوحة السادسة ، أما الخمس الأولى فتشتمل على بعض التعليقات والأشعار وأختام التمليك وأرقام المكتبات ، وهذه النسخة كاملة بحيث تشتمل على كل ما ألفه السعد من الكتاب وهو كما سبق من أول الكتاب الى أثناء سورة يونس الآية ٥٧ ، ومن أول سورة ص الى سورة الفتح الآية ٤ ، ويبلغ الجزء الذي أقوم بتحقيقه منها ٢٥٠ لوحة ، ويلاحظ أن السقط بهذه النسخة قليل ، وعلى هوامشها بعض التعليقات .

النسخة ب : وهي النسخة رقم ٢٣٧٢٩ ب بدار الكتب وتقع في ٣٩٤ ورقة ، وهي جزء ينتهي الى آخر سورة الأنعام ، ويبلغ الجزء الذي أقوم بتحقيقه منها ٢٦٠ ورقة ، وحجمها ٢٣ سم ، وعدد أسطرها يتراوح بين ٢٤ ، ٢٩ سطرا ، وهي مكتوبة بقلم معتاد ، وكلمة " قوله " فيها مكتوبة بالمداد الأحمر ، وبها سقوط كثيرة نبهت عليها في مواضعها أثناء التحقيق ، وعلى هوامشها تعليقات كثيرة ، وآثار الرطوبة ظاهرة فيها ، وكان الفراغ من كتابتها ظهر الخميس الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ٩٠١ هـ .

النسخة خ : وهي النسخة رقم ٣٥ تفسير خليل أغا بدار الكتب وهي نسخة كاملة مثل النسخة الأصل ، وعدد أوراقها ٣١٥ ورقة ويبلغ الجزء الذي أقوم بتحقيقه منها ١٦٠ ورقة ، وحجمها ٢٧ سم ، وعدد أسطرها يتراوح بين ٣٠ ، ٣٢ سطرا ، والسقط

بها قليل ، وهى مكتوبة بخط جيد وواضح ، وكلمة " قوله " مكتوبة فيها بالمداد الأحمر وكذلك الفصلات بين الجمل وكاتبها هو عثمان بن عبد الله ، وفرغ منها فى ٢٣ من جمادى الآخرة سنة ٨٥٣هـ .

النسخة ط : وهى النسخة رقم ٣١٧ تفسير طلعت بدار الكتب وهى جزء من أول الكتاب الى آخر سورة آل عمران ، وعدد أوراقها ٢٤١ ورقة ومسطرتها ٢١ سطرا ، وحجمها ١٨ سم ، وفى أثنائها نقص كبير نبهت عليه فى مواضعه ، وهى مكتوبة بقلم معتاد ، وفى بعض أوراقها كتبت كلمة " قوله " بالمداد الأحمر ، وبهوامشها بعض التعليقات .

النسخة م : وهى النسخة رقم ٢٥٤ تفسير تيمور بدار الكتب وهى جزء من أول الكتاب الى أوائل سورة النساء ، وعدد صفحاتها ٣٢٦ صفحة ، منها صفحتان فقط من سورة النساء ، وحجمها ٢٧ سم ، وعدد أسطرها يتراوح بين ٢٧ ، ٣١ سطرا ، وخطها ردئ ، وبها بعض السقوط ، كما أن بها بعض الأوراق المكررة ، وقد أشرت الى ذلك فى هامش التحقيق .

* * *

منهج التحقيق الذى اتبعته

١ـ سبق أن ذكرت أن العلامة التفتازانى اتبع فى شرحه للكشاف طريقة القول فيقول " قوله كذا " ويورد كلمة أو جملة من الكشاف ثم يبدأ بالشرح والتعليق ، وقد قمت فى التحقيق بوضع ماينقله السعد من الكشاف بين قوسين هكذا (...) ليتميز عن كلام السعد .

٢ـ ذكرت عند انتقال السعد من فقرة من الكشاف الى فقرة أخرى ، أو عند انتقاله من آية الى أخرى رقم جزء الكشاف وصفحته ليسهل الرجوع اليه ، ومتابعة شرح السعد لكل موضع منه .

ولما كانت طبعات الكشاف مختلفة رأيت تيسيرا لعملية الرجوع اليه أن أذكر مع رقم الجزء والصفحة رقم الآية التى يعلق السعد على تفسير الزمخشرى لها .

٣ـ اعتمدت نص الحاشية كما هو مذكور فى نسخة الأصل ، واذا كان هناك اختلاف بينها وبين النسخ الأخرى أثبت مافى النسخ الأخرى فى الهامش الا اذا كان مافيها اكثر اتساقا مع المعنى مما فى الأصل ، فاننى أثبته فى الأصل بين قوسين مزدوجين هكذا " ... " وأضع مافى الأصل فى الهامش بين قوسين مزدوجين أيضا ، وأنبه على ذلك ، وأحيانا أثبت فى الأصل أيضا بعض الزيادات التى وردت فى النسخ الأخرى والتى تعتبر سقطا من الأصل ، وأنبه على ذلك فى الهامش .

٤ـ وضعت الآيات القرآنية التى وردت فى الحاشية بين قوسين مزدوجين وأشرت فى الهوامش الى موضعها من المصحف الشريف ذاكرا رقم الآية ثم اسم السورة .

٥ـ وثقت القراءات القرآنية التى أشار السعد اليها من كتب القراءات وكتب التفسير .

٦ـ أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد وضعتها أيضا بين قوسين مزدوجين ، وخرجتها من كتب الحديث التى وردت فيها ، ولقد بذلت فى تخريجها جهدا فوق الطاقة ، لأننى لم اقتصر على تخريج الأحاديث التى ذكرها السعد ، ولكننى ألزمت نفسى بتخريج كل أحاديث الكشاف التى أشار اليها السعد ولو بكلمة واحدة تتصل بالحديث من قريب أو من بعيد حتى ولو لم يذكر كلمة واحدة منه .

٧ـ وضعت الأمثال السائرة بين قوسين مزدوجين كذلك وخرجتها من كتب الأمثال .

٨ـ وبالنسبة للشواهد الشعرية فقد نسبتها الى قائليها ان أمكن ، وأكملت البيت ان كان المذكور شطره أو جزءا منه ، واذا كان هناك روايات مختلفة للبيت ذكرتها

جميعا ، وأوضحت مايحتاج الى توضيح من مفرداته اللغوية ، وكثيرا ماكان السعد يذكر معنى الأبيات ، ومالم يذكره هو ذكرت معناه بايجاز ، وقد ذكرت المراجع التى ورد فيها البيت مبتدئا بديوان الشاعر ان وجد ثم الكتب البلاغية وكتب التفسير ، وكتب الأدب ، وكتب النحو ، والمعاجم اللغوية .

وقد فعلت فى الشعر مافعلته فى الأحاديث فألزمت نفسى بتحقيق أبيات الكشاف اذا أشار اليها السعد أية اشارة ولو لم يذكر كلمة واحدة منها .

٩ — ذكرت ترجمة مختصرة لأعلام البلاغيين ، والمفسرين ، والفقهاء ، والمتكلمين ، واللغويين والنحاة ، الذين ورد ذكرهم فى الكتاب .

١٠ — وكثيرا مايذكر السعد آراء لعلماء سابقين فوثقت تلك الآراء ، وذلك بالرجوع الى مؤلفات هؤلاء العلماء ، أو مؤلفات غيرهم ان لم يكن لهم كتب متداولة ، وذلك اذا كان السعد قد عين أصحاب هذه الآراء ، أما اذا ذكر الرأى ولم يشر الى صاحبه — وكثيرا مافعل ذلك — فقد عينت صاحب الرأى ان أمكن ، ووثقت مانقله عن السعد بالرجوع الى مؤلفاته ان وجدت ، أو الى المصادر الأخرى التى نقل عنها السعد ذلك الرأى .

١١ — قمت بتفسير المفردات اللغوية الغريبة معتمدا فى ذلك على المعاجم اللغوية كالصحاح ، واللسان ، وأساس البلاغة ، والقاموس المحيط .

١٢ — جعلت كتابتى فى نقل الكتاب تتفق بقدر الامكان مع القواعد الاملائية المعروفة ، وقمت بوضع الفواصل بين الجمل والفقرات ، ووضع علامات الاستفهام وعلامات الاعتراض فى أماكنها لتتم الفائدة .

١٣ — قمت بترقيم أوراق الكتاب على حسب وجودها فى نسخة الأصل ، وهى كما ذكرت مكونة من لوحات مصورة ، كل لوحة تشتمل على ورقة ذات صفحتين ، واقتضانى ذلك أن أشير الى الصفحة الأولى برمز أ ، والثانية برمز ب فكان الترقيم كالآتى : ٤ أ ، ٤ ب ، ٥ أ ، ٥ ب وهكذا ، ووضعت هذا الترقيم فى هامش الصفحة تمييزا له عن ترقيم الكتاب حسب النقل والطباعة .

١٤ — وأخيرا قمت بعمل فهارس للكتاب تيسيرا للاستفادة منه وهى كما يلى :

فهرس الآيات القرآنية ورتبتها على حسب ترتيب الآيات والسور فى المصحف الشريف .

فهرس الأحاديث النبوية وهى مرتبة حسب ورودها فى الكتاب .

فهرس الأمثال وهى مرتبة حسب الابجدية .

فهرس الشواهد الشعرية ورتبتها حسب قافية البيت واتبعت فى ذلك ذكر أول البيت ثم قافيته ثم اسم قائله .

فهرس المراجع ورتبتها حسب الأبجدية .

فهرس الموضوعات .

* * *

:: خاتمــــة ::

أحدث الكشاف نشاطا علميا واسع المدى منذ ظهوره وشغل الأئمة والمحققون به فأقبلوا عليه يتدارسونه ،ولقد اتضح من الفصل الذى عقدته للحديث عن الزمخشرى وكتابه الكشاف تنوع تلك الدراسات التى دارت حول الكشاف واختلاف غاياتهـــا واهتماماتها .

فمنها مايهتم بالدراسة البلاغية وتحرير الرأى فيها ،ومنها مايهتم كذلك بالدراسة اللغوية والنحوية وغيرها مما جاء فى الكشاف توضيحا ،وتبيينا ،وتنقيحا ،ومنهـــا مايعنى بالرد على مسائل الاعتزال فى الكشاف ،ومنها مايتجه الى تخريج أحاديثـــه أو شرح شواهده ،وبعضها عنى باختصار الكشاف وتلخيصه .

أما الفصل الثانى الذى تحدثت فيه عن عصر العلامة السعد وحياته فقد اتضح فيه أن القرن الثامن فى تلك البلاد الفارسية التى عاش فيها السعد كان من الفترات المضطربة من الناحية السياسية لما ساد فيه من الفـــتن والحروب التى أدت الـــى الدمار والخراب فى كثير من الأحيان .

وقد كان لهذا أثره الواضح على العلامة التفتازانى ،فعاش قلقا متنقلا كثـــير الأسفار ،لا يلقى عصا التسيار ببلد الا حملها الى بلد آخر ،وقد بث شكواه المريـــرة من هذا الزمان القلق ،ومن تلك الأيام المضطربة فى أكثر من كتاب من كتبه .

غير أن ذلك الاضطراب السياسى لم يوقف النشاط الاجتماعى والعلمى،فقد رأينـــا الكثير من الملوك رغم اشتغالهم بالحروب يعنون بجوانب من الحضارة المعمارية وغيرها ، ويكرمون العلماء ويشجعونهم على التصنيف والتأليف ،وان كانت الحركة العلمية فـــى هذا العصر قد اتسمت فى معظمها بالاهتمام بمعارف السابقين ودراستها ،ووضـــع الحواشى والشروح عليها .

أما حياة العلامة التفتازانى فقد تبين لنا من تناولها أن هناك اختلافا كبيرا بين المؤرخين حول جوانب عديدة منها ،وقد وصل هذا الاختلاف الى اسمه ،فبعضهـــم يذكر أنه " محمود " ولكن أكثرهم على أنه مسعود بن عمر بن عبد الله ،وهنـــاك اختلافات حول مولده ،ووفاته ،ومذهبه ،وحول تواريخ تأليفه لمختلف مؤلفاته .

وقد تحدثت عن تنقلات السعد ورحلاته ،وأشرت الى بعض كتبه التى ألفها فـــى كل بلد رحل اليها ،ثم تحدثت عن شيوخه وتلاميذه ، وظهر واضحا أنه أخذ العلم عن

أفاضل عصره ممن برعوا فى المعقول والمنقول ومختلف الفنون ،ثم ظهر نبوغه وتفوقه وطار صيته • فرحل اليه الطلبة للأخذ عنه ،وقد رأينا كثرة هؤلاء الاساتذة العظام الذين تخرجوا على يديه •

ثم انتقل بنا الحديث الى آثاره العلمية ومكانته بين العلماء ،وقد تبين لنا كيف تنوعت ثقافته حتى ترك لنا آثارا عظيمة فى البلاغة والتفسير ،والحديث ،والنحو ، والتصريف ،والمنطق ،والكلام ،والأصول والفقه وغيرها ؟ ، وكيف ظهر نبوغه مبكرا حتى ألف كتاب" شرح التصريف العزى" وعمره لم يتجاوز السادسة عشر عاما ؟ ، وكيف أجمع العلماء والمؤرخون على فضله وعلو منزلته العلمية حتى تنافس الأئمة والمحققون فى تحصيل مصنفاته والاعتناء بها •

وفى علاقته ببعض الأئمة الذين تتلمذوا على كتبه وهو السيد الشريف الجرجانى ذكرت أن السيد رغم أنه استفاد من جاه التفتازانى ومكانته فى الاتصال بأولى الأمر فى ذلك الوقت ورغم أنه أفاد من كتبه ،وكان يعترف بأستاذيته ويقر بفضله ،الا أنه تنكر له فيما بعد ،وأخذ يناوئه ،وانتزع منه الصدارة فى بلاط تيمور ،ثم جرت بينهما المناظرة المشهورة التى مات السعد على اثرها كمدا •

وانتقلت بعد ذلك الى الحديث عن حاشية السعد فوثقت نسبتها اليه ،ووضحت سبب تأليفها ،وأنه شرع فيها فى آخر حياته فلم يتمكن من اتمامها ،أما عن مصادرها فقد تبين لنا كثرة تلك المصادر التى استقى منها السعد مادته العلمية ،ورأينا تنوعها وتعددها ،وأنها شملت شتى أنواع الثقافة ،ومختلف ألوان العلوم من بلاغية ،ونحوية ،ولغوية ،وكلامية ،وفقهية ،وغيرها ،وأن ذلك يرجع الى أمرين :

الأول — أن السعد كان واسع الاطلاع غزير المعرفة ،وأنه استطاع أن يستوعب ثقافة المتقدمين من الأئمة والعلماء فى مختلف الفنون ،وأن يضع خلاصتها فى كتابه •

الثانى — أن وضعه للكتاب فى آخر حياته يعنى أنه وضعه فى مرحلة اكتملت فيها ثقافته اكتمالا تاما ،بحيث أصبح ملما بشتى أنواع العلوم والمعارف •

وقد اتضح أن السعد كان يشير أحيانا الى المصادر التى يأخذ عنها مثل أخذه عن عبد القاهر الجرجانى والسكاكى وغيرهما ،وأحيانا أخرى لا يشير الى تلك المصادر مثل أخذه عن أصحاب الكتب والحواشى التى ألفت حول الكشاف قبل حاشيته ، وقد اقتضانى ذلك أن أطلع على تلك الكتب لأقف على مواضع أخذ السعد منها ،ونقله عنها ،وأنسب كل رأى الى صاحبه •

وفى حديثى عن منهج السعد فى كتابه ذكرت أنه كان يثنى على بعض العلماء الذين يذكر آراءهم ويفيد منهم ، وكان يتصدى لبعضهم الآخر بالنقد ويتحامل عليهم ويقلل من شأنهم رغم أنه اطلع على مصنفاتهم وأفاد منهم الكثير .

وعن الجوانب الأخرى فى منهج السعد فقد توصلنا الى مايلى :

- اتبع السعد فى شرحه للكشاف طريقة القول فهو ليس شرحا ممزوجا ، وانما يورد قولا من الكشاف فيشرحه ، ثم يترك جملة أو جملا ويورد قولا آخر وهكذا ، وقد أوضحت أن تلك الطريقة قد التزم بها فى شرحه للقسم الثالث من المفتاح ، كما التزم بها السيد الشريف فى كتابه " المصباح " .

- تأثر منهج السعد فى الكتاب بالعلوم التى كان يجيدها ، والتى تقتضيها طبيعة المباحث التى جاءت فى الكشاف لغوية كانت أو نحوية ، أو كلامية الى غير ذلك ، فكان لعلوم اللغة ، والنحو ، والصرف والفقه ، والأصول ، أثر بارز على منهجه ، وقد رأيناه أثناء ذلك يعنى بالاكثار من الشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال والشعر .

- ترجم السعد لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الكشاف وفى ترجمته يعرض لاسم الرجل ، وثقافته ، وبيئته ، وقد يعرض لشيوخه وتلاميذه ، وبعض الأخبار عنه وعن أسرته .

- شاع فى أسلوب السعد وضع الأسئلة الافتراضية والاجابة عليها ، وقد ذكرت أنه يتبع فى ذلك طريقة الزمخشرى فى الكشاف ، كما رأينا السعد يتبع فى أسلوبه الاقتباس من القرآن الكريم أحيانا ، ويتبع طريقة البحث بأن يقول فى تقريره لبعض المسائل بقى ههنا بحث ، أو : وههنا بحث ، ورأيناه فى بعض المواضع يستطرد استطرادات طويلة ، ويورد اعتراضات وأجوبة عليها ثم اعتراضات على الأجوبة وهكذا ، وقد يذكر فى أسلوبه بعض العبارات الفارسية متأثرا بتلك اللغة التى كان يتقنها ، ولقد اتضح لنا أنه استوعب الكشاف استيعابا كاملا ودقيقا بدليل ماشاع فى كتابه من عبارات الاستقراء مثل قوله : ان المصنف كثيرا مايفعل كذا فى هذا الكتاب ، أو : ومثل هذا شائع فى كلام المصنف الخ ، كما اتضح لنا ماكان يتمتع به السعد من دقة علمية فائقة ، وقد تمثل ذلك فى رجوعه الى المصادر لتوثيق ماجاء بالكشاف وغيره من النصوص والآراء .

وفى حديثنا عن نظرة السعد الى الزمخشرى تبين لنا أنها كانت - فى غير المسائل الاعتزالية - نظرة الاجلال والاكبار ، فهو يعتبره اماما فى البلاغة يقرر أصولها ويؤخذ

عنه ، ويعتبره كذلك ثقة فى اللغة وأن استعماله فيها بمنزلة روايته ، فاذا وجه نقدا اليه فهو نقد العلماء الذى لا يتجاوز ماينبغى أن يكونوا عليه من الالتزام بالموضوعية والانصاف .

أما فى المسائل الاعتزالية التى أثارها الزمخشرى فى الكشاف فقد رأينا السعد شديد اللهجة ، عنيفا فى نقده للزمخشرى واستنكاره لآرائه الاعتزالية .

ولقد تحدثت عن شخصية السعد فى كتابه وبينت أنها واضحة كل الوضوح ، حيث كان شارحا ، وناقدا ، وموجها ومحللا ، ومؤيدا أو معارضا ، مدعما مايراه بالأمثلة والشواهد . مناقشا لكثيرة من العلماء معتزا برأيه ذاكرا أن مايراه هو الأظهر ، أو : أنه الحق الى غير ذلك .

ثم انتقل بنا الحديث الى الفصل الذى خصصته للحديث عن جهود السعد البلاغية فى هذا الجزء الذى أحققه من كتابه ، ولقد تحدثت عن جهوده فى كل من علوم البلاغة الثلاثة : المعانى ، والبيان ، والبديع .

أما علم المعانى فقد أوضحت دراسة السعد للكلمة والجملة فى أحوالهما المختلفة ، فقد نظر ببصيرته النافذة فى الكلمة من حيث مادتها ، وصيغتها ، وتعريفها وتنكيرها وغير ذلك موضحا الدلالات البلاغية لهذه الأحوال ، مستشفا ماوراءها من نكت وأسرار .

ونظر السعد كذلك فى الحروف موضحا أسرارها البلاغية . ومن هذه الحروف : الفاء ، وثم ، وعلى ، وياء النسب ، وكاف الخطاب ، والسين ، ولن ، ثم أداتا الشرط ان ، واذا .

وتحدثت بعد ذلك عن دراسة السعد لأحوال الجملة من حيث اسميتها وفعليتها وكونها خبرا أو انشاء ، فعرضت لأضرب الخبر وأغراضه البلاغية التى ذكرها السعد له . ثم بينت الأغراض التى ذكرها لألوان الانشاء المختلفة وهى : الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، والنداء ، وكذلك الأغراض البلاغية التى ذكرها للخروج عن مقتضى الظاهر بأنواعه المتعددة من الالتفات ، والأسلوب الحكيم ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، وغير ذلك .

أما القصر فقد بينت طرقه التى عرض لها السعد فى الحاشية وهى التقديم ، والتعريف بلام الجنس ، وضمير الفصل ، والنفى والاستثناء ، وانما ، وفى أثناء ذلك عرضت للدلالات البلاغية التى أوضحها السعد فى صور القصر المتعددة .

وفي بحث الفصل والوصل ذكرت أن السعد عرض لكثير من أسرار الفصل والوصل في شواهد عديدة ، وعرض للتوسط بين الكمالين وكمال الاتصال وكمال الانقطاع ، ثم ذكر مايفيده الاستئناف من تمكين الحكم في ذهن السامع لحصوله بعد السؤال والطلب ، فضلا عن أسراره الأخرى التي يفيدها في مواقعه المختلفة .

أما عن الايجاز والاطناب فقد عرضت لمحاسن النكت التي استشفها السعد من كل منهما في صورهما العديدة .

ثم انتقلت الى علم البيان وتناول الحديث فيه التشبيه والاستعارة ، والمجاز المرسل ، والمجاز العقلي ، والكناية ، والتعريض .

أما التشبيه فقد عرض السعد لبعض صوره التي يطوى فيها ذكر المشبه كما يطوى في الاستعارة ، وبين كيف يفرق بين الاستعارة وبين مثل تلك الصورة من التشبيه ، ثم عرض للحديث عن أداة التشبيه ووجه الشبه ، وضرورة الملاءمة والمناسبة بين طرفي التشبيه ، وأن التشبيه البليغ من قبيل الاستعارة ، ثم ذكر التمثيل والتجريد وبين أنه لا فرق عند الزمخشري بين التشبيه والتمثيل ، وأن التجريد عنده من باب التشبيه ، ووضح السعد كذلك القيمة البلاغية للتشبيه المركب .

أما الاستعارة فقد أوضح السعد معناها عند الزمخشري ، وبين أنه يقسم المجاز الى الاستعارة والتمثيل متبعا في ذلك الشيخ عبد القاهر وكثيرا من القدماء ، ثم عرض للمثل والاستعارة التمثيلية ، وارتضى ماقرره الزمخشري في الاستعارة المكنية ، وأنها قد توجد بدون التخييلية ، وأن قرينتها قد تكون استعارة تحقيقية . ولقد ذكرت أكثر من شاهد في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية ، وهو ما اختلف فيه السعد والسيد ، ويفهم من عبارة الزمخشري في بعض تلك الشواهد امكان اجتماعهما وهو ماذهب اليه التفتازاني . وقد عرض السعد للترشيح وبين أنه انما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة ، وأنه قد يكون مجازا ، وقد يكون حقيقة .

أما المجاز المرسل فقد عرض السعد لكثير من علاقاته كالجزئية والكلية ، والسببية ، والمسببية . وغيرها .

وتناول في المجاز العقلي علاقات الاسناد المختلفة ، ثم ذكر بعض الأسرار البلاغية التي يفيدها هذا المجاز .

وقد أوضح السعد معنى الكناية عند الزمخشري مفرقا بينها وبين التعريض ذاكرا الأمثلة التي تصلح لكل منهما أو لأحدهما ، وبين أن الكناية كما تكون تعبيرا باللازم

عن الملزوم فقد تكون بالملزوم عن اللازم ، وأنها قسم من الحقيقة ، ومبنى الفرق بينهما وبين المجاز على جواز ارادة المعنى الحقيقي وعدمه ، وأن هذا المعنى الحقيقى قد يتحقق ويراد لاقصداً اليه ، وقد لا يتحقق أصلا ، وعرض السعد كذلك لصور من الكناية بأقسامها الثلاثة ، وصور من الكناية الايمائية ، والرمزية ، والتلويحية ، كما عرض لمجاز الكناية ، وكناية الكناية .

هذا ، وقد ذكرت أن صور المجاز والكناية فى الحاشية كثيرة وغزيرة ، وكنت ترى أن السعد يحللها ويشرحها شرحا أدبيا ، مبينا سر جمالها ، ووجه بلاغتها وروعتها ، بدون أن يعنى بتحديد نوعها ، أو ذكر اسمها الاصطلاحى .

وينتقل بنا الحديث الى علم البديع وقد عرض السعد لصور من مراعاة النظير ، ومن الجمع والتقسيم والتفريق ، وذكر الطباق معبرا عنه بالتضاد ، وأطلق الطباق لا بمعناه الاصطلاحى ، وانما بمعنى الملاءمة والموافقة .

وعرف السعد المشاكلة ، وقارن بينها وبين الاستعارة ، وأوضح أن المشاكلة ليست بحقيقة ، ومع ذلك فوجه التجوز فيها غير ظاهر .

وقد ذكر معنى الاستطراد الاصطلاحى مبينا أصل هذا المعنى مطبقا له على بعض الشواهد القرآنية .

اما اللف والنشر فقد عرض السعد لأمثلة من المرتب منه وغير المرتب ، ولِمَا ذُكِر فيه المتعدد على جهة الاجمال ثم ذكر ما لكل على جهة التفصيل ، ولذلك النوع الذى أشار الزمخشرى الى أنه نوع يلطف مسلكه ويدق فهمه ، ثم بين السعد وجه تلك الدقة وسر ذلك اللطف فى هذا النوع من اللف .

ومن الأنواع البديعية التي ذكرها السعد أيضا : التجريد ، فقد عرض له فى شواهد عديدة ، وأوضح فيها دلالته البلاغية .

وهكذا عرضت فى ذلك الفصل لجهود السعد فى كل مسألة من المسائل البلاغية ، وقرأت — من أجل ذلك — الحاشية مرات عديدة واستخرجت منها كل مايتصل بمسائل البلاغة ، وجمعت النظير مع نظيره ، حتى يكون لدى القارئ فكرة واضحة وكاملة عما صنعه السعد فى كل مبحث من مباحث علم المعانى ، وعلم البيان ، وعلم البديع .

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن نسخ الكتاب التى اعتمدت عليها فى التحقيق ، وعن المنهج الذى اتبعته حتى يخرج الكتاب محققا على أساس علمى سليم .

وبعد ..

فلقد بذلت كل ما أستطيع من الجهد فى التحقيق والدراسة حتى يخرج البحث بالصورة اللائقة به ، وكنت أسير فى ذلك على هدى من الله سبحانه وتعالى ، وبتوجيهات قيمة من أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور كامل الخولى ، صاحب الفضل الأول فى توجيهنا نحو المخطوطات ، ومعرفة طرق البحث ، والاهتداء الى المراجع .

وقد تواصلت عنايته العلمية بهذا البحث منذ أن أبلغت فضيلته برغبتى فى تحقيق هذا الكتاب وحتى استوائه فى صورته النهائية ، فلم يدخر وسعا فى ابداء الرأى والنصيحة ، وبذل فى توجيهى جهدا سخيا ، وفى رعايتى أبوة حميمة بكامل عطائها ، وكثيرا ما حثنى وشجعنى على اتمام البحث ، فله الشكر والعرفان ، وجزاه الله عنا وعن لغتنا العربية وأمتنا الاسلامية خير ما جزى رجلا عما قدم للغته وأمته من خير .

هذا ، وكل ما أرجوه من الله العلى القدير أن أكون قد وفيت البحث حقه ، فان كنت قد فعلت ، فذلك بفضل الله وتوفيقه وكرمه ، وان كنت قد قصرت فى بعض الأمور ، فالكمال لله وحده ، وشأن البشر التقصير والقصور ، وحسبى أنى بذلت قصارى جهدى وصابرت وتأنيت ليمكن الوفاء بما قصدت من اتمام البحث على الوجه الأكمل .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

* * *

:: القسم الثانـي ::

تحقيق الجزء الأول
من حاشية العلامة سعد الدين التفتازاني
على الكشاف للزمخشري

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

تحقيق الجزء الأول من حاشية العلامة سعد التفتازانى على الكشاف للزمخشرى

رسالة دكتوراه

مقدمة الى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر) لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) فى البلاغة والنقد

اعداد
عبد الفتاح عيسى البربرى

اشراف
الأستاذ الدكتور/ كامل امام الخولى

١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

الجزء الثانى

:: بسم الله الرحمن الرحيم (١) ::

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وبين فيه لأولى الألباب بينات وحججا ، نزله بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، وأنطقه بالصدق محققا لما يعول عليه فى كل باب ، يقضى له (٢) بحق القدم أنه من صفاته ولا يفضى الى سبق العدم حدوث سماته ، فياله من قديم بماله من كماله ، حكيم فى كل ما دبر وقدر من أفعاله ، أبت حكمته أن يرضى لعباده الفحشاء ، وعلت (٣) قدرته أن يجرى فى ملكه الا مايشاء ،

والصلاة والسلام على خيرة الأصفياء وصفوة الأنبياء محمد المبعوث بكتاب أعجز بفصاحته مصاقع الخطباء (٤) ، وأخرس ببلاغته شقاشق العرب العرباء (٥)

تقاصرت عن أقصر سورة توازيه مداره (٦) قحطان وفحولها ، وتضاءلت دون الاتيان بما يدانيه غرر عدنان وحجولها (٧) ، حتى فزعوا عن المعارضة بأسل (٨) الألسنة الفصاح وقرعوا باب المقارعة بأسنة الأسل والرماح ، وعلى آله وأصحابه رماة حدق الفصاحة والبيان ، وحماة طرق الهداية والتبيان ، الكاشفين للأستار عن حقائق التنزيل ، الواصفين للأسرار من دقائق التأويل ،

وبعد ، فان كتاب الكشاف للشيخ العلامة أحله الله تعالى من فضله دار المقامة ،

---

(١) بعد البسملة فى خ : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام ، وفى م : رب تمم بالخير ، وفى ب : وبه نستعين .
(٢) الضمير يرجع الى القرآن بمعنى الكلام النفسى
(٣) فى ط : وجلت (٤) خطيب مصقع أى بليغ
(٥) يقال : شقشق الفحل اذا هدر والشقشقه بالكسر شىء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا هاج ، ويقال للفصيح اذا انطلق فى القول والبيان : هدرت شقاشقه ، واذا أصيب بالعى والحصر : خرست شقاشقه ، والعرب العرباء الخلص منهم .
(٦) المدره زعيم القوم والمتكلم عنهم ، انظر حاشية الحارثى ٢ ب
(٧) فلان غرة قومه أى سيدهم وهم غرر قومهم والحجول جميع حجل وهو الخلخال ، والمراد أصحابها وهم ساداتهم ، كالغرر لكبرائهم المشهورين .
(٨) الأسل نبات دقيق الأغصان وقيل للرماح : الأسل على التشبيه ، ولمستدق اللسان : الأسلة ، وتقول : أسلات ألسنتهم أمضى من أسنة أسلهم .

قد طار (1) صيت جلالة قدره كالأمثال في الأقطار ، وصار أمر نباهة ذكره (2) كالأمثال في الأمصار ، رقصت نحوه عيون العيون (3) من الأفاضل ونطقت بفضله كلمة الكملة من الأماثل (4) ، حتى وصفه بحسن التأليف (5) أطباق الآفاق (6) ، ووضعه للطف الترصيف الحذاق على الأحداق ، أعترف بسمو محله المعاند والمحادى ، ونادى بعلو رتبته كل واد وناد .

يرتاح له أرباب العلم المتين ، والفضل المبين ، وتنزاح به عن وجوه الاعجاز شبه المرتابين ، تملأ الروعة منه قلوب الأفاضل ، وتملك نفوسهم ، ويهز الاستعجاب منه أعطافهم ، ويرقص رؤوسهم .

فيه لكل محتذ مثال ، ولكل منضو ثمال (7) ، وتنثال (8) على الناظر البصير من غرائب نكته أرسال (9) ، تهف (10) حواليه رياح آمال الفضلاء ، وتزف عليه نعام قلوب الأذكياء (11) ، يخوضون غمار نكته وأسراره ، ويغوصون على فرائد الفوائد في بحاره (12) ، لاسيما المعاصرين الذين سبقونا قليلا ، فقد ابتدروا اليه رعيلا رعيلا (13) وادرعوا فيه ليلا طويلا (14) ، وصبروا عليه صبرا جميلا ، يسدون ما تركه الأولون من ثلمه (15) ، ويبينون ما اشتبه على الآخرين من كلمه .

---

(1) في خ : اشتهر ، وفي م ، ب : طارت
(2) في ط : وسار من نباهة ذكره
(3) أي عيون الخيار من الأفاضل (4) أماثل القوم : خيارهم
(5) ب : بحسن الترتيب
(6) أي جماعات الناس وعوالمهم من قولهم : أتانا طبق أي جماعة من الناس ، ومضى طبق بعد طبق أي عالم من الناس بعد عالم .
(7) أي لكل مستغيث غياث . (8) أي تنصب .
(9) يقال : جاءت الابل أرسالا اى قطيعا قطيعا .
(10) ريح هفافة أي ساكنة طيبة والهفيف سرعة السير أيضا
(11) زفت الريح زفيفا وزفزفة ، وهي سرعة الهبوب والطيران مع صوت ، شبه القلوب الذكية بالنعام في سرعة الوصول الى الغرض مع السهولة وعدم التعثر .
(12) ب : في تياره .
(13) ابتدروا أي تسارعوا ، والرعيل القطيع .
(14) ادرع الرجل لبس الدرع والمراد ضبط أمره وأخذه بالثقة والحزم .
(15) الثلمة : الخلل في الحائط وغيره .

ولو لم يكن منهم الا التنبيه على مظان الاشتباه ، والتنويه بشأن مايجب لـه الانتباه لكفى ، فكيف وقد وجهوا ركايبهم نحو بابه ، وطرحوا سفاينهم في عبابه (١) ، وسهلوا ماوعر من مسالك شعابه ، وذللوا ماصعب من شوارد صعابه ، وبلغوا كل مبلغ في كشف الحجب عن أسراره والسدف (٢) / عن أنواره ، ونيل الاستضاءة بسطوع ٦ ب ناره وطلوع نهاره .

ولقد دخلت في زمرتهم (٣) ، واتصلت بجملتهم ، حين كان غصن الشباب رطيبا ، وبرد الحداثة قشيبا ، وكم (٤) الأمل طريا ، والفهم عن الخلل بريا . استكشف لتحقيقه خفاياه وخباياه ، وأدئب (٥) في طريقه ركاب (٦) الطلب ومطاياه . مع جد في الأمر جديد ، وحرص على الكد عتيد (٧) ، وابتدار من السعود متواصل (٨) ، واقتدار على الصعود متكامل .

فقاسيت ماقاسيت حتى أمريت على ماتمنيت . ثم طفقت أبذل للطالبين ماصادفت من مخزون فقره ، وأنثر على الراغبين ماحصلت من مكنون دروه . وكانوا كلما رجعوا الى وسمعوا مالدى أفاضوا في الاستغراب وقالوا : ان هذا لشيء عجاب ، ماسمعنا به في الأولين ، ولا حام حوله الجهرة من المتقلين . وطلبوا منى أن أثبت ماثبت عندى ، وأقرر لهم ماتقرر في يدى ، مما سمعت من كبار الأفاضل ، أو التقطت من كلام الأوائل ، أو سمح به الخاطر الفاتر ، أو سنح للنظر القاصر ، حين كان الرأى ولودا ، والفكر عمولا (٩) ، والتأمل قطوفا وصولا . وزعموا أنى كأنى أخذت في هذا الكتاب ماعند المصنف طرا ، وأحطت بما لديه خبرا . وجمعت في ذلك الكتاب من الحقائق الجلائل والدقائق ، مالم يجمعه أحد من الخلائق . وأن الخوض فيه على فرض (١٠) العين . ووضعوا بعض ماكتبت على الرأس والعين .

---

(١) الحباب معظم الماء .

(٢) يقال : أسدفت المرأة أرخت قناعها وكلمتنى من وراء سدافتها أى ستارتها .

(٣) الزمرة الجماعة .

(٤) الكم وعاء الطلع وغطاء النور .

(٥) الادآب جعل الشيء ذا جد .

(٦) في د : ركايب

(٧) اى حاضر مهيأ .

(٨) السعود السعادة واليمن .

(٩) أى مطبوعا على الحمل .

(١٠) في ب : حق العين .

وكان الأمثل بحالي ، والأليق بمالي ، أن لا أفغر[1] بما سألوا فما ، ولا أبل بما راموا قلما ، لما أرى عليه الزمان من قلة الانصاف ، وفرط الجور والاعتساف[2] وميل الطباع الى الحسد والعناد ، وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى العباد • على أنى بمعترك المنايا ، ومزدحم صروف الغدايا والعشايا جاوزت منتصف دقاقة الرقاب[3] ، وناهزت ملتطم أمواج العباب •

الا أنهم كرروا كلمتهم وردوا ، وألحوا في طلبتهم[4] وأكدوا ، بحيث لم يبق الى الممانعة مهيع ، ولا في قوس المدافعة منزع[5] • فصرفت الهمة والعزيمة وأحكمت النية والصريمة[6] • وحللت من الفكر بملتقى طرقه ، ومن النظر بمجتمع فرقه ثم أخذت في نشر فرائده[7] المخزونة ، ولنشر فوائده المكنونة ، بحيث ينشد ضالته كل طالب عارف ، ويعثر على دالته[8] كل ناظر واصف • مع علمي بأن البعض حقيق بأن تزوى عنه هذه الأماني ، ولا تروى له هذه المعاني •

وبحت برموزه التي كانت عن الأنظار خفية • وسمحت بكنوزه التي كانت مدى الأعصار خبية • وان كانت خليقا[9] بأن لا يبذل منها الا الواحد فالواحد ، ولا يدخل فيها الا الوارد بعد الوارد ، اذ لم أدركها الا في مدة طويلة لا أذكر طرفيها ، ومجاهدات عجيبة لا أنسى / مجاذباتي فيها ، ومراجعات كثيرة الى الثقات ومطالعات ١٧ أ
عميقة لما أثبته الأثبات[10] ، حين كان في القول امكان وللتحصيل ارصاد[11] ، ولسهم النضال تسديد ، وفي قوس الرماء منزع وتوتيد[12] •

---

(١) فغرفاه أى فتحه •
(٢) الاعتساف الأخذ على غير الطريق •
(٣) يقول التفتازاني في الورقة ٢ اب من هذه الحاشية : العشر الدقاقة مابين ستين الى سبعين وهو معترك المنايا •
(٤) طلبتهم أى مطلوبهم وهى ساقطة من ب
(٥) " المهيع" الطريق الواسع البين "والمنزع" السهم (٦) أى العزيمة
(٧) في ٧ ، ب : فوائده (٨) الدالة مايدل به على حميمه
(٩) هكذا في خ ، م ، ب ، ط وعبارة الأصل : وان كان حقيقا •
(١٠) الأثبات جمع ثبت وهو الحجة •
(١١) أى اعداد
(١٢) التوتيد النشر والمعنى حين كان في القوس نزع وارسال وهى كناية عن القوة وتهيؤ أسباب حصول المقصود • / انظر حاشية الحلائى ٤ أ

وأثرت في محترك الوجوه ، ومزدحم المعاني ماهو الأبعد من مج الأسماع والأقرب امتزاجا بالطباع ، وأوردت في كشف المعضلات ، وحل التراكيب أشرف الانماط وأحسن الأساليب ، بتقريرات تتفتح لها الآذان ، وتهتز عند ورودها الأذهان ، وينبس السامع لديها فوديه [1] ، ويميل الواقف عليها عطفيه .

وتحريرات تضمحل بها على التحقيق الشبه ، ويسكت عندها المنطيق المفوه ، ويندفع ما في بعض الحواشي من الميل [2] ، أو وقع لبعض الأفهام من الزلل ، وولت في مصاك الركب ومصاف الأقدام [3] على ماهو الأوثق في الاعتصام والأوفق بالمرام ، وما به يخمد من الباطل الضرام ، ويغمد من الحاطل الحسام ، وضبعت بالخابطين المتعسفين في مزالقهم [4] ، والطالبين المتحيرين في مضايقهم الى مايهديهم الطريق المستبين ويحظيهم ثلج الصدر وبرد اليقين ، وأعرضت عن الجاهلين الذين " في طغيانهم يعمهون [5] " وبالباطل من تبيانهم يسفهون ، وبآذان النعام يسمعون وبأذهان الانعام يعقلون .

واذا قرع سمعك مالم يسبق اليه فهمك ، فلا تعجل الى الرد والانكار ، وأقبل على التأمل والاستبصار ، لعلك تونس من جانب الطور جذوة نار [6] ، وفي ظلمة الليل البهيم [7] غرة نهار ، وتعرف أنها آيات بينات لقوم يعقلون [8] ، ولا يجحد [9] بها الا القوم الظالمون ، وسيحمدها فضلاء البلاد ، والأذكياء من كل حاضر وباد .

---

(١) ينبس أي يحرك والفودان جانبا الرأس (٢) ب : من الخلل .

(٣) مصاك الركب هي المباحث المشكلة التي عند البحث عنها تصك أي تضرب بعض الركب بعضا ، والمصاف المواقف ، / حاشية الحلائي ٤ أ ، ويقول التفتازاني في الورقة ١٠ أ من هذه الحاشية : تحاك الركب كناية عن شدة الأمر وفرط الاجتهاد في المسابقة .

(٤) الضبع العضد ، وضبعت الرجل مددت اليه ضبعي للضرب ، وقيل : خبط عشواء وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط اذا مشت لا تتوقى شيئا ، والمزالق المواضع التي لا تثبت عليها قدم .

(٥) اقتباس من الآية ١٥ من سورة البقرة .

(٦) الجذوة عود في رأسه نار .

(٧) أي الذي لا ضوء فيه الى الصباح .

(٨) هكذا في خ ، م ، ب ، ط وفي الأصل : يعلمون .

(٩) في خ ، ب : ولا يجحدها .

في كل واد وناد ، وان رغمت أنف الحساد .(١)

" من يهد الله فهو المهتدى (٢) " " ومن يضلل الله فما له من هاد (٣) " ، وان كان ذو عيب في ريب ، فليأت بحديث مثله (٤) ، أو ليمت بغيظه في جهله . و " ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (٥) " " والله ذو الفضل العظيم " (٦)

وعلى الله التعويل ، في أن يهديني سواء السبيل ، ويجعلني من رحمته في ظل ظليل ، ويعصمني حين تضل الأفهام ، ويثبتني يوم تزل الأقدام ، انه قريب مجيب " وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (٧) " .

قوله : (الحمد لله) (٨) القرآن في اللغة الجمع نقل الى المجموع المتلو وفسر بالكلام المنزل على النبي عليه السلام ، المنقول عنه بالتواتر ، المكتوب في المصاحف ، يطلق تارة على الكل وهو الملائم لكلامه ، وتارة على الكلي وهو اللائق بغرض الأصولي .

ولما كان اثباته بالشرع ، وقد دل الشرع على اتصافه بما يوجب حدوثه وكان الذي يقصد تفسيره هو ذلك الحادث ، صدر المصنف كتابه بنبذ (٩) من تلك الصفات ليكون مع رعاية براعة الاستهلال دلالة على اثبات ما هو معظم خلافيات / المعتزلة ٧ ب وأشهر مقاصدهم في الكلام حتى هاجت في زمن بعض الخلفاء العباسية (١٠) بسبب مسألة خلق القرآن فتنة عظيمة قتل فيها جمع كثير (١١) من علماء السنة . واشارة الى أن ما ثبت بالشرع من كلام الله تعالى حادث ، فمن ادعى كلاما قديما وحاول تأويل الظواهر الدالة على الحدوث كان عليه البيان .

---

(١) أى التصقت بالرغام وهو التراب " كناية عن الاذلال وسوء الحال وعدم القدرة على الانصاف " حاشية العلائي ٤ ب .
(٢) اقتباس من الآية ٩٧ سورة الاسراء .
(٣) اقتباس من الآية ٣٦ سورة الزمر .
(٤) يقول العلائي في حاشيته ٤ ب ان السعد لاحظ هنا قوله تعالى " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " من الآية ٢٣ سورة البقرة مدنيه . ويرى بعض البلاغيين أن مثل هذا يعتبر اقتباسا مع تغيير يسير ولكني أرجح رأى بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح (شروح التلخيص ٤ / ٥١٤) في عدم تسمية مثل هذا اقتباسا وأن ينزه عن مثله كلام الله تعالى .
(٥) اقتباس من الآية ٧٣ سورة آل عمران (٦) اقتباس من الآية ٧٤ سورة آل عمران
(٧) اقتباس من الآية ٨٨ سورة هود . (٨) مقدمة الكشاف ص (ى)
(٩) نبذ أى شيء يسير . الصحاح مادة (نبذ) .
(١٠) هو الخليفة المأمون . انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٥ / ٢٢٢ .
(١١) في ط ، خ : جمع عظيم .

فان قيل : الشرع أثبت الكلام صفة لله تعالى فيكون قديما ضرورة امتناع قيام الحادث[1] بذات الله تعالى وأخبر الشارع بذلك حيث قال : القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

أجيب بأن الصفة هى التكلم ومعناه : ايجاد الأصوات والحروف فى محالها فترجع الى الصفات الاضافية ، ومعنى المخلوق : المفترى .

ورد بأن المفهوم من المتكلم من قام به الكلام ، وايجاد العرض فى محل لا يوجب اتصاف الموجد به ولا اضافته الى الموجد[2] اضافة الكلام الى المتكلم .

ثم المروى أن الله تعالى أنزل القرآن دفعة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فحفظته الحفظة ، أو كتبته الكتبة فى الصحف ، ثم نزله منها الى النبى صلى الله عليه وسلم منجما موزعا على حسب المصالح وكفاء الحوادث وعبر عن ذلك بالتنزيل ، لما فيه من الدلالة على التدريج والتكثير .

فان قيل : الانزال التحريك من الأعلى الى الأسفل ، والعرض وان جاز تحريكه بتبعية المحل من حيز الى آخر — فانه اذا تحرك الجسم تحرك مافيه من الأعراض وليس ذلك من الانتقال المستحيل فى شىء — فان معناه انتقال العرض من محله الذى هو قائم به الى محل آخر لكن الكلام من الأعراض المتزايلة التى لا استقرار لأجزائها ، فكيف يتصور انزاله ؟؟ .

قلنا يجعل انزال المحل الذى تقوم به الحروف الملفوظة المسموعة فى الجملة ولو عند الأداء الى المنزل اليه ، أو صورها المحفوظة أو المكتوبة انزالا للكلام مجازا كما فى وصف الكتاب بوصف صاحبه أو حامله فيكون كل من الانزال والقرآن على حقيقته[3] ويصح حمل الكلام المؤلف المنظم عليه حقيقة ، وتتم الدلالة بذلك على حدوثه كما سيذكره .

بخلاف ما اذا جعل الانزال مجازا عن اظهاره وايجاده فى اللوح المحفوظ من

---

(١) فى ط ، ب : الحوادث
(٢) " الى الموجد " ساقطة من الأصل .
(٣) لأن المجاز فى اسناد الانزال ونسبته الى القرآن . ويقول السيد الشريف =

الموجد الأعلى رتبة وشرفا (١) ،أو جعل القرآن مجازا (٢) عن الصور المحفوظة أو المكتوبة فليتأمل .

قوله : (كلاما مؤلفا) (٣) حال موطئة كما في قوله تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا " (٤) لا مؤكدة لفقد التقرير والتأكيد . ولا بدل أو نصب بتقدير أعني لفوات الملاءمة ،لأن (منجما) حال والمعنى : أنزله كذا ونزله كذا .

والكلام هو المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة . وفي وصفه بالتأليف أي التركيب من الكلمات والجمل وبالتنظيم أي جعل الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسقة الدلالات حسب/ مايقتضيه العقل لا توالبهما في النطق وضم بعضها الى بعض ٨ أ
كيف اتفق (٥) ،نفي للكلام النفسي وزيادة تمهيد وتأكيد لأمر الحدوث .

ومعنى منجما موزعا حصصا ودفعات من نجم الدية أداها حصصا ومنه نجوم الكتابة لحصصها المؤداة ،وأصله من النجم للكوكب الطالع اذ النجوم عندهم معالم الأوقات .

قوله (وجعله بالتحميد) أي جعل فاتحته سورة تشتمل على الحمد وخاتمته على الاستعاذة فلا يقدح في ذلك جعل التسمية من الفاتحة وفي هذا تنبيه على أن هذا الترتيب انما هو بجعل الله تعالى وقد علمه رسول الله عليه السلام فأمر به عثمان فرتب .

= في حاشيته ص(٤) : " ذلك مبني على متعارف أهل اللغة حيث يصفون الكلام بما يوصف به مبلغه فيقولون : نزل الينا من القصر حكم الأمير فكلامه على سبيل الاسناد المجازي " . والسعد وان لم ينص على أن هذا المجاز عقلي الا أنه وضحه بذكر مثاله وأنه من قبيل الكتاب الحكيم ويذكر أن كلا من الانزال والقرآن على حقيقته فالمجاز اذا في الاسناد فهو من المجاز العقلي .

(١) وقد اختار ذلك صاحب " كشف الكشاف " حيث قال في الصفحة الأولى من كتابه " الأولى أن يراد بالانزال اظهاره في اللوح المحفوظ " . ونوع هذا المجاز استعارة تصريحية تبعية . (٢) نوعه استعارة تصريحية أصلية .

(٣) مقدمة الكشاف ص /ي (٤) من الآية ٢ سورة يوسف .

(٥) يؤكد التفتازاني بهذا رأيه في النظم فلقد قال في المطول ص ١٠ : " نظمه (أي القرآن) تأليف كلماته مترتبة المعاني متناسقة الدلالات على حسب مايقتضيه العقل لا توالبها في النطق وضم بعضها الى بعض كيف ما اتفق " .

قوله : (وأوحاه) • يقال : أوحى اليه كلاما اذا كلمه بكلام يخفى عن الغير • (على قسمين) حال من الضمير المنصوب • و (متشابها) بدل من الحال أى أوحاه متشابها ومحكما لا من محل المجرور أى أوحاه على متشابه ومحكم • وقد يجعل تمييزا أو حالا على الترادف أو التداخل أو نصبا بتقدير أعنى •

والمراد بالمحكم المتضح المعنى وبالمتشابه خلافه فيشملان جميع أقسام النظم من النص والظاهر والمجمل والمأول وغير ذلك •

(سورا) حال أو مفعول ثان على تضمين (فصل) معنى الجعل والتصيير • وسيجيء في الكتاب معنى السورة والآية (١) • وضمير (بينهن) للسور والآيات على معنى (ميز) بين الآيات بالفصول أى أواخر الآى وبين السور بالغايات أى أواخر السور • والفصل في مثل : ميز بينهما وجمع بينهما منزل منزلة اللازم أى أوقع التمييز والجمع بينهما •

فان قيل : أى دخل للأوصاف المذكورة في اقتضاء الحمد ؟ قلنا (٢) القرآن مفتاح للمنافع الدينية والدنياوية لارشاده الى نظام المعاش ونجاة المعاد • فايصاله الى العباد بالانزال ثم التنزيل من أصول النعم وجلائلها وباقى الأوصاف مكملات ومتممات • لما فى الافتتاح بالحمد والاختتام بالاستعاذة من التعليم والارشاد الى استجلاب أسباب المزيد واجتناب مخايل النقصان • ولما فى التقسيم الى المتشابه والمحكم من نيل الثواب بالتأمل والاجتهاد وحصول المقصود بأدنى التفات • ولما فى التفصيل والتمييز من تنشيط القارئ وتسهيل الأمر عليه حيث يحصل بأدنى سعى على طائل كما سيجيء في الكتاب اشارة الى ذلك •

---

(١) انظر الكشاف ١ / ٧٣

(٢) يوضح السعد التفتازاني كيف أن القرآن مفتاح للمنافع الدينية والدنياوية بأسلوب أدبى بعيد عن التحديد والتقعيد — شأنه الغالب عليه في هذه الحاشية — فلم يذكر أن هذا تشبيه أو ان نوعه كذا بل اتجه الى الناحية التطبيقية للبلاغة وبين ببراعة وجه جعل القرآن مفتاحا للمنافع كلها • وفى أثناء ذلك يبين السعد نكتة الافتتاح بالحمد والاختتام بالاستعاذة • وسر التقسيم الى المتشابه والمحكم والنكتة البلاغية للتفصيل والتمييز •

قوله (وما هى الا صفات) من قصر الموصوف على الصفة لا العكس والمعنى أن المذكورات من صفات المحدث دون القديم (١) لاختصاص الحركة المكانية بالجسم وما يحل فيه ودلالة باقى الأوصاف على التجزى والانقسام المستلزم للامكان المستلزم للحدوث بناء على أنه لا قديم سوى الواجب ولا معنى للحادث الا المسبوق بالعدم ولو كان له معنى آخر كالمسبوق بالغير فالنزاع انما وقع فى الحدوث بمعنى المسبوقية بالعدم ، واذا لم تكن المذكورات صفة للقديم تعين الحادث • لكن الخصم ينازع فى أن كل ممكن حادث وأنه لا قديم سوى الواجب بل يقول سوى الواجب وصفاته •

فان قيل : هو محجوج لأن كل ممكن مستند الى الواجب ألبتة وعنده أن الاستناد ليس الا بطريق الاختيار / وأن أثر المختار حادث • ٨ ب

قلنا ذلك فى غير الصفات على مابيناه فى كتبنا الكلامية (٢) فالأولى أن يقال : المعنى أن هذه الصفات المجراة على القرآن صفات كلام لفظى وهو حادث بلا نزاع ولا اشتباه ، لا كلام نفسى قديم يدعيه الخصم فلا يكون القرآن الا ذلك الحادث • وهذا فى الانزال انما يتم اذا وصف به اللفظى حقيقة (٣)

واما الاستدلال بالافتتاح والاختتام على الحدوث بناء على أن كل ماله أول وآخر حادث بالضرورة ففى غاية الضعف لأن ذلك فى الأولية الزمانية للوجود لا الأولية الرتبية بحسب وضع الأجزاء •

---

(١) وقد ذهب الطيبى فى "فتوح الغيب ١/ ٣" وتبعه الفاضل اليمنى فى تحفة الاشراف ١/ ٢" الى أن " هذا التركيب من قصر الصفة على الموصوف أى ليست هذه الصفات الا صفات شىء حادث" •
وانى ارجح رأى الطيبى واليمنى وأرى رأى السيد الشريف فى "حاشيته ١/ ٧" حيث قال : " من حكم بأنه من قصر الصفة على الموصوف فقد نظر الى حاصل المعنى كأنه قال : محصول كلامه أن هذه الصفات مختصة بالحادث لا توجد فى غيره وكل مايوصف بها كان حادثا فالرد عليه بأنه من قصر الموصوف على الصفة (وهو رأى السعد) قصور على ظاهر مفهوم العبارة " •
(٢) انظر شرح المقاصد للسعد ٢/ ٦٤ - ٧٦ ، وشرح السعد على العقائد النسفية ٢٩ - ٥٣ •
(٣) هكذا فى م ، خ ، ط ، ب وأما عبارة الأصل فهى : " وهذا الاستدلال انما يتم اذا وصف به القرآن حقيقة "

(المبتدأ) بالوجود ، أولية زمانية ٠ (والمبتدع) ماأخرج من العدم ممتازا بنوع حكمة فيه ٠ و (المنشأ) المحدث ٠ (والمخترع) المخرج من العدم بزيادة سعى وصرف للقدرة من الخرع وهو الشق ٠وهى متقاربة المعانى جمع بينها تأكيدا لأمر الحدوث والجملة اعتراض بالواو ٠

وقوله (فسبحان) بالفاء وفيها رائحة من معنى الجزاء أى اذا كان أقرب الأشياء وأخصها اضافة اليه وهو القرآن حادثا فأسبح وأنزه عن كل نقيصة من لا قديم سواه وحادث كل ماعداه ٠ (١)

ومعنى (استأثر) تفرد ٠ (والأولية) عدم المسبوقية بالغير مع السابقية على الكل ٠ (والقدم) عدم المسبوقية بالعدم ٠ولا تلازم بينهما بحسب المفهوم بل بحسب الوجود بقيام الدليل ٠

ومعنى (الشيء) الموجود على مايراه بعض المعتزلة ٠أو مايصح أن يعلم ويخبر عنه محالا كان أو مستقيما على مافسر فى الكتاب (٢) فيقيد ههنا بالموجود كما فى قوله تعالى " ان الله على كل شيء قدير (٣) " بالمستقيم (٤) بقرينة قوله (بالحدوث عن العدم) ٠ وفى هذا زيادة تأكيد لحدوث القرآن ورد على القائلين بقدم الصفات

قوله : (أنشأه) بدل من (أنزل) زيادة تصريح بما قصد وتفصيل لما أجمل ودلالة على أن الانزال ونحوه مع تأخره فى الوجود أجدر بالتقديم لكونه أدخل فى كونه نعمة من مجرد الانشاء بدون الانزال ٠

---

(١) يبين السعد أن فى كلام الزمخشرى نوعا من الحذف وهو حذف الشرط ويقول السيد الشريف فى " حاشيته على الكشاف ١/ ٨ " " هذه الفاء فاء النصيحة من باب "فقد جئنا خراسانا" أى اذا كان القرآن مع علو شأنه محدثا فليتعجب المتعجبون من تفرده تعالى بصفة القدم ووسم جميع ماعداه بنقيصة سبق العدم "

(٢) أى كتاب سيبويه حيث يقول : " ألا ترى ان الشيء يقع على كل ماأخبر عنه ؟ " انظر الكتاب ١ / ٧ وانظر اللسان مادة (شيأ) ٠

(٣) من الآية ٢٠ سورة البقرة ٠

(٤) أى كما قيد هناك بالمستقيم ٠ انظر الكشاف ١/ ٦٧

و(كتابا ووحيا وقرآنا ومفتاحا ومصداقا) أحوال مترادفة أو فى موقع المفعول الثانى على تضمين أنشأ معنى الجعل (١) والتصيير .

(السطوع) ارتفاع أنوار الصبح . شبه (التبيان) بتباشير الصبح فى الوضوح والانجلاء فخيل له سطوعا (٢) . وما تثبت به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى بينة ، ومن حيث الغلبة به على الخصم حجة .

(مفتاحا للمنافع) اذ به فتح باب الشرع المنوط به نظام المعاش ونجاة المعاد بل باب كل خير وكمال . (مصداقا) أى مصدقا مبينا صدقه فكأنه آلة للصدق . و (مابين يديه) ماتقدمه بالزمان وهو فى الأصل للمكان فاستعير للزمان (٣)

(دون كل معجز) حال من المستكن فى (باقيا) أى متجاوزا سائر المعجزات فى معنى البقاء . (٤) وكذا (من بين) حال من المستكن فى (دائرا) أى متخصصا متفردا من بين سائر (٥) الكتب السماوية ، حيث لم يعهد جريان ماسواه على ألسنة أهل اللغات المختلفة .

(ووجه الزمان) استعارة مكنية وتخييل أو الوجه مستعار (٦) للظاهر المكشوف من الزمان . (أفحم به) وصف آخر لمعجزا فانه بمنزلة الاسم او استئناف لتحقيق معنى الاعجاز (٧) .

---

(١) كلمة الجعل ساقطة من الأصل .
(٢) ففى قوله " ساطعا تبيانه " استعارة مكنية وتخييل على رأى السعد ويجوز — كما ذهب الى ذلك الطيبى فى " فتوح الغيب ١/ ٤ " — أن يكون استعارة تبعية : استعار لوضوح القرآن ارتفاع تباشير الصبح والجامع الكشف والجلاء .
(٣) عبارة الأصل " ثم استعير "
(٤) ويقول الفاضل اليمنى فى " تحفة الأشراف ١/ ٣ " : " دون بمعنى أدنى مكان من الشىء ثم استعير للرتب فقيل : هذا دون ذاك فى الشرف ثم استعمل مجازا فى كل تجاوز حد . ز فالتفتازانى فسره بمعناه المجازى وهو المراد هنا دون أن يشير الى أنه مجاز أو يشير الى أصله .
(٥) كلمة " سائر " ساقطة من م ، خ ، ب ، ع
(٦) اى استعارة تصريحية أصلية .
(٧) يبين السعد النكتة البلاغية للاستئناف وهى تحقيق معنى الاعجاز ولكنه لا يقدر السؤال ولا يشير اليه ويقول السيد الشريف فى " حاشيته على الكشاف ١/ ٩ " =

/ (وأبكم به من تحدى) أي جعله أبكم ، ولم يوجد في كلام غيره فكأنه قياس أو ١٩ أ
وجد فانه ثقة في اللغة فاستعماله بمنزلة روايته ولفظة (به) دفع [١] لما عسى يتوهم من اسناد الافحام والابكام الى الله تعالى أن الاعجاز بالصرفة اذ المختار أنه بكمال البلاغة على مايشير اليه سوق الكلام [٢] .

و(العرب العرباء) الخلص منهم كليل أليل وظل ظليل [٣] . (والتحدى) طلب المعارضة ، وأصله من الحداء يتبارى فيه الحاديان و (خطيب مصقع) اى بليغ جهير [٤] بخطبته من صقع الديك اذا صاح وقيل : لأنه يأخذ في كل صقع أى جانب من الكلام .

(على أنهم) حال من (فصحائهم) أو (بلغائهم) أو من فاعل (لم يتصد) أو (لم ينهض) على أنه قيد للنفي دون المنفي كأنه قال تركوا التعرض مع أنهم وحقيقته متركين على ذلك ومنضين . وضمير (أنهم) ينبغي أن يكون للبلغاء والفصحاء خاصة ، وضمير (اشتهارهم) الى الآخر للعرب العرباء عامة .

(والبطحاء) مسيل واسع فيه دقاق الحصى . و (الدهناء) ارض ببلاد تميم ذات رمال [٥] . و (عرق العصبية) أي المعاونة والمحاماة استعارة مكنية وتخييل .

= انه استئناف بيان لاعجازه على سبيل الاجمال كأنه قيل : لم قلت انه معجز وبم عرفت ذلك ؟

(١) هذا نوع من أنواع الاطناب وهو التكميل ويسمى الاحتراس أيضا وقد عنى السعد لا بتسميته وتحديد نوعه وانما بتبيين سره البلاغي كما ترى .

(٢) أي كلام الزمخشري وهذا هو المختار أيضا عند التفتازاني وقد تحدث باستفاضة في هذا الموضوع في كتابه "شرح المقاصد ١/ ١٨٣" .

(٣) يلجأ السعد الى التشبيه ليزيد المعنى وضوحا ، ووجه الشبه هو المبالغة في الوصف فان من شأن العرب أن يشتقوا من لفظ الشيء الذى يريدون المبالغة في وصفه مايتبعونه به تنبيها على تناهيه في معناه . كما ذكر المرزوقي في "شرح الحماسة ٢/ ٥٨٣"

(٤) في م ، خ : مجهر .

(٥) انظر الصحاح والأساس مادة (د هن)

و (لم ينبض) أى لم يتحرك ترشيح • و (مع اشتهارهم) حال من ضمير (منهم) ولا يخفى لطف موقع الحالين أى لم يتعرض واحد منهم مع كونهم فى غاية الكثرة ، ولم يصد رقليل عصبية منهم مع اشتهارهم بالافراط فيها • (١)

(المضادة) المعاداة • و (المضارة) ايصال الضرر • و (الشراشر) الاثقال جمع شرشرة ، يقال : ألقى عليه شراشره أى جملته ونفسه حرصا ومحبة يعنى أنهم مع أنهم كانوا (٢) يتحركون بالكلية لم يتحرك أصغر عضو منهم فى تلك القضية (٣) • و (المعازة) بالزاى المعجمة : المغالبة ، وبالراء المهملة : المضادة من المعرة وهى الاثم ، يقال : عر أمره اذا أفسده •

(دون المناضلة) أى قدام المدافعة وفى أدنى مكان من المرامات و (الحسب) مايحسبه الانسان أى يعده من مناخر نفسه وآبائه • و (الخطط) الشدائد وعظائم الأمور • و (الشطط) مجاوزة الحد • و (المفخرة) بالضم والفتح المأثرة وهى كل خصلة تؤثر أى تروى • والشرطية اعنى قوله : (ان أتاهم) بيان وتقرير لما قبلها • ولفظ (أحد) ان كان بمعنى الواحد من العدد فظاهر وان كان اسما لمن يصلح أن يخاطب مذكرا كان (٤) أو مؤنثا واحدا أو اكثر وهو لا يقع فى الاثبات الا مع كل فانه ههنا فى موقع النفى أى ماأتاهم أحد بمخرة الا أتوه بمفاخر •

قوله : (وقد جرد) اعتراض للبيان والتأكيد أو حال عامله (لم يتصد) أو (أفحم) ، وفى عطف (فلم يعارضوا) عليه بعض نبوة عن الحالية (٥)

---

(١) فالحالان تكميل أو احتراس لدفع ما ربما يتوهم من مساهلتهم فى تلك المعارضة • وتذوق السعد البلاغى للطف موقع الحالين جعله يعنى بتبيين سر هذا اللطف ولا يعنى بتحديد نوعهما •
(٢) عبارة م ، خ ، ط : مع ماكانوا •
(٣) وهذه النكتة التى ذكرها السعد يرى السيد الشريف أنها انما تنجلى على تقدير اضافة العرق الى العصبية لأدنى ملابسة أى العرق الذى يتحرك عندها لا على التخييل لأن العرق حينئذ للعصبية لا لهم • انظر حاشية السيد ١ / ١٠
(٤) لفظ كان ساقط من م ، خ ، ط ، ب
(٥) لأن قوله " فلم يعارضوا " معطوف على " قد جرد " فهو حينئذ من تتمة الحال وتقييد الافحام وترك التصدى بعدم المعارضة مما لا طائل تحته •
انظر حاشية السيد الشريف ١ / ١٠

واسناده الى الله تعالى مجاز لأنه الآمر[١] ويحتمل الحقيقة لأن معناه أظهر على مايحم الحجة والسيف .

و (أولا) ظرف بمعنى قبل واما الذى هو اسم فغير منصرف لأنه أفعل التفضيل بدليل الأولى والأوائل ويقابله الآخر والأخرى والأواخر (الا السيف) من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التقرير ، بخلاف (على ان السيف) فانه للجنس لا للسيف الذى جرد ، وهو حال أى مع علمهم بذلك وحقيقته مامر[٢] والعامل (لم يعارضوا) و/ (المخراق) منديل يلف ليضرب به وتنكير (لاعب) للتحقير . ٩ ب

ومعنى امضاء الحجة حد السيف ترجيح جانبه مع ايهام أنها تجعل طرفه وعزاره[٣] ماضيا قاطعا . ولا يخفى مافى الكلام من حسن الترقى فى بيان اعجاز القرآن حيث ذكر انه لم يتعرض لما يقارب أقصر سورة منه واحد من البلغاء مع كثرتهم . ولم يتوجه الى ذلك طرف من همتهم مع اشتهارهم بالافراط فى العصبية والتوجه بالكلية وأنهم آثروا السيف وبذلوا[٤] الأرواح مع علمهم بأن استعمال السيف الحائل[٥] خارج عن منهج الاستقامة غاية الخروج .

(طم) غلب وأصله الكثرة والعلو . و (الكواكب) الأول جمع كوكب بمعنى مجتمع الماء . مثل حال سطوع الآيات وظهور المعجزات واضمحلال الملفقات وانطماس المزخرفات بزخر البحر وطمه على الأنهار ، واشراق الشمس وطمسها للأنوار .

ولك أن تعتبر تشبيه بلاغة القرآن بالبحر والشمس وتشبيه بلاغاتهم بالكواكب والكواكب[٦]

---

(١) أي اسناد تجريد الحجة والسيف الي الله تعالى مجاز عقلي علاقته السببية ويحتمل الحقيقة ويكون معنى جرد : أظهر الحجة على لسان رسوله والسيف على يده .

(٢) فى نفس هذه الصفحة من الحاشية عند الحديث عن قوله " مع اشتهارهم " أي عالمين بأن معارضتهم بالسيف مع الخلو عن الحجة مما لا يعتد بها ، فهو تكميل لدفع ماقد يتوهم من عدم ادراكهم لهذه الحقيقة .

(٣) عزار السيف حده ، وفى امضاء الحجة ـ على تفسير السعد ـ استعارة تبعية .

(٤) فى م ، خ ، ط : وبذل (٥) أى من الحجة

(٦) فعلى الأول الاستعارة تمثيلية وعلى الثانى تصريحية أصلية ويقول الطيبى =

قوله : (والصلاة على خير من أوحى اليه) (١) لم يقل خير الرسل أو الأنبيـــاء أو نحو ذلك لتلائم الصلاة التحميد حيث بنى على الايحاء •

ثم ذكر ما هو أصل المناقب • ثم الكنية ، ثم الاسم ، ثم النسب الى هاشم أفضل قريش أفضل العرب أفضل الناس ، ثم بين كمال الحسب من نباهة الشأن وعلو الرتبة و (التثبيت بالعصمة والتأييد بالحكمة الى غير ذلك •

وقدم ذكر (اللواء) مع (لؤى) على (المنيف) مع (عبد مناف) لأن علـــو القدر فيما بين المنتسبين الى الجد الأعلى أدخل في كمال الحسب وجلالة المحل (٢) •

فان قيل : فرع الشيء أعلاه وفرع القوم سيدهم فما معنى (ذى الفرع) ههنا ؟ قلنا (٣) : الفرع ههنا مصدر بمعنى العلو على ما ذكر في المجمل (٤)

= في " فتوح الغيب ١/ ٦ " والفاضل اليمني في " تحفة الأشراف ١/ " : " ويجوز أن يكون المستعار له البحر والشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار على طريق المشاكلة "

(١) الكشاف ص/ ى •

(٢) هذا هو سر التقديم في هذا الموطن عند السعد وقد تبعه فيه السيد الشريف فقال : " لأن رفعة القدر ونفاذ الأمر في أعلى القبائل أدل على عظم المكانـــة " أما الامام الطيبي فقد ذهب الى أن التقديم هنا لارادة التكميل ، فانه لما ذكـــر أنه صاحب اللواء المرفوع علم أنه ذو سلطان مطاع ، فرأى أن الوصف كذلك غير واف اذ من الجائز أنه مع ذلك غير عريق في أرومته فكمل بقوله " ذى الفرع المنيف " فلو أخر لفات ذلك اذ في تأخير كل ما حقه التقديم ايذان بمكان لطيفة •

ويرد على الامام الطيبي بأنه لو وصفه أولا بظهور الحسب وطهارة النسب لكـــان وصفه بعد ذلك بأنه ذو سلطان مطاع تكميلا أيضا كما ذكر ذلك الفاضل اليمني في " تحفة الاشراف ١/ ٤ " • وانظر " فتوح الغيب ١/ ٦ " و " حاشية السيـــد ١/ ١١ " •

(٣) هكذا في م ، خ ، ط ، ب وعبارة الأصل : قلت •

(٤) انظر مجمل اللغة ٣/ ٦٩١ •

وفى الصحاح : " فرعت القوم[١] علوتهم بالشرف أو بالجمال " . وقد يقال انه تجريد انتزع منه سيدا عالى القدر مبالغة فى علو قدره . او استعارة مكنية شبهه[٢] بشجرة طيبة لها أغصان عالية يتفيأ بظلالها كما تقول : زيد ذو مخلب نشيب ومنكب عيل .

أو الفرع مستعار لأولاده اشارة الى شرف أصوله وفروعه وأبعد من هذا أن (ذى الفرع) صفة (لؤى) والفرع هو النبى عليه الصلاة والسلام و (ذى اللواء) صفـــــة (هاشم) .

(الشادخ الغرة) واسعها . والغرة البياض فى جبهة الفرس (والتحجيل) فى قوائمها وذلك استعارة للشرف والاشتهار حتى صار عند العرب بمنزلة الحقيقة .

أغر أبلج تأتم الهداة بـــــه[٣]

---

(١) عبارة الصحاح " قومى " انظره مادة (فرع) .

(٢) أى شبه الرسول صلى الله عليه وسلم فالرسول هو المشبه وهو المستعار لــه لا لفظ " ذى " كما فهم العلائى فى حاشيته على حاشية السعد حيث قال فى ص ٧ أ : " يعنى أن ذى استعارة مكنية . والفرع تخييل . وفيه بحث : وهو أن الاستعـــارة المكنية على ماعليه بناء الكلام ههنا هو لفظ المشبه المفرد بالذكر مع ارادة المشبه به ادعاء . ولا خفاء فى أنه يتيسر فى كلمة لها خصوصية بالمشبه كلفظ المنية فى قولــك أظفار المنية بخلاف كلمة ذى "

ويعود العلائى الى الفهم الصحيح لمراد السعد وأن المشبه ليس لفظ ذى مجردا عما جرى عليه بل المقصود فى التحقيق هو الموصوف به فيقول :

" ويمكن أن يقال أن جزئيتها على الرسول صلى الله عليه وسلم خصصه بها "

(٣) صدر بيت للخنساء ترثى أخاها وتمامه : كأنه علم فى رأسه نار .

والأبلج الطلق الوجه بالمعروف . والهد الجمع هاد وهو من يتقدم غيره ليدلــه والعلم الجبل . انظر مفتاح العلوم ١١٨ . والعمدة ٢ / ١٤١ . وديوان المعانى ١ / ٤١ . وشرح القصائد السبع الطوال ٣٨٨ . وتنزيل الآيات ٤٢ . ويــــروى الشطر الأول وان صخر التأتم الهداة به ... وهو بهذه الرواية فى ديــوان الخنساء ص ٤٩ . ومشاهد الانصاف ٤ / ١٧٨ . وشرح التلخيص ٣ / ٢٢١ . وحسن التوسل ٦٩ . والمصباح ٢٦٠ .

مبارك الاســـم أغـــر اللقـــب (١)

وفى الحديث: " ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء " (٢)

قال الجوهرى (٣) " التحجيل البياض فى قوائم الفرس ، وفرس محجل ، وقد حجلت قوائمه تحجيلا " .

(الأمى) من لا يكتب نسبة الى أمة العرب حيث كانوا لا يحسنون الخط ويخط غيرهم ، أو الى الأم بمعنى أنه كما ولدته أمه وهذا مدح له وشهادة بنبوته حيث أحاط بالمعارف الالهية وعلم الشرائع والاحكام وأحوال الأمم السالفة بحيث صار مكتوبا فى الكتب وان لم يكن / كاتبا لها آخذا منها . ١٠ أ

و (الأطهار) جمع طهر تسمية بالمصدر وقيل : جمع طاهر كأنصار وأصحاب وأشهاد . والحق أن جمع فاعل على أفعال لم يثبت حتى قيل أن أصحابا جمع صحب بالكسر تخفيف صاحب كنمر وأنمار ، أو صحب بالسكون اسم جمع كنهر وأنهار .

فان قيل : فى المثل " أجناؤها ابناؤها (٤) " أى الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين كانوا بنوها ، حكاه أبو عبيد (٥) ، وهما جمعا جان وبان .

---

(١) صدر بيت للمتنبي في مدح سيف الدولة بن حمدان وتمامه : كريم الجرشي شريف النسب والجرشي : النفس . انظر المطول ١٩ ، وشروح التلخيص ١/٩٠ ، ومعاهد التنصيص ١/٢٧ وديوان المتنبي ١/٩٩ .

(٢) انظر صحيح البخارى . كتاب الوضوء ٢/١٧٢ ولفظه " ان أمتى يدعون الخ "

(٣) الصحاح مادة (حجل) وعبارته : التحجيل بياض الخ ، والجوهرى هو الامام أبو نصر الفارابى اسماعيل بن حماد صاحب الصحاح قرأ العربية على أبى على الفارسى والسيرافى وشافه باللغة العرب العاربة ، توفى سنة ٣٩٣ وقيل فى حدود الأربعمائة .

انظر بغية الوعاة ١/٤٤٧

(٤) يضرب فى سوء المشورة والرأى والمرجل يعمل الشئ بغير روية ثم يحتاج الى نقضه وافساده . انظر مجمع الأمثال ١/١٥٢ ، والمستقصى فى أمثال العرب ١/٥٢ والصحاح مادة (جنى) .

(٥) هو أبو عبيده معمر بن المثنى اللغوى البصرى أخذ عن يونس وأبى عمرو وكان أعلم من الأصمعى وأبى زيد بالأنساب والأيام ولد سنة ١١٢ ووفاته بين سنة ٢٠٨ و سنة ٢١١ هـ .

انظر بغية الوعاة ٢/٢٩٤

قلنا : قال الجوهري [1] : " أنا أظن ان المثل " جناتها بناتها " لأن فاعلا لا يجمع على أفعال ، وأما أشهاد وأصحاب فجمع شهْد وصحْب الا ان يكون هذا من النوادر على مايجئ في الأمثال " .

(من الأختان والأصهار) يريد ماهو المتعارف عند العامة وان كان موضوع اللغة أعم ، وتقديم الأختان للسجع ، ومن للبعضية وتحتمل البيان بأن يجعل أقل الجمع اثنين . (وآله الأطهار) ان كان أهل البيت المشار اليهم بقوله تعالى " ويطهركم تطهيرا [2] " ، فعطف (خلفائه) على ظاهره ، وعطف (على جميع المهاجرين والأنصار) تعميم بعد تخصيص وكثير من الصحابة خارجون ، وان كان المؤمنين الأتقياء فالعطف لزيادة الشرف والفضيلة ، وعلى رضي الله عنه داخل في كل على كل حال .

قوله : (اعلم ان متن كل علم وعموده) [3] أصله الذي به القوام وعليه تتفرع الشعب والدقائق ، والنكت واللطائف ، بمنزلة الظهر لسائر الأعضاء والعمود للخيمة [4] .

ومعلومات العلم ان حصلت بالتمرن على العمل ، فربما خصت باسم الصناعة ، أو بمجرد النظر والاستدلال فبالعلم . وقد يقال : الصناعة لما تدرب فيه صاحبه وتمكن ، أو لما يكون المقصود الأصلي منه هو العمل ، وبالجملة للصناعة تعلق ما بالعمل ولذا قالوا هي ملكة نفسانية يقتدر بها الانسان على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الأغراض صادرا عن البصيرة بحسب مايتمكن فيها .

قوله : (طبقات العلماء فيه) أي في (متن العلم) ، و (أقدام الصناع) في

---

(١) الصحاح مادة (جنى) بتصرف

(٢) من الآية ٣٣ سورة الأحزاب .

(٣) مقدمة الكشاف/ى ، وعبارته " وعمود كل صناعة "

(٤) فاستعير الظهر وهو قوام البدن ينبني عليه سائر أعضائه لأصل العلم وهو أمهات مسائله ، واستعير العمود الذي تقوم عليه الخيمة لعمدة الصناعة التي تتفرع عليها شعبها ودقائقها . ويلاحظ أن السعد تحدث عن الاستعارة هنا بصورة أدبية من غير ان ينص على أن هذا مستعار منه وذاك مستعار له وأن هذه الاستعارة من قبيل التصريحية الأصلية .

(عمسـوف الصناعة) فعود الضمير الى المتن وما عطف عليه بطريق التفريق دون الجمع ،كما تقول زيد وعمرو قام أبوه وقعد أخوه ،ولا بد في مثله من اعتبار تقديم وتأخير .

وجوز (تساوى أقدام الصناع) اذ ربما يمكن الاطلاع عليه بخلاف (طبقـات العلماء) . والشرطية : بيان وتفسير للتقارب ولفظ اذا أليق بالمقام الا أن الكلمة (ان) أوفى بتأدية معنى التقارب وقلة التفاوت وعرف (العالم) لأن المعنى : ان سـبق العالم بعلم العالم الآخر بذلك العلم .(١)

وفى ذكر (الخطى والمسافة) اشارة الى تشبيه سبق الشرف والرتبة العقليـة بالحسية .

(تحاك الركب) (٢) أى تصاكها كناية عن شدة الأمر وفرط الاجتهاد فى المسابقة(٣) وضمير (ترقى) للأمر وان كان المعنى على ترقى التفاضل لأنه أمر (٤) .

(الى أن عد ألف بواحد) تلميح الى قوله :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا (٥) * لدى المجد حتى عد ألف بواحد (٦)

ولم يقل : عد واحد / بألف لأن العد بالكثير أولى (٧) . ١ ب

(المحاسن) جمع حسن على غير قياس ، وكأنه جمع مُحْسن .

(والنكتة) كل نقطة من بياض فى سواد أو عكسه ،ونكت الكلام لطائفه ودقائقه التى تفتقر الى تفكر ونكت فى الأرض . (والفقر) جمع فقرة وهى حلى تصاغ على شكل فقـرة

---

(١) فغرض التعريف هنا افادة العهدية .

(٢) مقدمة الكشاف /ك (٣) فهى كناية عن صفة .

(٤) فى ط زيادة "للتفاضل" . (٥) فى م : تفاوتت

(٦) البيت للبحترى وهو فى ديوانه هكذا :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتـت * الى الفضل حتى عد ألف بواحـد

وانظر الوساطة ٣٦٢ .

(٧) ويقول السيد الشريف فى حاشيته ١٤ : " وفى عد ألف بواحد مبالغة ليست فـى عكسه حيث جعل الواحد أصلا قوبل به الألف مع أن لفظ العد بالكثير أولى " .

الظهر تشبه بها اللطائف وتستعار لما هو في النثر كالبيت في النظم[١] .

مفعول (لا يكشف) محذوف أى الأستار ، والفاعل (أوحديهم) والياء للمبالغة كالأحمري ، كأنه أوحد عريق في الوحدة وعدم النظير ، يستأهل أن ينسب الى ذلك . و (من الخاصة) متعلق (بأوحديهم) يشبه أن يكون حالا عنه ، قدم مرجعــا للضمير ، واذا أخرى كالمستغنى عنه ، ونظيره : المحفوف من بني عدنان بجماجمها[٢]

والأوجه أن الظرف صفة موصوف محذوف وأوحديهم بدل منه وجماجمها بيان وسيجيء لهذا زيادة بيان .

و (الا واسطتهم) خيارهم من واسطة العقد للجوهرة النفيسة التى في الوسط ، و (فصهم) صفوتهم من فص الخاتم[٣] . واعادة كلمة (الا) لئلا تنخرط الواسطة والفص في سلك الأوحدي والأخص ولا مجانسة . (وعامتهم) أى أكثر الخاصة . (عماة) جمع عان على القياس . ومشاكله (عناة) ، وان كان الاستعمال على العمى والأعمى . استعير لعمى البصيرة[٤] ورشح بذكر الأحداق ، أو أريد عمى البصيرة واستعيرت الأحداق للبصائر[٥] .

وضمير (حقائقها) لـ (غوامض الأسرار) . (وعناة) جمع عان أى أسراء لا خلاص لهم . وكانت عادة العرب في اطلاق الأسراء جز نواصيهم اذلالا ووسما بذلك .

قوله : (ثم ان أملأ العلوم) أى بعد ماعرفت ان تفاوت العلماء وتفاضلهم انما هو بنكت العلوم ولطائفها ، فينبغى أن تتحقق أن أكثر العلوم اشتمالا على ذلك علم التفسير ، فيكون أقصى التفاوت مابين المفسرين .

و (أملأ) أفعل من ملئ الاناء بالكسر فهو مألآن بمعنى امتلأ وجعله من ملــؤ بالضم غنى واقتدر ، أو ملأه بالفتح على أنه مفعول ، أو بمعنى أكثر ملئا للمقول (بما يغمر) تعسف[٦] .

---

(١) اذ لا يخلو — غالبا — عن دقيق معنى شبيه بذلك الموضع .
(٢) جماجم العرب : قبائلها التى تجمع البطون فتنسب اليها د ونهم نحو كلب ابن وبرة اذا قلت : كلبى ، استغنيت أن تنسب الى شىء من بطونه .
شرح المفصل لابن يعيش ٦/١
(٣) فكل من الفص والواسطة استعارة تصريحية أصلية .
(٤) استعارة تصريحية تبعية (٥) استعارة تصريحية أصلية
(٦) وجه التعسف في الأول استلزامه تشبيه النكت بالأموال وفى الثانى أنه قليل =

و (القريحة) الطبيعة وهى فى الأصل أول ماء يخرج من البئر [١] . ولا يخفى حسن تلاؤم الملء والغمر والقريحة .

(المضها) أقومها . (يبهر) يغلب. (القوارح) جمع قارح وهو من الابل والفرس ماتكامل سنه . (والسلك) الخيط (ودقته) كناية عن لطف مافيه من الجوهر.

(علم التفسير) هو العلم الباحث عن أحوال كلام الله تعالى من حيث الدلالة على المراد .ويتناول التفسير أى مايتعلق بالرواية .والتأويل أى مايتعلق بالدراية . (لا يتم لتعاطيه) أى لا يتمكن من تناوله ولا يقدر عليه .وقيل : لا يستبد به . وقيل : لا يقصده .

(كما ذكر) فى موقع المصدر .أى اذكر هذا مثل ماذكر .أو الحال أى حال كونه مثل ماذكر (الجاحظ [٢] فى كتابه) [٣] هذا المعنى .وهو أنه لا يتم لتعاطيه كل ذى علم .وليس فى كلام المصنف نقل لكلام الجاحظ كما لا يخفى على من له معرفة بأساليب الكلام .فان قوله : (فالفقيه) الى قوله : (ولقد رأيت) كلام منتظم متحد / السوق والصوغ. ١١ أ

(برز عليه) فاق . (القرن) بالكسر الكفء . (الفتاوى) جمع فتوى أصلها فتيا قال فى المغرب [٤] " اشتقاق الفتوى من الفتى لأنه جواب فى حادثة .أو احداث حكم .أو تقوية لبيان مشكل " .

= وأما الثالث فلا منع منه .لأن ملأت الاناء من الماء وبالماء كلاهما صحيح .لأن الملء يبتدئ منه .وهو آلة له ولعله أظهر .وذلك لأن ملأ بالفتح أشهر استعمالا من ملئ بالكسر. انظر حاشية السيد ١٥ .

(١) اكتفى السعد بهذا ولم يبين كيف نقلت عن هذا الأصل واستعملت فى الطبيعة ويرى السيد الشريف أنها أطلقت على مايقع فى القلب بعد سابقة طلب ـ لأنها أول ماء يستخرج لحصوله بالكدح ـ ثم نقلت منه الى محله أعنى القلب.
بينما يذهب الامام الطيبى الى أنها نقلت عن كونها أول ماء يخرج من البئر واستعملت فى محله أى فى البئر مجازا ثم استعيرت للطبيعة من حيث صدور العلوم منها .
فهى مجاز عن مجاز .الأول استعارة على رأى السيد ومجاز مرسل على رأى الطيبى .والثانى بالعكس .

(٢) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب .من أهل البصرة .أحد شيوخ المعتزلة . له كتاب البيان والتبيين والحيوان وكتب كثيرة أخرى .توفى سنة ٢٥٥ وقد جاوز التسعين . بغية الوعاة ٢ / ٢٢٨ .

(٣) أى كتاب " نظم القرآن " .وهو من الكتب المفقودة للجاحظ .

(٤) انظر كتاب " المغرب فى ترتيب المعرب ٢ / ٨٥ "

(بز) غلب . (القصص) بالكسر جمع قصة ، وبالفتح مصدر . (ابن القريــة) بكسر القاف والراء المشددة أحد الفصحاء (١) الحفاظ ، نقل الكتب القديمة الــى العربية ، قتله الحجاج (٢) ، اسمه أيوب ، والقرية اسم أمه :

(الحسن البصري) كان بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العلم ، جميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا ، بلغ من السن تسعا وثمانين سنة (٣) ، اسم أبيه يسار من أهل ميسان ، وكان مولى لبعض الأنصار ، واسم امه خيرة . وكانت مملوكة لأم سلمة ، ويقال : كانت أم سلمة تأخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها وتدر عليه . (٤)

وتقديم (مِنْ) على أفعل التفضيل : غريب ، آثره رعاية للسجع . (أنحــى) أفعل من نحا ينحو اذا نظر في النحو وتكلم فيه ومنه النحاة جمع ناح . (وسيبويــه) هو عمرو بن قنبر ، مولى بني الحارث بن كعب ، أخذ النحو عن الخليل (٥) ، وهـــو أستاذه ، وعن يونس (٦) ، وعيسى بن عمر (٧) وغيرهم وأخذ اللغة عن أبي الخطـــاب الأخفش (٨) وغيره ، ونَجَمَ (٩) من أصحابه ابو الحسن الأخفش (١٠) ، وقطرب (١١) ، وكان

---

(١) في ط : أحد فصحاء العرب .

(٢) وكان ذلك سنة ٨٤ هـ . انظر الأعلام للزركلي ١ / ٣٨١ ـ ووفيات الأعيان ١ / ٢٢٧ .

(٣) فمولده كان بالبصرة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ١١٠ من الهجرة . انظر وفيــات الأعيان ١ / ٣٥٤ . وطبقات الفقهاء ٦٨ .

(٤) انظر أمالي السيد المرتضى ١ / ١٠٦ .

(٥) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كان اماما في اللغة والنحو ، وهو أول مــن استخرج علم العروض وعمل أول كتاب العين المشهور ، توفي سنة ١٧٥ وقيــل سنة ١٧٠ وقيل سنة ١٦٠ وله أربع وسبعون سنه . انظر بغية الوعاة ١ / ٥٥٧ .

(٦) هو ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي ، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء سمع من العرب وأخذ عنه الكسائي والفراء ولد سنة ٩٠ ومات سنة ١٨٢ هـ ، معجــم الأدباء ٢٠ / ٦٤ .

(٧) عيسى بن عمر الثقفي امام في النحو والعربية والقراءة ، أخذ عن ابي عمرو ابــن العلاء وغيره ، وعنه الأصمعي وغيره ، مات سنة ١٤٩ وقيل سنة ١٤٥ هـ بغيــة الوعاة ٢ / ٢٣٧ .

(٨) هو عبد الحميد بن عبد المجيد ، الأخفش الأكبر لقي الأعراب وأخذ عنهم وعــن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه الكسائي وغيره . بغية الوعاة ٢ / ٧٤ .

(٩) نجم أي ظهر .

(١٠) سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الأوسط ، سكن البصرة وقرأ النحو على سيبويه مات سنة ٢١٠ ، وقيل سنة ٢١٥ ، وقيل سنة ٢٢١ هـ . بغية الوعاة ١ / ٥٩٠ .

(١١) ابو علي محمد بن المستنير ، وقطرب اسم دويبة دائبة السعي ، لقبه به سيبويه مات سنة ٢٠٦ هـ . بغية الوعاة ١ / ٢٤٢

الأخفش من أصحابه أكبر سنا منه ، ومحنى سيبويه رائحة التفاح ، مات فى أيـــام الرشيد (١) .

(اللغات) هى الألفاظ الموضوعة ، جمع لغة ، كثبة وثبات وأصلها : لغو أو لغى (٢) والهاء عوض . (واللحى) منبت اللحية ، عبر بذلك عن كثرة ممارسة اللغات وضبطها (٣) ، وأشار الى أنه يكفى فى علم من اللغة استعمال الأسنان وتحريـــك اللسان .

والشرط أعنى : (وان برز) وأخواته : فى موقع الحال ، والعامل خبر المبتدأ أعنى : (لا يتصدى) وسيجىء لهذا زيادة توضيح . (ومنهم حال من (أحمد) . و (غاص على) الدر حصله واستحلى عليه واطلع . (وبرع) بالضم والفتح : فاق .

(علم المعانى) علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام على مقتضى الحال (٤) .

---

(١) وذلك سنة ١٨٠ وقيل سنة ١٨٨ وقيل سنة ١٩٤ . بغية الوعاة ٢ / ٢٢٩ .
(٢) فى ط ، غ : وأصله لغى أو لغو .
(٣) ففى قوله " علك اللغات " استعارة تبعية ، حيث استعار اتقان مضغ الشـــىء لضبط اللغات واتقانها ، لسهولة التناول فى كل .
(٤) هذا هو التعريف الذى ارتضاه السعد لعلم المعانى ، فبعد أن رأى قـــول الخطيب فى تعريفه : " التى بها يطابق مقتضى الحال " قرينة خفية على المراد من علم المعانى ، وهو أنه علم يعرف به أحوال اللفظ من حيث مطابقته بها لمقتضى الحال ، ورأى أن تعريف السكاكى لا يسلم من ورود الاشكال عليه ، لذلك ذكر هذا التعريف ، ووصفه بأنه أوضح من سابقيه .

وانما كان تعريف السعد أوضح ـ كما يقول السيد الشريف لاستغنائه عن القرينة الخفية على اعتبار الحيثية ، اذ قد صرح فيه بما هو المقصود بخلاف تعريـــف الخطيب ، ولأنه لم يتوجه عليه ذلك الاشكال الذى أورد على تعريف السكاكى .

انظر المطول وحاشية السيد عليه ٣٤ ـ ٣٧

و (علم البيان) علم يبحث فيه من أحوال التشبيه والمجاز والكناية [١] وجعلهما (مختصين بالقرآن) يعني أن معرفة أسرار القرآن ، ووجه اعجازه تفتقر اليهما كل الافتقار ، واستعمالهما فيه فوق استعمالهما فيما سواه من الكلام ، فكأن [٢] معرفته بهما لا بغيرهما [٣] أو كأنهما له لا لغيره . [٤]

(تمهل) سبق او اتأد أى لبث . (الارتياد) طلب الماء والكلأ .
(أونة) جمع أوان أى حينا بعد حين ، كما سيجيء [٥] في قوله تعالى " أولئك عليهم صلوات من ربهم [٦] " ، وكذا (أزمنة) .

(والتنقير) البحث والفحص . و (مظنة) الشيء الموضع الذى يظن كونه فيه ، ومظان العلمين تراكيب البلغاء . (بعد أن يكون) متعلق (ببرع) وما عطف عليه . (بحظ) متعلق (بآخذا) ، يقال : خذ الخطام وخذ بالخطام .

و (قد رجع) بيان أو خبر آخر ، يعني كان كثير التعلم والتعليم والمناظرة والمدافعة . (فارسا) يعني مع الحظ من سائر العلوم كان كاملا في (علم النحو) متقدم الرتبة في معرفة (كتاب سيبويه) ، قال السيرافي [٧] : " هو الذى لم يسبق الى مثله أحد قبله ، ولم يلحق به أحد بعده [٨] " ، والطريق اليه الأخفش [٩] اذ لم يعلم أحد

---

(١) اعتبر السعد هذا التعريف أقرب لعلم البيان من تعريف السكاكي ، حيث أن هذه المباحث الثلاثة هي المقصودة من علم البيان ، داعيا الى عدم الالتفات الى حديث الدلالة وأقسامها . انظر المطول ٣١٠ .
(٢) عبارة الأصل : وكأن .
(٣) فالباء في قوله " مختصين بالقرآن " داخلة على المقصور ، كما هو المشهور في الاستعمال .
(٤) والباء على هذا داخلة على المقصور عليه كما هو أصل اللغة . انظر حاشية السيد ١٦ .
(٥) انظر ص ١٤٦ ب ، والكشاف ١ / ١٥٦
(٦) من الآية ١٥٧ سورة البقرة
(٧) هو الحسن بن عبد الله ، أخذ النحو عن ابن السراج ، من تصانيفه " شرح كتاب سيبويه " لم يسبق اليه وحسده عليه ابو علي الفارسي وغيره ، توفي سنة ٣٦٨ هـ . بغية الوعاة ١ / ٥٠٧ .
(٨) انظر حاشية السيد على الكشاف ص ١٧ ، والفهرست لابن النديم ١ / ٥١ .
(٩) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة وسبقت ترجمته .

قرأه على سيبويه أو سمعه منه غيره ، وانما قرئ بعده على الأخفش ، / فممن قرأه عليه : ١١ب أبو عمر الجرمي (١) ، وأبو عثمان المازني (٢) ، وكان المبرد (٣) يقول لمن يريد أن يقرأه : هل ركبت البحر ؟ تعظيما له واستصعابا لما فيه . (٤)

قوله : (وكان) عطف على (قد برع) ، (مسترسل الطبيعة) سهل الوصول الى حقائق المعاني والقبول لها ، ومع ذلك له اشتعال وتوقد أي نفوذ في الدقائق (٥) ، فالتوقد تكميل للاشتعال والاشتعال للاسترسال (٦) ، يعني له طبيعة كالماء والنار (٧) .

(اللمحة) الاشارة الخفية . (الرمزة) الايماء بالحاجب . (الكز) المنقبض

---

(١) صالح بن اسحق ، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيده وانتهى اليه علم النحو في زمانه ، توفي سنة ٢٢٥ هـ . بغية الوعاة ٢ / ٨ .
(٢) بكر بن محمد قال عنه المبرد : لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان ، توفي سنة ٢٤٨ وقيل سنة ٢٣٠ هـ . بغية الوعاة ١ / ٤٦٣ .
(٣) ابو العباس محمد بن يزيد امام العربية ببغداد في زمانه . ولد سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ . بغية الوعاة ١ / ٢٦٩
(٤) انظر " نزهة الألباء ٧٥ " . (٥) في ط : في الحقائق .
(٦) والأول لدفع توهم أن قريحته كنار العرفج في أنها سريعة الاشتعال متقاصرة البقاء والثاني لدفع توهم الخمود .
(٧) ففي قوله " مسترسل الطبيعة " و " مشتعل القريحة " استعارتان مكنيتان ، لأن المذكور الطبيعة وهي المشبه وأثبت لها لازم الماء وهو الاسترسال في الأول ولازم النار وهو الاشتعال والتوقد في الثاني . والسعد لم ينص على نوع الاستعارة وانما بينها بقوله " له طبيعة كالماء والنار " وذلك بعد أن بين أن المراد من الأولى سهولة الوصول الى حقائق المعاني ومن الثانية النفوذ في الدقائق . ويرى الامام الطيبي أنهما من قبيل الاستعارة التبعية حيث يقول في فتوح الغيب ١ / ١٠ " استعار لجودة الطبيعة وسماحة القريحة وسهولة تأتيها للمعاني الدقيقة سهولة سير الناقة بسبب ارخاء زمامها وانقيادها عند انثنائه " . واذا سلم للطيبي صحة استعارة سهولة سير الناقة للاسترسال فانه لا يسلم له استعارتها للاشتعال .

ومن هنا فاني أرجح ماذهب اليه السعد في بيانه للاستعارتين .

اليابس . (الجاسى) الصلب . (الجافى) النابى . بالغ فى اشتراط الأوصـــافـا باثباتها ثم نفى أضدادها ثم عاد الى طريق الاثبات فقال : (متصرفا) وهو خـــبر آخر ، ولا يعجبنى مثل هذا التركيب وان كانت القرينة دالة .

(الدربة) العادة . (الأسلوب) الفن والطريق . (المرتاض) الذى تمت رياضته (الريض) الأهل للرياضة لكن لم يرض . (بنات الفكر) ان اريد بها النتائج على ماهو الظاهر فمعنى تلقيحها التلقيح لأجلها ، أو تلقيحها بنتائج أخر مـــن الشعب والفروع وان أريد بها (١) المقدمات المستنبطة بالفكر فتلقيحها ترتيبها على وجه يؤدى الى المطالب .

(فقد علم) بيان وتوكيد لقوله : (ذا دراية) . (الترصيف) النظم والترتيـــب (ما) فى (طالما) وقلما : قيل : مصدرية والمصدر فاعل أى طال اندفاعه الـــى المضايق ، ولذا تكتب منفصلة (٢) . وقيل : كافة للفصل عن طلب الفاعل ولذا تكتـب متصلة ويجوز الفصل كما فى قول الكميت .

وقد طال ما ياآل مروان ، ألـــتم (٣)

(ولقد رأيت اخوتنا) جمع الضمير بعد افراده ، كما فى قوله :

فوقفت أسألها وكيف ســـؤالنا ؟ (٤)

اشارة الى أنهم اخوة لنا معشر العدلية ، وأتى بجمع القلة ولفظ (الفئـــة) اشارة الى أنهم وان قلوا عددا بالنسبة الى من سواهم ، فلهم الشرف والفضيلة والكثرة

---

(١) كلمة " بها " ساقطة من م ومن الأصل .
(٢) قوله "ولذا تكتب منفصلة " ساقط من الأصل .
(٣) هذا صدر البيت وتمامه : بلا دس أمر الضريب ولا غمل . وألتم من الايالة وهى السياسة يقال : آل الرعية يؤولها ايالة حسنة ومعنى الدمس والغمل التغطية والدفن . انظر اساس البلاغة مادة (أول) ، والصحاح مادة (دمس) ، (غمل)
(٤) صدر بيت من معلقة لبيد وتمامه : صما خوالد مايبين كلامها .
ويروى " سفعا " بدل " صما " أى سود الى احمرار . والصم الصخور . والخوالد البواقى . انظر ديوان لبيد ٢٩٩ ، وشرح المعلقات السبع ٩٥ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٥٢٨ ، وجمهرة اشعار العرب ١٣٠ ، والشطر الأول فى مفتـــاح العلوم ١٠٩ .

المعنوية (١) .

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا (٢)

(في الدين) متعلق بما يتضمنه (إخوتنا) من معنى التقوى والتظاهر والتعاون كقولهم : الأخ في الله والمعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، لأنهم أوجبوا على الله تعالى ثواب المطيع وعقاب العاصي والتمكن من الخيرات .

وسائر ماهو من مصالح العباد وغير ذلك مما يناسب العدل ، ونفوا الصفات القديمة ، لما في اثباتها من اثبات القدماء الكثيرة المنافي للتوحيد . (الجامعين) صفة (أفاضل) . و (علم العربية) يتناول متن اللغة والصرف والنحو وغير ذلك ، و (علم الأصول) أصول الكلام وأصول الفقه .

(أفاضوا) شرعوا . (استطيروا) استفزوا حتى كأنهم حملوا على الطيران . (٣) (شوقا) تمييز أو مفعول له . و (أطرافا) مستعار من أطراف المدينة لمواردها ونواحيها أي يجمع كثيرا من جنس ما أبرزته لهم (٤) . (حتى اجتمعوا) أي صار تعجبهم وشوقهم سببا لاجتماعهم فليس هذا نهاية للفصل بل مسببا عنه .

---

(١) وهذه النكتة انما تتحقق بتبيين " الاخوة " الذي هو جمع قلة " بالأفاضل " الذي هو جمع كثرة — كما هو رأي السيد الشريف في حاشيته ص ١٨ — ولفظ " الفئة " لا أرى وجها لتعويل السعد عليه في تحقيقها . وقول الحلاغي في حاشيته على حاشية السعد ص ١٨ أ : " ان الدلالة على الكثرة في أفاضل المضاف انما تتحقق في نفس الأمر باعتبار الكثرة في المضاف اليه " هذا القول مردود ولا يبرر موقف السعد لأن الزمخشري لو عدل عن الاضافة فقال اخوتنا الأفاضل لتحقق نفس الغرض .

(٢) البيت لأبي تمام من قصيدة في مدح عمر بن عبد العزيز وقبله :

قالوا أتبكي على رسم ؟ فقلت لهم : * من فاته العين ندى شوقه الأثر

والرسم الأثر . وندى شوقه أي رطبه وخفف من لوعته . ويروى " هدى شوقه " وفي رواية أخرى " أدى شوقه " . والقل القليل . ويروى " قلوا " انظر ديوان أبي تمام ٢ / ١٨٦ ، والمثل السائر ٣ / ٢٥٥ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٨٩ ، وتنزيل الآيات ٣٩٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٨ ، والبحر المحيط ١ / ١٢٥

(٣) فهي استعارة تبعية .

(٤) وهذه الاستعارة أصلية . واكتفى السعد فيها وفي الاستعارة قبلها بذكر طرفي الاستعارة بأسلوب أدبي بعيد عن التحديد فلم يعن بذكر نوع الاستعارة .

(مقترحين) سائلين ، (أن أملي) مفعوله محذوف أي كتابا أو متروك أي افعل الاملاء في (الكشف) ،و (عيون الأقاويل) عطف على (الكشف) والعيون الخيار ، والاقاويل جمع أقوال جمع قول [1] ،وبها يتعلق (في وجوه التأويل) وهو تطلب مايؤول اليه الكلام ،وحاصله صرف/الكلام الى مرجعه ومآ له وذلك باستعمال القواعد ١٢ أ العربية والتأمل في القرائن اللفظية والمعنوية ،وهو جائز ،وانما المحظور القول بالرأى فيما يتعلق بالسماع كسبب النزول مثلا وهو المراد بالتفسير ،

و (الاستعفاء) طلب الاعفاء ،يقال اعفني من كذا أي دعني منه ،و (الاستشفاع) طلب الشفاعة ،يقال:استشفعته واستشفعت به أي سألته أن يشفع لي ،قال [2] :

مضى زمن والناس يستشفعون بي * فهل لي الى ليلى الغداة شفيع ؟[3]

(حداني) ساقني ولتضمين معنى الحمل عدى بعلى ، (ماالاجابة) أي الأمر الذى الاجابة (اليه واجبة على) خاصة ،لأنه وان كان فرض كفاية لكن الخوض فيه لا يتيسر لغيرى فصار بمنزلة فرض العين علي ،والموصول بصلته مبتدأ خبره (ماأرى) ، و (ما) هذه ينبغي أن تجعل موصوفة ليكون الظرف أعني : (من رثاثة) صفة أخرى والا كان [4] حالا من خبر المبتدأ اذ المعنى لا يساعد على جعله حالا من ضمير (عليه) ،

قوله : (فضلا [5]) مصدر فعل محذوف يقع متوسطا بين نفي وأثبات لفظا نحو : فلان لا ينظر الى الفقير فضلا عن اعطائه ،أو معنى نحو : تقاصرت الهمم عن أدنى العدد فضلا عن أن تترقاه أي لم تبلغه فضلا عن الترقي ،والقصد فيه الى استبعاد الأدنى أعني : مادخله النفي بمعنى عده بعيدا عن الوقوع كالنظر الى الفقير وبلوغ الهمم ،واستحالة مافوقه أعني : مادخلته " عن " بمعنى عده بمنزلة المحال الذى لا يمكن وقوعه كالاعطاء والترقي ،وهو من قولك : أنفقت الدراهم والذى فضل منه كذا أي بقي ،وفاعل الفعل ضمير النفي أي انتفى العطاء بالكلية والذى بقي منه عدم النظر ، وكذا انتفى الترقي وبقي التقاصر ،والأحسن أنه لا محل لهذه الجمله وان جعلها

---

(١) " جمع قول " ساقط من ط .
(٢) " قال " ساقط من م .
(٣) انظر ديوان مجنون ليلى ١١ ،وأساس البلاغة مادة (شفع) .
(٤) في ط : لكان .
(٥) مقدمة الكشاف ص ك ،

بعضهم [١] حالا • ومن الخطأ في حل هذا التركيب مايقال : أن فضلا بمعنى تجاوزا [٢] وأن المستبعد هو عدم النظر وقصور الهمم •

قوله : (الى الكلام المؤسس) أى الى فهمه على ماينبغى •والمراد كلامه فى الكشف عن حقائق التنزيل •يرشد الى ذلك قوله : (وطائفة من الكلام) ومن زعم أنه القرآن لم يحم حول المراد •

قوله : (فأمليت) عطف على (فأبوا) وما بينهما اعتراض لدفع الاعتراض• (فى الفواتح) يعنى : أوائل السور المفتتحة بحروف الهجاء مثل الم [٣] •والمص [٤] • وغيرهما • (وكان) اى المملى • (حاولت به) اى بذلك الكلام المبسوط• (والمنار) علم الطريق • (ينتحونه) أى يقصدونه ويعتمدون عليه • و(احتذى المثال) اقتدى به • (صمم العزم) صار ماضيا لافتور فيه يقال : صمم على الأمر اذا مضى على رأيه فيه• وصممت عزيمتى [٥] بالتخفيف ولا يقال : صممتها بالتشديد •

(مجتازى) مصدر او اسم مكان •والاجتياز السلوك • (بكل بلد) متعلق (بوجدت) أو بالمصدر • والبلد والبلدة واحد فلذا أنث الضمير من (أهلها) • (فيه مسكة) أي بقية وقدر مايتمسك به من علم أو عقل •وتذكير الضمير بالنظر الى لفظة (من) وجمعه فى (قليل ماهم) للنظر الى المعنى • وتأنيث/ الصفة أعنى : ٢ اب (عطشى الأكباد) لكونه جماعة وافراد (قليل) مع أنه خبر (هم) قدم للاهتمام باعتبار موصوف مذكر للفظ مثل: ضرب وفتح أو على التشبيه بفعول مثل : " هم عدو لى " [٦]

(متطلعين [٧]) متشوقين • (الى ايناسه) ابصاره • (من عطفى) مفعول (هز)

---

(١) وهو الطيبى وتبعه اليمنى •يقول الطيبى : " فضلا مصدر فعل محذوف وهو حال من هممهم أى تفضل فضلا أى تتجاوز تجاوزا "
انظر فتوح الغيب ١/ ١٢ •وتحفة الأشراف ١/ ٦ •

(٢) قاله الطيبى واليمنى — أنظر المرجعين السابقين •

(٣) هى الآية الأولى فى سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة •

(٤) الآية الأولى من سورة الأعراف•

(٥) فى ب : عزمى •

(٦) من الآية ٧٧ سورة الشعراء •

(٧) مقدمة الكشاف ص/ ل •

،ومن للتبعيض ،وهو كناية عن السرور[(١)] أى حصل فى بعض الارتياح (اذا أنـا) للمفاجأة كأنه قال : فاجأت ذلك ولهذا وقع جواب (لما) فانه يكون ماضيا لفظا أو معنى • (بالشعبة) خبر المبتدأ أى ملتبس بها،ومن جعل (اذا) مكانية فى موقع الخبر • جعل الظرف حالا من الضمير فى الخبر •

(وهو النكتة والشامة) أى العلم المشهور[(٢)] • (اعطش الناس) حال من (الشعبة) او (الأمير) ان جعلت الاضافة لفظية والا فمفعول لما تدل عليه اذا المفاجأة من معنى وجدت فهذا أشبه باختيار المصنف•

(المشاده) المشاغل ،وقياس واحده مشده ولم يستعمل (الفيفاء) الصحراء الملساء • (والمهمه) المفازة البعيدة • (والوفادة علينا) أى الورود • وجمع الضمير للتعظيم حيث حاول مثل هذا الأمير الوفادة عليه • أو للتواضع والاشارة الى أن وفادته لا تكون على وحدى بل مع اخوانى من الأفاضل [(٣)] .

(فقلت) عطف على جواب (لما) ولا تخلو عن معنى السببية والمجازاة (على المستدفى) التفات لأن الحيل والعلل انما تناسب هذا الوصف لا ذات المتكلم[(٤)]

والباء فى (به) صلة على معنى ان (العلل عيت) به لكثرة تعلله بها [(٥)]، أو

---

(١) كناية عن صفة السرور لأن الفرحان يتحرك جانباه نشاطا • ويقول الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١/٧ أنها كناية عن التنبيه عن الغفله • وأرى ان كونها كناية عن السرور هو المناسب للمقام •

(٢) أى أن الشهرة هى وجه الشبه بينه وبين النكتة والشامة ،وهو من التشبيه البليغ•

(٣) القول بكون جمع الضمير للتواضع والاشارة المذكورة يدفعه قوله " ليتوصل الى هذا الغرض " فانه منحصر فيه ،والقصد الى جعل الاخوان شفعاء عنده لا يلائم المقام • انظر حاشية العلائى ٨ ب •

(٤) يقول الامام الطيبى : هذا رجوع من الجمع الى الواحد ،ووضع للظاهر موضع المضمر للاشعار بالقصور والعجز • انظر فتوح الغيب ١/١٢ •

(٥) فكأن العلل تضجرت منه فأسند العى اليها مبالغة ففى العبارة مجاز عقلى ويجوز أن يكون استعارة مكنية حيث شبه العلل بانسان تضجر من كثرة مايطلب منه • وفى حاشية العلائى ٨ ب : ان معنى عيت به العلل أنها لم تهتد اليه ليمكن له التمسك بها ،وهذا أبلغ من أن يقال : عى بالعلل أى لم يهتد اليها =

للتعدية أي أعجزته العلل بمعنى أنه لم يبق له وجه دفع .

(ورأيتني) عطف على (قلت) تمهيدا (للأخذ في طريقة أخصر) . (أخذت مني السن) أي أثرت في ونقصت من قواي . (تقعقع) تصوت . (الشن) القربة ، اراد جفاف جلده لكبر سنه . (ناهزت) أي قاربت ، وأشرفت . (العشر الدقاقة) مابين ستين الى سبعين ، وهو معترك المنايا على مانطق به الحديث(١) .

(مع ضمان) صفة (لطريقة) ، أو حال من (أخذت) أي متاريا لكلفي وولوعي (بالتكثير) ، يقال : ضمنت الشيء ضمانا أي كلفت به وأولعت . (والتسديد) التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل .

(ففرغ منه) أي من الكتاب بقرينة السياق ، أو من الطريقة المأخوذ فيها لكونها عبارة عن الكتاب ، ولم يقل ففرغت اشارة الى أن الفراغ في تلك المدة القليلة لم يكن الا بمحض توفيق الله تعالى حتى كأنه لا مساغ لاسناده الى نفسه .

(مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه) سنتان وأربعة أشهر وقيل : ثلاثة أشهر وتسع ليال (٢) . يعني كان يقدر تمامه في أكثر من مدة خلافة الخلفاء الأربعة ، فاتفق (٣) في مدة خلافة أقصرهم مدة خلافة (وما هي) أي الفراغ في تلك المدة ، والتأنيث باعتبار الخبر أعني : (آية) .

= كأن عدم الاهتداء سرى منه اليها " . ويقول الطيبي في فتوح الغيب ١/١٢ : " يجوز أن يكون التركيب من القلب المقبول لتضمنه معنى لطيفا والأصل عيي بالعلل لكن لما طالت العلل صارت كأنها متضجرة منه لكثرة تعلله بها فأسند العي اليها مبالغة " .

(١) وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عمر أمتي من ستين سنة الى سبعين سنة " وفي رواية أخرى : " أعمار أمتي مابين ستين الى سبعين وأقلهم من يجوز ذلك " . انظر صحيح الترمذي ٩/٢٠٣ ، ١٣/٦٥ .

(٢) في " الكامل في التاريخ ٢/٢٨٧ " : " أن مدة خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل : سنتان وأربعة أشهر الا أربع ليال " .

(٣) عبارة خ ، ب : كان يقدر أن لا يتم في مدة خلافة الخلفاء الأربعة بل في أكثر فاتفق الخ .

قوله : (ماتحبت فيه منه) ضمير فيه لما ، وضمير منه للكتاب ، وقيل : بالعكس ، وقيل : الأول لما والثاني (لله) والظرف حال من (سببا) قدم للاهتمام ، وقيل : بالعكس أي ماتحبت منه في سبيل الله وطلب رضاه .

١٣ أ / قوله : (سورة فاتحة الكتاب)(١) فاتحة الشيء أوله ، وخاتمته آخره ، اذ بهما الفتح والدخول في الأمر(٢) والختم والخروج منه ، ولعدم اختصاصهما بالسورة ونحوها كانت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون تأنيث الموصوف في الأصل .

ولكون أول الشيء بعضه ، والمضاف اليه كله ، سيما الكتاب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة ، فانه هو المجموع الشخصي لا المفهوم الكلي الصادق على الآية والسورة ، كانت الاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء دون من كما في خاتم حديد ، وقد يتوهم أن كل ما هو جزء من الشيء فاضافته اليه بمعنى من كأنهار دجلة وفساده بين .

ثم وجه تسمية السورة (بفاتحة الكتاب) والفاتحة (وسورة الحمد وسورة الشفاء والشافية) ظاهر فلم يبينه ، أما التسمية (بأم القرآن وسورة الكنز والوافية فلاشتمالها على) كليات (المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى) وهو ظاهر (ومن التعبد بالأمر والنهي) وهو في اياك نعبد ، لأن معنى العبادة قيام العبد بما تعبد به وكلف(٣) من امتثال الأوامر والنواهي ، وفي الصراط المستقيم أيضا ، (ومن الوعد والوعيد) وهو في الذين أنعمت عليهم ، والمغضوب عليهم ، وفي يوم الدين أي الجزاء أيضا .

وانما كانت الثلاثة أصول مقاصد القرآن ، لأن الغرض الأصلي منه الارشاد الى المعارف الالهية ، وما به نظام المعاش ونجاة المعاد وبعبارة أخرى : الى معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما من دار التكليف ولهذا كان علم الكلام بحثا عن أحوال الصانع والنبوة والمعاد .

فان قيل : كثير من السور كذلك ، قلنا : لا كذلك ، فانها فاتحة الكتاب وسابقة

---

(١) الكشاف ١/١ .
(٢) "في الأمر" ساقط من الأصل .
(٣) في ط ، ب : وكلف به .

السور ،قد اقتصر مضمونها على كليات المعاني الثلاث(١) بالترتيب على وجه اجمالي ، لأن أولها ثناء وأوسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد ،ثم يصير ذلك مفصلا في سائر السور ،فكانت منها بمنزلة مكة من سائر القرى على ما روى (٢) من أنها مهدت أرضها ، ثم دحي الأرض من تحتها فتستأهل أي تسمى أن القرآن ،كما سميت مكة أم القرى ، على أن وجه التسمية لا يلزم أن يطرد ،

قوله : (المثاني) جمع مثنى أو مثناة ،سميت بها الآيات السبع للفاتحة ، (لأنها تثنى) أي تكرر (في كل ركعة) أي صلاة تسمية للكل باسم الجزء (٣) بناء على أن أقل الصلاة ركعتان ،لنهيه عليه الصلاة والسلام عن البتيراء (٤) ،ويجوز أن يراد بها انها تكرر (٥) في كل ركعة بالنسبة الى الركعة الأخرى ، وما ذكر في الفائق " من أنها تثنى أي تكرر في قومات الصلاة (٦) " يحتمل وجهين أي في كل قومة أو مجموع القومات (٧) ،

قوله : (لأنها تكون فاضلة) حق العبارة أن تكون بطريق القصر أي لا تكون فاضلة أو مجزئة الا بقراءتها فيها ليفيد ماقصده ، (٨) من توقف الفضيلة كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ،أو الاجزاء كما هو مذهب الشافعي رحمه الله على الفاتحة (٩)

---

(١) في ط الثلاثة ، (٢) انظر فتوح الغيب ١/ ١٣ ،
(٣) فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية ،
(٤) هي أن يوتر بركعة واحدة ،وقيل هو الذي شرع في ركعتين فأتم الأولى وقطع الثانية ، انظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٩٣ ،
(٥) في ط ،ب : ويجوز أن يراد انها تتكرر ،
(٦) انظر الفائق ١/ ٨٣ ،
(٧) وقال القاضي البيضاوي في تفسيره ١/ ٣ : انها تثنى في الصلاة او الانزال ان صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ،وبالمدينة حين حولت القبلة ،
(٨) يقول السيد الشريف " ان الباء في قول الزمخشري " بقراءتها فيها " للسببية أي قراءتها في الصلاة سبب لفضيلتها وسبب لاجزائها فقد توقفت فضيلة الصلاة أو اجزاؤها على الفاتحة توقف المسبب على السبب " ،
فاشتراط السعد القصر في العبارة لاحاجة اليه لأن التوقف المذكور مفهوم من السببية ، حاشية السيد ٢٤ ،
(٩) انظر مفاتيح الغيب للامام الرازي ١/ ١٠٠ والامام أبو حنيفة هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب توفي سنة ١٥٠ هـ ، والشافعي هو الامام محمد ابن ادريس يجتمع في النسب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف ، وتوفي سنة ٢٠٤ هـ ،

قوله : (عد أنعمت عليهم) [1] أى صراط الذين أنعمت عليهم لوضوح / أن الصلة ١٣ ب بدون الموصول والمضاف اليه بدون المضاف لا يكون آية وأما عد أنعمت عليهم آيـة والتسمية آية أخرى لتكون ثمانى آيات ،أو عد أنعمت عليهم الى الآخر آية ، وأول السورة خالية عن التسمية أو مع التسمية آية واحدة لتكون ست آيات فلم يذهب اليـه أحد .

قوله : (قراء المدينة) لا خلاف فى أن التسمية بعض آية من سورة النمل [2] ، وانما الخلاف فى التسمية فى أوائل السور : فعن قدماء الحنفية أنها ليست مـن القرآن ،وأن تقييد التواتر فى تعريف القرآن بقولهم : " بلا شبهة " احترازعنها ،ولما لاح للمتأخرين منهم بالنظر فى الأدلة أنها من القرآن قالوا : الصحيح من المذهب أنها آية واحدة من القرآن انزلت للفصل والتبرك وليست بآية ولا بعض آية من شىء من السور [3] .

فصار محل الخلاف أنها آية واحدة غير متعلقة بشىء من السور أو مائة وثـلاث عشرة آية من مائة وثلاث عشرة سورة كالآيات المتكررة فى بعض السور مثل : " فبـأى آلاء ربكما تكذبان " [4] على ماذهب اليه الشافعى [5] رضى الله عنه . [6]

وعبارة المصنف فى تقرير مذهب أبى حنيفة رحمه الله [7] تحتمل الرأيين [8] ، واستدلاله باثباتها فى المصحف ظاهر فى دفع الرأى الأول ،وبقول ابن عباس رضى الله عنه فى دفع الرأى الثانى ،الا أن النسبة الى (قراء المدينة والبصرة والشـام وفقهائها) انما تناسب الرأى الأول ،لأنه المذهب عندهم حتى قال مالك : [9] " لا

---

(1) " عليهم " ناقصة من الأصل ومن ط . (2) من الآية ٣٠ من تلك السورة .
(3) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٣٣ ،وروح المعانى للألوسى ١ / ٣٣ ،وحاشية السـيد الشريف ١ / ٢٥ . (4) فى سورة الرحمن .
(5) وذلك فى كتاب " الأم ١ / ٩٣ " . (6) م : رحمه الله .
(7) فى م : رضى الله عنه .
(8) أى الخاصين بمذهب أبى حنيفة : الأول رأى القدماء أنها ليست من القـرآن والثانى رأى المتأخرين انها آية واحدة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك .
(9) هو الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة وأحد الائمة الاعلام توفى سنة ١٧٩ وقيل : سنة ١٧٨ هـ . وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٤ .

ينبغي أن تقرأ في الصلاة لا سرا ولا جهرا " (١).

وكذا قول المصنف : (وانما كتبت للفصل) دون أن يقول : وانما أنزلت للفصل فعلى هذا يكون معنى قوله : (ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها) انها ليست من القرآن ، اذ القرآن مفصل الى السور والسور الى الآيات فلو كانت من القرآن لكانت آية من سورة .

وانما قرر الخلاف بأنها ليست من القرآن أصلا ، أو آية من أول كل سورة ، ولم يعتبر بكونها آية فردة أو بعض آية من أول السورة ، وحينئذ انتظم تفريع عدم الجهر بها على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها كما انتظم تفريع الجهر على أنها آية ، ولم يتوجه الاعتراض بأنه لا يلزم من عدم كونها آية (٢) من السورة ان لا يجهر بها لجواز أن تكون آية فردة أو بعض آية من أول السورة .

على أنك اذا تحققت فهذا ليس في معرض الاستدلال ، بل اخبار بما بنوا عليه ترك الجهر فليتأمل . وأيضا تم الاستدلال بالوجهين (أولهما اثبات السلف التسمية في المصحف وثانيهما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (٣)) ولم يتوجه الاعتراض على الأول بأنه لا ينافي كونها آية فردة أو بعض آية من أول السورة ، فلا يفيد اثبات المدعى وهو أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، ولا نفي مذهب الخصم وهو أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها ، وعلى الثاني بأنه لا يثبت كونها آية من كل سورة على ما هو المدعى ، الا أن يقال : القول بكونها مائة وثلاث عشرة / آية لا من السور مما لم يقل به أحد . ١٤ أ

قوله : (والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها (٤) ، فان قيل : سيجئ أن المعنى متبركا باسم الله (٥) وان الحديث : " كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر " (٦) ، فما معنى اقحام الابتداء والذكر ؟ قلنا : ليست الباء في قوله : (بالابتداء) صلة للتبرك وانما هو بيان للتبرك أى التبرك بالتسمية بأن يبدأ بها . وأما البداية بالتسمية وبذكر التسمية فليس بينهما كثير فرق (٧)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٣٤ . (٢) " آية " ساقطة من الأصل .

(٣) مابين القوسين ساقط من خ ، ب . (٤) الكشاف ١ / ١ .

(٥) سيجئ في الكشاف ١ / ٣ .

(٦) في سنن ابن ماجه ١ / ٦١٠ ، وفي صحيح ابن حبان ١ / ١٣٥ – ١٣٦ : "بحمد الله أقطع " . وفي النهاية في غريب الحديث ١ / ٦٣ – ٦٤ : " بحمد الله فهو أبتر " .

(٧) في ط : فرق كثير .

قوله : (فقد ترك مائة وأربع عشرة آية (١)) كأنه اعتقد كونها آية من سورة براءة أيضا ، أو اعتبر نزول الفاتحة مرتين مصدرة بالتسمية ، أو أراد الترك مطلقا حتى في أثناء سورة النمل فانه يستلزم ترك الآية ، أو أراد بالترك عدم الاتيان ولو في محل لا ثبوت فيه كسورة براءة وحينئذ يصير المتروك مائة وأربع عشرة آية ، وهذا ضعيف جدا .

قوله : (لأن الذى يتلو التسمية مقروء) يعنى أن حرف الجر يدل على أن لهما متعلقا وليس بمذكور فيكون محذوفا ، وقرينة تعيين المحذوف في "بسم الله" هو مايتلوه ويتحقق بعده ، وهو ههنا القراءة ، لأن الذى يتلوه في الذكر مقروء مثل : الحمد لله مثلا فيكون الفعل هو القراءة ، فلما كان للمتلو هنا تال من جنسه حسنت هذه العبارة (٢) ، بخلاف ماإذا قيل : في تسمية الذابح أن الذى يتلو التسمية مذبوح فانه لا يستقيم لأن التسمية لا تالى لها ههنا الا في الوجود وهو الذبح لا غيره وفيما نحن فيه لها تال في الذكر هو المقروء وفي الوجود هو القراءة (٣) .

قوله : (كان مضمرا ماجعل التسمية مبدأ له) (٤) لا خفاء في أن المضمر هو الفعل النحوى ، والتسمية انما جعلت مبدأ للفعل الحقيقي ففي الكلام حذف مضاف أى لفظ ماجعل .

فان قيل : ينبغى أن يقدر : بسم الله أبتدىء (٥) ، لأن المفهوم من الحديث وجوب الابتداء بها ، ولأن الابتداء لعمومه أولى بالتقدير كما يقدر في الظرف المستقر الحصول والكون .

قلنا : أثر ذلك لما فيه من الدلالة على تلبس الفعل كله باسم الله بخلاف تقدير ابتدىء ، ولأن المذكور عند عدم الحذف هو القراءة دون الابتداء بها كما في قوله

---

(١) انظر الوسيط للواحدى الورقة ١٣ أ .
(٢) وهى قول الزمخشرى : " لأن الذى يتلو التسمية مقروء " .
(٣) رد السعد بهذا التفريق بين فعلى القراءة والذبح على الامام الطيبى ، حيث رأى الطيبى : أنه كان الأنسب ان يقول الزمخشرى : الذى يتلو التسمية القراءة لا المقروء ، لأن الابتداء بالتسمية انما يكون في الفعل لا المفعول كما أن تسمية الذابح انما يتلوها الذبح لا المذبوح . انظر فتوح الغيب ١/١٤ .
(٤) الكشاف ١/٢ .
(٥) وممن اختار ذلك أحمد بن المنير الاسكندرى في كتابه الانتصاف ١/١

تعالى : " اقرأ باسم ربك " (١) ، والنحويون انما يقدرون متعلق الظرف المستقر عاما اذا لم توجد قرينة الخصوص (٢) .

هذا ، ولكن قوله بعد ذلك (٣) : (فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء) يشعر بأن المقدر ابتدىء ، فكأنه أشار في الموضعين الى استواء الأمرين .

قوله : (وقول الأعرابي) الأعراب سكان البادية ، يعني أن قولهم : " بالرفاء والبنين (٤) " هو الشائع بين العرب ، و (باليمن والبركة) قول بعض الأعراب ومعنى الرفاء الموافقة من رفأ الثوب أصلحه .

قوله : (فقلت الى الطعام) أي هلموا اليه البيت لشمر (٥) بن الحارث الضبي وقيل للفرزدق (٦) ، وقبله :

أتوا ناري فقلت/ منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما (٧) ٤ ب

أي أنعم الله ظلامكم من نعم ينعم الا أنه حذف النون على سبيل الشذوذ .

---

(١) من الآية ١ سورة العلق .
(٢) في ط زيادة : وقرينة الخصوص موجودة ههنا .
(٣) في الكشاف ١/٣٠ .
(٤) انظر مجمع الأمثال ١/٩٠ (٥) في م : لسمير بن الحارث .
(٦) في ط : ويقال للفرزدق
(٧) وقيل الشعر لتأبط شرا وقيل لشمر الغساني ، ويروى البيت الأول :
أتوا ناري فقلت منون قالوا * سراة الجن قلت عموا ظلاما
ويروى : عشوا ناري . ويروى : فانا الجن . بدل "سراة الجن " وفي البيت الثاني يروى : فريق يحسد . بدل زعيم نحسد . ومنون استفهام أتى بصورة الجمع اجراء للوصل مجرى الوقف . انظر شاهد الانصاف ١/٢ ، وتنزيل الآيات ٥١٠ والموشح ٩٧ ، وشروح التلخيص ٢/٢٨٢ ، واعجاز القرآن ٤٠ ، وخزانة الأدب ٢/٣ ، المقتضب ٢/٣٠٧ ، وكتاب سيبويه ١/٤٠٢ ، وارتشاف الضرب ١١٢٥ ، وهمع الهوامع ٢/١٥٧ ، ٢١١ ، وشرح الشواهد للعيني ٤/٤٩٩ ، والصحاح (حسد) (سنن) (أنس) ، واللسان (حسد) (أنس) (منن) (سرا) وأمالي ابن الحاجب ١٦١ ، والمسائل الحلبية ١٢٠ ، ونوادر أبي زيد ١٢٣ ، وشرح الأشموني ٣/٦٤٢ ، والخصائص ١/١٢٩ ، وشرح القصائد السبع ٢٩٦ ، والمصباح ١٥٧١ .

وقال يونس: (١) " ن وعمت الدار أعمها اذا قلت لها أنعمي "٠ (فريق) فاعل (قال) ، و(منهم) حال منه ٠ (ونحسد) بلفظ المتكلم هو المقول ٠ (والأنس) يجوز بفتح الهمزة والنون ، وبكسر الهمزة وسكون النون ٠

قوله : (لأن الأهم) (٢) يشير الى ماذكره الشيخ عبد القاهر (٣) من أنا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، الا أنه لا يكفي أن يقال : قدم للاهتمام ، بل ينبغي أن يبين أنه لم كان أعني به وبم كان أهم (٤) ثم ان بعض وجوه الاهتمام الاختصاص ٠

قوله : (فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله بالابتداء) الظاهر أنه قصر افراد ، لأن ابتداء المشركين باسم اللات والعزى كان لمجرد الاهتمام دون الاختصاص ، فعلى الموحد قطع شركة الأصنام ٠

ومعنى اختصاص اسم الله بالابتداء جعله من بين الأسامي منفردا بذلك ، وحاصله قصر الابتداء على اسم الله ، فالمجرور بالباء هو المقصور دون المقصور عليه كما قد يسبق (٥) الى الوهم ، ألا ترى أن معنى قوله تعالى : " يختص برحمته من يشاء (٦) " يجعل رحمته مقصورة على من يشاء دون غيره لا بالعكس ، ولذا قال المصنف في " اياك نعبد (٧) " : معناه نخصك بالعبادة (٨) ، أي نجعلك منفردا بها لا نعبد غيرك ٠

وقالوا : ان ضمير الفصل لتخصيص المسند اليه بالمسند ، نعم قد تدخل الباء في المقصور عليه كما قال : ان في الحمد دلالة على اختصاص الحمد به ٠ (٩)

---

(١) في اللسان مادة (وعم) ٠ (٢) في الكشاف ١ / ٣ ٠

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي المشهور ، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن علي الفارسي ، وكان من كبار أئمة العربية والبيان شافعيا أشعريا ، ويعتبر واضع علم البلاغة ومن تصانيفه : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، والجمل ، والعوامل المائة ، والمغني في شرح الايضاح ، واعجاز القرآن وغير ذلك ، وتوفي سنة ٤٧١ هـ وقيل سنة ٤٧٤ هـ ٠ انظر فوات الوفيات ١ / ٦١٢ ، وبغية الوعاة ٣١٠ ، والأعلام ٤ / ١٧٤ ٠

(٤) دلائل الاعجاز ٨٣ بتصرف ٠ (٥) في ط ، ب : سبق ٠

(٦) من الآية ١٠٥ من سورة البقرة (٧) من الآية ٥ من سورة الفاتحة ٠

(٨) انظر الكشاف ١ / ١١ ٠

(٩) انظر الكشاف ١ / ١٠ ٠

والشائع العربي هو الأول ، وليكن هذا على ذكر منك ينفعك في مواضع .

قوله : (وذلك بتقديمه) أي تقديم اسم الله ، (وتأخير الفعل) أي أبتدئ ، لأن اختصاص اسم الله بالابتداء انما يحصل بذلك لا بتأخير الفعل الذي هو أقرأ ، فانه يفيد الاختصاص بالقراءة فتقرير الجواب لا يناسب السؤال ، لأنه كان سؤالا عن سبب تقدير أقرأ مؤخرا [1] ، وأما جعل المتعلق بالفعل ههنا المجرور وفيما سبق هو الجار فأمره سهل لأن المقصود واحد .

لا يقال : معنى كلامه أنه يجب على الموحد أن يخص اسم الله تعالى بالابتداء بأن يبتدئ به ، وان كان متعلقا بفعل القراءة لأنا نقول : لفظ (معنى) في قوله : (معنى اختصاص اسم الله) يأبى هذا المعنى عند من له ذوق [2] ، وكذا ترتيب هذا الوجوب على كونهم يبدأون بأسماء آلهتهم لأن طريق رده أن يقول : ابتدئ باسم الله لا باسم غيره . لا أن يقول : ابتدئ باسم الله لا بالفعل المتعلق هو به [3] .

---

(١) أي وأجاب بما لا يقتضي الا تقدير أبتدئ مؤخرا . وحاول السيد الشريف في حاشيته ص ٢٩ أن يوجه اسلوب الزمخشري فقال : " انما راد بالابتداء الفعل الذي يبدأ به ويشرع فيه كالقراءة ونحوها ، لا مفهومه الحقيقي ولذلك قال : وتأخير الفعل ولم يقل : وتأخير الابتداء وبهذا القدر يتسق نظم الكلام " . ولكني أؤيد السعد لأن اختصاص اسم الله بالابتداء انما يحصل بتأخير أبتدئ لا بتأخير أقرأ ، فانه يفيد اختصاصه بالقراءة لا بالابتداء .

(٢) وانما يأبى هذا المعنى لأنه ينبئ عن كونه مدلولا عليه باللفظ ، ففيه دلالة على أن المراد قصر الدلالة على الاختصاص لا قصر فعل الاختصاص الذي هو أن يبدأ به لا بغيره . انظر حاشية العلائي ٩ ب .
ويقول السيد الشريف : أقحم لفظ معنى وأضافه الى الاختصاص مبالغة في بيان المقصود أي أن يقصد الموحد معنى هو اختصاص اسم الله تعالى كأنه تنصيص على أن المقصود الدلالة على الاختصاص لا على فعل الاختصاص بأن يبتدئ به لا بغيره .

انظر حاشية السيد ٢٩ .

(٣) " هو به " ساقط من ط .

قوله : (كما فصل) أى تقديم الاسم وتأخير الفعل .

١٥ أ قوله/ : (والدليل عليه) أى على أنه يجب تقديم الاسم وتأخير الفعل فى هذا المقام لقصد الاختصاص أنه لما أدى هذا المعنى بالجملة الاسمية من غير حذف قدم الخبر على المبتدأ افادة للاختصاص ، فالاستدلال ليس على أن التقديم يفيد الاختصاص بل على أنه يجب تقدير الفعل متأخرا ليكون على وفق ماوقع عند الذكر ، وأما دلالة التقديم على الحصر فانما هى بحكم الفحوى والذوق .

ولا خفاء فى أن الكلام انما هو على تقدير جعل " بسم الله (١) " خبر المبتدأ لا متعلقا " باركبوا " . واذا تقرر هذا فقد ترجه السؤال بقوله تعالى : " اقرأ باسم ربك " حيث صرح بتقديم الفعل فى مقام الأمر بجعل الفعل مقرونا باسم الله تعالى ولذا ذكره بلفظ الفاء .

فأجاب بأن تقديم الفعل أى الأمر بالقراءة ههنا أهم ، لكونها أول سورة نزلت على القول الأصح ، وما ذكرنا من وجوب تقديم الاسم انما هو عند عدم الداعى الى رعاية الأصل الذى هو تقديم العامل وفى المفتاح " ان باسم ربك متعلق باقرأ الثانى ومعنى الأول أوجد القراءة (٢) " ، وهذا ربما يشعر بأن تعلق باسم ربك بالقراءة تعلق المفعولية على زيادة الباء وليس له كثير معنى .

وسيجىء (٣) من كلام المصنف ان المعنى " اقرأ مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم (٤) اقرأ " ، وحينئذ فالمقصود وهو وجوب الابتداء بذكر اسم الله تعالى دون غيره حاصل وان لم يقدم على فعل الأمر أعنى اقرأ ، بل لو قدم لكان المعنى مفتتحا باسم الله اقرأ ، لا مفتتحا بغيره ، ولم يفد وجوب أصل القراءة .

قوله : (حتى يصدر) (٥) غاية للنفى أى عدم الاعتداد ينتهى عند التصدير (بذكر اسم الله) تعالى بدلالة الحديث (٦) ، وفى زيادة لفظ (ذكر) اشارة الى

---

(١) من الآية ٤١ بسورة هود .

(٢) انظر مفتاح العلوم ١٢٧ ، وعبارته : " الوجه عندى ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وأوجدها ، وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده " .

(٣) فى الكشاف ٤/٦١٨ . (٤) " ثم " ساقط منم .

(٥) الكشاف ١/٣ .

(٦) وهو " كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر " وسبق تخريجه .

أن ليس المعنى أنه يجب ان يكون ابتداء الأمر اسما من اسماء الله تعالى بل أن يذكر اسم الله تعالى ، وبهذا يندفع ماخطر ببعض الأذهان أن الابتداء بالتسمية ليس ابتداء باسم الله لأن اسمه هو لفظ الله لا لفظ اسم .

قوله : (كلا فعل) كلمة لا ههنا بمعنى غير الا أنه ظهر اعرابها فيما بعدها لكونها على صورة الحرف وقد صرح السخاوى (١) بأنها فى مثل هذا المقام اسم (٢) .

قوله : (على معنى متبركا) يعنى أن التقدير ملتبسا باسم الله ليكون المقدر من الأفعال العامة لكن المعنى بحسب القرينة على هذا فلهذا يجعل الظرف مستقرا لا لغوا .

قوله : (وهذا الوجه أعرب) أى أفصح وأبين وأدخل فى العربية (وأحسن) أى أوفق بمقتضى الحال ، لأن استعمال الباء فى الملابسة والمصاحبة أكثر من الاستعانة ، ودلالتها على تلبس أجزاء الفعل بالتبرك أظهر ، ولأن / فى التبرك باسم الله تعالى ١٥ب
من التأدب ماليس فى جعله بمنزلة الآلة التى لا تكون مقصودة بالذات ، وأما الترجيح بأن فى الأول جعل الموجود كالمعدوم وهو تكلف (٣) ، فليس على ماينبغى لأن مثل ذلك يعد من المحسنات .

قوله : (من حق حروف المعانى) (٤) أى الموضوعة لمعنى على مايقابل الاسم والفعل ، وأما ماتتركب منها الكلمات فتسمى حروف المبانى يعنى أن الأصل فى البناء سيما بناء الحروف ، هو السكون لخفته ، ولكونه عدما ، والعدم هو الأصل فى الحادث .

ولما تعذر ذلك فى حروف المعانى المبنية على حرف واحد لرفضهم الابتداء بالساكن ، كان من حقها أن تبنى على الفتحة لكونها أخت السكون فى الخفة وان كانت الأخت باعتبار المخرج هى الكسرة (٥) . وانما بنيت لام الجر وباؤه على الكسر ، أما اللام فلئلا تلتبس (بلام الابتداء) ، سيما فى مثل : لهؤلاء ولهؤلاء ، فأبقيت لام الابتداء على

---

(١) ابو الحسن على بن محمد السخاوى النحوى المقرئ الشافعى كان اماما فى النحو واللغة والتفسير والقراءات ، توفى سنة ٦٤٣ بغية الوعاة ٢ / ١٩٢ .
(٢) انظر حاشية السيد على الكشاف ١ / ٧٣ .
(٣) وقد ذهب الى ذلك صاحب تقريب التفسير ص ٢ .
(٤) الكشاف ١ / ٣ .
(٥) عبارة الأصل : وان كان الأخت باعتبار المخرج هو الكسرة .

الأصل أعني الفتح (١) وكسرت لام الجر لتكون حركتها على وفق أثرها .

وأما الباء فلأنها (لازمة للحرفية والجر) أي ملاصقة لهما غير منفكة عنهما بمعنى أنها لا توجد بدونهما على ما هو معنى اللزوم في اصطلاح الحكمة وكلا الأمرين يناسب الكسر ، أما الحرفية فلأنها تقتضى عدم الحركة ، والكسر يناسب العدم لقلته ، اذ لا يوجد في الفعل وفي غير المنصرف من الأسماء وفي الحروف الا نادرا كجير ، وأما الجر فللموافقة .

وهذا بخلاف كاف التشبيه ، فانها لا تلزم الحرفية وان لزمت الجر ، وبخلاف الواو ، فانها لا تلزم الجر وان لزمت الحرفية ، اذ قد تكون عاطفة .

ومن اعتذر (٢) بأن واو القسم لا تلزم الجر في نفسها لأنها انما تجر لنيابتها عن الباء فقد اعتبر خصوصية القسمية وليس بلازم ، وحينئذ لا يحتاج الى هذا الاعتذار في تاء القسم لأنها بدون الخصوصية لا تلزم الجر وهو ظاهر ، ولا الحرفية اذ قد تكون اسما كضمير الخطاب .

ولا يخفى حينئذ أن الكاف أيضا لا تلزم الجر مالم تعتبر خصوصية التشبيه ، وكلام الزجاج (٣) " أن الباء انما كسرت للفصل بين مايجر وقد يكون اسما كالكاف ، وبين مايجر ولا يكون الا حرفا كالباء (٤) " . ويشبه أن يكون هذا مراد المصنف .

قوله : (احد الاسماء العشرة (٥)) كأنه لم يعتد بأيم الله لأنه منقور أيمن واعتد بابنم مع أنه مزيد ابن ، لأن الزيادة توجب تعدد الصيغة كضارب من ضرب بخلاف الحذف كدم من دمو ، ولا يخفى ضعفه .

---

(١) " أعني الفتح " ساقط من خ ومن الأصل .

(٢) هو الامام الطيبي في فتوح الغيب ١/١٦ حيث قال : " قيل تنتقض بواو القسم فانها لازم للحرفية والجر وتبنى على الفتحة وأجيب بأنها انما تجر لنيابتها عن الفعل وعن هذه الباء " .

(٣) أبو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل أخذ النحو عن المبرد وأخذه عنه أبو علي الفارسي توفي سنة ٣١١ هـ . بغية الوعاة ١/٤١١ .

(٤) من اعراب القرآن ومعانيه ٢/٢ بتصرف .

(٥) وهي اسم ، است ، ابن ، ابنم ، ابنة ، اثنين ، اثنتين ، امرئ ، امرأة ، ايمن . شرح الأشموني ٣/٨١٥ ، واللباب ٤٠١ .

قوله : (بنو أوائلها على السكون) (١) ، (أى مادامت محذوفة الأعجاز وأمـــا قبل حذف العجز فتعتبر الفاء متحركة) (٢) ، كما صرح به حيث قال : (وأصلـــه سمو) ٠

قوله : (لئلا يقع) علة (الزيادة) وأما / خصوصية (الهمزة) فلقوتها وكونها من ابتداء (٣) المخارج ٠ ١٦ أ

قوله : (اذ كان دأبهم) مشعر بأن ذلك ليس لامتناع الابتداء بالساكن ، اللهـم الا اذا حكيت عن لسانك ، صرح بذلك فى صرف المفتاح (٤) واما فى المدات فالامتناع لذاتها لا لسكونها ، واذا نظرت وجدت الابتداء بالساكن غير مرفوض فى لغة العجم ، وقد يستدل على الامكان بأنه لو امتنع لتوقف التلفظ بالحرف على التلفظ بالحركـــة ابتداء ، ضرورة تقدم الشرط على المشروط ، لكن التلفظ بالحركة موقوف على التلفـــظ بالحرف ، ضرورة توقف وجود العارض على وجود المعروض ، وجوابه منع الشرطية ، لجواز أن تكون الحركة لازما غير متقدم للحرف المبتدأ بها لا شرطا سابقا ، على أنك اذا تحققت معنى حركة الحرف ، لم يكن هناك عارض ومعروض ٠

قوله : (لسلامة لغتهم) ، يشبه أن تكون (السلامة عن اللكنة والبشاعة) علـــة رفض الابتداء بالساكن (والوضع على غاية الاحكام والرصانة) علة رفض الوقف علـــى المتحرك ، لأنه يجيء متقلقلا متزلزلا على مايشهد به الحس السليم ٠ (٥)

قوله : (باسم الذى فى كل سورة ســــمه) ،
الباء متعلق بما قبل البيت أعنى :

أرسل فيها بازلا يقربــــه ، (٦)

---

(١) الكشاف ١/٤٠ ٠

(٢) مابين القوسين فى ط ، م : أى بحسب التحقيق وما عليه الاستعمال وان كـان بحسب التقدير وما عليه القياس قد تعتبر الفاء متحركة ٠

(٣) فى ط : من مبدأ (٤) انظر " مفتاح العلوم " ١٧ ٠

(٥) فهو من قبيل اللف والنشر المرتب ٠

(٦) الشعر لرؤبه بن العجاج وقيل : لرجل من كلب ، والبازل الذى أنشق نابه مـن الابل وذلك فى السنة التاسعة وربما بزل فى الثامنة ، وروى البيت الثانى قبـل الأول ، والمعنى أرسل فيها الراعى ملتبسا بذكر اسم الله بازلا حال كونـه =

أي يتركه الراعي عن الركوب والحمل للفحلة ، وضمير أرسل للراعي ، وفيها للابل ، والجملة صفة بازلا .

فان قيل : الكلام فيما اذا وقعت هذه الأسماء في الابتداء ، و(سمه) ههنا في الدرج ، قلنا : المقصود أنه لما أضطر الى العدول عن حكم الدرج واجرائه مجرى الابتداء ، وصار ناطقا به مبتدئا ، لم يأت بالهمزة بل حرك الفاء بالكسر الذي هو أصل حركة الساكن ، وحركة أصله الذي هو سمو بالكسر ، وبالضم [1] الذي هو أقوى وحركة أصله الذي هو سمو بالضم ذكره ابن الانباري [2] وقال [3] : " في الاسم خمس لغات : اسم وأسم وسم وسم بالكسر والضم [4] وسمى " كهدى وبهذا يظهر أن ليس الضم لاتباع الميم ، اذ لا يختص بحال ضمها .

قوله : (وأصله سمو) بالضم والكسر ، لا أن يكون محذوف الفاء وأصله وسم ، ومجرد هذا لا يفيد الاشتقاق من السمو مالم يبين التناسب في المعنى فلذا ذكره .

قوله : (والنبز) بالزاى المعجمة والنون المكسورة (القشر الأعلى من النخلة) .

قوله : (فلم حذفت الألف ؟) عبر عنها بالألف وفيما سبق بالهمزة لأنها في الخط بصورة الألف ، وأتى بالفاء ، لأن السؤال ناشئ عما سبق ، لأنها لما كانت للابتداء ، ومن قواعدهم أن وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج لزم أن لا تحذف

= يشوقه اليها باعفائه من الحمل وحبسه عن الابل ثم ارساله فيها .
انظر مشاهد الانصاف ١/٤ ، وتنزيل الآيات ٣١٤ ، وأنوار التنزيل ١/٤ ، والانصاف ١٠ ، والمقتضب ١/٢٢٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٨ ، وأسرار العربية ٨ ، اعراب القرآن ومعانيه ١ ، ونوادر أبي زيد ١٦٦ ، واللسان (سما) وأساس البلاغة (قرم) ، وتفسير أرجوزة أبي نواس ١٨٤ .

(١) " بالضم " معطوف على قوله : " بالكسر " أي حرك الفاء بالضم وتعبير السيد الشريف في هذا المقام أكثر وضوحا من تعبير السعد حيث يقول : واذا ثبت التحريك في الدرج مع الاستغناء عنه كان في الابتداء أولى ، فتارة يحرك بالكسر لأنه الأصل في تحريك الساكن ، ولأنه حركة أصله الذي هو سمو بكسر السين ، وتارة يحرك بالضم لأنه أقوى ولأنه أيضا حركة أصله الذي هو سمو بضم السين .
انظر حاشية السيد ٣٤ .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، كان من المشار اليهم في النحو ، ألف الانصاف ونزهة الألباء وغير ذلك ، توفي سنة ٥٧٧ هـ . بغية الوعاة ٢/٨٦ .

(٣) انظر الانصاف ٩ - ١٠ .

(٤) عبارة م ، ط : بالضم والكسر .

بل تثبت كما فى " باسم ربك " فلهذا لم يقتصر فى الجواب على أن يقول : (لكثرة الاستعمال) بل تعرض لتلك المقدمة المطوية التى هى مبنى السؤال ، ثم أشار الى أنه لم يترك القاعدة / بالكلية بل طولت الباء لتكون كالعوض حتى كأنهم جمعوا بين ١٦ ب
الدليلين .

قوله : (وأظهر السينات) أى السنات تسمية للجزء الذى هو العمدة باسم الكل ، اذ ماعدا السنات يطرح فى الدج .(١)

قوله : (والله أصله الاله) لا خلاف فى أن الألف واللام فى الأصل (٢) حرف تعريف لا من أصل الكلمة ، وجوز سيبويه أن يكون أصله لاه من لاه يليه تستر واحتجب (٣) ، الا أن كثرة دوران أله فى الكلام ، واستعمال الاله فى المعبود ، واطلاقه على الله تعالى رجح جانب الاشتقاق من اله ، والحكم بأن أصله الأ لاه ، فذهب اليه الأكثرون (٤) .

ولما كان الاله مع اللام قليل الاستعمال استشهد له بقوله :

معاذ الاله أن تكون كظبيــــة * ولا دمية ولا عقيلة ربــــرب (٥)

الدمية الصنم والصورة المنقوشة ، والعقيلة الكريمة ، والربرب السرب من بقر الوحش .

استعاذ بالله من الخطأ فى تشبيه الحبيبة ولما كان (٦) فى ذلك من معنى النفى أتى بلا المؤكدة للنفى كما فى قوله :

---

(١) فهو مجاز مرسل علاقته الكلية .
(٢) " فى الأصل " ساقطة من ط .
(٣) انظر الكتاب ٢/ ١٤٤ ــ ١٤٥ ، والصحاح مادة (ليه) .
(٤) كسيبويه فى أحد قوليه ، والجوهرى فى الصحاح ، واشتقاقه من أله أى فزع قاله ابن اسحق ، أو أله تحير قاله أبو عمرو ، أو أله عبد قاله النضر ، أو أله سكن قاله المبرد . انظر الكتاب ١/ ٣٠٩ ، والصحاح مادة (أله) ، والبحر المحيط ١/ ١٩ .
(٥) البيت للبعيث بن حريث فى محبوبته أم السلسبيل وبعده :
ولكنها زادت على الحسن كلــه * كمالا ومن طيب على كل طيــب
انظر مشاهد الانصاف ١/ ٤ ، وتنزيل الآيات ٣٢٣ ، والخزانة ١/ ٣٥٠ وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١/ ٣٥٣ وللمرزوقى ١/ ٣٧٨ .
(٦) لفظ " كان " ساقط من م ، ط .

أبى الله أن أسمو بأم ولا أب (١)

قوله : (ونظيره) (٢) ،فى كونه فى الأصل مع الهمزة لفظ (الناس أصله الأناس) ،ولما لم يكن الأناس مع اللام مستعملا فى السعة استشهد له بما يدل على استعماله فى الجملة وهو قوله :

ان المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا (٣)

(فحذفت الهمزة) من الاله كما حذفت من الأناس (وعوض منها) أى جعل عوضا من الهمزة (حرف التعريف) أعنى الألف واللام على ماهو رأى الخليل (٤) ، أو اللام وتبعته الهمزة كما تبعته فى التعريف قبل التعويض فيهما جميعا ،بدليل عدم الاجتماع فى الأناس الا ضرورة ،وقيل : فى الله خاصة بدليل قولهم فى النداء :ياألله ،دون ياالناس ،واليه الاشارة فى الكتاب .

وخص قطع الهمزة بحال النداء لتمحض حرف التعريف هناك للتعويض مضمحلا عنها معنى التعريف ،حذار الجمع بين أداتى التعريف .

وقد يقال فى قطع الهمزة : أنه ينوى به الوقف على حرف النداء تفخيما للاسم ، ولكون التعويض فى الله خاصة ،قيل : المراد (ونظيره) فى حذف الهمزة دون التعويض بدليل أنه أخر ذكر التعويض عن هذا التمثيل ،قلنا : وكذا ذكر حذف الهمزة .

قوله : (والاله من أسماء الأجناس) اعلم أنه كما تحيرت الأوهام فى ذاته وصفاته فكذا فى اللفظ الدال عليه من أنه اسم أو صفة ،مشتق أو غير مشتق ،علم أو غير علم ، الى غير ذلك ،وكذا فى شرح هذا المقام من الكتاب حتى اعترض عليه اعتراضات

---

(١) عجز بيت لعامر بن الطفيل العامرى وصدره : فما سودتنى عامر عن وراثة ،وروى " عن كلالة " وروى " عن قرابة " ،انظر ديوان عامر بن الطفيل ١٣ ،وأسرار البلاغة ٢٢٨ ،والصناعتين ٣٦٩ ،والعمدة ٢ / ١٤٦ ،والمفصل ٢٨٤ ،والخصائص ٢ / ٣٤٢ ،وخزانة الأدب ١ / ٣٥١ ،وارتشاف الضرب ١١٣٩ ،وشرح الشواهد للعينى ١ / ٢٤٣ ،والبحر المحيط ٢ / ٢٣٧ ،والمحتسب ١ / ١٢٧ ،وشرح الأشمونى ١ / ٤٥ وشرح الشافية ٢ / ١٨٣ ،واللسان مادة (كلل) ،والكامل ١ / ٩٥ .

(٢) الكشاف ١ / ٥

(٣) نسبه البغدادى لذى جدن الحميرى . انظر خزانة الأدب ١ / ٣٥٥ ،والصحاح مادة (أنس) ، (نوس) ،واللسان مادة (أنس) ، (نهس) ،والأمالى الشجرية ١ / ٢٤ ، ٢ / ١٢ ،والخصائص ٣ / ١٥١ ،والأغفال ٩ ،واللباب من علوم الكتاب ٤٩٣ والأزمنة والأمكنة ١ / ١٦٧ ،وأنوار التنزيل ١ / ٣٠ ،وتنزيل الآيات ٥٤٥ .

(٤) همع الهوامع ١ / ٧٨ .

فاسدة :

منها : أنه جعل الاله بمعنى المعبود ثم قطع بأنه ليس بصفة وهذا تناقض .

ومنها : أنه مثل لغلبة الاله بالنجم والسنة والبيت والكتاب ولغلبة الرحمن بالدبران والعيوق/ والصعق[1] مع أن هذه أعلام والاله والرحمن ليسا من الاعلام . ١٧أ

ومنها : أنه جعل الله تارة من الأسماء الخاصة ، وتارة من الأسماء الغالبة وهما متقابلان .

ومنها : أنه جعل اله بالفتح مشتقا من الاله والاله مشتقا من اله بالكسر مع تناسب الكل في المعنى والتركيب فيكون تحكما .

ومنها : أنه استدل على كون الاله اسما غير صفة بوجهين أحدهما : أنك لا تقول : شيء اله ، وتقول : اله واحد ، وهذا ممنوع ، اذ معنى الاله المعبود بحق ولا خفاء في صحة قولنا : شيء معبود بحق ، وثانيهما[2] أن جميع مايطلق على الله تعالى من الأسماء صفات سوى الاله ، فلو جعلتها كلها صفات بقيت[3] غير جارية على اسم موصوف بها ، وكلتا المقدمتين أعني : الملازمة واستحالة اللازم في حيز المنع ، اما الملازمة فلأن الكلام في اله بدليل قوله : (لا تقول : شيء اله ، وتقول : اله واحد) ، فيمكن أن يكون الكل صفات والاسم الموصوف بها هو الله بل لفظ شيء ، فانه يطلق على كل موجود فتجرى عليه جميع صفات الباري .

وأما استحالة اللازم فلأن وضع الألفاظ باختيار الواضع فيجوز أن يضع لشيء ألفاظا دالة على مافيه من المعاني ، ولا يضع لذاته المخصوصة اسما مخصوصا نعم يستحيل وجود الصفات بدون ذات موصوفة بها وعدم الاسم الدال على الشيء لا يستلزم عدمه .

---

(١) في الصحاح مادة (دبر) : " الدبران خمسة كواكب من الثور يقال انه سنامه وهو من منازل القمر " . وفي مادة (عوق) : " العيوق نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمه " . وفي مادة (صعق) : " الصعق اسم رجل " .

(٢) في خ : الأول والثاني بدل أحدهما وثانيهما .

(٣) " بقيت " ساقطة من م .

والجواب عن الأول أنه لم يجعل الاله بمعنى المعبود ومرادفا له حتى يكون صفة ،بل جعله اسما يقع على المعبود ،ثم غلب على المعبود بحق وهذا القدر لا يقتضي الوصفية ،وتحقيقه أن الاسم قد يوضع للشيء باعتبار بعض معانيه وأوصافه من غير ملاحظة لخصوصية الذات ،حتى أن اعتبار الذات عند ملاحظته لا يكون الا لضرورة أن المعنى لا يقوم الا بالذات وذلك صفة كالمعبود ،ولذلك فسروا الصفة بما يدل على ذات باعتبار معنى هو المقصود أو على ذات مبهم (١) ومعنى معين ، والتزموا ذكر الموصوف معه لفظا أو تقديرا لتبيين الذات.

وقد يوضع (٢) للشيء بدون ملاحظة مافيه من المعاني كرجل وفرس أو مع ملاحظة لبعض الأوصاف والمعاني كالكتاب للشيء المكتوب والنبات للجسم النابت وكجميع أسماء الزمان والمكان والآلة ونحو ذلك مما لا يحصى وذلك اسم غير صفة ،ويستدل على أن المقصود هو المعنى أو الذات بأن الأول لا يوصف ويوصف به والثاني بالعكس ولا خفاء في أن الاله من قبيل الثاني ،اذ ثبت في الاستعمال اله واحد ،ولم يثبت شيء اله فيكون اسما والمصنف يشير في كتبه الى ذلك حيث يقول : " الامام اسم لمن يؤتم به " (٣) ،وهكذا في الجميع فليتتبع.

وعن الثاني بأن المراد التمثيل في مجرد الغلبة فيما له بعض الخصوص سواء
١٧ ب ينتهي الى حد / التشخيص كما في الأعلام ،أو لا كما في الاله والرحمن ،والأظهر أن السنة من هذا القبيل ،اذ لا ضرورة في جعله علم جنس ،فالاله كان اسما للمعبود بحق أو باطل ثم صار بالغلبة اسما (٤) للمعبود بحق ،والرحمن كان صفة بمعنى كثير الرحمة ثم غلب على المنعم بجلائل النعم في الدنيا والآخرة ،أو نحو من ذلك.

وبالجملة غلب بحيث لا يقع على المخلوق ،اذ المغلوب قد يكون مرجوحا كما في الاله معرفا أو منكرا اذ قل استعماله في الباطل ،وقد يكون مهجورا كما في الرحمن حيث لا يطلق على الغير أصلا ،فالاله اسم لمفهوم كلي هو المعبود بحق والله علم لذات معين هو المعبود بالحق تعالى وتقدس.

---

(١) في خ ، ط : مبهمة . (٢) أي الاسم .
(٣) انظر الكشاف ١ / ١٣٧ .
(٤) عبارة ط : ثم صار اسما بالغلبة.

وبهذا الاعتبار كان قولنا : لا اله الا الله كلمة توحيد أى لا معبود بحق الا ذلك الواحد الحق .

فان قيل : من أين علم أن الرحمن ليس بعلم ؟ قلنا : من جهة أنه يقع صفة وأن معناه البالغ فى الرحمة والانعام لا الذات المخصوص مرادفا لاسم الله تعالى . وهذا فى غاية الظهور .

وعن الثالث أن معنى الغلبة أن يكون للاسم عموم فيعرض له بحسب الاستعمال خصوص اما الى حد التشخيص فيصير علما كالنجم والصعق . أولا فيصير اسما غالبا كالاله أو صفة غالبة كالرحمن .

ثم العموم قد يكون بحسب الاستعمال كالنجم والصعق حيث استعملا فى غير الثريا وذلك الشخص . وقد يكون بمجرد القياس كالدبران والعيوق . فان قضية القياس أن يطلقا على كل مايوصف بالدبور والعوق لكن لم يرد الاستعمال بذلك . والله من هذا القبيل لأنه الاله بحذف الهمزة والتعويض فمقتضى القياس صحة اطلاقه على المعبود بحق مطلقا كالاله الا أنه لم يطلق الا على الواحد الواجب تعالى وتقدس . ولم يستعمل بمعنى المفهوم الكلى أصلا فهو من الأعلام الخاصة بالنظر الى الاستعمال ومن الاعلام الغالبة بالنظر الى الاستدلال .

هكذا يقال . وحاصله أن مثل زيد وعمرو من الأعلام الخاصة . ومثل النجم والصعق من الغالبة . ومثل الثريا والدبران والعيوق من الخاصة باعتبار ومن الغالبة باعتبار . والله من هذا القبيل . والظاهر أنه لا اصطلاح عليه ولا حاجة اليه . لأن حكمه بالغلبة انما هو على هذا الاسم من أول وضعه الى الآن فى مقابلة لفظ الرحمن . وقد استعمل أولا فى مطلق المعبود ثم فى المعبود بحق . ثم فى الذات الخاص الواجب المعبود بالحق تعالى وتقدس والاسم واحد .

وأما الحكم بالاختصاص فانما هو على لفظ (١) الله بحذف الهمزة فى مقابلة لفظ الاله بدونه . وقد صرح بذلك حيث قال : (واما الله بحذف الهمزة) . وأشار الى كون غلبة هذا الى حد العلمية . وغلبة الاله لا الى حدها بقوله : (المعبود بالحق / ١٨ أ

---

(١) فى ط : لفظة .

والمعبود بحق) بتعريف الحق وتنكيره .

وأيضا لا دلالة لقوله : (مختص بالمعبود بالحق) على أنه من الأعلام الخاصة بمعنى أنه ليس من الأعلام الغالبة ،يرشد الى ذلك ماذكر في سورة ابراهيم " أن الله يجرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى تحق له العبادة كما غلب النجم على الثريا "(١)

وعن الرابع أنه كأنه استوضح بدليل لاح له من نقل أو تتبع أن وضع الاله للمعبود مقدم على وضع اله بالفتح بمعنى عبد وتأله تعبد واستأله استعبد فحكم باشتقاقها منه ردا على من زعم ان الاها فعال بمعنى مفعول من اله بالفتح الاهة عبد عبادة على مافي الصحاح (٢) ،بخلاف اله بالكسر أى تحير فانه ليس فيه معنى العبادة ، بل الأمر بالعكس فمال الى اشتقاق الاله منه حيث بين ثبوت أصل معناه في الاله دون أن يبين ثبوت معنى العبادة في أله بمعنى تحير .

وعن الخامس ،أما عن الاعتراض على الوجه الأول (٣) فظاهر مما سبق ،حيث بينا الفرق بين الاله والمعبود بحسب الدلالة والاستعمال . وأما عن الاعتراض على الوجه الثانى فهو أن مبنى الكلام على أن الله هو الاله بحذف الهمزة والتعويض .

فان كان الاله وصفا كان الله أيضا وصفا وان صار علما كالحسن والعباس وكذا الكلام في الاشتقاق ،وحينئذ يلزم أن يكون جميع مايعد اسماء الله تعالى ويجرى عليه أوصافا ،ولا يكون له اسم تجرى عليه تلك الأوصاف لظهور أن الشيء ليس من أسماء الله تعالى ،وهذا خروج عن قانون الوضع واستعمالات العرب (٤) ،وهو معنى الاستحالة .

قال الجنزى (٥) : اذا كان الله صفة وسائر أسمائه صفات لم يكن للبارى تعالى اسم ،ولم تبق العرب شيئا من الأشياء المعتبرة الا سمته ولم تسم خالق الأشياء

---

(١) عبارة الزمخشرى : في الثريا . انظر الكشاف ٢ / ٤١٨ .
(٢) الصحاح مادة (أله) .
(٣) في م ،ط ،ب زيادة " من الاستدلال " .
(٤) في خ : واستعمال العرب .
(٥) هو عمر بن عثمان الجنزى أحد أئمة الأدب ،وله باع طويل في النحو والشعر ، صنف تفسيرا لو تم لم يوجد مثله ،مات سنة ٥٥٠ وقد جاوز السبعين . بغية الوعاة ٢ / ٢٢١ .

ومبدعهما وهذا محال • (١)

قوله : (وكذلك السنة) (٢) يعني في الاختصاص ببعض أنواع مدلول الأصل لكن لا دليل ههنا على العلمية •

قوله : (فمختص بالمعبود بالحق) دون أن يقول بحق كما في الاله اشارة الى مابينهما من الفرق بالعلمية وعدمها كما مر •

قوله : (على كتاب سيبويه) قال السيرافي : كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علما عند النحويين (٣) ، وكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب (٤) ويعلم نصف الكتاب ولا يشك أنه كتاب سيبويه • (٥)

قوله : (ومن هذا الاسم) أى الاله ، ذهب الى هذا مع قلة استحجر الطين سيما في الثلاثي مثل : أبل بالكسر ابالة أى تأنق في رعيه الابل وحذق بمصلحتها ، لما أن اله بالفتح بمعنى عبد كأنه لم يوجد في اللغة الأصلية واستعمالات الأقدمين ، وأما في الصحاح (٦) وكثير من الكتب فهو أن الاله مشتق منه وهو أوفق بالقواعد •

قوله : (اسم هو ؟) يعني الاله واذا كان الله هو / الاله بحذف الهمزة ـ وان صار علما ـ فحكمه حكمه في الاسمية والوصفية ، والمقصود نفي ماذهب اليه الجوهري وغيره من أن الله في الأصل صفة كالحسن والعباس (٧) وهما من كون الاله اسما للمعبود ، وقد عرفت الفرق بين الصفة وبين ماهو اسم للصفة كالاله والامام والازار والرداء (٨) ونحو ذلك والفارق بحسب الاستعمال الاتصاف به وله •

قوله : (هل لهذا الاسم) يعني الاله (اشتقاق) من شيء ؟ اذ قد بين

(١) انظر فتوح الغيب ١/١٨ • (٢) الكشاف ١/٥ .
(٣) انظر الفهرست لابن النديم ١/٥١ .
(٤) في خ : فلان يقرأ الكتاب ، وفي ط : فلان قرأ الكتاب .
(٥) نزهة الالباء ٧٥ •
(٦) في الصحاح مادة (أله) : " اله بالفتح الهة عبد عبادة ومنه قولنا : الله وأصله الاه " وانظر أنوار التنزيل ١/٥ ، والقاموس المحيط مادة (أله) •
(٧) انظر الصحاح مادة (ليه) واللسان مادة (أله)
(٨) في م ، ط ، ب : والرداء والازار •

الاشتقاق منه ، والجواب وان اقتصر ظاهراً على اثبات الاشتقاق بينه وبين اله بالكسر اذا تحير لكن فيه رمز الى المقصود ، حيث بين أن فى الاله معنى اله دون العكس، والمشتق منه هو الذى يعتبر فى المشتقات أصل معناه مع خصوصيات ، ولخفاء هذا قد يقال : ان السؤال عن الاشتقاق الأكبر وهو بعيد جدا لايفهم من اطلاق اللفظ ولا يكون محلا للسؤال ، فان الخلاف فى هذا الاسم انما وقع بحسب الاشتقاق الصغير

والتمسك بأن أصل أله وله ضعيف يخالفه كلام كثير من أئمة اللغة — وان قال به الجوهرى (١) — ولو سلم فلتكن همزة الاله أيضا كذلك ولذلك (٢) كانت اشارته الى الاشتقاق الأكبر بطريق الجملة الاعتراضية حيث قال : (ومن أخواته دله وعله) .

قوله : (أن ينتظم الصيغتين) لم يقل : اللفظين ليشعر بأن المراد اعتبار التعدد فى مجرد الصيغة والهيئة دون المادة وجوهر الحروف كأنه قال : الصورتين اللتين لهما مادة واحدة ، ألا ترى الى قوله : (صيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله) ، وحينئذ لا يرد المترادفات ، ولا يحتاج الى زيادة قيد الاتحاد فى الحروف الأصول ، ولا الى الجواب بأنه ترك لشهرته أو لأنه لم يقصد تعريف الاشتقاق بل بيان مايحتاج اليه فى الدلالة على اشتقاق هذا الاسم .

قوله : (هل تفخم لامه) يعنى لام الله دون الاله ، ومعنى التفخيم ههنا التغليظ على ماهو ضد الترقيق ، وقد يجئ بمعنى ترك الامالة ، ومعنى امالة الألف الى مخرج الواو ، والمراد : السؤال عن تفخيم لامه فى الجملة والا فقد أطبقوا على أن لا تفخيم عند كسر ماقبلها .

فان قيل : بعد الحكم (باطباق جميع العرب عليه) لامعنى لجعله (دليلا على أنه متوارث عن كبرائهم) ، قلنا (٣) : المراد العرب الذين نشاهدهم ونسمع بهم (٤) ، وقولهم : توارثوا المجد كابرا عن كابر معناه كبير منهم عن كبير ذكره الجوهرى (٥) ، وفى الأساس : هو من كابرته فكبرته وأنا كابر (٦) وبالجملة هو حال كقولهم : بايعته يدا بيد ، قال الشاعر :

---

(١) الصحاح مادة (أله) . (٢) فى م ، دا : ولهذا .
(٣) فى ب : قلت .
(٤) فى ب : ونسمع لهم ، وفى م : ونسمع كلامهم ، وفى خ : ونسمع منهم .
(٥) الصحاح مادة (كبر) .
(٦) عبارة الأساس : فأنا كابر . انظره مادة (كبر) .

فتذاكروها آخرا عــــن أول * وتوارثوها كابرا عن كابـــــر (1)

وهذه عبارة/ لا تختلف بحسب المحال (٢) ، فما قيل : أن كابرا مفعول ثان لورثموه ١١٩ أ
وهم وان جاء ورث متعديا الى مفعولين مثل : ورث أباه مالا ، ذكره في الاساس (٣)

قوله : (والرحمن فعلان) ، فان قيل : رحم متعد فكيف تشتق منه الصفـــة المشبهة ولا كذلك غضب ومرض ، قلنا : المتعدى قد يجعل لازما وينقل الى فعـــل بالضم فتبنى منه الصفة المشبهة ، ذكره المصنف في الفائق في فقير ورفيع ألا ترى أن رفيع الله رجات معناه رفيع درجاته لا رافع للدرجات (٤) وكذلك الرب وغيره ، وليكـــن هذا على ذكر منك .

قوله : (وفي الرحمن من المبالغة ماليس في الرحيم) وهذا ماذكر في كتب اللغة أن الرحمن أدق من الرحيم ، وحاصله أن معنى الرحيم ذو الرحمة ومعنى الرحمـــن كثير الرحمة جدا ، واستدل على ذلك بالاستعمال حيث قالوا : (رحمن الدنيـــا والآخرة ورحيم الدنيا) ، وبالقياس حيث وقع في الرحمن زيادة على الحروف الأصـــول فوق ماوقعت في الرحيم ، وأهل العربية يقولون : أن الزيادة في البناء تفيد الزيادة في المعنى .

ونوقض بحذر فانه أبلغ من حاذر . وأجيب بأن ذلك أكثرى لاكلى وبأن ماذكر لا ينافى أن يقع في البناء الأنقص زيادة معنى بسبب اخر كالالحاق بالأمور الجبلية مثل شره ونهم ، وبأن ذلك فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان في الاشتقاق متحدى النوع في المعنى كغرث وغرثان وصد وصديان ، لا كحذر وحاذر للاختلاف .

قوله : (وهو من الصفات الغالبة) لكن لا الى حد العلمية بدليل وقوعه صفة لا موصوفا وكونه بازاء المعنى دون الذات .

قوله : (كيف تقول : الله رحمن ؟) (٥) أورده هكذا ليقع الاسم في التركيب مجردا

---

(1) انظر حاشية السيد الشريف ص ٤ ، فلم أعثر على هذا البيت الا في تلك الحاشية .
(٢) عبارة م ، ط : عبارة شائعة لا تتبدل بحسب المحال .
(٣) اساس البلاغة مادة (ورث) وعبارته : ورثته المال .
(٤) انظر حاشية السيد الشريف ٤١
(٥) الكشاف ١ / ٦ .

عن اللام فيظهر الانصراف وعدمه .

قوله : (قد شرط) . تقرير السؤال أن شرط منع صرف فعلان صفة أن يكون مؤنثه على فعلى وهو منتف في رحمن لاختصاصه بالله تعالى [1] فيجب أن يكون منصرفا .

وتقرير الجواب أنه كما انتفى بواسطة الاختصاص العارض شرط عدم الانصراف وهو وجود فعلى كذلك انتفى شرط الانصراف وهو وجود فعلانة . فان الذى وقع الاتفاق على انصرافه هو الذى يكون مؤنثه على فعلانة . فحينئذ لاعبرة بانتفاء الشرط بواسطة هذا الاختصاص لأن معنى الاشتراط أنه اذا أطلق على مؤنث فان كان على فعلى ففعلان غير منصرف . وان كان على فعلانة فمنصرف . وههنا لم يطلق أصلا فلم يعلم أن مؤنثه على فعلى ليكون هو غير منصرف . أو على فعلانة ليكون منصرفا فوجب الرجوع الى الأصل قبل الاختصاص العارض وهو الالحاق بأخواته فانها غير منصرفة حتى صار أصل فعلان صفة من باب فعل بالكسر هو عدم / الانصراف . وان كان الأصل في ١٩ ب مطلق الاسم هو الانصراف .

فان قلت : لم جعلت عطشان من نظائره دون ندمان مع أنه فعلان من ندم بالكسر ؟ قلت : ندمان صفة من ندم بالكسر ندامة [2] غير منصرف كعطشان . ومؤنثه ندمى كعطشى . وانما المنصرف ندمان بمعنى النديم من المنادمة في الشراب فلا يصرف فعلان من فعل بالكسر الا وهو غير منصرف .

فان قلت : الصفة من خشى بالكسر خشيان وخشيانة كندمان وندمانة على ماذكره الامام المرزوقي [3] . قلت : بل خشيان وخشيى كعطشان وعطشى على ماذكره الجوهري [4]

---

(١) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل

(٢) عبارة م : قلت : فعلان صفة من ندم بالكسر ندامة . وعبارة ط : قلنا : ندمان فعلان صفة من ندم بالكسر بمعنى ندامة . وعبارة ب : قلت : فعلان صفة من ندم بالكسر بمعنى ندامة .

(٣) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣١ . والامام المرزوقي هو أحمد بن محمد بن الحسن من أهل أصبهان قرأ على أبي على الفارسي وصنف شرح الحماسة وغيرها ومات سنة ٤٢١ . بغية الوعاة ١/ ٣٦٥ .

(٤) عبارة الجوهري في الصحاح مادة (خشى) : " خشى الرجل يخشى خشية أى خاف فهو خشيان والمرأة خشياء " .

والترجيح معه قياسا على ماتحقق من صفات الباب ،على أنه لو ثبت ذلك فالأصل هو الالحاق بالأعم الأغلب. وقد تقرر الجواب بأنه كما جعل بعضهم الشرط وجود فعلى وهو منتف فقد جعله بعضهم انتفاء فعلانة وهو متحقق ،وهذا القول ان لم يرجح بأن تحقق المضارعة (١) لألفى التأنيث انما هو بانتفاء فعلانة دون وجود فعلى فلا أقل من التساوى ،لكن لا عبرة بانتفاء ذلك ولا بتحقق هذا لأنه بواسطة الاختصاص، والمعتبر من وجود هذا الشرط أو عدمه انما هو على تقدير الاطلاق على المؤنث واذ لم يعتبر لزم الرجوع الى الأصل.

وقد يقال : انهما لو اعتبرا لزم اجتماع الانصراف وعدمه فتعين تساقطهما والرجوع الى الأصل فيجاب بأنه يجوز الجمع بينهما بأن يجوز الصرف وعدمه ، والاعمال فى الجملة أولى من الاهمال بالكلية.

قوله : (ومعناها العطف) أى التعطف والشفقة والميل الروحانى لا الجسمانى فان ذلك ليس معنى الرحمة وان كان معنى بعض مايلاقيها فى الاشتقاق ولهذا جعل الانعام مسببا عن العطف والرقة لا عن الانحناء الجسمانى.

وانما جعل الغضب مجازا عن ارادة الانتقام (٢) وهذا عن نفس الانعام اشارة الى أنه كريم رحيم سبقت رحمته غضبه فهو للثواب والانعام فاعل وللعقاب والانتقام مريد (٣) وان كان يفضى الى الفعل ،ثم لا خلاف للمعتزلة فى أن الله تعالى مريد ،

---

(١) أى المشابهة.
(٢) وذلك فى تفسير " غير المغضوب عليهم " انظر الكشاف ١/١٤.
(٣) بين السعد أن الزمخشرى جعل الانعام مسببا عن العطف والرقة فالوصف بالرحمة مجاز مرسل علاقته السببية ثم أشار السعد الى سر جعل الرحمة مجازا عن الانعام والغضب مجازا عن ارادة الانتقام ،ولكن الامام الطيبى يرى " أن الزمخشرى أجرى الرحمة والغضب فى الموضعين على التمثيل والاستعارة فلابد من تقدير الارادة فى الرحمة أيضا "
وواضح أن فى تقدير الارادة ههنا فواتا للنكتة التى أشار اليها السعد
ويرى السيد الشريف " أن فى وصفه تعالى بالرحمة والغضب وجوها ثلاثة :
الأول — ان تجعل الرحمة مجازا عن ارادة الانعام والغضب عن ارادة الانتقام من باب اطلاق السبب على مسببه القريب.
الثانى — ان يجعلا مجازين عن الانعام والانتقام اطلاقا لاسم السبب على المسبب البعيد فانهما مسببان عن الارادة المسببة عنهما.

وانما خالفوا فى حقيقة الارادة وفى كونها صفة زائدة قديمة .

قوله : (فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين ؟) (١) ،من تبعيضية لا تفضيلية وحاصل الجواب أن هذا ليس أسلوب الترقى من الأدنى الى الأعلى بل من باب التتميم والتكميل لوصفه تعالى بالرحمة ،فقدم ما دل على الانعام بجلائل النعم لأنه المقصود الأعظم ،ثم ذكر بعده ما يدل على دقائقها لئلا يتوهم أنها غير ملتفت اليها فلا تسأل ولا تعطى .

وقيل : الرحمن أشبه باسم الله من جهة الاختصاص وزيادة المعنى فكان بالتقديم أولى .

٢٠ أ / وأما القول بأن الرحيم أبلغ لأن فعيلا للصفات الغريزية ككريم وشريف ،وفعلان للعارض كسكران وغضبان فضعيف لأن ذلك (٢) ليس من صيغة فعيل (٣) بل من باب فعل بالضم .

قوله : (الحمد والمدح أخوان) ،من الشائع فى كتبه أنه يريد بكون اللفظين أخوين أن يكون بينهما اشتقاق كبير بأن يشتركا فى الحروف الأصول من غير ترتيب كالحمد والمدح ،أو أكبر بأن يشتركا فى أكثر الحروف فقط كالفلق والفلج والفلذ (٤) مع اتحاد فى المعنى أو تناسب .

فمجرد كون الحمد والمدح أخوين لا يدل على ترادفهما لكن سوق كلامه ههنا

= الثالث — أن يحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية . "
ثم يرد السيد بعد ذلك على السعد فى سر جعل الرحمة مجازا عن الانعام دون ارادته " بأن هذه النكتة تخييلية لا تحقيقية ،فان ارادة الله تعالى اذا تعلقت بأفعاله أفضت اليها اتفاقا " .
وأرى أن ما ذهب اليه السعد هو الأرجح وأن كون تلك النكتة تخييلية لا ينفى لطفها ولطف الاشارة اليها . انظر فتوح الغيب ١/ ١٩ ،وحاشية السيد ١/ ٧

(١) الكشاف ١/ ٧ .

(٢) أى مثل كريم وشريف وغيرهما من الصفات الغريزية .

(٣) عبارة خ : ليس من صيغة فعل بالكسر .

(٤) الفلق : الشق ،وفلج كل شئ : نصفه ،والفلذ : كبد البعير .
انظر الصحاح مادة (فلق ،فلج ،فلذ)

وصريح كلام الفائق يدل عليه [١] ولذا [٢] جعل (نقيضه الذم) .

وقد يقال : ان الحمد لا يكون الا على الجميل الاختياري بخلاف المدح تقول : مدحته على صباحة خده ورشاقة قده ، ولا تقول : حمدته ، والمصنف انما ترك القيد اعتمادا على الأمثلة ولأن الجميل صفة للفعل وهو بالاختيار فمعنى (النعمة) الانعام بها .

قوله : (وأما الشكر) قال في الفائق : " الحمد هو المدح والوصف بالجميل ، وأما الشكر فلا يكون الا على النعمة وهو مقابلتها قولا وفعلا ونية ، وذلك أن يثني على المنعم بلسانه ويدئب نفسه في الطاعة له ويعتقد أنه ولي النعمة وقد جمعها الشاعر في قوله : أفادتكم النعماء .. البيت " [٣] ، فظهر أن المراد التمثيل بجميع شعب الشكر ، لا الاستشهاد والاستدلال على أن لفظ الشكر يطلق عليها . [٤]

ومعنى البيت : أفادت انعاماتكم على ثلاثة أشياء مني : المكافأة باليد ونشر المحامد باللسان ووقف الفؤاد على المحبة والاعتقاد .

قوله : (فهو احدى شعب الشكر) من جهة المورد ، وان كان أعم من جهة المتعلق ولهذا كان بينهما عموم من وجه .

قوله : (ماشكر الله عبد لم يحمده) [٥] يعني أن من لم يعترف بالمنعم ولم

---

(١) حيث قال في الفائق ١/١٤٦ : " وأما الحمد فهو المدح والوصف بالجميل " .
(٢) في خ ، م : ولهذا .
(٣) انظر الفائق ١/١٤٦ . والبيت بتمامه :
أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا
وانظر شروح التلخيص ١/٣٤ ، ومشاهد الانصاف ١/٧ ، وتنزيل الآيات ٣٢٤ وانوار التنزيل ١/٧ .
(٤) وقد ذهب الى ذلك السيد الشريف فقد قال في حاشيته ص٤٧ : " وقوله : أفادتكم النعماء استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة وبيان ذلك أنه جعله بازاء النعم جزاء لها وكل ما هو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة " .
(٥) الحديث في معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٤٨ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٤٣٧ .

يجهر بالثناء عليه لم يعد شاكرا ، اذ لم يظهر منه ذلك وان أتى بالعمل والاعتقاد ، وذلك لأن المنبىء عما فى الضمير ضمنا والمظهر له حقا هو النطق ، وحقيقة معنى الشكر اشاعة النعمة والابانة عنها ونقيضه وهو الكفران ينبىء عن الستر والتغطية .

قوله : (وارتفاع الحمد) تعرض لذلك مع ظهوره لأن الظرف من جهة المعنى معمول المصدر (١) واللام للتقوية كما فى قولك : يعجبنى الحمد لله ، وقد صار مستقرا متعلقا بالمحذوف أى كائن له مستقر .

ولما يعرض للجار والمجرور من معنى الاستقرار يسمونه الظرف .

وليفرع عليه قوله : (وأصله النصب) وذلك لأن الشائع فى نسبة المصدر الى الفاعل أو المفعول هو الجملة الفعلية ، سيما وقد شاع استعمال هذه المصادر منصوبة باضمار أفعالها .

وقد دل بيانه بقوله تعالى : (اياك نعبد) (٢) على أن / (المعنى نحمد الله) ٢٠ب بلفظ المضارع المنبىء عن الاستمرار ، ونون جماعة المتكلمين لكونه مقولا على ألسنة العباد .

وانما صح كون العبادة بيانا للحمد الذى هو فعل اللسان من جهة أن أقصى غاية الخضوع يقتضى الاعتراف بالانعام التام ووصف المنعم بصفات الكمال ، ولا حمد أبلغ من ذلك غايته أنه يفيد زيادة فى البيان .

قوله : (ما معنى التعريف) يعنى يكفى فى العدول الى الرفع حمد لله مثل : سلام عليك (٣) ، فلابد لتعريف الاسم باللام من معنى ، وقد توهم الكثيرون أنه الاستغراق ، فأجاب بأن معناه الاشارة الى معنى الحمد ، فان النكرة لا تدل الا على مفهوم الاسم من غير دلالة على تميزه وحضوره وتعين ماهيته من بين الماهيات وان كان تعقله لا ينفك عن ذلك ، لكن فرق بين حصول الشىء وملاحظته وحضور الشىء واعتبار حضوره ، ومثله العراك فى قول لبيد :

فأرسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على نغص الدخال (٤)

---

(١) فى م ، خ : مفعول المصدر .
(٢) من الآية ٥ سورة الفاتحة . وانظر الكشاف ١ / ٨ .
(٣) فى خ ، ط : سلام عليكم وأمثاله .
(٤) روى البيت " فأوردها العراك .. " انظر ديوان لبيد ٨٦ ، والصحاح مادة =

فاعل أرسل ضمير العير (١) ، ونصرانه ضمير الأتن (٢) ، والدخال في الورد أن يشرب البعير ثم يرد من العطن الى الحوض ويدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب مـــرة أخرى ، ونغص البعير اذا لم يتم شربه ، والعراك مصدر في موقع الحال (أى معتركة أو ناصبه محذوف) (٣) أى تعترك العراك ، يقال : أورد ابله العراك أى أوردها جميعا الماء دفعة .

(والاستغراق وهم) لأن اللام للتعريف اجماعا ومعناه التعيين والاشارة ، وهذا ليس في شيء من الاحاطة والشمول الذى هو معنى الاستغراق ، وهذا ماقال بعض النحاة ونقل عن المصنف أيضا أن اللام لا تفيد سوى التعريف والاشارة ، والاسم لا يدل الا على مسماه (٤) ، فاذن لا يكون ثمة استغراق ، ولقد حصر في المفصل فائدة اللام في التعريف والتعريف في العهد والجنس (٥) .

وبهذا يظهر فساد مااشتهر أن هذا مبنى على مسألة خلق الأفعال ، فعندنا لما كانت أفعال العباد بخلق الله تعالى كانت جميع المحامد عليها راجعة اليه ، وعند المعتزلة لما كانت بخلق العباد كانت جميع المحامد عليها راجعة اليهم ، فلم تكن جميع المحامد لله تعالى .

وكذا فساد ماقيل : أن مثل هذه المصادر نائب مناب الفعل وساد مسده ، والفعل انما يدل على الحقيقة دون الاستغراق فكذا ماينوب منابه ، وذلك لأن كلا من القولين (٦) يشعر بأنه يقول بكون اللام للاستغراق في الجملة وليس كذلك .

على أن في كل من الوجهين فسادا آخر : أما في الأول فلأنه صرح بأن في قوله : الحمد لله دلالة على اختصاص الحمد بالله تعالى (٧) ، واذا اختص جنس الحمد به

= (نغص) و (عرك) ، واللسان مادة (نغص) و (عرك) و (دخل) ، وأساس البلاغة مادة (نغص) ، والمقتضب ٣/ ٢٣٧ ، وكتاب سيبويه ١/ ١٨٧ ، والأمالى الشجرية ٢/ ٢٨٤ ، والمخصص ١٤/ ٢٢٧ ، وخزانة الأدب ١/ ٥٢٤ ، وشرح الشواهد للعينى ٣/ ٢١٩ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢/ ٥٧٢ .

(١) وهو السيد . (٢) في ط : الابل .

(٣) مابين القوسين ناقص من م ، ط ، ب .

(٤) انظر حاشية السيد الشريف ٥١ .

(٥) المفصل ٣ــ٨ .

(٦) في م ، خ ، ب : الوجهين .

(٧) انظر الكشاف ١/ ١٠ .

كان كل حمد راجعا اليه ، ويكفى فى ذلك كون الكل باقداره وتمكينه وتوفيقه والاستناد بالآخرة اليه [1] ، ولا يلزم رجوع الذم اليه بالاقدار والتمكين من الشرور والقبائح لأن ذلك ليس بقبيح وتمام تحقيقه فى علم الكلام .

٢١ أ وأما فى الثانى / فلأن المصدر كاف فى النيابة عن الفعل والقيام مقامه ، اذ هو المؤدى لمدلوله فلم لا يجوز فى المصدر المعرفة الواقع موقعه النائب عنه أن يكون تعريفه باللام لزيادة معنى هو الاستغراق كما ذكرت أنه للاشارة الى الجنس مع خلو الفعل عن ذلك؟ .

فان قيل : قد يقع فى مواضع من كلامه جعل المعرف باللام للشمول والاحاطة وهو معنى الاستغراق ، قلنا : التحقيق فى هذا المقام أنه للتعريف والتعيين والاشارة الى نفس المسمى وهو لام الجنس أو الى حصة منه وهو لام العهد ومثله : علم الشخص ، والأول اما أن يقصد به الماهية من حيث هى هى كقولنا : الانسان حيوان ناطق والرجل خير من المرأة وتسمى لام الحقيقة والطبيعة ومثله علم الجنس كأسامة . واما أن يقصد به الماهية من حيث الوجود فى ضمن الأفراد وحينئذ اما أن توجد قرينة البعضية كما فى قولنا : ادخل السوق واشتر اللحم ، وفى التنزيل : " وأخاف أن يأكله الذئب [2] " وتسمى لام العهد الذهنى ومثله النكرة فى الاثبات ، أو لا توجد قرينة البعضية ففى المقام الخطابى تحمل على العموم والاستغراق احترازا عن ترجيح أحد المتساويين ومثله لفظ كل مضافا الى النكرة ، وفى المقام الاستدلالى على الأقل لأنه المتيقن ففى المعهود الذهنى يكون المجرد وذو اللام بالنظر الى القرينة سواء ولهذا قالوا : هو فى المعنى كالنكرة لكن بالنظر الى مدلول اللفظ لا استواء ، لما فى المعرف من اعتبار الاشارة والحضور فى الذهن بخلاف المنكر ولا يلزم من عدم اعتبار ذلك فيه خلوه عنه .

قوله : [3] (للاعرابية التى هى أقوى) أى من حيث أنها مختلفة الدلالة على المعنى ، وان كانت البنائية لازمة اذ لا خفاء فى أن الوضع والدلالة هو الأصل فى الألفاظ وهيآتها .

---

(١) عبارة ط : والاستناد اليه بالآخرة .
(٢) من الآية ١٣ سورة يوسف .
(٣) الكشاف ١/٨ .

قوله : (ومنه قول صفوان) هو صفوان بن أمية الجمحي • أراد (برجل من قريش) محمدا عليه الصلاة والسلام (١) • (وبرجل من هوازن) رئيسهم مالك بن عوف •

قال ذلك حين استبشر أبو سفيان بانهزام المسلمين يوم حنين في أول القتال فقال : غلبت والله هوازن (٢) • ومعنى (يربني) يكون مالكا لي مثل : ساده كان له سيدا •

قوله : (ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر) يعني أنه على الأول كان صفة مشبهة بعد جعل المتعدى لازما بالنقل الى فعل بالضم كما ذكرنا •

قوله : (ولم يطلقوا) (٣) أي لم يذكروه بدون الاضافة الا في حق الله تعالى • يعني لفظ الرب بخلاف الجمع كالأرباب كما يقال : رب الأرباب وفي التنزيل "أأرباب متفرقون " (٤) • ولو أطلق الرب في حق (٥) الغير فعلى سبيل الندرة وظهور القرينة كقول الحارث بن حلزة :

وهو الرب والشهيد علـــى * يوم الحيارين والبلاء بـــلاء (٦)

قوله : (كأنه قيل : نحمد الله رب العالمين) يريد أن العامل في الصفة هو العامل / في الموصوف • ٢١ ب

قوله : (العالم اسم) يعني أنه مشتق من العلم لكنه اسم لذوي العلم او لكل جنس يعلم به الخالق سواء كان من ذوي العلم اولا كالطابع لما يطبع به والخاتم لما يختم به • يقال : عالم الملك وعالم الانس وعالم الجن وكذا عالم الأفلاك وعالم النبات وعالم الحيوان • وليس اسما لمجموع ماسوى الله تعالى بحيث لا يكون له أفراد بل أجزاء فيمتنع جمعه •

---

(١) عبارة خ • ط • ب : صلى الله عليه وسلم • وعبارة م : عليه السلام •
(٢) انظر المستقصى في أمثال العرب ٢ / ٢٤١ •
(٣) في خ " ولم يطلقوه " • (٤) من الآية ٣٩ سورة يوسف •
(٥) كلمة " حق " ساقطة من م •
(٦) يقول : وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء قد بلغ الغاية • يريد عمرا بن هند فانه شهد عناءهم هذا •
انظر شرح المعلقات السبع ١٧١ • وشرح القصائد السبع الطوال ٤٧٥ • والصحاح مادة (ربب) واللسان مادة (حير) ومادة (ربب) • وخزانة الأدب ٢ / ٢٢٨ وتفسير القرطبي ١ / ١١٩ •

قوله : (لم جمع ؟) أى مع أن الافراد هو الأصل وهو (١) أنه مع اللام يفيد الشمول بل ربما يكون أشمل ، وتوجيه الجواب أنه لو أفرد لربما يتبادر الى الفهم أنه اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف أو الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم العهد ، فجمع ليشمل كل جنس سمى بالعالم لأنه لا عهد وفى الجمع دلالة على أن القصد الى الافراد دون نفى الحقيقة والجنس .

وما يزعمه بعض الأصوليين من أن مثله يكون للجنس وتبطل الجمعية فانما هو حيث لا يكون عهد ، ولا يصح الاستغراق ، وهذا كما قال فى قوله تعالى : " والله يحب المحسنين (٢) " أنه جمع ليتناول كل محسن (٣) .

وما يقال (٤) من أنه لو أفرد (٥) لما دل على أن ههنا أجناسا مختلفة تشملها الربوبية فجمع ليدل على ذلك كما قيل : كتاب الطهارات ، فمعناه أنه لما كان موضوعا بازاء الأجناس فلما جمع أفاد الدلالة على عموم الأجناس ، بخلاف ما لو أفرد فانه ربما يكون لعموم أفراد جنس واحد ، لكنه انما يستقيم اذا كان لفظ العالم يطلق على الفرد من الجنس المسمى به كزيد مثلا .

فان قيل : قد ذكر (٦) أن استغراق المفرد أشمل بناء على أن معنى استغراق الجمع شموله الجموع وهو لا ينافى خروج فرد أو فردين ، قلنا : ذلك انما يصح فى مثل : لا رجل ولا رجال ، وأما شمول الجمع المعرف باللام لكل فرد مما سمى به مفرده فمما اتفق عليه أئمة التفسير والأصول والنحو والكتاب (٧) مشحون بذلك وقد بسطنا الكلام فيه فى شرح التلخيص (٨) وسنسمع فيه كلاما ان شاء الله تعالى .

قوله : (فهو اسم) ذكره بالفاء لكونه ناشئا مما سبق أنه اسم لذوى العلم أو لما

---

(١) لفظ " هو " زائد فى الأصل .
(٢) من الآية ١٣٤ سورة آل عمران .
(٣) عبارة الزمخشرى : " يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن " .
الكشاف ١/٣٢٠
(٤) قاله ابن المنير الاسكندرى فى كتابه " الانتصاف " أنظره على هامش الكشاف ١/٩ .
(٥) فى خ ، م زيادة " على تقدير كونه للاستغراق " .
(٦) عبارة خ ، م : " فان قلت قد ذكروا " .
(٧) فى ط : " والكشاف " .
(٨) انظر المطول ٧٦ — ٨٧ .

هو أعم ، فعلى الأول تنتفى الوصفية وعلى الثانى كلا الشرطين (١) وقدم السؤال الأول مع أن طلب فائدة الجمع يتأخر عن صحته اهتماما بشأن المعانى والفوائد (٢) ، وأجاب بأنه جاز جمعه بالواو والنون — وان كان شاذا — لمشابهة هذا الاسم الصفة من جهة أن فيه دلالة على معنى زائد على الذات هو كونه يعلم أو يعلم به ، بخلاف لفظ الانسان مثلا فانه لا دلالة فيه على ذلك وان كان مدلوله مما يعلم ويعلم به .

وكأنه لم يتعرض للشرط الآخر لظهوره ، أما على التفسير الأول فتحقيقا وأما على الثانى فتغليبا .

قوله : (أو مافى حكمها) / يعنى أن العلم يتأول بالمسمى بهذا الاسم ليتحقق ٢٢ أ
مفهوم متعدد أفراده ، فيجمع .

قوله : (ملك هو الاختيار) (٣) لعلو رتبة القارئ رواية وفصاحة ، ولفظ المقروء شيوعا فى الكتاب واستفاضة ، ومعناه شمولا واحاطة ، لظهور أن الملك أكثر تصرفا واحاطة وسياسة ، وأوفر تسلطا واستيلاء ورياسة من المالك .

ولا يقدح فى ذلك أن يقال : مالك الدواب والأنعام والوحوش والطيور دون ملكها ، لأن ذلك ليس من جهة عدم شمول احاطته لذلك من جهة أنه انما يضاف عرفا الى مافيه انقياد وامتثال وينفذ فيه التصرف بالأمر والنهى .

قوله (كما تدين) أى كما تصنع يصنع بك (٤) ، وقوله : (دناهم) فى (بيت الحماسة) جواب لما فى البيت السابق وهو قوله :

---

(١) أى الوصفية والعقل .

(٢) وقد رأى السيد الشريف رأيا آخر فى تقديم السؤال الأول على الثانى فقال : " قدم السؤال الأول لأنه سؤال عن فائدة الجمع مطلقا سواء كان مصححا كالعالمين أو مكسرا كالعوالم ، ولا نظر فيه الى خصوصية جمع التصحيح ولذلك أطلق وقال : لم جمع ؟ والثانى سؤال عن وجه صحة خصوصية الجمع بالواو والنون ، وبيان فائدة المطلق مقدم على وجه صحة المقيد " .
ونعى السيد الشريف على السعد رأيه فقال : " ومن لم يهتد لذلك زعم أن الأول قدم على الثانى مع أن طلب فائدة الجمع متأخر عن صحته اهتماما بشأن الفوائد " .
انظر حاشية السيد على الكشاف ٦٨ .

(٣) أى فى قوله تعالى : " مالك يوم الدين " وانظر الكشاف ١ / ١٧ ، والبحر المحيط ١ / ٢٠ ، وأنوار التنزيل ١ / ٨ .

(٤) انظر صحيح البخارى ٢ / ١٧ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٩١ .

فلما صرح الشـــــر * فأمسى وهو عريـان (١)

صرح الشيء بمعنى انكشف ،وصرحه كشف عنه وأظهره ،والمعنى : لما ظهر الشر كل الظهور ولم يبق بيننا وبينهم سوى الصبر على الظلم الصريح وتجاوزوا الأخذ بالانصاف الى استعمال الظلم ،جازيناهم بمثل ما ابتدأونا به .

قوله[٢] : (ماهذه الاضافة ؟) أى أى جنس هى من أجناس الاضافة ،والسؤال عن اضافة " مالك يوم الدين " لأن " ملك يوم الدين " من اضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها مثل "رب العالمين " لأن الفعل يجعل لازما ثم تبنى منه الصفة فتكون معنوية مثل : ملك العصر ،وكريم الزمان ،وحسن البلد ،وانما اللفظية هى اضافتها الى فاعلها كحسن الوجه .

قوله : (مجرى اسم مفعول)[٣] من الاجراء وقع حالا من الظرف و (مجرى)الثانى مصدر له أو اسم مكان ،وهذا الحال بيان (لطريق الاتساع) ،اذ معناه جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به ،وهو مجاز حكمى ،حيث جعل الليلة مسروقة[٤] ،ويوم الدين مملوكا .

وكذا الاضافة فى " مكر الليل والنهار "[٥] ،حيث جعل الليل والنهار ماكرين ،

---

(١) الشعر لشهل بن شيبان الزمانى وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين .
ويروى " فأضحى وهو عريان " أى جائع ،انظر شرح الحماسة للمرزوقى ١/ ٣٤ ، وللتبريزى ١/ ٢٣ ،والمطول ٢٧٢ ،ومشاهد الانصاف ١/ ١٠ ،وتنزيل الآيات ٥٤٥ وأنوار التنزيل ١/ ٨ ،وشواهد العينى ٣/ ١٢٢ ،وشرح الأشمونى ١/ ٢٣٦ . وسمط اللآلى ٢/ ٩٤٠ ،وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩ .
(٢) الكشاف ١/ ١٠ .
(٣) عبارة الكشاف " مجرى المفعول به " والكشاف ١/ ١٠ .
(٤) وذلك فى قوله : " ياسارق الليلة أهل الدار " وهو رجز ورد فى كتاب سيبويه ١/ ٨٩ ،والمطول ٥٩ ،وخزانة الأدب ٢/ ١٧٩ ، ٣/ ١٤٥ ، ٥٣٠ ومعانى القرآن للفراء ٢/ ٨٠ ،والمحتسب فى شواذ القراءات لابن جنى ١/ ١٨٣ ، والحجة لابى على الفارسى ١/ ١٤ ،وأنوار التنزيل ١/ ٨ .
(٥) من الآية ٣٣ سورة سبأ .

فهو من اضافة المصدر الى الفاعل المجازى ، والكل بمعنى اللام والقول بأن الاضافة قد تكون بمعنى " فى " أخذ بالظاهر الذى عليه النحاة دون التحقيق الذى عليه علماء البيان (١) ، وهذا ماقال صدر الأفاضل (٢) أن قولهم ان الاضافة فى ثابت الغدر (٣) بمعنى فى تدريس (٤) ، فلذا (٥) لم تجعل اضافة " مالك " الى " يوم الدين " بمعنى فى لتكون معنوية بلا خفاء .

قوله : (ومعناه مالك الأمر كله) يعنى أن الظرف وان أجرى مجرى المفعول به فهو ظرف فى المعنى والمفعول به محذوف ، يشهد بعمومه الحذف بلا قرينة خصوص ، وقوله تعالى " لمن الملك اليوم " (٦) بمعنى أن الملك كله يومئذ لله لا مالك ولا ملك (٧) سواه .

ولم يحذف فى " ياسارق الليلة أهل / الدار (٨) " ، اذ لاعموم ولا قرينة خصوص ، ٢٢ب
وانما عمل اسم الفاعل ههنا لاعتماده على حرف النداء كما فى قوله : ياضاربا زيدا ، ذكره صدر الأفاضل .

وأما اذا كانت الاضافة حقيقية فلا خفاء فى جواز العمل فى الظرف فلهذا قال : (معناه مالك الأمر كله فى يوم الدين) كما يقال : مالك عبده أمس .

---

(١) وذلك لأن الاضافة بمعنى فى وان كانت رافعة مؤنة الاتساع وما يتبعه من الاشكال الا أن الاتساع يستلزم فخامة فى المعنى فكان بالاعتبار عند أرباب البيان أولى ، وأما النحوى فقد اعتد بها لقصور نظره فى تصحيح العبارة على ظاهرها .
انظر حاشية السيد على الكشاف ٥٨ .

(٢) هو القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى النحوى ، كان حنيفيا سنيا ، له شرح سقط الزند ، والزوايا والخبايا فى النحو ، والمحصل للمحصلة فى البيان وغير ذلك انظر بغية الوعاة ٢/٢٥٢ ، ومعجم الأدباء ١٦/٢٣٨ ، ومعجم المؤلفين ٨/٩٨ .

(٣) الغدر : الموضع الظلف الكثير الحجارة ، ورجل ثبت الغدر أى ثابت فى قتال أو كلام . انظر الصحاح مادة (غدر) ، ومجمع الأمثال ١/١٤٠ .
(٤) أى أخذ بالظاهر . أنظر هامش خ ، وعبارة ط : تدليس .
(٥) فى ط : " فكذا " . (٦) من الآية ١٦ سورة غافر .
(٧) عبارة م ، خ ، ب : " ان الملك يومئذ كله لله لا ملك ولا مالك سواه " .
(٨) رجز ورد فى المطول ٥٩ ، وكتاب سيبويه ١/٨٩ ، ومعانى القرآن للفراء ٢/٨٠ ، والمحتسب لابن جنى ١/١٨٣ ، والحجة لأبى على الفارسى ١/١٤ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى ١/٨ ، والخزانة ٢/١٧٩ ، ٣/١٤٥ ، ٣٠٥ .

قوله : (أو زمان مستمر) ، فان قيل : قد ذكر في قوله تعالى : " وجاعل الليل سكنا "(١) انه اذا قصد باسم الفاعل زمان مستمر كانت الاضافة لفظية(٢) ، قلنا : الاستمرار يحتوى على الأزمنة الماضية والآتية والحال ، فتارة يعتبر جانب الماضي فتجعل الاضافة حقيقية ، وتارة جانب الآتي والحال فتجعل لفظية والتعويل على القرائن والمقامات وفيه زيادة كلام نذكره في سورة الانعام (٣)

قوله : (وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين) فان قيل : التقييد بيوم الدين ينافي الاستمرار لكونه صريحا في الاستقبال ، قلنا : معناه الثبات والاستمرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة ، ومثل هذا المعنى لا يمتنع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كأنه قيل : هو ثابت المالكية في يوم الدين ومثله لا يجعل عاملا .

أو المراد أنه يجعل يوم الدين لتحقق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر مالكيته في جميع الأزمنة .

وأما في الوجه الثاني وهو أن يكون بمعنى الماضي أى ملك الامور في يوم الدين ، فيختص بالماضي ثم يستعمل في المستقبل المشبه به في تحقق الوقوع فلا يكون اسم فاعل بمعنى المستقبل ليكون عاملا بل بمعنى الماضي لكن مستعملا في معنى مجازى هو المستقبل المشبه بالماضي (٤) .

فان قيل : ماذكر من الاتساع وجعل الظرف بمعنى المفعول به(٥) صريح في أن هذه اضافة الصفة الى معمولها فتكون لفظية قطعا ، قلنا : (٦) المراد أنه اضافة الى ماهو مفعول من جهة المعنى كما يقال في مالك عبيده أمس : انه اضافة الى المفعول به أى الى مايتعلق به تعلق المملوكية بحيث لو كانت الصفة على شرائط العمل كانت عاملة فيه .

قوله : (وهذه الأوصاف) يعني أنها ليست بأجنبية بين البيان والمبين ، بل بينة (٧) على ماوضح أولا من اختصاص الحمد بالله وكونه الحقيق بالحمد دون ماسواه ،

---

(١) من الآية ٩٦ سورة الأنعام ، وانظر الوسيط في التفسير للواحدى ٢٣٧ أ .
(٢) الكشاف ٢ / ٣٩ . (٣) الورقة ٣٥٢ أ من هذه الحاشية .
(٤) ففي " مالك يوم الدين " استعارة تصريحية تبعية .
(٥) عبارة ب : " وجعل الظرف يجرى مجرى المفعول به " .
(٦) في خ ، م ، ب : قلت . (٧) أى دليل وحجة .

بمعنى أن منه المبدأ واليه المعاد وبه البقاء فلا أحق بالحمد منه .

ثم بين كيفية الحمد فأول الصفات الربوبية بالاخراج من العدم وافاضة الحياة وسائر الأشياء [1] والآلات فكان ذكر الرب أنسب ،وثانيها المجازاة/ بالثواب والعقاب ٢٣أ فكان ذكر المالكية أنسب ولم يكن من التكرار في شيء .

فقوله : (على اختصاص الحمد به) أى قصر الحمد عليه بدلالة لام الجنس كما في قولهم : " الكرم في العرب " سيما مع لام الاختصاص وضمير (أنه) للحمد و(به) لله . أى الحمد به حقيق لا بغيره ،ولو عكس لصار المعنى أنه بالحمد حقيق لا بغيره لكن كما أن الحمد حقيق به فهو حقيق بالحمد ،فلذا قال : (لم يكن أحد أحق منه بالحمد) بمعنى أنه أحق من كل أحد [2] ،وان كان ظاهر العبارة لا ينفي المساواة الا ترى أن قولهم : " لا أفضل في البلد من زيد " معناه أنه أفضل من الكل ثم لا يخفى أن حق العبارة أن تقال : "على اختصاصه بالحمد " على ماسبق [3] .

قوله : (بأضمير منفصل) ،المحققون [4] كالخليل وسيبويه والأخفش والمازني وأبى على [5] وغيرهم على أن (ايا) ضمير . الا أن الجمهور منهم على أن اللواحق بعده حروف دالة على أحوال المرجوع اليه فلا يكون لها محل ،والخليل على أنها أسماء أضيف اليها (ايا) فتكون في محل الجر .

وقال الزجاج والسيرافي [6] : (ايا) اسم ظاهر واللواحق مضمرات أضيف اليها (ايا) فكأن اياك بمعنى نفسك .

---

(١) في خ ،م " سائر الأسباب " . (٢) في خ " كل واحد "

(٣) فقد ذكر السعد في الورقة ٤١ب من هذه الحاشية أن المجرور بالباء ينبغي أن يكون هو المقصور دون المقصور عليه كما هو المشهور .

(٤) انظر كتاب سيبويه ١/١٤١ ، ٣٨٠/١ وهمع الهوامع للسيوطي ٦١/١ .

(٥) هو أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوى المشهور تتلمذ على يديه ابن جني وعلي بن عيسى الربعي . توفي سنة ٣٧٧ هـ .
بغية الوعاة ٤٩٦/١ .

(٦) انظر الانصاف في مسائل الخلاف ٣٦٧ .

وقال قوم من الكوفيين : اياك واياى واياه بكمالها أسماء ولا تركيب فيها . وآخرون منهم على أن الضمائر هي اللواحق وايا دعامة لها لتصير بسببها منفصلة ، وكذا في أنت التاء ضمير وأن دعامة والى هذا مال بعض البصريين [(١)] ، ومذهب الفراء [(٢)] أن أنت بكماله اسم ، والمحققون على أن الضمير هو أن واللواحق حروف . وأما الكاف في (أرأيتك) بمعنى أخبرني فحرف اجماعا على ما سيجيء فلذا جعله المقيس عليه دون اللواحق بأن اذ لا اجماع .

قوله : (نأياه وايا الشواب) أي فلينج نفسه عن التعرض للشواب ولينج الشواب عن التعرض له ، فهذا وان كان شاذا من حيث الاضافة الى المظهر لكن فيه دلالة على أن بين ايا واللواحق اضافة ، وقوله (فشيء شاذ) زيادة تحقير له وتضعيف [(٣)] .

قوله [(٤)] : (كقوله تعالى : " قل أفغير الله ") الآية [(٥)] ، فان قلت : لو كان التقديم في الآيتين للاختصاص لكان مدلول الكلام انكار اختصاص الغير بالعبادة والربوبية وهو لا يفيد انكار الشركة ، بل ربما يفيد جوازها بناء على ما تقرر عندهم من أن النفي اذا دخل في كلام فيه قيد توجه الى القيد خاصة وأفاد ثبوت أصل الحكم .

قلت : ذاك انما يكون اذا اعتبر القيد أولا ثم نفي وأما اذا اعتبر النفي أولا ثم قيد فلا ، والتعويل على القرائن وههنا اعتبر النفي والانكار ثم الاختصاص فكان لاختصاص الغير بالانكار بمعنى أن / المنكر هو الأمر بعبادة الغير ألا ترى أن قولنا ٢٣ب
: " ما زيدا ضربت وما أنا قلت هذا " معناه : ولكن ضربت غيره وقاله غيري ؟ ولو كان لنفي الاختصاص لكان المعنى : ولكن ضربته وغيره وقلته أنا وغيري ، وأن قوله تعالى : " وما هم بمؤمنين " [(٦)] لتأكيد النفي لا لنفي التأكيد ، وستسمع لهذا زيادة تفصيل وبيان ان شاء الله تعالى .

---

(١) وهو ابن كيسان . انظر حاشية السيد على الكشاف ٦٠ .
(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد ، كان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ، صنف معاني القرآن وكتبا أخرى ، مات سنة ٢٠٧ هـ . بغية الوعاة ٢ / ٣٣٣ .
(٣) استفيد التحقير والتضعيف من مادة شيء واستعمالها في هذا المقام وتنكيرها ووصفها بالشذوذ .
(٤) انظر الكشاف ١ / ١١ .
(٥) الآية ٦٤ سورة الزمر .
(٦) من الآية ٨ من سورة البقرة .

قوله : (والمعنى نخصك بالعبادة) أي نجعلك منفردا بها لا نعبد غيرك ،وهذا هو الاستعمال العربي (١) ،ولو قال : نخص العبادة بك كان استعمالا لا عربيا .

قوله : (وهياك بقلب الهمزة هاء) ،وكسر الهاء وفتحها لغتان والبيت على ما في الكتاب من قصيدة أولها :

تحمل من وادى أشيقر حاضره * وألوى بأعمدة الخيام أعاصره (٢)

قوله : (أقصى غاية الخضوع) جعل للخضوع غايات واللفظ عاما فيها فصحت الاضافة .

قوله : (هذا يسمى الالتفات في علم البيان) ، لما دل السؤال على ثبوت استبعاد واستنكار أجاب بأنه ليس بمستبعد بل هو مشهور فيما بين علماء البيان ،له اسم معين وأنواع متعددة وأمثلة متكثرة وفوائد جمة ،وأراد بالبيان مايعم العلوم الثلاثة على ما هو اصطلاحه في مواضع كثيرة (٣) .

أما الاسم فمأخوذ من التفات الانسان يمنة ويسرة ،وأما الأنواع فستة باعتبار الانتقال من كل من الطرق الثلاثة أعنى التكلم والخطاب والغيبة الى الآخرين الا أن المصنف اقتصر على ذكر الأشهر الأكثر ،وأما الامثلة فكثيرة جدا ،ولم يذكر مثال الالتفات من الغيبة الى الخطاب لأن مانحن فيه مثال له .

---

(١) حيث أدخل الباء على المقصور دون المقصور عليه .

(٢) لطفيل الغنوى ،وقيل : لمضرس بن ربعى ،ويروى :

فاياك والأمر الذى أن توسعت * مداخله ضاقت عليك المصادر

انظر ديوان طفيل الغنوى ٥٩ ،وشواهد الانصاف ١/ ١١ ،وتنزيل الآيات ٢٩١ ،وتفسير القرطبي ١/ ١٢٧ ،والمحتسب لابن جنى ١/ ٤٠ ،وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣/ ١٥١ ،وللمرزوقى ٣/ ١١٥٢ ،والانصاف ١١٩ ،وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٢٣ ،وأساس البلاغة مادة (رحب) ،والصحاح مادة (ايا) ،ولسان العرب مادة (هيا)

(٣) كما في خطبة المفصل حيث ذكر أن " علم البيان هو المطلع على نكت نظم القرآن الكافل بابراز محاسنه الموكل باثارة معادنه " انظر المفصل شرح ابن يعيش ١/ ١٦ . ويقول قطب الدين الشيرازى في حاشيته على الكشاف الورقة ١٣ أ للالتفات اعتبارات فباعتبار أنه تصوير الشيء بصور مختلفة من علم البيان ،وباعتبار أنه يجمع بين صورتين مختلفتين ويجلب نشاط السامع من علم البديع ،وباعتبار اشتماله على فائدة من علم المعاني . والمصنف أشار الى الأول بقوله : " وذلك على عادة افتنانهم في الكلام " ،والى الثاني بقوله : " ولأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب الخ " والى الثالث بقوله : " وقد تختص مواقعه بفوائد " .

وأما الفائدة ففي مطلق الالتفات وجهان يرجع أحدهما الى المتكلم وهو قصد التفنن فى الكلام والتصرف فيه بوجوه مختلفة من غير اعتبار لجانب السامع ، والثاني الى السامع وهو حسن تنشيطه ولطف ايقاظه .

فقوله : (ولأن الكلام [1]) عطف ظرف مستقر على مستقر أى (وذلك) كائن (على عادة) وكائن لأن الكلام [2] .

وفى جزئيات الالتفات ما يناسب ذلك المقام بخصوصه وهذا معنى قوله : (وقد تختص مواقعه بفوائد) ومن جملة فوائد هذا الالتفات أن فى تعليق العبادة له والاستعانة منه بصيغة الخطاب اشعارا بأن ذلك انما هو لاتصافه بتلك الصفات المذكورة وتميزه بها ، لما تقرر عندهم من أن تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية فكأن التعليق بلفظ " اياك " بمنزلة التعليق بلفظ " المتميز بتلك الصفات " .

وهذا كما ذكره فى فائدة اسم الاشارة فى قوله/ تعالى : " أولئك على هدى من ربهم " (٣) ٢٤ أ

وفى المفتاح (٤) أن فائدة الالتفات التنبيه على أن القراءة يجب أن تكون عن تأمل وحضور قلب بحيث يجد القارئ من نفسه محركا على الاقبال على المنعم ، يزداد ذلك المحرك بحسب اجراء الصفات على المنعم الى مقام الحضور والمشاهدة حتى يعبد ربه كأنه يراه ويشاهده ويخاطبه فى الاخبار عن عبادته .

قوله : (فى ثلاثة أبيات (٥)) ظاهر فى أن الالتفات الأول فى (ليلك) حيث

---

(١) الكشاف ١٢/١
(٢) فى خ زيادة " اذا نقل الى آخره "
(٣) من الآية ٥ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ٣٤/١ .
ولفظ " هدى " غير موجود فى م .
(٤) صفحة ١٠٧ .
(٥) وهذه الأبيات لامرئ القيس بن حجر الكندى وقيل : لامرئ القيس ابن عابس الصحابى وقيل : لعمرو بن معد يكرب . وروى الشطر الأخير منها " وأنبئته عن أبى الأسود " انظر ديوان امرئ القيس ٨٥ ، والايضاح ٤٤ ، والمطول ١٣٠ ، وشروح التلخيص ٤٦٦/١ ، والمفتاح ١٠٧ ، ١٠٩٥ ومعاهد التنصيص ١٧٠/١ ، وحسن التوسل ٥٦ ، وتنزيل الآيات ٣٦٤ ، وشواهد العيني ٣١/٢ ، وأنوار =

ترك التكلم الذى كان مقتضى الظاهر الى الخطاب ، فالالتفات عنده : مخالفة مقتضى الظاهر بالتعبير عن الشيء باحدى الطرق الثلاث بعد التعبير عنه بطريق آخر أو بعد أن يكون مقتضى الظاهر طريقا آخر وهذا الذى اختاره صاحب المفتاح (١) .

ومنهم (٢) من يقتصر على الأول وحينئذ لا التفات فى (ليلك) ، اذ لم يقع التعبير بطريق التكلم .

ومنهم من حاول بيان الالتفاتات الثلاث بهذا المعنى فى الأبيات الثلاثة فزعم أن الأول فى (بات) حيث انتقل من الخطاب الى الغيبة ، والثانى فى (ذلك) انتقالا من الغيبة الى الخطاب ، والثالث فى (جاءنى) من الخطاب الى التكلم (٣) .

وبعضهم تنبه أن حرف الخطاب ليس عبارة عما عبر عنه بالضمير السابق فجعل فى (جاءنى) التفاتين أحدهما من الخطاب السابق والآخر من الغيبة (٤) وكلاهما فاسد (٥) .

= التنزيل ١/٩ وسمط اللآلىء ١/٥٣١ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢/٥٥٠ ، وشاهد الانصاف ١/١١ ، والمصباح ١٨٧ .

(١) انظر مفتاح العلوم ١٠٦ وصاحب المفتاح هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى ، امام فى النحو والتصريف والمعانى والبيان والاستدلال والعروض والشعر ، وله النصيب الوافر فى علم الكلام ، ومن تصانيفه : مفتاح العلوم ورسالة فى علم المناظرة ، وتوفى بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ .
انظر بغية الوعاة ٢/٣٦٤ ، والأعلام ٩/٢٩٤

(٢) وهم جمهور البلاغيين .

(٣) لعل السعد يقصد الطيبى الذى قال فى فتوح الغيب ١/٢٦ : " ان فى البيت الثالث التفاتين : أولهما " ذلك " والآخر " جاءنى " .

(٤) وقد ذهب الى ذلك ابن المنير الاسكندرى فى كتابه " الانتصاف ١/١١ "

(٥) أما فساد الأول فهو أن الالتفات فى " ذلك " متكلف لأنه لا دليل على أنه يعنى بالخطاب فيه نفسه ، بل الظاهر ان المعنى به غير المتكلم ، وأما فساد الثانى فكما يقول الخطيب القزوينى فى الايضاح : " لأن الانتقال انما يكون من شىء حاصل ملتبس به ، واذ قد حصل الانتقال من الخطاب فى البيت الأول الى الغيبة فى الثانى لم يبق الخطاب حاصلا ملتبسا به ، فيكون الانتقال الى المتكلم فى الثالث من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعا " .
انظر بغية الايضاح ١/١٥٦

وكلامه في مواضع مشعر بأن أحد أقسام التجريد — أعني مخاطبة الانسان نفسه كما في تطاول ليلك — التفات(١) ، وسيأتي اطلاق الالتفات على معنيين آخرين •

قوله : (بالأثمد) صح بفتح الهمزة وضم الميم اسم موضع وأما الاثمد بكسرهما فحجر يكتحل به • (الخلي) الخالي من الهم • (له) حال من ليلة لا متعلق (ببات) • (العائر) العوار وهو القذى الرطب الذي تلفظه العين ، وقيل : الرمد •

قوله : (اياك نخص) ينبغي ان يكون التقديم لمجرد الاهتمام(٢) ليكون المعنى لا نعبد غيرك اذ لو كان للاختصاص لكان المعنى نخصك لا نخص غيرك وليس هذا معنى " اياك نعبد " وان كان مفيدا لنفي الشركة •

قوله : (من جهته) أي من جهة ربهم فتوجه السؤال بأن الاعانة أمر مقصود محتاج اليه في أداء العبادات فينبغي أن يقدم طلبها على العبادة التي هي تقرب وتوسل •

---

(١) أي أن الالتفات والتجريد قد يجتمعان في مثال واحد ، ويقول السعد في المطول ٤٣٣ : " ان التجريد لا ينافي الالتفات بل هو واقع بأن يجرد المتكلم نفسه من ذاته ويجعلها مخاطبا لنكتة كالتوبيخ في تطاول ليلك والتشجيع والنصح في قوله : أقول لها اذا جشأت وجاشت •

مكانك تحمدي أو تستريحي

ولكن السيد الشريف يرى أن الالتفات ينافي التجريد لأن مبنى التجريد على مغايرة المنتزع للمنتزع منه ليترتب عليه ماقصد به من المبالغة في الوصف ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليحصل ماأريد به من ايراد المعنى في صورة أخرى غير مايستحقه بحسب الظاهر •

ويعضد السيد رأيه بما نقله الفاضل اليمني عن الطيبي من أن أبا علي الفارسي وابن جني وابن الأثير حكموا بأن " ليلك " تجريد وليس بالتفات •

انظر حاشية السيد على الكشاف ٦٣ ، وحاشيته على المطول ٤٣٣ ، وانظر فتوح الغيب ٢٦/١ ، وتحفة الأشراف ٢١/١ ، والمثل السائر ١٦٧/٢ •

(٢) يعني التقديم في عبارة الزمخشري لا في الآية •

فأجاب بأن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أنسب لكونه أعون على الاجابه الى الحاجة وعلى استحقاق المحتاج ٠

ومبنى هذا الكلام على تعميم الاستعانة ،وأما اذا أريد [1] الاستعانة على أداء العبادة ، فوجه تقديم العبادة ظاهر وهو أنها / مقصودة بالنسبة الى الاستعانة، وان كان طلب المعونة على الشيء مقدما عليه ٠ ٢٤ب

وقد يقال [2] : ان ضمير (جهته) لما يتقرب به بمعنى ان الاستعانة يحتاج [3] اليها من جهة العبادة أي لأجلها وبسبب تحصيلها ،فتوجه السؤال بأنه ينبغي أن تقدم الاستعانة لظهور أن طلب الاعانة على الشيء يكون قبله ،فأجاب بأن الوسيلة قبل الحاجة ،وفساده ظاهر ،لما فيه من جعل الشيء وسيلة الى طلب الاعانة على تحصيله ٠

لا يقال : تجعل بعض العبادات وسيلة الى طلب الاعانة على البعض لانا نقول : حينئذ لا جمع بين المتقرب به والمحتاج اليه من جهته الا بتكلف ٠

قوله : (ليتناول كل مستعان فيه) أي عليه وهما متقاربان والعموم مستفاد من الاطلاق مع عدم قرينة التقييد وامتناع الترجيح بلا مرجح ،وكذا الكلام في قولـه : " واطلق الانعام ليشمل كل انعام [4] " ،يعني بناء على امتناع الترجيح بلا مرجح وهذا مايقال : ان حذف المفعول قد يكون للتعميم ٠

قوله : (لتلاؤم الكلام) أي لتناسبه وانتظام جمله حيث وقع (اياك نعبد) بيانا (للحمد) ،و(اياك نستعين) طلبا للاعانة على العبادة ،و(اهدنا) بيانا للاعانة ،فتلاحقت الجمل الأربع التي اشتملت عليها الفاتحة وعلى هذا يكون الاطلاق لمجرد الاختصار لدلالة القرينة ٠

لا يقال : التلاؤم يحصل بالتعميم أيضا لشموله الاستعانة على أداء العبادة [5]، لأنا نقول : ليس هذا من التلاحق والأخذ بالحجزة في شيء ٠

---

(١) في ب: " اذا أريد بها " ٠
(٢) قاله الطيبي انظر فتوح الغيب ١/ ٢٧ .
(٣) في م ،ط : " محتاج "
(٤) وذلك في تفسير قوله تعالى " أنعمت عليهم " ،الكشاف ١/ ١٣ .
(٥)وممن قال ذلك الطيبي في فتوح الغيب ١/ ٢٧ .

قوله : (هدى أصله أن يتعدى بالى أو باللام [1]) . وسيجيء من كلامه مايدل على الفرق من جهة المعنى بين المتعدى بنفسه والمتعدى بالحرف ، وبالجملة فلا كلام في مجيء هديته الطريق ، وهديته للطريق ، والى الطريق ، وقد يفرق بينهما بأن معنى الأول [2] الاذهاب الى المقصد والايصال ولذا [3] يسند الى الله تعالى خاصة ، ومعنى الثاني الدلالة واراءة الطريق فيسند الى النبي عليه الصلاة والسلام مثل : " وانك لتهدى الى صراط مستقيم " [4] ، والى القرآن مثل : " ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم " [5] .

قوله : (وهم مهتدون) حال من الفاعل المحذوف للمصدر أي (طلبهم الهداية) ، ودليل اهتدائهم العبادة والاستعانة ، ووجه الاشكال : انه لا معنى لطلب الحاصل ، ومبناه : على أن المراد طريق الحق أي ملة الاسلام ، وأما اذا أريد الطريق الى سائر المطالب والكمالات فلا اشكال .

ووجه الجواب أن الزيادة أو الثبات أمر [6] غير حاصل فاهدنا طلب له ولا خفاء
في أن زيادة الهدى هدى فاللفظ على حقيقته ، وأما على / التثبيت فالأظهر أنه ١٢٥ أ
مجاز .

والألطاف هي المصالح التي عندها يطيع المكلف ، أو يكون أقرب الى الطاعة ، ولا تفضى الى الالجاء والقسر . وفيه اشارة الى أن الهداية ليست خلق الاهتداء أو زيادته كما هو رأي أهل السنة .

قوله : (وصيغة الأمر) ، يشير الى أنها موضوعة لطلب الفعل سواء كان على سبيل الاستعلاء فايجاب أو ندب ، أو التضرع فدعاء ، أو التساوى فالتماس ، ولا مجاز في شيء من ذلك .

قوله : (وقرأ عبد الله) هو عند الاطلاق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) عبارة الكشاف ١٢/١ " أن يتعدى باللام أو بالى " وذلك في تفسير الزمخشري لقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " الآية ٦ من سورة الفاتحة .

(٢) أي المتعدى بنفسه . (٣) في م ، خ ، ب : " ولهذا " .

(٤) من الآية ٥٢ ، سورة الشورى .

(٥) من الآية ٩ ، سورة الاسراء .

(٦) كلمة " أمر " ساقطة من خ ، م .

قوله : (لأنه يسترط السابلة) أي يبتلع أبناء السبيل المختلفين ، وقيل : لأنهم يستروطون الطريق ، وكذا (اللقم) بمعنى أنه يلتقمهم أو بالعكس .

قوله : (لأجل الطاء) ، يعني أنها مستعلية فتوافقها الصاد لكونها من المستعلية بخلاف السين ، فانها من المنخفضة ففي الجمع بينهما بعض الثقل .

قوله : (كما قال : " للذين استضعفوا ") (١) فيه مناقشة مشهورة وهي أنه لم لا يجوز أن يكون الجار والمجرور بدلا من الجار والمجرور ، فان دفع بأن الابدال في المفرد أكثر ، أجيب بأن التصريح بتكرير العامل أقل قليل ، بل ربما لا يوجد غير منازع .

قوله : (مافائدة البدل ؟ (٢)) أي ذكره بوصف البدلية والتبعية ، وهلا اقتصر عليه استقلالا مع أنه المقصود بالنسبة .

فأجاب بأن فائدته التأكيد ، لما فيه من التكرير والايضاح ولما فيه من التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ، ويتميز عن التأكيد وعطف البيان بأنه المقصود بالنسبة دونهما . (٣)

وما ذكرنا ظاهر اذا روى (الاشعار (٤)) بالرفع ، وأما على تقدير الجر كما هو بخط المصنف فالفائدة هي التأكيد لكن من وجهين : أحدهما — التكرير ، والآخر — البيان والتفسير . وقوله : (غير مدافع) حال من ضمير (فيه) أو من المستكن في (المعين) .

قوله : (لأن من أنعم الله عليه (٥)) ، يعني أطلق الانعام لغرض الشمول على

---

(١) من الآية ٧٥ ، سورة الأعراف .
(٢) انظر تفسير الزمخشري لقوله تعالى : " صراط الذين انعمت عليهم .. " الآية ٧ من سورة الفاتحة .
(٣) يقول الطيبي : الفرق بين التأكيد وعطف البيان والبدل هو أن البدل يوضح المتبوع كالبيان ، ويؤكد أمر المتبوع في النسبة كالتأكيد " . فتوح الغيب ١/ ٦٩
(٤) الكشاف ١/ ١٣
(٥) عبارة الكشاف : " لأن من أُنعِم عليه " .

مابينا في " اياك نستعين " ،لأن المراد بالذين أنعمت عليهم هم المؤمنون ،وهم منعم عليهم بكل نعمة اذ الاسلام هي النعمة كل النعمة ٠

قوله : (على معنى أن المنعم عليهم) ،يعني اذا جعل بدلا ففائدته البيان والايضاح ،واذا جعل صفة فمعناه الجمع بين نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال ،حيث أثبت الأولى بطريق الصلة والثانية (١) بطريق الصفة ،وعلى قاعدة المعتزلة ينبغي أن تكون هذه الصفة للتأكيد دون التقييد الا أن يحمل الايمان على مجرد التصديق ٠

قوله : (لا توقيت فيه) أي لا تعيين فيه ،لأن تعيينهم الأحوال كان بالأوقات ،يعني كما أن المعرف باللام قد يقصد به/ الحقيقة من حيث الوجود في ضمن ٢٥ب
الأفراد وتدل القرينة على أن المراد به البعض فيصير في المعنى كالنكرة ،فكذلك اسم الموصول ٠

وحينئذ يجوز أن يعتبر فيه جانب اللفظ فيوصف بالمعرفة كما اذا جعل (غير المغضوب عليهم) معرفة بناء على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم (٢) كما في قولنا : عليك بالحركة غير السكون ،لزوال مايمنع تعرفه بالاضافة وهو التوغل في الابهام ٠

ويجوز أن يعتبر جانب المعنى فيوصف بالنكرة كما اذا جعل (غير المغضوب عليهم) نكرة وبالجملة كما في قوله :

ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني (٣)

---

(١) في الأصل : " والثاني "٠
(٢) في م ،ط ،ب : " المغضوب عليه "٠
(٣) البيت لشمر بن عمرو الحنفي ،وقيل : لعميرة بن جابر الحنفي ،وقيل : لرجل من بني سلول ٠ وروى الشطر الثاني : فأعف ثم أقول ٠ وروى ،فأجوز ثم أقول ، انظر المطول ٨٠ ،٨١ ،٢٧٦ ،ودلائل الاعجاز ١٤٥ ،وبغية الايضاح ١/ ٩٥ ومفتاح العلوم ٩٩ ،وشروح التلخيص ١/ ٣٢٥ ،٣٢٧ وكتاب سيبويه ١/ ٤١٦ ، وخزانة الأدب ١/ ١٧٣ ،٢/ ١٦١ ،١٦٦ ،٢٩٣ ،٤/ ١٠٤ ،وشواهد العيني ٤/ ٥٨ ،والكامل للمبرد ٢/ ٦٢ ،وشرح الأشموني ٢/ ٣٩٤ ،والخصائص =

أى على لئيم يسبنى ، اذ لا مرور على الكل ، ولا دلالة على التعيين ليكون للاستغراق أو للعهد ، فيسبنى صفة لا حال ، اذ ليس المعنى على أنه يغضى عمن يسبه حال المرور ، بل عمن ذلك دأبه وهجيراه .

فالمناسب أن يجعل ما يدل على أحوال الذات دون هيآت[1] الفعل ، وبه كمال الحلم والاغضاء . فقوله : (مضيت) بمعنى أمضى عبر عنه بلفظ الماضى تحقيقا لمعنى الاغضاء والاعراض .

و (ثمت) حرف عطف لحقتها التاء ، وذلك فى عطف الجمل خاصة . فان قيل : بل لا يصح الحال أصلا ، أما لفظا فلكون اللئيم نكرة ، وأما معنى فلاحتمال أنه يغضى عنه حال السب لمانع من المكافأة ثم يكافئه بعد ذلك ، قلنا : هو معرفة وفاقا غايته أنه فى المعنى كالنكرة ، والمقيد بحال السب على تقدير الحالية هو المرور لا الاغضاء عن اللئيم .

فقوله : (ولأن المغضوب عليهم) عطف على مقدر أى صح ذلك لأن الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه ولأن ، فحاصل الجواب أنا لا نسلم أن غير المغضوب[2] على تقدير الوصفية صفة للمعرفة ، ولو سلم فلا نسلم أنه نكرة ، وهذا كلام منتظم حسن الترتيب .

فما يقال : أنه اذا كان من قبيل ما اشتهر المضاف بمغايرة المضاف اليه كان معرفة قطعا ، فلا يكون من قبيل " ولقد امر على اللئيم يسبنى " ، خارج عن قانون التوجيه .

= ٣ / ٣٣٠ ، والصحاح مادة (ثمم) ، واللسان مادة (ثمم) ، (منى) ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٣ ، وتنزيل الآيات ٥٤٦ وهمع الهوامع ١ / ٩ ، والأغفال ٢٥٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٢ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٢٨٦ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢ / ٩٣ ، والتمام فى تفسير أشعار هذيل ٢٨ ، والأمالى الشجرية ٢ / ٢٠٣ ، والأصمعيات ١٢٦ ، والمصباح ١٢٢ .

(١) فى ط : " صفات "

(٢) فى خ زيادة " عليهم " .

نعم يتجه (١) أن يقال : جواز الوصف بالنكرة انما يكون اذا أريد البعض المبهم كاللئيم ، ولا كذلك الموصول ههنا ، فانه للعموم ، وكأنه مال الى تعريف الغير وعول عليه ولذا أخره .

قوله : (وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) نسبت اليه عليه الصلاة والسلام اذ لم تتواتر بالطريق المنسوب الى واحد من القراء السبعة ، والا فالكل قراءته . (٣)

قوله : (والعامل أنعمت) يشير الى أن مثل هذا ليس من اختلاف العامل في الحال وذي الحال ، اذ العمل في مجموع الجار والمجرور عمل في المجرور بمعنى / ٢٦ أ أنه غير خارج عن المعمولية ، على أن التحقيق أن المنصوب المحل والمرفوع المحل هو المجرور فقط ، لأن أثر الجار انما هو في تعدية الفعل وافضائه الى الاسم ، وبهذا يندفع مايقال : أن الاسناد اليه من خواص الاسم والجار والمجرور ليس باسم .

قوله : (وانزال العقوبة) بكسر اللام عطفا على (الانتقام) وكذا (وأن يفعل) . والحاصل أنه اذا أطلق على الباري تعالى ماهو حقيقة في الأعراض النفسانية المستحيلة عليه ، يحمل على ماهو غاية فيه كالترك في الاستحياء ، أو سبب كارادة الانتقام في الغضب ، أو مسبب عنه كالانعام في الرحمة ونحو ذلك .

وما ذكر ابن جني (٤) " من أنه أسند النعمة اليه بطريق الخطاب تقربا ، وانحرف عن ذلك الى الغيبة عند ذكر الغضب تأدبا " (٥) كلام حسن . ومعنى الغيبة ترك الخطاب .

قوله : (لم دخلت لا ؟) سؤال عن وجه الصحة لا عن الفائدة والا فالفائدة هي التوكيد والتصريح بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه (٦) ، بخلاف

---

(١) في م ، غ ، ب : يتوجه .
(٢) انظر الكشاف ١ / ١٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٥٣ ، والبحر المحيط ١ / ٢٩ وأنوار التنزيل ١ / ١٢ .
(٣) في غ زيادة " عليه الصلاة والسلام " وفي م ، ب " عليه السلام " .
(٤) أبو الفتح عثمان بن جني من أعلم أهل الأدب بالنحو والتصريف . تتلمذ على أبي علي الفارسي ، وتصدر مكانه بعده ، صنف الخصائص وسر الصناعة والمحتسب وغير ذلك ، مات سنة ٣٩٢ هـ بغية الوعاة ٢ / ١٣٢
(٥) انظر المحتسب في شواذ القراءات ١ / ١٤٦
(٦) في م ، غ : المعطوف عليه والمعطوف .

ما اذا قيل : ماجاء زيد وعمرو ،فلذا تسمى مزيدة [١] ،والكوفيون على أنها بمعنى غير [٢] .

وما ذكره في تحقيق معنى النفي في "غير" من أن التقدير : (لا المغضوب عليهم) فيه اشكال ،فكلمة "لا" فيه ليست عاطفة لاختلال المعنى ،ولا وجه سوى أن تكون بمعنى غير .

قوله : (أنا زيدا لا ضارب) قدم فيه مفعول اسم الفاعل المنفي عليه ، وامتناع تقديم مافي حيز النفي عليه انما هو في "ما" و"ان" دون "اللام" و"لن" و"لم" [٣] وذلك لأن "ما" تدخل على القبيلين فتشبه الاستفهام ،و "لم" و"لن" يخصان الفعل ويكونان كالجزء منه .

وأما "لا" وان دخلت على القبيلين الا أنها حرف متصرف فيها جاز عمل ماقبلها فيما بعدها ،مثل : جئت بلا شيء ،وأريد أن لا تخرج ، فجاز العكس أيضا .

فان قلت : هب أنه يصح التقديم في مثل : زيدا لا أضرب ،لما ذكرتم لكن ينبغي أن يمتنع في مثل : أنا زيدا لا ضارب ،لأنه اسم بمعنى غير على ماصرح به السخاوي [٤] ،غايته أنه جعل اعرابه فيما بعده ، لكونه على صورة الحرف تقول : جاء بلا شيء ،ورأيت لا فارسا ،وفي التنزيل : "لا فارض ولا بكر [٥]" و "لا شرقية ولا غربية [٦]" و "لا بارد ولا كريم [٧]" .

قلت : بعد تسليم الاسمية بجوز التقديم نظرا الى صورة الحرفية .

---

(١) أي عند البصريين . انظر حاشية السيد على الكشاف ٧٢ .
(٢) انظر تحفة الأشراف ١/١٦ ،والبيان في غريب اعراب القرآن لابن الأنباري ورقة ٥أ .
(٣) في م ،خ ،ب : دون لا ولم ولن .
(٤) انظر حاشية السيد على الكشاف ٧٣ . وقد سبقت ترجمة السخاوي .
(٥) من الآية ٦٨ ،سورة البقرة .
(٦) من الآية ٣٥ ،سورة النور .
(٧) الآية ٤٤ ،سورة الواقعة .

قوله: (آمين صوت) أى لفظ بل كلمة بل اسم ،الا أنهم يعبرون عن مثل هذه الأسماء التى لا يعرف لها تصرف واشتقاق بالصوت .

وقوله: (سمى به الفعل الذى هو[1] استجب) تحقيق لكونه اسما مع أن مدلوله طلب الاستجابة كاستجب ،يعنى أن دلالته على معنى / استجب ليست من حيث أنه موضوع لذلك المعنى ليكون فعلا ،بل من حيث أنه موضوع لفعل دال على طلب الاستجابة وهو استجب ،كوضع سائر الأسماء لمدلولاتها . ٢٦ ب

وتحقيق ذلك أن كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان أو فعلا أو حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم أو الفعل أو الحرف ،كما تقول فى قولنا: خرج زيد من البصرة: خرج فعل[2] وزيد اسم ومن حرف جر ،فتجعل كلا من الثلاثة محكوما عليه ،لكن هذا وضع غير قصدى لا يصير به اللفظ مشتركا . ولا يفهم منه معنى مسماه .

وقد اتفق لبعض الأفعال أن وضعت لها أسماء أخر غير ألفاظها ،تطلق ويراد بها الأفعال من حيث دلالتها على معانيها وسموها أسماء الأفعال .

فآمين اسم موضوع بازاء لفظ استجب أو مايرادفه من صيغ طلب الاستجابة لكن لا ليطلق ويقصد به[3] نفس اللفظ كما فى الأعلام المذكورة ،بل ليقصد به استجب الدال على طلب الاستجابة ،حتى يكون آمين مع أنه اسم لاستجب كلاما تاما بخلاف استجب الذى هو اسم لاستجب الذى هو أمر .

ولما كانت اسمية أسماء الأفعال مبنية على هذا التدقيق ،ذهب بعض النحاة الى أنها أسماء للمصادر السادة مسد الأفعال ،وأن جعلها أسماء للأفعال ومفيدة لمعانيها قصر للمسافة ،ولهذا قال الزجاج: " ان آمين حرف موضوع موضع الاستجابة كما أن صه موضوع موضع السكوت "[4] الا أنهم احتاجوا الى الفرق بينها وبين المصادر المنصوبة السادة مسد الأفعال ،سيما التى لا أفعال لها ولا تصرف فيها ،حيث بنيت هذه ،وأعربت تلك .

---

(١) كلمة " هو " ساقطة من الأصل .
(٢) فى ط: فعل ماض .
(٣) فى ط: ويراد به .
(٤) " اعراب القرآن ومعانيه " ٢/ ١٦ ، " يتصرف "

قوله : (أمين) طلب استجابة لقوله : (فزاد الله مابيننا بعدا) قدم للاهتمام ، وصدر البيت :

تباعد عنى فطحل اذ دعوتـــــه

وروى : اذ لقيته ، وروى : اذ سألته (١) ، وفطحل اسم رجل .

قوله : (انه كالختم) (٢) بمعنى أنه يمنع من الدعاء فساد الخيبة كما أن الطابع على الكتاب يمنع فساد ظهور مافيه على الغير .

قوله : (لا يقولها الامام) التأنيث بتأويل الكلمة ونحوها (لأنه الداعى) يعنى بقوله : اهدنا .

قوله : (لم تنزل) بالتأنيث لأنه مسند الى (مثلها) بمعنى سورة تماثلها ، وليس فى القرآن أيضا سورة أخرى تماثلها فى الفضيلة .

وقوله : (قلت : بلى) فيه حذف أى قال أبى (٣) : قلت بلى .

وما اشتهر بين أئمة الحديث أن الأحاديث الواردة فى فضائل السور موضوعـــة ،

---

(١) وروى أيضا : " تباعد منى فطحل اذ رأيته " ، وروى : تباعد منى فطحل وابـــن أمه " وروى : وابن مالك .
والبيت لجبير بن الأضبط ، أنظر مشاهد الانصاف ١/ ١٤ ، وتنزيل الآيات ٣٦٤ ، والصحاح مادة (فطحل) ، (أمن) ، واللسان مادة (فطحل) ، (فحطـل) ، (أمن) ، وشرح الأشمونى ٢/ ٤٨٥ ، والتلويح فى شرح الفصيح ٨٦ ، واصلاح المنطق ١٧٩ ، وتهذيب اصلاح المنطق ٢/ ٤٢ ، وأنوار التنزيل ١/ ١٣ ، وتفسير القرطبى ١/ ١١٢ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ١٦ .
(٢) النهاية فى غريب الحديث ١/ ٧٢ .
(٣) هو أبى بن كعب ، صحابى أنصارى من بنى النجار ، شهد المشاهد كلهـا ، وكان من كتاب الوحى واشترك فى جمع القرآن وفى الحديث : " أقرأ أمتى أبـــى ابن كعب " .
توفى سنة ٢١ هـ . انظر الأعلام ١/ ٧٨

، يعنون أكثرها أن قد صح هذا الحديث. (١)

وأكثر المفسرين أوردها فى أوائل السور ترغيبا ، وقال المصنف: أوردتها فـــى

أواخرها / لأن الفضائل أوصاف فتتأخر . ٢٧ أ

وعن الصغانى (٢) : وضعها رجل من أهل عبادان ترغيبا فى قراءة القرآن وقـــد اعترف بذلك . (٣)

قوله: (فى الكتاب) بضم الكاف وتشديد التاء : المكتب وضعا ابتدائيا ، أو لأنه موضع الكتاب أى الكتبة جمع كاتب .

* * *

---

(١) أنظر صحيح البخارى ١٧/٣ ، ١٦/١ ، وصحيح الترمذى ١١/٢ ، والمستدرك للحاكم ٥٥٧/١ ، ٢٥٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٢/١ .

(٢) أبو الفضائل رضى الدين الحسن بن محمد ، حامل لواء اللغة فى زمانه صنف مجمع البحرين فى اللغة وشرح أبيات المفصل وغير ذلك . بغية الوعاة ٥١٩/١

(٣) فتوح الغيب ٣١/١ ، حاشية السيد على الكشاف ٧٥ .

:: سورة البقرة ::

قوله : (يتهجى بها) (١) ، فى الأساس : " هو يهجو الحروف ويهجيها ويتهجاها : يعددها ، ومن المجاز هو يهجوه يعدد فيه معايبه " (٢) . والباء للصلة والآلة كما تقول : " الخشب يضرب به " على حذف المفعول بلا واسطة . والمعنى يتهجى بها الحروف أي يعدد ، وحملها على التضمين أى يؤتى بها مهجوة سهو لأن ذلك انما هى المسميات لا الأسماء .

قوله : (المبسوطة) المنشورة من بسط الشئ نشره بمعنى (٣) أنها مفردة متفرقة تجمع وتركب منها الكلم ، ومنه البسيط فى عرف الحكماء لما يقابل المركب .

قوله : (يسمى به ضه) (٤) من التسمية بمعنى ذكر الشئ بالاسم ، وقد يقال : التسمية بمعنى وضع الاسم كما فى قوله : (وقد روعيت فى هذه التسمية) [اشارة الى مادل عليه قوله : (أسماء مسمياتها) كذا ، و (اسمان) لكذا] (٥) ، ولفظ (ضه) بغير افصاح الهاء ، وانما كتبت على تقدير الوقف كما هو قانون الخط .

قوله : (وهى) أى (المسيات حروف وحدان) جمع واحد كراكب وركبان .

(والأسامى عدد حروفها مرتق الى الثلاثة) على ماهو قانون الأسماء المتمكنة ، ليكون لها ابتداء ووسط وانتهاء ، بمعنى أن الواقع كذلك ، لا بمعنى أن المسمى لو لم يكن حرفا بل حرفين ، أو الاسم لو لم يكن عدد حروفه ثلاثة بل أثنين لم يتجه فى التسمية طريق الى الدلالة على المسمى .

وانما آثر هذه العبارة ، ولم يقل : هى ثلاثة لأنه لم يتبين (٦) بعد أن مثل راء ، باء ثلاثى أم لا ، وانما يتبين فيما سيجئ ، فذكر أن مجرد التعدد فى حروف الأسامى كاف فى المقصود .

وربما يقال : انه لولا الثلاثة لم يتجه الطريق بهذا الوجه وهو أن يكون المسمى

---

(١) الكشاف ١٦/١ .
(٢) عبارة الأساس مادة (هجو) : " ومن المجاز فلان يهجو فلانا هجاء يعدد معايبه " .
(٣) فى م ، ب : يعنى .
(٤) عبارة الكشاف ١٦/١ : " سمي به ضه " .
(٥) مابين المعقوفين ساقط من ط .
(٦) فى الأصل : يبين .

صدر الاسم لأنه انما يقال غالبا : حيث يكون الباقي بعد الصدر اكثر منه .

قوله : (فلم يغفلوها) أي لم يتركوا تلك الطريقة ، أو تلك الدلالة ، أو لم يجعلوا تلك التسمية غُفْلًا عاطلا عن الدلالة . ومعنى هذه الدلالة أن يكون المسمى بعينه أو ببعضه جزءا من الاسم كما في أسماء الحروف وكما في البسملة ونحوها ، والا ففي كل اسم موضوع دلالة على المسمى .

قوله : (الا الألف) يعني ما هو اسم للمدة كوسط قال ، وأما ما هو اسم للهمزة كما يقال : ألف الوصل ، والألف واللام للتعريف ونحو ذلك ، فهو كسائر الأسامي مصدر بالمسمى . والى هذا يذهب المصنف حيث يجعل / الألف مما وقعت في أوائل السور . ٢٧ب

قوله : (وليتها العوامل) أي قارنتها .

قوله : (الى تأدية ذاته) أي مدلوله من غير اعتبار ما يطرأ عليه من معاني الفاعلية والمفعولية والاضافة ، وفيه اشارة الى أن اطلاق اللفظ المفرد يكون لاخطار المعنى ببال السامع واحضاره عنده اذا كان عالما بالوضع .

قوله : (من تأثيراتها) ان كانت (من) للتبعيض فالمعنى شيء من آثار تأثيراتها . ومن يجعل التأثير عين الأثر أي شيء من آثارها فالأمر ظاهر . وان كانت للابتداء أي شيء حاصل من تأثيراتها فالشيء هو الأثر .

قوله : (أغفالا) جمع غفل ، فلاة غفل لا علم فيها (١) ، ودابة غفل لا سمة عليها . ولما (٢) في (أغفالا) من معنى الفعل تعلق به (من) .

قوله : (كما وقع) (٣) . " ما " كافة ، وفاعل وقع ضمير (أنها حروف) وقيل : موصولة أي زعما مثل الزعم الذي وقع .

قوله : (وذلك) أي (البرهان النير) أن الصادق عليها حد الاسم دون الحرف ، وأنه يوجد فيها علامات تخص الاسم مطلقا أو بالاضافة (٤) الى الحرف ، اذ الاشتباه

---

(١) جملة " لا علم فيها " ساقطة من خ .
(٢) في ط : ولما كان .
(٣) الكشاف ١٦/١ .
(٤) في الأصل : " أي بالاضافة " .

لم يقتع الا في ذلك .

وأن الموثوق بهم من أئمة العربية[1] صرحوا بأنها أسماء .

وسكت في الاشارة الى (التعريف) عن قيد عدم الاقتران بالزمان لوضوحه وعدم الاشتباه والاختلاف فيه ،على أن قوله : (لافصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين) ربما يشعر به .

قوله : (وبالتفخيم) هو ههنا امالة الألف الى مخرج الواو وقد يجري في غير الألف المنقلبة عن الواو كما سيجيء في "كهيعص"[2] .

قوله : (وجميع ما للأسماء) ،أي مايخصها كالتثنية والنسبة والنداء ،والا فمجرد الثبوت للأسماء لا يوجب الاسمية .

قوله : (قال[3]) أي أبو علي[4] : (فاذا كانوا) أي العرب (قد أمالوا مالا يمال من الحروف) من للبيان دون التبعيض ،اذ الامالة من خواص الاسم والفعل ،لا تجري في الحرف الا نادرا على سبيل الشبه والالحاق ،يعني لأجل ياء قبل الألف[5] يميلون حرف النداء مع ان الحرف ليس من شأنه الامالة . (فلأن يميلوا الاسم) لذلك أولى . (ألا ترى أن هذه الحروف) يعني : ياء وسين وأمثالهما (أسماء لما يلفظ بها) ،أي يصير ملفوظا ومخبرا عنه بتلك الحروف .

في الأساس : " لفظ القول ولفظ به "[6] ،فضمير يلفظ لما وضمير بها لهذه الحروف التي هي أسماء . وما يلفظ هي الحروف المبسوطة أعني المسميات التي يعبر عنها بتلك الأسامي .

وانما لم يجعل ضمير بها لما ،لظهور أن تلك الألفاظ ليست أسماء لما يلفظ به في الجملة .

والاستشهاد في قوله : (أسماء) وفي جعلها خبرا عن (الحروف) دلالة على

---

(١) كالخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي . أنظر كتاب سيبويه ٢ / ٦١ .
(٢) الآية الأولى من سورة مريم .
(٣) الكشاف ١ / ١٧ .
(٤) هو أبو علي الفارسي انظر كتابه " الحجة في علل القراءات ٦ / ١٩٣ " .
(٥) في خ : " لأجل ماقبل الألف " .
(٦) أساس البلاغة مادة (لفظ) .

اطلاق الحروف عليها تسامحا وتجوزا بذكر الحرف[١] ، ولا يجعل الاستشهاد في قوله : (الاسم الذى هو ياسين) لأنه ربما يتوهم قبل التأمل في قوله : (ألا ترى) الى آخره أن المراد أن مجموع (ياسين[٢]) اسم للسورة .

لكن يظهر بالتأمل فيه أنه لو أريد هذا لم يكن لقوله : (ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها) معنى ، وأنه لو قال : الاسم الذى هو يا لكان أولى ، الا أنه كأنه حاول أن تصح على تقدير كونها أسماء السور اذ "يا" حينئذ جزء ٢٨ أ من الاسم .

قوله : (من أى قبيل هى ؟) أى من قبيل المعرب أم المبنى ، والمعرب فى الأصل صفة اسم مفعول من أعربت الكلمة ثم جعل اسما لقسم من أقسام الكلمة مقابلا للمبنى .

وقد علم من قوله : أدركها الاعراب أن هذه الأسماء عند دخول العوامل معربة بالمعنى الأول[٣] ، ولم يعلم أنها عند تعديدها ساكنة الأعجاز من قسم المعربات أم المبنيات ، ألا ترى أن ابن الحاجب[٤] ذهب الى أنها وجميع الأسماء قبل التركيب من قبيل المبنيات ؟[٥] ولو سلم بأن العلم بأن الاعراب يدركها يستلزم العلم بأنها قبل التركيب من المعربات حاول بيان ذلك قصدا مع ضرب من الاحتجاج ودفع لشبهة البناء .

ولذا قال : (بل هى أسماء معربة) بحرف الاضراب المشعر بالتحقيق والتأكيد ونفى المقابل ، وبالجملة فرق بين المعرب بالمعنى المقابل للمبنى والمعرب بالمعنى[٦] الذى مسه وأدركه الاعراب والقصد ههنا الى بيان الأول .

قوله : (لحذى بها حذو كيف) ، هذا التركيب شائع الاستعمال يقولون : "لا

---

(١) فى خ : الحروف . (٢) الآية الأولى من سورة يس .
(٣) وهو المقابل للمبنى .
(٤) أبو عمرو عثمان بن الحاجب المقرئ الأصولى الفقيه وكان الأغلب عليه النحو ، صنف الكافية وشرحها وشرح المفصل وله الأمالى وغير ذلك مات سنة ٦٤٦ هـ .
بغية الوعاة ٢ / ١٣٤
(٥) الأمالى لابن الحاجب ٢٨٤ ، وهمع الهوامع ١ / ١٦ .
(٦) " بالمعنى " ساقطة من خ ، ب .

محذ و بها حذ و" أن "وفلان محذ و به (١) حذ و والده بمعنى أنه يسير بسيرته ويجرى على طريقته ، فعدى بالباء ، لكن لا يوجد في كتب اللغة مايوافق هذا الاستعمال ، ولا يظهر أن حذو مصدر أو ظرف أو غيرهما ، وكذا في قولهم : وزان هذا وزان ذاك نوع خفاء .

قوله : (متهجاه (٢)) أى محدودة تحديدا غير مركبة تركيبا ، من تهجيت الحروف أو المراد متهجى بها ، اذ بهذه الأسماء تتهجى الحروف أى تعدد أو تتهجى الكلمة أى تعدد حروفها .

قوله : (واستعمالها) أى هذه الأسماء (فيه) أى في (التهجى أكثر) ، فناسب (ايثار الأخف وهو القصر) ، وجرى قبل الفواتح على هذا المنهاج لأنه للتعديد أو من التعديد .

قوله : (لحروف المعجم) ، قال في الصحاح : " المعجم النقط بالسواد وغيره كالتاء عليها نقطتان (٣) ، يقال : اعجمت الحرف ، ومنه حروف المعجم ، وهى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ، ومعناه حروف الخط المعجم كمسجد الجامع (٤) ، وناس يجعلون المعجم بمعنى الاعجام مصدرا كالمدخل (٥) أى من شأن هذه الحروف أن تعجم " .

وقد يقال : معناه حروف الاعجام أى ازالة العجمة وذلك بالنقط .

قوله : (وقد ترجم (٦)) أى سمى ولقب (كسره) رتبه . (في حد مالا ينصرف) في جانبه وتحته .

قوله : (كدارا بجرد) بفتح الباء اسم بلدة بفارس ، معرب دارا بكرد ، ودارا اسم ملك بناها ، وفي النسخة التى بخط المصنف درا بجرد بدون الألف بعد الدال .

---

(١) تلك عبارة ط ، أما في الأصل فالعبارة : " فلان يحذو حذو والده " وأما في م فالعبارة : " محذو حذو والده . والصواب ما أثبته لقوله بعد ذلك : " فعدى بالباء " .

(٢) الكشاف ١/١٧

(٣) الصحاح مادة (عجم) وعبارته " المعجم النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان " .

(٤) عبارة الصحاح " كما تقول : مسجد الجامع أى مسجد اليوم الجامع " .

(٥) عبارة الصحاح " مثل المخرج والمدخل " .

(٦) انظر كتاب سيبويه ٢/٣٠ .

قوله : (فسائغ فيه الأمران : الاعراب والحكاية) ،قيل : ينبغي أن يتعين الاعراب ولا تسوغ الحكاية كسائر الأعلام المنقولة من المفردات أو المركبات من كلمتين ليست بينهما نسبة ، وانما الحكاية فيما وقع علما لنفس ذلك اللفظ مثل : ضرب فعل ماض ،ومن حرف جر ،اشعارا بأنه لم ينقل / عن الأصل بالكلية ،أو كانت جملة . ٢٨ ب

وأما اذا جعل مثل ضرب بدون اعتبار الضمير اسم رجل فلا وجه للحكاية .

وأجيب بأن ذلك في هذه الألفاظ خاصة ،اذا جعلت أعلاما للسور خاصة ، أما اذا جعل صاد مثلا علما لرجل ،أو القاف علما للسورة (١) ،فلا حكاية ،وذلك لأنها قد اشتهرت ساكنة الأعجاز ،وكثر استعمالها كذلك فكأنها نقلت على تلك الهيئة ،سيما وفيها شمة من ملاحظة الأصل من جهة أن مسمياتها مركبة من الحروف المبسوطة ،فعليها مسحة من قولك : ضرب فعل ماض ،ومن حرف جر .

قوله : (يذكرني حاميم (٢)) يعني " حم عسق (٣) " ،لما فيها من قوله تعالى : " قل : لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى " (٤) ،وقد كان من القرابة ،أمره أبوه طلحة يوم الجمل أن يتقدم للقتال ،فنثر درعه بين رجليه ،وكان كلما حمل عليه رجل قال : نشدتك بحم حتى حمل عليه العبسي فقتله وأنشأ يقول :

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الأذى (٥) فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم (٦)

---

(١) في م ،خ ،ب : لسورة . (٢) الكشاف ١/ ١٧ .
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الشورى . (٤) من الآية ٢٣ من سورة الشورى .
(٥) في خ ،م ،ب : قليل الكرى .
(٦) والشعر لقاتل محمد بن طلحة وهو شريح بن أوفى العبسي كما في الكشاف وقيل : هو الأشتر النخعي ،وروى مكان " قليل الأذى " قليل القذى وهو مايتساقط في العين فيغمضها ،كني بقلته عن قلة النوم ،شككت جيب قميصه أي خرقت طوقه كناية عن طعنه بالرمح في صدره أو من خلفه حتى نفذ من صدره ، فسقط مطروحا على يديه ووجهه ،وعبر بالفم مبالغة في التنكيل ولأنه أول مايلقى الأرض من الوجه انظر الكامل في التاريخ ٣/ ١٢٧ ،ومشاهد الانصاف ١/ ١٧ ،وتنزيل الآيات ٥١١ ،والخصائص ٢/ ١٨١ ،والفائق ١/ ١٤٧ ،ومجمع الأمثال ١/ ١٢٣ ، والمقتضب ١/ ٢٣٨ ، ٣/ ٣٥٦ ،والمسائل الحلبية ٨١ ،واللسان مادة (ثور) . وتاريخ الطبري ٧/ ٥٥٢ .

فلما رآه علي رضي الله عنه استرجع وقال : ان كان لشابا صالحا ، ثم قعد كئيبا .

فقوله : " على غير شيء " متعلق " بشككت " أي خرقت يعني بلا سبب من الأسباب ، و " غير ان " استثناء من " شيء " لعمومه بالنفي ، أو بدل والفتح للبناء ، " والرمح شاجر " أي طاعن من شجرته بالرمح طعنته ، وقيل : أي مختلف ، فعلى الأول معناه لو ذكرني حم قبل أن أطعنه بالرمح لسلم ، وعلى الثاني قبل قيام الحرب وتردد الرماح .

قوله : (دعني من تمرتان) [1] في جواب هل لك تمرتان ؟ أو أعندك تمرتان ؟ أو أيكفيك تمرتان ؟ أو نحو ذلك .

قوله : (أحق الخيل بالركض المعار) هذه الجملة مفعول (وجدنا) على الحكاية ، والموجود في كتابهم [2] :

أعيروا خيلكم ثم اركضوها   *   أحق الخيل بالركض المعار

يقال : عار الفرس اذا جاء وذهب يمينا ويسارا من مرحه ونشاطه ، وأعرته أنا ، وقد يجعل من العارية وهو خطأ . ويروى المغار بالغين المعجمة أي المضمر من أغرت الحبل فتلته فتلا محكما .

---

(١) الكشاف ١ / ١٨

(٢) أي كتاب بني تميم . والركض : ضرب الراكب دابته برجله . والمعار بضم الميم كما بينه السعد ، ويروى بكسر الميم وهو الفرس الذي يحيد عن الطريق براكبه . والشاعر هو بشر بن أبي خازم الأسدي ، وقيل : هو الطرماح أنظر ديوان بشر بن أبي خازم ٧٨ ، وديوان الطرماح ١٤٨ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٨ ، وتنزيل الآيات ٢٩٢ ، والمفضليات ٢ / ١٤٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٢٣ ، ومجمع الأمثال ١ / ١٨٥ ، ١٨٦ ، وسر صناعة الاعراب ١ / ٢٣٦ والموشح ١٧٩ ، ونوادر أبي زيد ٣٢ ، وخزانة الأدب ٤ / ١٧ ، والمستقصى في أمثال العرب ١ / ٦٩ ، والكامل للمبرد ١ / ٢٦٩ ، والمقتضب ٤ / ١٠ ، وكتاب سيبويه ٢ / ٦٥ ، والتلويح في شرح الفصيح ١٦ ، وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ١٢٥ ، ومادة (عير) في القاموس المحيط ، والصحاح ، ولسان العرب .

قوله : (سمعت الناس[1]) بالرفع مبتدأ ، خبره (ينتجعون) من انتجعت فلانا أى أتيته أطلب معروفه ، والجملة مفعول سمعت على الحكاية ، (صيدح) اسم ناقة ذى الرمة ، (وبلال) بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، قاضى البصـــرة ، وكان جوادا فياضا ،

(تنادوا بالرحيل) هو بالرفع مبتدأ خبره (غدا) كقولك : القتال يوم الجمعة أى فيه ، وروى منصوبا على أنه مصدر أو مفعول به ، والظرف متعلق به ، وأما على رواية الجر/ فلا حكاية[2] ١٢٩ أ

قوله : (من زيدا[3]) يريدون : من زيد والرفع مقدر لاشتغال الآخر بالاعراب المحكى ،

قوله : (لا من أين)[4] أى دعنى من هذا السؤال واسألنى ما هو أهم ، فأدخل لا فى كلام السائل وحكاه على حاله ،

قوله : (فما وجه) يعنى قد ذكرت أنه يسوغ فى مثله الاعراب والحكاية ، وحـــق الاعراب التركيب ولا تركيب ، وحق الحكاية السكون ولا سكون ، فأجاب باحتمال الأمرين وبين وجهيهما ثم قال : لم لا يحمله على القسم بحذف الحرف ؟ فأجاب بأنه يستلزم اجتماع القسمين على مقسم عليه واحد ، وهو مستكره ،

قوله :

ألا رب من قلبى له الله ناصـح * ومن قلبه لى فى الظباء السوانح[5]

---

(١) ويروى البيت — وهو لذى الرمة — : رأيت الناس ،
انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ ، ومشاهد الانصاف ١/ ١٨ ، وتنزيل الآيات ٤٧٣ ، ومشاهد التنصيص ٣/ ٢٦٣ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٨٧ ، والبحر المحيط ١/ ٢٢٣ والمفردات فى غريب القرآن ٣٦٧ ، وسر صناعة الاعراب ١/ ٢٣٦ ، وأسرار العربية ٣٩٠ والموشح ١٧٨ ، ونوادر أبى زيد ٣٢ ، وشرح الأشمونى ٣/ ٦٤٤ ، والكامل للمبرد ١/ ٢٦٨ وأساس البلاغة مادة (نجع) ، والصحاح واللسان مادة (صدح)

(٢) انظر مشاهد الانصاف ١/ ١٩ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢٣ ، وسر صناعة الأعراب ١/ ٢٣٦ ، وتنزيل الآيات ٤٢٨ ،

(٣) الكشاف ١/ ١٩ ، (٤) كتاب سيبويه ٢/ ٦٧ ،

(٥) البيت لذى الرمة ، ويروى : ومن هو عندى فى الظباء السوانح ، انظر ديوان ذى الرمة ٦٦٤ ، وكتاب سيبويه ١/ ٢٧١ ، ٢/ ١٤٤ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٢٠ ،=

اعادة من الموصوف ههنا كاعادة الذي في قوله :

أما والذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أمره الأمر(١)

وهو من قبيل : الملك القرم وابن الهمام ، (٢)

وكون النكرة المعادة غير الأول بالذات ليس بلازم " وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله " (٣) .

والمعنى : أنا أحبه وأنصحه بقلبى ، وقلبه نافر عنى بمنزلة ظبى يعرض ويمر من سنح سانحا غرض ، أو قلبه أيضا ناصح لى بمنزلة الظبى الذى يمر من مياسرك الى ميامنك ، والعرب تتيمن به وتتشاءم بالبارح وهو الذى يمر من ميامنك الى مياسرك .

وهذا معنى قولهم : السانح ماولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما ، والبارح ماولاك مياسره ، وفى المثل : " من لى بالسانح بعد البارح " (٤)

= وتنزيل الآيات ٣٥٨ ، والمسائل الحلبية ٧٥ ، والأغفال ٥٣ واعراب القرآن ١/ ١٤٥ ، والمفصل ٢/ ١٩٢ .

(١) أى أنه أعاد الموصوف فى بيت ذى الرمة مبالغة فى اتصافه بكل واحدة من الصفتين استقلالا ، ووسط الواو بينهما لتوكيد ربطهما بالمنعوت وهو معنى قوله الاتى : وهو من قبيل الملك القرم وابن الهمام ، انظر حاشية السيد على الكشاف ٨٧ . أما قوله : أما والذى .. البيت فهو لأبى صخر الهذلى وبعده :

لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى

اليفين منها لا يروعهما الذعر

ويروى : وقد تركتنى أغبط الوحش أن أرى

قرينين منها لم يفزعهما نفر

أنظر : شرح أشعار الهذليين ٢/ ٩١٥ — ٩٥٧ ، ومفتاح العلوم ٢٢٥ ، والايضاح ١٩٢ ومشاهد الانصاف ٤٨ ، وتنزيل الآيات ٣٩٣ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٢/ ٢٤٩ ، ٣/ ٢٠٨ ، وللمرزوقى ٧٣٠ ، ١٦٣١ ، والموازنة ١٧٠ ، والأغانى ٥/ ١٥ ، والمفصل ١٦٨ ، والهمع ٢/ ٧٠ ، والخزانة ١/ ٥٥٤ ، والعينى ٣/ ٦٨ .

(٢) جزء من بيت وتمامه : الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم، القرم : الفحل المكرم الذى لا يحمل عليه سمى به السيد من الناس ، والمزدحم المعركة انظر الأمالى للمرتضى ١/ ١٤٦ ، والانصاف فى مسائل الخلاف ٢٥٥ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٣٢ ، والبحر المحيط ١/ ٤٠٢ ، والقرطبى ١/ ٣٢٨ ، والبيضاوى ١/ ٢٣ والخزانة ١/ ٢١٦ ، ٢/ ٣٣١ ، ٥٣٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٠٥ ، والمطول ١٩٧ وتنزيل الآيات ٥١٢ .

(٣) من الآية ٨٤ بسورة الزخرف .

(٤) يضرب مثلا فى اليأس عن الشىء . انظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٢٩ .

وقيل : بل يتشاءم بالسانح فالمعنى : أن قلبه لا ينصح لي .
ومن الغريب أن الخباء استعارة للنساء [١] ، والمعنى أن قلبه لي ناصح في حبهن [٢].

قوله : (فذاك أمانة الله) أوله :

اذا ما الخبز تأدمه بلحم [٣]

يعني أن هذا هو الذي يحق أن يسمى ثريدا ، لا ما هو المتعارف من الخبز المكسور في المرقة ونحوها .

قوله : (ان القرآن والقلم [٤]) حاصل كلامه أن مثل صاد [٥] وقاف [٦] ونون [٧] فيمن قرأ بالفتح ، لو جعل منصوبا على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لزم العدول عن الوجه المستحسن الى الوجه المستكره بلا ضرورة .

أما أولا فلأن المعنى على اشتراك القسمين على مقسم عليه واحد ، فلابد من حرف التشريك . لأن استعمال كلام آخر بدون حرف التشريك انما يجوز اذا كان قد انقضى قسمه بالأول على شيء كقولك : بالله لأفعلن كذا ، بالله لأخرجن اليوم .

وأما اذا كان القسم الأول [٨] متوجها الى ماتوجه اليه القسم الثاني كقولك : وحقك وحق زيد لأفعلن ، فجعل الواو الثانية للقسم دون العطف ليس بقوي ، لما فيه من قصد التشريك بلا دلالة عليه ، لكن لا يخفى أنه ليس بممتنع ، بل جائز على استكراه .

وأما ثانيا فلأنه قد تقع في مثل هذا الموقع الفاء وثم كقوله تعالى : " والصافات صفا فالزاجرات زجرا " [٩] ، وكقولك : بحياتي ثم حياتك لأفعلن ، من غير تفاوت

---

(١) استعارة تصريحية أصلية (٢) في ط : في حقهن .
(٣) تأدمه أي تصلحه وتهيئه للأكل . أنظر كتاب سيبويه ١/ ٤٣٤ ، ٢/ ١٤٤ ، والمفصل ١٩٣ ، واللسان مادة (أدم) ، وتنزيل الآيات ٣٦٤ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٢٠ .
(٤) الكشاف ١/ ٢٠
(٥) من الآية الأولى من سورة ص .
(٦) " " " " " ق .
(٧) " " " " " القلم .
(٨) كلمة " الأول " ساقطة من ط .
(٩) الآيتان الأولى والثانية من سورة الصافات .

الا بحسب ما تحمله الفاء وثم / من الزيادة على معنى واو العطف . ٢٩ ب

فكما أن الفاء وثم للعطف فكذا الواو ، لكن ما بعد الواو ههنا مجرور وما قبلهما منصوب فلا تكون عاطفة فتعين القسم ولزم الاستكراه فلم يصح الحمل على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم فلذا حمل على النصب باضمار اذكر .

ولم يعتد بالعطف على التوهم بمعنى أن هذا الاسم قد يقع مجرورا باضمار حرف القسم ، فجعل كأنه مجرور وعطف عليه المجرور وسيأتي له نظائر لأن مثل هذا أشد استكراها ، لأن التوهم انما يعتبر فيما هو شائع كثير الاستعمال (١) كزيادة الباء في خبر ليس مثلا ولا كذلك اضمار الجار فانه في نفسه ضعيف قليل فكيف يعطف على توهمه ؟ .

فان قيل : لو جعل الواو في مثل هذا الموضع للعطف للزم في مثل قوله تعالى : " والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى (٢) " العطف على معمولي عاملين مختلفين لأن الليل مجرور بالواو ، واذا منصوب بفعل القسم ، واذا لمجرد الوقت دون الاستقبال ، فلا يلزم تقييد فعل القسم وهو حال بزمان الاستقبال .

قلنا : أجاب المصنف عنه بأن الواو لما نابت عن الباء وفعل القسم بحيث لم يجز معها ذكر الفعل صارت كأنها هي العاملة نصبا وخفضا ، فكأن العطف على معمولي عامل واحد ، مثل : ان زيدا قائم وعمرا قاعد .

واعترض عليه بوجهين : أحدهما :ـ أن هذا ينتقض بما اذا صرح بحرف القسم وفعله كقوله تعالى : " فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس " (٣) ، فان الصبح معطوف على مجرور الباء . واذا تنفس على منصوب الفعل .

وثانيهما (٤) :ـ أنه يلزم تقييد القسم بالظرف ، وليس كذلك بل هو مطلق ، وجواب ابن الحاجب بجعل الظرف حالا من الليل (٥) لا يدفع الفساد ، لأن الحال أيضا قيد

---

(١) كلمة " الاستعمال " ساقطة من م ، خ ، ب .
(٢) الآيتان الأولى والثانية من سورة الليل .
(٣) الآيات ١٥ــ١٨ سورة التكوير . بالخنس أي بالكواكب الرواجع من خنس يخنس رجع وتنحى . الجوار بمعنى الجاريات . ويقال كنس الوحش يكنس استتر في كناسه أي في جحره ، والسيارات الكنس هي التي تختفي تحت ضوء الشمس . عسعس : أقبل أو أدبر . تنفس أضاء .
(٤) في خ : والثاني (٥) انظر الأمالي لابن الحاجب ٤ ب

للفصل بل يزيده لأن الحال في المعنى حكم على صاحبه فيلزم الاخبار بظرف الزمان عن غير الحدث مثل : الليل في وقت الغشيان .

والأوجه ماذكره صاحب اللباب أن اذا اسم بدل من الليل كما تقول : اذا يقوم زيد اذا يقعد عمرو ، بمعنى وقت قيام زيد وقت قعود عمرو ، أو متعلق بمضاف محذوف يقدر قبل الليل أى عظمة الليل ، وقيل : وغشيان الليل [1] ، وهو قليل الجدوى جدا [2] .

قوله : (انما أقسم بهذه الأشياء) [3] اشارة الى أنه ليس في العطف اجتماع القسمين بل قسم واحد ، والتعدد في المقسم به .

قوله : (والواو الأخيرة واو القسم) [4] حال عاملها (تقول) ، وقوله : (لايجوز) بدل وبيان لقوله : (لا يقوى) ، وقوله : (هذا) معناه هذا كما ذكرت أو خذ هذا ، ولو كان اشارة الى الواو بدلا أو صفة لكان المناسب هذه ليلائم الواو الأخيرة .

قوله : (حتى يستتب) أى يتم من التباب وهو الهلاك . قال في الأساس : " والتباب / يتبع التمام " [5] ٣٠أ

قوله : (ماأشرت اليه) من عدم الجمع بين القسمين .

قوله : (يعضده ماروا) [6] لأنه اذ كان منصوبا باضمار اذكر كما ذكرت لم يكن مقسما به .

قوله : (ووجهها ماذكرت) [7] ، اذ لا وجه لجعل الكسرة اعرابية وجعل الاسم منصرفا بناء على كونه ثلاثيا ساكن الوسط لأنه لابد حينئذ من التنوين .

قوله : (فصوملت) يعني لما كثر استعمال هذه الأسامي موقوفة ساكنة الأعجاز أشبهت المبنيات التي يجتمع في آخرها [8] ساكنان فمن قرأ صاد وقاف بالفتح حرك

---

(١) قال ذلك القطب الشيرازي في حاشيته على الكشاف الورقة ٦ اب .
(٢) لفظ " جدا " زائد في الأصل . (٣) الكشاف ١ / ٢٠ .
(٤) عبارة الكشاف ١ / ٢٠ : واو قسم . (٥) اساس البلاغة مادة (تبب) .
(٦) في تفسير الطبري ١ / ٢٠٧ قال ابن عباس : " هو قسم أقسم الله به " ، وهو من أسماء الله " .
(٧) الكشاف ١ / ٢١ . (٨) في خ : أواخرها .

بالفتح للخفة (كالآن) ، ومن قرأ بالكسر حرك بالكسر على ما هو أصل حركة الساكن كهؤلاء .

قوله : (هل تسوغ لي في المحكية) أي فيما ذكرت على طريق الحكاية من غير حركة في الآخر ، سواء كانت مما يتأتى فيه الاعراب كصاد وقاف وحم [1] وطاسين [2] ، أو يلزمها الحكاية مثل : ألمر [3] وكهيعص [4] . فان ذكر بعدها مجرور مع الواو مثل : " حم والكتاب المبين " [4] م فهي اما مجرورة باضمار حرف القسم أو منصوبة باضمار اذكر لا بحذف حرف الجر واعمال فعل القسم لئلا يلزم اجتماع القسمين .

وان لم يذكر جاز الجر باضمار الجار والنصب بحذفه كما في قوله صلى الله عليه وسلم [5] : " حم لا ينصرون " [6] .

وقد يخص هذا التسويغ بما يكون بعده قسم أو ما يصلح جوابا للقسم بخلاف مثل : " حم تنزيل الكتاب " [7] و " ألم ذلك الكتاب " [8] اذ لا قرينة على القسم .

ومنهم من عمم تعويلا على أن كثيرا منها قد عطف عليه قسم أو ذكر له جواب ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : أقسم الله بهذه الحروف ، وذكر في الفائق " أن حم لا ينصرون منصوب بفعل مضمر أي قولوا : حم ، كأنه قيل : ماذا يكون اذا قلنا : هذه الكلمة ؟ فقال : لا ينصرون ، أو قسم على حذف المضاف أي ورب حم ومنزل حم " [9] .

وعليه يحمل قول علي رضي الله عنه [10] : ياكهيعص وياحم عسق [11] قوله : (وان تقدر) عطف على (ذلك) .

---

(١) الآية الأولى في سورة غافر وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية والأحقاف .
(٢) من الآية الأولى من سورة النمل .
(٣) من الآية الأولى من سورة الرعد . (٤) الآية الأولى من سورة مريم .
(٤) م الآيتان الأولى والثانية من سورتي الزخرف والدخان .
(٥) في م ، خ ، ب : عليه السلام .
(٦) انظر النهاية في غريب الحديث ١ / ١٧١ ، والمستدرك للحاكم ٢ / ١٠٧
(٧) الآية الأولى وبعض الثانية من سور غافر والجاثية والأحقاف .
(٨) " " " " " سورة البقرة
(٩) انظر الفائق ١ / ١٤٧ .
(١٠) في خ ، ب : كرم الله وجهه .
(١١) انظر انوار التنزيل للبيضاوي ١ / ١٧ .

قوله : (كأن المعنى فى ذلك الاشعار) وجه الاشعار أن مثل هذه الأعلام لا تخلو عن ملاحظة ما للمعنى الأصلى كأصول الفقه مثلا اذا جعل علما ، فانه يشعر بكونه مبنى الأحكام الشرعية بملاحظة المعنى الاضافى واعتباره لظهور أن هذه التسمية لم تقع الا لذلك وهذا العلم كذلك .

فكذا تسمية السور بهذه الكلم العربية التى مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها تركب هذه الكلم ، وعليها دلالة هذه الكلم ، ولا أسماء لها الا هذه فى شىء من اللغات ، يشعر بأن السورة انما سميت بهذا الاسم بهذا الاعتبار كذلك ، وليس القرآن الا مجموع السور فيكون كذلك ، بخلاف ما اذا سمى بها رجل مثلا فانه لا اشعار لفقد المعنى الأصلى فيه .

قوله : (فما بالها [1]) يعنى لما كانت هذه الألفاظ التى جعلت أسماء السور هى الأسامى للحروف لا المسميات التى هى نفس الحروف ، وقاعدة الخط أن يكتب اللفظ على صورته / ، فلم خولفت هذه القاعدة ؟ ٣٠ ب

فضمير (بالها) للألفاظ ، وضمير (أساميها) للحروف ، وضمير (تهجيت) للحروف بمعنى عددت أو للكلم بمعنى عددت حروفها ، و (كيت وكيت) كناية عن الحروف مثل أ ب ت ، و (أن يلفظ) متعلق (باستمرت) أى بأن يقال : اكتب ألف باء تاء ، و (عمل) [2] جواب (لما) وقد أسند الى الجار والمجرور بعده .

قوله : (وأيضا) يعنى لما لم يشتبه فى هذه الفواتح أن المراد هو التلفظ بالأسامى أوثر فى الكتابة ما هو أوجز وأخف وهو صور المسميات ، ووجه عدم الاشتباه أمور ثلاثة :

الأول [3] : الشهرة .

الثانى : عدم الفائدة فى التلفظ بها من غير أن يكون على طريقة تعديد الحروف بأساميها .

الثالث : كون بعضها بحيث لا يخطر ببال أحد غير مورده الذى هو أى ذلك البعض عليه وهو أن يتلفظ بالاسم مثل : ص ، وق ، ون .

اذ لو كان ق مثلا أمرا لكتبت بالهاء . فقوله (وأن اللافظ) عطف على (شهرة)

---

(١) الكشاف ١ / ٢١ (٢) الكشاف ١ / ٢٢
(٣) فى خ : أولها .

فوقع أن المفتوحة مع اسمها وخبرها في موقع اسم ان المكسورة .

(بها) أي بتلك الفواتح والألفاظ المكتوبة . (غير متهجاة) أي غير معدد حروفها بأساميها كما مر في قوله : اذا تهجيت ضرب .

(لا يحلى بطائل) أي لا يحظى بفائدة ، في الصحاح : "لم يحل منه بطائل أي لم يستفد منه كثير(١) فائدة ، ولا يتكلم به الا مع الجحد " .
وفي الأساس : " ماحليت بطائل منه أي بفائدة "(٢) .

وقوله : (لا يخطر) صفة (مفرد) أو خبر آخر ، [وضمير (هو ومورده) للبعض المفرد ، وضمير (عليه) لما ، و (أمنت) خبر أن ، وقوله : (وقد اتفقت) جواب آخر](٣)

و (الخط) هو تصوير اللفظ بحروف هجائه . (والهجاء) في الأصل قراءة الحروف ، نقل الى تصويرها ، وقوله : (سنة) أي طريقة لا تخالف حتى نقل عن كثير من السلف حرمة المخالفة(٤) .

فان قلت : هل لسؤال الكتابة وجه اختصاص بكون هذه الألفاظ أسماء للسور ؟ قلت : نعم من جهة أن الاسم هو الأساس خاصة بخلاف ما اذا قصد تعديد الحروف فانه لا يبعد كتابتها بصورة الحروف .

قوله : (هكذا) أي على الهيئة التي وردت ، و (مسرودة) بدل وبيان لذلك ، و (قرع العصا) كناية عن التنبيه وأصله : " أن العصا قرعت لذى الحلم " ، وهو عامر بن الظرب وكان من حكماء العرب ، لا يعدل بفهمه فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئا ، فقال لبنيه : انه قد كبرت سني وعرض لي سهو ، فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي العصا(٥) . لا يعدل لا يستوي(٦) وقد أسند الي

---

(١) عبارة الصحاح مادة (حلا) : كبير فائدة .
(٢) أساس البلاغة مادة (طول) .
(٣) مابين المعقوفين ساقط من خ ، ط .
(٤) وقد حكم مالك رحمه الله بحرمة المخالفة فيما يقصد به البقاء كالمصاحف وأما مالا يقصد به الا التفهيم كألواح الصبيان وما يجرى مجراها فيجوز أن تكتب على قانون الخط . انظر حاشية السيد على الكشاف ص ٩٥ .
(٥) مجمع الأمثال ١ / ٣٤ ، والمستقصى في أمثال العرب ١ / ٤٠٨ .
(٦) في ط : لا يسوى .

الجار والمجرور ٠

قوله : (عن آخرهم) عبارة عن الشمول والاستيعاب ،والمعنى عجزا صادرا عن آخرهم لا متجاوزا عنه ،لأن معنى تجاوزعنه عفى ،وأما بمعنى التعدى والمجاوزة فهو متعد بنفسه ولا عن آخرهم الى أولهم لأنه من دون عن ٠

١٣١أ قوله : (مقدرتهم) بالضم / أى قدرتهم (دونه) أى عند هذا المتلو وفى أدنى مكان منه ،و(محجزتهم) بالفتح والكسرعجزهم ٠

(وزعماء الحوار) رؤساء المحاورة والمكالمة ، (وهم الحراص) (١)
باعادة المسند اليه ،لأن هذا بيان لكمال ارادتهم والأول لكمال قدرتهم (التساجل) التفاخر وأصله فى السجل (٢) وطلب المغالبة فيه ٠

و(المتهالك) على الشىء الحريص عليه جدا حتى كأنه يظهر من نفسه الهلال فيه ٠ و(افتن) فى خطبته جاء بالأفانين ٠

و(القصيد) جمع القصيدة من الشعر قال فى الأساس: أصله من القصيد وهو المخ السمين المكتنز الذى يتقصد أى يتكسر اذ استخرج من قصبته لسمنه فسدوه به كما يستعار السمين للكلام الجزل والغث للردىء منه ،وقيل : القصيد فعيل بمعنى مفعول لأنّ الشاعر قصده لتجويده وتنقيحه ٠ (٣)

و(الرجز) ضرب من الشعر ،و(شق الغبار) كناية عن الوصول والسبق ٠
قوله : (وهذا القول) مبتدأ ،خبره (بمنزل) ،والتنكير للتناهى والكمال ، و (من القوة) حال مقدم على المجرور ،والعامل معنى الفعل وسيجىء لهذا وجه آخر ٠

ووجه اختيار هذا القول أنه أوفق بلطائف القرآن واختصاراته مع بقاء الألفاظ على أصل وضعها ،وعدم النقل بوجه الاشتراك الى معان علمية ليس القصد فيها

---

(١) عبارة الكشاف ١ / ٢٢ : وهم الحراص ٠
(٢) وهو ملء الدلو ٠
(٣) لم أجد فى أساس البلاغة مادة (قصد) الا قوله : " تقصدت الرماح : تكسرت ، ورمح قصد : سريع الانكسار ،وشعر قصد ومقطع " ٠ أما ماذكره السعد فوجدته — مع تصرف يسير فى اللفظ — فى لسان العرب مادة (قصد) ٠

الا الى التمييز ،وأن التسمية بأسامي الحروف وحكاية الأعلام بعد الوقوع في التركيب من غير أن يظهر الاعراب خلاف الظاهر ،واطباق الأكثرين [١] عليه مأول كما سيأتي ، وبالجملة هو قول بلا دليل عليه .

قوله : (ماسموا) فاعل (لم تتجاوز) و (مجموع اسمين) مفعوله والجملة خبر المبتدأ .

قوله : (حقيقة) اشارة الى ماسيجيء من أنها تجعل أسماء للسور على سبيل المجاز لمشابهتها الأعلام .

قوله : (الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا) [٢] وذلك لأن الاسم ههنا جزء من المسمى والجزء لا يغاير الكل : لأن العشرة مثلا اسم لجميع الآحاد متناول لكل فرد مع أغياره ،فلو كان الواحد غيرها لصار غير نفسه لأنه من العشرة ولن تكون العشرة بدونه ،وكذا اليد من زيد ،وكون الاسم نفس المسمى فاسد سواء أريد أ س م أو مدلوله كزيد مثلا وسيجيء الجواب .

قوله : (فان اعترضت عليه) أي على ناصر الوجه الثاني (بأنه) أي القول بأنها أسماء السور مشهور مقبول [٣] عند الجمهور .

قوله : (غير مركبة) [٤]حال و (منثورة) بدل منه أو بيان ،أي فأما التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا حال كونها غير مركبة أي مجهولة اسما واحدا فلا استنكار فيها[٥] .

قوله : (وناهيك) أي حسبك وكافيك ،وأصله من النهي كأنه ينهاك عن طلب دليل سواه .

قوله : (والمؤلف غير المفرد) أي ليس عينه ضرورة تضاد وصفي التأليف والافراد[٦]

---

(١) في خ : اطباق الأكثر .   (٢) الكشاف ١/ ٢٢ .
(٣) فيخ : مقبول مشهور .
(٤) الكشاف ١/ ٢٣ .
(٥) قوله : " فيها " ساقط من ط .
(٦) في خ : الافراد والتأليف .

ولا يقدم فيه جعل الضمير اسما لشيء لا يصدق على الجزء مثلا ، وما ذكر/ من أن ٣١ب الواحد لو كان غير العشرة لكان غير نفسه غلط ظاهر ، لأن مغايرة الشيء للشيء لا يستلزم مغايرته لكل جزء من أجزائه .

فان قيل : هب أن جزء الشيء غيره ، لكنه متقدم عليه واسم الشيء متأخر عنه ، فجزء الشيء لا يكون اسمه لتنافي لازمهما .

أجيب : بأن المتقدم ذات الجزء لا وصف الاسمية والمتأخر وصف الاسمية فلا اشكال ، وفيه نظر لأنه انما وقع جزءا من حيث أنه اسم للسورة على ما هو المفروض ، فالأوجه منع لزوم تأخر الاسم بحسب الوجود العيني .

قوله : (مستقلا بوجه من الاغراب)(١) اى الاتيان بالغريب من غير نظر الى ما يليه من الكلام المعجز ، فالوجهان أعنى الثانى والثالث مع تباينهما يشتركان فى الاشارة الى أمارة الاعجاز ، الا أن الأول بالنسبة الى حال الكلام المنزل ، والثانى بالنسبة الى حال المتكلم به المنزل عليه على ما سيجيء فى قوله تعالى : " فأتوا بسورة من مثله "(٢) أن الضمير لما نزلنا أو لعبدنا .

واعترض(٣) بأنه يمكن تعلم النطق بأسامى الحروف ولو بسماع من صبى فى أقصر مدة ، فمن أين الاغراب وأمارة الاعجاز ؟ وأجيب بأنه وان أمكن لكن صدوره من الأمى الذى علم واشتهر أنه لم يتعلم شيئا قط مستغرب .

وقد يجاب بأن المستغرب ليس مجرد النطق بها بل مع الكيفية المشار اليها بقوله : (واعلم انك اذا تأملت) فانه مسوق جوابا عن هذا الاعتراض .

وفيه نظر : أما أولا : فلأن كلام المصنف صريح فى أن المستغرب نفس التكلم بأسامى الحروف مع اشتهار عدم الأخذ والتعلم .

وأما ثانيا : فلأن كون النطق بها مع الكيفية المخصوصة مما لا يتفطن له من

---

(١) الكشاف ١ / ٢٣ .

(٢) من الآية ٢٣ سورة البقرة .

(٣) والمعترض هو محمد بن مسعود السيرافى صاحب مختصر الكشاف انظر تقريب التفسير ص٧ .

حذاق العلماء الا واحد بعد واحد ،بل ربما لم يخطر الى زمن المصنف أو من أخذه هو منه ببال أحد من السامعين ،فكيف يكون أول مايقرع الأسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من أمارات الاعجاز .

وأما ثالثا : فلأن المقصود بيان وجه وقوع هذه الألفاظ بالنظر الى كل سورة لظهور أن ليس ذلك بالنظر الى جميع القرآن أول مايقرع الأسماع ،ولا بالنظر الى أول سورة (١) نزلت ،وما ذكرتم انما يظهر بعد نزول تمام القرآن والتأمل فى جميع الفواتح .

وأما رابعا : فلأن قوله : (واعلم) الى آخره مسوق لزيادة تحقيق وتقرير ونصرة وتقوية للوجه الثانى الذى استحسنه المصنف ألا ترى أنه جعل نتيجة المقدمات أن الله تعالى كأنه عدد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم تبكيتا والزاما وتنبيها على أن المتحدى به مؤلف منها لاغير ؟ .

قوله : (وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر سواء)(٢) يعنى أن عدد حروف المعجم تسعة وعشرون ،وعدد أساميها ثمانية وعشرون ،لأن الألف اسم للمدة التى هى أوسط حروف جاء (٣) والهمزة التى هى آخرها بدليل قولهم:/الألف ٣٢أ والللام للتعريف ، وألف الوصل تسقط فى الدرج وقولهم : الألف على ضربين : لينة ومتحركة ،فاللينة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة .

والهمزة اسم مستحدث لا أصلى ،وبالجملة انما يذكر فى التهجى الألف لا الهمزة ،فأربعة عشر نصف الأسامى على السوية وبالتحقيق .

بخلاف جعل الثلاثة نصف المستعلية التى هى سبعة فانه على التقريب ،وكذا فى حروف القلقلة ،وكلام المصنف واضح فى هذا المعنى بحيث لا ينبغى أن يذهب الوهم الى أن الأربعة عشر ليست نصف الأسامى لأن الحروف تسعة وعشرون ، وأن يقال : أن هذا أيضا على التقريب و (سواء) صفة (لأربعة عشر) لا (للنصف) .

أو أنه جعل الهمزة والألف تارة حرفا واحدا كما هو رأى البعض وتارة حرفين كما هو العرف.

---

(١) فى ط : أول كل سورة . (٢) الكشاف ١ / ٢٣ .
(٣) كلمة " جاء " ساقطة من الأصل .

وما يقال أنه عد الألف مما لم يتأت فيه تصوير الاسم بالمسمى فدل على أنه اسم للمدة خاصة لأنه اذا جعل اسما للهمزة فالمسمى صدر الاسم ، فقد عرفت جوابه بأن ذلك باعتبار أحد المعنيين وما ذكر ههنا فهو باعتبار الاشتراك .

ثم لا يخفى أن المراد بأجناس(١) الحروف المشتملة هذه الفواتح على أنصافها : أكثر الأجناس لأنها تشتمل من حروف الذلاقة وهي ستة أعني : " مر بنفل " على أربعة ، ومن المصمتة وهي ثلاثة وعشرون على عشرة ، وأن المراد نفس [هذه الأجناس المتميزة باعتبار المعنى الذي بين في موضحه ، فلا يقدم فيما ذكر كون](٢) هذه الأسامي والاصطلاحات مستحدثة لم تكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن ابتداء انشاء الكتاب .

قوله : (وما هي الألف واللام)(٣) راعى في هذا التعديد ترتيب السور ، وأما في تعديد السور التي في فواتحها الألف واللام فقد ذكر أولا ما هو " الم " وهي ستة ، ثم ما فيه مع ألم حرف آخر كالصاد في الأعراف والراء في الرعد ، ثم ما هو " الر " على الترتيب الا أنه قدم ابراهيم على هود ويوسف لما لا يخفى .

قوله : (ومن الشديدة نصفها)(٤) الألف ههنا اسم للهمزة لأن الشديدة هي حروف " أجدت طبقك " وليست(٥) المدة منها ، وأراد بالرخوة ماعدا الشديدة ، بحيث يتناول ما بين الشديدة والرخوة أعني حروف " لم يروعنا " خلاف ما في المفصل(٦) ، والمدة من الرخوة ولم يعد الألف في النصف المذكور منها .

فنبه بعدّ الألف في نصف الشديدة وبعدم عدّها في نصف الرخوة على أنه يريد بها الهمزة خاصة دون المدة ، وكأنه يدعي أن اسم الألف فيها(٧) أشهر ، والا فمن له بذلك ؟

قوله : (مكثورة) أي مغلوبة في الكثرة بالنسبة الى التي ذكرت من كاثرته فكثرته

---

(١) في الأصل : " بالأجناس " .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من م .
(٣) الكشاف ١ / ٢٣ .
(٤) نفسه ١ / ٢٤ .
(٥) في ط ، ب : وليس .
(٦) فقد ذكر في المفصل " أن الشديدة ما في قولك : أجدت طبقك ، والرخوة ماعداها وعدا ما في قولك : لم يروعنا ، وهي التي بين الشديدة والرخوة " .
المفصل شرح ابن يعيش ١٠ / ١٢٨ .
(٧) في الأصل : اسم الألف ههنا .

أى غلبته فى الكثرة فهو مكثور . وقوله : (فسبحان الذى) اعتراض بين الحال وعاملة أعنى (رأيت) .

وقوله :/ (فكأن الله) نتيجة لما ساقها من المقدمات . (والألفاظ التى منها ٣٢ ب تراكيب كلامهم) هى الحروف التى منها تتركب الكلم [١] .

و (تعديدها) قد وقع بالألفاظ التى هى أساميها . والمعنى أنه كأنه قد عدد عليهم بهذه الأسامى التى قامت مقام الكل جميع الحروف تبكيتا لهم على ما ذكر فى تقرير الوجه الثانى .

وقوله : (لما تكاثر وقوعهما فيها) أى فى تراكيب الكلم يعنى أنهما لما كانتا من بين ماهو الأكثر وقوعا فى التراكيب أكثر وقوعا مما عداهما (جاءتا متكررتين) لفظا ومعنى فى (معظم هذه الفواتح) أى العدد الكثير منها وهى ثلاث عشرة سورة . وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو معنى المعظم . وليس المراد بالمعظم الأكثر لأن ثلاثة عشر لا تكون الأكثر من تسعة وعشرين . والتكرر بالنظر الى المجموع ظاهر وأما بالنسبة الى كل واحد من جملة المعظم فكما تكرر الفاتحة فى كل ركعة من الصلاة .

قوله : (فهلا عددت) [٢] يعنى لما كان الغرض التبكيت والالزام والايقاظ وتحريك النظر فلم لم تعدد جملة الحروف بأساميها فى أول القرآن ؟

فأجاب بأن (اعادة التنبيه) اما مع تكرير اللفظ كما فى سورة البقرة وآل عمران مثلا . أو بدونه كما فى ألم وحم وغير ذلك (أوصل) أى أشد ايصالا الى الغرض (وأقر) أى أشد اقرارا أى تقريرا (له) أى للغرض .
وضمير (منها) للحروف . (وتجديده) للتنبيه .

وكذلك كل تكرير [٣] جاء فى القرآن فالغرض منه تمكين المعنى الذى كرر فى النفوس سواء كان مع اتحاد اللفظ أو بدونه .

قوله : (فهلا جاءت على وتيرة واحدة) . فان قيل : ان أراد الألفاظ التى عددت

---

(١) فى خ : التى تتركب منها الكلم .
(٢) الكشاف ١/ ٢٤
(٣) فى م : مكرر

بأساميها أعنى الحروف التى منها تراكيب الكلم فلا معنى لقوله : (ولم أختلفت أعداد حروفها) ، وان أراد الأسامى الملفوظة فى الفواتح فليس ص مثلا على حرف بل على ثلاثة أحرف وعلى هذا القياس .

قلنا : أراد الأول وأعداد الحروف بالنظر الى المجموع : فمنها ماهو حرف واحد ومنها ماهو أكثر وأكثر الى الخمسة كما أن الأبنية تكون [على حرف واحد كباء الجر والكاف ونحو ذلك ، أو حرفين [(١)]] كما فى الحروف والأسماء الغير متمكنة منتهيـــة الى خمسة .

قوله : (لم تتجاوز) [(٢)] خبر آخر (لأن) أو حال أى لم تتجاوز الأبنية حال كونها على خمسة أحرف .

قوله : (أية) أى أية طريقة سلكها الرجل ، وهو ظرف متعلق بحاصل اذ حصول [(٣)] التمييز أعم من أن يكون من جميع ماعداه أو بعضه ، أو يقول : التمييز عن الكل حاصل بالنظر الى الوضع العلمى ثم يعرض اشتباه باعتبار اشتراك الاسم .

قوله : (وكهيعص) ، ذكر أولا مايتعلق بألم ثم بألر ثم بالطاء والسين ثم بحم ثم ذكر ماهو على الانفراد .

قوله : (هذا مذهب الكوفيين) [(٤)] كأنه الرواية الصحيحة والا فقد روى أنهـــا عندهم فى السور كلها آيات ، وقيل : فى آل عمران ليست بآية [(٥)] .

وحيث يقول : تعد أو لم تعد ، كان / له فيه كلام ، وحين استبعد عد مثـــل ٣٣ أ
كلمة آية طلب له نظيرا فأورد ماهو كلمة وآية اتفاقا .

وكون القائلين بالتفصيل فى عد البعض آية دون البعض هم البعض لاينافـــى ماسبق من السؤال عن حال القراء والعلماء على الاطلاق بقوله : (مابالهم عدوا ؟)

قوله : (وقف التمام) الوقف قطع الكلمة عما بعدها ، فان كان على كلام مفيـــد

---

(١) مابين المعقوفين فى الأصل : على حرف وحرفين .
(٢) الكشاف ١/ ٢٥ . (٣) فى م ، ب : وحصول .
(٤) انظر البحر المحيط ١/ ٣٥ .
(٥) انظر حاشيته السيد على الكشاف ١٠٦ .

فحسن ،ثم ان كان لما بعده تعلق بما قبله فهو الكافى أو لا فهو التام .

وحصر استقلالها فيما اذا جعلت بمنزلة الأصوات أو بمجردها أخبار ابتداء ، لأنها على تقدير القسم تتعلق بالجواب فلا تستقل وكذا على تقدير كونها مع شىء مما بعدها خبر مبتدأ محذوف .

وأما النصب بتقدير اذكر أو القسم بتقدير جواب ليس فى الكلام ،فليس من مذهبه والمراد الحصر بالنسبة الى مايذهب(١) اليه من الوجوه .

قوله : (هل لهذه الفواتح محل من الاعراب ؟) (٢) ،بين أولا أن الألفاظ المتهجى بها أسماء لا حروف ،وأنها من قبيل المعربات دون المبنيات ،وأن سكون أواخرها لعدم الاعراب بالفعل بناء على عدم العامل ،ثم بين وجه وقوعها فواتح السور مع مايتعلق بذلك من الفروع والتفاصيل ،ثم تقوية الوجه الثانى وتحقيقه ،ثم حكمها فى كونها آية أو ليست بآية ،ثم حكمها فى الوقف عليها .

وها هو يذكر حكمها فى باب الاعراب وبيانه : أنها ان لم تجعل أسماء للسور ، بل مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب ، لعدم المقتضى والعامل كما فى قولنا : دار ، غلام ، جارية .

وان جعلت أسماء للسور ،وقد وقعت فى التركيب ،وتعذر الاعراب اللفظى لما فى أواخرها من السكون المحكى وجب أن يقدر لها اعراب يحتمل أن يكون الرفع على الابتداء ،أى المبتدئية أو الخبرية أو النصب أو الجر على حذف حرف القسم أو اضماره ،مع تفصيل سبقت الاشارة اليه .

واقتصر على الأشهر الأعرف والا فيحتمل النصب باضمار اذكر .
ثم كلامه ظاهر فى جريان الوجوه الثلاثة فى جميع السور وان كان فى بعضها ضعف ويحتمل التوزيع والتفصيل على ما مر نبذ من ذلك اعتمادا على فهم من شرع فى كتابه .

فان قلت : هذا السؤال من أصله مستدرك لأنه استفسار بعد البيان ،اذ قد

---

(١) فى م " من يذهب " وهو خطأ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٥ .

سبق أنها محرية نصبا أو جرا ، قلت : كان ذلك في قراءة صاد وقاف ونون بالفتح أو الكسر على تقدير (١) كونها أسماء للسور ، وأما الفواتح على الاطلاق فلم يذكر فيما سبق من بحث اعرابها الا تسويغ ارادة معنى القسم ، واضمار حرف القسم فيما عطف عليه مجرور مثل : " حم والكتاب " فلينظر .

قوله : (وقعت الاشارة) (٢) ، لما وقع هذا في جواب (لم صحت ؟) كان المعنى : لأنه وقعت الاشارة فلذا عطف عليه قوله : (ولأنه لما وصل) .

ويرد عليه أن ذلك قبل / الارسال كذلك ، والجواب : أنه لا يريد (بالمرسل ٣٣ب
اليه) النبي [صلى الله عليه وسلم] (٣) ، بل من وصل اليه اللفظ حال الايجاد ، بمنزلة السامع لكلامك .

وانما أخر القول بكونه اشارة الى الكتاب الموعود لأنه غير مختار عنده ، والا فمقتضى الترتيب أن يقال (٤) : لا نسلم أنه اشارة الى ألم ، ولو سلم فهو في حكم البعيد .

وظاهر قوله : (وعدوا) يشعر بأنه الموعود على لسان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام (٥) ، وقيل بقوله تعالى : " سنلقي عليك قولا ثقيلا " (٦) .

---

(١) كلمة " تقدير " ناقصة من ط .
(٢) الكشاف ١/ ٢٥ ، في تفسيره لقوله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " الآية ٢ من سورة البقرة .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٤) في خ : أن يقول .
(٥) في م ، خ ، ب : عليهما السلام .
(٦) من الآية ٥ بسورة المزمل ، وقائل ذلك هو ابن الأنباري حيث يقول : " يا محمد ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه اليك لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه " انا سنلقي عليك قولا ثقيلا " كان صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله اياه ، فلما أنزل عليه " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " دله على الوعد المتقدم . " انظر البسيط في التفسير للواحدي ١/ ٥٠ .

وانما جاز الاشارة بذلك مع أنه ليس بموجود فضلا عن المحسوس ، لأنه جعل بمنزلة المحسوس اشارة الى صدق الوعد ، ولأن لفظ ذلك شاع فيما هو من المعاني والمعقولات .

هذا ، والمحققون من النحاة على أن الاشارة الى المحسوس انما تلزم اذا لم يكن المشار اليه مذكورا معه صفة له حتى قالوا : انه اسم مبهم يجب ازالة ابهامه بالاشارة الحسية أو باسم جنس بعده .

وانما جاز الاخبار عن السورة بالكتاب ، لأنه أريد بها الكتاب ، أو أريد بالكتاب البعض منه (١) مجازا (٢) .

وفي المفتاح : أن القصد فيه الى تعظيم المشار اليه وبعد درجته (٣) ، الا أن ماذكره المصنف أقرب الى الحقيقة وأجرى في المواد . (٤)

قوله : (فان جعلته) (٥) أى الكتاب (خبر ذلك ، كان ذلك في معنى الكتاب ومسمى ذلك مسمى الكتاب) ، فجاز اجراء حكم الكتاب وهو خبر على ذلك وهو مبتدأ كما أجرى حكم الخبر على المبتدأ في التأنيث في قولهم : (من كانت أمك) ، فان الضمير عائد الى لفظ من وهو مذكر لكنه أنث بالنظر الى أمك .

وهذا مايقال من أن مَنْ يذكر أى نظرا الى اللفظ ويؤنث أى نظرا الى ماهو عبارة عنه ، فلا يرد الاعتراض (٦) بأن من اذا كان عبارة عن مؤنث جاز أن يذكر وان يؤنث من غير نظر الى الخبر

على أنه لا تضايق في الاعتبارات ويكفي في التمثيل الصحة في الجملة .

قوله : (نبئت نعما) نعما اسم امرأة صرف لكونه ثلاثيا ساكن الوسط ، وروى نعمى وعتب عليه غضب ، وزرى عاب والمعنى لذلك الشخص أو الانسان العاتب وقبله :

---

(١) " منه " ناقص من م ، خ ، ب .
(٢) أى مجازا مرسلا علاقته الكلية .
(٣) انظر مفتاح العلوم ص٩٨ . (٤) في م ب : في المراد .
(٥) الكشاف ١ / ٢٦ .
(٦) ذهب ابن المنير الاسكندري في الانتصاف ١ / ٢٥ الى أن الزمخشري لو مثل بقول القائل : حصان كانت دابتك ، لكان أقوم وأسلم لما في لفظ " من " من الابهام الصالح للمذكر والمؤنث .

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

لقد أرانى ونعما لاهيين بها * والدهر والعيش(1) لم يهمم بإمرار(2)

قوله : (هو الكتاب الكامل) ، يعنى أن اللام للجنس لعدم العهد ، ومثله يفيد الحصر(3) فحمل على الكمال ليصح الحصر . ثم بين وجه التعبير عن حصر الكامل(4) بحصر الجنس بأن الناقص كأنه خارج عن الجنس بقوله : (وأنه الذى يستأهل) أى يستحق (أن يسمى كتابا) .

ثم أوضح ذلك زيادة ايضاح حيث وقع التصريح بكلية الجنس للكامل فقال : (وكما قال : هم القوم كل القوم) فانه صريح فى أنهم تمام جنس القوم بحيث لا يشذ منه فرد مما يطلق عليه القوم .

وأوله : وان الذى حانت بفلج دماؤهم(5)

---

(1) فى خ : والعيش والدهر .

(2) الأبيات أرقام ١ ، ٦ ، ١٠ من معلقة النابغة الذبيانى ، والعوج عطف رأس البعير بالزمام ، والدمنة : ماتلبد من البعر والقمامة . والنؤى : الحاجز حول الخباء لئلا يدخله الماء . ويروى " بائتين بها " وكذلك " لابثين معا " بدل " لاهيين بها " ، و " تبيت " بدل " نبثت " . وزارية " بدل " عاتبة " .
أنظر مشاهد الانصاف ٢٦/١ ، وديوان النابغة الذبيانى ص٣٧ الأبيات ١ ، ٧ ، ١١ وشرح المعلقات السبع ١٧٢ ، وحاشية السيد على الكشاف ١١١ ، وتنزيل الآيات ٣٩٢ ، وأساس البلاغة مادة (زرى) ، وجمهرة أشعار العرب ١١٢ .

(3) قال ابن جنى : ان من عادتهم أن يوقعوا على الشىء الذى يختصونه بالمدح اسم الجنس ، وقال السيد الشريف : أدخل (الزمخشرى) ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ايذانا بأن التركيب يفيد الحصر بناء على أن اللام للجنس حيث لا عهد . فتوح الغيب ٣٧/١ ، وحاشية السيد على الكشاف ١١١ .

(4) فى م ، خ ، ب : الكامل عليه .

(5) والبيت للأشهب بن رميلة وقيل لحريث بن محفض ، " والذى " أصله الذين فحذفت النون تخفيفا ، ويروى : وان الألى . والمراد بدمائهم . نفوسهم . أنظر : مشاهد الانصاف ٢٦/١ ، وتنزيل الآيات ٣٦٥ وشرح التلخيص ٤٩٢/١ والعمدة ٢٧٢/٢ ، وكتاب سيبويه ٩٦/١ ، والمقتضب ١٤٦/٤ ، والمفصل ٦٨ . وهمع الهوامع ٤٩/١ ، والخزانة ٣٦٨/١ ، والعينى ٤٨٢/١ ، ٤٧٣/٣ ، والأمالى الشجرية ٣٠٧/٢ ، والبيان والتبيين ٢٤٢/٣ ، وسمط اللآلى ٣٥/١ .

أى وان الذى حانت أى حلكت ، وفلج اسم موضع قريب من البصرة .

(والاستئهال) بالمعنى الذى ذكر مذكور فى الأساس[1] ، وأما فى سائر كتب اللغة فمعناه / أخذ الاهالة وأكلها . ٣٤/أ

قوله : (وتأليف هذا ظاهر)[2] وهو أن " ألم " ان كان اسما للسورة فهو مبتدأ أى : تنزيل ألم تنزيل الكتاب ، وان كان على سبيل التحديد فتنزيل الكتاب مبتدأ خبره لا ريب فيه ، أو هدى ولا ريب فيه اعتراض .

قوله : (مصدر رابنى) يعنى فى الأصل والا فهو فى مثل هذه المواضع بمعنى الشك والريبة ، وحقيقة المصدر من المبنى للمفعول .

قوله : (دع ما يريبك الى مالا يريبك) الرواية فى الكتب المشهورة " فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة "[3] ومعناه ظاهر ، وأما على ما رواه المصنف فلما كان ظاهر الشك والريبة واحدا ، احتاج الى ما يجعل الكلام مفيدا ، وجعل المصدر بمعنى المفعول لأنه اللائق بالمقام كريب الزمان بمعنى الفاعل .

والمعنى أن كون الأمر مشكوكا فيه علامته قلق النفس فاذا وجدت الأمر تقلق له النفس فدعه لأن ذلك من علامات كونه مشكوكا فيه ، كما أن الطمأنينة من علامات كونه صدقا .

قوله : (حاقف) أى ملتو منثن للنوم ، (لا يريبه) أى لا يقلقه ولا يحركه (أحد) وكان ذلك فى الاحرام[4] .

قوله : (ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه) قيل : لا زائدة ، وليس بشىء ، ولا ريب لمن نظر فى السؤال أن فاعل نفى ضمير الريب [أى ما نفى الريب][5] بمعنى أن أحدا

= والمحتسب ١/١٨٥ ، والحجة ١/١١٢ ، وروح المعانى للألوسى ١/٤٨٦ ، وتفسير القرطبى ١/١٨٤ ، والبحر المحيط ١/٨٦ ، والصحاح مادتى (فلج ولذى) ، واللسان كذلك .

(١) ففى أساس البلاغة مادة (أهل) : " فلان أهل لكذا ، وقد استأهل لذلك ، وهو مستأهل له " .
(٢) الكشاف ١/٢٧ .

(٣) انظر صحيح الترمذى ٩/٣٢١ ، والمستدرك للحاكم ٢/١٣ ، ٤/٩٩ .

(٤) انظر النهاية فى غريب الحديث ١/٤١٣ ، ٢/٢٨٧ .

(٥) ما بين المعقوفين ناقص من خ .

لا يرتاب فيه على ما هو سبيل الاستغراق .

بل بمعنى أنه عند التأمل والنظر الصحيح ليس محلا للريب ومظنة لثبوته أى ليس مما ينبغى ويناسب أن يرتاب فيه كما اذا انكر الرجل أمرا فتقول له : ليس هذا محلا[١] للانكار بمعنى أنه لا ينبغى أن تنكر فيه وحينئذ لا يرد مايقال : أنه قد تحقق فيه الريب فكيف يصح أنه ليس مظنة للريب ؟ .

هذا ولكن فى قوله : (وانما المنفى كونه متعلقا للريب) بعض نبوة من اسناد نفى الى ضمير الريب[٢] ، ومعنى قوله : (أن يقع فيه) أن يطعن فى القرآن أو يقع فى الارتياب .

قوله : (فما أبعد) [٣] ما نافية لا تعجبية أى لم ينف ثبوت الريب منهم بل أرشدهم الى ازالة ماثبت لهم من الريب .

قوله : (فهلا قدم الظرف) يعنى لما لم يكن القصد الى نفى الريب بل الى نفى كونه متعلقا للريب كان ذكر الظرف الذى هو متعلق الريب أهم فكان ينبغى أن يقدم .

فأجاب بأنه لو قدم لأفاد معنى هو بعيد عن المرام غير لائق بالمقام [وهو أن الريب انما هو فى كتاب آخر لا فى هذا الكتاب وهذا المعنى غير لائق بالمقام][٤] سواء استقام معنى[٥] أو لم يستقم ، لأن المقصود نفى كونه محلا للريب واثبات كونه حقا وصدقا ، لا نفى الريب عنه واثباته فى كتاب آخر .

وهذا غير مايقال[٦] : أنه لو قدم الظرف لأفاد ثبوت الريب فى سائر الكتب السماوية وهو باطل ، فليتأمل .

قوله : (ولو أولى الظرف) الأحسن رفع الظرف أى لو جعل الظرف يلى حرف النفى أى يعقبه بلا فصل كما أن ايلاء الريب حرف النفى معناه ذلك .

---

(١) فى ب : هذا ليس محلا .
(٢) لأن النفى حينئذ يتوجه الى الصلة أو التفسير فلا يقابله قوله : وانما المنفى كونه متعلقا للريب ، بل الواجب أن يقال : وانما نفى الريب لكذا أو على معنى كذا . انظر حاشية السيد الشريف على الكشاف ١١٣ . (٣) الكشاف ١ / ٢٧ .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٥) كلمة " معنى " زائدة فى خ .
(٦) مفتاح العلوم ١٢٦ .

قوله : (لافيه) حق العبارة " أن كتابا آخر فيه الريب لا اياه " أى القرآن ،أو " فى كتاب آخر الريب لا فيه " فليتأمل (١) .

---

(١) ولكن السيد الشريف يرى " أن قول الزمخشرى (ان كتابا آخر فيه الريب لافيه) عبارة جزلة لاغبار عليها ،فالريب مبتدأ قدم عليه خبره للتخصيص ،، وقوله : لافيه عطف على ذلك الخبر المقدم ،وتصريح بما يتضمنه التخصيص من النفى تأكيدا له ،والمجموع خبر لأن ، " .

ويستطرد السيد قائلا : " وقد روعى فيها لطيفة هى أن التخصيص يتألف من اثبات ونفى فيصرح اما بهما أو بأحدهما على مايقتضيه الحال . ونظم التنزيل على تقدير التقديم أعنى : " لا فيه ريب " يقتضى تخصيصا صرح فيه بالنفى وحده، لكن بعده عن المرام ونبوه عن مناسبة المقام انما هو للارتياب فى غيره فلذلك اختار العلامة التصريح به مع المحافظة على طريق التقديم واستبقاء الظرف على صورته واستدرك بالعطف مافاته من كون النفى مصرحا به فى ذلك النظم " .

وأشار السيد بعد ذلك الى رأى السعد من أجل أن يفنده فقال : " وقيل :حق العبارة أن كتابا آخر فيه الريب لا اياه أى القرآن أو أن فى كتاب آخر الريب لا فيه .

وكلاهما مردود أما الثانى فلفوات بقاء الظرف على هيئته فى النظم المقدر ،وأما الأول فلأن قوله : فيه الريب ان كان جملة مفيدة للحصر كان المعنى أن الريب مخصوص بكتاب آخر لا بالقرآن ،وان كان محمولا على أن الريب فاعل " للظرف لم يوافق النظم فى افادة التخصيص بالتقديم وكان تعريف الريب مستدركا .

وكأن هذا القائل (؟؟) توهم فى عبارة الكتاب أن الظرف خبر أن والريب فاعله فلم يجز عنده أن يعطف عليه قوله : لا فيه لخلوه عن ضمير المخبر عنه فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير " .

انظر حاشية السيد على الكشاف ١١٤ .

هكذا يبدو واضحا تحامل السيد على السعد وان هذا الذى زعم السيد أن السعد توهمه هو الحق لأن السيد الشريف بنى وجهة نظره على أساس مراعاة النظم المقدر فى القرآن وهو تقديم الظرف للاختصاص .

ومراعاة الاختصاص فى هذا المقام غير مرادة على الاطلاق ،والا فالمقدر فى حكم المذكور .

واذا كان السيد قد اعترف بأن المقام ليس للاختصاص فكيف جعل فواته أى الاختصاص فى النظم المقدر هو الأساس فى رفض ماذهب اليه السعد ؟ على أن موافقة النظم المعنى به أولى بالاعتبار وأجدر بالترجيح من موافقة النظم المقدر .

قوله : (أن المشهورة توجب الاستغراق) (١) اعلم ان النكرة فى الاثبات للبعضية ،وتحتمل الاستغراق احتمالا مرجوحا كما فى قوله تعالى :
"علمت نفس "(٢) أي كل نفس (٣) .

ولما كان قصدهم الى جعل النفى والاثبات فى طرفى النقيض جعلوا النكرة فى النفى للاستغراق ويحتمل عدمه احتمالا مرجوحا ،كما في قولك : مارجل فى الدار/ بل رجلان ،بجعل النفي عائدا الى وصف الفردية خصوصا . ٣٤ب

وأما اذا كانت مع من الاستغراقية ،لفظا نحو: مامن رجل فى الدار ،أو تقديرا نحو: لا رجل فى الدار ، فهى نص فى الاستغراق لا يحتمل عدمه لكونه لنفى الجنس بالكلية ،وبهذا يسقط مايقال : أن مدلول النكرة فرد مبهم ونفيه مع نفى الماهية متساويان .

قوله: (وهو الدلالة الموصلة الى البغية) (٤) أى المطلوب واستدل على اعتبار الوصول الى المطلوب في مفهوم الهدى بثلاثة أوجه :

الأول : أن الضلالة تقع في مقابلته استعمالا ،وعدم الوصول الى المطلوب معتبر فى الضلالة ،فيجب أن يعتبر الوصول فى مفهوم الهدى ليصح التقابل .

الثانى : أن الانسان يمدح بكونه مهديا كما يمدح بكونه مهتديا ،ومعلوم أن من دل على المطلوب لم يستحق المدح مالم يصل ،بل لو لم يصل لربما استحق الذم .

الثالث : أن اهتدى مطاوع هدى ،يقال : هديته فاهتدى مثل : جمعته فاجتمع، والمطاوعة حصول الأثر عن تعلق الفعل المتعدى بمفعوله ،فالمطاوع لا يخالف الأصل الا فى أنه تأثر والأصل تأثير والوصول معتبر (٥) فى الاهتداء فكذا في الهدى .

فقوله : (بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته) فى معنى : لأن الضلالة تقع فى مقابلته فلذا عطف عليه (ويقال) بمعنى : ولأنه يقال ،وقوله : (ولأن اهتدى) .

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٧ ،والبحر المحيط ١/ ٣٦ ،وانوار التنزيل ١/ ١٩ .
(٢) من الآية ١٤ من سورة التكوير ،و٥ من سورة الانفطار .
(٣) فى م ،خ ،ب : بمعنى كل نفس .
(٤) الكشاف ١/ ٢٨ . (٥) فى خ : يعتبر .

واعترض(١) على الأول بأن المقابل بالضلالة هو الهدى بمعنى الاهتداء علـى ماذكر فى كتب اللغة ،ورد بأنه لا فرق الا باللزوم والتعدى لأنه مطاوعه .

وعلى الثانى بأن التمكن من الوصول الى المطلوب أيضا فضيلة تستحق المدح ، وبأن المراد بالمهدى فى مقام المدح هو المنتفع بالهداية حتى ان من لم ينتفع ولـم يهتد فكأنه لم تحصل له الهداية . ورد بأن التمكن (٢) مع عدم الوصول نقيصـة ، وبأن الأصل فى الاطلاق الحقيقة .

وعلى الثالث بأنه منقوض بمثل : أمرته فلم يأتمر ،ورد بعد تسليم المطاوعة بأنـه نادر ،والحكم انما هو على الغالب ،وبأن حقيقة الأمر لا تحصل الا بالائتمار مالـم يمنع مانع ،وههنا لزوم الجبر وسقوط الاختيار مانع .

وعورضت الوجوه بقوله تعالى : " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى علـى الهدى "(٣) ،وأجيب بأنه مجاز عن افاضة أسباب الهداية (٤) ورد بأن الأصـل الحقيقة .

قوله : (فلم قيل هدى للمتقين ؟) (٥) حاصل السؤال أن فى هدى للمتقين على ماذكر ايصال الواصل وتحصيل الحاصل .

وحاصل الجواب صرف الهدى أو المتقين عن الظاهر بأن يراد بالهدى زيادة الهدى الى مطالب أخر والتثبيت على ماكان حاصلا ،أو بالمتقين الصائرون الـى التقوى .

فان قيل : هذا فى الطلب مثل : " اهدنا الصراط المستقيم "(٦) وأعزك اللـه ،

---

(١) من المعترضين محمد بن مسعود السيرافى حيث قال فى مختصر الكشاف : وفى الوجوه نظر لأن الأول معارض بقوله عز اسمه : " فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " ،والثالث بقولهم : أمرته فلم يأتمر ،وأما الثانى فجوابه أن المدح حاصل بالتمكين من الاستدلال وان لم يوصل الى البغية .

انظر تقريب التفسير ٨ .

(٢) فى ط زيادة : " من الوصول "

(٣) من الآية ١٧ من سورة فصلت .

(٤) أى مجاز مرسل علاقتـه السببية لأن افاضـة أسباب الهداية سبـب للهدايـة .

(٥) الكشاف ١ / ٢٨ (٦) الآية ٦ من سورة الفاتحة

ظاهر لأنه للاستقبال ،وأما في الاخبار مثل : هذا هدى أو هاد للمتقي والمهتدى ، فيجوز أن تكون تلك الهداية التي بها حصل الاهتداء من غير تجوز .

قلنا : المتبادر الى / الفهم من تعلق الفعل بشيء هو اتصاف ذلك المتعلق ١٢٥ أ
بما عبر به عنه عند اعتبار التعلق ، حتى يقال : فيه شفاء للمريض ،ومرض للصحيح ، وهدى للضال ،واضلال للمهتدى ،ولو عكس لم يصح الا بتأويل ،واذا اريد الهداية التي بها حصل هذا الاهتداء ، فانما يعبر عن المتعلق بما يكون عليه (١) حال اعتبار تعلق الهداية فيقال : هداية زيد مثلا أو الضال .

ولهذا نقول : ان المعتبر في المجاز باعتبار المآل والمشارفة حال اعتبار الحكم ،لا حال الحكم ،فعصير الخمر مجاز وان صار عند الاخبار خمرا ،لأنه حال تعلق العصر به ليس بخمر ،وكذا عصر العصير أيضا مجاز [وان صار عند الاخبار خمرا] (٢) وانما الحقيقة عصر العنب .

ثم هذا النوع من المجاز قد يكون بطريق الحصول ،بأن يحصل الاتصاف بالمعنى الحقيقي عقيب تعلق الحكم بلا تراخ كقتل القتيل ومرض المريض .

وقد يكون بطريق المصير ،بأن يكون شأنه المصير الى ذلك ولو بعد حين كما في قوله تعالى : " ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " (٣) فان اتصاف المولود بذلك متراخ عن تعلق الولادة به ،ولذا (٤) فصله عن الأمثلة السابقة .

قوله : (فهلا قيل) (٥) تفريع على الوجه الثاني واستكشاف عن سبب العدول عن الحقيقة الى المجاز ،والجواب أن السبب أمران : أحدهما : الاختصار .
وثانيهما : تصدير السورة الشريفة بذكر أولياء الله تعالى (٦) نظرا الى ظاهر لفظ المتقين .

والا فالضال وان كان مصيره الى التقوى لا يكون من أولياء الله تعالى الا على

---

(١) قوله "عليه" ناقص من الأصل .
(٢) مابين المعقوفين ناقص من م ،خ ،ب .
(٣) من الآية ٢٧ بسورة نوح . (٤) في ط ،م : ولهذا .
(٥) الكشاف ١ / ٢٨ .
(٦) فالمقصود رعاية حسن المطلع والاحتراز عن لفظ يوحش السامعين فضلا عن المزية الحاصلة من الاختصار الذي هو من باب ايجاز القصر .

قول من يجعل السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه ، وهي مسألة موافاة الأشعري .(١)

فقوله : (على الطريقة التي ذكرنا) يعني طريقة المشارفة ، وقوله : (وأيضا فقد جعل) عطف على (فاختصر) .

وتسمية البقرة وآل عمران (بالزهراوين) أي المنيرتين مما نطق به الحديث(٢) وجعل البقرة (سنام القرآن) لأنها أعظم سورة وأرفعها كالسنام من أعضاء الابل(٣) ، وأول المثاني ، لأنها أول السبع المثاني التي تثنى فيها صفات المؤمنين والكفار والقصص وغير ذلك وهي البقرة وآل عمران وسورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس .

وتذكير لفظ أول بالنظر الى أن موصوفه(٤) المَثْنى أي مَثْنَى هو أول المثاني ، بخلاف أولى الزهراوين .

قوله : (من وجاها)(٥) أي بسبب وجع في حافرها ، وضمير (أصابه) الى الآخر (للفرس) أو لواحد من (الفرس والدابة)(٦) .

قوله : (واختلف في الصغائر) أنه هل يجب في المتقي اجتنابها ؟(٧) ، وقيل : الصحيح أنه أي المتقي لا يتناولها أي لا يعتبر فيه اجتناب الصغائر ، وقيل : معناه

---

(١) انظر حاشية السيد على الكشاف ١١٩ . والأشعري هو أبو الحسن على بن اسماعيل صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب أهل السنة واليه تنسب الطائفة الأشعرية ، توفي سنة ٣٢٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ٢/٤٤٦ .

(٢) في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران : فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما " انظر صحيح مسلم ٦/٨٩

(٣) ففي قوله : سنام القرآن . استعارة مكنية وتخييلية

(٤) في ب : الى أن الموصوف .

(٥) الكشاف ١/٢٨

(٦) في خ زيادة : " وضمير يصيبه للحافر "

(٧) انظر التفسير الكبير للرازي ١/١٦٥ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/٢٠ .

من يجتنب الكبائر ، لا من يجتنب مايستحق به العقوبة من الكبائر والصغائر / لكـــن ٣٥ب
يتناول الاصرار على الصغائر قطعا لأنه كبيرة ، لما تقرر من أنه لا صغيرة مع الاصرار
كما لا كبيرة مع الاستغفار .

قوله : (وقيل : يطلق) (١) اشارة الى الفرق بين المتقى والمؤمن عند من يشترط في الايمان الأعمال ، وأما عند من لا يشترط فالفرق ظاهر .

قوله : (والعامل فيه معنى الاشارة) كأنه قيل ، أشير اليه حال كونه هاديـا . فيكون هو في التحقيق حالا عن الضمير في اليه ويتحد العامل في الحال وذى الحال باعتبار أن المنصوب المحل هو المجرور وأن العمل في الجار والمجرور عمل فـــي المجرور على ماسبق . (٢)

وما نقل عن المصنف في قوله تعالى : " هذا بعلى شيخا " (٣) أن التقدير أنبه عليه شيخا أو أشير اليه شيخا : تحقيق وتوضيح لما في حرف التنبيه أو اسم الاشـارة من معنى الفعل . (٤)

لا ذهاب الى أن العامل محذوف حتى يعترض عليه بأن العامل حينئذ لا يكون مافي حرف التنبيه أو اسم الاشارة من معنى الفعل .

قوله : (أو الظرف) أى العامل فيه هو (٥) الظرف الذى هو خبر لا ريب فيكون حالا من مجرور فيه ، والغرض بيان المحتملات بحسب ظاهر اللفظ ، والا فهذا مـن جهة المعنى ليس بسديد . (٦)

قوله : (والذى هو أرسخ) يعنى أن الأدخل في البلاغة والأوفق برعاية جانب

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩
(٢) عند اعراب "غير المغضوب عليهم" ورقة ٢٥ب
(٣) من الآية ٧٢ بسورة هود . (٤) فتوح الغيب ١ / ٤٢
(٥) قوله "هو" ناقص من الأصل ومن خ .
(٦) ولست مع السعد في أن هذا الاعراب من جهة المعنى ليس بسديد لأنه ــ كما يقول السيد الشريف ــ "لا وجه لبيان محتملات الألفاظ مع قطع النظر عن سداد المعنى ، بل المراد أن العامل في الحال هو حاصل معنى الظرف اعنى انتفاء حصول الريب كأنه قيل : لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا .
على أنه قيد للنفى لا للمنفى حتى يرد أن القيد والمقيد متنافيان ظاهرا ، وأن النفى حينئذ متوجه الى القيد فيفسد المعنى " .
انظر حاشية السيد على الكشاف ١٢١ .

المعنى واعتبار الدلالات العقلية التى عليها مبنى البلاغة أن تعرض عن هذه المحال من الاعراب التى هى مجرد محتملات اللفظ (صفحا) أى جانبا أو اعراضا على أنه ظرف أو مصدر .

والمقصود الاعراض فى جملة ذلك وتفاصيله والا فالذى اختاره بعض ماسلف[1] .
وقوله : (هكذا) أى هذا النوع من التناسق .

قوله : (على أنه الكلام المتحدى به) أما على تقدير كونها[2] للتعديد والايقاظ فظاهر ، وأما على تقدير كونها أسماء للسور فلما سبق من أن ذلك اشعار بأن القرآن ليس الا كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ .

(ثم لم تخل) عطف على (جئ بها متناسقة) و (كل واحدة) متعلق بالنفى أى اشتمل كل .

قوله : (ففى الأول الحذف) أى حذف المبتدأ (والرمز الى الغرض) الذى هو الاعجاز على ماقررنا .[3]

قوله : (حسنا غير تام)[4] ، فان قيل : اذا كان الذين يؤمنون مدحا منصوبا أو مرفوعا فهى جملة مستقلة لا تعلق لها بما قبلها من جهة الاعراب ، فينبغى أن يكون الوقف على المتقين تاما .

قلنا : هو فى المعنى وصف لما قبله فكأنه تابع له فى الاعراب قال ابو على : اذا ذكرت صفات للمدح أو للذم ، وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى نحو ذلك قطعا .[5]

وللتنبيه على شدة هذا الاتصال يلتزمون حذف الفعل أو المبتدأ فى النصب أو الرفع على المدح ليكون فى صورة متعلق من متعلقات ماقبله .

---

(١) أى المقصود الاعراض عن اعتبار مجموعها لا عن كل واحد منها فان بعضها مقرر على حاله فى هذا الوجه الذى اختاره .
(٢) فى م ، ب : كونه (٣) فى ب : ماذكرنا .
(٤) فى تفسيره لقوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب .. " الآية ٣ من سورة البقرة . الكشاف ١/٢٩ .
(٥) انظر التبيان فى البيان ١٩ أ

نعم لو اعترض بأنه : اذا كان " الذين " مبتدأ خبره " أولئك على هدى " ينبغى أن يكون الوقف غير تام ، لأن المصنف وان سماه ههنا مقتطعا فقد ذكر فيما سيجيء أن هذا الكلام سبيله الاستئناف وانه مبنى على تقدير سؤال ، فذلك اذ راج له فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى ، وان كان مبتدأ فى اللفظ فهو فى الحقيقة كالجارى عليه ، لكان شيئا .

فان قلت : ماوجه دلالة مثل (١) هذا النصب أو الرفع على مايقصد به من المدح أو الذم أو الترحم ؟ .

قلت : ان فى هذا الافتنان بمخالفة الاعراب وتغيير المألوف زيادة تنبيه وايقاظ للسامع وتحريك من رغبته فى الاستماع ، وذلك سيما فى التزام حذف الفعل أو المبتدأ دليل (٢) على الاهتمام التام بالمذكور ، وذلك يكون لمدح أو ذم أو نحو ذلك مما يقتضيه المقام .

وقال ابن مالك (٣) : " انه التزم حذف الفعل اشعارا بأنه لانشاء المدح كالمنادى ، ثم التزم فى الرفع حذف المبتدأ ليجرى الوجهان على سنن واحد " (٤)

قوله : (أواردة ؟) فى موقع البدل من ما الاستفهامية فى قوله : (ماهذه الصفة) ؟ و (بيانا) مفعول له أو حال وهو أنسب بقوله : (تفيد) فانه حال ، وضمير (فائدتها) يعود الى (الواردة بيانا) أو الى (المتقين) بتأويل : اللفظة أو الكلمة .

وغير الأسلوب فى قوله : (أم جاءت) تنبيها على قلة الصفة المادحة كما يقال فى النحو ، وقد يجيء لمجرد الثناء والتعظيم ، وقوله : (تمجيدا) مفعول له بجعله فعلا للصفة مجازا .

---

(١) كلمة " مثل " ناقصة من م .
(٢) فى م ، خ ، ب : أدل دليل .
(٣) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الشافعى ، امام النحاة وحافظ اللغة وكان اماما فى القراءات والتصريف وله تصانيف كثيرة . توفى سنة ٦٧٢ هـ . بغية الوعاة ١/ ١٣٠
(٤) شرح التسهيل ٤٧ ب " بتصرف " .

قوله : (يحتمل أن ترد على طريق البيان) (١) ،اعلم أن المتقى من وقى نفسه تعاطى مايستحق به العقوبة من فعل أو ترك ،أي فعل معصية أو ترك طاعة ، وحاصله أنه الذى يفعل الحسنات ويترك السيئات . (٢)

وحينئذ ان جعل الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة كناية عن فعل جميع الحسنات وترك جميع السيئات على ماقرره المصنف(٣) ، فالصفة كاشفة لكون مفهومها مفهوم الموصوف مع زيادة تفصيل وبيان والا ،فالصفة مادحة لدلالتها على أشرف المعانى الفاضلة/ الداخلة فى مفهوم الموصوف . ٦٣ب

وقد يراد بالمتقى من يجتنب المعاصى أي فعل القبائح والمنهيات سواء كان يمتثل الأوامر ويأتى بالحسنات أم لا وحينئذ فالصفة مخصصة كزيد التاجر لدلالتها على بعض الأحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف .

فان قيل : اجتناب المعاصى لا يتصور بدون فعل (٤) الطاعات ،لأن ترك الطاعة معصية قال الله تعالى : " لا يعصون الله ما أمرهم " (٥) ،قلنا : مبنى هذا الكلام على أن المعصية فعل مانهى الله عنه وأن الترك ليس بفعل .

قوله : (أساس الحسنات) جعل الايمان أساسا اذ لا حسنة بدونه ،بخلاف الصلاة للعبادات البدنية ،والصدقة للمالية فانهما وان كانتا أصلين لهما لكن لا تتوقف صحتهما على صحتهما ، فلذلك جعلهما (أمين) لهما ،اذ قد يبقى الشئ بدون الأم (٦) .

وقوله : (وهما العيار) (٧) أى الشاهد ،ولم يقل : العياران لأنه فى الأصل مصدر . يقال : عايرت المكاييل والموازين عيارا أى قايستهما ثم نقل الى مايقاس (٨)

---

(١) الكشاف ١/ ٢٩ .
(٢) فى خ : السيئة .
(٣) فى م زيادة : رحمه الله .
(٤) كلمة "فعل" ناقصة من الأصل .
(٥) من الآية ٦ من سورة التحريم .
(٦) وجعل الايمان اساسا للحسنات ،والصلاة والزكاة أمين للعبادات من التشبيه البليغ لوجود طرفى التشبيه .
(٧) وهذا أيضا تشبيه بليغ، وفى "العيار" استعارة أصلية .
(٨) فى م ،ب : يقاس به .

به ويحيز ، ثم الى الدليل الذى به تعرف صحته من فساده .

قوله : (كالعنوان) (١) ، عنوان الكتاب ظاهره الذى يدل على باطنه اجمالا ، وكذلك علوانه ، وفى اشتقاقهما كلام طويل والاكثر على أنهما من عن وعلا ومنه عنونت الكتاب وعلونته .

(والذى) عطف على (ماهو) ، و (أن تقترن) بتشديد النون لادغام نون الأصل فى نون جماعة النساء .

قوله : (من الافصاح عن فضل هاتين) حيث خصتا بالذكر ، وقرنتا بالايمان ، وجعلتا بمنزلة ذكر الكل (٢) .

قوله : (اظهارا لانافتهما) لارتفاعها وزيادتها ، وذلك من جهة أنه لما كان الغرض من الصفة المادحة اظهار كمال الموصوف وقصد تعظيمه والثناء عليه ، كان المناسب ذكر صفة لها زيادة أثر فى هذا المعنى بالنسبة الى ماسواها .

وههنا بحث وهو أن كون " الذين يؤمنون " صفة أو نصبا على المدح أو رفعا انما يحسن اذا حمل " المتقين " على حقيقته دون المشارفة ، اذ لا شيء من الايمان واقام الصلاة وايتاء الزكاة بحاصل للضالين الصائرين الى التقوى .

قوله : (حقيقته : آمنه التكذيب) قد يفهم من ظاهر هذا الكلام أن الايمان بمعنى التصديق مجاز لغوى ، والحق أنه حقيقة وبه يشعر كلامه فى الأساس (٣) .

وقصده ههنا الى زيادة التحقيق والتدقيق فى الوضع / واللغة على ماهو دأبه ، ١٣٧ أ
يعنى أن الأمن متعد الى مفعول واحد ، فاذا نقل الى باب الافعال صار متعديا الى مفعولين ، تقول : امنت زيدا عمرا بمعنى جعلته آمنا منه ، ثم نقل الى معنى التصديق ووضع له لغة (٤) .

ثم انك اذا صدقت زيدا فقد اعترفت به ، فعدى بالباء على تضمين معنى الاعتراف

---

(١) الكشاف ١ / ٣٠
(٢) فالصلاة والزكاة من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية .
(٣) فى الأساس مادة (أمن) يقول الزمخشرى : " وماأنت بمؤمن لنا أى بمصدق ، وما أومن بشيء مما يقول أى ما أصدق وماأثق " .
(٤) اى وضع هذا اللفظ مرتين .

وحقيقة التضمين : أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه ، وهو كثير في كلام العرب حتى قال (ابن جني) : " لو جمعت تضمنات العرب لاجتمعت مجلدات " (١)

فان قيل : الفعل المذكور ان كان في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر ، وان كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي ، وان كان فيهما جميعا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز .

قلنا : هو في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ، فقولنا : أحمد اليك فلانا ، معناه : أحمده منهيا اليك حمده ، ويقلب كفيه على كذا ، معناه : نادما على كذا .

وقد يعكس كما يشعر به قوله : (أى يعترفون به) ، ولابد من اعتبار الحال ، أى يعترفون به مؤمنين ، والا لكان مجازا محضا لا تضمينا .

وربما يقال : ان ذكر صلة المتروك يدل على زيادة القصد اليه فجعله أصلا والمذكور حالا وتبعا أولى . ويجاب : بأن ذكر صلته دلالة على اعتباره في الجملة ، لا على زيادة القصد اليه ، اذ لا دلالة بدونه فتعين جعل الأصل أصلا ، والتبع حالا .

قوله : (أصحاب عبد الله) ، لما كان المراد به ابن مسعود (٢) كان الأنسب أن يقول : فقال عبد الله (٣) ، وكأنه قصد الانتساخ والايضاح (٤) .

قوله : (يسمى المطمأن) (٥) صح بفتح الهمزة : اسم الموضع ، وقد يروى بالكسر : اسم فاعل تجوزا ، والتذكير باعتبار المكان .

(واما أن يكون) عطف على (اما تسمية) ، يعني أن جعل الغيب بمعنى الغائب اما لأجل تسمية الفاعل بالمصدر (٦) كالعدل ، واما لكون الغيب فيعلا بمعنى الفاعل .

---

(١) فتوح الغيب ١ / ٤٥ وحاشية السيد على الكشاف ١٢٦ .
(٢) في م ، ط : رضي الله عنه .
(٣) أى بدل " فقال ابن مسعود " الكشاف ١ / ٣٠ .
(٤) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٦٠ .
(٥) الكشاف ١ / ٣٠ . (٦) مجازا عقليا .

قوله: (أعلمناه) بفتح الميم أي جعلنا اللطيف الخبير عالمين به بدليل سمعي أو عقلي .

قوله: (أن يعتقد الحق) أي يربط القلب به (١) بحيث يحصل المعنى المسمى في الفارسية بكرويدن ، وفي العربية بالتصديق (٢) .

قوله: (ومن أخل بالشهادة) (٣) أي تركها قصدا مع التمكن منها (فهو كافر) ، يعني الكافر المجاهر ، والا فالمنافق كافر بلا نزاع ، بخلاف الفاسق فانه وان لم يكن مؤمنا عند المعتزلة فليس بكافر أيضا وفاقا .

وهذا غير ما نقل عن السلف أن الايمان اقرار / باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، لأن مرادهم الايمان الكامل ، لاطباقهم على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الايمان . وتمام تحقيق مباحث الايمان يطلب من كتب الكلام ، فانه من مهمات الاسلام ، وقد استوفيناه في "شرح المقاصد" (٤) . ٣٧ب

قوله: (ومعنى اقامة الصلاة) ، هي افعال من القيام ، وله معان واستعمالات تناسب اعتبارها في الصلاة ، فذكر المصنف باعتبارها أربعة أوجه : فوجه الأولين منها أنها استعارة تبعية حيث جعل تسوية الصلاة على ما ينبغي بمنزلة اقامة العود أي تقويمه وجعله قويما لا اعوجاج فيه (٥)

أو بجعل المداومة على الصلاة بمنزلة انفاق السوق وجعلها مرغوبا فيها ، فان اقامة السوق بمعنى جعلها نافقة غير كاسدة وان كانت في الأصل مجازا فقد صارت بمنزلة الحقيقة فاستعيرت للمحافظة على الصلاة ، لاشتمال كل منهما على جعل متعلقه بحيث تتوجه اليه الرغبات . (٦)

---

(١) في خ : يربط به القلب .
(٢) أي أن المراد بالحق هذا المعنى فالتعريف فيه للعهد .
(٣) الكشاف ١ / ٣١ .
(٤) انظر "شرح المقاصد" ٢ / ١٨١ — ١٩٩ .
(٥) وهذا في الوجه الأول .
(٦) وقد ذهب الطيبي الى أن هذا الوجه الثاني كناية تلويحية حيث عبر عن الدوام بالاقامة ، فان اقامة الصلاة بمعنى تعديل أركانها وحفظها من أن يقع فيها زيغ مشعرة بكونها مرغوبا فيها ، واضاعتها وتعطيلها يدل على ابتذالها =

ووجه الأخيرين أن التهيؤ لأداء الصلاة بمنزلة القيام بالأمر (١) ، وأن القيام جزء من الصلاة فعبر بالاقامة أي فعل القيام عن أداء الصلاة [تسمية للكل باسم جزئه كما يعبر عنه بالقنوت والركوع والسجود . (٢)

وأنت خبير بأن المفهوم من اطلاق اقامة الصلاة] (٣) ليس الا أداؤها وايقاعها في الخارج من غير اشعار بما اعتبره من التقويم على الوجه المذكور (٤) ، فضلا عما ذكر في الوجه الثاني من التشبيه الغريب الذى قلما يخطر بالبال ولا يظهر وجهه الا بعد تأمل وافر .

وأما الثالث فلا يشعر كلامه بوجه التجوز والعلاقة فيه مع أن التجلد والتشمر من غير فتور وتقاعد انما هو القيام بالأمر لا اقامته وجعله قائما غير قاعد .

والقول بأن معنى القيام بالأمر اقامته على أن الباء للتعدية ظاهر الفساد ، لأن معنى القيام بالأمر أن يكون التجلد والتشمر وعدم التواني والتقاعد من الفاعل لا من ذلك الأمر (٥) ، فالباء للملابسة كأنه قام ملتبسا به ومجتهدا في تحصيله ، وبالجملة

= كالسوق ان شوهدت قائمة دلت على نفاق سلعتها ، ونفاقها يدل على توجه الرغبات اليها وتوجه الرغبات يستدعي الاستدامة ، بخلافها اذا لم تكن قائمة .
انظر فتوح الغيب ١/٤٦ .

(١) هذا بالنسبة للوجه الثالث الذى لم يحدد السعد نوع التجوز فيه وقال ان كلام المصنف لا يشعر بذلك كما سيأتي ، بينما اعتبره السيد الشريف مجازا مرسلا حيث قال : " يقال قام بالأمر اذا اجتهد في تحصيله وتجلد فيه بلا توان ، وحقيقته قام ملتبسا بالأمر ، والقيام له يدل على الاعتناء بشأنه ويلزمه التجلد والتشمر فأطلق القيام على لازمه " . انظر حاشية السيد على الكشاف ١٢٩ .

(٢) فالوجه الرابع مجاز مرسل بعلاقة الجزئية .

(٣) ما بين المعقوفين ناقص من خ .

(٤) أي الوجه الأول .

(٥) جعل الطيبي هذا الوجه أي الثالث من المجاز العقلي وذلك أن " يقيمون " على هذا الوجه مسند الى الصلاة لا الى المصلي باعتبار أن المصلي اذا أقام الصلاة كانت هي قائمة على نحو نهاره صائم وليله قائم .
فتوح الغيب ١/٤٦ .

فالمتجلد المتشمر لأداء الصلاة هو المصلى وما ذكر يقتضى أن يكون هو الصلاة نفسها .

وأما الرابع ففيه أن الجزء للصلاة هو القيام لا الاقامة ، فلا معنى لقوله : (عبر عن الأداء بالاقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام) .

لا يقال : الاقامة فعل القيام ، وهو ركن للصلاة ، لأنا نقول : الركن فعل القيام
بمعنى / تحصيل الهيئة التى هى القيام فى نفس الفاعل ٣٨ أ
لا بمعنى ايجاد القيام فى شىء آخر سيما فى الصلاة .

لا يقال : الاقامة ايجاد القيام ، ومعنى أداء الصلاة ايجاد جميع الأركان التى منها القيام ، فتكون الاقامة جزءا من أداء الصلاة بناء على أن القيام بعض أركان الصلاة فيتم التقريب .

لأنا نقول : فحينئذ يكون يقيمون بمعنى يؤدون الصلاة فلا يصح ذكر الصلاة وايقاعها مفعول يقيمون الا بتكلف شديد لا يذهب اليه فهم أحد ممن يقول أو يسمع اقامة الصلاة .

فالأحسن أن معناها : جعل الصلاة (١) قائمة حاصلة فى الخارج من قولهم : قام هذا بنفسه وذاك بغيره .

قوله : (أقامت غزالة) (٢) اسم امرأة شبيب الخارجى (٣) الذى قتله الحجاج (٤) ، خرجت على الحجاج وهيجت الحروب ، و (الضراب) المضاربة والمحاربة ، و (القميط)

---

(١) فى خ : جعلها .

(٢) الكشاف ١/ ٣١ .

(٣) أبو الضحاك شبيب بن يزيد الخارجى كان خروجه فى خلافة عبد الملك بن مروان دخل الكوفة والحجاج متحصن فى قصر الامارة بها وكانت غزالة زوجة شبيب نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه وتقرأ البقرة وآل عمران ووفت بنذرها وهرب منها الحجاج . قتل شبيب سنة ٧٧ هـ
وفيات الأعيان ٢/ ١٦٣ .

(٤) الحجاج بن يوسف الثقفى عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ولما تولى الوليد بن عبد الملك ابقاه أيضا ، وكان الحجاج مسرفا فى الظلم ، ومات مصابا بالأكلة والزمهرير سنة ٩٥ هـ وفيات الاعيان ١/ ٣٤١ .

التام . (١)

قوله : (على لفظ المفخم) بكسر الخاء من التفخيم وهو ههنا امالة الألف الى مخرج الواو لا ضد الامالة بمعنى تركها ، ولا ضد الترقيق بمعنى اخراج اللام من أسفل اللسان .

قوله : (وحقيقة صلى) يريد أن صلى حقيقة لغوية في تحريك الصلوين أى طرفى الاليتين ، مجاز لغوى فى الأركان المخصوصة استعارة من الأركان فى الدعاء تشبيها للداعى بالراكع والساجد فى التخشع .

وهذا عكس ما اشتهر من أن الصلاة حقيقة فى الدعاء ، مجاز فى الأركان المخصوصة لاشتمالها على الدعاء .

وورود الصلاة بمعنى الدعاء فى كلام العرب قبل شرعية الصلاة المشتملة على الركوع والسجود المشتملين على التخشع ، وفى كلام من لا يعرف الصلاة بالهيئة المخصوصة دليل المشهور ، وأيضا الاشتقاق من غير الحدث قليل ، وفى هذا المقام كلام يطلب من شرح مختصر أصول الفقه فى بحث المجاز . (٢)

فان قيل : على تقدير كون الأصل تحريك الصلوين فلم جعل صلى الشرعى منه ثم اسم الصلاة مِنْ صلى الشرعى دون العكس ؟ .

قلنا : لأن المناسبة بين الفعلين أظهر منها بين تحريك الصلوين والصلاة بمعنى الهيئة المخصوصة ، ولهذا تجعل الزكاة من زكى الشرعى وهو من اللغوى .
على أن مثل قولهم : الصلاة من صلى والزكاة من زكى ربما يحمل على مجرد الاشتقاق بينهما من غير تعيين الأصل والفرع .

قوله : (وهما الكافرتان) أى الاليتان ، وقيل : لحم أعالى الفخذ ، ومن أهل

---

(١) الشعر لأيمن بن خريم بالراء المهملة وروى بالزاى المعجمة وقيل : لخريم بن فاتك الأسدى ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ٣١ ، وتنزيل الآيات ٤٣٥ ، واللسان مادة (قمط) ، وشرح القصائد السبع ٥٢١ ، والأزمنة والأمكنة ١/ ٢٩٦ ، وأنوار التنزيل ١/ ٢٢ ، وتحفة الأشراف ١/ ٣٤ .
(٢) التلويح على التنقيح للتفتازانى ١/ ٢٨٨ — ٢٩٤ .

اللغة من قال : الكافرتان الاليتان (١) و(الكاذتان) اللحمتان المكتنزتان بين الورك والفخذين فى أعلى / الفخذين فى موضع الكى من جاعرتى الحمار. ٣٨ب

قوله : (واسناد الرزق) لاخفاء فى أن المراد بما رزقناهم هو الحلال لكن عند المعتزلة من جهة أن الحرام ليس برزق (٢)

فالاسناد الى الله تعالى يكون للاشعار بأنه لا يكون الا حلالا ، اذ القبائح لا تسند الى الله تعالى .

وعندنا من جهة أن المدح والاتصاف بالتقوى انما يكون فى الانفاق من الحلال ، سيما عند التصريح بالاسناد الى الله تعالى فانه ينصرف الى الأفضل الأكمل ، ففائدة الاسناد الاعلام بأنهم ينفقون من الحلال ما هو من عظائم المنائح (٣) .

وتقديم المفعول للاهتمام ، ووجه الاهتمام التخصيص ، أعنى حصر التصدق فى بعض المال الحلال ، كأنه قال : ويخصون أى يجعلون بعض المال الحلال منفردا بالتصدق به .

والمراد بالبعض المتصدق به الزكاة المفروضة نظرا الى أنها التى تقرن بمطلق الصلاة حيث يقال : باب الصلاة ، باب الزكاة ، وفلان يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ونحو ذلك . أو مطلق ماينفق فى سبيل الله تعالى نظرا الى اطلاق اللفظ من غير قرينة الخصوص . (٤)

وفى كلمة (من) دلالة على صيانة الماضين من الاسراف والتبذير وكف الباقين أى منعهم . والنهى عن الاسراف والتبذير كثير فى الكتاب والسنة " ولا تبسطها كل البسط (٥) " ، " ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين " (٦) .

وفى قوله : (قدم المفعول) (٧) اشارة الى أنه صريح المفعول به بحيث لا مجال معه لتقدير مفعول ، اذ المعنى وبعض مارزقناهم ينفقون ، وحقيقته : بعضا مما

---

(١) القاموس المحيط مادة (كفر) .
(٢) انظر الانتصاف ١ / ٣١ ، وأنوار التنزيل ١ / ٢٢ .
(٣) فى خ : عظائم المنائح ، والمنيحة : العطية .
(٤) ويؤكد هذا السيد الشريف قائلا : " فان قلت : الاقتران بالصلاة قرينة الزكاة قلت : مقام المدح قرينة لقصد الاطلاق والعموم " . حاشية السيد ١٣٣ .
(٥) من الآية ٢٩ من سورة الاسراء . (٦) من الآية ٢٧ من سورة الاسراء .
(٧) الكشاف ١ / ٣٢

رزقناهم ، على أنه واقع موقع موصوف محذوف ، وتمام تحقيق مباحث الرزق مستوفى في شرح المقاصد (١) .

قوله : (يصلح) صفة (مطلقا) ووجه صلوحه ليتناول كل منفق على مأمر غير مرة .

قوله : (أخوان) أى مشتركان فى أصل المعنى وأكثر الحروف وهو معنى الاشتقاق الأكبر ، و (يعقوب) حيث أطلق (٢) فى كتب اللغة هو ابن السكيت صاحب اصلاح المنطق . (٣)

قوله : (وانما وسط العاطف) (٤) ، أورد أمثلة اشارة الى أن ذلك يجرى فى الصفات والأسماء باعتبار تغاير المفهومات ، ويكون بالواو والفاء باعتبار تعاقب الانتقال .

قوله : (يالهف زيابة) هو أبو الشاعر لأن الشعر لابن زيابة فى جواب الحارث ابن همام الشيبانى حين قال :

أيا ابن زيابة ان تلقنى * لا تلقنى فى النعم العازب

/ أى ياحسرة أبى من أجل هذا الرجل فيما حصل له من المراد والاتصاف بهذه ٣٦ أ الأوصاف ، ويجوز أن يكون على قصد التهكم (٥) بمعنى أنه لم تحصل له تلك الأوصاف ، و (الصابح) المغير صباحا ، وبعده :

والله لولا قيته وحده * لآب سيفانا مع الغالب

أى معى فالتفت لادعاء ظهور أن الغلبة له . (٦)

والبيت مع أنه من الحماسة ، ومعناه على ما ذكرنا مذكور فى الشروح ، يُغلط فيه فيقال : زيابة هو الشاعر يظهر اللهف والحزن لأجل الحارث وبسببه ، أو زيابة اسم أبى المهجو أو الممدوح والحارث اسمه .

---

(١) انظر شرح المقاصد ٢/١١٩ . (٢) فى خ : وحيث أطلق يعقوب .

(٣) أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر ، أخذ عن الفراء وابن الأعرابى وله تصانيف كثيرة . مات سنة ٢٤٤هـ بغية الوعاة ٢/٣٤٩ .

(٤) الكشاف ١/٢٦ فى تفسير الزمخشرى لقوله تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " الآية ٤ من سورة البقرة .

(٥) لأن الحارث توعد ابن زيابة بالقتل ثم نكص عن جزائه .

حاشية السيد الشريف ١٣٣ .

(٦) ورجوع السيفين مع الغالب كناية عن قتل المغلوب واستلاب سلاحه وروى " خاليا " بدل " وحده " ، والعازب — فى بيت الحارث — البعيد عن أهله يُعرِّض بأن =

قوله : (وأضرابه) أى أمثاله جمع ضرب بالفتح وعن المصنف بالكسر فعل بمعنى مفصول كالطحن ، وهو الذى يضرب به المثل ولابد فى المضروب به مثلا والمضروب فيه من المماثلة وفى الأساس : " ضرب القداح ، وهو ضريبى لمن يضربها معك ، ومنه قولهم : هو ضَرْبُه (١) وضريبه أى مثله " (٢) .

قوله : (فاشتمل ايمانهم) ، يعنى لما كانوا مؤمنين بكتابهم ثم آمنوا بالقرآن اشتمل ايمانهم (على كل وحى) بالنظر الى المجموع بمعنى أنه اشتمل ايمان اليهود على الايمان بالقرآن وبالتوراة ، والنصارى على الايمان بالقرآن وبالانجيل .

والمراد الايمان بكل على الخصوص لا أن الايمان بالقرآن ايمان بكل كتاب لكونه مصدقا لما بين يديه من الكتب ، ولو بنى الأمر على هذا لم يخص المراد مؤمنى (٣) أهل الكتاب ، ولم يكن للفاء فى فاشتمل معنى .

وعدل عن آمنوا وأيقنوا الى يؤمنون ويوقنون دلالة على الاستمرار .

ولما كان الايقان ايقان العلم بانتفاء الشك والشبهة لزم من اثباته لهم زوال مااعتقدوه من محض الباطل مثل : (انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) (٤) ، ومن خلط الحق بالباطل مثل : اعترافهم باعادة الأرواح الى الأجساد ، ثم اختلافهم فى كيفية تلك الأحوال وكمية الأزمان

فقوله : (واجتماعهم ثم افتراقهم واختلافهم) مجرورات [مرفوعات] عطفا على (ماكانوا) (٧) .

ثم زوال الأمور الثلاثة ليس بزوال كل منها بل بزوال البعض الذى هو الافتراق والاختلاف ، واذا تأملت فليس ههنا أمور ثلاثة بل حالة واحدة هو الاجتماع الذى يعقبه افتراق واختلاف (٥) .

(والأرواح) جمع ريح لأن ياءه واو ، و (العبق) من " عبق به الطيب بالكسر لزمه ، وامرأة عبقة : تطيبت بأدنى طيب فلم تذهب عنها / ريحه أياما " كذا فى ٩٦ ب الأساس (٦)

---

(١) هذه عبارة م ، خ ، ب وهى موافقة لعبارة الأساس أما عبارة الأصل فهى : هو ضريبهم .

(٢) اساس البلاغة مادة (ضرب) . (٣) فى خ ، ب : بمؤمنى .

(٤) الكشاف ١/ ٣٣ .

(٥) فى م ، ط ، ب : الافتراق والاختلاف .

(٦) أساس البلاغة مادة (عبق) .

(٧) وتكرير مجرورات لو عطفت على (أنه لا يدخل الجنة) إذ محلها الجر بـ (من) .

قوله : (ويحتمل ان يراد وصف الأولين) ،يتوجه السؤال أولا بأنه لم أعيد الموصول أعنى " الذين " ولم يكتف بعطف الصفات ؟ ثم يحتاج الى بيان وجه صحة توسيط العاطف مع اتحاد ذات المعطوف والمعطوف عليه .

والجواب عن الأول أنه للدلالة على مزية تلك الصفات حتى كأن الموصوف بها غير الموصوف بما سبق .

قوله : (وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين [1]) سواء جعلت الذين يؤمنون بالغيب منقطعا [2] عن المتقين أو موصولا به ،وأما عطف "والذين يؤمنون بما أنزل اليك" على "المتقين" فانما يصح على تقدير الوصل دون الانقطاع فليتأمل .

قوله : (تغليبا للموجود) يعنى أن الوجه فى التعبير عن الماضى والآتى بلفظ الماضى اما تغليب ما حصل له الوجود على مالم يحصل ،واما جعل المترقب [3] بمنزلة المتحقق . فالأول مجاز باعتبار تسمية الكل باسم الجزء ،والثانى استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق .

ويرد على كلا الوجهين : أولا أنه جمع بين الحقيقة والمجاز ،ولا يتصور معنى مجازى يعم المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ليكون من عموم المجاز .

والجواب : أنّ الجمع هو أن يراد باللفظ معناه الحقيقى والمجازى على أن كلا منهما مراد باللفظ ،وههنا أريد المعنى الذى بعض أجزائه من أفراد الحقيقة دون البعض .

وثانيا أن وجوب اشتمال الايمان على السالف والمترقب لا ينافى الاخبار عنهم فى ذلك الوقت بأنهم يؤمنون بالفصل السالف ،اذ الايمان بالمترقب انما يكون عند تحققه .

وان اريد الايمان بأن كل ماينزل فهو حق ،فهذا حاصل الآن من غير حاجة الى اعتبار تحقق نزوله .

والجواب : انه لما وجب ذلك وجب فى مقام الاخبار عنهم بأنهم يؤمنون بكل مايجب الايمان به — أن يتعرض لذلك ،سيما وقد أورد يؤمنون بلفظ المضارع المنبىء عن الاستمرار [4] وعدم الاقتصار على الماضى .

---

(١) الكشاف ١ / ٣٣ .
(٢) فى م ،ب : مقتطعا .
(٣) فى خ : المرتقب .
(٤) فى م ،خ : المبنى على الاستمرار .

وهذا ظاهر اذا أريد بالذين يؤمنون مطلق المؤمنين ، وأما اذا أريد الذين آمنوا من أهل الكتاب فلا يخلو عن تكلف .

ثم انه يتقوى الاشكال فى قوله تعالى : " انا سمعنا كتابا أنزل " الآية [1] ، فان السماع لم يتعلق الا بما تحقق انزاله بالحقيقة فكيف يكون سبيله سبيل ماذكر من جعل غير المتحقق بمنزلة المتحقق ؟ غاية الأمر أن الكتاب اسم للمجموع فيجب أن يراد بلــــه البعض ، أو يحمل على المفهوم الكلى الصادق / على الكل وعلى البعض . ٤٠ أ

فأشار الى دفع ذلك بقوله : (ونظيره قولك : كل ما خطب به فلان فهو فصيح) ، بمعنى [2] أن المراد فى مثل هذا الكلام يكون هو الكل من الماضى والآتى جميعا . لا الماضى فقط .

فوجب [3] التأويل فى هذه الآية أيضا بمعنى أن الكتاب كأنه قد نزل كله وسمعوه ، فالتجوز فى ايقاع السماع على الكتاب المراد به الكل مع أنه لم يسمع الا بعضه .

ثم لا يخفى أن اعتبار التغليب فى : أنا وأنت فعلنا ، انما يكون اذا عبر أولا عن الذى مع المتكلم بطريق الخطاب أو الغيبة ، بخلاف ما اذا قيل ابتداء : نحن فعلنا ، مع أن المتكلم واحد ليس الا ، لكنه جعل الآخر ايضا متكلما ، ولم يقل أحد أنه مــن التغليب .

فقوله : (ولأنه) أى القرآن عطف على (تغليبا) ، وقوله : (جعل) أى القرآن النازل بعضه فقط مشبها بالنازل كله ، وقوله : (وانتهى) عطف على (قد نزل) ، وقوله : (لكونه معقودا) علة عدم ارادة الماضى فقط .

قوله : (وفى تقديم الآخرة) ، يعنى أن تقديم الظرف للقصر عليه كما فى قولـــه تعالى : " لالى الله تحشرون " [4] ، وتقديم المسند اليه سيما الضمير وبناء الفعـــل عليه أيضا للقصر عليه كما فى قولك : أنا سعيت فى حاجتك .

ومعنى القصر : افادة تعلق شىء بشىء مع نفيه عن غيره .

---

(١) رقم ٣٠ من سورة الأحقاف .
(٢) فى م ، ب : يعنى .   (٣) فى خ : فيجب .
(٤) من الآية ١٥٨ من سورة آل عمران .

يعني [١] أنهم يوقنون بحقيقة الآخرة لا بما هو على خلاف حقيقتها كما يزعم اليهود ، وأن الايقان بالآخرة مقصور عليهم لا يتجاوزهم الى أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا [٢] بالقرآن ، فان كلامهم صادر عن وهم وريبة لا عن علم ويقين .

فلزم من هذين القصرين التعريض بأهل الكتاب ، وبما هم عليه من أمر الآخرة ، أعني : امالة الكلام من عرض وجانب الى الدلالة على أن مايزعمونه اليقين ليس بيقين بل محض جهالة ، وأن مايعتقدونه الآخرة ليس بآخرة بل وهم لا حقيقة له ، وانما اليقين ماعليه المؤمنون والآخرة ماهم يعتقدون .

قوله : (هو نقيض الأول) [٣] أي معناه : الأخير اسم فاعل من أُخر بمعنى تأخر وان لم يستعمل ، كما أن الآخر بفتح الخاء أفعل منه ، والأول أفعل من أول قلبت الهمزة واوا فأدغمت فيه الواو الأولى .

(وهي صفة غالبة) على تلك الدار كالدنيا على هذه ، ولهذا قل ذكر الموصوف معهما مثل : الدار الآخرة والدار الدنيا ، وقد يجريان مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفهما حتى كأنهما ليستا من قبيل الصفات .

/قوله : (لحب المؤقدان [٤]) أصله حبب بالضم أي صار محبوبا فأدغمت بالاسكان ٤٠ ب أو بنقل الضمة ، وكلاهما رواية ، واللام للقسم ولم يؤت بقد لجريه مجرى المدح كما يقال : والله لنعم الرجل زيد .

---

(١) في خ : بمعنى . (٢) في خ : لا يؤمنون .

(٣) الكشاف ١ / ٣٣

(٤) البيت لجرير يمدح هشام بن عبد الملك وموسى ابنه وجعدة بنته وقيل : ابنه أيضا : وقيل البيت لأبي حيوة النميري ، ومعنى حب: انشاء المدح كنعم ويفيد التعجب أيضا ، وروى : أحب الموقدين والبيت في ديوان جرير هكذا :

لحب (الوافدان) الى موسى * وجعدة (لو) أضاءهما الوقود

انظر الديوان ١١٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٣ ، وتنزيل الآيات ٣٦٥ ، وتحفة الأشراف ١ / ٣٦ ، والحجة في القراءات ١ / ١٧٩ ، واللسان مادة (سون) ، وأنوار التنزيل ١ / ٢٤ ، والبحر المحيط ١ / ٤٢ ، والمحتسب ١ / ٤٧ ، وسر الصناعة ١ / ٩٠ ، والخصائص ٢ / ١٧٥ ، ٣ / ١٤٦ ، ٢١٩ ، وشرح الشافيه ٣ / ٢٠٦

يصفهما بالكرم لأن المراد الاضاءة بوقود نار القرى بقرينة المقام والاستعمال الشائع فيما بين العرب ، والوقود صح بالضم لأنه مصدر ، وأما بالفتح فاسم لما يتوقد به .

قوله : (والا) (١) أى وان لم يكن الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ بل صفة أو نصبا أو رفعا على المدح (فلا محل لها) يعنى على تقدير عطف والذين يؤمنون بما أنزل اليك على المتقين أو الذين يؤمنون بالغيب كما مر ، وأما على تقدير اجراء(٢) الموصول الأول على المتقين ورفع الثانى على الابتداء كما سيجيء فلها محل .

وكون أولئك على هدى خبر المبتدأ مذكور فيما سبق ، وانما كرر ههنا لينبنى عليه قوله : (والا فلا محل) .

قوله : (استوجبوا بها من الله) أما عندنا فبمعنى الاستحقاق والملاءمة فى مجارى العادات ، وأما عندهم فبمعنى اللزوم فى موجب الحكمة حتى لو لم يفعل لا ستحق الذم لمخالفته الحكمة .

قوله : (وان جعلته تابعا للمتقين) أى صفة أو نصبا أو رفعا على المدح (وقع الاستئناف على أولئك) ، وهذا مجرد احتمال لظهور أن ليس لهذا السؤال أعنى : (ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى) زيادة توجه ، ولا للجواب (بأن اختصاصهم بالفوز بالهدى غير مستبعد) كثير فائدة وزيادة بيان بل هو اعادة للدعوى .

ثم تقرير كلامه مشعر بأن فى قوله : "هدى للمتقين" اختصاصا وذلك بدلالة اللام(٣) وكذا فى قوله : أولئك على هدى وذلك بتعليق الحكم بالوصف ، اذ المعنى اولئك الموصوفون بالصفات المذكورة على هدى فينبنى الحكم على الوصف فينتفى بانتفائه .

قوله : (واعلم أن هذا النوع من الاستئناف) يعنى النوع المشتمل على اعادة ما منه الحديث جوابا عن سؤال سبب الحكم بخلاف النوع الذى لا يكون كذلك كقوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل (٤)

---

(١) الكشاف ١ / ٣٤ فى تفسيره لقوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم .. " الآية ٥ من سورة البقرة . (٢) كلمة " اجراء " ناقصة من الأصل .

(٣) وذلك أن الزمخشرى يقول : "لما قيل : هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى الخ " . الكشاف ١ / ٣٤ .

(٤) انظر المطول ٦٨ ، ٢٥٩ ، ومفتاح العلوم ٩٤ ، والايضاح ٢٢ ، ٩١ ، وشروح التلخيص ١ / ٢٧٧ ، ودلائل الاعجاز ١٦٤ ، ومعاهد التنصيص ١ / ١٠٠ ، ٢٨ واتمام الدراية للسيوطى ١٣٦ .

فان قلت: الاعادة باسم الاشارة من أى قبيلى هذا النوع ؟ قلت : الظاهر أنه من قبيل الاعادة بالصفة لأنه اشارة الى الموصوف بالصفات لا الى نفس الذات فالاستئناف ههنا سواء وقع على الذين يؤمنون / أو على أولئك وارد على الوجه الأحسن ٤١ أ ، لكن الثانى (١) لا يزيد على إعادة الدعوى .

وقوله : (باعادة أسمه وباعادة صفته) معناه : باعادة ذكر من استؤنف عنه الحديث باسمه أو بصفته .

قوله : (نعم) هذا أيضا مجرد تجويز نحوى ربما يأباه جانب المعنى ولهذا (٢) شرط أن يكون اختصاصهم بالهدى والفلاح على ما بينا تعريضا بانتفاء الهدى والفلاح عن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وظنوا أنهم على هدى وأن لهم فلاحا .

وانما شرط ذلك ليكون المعنى أن الكتاب هدى للمذكورين وليس هدى لمن عداهم ، وأما اذا لم يجعل للتعريض بل لمجرد التصريح باختصاص المذكورين بالهدى والفلاح ، فاما أن يكون المراد بالموصول الثانى هو المراد بالموصول الأول ، فيكون هذا تكرارا خاليا عن الفائدة .

واما أن يكون غيره فيكون الكلام الأول بيان ان الكتاب هدى لجماعة والكلام الثانى أن جماعة أخرى مختصون بالهدى والفلاح ، ومثل هذا لا مجال فيه للعاطف عند البلغاء ، ومجرد كون ما أنزل اليك هو ذلك الهدى السابق لا يصحح العطف فضلا عن تحسينه .

فان قلت: على تقدير التعريض أيضا ينبغى أن لا تعطف لتباين الجملتين فى الغرض والأسلوب ، قلت: بل هما متناسبتان غاية التناسب لما سبق من أن المعنى على تقدير التعريض أن الكتاب هدى للمتقين وليس هدى لمن عداهم ، وهذا معنى ما قال صاحب المفتاح أن الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين (٣) ، وهذا بخلاف : "ان الذين كفروا (٤)" حيث لم تعطف ، اذ لم تناسب الجملة الأولى فى الغرض والأسلوب ولا الثانية فى التعريض ، وأما جعل الواو اعتراضية فبعيد جدا .

---

(١) الذى هو باعادة اسم ما عنه الحديث .
(٢) فى خ : فلهذا ، وفى م ، ب: فلذا . (٣) مفتاح العلوم ١٤٤ .
(٤) الآية ٦ من سورة البقرة .

قوله (وفى اسم الاشارة) (١) ، هذا (الايذان) ثابت على جميع الوجوه السابقة لا يختص بما اذا كان الاستئناف على أولئك كما توهم ، وذلك لأن اسم الاشارة اشارة الى الذات بملاحظة تلك الصفات كأنه قيل : ذلك المشار اليه المتميز بتلبك الصفات .

بخلاف مجرد الضمير العائد الى مايشار اليه فانه كناية عن ذات الموصوف وان كان مع الصفات ذهنا وخارجا ، ولهذا كان فى " اياك نعبد " بالعدول الى الخطاب المشعر بالتميز مالم يكن فى اياه كما قررناه .

قوله :

(ولله صعلوك) يساور همه * ويمضى على الأحداث والدهر مقدما
/فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة * ولا شبعة ان نالها عد مغنما ١٤٦ب
اذا مارأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمت صمما
يرى رمحه أو نبله ومجنه * وذا شطب عضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج قاتر ولجامه * عتاد أخى هيجا وطرفا مسوما
ويغشى اذا ماكان يوم كريهة * صدور العوالى وهو مختضب دما
اذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت
وولى هدان القوم أقدم معلما
(فذلك ان يهلك فحسبى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما) (٢)

لله كذا : كلمة تعجب تقال عند استعظام الشيء واستحسانه الصعلوك : الفقير ، والمراد بصعاليك العرب متلصصوهم ، يساور همه : يواثب عزمه وقصده ، على الأحداث متعلق بيمضى أو بمقدما والمعنى : أن ذلك لا يشغله عن الاقدام مع كونه الشاغل التام . فتى طلبات : بدل من صعلوك ، أو صفة ، أو رفع على المدح ، أو نصب .

---

(١) الكشاف ١/٣٤ .
(٢) الأبيات لحاتم الطائى وروى فى البيت الأول : ولكن صعلوكا يشاور همه ويمضى على الأيام . وفى البيت الخامس روى : عتاد فتى هيجا . وكذلك : معدا لدى الهيجاء طرفا مسوما . وفى البيت الثامن روى : فحسن ثناؤه ، وحسنى ثناؤه ، وان يحى لا يقعد ضعيفا ملوما .
انظر ديوان حاتم ٨٢ ، ونوادر أبى زيد ١١١ ، وتنزيل الآيات ٥١٢ ، وشروح التلخيص ١/١٩٠ ، ومشاهد الانصاف ١/٣٤ ، والخزانة ١/٤٩٣ ، ١٩٥/٤ ، والعينى ٧٧/٣ .

الخمس: الجوع • ترحة : شدة • شيمة مفعول عد • أعرضت : ظهرت • ثمت: حرف عطف لحقته التاء أتى به لبعد مابين القصد والتصميم •

أو نبله : عطف بأو لأن عتاد المحارب أحد مما قلنا يجمع بينهما •

ومجنه : عطف على مدلول ماسبق من أحد المذكورين • شطب السيف طرائقه التي في متنه • العضب: القاطع • والضريبة : المضروب بالسيف والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية • والمخذم بالخاء والذال (١) المعجمتين : القاطع •

الأحناء : جمع حنو وهو مافيه اعوجاج من القتب والسرج وغيرهما • قاتر: بالقاف وان لا يعقر ظهر البعير ،عتاد : ثاني مفعولي يرى ،أفرده لأن الكل عتاد واحد للمحارب • وطرفا : عطف على أول المفعولين جعله عتادا آخر على حدة ،وهو بالكسر الكريم من الخيل • والمسوم : المعلم تشهيرا لمتنه (٢) من السومة العلامة ،أو المرسل للرعي بحيث لا يركب إلا للحرب • الهدان : الأحمق الثقيل •

قوله : (ومعنى الاستعلاء مثل (٣)) أي تمثيل وتصوير لتمكنهم من الهدى ،يعني أن هذه الاستعارة تبعية تمثيلا (٤) ،أما التبعية فلجريانها أولا في متعلق معنى

---

(١) قوله : والذال • ناقص من الأصل •

(٢) أي لكرمه •

(٣) الكشاف ١ / ٣٥ •

(٤) يرى السيد الشريف أن هذه الاستعارة اما تبعية واما تمثيلية ولا تجتمعان معا ويقول : " ان انتزاع كل من طرفي التشبيه من أمور عدة يستلزم تركيبه من معان متعددة ،ولا شك أن متعلق معنى الحرف هو الاستعلاء وهو من المعاني المفردة كالضرب وأمثاله فلا يكون مشبها به في التشبيه الذي يركب طرفاه • واذا لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به في ذلك التشبيه سواء كان جزءا منه أو لا فكيف يسري التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف؟ ومحصله أن كون " على " استعارة تبعية يستلزم كون معنى الاستعلاء مشبها به وأن تركب الطرفين يستلزم ان لا يكون مشبها به فلا يجتمعان ،فاذا جعلت " على " تبعية لم تكن تمثيلية مركبة الطرفين بل كانت استعارة في المفرد " •
وبعد ذلك يبين السيد الوجوه المحتملة في هذه الآية ومنها الاستعارة التمثيلية على أنه في هذه الحالة لا يكون في " على " استعارة أصلا فيقول : " اعلم ان قوله " على هدى " يحتمل وجوها ثلاثة : الأول :- يشبه تمسكهم بالهدى باستعلاء الراكب ويستعار له الحرف الموضوع للاستعلاء •
الثاني : ان تشبه هيئة منتزعة من المتقي والهدى وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه ،فيكون هناك استعارة تمثيلية مركب كل من طرفيها =

الحرف وتبعيتها في الحرف •

وأما التمثيل فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور ،لأنه شبهت حالهم في اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن والاستقرار بحال من اعتلى الشيء وركبه فتكون الصفة بمنزلة المركوب•

١٤٢ أ قوله : (وقد صرحوا بذلك) التشبيه ،أما في صورة التشبيه : (كقولهم : جعل الغواية مركبا) (١) فانه بمنزلة قولك : الغواية مركب أي مثل المركب•

وأما في صورة الاستعارة كقولهم : (اقتعد غارب الهوى (٢)) حيث جعل الهوى مطية استعارة بالكناية وأثبت له الغارب تخييلا وذكر الاقتعاد ترشيحا ،وهذا ظاهر•

وانما الخفاء في (امتطى الجهل) فقيل (٣) : تشبيه لأن معناه اتخذ الجهل مطية وهو تشبيه•

والأصح أنه استعارة تبعية : شبه الاتصاف بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية فذكر المشبه به وأريد المشبه ثم اعتبر ذلك في الفعل وجعل المفعول اعني الجهل قرينة (٤)

= لكنه لم يصرح من الألفاظ التي هي بازاء المشبه به الا بكلمة على ،فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة ،وما عداه تبع له يلاحظ معه في ضمن الفاظ منوية وان لم تكن مقدرة في نظم الكلام ،فليس حينئذ في " على " استعارة أصلا بل هي على حالها قبل الاستعارة كما اذا صرح بتلك الألفاظ كلها •
الثالث : أن يشبه الهدى بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية وتجعل على قرينة لها على عكس الأول كما اختاره الامام السكاكي " •
انظر حاشية السيد على الكشاف ١٤٢ — ١٤٣ •

(١) عبارة الكشاف ١ / ٢٥ : جعل للرواية مركبا •
(٢) أي اتخذ الهوى قعودا ،وهو الجمل البكر حين يركب،والغارب مابين السنام الى العنق •
(٣) قاله الطيبي في فتوح الغيب ١ / ٥٠ ،والسيد الشريف في حاشيته ١٤٤ •
(٤) ولكن يرد على السعد — كما يقول السيد الشريف — أنه لا فرق حينئذ بين قوله تعالى " على هدى " وبين " امتطى الجهل " في أن تشبيه الهدى والجهل بالمركوب ليس مقصودا منهما والتشبيه المقصود مستفاد من الاستعارة التبعية • فجعله في " امتطى الجهل " مصرحا به — كما أراد الزمخشري من الاستشهاد به — دون قوله " على هدى " تحكم • حاشية السيد الشريف ١٤٤ •

لا يقال : هذه استعارة تبعية (١) في الحرف حيث شبه اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن والثبات باستعلاء الراكب المركوب ، فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء كما شبه استعلاء المصلوب على جذع النخلة واستقراره فيه باستقرار المظروف في الظرف فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية في قوله تعالى حكاية : " ولأصلبنكم في جذوع النخل " ، (٢) ولا حاجة الى اعتبار التمثيل وتشبيه الحال بالحال .

لأنا نقول : ليس مقصود المصنف (بالمثل وتشبيه الحال بالحال) الا ما ذكرتم لا ان يكون من قبيل أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى حيث لا استعارة في شيء من المفردات .

قوله : (أي منحوه) (٣) لا حاجة الى كلمة أي (٤) والمقصود أن (من ربهم) صفة (هدى) ، وفسره باللطف والتوفيق لا كما هو رأي الجماعة أنه بخلق الهدى فيهم .

قوله : (كنهه) أي غايته وكنه الشيء وقته ، وفي الأساس " قدر الشيء مبلغه ، وفلان يقادرني أي يطلب مساواتي ، وهذا شيء لا يقادر قدره " (٥) .

قوله : (قال الهذلي) هو أبو خراش خويلد بن مرة يرثي خالد بن زهير ، و (لقد وقعت) جواب القسم والخطاب للطير ، وتنكير (لحم) للتعظيم ولذلك استعظم الطير الواقعة عليه حيث أقسم بها بل بأبيها قصدا الى زيادة التعظيم .

و (المربة) المقيمة ، وبالنظر الى كثرة الطير قد يتوهم أن (أبي) ههنا جمع على الشذوذ سقط نونه بالاضافة ، ولا حاجة اليه والشعر في ديوان الهذليين هكذا :

لعمر أبي الطير المربة غدوة * على خالد لقد علقن (٦) على لحم
فلا وأبي لا يأكل الطير مثله * عشية أمسى لا يبين من السلم

برفع الطير المربة على أنه فاعل فعل يفسره لقد علقن أي علقت الطير (٧)

---

(١) أي في قوله تعالى " على هدى " ويريد السعد أن يؤكد أن الاستعارة فيها تبعية تمثيلية وان كان التمثيل فيها ليس من قبيل أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى حيث لا استعارة في شيء من المفردات .

(٢) من الآية ٧١ من سورة طه . (٣) الكشاف ١ / ٣٥ .

(٤) بينما يرى السيد الشريف أنها تأكيد للاتحاد وزيادة في البيان . حاشية السيد على الكشاف ١٤٧

(٥) أساس البلاغة مادة (قدر) بتصرف .

(٦) في خ ، ب : لقد عكفن . ومعنى علقن تعلقن .

(٧) والشعر كما قال السعد لأبي خراش الهذلي ، وقيل : لأبي كبير ، وقيل : لأبي =

قوله : (بغنة وبغير غنة) أما بحسب العربية فالأمر كذلك وأما بحسب الرواية عن ٤٢ ب
الفراء / ففى بعض الكتب كما ذكره المصنف وفى كثير منها أن لا غنة مع الراء واللام .

قوله : (كما ثبتت) فى موقع[1] المصدر لقوله : (ثابتة) والفاء فى (فهى) زائدة . و(الأثرة) بفتح الهمزة والثاء : التقدم والاستبداد اسم من استأثر بالشيء : استبد به .

وقوله : (فى تميزهم) متعلق (بجعلت) أو بالظرف الواقع موقع المفعول أعنى : (بالمثابة) ، وهى فى الأصل الموضع الذى يثاب اليه أى يرجع مرة بعد أخرى ، ويقال للمنزل مثابة ، لأن أهله ينصرفون فى أمرهم ثم يثوبون اليه .

ومعنى (على حيالها) على انفرادها واستقلالها وأصله : حوال بمعنى حول الشيء ، وقعدت حياله وبحياله أى بازائه .

قوله : (قد اختلف الخبران) يعنى (على هدى) ، و(المفلحون) يعنى أن بينهما تمايزا فى التعقل والوجود ، اذ الهدى حاصل فى الدنيا وانما الفلاح فى الآخرة ، مع مابينهما من المناسبة ، فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فلذا جاء الكلام مع العاطف .

ولذا بخلاف (كالأنعام) ، و(الغافلون) ، فانهما شيء واحد بحسب المقصود والمآل وان تعددا بحسب اللفظ والمفهوم بحيث صح اطلاق (المتفقين) .

قوله : (وفائدته الدلالة)[2] ، ذكر لضمير الفصل ثلاث فوائد : (الدلالة على أن مابعده خبر لانعت) ، لأنه انما يتوسط بين المبتدأ والخبر لا بين الموصوف والنعت ، وبهذا الاعتبار سمى ضمير الفصل .

الثانية : (تأكيد) الحكم ، لما فيه من زيادة الربط حتى قال الحكيم أبو نصر الفارابى[3] : ان معنى قولنا : زيد هو العادل زيد است كه عادل است . وما قيل :

= ذؤيب . وروى فى البيت الأول : لقد قلت للطير المربة ، وألا أيها الطير ، وروى : وقمن بدل علفن . وفى البيت الثانى روى : ولحم امرئ لم تطعم الطير مثله ، و : كليه وربى لن تعودى بمثـــله * عشية لاقته المنية بالســـردم ، و : طويل النجاد غير هار ولا تشم ، ومن البكم بدل من العلم والسم شجر العضاه ، انظر ديوان الهذليين ٢ / ١٥٤ ، وديوان المعانى ١ / ١٥٩ ، والفائق ٢ / ٢٤٣ ، والخزانة ٢ / ١٦ ، ٣ / ١٩ ، ٣ / ٢١ ، ٣ و ٣ / ١٨ ، ٣ و ٤ / ١٥ ، ٤ واللسان مادة (عمر) ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٥ ، وانوار التنزيل ١ / ٢٤ ، وتنزيل الآيات ٥١٢ .

(١) فى خ : موضع المصدر . (٢) الكشاف ١ / ٣٦ .

(٣) هو محمد بن محمد بن طرخان تركى الأصل مستعرب ، يعد أكبر فلاسفة =

انه لتأكيد المسند اليه بمنزلة زيد نفسه العادل ليس بشيء .

الثالثة : افادة قصر المسند على المسند اليه بشهادة الاستعمال في مثل : "ان الله هو الرزاق[١] " ، " كنت أنت الرقيب عليهم[٢] " ونحو ذلك .

وهذا انما يتم اذا ثبت القصر في مثل[٣] : كان زيد هو أفضل من عمرو ، مما الخبر فيه نكرة والا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ وان لم يكن هناك ضمير فصل مثل : زيد الأمير وعمرو الشجاع .

وتعريف المبتدأ بلام الجنس يفيد قصره على الخبر وان كان مع ضمير الفصل كقولك : الكرم هو التقوى ، والحسب هو المال ، والدين هو النصيحة أي لا كرم الا التقوى ، ولا حسب الا المال ، ولا دين الا النصيحة .

وكلامه في الفائق مشعر بأن مثل هذا التركيب يفيد قصر[٤] المبتدأ على الخبر سواء كان المعرف باللام مبتدأ أو خبرا ، فقد صرح " بأن معنى قوله : فان الدهر ٤٣ أ هو الله أن جالب الحوادث هو الله لا غيره ، فوضع الدهر موضع جالب الحوادث .

كما تقول : ان أبا حنيفة أبو يوسف تريد ان النهاية في الفقه أبو يوسف لا غيره فتضع أبا حنيفة موضع ذلك لشهرته بالتناهي في علمه كما شهر الدهر عندهم بجلب الحوادث .

وأن معنى قوله : فان الله هو الدهر أن الله هو الجالب للحوادث لا غير الجالب ردا لاعتقادهم أن الله ليس من جلبها في شيء وأن جالبها الدهر ، كما لو قلت : ان أبا يوسف ابو حنيفة كان المعنى أنه النهاية في الفقه لا المتقاصر "[٥]

والأظهر أن قولنا : الله الجالب للحوادث لا يفيد الا قصر جلب الحوادث عليه مثل قولنا : الجالب للحوادث هو الله على ماقال صاحب المفتاح " أن قولنا المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يفيد حصر الانطلاق على زيد "[٦] ، وكأنه رد لكلام الفائق .

قوله : (ومعنى التعريف في المفلحون) ، يعني يجوز أن يكون للعهد ومعناه

= المسلمين ويعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات المعلم الأول ارسطو ، توفي سنة ٣٣٩ هـ . انظر الأعلام ٧ / ٢٤٢ .

(١) من الآية ٥٨ من سورة الذاريات . (٢) من الآية ١١٧ من سورة المائدة .

(٣) كلمة " مثل " ناقصة من م .

(٤) في م ، خ : حصر .

(٥) الفائق ١ / ٢٠٨ بتصرف .

(٦) مفتاح العلوم ١١٦ بتصرف .

ظاهر الا أن السابق الى كثير من الأفهام أن قوله : (فاستخبرت من هو؟ فقيل : زيد التائب) ليس بمستقيم بل المناسب حينئذ التائب زيد ، حتى لو اقتصر على ذكر زيد كان خبرا لا مبتدأ .

لأنك قد عرفت أن انسانا قد تاب ، وأنت كالطالب أن تحكم عليه بأنه زيد أو عمرو أو غيرهما .

فان قيل : من التائب ؟ في معنى : أزيد التائب أم عمرو أم غيرهما ؟ فينبغي أن يجاب بزيد التائب بتقديم زيد ليكون على وفق السؤال ، ولأن ذكر المسئول عنه أهم (١) .

قلنا : منقوض بقولهم : قام زيد في جواب من قام ؟ قال الله تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : خلقهن العزيز العليم (٢) " وكذلك " يحييها الذى أنشأها " في جواب " من يحيى العظام ؟ " (٣) .

وأورد الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز كلاما يؤيد أوله كلام المصنف وآخره كلام المعترض ، وذلك أنه قال :

" انك في قولك زيد منطلق وزيد المنطلق تثبت فعل الانطلاق لزيد لكن تثبت في الأول فعلا لم يسمع السامع من أصله أنه كان ، وفي الثاني فعلا قد علم السامع أنه كان ، ولكنه لم يعلمه لزيد .

فاذا بلغك انه كان من انسان انطلاق مخصوص وجوزت أن يكون ذلك من زيد ثم قيل لك : زيد المنطلق انقلب ذلك الجواز وجوبا ، وزال الشك ، وحصل القطع بأنه كان من زيد .

---

(١) وليكون المثال الذى أورده الزمخشري موافقا لنظم التنزيل في كون الخبر معرفا بلام العهد . انظر حاشية السيد على الكشاف ١٤٦ .

(٢) الآية ٩ من سورة الزخرف .

(٣) من الآيتين ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .

هذا وقد رد السيد الشريف على السعد بأن المحكوم عليه حقيقة في زيد قام هو زيد . قدم أو أخر ، فالسائل بمن قام ؟ طالب الحكم بالقيام على زيد أو عمرو فاذا أجيب بقام زيد طابق سؤاله في المعنى وان خالفه في اللفظ بكونه جملة فعلية . بخلاف زيد التائب فان التقديم فيه يوجب اختلاف المحكوم عليه فتفوت المطابقة المعنوية التي يجب المحافظة عليها .

حاشية السيد على الكشاف ١٤٦

ثم اذا قصد تأكيد هذا الوجوب قيل : زيد هو المنطلق فلهذا جاز زيد منطلق وعمرو ، دون زيد هو المنطلق وعمرو ، لأن الانطلاق المخصوص الذى كان من زيد يمتنع أن يثبت لعمرو ، ولو كان ذلك منهما جميعا كان ينبغى أن يقال : زيد وعمرو هما المنطلقان .

واذا قيل : المنطلق زيد فالمعنى على أنك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم يثبت ولم تعلم أزيد هو أم عمرو ؟ فقال لك صاحبك : المنطلق زيد أى هذا الشخص الذى تراه من بعيد هو زيد .

وقد تشاهد لابس ديباج وقد كنت تعرفه فنسيته فيقال لك : اللابس الديباج صاحبك الذى كان معك فى وقت كذا فيكون الغرض اثبات أنه ذلك الشخص المعهود لا اثبات لبس الديباج لأنه مشاهد (١) " .

قوله : (أو على أنهم) يشير الى المعنى الثانى لتعريف المفلحون ، وأطبق الناظرون فى هذا الكتاب على أنه يريد بذلك تعريف الجنس وتعيين الحقيقة المسمى بالعهد الذهنى .

ثم منهم من زعم أنه لقصر المبتدأ على الخبر نظرا الى قوله : (لا يعدون تلك الحقيقة) على عكس ما تحقق وتقرر فى مثل : زيد الأمير وعمرو الشجاع .

ومنهم من ذهب الى أن قوله : (لا يعدون تلك الحقيقة) ليس بمستقيم ، اذ ليس المتقون نفس حقيقة المفلحون .

ومنهم من ذهب الى أنه لقصر المسند على المسند اليه قصر قلب وعلى تقدير العهد قصر افراد .

وينبغى ان يعلم أنه اشارة الى معنى آخر لتعريف الخبر اورده الشيخ فى دلائل الاعجاز بعد ماذكر العهد والجنس وبعض شعبه حيث قال :

" اعلم أن للخبر المعرف باللام معنى آخر دقيقا يكون المتأمل عنده ، كما يقال يعرف وينكر وذلك أن قولك : هو البطل المحامى لا يشير الى معنى علم أنه كان ولم يعلم من كان كما فى زيد المنطلق .

ولا تريد أن تقصر معنى عليه على أنه لم يحصل لغيره على الكمال كما فى زيد

---

(١) دلائل الاعجاز ١٢٦ — ١٣٢ بتصرف .

هو الشجاع ، ولا أن تقول : أنه ظاهر أنه بهذه الصفة كما في قولك : ووالداك العبد[1]،
ولكنك تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي
وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق
أن يقال ذلك له وفيه ؟ فان كنت قتلته علما وتصورته حق تصوره فعليك بصاحبك ،
واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك .

وطريقته طريقة قولك : هل سمعت بالأسد ؟ هل تعرف ما هو؟ فان كنت
تعرفه فزيد هو هو بعينه " .

ثم بالغ في توضيح هذا المعنى وتكثير أمثلته وقال : " هذا كله على معنى الوهم
والتقدير ، وأن تصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ثم تجريه مجرى ماعلمته ،
وليس شيء بأغلب على هذا الضرب الموهوم من الذى فانه يجيء كثيرا على أنك تقدر
شيئا في وهمك ثم تعبر عنه / بالذى كقوله : (٢) ١٤٤ أ

اخوك الذى ان تدعه لملمة * يجبك وان تغضب الى السيف يغضب(٣)

قوله : (عز من قائل) (٤) مثل : عز قائلا وهو حال أو تمييز .

قوله : (على) ظرف متعلق (بكرر) ، ووجه (التنبيه على الاختصاص بتوسيط
الفصل وتعريف المفلحين) بلام العهد ظاهر ، وأما بالمعنى الآخر فلأنهم هم
لا يعدون الحقيقة فضلا عن الحصر والاختصاص ، وأما (باسم الاشارة) فلما مر من كونه
بمنزلة التعليق بالوصف والجواب أن المراد كمال الهدى والفلاح .

---

(١) هو من قول حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل
اسلامه : وان سنام المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
انظر دلائل الاعجاز ١٢٩ ، وديوان حسان ١٥٩ .
(٢) في خ : كقولك . والبيت لحجية بن المضرب . ويروى :
أخي والذى ان أدعه لملمة * يجبني وان أغضب الى السيف يغضب
انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ١٧٠ ، وللمرزوقي ٢ / ٦٧١ ، ٣/ ١١٧٧
ودلائل الاعجاز ١٣١ ، وحاشية السيد على المطول ١٠٦
(٣) دلائل الاعجاز ١٢٩ ـــ ١٣١ بتصرف .
ويرى السيد الشريف في حاشيته ١٤٧ أن هذا المعنى الذى ذهب اليه عبد
القاهر : من تعريف الجنس ، ولكن اعتبر معه تصوير الحقيقة بصورة وهمية فهو
من فروع الجنس كالحمل على الكمال ، وكيف لا والتعريف باللام منحصر في العهد
والجنس ؟ .
(٤) عبارة الكشاف : عز وجل . الكشاف ١/ ٣٦ .

قوله : (على معنى الشق) ، يقال : فلحت الأرض شققتها ومنه الفلاحة للحراثة ، والحديد بالحديد يفلح أى يشق .

قوله : (قفى على أثره [١]) فى الأساس : قفّيته وقفيته به وقفيت به على أثره إذا أتبعته إياه [٢] ، وكذا عقبته جئت على عقبه وعقبته بالشىء جئت بالشىء على عقبه [٣]

قوله : (فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب [٤]) هو بمعنى السفن والطريق ، أما التباين فى الغرض فظاهر ، إذ الغرض من الأولى بيان أن الكتاب بالغ فى الهداية حد الكمال تقريرا لنفى الريب عنه وتحقيقا لكونه ذلك الكتاب الكامل .

ومن الثانية وصف الكفار بأنه لا تجدى عليهم الألطاف ولا يؤثر فيهم الانذار .

وأما فى الأسلوب فلأن طريق الأولى الحكم على الكتاب بجملة محذوفة المبتدأ موصول بخبرها ذكر المتقين وأحوال المؤمنين ، وطريق الثانية الحكم على الكافرين قصدا بجملة تامة مصدرة بان المشعرة بالأخذ فى [٥] فن آخر .

فان قيل : كما أن الأولى مسوقة لوصف الكتاب بأنه هدى للمتقين كذلك الثانية مسوقة لوصفه بأنه ليس هدى لأضدادهم

قلنا : الحكم على الكفار بأن وجود الكتاب وعدمه سواء عليهم لا يقتضى أن يكون كون الكتاب بهذه المثابة غرضا مسوقا له الكلام ، على أن الغرض من وصف الكتاب فى هذا المقام تفخيم شأنه وذلك فى الانتفاع به دون عدم الانتفاع .

قوله : (فهو فى الحقيقة كالجارى عليه) يعنى أن " الذين يؤمنون بالغيب " وان جعل مبتدأ خبره " أولئك على هدى " ، كان كلاما مبتدأ فى اللفظ غير تابع لشىء ، لكنه فى المعنى تابع للمتقين لأنها جملة استئنافية واقعة موقع الجواب عن سؤال ناشىء عن قوله : هدى للمتقين فيكون فى حكم المتقين ، لأن الجواب مبنى على السؤال والسؤال مبنى على متشابه .

وحينئذ لا يبقى فرق بين كون الذين يؤمنون كلاما مبتدأ وبين كونه موصولا بالمتقين صفة له مجرورا / أو مدحا منصوبا أو مرفوعا ، فكما [٦] لا مجال للعاطف على تقدير ٤٤ب

---

(١) فى تفسيره لقوله تعالى : " ان الذين كفروا سواء عليهم .. " الآية ٦ من سورة البقرة .
(٢) أساس البلاغة مادة (قفو) .
(٣) عبارة الأساس مادة (عقب) : أتى فلان خيرا فعقب بخير منه وتعقبت ماصنع فلان تتبعته .
(٤) الكشاف ١/٣٦ .
(٥) فى خ : من فن .
(٦) فى م ، خ ، ب : وكما .

الاتصال فكذا على تقدير الانقطاع والابتداء .

فان قيل : فيلزم أن لا يصح العطف على الجملة الاستئنافية أصلا . قلنا : نعم اذا لم تكن الجملة التى ينشأ عنها السؤال صالحة للعطف عليها ، ولم يكن الواقع موقع الاستئناف هو المعطوف والمعطوف عليه جميعا .

فان قيل : هذا يشكل بما اذا جعل " والذين يؤمنون بما أنزل اليك " مبتدأ خبره " أولئك على هدى " حيث جاءت بالعاطف وصلحت لعطف جملة " ان الذين كفروا " عليها .

قلنا : قد سبق أن جملة " والذين .. " تعريضية صالحة للعطف بخلاف جملة " ان الذين " ولذا صدرت بان المشعرة بالأخذ في فن (١) آخر ، على أن ذلك وجه مرجوح .

ثم تقرير جواب الكتاب مع وضوحه قد خفى على البعض حتى قالوا أن المراد أن قوله : " الذين يؤمنون " الى آخره استئناف جوابا عن سؤال ، وقوله : " ان الذين كفروا " لا يصلح جوابا عن ذلك السؤال فلا يصلح عطفه عليه .

وهذا مع أنه ليس كلام المصنف ليس بمستقيم ، لأنه اذا قيل : ما بال المتقين مخصوصين بكون الكتاب هدى لهم دون من سواهم ؟ انتظم غاية الانتظام أن يقال : لأن المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات أحقاء بذلك ، والكافرين المصرين لا ينفعهم الكتاب ويستوى عليهم وجوده وعدمه .

ومن ههنا ذهب بعضهم الى أن ترك العطف ههنا لكمال الاتصال والاتحاد فى الغرض .

وبعضهم (٢) الى أنه استئناف جواب سؤال وهو ما بال غيرهم لم يكن الكتاب هدى لهم ولم ينتفعوا به ؟ يعنى أن ذلك لاعراضهم بالكلية واصرارهم وبطلان استعدادهم وشىء من هذا لا يلائم ما ذكره المصنف والقول ما قاله .

قوله : (والتعريف فى الذين كفروا) (٣) يريد أن تعريف الذى كتعريف ذى اللام قد يكون للعهد وقد يكون للجنس ، وكما أن الجمع المعرف بلام الجنس قد يقصد به

---

(١) فى خ : فى كلام
(٢) منهم الطيبى فى فتوح الغيب ١/٢٠٥ (٣) الكشاف ١/٣٦

جنس المجموع الى أن يحاط به فيستغرق وقد يقصد به الجنس الى الثلاثة فكذلك الذين ، وكما أن الأصل في المعرف باللام الجنس الاستغراق مالم تقم قرينة البعضية فكذلك في الذين .

وههنا الاخبار عنهم باستواء الانذار وتركه قرينة دالة على أن المراد بالذين كفروا : المصرون منهم دون الذى تجدى عليهم الألطاف ويؤثر فيهم الانذار وهم الذين آمنوا من الكفار ، كما أن الحكم بالتربص ثلاثة / قروء في قوله تعالى : ٤٥ أ
" والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "(١) يدل على أن المراد بهن ذوات الأقراء خاصة .

فقوله : (وأن يراد) عطف على (أن يكون) على طريق البيان ، وقرينة العهد أن هؤلاء أعلام الكفر والمشهورون بحيث يتبادر الذهن اليهم عند الاطلاق ، وقوله : (متناولا كل من صمم ، وغيرهم) بمعنى بحسب دلالة اللفظ من غير نظر الى القرينة .

وقوله : (ودل على تناوله للمصرين) أى على أن المراد به الحكم (٢) هم المصرون خاصة دون من سواهم ، والا فالتناول كان ثابتا بدون ذلك .

وفي الكلام اشارة الى أن العام يراد به العموم دلالة ويخرج البعض حكما ، والى أن مثل هذا الجمع للعموم لغة (٣) لا للاطلاق الصالح للكل والبعض من غير ظهور في أحدهما على مايذكره في بعض المواضع من هذا الكتاب .

فقد ذكر في قوله تعالى : "اذا طلقتم النساء (٤) " أنه لاعموم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس (٥) . وفي قوله تعالى : " والمطلقات " (٦) " أراد ذوات الأقراء ، واللفظ لا يقتضى العموم بل هو مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه "(٧) . ومن ههنا ذهب كثيرون (٨) الى أن المراد ههنا أيضا (٩) الاطلاق والتقييد لا العموم والتخصيص .

---

(١) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة . (٢) في م ، غ ، ب : المراد به في حق الحكم
(٣) كلمة " لغة " ناقصة من خ ، م ، ب .
(٤) عبارة الحاشية : " فاذا " وهو خطأ لأنها الآية الأولى من سورة الطلاق "يأيها النبى اذا طلقتم النساء " . (٥) انظر الكشاف ٤/ ٤٤٣ .
(٦) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة . (٧) انظر الكشاف ١/ ٢٠٥ .
(٨) منهم الطيبى في فتوح الغيب ١/ ٥٢ .
(٩) كلمة " أيضا " ناقصة من خ .

قوله : (وصف به) أى أجرى على مايتصف بالاستواء كما تجرى المصادر على مايتصف بها مبالغة أعم من أن تكون نعتا نحويا كما فى : " كلمة سواء "(١) و" أربعة ايام سواء "(٢) فيمن قرأ بالجر(٣) ،أو لا كما فى هذه الآية فانه فى موقع اسم فاعل مسند الى الانذار وعدمه اسناد الفعل الى فاعله أو الخبر الى مبتدئه.

ووجه افراده على الأول ظاهر وعلى الثانى للنظر الى جهة المصدرية ،ولهذا قال فى الأول : (كأنه قيل : ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه) ،وفى الثانى : (سواء عليهم انذارك وعدمه) وهذا أرجح ،لأنه لما كان غير صفة فالأصل أن لا يعمل .

ولأن الغرض من الوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى فى رجل عدل أنه كأنه تجسم من العدل فاذا (٤) جعل بمعنى اسم الفاعل أو حمل على حذف المضاف فات ذلك .

قوله : (الفعل أبدا خبر)(٥) جعل الفعل مع فاعله فعلا شائع فى عباراتهم ، والا فالمخبر عنه ههنا هو الجملة لا مجرد الفعل .

وتقرير الجواب أن " أنذرتهم أم لم تنذرهم " وان كان فى اللفظ جملة فعلية استفهامية لكنه فى المعنى مصدر مضاف الى الفاعل أى انذارك وعدمه . وهو مما يصح أن يخبر عنه .

٤٥ب وقوله : (يميلون مع/ المعانى) على التضمين أى دائرين معها وكذا (لا تأكل السمك) يمال الى معناه فيحصل اسم يعطف عليه الاسم الذى هو أن تشرب ،وهذا معنى هجر جانب اللفظ ،لا ان يجعل الفعل الذى هو لا تأكل فى تقدير المصدر(٦) فليتأمل .

فان قيل : هذه الواو بمعنى مع لأن النهى انما هو عن الجمع بينهما فلم لايجوز

---

(١) من الآية ٦٤ من سورة آل عمران .
(٢) من الآية ١٠ من سورة فصلت .
(٣) هى قراءة زيد بن على ،والحسن ،وابن ابى اسحق ،وعمرو بن عبيد ،وعيسى ، ويعقوب . انظر الكشاف ٤/ ١٤٧ ،والبحر المحيط ٧/ ٤٨٦ .
(٤) فى ط ،ب : واذا .
(٥) الكشاف ١/ ٣٦ ، ٣٧
(٦) فى م ،خ : فى تقدير المضاف .

أن يكون المذكور مفعولا معه كما فى قولك : ماصنعت واياك ،ولا يحتاج الى التزام هجر جانب اللفظ ؟

قلنا : لأنه لا يصلح لمصاحبة معمول الفعل الذى هو لا تأكل بل ان كان ولابد فلمصاحبة معمول فعل يمال اليه معنى أى لا يكن منك أكل السمك مع شرب اللبن .

قوله : (والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء) (١) شروع فى التفسير على وجه يؤكد الجواب عن السؤال الأول ويدفع سؤالا آخر ،أما الأول فلأن تجريد الهمزة وأم لمعنى الاستواء من باب هجر جانب اللفظ .

وأما الثانى فلأنه لما جعل الفعل مخبرا عنه بتأويل جعله فى معنى المصدر توجه السؤال بأن الهمزة للاستفهام وله صدر الكلام فلا يصح أن يجعل مابعدها فاعلا أو مبتدأ مقدم الخبر ،وأم لأحد الأمرين وما يتعلق به سواء (٢) لا يكون الا متعددا .

فأجاب بأن الهمزة وأم ههنا لمجرد معنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام والدلالة على أحد الأمرين .

ثم توجه السؤال بأنهما لو تجردتا لمعنى الاستواء لكان الاخبار عنهما بالاستواء تكرارا خاليا عن الفائدة بمنزلة قولك : المستويان مستويان .

فأشار الى الجواب بأن الاستواء الذى تجردت الهمزة وأم لمعناه هو الاستواء الذى كانتا متضمنتين له عند حقيقة الاستفهام أعنى الاستواء فى علم المستفهم ، والاستواء المستفاد من سواء هو الاستواء فى الغرض المسوق له الكلام كأنه قيل : المستويان فى علمك مستويان فى عدم النفع .

وهذا مانقل عن المصنف أن معناه : مااستوى علمك فيه حتى اشتغلت به مستو فى عدم التأثير ،كأنه سأل ربه : أأنذرهم أم لا ؟ فقيل له ذلك .

وقد يقال : المراد (٣) أن المستويين فى صحة الوقوع مستويان فى عدم النفع لكن ماذكرنا أليق بقولهم : جردتا لمعنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام ، لأنه يجب أن يكون ذلك هو الاستواء الذى كان مع الاستفهام وهو الاستواء فى علم المستفهم ،والا لم يكن ذلك/ تجريدا عن مجرد معنى الاستفهام ،فما ذكرنا أقرب الى الحقيقة . ٤٦أ

---

(١) الكشاف ١/ ٣٧ .
(٢) فى خ : وما يتعلق بسواء .
(٣) كلمة "المراد" ناقصة من خ .

ثم التحقيق أن الواقع موقع الفاعل أو المبتدأ هو مجموع الحرف والفعل ، قال أبو علي (١) : انما جعل الفعلان مع الحرفين في تأويل اسمين بينهما واو العطف ، لأن مابعد همزة الاستفهام ومابعد عديلتها مستويان في علم المستفهم ،

لأنك انما تقول : أقمت أم قعدت ؟ اذا استوى قيام المخاطب وقعوده ، فيطالب بهذا السؤال التعيين ، فلما كان الكلام استفهاما عن المستويين أقيمت همزة الاستفهام وعديلتها مع مابعدهما مقام المستويين وهما قيامك وقعودك ، كما أقيم لفظ النداء مقام الاختصاص في أنا أفعل كذا أيها الرجل بجامع الاختصاص .

وذهب بعض النحويين الى أن سواء في مثل هذا المقام خبر مبتدأ محذوف أي الأمران سواء علي ، وأن الهمزة بما بعدها بيان للأمرين ، والفعلان في معنى الشرط والجملة الاسمية أي الأمران سواء دالة على الجزاء أي ان قمت أو قعدت فالأمران سواء علي .

ولذلك استهجن الأخفش أن يقع بعد هذه الهمزة سوى الماضي (٢) ، وذلك لأنه يصير في معنى المستقبل ، وافادة الماضي معنى المستقبل أدل على ارادة معنى الشرط .

وانما أفادت الهمزة فائدة ان الشرطية بجامع استعمالهما فيما لم يتيقن حصوله ، وجعلت أم بمنزلة أو لاشتراكهما في افادة أحد الأمرين ويرشدك الى أن سواء ههنا في موقع جزاء الشرط أن قولنا : سواء علي أقمت أم (٣) قعدت ، وقولنا : لاأبالي أقمت أم قعدت واحد .

ولا أبالي ليس خبرا للمبتدأ بل المعنى : ان قمت أو قعدت فلا أبالي بهما ، واختص استعمال الهمزة وأم في هذه المعنى بما بعد سواء ولا أبالي وما يؤدي مؤداهما لأن المراد التسوية في الشرط بين أمرين فلابد فيما يقع موقع الجزاء من معنى الاستواء قضاء لحق المناسبة .

ولهذا لزم تكرير الشرط ولم يصح : لا أبالي أقام زيد ، فعلى هذا يكون خبر ان هو الجملة الشرطية والمعنى : ان الذين كفروا ان أنذرتهم أو لم تنذرهم فهما سواء عليهم .

---

(١) انظر حاشية السيد على الكشاف ص ١٥٣ ، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ٢٤٨/١ .
(٢) الحجة في القراءات ٢٥٤/١ .
(٣) في الأصل : أو قعدت .

قوله : (ومعنى الاستواء) الذى جردتا له هو (استواؤهما فى علم المستفهم) عند استعمالهما فى الاستفهام ، وههنا قد ذهب الاستفهام وبقى الاستواء فى العلم .

قوله : (بعلم غير معين) صح بخط المصنف بكسر الياء اسم فاعل أى بعلم لايفيد التعيين ثم انك تطلب/ بالاستفهام التعيين . ٤٦ ب

قوله : (وبحذفه) أى حذف حرف الاستفهام (والقاء حركته) الظاهر أن ضمير حركته أيضا لحرف الاستفهام حتى تكون القراءة : " عليهم أنذرتهم " بفتح الميم وابتداء انذرتهم بفتح الهمزة ولكن لما لم توجد هذه القراءة [1] ، ولم يكن هذا مثل : " قد افلح " [2] بفتح الدال وسكون الفاء ، ذهب الجمهور الى أن ضمير حركته للحرف الآخر أعنى الهمزة الثانية لتكون القراءة " عليهم نذرتهم " بفتح الميم وسكون النون من غير همزة أصلا . لكن هذه القراءة أيضا مما لم يوجد [3] ولا العبارة تدل عليه

قوله : (هو لاحن) [4] ، للجمع بين الساكنين على غير حده ، وجعل التخفيف على طريق الشذوذ مثل : " لا هناك المرتع " [5] ، و " سالت هذيل " [6] بالألف ، وكلامه فى مثل هذه المقامات ليس طعنا فى القراءات بل فى الرواة .

قوله : (والجملة قبلها اعتراض) هو أن يؤتى فى اثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام ، وجوز بعضهم كونه لدفع الايهام ، وبعضهم كونه فى آخر الكلام ، وأما اشتراط كونه للتأكيد فمما لم نسمعه .

---

(١) انظر اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٣٩ .

(٢) من الآية ١ والآية ١٤ من سورتى المؤمنون والأعلى .

(٣) بل وجدت هذه القراءة ففى البحر المحيط ١ / ٤٨ : " قرأ أبى بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الميم الساكنة قبلها " . (٤) الكشاف ١ / ٣٧ .

(٥) جزء من بيت للفرزدق يهجو عمرا بن هبيرة الفزارى وتمامه :
ومضت لمسلمة الركاب مودعـا * فارعى فزارة لا هناك المرتـع
وروى : راحت بمسلمة البغال عشية . وقوله : لا هناك المرتع دعاء عليهم
يقال : هناك الطعام أى انهضم فى بطنك وأراحك ونفعك ،
انظر ديوان الفرزدق ١ / ٤٠٨ ، ومشاهد الانصاف ٣ / ٣٨ .

(٦) جزء من بيت لحسان بن ثابت وتمام البيت :
سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما جاءت ولم تصب
انظر شرح ديوان حسان ٦٧ ، وحاشية السيد على الكشاف ١٥٤ .

ثم لا يخفى أن جعل " لا يؤمنون " بيانا للاستواء أولى من جعله خبرا لقلة جدواه، وانه حينئذ يكون محله الرفع ، وان ماذكره انما هو على تقدير كون " سواء عليهم أأنذرتهم " جملة من مبتدأ وخبر لا صفة مع الفاعل ،وأما على هذا التقدير فلم يتبين موقع " لا يؤمنون " ،وأما محل " ختم الله " فالظاهر أنه أيضا بيان وتأكيد .

قوله: (الختم والكتم أخوان (١)) أى فى العين واللام وأصل المعنى وإن افترق معناهما من وجه .

قوله: (لا ختم ولا تغشية) رد لما يذهب اليه بعض المفسرين يعنى: انه ليس بحقيقة بل مجاز ،وليس بمجاز مرسل بل مبنى على المبالغة فى التشبيه ،وهو الذى يسميه المتأخرون الاستعارة .

والمصنف يقسمه اتباعا للشيخ عبد القاهر (٢) وكثير من القدماء الى الاستعارة والتمثيل ،كما قال فى قوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعا (٣) " : " يجوز أن يكون تمثيلا وأن يكون استعارة " (٤) .

ويعنون بالتمثيل مايكون وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور وبالاستعارة مايكون بخلاف ذلك .

فقوله : (من باب المجاز) يعنى المجاز الذى علاقته المشابهة ليصح حصره فى النوعين على ما هو مقتضى ظاهر العبارة ،أما وجه الاستعارة فهو أن يشبه عدم نفوذ الحق فى القلوب ، وتحقق نبو الأسماع عن قبوله بالختم عليها أى بكونها مختوما عليها على ماينبى عنه / قوله : (كأنها مستوثق منها بالختم) ٤٧ أ

ويشبه عدم اجتلاء الأبصار للآيات والأدلة بالتغطية (٥) عليها أى كونها مغطى عليها .

كل منهما تشبيه معقول بمحسوس والجامع الاشتمال على انتفاء القبول لمانع ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ،واشتق من الختم المجازى صيغة الماضى ،فتكون الاستعارة فى ختم تصريحية تبعية وفى غشاوة تصريحية أصلية .

---

(١) بداية تفسيره لقوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم .. " الآية ٧ من سورة البقرة .
(٢) أسرار البلاغة ٢٠٧ ـ ٢٢٤ .
(٣) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٤) الكشاف ١/٣٠٢ .
(٥) عبارة الأصل ،خ : بالتغشية .

وأما وجه التمثيل فهو أن تشبه حال القلوب والأسماع والأبصار بحال أشياء مخلوقة للانتفاع بها مع المنع عن ذلك بطريق الختم والتغطية ثم يستعمل في المشبه اللفظ الدال على المشبه به .

والجامع عدم الانتفاع بما خلق للانتفاع بناء على مانع وعارض يلزمه ويلاصقه مع التكليف بالانتفاع ، وهو كما ترى أمر عقلي مركب من عدة أمور .

وقد يتوهم من ظاهر عبارة (١) الكتاب أن المشبه هو القلوب والأسماع ، ومن ههنا ذهب بعضهم (٢) في الوجه الأول الى أن القلوب استعارة بالكناية والختم تخييل ، وبعضهم في الوجه الثاني .

ولا يخفى على من له قدم في علم البيان أن الوجه ماذكرنا وأن قوله : (تجعل القلوب) الى آخره بمنزلة قولك : تجعل الحال لكونها دالة على كذا كأنها ناطقة به ، وأن عبارته ظاهرة في أن الختم والتغشية مجاز ، نعم لو ذهبا الى مذهب السكاكي في رد الاستعارة التبعية الى الاستعارة بالكناية (٣) فذلك بحث آخر .

ونعم ماقال بعض أهل التدقيق " انه اذا كان الغرض الأصلي والواضح الجلي تشبيه المصدر ، وذكرت المتعلقات بالعرض والتبع فالاستعارة تبعية كما في قوله :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة * اذا سرى النوم في الأجفان ايقاظا (٤)

فان حسن التشبيه بحسب الأصالة انما هو فيما بين هبوب الرياح والقرى ، لا في مابين الرياح (٥) والضيف أو الايقاظ والاطعام .

واذا كان في المتعلق وذكر الفعل تبعا كما في قوله تعالى : " ينقضون عهد الله " (٦) فاستعارة بالكناية لشيوع تشبيه العهد بالحبل .

وان كان الأمران على السواء كما في نطقت الحال فمحتمل ، اذ كل من تشبيه الدلالة بالنطق والحال بالناطق حسن " (٧)

---

(١) كلمة " عبارة " ناقصة من الأصل .
(٢) منهم الطيبي في فتوح الغيب ١ / ٥٤ ، وتبعه الفاضل اليمني في تحفة الأشراف ١ / ٤١ .
(٣) مفتاح العلوم ٢٠٤ .
(٤) القرى طعام الضيف ، والحزن ماغلظ من الأرض انظر المطول ٣٧٧ ، وبغية الايضاح ٣ / ١٣٤ ، ومفتاح العلوم ٢٠٤ ، وشروح التلخيص ٤ / ١٢٦ ، والمصباح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
(٥) في الأصل : الرياض .
(٦) من الآية ٢٧ من سورة البقرة ، ٢٥ من سورة الرعد .
(٧) وصاحب هذا الرأي هو المولى سراج الدين عمر بن عبد الرحمن في حاشيته كشف الكشاف الورقة ١٨ ب .

قوله : (وقد جمع بعض المازنيين) ، الظاهر أن هذا تأييد وتأكيد للاستعارة ، حيث استعار الختم للحبسة في اللسان كما استعير لما هو كالحبسة في القلوب والأسماع ، فكان الأنسب تقديمه على ذكر التمثيل .

لكنا نقول : / المراد بالحبسة مايحتمل أن يكون باعتبار مجرد مدلولها وأن يكون ٤٧ب
باعتبار مايتضمنها من الحالة المخصوصة على مايشعر به البيت الثاني (١) فيشمل التمثيل أيضا .

قوله : (فلم أسند الختم الى الله تعالى) يعني أن الختم اذا كان استعارة لامتناع قبول الحق ، أو تمثيلا لحال القلوب بحال أشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها ، فاسناده الى الله تعالى مشعر بأنه المانع من قبول الحق ، والضارب للحجاب بين القلوب والانتفاع وبالجملة المحدث لتلك الصفة أو الحالة ، وذلك قبيح لا يصح اسناده الى الله تعالى .

وتقرير الجواب أن المقصود من هذا الكلام وصف القلوب بأنها كالمختوم عليها في عدم نفوذ الحق فيها (٢) ، وعدم الانتفاع بها في الأغراض الدينية اما تقريرا وبيانا من الله تعالى أو حكاية عن الكفرة كما في الوجه الخامس .

وهذا ماأشرنا اليه من أن التشبيه ليس بالختم المبني للفاعل وبالجملة ففي اسناد ذلك الختم المجازي الى الله تعالى وجوه :

الأول : أنه كناية ايمائية (٣) عن فرط تمكن الصفة المعبر عنها بالختم فيهم ، لأن هذا المعنى ملزوم لكون الفعل مخلوقا لله تعالى ، كما يقال : فلان مجبول على الشر كناية عن فرط تمكن الشر فيه فيقصد مدلول اللفظ لا ليتعلق به الاثبات والنفي بل لينتقل منه الى ملزومه .

لكن المصنف قد يشترط في الكناية امكان المعنى الحقيقي وقد لا يشترط كما ستطلع عليه ، وقد صرح بالتفصيل في قوله تعالى : " ولا ينظر اليهم يوم القيامة " (٤)

---

(١) والشاعر رجل من فزارة على مافي مشاهد الانصاف ١ / ٣٨ ، وقد نص الزمخشري على أنه بعض المازنيين . وهذا فراسم رجل ، والشاعر يخبر عن حاله بأنها كذلك ويمكن أن يكون ذلك على سبيل الدعاء عليه . انظر تنزيل الآيات ٢ ٣٩ .

(٢) في خ : اليها .

(٣) " ايمائية " ناقصة من .

(٤) من الآية ٧٧ من سورة آل عمران .

حيث قال : " أصله فيمن يجوز عليه النظر كناية ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا "(١) ، ويشبه أن يكون مثله من مجاز الكناية يسمى مجازا وكناية بالاعتبارين .

الثاني : أن الجملة بتمامها وعلى حالها استعارة تمثيلية شبهت حالهم بحال قلوب ، محققة أو مقدرة ، ختم الله عليها ، أي خلقها عديمة الانتفاع بالآيات ، ثم ذكر الجملة الدالة على المشبه به كما في قولهم : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فكما أنه ليس هناك من المخاطب تقديم وتأخير للرجل فكذا ليس ههنا من الله تعالى منع عن قبول الحق .

غاية الأمر أن الختم ههنا مجاز كما لو عبر في الكلام المذكور عن التقديم أو التأخير أو الرجل بلفظ مجازي .

الثالث : أن الاسناد مجازي من باب اسناد الفعل الى السبب كما في قولهم : بنى الأمير المدينة فالخاتم / أي المانع من قبول الحق هو الشيطان أو الكافر نفسه ، ٤٨ أ
لكنه لما كان بتمكين الله تعالى واقداره اياه اسند اليه ، فيكون بمنزلة أحيى الأرض الربيع في كون المسند والاسناد مجازيين .

الرابع : أن لا يكون الختم مجازا عن الالجاء الى الكفر والمنع من (٢) قبول الحق حتى يمتنع اسناده الى الله تعالى ، بل عن ترك القسر والالجاء الى الايمان ، وحينئذ يصح اسناده الى الله تعالى حقيقة .

ثم ليس المقصود من هذا الكلام أعني ترك الله تعالى الجاءهم الى الايمان مدلوله الحقيقي بل هو كناية عن تناهيهم في الكفر والضلال ، اذ ينتقل منه الى أن مقتضى حالهم الالجاء لولا مانع ابتناء التكليف على الاختيار .

ومنه الى أن الآيات والنذر لا تغني عنهم ، والألطاف لا تجدي نفعا عليهم ومنه الى (٣) اصرارهم على الكفر وتناهيهم في الضلال . هذا هو الظاهر من كلامه ، ويفصح عنه قوله : (عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم) .

---

(١) الكشاف ١ / ٢٨٨ بتصرف .
(٢) في خ ، ط : عن قبول .
(٣) في الأصل : على .

وقد يقال : المراد أن الختم المستعار مجاز عن ترك القسر لعلاقة اللزوم بينهما ، فهو مجاز بمرتبتين ، وليس الختم استعارة مبنية على تشبيه ترك القسر بالختم بجامع المنع ، اذ الختم احداث مانع محسوس ، وهذا ترك رفع مانع معقول واستعارة الاحداث للعدم بعيد .

فلهذا يجعل الختم أولا مجازا عن احداث هيئة فى القلب تمنعه عن خلوص الحق فيه ، لا عن عدم نفوذ الحق فيه كما هو ظاهر كلامه .

ونحن لا نرى بعدا فى جعل الختم مبنيا للفاعل مجازا عن منع قبول الحق ، أو عن ترك القسر ، ومبنيا للمفعول عن عدم نفوذ الحق .

الخامس : أن يكون حكاية لكلام الكفرة لا بعباراتهم ، فان قولهم : " قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب " (١) هو معنى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " .

وكون القصد من هذه الحكاية الى التهكم لا يعرف الا بالذوق السليم ، وكون اسناد الختم الى الله تعالى عندهم اسناد الى ماهو له عند المتكلم معلوم من حال الكفرة .

وأما أن الختم على هذا حقيقة أو مجاز ففيه تردد ، ذكر فى قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا غلف " (٢) : " أراد وأنها فى أغطية جبلة وفطرة " (٣) ، وفى قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا فى أكنة " الآية : " أنها تمثيلات لنبو قلوبهم عن الحق " (٤) .

هذا حاصل الوجوه على مايقتضيه النظر الصائب من أرباب البيان ، وانما غير الأسلوب فى الوجه / الرابع حيث لم يقل : ويجوز لبعد الكلام لطول مباحث الاسناد المجازى ، ولأن مبنى الوجوه السابقة على (٥) كون الختم مجازا عن المنع من قبول الحق بخلاف الأخيرين . ٤٨ ب

وانما أطنب فى هذا المقام لكونه أول ماورد من اسناد القبيح عقلا الى الله تعالى ، ولا يخفى على المنصف بعد الثلاثة الأخيرة ، فان الأول منها يقتضى صحة اسناد جميع أنواع الكفر والمعاصى بل جميع أفعال الأجسام الى الله تعالى

---

(١) من الآية ٥ من سورة فصلت .
(٢) من الآية ٨٨ من سورة البقرة .
(٣) الكشاف ١ / ١٢٢ .
(٤) الكشاف ٤ / ١٤٤ .
(٥) فى خ ، ط : عن .

فان قيل : قد جاز ذلك عندكم بطريق الحقيقة فليجز عندنا بطريق المجاز ،قلنا : الفعل انما يسند حقيقة الى من قام به لا الى من خلقه وأوجده ،والله تعالى عندنا(١) خالق للافعال لا محل لها فالكافر والجالس انما يصح حقيقة لمن قام به الكفر والجلوس لا لمن خلقهما كالأسود والأبيض لمن قام به السواد والبياض وان كانا بخلق الله تعالى .

والثانى مما لا قرينة عليه ،والثالث مما يأباه سوق الكلام ونظمه ،اذ القصد(٢) به انما هو الى تقرير الكلام السابق وتأكيده .

هذا ونحن نقول : بأن القبيح لا يسند اليه لكن لا قبح بالنسبة الى خلقه وايجاده والصدور عنه ،وانما القبح فى قيامه بالعبد وكسبه وصرف قدرته وارادته ،سواء جعل لهما دخل مّا فى الايجاد أو جعل الايجاد بمحض خلق الله تعالى بطريق جرى العادة عقيب قدرة العبد وارادته .

وقولهم : بأنه يجوز أن يكون فى الاقدار والتمكين حكمة ومصلحة فلا يقبح ليس بقادح ،لجواز أن يكون الخلق والايجاد كذلك ،وقد بسطنا الكلام فيه فى شرح المقاصد(٣) .

وبالجملة فالأصل فى الاسناد الحقيقة مالم يصرف عنها صارف ولا صارف .

قوله : (يدل على المنع من قبول الحق)(٤) ناظر الى " ختم الله على قلوبهم " وقوله : (والتوصيل) أى وعلى المنع من التوصيل الى الحق ناظر الى ختم الله على سمعهم .

قوله : (والله يتعالى عن فعل القبيح(٥)) استدل عليه بالعقلى وهو ظاهر ، والسمعى وفيه بحث ،لأن كونه غير ظالم وغير(٦) آمر بالفحشاء ونحو ذلك مما نطق به التنزيل لا يدل على أنه لا يفعل القبيح أصلا .

والجواب أن ذلك ليس الا لقبحه فينتفى كل قبيح ، أو المراد التنبيه على تنزيه ذاته عن المنع من قبول الحق لأنه ظلم وفعل للفحشاء ،أو أنه اذا لم يأمر بالفحشاء فلأن لا يفعل الفاحش أى القبيح أولى .

---

(١) فى الأصل : لا الى من خلقه وأوجده عندنا ، والله تعالى خالق الخ .
(٢) فى م ،خ : لأن القصد به .
(٣) شرح المقاصد ٢ / ١٢٥ — ١٢٧ ، ١٣١ — ١٥٣ .
(٤) الكشاف ١ / ٣٨ .   (٥) الكشاف ١ / ٣٩ .
(٦) فى خ ،ط : أو غير .

قوله : (ماخيل اليك) وهو أن الله تعالى (١) يمنع من قبول الحق يعني أن الآية / وردت لاظهار سماجة حالهم ، واستحقاقهم العذاب العظيم بذلك ، فكيف ٤٩ أ
يتصور اسناد احداث ذلك فيهم الى الله تعالى في نفس هذه الآية ؟

قوله : (طارت به العنقاء) ، في الصحاح : " هي الداهية وأصلها طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم " (٢) ، وقال الخليل : (٣) " اسم ملك ، والتأنيث فيه للفظ العنقاء " .

قال الأزهري (٤) : أخبرني المنذري عن المفضل عن ابن الكلبي : كان بأرض الرس جبل يقال له : دمخ ، مصعده في السماء ميل ، وكان ينتابه طائرة (٥) كأعظم مايكون ، لها عنق طويل ، من أحسن الطير ، فيها من كل لون .

وكانت تنقض على الطير فتأكله ، فانقضت على صبي فذهبت به ، فسميت عنقاء مغرب ، لأنها تغرب بكل ما اختطفته ، ثم انقضت على جارية قد ترعرعت ، فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ، ثم ذهبت بها فشكوا ذلك الى نبيهم حنظلة بن صفوان ، فدعا عليها فهلكت فضربتها العرب مثلا في أشعارها (٦)

قوله : (الأغتام) ، في الصحاح : " الأغتم الذي لا يفصح شيئا والجمع غتم " (٧)

---

(١) كلمة " تعالى " ناقصة من خ .
(٢) الصحاح مادة (عنق) .
(٣) في " تهذيب اللغة " أن الذي قال ذلك هو الليث ، وفي " مجمع الأمثال : قال الخليل : " سميت عنقاء لأنه كان في عنقها بياض كالطوق " .
انظر التهذيب ١ / ٢٥٤ ، ومجمع الأمثال ١ / ٣٩٣ .
(٤) أبو منصور محمد بن احمد الأزهري اللغوي الأديب ، أخذ عن نفطويه وابن السراج وكان رأسا في اللغة ، ألف التهذيب وغيره ، مات سنة ٣٧٠ هـ .
بغية الوعاة ١ / ١٩
(٥) في ط ، ب : طائر
(٦) لم أجد هذه القصة في كتاب التهذيب للأزهري ولكني وجدتها منسوبة لابن الكلبي أيضا في مجمع الأمثال للميداني ١ / ٣٩٣ ، وفي لسان العرب مادة (عنق) .
(٧) الصحاح مادة (غتم) .

وفى الأساس : " هو أغتم ، وقوم غتم وأغتام وبقيت بين ثُلَّة[1] أغتام كأنهم ثَلَّة أغتام ، والغتمة العجمة فى المنطق من الغتم وهو الأخذ بالنفس "[2] .

قيل : يشبه أن تكون الأغتام جمع غتم كأعزال جمع عزل جمع أعزل ، وقيل : الأغتم الجاهل الذى لا يفقه شيئا ، وقوله : (وليس له) عطف على (كذلك مثلت) ، وضمير (تجافيها) لقلوبهم .

قوله : (وهو)[3] أى الختم أو اسناده ، (لغيره) ان أريد لغير اسم الله فليس له كثير معنى ، وان أريد لغير الله فلفظ اسم فى قوله : (الى اسم الله) مقحم للتأدب .

قوله : (يلابس الفاعل) اقتصر على ذكر الملابسات التى يصح الاسناد اليها ، بخلاف المفعول معه والحال والتمييز ، والمراد بالفاعل فى قوله : (يلابس الفاعل والمفعول به) وغير ذلك هو الفاعل النحوى أعنى اللفظ الذى أسند اليه الفعل ، وكذا البواقى .

وفى قوله : (فاسناده الى الفاعل حقيقة) مايكون محلا للفعل والفعل وصفا له قائما به كالفاعل فى المبنى للفاعل والمفعول به فى المبنى للمفعول ، فان فى قولنا : ضرب زيد عمرا الفاعل للضاربية زيد وللمضروبية عمرو .

فالاسناد فى ضرب عمرو مبنيا للمفعول يكون حقيقة لكونه اسنادا الى الفاعل ، وفى قوله : أفعم السيل مبنيا للمفعول يكون مجازا لكونه الى غير الفاعل وهو الوادى لأنه المتصف بالمفعمية .

/وكذا فى رضيت المعيشة مبنيا للفاعل ، لأنه الى غير الفاعل اذ الرضى لصاحب المعيشة مع أن الاسناد فى جميع ذلك بل فى جميع صور الاسناد المجازى الى الفاعل النحوى . ٤٩ب

قوله : (على طريق المجاز المسمى استعارة) يوهم أنه من قبيل الاستعارة الاصطلاحية ، وذلك أنه استعير الاسناد من الفاعل الحقيقى لغيره بعلاقة المشابهة فى ملابسة الفعل كما يستعار اسم الأسد للرجل الشجاع لمشابهته الأسد فى الجرأة ،

---

(١) الثُّلَّة الجماعة الكبيرة العدد ، أما الثلة بالفتح فتقال للضأن الكثيرة .
(٢) أساس البلاغة مادة (غتم) بتصرف .
(٣) الكشاف ١ / ٤٠ .

فيكون الاسناد مستعارا والفاعل مستعارا منه وغير الفاعل مستعارا له .

لكن لا يخفى أن المجاز المسمى استعارة : لفظ استعمل فى غير ما وضع لـه ، والاسناد ليس كذلك ، وليس أيضا المستعار هو الفعل ، لأنه قد يكون حقيقة كما فى أنبت الربيع ، وقد يكون مجازا مرسلا كما فى ركع المقام بمعنى صلى ، وقد يكون استعارة كما فى أحيى الأرض الربيع و " ختم الله " بمعنى منع من قبول الحق .

فالوجه أن يقال : المراد أنه يسند الى غير الفاعل بناء على المشابهة كما هو طريق المجاز المسمى استعارة ، اذ فيه يطلق اللفظ على غير الموضوع له بناء على المشابهة .

وليس المراد أن المجاز فى الاسناد استعارة اصطلاحية أعنى استعمال لفظ المشبه به فى المشبه ، صرح بذلك الشيخ عبد القاهر وقال : (١)

" تشبيه الربيع بالفاعل القادر فى تعلق الفعل ليس هو التشبيه الذى يقصد (٢) فى الكلام ويفاد بكأن والكاف ونحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر المختار فى اسناد الفعل اليه ، كما يقال : شبهت "ما" بليس فرفع بها المبتدأ ونصب الخبر وسيجيء من كلام المصنف أيضا جعل المجاز الحكمى مقابلا للمجاز المسمى استعارة . (٣)

فان قلت : لعله أراد أنه من باب الاستعارة بالكناية على ما يراه صاحب المفتاح (٤)
قلت : لا يجوز ذلك لأن الاستعارة حينئذ لا تكون فى الاسناد نفسه على ما صرح بـه ، بل فى المسند اليه حيث أريد به الفاعل الحقيقى ادعاء بقرينة نسبة المسند الذى هو من خواص الفاعل الحقيقى اليه .

وقصده بذلك حصر المجاز فى اللغوى وجعل العقلى راجعا اليه ميلا الى زيادة الضبط بتقليل الأقسام ، وكلام المصنف من هذا بمراحل ، وفى هذا المقام زيادة تفصيل تطلب من شرح التلخيص (٥)

قوله : (ذيل ذائل) أى هوان شديد من أذاله أهانه ، وذال بنفسه ذيلا ، وهذا أولى فى التمثيل من شعر شاعر ، لأن كون الشعر هناك بمعنى المصدر محل

---

(١) أسرار البلاغة ٣٣١ . (٢) عبارة عبد القاهر : يعقد .
(٣) عند تفسير قوله تعالى : " ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم " انظر الكشاف ٣/٢٧٤ .
(٤) انظر مفتاح العلوم ٢١٢ . (٥) المطول ٦٥ ــ ٦٧ .

نظر (١) .

(وناقة ضبوث) / هي التي يشك في سمنها فتضبث باليد أي تقبض وتجس ، ٥٠ أ
فلما فيها من الباعث على الضبث جعلت كأنها تضبث نفسها ، وكذا الكلام في (ناقة حلوب) وماء شروب وطريق ركوب ، والقصد بذلك الى أن يكون فعول بمعنى فاعل على ما هو المتعارف ، لا بمعنى المفعول على الغرابة .

قوله : (اذا ردعا في القدر من يستعيرها) في الأساس أنه للكميت وأوله : فلا تسأليني وانظري ماخليقتي (٢) وفي المفضليات أنه لعوف بن الأحوص وأوله : فلا تسأليني واسألي عن خليقتي (٣) ، أي خلقي وطبيعتي في زمان شدة القحط .

قال الأصمعي (٤) : كانوا في الجدب اذا استعار واحد منهم قدرا رد فيها بعض ماطبخ ، وسمي ذلك عافي القدر ، لأنه كان لا يجهد أهلها مقداره بل كان يأتي عفوا (٥) .

وهذا ظاهر فيما ذهب اليه الامام المرزوقي " (٦) من أن عافي القدر مفعول منصوب باسكان الياء مثل : أعط القوس باريها " (٧) ، وجاز التقديم مع انتفاء الاعراب فيهما لوجود القرينة المعنوية ، بل وجعلها في الفاعل من الضمير العائد الى متعلق المفعول .

---

(١) لأن المتبادر من الشعر هو الكلام المنظوم لا المعنى المصدري .
(٢) في الأساس مادة (عفو) : واسألي ماخليقتي
(٣) المفضليات ١ / ١٧٤ .
هذا وفي اللسان مادة (عفا) أن قائل البيت هو مضرس الأسدي وانظر الصحاح مادة (عفا) ، وشروح التلخيص ١ / ٢٤٥ ، وبغية الايضاح ١ / ٥٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤ / ٢٩٠ ، وللمرزوقي ٤ / ١٧٩٦ ، ومجمع الأمثال ١ / ٤٤٥ ومشاهد الانصاف ١ / ٤٠ وتنزيل الآيات ٣٩٣ .
(٤) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والنوادر ، روى عن ابن عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وغيرهما . مات سنة ٢١٦ وقيل سنة ٢١٥ هـ انظر بغية الوعاة ٢ / ١١٢ .
(٥) تحفة الأشراف ١ / ٤٢ .
(٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ / ٢٩٤ .
(٧) من الأمثال ومعناه : استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه وينشد :
يا باري القوس بريا لست تحسنها * لا تفسدنها وأعط القوس باريها
مجمع الأمثال ١ / ٤٢٥ .

والمصنف كأنه يمنع وجود القرينة نظرا الى التجوز ،ولا يرتكب اسكان المنصوب لكونه خلاف الأصل ،فيجعل عافي القدر فاعلا على سبيل المجاز ،لأن عافي القدر أي مايجب أن يبقى فيها وترد القدر معه سبب مانع للمستعير عن استعارتها ضنة منه ، فأسند الرد إليه(١) اسناد الفعل الى سببه .

فعلى هذا ينبغي أن يقال : كانوا في الجدب لا يستعيرون القدر تفاديا عن بذل العافي وابقائه في القدر ،هذا ماعليه أرباب المعاني .

وقد يتوهم أن عافي القدر هو الضيف ،وأن المستعير اذا جاء فرأى القدر منصوبة للضيف امتنع عن الاستعارة ،أو أن العافي هو البقية التي أبقاها المالك في قدره وأنه يرد المستعير ضنة من المعير بها ،أو لأن المستعير يشربها ويقنع بها فلا يستعير .

قوله : (الألطاف المحصلة)(٢) ،اللطف مايختار المكلف عنده فعل الطاعة أو ترك المعصية ،فان قارنه ذلك بالفعل فهو اللطف المحصل ويسمى الأول توفيقا ،والثاني عصمة ،والا فهو اللطف المقرب .

قوله : (وعلى) أي هذا التعبير لهذا الغرض على (الغاية) ،والتأنيث باعتبار الخبر .

قوله : (لم يكن الذين كفروا) (٣) تهكم بالكفرة من أهل الكتاب ،وحكاية لما كانوا يقولون قبل البعثة : لاننفك عن ديننا ، ولا نتركه ،حتى يبعث النبي الموعود في التوراة والانجيل .

قوله : (على دخولها في حكم الختم) (٤) ،قيل : لما كان ادراكهما من جميع الجوانب جعل المانع الختم الذي / يمنع من (٥) جميع الجهات ،ولما كان ادراك البصر ٥٠ب من جهة المقابلة خص المانع عنه بما يكون كذلك لظهور أن الغشاء يكون بين المرئي والرائي .

قوله : (يفعلون ذلك) يعني أن جوازه مطرد عند (أمن اللبس) وكذا عند (لمح

---

(١) في الأصل :عليه .   (٢) الكشاف ١ / ٤٠ .
(٣) من الآية الأولى من سورة البينة ، وانظر الكشاف ١ / ٤١ .
(٤) الكشاف ١ / ٤١ .   (٥) في م : عن .

الأصل) ،والمرجح الاختصار والاشارة الى أنه لا يتنوع لافى ذاته ولا باعتبار مدركاتـــه ، بخلاف البصر والقلب لتنوع مدركات كل منهما ، واعتبارات البلغاء دلالة رابعة كمـــا أن العادة طبيعة خامسة .

قوله : (نور العين) أى القوة التى بها الابصار كما أن البصيرة القوة التى بهـــا التعقلات ، والقول بأنهما (جوهران مخلوقان لذلك) قول بالظن والتخمين واستعمال لفظ (كأن) فيه شائع من غير قصد الى التشبيه .

ومعنى (الجوهر) القائم بذاته ذهابا الى أن القوى صور نوعية لا أعراض ، والظاهر أنه لم يقصد سوى أنه جسم لطيف نورانى .

قوله : (بالكسر والنصب) ،قراءة النصب مطلقا تحتاج الى اضمار فعل مثـــل : جعل ، (من العشا) (١) هو مصدر الأعشى وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار .

قوله : (ومنه العذب) ماء عذب بفتح الفاء وملح بكسره ، (على القلب) أى جعل العين موضع الفاء ، والفاء موضع العين فيكون وزن فرات فعالا [وهل يصير (٢) بمثـل هذا وزن فرات فعالا ؟ فيه كلام] (٣) .

قوله : (ومعنى التنكير) ، يريد أنه للنوعية و (العذاب) لما وصف بالعظيم كان المعنى نوع عظيم منه ،فليس القصد الى أن تنكيره للتعظيم ،وذكر (التعامى) دون العمى وان كانوا من أهل الطبع اشارة الى أن ذلك من سوء اختيارهم وشؤم اصرارهم .

قوله : (ثم ثنى بالذين محضوا الكفر) (٤) هذا على تقدير كون الذين كفروا للجنس مشكل ،سواء اعتبر تناوله للكل أو خص بالمصرين ،فانه يتناول المصرين على النفـاق ، وبالجملة فلا دلالة على أنهم محضوا الكفر (ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة) .

وأجيب بأنه لا دلالة لقوله : (ثم ثنى بالذين محضوا) على أنه ذكر للماحضـــين خاصة ، بل المراد أنه اشارة الى جمع مخصوص من الماحضين أو للجنس الداخل فيه الماحضون دخولا أوليا لتبادر الفهم اليهم من اطلاق الكافرين .

وقد يجاب بأنه لما خص البعض منهم بأنهم منافقون علم أن الباقين هم الماحضون ،

---

(١) البحر المحيط ١ / ٤٩ ،وأنوار التنزيل ١ / ٢٩ .

(٢) فى م ،ب : يكون . (٣) مابين المعقوفين ناقص من ط .

(٤) الكشاف ١ / ٤١ فى تفسيره لقوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " الآية ٨ من سورة البقرة .

وضعفه ظاهر ، لأنه لا يدل على اختصاص / الذكر بالماضين ، غايته أنه حكم على ١٥أ
الجنس بحكم يتناول الفريقين ثم على البعض منهم بحكم خاص به كما يقال : بنو فلان
كلهم علماء ومنهم فقهاء فانه لا يكون الأول ذكرا لغير الفقهاء بالخصوص .

قوله : (وقصة المنافقين) (١) ، يعني أن ذلك من عطف مجموع الكلام المسوق لغرض [على مجموع قبله مسوق لغرض] (٢) آخر ، ولا يشترط فيه الا تناسب الغرضين ، ولا يتكلف بجملة من هذا مناسبة مع جملة من ذاك ، ولا يرد باشتمال أحد المجموعين على ما لا يناسب المذكور في المجموع الآخر .

قوله : كما قيل (لوقة في ألوقة) ، " الألوقة : الزبدة بالرطب ، قال :

حديثك أشهى عندنا من ألوقة * تعجلها طيان شهوان للطعم (٣)

ويقال : لوقة بطرح الهمزة ، ولوق الطعام : لينه ، وفي الحديث : " ولا آكل الا مالوق لي " (٤) ، وهو لا يأكل الا الملوق ولا يشرى الا المروق " كذا في الأساس في الهمزة مع اللام ، ولم يذكر في اللام مع الواو شيئا مع القاف (٥) ، فظهر أنه جعل لوق الطعام مأخوذا من لوقة تخفيف ألوقة .

قوله : (كاللازم (٦)) ، لأنه قد جاء " الأناس الآمنينا " (٧) .

---

(١) الكشاف ١ / ٤٢ (٢) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل
(٣) روى في البيت : ظمآن بدل شهوان ، والطيان هو الجائع ، انظر مادة (ألق) في كل من أساس البلاغة ، والصحاح ، واللسان ، ومادة (لوق) في اللسان .
(٤) النهاية في غريب الحديث ٤ / ٢٧٨ .
(٥) بل قال المصنف في الأساس مادة (لوق) : " لا آكل الا مالوق لي أي لين حتى جعل في لين اللوقة وهي الزبدة " ، ومع ذلك فقد نص الزمخشري — كما ذكر السعد — على أن لوقة تخفيف ألوقة بطرح الهمزة ، وذلك في مادة (ألق) .
(٦) الكشاف ١ / ٤٢ .
(٧) جزء من بيت لذى جدن الحميري والبيت كاملا هو :
ان المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
" وسبق تحقيقه ا "

قوله : (لأن الزنة على الأصول) فيما يرجع الى الدلالة على الأصلى والزائد ، أما فيما يرجع الى بيان ترتيب الحروف فالزنة على الفروع كما يقال فى أيس : عفل ، وفى أشياء : لفعاء على رأى .

قوله : (كرخال) هو بالضم اسم جمع ، وبالكسر جمع رخل بكسر الخاء ، وهى الأنثى من ولد الضأن ، والحمل : الذكر ، والسخلة : يقع عليهما ، وقد يقال للرخال بالضم أنه جمع اما تجوزا واما لقلب الكسرة ضمة .

قوله : (وأما نويس) جواب عما يقال : أن ناسا من النوس وهو الحركة ، بدليل التصغير على نويس .

فان قيل : ذكر فى المفصل " أن ماحذف منه شيء ان بقى على مايتأتى منه مثال المصغر لم يرد الى أصله كقولهم فى ميت وهار وناس : مييت وهوير ونويس "(١)

قلنا : كونه على خلاف المكبر لا ينافى كونه على وفق القياس ، والمقصود أنه لو كان على وفق أصل المكبر لكان على أنيس بتشديد الياء .

والتمثيل (بأنيسيان) تصغير انسان والقياس : أنيسين ، (ورويجل) تصغير رجل والقياس : رجيل معناه أنه لما جاز مخالفة المكبر مع مخالفة القياس فلأن يجوز (٢) مع موافقته أولى .

وقد يقال : ان مخالفة القياس فى قلب الألف واوا مع أنها ثالثة لا ثانية ، وليس بشيء ، لأنها كألف ضارب صورة ، ولأن قلبها واوا أولى من الياء لاجتماع اليائين .

١٥ب قوله : (ولام التعريف فيه) (٣) أى / فى الناس (للجنس) وقد يقال : انه لا يتصور لمثل هذا الاخبار فائدة ، والجواب بأنه للاخبار بالبعضية ، أو للتعجب واستعظام أن يختص بعض من الناس بمثل تلك الصفات فانها تنافى الانسانية بحيث كان ينبغى أن لا يعد المتصف بها من جنس الناس ضعيف .

فان مثل هذا التركيب شائع ذائع فى مواضع لا تتأتى فيها مثل هذه الاعتبارات ولا يقصد فيها الا الاخبار بأن من هذا الجنس طائفة تتصف بكذا ، فالوجه أن يجعل

---

(١) المفصل ٢٠١ بتصرف .
(٢) عبارة خ : يجوز فيه .
(٣) الكشاف ٤٢/١ .

مضمون الجار والمجرور مبتدأ (١) بمعنى وبعض الناس أو بعض من الناس من هو كذا وكذا ،فتكون مناط الفائدة تلك الأوصاف .

وفي قول الحماسي :

منهم ليوث لا ترام وبعضهم * مما قمشت وضم حبل الحاطب (٢)

تأنيس بما ذكرنا حيث وقع قرينة " منهم " وهي " بعضهم " مبتدأ لا خبرا ،ووقوع الظرف في موقع المبتدأ ليس بمستبعد كقوله تعالى : " ومنا دون ذلك " (٣) ، " وما منا الا له مقام معلوم " (٤) .

والقوم يعتبرون الموصوف في الظرف الثاني ويجعلونه مبتدأ ،والظرف المتقدم خبرا ،ولو عكسوا لاستقام اللفظ والمعنى جميعا في جميع الموارد أي جمع منا دون ذلك وما أحد منا الا له مقام معلوم ،لكن وقوع الاستعمال على أن من الناس رجالا كذا وكذا شاهد لهم .

قوله : (ويجوز أن تكون للعهد (٥)) أي من هؤلاء المصرين على الكفر القوم المصمون على النفاق ،والمعهود قد يكون مذكورا بلفظ آخر واعتبار آخر والى هذا يشير بقوله : (ونظير موقعه) أي موقع الناس (موقع القوم)

قوله : (ومن في من يقول موصوفة) (٦) ،فان قيل : ماوجه هذا التخصيص ،ولم لا يجوز أن تكون موصولة على تقدير الجنس ،وموصوفة على تقدير العهد ؟

قلنا : مبناه (٧) على المناسبة والاستعمال ،أما المناسبة فلأن الجنس لابهامه يناسب الموصوفة لتنكرها ،والعهد لتعينه يناسب الموصولة لتعرفها ،وهذا كما ذكره الامام المرزوقي في قوله :

---

(١) كلمة " مبتدأ " ناقصة من د .
(٢) البيت لموسى بن جابر بن أرقم شاعر نصراني جاهلي يقول : من الرجال رجال كالأسود عزة وأنفة لا يطلب اقتسارهم واهتضامهم ،ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف جمعوا على ما اتفق من شيء الى شيء . وروى : منهم أسود أنظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٣٦٤ ،وللتبريزي ١/٣٤٣ ،والخزانة ١/١٤٦ .
(٣) من الآية ١١ من سورة الجن .
(٤) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .
(٥) في خ : المقيمون .
(٦) الكشاف ١/٤٢ .
(٧) في م : منتهاه .

ولكن عرتني من هواك صبابـة * كما كنت القى منك اذ أنا مطالق[١]

" أن الأجود أن تكون ماموصوفة لا موصولة أى عرتنى صبابة تشبه صبابة كنت أكابدها قبل ذلك "[٢] .

وأما الاستعمال فلأن الشائع فى مثل هذا المقام هو النكرة الموصوفة اذا جعـل بعضا من الجنس كقوله تعالى : " من المؤمنين رجال صدقوا " الآية[٣] ،والموصول ١٥٢/أ مع الصلة اذا كان بعضا من المعهود كقوله تعالى : " ومنهم الذين يؤذون النبى " الآية[٤] ، والقرآن يفسر بعضه بعضا .

وقد يقال : ان العلم بالجنس لا يستلزم العلم بأبعاضه فتكون من[٥] باقية علـى التنكير فتكون المعبر بها عن البعض نكرة موصوفة ،وعهدية الكل تستلزم عهديـــة أبعاضه فتكون موصولة .

وهذا أيضا بعد تسليمه انما يتم بما ذكرنا من وجه المناسبة والا فلا امتناع فى أن يعبر عن المعين بلفظ النكرة لعدم القصد الى تعينه ،وفى أن يتعين بعض من الجنس الشائع فيعبر عنه بلفظ المعرفة .

قوله : (كيف يجعلون ؟) يعنى كيف يصح جعل اللام فى الناس للعهـــــد ، والمعهود هم الكفرة المصممون الذين ختم الله على قلوبهم ، والمنافقون كلهم ليسوا كذلك ،اذ منهم الذين يخلصون الايمان[٦] ،فلا يصح جعل كلهم بعضا من الكفرة المصممين .

وما يقال : أن المنافقين ليسوا من أهل الختم أصلا ظاهر الفساد ،وقد يقال :

---

(١) البيت لجعفر بن علبة الحارثى وهو من قطعة قالها وهو مسجون بمكة فزارتـــه محبوبته ولما رحلت قال فيها ذلك ، وقبل البيت :

فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم * لشىء ولا أنى من الموت أفرق

وروى بدل صبابة : زمانة ،وكذلك : ضمانة ، وهما بمعنى الحب ويقال : هـــو ضمن أى زمن مبتلى ، انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١/٥٥ ،وبغيـــة الايضاح ١/١٠٠ ،وشروح التلخيص ١/٣٤٥ ،ومعاهد التنصيص ١/١٢٠ ، والخزانة ٤/٣٢١ ،والأغانى ١١/١٤٣ ،واللسان مادة (زمن) .

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١/٥٥ — ٥٦ ،بتصرف .

(٣) رقم ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٤) ٦١ من سورة التوبة .

(٥) كلمة " من " ناقصة من الأصل .

(٦) أى فى المستقبل .

المراد أن المنافقين غير من أخبر عنهم فيما سبق بالختم على قلوبهم لأنهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا على ماسبق تقريره ، والمنافقون ليسوا بعضا من أولئك .

وتقرير الجواب : أن الكافرين جنس يتناول أنواع الكفرة المتميزة بالخصوصيات ، والناس على تقدير العهد اشارة الى ذلك الجنس لا الى المصرين المخصوصين بواسطة الاخبار عنهم باستواء الانذار وعدمه ، ولا الى الخلص الذين كفروا ظاهرا وباطنا على ماينساق اليه الكلام بعد امتياز المنافقين .

فالحاصل : أن الكافرين منهم من محض الكفر ظاهرا وباطنا ، ومنهم من آمن بلسانه دون قلبه .

فان قيل : ان أريد (١) بالنوع المقابل للمنافقين المصرون ففاسد لأن المصر أعم ، وان أريد الماحضون فلا دلالة للكلام عليه .

قلنا : بين المصر والمنافق عموم وخصوص من وجه على مالا يخفى ، فبهذا الاعتبار جعلا نوعين من جنس الكافر ، وقد بين فيما سبق دلالة المختوم على قلوبهم على الماحضين وتنوعهما ظاهر .

ثم لا يخفى أن مبنى هذا الكلام على كون الذين كفروا للجنس ، وأما على تقدير كونه للعهد فقد يقال : انه اذا ذكر الكافرون المعهودون فقد ذكر جنس الكافرين مع قيد الخصوص ، فيكون الناس اشارة الى الجنس دون الخصوص .

وهذا وان كان بعيدا جدا لكن لابد منه على تقدير الجنس أيضا اذا جعل النوع المقابل للمنافقين هم المصرون ، لأن / جنس الكفرة المار ذكرهم هم المصرون ٥٢ ب
المختوم على قلوبهم لما سبق ، فالاشارة بالناس اليهم والى غيرهم جميعا ، أعني جنس الكفرة لا يكون الا بهذا الاعتبار ، أو باعتبار حذف المضاف أى ومن جنسهم .

وقد تقرر الجواب بأن المراد بالمنافقين أيضا المصممون على النفاق بدليل ماذكر فى الآيات من التشديدات ، سيما قوله : " ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون " (٢)

وقد صرح المصنف بأنهم من أهل الطبع فهم بعض من جنس الكفرة المختوم على

---

(١) قوله " ان اريد " ناقص من خ .
(٢) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة البقرة .

قلوبهم (١) ، والختم على القلوب بحيث لا يحصل الايمان بالفعل لا ينافي التمكن من الهدى بحسب الفطرة على مايدل عليه قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (٢) " ، الا أن هذا لا يوافق تقرير الكتاب (٣) .

فان قيل : اذا كان الذين كفروا بعد الاخبار عنهم باستواء الانذار وعدمه هم المصرون المختوم على قلوبهم كما ذكرتم ، لم يكن في الكلام استيعاب لأقسام الناس من المؤمنين والماحضين الكفر والمنافقين لخروج الكفار الغير مختوم على قلوبهم من الأقسام ، وقد صرح المفسرون بالاستيعاب وأشار المصنف اليه . (٤)

قلنا : لو سلم الاستيعاب فباعتبار دلالة اللفظ من غير اعتبار خصوص الاخبار .

هذا غاية تقرير الكلام في هذا المقام وبالنظر في أربعة مواضع يظهر أنه بعد موضع ابهام واستفهام :

الأول : تجويز كون الذين كفروا للجنس متناولا للمصرين وغيرهم .

الثاني : التصريح بأن الله تعالى بدأ بالمؤمنين وثنى بالماحضين للكفر وثلث بالمنافقين .

الثالث : تخصيصه المنافقين بالمصرين على النفاق على تقدير كون الناس للعهد .

الرابع : جوابه عن سؤال جعل المنافقين من الكفرة المختوم على قلوبهم بأن ههنا نوعين من جنس الكفرة متمايزين بمغايرات تأتي بالنوعية أي تحصلها ، ولا تأبى أي لا تمنع دخولها تحت الجنسية .

قوله : (في الدعارة) (٥) في الأساس : " رجل داعر " خفيف (٦) فاجر ، وفيه دعارة .

---

(١) الكشاف ١/٤٢ (٢) من الآيتين ١٦ ، ١٧٥ من سورة البقرة

(٣) لأن مبنى تساؤل الزمخشري : كيف يجعل المنافقون بعضا من الناس والمنافقون غير المختوم على قلوبهم الخ على كون الذين كفروا للجنس لا للعهد .

(٤) عندما ذكر أن المراد بالمتقين في قوله تعالى : " هدى للمتقين " الضالون الصائرون الى التقوى فتلك اشارة الى الكفار الغير مختوم على قلوبهم . الكشاف ١/٢٨

(٥) الكشاف ١/٤٢ .

(٦) في الأساس مادة (دعر) : خبيث فاجر .

وعود دعر كثير الدخان " ،وفي الصحاح : " الدعر بالتحريك الفساد ومصدر دعـــر العود بالكسر يدعر فهو دعر أي ردئ كثير الدخان ، ومنه أخذت الدعارة وهـــي الفسق والخبث " (١) .

قوله : (وكفرا موجها) في الأساس : " كساء موجه له وجهان ،وأحدب موجه لـه حدبتان من خلف وقدام (٢) " ،وهذا هو الوجه ههنا لا ما في / الصحاح : "شيء موجه اذا جعل على (٣) جهة واحدة لا يختلف " . ٥٣ أ

قوله : (احتازوا الايمان) : جمعوه ، (واكتنفوه) وتكنفوه : أحاطوا به من كل جانب يعني (٤) أوهموا أنهم آمنوا بالمبدأ والمعاد على ما هما عليه ،وذلك يتناول الايمان كله .

قوله : (كيف طابق ؟) ،من قواعدهم أنهم يقدمون الذي شأنه أهم وهم ببيانـه أعنى ،فقولهم : " آمنا " بتقديم الفعل كلام في شأن الفعل ،وأنه صادر عنهم متحقق وقوله : " ما هم بمؤمنين " كلام في شأن الفاعل وأنه بحيث لم يصدر عنه الفعل ،حتى أن تقديم الضمير وإيلاءه حرف النفي ربما يفيد اختصاصه بنفي الفعل .

كما سيذكر في قوله تعالى : " وما أنت علينا بعزيز " (٥) وأمثاله ،فكيف ما كـان لا تكون الجملة الاسمية المشتملة على ايلاء الضمير حرف النفي مطابقا لمقتضى الحال في رد كلامهم .

والجواب : أن هذا ليس من باب التقديم لافادة الاختصاص أو لجعل الكلام فـي شأن الفاعل أنه كذا وليس كذا ،بل من باب العدول الى الجملة الاسمية لـــرد كلامهم (٦) بأبلغ وجه وآكده كما في قوله تعالى " يريدون أن يخرجوا من النار وما

---

(١) الصحاح مادة (دعر) .
(٢) اساس البلاغة مادة (وجه) .
(٣) هذه عبارة م ،خ وهي الموافقة لعبارة الصحاح مادة (وجه) ،أما عبارة الأصل ك ب ،ط فهي " الى جهة " .
(٤) في م ،خ زيادة : " أنهم " .
(٥) من الآية ٩١ من سورة هود ،وقد قال الزمخشري عند تفسيرها : " وقد دل ايلاء الضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل ،كأنه قيل : ومـا أنت علينا بعزيز بل رهطك ،ولذلك قال في جوابهم : أرهطي أعز عليكم من الله ؟ ولو قيل : وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب " . انظر الكشاف ٢ / ٢٣١
(٦) في خ : لرد الكلام .

هم بخارجين منها (١) " على ما سيجيء أنه ليس للاختصاص عنده » (٢) كأنه قيل : انهم ليسوا في شيء من الايمان ولا يصدق هذا الوصف عليهم ألبتة (٣) .

لا يقال : الاسمية تدل على الثبات فنفيها يفيد حينئذ نفي الثبات لاثبات النفي وتأكده ، لأنا نقول :

ذلك اذا اعتبر اثبات بطريق التأكيد والدوام ونحو ذلك ثم نفي وههنا اعتبر النفي أولا ثم أكد وجعل بحيث يفيد الثبات أو الدوام ، وذلك كما أن " ما أنا سعيت في حاجتك " لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص ، وبالجملة فرق بين تقييد النفي ونفي التقييد .

قوله : (وفيه) حال من فاعل (أدى) والضمير له .

قوله : (لتأخره) علة لتسمية (الأبد الدائم) باليوم الآخر ، ومعناه — على هذا — الوقت الذي ليس بمحدود ، وهو وقت الآخرة من حين ينقطع وقت الدنيا ، ويجوز أن يراد آخر الأوقات المحدودة ، وهو وقت النشور والحساب الى دخول الجنة والنار . وبعد ذلك ليس وقتا محدودا .

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة المائدة .
(٢) انظر الكشاف ١/٤٨٩ .
(٣) وهذا هو سر العدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية ، وقد ذكر الطيبي وتبعه اليمني — " أنه انما خولف بين القولين لغرض وهو انكار ما ادعوه بطريق أبلغ وهو طريق الكناية ، فانه كنى عن نفي ما ادعوه من الايمان بنفي كونهم مؤمنين ، لأن نفي ذلك يستلزم نفي الايمان بطريق برهاني لأنه بمنزلة ذكر الشيء مع ذكر الدليل عليه " .
ويجيز الطيبي ما منعه السعد من التقديم للاختصاص فيقول : " ويمكن أن يجري الكلام على التخصيص ، وأن يكون الكلام في الفاعل ، ويكون موقع السؤال قول المصنف : " وأروهم أنهم مثلهم في الايمان الحقيقي " وذلك أنهم لما ادعوا أنهم يوافقون المسلمين في المسألتين وأن ايمانهم كايمانهم قيل : وما هم بمؤمنين ، وهو قصر افراد لأنهم ادعوا الشركة في الايمانين فردوا باختصاص المؤمنين بهما دونهم " .
ويقول اليمني مؤيدا للاختصاص ومعلقا على كلام الطيبي : " والمقام يساعد هذا التقرير دون الأول وذلك أن سياق الكلام لبيان خبث المنافقين ودعارتهم كما ذكروا أنه رفضت المخالفة بينهم وبين المسلمين ، فادعاء حصول الايمانين لهم ادعاء لرفع المخالفة فكان الاختصاص أهم " .
انظر فتوح الغيب ١/٦٠ ، وتحفة الاشراف ١/٤٦ ، ٤٧ ، والكشاف ١/٤٢ .

قوله : (أن يوهم) (١) هو متعد الى مفعولين ، يقال : وهمت الشيء أهمه : وقع في خلدي ، وأوهمته غيري ، ووهمته ، وصيغة المفاعلة تقتضي أن المنافقين يخدعون الله والله يخدعهم ، وكذا حالهم مع المؤمنين .

ولا خفاء في أن خدعهم الله تعالى بأن يوقعوا في علمه تعالى خلاف مايريدون به من المكروه محال ، وأن خدع الله تعالى (٢) اياهم / بأن يوقع في قلوبهم خلاف مايريد ليغتروا ثم يصيبهم بالمكروه قبيح . ٥٣ ب

وان حاله تعالى مع المنافقين لم يكن حقيقةً هذا المعنى ، بل كان في غاية الكرم ومجازاة ماأجروا على ألسنتهم من كلمة الشهادة (٣) ، وكذا المسلمون لم يقصدوا خدعهم ، وقد انخدعوا بما رأوا منهم ، فلذلك توجه السؤال فأجاب بالوجوه الأربعة (٤)

حاصل الأول : أن المراد بالخداع المعاملة الشبيهة به ، فيكون استعارة تبعية تمثيلية (٥) .

والثاني : أن المراد حقيقة الخداع بزعمهم الفاسد كأنه قيل : يزعمون أنهم يخدعون الله ، والله يخدعهم .

والثالث: أن المراد بخدع الله خدع الرسول صلى الله عليه وسلم (٦) فالمجاز في التحقيق يكون في الهيئة التركيبية والنسبة الايقاعية (٧) على ماانساق اليه آخر كلامه ، لا في لفظ الله واطلاقه على الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتوهم من ظاهر صدر الكلام للاطباق على أن لفظ الله لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا .

والرابع : أن المراد يخدعون الذين آمنوا وذكر الله لمجرد التوطئة والتمهيد لا لتعليق الخدع به . (٨)

---

(١) الكشاف ١ / ٤٣ في تفسيره لقوله تعالى : " يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون " الآية ٩ من سورة البقرة .
(٢) كلمة " تعالى " ناقصة من الأصل .
(٣) في م ، خ : كلمة الاسلام . (٤) الكشاف ١ / ٤٤ .
(٥) يرى السيد الشريف أنها تبعية فقط وينفي كونها تمثيلية .
انظر حاشيته على الكشاف ١٧١ .
(٦) قوله " صلى الله عليه وسلم " ناقص من خ ، م .
(٧) مجازا عقليا .
(٨) هذا وذكر ابن المنير الاسكندري أن فعل الخداع حيث أطلقه الله تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين علمنا أن المراد منه أنه فَعَل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة . انظر الانتصاف ١ / ٤٣ .

وخادع في الوجهين الأخيرين بمعنى خدع : اذ لا خدع من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ولا وجه لكونه حقيقة من أحد الجانبين مجازا من الجانب الآخر مع اتحاد اللفظ .

ووجه العدول عن خدع الى خادع قصد المبالغة ، لأن المفاعلة في الأصل للمغالبة (١) والفاعل متى غولب في الفعل ازداد اجتهاده فيه ، وقوة الداعي الى تحصيله ، فجاء أبلغ وأقوى .

قوله : (واستمطروا) (٢) على صيغة الأمر أي استسقوا بمعنى اطلبوا العطاء ، و (من قريش) حال من (كل منخدع) وتمامه :

ان الكريم اذا خادعته انخدعا

وقد يروى بالفاء تمام بيت هكذا :

لا خير في الخب لا ترجى فواضله (٣) * فاستمطروا من قريش كل منخدع

تخال فيه اذا خاتلته بلهـا * عن ماله وهو وافي العقل والورع (٤)

قوله : (ان الحليم وذا الاسلام يختلب) (٥) أي يخدع ، يقال : خلبه واختلبه : خدعه ، وأول البيت :

تلك الفتاة التي علقتها عرضا

أي أحببتها من غير قصد وروية بل بانخداع على ما هو دأب الحليم والمسلم ، يقال : علق بالمرأة اذا أحبها ، وكذا علقها على لفظ المبني للمفعول (٦) .

---

(١) عبارة الأصل : للمبالغة (٢) الكشاف ١ / ٤٣

(٣) في م : نوافله .

(٤) الشعر للفرزدق ، ويروى : من قرين بدل من قريش ، وقرين موضع بعينه من الحجاز وفي شرح ديوان الفرزدق ١ / ٥٢٨ جاء البيتان هكذا :

لا خير " في حبس " ترجى نوافله " * فاستمطروا من قريش كل منخدع

تخال فيه اذا " ماجئته " بلهـا * " في ماله " وهو وافي العقل والورع

والخب : الرجل الخدّاع ، والنافلة : عطية التطوع ، والمخاتلة : المخادعة . انظر مشاهد الانصاف ١ / ٤٣ ، وتنزيل الآيات ٤٣٦ ، ومادة (مطر) في الصحاح وفي اللسان ، واصلاح المنطق ٣٠ ، ٣٦١ ، وتهذيب اصلاح المنطق ١ / ٤٦ ، ٤٧ ، والخزانة ٢ / ٨٢ .

(٥) الكشاف ١ / ٤٤ .

(٦) والبيت لذي الرمة في محبوبته مَيّ ، ويروى : ان الكريم بدل ان الحليم ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٤٤ ، وتنزيل الآيات ٣٢٥ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٤٠ ، وديوان ذي الرمة ٦ .

قوله : (يتظاهرون بالايمان) كأنه أراد يظهرونه ، والتظاهر في الأصل التعاون .

قوله : (فأجروا أحكامهم) أي أحكام المؤمنين على المنافقين امتثالا لأمر الله في
٥٤ أ شأنهم ، وذلك كالتوارث / وأعطاء السهم من المغنم ونحو ذلك .

قوله : (وفائدة هذه الطريقة) أي طريقة اسناد الفعل الى شيء والمقصود اسناده الى ماعطف عليه قوة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه من جهة الدلالة على أنه عار من التلبس بحيث يصح أن تسند أوصافه وأفعاله وأحواله الى الشيء الأول قصدا كأنه بمنزلته .

ولا كذلك الابدال مثل : أعجبني زيد كرمه لاشعاره بأن المقصود (١) بالنسبة هو الثاني فقط ، بخلاف العطف فان التابع مقصود مع وجود (٢) المتبوع .

وقوله : (ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا (٣) المسلك) بين في أن المراد بالاختصاص ماذكرنا ، لا مايتوهم من أن قولنا : " أعجبني زيد " اذا أعجبك . اذا أعجبك كرمه يوهم أن كرمه شاع فيه بحيث صار شخصه (٤) مفجأ باعجابكرمه ، ثم اذا قلت: كرمه على طريق الابدال أفاد الاختصاص وازالة الاحتمال ، واذا أدخلت العاطف وقلت: وكرمه فقد آذنت بالمغايرة كما في عطف جبريل على الملائكة ، وعولت في ازالة الابهام على شهادة العقل فأفاد قوة الاختصاص .

قوله : (ومثله : " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (٥)) حيث وحد الضمير دلالة على أن المقصود ارضاء الرسول ، وانما ذكر الله لافادة قوة اختصاص الرسول به ، وكونه بمكان منه ، وكذا " يؤذون الله ورسوله " (٦) ، فانهم لا يؤذون حقيقة الا الرسول وحده .

وأما قولهم : " علمت زيدا فاضلا " فليس مثل ذلك لكنه نظيره من الوجه الذي ذكره ، ومبناه على أن مصب الغرض ومناط الفائدة هو الخبر حتى اذا رجعنا الى جانب المعنى وقطعنا النظر عن أن علمت في الاستعمال (٧) يعدي الى مفعولين كان المعنى : علمت فضل زيد ، وكان المعلوم هو مضمون الخبر .

---

(١) في خ زيادة " منه " . (٢) كلمة " وجود " ناقصة من م ، خ .
(٣) في الكشاف ١/ ٤٤ : ذلك المسلك .
(٤) في ل : شخصا (٥) من الآية ٦٢ من سورة التوبة .
(٦) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب .
(٧) قوله " في الاستعمال ناقص من الاصل .

قوله : (هل للاقتصار بخادعت على واحد) ؟ بأن لا يكون من الجانب الآخر خداع ، وهذا تحقيق وتتميم للوجهين الأخيرين حيث اقتصر على خدعهم للرسول صلى الله عليه وسلم أو للمؤمنين اذ لا يمكن أن يجعل الفعل الواحد بعضه حقيقة وبعضه مجازا ، ويحتمل اجراؤه فى الوجهين الأولين أيضا حتى لا يحتاج الى اعتبار خدع الله تعالى أو المؤمنين اياهم وتأويله .

قوله : (متى غولب فيه فاعله) أي عورض وجرى بينه وبين صاحبه مباراة ومقابلة .

قوله : (وما رفقهم ؟) [1] أي نفعهم ، فى الأساس : " استرفقته فأرفقنى بكذا : نفعنى ، وارتفقت به : انتفعت به ، ومالى فيه مرفق ، وسمعتهم [2] مالى فى /هذا رفق ، ٥٤ ب وأخذ المكاس الرفق [3] " ، وفى الصحاح : " ماء رفق ومرتع رفق أى سهل المطلب " [4]

قوله : (هم كانوا ؟) [5] أي عن أي شيء صدر ، وبأى سبب كان خداعهم وقوله : (متاركتهم واغفاؤهم واصطناعهم) مصادر مضافة الى المفعول والضمائر للمنافقين ، وكذا ضمير (اطلاعهم) بالتشديد (واختلاطهم) .

وضمير (يطرقون ويصطنعون واكرامهم واليهم واعطائهم وبهم ومنابذيهم) للمؤمنين [6] ويطرقون : من طرقه طروقا أتاه ليلا ، والباء للتعدية لا من طرق بالحصى بمعنى ضرب لأنه لا يكون له مفعول ، ونابذه : جاهره بالعداوة .

قوله : (فلو أظهر عليهم) جوابه محذوف ، وأطبقوا على أن ضمير عليهم للمؤمنين [7] والعدول عن اللام الى على للدلالة على الظاهر المكشوف الذى لا يدفع .

ولا يعجبنى ذلك ، كيف والكلام فى المنافقين ، وضمير (لا يصلوا) اليهم ؟ فالحق أن هذا من قبيل أفشيت عليه سره وهتكت عليه ستره على تضمن معنى الاطلاع وترك الستر ، كأنه قيل : فلو لم يستر على المنافقين وأطلع على حالهم المؤمنين أما كان أصلح .

---

(١) الكشاف ١ / ٤٥ .
(٢) انظر الأساس مادة (رفق) ، وعبارته : " وسمعتهم يقولون : مالى الخ " .
(٣) المكس : الضريبة التى يأخذها الماكس وأصله الجباية ، والمكس أيضا : انتقاص الثمن فى البيع ومنه أخذ المكاس لأنه يستنقصه .
(٤) الصحاح مادة (رفق) . (٥) الكشاف ١ / ٤٥ .
(٦) " للمؤمنين " ناقص من ط .
(٧) وممن ذهب الى ذلك الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٦١ واليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٤٨ أما السيد الشريف فقد ذهب الى أن هذا الضمير يجوز أن يكون للمؤمنين وأن يكون للمنافقين . انظر حاشية السيد على الكشاف ١٧٣ .

قوله : (ماالمراد بقوله : وما يخدعون الا أنفسهم) ؟ ،قد خفي معنى الكلام حتى توهم بعضهم أن أنفسهم ههنا تمييز لا مفعول فلذا احتاج الى الاستفسار والبيــــان بوجوه :

الأول : أن المخادعة استعارة [١] للمعاملة الشبيهة بالخداع ،ومعنى قصره على أنفسهم أن ضرره لا يرجع الا اليهم [٢] على ماهو قانون المجاز باعتبار المــــآل والانتهاء ،ففي الكلام مجاز على مجاز [٣] .

الثاني : أن المراد حقيقة المخادعة كما يجرى بين الرجل ونفسه من تمنية كــل منهما صاحبه الأباطيل ،وتحديثه بالأكاذيب [٤] .

الثالث : أن المراد وما يخدعون فلا يحتاج الى اعتبار الخدع من جانب الأنفس ولا الى جعله مجازا .

ولا يخفى على الناظر في هذه البيانات أن الأول منها يشعر بأن وجه الســؤال أنه كيف يصح قصر الخداع على أنفسهم مع اثباته أولا لله تعالى وللمؤمنين ،والثالث [٥] بأن المخادعة لاتكون الا بين اثنين ،فكيف يتصور مخادعتهم أنفسهم ولا اثنينية ؟

ثم انه لم يشتغل ببيان معنى مخادعتهم ذواتهم لأنه لم يبين ههنا أن المراد بأنفسهم (ذواتهم) أم (قلوبهم ودواعيهم وآراءهم) [٦] ،وحين بين ذلك قال : (المعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم) .

ومبناء على كون المخادعة مجازا عن المعاملة الشبيهة بالخداع ،وأما اذا كان / ٥٥ أ المراد حقيقة المخادعة ،أو يكون يخادعون بمعنى يخدعون فالمراد بالأنفس القلـــوب والدواعي .

وقد يقال : يجوز أن يراد به الذوات على طريق التجريد كما في مخاطبة الانسان نفسه ،ففي الجملة لا يكون مايذكره من معنى المخادعة بعد تفسير الأنفس تكرارا محضا ،

---

(١) تصريحية تبعية .
(٢) أى لا الى الله والمؤمنين فهو قصر قلب .
(٣) المجاز الأول استعارة تبعية ،والثاني مجاز مرسل علاقته اعتبار مايكون .
(٤) فيم ،خ : كل واحد منهما .
(٥) في م : والشائع .
(٦) قوله " المعنى " ناقص من خ .

بل هو تتميم وتوضيح •

فان قلت: ماذكرتم في هذا المقام تنقيح وتتميم وتوضيح لما يذهب اليه القوم [١] ويقتضيه النظر الظاهر [٢] فهل عندكم حقيقة الكلام ؟ •

قلت: أما السؤال فليس الا استفسار عن المراد بقوله تعالى : " وما يخدعون الا أنفسهم " بعد قوله : " يخادعون الله والذين آمنوا " أهو ذلك الخداع الأول ؟ أو خداع آخر جار فيما بين اثنين أو مقتصر على واحد ؟

وأما الجواب فهو أنه يجوز أن يكون اشارة الى الخداع الأول المستعار للمعاملة الشبيهة بالمخادعة [٣] ، ويكون الكلام مجازا او كناية عن اقتصار ضررها على أنفسهم • واليه الاشارة بقوله : (وما يعاملون تلك المعاملة)

ويجوز أن يكون خداعا آخر جاريا فيما بينهم وبين أنفسهم من الجانبين ، بمعنى أنهم في تلك المعاملة مع المؤمنين يوهمون أنفسهم الأباطيل ، وأنفسهم توهمهم الأكاذيب بأنه يتفرع على ذلك أمور وأغراض ويكون كذا وكذا •

ويجوز أن يراد وما يخدعون فلا يحتاج الى اعتبار الخدع من جانب الأنفس • ثم لما بين المراد بالأنفس بين أنه ان أريد الذوات تعين التجوز أو الكناية عن لحوق الضرر ، وان أريد الدواعي فلا تعين ، والى ماذكرنا أشار بقوله : (وهم في ذلك) فليتأمل •

قوله : (على لفظ مالم يسم فاعله) [٤] فتكون أنفسهم فيمن لا يجوز تعريف التمييز نصبا على انتزاع الخافض أي عن أنفسهم •

قوله : (ثم قيل للقلب) بمعنى اللحم الصنوبري لأن ذات الحيوان به تكون ، وكذلك النفس بمعنى الروح الحيواني أو الانساني على مابين في موضعه ، بمعنى أنه يقال له النفس لأن الذوات [٥] به ، وظاهر هذا الكلام أنه فيما عدا الذات مجاز ، وهذا ظاهر في الدم والماء والرأى • ومعنى عين الرجل : أصابته العين ، وصدر : أصيب صدره •

---

(١) في خ : القوم اليه • (٢) في ط : الصائب
(٣) وذكر الطيبي " أن قوله : (ومايخادعون الا أنفسهم) ذكر لمشاكلته (يخادعون الله) المراد به الاستعارة أي لما كان ذلك مبنيا على المفاعلة بجعل الذى من طرف واحد مثله روما للمشاكلة • انظر فتوح الغيب ١ /٦٢ •
(٤) انظر الكشاف ١ /٤٥ ، والبحر المحيط ١ /٥٧ ، وأنوار التنزيل ١ /٣١ •
(٥) في م ، خ : لأن الذات •

قوله : (وحقيقة نفس) مبتدأ خبره (أصيبت) ، وكذا قوله : (وقولهم [١]) مبتدأ خبره (كأنهم أرادوا) ، و (اذا) متعلق (بقولهم) ، ووجه التجوز بالنفس عن المرأى على الأول[٢] اطلاق اسم السبب على المسبب[٣] ، وعلى الثاني اطلاق اسم المشبه به على المشبه .

قوله : (والمعنى) أي معنى / " لا يشعرون " يعني أنه أبلغ وأنسب من " لا يعلمون " . ٥٥ب

قوله : (فالحقيقة أن يراد الألم[٤]) كون الألم مرضا من أظهر القضايا عند أهل اللغة والعرف ، وأما كونه عرضا لا مرضا فمن تدقيقات الأطباء ، على أن استعماله في العرض شائع فيما بينهم أيضا كقولهم : الصداع ألم في أعضاء الرأس .

ثم لا يخفى أن ليس المراد في الآية حقيقة المرض فلهذا[٥] قال : (والمراد به ههنا ما في قلوبهم) مما هو آفة ونقصان في الادراك (كسوء الاعتقاد والكفر) ، أو في الهيئات الفعلية (كالبغض والحسد) أو الانفعالية (كالضعف والجبن) .

فقوله : (أو يراد) [٦] مرفوع عطفا لهذه الجملة على جملة قوله : (والمراد به) الى آخره ، لا منصوب عطفا على (يستعار) لأن هذا أيضا من جملة الاستعارات .

وانما غير الأسلوب ولم يقل : ومن الضعف والجبن لطول الفصل واختصاص هذا بالعروض والحدوث بعد قوة الاسلام وشوكة المسلمين[٧] ، ولذا قال في الأولين : (ما في قلوبهم) وفي هذا : (ما تداخل قلوبهم) ، وقوله (لأن صدورهم) علة ثبوت الغل والحسد ويناسبه أن يراد ذلك ، كما أن قوله : (لأن قلوبهم) علة تداخل الضعف والجبن قلوبهم ويناسبه أن يراد ذلك .

وقوله : (اما لقوة طمعهم واما لجراءتهم) علة كون قلوبهم قوية أولا ، وقوله : (تغلي) من غلت القدر غليانا (وغِلًا) تمييز ، ويناسب ذلك أن يجعل (يتحرقون) بمعنى يحترقون على ما هو أصل اللغة .

---

(١) عبارة الكشاف ١ / ٤٥ : " كقولهم " .
(٢) وهو أنه صادر عن النفس أما الثاني فهو أنه كالمشير عليها والآمر لها .
(٣) وقال الطيبي " هو من اطلاق المحل وارادة الحال " ولكن اليمني رأى — كما رأى السعد — أن مقتضى قول الزمخشري : (لصدورهما عن النفس " أن يكون من اطلاق اسم السبب على المسبب " . انظر فتوح الغيب ١ / ٦٢ . وتحفة الاشراف ١ / ٤٨
(٤) الكشاف ١ / ٤٥ في تفسيره لقوله تعالى : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .. " الآية ١٠ من سورة البقرة .
(٥) في م : فلهذا .
(٦) الكشاف ١ / ٤٦
(٧) فطول الفصل هو سر تكرير الارادة في قوله : " أو يراد " ، وقول السعد =

(وحسدا) تمييز ، وقد شاع جعل الحسد كالنار والحاسد كالحطب[1] في الاحتراق لكن لوصله (بعليهم) ذهبوا الى أنه من حرق الناب اذا سحقه حتى سمع له صريف[2] ، وفلان يحرق عليك الأرم أى يسحق بعضها ببعض فعل الحارق بالمبرد كناية عن شدة الغيظ ، والأرم الأضراس جمع آرم من أرم على الشيء : عضه .

قوله : (ونا عيك بما كان من ابن أبي) ، الغرض من ايراد القصة اثبات الحسد والبغضاء للمنافقين بناء على رسوخ المادة وثبوت السبب قبل اظهارهم الاسلام ، فلا يضره اشتمال القصة على مجاهرة ابن أبي بالكفر وتصريح النقلة بأن هذه القصة كانت قبل أسلامه .

وأما القول بأن ماأورده المصنف يحتمل أن يكون قصة أخرى فمن ضيق العطن[3] والمكابرة فيما جاوز الظن وأشبه العلوم العادية .

والقصة : ماروى أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على حماره يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فسارا / حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ٥٦ أ قبل اسلامه وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة .

فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة[5] خمر عبد الله بن أبي أنفه[6] بردائه وقال : لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن .

فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء ، انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا ، فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة : بلى يارسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك .

فتسابا المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتقاتلون ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال : ياسعد ، ألم تسمع الى ماقال أبو حباب ؟ يريد عبد الله بن أبي فقال : يارسول

= " واختصاص هذا بالعروض الخ " هو سر العدول عن الاسمية إلى الفعلية وكما قال السيد الشريف " أوردها بصيغة الفعل حطا لها عن ارادة الأولين " .

(١) قوله "كالحطب" ناقص من الأصل . (٢) في م : صرير . انظر حاشية السيد على الكشاف ١٧٦ أ

(٣) الكشاف ١ / ٤٥ . (٤) أى ضيق الأفق .

(٥) أى غبارها . (٦) قوله " أنفه " ناقص من الأصل .

الله ، اعفـ عنه الى آخر القصة .(١)

فقوله : (ولقد اصطلح)(٢) ينبغى أن يكون بدون اللام لكونه فى موقع الحال ، وفى رواية الفائق (البحرة) بدون التصغير والمراد بها المدينة ، " يقال : هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدتنا وأصلها : فجوة من الأرض تنبجر أى تنبسط وتتسع "(٣)

و (العصابة) العمامة ، عصّبه عمّه ، ثم جعل التعصيب كناية عن التسويد ، لأن العمائم تيجان العرب . قوله : (شرق بذلك) أى لم يقدر على اساغته والصبر عليه لتعاظمه وكأنه اعترض فى حلقه فغص به كما يغص الشارب بالماء(٤) .

قوله : (ومعنى زيادة الله) قد فسر المرض بالكفر والحسد والضعف ، وقد جاز اسناد زيادة الأخيرين الى الله تعالى حقيقة بخلاف الأول لكونه قبيحا فلذا جعله مجازا(٥) ، وقوله : (ازدادوا حسدا وازدادت قلوبهم ضعفا) ربما يشعر بأن الاسناد مجاز على التقادير .

وأما اذا أريد بزيادة المرض الطبع فالمجاز فى المسند والاسناد مثله فى " ختم الله "(٦) ، والطبع هو الختم ، وقيل : بل أعم ، اذ الختم انما يكون فى الكفر الأصلى والطبع هو الرين الذى يكون فى المعاصى أيضا .

وتنكير مرضا لمغايرته الأول ضرورة مغايرة المزيد للمزيد عليه ، والزيادة تجىء لازما ومتعديا الى مفعولين ، والازدياد بمعناه الا أنه لا يستعمل معدى الى مفعولين ، فالمنصوب فى (ازدادوا كفرا وازدادوا حسدا) ان كان مفعولا فالفاعل حقيقة هم المنافقون .

وان كان تمييزا والفعل / لازما فالمعنى أنه ليس هناك من يزيد هم مرضا حقيقة ٥٦ب على ما هو رأى الشيخ(٧) " انه لا يلزم فى الاسناد المجازى أن يكون للفعل فاعل يكون الاسناد اليه حقيقة مثل : يزيدك وجهه حسنا . "(٨)

---

(١) صحيح البخارى ١٧ / ٦٣-٦٦ " كتاب التفسير " .
(٢) الكشاف ١ / ٤٦ (٣) الفائق ١ / ٦٣ (بحر) .
(٤) ففيه استعارة مكنية .
(٥) وهو مجاز عقلى علاقته السببية لأن الله تعالى كلما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم ، فكأن الله هو الذى زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له .
(٦) وكذلك : " أحيى الأرض الربيع "
(٧) دلائل الاعجاز ٢٠٢-٢٠٣ .
(٨) هذا صدر بيت لأبى نواس وقيل : لابن المعتز ، وتمامه : اذا ما زدته نظرا . =

وقد تكلمنا على ذلك في شرح التلخيص[1] • لكن قوله : (ازدادوه) يدل على أن المنصوب مفعول لا تمييز •

قوله : (تحية بينهم ضرب وجيع) أوله :

وخيل قد دلفت لهم بخيل[2] ، والمراد بالخيل الفرسان ، ودلفت : دنوت وتقدمت ، والباء في بخيل للتعدية ، ووصف الضرب بالوجيع مجاز كما في " عذاب أليم " اذ الأليم والوجيع حقيقة[3] هو المعذب والمضروب •

وظاهر كلام المصنف أنه من قبيل الاسناد الى المصدر مثل : جد جده ، لكن لا يخفى أنه ليس مصدرا لفعل المسند ، وانما يكون كذلك لو قيل : ألم أليم ووجع وجيع ، ومن ههنا قد يتكلف فيقال : العذاب هو الألم الفادح والضرب أعني المضروبية هو الوجع •

ومما يجب التنبيه له أن الاسناد المجازى لا يقتصر عنده على ماذكر أولا[4] من الاسناد الى مصدر ذلك الفعل أو زمانه أو مكانه أو سببه •

اذ قد ذكر في قوله تعالى : " فما ربحت تجارتهم "[5] أن الاسناد المجازى هو

= وروى " وجهها " بدل " وجهه " انظر ديوان أبي نواس ١٦٥ ، والمطول ٦٤ ، وشروح التلخيص ١ / ٢٦٠ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٧٨ ، وديوان المعانى ١ / ٢٣ ، والأغانى ١٢ / ٩٨ •

(١) انظر المطول ٦٤ •

(٢) والبيت لعمرو بن معد يكرب ، وروى : دلفت لها ، انظر بغية الايضاح ٣ / ١٤ ، وشرح الحماسة للتبريزى ١ / ٢٤٠ ، ٢ / ١٤٤ ، ٣ / ٣٦٢ ، ٤ / ٢٧٦ وللمرزوقى ١ / ٢٤٦ ، ٢ / ٥٨١ ، ٦٤١ ، ١٤٨١ ، ٣ / ١٣٨٧ ، ٤ / ١٧٦٥ ، والأمالى لابن الحاجب ٧٣ ب ، وتفسير القرطبي ٣ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٢ / ١٨ ، وأنوار التنزيل ١ / ٣٢ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٥٩٣ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٨ ، ٥٣٨ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٤٦ ، وتنزيل الآيات ٤٣٦ ، وكتاب سيبويه ١ / ٣٦٥ ، ٤٢٩ ، والمقتضب ٢ / ٢٠ ، ٤ / ٤١٣ ، وأساس البلاغة مادة (لبن) ، والخزانة ٤ / ٥٣ ، ٥٦ ، والخصائص ١ / ٣٦٨ ، ونوادر أبي زيد ١٥٠ •

(٣) لفظ " حقيقة " ناقص من م •

(٤) انظر الكشاف ١ / ٤٠ •

(٥) من الآية ١٦ من سورة البقرة •

اسناد الفعل الى ماله تلبس بالفاعل الحقيقى كتلبس التجارة بالمشترين [١] ، والعذاب ، والضرب بالقوم فى " عذاب أليم " " وضرب وجيع " ، والحساب بأهله فى " يوم يقوم الحساب " [٢] ، والكتاب بصاحبه فى " الكتاب الحكيم [٣] " وأمثال ذلك .

وانما ذهب الى المجاز دفعا لما قيل [٤] أن الأليم بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع فانه ليس بثبت على ماسيجئ فى " بديع السموات " [٥]
قوله : (والألم فى الحقيقة للمؤلم) على لفظ اسم المفعول .
قوله : (وفيه رمز) [٦] يعنى أن فى جعل عذاب المنافقين الذين هم أخبث الكفرة مرتبا على كذبهم اشارة خفية الى قبح الكذب حيث خص بالذكر مع كثرة جهات استحقاقهم للعذاب [٧] .

وفيه أيضا (تخييل) أن العذاب لحقهم من جهة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المتعرضة للكذب من بين الجهات ، وانما قال : (تخييل) لأن السامع يعلم أن جهات لحوق العذاب كثيرة أدناها الكذب ، وأن الغرض من ذكره الرمز الى قبحه زجرا عنه .

قوله : (والكذب الاخبار بالشئ [٨]) أى الاعلام بالنسبة (على خلاف) الوجه الذى هى متحققة به وملتبسة بمعنى أن كل شيئين بينهما نسبة ثبوتية أو سلبية ، فالاعلام بالنسبة الثبوتية على / طريق الاثبات ، وبالسلبية على طريق السلب صدق ، [٥٧]
وعلى خلاف ذلك كذب .

وقولهم : (آمنا) اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى ، لا انشاء للايمان بهذا الكلام ، ولو سلم فيتضمن اخبارا بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم تصديق القلب بمعنى

---

(١) الكشاف ١ / ٥٣ .
(٢) من الآية ٤١ من سورة ابراهيم ، وانظر الكشاف ٢ / ٤٣٧ .
(٣) من الآية ٢ من سورة لقمان .
(٤) قاله الزجاج انظر اعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٥٩٣ .
(٥) من الآية ١١٧ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١٣٥ حيث يقول الزمخشرى " وقيل : البديع بمعنى المبدع كما أن السميع فى قول عمرو : " أمن ريحانة الداعى السميع " بمعنى المسمع وفيه نظر " .
(٦) الكشاف ١ / ٤٦ .
(٧) ويرى الطيبى أن قوله : " فيه رمز " من باب التعريض بالمؤمنين ، وانما خص هذا النوع وهو التعريض بالرمز لأن الرمز اشارة الى المقصود من قريب مع نوع خفاء والتعريض كذلك " . فتوح الغيب ١ / ٦٣ .
(٨) عبارة الكشاف ١ / ٤٧ : الاخبار عن الشئ .

الاذعان والقبول فيكون كذبا .

وأما حكمه بأن (الكذب قبيح كله) فان أراد سمعا فسمعا وطاعة ، وان أراد عقلا فلا دليل عليه ، كيف ؟ وقد يتعين لعصمة دم بنى فيحسن .

قوله : (ثلاث كذبات) [١] ، هى " انى سقيم " [٢] و " بل فعله كبيرهم " [٣] والثالثة " هذه أختى " لسارة حين أراد أن يغصبها الظالم الذى كان من طريقته السياسية التعرض لذوات الأزواج دون غيرهن ، وقيل : هى [٤] قوله : " هذا ربى [٥] " فى الكواكب ، وقيل : الكذبات الثلاث قوله ثلاث مرات : " هذا ربى " .

وبالجملة فاطلاق الكذب بطريق الاستعارة لمشابهته الكذب من حيث كونها فى الظاهر أخبارا غير مطابقة للواقع ، لكنها فى التحقيق تعريضات وهو أن يشار بالكلام الى جانب والغرض منه جانب آخر .

فالغرض من قوله : " انى سقيم " أنه سيسقم لما علم ذلك بأمارة النجوم [٦] ، أو أنه سقيم لما يجد من الغيظ والحنق [٧] باتخاذهم النجوم آلهة ، ومن قوله [٨] : " بل فعله كبيرهم " التنبيه على أن من لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يقدر على دفع المضرة عن غيره ؟ فكيف يصلح الالهة ؟ .

ومن " هذه أختى " الأخوة فى الدين تخلصا من يد الظالم ، ومن " هذا ربى " الحكاية أو الفرض والتقدير تنبيها على خطئهم وارشادا الى أنه لا يصلح للالهية لقيام دليل الحدوث .

قوله : (وقرىء يكذبون) [٩] بالتشديد على أنه للتعدية بمعنى يكذبون النبى أى يجعلونه كاذبا بمعنى يصفونه بذلك ويعتقدونه كذلك ، أو للمبالغة أى للزيادة فى الكيفية بمعنى يكذبون كذبا عظيما .

أو للتكثير أى الزيادة فى الكمية من جهة كثرة الفاعلين ، أو على أنه من كذب الوحشى اذا وقف وتردد وهو مجاز [١٠] عن الذى للتعدية كأنه يكذب رأيه وظنه فيتردد .

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٥ / ١٢٣ " فضائل ابراهيم الخليل " .
(٢) من الآية ٨٩ من سورة الصافات . (٣) من الآية ٦٣ من سورة الأنبياء .
(٤) أى الثالثة . (٥) من الآيات ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ من سورة الأنعام .
(٦) فى م ، خ : من النجوم . (٧) فى خ : من الحنق والغيظ .
(٨) أى والغرض من قوله . (٩) البحر المحيط ١ / ٦٠ .
(١٠) استعارة تبعية واقعة على التمثيل على رأى الطيبى ، ويقول اليمنى : هو استعارة تمثيلية لقوله : " لأن المنافق متوقف متردد " . انظر فتوح الغيب ١ / ٦٤ ، وتحفة الاشراف ١ / ٥٠ .

قوله: (بان الشيء وبين) اتضح ، وفي المثل: " قد بيّن الصبح لذي عينين "(١) (وقلص الثوب) بعد الغسل (وقلص) وتقلص: كله بمعنى انزوى وانضم ، قوله: (تعبر الى هذه) (٢) أي تذهب وتتردد .

قوله: (والأول أوجه (٣)) لأنه أقرب ، وليفيد تشبيه للعذاب ويكون اشارة الى قبح / الفساد ، ووجوب الاحتراز عنه كالكذب ولئلا يلزم تخلل البيان او الاستئناف فيما ٥٧ ب بين أجزاء الصلة أو الصفة .

وقد يقال: بل الثاني أوجه ، لتكون الآيات على سنن تعديد قبائحهم ، وتقييد اتصافهم بالأوصاف المذكورة قصدا واستقلالا ، وتدل على أن العذاب لاحق بهم من أجل كذبهم الذي هو أدنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف بسائر الأحوال ؟ .

فان قيل: فالعطف على الاسمية أعني " من الناس من يقول " أوفى بتأدية هذه المعاني فلم لا يعتد (٤) به ؟ قلنا: لأنه لا يفيد دخول هذه الأحوال في ذكر المنافقين وبيان قصتهم وحالهم ، ولا يحسن عود الضمائر اليهم عند من له معرفة بأساليب الكلام .

قوله: (والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن) قال الصحاح: " هاج الشيء يهيج واهتاج وتهيج أي ثار وهاجه غيره " (٥) يتعدى ولا يتعدى ، والأنسب أن يحمل هنا على غير المتعدي لأن المتعدي افساد .

وقوله: (لأن في ذلك) (٦) تعليل لاطلاق الفساد على هيج الحروب و(حربا للفساد) سميت بذلك لأنهم جدعوا فيها الأنوف وصلموا الآذان ونحو ذلك (٧) .

(وكان فساد المنافقين) أي الفساد الناشىء من جهتهم ، هذا والأحسن افساد هم ، لأن ما يلتجئهم الى الكفار ومعاونتهم اياهم على المسلمين افساد لا فساد ، ولأنهم انما نهوا عن الافساد ، وحقيقة الافساد جعل الشيء فاسدا ، ولم يكن صنيعهم ذلك بل مؤديا اليه ، فحمل الكلام على المجاز باعتبار المآل والانتهاء أي لا تفعلوا ما

---

(١) يضرب للأمر يظهر كل الظهور أنظر مجمع الأمثال ٢ / ٤١ .
(٢) انظر النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٢٨ ، واللسان مادة (عبر) .
(٣) في تفسيره لقوله تعالى: واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون الآية ١١ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٤٧ . (٤) في م: لم يعتد .
(٥) الصحاح مادة (هيج) . (٦) الكشاف ١ / ٤٨ .
(٧) فتوح الغيب ١ / ٦٥ .

مايؤدى الى الفساد .

وليس معنى الافساد الاتيان بالفساد وفعله ليصح حمل الكلام على الحقيقة .

وفى حمل الافساد على ماذكر[١] دون تغيير الملة وتحريف الكتاب ودعوة الكفار فى السر الى تكذيب المؤمنين[٢] على ماقيل زيادة بيان لفائدة (فى الأرض) .

قوله : (ومعنى انما نحن مصلحون) يعنى أنه قصر افراد لأن نهيهم عن الافساد يشعر بأن فيهم افسادا فنفوا ذلك بادعاء أنهم مقصورون على الاصلاح من غير شائبة افساد ، وآثروا انما دلالة على أن ذلك ظاهر بين لا ينبغى أن يشك فيه .

فرد الله عليهم ذلك بقوله : " ألا انهم هم المفسدون "[٣] قصر قلب ، أى هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون فى جملة المصلحين أصلا مع المبالغة / بالاستئناف المقصود به تمكين الحكم فى ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد السؤال والطلب . ٥٨ أ

وبالتأكيد بحرفى التنبيه والتحقيق المقصود بهما تنبه السامع للحكم وتقرره عنده بحيث لا مجال فيه للريبة ، وبتعريف الخبر المفيد للحصر ، وبتوسيط ضمير الفصل المؤكد لذلك ، وبقوله : " ولكن لا يشعرون " الدال على أن كونهم مفسدين مما ظهر ظهور المحسوس لكن لا احساس لهم ليدركوه .

بقى ههنا بحث وهو أن ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه كما سبق[٤] ، وكذا تعريف الخبر على ماذكره صاحب المفتاح[٥] وشهد به الاستعمال مثل : " ان الله هو الرزاق " أى لا رازق سواه ، فكيف يدل " انهم هم المفسدون " على أنهم مقصورون على صفة الافساد لا يتجاوزونه الى الاصلاح ؟

والجواب ماسبق انه اذا كان فى الكلام مايفيد القصر فضمير الفصل انما يفيد تأكيده سواء كان قصر المسند على المسند اليه أو بالعكس .

وقد ذكر فى الفائق أن تعريف المسند يفيد قصر المسند اليه على المسند " وأن معنى ان الله هو الدهر أنه الجالب للحوادث لا غير الجالب "[٦] ، فيكون المعنى

---

(١) فى خ : ماذكرنا (٢) فى م ، خ : المسلمين .
(٣) من الآية ١٢ من سورة البقرة ، الكشاف ١/٤٨ .
(٤) فى الورقة ٤١ب ، ٤٢ ب من هذه الحاشية .
(٥) انظر المفتاح ١٠٢ ، ١١٦ ، والمطول ١٠٤ .
(٦) انظر الفائق ١/٢٠٨ مادة (دهر) ، وانظر الورقة ٤٢ ب ، ٤٣ أ من هذه الحاشية .

ههنا أنهم المفسدون لا المصلحون ٠

فالوجه أن يقال : تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه ،وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام ،أو يقال : معنى التعريف ههنا مثله في قوله تعالى : "أولئك هم المفلحون "على معنى أنه ان حصلت صفة المفسدين ،وتحققوا ما هم ،وتصوروا بصورتهم الحقيقية فالمنافقون هم هم لا يعدون تلك الحقيقة ٠

قوله : (وألا مركبة) [1] يريد أن الهمزة للاستفهام بطريق الانكار للنفي ،وانكار النفي في قوة تحقيق الاثبات ،لكن بعد التركيب صارت كلمة تنبيه تدخل على مالا تدخل عليه كلمة لا مثل : ألا ان زيدا قائم ،ولا تقول : لا ،وكذا الكلام في أما ،والأكثرون على أنهما حرفان موضوعان لا تركيب فيهما ٠

قوله : (بمثل [2] مايتلقى به القسم) يعني ان والنفي وذلك لمشاركتهما القسم في كونهما للتأكيد ،وأما تقع في (مقدمات القسم) لكونها للتأكيد مثله ٠ (وطليعة) الجيش مقدمته وما يطلع قبله ٠

قوله : (أما والذي لا يعلم الغيب غيره)

ويحيي العظام البيض وهي رميم

جوابه : لقد كنت أختار الجوى طاوي الحشا

مخافة من أن يقال : لئيم [3]

وقوله : (أما والذي أبكى وأضحك) والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمر

جوابه : / لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ٥٨ ب

اليفين منها لا يروعها الذعر [4]

---

(١) الكشاف ١/٤٨ (٢) عبارة الكشاف ١/٤٨ : بنحو٠

(٣) الشعر لحاتم الطائي ،وروي في البيت الأول "السر" بدل "الغيب" ،وفي البيت الثاني روي : أختار القرى ،وأجتاز القرى ،وأختار الخوى ،وهو خلاء الجوف من الطعام ،ومحافظة بدل مخافة ،ولقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهى مخافة يوما ٠٠ أنظر ديوان حاتم ٨٦ ،ومشاهد الانصاف ١/٤٨ ،وتنزيل الآيات ٥١٣ ،واللسان مادة (رمم) ،والصحاح مادة (قوا) ،وشرح الحماسة للتبريزي ٤/٢٤٠ ،٢٤١ ،وللمرزوقي ٤/١٧١٥ ،والخزانة ٣/٥٦٠ ،٤/٤٢٢ ٠

(٤) هذان البيتان سبق تحقيقهما في ٢٦ أ

قوله : (أتوهم) (١) أى المؤمنون المنافقين (فى النصيحة) من جهة النهى عن الافساد والأمر بالايمان ،تخلية عما لا ينبغى وتحلية بما ينبغى ،وفيه اشارة الى أن القائل الآمر بالايمان هم المؤمنون لا المنافقون بعضهم لبعض فيما بينهم على ماذكر فى بعض كتب التفسير . (٢)

لكن ينبغى أن يكون قولهم : " أنؤمن كما آمن السفهاء " مقولا فيما بينهم لا فى وجوه المؤمنين ،والا كانوا مجاهرين لا منافقين ،وظاهر قوله : (فكان من جوابهم أن سفهوهم) أى نسبوهم الى السفه ،ويتضمن النسبة الى الجهل على ماسيجىء من أن السفه جهل ،بما يشعر بأن القول كان فى وجوه المؤمنين فيتأكد الاشكال .

قوله : (واسناد الفعل الى الفعل (٣)) ،اطلاق الفعل على الفعل مع الضمير المتصل شائع فى عبارتهم ،وبالجملة الاسناد الى غير الاسم ممتنع وفاقا ،واغتر بعض النحاة بهذه الشبهة فذهب الى أن الفعل أعنى " قيل " مسند الى ضمير مصدره أو الى " لهم " (٤) لا الى " آمنوا ولا تفسدوا " .

والجواب أن الممتنع هو الاسناد الى معنى الفعل معبرا عنه بمجرد لفظه ،وأما الى مجرد لفظه مثل : (ضرب مؤلف من ثلاثة أحرف) ،أو اللفظ باعتبار الدلالة على المعنى مثل : " قيل لهم آمنوا " فلا امتناع ،لأنه فى الحقيقة اسناد الى الاسم على ماسبق تحقيقه .

فان قيل : قد أطبقوا على أنه انما يسند الى الاسم دون الفعل وهما من أقسام اللفظ دون المعنى فينبغى أن يمتنع الاسناد الى اللفظ الذى هو الفعل ،قلنا : المقصود ماذكره على ماقررنا ،ويحتمل أن يراد (بمعنى الفعل) الكلمة التى هى فعل كضرب المستعمل فى الحدث مع الزمان لا كضرب الذى هو علم له فليتأمل .

فان قيل : الجملة بعد القول فى موقع المفعول المطلق لكونها (٥) فى معنى هذا القول ،وحينئذ يجوز أن يكون المسند اليه هو الجار والمجرور أعنى " لهم " دون "آمنوا "

---

(١) الكشاف ١/٤٩ .
(٢) حاشية السيد على الكشاف ١٨١ .
(٣) فى خ : الفاعل . وهو خطأ .
(٤) انظر البحر المحيط ١/٦٤ .
(٥) عبارة الأصل : لكونه .

قلنا : الصحيح أن القول متحد ، وأن المحكي بعده مفعول به لأنه مقول ، وتحقق القول موقوف عليه ، واطلاق القول عليه من قبيل ضرب الأمير أي مضروبه ، والغلط انما نشأ من هذا .

قوله : (زعموا مطية الكذب) (١) يعني أن الوارد بعد الزعم وما يشتق منه كلام غير موثوق به ، لأن الزعم هو القول بغير تبين وتثبت .

قوله : (لأنهم) (٢) أي (عبد الله وأشياعه) من جلدة المنافقين فيكونون معهودين عندهم وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون / فمعهودون على الاطلاق . ٥٩ أ

قوله : (أو للجنس) ، المعرف بلام الجنس قد يقصد به بعض الأفراد من غير اعتبار وصف فيه كما في " ولقد أمر على اللئيم (٣) " . وقد يقصد به البعض باعتبار وصف الكمال كما في " ذلك الكتاب " ، وقد يقصد به الجنس بأسره كما في قوله تعالى : " ان الانسان لفي خسر " (٤) .

والأول قليل الجدوى جدا لا يصار اليه الا عند تعذر الأخيرين فلذا فسر الناس بالكاملين في الانسانية أو بمن هم الناس في الحقيقة حتى كأن من عداهم في عداد البهائم ، ولا يخفى أن هذا انما هو على تقدير كون هذا القول مقول المؤمنين كما ذكره المصنف لا المنافقين بعضهم لبعض .

قوله : (في معنى الانكار) أي لا يكون ذلك .

قوله : (الى الناس) أي المعهودين أو الكاملين [أو الذين من عداهم في حكم العدم] (٥) على ما ذكر ، وهذا عهد بلفظ آخر وباعتبار وصف آخر .

قوله : (ويجوز أن تكون للجنس) (٦) أي جنس السفيه على ما يراه بعض الأصوليين من بطلان الجمعية وتعين الجنسية ، أو جنس السفهاء بوصف الجمعية على ما هو قانون العربية .

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث ٢ / ٣٠٣ .
(٢) في تفسيره لقوله تعالى : " واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس .. " الآية ١٣ سورة البقرة الكشاف ١ / ٤٩ .
(٣) في خ زيادة " يسبني " ، وقد سبق تحقيق هذا البيت في الورقة ٢٥ ب .
(٤) الآية ٢ من سورة العصر .
(٥) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل . (٦) الكشاف ١ / ٤٩

وقوله : (وينطوى تحته) أى تحت الجنس أو لفظ السفهاء (الجارى) أى الذين[١] جرى (ذكرهم) من الناس المعهودين أو الكاملين أو الذين من عداهم فى حكم العدم ، لأن جنس السفيه أعم من ذلك بحسب دلالة اللفظ[٢] .

قوله : (على زعمهم) أى زعم المنافقين متعلق (بينطوى) ، (لأنهم) أى الجارى ذكرهم (عندهم) أى عند المنافقين (أصلاء فى السفه) .

(استركوا) عدوها ركيكة ، (المراجيح) تشبه أن تكون جمع مرجاح صيغة مبالغة من الرجاحة ، فى الأساس : " نخل مراجيح ومواقير : ثقال الحمل[٣] ، وهو راجح العقل ، وفى عقله رجاحة وفى حكمه سجاحة " وهم مراجيح " .

(والسطة) مصدر وسطت القوم أسطهم أى توسطتهم ، وفلان وسيط قومه أى أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا .

قوله : (فدعوهم سفهاء) يعنى على تقديرى العهد والجنس ، (أو أرادوا) أى أو لأنهم أرادوا بالسفهاء وهذا على تقدير العهد .

قوله : (والتفصيل)[٤] من الفاصلة كالتقفية من القافية ، وقوله : (وماكان قائما) عطف على (جاهليتهم) وليس مبتدأ خبره (فهو كالمحسوس) بل ذلك نتيجة ماسبقه من الكلام .

قوله : (مساق هذه الآية) يعنى قوله : " واذا لقوا الذين آمنوا " الى آخره قد يتوهم تكراره نظرا الى مجرد الشرطية الأولى .

لكن يظهر بالتأمل أن قوله : " واذا خلوا الى شياطينهم قالوا " عطف على هذه الشرطية حتى انهما بمنزلة كلام واحد وسوق قضية واحدة ، وليست بشرطية مستقلة معطوفة على / ماسبق مسوقة سوق الشرطيتين السابقتين . ٩ ب

---

(١) فى خ : الذى .
(٢) ويقول الطيبى : " قوله : (فينطوى تحته الجارى ذكرهم) فعلى هذا اسم الجنس شامل لهؤلاء وغيرهم ، ولما كان سوق الكلام لهؤلاء دخلوا فيه دخولا أوليا ، وهذا أبلغ لما فيه من الكناية " . انظر فتوح الغيب ١/٦٦ .
(٣) عبارة الأساس مادة (رجح) : " ثقال الأحمال ، وفى خلقه سجاحة " والسجاحة هى اللين والرفق .
(٤) عبارة الكشاف ١/٤٩ : فلم فصلت ؟

قوله : (التكذب) (١) التكلف في الكذب ، وقوله : (فاذا فارقوهم) عطف على الفعل الذى تقتضية المصادر أى من أن يكذبوا لهم واستهزأوا بهم فاذا فارقوهم الى خلفاء دينهم الذين أعيوا أهليهم خبثا (صدقوهم) مافى ضمائرهم ، من صدقته الحديث وفى المثل : " صدقنى سن بكره " (٢)

قوله : (يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته (٣)) ، حق الكلام " تقول " على لفظ الخطاب أو " استقبلته " بضم التاء و " أى " المفسرة ، وذلك أنه اذا أريد تفسير الفعل المسند الى ضمير المتكلم فان أتى بكلمة " أى " كان مابعدها تفسيرا لما قبلها فيجب تطابقهما ، ويجوز في صدر الكلام " تقول " على الخطاب و " يقال " على البناء للمفعول .

وان أتى بكلمة " اذا " كان صدر الكلام فى موقع الجزاء فيجب أن يكون مابعد " اذا " على لفظ الخطاب أى اذا استقبلت تقول : لقيته ، ولا يستقيم : اذا استقبلت يقال (٤) الا اذا قدر (٥) أن القائل هو المخاطب لكنه عبارة قلقة .

قوله : (هو جارى ملاقى) بالتشديد أى مقابلى (ومراقى) بالتخفيف اذا تقابل الرواقان بأن كان رواق بيته أى مقدمه الى رواق بيتك .

قوله : (واذا أنهوا السخرية) يعنى أن تعديته بالى على تضمين معنى الانهاء كما فى (أحمد اليك فلانا) أى أنهى حمده اليك ، وهذا بيان للمعنى ، وأما التقدير فسخروا منهيين اليهم وأحمده منهيا اليك ، على ماهو القانون .

قوله : (لم كانت مخاطبتهم (٦) ؟ . وجه السؤال أن قولهم مع المؤمنين (٧) : " آمنا " كلام مع المنكر وقد ترك التأكيد ، وقولهم لشياطينهم : " انا معكم " كلام مع غير المنكر وقد أكد بأن واسمية الجملة مع أن مقتضى البلاغة عكس ذلك .

---

(١) عبارة الكشاف ١ / ٤٩ : التكذيب .
(٢) يضرب مثلا فى الصدق .
وانظر مجمع الأمثال ١ / ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢ / ١٤٠ .
(٣) الكشاف ١ / ٥٠ فى تفسير قوله تعالى : " واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .. " ١٤ البقرة .
(٤) فى م ، ط زيادة " لقيته " .
(٥) فى خ : قدرت .
(٦) الكشاف ١ / ٥٠ .
(٧) فى م ، خ : للمؤمنين .

والجواب : أن ترك التأكيد كما يكون لعدم الانكار فقد يكون لعدم الباعث والمحرك من جهة المتكلم ، ولعدم الرواج والقبول من جهة السامع ، وكذلك التأكيد كما يكون لازالة الشك ونفى الانكار (١) فقد يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول من السامع ، فلذا جاء " آمنا " بالجملة الفعلية من غير تأكيد و " انا معكم " بالاسمية مؤكدة بان .

قوله : (أوحديون) جمع أوحدى بالحاق ياء النسب (٢) للتأكيد كأحمرى ، وفلان (لا يشق غباره) أى لا يدرك ولا يلحق ، وأصله فى خيل السباق ، أخذته (اريحية) اذا ارتاح للندى أى مال اليه وأحبه .

٦٠ أ أقام بين أظهر القوم و (بين ظهرانيهم) / أى بينهم ، واقحام الأظهر وهو جمع ظهر على معنى ان اقامته فيهم على سبيل الاستظهار والاستناد اليهم ، ثم زيدت الألف والنون على ظهر عند التثنية للتأكيد ، وكأن معنى التثنية أن ظهرا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنوف من جانبيه ، ثم كثر حتى استعمل (٣) فى الاقامة بين القوم مطلقا وان لم يكن مكنوفا .

والمعنى أنهم ليسوا فى ادعاء الثبات والرسوخ فى الاسلام ونحو ذلك مما يكون جديرا بالكلام القوى الوكيد فضلا عن الأقوى الأوكد ، على أنك اذا تأملت فمراده بالأقوى الأوكد عائد الى القوى الوكيد بدلالة ماذكر فى (مخاطبة اخوانهم) من كونه (مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد) .

قوله : (ألا ترى) يعنى أن التأكيد فى قولهم : " اننا آمنا " (٤) لصدق الرغبة وفرط النشاط وكونه رائجا مقبولا .

قوله : (وأما مخاطبة) مبتدأ والعائد فى الخبر محذوف أى (فهم فيما أخبروا به) ، و (فيما أخبروا) متعلق (بصدق رغبة) فلابد من تأويل ، والظرف أعنى (على صدق رغبة) خبر المبتدأ الذى هو (هم) .

و (ماقالوه من ذلك) أى من (الثبات والبعد والقرار) (٥) ، وقوله : (فكان) أى

---

(١) فى خ زيادة " عن السامع " ، وفى م " من السامع " .
(٢) فى م ، خ ، ط : ياء النسبة . (٣) عبارة م : ثم كثر استعماله .
(٤) من الآية ١٦ من سورة آل عمران .
(٥) فى م ، خ : " من الثبات والقرار والبعد " وهو الموافق لترتيب الكشاف (١ / ٥٥) .

(ماقالوه) أو (مخاطبة اخوانهم) على تأويل الخطاب، (مظنة للتحقيق) أى موضعه ومألفه الذى يظن كونه فيه •

(ومئنة للتأكيد) أى موضعه الذى يتحقق ثبوته فيه ، مفعلة من معنى ان التأكيدية قال أبو زيد (١) : " انه لمئنة من ذلك أي مخلقة ، وكل شيء دلك على شيء فهو مئنة له " (٢) ، وفى الأساس: " فلان مئنة للخير ومعساء أى هو موضع لأن يقال فيه : انه لخير وعسى أن يفعل خيرا " (٣) •

قوله : (هو تأكيد له) ولما لم يكن ظاهر كونهم مستهزئين تكريرا وتقريرا لموافقتهم الشياطين فى الثبات على اليهودية أخذ منه لازما جعله باعتباره تقريرا وتأكيدا (٤) وهو أنه نفى ورد للاسلام فيكون اثباتا وقبولا للكفر فيكون تأكيدا •

وعكس صاحب المفتاح فأخذ من الأول لازما وهو: انا نوهم أصحاب محمد الايمان ، فيكون الاستهزاء بهم والاستخفاف بدينهم تقريرا لذلك (٥)

وأما البدل فلا يحتاج الى اعتبار أخذ اللازم فى أحد الجانبين ، ويكفى تصادق الثابت على الباطل والمستهزىء بالحق مع كون الثانى أوفى بالمقصود لما فى الأول من بعض القصور حيث يوافقون المسلمين فى بعض الأمور ثم الظاهر / أنه بمنزلة بدل الكل • ٦٠ب

وأرباب البيان لا يقولون بذلك فى الجمل التى لا محل لها من الاعراب ويعنون بما لا محل له مالا يكون خبرا أو صفة أو حالا [وان كان فى موقع المفعول للقول فلذا كان الأوجه هو الاستئناف لظهور مظنة السؤال] (٦)

قوله : (فلفبت) بالفتح ، أعييت وتعبت •

قوله : (معناه انزال الهوان (٧)) يعنى انه مجاز عما هو بمنزلة الغاية للاستهزاء

---

(١) سعيد بن أوس الأنصارى كان اماما فى النحو والأدب واللغة والنوادر روى عن أبى عمرو بن العلاء وغيره وروى له ابو داود والترمذى توفى سنة ٢١٥ • انظر بغية الوعاة ١/٢٨٢ •

(٢) انظر اللسان مادة (أنن)

(٣) الأساس مادة (أنن) ، ويقول السيد الشريف " مئنة مفعلة مشتقة من لفظة ان بعد ما جعلت اسما أو متضمنة حروفها تنبيها على اشتمالها على معناها ، كأنه قيل : مخلقة لأن تستعمل فيه ان " ، انظر حاشيته على الكشاف ١٨٦ •

(٤) فى خ : وتكريرا . (٥) انظر مفتاح العلوم ١٤٦ .

(٦) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٧) الكشاف ١/٥١ .

فيكون من اطلاق اسم المسبب على السبب نظرا الى التصور وبالعكس نظرا الى الوجود ، أو هو استعارة حيث أطلق الاستهزاء على ما تشبه صورته صورة الاستهزاء أو هو مشاكلة وتسمية لجزاء الشيء باسمه ، وهو كثير في الكلام الا أنه مشكل من جهة المعنى وستسمع له بيانا في موضع آخر .

فان قلت: هذا الكلام ليس من التهكم في شيء فما معنى قوله : (وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى) ؟ قلت: معناه أن التهكم بالكفرة قد كثر في كلام الله تعالى والمقصود منه تحقير شأنهم وهذا منهم ، فأخبر عنها بأن الله تعالى يتهكم بهم بهذا (١) المعنى ولهذا الغرض ، يعني أنه كما يتهكم بهم في تلك المواضع لغرض التحقير والاهانة فكذلك أطلق ههنا لفظ الاستهزاء بهم وأراد ذلك المعنى .

قوله : (غرضه الذي يرميه) أي يقصده ولا يخفى لطف موقعه (٢) لكن الأنسب أن يجعل مقصود المستهزئ هو الخفة والزراية لا طلب ذلك . والباء في (بمن يهزأ) ينبغي أن يجعل متعلقا بما تضمنه الكلام من معنى الايصال والالصاق ، اذ يقال أزرى به وزرى عليه وازدراه .

قوله : (وهو) أي الظاهر أو (اجراء أحكام المسلمين عليهم) و (المبطن) بالشيء : ما يكون فيه ذلك الشيء من بطنت الثوب جعلت له بطانة .

قوله : (هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة) (٣) حيث دل على غاية شناعة ما ارتكبوه وتعاظمه على القلوب والأسماع بحيث يتوجه للسامع أن يقول : الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم وعقبى حالهم ؟ وكيف معاملة الله اياهم .

يعني ليس ترك العطف لمجرد (٤) أن يتوهم العطف (٥) على " انا معكم " فيكون من مقول المنافقين ، أو على " قالوا " فيقيد بالظرف أعني : (اذا خلوا) .

---

(١) في خ : لهذا المعنى .
(٢) ففي قوله : " غرضه " مع قوله : " يرميه " رعاية التناسب فان الرامي يرمي الغرض أي الهدف . انظر فتوح الغيب ١ / ٦٨ .
(٣) أي ابتداؤه بقوله تعالى : " الله يستهزئ بهم .. " ١٥ البقرة .
(٤) في م ، ط : بمجرد .
(٥) في م ، خ : عطفه .

ثم لم يصدر الاستئناف بذكر المؤمنين مع أنهم الذين يستهزئ المنافقون بهم ، وكان ينبغى أن يقابلوهم ويعارضوهم ، بل بذكر اسم الله تعالى الجامع لصفات الكمال مع بناء الفعل عليه لافادة الاختصاص ، فدل على أن الاستهزاء بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذى يضمحل فى جنبه استهزاؤهم ، لصدوره عمن يضمحل فى جنبعلمه وقدرته علمهم وقدرتهم ، / وعلى أن الله تعالى (١) يكفى مؤنة المسلمين (٢) من عباده ، وينتقم [٦١ أ]
لهم ، ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين باستهزاء هو مجازه سخرية واستخفاف .

وفيه تعظيم لشأن المؤمنين ، وهذا زيادة فى فخامة الاستئناف ، وانما تعرض فى تقرير افادة (الاستهزاء الأبلغ) لطريق الحصر جريا على ما هو مدلول الكلام ، ونبه بقوله : (ولا يحوج المؤمنين) على أن الحصر بالنسبة الى المؤمنين (٣) ، بمعنى أنه المستهزأ بهم لا المؤمنون .

والحصر مستفاد من بناء الفعل على المبتدأ على ما صرح به المصنف فى مواضع من هذا الكتاب (٤) ، من غير تفرقة بين كونه منكرا أو معرفا ، مظهرا أو مضمرا ، ومن غير اشتراط أن يكون فى الأصل مؤخرا على أنه فاعل معنى لا لفظا على ما فى المفتاح (٥) ، وبهذا القدر تسقط كثير من الكلمات الموردة فى هذا المقام (٦) ، ومن أراد زيادة تفصيل فعليه بشرح التلخيص (٧) .

فان قيل : الاستهزاء بمعنى السخرية لا يتصور من الله تعالى (٨) ، وبمعنى (انزال النكال والهوان) على ما هو المراد لا يتصور من المؤمنين ، فما معنى الحصر والاختصاص وليس ههنا اثبات فعل لشئ ونفيه عن غيره ؟ .

قلت: معناه أن الله تعالى هو الذى يتولى الاستهزاء بهم بالمعنى الذى يليق به ، ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذي يليق بهم ، ويماثل استهزاء المنافقين ، وفى

---

(١) قوله " تعالى " ناقص من الأصل
(٢) فى م ، خ : المخلصين (٣) فهو حصر اضافى .
(٤) وذلك مثل تصريحه فى قوله تعالى : " والله يقدر الليل والنهار " بأن تقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر : هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير " .
انظر الكشاف ٤ / ٥١٤ .
(٥) مفتاح العلوم ١١٩ — ١٢٠
(٦) لعل السعد يشير بذلك الى رأى اليمنى الذى ذهب الى أن بناء " يستهزئ " على " الله " يفيد تقوى الحكم فقط ولا يفيد الاختصاص ، وقال : لأن الاختصاص فى مثل ذلك يستفاد من التقديم ولا تقديم . انظر تحفة الأشراف ١ / ٥٣ .
(٧) المطول ١١٣ ، ٢٥٧ . (٨) قوله : " تعالى " ناقص من الأصل .

قوله : (هو الذى يتولى الاستهزاء) ،وقوله :(لا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله) دلالة ظاهرة على ذلك(١)

قوله : (ليس استهزاؤهم اليه) (٢) أى حال كونه منسوبا اليه وفى الصحاح " فلان لا يوبه له ولا يوبه به أى لا يبالى به "(٣)

قوله : (لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء) بمعنى أنه لكونه فعلا يفيد التجدد والحدوث ،ولكونه مضارعا صالحا للحال يفيد الحدوث حالا ،ولكونه مستعملا فى مقام لا يناسبه التقيد بحال دون حال يفيد التجدد حالا بعد حال ،وهو معنى الاستمرار .

ولقد أحسن فى التصريح بأن هذا المعنى مما يفيده المضارع كيلا يتوهم أنه من تقديم المسند اليه حتى يحصل التجدد من الفعل والاستمرار من كون الجملة اسمية على ماتوهمه البعض،ألا ترى أن فى قوله تعالى " وويل لهم مما يكسبون "(٤) وقوله تعالى(٥) : " لو يطيعكم "(٦) وغير ذلك قد دل المضارع على التجدد والاستمرار من غير تقديم للمسند اليه ؟ .

وينبغى أن يعلم أن هذا غير مايستفاد من الجملة الاسمية ،فانه ثبات واستقرار لا استمرار بمعنى الحدوث حالا فحالا ومرة بعد أخرى .

قوله : (واستشعار حذر) / يقال : استشعر فلان خوفا أى أضمره وأخذه فى باطنه ،وفاعل أن ينزل فيهم ضمير مبهم أى شئ مما يفضحهم . ٦١ ب

قوله : (كفاك) يعنى أن قراءة يمد بضم الياء (٧) من الامداد بمعنى اعطاء المدد ،وليس من المد فى العمر والامهال فى شئ ،وأيضا المد فى العمر لا يتعدى بنفسه فلا يقال : مده ،بل باللام مثل : مد له ،والحذف والايصال خلاف الأصل لا يصار اليه الا بدليل .

---

(١) ويقول السيد الشريف فى حاشيته على الكشاف ١٨٨ : " على أنه اذا أريد بالاستهزاء جزاؤه أمكن صدوره عنهما فيكون المعنى هو الذى يتولى جزاء استهزائهم دون المؤمنين ،فلا اشكال حينئذ .

(٢) الكشاف ١/١٥٠ .   (٣) الصحاح مادة (وبه) .

(٤) من الآية ٧٩ من سورة البقرة .

(٥) قوله " تعالى " ناقص من خ ، م .

(٦) من الآية ٧ من سورة الحجرات .

(٧) البحر المحيط ١/٧٠ .

قوله : (فكيف جاز ؟) [1] يعني أن المد بمعنى الامداد واعطاء المدد اذا كان في الشرور والقبائح كالطغيان كيف يصح اسناده الى الله تعالى ؟ فأجـــاب [2] بوجوه :

الأول : أن المدد ههنا هو ماتزايد من الرين والظلمة في قلوبهم بســـبب خذلان الله تعالى اياهم بسبب اصرارهم على الكفر فأسند ايلاؤه واعطاؤه الى اللـــه تعالى اسناد الفعل الى سببه البعيد . [3]

والثاني : أن المراد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان وهو فعل الله تعالى حقيقة [4] .

الثالث : انه على حقيقته لكن أسند الى الله تعالى - وان كان فعل الشيطان لأنه باقداره وتمكينه [5] .

فالمجاز على الأول في المسند والاسناد جميعا ، وعلى الثاني في المسند خاصة ، وعلى الثالث في الاسناد خاصة ، فقوله : (فسمى ذلك التزايد) أي مابه ذلك التزايد (مددا) ، (وأسند) أي ايلاؤه وأعطاؤه (الى الله تعالى) [6]

وقد يقال : أن هناك نوعا آخر من التجوز لازما على كل مذهب وهو ايقاع المد عليهم ، وانما يوقع حقيقة على ماوقع المدد [7] والزيادة فيه كالكفر والطغيان ، ورد بالمنع بل مدهم في الكفر ومد كفرهم واحد .

قوله : (والا) [8] أي وان لم يطابق اللفظ المعنى ولم يشهد لصحته ، كان نسبة المعنى من اللفظ بمنزلة نسبة الأروى من النعام ، أي يتباعدان غاية التباعد ، فـــان النعامة تسكن السهول ، والأروية أعني الأنثى من الوعول تسكن الجبال [9] ، فالأروى

---

(١) الكشاف ١ / ٥١ . (٢) في خ : فأجاب عنه .

(٣) وعلى هذا ففي المسند وهو قوله : " يمد " استعارة تبعية ، وفي اسناده الى الله تعالى مجاز عقلي .

(٤) فالاسناد على حقيقته والمسند استعارة تبعية .

(٥) هذا الوجه عكس الوجه الثاني أي أن المجاز فيه في الاسناد لا في المسند .

(٦) عبارة الكشاف ١ / ٥١ : " الى الله سبحانه .

(٧) في م : المد . (٨) الكشاف ١ / ٥٢ .

(٩) وفي المثل : " مايجمع بين الأروى والنعام ؟ " أي أي شيء يجمع بينهما ؟ يضرب في الشيئين يختلفان جدا . انظر مجمع الأمثال ١ / ١٢٦ ، ٢ / ٢٠٠ . وانظر النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٣

كأنه اسم جمع للأروية ووزنها : أفعولة ، و (من) في مثل هذا متعلق بمضاف محذوف وليس حالا لوقوعه بعد المبتدأ مثل " أنت مني [1] بمنزلة هرون من موسى " [2] أي نسبتك أو قربك ، ولأنه ليس المعنى : كائنا مني أو مبتدأ مني فليتأمل .

قوله : (تعاهد) الشيء وتعهده : تحفظ به ، والتعهد افصح ، (وما وقع) أي وبقاء (ماوقع به) ، (سليما) حال منه ، و (من تعاهد) متعلق بالظرف أعني (على مراحل) ، (وأن هؤلاء) عطف على (قوي الحسن) ، أي قول الحسن ، وكون هؤلاء من طبع الله على قلوبهم بدليل / ما يأتي من الآيات يعضد ما قلناه من أنه من ٦٢ أ مد الجيش وأمده بالمعنى الذي ذكرنا ، اذ التمادي في الضلال والطبع على القلوب يناسب تزايد الظلمة والضلال لا امتداد [3] العمر والامهال ، و (اللقيان) اللقاء ، و (الغنيان) الاستغناء .

قوله : (فيها) [4] أي في تلك الاضافة اشارة الى أن الطغيان فعلهم الذي يحق أن يضاف اليهم ويختص بهم ، من غير أن يضاف الى الله تعالى خلقا ولا مشيئة ، لأن [5] الطغيان الذي يتمادون فيه معلوم أنه فعلهم بطريق المحلية والاتصاف كالكفر والايمان وسائر الأوصاف ، ولولا هذا الاختصاص لكان التصريح بالاضافة لغوا على ماهو شأن الدلالات البيانية والاشارات الخطابية ، وليس المراد أن هذه الاضافة تدل على أنه بايجاد العبد لا بايجاد الله تعالى وارادته ليرد المنع مستندا بمثل الحسن والقبح وسائر الأوصاف المخلوقة لله تعالى القائمة بالعبد المضافة اليه اضافة المحلية .

ثم لا يخفى مافي كلامه من التعريض بأهل السنة وتكفيرهم وجعلهم ملحدين في صفات الله تعالى أي مائلين عن الحق ، فانهم يقولون : أن الله تعالى لو شاء ايمان الكافر وطاعة العاصي ورشاد المهتوك لوقع قطعا .

وقول الشاعر :

ومهمه أطرافه في مهمه * أعمى الهدى (بالجاهلين العمه)

أي رب مفازة أطرافها في أخرى لسعتها ، التبست الهداية الى طرقها [6] على من لادراية لهم بأمر الطرق لدروس أعلامها بل لعدم المنار بها ، فأعمى أفعل ، صفة من

---

(١) قوله : " مني " ناقص من خ .

(٢) وهو حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٢٣ .

(٣) في خ : لا امداد .

(٤) الكشاف ١ / ٥٢ .

(٥) في خ : فان .

(٦) في ط : الى أطرافها .

عمى عليه الأمر التبس ، وقيل : فصل ماض أى أخفى طرق الهداية (١)

قوله : (أخذت بالجمة (٢)) هى مجتمع شعر الرأس ، (الأزعر) الأصلع ، وفى الصحاح : " الدرد ر مغارز أسنان الصبى (٣) ، وما يقال : أن المراد ههنا الأسنان الساقطة الباقية الأصول فمما ذكر فى الأساس : " أن الدرد ر بالفتح تحات الأسنان الى الأسناخ " (٤) أى انهيارها وانقتاتها الى الأصول ، و (العمر) : عطف بيان (للطويل) ، و (الحيدر) : القصير ، والمسلم الذى اشترى النصرانية بالاسلام : جبلة بن الأيهم من ملوك غسان وقصة وفادته على عمر [رضى الله عنه] (٥) بمكة واسلامه ثم ارتداده الى النصرانية ولحوقه بالشام مشهورة (٦) .

قوله : (واعراضه) (٧) أى الهدى (لهم) من أعرض لك الشىء اذا أمكنك من عرضه أى جانبه ، يعنى جعل تمكنهم من الهدى بعد التكليف به بمنزلة تملكهم اياه ، ٦٢ ب / فيكون التجوز فى نفس الهدى ، حيث أريد به التمكن منه ، أو فى نسبته اليهم حيث استعير ثبوته لهم لتمكنهم منه ، وان أريد الهدى الذى جبلوا عليه فلا مجاز أصلا ، أو هو فى الهدى فقط ان كان (٨) .

---

(١) وقائل البيت : رؤبة وقيل : العجاج ، وروى : فى مهمه ، وروى : بل مهمه قطعت بعد مهمه . أنظر ديوان رؤبة ١٦٦ ، والصحاح واللسان مادتى : (بلل ، عمه) وأنوار التنزيل ١ / ٣٦ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٥٣ ، وتنزيل الآيات ٥٦٠ ، والسيرة لابن هشام ١ / ٥٣٢ ، والخزانة ٣ / ٣٧٦ ، وشواهد العينى ٤ / ١٩ ، وسمط اللآلىء ١ / ٥٥ ، ٢ / ٧٣١ .

(٢) فى تفسيره لقوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى .. " ١٦ البقرة وانظر الكشاف ١ / ٥٢ . (٣) الصحاح مادة (درر) .

(٤) عبارة الأساس مادة (درد) : " رجل أدرد وبه درد وهو تحات الأسنان الى الأسناخ " (٥) مابين المعقوفين ناقص من م ، خ .

(٦) قدم جبلة بن الأيهم مكة ، فطاف بالكعبة ، فوطىء رجل ازاره ، فلطمه جبلة ، فشكى الرجل الى عمر رضى الله عنه ، فحكم بالقصاص من جبلة ، فقال : أتقتص منى وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : شملك واياه الاسلام فما تفضله ، فاستمهله الى الغد ، وهرب ليلا ، وتنصر بعد الاسلام .

أما الشعر فقائله : أبو النجم العجلى ، يريد ، أنه أخذ امرأة عجوزا قبيحة بدل امرأة شابة جميلة وحاله فى ذلك كحال المسلم الذى استبدل النصرانية بالاسلام واختارها عليه ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٥٢ — ٥٣ وتنزيل الآيات ٣٩٤ ، وفتوح الغيب ١ / ٧٠ ، وأنوار التنزيل ١ / ٣٦ ، والبحر المحيط ١ / ١٧٨ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٥٤ . (٧) الكشاف ١ / ٥٣ .

(٨) وعلى هذا الوجه — وهو أن الدين القيم هو الفطرة — ذهب الطيبى الى أن =

(دريص) تصغير درص بالكسر : ولد الفأرة ، و(النفق) : الجحر ، يضرب لمن نسي الحجة عند الحاجة .(١)

قوله : (كيف أسند الخسران الى التجارة ؟) اشارة الى أن عدم الربح ههنا (٢) كناية عن الخسران ، وان كان بحسب الظاهر أعم ، والى أن المسند الى التجارة هو عدم الربح ، لا أن يسند الفعل ثم يدخله النفي مثل : ماربحت التجارة بل التاجر ، فانه ليس من المجاز في شيء ، مثلا اذا قيل : " ماصام نهاره " بمعنى أفطر و " مانام ليله " بمعنى سهر فهو مجاز ، بخلاف ماصام النهار وما نام الليل قصدا الى نفي الصوم عن النهار والنوم عن الليل .

ومرجعه الى ما ذكرنا فيما سبق من الفرق بين تقييد النفي ونفي التقييد مثل : ماضربته تكريما ، أي تركت الضرب تكريما له ، وما ضربته تأديبا بل اهانة ، ولهذا يجعلون النفي مع الفعل في معنى فعل مثبت هو ضد المنفي كجعل عدم الربح في معنى الخسران حتى صرح ابن الحاجب بأن العامل في مثل هذا هو النفي لا الفعل ، والحاصل أن فرقا بين نفي (٣) اسناد الفعل واسناد نفي الفعل ، فان اعتبر اسناد الفعل ثم نفي فحقيقة ، وان اعتبر نفي الفعل ثم أسند فمجاز .

قوله : (وهو أن يسند) (٤) تفسير للاسناد المجازي أعم مما سبق ظاهرا ، وان حاولنا ادراج مثل هذا فيه جعلنا هذا من الاسناد الى السبب فان التجارة سبب للربح ، لكن المصنف يعتبر مجرد تلبس الفاعل المجازي بالفاعل الحقيقي ، ولما كان مقتضى هذا التفسير (٥) أن يصح (ربح عبدك مجازا) لكونه ملتبسا بالرابح أعني البائع ، وقد ذكر علي بن عيسى الربعي (٦) امام أئمة النحو ببغداد أنه لا يصح (٧) .

= الهدى مجاز مرسل باعتبار ماكان ، وتبعه اليمني في ذلك ، أما على الوجه الأول – وهو جعل الهدى لتمكنهم منه كأنه في أيديهم – فذهب الطيبي الى أنه مجاز باعتبار ما يكون ، حيث جعل التمكن من الهدى بمنزلة حصوله ، ورأى اليمني أنه مجاز باعتبار تنزيل السبب منزلة المسبب .
انظر فتوح الغيب ١ / ٧١ ، وتحفة الأشراف ١ / ٥٤ .

(١) انظر مجمع الأمثال ١ / ٢٨٣ ، والمستقصى في أمثال العرب ٢ / ١٤٩ .
(٢) م : هناك .   (٣) كلمة " نفي " ناقصة من خ .
(٤) الكشاف ١ / ٥٣ .   (٥) في خ : التعبير
(٦) كان اماما في النحو ، قرأ على السيرافي وأبي علي الفارسي ، توفي سنة ٤٢٠ هـ .
(٧) وقد حكم الربعي بعدم الصحة لوقوع الالتباس بالاسناد الحقيقي .
حاشية السيد على الكشاف ٢ / ١٩٢

أجاب بأنه يصح اذا قامت القرينة على أن العبد رأس المال كسائر المجازات اذ لا يشترط السماع فى أفراد المجاز.

قوله : (هذا من الصنعة البديعية) أى الغريبة المستحسنة التى تفيد الكلام زيادة رونق وبهاء ، والمجاز كمال علو وسناء [1] ، ويسمى " ترشيحا من رشحت الأم ولدها باللبن القليل : تجعله فى فيه شيئا بعد شئ الى أن يقوى على المص ، وفلان يرشح للوزارة أى يربى ويؤهل لها " كذا فى الصحاح [2] ، وفى الأساس : " فلان مرشح للخلافة ، وأصله ترشيح الظبية ولدها تعوده المشى ، فترشح ، وغزال راشح ، ورشح اذا مشى ونزا " [3] . ٦٣ أ

ومعناه عندهم : أن يقرن [4] بالمجاز صفة أو تفريع كلام يلائم المعنى الحقيقى ، وأكثر مايكون : فى الاستعارة كقولك : جاوزت بحرا تتلاطم أمواجه ، وقد يكون فى المجاز المرسل كقولهم : له اليد الطولى ، أى القدرة الكاملة ، وقد ذكرنا فى شرح التلخيص هذا من الكلام فى أن اللفظ الدال على الترشيح حقيقة أو مجاز ، وفى الفرق بينه وبين الاستعارة التخييلية ، اذ فى كل منهما اثبات لوازم المستعار منه وملاءماته [5] ، وأما اشتباهه بالاستعارة بالكناية فلا يخطر ببال من له مسكة من علم البيان .

لكن ينبغى أن يكون محققا عندك أن الترشيح انما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة فى التصريحية وبالتخييل فى المكنية ، وأنه قد يكون مجازا عن شئ (كالوكر والتفقن) فيما سيجئ [6] ، وقد لا يكون (كالخطل والحبل التوأم) وتلاطم الأمواج .

قوله : (وذلك نحو قول العرب : كأن أذنى قلبه خطلاوان) صريح فى أن المجاز المرشح انما هو فى هذا الكلام من غير أن يقال : جاءنى رجل كأن أذنى قلبه خطلاوان ليكون الحمار استعارة واثبات الأذن والخطل ترشيحا ، يقال : أذن خطلاء أى مسترخية طويلة ، ورمح خطل : مضطرب ، وسهم خطل : يذهب يمينا وشمالا لا يقصد قصد الهدف.

---

(١) أى وليس المراد أنه من الصيغ المذكورة فى علم البديع كما ظن الطيبى وقال : " والترشيح وان كان يبحث عنه فى البيان لكنه من المستحسنات البديعية لا من الدلالات الالتزامية " ، فتوح الغيب ١ / ٧١ .

(٢) الصحاح مادة (رشح) .

(٣) عبارة الأساس (مادة (رشح) : " وقد رشح اذا مشى ونزا " . ومعنى "نزا " : وثب .

(٤) فى ج : أن يقترن .

(٥) المطول ٣٩٨ .

(٦) وذلك فى الكشاف ١ / ٥٣ ، ٥٤ .

وههنا بحث وهو أن مقتضى قانون البيان أن القلب استعارة بالكناية ، والأذنين استعارة تخييلية ، والخطل ترشيح ، وتحقيقه : أنه استعير الحمار لقلب البليد لا صريحا بل كناية حيث سكت عن ذكر المستعار بذكر شيء من لوازمه بحكم العرب وتبادر الفهم وهو الأذنان ، ثم قرن به مايلائم اذن الحمار من الخطل ، وكلام المصنف ظاهر في أن المشبه بالحمار هو البليد نفسه لا قلبه وأن اثبات الأذن ترشيح [1] وقد عرفت أنه لا ترشيح قبل تمام الاستعارة •

والجواب عن الأول [2] : أن القصد الى جعله كالحمار ، واثبات الأذنين له كما للحمار [3] ، لكن أضيفت الأذنان الى قلبه لأن محل الفهم والذكاء ، وقصور الفهم والبلادة هو القلب ، فكأنه قال : كأن أذنيه ، وأما جعل القلب مجازا عن الشخص فلا يحسن مع الاضافة •

وعن الثاني : أن قوله : (فادعوا لقلبه) ليس ناظرا الى قوله : (ثم رشحوا) بل الى قوله : (جعلوه [4] كالحمار) تحقيقا للاستعارة بالكناية بتخييل اللوازم والروادف ، وقوله : (وادعوا لهما الخطل) بيان للترشيح ناظرا الى قوله : (ثم رشحوا) ، وقوله : (ليمثلوا) متعلق بقوله : (وادعوا لهما الخطل) تفسيرا لقوله : (روما / لتحقيق ٦٣ ب
البلادة) •

فان قيل : فما الكلمة التى سيقت مساق المجاز ؟ قلنا : هي لفظ الحمار المذكور كناية لا صريحا على ماستعرف من مذهب المصنف في الاستعارة بالكناية ، أو لفظ الأذن فانه وان لم يكن عند المحققين مجازا بمعنى كونه مستعملا في غير الموضوع له لعلاقة كما يذهب اليه صاحب المفتاح [5] من اختراع صورة وهمية ، لكنه مسوق مساق المجاز بمعنى استعماله حيث لا ثبوت لمعناه الحقيقي •

فان قيل : لفظ (كأن) صريح في التشبيه فلا يكون هناك استعارة قلنا : هو مع أنه لم يستعمل هنا لقصد التشبيه بل مثله في قولك : كان زيدا راكب ، لم يدخل فيما هو استعارة أعني جعل البليد حمارا ، بل في اثبات الخطل فليتأمل ، وذلك كما اذا

---

(١) حيث قال الزمخشري : " جعلوه كالحمار ، ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل " الكشاف ١ / ٥٣ •
(٢) وهو أن كلامه ظاهر في أن المشبه بالحمار هو البليد لا قلبه ، أما الثاني فهو أن اثبات الأذن ترشيح •
(٣) في خ : كالحمار •
(٤) في خ : " ثم جعلوه " وهو خطأ •
(٥) مفتاح العلوم ٢٠٠ •

قالت: جاورت بحرا كأنه (١) متلاطم الأمواج في الاستعارة المصرحة ، وحاصله : أن اثبات الأوصاف الملائمة كما يكون بطريق الجزم فقد يكون بطريق الظن والادعاء والتشبيه ، وأما جعل حرف التشبيه للتحقيق فمما لا يوجد في كلامهم .

قوله : (ولما رأيت النسر) (٢) مستعار للشيب ، (وابن دأية) أى الغراب للشعر الأسود ، وذكر (الوكر والتعشيش) أى أخذ العش ترشيح ، " وعش الطائر موضعه (٣) الذى يأخذه (٤) من دقاق العيدان وغيرها للتفريخ ، وهو فى أفنان الشجر ، فاذا كان فى جدار أو جبل أو نحوهما فهو وكر ووكن ، واذا كان فى الأرض فهو أفحوص وأدحى" كذا فى الصحاح ، ومعنى (عز) : غلب ، و (جاش) : اضطرب ، والوكران استعارة للحية والرأس أو للفودين أعنى جانبى الرأس ، والتعشيش للحلول والنزول فقد عرفت أن الترشيح قد يكون كذلك (٥) .

وقوله : (شبه الشيب بالنسر) يرشدك الى فساد مايقال : أن قوله : (جعلوه كالحمار) اعتراف بأنه تشبيه كما ينبىء عنه لفظ (كأن) لا استعارة .

قوله : (فتاكهم) (٦) جمع فاتك وهو الجرىء الماضى ، ومعنى البيت الأول : أنها لا تحفظ حد الادلال ، فان الكريم يدل ادلالا لطيفا (٧) ، فى الأساس : " قصع الرجل بيته (٨) من تقصيع اليربوع وهو دخوله فى قاصعائه ، وقصع الشيطان فى قفاك : ساء خلقه وغضب " ، " ونفق اليربوع وانتفق خرج من نافقائه ، ونفّق ونافق دخل فيها ، وتنفقته أخرجته منها " (٩)

---

(١) قوله " كأنه " ناقص من الأصل . (٢) الكشاف ١ / ٥٣ .
(٣) فى خ : الموضع ، وما أثبته موافق لعبارة الصحاح مادة (عشش) .
(٤) فى الصحاح " يجمعه " ، وقوله بعد " للتفريخ " زائد على مافى الصحاح .
(٥) أى قد يكون مجازا ، والبيت أنشده ابن الأعرابى برواية " جاشت له نفسى " بدل " جاش له صدرى " انظر أساس البلاغة مادة (دأى) والصحاح مادة (دأى) ، واللسان مادتى (غرب ولغز) ، ومشاهد الانصاف ١ / ٥٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٣٧ ، وتنزيل الآيات ٣٩٤ .
(٦) الكشاف ١ / ٥٤ .
(٧) مشاهد الانصاف ١ / ٥٤ ، وأساس البلاغة مادة (قصع) ، واللسان مادتى (قصع ونفق) ، وتنزيل الآيات ٥١٣ .
(٨) عبارة الأساس مادة (قصع) : " قصع الرجل لزم بيته " .
(٩) الأساس مادة (نفق) .

قوله : (تمثيلا لخسارهم) اشارة الى أن هذا هو الغرض الذى يحق أن يعود الترشيح اليه ، والا فاستعارة الاشتراء للاستبدال ليست مما يفيد زيادة مبالغة كما فى استعارة الأسد للشجاع بل يشبه أن يكون / من قبيل استعارة الأسد لصورته المنقوشة . ٦٤أ

قوله : (مامعنى قوله ؟) يعنى ماوجه الجمع بين عدم ربح تجارتهم وعدم اهتدائهم بالواو ، وترتبهما على اشتراء الضلالة بالهدى بالفاء مع أن عدم الاهتداء تكرار وملائم للمستعار له على ما هو شأن التجريد لا للمستعار منه على ما هو شأن الترشيح ، والجواب : أنهم لما أضاعوا رأس المال الذى هو الهدى حيث أخذوا الضلالة التى هى عدم له لابدل منه يسد مسده ويقوم مقامه ، تفرع على ذلك عدم اتصافهم باصابة الربح ، وعدم اهتدائهم لطرق التجارة فيعود هذا أيضا (١) الى الترشيح .

قوله : (ثم قيل للقول السائر) (٢) أى الفاشى المثل موضع ضربه بموضع وروده ، وهذا معنى قولهم : الاستعارة التمثيلية متى فشا استعمالها سميت مثلا ، والمراد بالمورد : الحالة الأصلية التى ورد فيها الكلام ، وبالمضرب: الحالة المشبهة بهما ، وظاهر قوله : (ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير) أن المحافظة على الأمثال وعدم تغييرها : من جهة اشتمالها على غرابة من بعض الوجوه ، والأظهر : أن ذلك من جهة أن المثل استعارة فيجب أن يكون هو اللفظ الدال على المشبه به (٣) .

---

(١) قوله " أيضا " ناقص من م .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا .. " ١٧ البقرة وانظر الكشاف ١ / ٥٥ .

(٣) وتحقيق ذلك ـ كما يقول السعد فى المطول ٣٨٠ ـ أن الاستعارة يجب أن تكون اللفظ الذى هو حق المشبه به ، أخذ منه عارية للمشبه ، فلو وقع فيه تغيير لما كان هو اللفظ الذى يخص المشبه به ، فلا يكون عارية .
ويقول الميدانى فى مجمع الأمثال ١ / ٥ : " حقيقة المثل ماجعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الأباطيل
فمواعيد عرقوب علم لكل مالا يصح من المواعيد " .
ومن هنا ذهب الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٧٢ الى أن المثل لكونه علما للتشبيه حوفظ عليه وحمى من التغيير لأن الأعلام لاتتغير .

قوله : (ماممنى مثلهم ؟) (1) يعنى قد ذكرت أن معناه التشبيه (2) والقول السائر ، ولا خفاء فى أن هذا لا يناسب ما نحن فيه ، فما معناه ومفهومه وما الأمر الذى يصدق عليه ذلك فى جانب المشبه والمشبه به ؟ فأجاب بما يفيد الأمرين صريحا وضمنا . (3)

قوله : (اذا كان لها شأن) متعلق بقوله : (قد استعير) وذلك لأن لفظ كان لقوة دلالته على المضى لا يصير مستقبلا بدخول كلمة " ان " مع عراقتها فى الشرطية والاستقبال ، فكيف بدخول " اذا " مع تطفله فى ذلك على " ان " ؟ وما يقال (4) : ان مثل آتيك اذا احمر البسر مجرد لمعنى الظرفية ، معرى عن معنى الاستقبال فيه نظر .

قوله : (فى الخير) متعلق (يتالوا) أى يستعملون هذا اللفظ فى الخير والشر ، ومعناه العجيب الشأن .

قوله : (كيف مثلت الجماعة بالواحد ؟) ، لا خفاء فى أنه لا يتوجه هذا السؤال بعد ما ذكر أن المثل (5) استعارة للحالة العجيبة الشأن . والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، ولهذا قال آخرا : (على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات (6) المستوقد حتى يلزم تشبيه الجماعة بالواحد) ، لكنه أجاب بما يليق بالعربية على تقدير توجه السؤال : وذلك أن يجعل الذى بمعنى الذين على طريق الحذف والتخفيف ، أو يجعل للجنس فلا يختص بالواحد ليلزم المحذور . أو ٦٤ ب يجعل موصوفه لفظا مفردا دالا على معنى الجماعة كالجمع والفوج .

ويرد على الأول : أنه يلزم جمع الضمير فى " استوقد " كما فى قوله تعالى : " وخضتم

---

(1) الكشاف ١/ ٥٥ .
(2) فى ط : الشبه
(3) أما صريحا ففى قوله : حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وأما ضمنا ففى قوله : مثل الجنة الخ .
(4) اشارة الى قول الطيبى : " ان اذا قد انسلخ عنه معنى الاستقبال وصار للوقت المجرد ونحوه : آتيك اذا احمر البسر ، لأن معناه وقت احمراره " انظر فتوح الغيب ١/ ٧٣ ، والبسر : مرحلة من مراحل نضج البلح ، فأوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر .
(5) فى الأصل : المثال .
(6) فى م ، خ : بذوات .

كالذى خاضوا (١) " ، والجواب : أنه صح ذلك بالنظر الى ظاهر اللفظ لكونه فى صورة المفرد ، أو بأن يقدر موصوف مفرد اللفظ كالجمع والفوج ويكون افراد الضمير بالنظر اليه وان كان عائدا الى الموصول الذى هو جمع ، أعنى مخفف الذين .

وكلاهما ضعيف : أما الأول ، فلاستلزامه جواز " مررت بالرجال القائم " لكون اللام فى صورة المفرد ، بل مخفف الذين كالذى بعينه عند المصنف ، وأما الثانى فلأنه اذا كان الموصوف مثل الجمع والفوج فجعل الذى تخفيف (٢) الذين مما لا يقول به عاقل ، لما فيه من تكلف فى جمع الذين ، وآخر فى افراد الضمير من غير حاجة أصلا .

وقد يدفع الأول بما ذكره المصنف من الفرق بين الذين والقائمين حيث يجوز اقامة الذى مقام الذين ، دون القائم مقام القائمين ، وليس بشىء ، لأن ذاك (٣) فى أنه يجوز حذف علامة الجمع فى الذين ولا يجوز فى القائمين ، لا فى أنه لا يجوز افراد القائم واعتبار ضمير مفرد فيه نظرا الى أن اللام فى صورة المفرد وان كان فى معنى الجمع .

والحاصل : أنه لابد من فرق بين الفعل والصفة اذا وصل بهما موصول فى صورة المفرد مع أنه تخفيف الجمع وبمعناه ، حيث جاز افراد الضمير فى الفعل ، ولم يجز فى الصفة ، وما ذكره المصنف بيان أنه يجوز وضع الذى فى موضع (٤) الذين بحذف العلامة ، ولا يجوز وضع القائم مقام القائمين بحذف العلامة ، وذلك من وجهين : أحدهما : فى جانب ذى العلامة وهو أنه يستحق التخفيف لشدة الاحتياج اليه ، وكثرة استعماله ، وكونه طويل الذيل بصلته ، ولا كذلك الصفة . وثانيهما : فى جانب العلامة وهو أن الياء والنون فى الذين ليست فى قوة الدلالة على معنى الجمعية بمنزلة الياء والنون فى الجموع حتى يمتنع حذفهما ، بدليل أن الواحد والجمع سواء فى سائر الموصلات كمن وما ، فليكونا ههنا قريبين من السواء .

ويمكن الجواب : بأن اللام وان كان اسما موصولا كالذى لكنه فى صورة حرف التعريف ، حتى ذهب المازنى الى أنه حرف (٥) أجريت مجراه فى وجوب مطابقة الصفة

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة التوبة .
(٢) فى م ، خ : مخفف
(٣) فى م ، خ : ذلك .
(٤) فى ط " موضع " بدون فى
(٥) همع الهوامع للسيوطى ١ / ٨٣ — ٨٤ : " ومعنى الذى وفروعه : أل ، وزعمها المازنى حرفا أى ذهب المازنى ومن وافقه الى أنها موصول حرفى " .

بحذه / للموصوف به ،ولا كذلك الذى فجاز افراد الضمير فى صلته نظرا الى ظاهر اللفظ . ٦٥أ

قوله : (ولا نحوه)،(١) مجرور عطفا على (القائم) أى ولم يجز وضع نحو القائم من الصفات موضع صيغة الجمع من تلك الصفة ،وقوله (وتكاثر) عطف على (لكونه) ، وترك اعادة اللام لزيادة اشتباك واتحاد بينهما بخلاف كونه مستطالا بصلته ، و (حقيق) خبر (أن) والتقريب أن الذى لما استحق التخفيف جرى هذا النوع من التخفيف فى صيغة جمعه ولم يجر(٢) فى جمع الصفات ، ويجوز أن يكون المراد بالذى فى قوله : (أن الذى) هذا القسم من الموصولات مفردا كان أو غيره .

قوله : (نهكوه) أى نقصوه فقالوا : الذ بكسر الذال والذ بسكونه والضارب بحذف ماسوى اللام ،وظاهر كلامه بل صريحه فى المفصل أن اللام فى الذى حرف تعريف ،وأن اللام التى تعد من الموصولات هى تلك اللام التى كانت فى الذى(٣) ، الا أنها تعد اسما لا حرفا لأنها بمنزلة الذى لكونه تخفيفا له ،قال فى الصحاح : " الذى أصله لذى فأدخلت(٤) عليه الألف واللام ولا يجوز أن ينزعا منه لتنكير " .

وكثير من المحققين على أن الذى بكماله اسم موضوع معرفة(٥) ،وبه يشعر ظاهر قوله : " الذى وضع وصلة الى وصف المعارف بالجمل(٦) " ،وبعضهم على أن الموصول هو لذى واللام مزيدة لتحسين اللفظ حتى لا يكون الموصوف به كمعرفة توصف بالنكرة ، وجعلت لازمة لأنها لو أدخلت تارة ونزعت أخرى لأوهم أنها للتعريف ،ثم الجمهور على أن اللام التى هى من الموصولات ليست منقوصة الذى بل اسم موضوع برأسه التزم دخوله الاسم لكونه فى صورة حرف التعريف وظهر اعرابه فى ذلك الاسم ،فهو اسم فى صورة الحرف وصلته فعل فى صورة الاسم .

قوله : (وذواتهم) بكسر التاء ،قال فى الصحاح : " مررت بنسوة ذوات مال ،

---

(١) الكشاف ١ / ٥٥ .

(٢) فى ط ،ب : ولم يجز .

(٣) قال الزمخشرى فى المفصل ٦٧ : " الذى وضع وصلة الى وصف المعارف بالجمل ، ولاستطالتهم اياه بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير وجه فقالوا : الذ بحذف الياء ثم الذ بحذف الحركة ثم حذفوه رأسا واجتزأوا عنه بالحرف الملتبس به وهو لام التعريف " .

(٤) عبارة الصحاح مادة (لذى) : فأدخل

(٥) فى م ،خ : اسم موضوع مفرد .

(٦) المفصل ٦٧ .

ورأيت نسوة ذوات مال ، ويا ذوات الجمال ، تكسرفيها التاء كما تكسر في مسلمات لأن أصلها هاء لأنك لو وقفت عليها في الواحدة لقلت : ذاه بالهاء ، ولكنها لما وصلت بما بعدها صارت تاء ، وعن بعضهم : أن أصل ذات ذوات كنواة لقولهم في المثنى ذواتا فحذفت العين لكثرة الاستعمال " (١) ، وقال الخليل : " وزن ذو فعل بالسكون " (٢) ، واللام محذوفة في جميع متصرفات ذو الا في ذات/ وذوات ، وقال (٣) ٦٥ ب في المغرب: " ذو تقتضي موصوفا ومضافا اليه نحو رجل ذو مال ومؤنثه : امرأة ذات مال ، هذا أصل هذه الكلمة ، ثم اقتطعوا عنها مقتضاها وأجروها مجرى الأسماء المستقلة فقالوا : ذات قديمة وذات محدثة ونسبوا اليها كما هي من غير تغيير علامة التأنيث فقالوا : الصفات الذاتية واستعملوها بمعنى النفس والشيء " (٤) .

قوله : (والنار جوهر) يريد تفسير ما يطلق عليه لفظه وبيان اشتقاقه ، وأما تحقيق (٥) أن ما ذكر ذاتيات أو عرضيات وأن النار التي تحت الفلك هل هي كذلك ؟ فليس من وظيفة اللغة ، وكذا اجراء النور والضوء مجرى واحدا واطلاق الضوء على النور شائع وان كان قد يقع بينهما فرق في بعض الاستعمالات وفي تدقيقات الحكماء حيث يقولون : الضوء مايكون للشيء من ذاته كما للشمس والنور من غيره كما للقمر ، كما أن الشعاع ترقرق يكون للشيء من ذاته كما في الشمس ، والبريق من غيره (٦) كما في المرآة ، ثم جعل النور ضوءا لا ينافي ماسيجيء من أن في الضوء زيادة ضرورة صدق النور على النور الكامل صدق الأعم على الأخص ، وجعل النور مشتقا من النار ، والنار مع نار ينور جريا على قضية المناسبة وهي أن الحركة والاضطراب تظهر في النار أولا وبالذات ، وفي النور ثانيا وبالعرض ، ومعنى حركة النور — مع أنه من الأعراض والانتقال عليها محال — حركته في النير بتبعية حركته ، واختلافه زوالا وحدوثا في مواقعه بحسب اختلاف مقابلات النير .

و (أضاءت) ههنا اما (متعد) و " ماحوله " مفعول به أي جعلته النار مضيئا ، أو (لازم مسند الى ماحوله) وما موصولة أي أضاءت الأماكن التي حول المستوقد ، أو (الى النار) وما حوله ظرف لغو لأضاءت (وما زائدة) أو ظرف في موضع الصلة

---

(١) الصحاح مادة (ذا) بتصرف . (٢) همع الهوامع ١/ ٤٠

(٣) أي صاحب المغرب وهو أبو الفتح ناصر بن عبد السيد المشهور بالمطرزي قرأ على الزمخشري وبرع في اللغة والنحو والفقه على مذهب الحنفية توفي سنة ٦١٠ هـ بغية الوعاة ٢/ ٣١١

(٤) المغرب في ترتيب المعرب ١/ ١٩٥ — ١٩٦ بتصرف

(٥) في ط: تحقيقه (٦) قوله : " من غيره " ناقص من الأصل .

(وما موصولة) عبارة عن الأمكنة ، والموصول مع الصلة مفعول فيه ، وكان يرد على الظرفية أن النار لا توجد فيما حول المستوقد فكيف تشرق فيه ؟ فأجاب : بأنه جعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها اسنادا للفعل الى السبب فان النار سبب لاشراق ضوئها حول المستوقد (١) ، ومبناه على أن اشراق النير فى البيت انما يقال حيث يكون ذلك النير فى البيت ، وأما اذا كان خارج البيت وقد أضاء هواء البيت به فيقال : أشرق ضوءه فى البيت بمعنى اشراق الضوء / القائض منه الحادث ٦٦ أ
فى هواء (٢) البيت وحقيقته انتشار الضوء على المقابلات ، ويرد على الأخير خاصة أنه لابد من اظهار " فى " لأنهم انما جوزوا حذفها من لفظ " مكان " حملا له على الظروف المكانية المبهمة لكثرة استعماله ، ولا كثرة فى الموصول المعبر به عن المكان ، بل هو قليل جدا فيجب أن يكون من قبيل :

" عسل الطريق الثعلب (٣) "

قوله : (وتأليفه) أى تركيب حروف (حول) للدوران والاطافة طاف به وأطناف واستطاف واحد ، تقول : حال الشىء واستحال أى (٤) تغير ، وحال عن العهد : انقلب ، وحال وتحول الى مكان آخر : تحرك ، وحال الانسان : عوارضه التى تتغير عليه ، والحوالة : الاسم من أحال عليه بدينه ، والحويل : الاسم من حاولت الشىء أردته ، والمحالة بالفتح : الحيلة ، والاستحالة الخروج عن الاستقامة .

قوله : (وانما جاز حذفه) يعنى لابد فى الحذف من قرينة تجوزه ، ومن داع يرجحه ، اذ الذكر هو الأصل ، أما الأول (٥) : فهو أن الغرض من التمثيل بيان

---

(١) ففى قوله تعالى : " فلما أضاءت " أى النار " ما حوله " مجاز عقلى علاقته الملابسة بالسببية .
(٢) خ : فى هذا .
(٣) أى من حيث تقدير فى ، فقد قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : " كنا طرائق قددا " : " كنا فى طرائق مختلفة كقوله : كما عسل الطريق الثعلب " ، وهذا القول جزء من بيت لساعدة بن جؤية يقول فيه :
لَدْنٌ بهزِّ الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب
يصف رمحا أنه لين يضطرب صلبه فى الكف بسبب هزه كما عسل أى اضطرب الثعلب فى الطريق فحذف الجار للضرورة ، انظر مشاهد الانصاف ٢ / ٧٣ ، والكشاف ٤ / ٢ ، ٥ ، وتنزيل الآيات ٤ / ٣٣٤ ، والكامل ١ / ٢٦٢ .
(٤) قوله " أى " ناقص من م .
(٥) أى القرينة التى تجوز الحذف .

حالهم ، وأنهم عقيب أدنى اضاءة وانتفاع بظاهر الاسلام واقعون في ظلمة وعقاب سرمد (١) ، وكلمة لما تقتضي جوابا ، والجملة أعني " ذهب الله بنورهم " لا تصلح لذلك ظاهرا لما فيها من الموانع المفتقرة الى التأويل والصرف عن الظاهر (٢) فيكون دالا لاشتمال مضمونها على ماهو المقصود أي خمدت النار فبقي المستوقد خابطا متحيرا خائبا متحسرا ونحو ذلك ، والمصنف ذكر الضمائر بلفظ الجمع نظرا الى أن ايقاد النار في الغالب يكون للجماعة .

وأما الثاني (٣): فهو أن في الحذف ايجازا وتوصلا بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى ومبالغة (٤) في سوء حال المستوقد من جهة الاشارة الى أنه بحيث لا تحيط به العبارة ، وليس المراد مما قرره المصنف ان الجواب مقتصر عليه وانما الغرض التنبيه على جنسه .

ومعنى (استطالة الكلام) طوله وامتداده ففي كتب اللغة : (٥) " استطالوا عليه : تطاولوا ، واستطال الشئ : طال " ، وقد استعمله في المفصل في بحث الموصول متعديا حيث قال : " ولاستطالتهم اياه بصلته (٦) " بمعنى عده طويلا ، والمراد الطول بالنسبة الى مالو لم يعتبر الحذف والا فليس في هذا الكلام زيادة طول ، ولا خفاء أن جعل الاستطالة في وجه ترجيح الحذف أولى من جعله في وجه الجواز وان حاول أن يذكر في كل منهما أمرين .

وقوله : (للدال عليه) أي على الحذف أو المحذوف علة / (لأمن اللبس (٧)) . ٦٦ب
(وكان الحذف) عطف على (انما جاز) لا على جاز عند من له معرفة بأساليب الكلام . (مع الاعراب) أي البيان والكشف (بما هو أبلغ من اللفظ) وجعله مصدرا بمعنى التلفظ أنسب بالحذف ، واذا كان الحذف أبلغ كانت المبالغة في المشبه به

---

(١) خ : في الظلمة وعقاب شديد .
(٢) فيها مانع لفظي هو توحيد الضمير في " استوقد " و "حوله " وجمعه في "بنورهم " ، ومعنوي وهو أن المستوقد لم يفعل مايستحق به اذهاب النور بخلاف المنافق ، فجعلها جوابا يحتاج الى تأويل .
حاشية السيد على الكشاف ١٩٨ .
(٣) وهو سر ترجيح الحذف . (٤) في خ : مبالغة بدون الواو
(٥) كالصحاح مادة (طول) . (٦) المفصل ٦٧ .
(٧) في م ، ط ، والكشاف ١/ ٥٥ : الالباس ، وفي خ : الالتباس .

المستلزمة للمبالغة فى المشبه أكثر ،وكان هذا التمثيل بالتمثيل الآتى أعنى قوله : " أو كصيب " الى آخره أوفق لما فيه من المبالغات سيما والاستئناف المذكور من جهة المعنى ادراج فى ذلك فتحصل غاية المبالغة والموافقة .

قوله : (يكون كلاما مستأنفا) (١) جواب للسؤال عن وجه الشبه فان اشتراك حال المنافقين فى المعانى التى (٢) اعتبرت فى حال المستوقد ليس بظاهر ،وفى قوله : (بحال المستوقد الذى طفئت ناره) اشارة الى أن قوله : (فلما أضاءت) عطف على الصلة أعنى (استوقد) فيكون التشبيه بحال المستوقد الموصوف بمضمون الشرطية أعنى لما مع جوابه .

قوله : (أو يكون بدلا) يعنى أنه أوفى بتأدية المقصود الذى هو بيان حال المنافق وتمثيله بحال المستوقد ،لدلالته على اعتبار أوصاف فى جانب المنافق مثل مااعتبرت فى جانب المستوقد لأن قوله : "وتركهم فى ظلمات " الى قوله : "فهم لا يرجعون " من جملة هذا البيان ،وقوله : " ذهب [الله بنورهم](٣) وتركهم " فى معنى كان لهم نور فزال وبقوا متحيرين متحسرين ،وفى قوله (٤) : (على سبيل البيان) اشارة الى أن القصد به الايضاح والبيان لاصرف القصد اليه وجعل السابق فى حكم المطروح ، وحاصله : أن كل مادل عليه فى جانب المشبه به بطريق الحذف والتعويل على دلالة العقل دُل عليه فى جانب المشبه بطريق الذكر والتسجيل .

قوله : (قد رجع الضمير فى هذا الوجه) (٥) ، لما كان " ذهب الله بنورهم على تقدير كونه جواب لما من جملة أحوال المستوقد لكونه داخلا فى الصلة وكان فيه مواضع التباس من جهة اللفظ والمعنى ، احتاج الى زيادة بيان فى ذلك بخلاف ماذا كان استئنافا أو بدلا ،وأشار (بهذا الوجه) الى مااختاره من كون جواب لما محذوفا لقربه وكون الكلام فيه فصار الوجه الآخر أعنى كون الجواب ذهب الله بنورهم ثانيا بالنسبة اليه وان كان أول الوجهين فى الذكر ، فأراد بقوله : (الوجه الثانى(٦)) الثانى لهذا الوجه لا الثانى من الوجهين .

---

(١) الكشاف ١ / ٥٥ .
(٢) كلمة " التى " ناقصة من خ .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل
(٤) فى م ،خ : ثم فى قوله .
(٥) وهو كون جواب لما محذوفا .
(٦) الكشاف ١ / ٥٦

قوله : (وتوحيده في حوله) ،خصه بالذكر لأنه أقرب الى ضمير (نورهم) ،
وألصق به لكونهما في كلام واحد ،وأشبه به من جهة كونهما [1] / بارزين ،فكـــان ٦٧ أ
أحوج الى ازالة مابينهما من عدم التناسب بخلاف ضمير (استوقد) .

قوله : (فقد أطفأها الله) [2] يشير الى أن الاسناد مجازى لكونه المسبب فـــى الريح والمطر ،وأنه من قبيل : أقدمنى بلدك حق لى على فلان ،وأن هناك القــدوم لا الاقدام .

قوله : (فلما أضاءت) يشعر بأن هذا السؤال أيضا على تقدير كون " ذهب الله بنورهم " جوابا لما .

قوله : (فلم وصفت؟) متفرع على ماذكر من أن في الضوء [3] دلالة على الزيادة ، يعنى لم وصفت مع ضعفها وسرعة خمودها بالاضاءة التى هى أبلغ من الانارة؟ فأجاب بأنه على طريقة قولهم : للباطل صولة ثم يضمحل ،يعنى يظهر بقوة ويخمد بسرعــة ، وهذا أدل على تخبطهم وتحيرهم وخيبة رجائهم . (العرفج) : شوكة تنبت فـــى السهل . والنزوة [4] : الطفرة . (والطماح) من " طمح الفرس : ركب رأسه فـــى عدوه رافعا بصره فهو طامح " كذا فى الأساس [5] ،وفي الصحاح : " رجل طماح : شره ،وطمحت المرأة مثل جمحت فهى طامح تطمح الى الرجال " [6] .

قوله : (فهو أبلغ من الاذهاب) لما فيه من الأخذ والامساك .

قوله : (ترك ظبى ظله [7]) لأنه اذا نفر من مكان لم يعد اليه خصوصا صغيره الذى النفرة وقلة الالف فيه أكثر فلذا جيء بلفظ المصغر .

قــوله :

(فتركته جزر السباع ينشــنه) * مابين قلة رأسه والمعصـــم

---

(1) في الأصل : لكونهما .
(2) الكشاف ١/٥٦
(3) في الأصل : في الصفة .
(4) في الكشاف ١/٥٦ : الثروة
(5) الأساس مادة " طمح "
(6) الصحاح مادة " طمح "
(7) في مجمع الأمثال ١/١٠٩ : " ترك الظبى ظله " والظل هنا الكناس الـــذى يستظل به فى شدة الحر فيأتيه الصائد فيثيره فلا يعود اليه ،يضرب لمن نفــر من شيء فتركه تركا لا يعود اليه ،ويضرب فى هجر الرجل صاحبه .

روى : يقضمن حسن بنانه والمعصم ، الجزرة : الشاة التي أعدت للذبح ، ناشه : تناوله ، قضمه بالكسر : تناوله بمقدم أسنانه ، المعصم : موضع السوار من الساعد (١) ، البيت نص في كون ترك بمعنى صير لأن جزر السباع معرفة لا تحتمل الحال بخلاف الآية لجواز أن يكون " ترك " بمعنى طرح و " في ظلمات " و " لا يبصرون " حالين مترادفين أو متداخلين .

قوله : (والظلمة عدم النور) (٢) ذكر ذلك فيما سبق (٣) بطريق جملة حالية تحقيقا وتوضيحا ، لكن ذهاب النور أبلغ من ذهاب الضوء ، وههنا بطريق القصد ، ولو أجرى عدم النور على اطلاقه لكان بين النور والظلمة تقابل السلب والايجاب (٤) ، الا أن الحكماء يقولون : هو عدم النور عما من شأنه فبينهما تقابل الملكة والعدم ، وعند بعض المتكلمين : هو عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد ، والتمسكات مذكورة في موضعه ، قال في الأساس " ومن المجاز : ماظلمك أن تفعل كذا : مامنعك ، ومنه الظلمة لأنها تسد البصر وتمنعه عن النفوذ (٥) " ، وهذا بعيد جدا .

قوله : (كأن الفعل / غير متعد) ناظر الى قوله : (من قبيل المتروك) يعني ٦٧ ب جعل الفعل ههنا (٦) بمنزلة غير المتعدى كما أن " يعمهون " غير متعد في أصله ، فيكون " تركهم في ظلمات لا يبصرون " بمنزلة " ويذرهم في طغيانهم يعمهون " (٧) لفظا ومعنى ، ولذا لم يمثله بيمدهم في طغيانهم يعمهون على مافي هذا المقام .

---

(١) وقلة الرأس : أعلاه ، والبيت لعنترة بن شداد العبسي من معلقته ، وروى : فتركته بالنون والضمير للقنا (أي الرماح) في البيت الذي قبله وهو : فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم ، أنظر ديوان عنترة ٢٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٦٧ ، وشرح المعلقات السبع ١٥١ ، وفتوح الغيب ٧٦/١ ، ومشاهد الانصاف ٥٦/١ ، وتنزيل الآيات ٥١٣ ، وأنوار التنزيل ٣٨/١ ، والأغاني ١٠٣/١ ، ١٢١/٢٥ ، ١٢٢ .

(٢) الكشاف ٥٦/١ .

(٣) وذلك عند تعليله أن ذكر النور أبلغ في قوله تعالى : " ذهب الله بنورهم " فقال : ألا ترى كيف ذكر عقيبه " وتركهم في ظلمات " ؟ والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه . الكشاف ٥٦/١ .

(٤) في م ، خ : الايجاب والسلب .

(٥) عبارة الأساس مادة (ظلم) : من النفوذ

(٦) قوله " ههنا " ناقص من ط .

(٧) من الآية ١٨٦ من سورة الأعراف ، وقوله الآتي " يمدهم في طغيانهم يعمهون " من الآية ١٥ من سورة البقرة .

قوله: (فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟) (١) أى فى أى معنى قصد اشتراك المشبه والمشبه به ؟ وهما حال المنافقين وحال المستوقد ، فهذا صريح فى أن السؤال عن وجه الشبه ، وأن المشبه حال المنافقين ، والمشبه به حال المستوقد ، وقد كرر ذلك فيما سبق (٢) حيث قال: " كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال المستوقد " ، وقال: " شبهت قصتهم بقصة المستوقد " .

والجواب: أن وجه الشبه هو أنهم أى المنافقين أو المستوقد والمنافقين جميعا ، وقعوا عقيب مباشرة أسباب المطلوب ، وملاحظة خيال المحبوب ، فى الحرمان والتحسر ، والخيبة والتحير ، فعبر عن الأول بالاضاءة ، وعن الثانى بالظلمة ، ولا خفاء فى اشتراك الطرفين فى الاضاءة والظلمة بهذا المعنى ، وبهذا يسقط ماقيل (٣): " ان أريد الاضاءة حقيقة لم يشترك فيها المنافقون ، أو مجازا لم يشترك فيها المستوقد " ، ويشهد لما ذكرنا عطف قوله: (وتورطوا فى حيرة) على قوله: (خبطوا فى ظلمة) بيانا وتفسيرا وايماء الى أنه يعتبر مثله فى جانب الضوء .

والتحقيق أن هذا من قبيل مايتسامح فيه فيذكر مكان وجه الشبه مايستتبعه ، كما يقال: هذا الكلام كالعسل فى الحلاوة ، قصدا بالحلاوة الى لازمها الذى هو ميل الطبع ، فكذا المقصود ههنا أنهم وقعوا بعد لازم الاضاءة فى لازم الظلمة ، ثم سأل عن لازم الاضاءة فى حال المنافقين ماهو؟ فان لازم الظلمة واضح كثير ، فأجاب بأنه (الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم) ، من متاركتهم واعفائهم عن المحاربة ، ومن الاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ، فكأنه قيل: حالهم كحال المستوقد فى أنهم عقيب الانتفاع المعبر عنه بالاضاءة ، وقعوا فى ظلمة النفاق المفضى الى السخط والعقاب السرمد ، أو ظلمة الافتضاح بين المؤمنين بالاطلاع على أسرارهم أو ظلمة الطبع الحاصل من تزايد الرين الحاصل بسبب امهالهم على النفاق ، وهذا أوجه بدليل قوله: " صم بكم عمى فهم لا يرجعون " فان هذا من خواص أهل الطبع .

٦٨ أ والظاهر أن سؤال وجه الشبه واضاءة حال المنافقين / مبنى على تقدير كون " ذهب الله بنورهم " جوابا لما " ، اذ على تقدير كونه استئنافا أو بدلا يكون بيانا

---

(١) الكشاف ١ / ٥٧ (٢) الكشاف ١ / ٥٥
(٣) اشارة الى ماقاله الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٧٧ .

لوجه الشبه ، وكذا (التفسير الآخر) مبني على ذلك ، لأن قوله : (وليمثل الضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه(1) اياهم في الظلمات) ، مشعر بأن ذهاب الله بنورهم وتركهم في ظلمات من أحوال المستوقد ، وأما ماذكر من كون (تنكير النار للتعظيم) فقيل : على هذا التفسير خاصة ، وقيل : بل مطلقا لما سيصرح بأن(2) تنكير النار في هذا المثال للتعظيم والتهويل .

واعلم أن كلامه في هذا المقام يصرح تارة بأن هذا تشبيه الحال بالحال ، ويشير تارة الى اعتبار التشبيه في المفردات ، كتشبيه الانتفاع بالإضاءة(3) ، أو الهدى بالنار ، والمنافق بالمستوقد ، وإظهاره الايمان بالاضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار(4) ، ثم قال بعد تفسير التشبيه : والصحيح أن التمثيلين من التمثيلات المركبة دون المفرقة .(5)

ومن الناظرين في هذا الكتاب من زعم أن قوله : (فيم شبهت حال المنافقين بحال المستوقد ؟) سؤال عن المشبه دون وجه الشبه(6) أي في أي حال من أحوالهم وقع التشبيه بحال المستوقد ، وذلك لأن هذا التشبيه ان كان مفرقا فوجهه ظاهر لا يحتاج الى البيان فضلا عن الاستفسار ، وان كان مركبا فوجهه ليس ماذكر المصنف بل " رفع الطمع الى تسني مطلوبهم(7) بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب " كما في المفتاح(8) .

ومنهم من قال : هذا التشبيه ليس مفرقا ولا مركبا ، وانما يكون كذلك لو كان تشبيه أشياء بأشياء ، وليس كذلك ، بل هو تشبيه شيء هو حال المنافقين بشيء هو حال المستوقد ، ووجه الشبه اسم الاضاءة والظلمة ، أي كما أن في حال المستوقد مايسمى اضاءة وظلمة فكذلك(9) في حال المنافقين ، ووقوع الاسم في أحدهما بالحقيقة ، وفي الآخر بالمجاز ، لا يقدح في اشتراك الاسم .

---

(1) في خ : وتركهم
(2) في ط ، خ : من أن
(3) الكشاف ١ / ٥٧
(4) الكشاف ١ / ٦٥
(5) الكشاف ١ / ٦١ .
(6) وقد ذهب الى ذلك الطيبي في فتوح الغيب ١ / ٧٦ فقال : " والذي تذهب اليه أن السؤال عن المشبه . . وان كان ظاهر اللفظ يشعر بأن السؤال عن الوجه . . على أن السؤال عن الوجه انما يحسن اذا تعين الطرفان . وههنا المشبه غير معلوم .
(7) أي سهولته وقربه ، وفي خ : تمني مطلوبهم .
(8) مفتاح العلوم ١٨٦ .
(9) في م ، خ : فكذا

وأقول : لا معنى للتشبيه المركب الا أن تنتزع كيفية من أمور متعددة ، فتشبه بكيفية أخرى كذلك ، فيقع في كل من الطرفين عدة أمور ربما يكون التشبيه فيما بينها ظاهرا ، لكن لا يلتفت اليه ، بل الى الهيئة الحاصلة من المجموع كما في قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامحا ❊ درر نثرن على بساط أزرق (١)

ويكون التشبيه مركبا ، ألا ترى أن المصنف يقول : شبه حال اليهود بحال الحمار / وحال الدنيا بحال الماء (٢) ؟ وأما حديث كون وجه الشبه هو اسم الاضاءة والظلمة على الوجه الذي ذكر فلا أزيد فيه على الحكاية لعلماء البيان ، وهم لا يزيدون على التعجب والسكوت . ٦٨ ب

قوله : (كانت حواسهم) (٣) شروع في تفسير قوله : " صم بكم عمي " فهذه (٤) من أحوال المنافقين خاصة دون المستوقد ، سواء جعل " ذهب الله بنورهم " جواب " لما " أو لم يجعل ، وسوق كلامه يشعر بأن الناطقة من جملة الحواس والمشاعر ، وكأنه تغليب .

قوله : (ايفت) من الآفة ، يقال : ايف الزرع ، على مالم يسم فاعله ، أي أصابته آفة ، فهو موف ، و (البنى) بالكسر جمع بنية ، والمراد بها القوى التي ركبت على المشاعر أي آلات الشعور ، فضمير (بناها وعليها) للمشاعر ، (وأذنوا (٥)) أي استمعوا وأصغوا اليه ، وعدى (أصم) بعن (٦) لتضمين معنى الذهول والغفلة

---

(١) البيت لأبي طالب الرقي ، انظر أسرار البلاغة ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، والمطول ٣٣٦ ، وبغية الايضاح ٣/٢٦ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ومفتاح العلوم ١٨٠ ، وشرح التلخيص ٣/٤٢٠ ، ٤٢١ ، وحسن التوسل ١٦ ، والمصباح ٦٦ .
(٢) الكشاف ١/٦١ .
(٣) الكشاف ١/٥٧ في تفسير قوله تعالى "صم بكم عمي فهم لا يرجعون " ١٨ البقرة .
(٤) في م ، ط : وهذه .
(٥) من قوله : صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا
والشاعر هو قعنب بن أم صاحب بن ضمرة ، وضمرة أبوه ، وأم صاحب كنية أمه ، وروى "صموا " على لفظ الماضي بدل صم " ، وروى " بسوء كلهم أذن " فجعلهم نفس الأذن مبالغة ، وروي " بشر عندهم أذنوا " انظر مشاهد الانصاف ١/٥٧ ، وتنزيل الآيات ٥٤٧ ، وأنوار التنزيل ١/٣٩ ، ومادة (أذن) في الصحاح واللسان ، وشروح التلخيص ١/١٠ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/٢٤ ، وللمرزوقي ٣/١٤٥٠ ، وسمط اللآلي ١/٣٦٢ ، وأمالي المرتضى ١/٢٥ ، والآمالي الشجرية ٢/٣٦ .
(٦) أي في قوله : أصم عما ساء ، سميع ، =

والاعراض وهو أفعل صفة و (أسمع) أفعل تفضيل ، (وأصممته وأعميته) (١) وجدته أصم وأعمى .

قوله : (كيف طريقته ؟) يعني قد وقعت منك اشارة الى أن مبنى هذا الكلام على التشبيه ، فبين لي من أي أسلوب هو في علم البيان ؟ فأجاب بأنه من أسلوب حمل المشبه به على المشبه بحذف أداة التشبيه ووجهه ، ثم ذكر أنها عند المحققين تسمى تشبيها بليغا نظرا الى ظاهر حمل المشبه نفس المشبه به لا استعارة . والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المشبه بالكلية بأن لا يكون مذكورا ولا في حكم المذكور نحو : رأيت أسدا يرمي ، ويكون الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد باسم المشبه به معناه الحقيقي كالسبع ، والمجازي كالرجل الشجاع لولا القرينة الحالية أو المقالية الدالة على أن المراد هو المعنى المجازي .

وكون الكلام على تقدير عدم القرينة صالحا لارادة المعنى المجازي محل نظر ، ويمكن (٢) الجواب بأنه مبني على دخول المشبه في جنس المشبه به ، حتى كأنه من أفراده ، يصلح له لفظه كما يصلح لأفراده الحقيقية . واشتراط نفي القرينة انما هو لصحة ارادة المعنى الحقيقي [أو تقول : حمل تعيين اللفظ على الموضوع لا ينافي صلوحه لأن يراد به غير الموضوع له في ذاته ، لأن القرينة شرط الارادة لا شرط الصلوح] (٣) . وقد يقال : المراد الصلاحية في الجملة بأن تنصب القرينة ، ورد بأنه مع القرينة يصلح للحقيقي أيضا بأن تترك القرينة ، فلا حاجة الى اشتراط نفي القرينة .

فان قيل : ما ذكرتما يصح في الاستعارة / التصريحية دون المكنية كأظفار المنية ١٦٩ أ

= أي يسمع الحسن ويتصامم عن القبيح فعل الرجل الكريم ، انظر أسرار البلاغة ٦١ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٧ ، واللسان مادتي (سمع ، وصمم) ، وتفسير القرطبي ١/ ١٨٦ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٤٤ ، ٢٥٧ ، ٣٢٤٥ ، وشرح الحماسة للتبريزي ٤/ ٢٤ ، وللمرزوقي ٣/ ١٤٥٥ ، والأمالي الشجرية ١/ ٦٤ .
وكذلك في قوله : أصم عن الشيء الذي لا أريده
وأسمع خلق الله حين أريد
انظر مشاهد الانصاف ١/ ٥٧ ، وتنزيل الآيات ٣٦٥ ، وأنوار التنزيل ١/ ٣٩ .

(١) من قوله : فأصممت عمرا وأعميته * عن الجود والفخر يوم الفخار
انظر مشاهد الانصاف ١/ ٥٨ ، وتنزيل الآيات ٣٩٤ ، واللسان مادة (فخر) وأساس البلاغة مادة (عمى) ، والخصائص ٣/ ٢٥٤ .

(٢) في خ : ولكن (٣) مابين المعقوفين ناقص من م ، خ

فان المستعار له هو المنية وقد ذكرت ،قلنا : ستطلع فى قوله تعالى : " ينقضون عهد الله " (١) من تفسير المصنف للاستعارة بالكناية أن ذكر المنية ههنا ذكر للسبع بطريق الكناية ،اذ المعتبر فى الكناية هو المكنى عنه لا المكنى به ،فالمستعار لفظ السبع وهو مذكور بطريق الكناية ،والمستعار له وهو الموت مطوى بمنزلة قولك :أظفار السبع ،ومنهم من لم يقف على مذهبه فأجاب بأن الكلام انما هو على تقدير ذكر المشبه به ،والاستعارة حينئذ لاتكون الا تصريحية ،ولابد فيها من طى ذكر المشبه .

قوله : (وقد جاءت الاستعارة) (٢) لما كان هذا الكلام قبل بيان أن مافى الآية استعارة أو تشبيه ،أورد (٣) البيان فى الاستعارة لأنها مبنية على التشبيه ،ومسبوقة به ،فما تجرى فيه الاستعارة يجرى فيه التشبيه ضرورة ،وربما لا ينعكس . فان قيل : الاستعارة فى الصفات والأفعال تبعية ،وهى كما تجرى فيهما تجرى فى الحروف فلم اقتصر عليهما دونها ؟ قلنا : لأنها لا تجرى فيها هذه الطريقة (٤) أعنى التصريح بالمشبه والمشبه به مذكورا بلفظ الحرف ،ومعنى (دجا الاسلام) كثف وقوى بمنزلة جسم له كثافة ،ومعنى (أضاء الحق) ظهر وبهر بمنزلة الشمس .

قوله : (شاكى السلاح (٥)) من شوكة السلاح وهى شدة البأس وحدة السلاح ، والأصل : شائك (٦) وقد تحذف العين فيقال : شاك السلاح بضم الكاف ،وقد تقلب الى موضع اللام وتعل فيقال : شاك السلاح بكسرها . (ومقذف) مكتنز اللحم كأنه قذف باللحم ،وقيل : مرمى به فى الوقائع والحروب كثيرا . (اللبد) جمع لبدة وهى شعره المتلبد على رقبته و (لم تقلم) لم تقطع يعنى لا يعتريه ضعف ،من قولهم : فلان مقلوم الظفر أى ضعيف . (٧)

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة البقرة (٢) الكشاف ٥٨/١

(٣) فى خ : أراد (٤) وهى طريقة التشبيه البليغ

(٥) الكشاف ٥٨/١ (٦) فى خ زيادة " السلاح "

(٧) والبيت لزهير بن أبى سلمى من معلقته ،يروى " شاكى البنان مقاذف " وأراد بالبنان براثن الأسد ،أنظر ديوان زهير ٨٤ ،وشرح المعلقات السبع ٨٥ ، شرح القصائد السبع الطوال ٢٧٧ ،واللسان مادة (قذف) و (مكن) والصحاح مادة (مكن) ،والمطول ٣٧٨ ، ٣٥٧ ،والايضاح ١٥٨ ، ١٧٢ ، وشروح التلخيص ٤٨/٤ ، ١٣١ ، ١٥٧ ،ومعاهد التنصيص ١١٢/٢ ، ١٥١ ، وحسن التوسل ٢٣ ،وتنزيل الآيات ٥١٤ ،وأنوار التنزيل ٣٩/١ والخزانة ٤٤٣/١ ، ١٥٩/٣ ،ومشاهد الانصاف ٥٨/١ .

قوله : (ومن ثم) أى ومن أجل أن الاستعارة مبنية على طى ذكر المستعار لـه ، (ترى المفلقين) أى الذين يأتون بالفلق وهو الأمر العجيب (يتناسون التشبيه) لأن المذكر لهم هو (١) ذكر الطرفين ، فاذا طوى أحدهما تأتى لهم تناسيه ، وقد يتناسى مع التصريح بالطرفين كما فى قوله :

هى الشمس مسكنها فى السما ٭ ء فعز الفؤاد عزاء جميـــلا
فلن تستطيع اليها الصعـو ٭ د ولن تستطيع اليك النزولا (٢)

ففى بيت أبى تمام الصعود مستعار للعلو الرتبى / ، وقد بنى عليه ما ينبنى على العلو المكانى من حديث الحاجة فى السماء ، بل قد يجعل (٣) الصعود نفسه مبنيا على العروج المستعار فى البيت الذى قبله وهو : ٦٩ ب

فما زال يصرح تلك العـــلا ٭ مع النجم مرتديا بالعمـــاء (٤)

وكذا فى بيت المصنف (الغيث والليث) مستعاران للرجل الجواد والرجـل الشجاع ، ووصفهما (بالمسبل) أى الهطال (والمشبل) أى ذى الشبل تناسى للتشبيه ، وكذا النهى عن أن يظن أن (فى سرباله) أى فى ثوبه أو درعه (رجلا) (٥)

وقد يتوهم من ذكر المشبه بالضمير المجرور فى (سرباله) أن البيت من قبيل التشبيه دون الاستعارة ، وليس كذلك ، اذ ليس المراد بطى ذكر المشبه أن لا يكون له ذكر فى الكلام أصلا (٦) ، بل أن لا يذكر مع المشبه به بطريق ينبئ عن التشبيه ، ولهذا أطبقوا على أن القمر فى قوله :

---

(١) فى م : لأن المذكور وهو ، وفى ط : لأن المذكر له هو .
(٢) للعباس بن الأحنف انظر ديوانه ١٢٩ ، وديوان المعانى ١/٢٦٩ ، وأسرار البلاغة ٢٦٧ ، والمطول ٣٧٩ ، ومفتاح العلوم ٢٠٦ ، والايضاح ١٧٣ ، وشروح التلخيص ٤/١٣٨ ، ومعاهد التنصيص ٢/١٦١ ، والمصباح ٨٣٨ .
(٣) فى م ، خ : وقد يجعل .
(٤) لأبى تمام يمدح خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه وهذان البيتان فى مدح أبيه ، وفى ط " يقرع " بدل " يصرح " ، و " منزلا " بدل " حاجة " والعمـاء : السحاب الرقيق ، انظر ديوان أبى تمام ٣٥١ ، والمطول ٣٧٨ ، والايضـاح ١٧٢ ، وشروح التلخيص ٤/١٣٥ ، وأسرار البلاغة ٢٦٣ ، ومفتاح العلوم ٢٠٥ ، ومعاهد التنصيص ٢/١٥٢ ، وحسن التوسل ٢٣ ، وتنزيل الآيات ٣١٥ ومشاهد الانصاف ١/٥٨ ، والمصباح ٨٢٥ .
(٥) انظر مشاهد الانصاف ١/٥٨ ، وتنزيل الآيات ٤٧٣ .
(٦) خ : فى الكلام ذكر أصلا .

لا تعجبوا من بلى غلالتـــــه * قد زر أزراره على القمـــــر[1]

استعارة ، وأما ضمير (فيه) فللسربال .

قوله : (من يخاطب الحجاج)[2] هو عمران بن حطان ، والمعنى : أنت أسد ، فهو في حكم المنطوق ، (فتخاء) أي لينة المفاصل مسترخية الجناح وبعده :

هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر[3]

وغزالة هي امرأة شبيب الخارجي ، قيل : دخلت الكوفة في ثلاثين فارسا ، وفيهـــا ثلاثون ألف مقاتل ، فصلت الغداة وقرأت البقرة .

وفي التمثيل بهذا البيت اشارة الى أن اسم المشبه به وان ذكر بعده مايشعر بأنه ليس في معناه كلفظ (على) ، فالكلام تشبيه ، لكنا نقول : النزاع في هذا المقام ليس لفظيا محضا ، بل مبنيا على أن اسم المشبه به ههنا في معناه الحقيقي حـــتى لا يستقيم الكلام الا بتقدير الكاف ويكون تشبيها ، أو في معنى المشبه كالرجـــل الشجاع ليكون استعارة بمعنى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي ، ويصـــح الحمل من غير تقدير الكاف ، وهذا هو المختار عندي ، وقد شهد به الاستعمـــال ، فان معنى أسد على : مجرئ صائل ، ومعنى نعامة في الحروب : جبان هارب ، وفي شعر أبي العلاء : والطير أغربة عليه ،[4]

---

(١) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، المطول ٦٧ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩ وبغية الايضاح ٣/ ١١،٢ ، وأسرار البلاغة ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ومفتاح العلوم ٩٧ ، ١٥ ، ٢٠٥ ، وشروح التلخيص ١/ ٢٧٢ ، ٤/ ٦٤ ، ١٣٧ ، ومعاهد التنصيص ٢/ ١٢٩ ، وحسن التوسل ٢٣ ، والمصباح ٢٧٢ . (٢) الكشاف ١/ ٥٩ .

(٣) روى : هلا كررت على غزالة ، و " ربداء تجفل " بدل " فتخاء تنفر " والربداء التي لونها الى الغبرة . والشعر كما قال السعد لعمران بن حطان وقيل : لزهير ، انظر المطول ٣٥٩ ، وبغية الايضاح ٣/ ١٠٥ ، وشروح التلخيص ٣/ ٢٩٧ ، ٤/ ٥٤ ، والبحر المحيط ١/ ٨١ ، وأنوار التنزيل ١/ ٣٠٩ ، وروح المعاني ١/ ٤٩ ، والحجة في القراءات ١/ ٢٢٨ ، والأغاني ١٦/ ١٥٠ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٥٩ ، وتنزيل الآيات ٣٩٤ ، والمصباح ٢١٩ .

(٤) صدر بيت من قصيدة لأبي العلاء يرثي فيها أبا أحمد الشريف الطاهر ويعـزي ولديه الشريف الرضي والشريف المرتضى ، والبيت بتمامه :

والطير أغربة عليه بأسرهـــا * فتخ السراة وساكنات لصـــاف

وفتخ : جمع فتخاء ، والسراة جبل بأرض اليمن ، ولصاف : جبل طيء والمعنى =

أى باكية ،وتقول : هو أخى فى الله ،وهم اخوتنا فى الدين .قال ابن مالـــك : " اذا قلت: هذا أسد مشيرا الى السبع فلا ضمير فى الخبر ،واذا قلته مشيرا الى الرجل الشجاع ففيه ضمير مرفوع لأنه مأول بما فيه معنى الفعل ،ولو أسند الـــى ظاهره لرفعه كقولك : رأيت رجلا أسدا أبوه .قال الشاعر :

وليل يقول الناس من ظلماتــه * سواء صحيحات العيون وعورهـا
كأن لنا منه بيوتا / حصينـــة * مسوحا أعاليها وساجا كسورها(١) ١٧٠أ

فرفع الأعالى والكسور بمسوح وساج لاقامتهما مقام سود "(٢) .قال السيرافي : ذهب بمسوح أى سود ،وساج أى كثيف (٣) .

قوله : (تسجيلا) مفعول له للقول المقدر قبله .

قوله : (أو أراد) عطف على الجملة الاسمية أعنى (ومعنى لا يرجعون أنهم) كذا ،يعنى أن هذا أيضا تشبيه على طريقة "صم بكم "(٤) ،كأنه قيل : هـــم كالمتحيرين الواقفين فى مكاناتهم الذين لا يهتدون للرجوع الى حيث ابتدأوا منـه ، بمنزلة الحمار فى الطين .

قوله : (غب ايضاح)(٥) استعمله استعمال الظرف أى فى أثر ايضاح وعقيبـه . وأما فى اللغة فغب كل شىء عاقبته ،والغب فى الورد أن ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما ،ومنه الغب فى الزيارة وفى الحمى .

= أن كل الطيور فى الحزن على المرثى مثل الأغربة وان لم تلبس حدادا ،وعقبان هذا الجبل مع تعززها وادلالها بمنعتها والطيور الساكنات فى الجبل الآخر وهو لصاف : حزينة عليه . انظر ديوان أبى العلاء ٨٩ ،وشرح التنوير على سقط الزند ٢ / ٨١ ،والمطول ٣٥٩ .

(١) البيتان لمضرس بن ربعى ،وروى : يقول القوم ،ويقول المرء فى ظلماته ،ســـواء بصيرات العيون ،ومعنى الشطر الأخير: مسودة أعاليها مخضرة كسورها فالساج طيلسان أخضر ،انظر اللسان مادة (سوح) ،والخزانة ٢ / ٢٩١ ،والبيـــان والتبيين ٣ / ١١٣ ،والتمام فى تفسير أشعار هذيل ١٦٣ ،٢٢٥ ،وديـــوان المعانى ١ / ٣٤٣ ،والأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٣٣ ،والبحر المحيط ١ / ٤٤ ، والقرطبى ١ / ١٦٠ ،والبسيط للواحدى ١ / ٦٤ .

(٢) شرح التسهيل الورقة ٥٥ (٣) فى م ،خ : الى سود وساج الى كثيف

(٤) فى م ،ط زيادة "عمى"

(٥) شروع فى تفسير قوله تعالى : " أو كصيب من السماء " الى قوله تعالى : "ان الله على كل شىء قدير " ١٩ ــ ٢٠ البقرة . انظر الكشاف ١ / ٥٩ .

قوله : (وكما يجب) في موضع المصدر للواجبعليه ، (فكذلك) تكرير له لطول الكلام ، والفاء زائدة ، وهذا التكرير والزيادة في هذا التركيب شائع ، وقيل : كما في موضع المبتدأ ، وما موصولة ، ولذلك دخلت الفاء في الخبر أعني فكذلك[1] " وهو خبط كله ، ورمى بالشيء ألقاه ، (ووحى الملاحظ) مصدر فعل محذوف أي يسرعون في كلام خفي بمنزلة الاشارة كحال من يلاحظ الحبيب وينظر اليه[2] بمؤخر العين خوفا من الرقيب .[3]

قوله : (وألا ترى)[4] عطف على (ماثنى) الى آخره ميلا الى جانب المعنى ، كأنه قيل : ألا ترى الى ماثنى في التنزيل وألا ترى الى ذى الرمة لتعلم (كيف صنع ؟) ، وكلمة "لا " في (ولا الظلمات ، ولا الظل) مذكرة[5] للنفي مثلها في : لم يجيء زيد ولا عمرو ، بخلافها في (ولا النور ، ولا الحرور ، ولا الأموات)[6] فانها زائدة محضة ، اذ لا يستقيم ولا يستوى النور وما في الآية تشبيه أو استعارة سنتكلم فيه .

قوله : (أذاك أم نمش) موقعه من كلام المصنف موقع مفعول (صنع) ، أى كيف صنع هذين التمثيلين وأنشأ هذين البيتين ؟ أو مفعول فعل محذوف ، أى كيف صنع حيث قال :

(أذاك أم نمش بالوشى أكرعه
مسفع الخد ناشط شبب ؟

ثم قال بعد عدة أبيات :

(أذاك أم خاضب بالسى مرتعه
أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب[7] ؟

---

(١) وهذا هو رأى الطيبي ، فتوح الغيب ١ / ٧٩ .
(٢) قوله " اليه " ساقط من الأصل .
(٣) والبيت لأبي دؤاد بن جرير الايادى ، وروى " يرمون " بدل " يوحون " والى هذه الرواية أشار السعد بقوله : رمى بالشيء ألقاه ، وروى : وحى اللواحظ ، انظر البيان والتبيين ١ / ٥١ ، ١١٨ ، ومفتاح العلوم ١٥٠ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٠ ، وتنزيل الآيات ٣١٥ ، والمصباح ٤٥٦ .
(٤) الكشاف ١ / ٦٠ (٥) خ : مؤكدة .
(٦) من الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة فاطر .
(٧) الوشى : لون يخالف لون بقية الشيء ، الأكرع : جمع كراع وهو الساق ، =

ثور نمش القوائم : فيها خطوط سود ، المسفع : الأسود ، الغادى : الذاهب ، الناشط : الذى يخرج من أرض الى أرض . في الديوان " ان (الشبب) : الثور المسن "(١) ، وفي المجمل : " الشبب: الفتى من ثيران الوحش(٢) " ، وفي الصحاح : " قال الأصمعي : الشبب: المسن من ثيران الوحش الذى انتهى أسنانه ، وقال ابو عبيدة : الشبب : الثور/ الذى انتهى شبابا "(٣) ، فظهر أن المقصود واحد . ٧٠ب

(الخاضب) : الظليم اذا أكل الربيع فاحمر ظنبوباه(٤) أو اصفرا ، ولا يقال ذلك الا للظليم وهو النعام دون النعامة ، (السي) : المستوى من الأرض ، منقلب: أى راجع الى أفراخه الثلاثين ، شبه ناقته بحمار الوحش ، ثم بالثور الوحشى ثم بالظليم ، ووسط بين التشبيهات همزة الاستفهام دلالة على التسوية أو التردد والتحير في وصف الناقة وشدة عدوها ، (فذاك) الأول اشارة الى الحمار الموصوف في الأبيات السابقة ، والثاني الى الثور ، وهو مبتدأ محذوف الخبر أى أذاك الحمار يشبه ناقتي أم الثور النمش ؟ وأذاك الثور يشبهها أم الظليم الخاضب ؟ ولا يجوز أن يكون ذاك خبر مبتدأ محذوف ، أى أناقتي ذلك ، لأن المستويين اللذين يجب أن يلي أحدهما " أم " والآخر " الهمزة " هما : الحمار والثور ، لا الناقة والثور فليتأمل .

قوله : (واظهاره الايمان بالاضاءة)(٥) ، هذا يخالف ماسبق من أن المشبه بالاضاءة هو انتفاعهم(٦) ، الا أن المراد بالاضاءة ههنا المتعدى وثمة اللازم ، ولا يخفى أن ماعتبره في تشبيه(٧) المفردات على الوجوه المختلفة بيان لمحتمل اللفظ ، أو حكاية لكلام الغير ، والمختار عنده أن التمثيلين من جملة التشبيهات المركبة التي لا يتكلف فيها لتشبيه المفردات .

= وقد شرح السعد بقية البيتين بما فيه الكفاية ، وروى بدل " غاد " : " عار " و " عاد " انظر ديوان ذى الرمة ١٧ ــ ٢٨ ، وسمط اللآلى ١ / ٤٥٤ ، والصحاح مادتي (نشط) ، و (سيا) ، واللسان مواد (خضب) ، (نمش) ، (سوا) ، وجمهرة أشعار العرب ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٠ ، وتنزيل الآيات ٣٢٦ .

(١) ديوان الأدب كتاب المضاعف من الأسماء باب فعل بفتح الفاء والعين .

(٢) مجمل اللغة ٢ / ٢٤٥ . (٣) الصحاح مادة (شبب)

(٤) الظليم : الذكر من النعام ، وظنبوباه : ساقاه .

(٥) الكشاف ١ / ٦٠ .

(٦) الكشاف ١ / ٥٧

(٧) في م ، ط : من تشبيه .

ومنهم من حاول التوفيق (١) فقال : ليس المراد تشبيه ذات المنافق بذات المستوقد بل تشبيه الحال بالحال فشبه نفاقه وهو اظهار الايمان بالاستيقاد ، وشبه أثر اظهار الايمان وهو الانتفاع بالاضاءة ، وشبه انقطاع انتفاعه بانطفاء النار أى انقطاع الاضاءة .

وقيل (٢) : " المراد بالاضاءة : سببها الذى هو الايقاد ، أو هى الاضاءة المتعدية أى جعل الأماكن مضيئة " .

وأنت خبير بأنه اذا أريد هذا لم يكن لاعتبار هذه التشبيهات المتكلفة جهة ، ولا للاضراب عن ذلك الى كون التمثيلين من جملة التشبيهات المركبة معنى .

قوله : (وما يتعلق به) (٣) أى بدين الاسلام ، وتعلق الشبه (٤) بالشىء لا يقدح فى حقيته ، ومنهم من احترز عن ذلك فغير اللفظ الى " مايتعلق به " على لفظ المبنى للمفعول أى مايتمسك به من الشبه ، ففات بيان تعلق الشبهات بدين الاسلام على مايعطيه لفظ " فيه " (٥) فلا رواية ولا دراية (٦) .

قوله : (وما فيه) أى فى / دين الاسلام (من الوعد والوعيد بالرعد والبرق) لما فى كل من الخوف والطمع (٧) ، وليس المراد تشبيه الوعد بالرعد والوعيد بالبرق اذ لا اختصاص ، بل هذين بهذين ، ولهذا قال فى السؤال (وبالرعد والبرق) بدون الباء . [٧١ أ]

قوله : (والمراد كمثل) يعنى أن حال المنافقين كحال (قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة) ، وهو أن يكون مطر فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق يخافونها غاية الخوف

---

(١) هو الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٧٩ .
(٢) قاله الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٦١ .
(٣) الكشاف ١ / ٦٠ . (٤) م ، ط : الشبهة .
(٥) أى فى قوله تعالى : " فيه ظلمات ورعد وبرق " .
(٦) أى أن تغيير اللفظ الى المبنى للمفعول تغيير وتحريف للرواية الأخرى الصحيحة ، فضلا عن فوات بيان تعلق الشبه بالدين . وأجاب السيد الشريف بأن الشبه اذا تمسك بها دفعا للاسلام كان تعلقها به من هذه الجهة ظاهرا فلا حاجة الى التصريح به .
حاشية السيد على الكشاف ٢٠٩ .
(٧) فمن حيث تضمنهما للطمع شبه بهما الوعد ، ومن حيث تضمنهما للخوف شبه بهما الوعيد . المرجع السابق .

فجرى عليهم ماجرى من الخبط والضلال والدهش والحيرة .

فان قلت : فيجب أن يكون المنافقون ذوى دين الاسلام [1] تحيى به القلوب كالصيب ، مشتملا على الوعد والوعيد والأفزاع اللاحقة بالكفار ، قلت : نعم لكن لا على معنى اتصافهم به ، وايثارهم اياه ، بل على معنى أنهم مكلفون به ، مشاهدون اياه ، متلبسون بظاهره ، متشبثون بأذياله ، كحال القوم بالنسبة الى المطر ، والى هذا يشير قوله : (والمراد كمثل قوم) الى آخره .

وفى التصريح بلفظ مثل دلالة على أن ليس ذكر المثل فى جانب المشبه اجمال المشبهات بحيث لا تكون مطوية ، وقد يقال : المراد مالهم من الاسلام الضعيف الذى هو ظاهر الكلمة ، وليس بشىء ، لأن المشبه بالصيب هو الدين الحق الذى تحيى به القلوب ، وتتعلق به الشبه الفاسدة من جهة الكفار المنافقين والمجاهرين ، ويشتمل على آيات ناطقة بالوعد والوعيد .

وبالجملة فالمقصود بيان أن مجرد ذكر المثل وايراد التشبيه فيه لا ينافى حمل التشبيه على المفرق ، وانما النقصان فيه من جهة مافيه من التكلف فى تشبيه المفردات وطى ذكر المشبهات ، وفوات مافى المركبين تأدية الهيآت .

قوله : (كأن قلوب الطير) ، يصف العقاب وهو مخصوص بأنه لا يأكل قلب الطير ، (ورطبا ويابسا) حالان أى رطبا بعضها ويابسا بعضها ، وكذا (لدى وكرها) ، وقد شبه الرطب (بالعناب [2]) ، واليابس (بالحشف البالى) أى أردأ التمر اليابس [3] .

قوله : (فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة [4]) يعنى قد يطوى فى التشبيه ذكر المشبه كما يطوى فى الاستعارة ، بحيث لا يكون فى حكم المذكور ، ولا يحتاج الى

---

(١) م : دين اسلام .　(٢) وهو ثمر أحمر رطب .

(٣) انظر ديوان امرىء القيس ٣٨ ، والمطول ٣٣٩ ، والايضاح ١٣٩ ، ١٤٠ ، وشروح التلخيص ١٥٧/٣ ، ٤٢١ ، ودلائل الاعجاز ٧٥ ، ٣٤٨ ، وأسرار البلاغة ١٦٨ ، ومفتاح العلوم ١٨١ ، ومعاهد التنصيص ٢ / ٣٠ ، ٨٠ ، وقواعد الشعر ٤١ والبديع ٧٠٣ ، واعجاز القرآن ٧٢ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٣ ، وتنزيل الآيات ٤٧٤ ، وديوان المعانى ١ / ٨١ ، ١٤٢/٢ ، والكامل ٢ / ٣٦ ، والأغانى ٤٦/٣ ، واتمام الدراية ١٥٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٠ ، واللسان مادة (أدب) ، وشواهد العينى ١ / ٢٠٠ ، ٢١٦/٣ ، وحسن التوسل ١٦ ، والمصباح ٦٣٣ .

(٤) الكشاف ١ / ٦١ .

تقديره في تمام الكلام ، الا أنه في التشبيه يكون منويا مرادا ، وفي الاستعارة منسيا غير مراد ، ومصداق الفرق أن اسم المشبه به في الاستعارة يكون مستعملا في معنى المشبه مرادا به ذلك ، بحيث لو أقيم مقامه اسم المشبه استقام / الكلام ، وفي التشبيه يكون مستعملا في معناه الحقيقي مرادا به ذلك . ٧١ ب

ففي هذه الآية لو قلنا : " مثلهم كمثل ذوي دين حق ، تتعلق به شبهات ، وفيه وعد ووعيد " لم يكن له معنى ، وكذا في قوله تعالى : " وما يستوي البحران " الآية [١] ، لأن في قوله : " هذا عذب فرات سائغ " الى قوله : " وترى الفلك فيه مواخر " دلالة قاطعة على أن المراد بهما معناهما الحقيقي فيكون تشبيها أي لا يستوي الاسلام والكفر اللذان هما كالبحرين الموصوفين ، وكذا قوله تعالى : " ضرب الله مثلا " الآية [٢] معناه جعل الله عبدا يملكه شركاء متشاكسون مثلا لعابد الأصنام ، وجعل عبدا سالما لمالك واحد مثلا للموحد ، فذكر المشبه مطوي ، واسم المشبه به مستعمل في معناه الحقيقي .

وقد خفي هذا البيان على بعض الأذهان ، فذهبوا الى أن الآيتين مثالان للاستعارة ، ولا أدري كيف يتصدى أمثال هؤلاء [٣] لشرح مثل هذا الكتاب [٤] .

---

(١) رقم ١٢ من سورة فاطر ، والفرات : الذي يكسر العطش ، والسائغ الذي يسهل انحداره والفلك : السفن ، ومواخر أي شاقة للماء جمع ماخرة .

(٢) رقم ٢٩ من سورة الزمر .

(٣) قوله " أمثال هؤلاء " ناقص من الأصل وكذلك قوله " مثل " .

(٤) لعله يقصد الطيبي الذي قال في فتوح الغيب ١ / ٨٠ : " استدعى الاخبار في قوله تعالى : صم بكم عمي المبتدأ ، ولذلك لم يكن استعارة ، بخلافه في قوله : وما يستوي البحران ، وقوله : رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلما لرجل ، فان المراد بالأول : الكافر والمؤمن ، وبالثاني : الكافر واشراكه الأصنام بالله والمؤمن وتفرده باله واحد ، فشبه الكافر مع آلهته بعبد قد اشترك فيه شركاء ، كل واحد منهم يدعي عبوديته ويريد أن ينفرد له بالخدمة ، فذاك يأمره ، وهذا ينهاه ، فهو متحير لا يدري رضا أيهم يتحرى ، وشبه المؤمن مع توحيده بعبد قد سلم لمالك واحد ، فهو معتنق لما لزمه من الخدمة ، معتمد على مولاه فيما يصلحه ويهمه ، فهو مجتمع القلب ، ولا يستدعي الاثنان سوى القرينة الصارفة عن ارادة الحقيقة ، والصارف فيهما سياق الكلام فكانتا استعارتين .

قوله : (لا يتخطونه) (١) بدل من الصلة ، و(لا يتكلف) خبر آخر لأن ، وضمير (شبهه لشيء) ، وضمير (به لواحد) ، و(تشبيه) عطف على (تأخذ) ، و(لا يشعر) حال من فاعل (يحمل) وهو ضمير الحمار ، و(قلة بقاء) مبتدأ خبره (كقلة بقاء) والجملة خبر (المزائد) على سبيل الحكاية ، و(مصيرة) على لفظ اسم المفعول أي غير مجعولة شيئا واحدا ، و(فلا) جواب (أما) أي فلا يتحقق ، (فكذلك) متعلق (بشبهت) أي اذا عرفت هذا فمثل ذلك التشبيه شبهت حيرتهم ، ومثل ذلك الذى طفئت ناره من أخذته السماء في أنه شبهت حيرة المنافقين بما يكابده هو .

فان قلت: لم كان هذا (هو القول الفحل والمذهب الجزل) ؟ قلت: لأنه يحصل في النفس من هيئة المركبات مالا يحصل من تصور المفردات ، وان شئت فتأمل حال من أخذتهم السماء بانتساج المطر الهاطل (٢) مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب ، وتواتر الرعد القاصف (٣) ، والبرق الخاطف ، والصاعقة المحرقة ، ولهم في أثناء ذلك اضطراب خوف الهلاك ، أين ذلك من تشبيه الدين بالمطر ؟ والشبهة بالظلمة ؟ والوعد والوعيد بالرعد والبرق ؟ قال الشيخ عبد القاهر في قول القائل :

وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق :

" لو قلت: كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا ، لكن أين هو من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ النواظر عجبا ؟ ، وتستوقف العيون ؟ ، وتستنطق القلوب بذكر / الله تعالى ؟ ، من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة في أديم السماء ، ٧٢ أ وهي زرقاء زرقتها الصافية بحسب الرؤية ، والنجوم تتلألأ وتبرق في أثناء تلك الزرقة ومن لك بهذه الصورة اذا جعلت التشبيه مفرقا ؟ " (٤)

قوله : (الذى كنت تقدره) (٥) أي تفرضه وتعتبره ، والا فالمقدر المقابل للملفوظ هو المضاف لا حذف المضاف .

قوله : (هل تقدر مثله ؟) ، الظاهر أن المراد أن يقدر " كمثل ذوى " وان كان مرجع الضمير يحصل بمجرد تقدير ذوى ، وذلك لما فيه من كمال الملاءمة والمناسبة مع المعطوف عليه أعنى " كمثل الذى استوقد " (٦) ، ومع المشبه أيضا أعنى " مثلهم " ، وأما نفس التشبيه فلا يقتضي تقدير شيء ، اذ لا يلزم في التشبيه المركب أن يكون ما يلى

---

(١) الكشاف ١ / ٦١

(٢) أي تتابع المطر العظيم القطر

(٣) خ ، م : العاصف

(٤) أسرار البلاغة ١٦٩

(٥) الكشاف ١ / ٦١

(٦) في خ زيادة " نارا " .

الكاف هو المشبه به كما في قوله تعالى : " انما مثل الحياة الدنيا كماء " (١) ، ولما أمكن في هذا التقدير مفرد يكون هو المشبه به ويلي الكاف أي كمثل ماء أورد مثالا آخر ، هو بين في أن المشبه به لا يلي الكاف وهو قوله :

(وما الناس الا كالديار)

يعني أن حال الناس في حلولهم الديار وسرعة انتقالهم (٢) عنها كحلول أهل الديار والمنازل في نزولهم بها ، وسرعة نهوضهم عنها ، فهي يوم الحلول مأهولة ، وبالغد خالية ، فقوله : (وأهلها) مبتدأ خبره (بها) و (يوم حلوها) ظرف متعلق بالخبر ، و (بلاقع (٣)) خبر مبتدأ محذوف أي وهي بلاقع ، (وغدوا (٤)) ظرف لبلاقع لما فيها من معنى الفعل ، ولا يجوز أن يكون خبرا له لامتناع الاخبار بظرف الزمان عن غير الحدث ، والجملتان حال عن (الديار) على الاجتماع لا الافتراق (٥) .

والحاصل أن نفس التشبيه لا يقتضي تقدير شيء ، وضمير " يجعلون أصابعهم في آذانهم " لا يقتضي الا تقدير ذوي ، لكن الملاءمة للمعطوف عليه والمشبه تقتضي تقدير مثل .

وقد يقال : لابد من تقدير مثل : لأن المقصود تشبيه الحال بالحال لا الحال بالذات ، ألا ترى أن المصنف صرح في قوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة " (٦) بأنه لابد من تقدير مضاف أي مثل نفقتهم أو كمثل باذر حبة (٧) وكذا في قوله تعالى : " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق " (٨) أي مثل داعي الذين كفروا أو كمثل بهائم الذي ينعق (٩) .

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة يونس . (٢) م ، خ : رحيلهم .

(٣) جمع بلقع أي قفر خالي .

(٤) الشائع استعمال الغد كاليد فظهرت واوه هنا على الأصل ، وعبر بالغد ومراده به الزمن القريب فالجامع سرعة الفناء والزوال بعد البهجة والنضرة أنظر مشاهد الانصاف (١ / ٦١) .

(٥) انظر ديوان لبيد ١٦٩ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩٠ والموشح ٩٧ ، والمطول ٣٣٠ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٣٥ ، وأمالي المرتضى ٢ / ١٠٧ ، والخزانة ٣ / ٣٤٨ ، والعيني ١ / ٥٠٨ ، وكتاب سيبويه ٢ / ٨٠ ، ومادة (غدا) في الصحاح واللسان ، وتنزيل الآيات ٤٣٨ ، وحسن التوسل ١٦ ، والمصباح ٦٩٥ ، ٧١٢ .

(٦) من الآية ٢٦١ من سورة البقرة .

(٧) الكشاف ١ / ٢٣٧ .

(٨) من الآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٩) عبارة الزمخشري " ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ، أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق " الكشاف ١ / ١٦٠ .

وفيه نظر ،لأن كلام المصنف صريح فى أنه لا موجب لتقدير المضاف سوى طلب الضمير مرجعا ،وانما احتاج فى الآيتين الى تقدير المضاف لأنه قد صرح فى جانبى المشبه والمشبه به بلفظ مثل بمعنى الحال[1] والصفة ،فلا بد من / اضافته الى ٧٢ ب مايستقيم فيه أن يقال : شبه حال هذا بحال ذاك فليتأمل .

قوله : (مايرجع اليه) المستكن فى الفعل يعود الى (الراجع) ،والهمزة وأم فى قوله : (أولى أم لم يله ؟) للتسوية ،والمعنى : فلا على الولى وعدمه أى ليس بضائر على ،والأحسن على ماذكرنا فيما سبق أن المعنى : ان ولى أم لم يل فلا على .

قوله : (أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك) أى الشك فى النسبة المتعلقة بهما ،جرى فى هذا على مااشتهر فيما بينهم أن أو كلمة شك ،الا أن التحقيق أنها لأحد الأمرين ،والشك هو المتبادر الى الفهم من اطلاقها فى الخبر مثل جاء زيد أو عمرو ،وان كان يحتمل التشكيك والابهام على السامع أو المبالغة فى تفخيمه كقوله تعالى[2] : " وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب[3] " وقد تستعمل لمجرد التساوى كما فى الأمر والنهى حيث يقال : انها للتخيير والاباحة على ماقال فى المفصل " بعد جعلها لأحد الأمرين أنه قد يقال : انها فى الخبر للشك ،وفى الأمر والنهى للتخيير والاباحة "[4]

فهى ههنا لتساوى القصتين[5] فى الاستقلال بوجه التمثيل أى مثل بهذه القصة أو بتلك أو بهما جميعا فأنت مصيب فى ذلك وأما قوله تعالى : " ولا تطع منهم آثما أو كفورا "[6] فذهب كثير من المحققين الى أنها لأحد الأمرين والعموم انما جاء من قبل الوقوع فى سياق النفى كأنه قيل : ولا تطع واحدا منهما ،وبه يشعر كلامه فى المفصل[7] ،وذكر ههنا أن ذلك من قبيل كونها مستعارة للتساوى فى غير الشك ،

---

(١) خ : الحالة .
(٢) قوله " تعالى " ناقص من الأصل
(٣) من الآية ٧٧ من سورة النحل
(٤) المفصل ١٦٥ــ١٦٦ وعبارته : " أو لتعليق الحكم بأحد المذكورين ،ويقال : انها فى الخبر للشك وفى الأمر للتخيير والاباحة " .
(٥) م ،خ : القضيتين
(٦) من الآية ٢٤ من سورة الانسان .
(٧) ذهب ابن يعيش الى " أن العموم هنا لأمر خارج عن اللفظ ،وهو قرينة انضمت اليه ،وذلك أنه قد علم أن النهى قد وقع على الجمع والتفريق ولا يجوز طاعة الآثم على الانفراد ،ولا طاعة الكفور على الانفراد ،ولا جمعهما فى الطاعة . انظر شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٠٠ .

ومبناه على تعلق المفعول بالنفي دون المنفي كأنه قيل : أعص هذا أو ذاك فهمـــا متساويان في وجوب العصيان ، وذكر في سورة الانسان مايشير الى أن ذلك مـــن قبيل دلالة النص حيث قال : " انما ذكر بأو لأن النهي عن طاعة أحدهما يكون عـن طاعتهما أنهى "(١) ، وذهب الظاهريون الى أنها بمعنى الواو ، وانما يصح اذا اعتبر عطف النفي على النفي ، لا المنفي على المنفي .

قوله : (وأسحم)(٢) ، أوله : عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا ، أى محا علامـــات المنزل ورسومه اختلاف الجنوب والصبا وهبوبهما وسحاب أسود قريب من الأرض هطال غير خلب(٣) ، ولا خفاء في أن هذه الأوصاف انما تحسن في السحاب دون المطر(٤) .

قوله : (والصيب أبلغ) لأن فيعلا من صيغ الصفة المشبهة ، قوله : (موج مكفوف) : مدفوع ممنوع أن يسيل ، وقد ورد ذلك في الحديث(٥) .

قوله : (الفائدة فيه)(٦) يعني أن الفائدة في ذكر / " من السماء " الدلالـــة ٧٣ أ على أنه غمام مطبق آخذ بجميع الآفاق على مايفيده تعريف الجنس من غير قرينة البعضية ولو لم يذكر لم تحصل هذه الفائدة ، لجواز أن يكون الصيب من بعض الآفاق ، اذ كل أفق وناحية من السماء سماء بدليل قوله :

فأوه لذكراها اذا ماذكرتهـــا * (ومن بعد أرض بيننا وسماء(٧))

---

(١) الكشاف ٤ / ٥٣٩ (٢) الكشاف ١ / ٦٢

(٣) والخلب : الخدع

(٤) والبيت للشماخ كما في الكشاف وقيل : للنابغة الذبياني وهو في ديوانهما ، وقيل : للهيثم بن خوار ، وروى :

عفا آيه ريح الجنوب مع الصـــبا * وأسحم دان مزنه متصـــوب

وروى : مزنه يتصوب ، انظر ديوان الشماخ ٤٣٢ ، وديوان النابغة ١٤ ، وشـــروح التلخيص ٣ / ٢٢٩ ، وأساس البلاغة مادة (صوب) والبحر المحيط ١ / ٨٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٠ ، وتنزيل الآيات ٢٢٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٢ .

(٥) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون مافوقكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ " انظر مسند الامام أحمد ٢ / ٣٧٠ ، وجامع الأصول لابن الاثير الجزري ١ / ٢٢٩ .

(٦) الكشاف ١ / ٦٢ .

(٧) روى البيت " فأوه من الذكرى " ، و " فأو لذكراها " ، و " من بعد أرض دوننا " انظر مشاهد الانصاف ١ / ٦٢ وتنزيل الآيات ٣١٦ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٠ ، والصحاح واللسان مادة (أوه) ، وارتشاف الضرب ٣ / ١٠ ، ومعاني القرآن ٢ / ٢٣ والمحتسب في القراءات ١ / ٣٩ ، والخصائص ٢ / ٨٩ ، والمنصف ٣ / ١٢٦ .

حيث نكر أرضا وسماء للبعضية اذ ليس بينهما بعد جميع الأرض وجميع السماء ، يعنى أتوجع من ذكراها ومن حيلولة قطعة من الأرض وناحية من السماء بيننا •

وبالجملة فلما كان [1] فى " صيب " مبالغات من جهة المادة الأولى لأن الصاد من المستعلية ، والياء مشددة ، والباء من الشديدة ، ومن جهة المادة الثانية لأن الصوب فرط الانسكاب والوقوع ، ومن جهة الصورة لأن فيعلا صفة مشبهة دالة على الثبوت ، ومن جهة العارض لأن التنكير للتعظيم والتهويل ، بولغ فيه من جهة المجاور أيضا فقرن بقوله " من السماء " دلالة على أنه مطبق لا يختص بسماء دون سماء •

قوله : (وفيه ان السحاب من السماء [2]) للاتفاق على أنه من السماء أو البحر من غير قول أحد بأن البعض من هذا والبعض من ذاك •

قوله : (على الاتفاق) يعنى الاتفاق على جواز ذلك ، بخلاف ما اذا لم يعتمد كما اذا قلت ابتداء : فيه ظلمات ، فانه مختلف فيه فسيبويه لا يجعله مرفوعا بالظرف بل بالابتداء [3]

قوله : (من الارتعاد) يعنى أن الرعد من الارتعاد كما أن البرق من البريق ، ولو قال : من الرعدة لكان أنسب ، الا أنه لا يبالى بجعل المجرد من المزيد كالوجه من المواجهة قصدا الى الحاق الأخفى بالأعرف فى ذلك المعنى الذى يتناسب اللفظان فيه •

قوله : (فاذا كان) [4] جواب (أما [5]) ، و (فظلمتا سحمته [6]) بدل منه ، (ومضمومة) حال من (ظلمتا) لما فى أما من معنى الفعل ، (وظلمة) فاعل (مضمومة) كما تقول : جاءنى زيد راكبا غلامه ، وانما لم يقل [7] : فظلمتا سحمته وتطبيقه وظلمة الليل لأن ظلمة الليل ليست فى السحاب بل بالعكس فأشار الى أنها بتبعيتهما وباعتبار الضم اليهما تجعل فى السحاب على استعارة كلمة " فى " للتلبس الذى يشمل الكل ، وكذا فى المطر

---

(١) م ، خ : ففى الجملة لما كان (٢) الكشاف ١ / ٦٣ •

(٣) يقول سيبويه : " تقول : عبد الله فيها ، فيصير كقولك : عبد الله أخوك الا أن عبد الله يرتفع مقدما كان أو مؤخرا بالابتداء " ، انظر الكتاب ١ / ٢٦١ •

(٤) الكشاف ١ / ٦٣ •

(٥) قوله " أما " ناقص من الأصل ومن ط •

(٦) السحمة : السواد •

(٧) أى قال : فظلمتا سحمته وتطبيقه مضموما اليهما ظلمة الليل ولم يقل الخ

حيث قال : (مع ظلمة الليل) ، والغرض اثبات ثلاث ظلمات في الصيب على ما هو أقل الجمع ، وظلمة الليل مستفادة من قوله : " كلما أضاء لهم " الآية .

قوله : (كيف يكون المطر ؟) يعني اذا أريد بالصيب المطر فما معنى ظرفيته للرعد والبرق وهما ليستا في / المطربل في السحاب؟ فأجاب بأنهما لما كانا في أعلى المطر وبازاء الموضع الذي ينصب(1) منه المطر وهو السحاب ، جعلا كأنهما فيه بطريق استعارة كلمة " في " للتلبس المخصوص الشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية كقولنا : فلان في البلد ، تشبيها لكونه في بعض أجزائه بالكون فيه نفسه ، لا باعتبار كون المراد من البلد جزؤه الذي فيه فلان . ٧٣ ب

ومنهم من ذهب الى هذا وزعم أن الأعلى والمصب جزء من المطر ، وليس بذاك ، ومنهم من جعله من اطلاق أحد المتجاورين على الآخر ، ذهابا الى أن الأعلى والمصب سحاب والتمثيل بقولهم : فلان في البلد ، لمجرد التلبس والمجاورة (2) ، ورد بأنه يكون المعنى حينئذ أن في السحاب رعدا وبرقا لا في المطر على ما هو المطلوب .

فان قيل : يكون المراد بالصيب المطر وبضميره السحاب المجاور له على طريق التجوز ، قلنا : فلا تكون ظلمة التكاثف ، وظلمة اظلال (3) الغمام في المطر الا أن يقدر : وفيه رعد وبرق ، ويراد بالضمير الأول المطر ، وبالثاني السحاب الملاصق ، ومنشأ هذه التعسفات الذهول عن اعتبار التجوز في كلمة " في " .

فان قلت : الظلمة والرعد أي الصوت والبرق أي النارية واللمعان كلها أعراض(4) ، والعرض لا يتمكن في المكان الا بنوع توسع من غير فرق بين المطر والسحاب ، وبين الظلمة والرعد ، غاية ما في الباب أن وجه التلبس يكون في البعض أوضح كالرعد بالنسبة الى السحاب ، قلت(5) : معنى الظرفية التي تفيدها كلمة في أعم من أن تكون على وجه التمكن في المكان كالجسم في الحيز ، أو على وجه الحلول في المحل كالعرض في الموضوع أو على وجه الاختصاص بالزمان كالضرب في وقت كذا ، فظلمة السحمة والتطبيق حاصلة في السحاب [حقيقة بخلاف ظلمة الليل ، وكذا تمكن الجسم الذي يقوم به صوت الرعد

---

(1) عبارة الأصل : في أعلى المطر والموضع ينصب منه .

(2) وممن ذهب الى ذلك الطيبي في فتوح الغيب ١ / ٨٣ ، وتبعه اليمني في تحفة الأشراف ١ / ٦٣ .

(3) م : أظلام

(4) خ : عوارض

(5) م ، خ : قلنا

وبريق البرق حاصل حقيقة في السحاب] [1] لا في المطر ، فمن هنا احتيج الى التأويل .

قوله : (وما هو منه) [2] أي مافلان في شيء من البلد (الا في حيز يشغله جرم فلان) .

قوله : (ياعارضا) ، العارض : السحاب يعترض في الأفق ، و (تلفعت) المرأة بمرطها : تلحفت واشتملت به ، و (البرود) : جمع برد بالضم ، و (اختال) : تبختر ، شبه السحاب لتكاثفه بمن لبس برودا كثيرة فأثبت لها البرود تخييلا ، والتلفع والاختيال ترشيحا . [3]

قوله : (العينان) يعني نفس الصوت المسموع والنارية المبصرة ، جعلهما من الأعيان بالنسبة الى المعنى المصدري ، وان كان كلاهما / أو أحدهما من قبيل ٧٤ أ
الأعراض ، و (الحدثان) بلفظ التثنية أحسن طباقا لقوله العينان ، و (الارعاد) مصدر أرعدت السماء : صارت ذا رعد ، وكذا (الابراق) ، لا مصدر أرعد القوم وأبرقوا : أصابهم رعد وبرق .

قوله : (يسقون) [4] ، البيت من قصيدة لحسان أولها :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ؟

وفيها :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

(بردى) نهر بدمشق ، و (البريص) نهر يتشعب منه ، و (التصفيق) النقل من اناء الى اناء للتصفية ، (والرحيق) صفوة الخمر ولذا فسر [5] بالشراب الخالص الذي لا غش فيه ، وفي الأساس : " مسك رحيق : لا غش فيه ، وحسب رحيق : لا شوب فيه [6] " ، (السلسل) السهل الانحدار ، وتعدية (ورد) بعلى مع ذكر المفعول على تضمين معنى النزول كأنه قال : ورد البريص نازلا عليهم ضيفا لهم ، والا فالاستعمال ورد الماء ورودا [7] ، وورد البلد : حضر ، وورد عليه الكتاب وصل اليه ، والباء في (بالرحيق)

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من خ ، وعبارة ط ، م : حاصل في حقيقة السحاب
(٢) الكشاف ١ / ٦٣ .
(٣) وقائل البيت هو البحتري ، انظر ديوانه ٢ / ٢٨٩ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٣ ، وتنزيل الآيات ٣٦٦ .
(٤) الكشاف ١ / ٦٣
(٥) م : فسرت
(٦) اساس البلاغة مادة (رحق) .
(٧) في م زيادة " أو وردا "

للمصاحبة ، وألف (بردى) للتأنيث فتذكير الضمير في (يصفق) لعوده الى المضاف المحذوف أي ماء بردى ، كجمع الضمير في " أوهم قائلون (١) " ، ولو روعي حال اللفظ القائم مقام المضاف لأنث ههنا وأفرد ثمة (٢) .

قوله : (فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد) (٣) ، فان قيل : لفظ " من الصواعق " يأبى كون الكلام جوابا للسؤال عن حالهم مع الرعد ، قلنا : الصاعقة قصفة رعد أي شدة صوته تنزل معها قطعة نار فكأنه قيل : يجعلون أصابعهم في آذانهم من أجل شدة صوت الرعد وانقضاض شقة من النار معها .

قوله : (من العيمة) وهي شهوة اللبن حتى لا يصبر عنه أي من أجلها بمعنى (٤) أنها الباعث ، وذلك أن " من " ههنا تغني غناء اللام في المفعول له ، فقد يكون غاية يقصد حصوله ، وقد يكون باعثا يتقدم وجوده .

قوله : (ثم طفئت) عطف على (سقطت) وفيه بيان الحدة باحراق النصف ، وسرعة الخمود بالاقتصار على النصف ، (أتت عليه) أي أهلكته ، و (خر موسى صعقا) (٥) أي مغشيا عليه بمنزلة الميت .

قوله : (سواء في التصرف) (٦) أي في الاشتقاق منه والبناء عليه بمعنى أنه يبنى على كل منهما كثير من الأمثلة ويشتق وان لم يتساويا عددا ، (صقعه على رأسه) وصقع رأسه : ضربه ببسط كفه ، (وصقع الديك) صاح ، (والمصقع) بكسر الميم (المجهر) يقال : رجل مجهر بكسر الميم اذا كان من عادته / أن يجهر بكلامه ،

---

(١) من الآية ٤ من سورة الأعراف .

(٢) روى بدل " بردى يصفق " : " كأسا يصفق " و " خمرا تصفق " انظر شرح ديوان حسان ٣٠٧ــ٣٠٩ ، ومفتاح العلوم ٦٩ ، ومعاهد التنصيص ٤ / ٧ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٣ ، وتنزيل الآيات ٤٧٤ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٠ ، وطبقات الشعراء ٨٥ ، والأغاني ٨ / ١٦٣ ، ١٤٤ / ٢ ، والعمدة ٢ / ١٣٠ ، وأمالي ابن الحاجب ١١٧ ب ، والخزانة ٢ / ٢٣٦ ، ٤ / ٤٧٦ ، والمفصل ٥٠ ، وهمع الهوامع ٢ / ٥١ ، وفتوح الغيب ١ / ٨٣ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٤ ، واللسان مواد (برد) ، (برص) ، (سلسل) .

(٣) الكشاف ١ / ٦٤

(٤) م ، ح : يعني

(٥) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٦) الكشاف ١ / ٦٤ والبحر المحيط ١ / ٨٤ ، ٨٦ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٠ .

وكون الصاعقة صفة للقصفة أو للرعد أو مصدرا انما هو بحسب الأصل ، والا فهو اسم لما ذكر ، وعلى كل تقدير لا شذوذ في جمعها على صواعق .

قوله :

(وأغفر عوراء الكريم ادخاره (١) * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما (٢)

أغفر : أستر ، والعوراء : الكلمة القبيحة ، ادخاره مفعول له معرف بالاضافة كحذر الموت .

قوله : (معاقب) صفة (عرض) أي هو عرض مقابل للحياة ، مناوب لها تمسكا بقوله تعالى : " خلق الموت والحياة " (٣) ، وأجيب بأن المعنى قدر ، ولو سلم فالمعنى : خلق مصحح الحياة ومصحح الموت ، ولو سلم فاعدام الملكات مخلوقة لما لها من شائبة التحقق (٤) .

قوله : (واحاطة الله تعالى بالكافرين مجاز) تشبيها لحال قدرته الكاملة التي لا يفوتها المقدور ألبتة باحاطة المحيط بالمحاط بحيث لا يفوته فتكون الاستعارة تبعية جارية في الاحاطة ، وهذا لا ينافي كونها تمثيلية لما في الطرفين من اعتبار التركيب . (٥)

---

(١) الكشاف ١ / ٦٥ .

(٢) البيت لحاتم الطائي ، وقيل : للأحنف بن قيس ، وروى بدل ادخاره : اصطناعه ، وبدل وأعرض عن شتم اللئيم : وأصفح عن ذات اللئيم ، وأعرض عن ذنب اللئيم ، وعن ذم اللئيم ، انظر ديوان حاتم ٨١ ، ومعاني القرآن ٢ / ٥ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٥٩ ، ١٤٣ ، والقرطبي ١ / ١٩٠ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤١ ، وتنزيل الآيات ٤١٥ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٥ ، وأسرار العربية ١٨٧ ، ونوادر أبي زيد ١١٠ ، والكامل للمبرد ١ / ١٧١ ، وسيبويه ١ / ١٨٤ ، ٤٦٤ ، والمقتضب ٢ / ٣٤٨ ، والخزانة ١ / ٤٨٨ ، والعيني ٣ / ٧٥ ، ومادة (عور) في الصحاح واللسان .

(٣) من الآية ٢ من سورة الملك . (٤) م : التحقيق

(٥) ويرى السيد الشريف أن التبعية لا تجتمع مع التمثيلية أبدا فهي اما تبعية واما تمثيلية ولذلك يقول : " ان شبه شمول قدرته تعالى اياهم باحاطة المحيط بما أحاط به في امتناع الفوات كان هناك استعارة تبعية في الصفة سارية اليها من مصدرها ، وان شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحاط كان هناك استعارة تمثيلية لا تصرف في شيء من ألفاظ مفرداتها الا أنه لم يصرح هنا الا بلفظ ما هو العمدة في الهيئة المشبه بها أعني الاحاطة والبواقي من الألفاظ منوية في الارادة " انظر حاشية السيد على الكشاف ٢١٨ .

وأما كونها تمثيلا (١) بمعنى تشبيه حاله تعالى مع الكفار بحال المحيط مع المحاط بحيث تكون المفردات على حقيقتها كما في أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ففيه نظر.

قوله: (وهذه الجملة اعتراض(٢)) من مذهبه أن لنا واوا اعتراضية لا عاطفة ولا حالية، وأن الاعتراض قد يكون في آخر الكلام كقوله تعالى: " ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٣) "، وذلك لأن كلا من الجمل الثلاث أعني: يجعلون، ويكاد، وكلما أضاء، استئناف مستقل، منشأ الأول: ورعد، والأخيرين: وبرق، فيكون " والله محيط بالكافرين " في آخر الكلام، والنكتة في الاعتراض: التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد (٤)، وفي وضع الظاهر أعني الكافرين موضع المضمر تنبيه على أن ذوي الصيب كفرة يستحقون الشدة ليكون أبلغ كما في قوله تعالى: " كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم (٥) ".

وقيل: هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبه، على أن المراد بالكافرين المنافقون، وأنهم من عذاب الله في الآخرة وإهلاكه إياهم في الدنيا بحيث لا مدفع له، وسط بين أحوال المشبه تنبيها على شدة الاتصال وفرط التناسب (٦) و(المحاط) الأول رفع على الفاعلية، والثاني: نصب على المفعولية، والضمير فيهما عائد الى اللام في المحاط.

---

(١) وهو ما أجازه السيد الشريف كما سبق وذهب اليه الطيبي في فتوح الغيب ١/٨٤، واليمني في تحفة الأشراف ١/٦٤.

(٢) الكشاف ١/٦٥. (٣) من الآية ٩٢ من سورة البقرة.

(٤) م: لا يفيده. (٥) من الآية ١١٧ من سورة البقرة.

(٦) لعل هذا اشارة الى رأي الطيبي الذي قال في فتوح الغيب ١/٨٤: " هذا من وجيه الكلام وبليغه، وذلك أن مقتضى الظاهر أن يذكر هذا قبل الصيب ليكون بعضا من أحوال المشبه، فنزلت هنا لتدل على ذلك، وتعطي معنى التأكيد، وفيه من الغرابة أنه مؤكد لحال المشبه به وهو من حال المشبه، وفائدته شدة المناسبة بين المشبه والمشبه به، وأن المشبه ما يهتم بشأنه ويعتني بحاله "، وقد تبع الطيبيَّ في ذلك اليمنيُّ وذلك في تحفة الأشراف ١/٦٤.

قوله : (وهذا تمثيل) يعني قوله : " كلما أضاء لهم " ، لا قوله : " يكاد البرق " على ماوهم [١] ، يعني أن بيان شدة الأمر على أصحاب الصيب وفرط تحيرهم ، [بيان شدته على المنافقين وفرط تحيرهم] [٢] لما أن حالهم كحالهم ، وهذه / ٧٥أ من جملة تفاصيل الأحوال ، (وماهم) عطف على (شدته) ، (واذا صادفوا) الى آخره بيان لذلك ، (وفرصة) نصب على الحال ، والأحسن أن يكون مفعولا ثانيا على تضمين معنى الاتخاذ أي اتخذوا الخفقة فرصة ، أو الخفقة مصدر مقدر بالزمان أي انتهزوا في وقت تلك الخفقة والفرصة النهزة والشِّرب والنوبة [٣] والنهزة : الشيء الذي هو لك معرض كالغنيمة .

قوله : (خطوات يسيرة [٤]) مبني على قصر زمان الخفقة لا على ماقيل أن ازدياد الخطوات لا يكون مشيا بل سعيا أوعدوا ، لأن ذلك انما يكون بالشدة والسرعة لا بالازدياد والكثرة .

قوله : (فأصمهم) جعلهم صما ، (وأعماهم) جعلهم عميا .

قوله : (في مطرح نوره) يشير الى أن ضمير (فيه) للبرق على حذف المضاف ، (فاذا اشتد) أي المشي ، (فاذا ازداد) أي اشتداده .

قوله : (ماهمهم به محقود) هذا لا ينافي ماسبق من جهلهم بما يأتون ويذرون ، لأنه كناية تأكيدا [٥] لفرط تحيرهم ، ولأن معناه : أنهم لا يدرون : كيف يأتون مايأتون ؟ وكيف يتركون مايتركون ؟ مع حرصهم على المشي .

قوله : (وهو الظاهر) لأن المتعدي لا يوجد في استعمال من يستشهد بكلامه ولم يثبته الثقات من أئمة اللغة الا القليل جدا كما نقل عن الأزهري أن أضاء وأظلم يكون لازما ومتعديا [٦] ، وعن الليث [٧] : أظلم فلان البيت علينا اذا أسمعك ماتكره [٨] .

---

(١) أي على ماوهمه الطيبي واليمني ، يقول الطيبي : " وهذا أي قوله : " يكاد البرق " تمثيل أي تتميم للتمثيل لا أنه تمثيل آخر " وواضح أن ماذهب اليه السعد هو الأرجح اذ لا احتياج فيه الى التأويل الذي لجأ اليه الطيبي . انظر فتوح الغيب ١ / ٨٤ ، وتحفة الأشراف ١ / ٦٤ .

(٢) مابين المعقوفين ناقص من خ .

(٣) الشِّرب — بالكسر — الحظ من الماء ، والنوبة والنيابة بمعنىً تقول : جاءت نوبتك ونيابتك وهم يتناوبون النوبة في الماء وغيره . (٤) الكشاف ١ / ٦٥

(٥) قوله : " تأكيدا " ناقص من الأصل (٦) تهذيب اللغة ١٤ / ٣٨٢ .

(٧) أبو الحارث الليث بن سعد امام أهل مصر في الفقه والحديث ، توفي سنة ١٧٥هـ وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٠ . (٨) تهذيب اللغة ١٤ / ٣٨٢

قوله : (ظلم الليل) في الصحاح : " ظلم بالكسر وأظلم بمعنى ، حكاه الفراء "(١)

قوله : (وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب) (٢) ، قد ترد هذه الشهادة بأنه يجوز أن يكون الفعل مسندا الى (عليهم) ، وأجيب بأن عليهم ظرف مستقر كلهم في " أضاء لهم " ، ولو جعلناهما صلة على تضمين معنى الضر والنفع فعطف " اذا أظلم " على " كلما أضاء لهم " ووقوعهما جوابا للسؤال عن صنيعهم حالتي خفوق البرق وخفيته ، يستدعي اسناد أظلم الى ضمير البرق ، بمعنى كلما نفعهم البرق باضاءة اغتنموه ، واذا أضرهم باظلامه تحيروا ، ومبنى البلاغة على رعاية المناسبات ، على أن في صلوحه للاقامة مقام الفاعل عند تعلقه (٣) بأظلم باعتبار التضمين نظرا ، وأما الجواب بأن أظلم المتعدى أكثر ، وأن بناء المجهول من المتعدى أكثر فلا يخفى مافيه ،

قوله : (هما أظلما) (٤) ، الضمير للعقل والدهر في البيت السابق :

أحاولت ارشادى فعقلى مرشدى * أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى (٥)

ويجوز أن يكون لارشاد العاذلة/ وتأديبها ، الاستيام : التطلب ، (وحالاه) : ٧٥ب
مايتوارد عليه من مثل الخير والشر ، والغنى والفقر ، واليسر والعسر ، وأسند الاظلام الى العقل ، لأنه لا يطيب للعاقل عيش لعلمه بانقطاعه ، قال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٦)

والى الدهر لأنه يعادى كل فاضل ، (ثمت أجليا) ثم كشفا (ظلاميهما) عنى وأنا (أمرد) في السن (أشيب) في العقل أو في غير أوانه لمقاساة الأهوال ، وهذا

---

(١) الصحاح مادة (ظلم) وعبارته : " عن الفراء " ، وفي كتاب معاني القرآن للفراء ١/١٨ : " واذا أظلم عليهم فيه لغتان : أظلم الليل وظلم " ،
(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٩٠ وأنوار التنزيل ١/ ٤١ ،
(٣) م : وتعلقه ، (٤) الكشاف ١/ ٦٥
(٥) البيتان لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، ويروى : أم اشتقت بدل أم استمت ، وأشنب بدل أشيب ، انظر ديوان أبي تمام ١/ ١٥٧ ، والصناعتين ٤٠٠ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٦٥ ، وتنزيل الآيات ٣٢٦ ، وأنوار التنزيل ١/ ٤١ ،
(٦) لأبي الطيب المتنبي ، انظر ديوانه ٤/ ١٢٤ ، والوساطة ٢٦٩ ، وديوان المعاني ٢/ ٩٢ ،

تجريد ، والهمزة في أحاولت للانكار (١) بمعنى ماكان ينبغي ، والفاء لتعليل محذوف أي لا تحاولي الارشاد ودعيه ، ولو روي بالواو لكان سديدا .

قوله : (وان كان محدثا) (٢) أي من الذين نشأوا بعد الصدر الأول من الاسلام ، فالشعراء طبقات : الجاهليون كامرئ القيس وزهير ، والمخضرمون أي الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد ، والمتقدمون من أهل الاسلام كالفرزدق وجرير ، ويستشهد بأشعارهم ، ثم المحدثون كالبحتري وأبي تمام ولا يستشهد بشعرهم .

قوله : (فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه) ، وقد يفرق بأن مبني الرواية على الوثوق والضبط ، ومبنى القول على الدراية والاحاطة بالأوضاع والقوانين ، والاتقان في الأول لا يستلزم الاتقان في الثاني ، فغاية الأمر أنه جمع في الحماسة أشعار من يستشهد بشعرهم ، وصدق في ذلك ، فمن أين يجب أن يكون كل مايستعمله في شعره مسموعا ممن يوثق أو مأخوذا من استعمالاتهم ، والقول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى ليس بسديد . بل هو بعمل الراوي أشبه ، وهو لا يوجب السماع (قامت السوق اذا ركدت) أي سكنت وكسدت عن اللحياني (٣) ، وقد سبق قامت السوق بمعنى نفقت ، وكلاهما مذكور في كتب اللغة .

قوله : (الا في الشيء المستغرب) كبكاء الدم في قوله :

(فلو شئت أن أبكي دما لبكيته

عليه ولكن ساحة الصبر أوسع (٤)

---

(١) ويجوز أن يكون المعنى : ان أردت مرشدي فهو عقلي أو مؤدبي فدهري فالاستفهام بمعنى الشرط مجازا ، ويحتمل أنه توبيخي والفاء تعليلية لمحذوف أي لا ينبغي ارادة ارشادي ولا تأديبي ، فان دهري وعقلي تكفلا بذلك . انظر مشاهد الانصاف ٦٦/١ . (٢) الكشاف ٦٦/١

(٣) علي بن المبارك ، وقيل : ابن حازم أبو الحسن اللحياني ، أخذ عن الكسائي وأبي زيد والأصمعي وغيرهم ، كان اماما في اللغة وله النوادر المشهورة .
بغية الوعاة ١٨٥/٢ .

(٤) لاسحق بن حسان الخزيمي من قصيدة يرثي بها أبا الهيذام عامر بن عمار أمير عرب الشام ، وروي " ولو شئت " بالواو ، و" عليك " بدل " عليه " انظر المطول ١٩٣ ، وبغية الايضاح ٢٢٠/١ ، ودلائل الاعجاز ١١٧ ، وشرح الحماسة للتبريزي ١٥/٢ ، ٧٧/٣ ، وللمرزوقي ٨٢٢/٢ ، ١٠٥٣/٣ ومعاهد التنصيص =

فانه لغرابته لا يكتفى فيه بقرينة الجواب بل يصرح به تسجيلا ، والاستعمال شاهد بذلك ، والتعليل بأنه لو حذف فقيل : لو شئت أن أبكى بكيت دما ، لاحتمل أن يكون المراد : لو شئت أن أبكى دما بكيت دما كما قال الآخر :

فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا (١)

أى لخرج بدل الدمع التفكر ، ليس بمستقيم لأن الكلام فى مفعول المشيئة ، فلو قيل : لو شئت بكيت دما ، واكتفى بقرينة الجواب لم يحتمل سوى / لو شئت أن أبكى دما لبكيته . ١٧٦أ

قوله : (بقصيف الرعد) أى شدة صوته ، والغرض من هذا التقدير بيان الربط (٢) المعنوى لهذه الجملة بالجملة الاستئنافية (٣) ، لظهور أنه عطف على " كلما أضاء لهم مشوا فيه " ، ثم الظاهر أن لو ههنا لمجرد الشرط بمنزلة إن ، لا بمعناه الأصلى من انتفاء الشيء لانتفاء غيره .

قوله : (فى ساقة الباب) (٤) أى مؤخرته ، يقال : ساقة الجيش فى مقابلة مقدمته ، وترجمته بمجارى أواخر الكلم لأنه يذكر فيه أحكام التذكير والتأنيث ، وما تظهر علاماته فى أواخر الكلم (٥) ، والاستشهاد فى قوله (أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه) ، والمعنى : أن التأنيث يخرج من التذكير أى يكون فرعا له ، لأن لفظ الشيء مع أنه مذكر يطلق على كل ما يخبر عنه مذكرا كان أو مؤنثا ، وقوله : (وهو أعم العام) من كلام المصنف لا من كلام سيبوية (٦) .

قوله : (وعلى المعدوم والمحال) ، فان قيل : الخلاف بيننا وبين المعتزلة فى المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا ؟ وأما المحال فليس بشيء اتفاقا ، قلنا : ذلك الخلاف فى الشيئية بمعنى التقرر والثبوت فى الخارج ، لا فى اطلاق لفظ الشيء فانه بحث لغوى مرجعه الى النقل والسماع لا يصلح محلا لاختلاف العقلاء الناظرين فى المباحث العلمية .

= ١/٢٤٦ ، والمصباح للسيد الشريف ٢٩٦ ، والمثل السائر ٢/٣٠٨ ، والبحر المحيط ١/٨٩ ، وأنوار التنزيل ١/٤٢ ، ومشاهد الانصاف ١/٦٦ ، وتنزيل الآيات ٤٣٧ ، والكامل للمبرد ٢/٢٥١ ، وديوان المعانى ٢/١٧٥ .

(١) عجز بيت لعلى بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب بن عباد ، وصدره :
فلم يبق منى الشوق غير تفكرى
وروى " (ولم) يبق منى الشوق غير (تفكر) ، أنظر بغية الايضاح ١/٢٢٠ ، والمطول ١٩٤ ، ودلائل الاعجاز ١١٩ ، ومعاهد التنصيص ١/٢٥٤ .

(٢) خ : من هذا التقرير بيان الرابط . (٣) وهى قوله تعالى "يجعلون أصابعهم"

(٤) الكشاف ١/٦٦ (٥) م ، خ : فى آخر الكلمة (٦) كتاب سيبويه ١/٧

وبالجملة فمعنى "على كل شيء قدير" على [1] كل ممكن اذ لا قدرة على الواجب والمستحيل ، فان قيل : لو كان الشيء هو الموجود كما يزعمون لما كان متعلقـــا للقدرة لأنها عبارة عن الصفة المؤثرة على وفق الارادة ، وتأثيرها هو الايجاد ، وايجاد الموجود محال ، قلنا : المحال ايجاد الموجود بوجود سابق ، وهو غير لازم ، واللازم ايجاد موجود بوجود هو أثر ذلك الايجاد ، وهو ليس بمحال ، وأما المقدور فــان أريد به ما تعلقت به القدرة فهو لا يكون الا موجودا ، وان أريد مايصلح أن تتعلــق به القدرة يكون معدوما ، وهو المعنى بقولهم : ان الله قادر على جميع الممكنات ، وان مقدوراته غير متناهية .

وأما الفصل بين قادرين فجوزه الأشاعرة بناء على أنه لا تأثير لقدرة العبـــد ايجادا ، وأن جميع الممكنات مستندة الى قدرة الله [تعالى ، فالفعل الاختيـــاري للعبد تتعلق به قدرة الله تعالى] [2] ايجادا ، وقدرة العبد كسبا ، وانمـــا الممتنع تعلق القدرتين ايجادا ، واختلف فيه المعتزلة ، فجوزه أبو الحسين البصري مطلقا ، ومنعه الجمهور بناء على امتناع قدرة غير مؤثرة ، فلو كان مقدور بين قادرين / ٧٦ب لزم اجتماع المؤثرين على أثر واحد ، وأيضا لو أراد أحدهما الفعل والآخر الـــترك لزم اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما [3] ، وقد يتوهم أن مسألة المقدور بين قادرين هو نفس مسألة تعلق قدرة الله تعالى [4] بمثل فعل العبد أو بعينه ، وليس كذلك .

قوله : (من التقدير) ظاهر عبارته أن التقدير أصل في ذلك ، والمصنف كثـــيرا مايقول باشتقاق المجرد من المزيد اذا كان هو أشهر في المعنى المشترك .

قوله : (مما يسعدها ويشقيها) [5] المذكور صريحا لفرقة المؤمنين هو المسعدات والمخليات ، ولفرقتي الكافرين والمنافقين هو المشقيات والمرديات ، ويفهم المقابـــل ضمنا فيكون الكل مذكورا ، ومبنى هذا على كون من في (مما يسعدها) للبيان .

قوله : (وأوجدته) من وجدت الضالة وأوجدنيها الله تعالى ، بمعنى : جعلتـــه واجدا أمرا (حازا من طبعه) .

---

(١) كلمة "على" ناقصة من خ ومن الأصل
(٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ومن ط
(٣) الانتصاف لابن المنير الاسكندري ١ / ٦٧ .
(٤) كلمة "تعالى" ناقصة من الأصل
(٥) في تفسيره لقوله تعالى : "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم .." ٢١ البقرة وانظر الكشاف ١ / ٦٧ .

قوله : (وبلغنا) [١] عطف على قوله : (لما عدد) الى آخره ، يعني قد ذكرنا أن الخطاب لفرق المكلفين وبلغنا ما يدل على أنه مختص بمشركي مكة ، واعترض بأن سورة البقرة مدنية فكيف تكون هذه الآية مكية ؟ ولو سلم فكونها مكية لا يوجب اقتصار الخطاب على مشركي مكة ، كما أن كونها مدنية لا يوجب اختصاصها بكفار المدينة ، والجواب : أن مدلول ما نقل أن كل حكم وخطاب نزل فيه " يا أيها الناس " فهو مكي ، سواء نزلت [٢] بمكة أو بالمدينة ، وبه يتم ما ذكره .

قوله : (صوت [٣]) خبر آخر أو بدل ، والتعبير عنه بالصوت بعد التعبير (بالحرف) اشارة الى أن هذا اللفظ كان يصدر بالطبع عند قصد النداء كأخ عند التوجع ثم وضع ، وكذا الكلام في بعض أسماء الأفعال ، والباء في (به) للآلة ، وفي (بمن) صلة (يهتف) ، يقال : هتف به أي صاح به .

قوله : (وهو أقرب) حال (وأسمع به) عطف عليه بتقدير القول يعني أنه ليس ببعيد ، ولا غير عالم ، ولا بعد النداء خطاب يعتني بشأنه ، وفي الصحاح : "استقصره : عده مقصرا [٤] " ، (واستبعده عده بعيدا [٥]) ، و(هضما) أي كسرا مفعول له (للاستقصار والاستبعاد) ، (ومع فرط التهالك) حال من بعض الضمائر العائدة الى (الداعي) ، يعني أن المتضرع الى الله تعالى يستعمل في دعائه الحرف الموضوع لنداء البعيد اشارة الى بعد المرتبة بين المدعو والداعي ، [والى حرص الداعي] [٦] على استجابة دعائه ، والاستماع لندائه ، كالاعتناء التام بشأن الخطاب فيما سبق ، ولأنه يؤذن بزيادة اجتهاد في طلب/ الاقبال والاذن للابتهال ، وهذا المعنى لم يكثر كثرة المعاني السابقة ، بل ربما لا يحسن الا في نداء الباري تعالى : فلذا لم يعد في أثنائها بل في جواب سؤال على حده . ٧٧أ

قوله : (وأي وصلة) ، وذلك لأنهم استكرهوا اجتماع آلتي التعريف ، فحاولوا أن يفصلوا بينهما باسم مبهم يحتاج الى ما يزيل ابهامه ، فيصير المنادى في الظاهر ذلك المبهم ، وفي الحقيقة ذلك المخصص الذي يزيل الابهام ويعين الماهية .

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/١٨ كتاب الهجرة .
(٢) خ : نزلت الآية . (٣) الكشاف ١/٦٨
(٤) الصحاح مادة (قصر) (٥) الصحاح مادة (بعد) .
(٦) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

فيصير المنادى متميز الماهية معلوم الذات ،فوجدوا ذلك الاسم ايا راذا قطع عن الاضافة — واسم الاشارة ،حيث وضعا مبهمين مشروطا ازالة ابهامهما ، الا أن الاشارة قد يزال ابهامه بالاشارة الحسية فلا يحتاج الى الوصف ،بخلاف أى ،فكان أدخل فى الابهام ،فلهذا جاز " ياهذا " ولم يجز " ياأى " بل لزم أن يردفه مايزيل ابهامه ،وذلك اسم الجنس لأنه الدال على تعيين الماهية ، ويجرى مجراه " الذى " ومثناه ومجموعه ومؤنثها ،وقد يجرى مجراه اسم الاشارة الموصوف بذى اللام نحو: ياأيهذا الرجل ،وقوله: (حتى يضح) أى يتضح (المقصود بالنداء) تنبيه على أن ذلك الاسم المزيل للابهام هو المقصود بالنداء ،ولهذا التزم رفعه ، وقوله: (الا أن أيا) اشارة الى أن وصفه لازم ،بخلاف يازيد وياهذا .

وقوله: (ومكانفته) أى معاونته[1] حرف النداء ،وذلك لأن النداء والتنبيه من واد واحد ،وقوله: (ووقوعها) عطف على (معاضدة) ،وهذه هى الفائدة الثانية، والأولى المعاضدة والمكانفة ،يعنى أن أيا لم تكن تخلو عن مضاف اليه أو تنوين قائم مقامه نحو: " أياما تدعو[2] " ،وأية سلكوا ،وليس هذا موضع التنوين ،وأيضا التنوين انما يقع بدلا عن مضاف اليه غير مبهم مثل: " ورفعنا بعضهم فوق بعض[3] " ، والقصد ههنا الى الابهام وكلمة التنبيه تناسب النداء فجعلت عوضا عن المضاف اليه .

قوله: (مالم يكثر فى غيره) فى موضع المصدر وما موصولة أو موصوفة أى الكثرة التى لم تكثر [أو كثرة لم تكثر][4] فى غيره ،فالاسناد مجازى ،ويحتمل أن تكون بدلا من (الطريقة) أى الطريقة التى لم تكثر فالاسناد حقيقة ،ولا وجه لجعلها مصدرية .

قوله: (لأن كل ماناداه الله) تعليل لما علل (باستقلاله) ،أى انما كثر النداء تلك الكثرة المعللة بالاستقلال لمناسبة مقتضى الحال ،وقوله: (له) أى لأجله ،وقوله: (أمور) خبر (أن) .

قوله: (فلو أنى فعلت) البيت لأبى تمام ،وقبله :

نعمة الله فيك لا أسأل اللـه ✽ اليها نعمى سوى أن تدوما (٥)

---

(١) عبارة الأصل: أى مقارنته ،وهو تصحيف وتحريف .
(٢) من الآية ١١٠ من سورة الاسراء
(٣) من الآية ٣٢ من سورة الزخرف ،وفى خ زيادة "درجات"
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٥) روى " ولو أنى " بدل " فلو أنى " أنظر ديوان أبى تمام ٣/ ٢٣٠ ،والخصائص ١/ ٣٤٤ ،ومشاهد الانصاف ١/ ٦٨ ،وتنزيل الآيات ٥١٥ .

وقوله / : (كنت كمن تسأله) على حذف المضاف أى كسائل من تسأل ، لأن ظاهره ٧٧/ب
تشبيه السائل بالمسئول ، والأظهر أنه لا حاجة الى ذلك لأنه تمثيل كقوله :

وما الناس الا كالديـــار ... البيت[1]

قوله : (وأما الكفار)[2] نفى لتوجه الخطاب الى الكفار خاصة لا بمشاركة المؤمنين ، وحاصل السؤال : أن الخطاب لا يجوز أن يتوجه الى المؤمنين والكافرين جميعا ، ولا الى الكفار خاصة لأن المؤمنين لا يتصور أمرهم بالعبادة [لكونه طلبا للحاصل ، والكافرين تمتنع منهم العبادة][3] لانتفاء شرطها فيكون طلبا للممتنع ، والمراد بالعبادة : أعمال الجوارح التى عليها المؤمنون سيما بتفسير المعتزلة القائلين بأن الطاعات من جملة الايمان ، لا يقال : المؤمن غير ملتبس بجميع العبادات فيصح منه طلب العبادة فى الجملة ، كما يقال[4] للمؤمن : صل ، لأنا نقول : الكلام فيما اذا قصد احداث العبادة فى الجملة ، ولا خفاء فى أنه حاصل ، وانما يصح طلب عبادة الله[5] بالخصوص كصلاة الظهر مثلا لمن لم يصلها .

والجواب : أنه يصح طلب العبادة من المؤمنين بمعنى زيادتها ، والتوجه اليها بالكلية ، والثبات عليها ، ومن الكافرين بمعنى تحصيل شرائطها ثم الاتيان بها على ماتقرر عندهم من أن الأمر بالشىء أمر بما لابد له منه .

فان قيل : هذا جيد ، لكن قوله : (على أن مشركى مكة كانوا يعرفون الله تعالى ويعترفون به)[6] يأبى هذا المعنى لأن هذا القدر [من المعرفة والاقرار لا يكفى شرطا لصحة العبادات من الصلاة والصوم[7] ونحوهما ، قلنا : كأنه أراد أن هذا القدر][8] من الشرط كان حاصلا لهم ، فليجمعوا اليه تمام الشرط وهو التصديق والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليعبدوا الله تعالى .

فان قيل : هل يجوز أن يريد بالعبادة أعم من فعل القلب كالايمان ، ومن أفعال الجوارح كالطاعات ؟ قلنا : فى كل من السؤال والجواب مالا يلائم هذا المعنى

---

(١) سبق تحقيقه فى الورقة ٧٢ أ (٢) الكشاف ١ / ٦٨
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل (٤) م : تقول
(٥) ط : طلب عبادة آتية ، خ : طلب العبادة آتية .
(٦) الكشاف ١ / ٦٩ (٧) ط : الصيام
(٨) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

وهو قوله : (وأما الكفار) الى آخره ، (وأما عبادة الكفار) الى آخره .

قوله : (متناولا شيئين) [1] يعني أن لفظ " اعبدوا " حقيقة في طلب العبادة ، ففي طلب ازديادها إما أن يكون حقيقة فيلزم استعمال المشترك في معنييه ، أو مجازا فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، والجواب أن ازدياد العبادة من أفراد العبادة ، واستعمال اللفظ في أفراد معناه لا يكون استعمالا في معنيين ، وحاصله : أن معنى اعبدوا طلب العبادة في المستقبل ، سواء كانت ابتداء عبادة كما في حق الكفار ، أو عبادة بعد عبادة كما في حق المؤمنين ، وليس هناك [2] اشتراك ولا مجاز كما تقول للساكن والمتحرك : تحرك ، طلبا للحركة منهما ، الا أنها من الساكن / ابتداء حركة ، ٧٨ أ
ومن المتحرك ازديادها واستمرارها ، لأن الحركة بعد السكون حدوث ، وبعد الحركة دوام .

قوله : (ربكم ما المراد به ؟) ، لا خفاء في أن قولنا للعبيد : عظموا سيدكم ، أمر لهم بتعظيم من يعتقدون أنه سيدهم ، فقوله : " يا أيها الناس اعبدوا " ان كان خطابا لجميع الفرق فالمراد بربكم هو الله تعالى لأنه المتفق على ربوبيته فيما بينهم فيكون " الذى خلقكم " صفة مادحة ، وان كان خطابا للمشركين فيحتمل أن يكون المراد هو الله تعالى ، وتكون الصفة مادحة لأنهم يعتقدون أنه رب الأرباب ، وأن آلهتهم شفعاء عند الله ، وأن يكون المراد مالككم والهكم ونحو ذلك مما يصدق على الاله الحق ، وعلى آلهتهم الباطلة ، فتكون الصفة مخصصة ، الا أن اطلاق الرب [3] على غير الله تعالى كان شائعا متعارفا فيما بينهم حتى ان السحرة لما قالوا : " آمنا برب العالمين " رفعوا [4] الاحتمال بقولهم : " رب موسى وهرون " . [5] "والتخصيص والتوضيح هو الأصل في الصفة ، ولهذا كان هذا الوجه [6] أوضح وأصح .

---

(١) الكشاف ١ / ٦٩ — (٢) خ : ههنا . وساقطة من ط

(٣) م ، ح : نوع الرب — (٤) م ، خ : دفعوا

(٥) الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة الشعراء .

(٦) وهو أن الخطاب متوجه الى المشركين خاصة ، والمراد بالرب اسم يشترك فيه رب السموات والأرض ، والآلهة التى كانوا يسمونها أربابا ، وقوله : " الذى خلقكم " صفة موضحة مميزة .

قوله : (أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا) [(١)] ، لم يعهد التأكيد اللفظي الا باعادة اللفظ الأول ، ومع ذلك فقد صرحوا بامتناعه قبل الصلة ، وان أريد التأكيد من جهة المعنى عاد المحذور أي امتناعه قبل الصلة ، واحتيج الى بيان وجه اجتماع الموصولين ، ألا ترى أنهم لم يذهبوا في مثل قول الشاعر :

فصيروا مثل كعصف مأكـــول [(٢)]

الى أن الكاف تأكيد بل مزيدة ، فالأولى أن يقال هنهنا : أن كلمة من مزيدة على ما هو مذهب الكسائي [(٣)] ، أو موصوفة أو موصولة واقعة خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة " الذين " أي الذين هم من قبلكم وأما مانقل عن المصنف من أن الموصول بدون الصلة غير مفيد فكيف يؤكد ؟ ثم جوابه بأنه يفيد الاشارة وان كان المشار اليه مبهما ولهذا صح عود الضمير اليه في مثل : الذي قام ، مع أن الضمير انما يرجع الى المفيد [(٤)] ، فقيل عليه : ان التأكيد اللفظي لما لم يستبعد في الحرف ففي الموصول أولى ، وأجيب بأن وجه الاشتبعاد هو أن الموصول لا يتم أجزاء الا بصلة وعائد ، فهو وحده بمنزلة جزء من الاسم كالزاي من زيد ، ولا كذلك الحرف فانه وان [(٥)] توقف في افادة المعنى على ذكر شيء ، فلا يصير معه بمنزلة كلمة واحدة .

---

(١) انظر البحر المحيط ١ / ٩٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٥ .

(٢) عجز بيت لحميد الأرقط وقيل لرؤبة بن العجاج ، وصدره :
ولعبت بهم طـــير أبابيـــل
وقيل ان قبله : ومسهم ماس أصحاب الفيل — ولعبت بهم طير ابابيل
ترميهم بحجارة من سجيل — فصيروا مثل كعصف مأكول .
أراد مثل عصف مأكول فزاد الكاف لتأكيد الشبه ، أنظر مفتاح العلوم ٥٢ ، ومشاهد الانصاف ٤ / ١٦٨ ، والبحر المحيط ١ / ٢٩٠ ، والخزانة ٤ / ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، والعيني ٢ / ٤٠٢ ، والسيرة لابن هشام ١ / ٥٥ ، وسر الصناعة ١ / ٢٩٦ وكتاب سيبويه ١ / ٢٠٣ ، والمقتضب ٤ / ١٤١ ، ٣٥٠ ، وارتشاف الضرب ٧٢٣ ، وشرح الأشموني ١ / ١٥٨ ، واللسان مادة (عصف) .

(٣) انظر اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢ / ٤١٩ ، وتسهيل الفوائد ٣٦ ، والكسائي هو أبو الحسن على بن حمزة ، امام الكوفيين في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين توفي سنة ١٩٢ هـ .
طبقات النحويين ١٣٨ ، بغية الوعاة ٢ / ١٦٢

(٤) حاشية السيد على الكشاف ٢٢٨ .

(٥) قوله : " وان " ناقص من الأصل .

قوله : (كما أقحم جرير) (1) ، الاقحام ادخال الشيء في شيء (2) بشدة وعنف ، يعني أن (تيم) الأول مضاف الى (عدى) المذكور ، و (تيم) الثاني مقحم بين المضاف والمضاف اليه (3) ، / كما أقحم اللام في (لا أبالك) بين المضاف والمضاف اليه ٧٨ب
تأكيدا للاضافة المقدرة •

فان قلت: كيف جاز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف ، وفي غير الضرورة ؟ وما وجه حذف التنوين من تيم الثاني ؟ قلت: لما تكرر المضاف بلفظه وحركته صار كأن الثاني هو الأول من غير فصل كما في قولك : ان أن زيدا قائم ، مع امتناع الفصل بين ان واسمه بغير الظرف ، والتأكيد اللفظي في الأغلب حكمه حكم الأول ، وحركته حركته ، اعرابية كانت أو بنائية ، لأنه كأنه باشره حرف النداء •

فان قيل : لو كان لا أبالك على الاضافة لكان معرفة فيجب الرفع والتكرير وتقديم الخبر ، قلنا : الغرض من هذا الفصل أن يصير المضاف كأنه ليس بمضاف فلا يستنكر ترك الرفع والتكرير (4) لكونه في صورة النكرة والخبر مقدر لكن على وجه العموم أي لا أبالك موجود ، وليس المعنى على نفي صفة وحال عن أبيه ، لأنهم قصدوا بهذا الاقحام أن يكون معنى لا أبالك ، ولا أب لك ، سواء وان كان الأب في الأول معرفة ، وفي الثاني نكرة كما يقال : لا كان أبوك موجودا ، ولا كان لك أب ، بتعريف المسند اليه في الجملة الأولى وتنكيره (5) في الثانية مع أن الفحوى واحد •

قوله : (ولعل للترجي) (6) ضبط هذا الكلام أن لعل موضوع لتوقع محبوب ـــو

---

(1) الكشاف ١ / ٦٩ (2) م ، خ : على شيء
(3) تعرض عمرو بن لجأ التيمي لهجو جرير فخاطب جرير قبيلته قائلا لهم :
ياتيم تيم عدى لا أبالكم ❊ لا يلقينكم في سوأة عمرو
وروى بدل لا يلقينكم : لا يوقعنكم ، ولا يقذفنكم ، انظر ديوان جرير ٢١٩ ، وتنزيل الآيات ٣٩٥ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٦٩ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٨٣ ، والخزانة ١ / ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٢ / ١١٦ ، ٤ / ٢٧٣ ، والعيني ٣ / ٤٥٦ والمفصل ٢٣ ، وسيبويه ١ / ٢٦ ، ٣١٤ ، وشرح الأشموني ٢ / ٤٥٤ ، والكامل للمبرد ٢ / ١٣٧ ، والخصائص ١ / ٣٤٥ ، والموشح ١٢٨ ، والأغاني ٧ / ٤٢ ، ٦٩ ، ونوادر أبي زيد ١٣٩ ، واللسان مادة (أبي) • وأنوار التنزيل ١ / ٤٥ •
(4) في الأصل : والتكسير •
(5) ط : وبتنكيره •
(6) الكشاف ١ / ٧٠ •

(الترجى) ،أو مكروه وهو (الاشفاق) ،والتوقع على الوجهين قد يكون من المتكلم ، وقد يكون من المخاطب ،وقد يكون من غيرهما كما تشهد به موارد الاستعمال ،وقد ورد لعل فى القرآن للاطماع أى للايقاع فى الطمع ،اما لأنه كلام الكريم الذى لا فرق بين اطماعه وجزمه بحصول (١) المطموع فيه ،أو لأنه كلام العظيم الذى يناسبه الاقتصار فى المواعيد المقطوع بانجازها على التكلم بكلمة لعل وعسى كما هو دأب الملوك والعظماء ،أو لأن فيه الايماء الى أنه لا ينبغى أن يتكل العباد فيتركوا الاجتهاد فى العبادة فقوله : (وأيضا فمن ديدن الملوك) عطف من حيث المعنى على قوله : (اطماع من كريم رحيم) ،وقوله : (أو يجيء على طريق) عطف على قوله : (وقد جاءت (٢)) ،والمقصود بالعطف بيان علة أخرى لمجيء لعل على سبيل الاطماع فيما هو متحقق الايقاع الا أنه أعاد المعلل لبعد ذكره •

والحاصل : ان لعل فى مثل هذه المواضع للاطماع مع التحقيق ،والتعبير عن التحقيق بطريق الاطماع اما ليدل على / أنه لا خلف فى اطماع الكرماء ،أو ليكون على ٧٩ أ دأب كلام العظماء ،أو لتنبيه العباد على أن لا يتكلوا ،وليس معنى العطف أن لعل اما أن يجيء للاطماع مع التحقيق ،أو للاطماع بدون التحقيق على ماوهم •

وبالجملة فلما كان مابعد لعل الاطماعية قطعى الحصول ،وما قبلها مما يناسب أن يعلل به ذلك الحصول بحيث يكون أعنى مابعدها بمنزلة الغرض لما قبلها ،زعم ابن الأنبارى وجماعة من أئمة العربية أن لعل قد تكون بمعنى كى (٣) ،حتى حملوا عليه كل صورة امتنع فيها الترجى سواء كانت اطماعا مثل : (لعلكم تفلحون (٤) " ، أولا مثل : " لعلكم تشكرون (٥) " و " لعلكم تتقون (٦) " ،ورده المصنف بأن جمهور أئمة اللغة اقتصروا فى بيان معناها الحقيقى على الترجى والاشفاق ،وبأن عدم علوحها

---

(١) م: لحصول
(٢) عبارة الكشاف ١ / ٧٠ : وقد جاء
(٣) اللسان مادة (علل) •
(٤) من الآيات ١٨٩ من سورة البقرة و١٣٠ ، ٢٠٠ من سورة آل عمران و٣٥ ، ٩٠ ، ١٠٠ المائدة ،و٦٩ الأعراف ،و٤٥ الانفال ،و٧٧ الحج ،و٣١ النور ، و١٠ الجمعة •
(٥) من الآيات ٥٢ ، ٥٦ ، ١٨٥ البقرة ،و١٢٣ آل عمران ،و٦ ، ٨٩ المائدة ،و٢٦ الأنفال ،و١٤ ، ٧٨ النحل ،و٣٦ الحج ،و٧٣ القصص ،و٤٦ الروم ،و ١٢ فاطر ،و١٢ الجاثية •
(٦) من الآيات ٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٣ البقرة ، ١٥٣ الأنعام ، ١٧١ الأعرف

لمجرد معنى الطلبية والغرضية مما وقع عليه الاتفاق ،ألا تراك تقول : دخلت على المريض كي أعوده ،وأخذت الماء كي أشربه ،ولا تصح لعل .

قوله : (ليست مما ذكرناه في شيء [1]) يعني ليست للاشفاق وهو ظاهر ، ولا للترجي : أما من جهة الخالق فلاستحالته ،وأما من جهة المخلوقين فلأنهم لم يكونوا حال الخلق عالمين بالتقوى حتى يرجوها ،ولا للاطماع لأنه انما يكون فيما يتوقعه المخاطب ويرغب فيه ،ولا يناله الا من جهة المتكلم ،والتقوى بالعكس ،ولكنها استعارة من معنى الترجي للحالة الشبيهة به لأن الله سبحانه [2] لما خلق العباد ،وخلق فيهم القدرة والداعي والعلم والاجتهاد في جانبي الخير والشر مع ارادته أن يختاروا جانب التقوى والخير ،كان حالهم كحال من يرجى منه التقوى في تردد أمرهم بحسب الاختيار بين التقوى وعدمها مع ارادة التقوى منهم ،فيكون حال خلقهم بتلك الصفة المخصوصة كحال من يرجى منه التقوى فاستعيرت لتلك الحالة التي حاصلها ارادة الخير والتقوى منهم مع تفويض الاختيار اليهم كلمة لعل الموضوعة لحقيقة الترجي استعارة تبعية ،فالمشبه المحذوف والمستعار له هي الحالة المخصوصة الشبيهة بالترجي ، لا العباد أنفسهم على مايتوهم من قوله : (فهم في صورة المرجو منهم) وكيف يتصور اسناد لعل للعباد ؟ .

وانما أورد المصنف بيان التشبيه في جانب المرجو منهم ،دون الراجي لأنه أقرب الى رعاية الأدب ،وأوضح في تقرير المقصود ،وأسهل لتصوير وجه الشبه من التردد والاختيار ونحو ذلك ،ولهذا صرح بالمقصود في قوله تعالى / : " ليبلوكم " الآية [3] ٧٩ ب
حيث قال : (شبه بالاختيار بناء أمرهم على الاختيار) [4] .

فان قيل : لم يجوز أن يكون لعل على أصل الترجي ،متعلقا باعبدوا ،أي أعبدوا راجين أن تصلوا الى أقصى غايات العبادة ،أو بخلقكم على معنى : خلقكم مقدرا رجاءكم التقوى ،فيكون التقدير من الله تعالى حال الخلق ، والرجاء من العباد ولو بعد حين كقوله تعالى : " وبشرناه باسحق نبيا [5] " أي مقدرا نبوته .

---

(١) الكشاف ١ / ٧٠ (٢) غ : لأن الله تعالى .
(٣) السابعة من سورة هود ،والثانية من سورة الملك.
(٤) الكشاف ١ / ٧٠ .
(٥) من الآية ١١٢ من سورة الصافات.

قلنا : أما الأول :ـ فلأنه لا وجه لتعليقه عن الأقرب بالأبعد ، وتوسيطه بين العصا ولحائها [1] ، فان " الذى جعل لكم الأرض فراشا " موصول بربكم صفة أو مدحا منصوبا أو مرفوعا ، فيكون بمنزلة أن تقول ، أعبد ربك الخالق راجيا منه التقوى الرازق بتوسيط الحال من فاعل اعبد بين وصفى المفعول ، على أن تقييد العبادة برجاء التقوى ليس له كثير معنى ، وانما المناسب تقييدها بالتقوى ، واقترانها برجاء ثواب التقوى ، وفيه من البعد مالا يخفى .

وأما الثانى :ـ فلأن المقدر والمنوى حال الخلق هو التقوى لا رجاؤها ، ألا ترى الى قوله تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " [2] ؟ ولو سلم فكلاهما مجاز [3] ، والاستعارة أكثر وأفصح ، فلا يكون العدول عنها سيما مع تكلف وتعسف سديدا . وان كان له وجه جواز .

قوله : (مامعناها ؟ [4]) أى من المعانى السابقة (وموقعها) يعنى انها فى موقع [5] الحقيقة أو المجاز أو الاستعارة ، و (تعبدته) أخذته عبدا تمثيل للأوامر والنواهى ، و (النجدين) طريقى الخير والشر ، (وأراد منهم الخير) اعتزال ، و (الترجح) التردد والتمثيل من الرجحان وقد يصحف بجيمين .

قوله : (فلم قصره عليهم) ؟ ، حيث قال : لعلكم ، ولم يقل : لعلكم واياهم ، و (التجاوب) التناسب كأن كلا منهما يجيب الآخر يعنى أن المناسب أن يقول : اعبدوا الذى خلقكم للعبادة ، واتقوا الذى خلقكم للاتقاء ، ليتلاءم أول الكلام وآخره لفظا ومعنى ، لا ليكون تعليلا للعبادة أو التقوى بنفسها فيفيد أنها مطلوبة لذاتها على ماوهم .

قوله : (خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة [6]) ، فان قيل : هذا اعتراف بأن لعل للتعليل وبمعنى كى ، وكذا قوله بعد ذلك : خلقكم لكى تتقوا [7] ، قلنا :

---

(١) فى مجمع الأمثال ١ / ٩٧ : " بين العصا ولحائها " و " لا مدخل بين العصا ولحائها " و " لا تدخل بين العصا ولحائها " وكله اشارة الى غاية القرب بين المتحابين .

(٢) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٣) مرسل بعلاقة الاطلاق والتقييد .

(٤) الكشاف ١ / ٧٠ .

(٥) م ، ط : فى موضع

(٦) الكشاف ١ / ٧٠ .

(٧) الكشاف ١ / ٧٢ عند تفسير قوله تعالى : " فلا تجعلوا لله أندادا " ، من الآية ٢٢ من سورة البقرة .

بل هو أخذ بالحاصل بعد تقرير الاستعارة وجعل لعل لما يشبه الترجي ،لأن خلقهم مع ارادة التقوى فى معنى خلقهم لأجل التقوى ،وكذا فى / كل مايرد فى هذا الكتاب من تفسير لعل بمعنى كى أو الارادة فليتنبه لذلك . ١٨٠أ

فان قيل : عند أصحابنا لا يصح تفسيرها بمعنى الارادة لاستلزامها وقوع المراد ، ولا بالتعليل عند من ينفى تعليل فعل الله تعالى [1] بالغرض ،فما يصنعون بلعل الواقعة فى كلام الله تعالى عند امتناع حملها على ترجي العباد ؟ قلنا : يجعلونها للطلب وهو لا يستلزم وقوع المطلوب على ماتقرر فى الكلام من أن الطلب غير الارادة ، على أن منع التعليل بالغرض العائد الى العباد بعيد جدا لمخالفته كثيرا من النصوص .

قوله : (ونحوه أن تقول لعبدك) ،وجه التمثيل : أن جر الأثقال أصعب من حمل خريطة الكتب كما أن التقوى أصعب من نفس العبادة ،والأخذ للأشق الأصعب أبعث على فعل الأسهل ،وأعون على تحصيله من الأخذ لنفس ذلك الشيء فانه ربما يشق عليه ،بخلاف ما اذا أخذه للأصعب فالصعب يسهل عند حمل الأصعب .

قوله : (أحياء قادرين) [2] لأن المخلوق للاتقاء لا يكون الا حيا قادرا ،ومعنى كون خلقهم كذلك (سابقة أصول النعم) : أن شيئا من الأشياء لا يكون نعمة فى حقهم الا بعد ذلك ،ووجه حصر (السببية) فيه أن التمكن من الفعل لا يكون الا به وان كان للفعل أسباب أخر وشروط .

وقوله : (ثم ماسواه) أى سواه منصوب عطفا على (خلق السماء) لكنه من قبيل : علفتها تبنا وماء باردا ،أى ثم ذكر ماسواه لا أتد (منها) أى من المظلة وهى السماء (عليها) أى على المقلة وهى الأرض ،و(تعرفته) أى تطلبته حتى عرفته ، (بـلازم الشكر) أى بالشكر اللازم .

قوله : (رفعا على الابتداء) يعنى أنه خبر مبتدأ محذوف على ما هو شأن الرفع على المدح ،وقد سبق تحقيقه فى " الذين يؤمنون بالغيب " [3] .

---

(١) قوله " تعالى " ناقص من خ .

(٢) الكشاف ١ / ٧١ فى تفسير قوله تعالى : " الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء .. " الآية ٢٢ من سورة البقرة .

(٣) بالورقة ٣٦ أ من هذه الحاشية .

قوله: (بيتا كان) هو من الطين واللبن والشعر وغير ذلك ، و(القبة) مثل الخيمة ، و(الخباء) من الصوف والوبر ، و(الطراف) من الأديم .

قوله: (مامعنى اخراج الثمرات بالماء؟) يعنى أن الشائع استعمال الباء السببية فيما يرجع الى الفاعل ، ومن فيما يرجع الى المادة ، فأجاب بأن مصب الفرض ههنا هو[1] حال الماء لأن الكلام فيه ، فالمعنى على افادة جعله سببا فى الأرزاق والثمرات ، لا على افادة أن فعل الثمرات كان بسببه .

قوله: (مدرجا) حال من فاعل (انشاء الأشياء) ، و(حكما) اسم (لكن) ، و (عبرا) مفعول (يجدد) .

قوله: (ومن فى من الثمرات للتبعيض) ، أما أولا : فلموافقة / الآيات الواردة فى هذا المعنى كقوله تعالى : " فأخرجنا به من كل الثمرات[2] " اذ لا وجه للبيان لأنه لا ذكر[3] لشئ مبهم يحتاج الى البيان ، ولأن المخرج بسحاب ثقال مسوق الى بلد ميت ليس كل الثمرات بل بعضها ، ولا خفاء فى أنه اذا كان المخرج بسحاب ثقال بعض الثمرات فبمجرد الماء المنزل الذى لا يكون الا من سحاب مسوق الى بلد ميت بطريق الأولى ، وكقوله تعالى : " فأخرجنا به ثمرات[4] " فان التنكير سيما فى جمع القلة يفيد البعضية على ماهو الظاهر . ٨٠ ب

وأما ثانيا : — فلدلالة السياق والسباق أعنى " ماء ورزقا " فان المخرج ببعض الماء لأجل بعض الرزق لا يكون الا بعض الثمرات .

وأما ثالثا : فلمطابقة المعنى فى الواقع فان المنزل من السماء بعض الماء لا كله ، والمخرج بماء السماء بعض الثمرات لا كلها ، والمحصول[5] من الثمرات بعض الأرزاق لا كلها ، اذ رب ماء فى السماء لم ينزل بعد ، ورب ثمرة لم تخرج ، ورب رزق ليس من الثمر . ولا يخفى أن هذا التقرير لا ينافى ماذكر فى سورة الزمر أن جميع مياه الأرض من السماء[6] ، واذا كان من للتبعيض كان " من الثمرات " مفعولا به أى بعض الثمرات

---

(١) م : ماهو
(٢) الآية ٥٧ من سورة الأعراف
(٣) م ، خ : اذ لا ذكر
(٤) من الآية ٢٧ من سورة فاطر .
(٥) خ : والمجموع .
(٦) الكشاف ٤ / ٩٤ عند تفسير قوله تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض .. " الآية ٢١ سورة الزمر .

وحقيقته : شيئا من الثمرات لأن من حرف لا اسم ، وكان " رزقا " مستعملا فى معناه المصدرى واقعا موقع المفعول له ، و" لكم " مفعول " رزقا " أى أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم ؟

ويحتمل أن تكون " من " للبيان ، والأمر المبهم المحتاج الى البيان هو رزقا على أنه بمعنى المرزوق مفعولا به " لأخرج " و " لكم " صفة له ، و" من الثمرات" حال منه أى أخرج مرزوقا لكم من الثمرات ، وحينئذ لا يكون الثمرات محمولا على الاستغراق بل المراد : الجم الكثير منها على ما أشار اليه فى السؤال من أنه لم أوثر (الثمرات) جمع قلة على (الثمر والثمار) ؟

وأجاب بأن الثمرات جمع الثمرة التى فى معنى الكثرة لا الواحدة ، أو هى واقعة موقع جمع الكثرة كما فى قوله تعالى : " كم تركوا من جنات(١) " لأن كم للتكثير كما يقع جمع الكثرة موقع جمع القلة مثل : " ثلاثة قروء "(٢) ، فان مميز الثلاثة لا يكون الا جمع قلة ، هذا والحق أن جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا لم يعرف باللام ، (وكلمة الحويدرة) قصيدته المعروفة التى مطلعها :

بكرت سمية غدوة فتمتع * وغدت غدو مفارق لم يربع(٣)

وكل قصيدة فهى كلمات متلاحقة ، ومعنى تمتع : اجزع غاية الجزع فلا تمتع بعد ذلك فهو تهكم ، ومعنى لم يربع : لم يمكث ولم يقف/ واسم الشاعر : الحادرة ، فيصغرونها [١٨١أ] تعظيما ومدحا .

قوله : (بم تعلق فلا تجعلوا ؟(٤)) أى بأى شىء يرتبط من مضمون ما سبق ؟ وعلى أى معنى يترتب ؟ وفى الجواب وجوه :

الأول : أن يتعلق " باعبدوا " على معنى اذا كنتم مأمورين بعبادة ربكم ، وهو يستحق منكم العبادة فلا تشركوا(٥) لتكون عبادتكم على أصل وأساس ، فان أصل

---

(١) من الآية ٢٥ من سورة الدخان . (٢) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٣) والحويدرة — ويقال له أيضا الحادرة — هو قطبه بن أوس ابن محصن ، شاعر جاهلى مقل والبيت فى ديوانه ص٥ برواية " لم يرجع " بدل " لم يربع " ، وروى أيضا " بكرة " بدل " غدوة " ، انظر الأغانى ٣ / ٧٩ ، والمفضليات ١ / ٤١ ، والخزانة ٣ / ٤٣٧ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٢٧٥ .

(٤) الكشاف ١ / ٧٢ .

(٥) م ، خ : فلا تشركوا به .

العبادة وأساسها هو التوحيد ، وهذا أولى من جعله عطفا على الأمر ، لأن الأنسب حينئذ هو الواو كما في قوله تعالى : " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "[١] ، وأما جعله نفيا منصوبا باضمار ان كما في : زرني فأكرمك ، فلا يشعر به كلام المصنف بل يأباه لأن تقرير أصالة التوحيد للعبادة يأبى كون العبادة سببا له على ماهو شرط انتصاب المضارع بعد الأشياء الستة .

الثاني : أن يتعلق " بلعل " فينتصب باضمار ان على تشبيه لعل بليت ، والمعنى: خلقكم في صورة من يرجى منه التقوى أي الخوف من العقاب ليكون ذلك سببا لعدم اشراككم ، فقوله : (لكي تتقوا) أخذ بحاصل ماسبق من استعارة لعل ، و (تخافوا) عطف تفسيري .

الثالث : أن يتعلق " بالذي جعل " اذا كان خبر مبتدأ محذوف على أن يكون نهيا مرتبا على مضمون الجملة ، أي هو الذي نصب لكم أدلة التوحيد فلا تشركوا ، ولا يستقيم على تقدير كونه نصبا بتقدير أعني ، اذ ليس لقولنا : اذا كنت أعني أو أخص الذي جعل فلا تشركوا ، معنى يعتد[٢] به ، ولا على تقدير كونه وصفا وهو ظاهر .

ومنهم من يأبى هذا على تقدير الرفع على المدح أيضا لأنه في معنى النصب ومساو له في كونه تتمة " اعبدوا " ، بل المراد أنه متعلق به اذا جعل خبر مبتدأ لا على طريق الرفع على المدح ، وفيه نظر ثم لا يخفى على من له أدنى نظر في الكتاب أن ليس المراد بتعلقه " بالذي خلقكم " على تقدير كونه رفعا بالابتداء أن " الذي جعل " مبتدأ خبره " فلا تجعلوا " على تأويل مقول فيه ، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ، نعم لو جعل هذا وجها رابعا لكان شيئا ، لكنه ركيك جدا .

قوله : (أتيما تجعلون ؟[٣]) جعل ههنا من دواخل المبتدأ والخبر ، والمعنى : اتجعلون تيما ندا لي وهو لا يصلح ندا لمن هو دوني؟ فقوله ، (لي) حال من (ندا) بمعنى مضموما الي ومنتسبا ، (والنديد) الند[٤] .

---

(١) من الآية ٣٦ من سورة النساء .　　(٢) خ : معتد به .
(٣) الكشاف ١ / ٧٢ .
(٤) انظر ديوان جرير ١٢٩ وعبارته " وهل تيم " بدل " وماتيم " ، ومشاهد الانصاف ١ / ٧٢ ، وتنزيل الآيات ٣٦٦ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٧ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٦٢ ، والخزانة ١ / ٤٤٨ .

قوله : (أشبهت حالهم) يشير الى أنها استعارة تمثيلية تهكمية [1] ، (بأن جعلوا) أى بالاشعار بأنهم جعلوا والدلالة على ذلك ، و(قط) [2] استعمله في المستقبل تجوزا وتسامحا [3] .

81 ب وفى الصحاح : " دانه : أذله واستعبده ، وفى الحديث/ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) [4] ، ودانه : جازاه ، ودانه : ملكه ، ودان له : أطاعه [5] " . وفى الأساس: " دانوه : انقادوا له ، وقد دين الملك ، وملك مدين [6] " ، وهذا هو المناسب فى البيت [7] ، و(تقسمهم) الدعر فتقسموا : فرقهم فتفرقوا ، فلان (لا يصطلى بناره) كناية عن علو رتبته أى لا تنال ناره ليصطلى بها .

قوله : (لما احتج [8]) جوابه (عطف) ، و(تعليم الطرين) الارشاد الى النظر فى الأنفس بقوله : " خلقكم " وفى الآفاق بذكر خلق السماء [9] والأرض وما بينهما ، (وعرفهم أن من أشرك) اشارة الى قوله : " وأنتم تعلمون " ، (وكابر عقله) طاوله بالكبر وغالبه ، (وغطى) على الشيء : ستره والأصل غطاء ، وضمير (عليه لمن أشرك) والعائد الى ما الموصولة محذوف أى أنعم به ، (بارشادهم) متعلق (بأراعم) (حرزه) قدره [10] ، و(ذاقه) جربه ، وضمير (جنسه وجلدته) لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد سلك فى تقرير اثبات النبوة طريق اثبات الوجدانية .

قوله : (وهو من محازه) جمع محز من قولهم : أصاب المحز ، أى هذا المقام .

---

(١) وليست تهكمية اصطلاحية على حد قول السيد الشريف ، اذ ليس فيها استعارة أحد الضدين للآخر ، بل أحد المتشابهين لصاحبه ، لكن المقصود منها التهكم بهم بتنزيلهم منزلة من أشبهت حالهم حاله .
حاشية السيد على الكشاف ٢٣٧ .

(٢) ط : وقد ، وهو تحريف . (٣) لأنه لنفي الماضي وضعا .

(٤) سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٢٣ ، والمستدرك للحاكم ١ / ٥٧ ، ٤ / ٢٥١ .

(٥) الصحاح مادة (دين) (٦) أساس البلاغة مادة (دين)

(٧) وقائل البيت زيد بن عمرو بن نفيل كما فى الكشاف ، وقيل : عمرو بن زيد بن نفيل انظر مشاهد الانصاف ١ / ٧٢ ، وتنزيل الآيات ٣٩٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ٤٧ ، والبحر المحيط ١ / ٩٩ ، والسيرة لابن هشام ١ / ٢٢٦ ، والأغاني ٣ / ١٦ .

(٨) الكشاف ١ / ٧٣ فى تفسير قوله تعالى : " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا .. " الآية ٢٣ من سورة البقرة .

(٩) خ : السموات . (١٠) قوله " قدره " ناقص من الأصل .

من المواقع المناسبة لاعتبار النزول التدريجي ، واستعمال لفظ التنزيل لأن ذلك كان أحد أسباب طعنهم وارتيابهم في القرآن " وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (١) " فقيل لهم : " ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا " على سبيل التدريج منجما مفصلا الى السور والآيات ، فأتوا أنتم بسورة من سوره ، ونجم من نجومه ، فانه أسهل من أن ينزل القرآن جملة يتحدى بها .

قوله : (من عند الله) خبر (كان) ، و (مخالفا) خبر آخر ، و (هكذا) حال ، و (نجوما) بدل منه ، و (سورة بعد سورة) بيان له ، (على حسب النوازل) بالفتح أي قدرها ، و (كفاء الحوادث) أي مساويها ونظيرها ، وفي الأساس " لا كفاء له مصدر بمعنى المكافأة ، وهو كفاؤه بمعنى المكافيء (٢) " ، وفي الصحاح : " كل شيء ساوى شيئا حتى يكون مثاله (٣) فهو مكافيء له " ، (مفرقا) حال من (مايوجد) ، و (شيئا فشيئا) عطف عليه بمعنى مدرجا ، (حسب مايعن) أي بقدر مايظهر وعلى وفقه ، وهو بفتح السين قال الجوهري عن أبي عمرو (٤) " وربما تسكن في ضرورة الشعر " ، وهكذا وقع في النسخ ، وفي كل موضع لا يكون فيه مع حرف الجر ، وأما حسبك بمعنى كفاك فشيء آخر ، وقوله : (لا يلقى الناظم) جملة مقررة لقوله : (على سنن ماترى) ، وفي الصحاح : (المهل) بالتحريك التؤدة (٥) ، (وهات) الشيء : أعطنيه ، و (هلم) زيدا أي قربه وأحضره .

قوله : (والسورة الطائفة من القرآن) يريد تفسير سورة القرآن والا فالسورة أعم بدليل ماسبق أن من سور الانجيل سورة الأمثال (٦) / وما سيجيء أن سائر ما أوحى ١٨٢ أ الله تعالى الى أنبيائه مسورة مترجمة السور (٧) ، ومعنى (المترجمة) المسماة باسم كسور الفاتحة وسورة البقرة وبه يقع الاحتراز عن عدة آيات من سورة كالعشر والحزب ، ولا يرد مثل آية الكرسي لأنه مجرد اضافة لا تسمية ولا تلقيب ، وقوله : (التي أقلها ثلاث آيات) تنبيه على أن أقل ماتتألف منه السورة ثلاث آيات لا قيد في التعريف

---

(١) من الآية ٣٢ من سورة الفرقان . (٢) أساس البلاغة مادة (كفأ) بتصرف .
(٣) عبارة الصحاح مادة (كفأ) : حتى يكون مثله .
(٤) بل عن الكسائي وكنيته أبو الحسن ففي الصحاح مادة (حسب) : " قال الكسائي : ماأدري ماحسب حديثك أي ماقدره ، وربما سكن في ضرورة الشعر " وانظر بغية الوعاة ٢/١٦٢ . (٥) الصحاح مادة (مهل) .
(٦) وذلك عند تفسير قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا " الآية ١٧ من سورة البقرة . انظر الكشاف ١/٥٥ . (٧) الكشاف ١/٧٤

اذ لا يصدق على شيء من السور أنها طائفة مترجمة أقلها ثلاث آيات ، وفيه تأمل .

قوله : (لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة [1] على حيالها) ، أي على انفرادها (كالبلد المسور) قيل عليه : أنها حينئذ لا تكون [2] تسمية [بسور المدينة) بمعنى حائطها ، وأجيب : بأن المراد أن السورة بمعنى الحائط جعلت بمعنى ذى السورة وهو المحدود كما يراد بالحائط : المحوط ، ثم نقلت الى الطائفة المخصوصة المحدودة .

وأما مايقال : أن ذلك باعتبار اشتمال السورة على أجزائها من الآيات والجمل اشتمال سورة البلد على المحلات والبيوت [3] فليس تقرير الكتاب حيث اعتبر فيهما المحاطية دون المحيطية ، بل هو الوجه الثانى [4] لا يفارقه الا بأن استبدل الفنون من الحلم والفوائد بالجمل والآيات .

قوله : (ولرهط حراب وقد سورة) هما بالراء والدال المهملتين : رجلان من بنى أسد ، [5] قال في الأساس : " هذه أرض لا يطير غرابها أى كثيرة الثمار مخصبة " ثم أنشد البيت وقال : " أى هو مجد ثابت لا يزول [6] " ، وقد يقال : هو كناية عن

---

(١) الحوز : الجمع .

(٢) من قوله " قوله لما احتج جوابه عطف " في الورقة ٨١ ب الى قوله هنا : " حينئذ لاتكون " مكرر فى م .

(٣) فى الأصل : المحلات والسور ، وهو خطأ .

(٤) وهو أن تسميتها بالسورة لأنها محتوية على فنون من الحلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على مافيها .

(٥) وروى بالزاى والذال المعجمتين ، ورهط الرجل ، قومه وقبيلته ، وروى " ولآل حراب " و " ليس غرابهم بمطار " أنظر ديوان النابغة الذبيانى ٣٣ ، وتنزيل الآيات ٩٥ ، ٣ ومجمع الأمثال ١/٣٥١ ، ٢/٣١٦ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢/٣٩٩ وأنوار التنزيل ١/٤٨ ، والخزانة ٢/١٤٢ ، ٣/٦٨ والعينى ١/٤٠٦ ، وأساس البلاغة مادة (غرب) ، والصحاح مادتى (تدد وطير ، واللسان مواد (قدد وطير وسور) .

(٦) فقوله لا يطير غرابها استعارة تمثيلية لدوام العز لهم وثباته لأن أصله اذ كثر الشجر والنبات فى مكان يقيم فيه الغراب ولا يطيره شيء لخصب الخصب ، وقيل : شبهت السورة بمكان الخصب على طريق المكنية ، واثبات الغراب والاطارة تخييل ، وقيل : أصله أن الغراب يقع على رأس البعير يلتقط منها الهوام فلا يحرك رأسه لئلا ينفر =

العلو بمعنى أن الغراب لا يصل اليها حتى يطار ، أو أن الاشارة لا تصل الى غرابها حتى يطار مع أنه يطير بأدنى ريبة .

قوله : (بيانا واحدا) أى ضربا واحدا ، والظاهر أن ضمير (كان ومنه) (للقارئ) أى كان القارئ على تقدير الختم ثم الأخذ أشد تنشيطا لنفسه منه على تقدير الاستمرار على تمام الكتاب من غير ختم لشئ ثم أخذ فى شئ ، أو أشد نشاطا للآخر أو الأخذ فيه لكن فى عطف (أهز لعطفه وأبعث على الدرس) بعض نبوة عن ذلك ، وقيل : الضمير ان للختم أو القراءة بتأويل أن يقرأ .

(والبريد) فى الأصل : البغل الذى كان يرتب فى السكة معرب بريده دم على التخفيف لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب ، سميت به المسافة التى بين السكتين وهى فرسخان ، والسكة الموضع / الذى يسكنه الفيج المرتبون ، كذا فى ٢٩ب الفائق[1] . (نفس ذلك منه) أى فرج عنه بعض الكربة ، فى الأساس : " حذق القرآن : أتم قراءته وقطعها من حذق السكين الشئ قطعه "[2] ، و(جد فينا)[3] : عظم فى أعيننا .

قوله : (سبب تلاحق الأشكال) بأن يورد فى كل ماهى متناسبة[4] فتكون المعانى متناسبة ، وأطراف النظم متجاوبة .

قوله : (ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد) قد اشتهر ههنا سؤال تخصيص وهو أنه لم لا يجوز على هذا التقدير أيضا أن يكون الضمير لما نزلنا كما جاز على تقدير كون " من مثله " صفة " سورة " ؟

والجواب : أن هذا أمر تعجيز باعتبار المأتى به ، والذوق شاهد بأن تعلق

= الغراب فشبه مرتبتهم برأس البعير على طريق المكنية ، وقيل هو كناية عن الثبات وخص الغراب لشدة حذره ، وقيل : الوجه أن يراد أنه لا ترام هذه المرتبة لكونها منيعة .
انظر أساس البلاغة مادة (غرب) ، ومشاهد الانصاف ١ / ٧٣ وتحفة الاشراف ١ / ٧٠ ، وفتوح الغيب ١ / ٩٢ .

(١) الفائق ١ / ٤٢ .
(٢) أساس البلاغة مادة (حذق) .
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ١٢٠ .
(٤) غ : متناسقة

" من مثله " بالاتيان يقتضى وجود المثل ورجوع التعجيز (١) الى أن يؤتى منه بشىء ومثل النبى صلى الله عليه وسلم فى البشرية والعربية موجود ، بخلاف مثل القرآن فى البلاغة والفصاحة ، وأما اذا كان صفة للسورة فالمعجوز عنه هو الاتيان بالسورة الموصوفة ، ولا يقتضى وجود المثل ، بل ربما يقتضى انتفاءه حيث تعلق به أمر التعجيز ، وحاصله : أن قولنا : ائت من مثل الحماسة ببيت ، يقتضى وجود المثل ، بخلاف قولنا : ائت ببيت من مثل الحماسة ، وقد يجاب بوجوه أخر :

الأول : أنه اذا تعلق بفأتوا فمن للابتداء قطعا ، اذ لا مبهم يبين ، ولا سبيل الى البعضية لأنه لا معنى لاتيان البعض ، ولا مجال لتقدير الباء مع من ، كيف وقد ذكر المأتى به صريحا وهو السورة ؟ واذا كان (٢) من للابتداء تعين كون الضمير للعبد لأنه المبدأ للاتيان لا مثل القرآن .

وفيه نظر لأن المبدأ الذى تقتضيه من الابتدائية ليس هو الفاعل حتى ينحصر مبدأ الاتيان بالكلام فى المتكلم ، على أنك اذا تأملت فالمتكلم ليس مبدأ للاتيان بالكلام منه ، بل الكلام نفسه ، بل معناه ، أن يتصل به الأمر الذى اعتبر له امتداد حقيقة أو توهما كالبصرة للخروج ، والقرآن للاتيان بسورة منه ، وبهذا يندفع مايقال : أن المعتبر من المبدأ هو الفاعلى أو المادى أو الغائى أو جهة يتلبس بها ، ولا يصح شىء من ذلك فيما نحن فيه ، على أن كون مثل القرآن مبدأ ماديا للاتيان بالسورة ليس أبعد من كون مثل العبد مبدأ فاعليا له .

الثانى — انه اذا كان الضمير لما نزلنا ، ومن صلة فأتوا ، كان المعنى : فأتوا من منزل مثله بسورة [فكان مماثلة ذلك المنزل لهذا المنزل هو المطلوب ، لا مماثلة/ ١٨٣أ
سورة واحدة منه بسورة] (٣) من هذا وظاهر أن المقصود خلافه كما نطقت به الآى الأخر ، وفيه نظر ، لأن اضافة المثل الى المنزل لا يقتضى أن يعتبر موصوفه منزلا ، ألا ترى أنه اذا جعل صفة سورة لم يكن المعنى : بسورة من منزل مثل القرآن ؟ بل من كلام ، وكيف يتوهم ذلك ، والمقصود تعجيزهم عن أن يأتوا من عند أنفسهم بكلام مثل القرآن ؟ ولو سلم فما ادعاه من لزوم خلاف المقصود غير بين ولا مبين .

---

(١) فى الأصل : العجز .
(٢) م ، خ : كانت .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من خ .

الثالث ـ أنها اذا كانت صلة فأتوا ، كان المعنى : فأتوا من عند المثل ، كما يقال : ائتوا من زيد بكتاب ، أى من عنده ، ولا يصح ائتوا من عند مثل القرآن ، بخلاف مثل العبد ، وهذا أيضا بين الفساد .

قوله : (ولا قصد الى مثل [1]) أى ليس القصد الى أن هناك مثلا محققا يطالب الاتيان بسورة منه ، كما اذا قيل : ائتوا بمسألة من مثل أبي حنيفة رحمه الله [2] ، ويراد : أبو يوسف ، بل المراد بالمثل : ما هو على صفة القرآن في كمال البلاغة ، أو من هو مثل محمد صلى الله عليه وسلم في كونه عربيا أميا ، وهو وان كان محققا لكن ليس القصد هذا ، والتشبيه بقول القبعثرى في مجرد هذا المعنى لا في كون لفظ المثل مقحما وكناية .

و (الأدهم) القيد فحمله القبعثرى على الفرس الأدهم ، وهو الذى في لونه دهمة أى سواد ، وعطف عليه (الأشهب) أى الذى خالطه بياض ، فأبرز وعيده في معرض الوعد ، وروى أنه قال : انه لحديد ، فقال : لأن يكون حديدا خير [3] من أن يكون بليدا ، فحمل الحديد أيضا على غير ما أراد الحجاج .

قوله : (بسلامة الترتيب) [4] أى ربط أطراف النظام بعضها بالبعض ، وجعل كل في موقعه ، ورد آخره الى أوله ، وههنا انما يحسن ترتيب الجزاء على الشرط اذا كان الضمير للمنزل الذى فرض الارتياب فيه قصدا ، وانما استقام جعله للعبد لأنه أيضا مذكور في الشرط وان كان ضمنا ، وأما كون السورة مثلا على هذا التقدير فانما يعلم من سوق الكلام على ما أشار اليه بقوله : (بنحو ما أتى به هذا الواحد [5]) .

قوله : (ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله تعالى : وادعوا شهداءكم) ، أما اذا أريد دعوة الشهداء للاستظهار بهم في المعارضة حقيقة أو تهكما ، فظاهر أن هذا انما يلائم أمرهم بالاتيان بمثل القرآن لا الاتيان بسورة من بشر واحد عربي أمى لأن الاتيان بالسورة بمعاونة الشهداء لا يكون اتيانا بما / طلب [6] منهم [7] ، وأما ٨٣ ب

---

(١) الكشاف ١ / ٧٤ .
(٢) قوله " رحمه الله " ناقص من الأصل .
(٣) خ : خير لي .
(٤) الكشاف ١ / ٧٤
(٥) الكشاف ١ / ٧٥
(٦) م ، خ : يطلب .
(٧) ويقول السيد الشريف في حاشيته على الكشاف ٢٤٣ : أى لأنه لا معنى للاستمداد بطائفة فيما هو فعل واحد ، كيف ولو استعين بالشهداء في ذلك لم يكن المأتي به ما كان مطلوبا منهم .

اذا أريد دعوتهم ليشهدوا لهم بصحة ماادعوا من المعارضة فلأن اضافة الشهداء اليهم انما تكمل ملاءمته لاتيانهم بالمثل لا الاتيان بالواحد ، فانهم حينئذ يكونون شهداء له لا لهم بالتحقيق فلا تقع الاضافة على ماينبغي موقعها وان كان لها وجه صحة .

قوله : (ومعنى دون) قد ذكر في جميع ماأخذ منه معنى الدنو من جهة التناسب في المعنى والحروف ، وان لم يراع الترتيب حيث كان أحدهما معتل العين ، والآخر معتل اللام سوى الدنيء فانه مهموز من الدناءة ، ثم ليس احدهما قلبا للآخر لاستوائهما في التصرف ، وقوله : (واستعير) عطف على قوله : (ومعنى دون أدنى مكان) ، لا على قوله : (فاختصر) ، وقوله : (واتسع) عطف على قوله : (واستعير) يعني [١] استعمل لكل تجاوز من غير اعتبار التقارب والانحطاط [٢] .

قوله : (يانفس) [٣] تمامه :

ولا للسع بنات الدهر من راق [٤]

هي النوائب ، وقوله [٥] : (تريك القذى) تمامه :

اذا ذاقها من ذاقها يتمطق [٦]

---

(١) خ : بمعنى .

(٢) يقول الطيبي في فتوح الغيب ١/ ٩٣ : " استعير (دون) في معنى المرتبة مطلقا بأن شبهت المراتب المعنوية بالمكانية فاستعير لها ماكان مستعملا هناك ثم اتسع فيها فجعل مثلا لكلا تجاوز حد من غير نظر الى الاستعارة " .

(٣) الكشاف ١/ ٧٥ .

(٤) وفي ديوان أمية بن أبي الصلت ٢١ تمامه :

وما على حدثان الدهر من باقي

وعلى الرواية الأولى استعار البنات للحوادث بجامع ملازمة كل لمنشئه على طريق التصريحية ، ثم شبه الحوادث بالأفاعي بجامع الايذاء على طريق المكنية ولسعها تخييل ، وذكر الراقي ترشيح فهو انيب اللسع ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ٧٥ ، وتنزيل الآيات ٤٦١ ، وأنوار التنزيل ١/ ٤٩ .

(٥) في الأصل : وقولك .

(٦) وروى البيت :

تريك القذى من دونها وهي فوقه * تراه اذا ماذاقها يتمطق

انظر ديوان الأعشى ١١٨ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٧٥ ، وتنزيل الآيات ٤٦٢ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٨٥ ، وأنوار التنزيل ١/ ٤٩ ، وديوان المعاني ١/ ٣٠٥ ، والخزانة ١/ ٥٥٢ ، واللسان مادتي (مطق ودون) .

يصف الزجاجة ،وضمير ذاقها يرجع الى الزجاجة باعتبار مافيها ،وفى الأســـاس : " ذاقه فتمطق له اذا ضم شفتيه ،وألصق لسانه بنطع فيه مع صوت "(١) .

قوله : (ومن دون الله متعلق بادعوا أو بشهدائكم) ،قد سبق أن الشهيد (٢) اما بمعنى القائم بالشهادة أو بمعنى الحاضر ،وأن دون تستعمل فى كل تجاوز حد الى حد ،وحاصله : أن تكون أداة استثناء بمعنى غير ،وفى معنى أدنى مكان من شيء ،ويناسبه أن يستعار بمعنى قدام الشيء وبين يديه فذكر فى تفسير الآية ستة أوجه تنبنى ثلاثة منها على تعلق " من دون الله " بشهدائكم ،وثلاثة على تعلقـــه بادعوا :

أما الثلاثة الأول : فالأولان منها — ادعوا للاستظهار فى معارضة القـــرآن أصنامكم الذين تزعمون أنهم يشهدون يوم القيامة لا الله ،أو بين يدى الله أنكم على الحق ،وثالثها — ادعوا شهداءكم أى أشرافكم ورؤساءكم ليشهدوا أنكم أتيتم بمثل القرآن متجاوزين أولياء الله المؤمنين فانهم(٣) لا شهادة لهم فى ذلك يعنى أن أشرافكم أيضا لا يشهدون بذلك لظهور بطلانه .

وأما الثلاثة الأخيرة : فأحدها — تجاوزوا المؤمنين وادعوا رؤساءكم ليشهدوا أنكم أتيتم بمثله ،يعنى أنهم أيضا لا يشهدون بذلك ،وثانيها — ادعوا شهداءكم من الناس فصححوا دعواكم ولا تقتصروا على قولكم : الله يشهد أن ماندعيه حق ،كما
٨٤ أ هو شأن العاجز عن البينة ،وثالثها — ادعوا للاستظهار فى معارضة القرآن / كل من يحضركم سوى الله ،يعنى لا تدعوا الله تعالى فانه القادر وحده على الاتيـــان بمثل القرآن .

فالأمر على الأولين للتهكم ،وعلى الثالث والرابع للاستدراج ،وعلى الأخيريـــن للتبكيت والتعجيز ،والظرف على الثانى : لغو معمول لشهدائكم لأنه مما يلائمه رائحة الفعل فلا يشترط الاعتماد أو بمحذوف أى ليشهدوا ،وعلى البواقى : مستقر فى موقع الحال .

ثم ههنا أبحاث :

---

(١) أساس البلاغة مادة (مطق) ، وتنطع فى كلامه اذا تفصح فيه وتعمق .
(٢) م : الشهداء .   (٣) م : فانه

منها : أنه (١) اذا تعلق من دون الله بشهداءكم لم يجعل الشهيد بمعنى الحاضر ، أما على الأول والثالث فلأن الله تعالى والمؤمنين حاضرون فلا وجه لاخراجهم من حكم الحضور ، وأما على الثاني فلأنه لا معنى لقولنا : ادعوا من يحضركم بين يدى الله تعالى (٢) .

ومنها : أنه لما حمل الشهداء على الرؤساء اعتبر حذف المضاف رعاية للمناسبة بأن يقع فى مقابلة أولياء الأصنام أولياء الله كما وقع فى مقابلة ذكر الأصنام ذكر الله .

ومنها : أنه لا يجوز تعلق من دون الله بادعوا فى الوجهين الأولين بمعنى لا تدعوا الله وادعوا أصنامكم ، أو ادعوا بين يدى الله أصنامكم للاستظهار بهم فى المعارضة ، أما على الثاني — فلأن الدعاء للاستظهار انما هو فى الدنيا لا بين يدى الله تعالى ، أعنى فى القيامة ، وأما على الأول — فقيل : لأنهم توهموا (٣) أنهم لودعوا الله لأعانهم فيحصل غرضهم من المعارضة ، وهذا منقوض بالوجه السادس ، وقيل : لأن اخراج الله تعالى عن حكم الدعاء انما يصح اذا فسر الشهداء بما يتناوله كالحاضرين ، وأما اذا أريد بالشهداء الأصنام فلا ، اذ لا دخول حينئذ ، ألا ترى أنك اذا قلت : ادعوا (٤) من دون زيد العلماء ، لم يصح إلا اذا كان زيد من العلماء ، وهذا منقوض بالوجه الثالث حيث أريد بالشهداء أشرافهم ورؤساؤهم الذين لا يدخل فيهم أولياء الله .

ومنها : أن كلمة من الداخلة على دون انما هى بمعنى فى كما فى سائر الظروف غير المتصرفة ، وهى التى تكون منصوبة على الظرفية أبدا لا تنجر إلا بمن خاصة ، وقد يقال : انها اذا تعلقت بادعوا فلابتداء الغاية ، اذ الدعاء قد ابتدئ من دون الله ، واذا تعلقت بالشهداء على معنى يشهدون بين يدى الله تعالى (٥) فللتبعيض كما سيجئ فى قوله تعالى : " لآتينهم من بين أيديهم (٦) " أنهم " قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لأنهما ظرفان ، ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول : جئته من الليل أى بعض الليل (٧) .

---

(١) قوله " أنه " ناقص من الأصل .
(٢) لأنه اذا نسب الحضور اليكم كان المناسب أن يقال : بين يديكم لا يدى الله تعالى .
(٣) م ، خ : لأنه يوهم .
(٤) م ، خ : ادع .
(٥) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٦) من الآية ١٧ من سورة الأعراف .
(٧) الكشاف ٢ / ٧٣ بتصرف .

منها : أنه (١) اذا تعلق من دون الله بشهدائكم لم يجعل الشهيد بمعنى الحاضر ، أما على الأول والثالث فلأن الله تعالى والمؤمنين حاضرون فلا وجه لاخراجهم من حكم الحضور ، وأما على الثاني فلأنه لا معنى لقولنا : ادعوا من يحضركم بين يدى الله تعالى (٢) .

ومنها : أنه لما حمل الشهداء على الرؤساء اعتبر حذف المضاف رعاية للمناسبة بأن يقع فى مقابلة أولياء الأصنام أولياء الله كما وقع فى مقابلة ذكر الأصنام ذكر الله .

ومنها : أنه لا يجوز تعلق من دون الله بادعوا فى الوجهين الأولين بمعنى لا تدعوا الله وادعوا أصنامكم ، أو ادعوا بين يدى الله أصنامكم للاستظهار بهم فى المعارضة ، أما على الثانى — فلأن الدعاء للاستظهار انما هو فى الدنيا لا بين يدى الله تعالى ، أعنى فى القيامة ، وأما على الأول — فقيل : لأنهم توهموا (٣) أنهم لودعوا الله لأعانهم فيحصل غرضهم من المعارضة ، وهذا منقوض بالوجه السادس ، وقيل : لأن اخراج الله تعالى عن حكم الدعاء انما يصح اذا فسر الشهداء بما يتناوله كالحاضرين ، وأما اذا أريد بالشهداء الأصنام فلا ، اذ لا دخول حينئذ ، ألا ترى أنك اذا قلت : ادعوا (٤) من دون زيد العلماء ، لم يصح الا اذا كان زيد من العلماء ، وهذا منقوض بالوجه الثالث حيث أريد بالشهداء أشرافهم ورؤساؤهم الذين لا يدخل فيهم أولياء الله .

ومنها : أن كلمة من الداخلة على دون انما هى بمعنى فى كما فى سائر الظروف غير المتصرفة ، وهى التى تكون منصوبة على الظرفية أبدا لا تنجر الا بمن خاصة ، وقد يقال : انها اذا تعلقت بادعوا فلابتداء الغاية ، اذ الدعاء قد ابتدئ من دون الله ، واذا تعلقت بالشهداء على معنى يشهدون بين يدى الله تعالى (٥) فللتبعيض كما سيجئ فى قوله تعالى : " لآتينهم من بين أيديهم (٦) " أنهم " قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لأنهما ظرفان ، ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول : جئته من الليل أى بعض الليل " (٧)

---

(١) قوله " أنه " ناقص من الأصل .
(٢) لأنه اذا نسب الحضور اليكم كان المناسب أن يقال : بين يديكم لا يدى الله تعالى .
(٣) م ، خ : لأنه يوهم .
(٤) م ، خ : ادع .
(٥) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٦) من الآية ١٧ من سورة الأعراف .
(٧) الكشاف ٢ / ٧٣ بتصرف .

قوله : (لأنه أقرب) (١) اشارة الى قوله تعالى : " ونحن أقرب/ اليه من حبــل ٨٤ ب الوريد " (٢) ،وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل : " والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته " (٣) .

قوله : (منها يتصرفون) (٤) أى يتطلبون حتى يعرفوا (أمر النبى صلى الله عليه وسلم) وأمر (ماجاء به) ونزل عليه اذ (الارشاد) انما هو الى الجهة التى منها الطلب أولا ثم المعرفة ثانيا (٥) .

فان قلت: لاخفاء في أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به حق كلــه .
قلت: المراد بباطله (٦) الباطل الذى ينسبه اليه الكفرة وأهل العناد ،وحمله على الباطل بزعمهم من ضيق العطن (٧) ،على أن أمره فيما يتعلق بالنبوة بزعمهم باطــل كله .

قوله : (فقد صرح الحق) ليس المقصود أن جزاء " فان لم تفعلوا " محذوف ، وأن " فاتقوا " جزاء لشرط محذوف ،بل ان المعنى يؤول الى ذلك ،وان " فاتقوا " كناية عن التصديق والاقرار ،وترك العناد والاستكبار ،وفى الكلام اشارة الــى أن كلمة " ان " فى موضع " اذا " ،وأنه للاستمرار دون مجرد الاستقبال ،وبهذا الاعتبار يكون فى قوله : " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا " دليلان على صحة النبوة : أحدهما — ثبوت كون القرآن معجزا ،وثانيهما — الاخبار بالغيب .

فان قيل : عجز طائفة مخصوصة لا يوجب الاعجاز ،وعدم الاتيان فى زمان مخصوص لا يوجب صحة صدق الاخبار بأنهم لا يأتون به فيما يأتى من الزمان ،بل غاية الأمــر ثبوت ذلك بعد انقراضهم ان اختص الخطاب بهم ،والا فبعد انقراض الدنيا ،وجواب المصنف عن مثل هذا السؤال فيما سيجىء لا يفيد الا ثبوت علمنا بعدم الاتيان فى الجملة (٨) لافى زمان النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ليفيد ثبوت ثبوته .

---

(١) الكشاف ١/ ٧٦ . (٢) من الآية ١٦ من سورة ق
(٣) مسند احمد بن حنبل ٤/ ٤٠٢ .
(٤) فى بداية تفسيره لقوله تعالى : " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار الــتى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " الآية ٢٤ من سورة البقرة .
(٥) فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون (٦) غ : المراد بالباطل
(٧) أى الأفق .
(٨) يقول الزمخشرى فى الكشاف ١/ ٧٧ " فان قلت: من أين لك أنه اخبار بالغيــب حتى يكون معجزة؟ قلت: لأنهم لو عارضوه بشىء لم يمتنع أن يتواصفه الناس =

قلت: لما لم يفعلوا مع غاية الفصاحة ونهاية التهالك فقد ثبت الاعجاز وصح الاخبار ،للقطع بأن قدرتهم وارادتهم لا تزيد بعد ذلك ،على أنه لا دلالة فى الكلام على أن هذا قبل انقراض زمانهم يدل على ثبوت النبوة .

قوله : (يقاويه) [1] أى يغالبه فى القوة ،وقوله (تهكما) متعلق بيقول ،وضمير (به)لمن يقاويه .

قوله : (لم عبر؟) أى لم صح هذا التعبير؟ وأى فائدة فى ترك ذكر الاتيان الى ذكر الفعل ؟ فأجاب بأن وجه الصحة هو أن الاتيان فعل من الأفعال ،والفائدة هو الايجاز [2] ،حيث وقع لفظ الفعل موقع الاتيان مع مايتعلق به .

ومعنى (جريانه مجرى الكناية) أنه [3] اذا أريد ذكر شيء جرى ذكره أولا كان المناسب أن يعبر عنه بالضمير الذى يسمى كناية لكونه غير صريح فى مدلوله ،لكن الكناية عن الشيء بالضمير انما يكون فى الأسماء ،فعبر/ عن الفعل الذى قصد ١٨٥أ
اعادة ذكره بلفظ الفعل ،ليكون بمنزلة ذكر الاسم بضميره ،فيفيد الايجاز الذى عليه مبنى وضع الضمائر ،وقد يقال : وجه الكناية أنه عبر عن الاتيان بلازمه الذى هو الفعل مع حصول المساواة بقرينة المقام ،لكن قوله : (يغنيك عن طول المكنى عنه) ربما يرشدك الى ماذكرنا .

قوله : (ماأنبته) أى جعلته نائبا (عنه) افعال من ناب عنه :قام مقامه ،قال فى الأساس: " ناب منابه وأنبته منابى واستنبته [4] ،وأما فى عامة كتب اللغة فليس الا أناب اليه بمعنى أقبل .

قوله : (لا محل لها لأنها جملة اعتراضية) ،والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لكونها غير واقعة موقع ماله اعراب ،قالوا : والاعتراضية ليست عاطفة ولا حالية .

قوله : (مامعنى اشتراطه؟) [5] يعنى أن اتقاء النار واجب على الاطلاق من غير

= ويتناقلوه ، اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ،لاسيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه ،فحين لم ينقل علم أنه اخبار بالغيب فكان معجزة "

(١) الكشاف ١ / ٧٦ . (٢) وهو من قبيل ايجاز القصر.

(٣) قوله " أنه " ناقص من الأصل .

(٤) أساس البلاغة مادة (نوب) وعبارته : ينوب منابه وأنبته الخ .

(٥) الكشاف ١ / ٧٧

تقييد بشرط وتعليق بأمر ، فما معنى ترتيبه على الشرط المذكور ؟ وقد يقال : معناه أن من حق الشرط أن يكون سببا للجزاء أو ملزوما له ، وليس عدم الاتيان بالسورة سببا لاتقاء النار ولا ملزوما ، فكيف وقع جزاء له ؟

والجواب: أن اتقاء النار كناية عن ترك العناد ، وهو مشروط بعدم القدرة على الاتيان بالسورة ، ومسبب عنه ، وهذه الكناية مع أنها في نفسها من شعب البلاغة وأبلغ من التصريح تفيد أمرين :

أحدهما : (الايجاز) حيث طوى ذكر الوسائط ، أعنى قولنا : اذا لم تفعلوا (١) فقد صح عندكم صدقه ، واذا صح كان لزومكم العناد وترككم الايمان والانقياد سببا لاستحقاقكم العذاب بالنار ، فاتركوا ذلك واتقوا النار ، وليس المراد أن هناك حذفا واضمارا لشرط أو جزاء ، بل ان المعنى على ذلك ، والى هذا يشير من يقول انه يراد في الكناية معنى اللفظ ، ومعنى معناه .

وثانيهما : (تهويل شأن العناد) باقامة النار مقامه بناء على انابة اتقاء النار مناب ترك العناد ، وابراز ترك العناد في صورة اتقاء النار ، ففي العبارة اختصار ، وضمير (منابه) لترك العناد .

وفي قوله : (لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه) أي ترك العناد (من نتائجه) أي نتائج اتقاء النار اشعار بأن هذا تعبير بالملزوم عن اللازم ، فاعترض بأنه ينبغي أن يكون مجازا عن ترك العناد على ما اختاره صاحب المفتاح ، لا كناية ، اذ مبناها على التعبير باللازم عن الملزوم . (٢)

والجواب: أن اطلاق الكناية على التعبير بالملزوم عن اللازم شائع في كلام المصنف ومبنى الفرق / بينها وبين المجاز عنده على ارادة المعنى الحقيقي وعدمها ، كما سيجيء ٨٥ ب في قوله تعالى : " ولا جناح عليكم فيما عرضتم به " الآية (٣) ، وفي قوله تعالى : " ولا ينظر اليهم يوم القيامة " (٤) ، وأما التفرقة بأن التعبير باللازم عن الملزوم كناية ، وعكسه مجاز ، فانما هي لصاحب المفتاح (٥) ، وقد ورد عليه ما ورد ، فاضطر آخر الأمر الى أن المجاز

---

(١) م ، خ : فان لم تفعلوا (٢) مفتاح العلوم ٢١٣ ، ٢١٩ .
(٣) ٢٣٥ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٢١٥ .
(٤) من الآية ٧٧ من سورة آل عمران . وانظر الكشاف ١ / ٢٨٨ .
(٥) مفتاح العلوم ٢١٩ .

كما يكون باطلاق الملزوم على اللازم ،كما في رعينا الغيث ،أي النبات اللازم له ،فقد يكون باطلاق اللازم (1) على الملزوم كما في أمطرت السماء نباتا ،أي غيثا ملزوما له ، الا أنه لا يكون الا في اللازم المساوي فيرجع الى اطلاق الملزوم على اللازم ،وأنت خبير بأن هذا جار في الكناية أيضا ،اذ اللازم من حيث أنه لازم قد يكون أعم ، ولا دلالة للأعم على الأخص مالم يجعل في حد المساواة ،ولو بدلالة الحال وقرينة المقام وبهذا يندفع مايورد (2) من أنه قد ينتقل (3) من الأعم الى الأخص في بعض الأحوال ، وبمعونة القرائن ،وان الملزوم أيضا قد يكون أعم ،حيث جوز صاحب المفتاح كون اللازم أخص بناء على أخذ اللزوم أعم من الكلي والجزئي .

وقد يجاب عن الاعتراض بأن ابتناء الفرق بين الكناية والمجاز على الانتقال من اللازم الى الملزوم وبالعكس ،انما يكون حيث لا تكون الملازمة مساوية ،وأما اذا كانت مساوية فمبنى الفرق على ارادة الحقيقة وعدمها ،وهي متحققة ،والملازمة ههنا مساوية على مايشعر به كلامه : لأن الملاصقة تكون من الجانبين ،ولأنه كما اذا وجد السبب وجد المسبب [كذلك اذا وجد المسبب وجد السبب](4)

وفيه نظر ،أما أولا — فلما أشرنا اليه من أنه لا انتقال من العام الا بعد جعله مساويا ولو بالقرينة ،وأما ثانيا — فلأن كون الملاصقة من الجانبين لا تقتضي أن لا يوجد الشيء الذي يصدق عليه اللصيق بدون ذلك الشيء الملصوق (5) ولأن السببية لا تقتضي أن لا يوجد ذلك الشيء الذي هو المسبب بسبب آخر .

ومما يجب التنبيه له أنهم لا يعنون باللزوم في هذا المقام امتناع الانفكاك عقلا أو عادة ،بل يجعلون ماهو بمنزلة التابع والرديف — وهو معنى اللصيق والضميم — لازما ،وما هو بمنزلة المتبوع والمردوف ملزوما .

قوله : (تسمية بالمصدر (6)) يعني يجوز أن يكون الوقود مجازا عما يتوقد به كما في قولهم : (فلان فخر قومه) بمعنى مايفتخرون به ،وأن يكون على حقيقته والمجاز

---

(1) خ : اسم اللازم .
(2) خ : مايرد
(3) م : قد ينقل
(4) مابين المعقوفين ساقط من خ
(5) م : الملصق .
(6) انظر الكشاف ١ /٧٧ ،والبحر المحيط ١ /١٠٧ وأنوار التنزيل ١ /٥٠

في الاسناد ،كما في قولهم : / (حياة المصباح السليط) أي الزيت الجيد ،حيث ١٨٦ أ
جعلت حياته لكونها لا تتحقق الا بالسليط كأنها نفس السليط ،فصح الاسناد ،وذكر الشيخ عبد القاهر في قولها :

فانما هي اقبال وادبار (١)

" لا مجاز في شيء من الطرفين ،وانما المجاز في الاسناد نفسه حيث جعلت كأنها تجسمت من الاقبال والادبار ،ولو قلنا : المراد ذات اقبال وادبار لخرجنا الى شيء مغسول ،وكلام عامي مرذول " (٢) .

ولخفاء هذا النوع من الاسناد تحير بعض الناظرين في هذا المقام في الفرق بين الوجهين : فقيل : الفرق أن الثاني يفيد الحصر دون الأول حتى يجوز أن يكون

---

(١) عجز بيت للخنساء ترثي أخاها صخرا ،وصدر البيت :
ترتع ما رتعت حتى اذا أدكرت ،وأصله : اذ تكرت أي تذكرت ،وروى : " ترتع ماغفلت " و " ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت " وكذلك : " لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت " أي لا تمل ، وقبل البيت :
وما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
وبعده :
يوما بأجزع مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار
وقد أورد السعد الأبيات الثلاثة في الورقة ١٥٢ أ من هذه الحاشية ، والعجول : الناقة التي فقدت ولدها ،والبو : ولد الناقة وأصله جلد فصيل يحشى تبنا لتدر الأم عليه ،تطيف به أي تحوم حوله ،وروى " تحن له " ،وروى الشطر كله : " حنين والهة ضلت أليفتها " ،واصغار واكبار أي أن الحنين تارة يصغر ويضعف وتارة يكبر ويقوى أو أن الاصغار الحنين على الولد الصغير والاكبار على الكبير ،وروى : اعلان واسرار ،وفي البيت الأخير روى " بأوجد مني "و " بأوجع مني يوم فارقني صخر وللعيش .. " انظر ديوان الخنساء ٤٨ ،ودلائل الاعجاز ١٠٦ ،والمطول ٥٦ ، ٥٨ ، وشروح التلخيص ١ / ٢٤٠ ،ومعاهد التنصيص ١ / ٣٤٦ ،وتحرير التحبير ١٦١ ،والموازنة ٧٦ ،والبيان والتبيين ٣ / ١٢١ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٦٣ ،وتنزيل الآيات ٤٠٦ ،والأمالي الشجرية ١ / ٧١ ، وأمالي المرتضى ١ / ١٤٢ ، ٢ / ١١٥ ، ١٤٦ ،والأغاني ١٣ / ١٣٢ ،والخزانة ١ / ٢٠٧ ،والأزمنة والأمكنة ١ / ٣١ ،والكامل للمبرد ١ / ١٦٨ ، ٢ / ٢٤٩ ، ٢٨٠ ، وسيبويه ١ / ١٦٩ ،والأشموني ١ / ٢١٣ ،والمقتضب ٣ / ٢٣٠ ، ٤ / ٣٠٥ ، والخصائص ٢ / ٢٠٣ ، ٣ / ١٨٩ ،والاساس مادة (صغر) ،واللسان مواد (صغر ،عجل ،قبل ،سوا) .
(٢) دلائل الاعجاز ٢٠٥ـ٢٠٧ بتصرف

هناك وقود آخر[1] ، وقيل: الفرق أن الوقود جعل في الأول نفس الناس والحجارة ، وفي الثاني مغايرا لهما حاصلا بهما[2] .

وقوله: (كأن نفس السليط حياته) أي محمول على حياته ، وانما قال كذلك مع أن الحياة وقعت مبتدأ[3] : لأن التصرف وقع في السليط حيث لم يقل بالسليط ، فكان البيان فيه هو المقصود الأهم .

قوله: (تلك الآية نزلت بمكة[4]) ، اعترض ههنا بوجوه :

الأول : أن سورة التحريم مدينة بلا خلاف من غير استثناء شيء من الآيات .

الثاني : أن هذه الآية من جملة ما نزلت فيها يا أيها الناس ، وقد سبق أنه مكي .

الثالث : أن الصفة أيضا يجب أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف كالصلة ، والا لكان خبرا ، ولهذا قالوا : ان الصفات قبل العلم بها أخبار ، كما ان الأخبار بعد العلم بها أوصاف .

والجواب عن الأول — أنه يجوز أن تكون تلك الآية من سورة التحريم مكية ، وتصريحه بذلك يدل على عدم الوفاق في جميع السورة .

وعن الثاني — أن ما سبق رواية علقمة[5] ، والجمهور على أن سورة البقرة مدنية .

وعن الثالث — أن المراد أن الكفار سمعوا تلك الآية التي خوطب بها المؤمنون العارفون بصفة النار بسماع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ، فجعلت تلك الجملة صلة في هذه الآية التي خوطب بها الكفار ، ومن حق الصلة أو الصفة أن تكون معلومة للمخاطب ، لا لكل سامع .

---

(١) وقد ذهب الى ذلك الطيبي في فتوح الغيب (١/ ٩٥) .

(٢) والذي قال ذلك هو اليمني في تحفة الأشراف (١/ ٧٥) فبعد أن تعرض لرأي الطيبي السابق قال : وأظن أن الفرق بين الوجه الأول والثاني أنه في الأول جعل الناس والحجارة نفس الوقود مبالغة ، وفي الثاني جعل الوقود مغايرا لهما حاصلا بهما " .

(٣) أي قدم السليط على الحياة في قوله " كأن نفس السليط حياته " مع أن الحياة وقعت مبتدأ في قوله " حياة المصباح السليط " .

(٤) وهي قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة .. " الآية ٦ من سورة التحريم .

(٥) خ : عن علقمة ، وقد سبق ذلك في الكشاف (١/ ٦٧) عند تفسير قوله تعالى "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " .

قوله : (لا تتقد الا بالناس والحجارة [١]) ، استفيد الحصر من جعل المبتدأ كما هو في موقع المعرف بلام الجنس [٢] مثل : المنطلق زيد ، والكرم التقوى ، وأما اذا عكس مثل : التقوى الكرم فلا خفاء في انعكاس المعنى أي لا غير الكرم ، بخلاف زيد المنطلق فانه أيضا لحصر الانطلاق على زيد .

وقد نقلنا عن الفائق ما يدل على أن مثل : زيد المنطلق ، ينبغي أن يكون لحصر / ٨٦ ب زيد على الانطلاق لا يتجاوزه الى صفة أخرى كما ذكر في : الله هو الدهر ، أن المعنى أنه الجالب لا غير الجالب ، بخلاف : الدهر هو الله ، فان معناه أن الجالب للحوادث هو لا غيره [٣] .

والظاهر أنه يختلف باختلاف المقامات ، وأن الأكثر حصر ما يكون فيه عموم وجنسية سواء قدم أو أخر ، مثل : زيد الرجل والرجل زيد ، فاذا استويا فالمبتدأ محصور على الخبر ، مثل : الكرم التقوى والتقوى الكرم ، والعالم المتقى والمتقى العالم .

قوله : (وشدة ذكائها) أي توقدها واشتعالها ، صححه الجوهري [٤] وغيره بالقصر ، وفي الأساس : " ذكت النار تذكو ذكاء ، وأصابه ذكاء النار ، وذك النار بالذكوة وهي ما تذكى به " [٥] ، وتقع في النسخ [٦] مقيدة بالمد ، لكن لا تعرض له ولا لتعدد المصدر على ما فهمه البعض .

---

(١) الكشاف ١ / ٧٧ .

(٢) وبعبارة أخرى قالها السيد الشريف : " استفيد هذا الحصر من أن المضاف قد يقصد به الجنس ، وقد يقصد به العهد كالمعرف باللام ، فاذا قصد به الجنس كما في وقودها الناس أفاد حصر الجنس في الجزء الآخر مقدما كان أو مؤخرا على طريقة قولك : المنطلق زيد وزيد المنطلق ، فان المناسب قصر العام على الخاص ، واذا لم تظهر جنسية أحد الطرفين ، فان تعين أحد الحصرين باقتضاء المقام حمل عليه والا كان المقدم محصورا فيما تأخر عنه كما في قولك : العلماء الخاشعون والخاشعون العلماء " . وذلك كله تلخيص لكلام السعد غير أني قصدت بايراده توضيح كلام السعد زيادة ايضاح .

انظر حاشية السيد على الكشاف ٢٥١ .

(٣) الفائق ١ / ٢٠٨ .

(٤) ففي الصحاح مادة (ذكا) : " وذكت النار تذكو ذكا مقصور أي اشتعلت " .

(٥) الأساس مادة (ذكى)

(٦) أي نسخ الأساس . انظر حاشية السيد على الكشاف ٢٥٢ .

قوله : (يدل على ذلك [١]) أى على تنوع نيران الجحيم (تنكيرها) فى الآيتين [٢] فانه معلوم أن المتوعد بها نار الجحيم وقد نكرت ، ووصفت بصفتين مختلفتين ، ومثل هذا يشعر بالامتياز ، وان لم يكن قطعيا ، بناء على احتمال أن يكون للامتياز عن نيران الدنيا ، أو للتهويل ، نعم لو قيل : أن وصف النار التى تتلظى بأنها " لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى " [٣] مع أن فيها نارا يصلاها الفساق وغير المعاندين من الكفرة ، يدل على التنوع [٤] لكان قويا .

قوله : (اغراقا فى تحسيرهم) [٥] بالحاء المهملة من الحسرة ، وفى الأساس : " أغرق الرامى النزع ، ومنه الاغراق فى القول وغيره ، وهو المبالغة ، وأغرق الكأس : ملأها " [٦]

قوله : (وقيل : انها حجارة الكبريت) [٧] أورد ذلك فى سورة التحريم [٨] نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والمراد (بالتخصيص) ههنا : التقييد ، اذ لا عموم ولا وقود بكل حجارة ، وانما المراد الجنس ، وقد دل قوله تعالى : " انكم وما تعبدون " الآية [٩] أن الحجارة التى منها الأصنام وقود جهنم فيكون الواقع المشهود له هذا المعنى [١٠] .

قوله : (أعدت) للكافرين ، كان ينبغى أن يبين موقع هذه الجملة ، فانها متعلقة بأحوال تلك النار ، ولا يحسن الاستئناف والحال ، وعندى أنها صلة بعد صلة كما فى الخبر والصفة ، وان أبيت بناء على أنه لم يسطر فى كتاب فلتكن عطفا بترك العاطف ، لكن عطف " وبشر " على لفظ المبنى للمفعول عليه يقوى جانب الاستئناف .

---

(١) الكشاف ١ / ٧٧ .
(٢) أى فى قوله تعالى : " قوا أنفسكم وأهليكم نارا ... " الآية ٦ من سورة التحريم ، وقوله تعالى : " فأنذرتكم نارا تلظى " الآية ١٤ من سورة الليل .
(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الليل . (٤) خ : المتبوع . وهو تحريف
(٥) الكشاف ١ / ٧٨ . (٦) الأساس مادة (غرق) .
(٧) عبارة الكشاف " هى حجارة الكبريت " الكشاف ١ / ٧٨ .
(٨) الكشاف ٤ / ٤٥٥ . (٩) رقم ٩٨ من سورة الأنبياء .
(١٠) وقيل : هذا أبلغ لأن الغرض تعظيم صفة هذه النار ، والايقاد بحجارة الكبريت لا يدل على قوة النار نفسها ، أما لو حمل على سائر الأحجار على أنها توقد ايقاد حجارة الكبريت بلغ النهاية ، وفيه أن تلك النار تعلقت فى أول أمرها بالحجارة التى طبيعتها اطفاء النار تعلق النار بالكبريت . انظر فتوح الغيب ١ / ٩٦ .

قوله : (ذكر الكفار وأعمالهم)[1] عى اثبات الأنداد والريب فى الكتاب وما يلزم من ذلك ،وادراج ترك المعاصى / فى عمل الصالحات لا يخلو عن تكلف ،ولو جعله ٨٧أ
كالصيانة عن الاحباط بمنزلة الداخل تحت الذكر بدلالة العقل على ماادعاه لم يبعد ،وضمير (قفاه) لذكر الكفار ،وضمير (حموها) للتصديق والأعمال ،وفى الكلام اشارة الى أن المراد بالايمان مجرد التصديق ،لا المعنى الشرعى الذى به النجاة ليكون عطف العمل عليه مشعرا بكونه غير داخل فيه ،و (بالثواب)[2] متعلق بالبشارة .

قوله : (محقوق بأن يبشر به) قال فى الأساس: " أنت حقيق بكذا[3] من حقق بالضم فى التقدير كما قال سيبويه فى فقير انه من فقر بالضم مقدرا ،وفى شديد أنه من شدد ،ونظيره: خليق[4] بمعنى خلق بكذا وجدر به ،ولا يكون فعيلا بمعنى مفعول أى محقوق لقولهم : أنت حقيقة بكذا ،وهذه امرأة حقيقة بالحضانة ،وأما حققت بأن تفعل كذا ،وأنت محقوق به فبمعنى جعلت حقيقا به ،وهو من باب فعلته ففعل كقولك : قبح وقبحه الله " .

قوله : (ليس الذى اعتمد بالعطف)[5] يعنى ليس المقصود عطف الأمر ،بل عطف مضمون قوله : " وبشر الذين آمنوا " الآية وهو (وصف ثواب المؤمنين) على التفصيل الذي تتضمنه الآية الىقوله : " وهم فيها خالدون " ،على الحاصل من مضمون الكلام السابق وهو (وصف عقاب الكافرين) على التفصيل الذى يشتمل عليه قوله : " فان لم تفعلوا " الى قوله :" أعدت للكافرين " وحاصله أنه عطف مجموع على مجموع ،لا باعتبار عطف شيء من هذا على شيء من ذلك ،وقد يقع مثل هذا فى المفردات كما قيل فى قوله تعالى :.

" هو الأول والآخر والظاهر والباطن "[6] أن الواو الوسطى لعطف مجموع الصفتين الأخيرتين على مجموع الأوليين .

---

(١) وذلك فى بداية تفسيره لقوله تعالى : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. " الآية ٢٥ من سورة البقرة ،الكشاف ١ / ٧٨ .

(٢) م : وفى الثواب، وهو خطأ .

(٣) وعبارة الأساس مادة (حقق) : بأن تفعل .

(٤) فى الأساس: خليق وجدير ،وانظر كتاب سيبويه ٢ / ٢٢٥ .

(٥) م ،خ : ليس المعتمد بالعطف .

(٦) من الآية ٣ من سورة الحديد .

ويجوز أن يكون معطوفا على " فاتقوا " ، ووجه ربطه بالشرط المذكور أن تبشير المصدقين أيضا مترتب على عدم معارضة الكفرة القرآن ، والا لم يكن معجزا ، فلا يثبت صدق النبي ، ولا يكون تصديقه وسيلة الى نيل الثواب ، كأنه قيل : فان لم تأتوا بسورة من مثله فقد ثبت صدقه فاتركوا العناد واتقوا النار أيها الكافرون ، وبشر المؤمنين بالجنات أيها النبي أو أيها المبشر .

ولما في الوجهين من البعد [1] سيما الثاني ، فان ربطه بالشرط تكلف ، وعطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر من غير تصريح بالنداء مما منعه النحاة ، ذهب صاحب المفتاح الى أنه عطف على قل مرادا قبل يا أيها الناس [2] ، كأنه قيل : قل كذا وكذا / وبشر المؤمنين ، ولما فيه من البعد من جهة اشتمال الكلام السابق على قوله : ٨٧ ب " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا " وهو لا يصلح مقولا للنبي صلى الله عليه وسلم [3] الا بتكلف ، وهو أن يكون مسوقا على طريق كلام الأمر ، أو يكون المقصود ذكره بعبارة تليق بحاله مثل : وان كنتم في ريب مما نزله الله علي ، ذهب بعضهم الى أنه عطف على قل مرادا قبل " فان لم تفعلوا " أو على محذوف يقابل " بشر " أي فأنذر الكافرين وبشر المؤمنين . [4]

قوله : (عطفا على أعدت [5]) على معنى أن النار أعدت للكافرين ، والجنات للمؤمنين .

قوله : (لأنهم جميعا أخبروه [6]) لأن الاخبار عرفا هو ايقاع الجملة الخبرية مرادا بها معناها ، سواء حصل بها العلم أو لا ، وان كان حقيقته اللغوية هو الاعلام ، وما ذكر الامام المرزوقي في قول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم أخي [7]

---

(١) في الأصل : من الفعل ، وهو خطأ . (٢) مفتاح العلوم ١٤١ .

(٣) م ، ب : عليه السلام .

(٤) وهذا هو الذي اختاره الخطيب القزويني حيث قال : " والأقرب أن يكون معطوفا على مقدر يدل عليه ماقبله أي فأنذرهم (أي الكافرين) وبشر الذين آمنوا " انظر الايضاح ٩٤ .

(٥) انظر البحر المحيط ١ / ١١١ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٢ .

(٦) الكشاف ١ / ٧٩ .

(٧) صدر بيت للحارث بن وعلة ، وقيل لوعلة بن الحارث وتمامه :

فاذا رميت يصيبني سهمي

وروى : أصابني سهمي ، أنظر المطول ٤٣ ، وبغية الايضاح ١ / ١٠٠ ، وشروح =

من أن هذا الكلام تأسف وتحسر ، وليس بإخبار (١) ، فمبناه على أنه لم يقصد بإفادة مضمون الجملة ، ولا أنه عالم به .

قوله : (فمن العكس) أي اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر بتنزيل تضاد عما منزلة التناسب بواسطة تهكم ان قصد الهزء والسخرية ، أوتمليح ان قصد مجرد التظرف والاتيان بشيء فيه ملاحة ، وههنا القصد الى الاستهزاء بالكفرة (ليزيد في غيظهم) ، يقال : زاد في ماله ، وكأنه من زاد المتعدى والمعنى : زاد شيئا فيه .

قوله : (فأعتبوا بالصيلم) آخر بيت لبشر بن أبي خازم الأسدى وهو :

غضبت تميم أن تقتل عامـــــــر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلـــم

أي أزيل عتبهم بالسيف القاطع ، من الصلم وهو القطع مع استئصال ، ومنه سميت الداهية صيلما (٢) ، وفي الصحاح : " النسار بكسر النون : ماء لبني عامر ، ويوم النسار كان لبني أسد وذبيان على بني جشم بن معاوية " (٣) .

قوله : (قال الحطيئة (٤)) قد استعملها استعمال الأسماء من غير قصد الى موصوف .

= التلخيص ١ / ٣٤٦ ، ومفتاح العلوم ١٠٠ ، ودلائل الاعجاز ١٧٤ ، وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ١٩٩ ، وللمرزوقي ١ / ٢٠٤ ، والأغاني ٩ / ٥٨ ، ٢٠ / ١٣٢ ، وسمط اللآلي ١ / ٥٠٣ ، ٥٨٤ ، وروح المعاني ١ / ٥٦٢ ، والبحر المحيط ١ / ٢٠٤ ، وهمع الهوامع ٢ / ٧٢ ، ومادة (جلل) في الصحاح ، واللسان .

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ١ / ٢٠٤ ، وعبارته : هذا الكلام تحزن وتفجع وليس بإخبار .

(٢) شبه الشاعر اجابتهم بالمحاربة بالسيف بإجابة من يزيل العتاب على سبيل الاستعارة التصريحية التهكمية ، وروى الشطر الأول :

ضجت تميم أن تقاتل عامــــر ، وغضبت حنيفة أن تقتل عامــرا ،

انظر ديوان بشر بن أبي خازم ١٨٠ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٧٩ ، وتنزيل الآيات ٥١٥ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، والمفضليات ٢ / ١٤٦ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ١ / ٤٠٠ ، ومجمع الأمثال ٢ / ١٣٧ ، والمستقصى في أمثال العرب ٢ / ٢٩٠ والأغاني ١٥ / ٣٦ ، وسمط اللآلي ١ / ٥٠٣ ، والخزانة ٤ / ٥٤ ، ومادتي (عتب ، وصلم) في الصحاح ، واللسان .

(٣) الصحاح مادة (نسر)

(٤) الحطيئة : الرجل الدميم أو القصير ، ولقب للشاعر المعروف واسمه : جرول بن أوس .

انظر القاموس المحيط مادة (حطأ) ، ومشاهد الانصاف ١ / ٧٩ .

قوله: (بظهر الغيب) (١) متعلق (بتأتيني) وهو خبر (تنفك) ، و(ظهر) مقحم أي ملتبسا بالغيب ، ومثله كثير ، والقصد به الى المبالغة حيث يجعل للشيء ظهر يكتنف به (٢) ، قاله لما سئل أن يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي المعروف بابن سعدى (٣) الذي فيه يقول الشاعر :

الى أوس بن حارثة بن لأم * ليقضي حاجتي فيمن قضاها (٤)

[قوله : (والصالحات كل ما استقام) ، استعمال كلمة "كل" في مثل هذا المقام/ ٨٨أ شائع في عبارة الأدباء وان لم يحسن في التحقيق ، لكن ههنا قصد تفسير جميع الصالحات فحسن ، وبهذا الاعتبار حسن في دليل الاستقامة عطف (الكتاب والسنة) على (العقل) بالواو ، اذ المجموع دليل المجموع ، ومعنى الاستقامة ، الصلوح لترتب الثواب فيخرج (٥) مالا يتعلق بذلك] (٦) .

قوله : (اذا دخلت على المفرد) ، قد سبق أن المعرف بلام الجنس كثيرا ما يقصد به الحقيقة من حيث الوجود في ضمن الأفراد ، وحينئذ اما أن توجد قرينة البعضية فيحمل عليها ، أو لا فيحمل على العموم ، فيشير ههنا الى الفرق بين ما اذا كان الاسم مفردا ، وبين ما اذا كان جمعا ، ففي المفرد يجوز أن يراد في جانب القلة البعض الى الواحد ، وفي الجمع الى الثلاثة لأن المراد به الجنس بصفة الجمعية ولا جمعية في أقل من الثلاثة ، وهذا معنى قوله : لأن (الجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه) ، وأما في جانب الكثرة فيراد بكل منهما الجنس الى أن يحاط به ،

---

(١) الكشاف ١ / ٧٩ . (٢) قوله "به" ناقص من م ، ب .

(٣) وذلك لما خلع النعمان بن المنذر على أوس حللا عظيمة ، فحسده طائفة من سادات العرب ، وضمنوا للحطيئة مائة بعير اذا هجاه فقال : كيف أهجو شخصا منه كل ما في بيتي حتى شسع نعلي ؟ وأنشأ البيت . انظر ديوان الحطيئة ٨٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٧٩ ، وتنزيل الآيات ٥٤٧ ، والبحر المحيط ١ / ١١١ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٢ وحاشية السيد على الكشاف ٢٥٥ ، والكامل للمبرد ١ / ١٣٧ ، والخزانة ٢ / ٢٦٣ ، ٤ / ١١١ ، وأساس البلاغة مادة (صلح) .

(٤) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي وبعده :

فما وطىء الحصا مثل ابن سعدى * ولا لبس النعال ولا احتذاها

انظر الكامل للمبرد ١ / ١٣٧ ، والأمالي للزجاجي ٦٩ . والخزانة ١ / ٤٥٥ ، ٢ / ١٦٥ ، ٢٦٣ ، والعيني ٤ / ٢٥٥ ، والصحاح ، واللسان مادة (لأم) .

(٥) خ : فخرج .

(٦) ما بين المعقوفين مقدم في ب على قوله السابق " قال الحطيئة الخ " وهو مخالف لترتيب الكشاف .

أى بحيث لا يبقى فرد ما من أفراد الجنس خارجا .

وهذا صريح فى أن الجمع المعرف اذا قصد به الاستغراق كان متناولا لكل فرد من غير فرق فى الحاصل ، غايته أن تناول الكل فى المفرد يكون باعتبار أن معناه [كل فرد ، وفى الجمع باعتبار أن معناه] (١) كل جمع ، وهو يستلزم الحكم على كل فرد ، اذ كل واحد أو اثنين فرد فهو مع اثنين أو واحد آخر جمع من الجموع اذ لا تعين للأفراد ، على أن كون معنى الجمع هذا مما ينازع فيه ، بل معناه أيضا : كل فرد ، فما يقال ان استغراق المفرد أشمل (٢) وهم ، وما سيجىء فى آخر السورة (٣) ، وفى قوله تعالى : " والملك على أرجائها (٤) " من أن مثل الكتاب والملك أكثر من الكتب والملائكة ، مشكل ، وكذا قول صاحب المفتاح فى ترجيح نفى العظم على نفى العظام " انه يجوز حصول نفى المجموع بنفى البعض دون كل فرد " (٥) ، وفى هذا المقام زيادة تفصيل تطلب من شرح تلخيص المفتاح (٦) .

وللأصوليين فى جانب القلة أيضا مناقشة حيث يقولون : انه تبطل الجمعية ، ويبقى الجنس ، ويتعلق الحكم به قل أو كثر ، حتى اذا حلف : لا أتزوج النساء ، حنث بتزوج واحدة ، وعليه قوله تعالى : " لا يحل لك النساء من بعد " (٧)

قوله : (فما المراد بهذا المجموع؟) يعنى لا يجوز أن يراد بالصالحات جنس المجموع (٨) وان قل ، لأنه لا تكفى ثلاثة من الأعمال ، ولا أن يراد جميع الجنس ، أما باعتبار أن يتعلق ذلك بكل واحد (٩) فلامتناع أن يأتى كل أحد بكل عمل ، وأما باعتبار / التوزيع فلأنه يعود المحذور ، وهو أن يكفى من كل واحد ثلاثة أعمال ، بل أقل نظرا الى انقسام الآحاد بالآحاد . ٨٨ ب

فأجاب بأن المراد جميع ما بين الكل والأقل بمعونة القرينة على ما أشار اليه بكلمة

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٢) وهو ما ذهب اليه السكاكى ، انظر مفتاح العلوم ١١٦ .
(٣) عند تفسير قوله تعالى : " والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " الكشاف ١ / ٢٥٣ .
(٤) من الآية ١٧ من سورة الحاقة ، وانظر الكشاف ٤ / ٤٨١ .
(٥) مفتاح العلوم ١٥٥ بتصرف
(٦) المطول ٨٤ ــ ٨٦
(٧) من الآية ٥٢ من سورة الأحزاب .
(٨) م ، خ : جنس الجمع . (٩) م ، ب : بكل أحد

الى فى قوله : (أن يراد به بعضه الى الواحد) و(لا الى الواحد) أى بل الى الثلاثة على الصحيح ، والى الاثنين عند البعض ،نعم اذا لم توجد قرينة التعيين تنصرف الى الكل أو الأقل ، وبالجملة فالمراد ههنا جميع مايجب بالنظر الى كل مكلف ويليق بحاله : فيختلف باختلاف أحوال المكلف من الغنى والفقر ، والسفر والاقامة ، والصحة والمرض ،وغير ذلك • فتجب الزكاة أو الحج على واحد دون آخر [ويجب على واحد اتمام الصلاة أو تجيز الصوم دون آخر] (١) ،

فقوله : (الصحيحة المستقيمة) صفة مخصصة للأعمال كاشفة عن معنى الصالحة ، و (المواجب) جمع موجب: موضع الوجوب، والاضافة الى (التكليف) للملابسة ، أو المراد مواضع لزوم التكليف •

قوله : (قال زهير) (٢)

كأن عينى فى غربى مقتلــــة * من النواضح (تسقى جنة سحقا)

الغرب: الدلو العظيمة ،ناقة مقتلة : مذللة مرنت على العمل ،النواضح : الابل التى يسقى بها ،السحق: جمع سحوق وهو الطويل من النخل (٣) •

ولا يخفى مافى ايثار الغرب وتثنيتها المنبئة عن دوام الانسكاب بتعاقبهما مجيئا وذهابا ،وذكر المذللة التى تخرج الدلو ملأى لا كالصعبة التى تسيل بنفرتها الماء من جوانب الغرب ،وكونها من النواضح المتقررة على هذا الوصف المستمرة عليه ،وذكر الجنة الملتفة الكثيرة الأشجار والنخل المفتقر الى الكثير من الماء سيما الطوال منها الصاعدة فى الهواء ،من المبالغات ،وجعل عينيه فى الغربين دون أن يجعلهما غربين كناية لطيفة ،كأن ماينصب من الغربين ينصب من العينين •

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من الأصل •

(٢) الكشاف ١ / ٧٩ •

(٣) فمعنى البيت: كأن عينى من شدة البكاء وكثرة الدموع عينان فى دلوين عظيمتين ممتلئتين ماء ،تحملهما ناقة مقتلة مذللة من الابل النواضح التى يستقى عليها ، تسقى تلك الناقة النخل الطويل ،أو البعيد عن محل الماء فهى دائما ذاهبة آيبة • انظر ديوان زهير ٤٠ ،ومشاهد الانصاف ١ / ٧٩ ،والمفردات فى غريب القرآن ٩٨ ،٣٩٣ ،وأنوار التنزيل ١ / ٥٢ ،والصحاح مادة (جنن) ،واللسان مادة (سحق) ،و(قتل) ،و(جنن) ،وتنزيل الآيات ٤٦٢ •

قوله : (على نهج الأسماء الغالبة) [1] يعني أن مثل ذلك بحكم الاستقراء انما يكون للموجودات المحققة الا نادرا كالساعة ، وانما شبهها (بالنبي والرسول والكتاب) اشارة الى أنها لم تصر علما ، لما أنها قد تنكر وقد تعرف ، وقد تجمع [2] ، وقد توصف بها أسماء الاشارة مثل : " تلك الجنة [3] " ، ووجه لحوقها بالأعلام أن اطلاقها ينصرف الى المعين وان كان المفهوم كليا ، [4] وأما غلبة الكتاب مع اللام في عرف الأصول على كتاب الله ، وفي عرف العربية على كتاب سيبويه فمن قبيل الأعلام .

قوله : (أن لا يحبطهما المكلف) ، قال الامام الرازي [5] : " القول بالاحباط / ٨٦ أ باطل ، لأن من أتى بالايمان والعمل الصالح استحق الثواب الدائم ، فاذا كفر بعده استحق العقاب الدائم ، ولا يجوز وجودهما جميعا ، ولا اندفاع أحدهما بالآخر ، اذ ليس زوال الباقي بطريان الطارئ أولى من اندفاع الطارئ بقيام الباقي ، والمخلص أن لا يجب عقلا ثواب المطيع ، ولا عقاب العاصي " [6] .

وأجيب بمنع عدم الأولوية ، فان الطارئ اذا وجد امتنع عدمه مع الوجود ضرورة امتناع الوجود والعدم ، ووجوده [7] يستلزم عدم الباقي أعني العدم بعد الوجود ، وهو ليس بمحال ، وبأنه منقوض بانتفاء الشئ بطريان ضده كالحركة بالسكون ، والبياض بالسواد ، وأيضا الاحباط مما نطق به الكتاب فكيف يكون باطلا ؟ وههنا زيادة تحقيق [8] تطلب من شرح المقاصد [9] .

قوله : (والبشارة مختصة بمن يتولاهما) ، لاخفاء في أن (كون الاشتراط كالداخل تحت الذكر) لا يتأتى بدون هذا الاختصاص ، اذ لو قيل : بشر المؤمنين الموصوفين والفسقة وغيرهم مثلا ، لم يكن الاشتراط كالمذكور فيه .

---

(١) الكشاف ١ / ٨٠ (٢) في الأصل : وقد تجعل ، وهو تحريف .
(٣) من الآية ٦٣ من سورة مريم . (٤) م : وان كان المفهوم معنى كليا .
(٥) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، فاق أهل زمانه في علم الكلام ، وله تفسير القرآن وتصانيف كثيرة ، توفي سنة ٦٠٦ هـ .
وفيات الأعيان ٣ / ٣٨١
(٦) التفسير الكبير للرازي ١ / ٢٣٣ .
(٧) قوله " ووجوده " ناقص من خ .
(٨) م : زيادة بحث .
(٩) شرح المقاصد ٢ / ٢٣٣ — ٢٣٥ .

قوله : (كما ترى الأشجار النابتة) (١) من تشبيه الحال بالحال ، والهيئة بالهيئة ، فلم يلزم أن يقال : كما ترى الأنهار الجارية (٢) ، ثم لا خفاء فى أن الأنهار انما تجرى من تحت الأشجار فيكون على حذف المضاف ان جعلت الجنة هى الأرض التى فيهـــا الأشجار (٣) ، ولا يعلم من قوله : (الجنة : البستان من النخل والشجر) أنهـــا نفس الأشجار الملتفة ، أو الأرض التى فيها تلك ، أو مجموع الشيئين ، (الأخدود) شق فى الأرض مستطيل ، (راقه) أعجبه ، (الأريحى) الواسع الخلق ، يقال : أخذته الأريحية اذا ارتاح للندى أى نشط ، (وأبهجه) وبهجه أى سره .

قوله : (لما جاء الله تعالى) (٤) جواب (لولا) ، و (الا مشفوعا (٥)) وقع فى كثير من النسخ ولا يستقيم ، اذ يصير المعنى : لكن لما كان الماء الجارى من النعمة جاء بذكر الجنات الا مشفوعا ، وفى نسخة زين المشايخ (٦) " ألبتة مشفوعا " مكـــان " الا مشفوعا " وهو حسن ، وبعضهم يجعل (ما) فى (لما جاء) مزيدة وليس بشىء ، فالوجه اسقاط كلمة " الا " كما فى بعض النسخ .

فان قيل : فيصير المعنى : لما كان من النعمة جاء الله بذكر الجنات مشفوعا ، وبهذا لا يتم المقصود ، بل لابد من افادة لزوم المشفوعية ، قلنا : هذا مستفاد من قولــــه : (مسوقين) الى آخره حالا من الذكرين ، أى لما جاء بذكرها مشفوعا هذا النوع من المشفوعية وعلى هذه الكيفية وهو كون الذكرين مسوقين على نهج الشيئين المتلازمين .

قوله : (واللغة العالية) (٧) أى الفصيحة / التى يتكلم بها الفصيح الأعلـــى : (النهر بالفتح) ، وقد يراد به الجمع كما فى قوله تعالى : " فى جنات ونهر (٨) " . ٨٩ ب

---

(١) الكشاف ١ / ٨٠
(٢) أى أنه كان الظاهر أن يقال : كما ترى الأنهار الجارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها ، لكنه نبه بعبارته هذه على أنه قصد تشبيه الهيئة المركبة بالهيئة المركبة فلم يلزمه ذلك . انظر حاشية السيد على الكشاف ٢٥٧ .
(٣) ويكون التقدير : جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار .
(٤) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٥) فى نسخة الكشاف التى بين يدى " مشفوعا " بدون " الا " وهو الوجه الصحيح كما سيقول السعد بعد ذلك . انظر الكشاف ١ / ٨٠
(٦) وهو أبو الفضل محمد بن أبى القاسم الخوارزمى النحوى الملقب زين المشايخ كان اماما فى الأدب ، أخذ اللغة والاعراب عن الزمخشرى وجلس بعده مكانه ، توفـــى سنة ٥٦٢ هـ . بغية الوعاة ١ / ٢١٥
(٧) الكشاف ١ / ٨٠ (٨) من الآية ٥٤ من سورة القمر

ونَهْر ونَهِر بالكسر أى كثير الماء ،واستنهر النهر : اتسع ،وأنهرت فتق الضريبة ؛ وسعته ،والمنهرة : فضاء يلقون فيه الكناسات ،وأنهرت الدم : أسلته بكثرة .

(يطؤهم الطريق) اسناد الى المكان أى تطؤهم السابلة [١] في الطريق ، (وصيد عليه يومان) الى الزمان أى صيد على هذا الفرس الصيد في يومين ،فالمعنى على الظرفية لكن لما جعل اليومين [٢] صيدين كان الاسناد مجازا بالضرورة .

قوله : (وأما تعريف الأنهار) يعنى يجوز أن يكون اشارة الى جنس الجمع من النهر وهو [٣] مافوق الثلاثة من غير معنى العموم والاستغراق أو تعريفا لاميا قائما مقام التعريف الاضافى ،لا أن تكون اللام عوضا عن المضاف اليه كما يراه الكوفيون [٤] ، لأنه قد ذكر في قوله تعالى : " فان الجحيم هى المأوى [٥] " أن المعنى : هى مأواه وتركت الاضافة للعلم بها ،وليست اللام بدلا من الاضافة ،وانما معناها الدلالة على أنه أريد بها مأوى معين [٦] ،وكذا في " واشتعل الرأس شيبا [٧] " انه لم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب [٨] ،يعنى من جهة جعله خبرا عن " انى " وعطفه على " وهن العظم منى " ،فظهر أن المعنى على الاضافة ،وصح أن التعريف باللام بدل من تعريف الاضافة من غير أن تكون اللام بدلا من [٩] المضاف اليه .

أو تكون للعهد الخارجى اشارة الى ما في قوله تعالى : " فيها أنهار من ماء " الآية [١٠] لو ثبت سبقها في الذكر ،ومع ذلك فلا يخفى بُعْد مثل هذا العهد .

قوله : (أو خبر مبتدأ محذوف) [١١] أى هم أو هى لا شأنها لعدم العائد ،وان أريد أن الجملة خبر عن ضمير الشأن فلا يكون المحذوف شأنها بل "هى" بمعنى القصة والشأن ،وههنا بحث وهو أن الجملة المحذوفة المبتدأ اما أن تجعل صفة أو استئنافا فاعتبار الضمير لغو ،واما ان تكون كلاما مبتدأ غير صفة ولا استئناف فلتكن بدون اعتبار الحذف كذلك .

---

(١) السابلة : أبناء السبيل أى الطريق وهم المسافرون .

(٢) م : يومين .

(٣) قوله : "وهو" ناقص من الأصل

(٤) البحر المحيط ١ / ١١٣

(٥) الآية ٣٩ من سورة النازعات

(٦) الكشاف ٤ / ٥٥٨ بتصرف

(٧) من الآية ٤ من سورة مريم

(٨) الكشاف ٣ / ٣

(٩) م ،خ : عن

(١٠) من الآية ١٥ من سورة محمد

(١١) الكشاف ١ / ٨٠

قوله : (ما موقع من ثمرة ؟ (١)) من قواعد النحو أنه لا يجوز تعلق حرفى جر بمعنى واحد بفعل واحد حيث لا يصح الابدال مثل (٢) : مررت بزيد بعمرو ، بخلاف : مررت بزيد بأرض كذا ، لأن الثانية للظرفية ، وقد يتوهم أن الآية من هذا القبيل لأن " من " فى الموضعين لابتداء الغاية فلا يبقى للثانية موقع ، فلذا احتاج المصنف فى دفع ذلك الى زيادة بيان وتقرير تمثيلا أولا ، وتنزيلا ثانيا ، وتحريرا ثالثا .

٩٠ أ ومعنى (التنزيل) : حط الكلام درجة درجة / حيث اعتبر الفعل أولا مطلقا ، ثم مقيدا بالقيد الأول ، ثم اعتبر ذلك المقيد مقيدا بالقيد الثانى ، وبالغ فى توضيحه بتقدير السؤال ثم الجواب ، ومعنى (التحرير) التهذيب وأخذ الخلاصة وإظهارها بمنزلة جعل الشيء حرا أى خالصا .

وحاصل الجواب : أن الظرفين لم يتعلقا بفعل واحد ، بل تعلق الأول بالمطلق والثانى بالمقيد ، ولو سلم فليس الحرفان بمعنى واحد بل الأولى لابتداء الغاية ، والثانية للبيان ، وهذا هو الوجه الثانى من التفسير .

فعلى الأول — المراد بالثمرة النوع لا الفرد ، اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة مثلا ، فانه يوجب أن يكون المرزوق قطعة منها لتكون من للابتداء دون البيان .

وعلى الثانى — يجوز أن يراد النوع أو الفرد ، أى مرزوقا هو نوع من الثمرة أو فرد من النوع ، و " رزقا " على الوجهين ثانى مفعولى " رزقوا " ، و " من ثمرة " على الأول لغو وعلى الثانى حال من " رزقا " ، وانما لم تجعل من ههنا للتبعيض لأن الابتداء والتبيين أصل لا يعدل عنه الا بقرينة كما فى قوله (٣) تعالى : " فأخرج به من الثمرات رزقا " (٤) بلفظ الجمع وتنكير رزقا على ماسبق (٥) ، وههنا المجرور نكرة مفردة ، على أنها لو جعلت للتبعيض كانت فى موقع المفعول ، ولزم كون " رزقا " مفعولا مطلقا لا يفيد الا التأكيد ، اللهم الا أن يقدر : رزقوا رزقا أى مرزوقا من ثمرة أى كائنا بعض ثمرة على أنها صفة قدمت صارت حالا ، وكون من التبعيضية بهذه الحيثية محل تأمل .

---

(١) الكشاف ١ / ٨١ (٢) خ : فى نحو
(٣) كلمة " قوله " ساقطة من خ .
(٤) من الآية ٢٢ من سورة البقرة .
(٥) انظر الكشاف ١ / ٧١ ، والورقة ٨٠ أ ب من هذه الحاشية .

وأما جعل هذا البيان (على منهاج رأيت منك أسدا) فمبنى على أن من البيانية عنده راجعة الى ابتداء الغاية ، فلابد من اعتبار التجريد بأن ينتزع من المخاطب أسد ، ومن الثمرة رزق ، وعلى هذا لا يبعد أن يكون الظرف الثانى أيضا لغو(1) ، أى رزقا منتزعا مخرجا من ثمرة ، والمعنى أنها نفسها رزق .

ثم ان المصنف قد بالغ فى الوجه الأول (2) فى تصحيح تعلق الظرفين برزقوا وتوضيحه بحيث لا يحتاج الى الابدال ولا يلزم ما منعوه من تعلق الظرفين المتحدين بفعل واحد ، ومع ذلك فلم يفد ، وذهب بعض الناظرين الى أن " منها " يجوز أن يكون حالا من " رزقا " مقدما ، و " من ثمرة " بدل منه بتقدير صفة محذوفة أى منها ، أو تكون " من ثمرة " حالا و " منها " لغوا ، وبالجملة لا يجعلان لغوين مستقلين ، اذ لا يعمل فعل فى ظرفين متحدين من غير ابدال أو نوع/ تبعية . ٦٥ ب

قوله : (هذا مثل الذى رزقنا) (3) ، انما احتاج الى ذلك لأن " هذا " اذا لم يذكر معه الوصف كان اشارة الى المحسوس الحاضر وهو الذات الجزئية لا الماهية الكلية ، ولذا قال : (كيف تكون ذات الحاضر عندهم ؟) ، وأما اذا قيل : هذا النوع كذا لم يلزم ذلك .

قوله : (انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين) لأن المبتدأ أعنى " هذا " اشارة الى المرزوق فى الآخرة ، والخبر أعنى " الذى رزقنا " الى المرزوق فى الدنيا ، وهما متحدان جنسا ، فأفرد الضمير العائد اليهما نظرا الى الوحدة الجنسية ، وصح جعل " متشابها " حالا عنه نظرا الى التعدد النوعى أو الشخصى ، واندفع اشكال التدافع بين افراد الضمير وايقاع متشابها حالا عنه .

والتنظير بقوله تعالى : " فالله أولى بهما " (4) أنه ثنى الضمير فى " بهما " مع أن المرجع المذكور أحد الأمرين أعنى قوله : " غنيا أو فقيرا " ، وأن الضمير فى الشرط أعنى قوله : " ان يكن " مفرد نظرا الى ما دل عليه الكلام من تعدد الجنسين ، والمعنى : ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا يمنعكم من الشهادة على الأقرباء غناهم أو فقرهم ، فالله أولى بجنسى الغنى والفقير ، فترك افراد الضمير لئلا يتوهم أن أولوية الله تعالى بالنسبة (5) الى ذات المشهود عليه ، فنبه على أنها باعتبار الوصفين ليعم المشهود

---

(1) خ : لغو أيضا .
(2) كلمة الأول ناقصة من الأصل
(3) فى الكشاف ١ / ٨١ : رزقناه .
(4) من الآية ١٣٥ من سورة النساء .
(5) قوله " تعالى " ناقص من خ ، وقوله " بالنسبة " ناقص من الأصل

عليه وغيره ، ففيما نحن فيه أفرد الضمير مع أن ظاهر المرجع اثنان ، وفي النظير ثنى الضمير [مع أن ظاهر المرجع واحد .

وقد يعترض بأن المأتي به في الآخرة ليس هو المرزوق في الدنيا والآخرة ، بل في الآخرة فقط ، والجواب أنه لا دلالة لقوله : " وأتوا به متشابها " على أن الاتيان في الآخرة خاصة ، بل يجوز أن يراد : وأتوا به في الدارين ، ومنهم من التزم كونه في الآخرة .

فأجاب أولا — بأن معنى عود الضمير الى المرزوق في الدنيا والآخرة ان[1] يعود الى الجنس الصالح لتناول كل منهما ، لا المقيد بهما ، فانه حينئذ يكون أخص من كل منهما ، فلا يدفع سؤال التشابه ، والاتيان بالجنس حاصل في ضمن الاتيان بأى نوع كان ، ضرورة امتناع وجود النوع بدون الجنس .

وثانيا : بأن الاتيان بالنوعين لا يستلزم اجتماعهما في الحصول في زمان واحد فصح أنه أتى بهما في الآخرة نظرا الى أنه تم بالاتيان بالنوع الأخير ، وذلك في الآخرة .

قوله : (لأن الانسان / بالمألوف آنس) ، هذا جيد لو لم يضم اليه قوله : (واذا ٦١ أ
رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه) ، فان بخلافه ظاهر ، ولكل جديد لذة ، والحديث المعاد مثل في الكراهة (تبينت) الشيء : علمته بينا ، وكذلك (تحققته) ، وقد يجيئان لازمين ، و (السكن) بالسكون : أهل الدار ، و (النبق) ثمر السدر ، و (الفلكة) فلكة المغزل سميت[2] بذلك لاستدارتها ، و (القلال) جمع قلة وهى اناء للعرب كالجرة الكبيرة ، وفي الأساس[3] : " عنده قلة من قلال هجر ، وهى ما أقله الرجل من جرة أو نحوها " وفي الصحاح : " هجر اسم بلد مذكر مصروف[4] ، (التنضيد) المنضود[5] .

قوله : (ويجوز أن يرجع) جواب آخر عن سؤال مرجع الضمير ، و (الرزق) هو المذكور في قوله تعالى : " كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا " والمعنى : أتوا بالمرزوق في الجنة متشابه الأفراد . والتفسير الأول هو الكامل المعتد به ، اذ يفوت على الثاني

---

(١) م ، غ : أنه (٢) م : سمى
(٣) اساس البلاغة مادة (قلل) (٤) الصحاح مادة (هجر)
(٥) والمنضود : المنظم بعضه فوق بعض

الأغراض المذكورة لتشابه ثمر الدنيا والآخرة ، وبقاء " من قبل " على اطلاقه ، والعموم الدال عليه " كلما " ، اذ لا يصح ذلك في المرة الأولى ، اذ لم يرزقوا قبلها في الجنة على ماهو المراد في هذا التفسير ، ويفصح عنه لفظ الكتاب ، وحسن موقع الاستئناف المبني على السؤال المذكور .

قوله : (معترضة للتقرير) هذا على تجويز الاعتراض في آخر الكلام ، والأكثرون يسمونه تذييلا . (الدنس والطبع[1]) الوسخ ، ومعنى تطهيرهن عما ذكر أنهما منزهة[2] عن ذلك مبرأة عنه بحيث لا يعرض لهن الا التطهير الشرعي بمعنى ازالة النجس الحسي أو الحكمي كما في الغسل عن الحيض لئلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، نعم في اطلاق التطهير تشبيه للدنس والطبع بالأقذار والأحداث .

قوله : (واذا العذارى) ، جواب اذا قوله :

دارت بأرزاق العفاة مغالق * بيدى من قمع العشار الجلة

كنى بصبر الأبكار مع فرط حيائهن وتصونهن على دخان النار حتى يصير بمنزلة قناع لهن ، وعدم صبرهن الى طبخ الطعام ، والقائهن في الرماد الحار قدر مايتعللن به من اللحم[3] عن اشتداد القحط ، المغالق : قداح الميسر لأن الجزور تغلق عندها وتهلك بها ، القمعة : القطعة من السنام ، العشار : النوق الحوامل التى أتى بحملهن تمام عشرة أشهر ، والجلة من الابل : السمان ، أي اذا اشتد القحط دارت القداح في الميسر بيدى لاقامة أرزاق الطلاب من أسنمة النوق السمان الكبار / الحوامل ١٩ب التى قرب وضع حملها ، وكل ذلك يضن بها ويتنافس فيها ، ولا يخفى مافي البيت من وجوه البلاغة[4]

---

(١) الكشاف ١ / ٨٢ (٢) خ " منزلة " وهو تحريف

(٣) وهو معنى قوله " ملت " أي شوت المليل بأن تضع اللحم أو الخبز على الجمر فينضج والبيتان لسلمى بن ربيعة وقيل : لعلباء بن أرقم بن عوف ، شبه استتار الأبكار بالدخان أو سواد هن به باستتارهن بالقناع على طريق التصريحية ، أو شبه الدخان بالقناع على طريق المكنية ، والعفاة : طلاب الرزق ، انظر شرح الحماسة للتبريزي ٢ / ١٢٣ ، وللمرزوقي ٢ / ٥٥٠ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٨٢ ، وتنزيل الآيات ٥٠٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٤ ، ونوادر أبي زيد ١٢١ ، والأصمعيات ١٦٢ ، والخزانة ٣ / ٤٠٣ ، والمستقصى في أمثال العرب ١ / ١٥٧ ، والمفصل ٩٨ .

(٤) منها قوله : " دارت " وما فيه من الدلالة على أنه أمر يتكرر مرة بعد أخرى ، وجمع الرزق والعفاة ، وتعريفهما ، وايثار المغالق على القداح دلالة على أنه غارم لافائز = وتنكيرها لافادة التعظيم والتكثير ، وما في قوله " بيدى " من التصوير والمبالغة في التثنية ، وايثار السنام وهو أطيب ما في الابل والعشار وهي أنفسها عند العرب ، ووصفها بالجلة أي السمان فأفاد كثرة نحره للابل ، وعظم كرمه مع ضيوفه وزواره .

انظر كشف الكشاف الورقة ٤٠ ب

(والمطهرة) بتشديد الطاء والهاء ، والفعل : اطهر أصله تطهر أدغم التاء في الطاء ، وجيء بهمزة الوصل ، والمصدر اطهرة بفتح الطاء وضم الهاء المشددتين ، والأصل تطهره أدغمت فزيدت همزة الوصل .

قوله : (الخلد الثبات الدائم) (١) ، لما كان هذا بحثا لغويا لم يمكن اثباته الا بالنقل والاستعمال ، وأما التمسك بالآية (٢) فظاهر ، وأما بالبيت فلأنه لما انكر أن ينعم الا المخلد الذى لا يلحقه هم ولا وجل ، وأراد بذلك الرجوع عما دعا للطلل بالطيب صباحا ، بمعنى (٣) طيب أهله ، علم أنه نفى الطيب والنعمى عمن لا يتصف بالدوام ، ولهذا ورد في الاستشهاد البيت الأول أيضا ، وغاية مايقال أنه يجوز أن يكون مشتركا بينه وبين المكث الطويل بدليل قولهم : سجن (٤) مخلد ، ونحو ذلك ، أو يجعل الدوام من أفراد المكث الطويل ، فانه أعم من أن يكون بصفة الدوام ، واستعمال اللفظ فى أحد معنييه ، أو بعض أفراد معناه شائع ، والاشتراك وان كان خلاف الأصل كثير وارد ، والاستعمال به شاهد ، ومن العجب أنه قال فى الأساس : " خلد بالمكان وأخلد : أطال به الاقامة ، وما فى الدار الا صم خوالد وهى الأثافى (٥) " ، قال فى الصحاح : " لبقائها بعد دروس الأطلال " (٦) .

و (أنعم صباحا) كلمة تحية من نعم عيشه : طاب ، وخص الصباح لأنه وقت الغارات والمكاره ، و (العصر) بضمتين : العصر ، و (الخالى) الماضى ، و (الوجل) الخوف (٧) .

---

(١) الكشاف ١ / ٨٣
(٢) رقم ٣٤ من سورة الأنبياء وهى قوله تعالى " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد "
(٣) خ : يعنى . (٤) م : سحر
(٥) الأساس مادة (خلد) .
(٦) فى الصحاح مادة (خلد) : " وقيل لأثافى الصخور خوالد لبقائها الخ " . والأثافى جمع أثفية وهو مايوضع عليه القدر .
(٧) والطلل : مابقى من آثار الديار ، والبالى : الفانى ، وروى الشطر الثالث وهل ينعمن الا خلى مخلد ، أنظر ديوان امرئ القيس ٢٧ ، وشرح القصائد السبع الطوال ١٣٢ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٨٣ ، وتنزيل الآيات ٤٧٥ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ٢ / ١٠١٠ ، والمثل السائر ٣ / ٣٦ ، ٩٨ ، والموشح ١٨ ، والأغانى ٩ / ١٦٧ ومعاهد التنصيص ٢ / ٧ ، والأمالى الشجرية ١ / ٢٧٤ وسيبويه ٢ / ٢٢٧ والمسائل الحلبية ٩٠ ، والخزانة ١ / ٢٨ ، ٥٩ ، ١٦١ ، ٣٩٣ ، والعينى ١ / ١٩٦ ، ٤٣٣ ، والأشمونى ١ / ٦٩ ، والصحاح مادة (عصر) ، واللسان مادتى (عسر) ، و (صبح) .

قوله : (سيقت هذه الآية) يعني قوله : " ان الله لا يستحيي " الى آخر مايتعلق به ، والمراد بالتمثيل : التشبيه مطلقا سواء كان في المفرد أو المركب (١) ، على وجه الاستعارة أو غيرها ، (من قبل) متعلق (بليس) على معنى أنه كون عدم مااستنكره الجهلة موضعا للاستنكار ناشئ من جهة ماذكر ، (لا حال) خبر (كانت) ، وضمير (مثلها وجعلت ولها) للآلهة ، (ولم يستنكر) جواب (لما) ، (واحتذى على مثاله) قدر وقاس .

قوله : (ولبيان أن المؤمنين) عطف على (لبيان أن مااستنكره الجهلة) ، و (أن الكفار) عطف على (أن المؤمنين) ، وخبر (أن) (٢) محذوف أي حالهم بخلاف ذلك ، وكذا (أن ذلك) (٣) عطف عليه ، (وغصبهم على بصائرهم) أي أخذ الجهل على بصائرهم قهرا ، يقال : غصبه على ضيعته وعلى عقله ، وليس في هذا الكلام قلب ، ولا ابدال لقوله : (على بصائرهم) من المنصوب في : / (غصبهم) على ماتوهم ، ولا يخفى حسن مافي هذا الكلام من التفسير الاجمالي لمضمون الآيات ، ولطف مافيه من الاشارات (٤) . ٩٢ أ

قوله : (أحناش الأرض) جمع حنش بالتحريك وهو مايصاد من الطير ونحوه ، و (الحشرات) صغار دواب الأرض واحده (٥) : حشرة بالتحريك ، و (الهوام) جمع هامة من هم النمل هميما : دب ، قال الجوهري : " ولا يقع هذا الاسم الا على المخوف من أحناش الأرض (٦) " ، و (هذه) مبتدأ خبره (أمثال العرب) ، و (بين أيديهم) حال أو خبر آخر ، وكذا (مسيرة) نصبا ورفعا ، وكذا (قد تمثلوا) ، ولا يخفى لطف الاشارة (بهذه (٧)) والدلالة على غاية شيوعها وظهورها ، وعلى غباوة

---

(١) م : أو في المركب . (٢) أي في قوله : أن الكفار
(٣) الكشاف ١/٨٤ .
(٤) ان الآية من باب الجمع مع التقسيم والتفريق والتذييل ، وتفسيره لها موافق لذلك ، أما الجمع فقوله : " ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها " لأنه متضمن لحقية المثل وباطلية استنكاره ، وأما التقسيم فالجملتان المصدرتان بأما لأنهما تفصيل لما اشتمل عليه الكلام السابق فجعل الحق منسوبا الى صاحبه ، والانكار مضافا الى أهله ، وأما التفريق فقوله تعالى : " يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا " حيث بين لكل من الفريقين مآل أمره ، وأما التذييل فقوله : " وما يضل به الا الفاسقين " فخص الضلال بهم على الحصر لتختص الهداية بالمؤمنين . انظر فتوح الغيب ١/١٠١ . (٥) م ، خ : واحدها .
(٦) عبارة الصحاح مادة (همم) : من الأحناش .
(٧) أي في قوله : " وهذه أمثال العرب مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا =

الكفرة المنكرين .

قوله : (أجمع من ذرة) [1] هي من صغار النمل تجمع وتدخر قوت السنين [2] ، و (أجرأ من الذباب) [3] يقع على أنف الملك وجفن الأسد ، وكلما ذب آب [4] ، (أسمع من قراد) يزعم العرب أنه يسمع الهمس الخفي من وقع مناسم الابل على مسيرة سبع ليال فيثور في العطن [5] ، ويقصد الطريق فاذا رأته اللصوص لا تشك أن القافلة أقبلت [6] ، (أصرد من جرادة) [7] أبرد ، من صرد الرجل : أصابه البرد ، وهي لا تظهر في الشتاء لقلة صبرها على البرد ، (آكل من السوس) [8] هو دود يقع في الصوف وفي الطعام .

(الزؤان) بضم الزاى وفتحها حب مر يخالط البر ، ضرب به المثل في الانجيل للمعصية ، وأنها من وسوسة ابليس ، وأن الملائكة حين توفيه يميزون بينه وبينه كما يميز الزؤان من البر ، (وبالنخالة) لمن يقول بالبر ولا يعمل به ، كالمنخل يخرج المنخول المختار ، ويمسك النخالة ، (وحبة الخردل) للهدى يزيد ويربو ويضاعف أجره ، (وبالحصاة) للقلوب القاسية ، (وبالأرضة والدود) للادخار في الدنيا لا عند الله تعالى ، يعني أنه تعرض له الآفات من الأرضة ونحوها ، (وبالزنابير) لمقاولة السفهاء لما في اثارتها من الضرار مالا يخفى .

قوله : (لا يبقى له متمسك) أي تمسك (بدليل) يفيد العلم لكونه [9] من القطعيات ، ولا يثبت (بأمارة) تفيد الظن ، ولا (باقناع) يقنع السائل بمقدمات خطابية أو مسلمات أو مشهورات في الجملة ، يعني أن عادة المبهوت (أن يرمى بدفع الواضح) أي يلقيه ويشتغل به (وبالمكابرة والمغالطة) أي السفسطة والمشاغبة لعجزه عن البرهان والخطابة والجدال الحسن .

= فيها بأحقر الأشياء " وهذا تنبيه من السعد الى سر التعريف بالاشارة في هذا المقام . وانظر الكشاف ١/ ٨٤ .

(١) الكشاف ١/ ٨٤ ، ومجمع الأمثال ١/ ١٧١ ، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٥١ .

(٢) خ : قوت سبع سنين .

(٣) مجمع الأمثال ١/ ١٦٥ ، والمستقصى ١/ ٤٦ .

(٤) أي كلما دفع وطرد عاد كما كان .

(٥) وهي مبارك الابل ، أما مناسم الابل فهي أخفافها .

(٦) مجمع الأمثال ١/ ٣١٩ ، والمستقصى ١/ ١٧٣ .

(٧) مجمع الأمثال ١/ ٣٧٧ ، والمستقصى ١/ ٢٠٧ .

(٨) مجمع الأمثال ١/ ٧٦ ، والمستقصى ١/ ٦

(٩) م : لكونها .

قوله (تغير وانكسار) (١) تفسير للفظ الحياء ، ونوع تنبيه على معناه الوجداني / ٩٢ب الغني (٢) عن التعريف ، (وتخوف مايعاب) ليس يلزم أن يكون صدر ذلك عنه ، بل بمجرد توهمه كما يستحي الأرقاء وضعفاء القلوب في حضور أهل الاحتشام .

قوله : (اذا اعتلت هذه الأعضاء) يعني : (النسا) بفتح النون والقصر: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر بالعرقوب ، ومنه مرض عرق النســـاء ، (والحشا) وهو مااضطمت (٣) عليه الضلوع ، والجمع أحشاء ، وامرأة ضامرة الحشـــا أي الخاصرة ، (والشظى) وهو عظم مستدق ملتزق بالذراع .

قوله : (هو جار على سبيل التمثيل) أي الاستعارة التمثيلية وبين التشبيه فـي المصدر (٤) تنبيها على أنها استعارة تبعية ، وبه ظهر أن المستعار في الاستعـارة التمثيلية قد يكون لفظا مفردا دالا على معنى مركب .

فان قيل : هب أن اثبات الاستحياء لله تعالى كما في الحديث يحتاج الـــى تأويل ، وأما نفيه كما في الآية فلا يحتاج الى ذلك [كما في قولهم : الله ليس بجوهر ولا عرض ، وقوله تعالى : "لا تأخذه سنة ولا نوم " (٥) و " لم يلد ولم يولد " (٦) ونحـو ذلك] (٧) فأي حاجة الى جعل " لا يستحيي " من قبيل التمثيل أو المقابلة أعني المشاكلة ؟

قلت (٨) : اذا نفيت أمثال ذلك على الاطلاق بمعنى أنها ليست من شأنه ، وأنه لا يتصف بها كما في الأمثلة التي ذكرت ثم لم يحتج الى تأويل ، وأما اذا نفيت على

---

(١) الكشاف ١ / ٨٤ . (٢) خ (الخفي) .
(٣) الاضطامة : معظم الشيء ومجتمعه أو وسطه .
(٤) حيث قال : " مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمـــه ، بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه " . انظر الكشاف ١ / ٨٥ . وصحيـــح الترمذي ١٣ / ٦٨ ، وسنن أبي داود ٨ / ١٥٥ ، والمستدرك للحاكم ١ / ٤٩٧ .
(٥) من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .
(٦) الآية ٣ من سورة الاخلاص .
(٧) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٨) م ، خ : قلنا .

التقييد فقد رجع النفي الى القيد وأفاد ثبوت أصل الفصل أو امكانه لا أقل ، فاحتاج الى التأويل كما اذا قيل : لم يلد ذكرا ، ولم يأخذه نوم في هذه الليلة ، وليس بحرض قار الذات .

قوله : (ويجوز أن تقع) يعني أن المشاكلة فن غير الاستعارة ، لكن ظاهر أنه ليس بحقيقة ، ووجه التجوز ليس بظاهر ، ولذا قال (هو فن بديع وطراز عجيب) ، وظاهر كلامهم أن مجرد وقوع مدلول (١) هذا اللفظ في مقابلة ذاك جهة التجوز والجواز على ماقال : (فالذى سوغ) الى قوله : (لامتنع تجميدها) ، ولا خفاء في أنه يمكن في بعض صور المشاكلة اعتبار استعارة بأن يشبه انقباض الشهادة عن الحفظ وتأبيها على الذاكرة (٢) بتجميد الشمع ، لكن الكلام في مطلق المشاكلة سيما مثل قوله :

قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا (٣)

قوله : (من مبلغ) ، (الأفناء) الأخلاط ، ويقال : هو من أفناء الناس اذا لم يعلم من هو ، والمراد ههنا (٤) : ابلاغ الكل كائنا من كان أي آثرت أولا من يحمد جواره ثم بنيت المنزل حوالي داره (٥) .

قوله : (انك لسبط الشهادة) (٦) ترسلها على طول من غير تأمل وتدبر ، بمنزلة الشعر المسترسل ، (فقال : انها لم تجمد عني) أي لم تمنع ولم تقبض بل / أنا واثق بها ٩٣ أ عالم بكيفية الحال ، وهذا النوع من المشاكلة أبدع وأعجب ، اذ ليس تعبيرا عن الشىء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير بل في صحبة ضده ، وقول شريح : (لله بلادك) على طريقة قولهم : لله أنت ، ولله درك تعجبا ودعاء واستحسانا .

---

(١) خ : مثل .　　(٢) م : عن الذاكرة ، خ : عن القوة الذاكرة .
(٣) عجز بيت لأبي الرقعمق أحمد محمد الأنطاكي ، وأوله :
قالوا : اقترح شيئا نجد لك طبخه
انظر بغية الايضاح ٢٢/٤ ، وشروح التلخيص ٣١١/٤ ، ٥٣٩ ، ومفتاح العلوم ٢٢٥ ، واتمام الدراية ١٦٢ ، ومعاهد التنصيص ٢٠٢/٢ ، وذيل اللآلي ٢٧ ، والصباح ٤٣٤ .
(٤) م ، خ : هنا .
(٥) والبيت هو ثاني بيت من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد الايادي ، انظر ديوان أبي تمام ٤٩/٣ ، ومشاهد الانصاف ٨٥/١ ، وتنزيل الآيات ٤٧٥ .
(٦) في م ، خ زيادة " أي بينة " .

قوله : (وقد استعير) (١) رجوع الى زيادة توضيح وتتميم لأمر التمثيل ، وتأنيس به بعد توسيط أمر المشاكلة ، (استحين الماء) على لغة استحى يستحي بحذف الياء لكثرة الاستعمال ، (السبت) الأديم المدبوغ بالقرظ استعارة (٢) لمشافر الابل ، وأراد بإناء من الورد المنهل الذى على حافاته الورد (٣) ، يصف الابل وكثرة الماء والكلأ عندها ، وأنها لا تشرب عطشا لكن حياء من الماء حيث يعرض نفسه عليها . (٤)

قوله : (اعتماده) ، هو من قولهم للمثل : الاعتماد ، والضرب اعتماد وحركة للآلة نحو المضروب ، حاصله : صنعه وايجاده ، " واضطراب الخاتم (٥) " ايجاده لنفسه ، بخلاف ضربه ، والمقصود بيان المناسبة بين هذه المجازات وبين حقيقة الضرب الذي هو الاعتماد المخصوص واستعمال الآلة .

قوله : (وما هذه ابهامية) جعلها ههنا قسيما للصلة ، وفى المفصل قسما من حروف الصلة مثلها فى " فيما نقضهم " (٦) فكأنه مال ههنا الى أنها اسم على ما هو رأى البعض ، ومعنى " مثلا ما " مثلا أى مثل ، ويتفرع على الابهام الحقارة مثل : أعطه شيئا ما ، والفخامة مثل : لأمر مايسود من يسود ، اذ لم تجعل مصدريه ، والنوعية مثل : اضربه ضربا ما ، وفى الجملة يؤكد ما أفاده تنكير الاسم قبلها .

وبيّن فائدة الصلة بقوله : (للتأكيد (٧)) لئلا يتوهم أنها لغو يجب صيانة الكلام الفصيح عنه ، ومعنى كونها (صلة) أنها لا يتغير بها أصل المعنى ، ويشكل ببعض الحروف المفيدة للتأكيد مثل : ان واللام حيث لا تعد صلة وان اشترط عدم

---

(١) الكشاف ١ / ٨٥ .
(٢) قوله " استعاره " ناقص من الأصل .
(٣) فالسبت والاناء تصريحيتان أصليتان .
(٤) وروى مكان اذا ما استحين : اذا ما استجبن بالجيم من الاجابة ، والاستجابة أشبه بالعرض وأوفق ، والمعنى أنه يعرض نفسه وهي تجيب ، ومعنى كرعن : شربن والبيت للمتنبي انظر ديوانه ٢ / ٦٣ ومشاهد الانصاف ١ / ٨٥ ، وتنزيل الآيات ٣٦٦ ، والبحر المحيط ١ / ١٢١ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٦ .
(٥) من قوله : وفى الحديث : اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب انظر الكشاف ١ / ٨٥ ، والنهاية فى غريب الحديث ٣ / ٨٠ .
(٦) من الآية ١٥٥ من سورة النساء ، وانظر المفصل ١٧١ .
(٧) الكشاف ١ / ٨٦ .

العمل انتقض باللام حيث لم تعمل ، وزيادة بعض الحروف الجارة حيث عملت ، وقد تكون حروف الصلة لتزيين اللفظ وزيادة فصاحته .

قوله : (حقا أو ألبتة) الظاهر أن حقا معنى (١) ما الابهامية ، وألبتة معنى الصلة وهذا ظاهر ، أما الأول فوجهه أن الشيوع يدل على أن أي مثل أتى به حقيرا أو عظيما طابق الممثل به فيكون حقا ، وقيل : كلاهما معنى الصلة والتأكيد أي ضرب المثل ضربا حقا / أو حق حقا فيتعلق بالضرب ، أو لا يستحي ألبتة فيتعلق بلا يستحي . ٩٣ ب

قوله : (وبما لا يدركه) عطف على (الجزء) نظرا الى تغاير (٢) المفهومين ، يعني له أن يقول : هو كالجزء الذي لا يتجزأ ، أو كما لا يدركه لغاية الصغر الا الله وحده ، أو باعتبار أن المراد (بما لا شيء أصغر منه) بحسب الوجود ، فهذا وان كان مستقيما لتغاير الجزء الذي لا يوجد في الخارج موجود أصغر منه فلا يرد أن أحد قسميه أصغر منه ، وقوله : (أو بالمعدوم) عطف على (٣) (بما لا شيء) ، و (أقل من لا شيء في العدد) هذا من تتمة المثل ، وقد سبق أن (لا) هذه بمعنى غير ، حرف أو اسم ظهر اعرابه فيما بعده (٤) ، وعن المصنف أنها زائدة ، و (شيء) مجرور (بمن) والمعنى : فلان في حساب الأشياء كأقل شيء ، أو غير زائدة أي أقل من الشيء بمعنى أنه لا يلتفت اليه ، (ولقد ألم) بهذا المعنى وهو جعل الشيء بمنزلة العدم قوله : " ما يدعون " (٥) (ما) نافية و (من) زائدة و (شيء) مفعول يدعون وقيل : ما استفهامية ومن بيانية (٦) ، فلا الام .

قوله : (وهذه القراءة) يعني قراءة رفع بعوضة (٧) تنسب الى رؤبة (٨) وهو من الفصحاء وخلص البادية ، يقال : فلان (يمضغ الشيح والقيصوم) لمن خلصت بدويته (٩) .

---

(١) خ : بمعنى .
(٢) في الأصل " نظائر " وهو تحريف .
(٣) قوله " على " ناقص من م .
(٤) وذلك لكونه على صورة الحرف . انظر الورقة ١٥ أ من هذه الحاشية .
(٥) من الآية ٤٢ من سورة العنكبوت .
(٦) والذي قال ذلك هو أبو البقاء العكبري في كتابه : اعراب القرآن ١١٢/٢ .
(٧) انظر البحر المحيط ١٢٢/١ — ١٢٣ .
(٨) هو أبو محمد رؤبة بن العجاج كان راجزا مشهورا ، بصيرا باللغة وغريبها . وكانت اقامته بالبصرة ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . وفيات الأعيان ٦٣/٢ .
(٩) اعترض ابن المنير الاسكندري على الزمخشري في تعويله على فصاحة رؤبة =

قوله : (أو مفعول ليضرب[1]) ، لا خفاء في أنه لا معنى لقولنا : تضرب بعوضة ، الا بضم مثلا اليه ، وتسمية مثل هذا مفعولا ومثلا حالا بعيد جدا ، وتوهم كونه[2] حالا موطئة غلط ظاهر ، فان مثلا هو المقصود ، وانما يستقيم لو جعل مثلا : "بعوضة" حالا ، و "مثلا" صفة له مثل "أنزلناه قرآنا عربيا"[3] ، وقوله : (أو انتصبا[4] مفعولين) على أن مثلا هو الثاني وبعوضة هو الأول ، وصح التنكير لحصول الفائدة اذ القصد بها الى أصغر صغير .

(وأبو دثار) هو الكلة التي تضرب دفعا لأذى البعوض ، فاضافة (بيت) اليه للبيان ، وقيل : هو البعوض لدثوره بالنهار ، أو للاحتياج الى الدثار من أذاه . (والبعض) : القطع[5] ، و (الخموش) من الخمش وهو الخدش ، ولا يستعمل الا في الوجه .

(فقال) عطف على (قد ذم) ، (هو لا يبالي) مفعول (تقول) ، (فضلا عن الدرهم) أي بقي عدم المبالاة[6] ببخل نصف درهم عن عدم مبالاته ببخل الدرهم والدرهمين ، أي انتفى العدم الثاني بالكلية وبقي العدم الأول ، يريد استبعاد مبالاته ببخل النصف ، واستحالة مبالاته ببخل الدرهم .

قوله : (شوكة) [7] مرة من المصدر لا واحد الشوك الذي هو العين ، قال / ٩٤ أ الكسائي : شكت الرجل أشوكه اذا أدخلت شوكة في جسده[8] ، وشيك هو على ما لم يسم فاعله يشاك شوكا .

قوله : (وأما حرف فيه معنى الشرط) [9] ، يعني ليس باسم على ما يتوهم من قولهم

= حين نسب القراءة اليه لأن هذا الأمر يوهم أن القراءة موكولة الى رأي القارئ ، وتوجيهه لها ، ونصرته بالعربية ، وفصاحته في اللغة ، وليس الأمر كذلك ، بل القراءة على اختلاف وجوهها وعدد حروفها : سنة تتبع ، وسماع يقضي بنقله الفصيح وغيره على حد سواء ، فكل قارئ معزول الا عما سمعه فوعاه ، وتلقنه من الأفواه فأداه الى أن ينتهي ذلك الى استماع من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . انظر الانتصاف ١ / ٨٦ .

(١) أي بعوضة . الكشاف ١ / ٨٧

(٢) خ : كونها .

(٣) من الآية ٢ من سورة يوسف

(٤) م : أو انتصابا .

(٥) فالمعنى : نعمت الكلة التي تمنع البعوض ليالي الصيف اذا ما خاف بعض القوم بعض البعوض أي قطعه ولسعه ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٨٧ ، وتنزيل الآيات ٤٣٤ ، واللسان مادة (بعض) .

(٦) م ، خ : مبالاته

(٧) من قوله صلى الله عليه وسلم : "ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة . ومحيت بها عنه خطيئة" انظر صحيح مسلم ١٦ / ١٢٧ .

(٨) اللسان مادة (شوك) وعبارته : اذا أدخلت الشوكة في رجله .

(٩) الكشاف ١ / ٨٨ .

" أما زيد فمنطلق ، معناه : مهما يكن من شيء " مع شيوع العبارة عنه بالكلمة (١) دون الحرف ، ثم ليست هي بحرف شرط ، بل فيها معنى الشرط ، ونبه بقوله : (ولذلك لزمتها الفاء) (٢) على مايعلم به تضمنها معنى الشرط ، وسره أنهم لما حاولوا الدلالة على أن الواقع بعدها مما يتعلق به شيء من الجملة ، جعلوه في موضع الملزوم أعني الشرط ، وما يتعلق به في موقع اللازم أعني الجزاء ، فدل على لزوم الحكم وأنه كائن ألبتة ولا محالة ، وإلى هذا أشار ببيان فائدته .

وذكر ابن الحاجب في تحقيق معناها ، ووجه جواز تقديم مافي حيز الفاء عليها : أنها لتفصيل مافي نفس المتكلم من أقسام متعددة ، فقد تذكر الأقسام ، وقد يذكر قسم ويترك الباقي كقوله تعالى : " فأما الذين في قلوبهم زيغ " (٣) ، والتزموا حذف الفعل بعدها لجريها (٤) على طريقة واحدة ، كما التزموا حذف متعلق الظرف اذا وقع خبرا مثل : زيد في الدار ، لأن المعنى : مهما يكن من شيء أو يذكر من شيء .

والتزموا أن يقع بينها وبين جوابها (٥) ما يكون كالعوض من الفعل المحذوف ، ثم اختلفوا فيما يتعلق به ذلك الواقع ، والصحيح أنه أحد أجزاء الجملة الواقعة بعد الفاء قدم عليها لغرض العوضية ، وذلك لأن وضعها لتفصيل الأنواع ، وما ذكر بعدها أحد الأنواع المتعددة ، وذكره باعتبار مايتعلق به من الجملة الواقعة بعد الفاء ، والغرض من التقديم : الدلالة على أنه هو النوع المراد تفصيل جنسه ، وكان قياسه أن يقع مرفوعا على الابتداء ، لأن الغرض الحكم عليه بحسب مابعد الفاء ، لكنهم خالفوا الابتداء ايذانا من أول الأمر بأن تفصيله باعتبار الصفة التي هو عليها في الجملة الواقعة بعد الفاء من كونه مفعولا أو ظرفا أو مصدرا أو غير ذلك ، ألا ترى أنك تفرق بين يوم الجمعة في قولك : يوم الجمعة ضربت فيه وقولك : ضربت في يوم الجمعة ؟ وإن كان في الموضعين مضروبا فيه إلا أنه ذكر في الأول ليدل على أنه حكم عليه ، ولما كان الحكم بوقوع الضرب فيه علم أن الضرب واقع فيه ، وفي الثاني ذكر ليدل على أنه الذي وقع الضرب فيه من أول الأمر ، فلما كان كذلك قصد أن يكون الواقع بعد أما من أول الأمر

---

(١) في م زيادة " عنه " .
(٢) عبارة الزمخشري : ولذلك يجاب بالفاء . الكشاف ١ / ٨٨ .
(٣) من الآية ٧ من سورة آل عمران ، وانظر شرح الكافية ١ / ١٣٢ .
(٤) خ : بعدهما لجريهما .
(٥) م ، خ : جزائها .

على حسب/ ماهو عليه (١) في جملته ،ولزم أن يكون على معناه واعرابه الذى كان له ، ٩٤٠ ب
وبطل القول بكونه معمول الفصل المحذوف ... الفا ،أو بشرط أن لا يكون هناك مانع،
وتبين وجه ماقيل : ان لها خاصية في تصحيح التقديم لما يمتنع تقديمه ،وحاصله :
التنبيه على أن الواقع بعدها هو المقصود بالتفصيل والتخصيص من بين مافي الجملة
الواقعة بعد الفاء .

قوله : (مدل) (٢) ،أدلى بحقه وحجته : أحضرها ،وأدلى بمال فلان الى الحكام : دفعه ،ووجه (التأكيد) أنه بمنزلة التعليق بوجود شيء ما لأن معنى مهما يكن من شيء : ان يقع هذا أو ذاك الى مالا يحصى ،ومادامت الدنيا يقع فيها شيء ،فيكون المعنى أن قيام زيد ثابت ألبتة وعلى كل حال . و (أحمدت) فلانا : وجدته محمودا ،وجاورته فأحمدت جواره . (النعى) رفع الصوت بذكر الموت،ونعى عليه هفوته : شهر بها ،وتقول : (أغفلت) الشيء اذا تركته على ذكر منك .
(وعنادهم) عطف على (اغفالهم) ،ووصف (الكلمة بالحمقاء) وصف لها بوصف صاحبها .

قوله : (فهو) أي " ما " على تقدير كون " ذا " اسما موصولا مبتدأ خبره الموصول مع الصلة باطباق النحاة وان كان المبتدأ نكرة والخبر معرفة .

قوله : (وقد جوزوا عكس ذلك (٣)) يعني فيما اذا اتفق السائل والمجيب على الفصل ،وكان السؤال عن المتعلق ،بخلاف مثل قوله تعالى : " واذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : أساطير الأولين (٤) " فانه بالرفع لأنه في المعنى نفي الانزال . أي هذا الذى تزعم أنه منزل (٥) هو أساطير الأولين ،فلا يصح تقدير الفعل في الجواب .

قوله : (بالرفع والنصب) (٦) ، فان قيل : فتكون احدى القراءتين على غير الأصوب ،قلنا : لا بل تكون احدى القراءتين على تقدير ،والأخرى على تقدير آخر .

---

(١) قوله " عليه " ناقص من الأصل .
(٢) أي أن قول سيبويه في تفسير أما زيد فذاهب : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، مدل لفائدتين : بيان كونه توكيدا ،وأنه في معنى الشرط . الكشاف ١ /٨٨ .
(٣) الكشاف ١ /٨٨ (٤) الآية ٢٤ من سورة النحل .
(٥) خ : ينزل .
(٦) أي قرئ العفو في قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " الآية ٢١٩ من سورة البقرة ،بالرفع والنصب ،انظر " اتحاف فضلاء البشر " ٩٥ .

على حسب/ ما هو عليه (١) في جملته ، ولزم أن يكون على معناه واعرابه الذى كان له ٩٤٥ ب وبطل القول بكونه معمول الفصل المحذوف قبل الفاء ، أو بشرط أن لا يكون هناك مانع ، وتبين وجه ما قيل : ان لها خاصية فى تصحيح التقديم لما يمتنع تقديمه ، وحاصله : التنبيه على أن الواقع بعدها هو المقصود بالتفصيل والتخصيص من بين ما فى الجملة الواقعة بعد الفاء .

قوله : (مدل) (٢) ، أدلى بحقه وحجته : أحضرها ، وأدلى بمال فلان الى الحكام : دفعه ، ووجه (التأكيد) أنه بمنزلة التعليق بوجود شىء ما لأن معنى مهما يكن من شىء : ان يقع هذا أو ذاك الى مالا يحصى ، وما دامت الدنيا يقع فيها شىء ، فيكون المعنى أن قيام زيد ثابت ألبتة وعلى كل حال . و (أحمدت) فلانا : وجدته محمودا ، وجاورته فأحمدت جواره . (النعى) رفع الصوت بذكر الموت ، ونعى عليه هفوته : شهر بها ، وتقول : (أغفلت) الشىء اذا تركته على ذكر منك . (وعنادهم) عطف على (اغفالهم) ، ووصف (الكلمة بالحمقاء) وصف لها بوصف صاحبها .

قوله : (فهو) أى " ما " على تقدير كون " ذا " اسما موصولا مبتدأ خبره الموصول مع الصلة باطباق النحاة وان كان المبتدأ نكرة والخبر معرفة .

قوله : (وقد جوزوا عكس ذلك (٣)) يعنى فيما اذا اتفق السائل والمجيب على الفصل ، وكان السؤال عن المتعلق ، بخلاف مثل قوله تعالى : " واذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : أساطير الأولين (٤) " فانه بالرفع لأنه فى المعنى نفى الانزال ، أى هذا الذى تزعم أنه منزل (٥) هو أساطير الأولين ، فلا يصح تقدير الفصل فى الجواب .

قوله : (بالرفع والنصب) (٦) ، فان قيل : فتكون احدى القراءتين على غير الأصوب ، قلنا : لا بل تكون احدى القراءتين على تقدير ، والأخرى على تقدير آخر ،

---

(١) قوله " عليه " ناقص من الأصل .

(٢) أى أن قول سيبويه فى تفسير أما زيد فذاهب : مهما يكن من شىء فزيد ذاهب ، مدل لفائدتين : بيان كونه توكيدا ، وأنه فى معنى الشرط . الكشاف ١/٨٨ .

(٣) الكشاف ١/٨٨ (٤) الآية ٢٤ من سورة النحل .

(٥) خ : ينزل .

(٦) أى قرىء العفو فى قوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " الآية ٢١٩ من سورة البقرة ، بالرفع والنصب ، انظر " اتحاف فضلاء البشر " ٩٥ .

وانما يلزم ماذكر لو كانت القراءتان على تقدير واحد وليس بلازم فقوله : (علـــى التقديرين) دفع لهذا السؤال .

قوله : (الارادة معنى) أى أمر لا يقوم بنفسه بل بالذات ،وخرج بقولـــه : (يوجب) الى آخره العلم والقدرة وغيرهما ،ومن زعم من المعتزلة أن للبارى ارادة (مثل صفة المريد منا) كأنه يقول بزيادة الصفات ،وقد ينسب هذا القول الـــى الجبائى وهو لا يقول بزيادة الصفات ،وأجيب بأنه يقول : انه تعالى مريد بـارادة حادثة موجودة لافى محل ،وأما القول الثانى واليه ذهب الكعبى والبصرى وغيرهما : أن (معنى ارادته لأفعاله أنه فعلها عالما بها) وبما فيها من المصلحة/ (ولأفعال ٩٥ أ غيره أنه أمر بها) وطلبها ،ولا خفاء فى أن الطلب أمر زائد على العلم ،وبالجملة فلا يكون مريدا للقبائح للاتفاق على أنه ليس يأمر بها (١) ،وأما عند الفلاسفة فارادته هو العلم بالنظام على الوجه الأكمل ،ويسمونه العناية .(٢)

قوله : (ياعجبا) بالألف بدلا عن ياء الاضافة ،والمعنى : ياعجبى احضر لعبد الله بن عمرو بن العاص ،قالت (٣) ذلك حين أفتى بوجوب نقض الضفائر فى الاغتسال (٤) وايقاع (مثلا) تمييزا أو حالا من (هذا) يشعر بأنه اشارة الى المثل ،لا الـــى ضرب المثل على ماهو أحد محتملى الضمير فى "أنه الحق (٥)" ،وانما أخر بيـــان مرجع الضمير الى هذا المقام لأنه حاول تفسيرا لألفاظ الآية أولا أعنى كلمة أمـــا ، والحق ،وماذا ،والارادة ،ثم اشتغل بما يتعلق بالاعراب .

قوله : (مثلا نصب على التمييز) فذكر فى الكلام التمييز عن الضمير ،وقد يكـــون عن اسم الاشارة ،وتمامهما بنفسهما من جهة أنه تمتنع اضافتهما ،وذلك اذا كانـــا مبهمين لا يعرف المقصود بهما مثل : ياله رجلا ،ويالها قصة ،ويالك من ليل ،ونعم رجلا ،وأشباه ذلك ،والعامل هو الضمير واسم الاشارة ،فقد جوزوا اعمالهما كما فى سائر الأسماء الجامدة المبهمة التامة بالتنوين وغيره .

---

(١) فى الأصل : ليس بمريد لها ،وهو خطأ لعدم الاتفاق لأن أهل السنة يرون أنه تعالى مريد لكل مايقع فى ملكه . انظر تفسير الرازى ٢٣٩/١ ،وتحفة الأشراف ٨٢/١ .

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ١٧٥/١ ـ ١٧٦

(٣) خ : قالت عائشة ذلك .

(٤) صحيح مسلم ١٢/٤ باب حكم ضفائر المغتسلة .

(٥) م "أنه حق" وهو خلاف مافى الآية الكريمة .

أما اذا كان المرجع والمشار اليه معلوما كما في قولنا : جاءني زيد فلله دره رجلا وياله رجلا ، في الخطاب لمعين ، وقال الله عز قائلا أو من قائل ، ولقيت زيدا قاتله الله شاعرا ، وانتفع بهذا سلاحا ، فالتمييز عن النسبة ، وهو نفس المنسوب اليه كما في قولك : كفى بزيد رجلا ، ويلم أيام الشباب (١) معيشة ، وأمثال ذلك . ومعلوم أن "هذا" في الآية اشارة الى (المثل) ، وفيما أورد من المثالين الى (الجواب والسلاح) فالتمييز فيهما عن النسبة ، وهي نسبة التعجب والانكار الى المشار اليه .

قوله : (أو على الحال) (٢) من اسم الاشارة بأن يكون هو ذا الحال ، وأما العامل فهو الفعل كما في قولك : لقيت هذا فارسا ، اشارة الى زيد ، ولا حاجة الى جعل العامل اسم الاشارة وذى الحال الضمير المجرور أى الذى في أشير اليه مثلا ، وعلى هذا فالتمثيل بقوله تعالى : " هذه ناقة الله لكم آية " (٣) في مجرد أن الحال اسم جامد ، والا ففي الآية العامل في الحال اسم الاشارة مثل : " هذا بعلى شيخا " (٤) .

قوله : (جار مجرى التفسير) هذا كما ذكر في سورة محمد [صلى الله عليه وسلم] (٥) في قوله تعالى : " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم " (٦) بعد قوله : " الذين كفروا " (٧) / الى آخره ، وبعد " الذين آمنوا (٨) " الى آخره . أن مثل هذا الكلام تسميه علماء البيان بالتفسير (٩) ، ولا خفاء في أن المراد : التفسير لبعض مايحتاج الى البيان من متعلقات الجملتين مثل : تقرير صد الكافرين عن سبيل الله ، وتكفير سيئات المؤمنين ، وهذا ماأشار اليه بقوله : (وأن فريق الصالحين) الى آخر الكلام عطفا على (التفسير) أو على جار بتقدير مضاف أى ٩٥ ب

(١) م : أرباب الشباب ، وهو تحريف .
(٢) الكشاف ١ / ٨٨
(٣) من الآية ٦٤ من سورة هود
(٤) من الآية ٧٢ من سورة هود
(٥) مابين المعقوفين ناقص من الأصل
(٦) الآية ١١ من سورة محمد
(٧) الآية ١ من سورة محمد .
(٨) الآية ٢ من سورة محمد
(٩) وقد ذكر الزمخشري ذلك في تفسير قوله تعالى : " ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم " وهي الآية الثالثة من سورة محمد ، وليس كما ذكر السعد ، أى لم يذكره في قوله تعالى : " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا " الآية . انظر الكشاف ٤ / ٢٥٠ .

بيان أن قرين ،ولا وجه لعطفه على الجملتين الا بتكلف .

قوله : (الناس كابل) (١) تشبيه وتمثيل ،والمعنى : أن المنتخب المرضى من الناس نادر كالنجيب من الابل لا يوجد فيما بين الكثير منها ،قال الأزهرى : "الراحلة هى البعير القوى على الأسفار والأحمال ،التام الخلق ،يطلق على الذكر والأنثى والتاء للمبالغة " (٢) .

قوله : (وجدت الناس) (٣) من حديث أبى الدرداء [رضى الله عنه] (٤) ،وفى الصحاح : " خبرت الشيء أخبره خبرا بالضم وخبرة بالكسر : بلوته واختبرته " (٥) ، وفى الأساس: " خبرته واستخبرته فأخبرنى (٦) " و " يقليه ويقلاه : يبغضه " (٧) ، والجزم ههنا على أنه جواب الأمر الذى وقع موقع ثانى مفعولى (وجدت) بتقدير القول ،أى وجدت الناس مقولا فى حقهم هذا ، ومفعول (اخبر) محذوف أى اخبره ، والهاء فى (تقله) هاء السكت (٨) أو ضمير أفرد نظرا الى لفظ الناس أو كل أحد ، وقال الميدانى (٩) : " يجوز رفع الناس على الحكاية ،ومن نصبه فقد نصبه باخبر ، ووجدت بمعنى عرفت أى وجدت الأمر كذلك : بمعنى عرفت هذه القضية (١٠) وتحقيقها ، وقال أبو عبيدة : الأمر فى معنى الخبر أى اذا اخبرتهم قليتهم " (١١)

قوله : (أهل الهدى كثير) يعنى وصفوا ههنا بالكثرة لكثرتهم فى أنفسهم ،حيث لا يكاد يحصى عددهم ،وأما اذا وصفوا بالقلة فذلك بالقياس الى أهل الضلال ، وتحقيقه أن كلا من القلة والكثرة قد يعتبر بحسب الذات ،وقد يعتبر بحسب الاضافة ،

---

(١) من قوله صلى الله عليه وسلم : " انما الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة " انظر صحيح مسلم ١٦ / ١٠١ ،وصحيح الترمذى ١٠ / ٣٢٣ ،ومسند ابن حنبل ٢ / ٧٠ ، والنهاية فى غريب الحديث ١ / ١٥ . (٢) تهذيب اللغة ٥ / ٥
(٣) الكشاف ١ / ٨٨-٨٩ .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ،وانظر النهاية فى غريب الحديث مادة (قلا)
(٥) الصحاح مادة (خبر) . (٦) أساس البلاغة مادة (خبر)
(٧) أساس البلاغة مادة (قلو) (٨) م خ " للسكت " مكان " هاء السكت"
(٩) أبو الفضل احمد بن محمد الميدانى النيسابورى الأديب النحوى اللغوى له مجمع الأمثال الذى حسده عليه الزمخشرى وكتب أخرى توفى سنة ٥١٨ هـ . بغية الوعاة ١ / ٣٥٦ .
(١٠) خ : القصة .
(١١) مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٧ بتصرف .

وأما الوجه الثاني [1] فتقريره أنه وان فرغ قلتهم في أنفسهم أيضا فذلك من حيث الصورة فقط ، وأما من حيث المعنى والحقيقة فهم كثير جدا لقيام الواحد مقام الألوف من غيرهم ، فهذا على تقدير تسليم قلتهم في أنفسهم فيكون مثل مافي البيت حيث وصف الكرام بالقلة في أنفسهم نظرا الى الظاهر ، وبالكثرة من جهة المعنى والحقيقة ، وغير الكرام بالعكس ، وهذا في غاية الوضوح [2] .

والبيت لأبي تمام ، وهو اما مرتبط بما قبله أعني قوله :

قالوا أتبكي على رسم فقلت لهم * من فاته / العين [3] ندى شوقه الأثر [4] ٩٦ أ

من جهة جعل البكاء على رسم الأحبة : من آثار الكرام ، أو مقتضب وأخذ في فن آخر من الكلام من غير مناسبة ، كما هو دأب شعراء الجاهلية والمخضرمين ، وكثيرا مايجرى أبو تمام على طريقتهم .

قوله : (اسناد الفعل الى السبب) لاخفاء في أن التصريح بذكر السبب حيث قال : (هو) ، يأبى هذا التأويل ، اللهم الا أن يقال : انه تعالى سبب من جهة ضربه المثل الذي هو السبب القريب ، لكن يبقى أن هذا في الضلال ، وانما الكلام في الاضلال أن فاعله الحقيقي ماذا ؟ والجواب : ماذكره الشيخ عبد القاهر في مثل : أقدمني بلدك حق لي على فلان [5] ، أي ليس ههنا اقدام بل قدوم ، وقد فصلنا ذلك

---

(١) وهو قوله : " وأيضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا " الكشاف ١ / ٨٩ .

(٢) لعل السعد يشير بهذا الى تخطئة من أخذ على الزمخشري استشهاده بالبيت مثل ابن المنير الاسكندري الذي قال : أن الشاعر انما ذهب الى أن عدد الكرام وان كان قليلا في نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه يقوم مقام ألف ، وعدد اللئام وان كثروا فالأكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لعدم تعدي نفع منهم الى غيرهم ، وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير في نفسه ، ومضمون الآيات الأخر ان عددهم قليل بالنسبة الى كثرة عدد الضالين فعبر عنه تارة بالكثرة نظرا الى ذاته ، وتارة بالقلة نظرا الى غيره فليس معنى البيت من الآية في شيء " . الانتصاف ١ / ٨٨ — ٨٩

(٣) خ : العيش .

(٤) والقل : القليل ، وروى قلوا ، انظر ديوان أبي تمام ٢ / ١٨٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٨٩ ، وتنزيل الآيات ٣٩٥ ، والبحر المحيط ١ / ١٢٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٨ ، والمثل السائر ٣ / ٢٥٥ .

(٥) قال الشيخ عبد القاهر : " اعلم أنه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في =

فى شرح التلخيص[1] .

قوله: (فأمر بها تنزل) على لفظ العجاج ،قيل[2] : هو مع " ان " المحذوفة قبله ،أو بتنزيله منزلة المصدر بدل من الضمير فى بها أى بالسلة ،وقيل : أمر أبرز فى صورة الخبر دلالة على سرعة الامتثال أى لتنزل .

قوله: (فواسقا) أوله :

يذهبن فى نجد وغورا غائرا[3]

يصف نوقا متعسفات فى مشيهن ،جائرات عن الطريق المستقيم . " وغورا " عطف على محل " فى نجد " .

قال ابن الأعرابى[4] : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى أشعارهم فاسق ، وهذا عجيب ،وانه كلام عربى[5] .

قوله: (والفاسق فى الشريعة) يعنى أنه يقال : لمرتكب الكبيرة من جهة خروجه عن طاعة الله تعالى — وتفسير الكبيرة فى كتب الكلام — ويدخل فيها الاصرار على الصغيرة[6] ،ويقال : للمارد أى الشديد العتو من الكفرة من جهة خروجه عن الاعتدال فى ذلك الباطل .

وأوضح معنى كونه (بين المنزلتين) غاية الايضاح لئلا يتوهم أن المراد أنه لا يكون فى الجنة ولا فى النار على ماسبق الى بعض الأوهام ،بل هو عنده مخلد فى النار ،وليس معنى (حد له هذا الحد)[7] عرفه هذا التعريف ،بل بين له حده ،

= التقدير اذا أنت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة — ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل فى قولك : أقدمنى بلدك حق لى على انسان ،فاعلا سوى الحق؟ " . دلائل الاعجاز ٢٠٢ .

(١) المطول ٦٤ . (٢) كلمة " قيل " ناقصة من الأصل .

(٣) لرؤبة بن العجاج ،وقيل : لذى الرمة ،وروى : يسلكن ،وكذلك يهوين أى يسرعن تارة فى مكان مرتفع وتارة فى غور أى مكان منخفض .انظر ديوان رؤبة ١٩٠ ،ومفتاح العلوم ٥٢ ،ومشاهد الانصاف ١ / ٨٩ ،وتنزيل الآيات ٣٩٦ ،وأنوار التنزيل ١ / ٥٨ ،والقرطبى ١ / ٢١٠ والفائق ٢ / ١٣٥ ،وسيبويه ١ / ٤٩ ،والخصائص ٢ / ٤٣٢ ،ومادة (فسق) فى الأساس واللسان .

(٤) محمد بن زياد بن الأعرابى كان نحويا عالما باللغة والشعر ناسبا كثير السماع من المفضل الضبى للنوادر والأنواء والخيل وغيرها مات سنة ٢٣٠ هـ .
بغية الوعاة ١ / ١٠٥ .

(٥) انظر مادة (فسق) فى الصحاح والقاموس المحيط .

(٦) م : الصغائر . (٧) الكشاف ١ / ٩٠

المنزلة ، وأظهر هذا الاسم ، واختار أنه ليس بمؤمن ولا كافر ولا منافق .

قال الشريف المرتضى فى كتاب الغرر والدرر [1] : كان واصل بن عطاء مولى بنى مخزوم ، وقيل بنى هاشم ، ولقب بالغزال ، لأنه كان يجلس فى مجلس الغزالين عند رضيع له منهم ، وكان مولده سنة ثمانين ، ومات سنة احدى وثلاثين ومائة ، وصحب أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه وأخذ عنه .

قال [2] : وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ، لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة [3] على أقوال : فالخوارج يسمونهم بالكفر والشرك ، والمرجئة بالايمان ، / والحسن البصرى وأتباعه بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم ٩٦ ب فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين ، واحتج بأن الأمة اتفقوا على اسم الفسق دون ماعداه من الايمان والكفر والنفاق ، فقال عمرو بن عبيد : القول قولك وانى قد اعتزلت مذهب الحسن فى هذا الباب ، فقيل : سموا المعتزلة لذلك ، وقيل : لأن قتادة رضى الله عنه [4] لما جلس مجلس الحسن بعده وقع بينه وبين عمرو نفرة [5] ، فاعتزل عمرو منزل قتادة ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، وكان قتادة يقول اذا جلس مجلسه : مافعلت المعتزلة ؟ [وقال عبد القاهر البغدادى : لأن الحسن طرده عن مجلسه حين قال بالمنزلة بين المنزلتين ، وخلود النار ، مع الخروج عن الكفر] [6] ، فاعتزل عنه الى سارية من سوارى مسجد البصرة ، وأظهر بدعته ، فقال الناس : انه اعتزل الأمة .

قوله (للخلعاء [7]) أى الشطار ، جمع خليع ، كأنه خلع عذاره .

قوله : (من أين ساغ استعمال النقض ؟) يريد بيان الاستعارة بالكناية ، ومايكون قرينة عليها ، وقد اتفقوا على أن فى مثل أظفار المنية ، ويد الشمال استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ، لكن اضطرب كلامهم فى تحقيق الاستعارتين ، وفى أن قرينة الاستعارة بالكناية هل تلزم أن تكون استعارة تخييلية ألبتة ؟ وأن مثل لفظ الأظفار واليد هل هو مستعمل فى معنى مجازى أم لا ؟ وهذا المبحث مع مافيه من الاختلافات وما عليه من الاعتراضات مذكور فى شرح تلخيص المفتاح [8]

(١) وهو كتاب الأمالى ، انظره ١ / ١١٣ ــ ١١٦ .
(٢) أى الشريف المرتضى ، المرجع السابق . (٣) خ : الضلالة .
(٤) قوله (رضى الله عنه) ناقص من الأصل . (٥) م : نفرة ما .
(٦) مابين المعقوفين ناقص من خ .
(٧) عبارة الكشاف ١ / ٩٠ ، للخلفاء . ولكن الشرح الذى أورده السعد للكلمة يدل على أن عبارة النسخ التى اعتمد عليها كانت كما ذكر .
(٨) المطول ١ ٣٨ ــ ٣٨٦ ، ٣٩٣

والأشبه بل الأصوب ما أشار اليه المصنف وهو أن المستعار بالكناية فى أظفار المنية هو لفظ السبع المذكور كناية بذكر شيء من روادفه كالأظفار ، وهو مسكوت عنه صريحا ، ليس فى اللفظ أصلا ، لكن المذكور كناية فى حكم المذكور صريحا ، وكان بمنزلة أن يصرح باستعارة اسم المشبه به وهو السبع للمشبه وهو الموت ، وههنا قد سكت عن الحبل المستعار ، ونبه عليه بذكر النقض ، حتى كأنه قيل : ينقضون حبل الله أى عهده .

والنقض هنا استعارة تحقيقية تصريحية : حيث شبه ابطال العهد بابطال تأليف الجسم ، وأطلق اسم المشبه به على المشبه ، لكنها انما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل ، فبهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد ، وبهذا ظهر أن الاستعارة بالكناية قد توجد بدون التخييلية ، وأن قرينتها قد تكون استعارة تحقيقية .

وأما / فى مثل : أظفار المنية ، ويد الشمال ، فالمحققون على أن ليس الأظفار واليد ١٩٧ أ
مستعملا فى معنى مجازى محقق ، وهو ظاهر ، ولا يتوهم على ما يوهم صاحب المفتاح (1) ، بل هو فى معناه ، لكن اثباته للمنية أو الشمال استعارة تخييلية ، بمعنى جعل الشيء لشيء ليس هو له ، وقد بسط الشيخ الكلام فيه غاية البسط (2) ، فقرينة الاستعارة بالكناية ههنا استعارة تخييلية .

ولقد كنا فى عويل من اختلاف أقوال القوم الى ثلاثة : حيث فهم من كلام القدماء أن الاستعارة بالكناية هو اسم المشبه به المذكور كناية كالسبع مثلا ، وصرح صاحب المفتاح أنه اسم المشبه المستعمل فى المشبه به كالمنية المراد بها السبع ادعاء بجعله مرادفا لاسم السبع على عكس الاستعارة التصريحية (3) ، وصاحب الايضاح أنه التشبيه المضمر فى النفس (4) ، حتى فهم بعض الناظرين فى هذا الكتاب أن الاستعارة بالكناية هى الأظفار من حيث كونها كناية عن استعارة السبع للمنية (5) ، وفى قولنا : شجاع يفترس أقرانه الافتراس ، مع أنه استعارة تصريحية لاهلاك الأقران ، فهو كناية عن استعارة

---

(1) مفتاح العلوم ٢٠٠ .
(2) دلائل الاعجاز ٢٨٣ — ٢٩٧ ، أسرار البلاغة ٣٤ — ٣٦ .
(3) مفتاح العلوم ٢٠٢ (4) الايضاح ١٧٦
(5) عبارة الأصل : فى المنية

الأسد للشجاع (١) ،اذ الكناية لا تنافى ارادة الحقيقة ،لكن المقصود بالقصد الأول هو التنبيه على أنه أسد ،كي يجيء الافتراس وسائر ما للأسد من اللوازم بالضرورة .

ثم هذه الكناية من قسم الكناية فى النسبة أعنى اثبات الأسدية للشجاع ،والحبلية للعهد ،للقطع بأنه ليس كناية عن المسكوت نفسه ،بل دال على مكانه .

قوله : (ابن التيهان) (٢) هو أبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد اليـــاء وكسرها ،ذكره فى جامع الأصول وغيره (٣) ،ومثله : التيجان للمريض المقدام ،من تاج يتوج ويتيج اذا أشرف وتهيأ ،وذكر أبو العلاء المعرى أنه يروى بكسر التاء وفتحها ، وقال الامام المرزوقى : " هو فيعلان بفتح العين ولا يجوز أن يروى بكسرها ، لأن فيعلانا لم يجيء فى الصحيح فيبنى المعتل عليه قياسا " (٤) وهكذا نقل عن سيبويه

وكلام ابن التيهان استشهاد لاستعارة (الحبل) للعهد صريحا ،ثم (القطع) لنقضه ، (وبيعة العقبة) هى البيعة الثانية للأنصار قبل الهجرة ،وكانت فى ثلاث عشرة من النبوة والبيعة الأولى فى سنة احدى عشرة منها .

وقوله : (أن يسكتوا) بدل من (هذا) مع الفصل بالخبر ،وعطف (يرمزوا) بقسم و(ينبهوا) بالفاء ،لما بين السكوت عن المستشار والرمز اليه من البعد ما ليس/ بين ٩٧ ب الرمز والتنبيه ،وقوله : (فاستوثرها) أى اطلبها وثيرة ،فى الأساس: " فراش وثير : وطيء ،وقد وثر وثارة ،واستوثر الفراش ،ومن المجاز : انها لوثيرة ووثيرة العجز ،ووثرت وثارة اذا سمنت " (٥)

قوله : (العهد الموثق) هو الميثاق ،وذكر بعض الاشتقاقات اشارة الى أن فيه معنى الميثاق ،ويقال العهد للأمان ،واليمين ،والذمة ، والحفاظ (*) ،والوصيـة ، وقوله : (أو أخذ الميثاق) عطف على (ماركز) ،وقوله : (فيما تقدمه) متعلق (بذكره) ،وتعليقه (بأخذ الميثاق) بعيد ، وضمير (تقدمه) لرسول الله وكذا الضمائر قبلـه ،

---

(١) هذا ما ذهب اليه عمر بن عبد الرحمن فى حاشيته : كشف الكشاف الورقة ٤٤ أ .
(٢) الكشاف ١ / ٩٠ .
(٣) انظر جامع الأصول لابن الأثير الجزرى الجزء الثانى باب الأسماء والكنى، مخطوط بدار الكتب برقم ٣٨ حديث م ،وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٤٢ ،والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٤٧ .
(٤) شرح الحماسة للمرزوقى ١ / ١٣٢ .
(٥) الأساس مادة (وثر)

(*) الذب عن المحارم .

ومبنى هذا الوجه على أن المراد بالناقضين : أحبار اليهود ، وهو الموافق لما روى عن الحسن أن المستهزئين بضرب المثل بالبعوض ونحوه هم اليهود (١) ، ومعنى "أوفوا بعهدى " (٢) : بما عاهدتمونى عليه من الايمان .

وقوله : (فى الانجيل) أى فى شأنه ووعد انزاله ، ولا يبعد أن يكون هذا الكلام أيضا فى الانجيل كما قال لنبينا صلى الله عليه وسلم (٣) : " انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (٤) " أى القرآن ، وقوله : (وماضيعوا) عطف على (بنى اسرائيل) وكذا ماقبله من الماءات (٥) وكذا (حسن صنعه) ، (ونصره) عطف على (حسن) ، وفى (عهده) التفات من المتكلم الى الغائب لا فى (حسن صنعه) لأنه مثل : واياك نستعين .

(وميثاق الله تعالى) من وضع الظاهر موضع المضمر ، تصريحا باستحقاقهم لذلك ، حيث قاموا بميثاق من يستحق ذلك ، ويجب عليهم القيام بعهده . (وكيف) عطف على (حسن صنعه) نظرا الى المعنى كأنه قيل : وبيان أنه أحسن الى القائمين بالعهد ، وكيف أنزل البأس بالناقضين له ، أو وكيفية انزاله ، وقوله : (لأن اليهود) تعليل من المصنف وبيان لنقضهم العهد [بالنسبة الى عيسى عليه الصلاة والسلام ، اذ لا معنى للاخبار فى الانجيل بنقضهم العهد] (٦) وانزال النقمة بهم على سبيل المضى بالنسبة الى محمد عليه الصلاة والسلام (٧) .

قوله : (وقيل : هو أخذ الله) لم يعطفه بأو على الوجهين السابقين (٨) ، لما أنه ليس فى قوتهما .

---

(١) تفسير القرطبى ١ /٢٠٧ .
(٢) من الآية ٤٠ من سورة البقرة .
(٣) م خ : عليه الصلاة والسلام
(٤) الآية ٥ من سورة المزمل .
(٥) أى " ما " المتكررة فى قوله : " وما رأيته اياهم من الآيات ، وما أنعمت عليهم ، وما نقضوا من ميثاقهم " الكشاف ١ / ٩٠ .
(٦) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٧) خ : صلى الله عليه وسلم .
(٨) فهذا هو الوجه الثالث فى المراد بعهد الله ، أما الوجه الأول فالمراد بعهد الله ماركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد ، والوجه الثانى : اخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول صدقوه واتبعوه .
الكشاف ١ / ٩٠

قوله: (وقيل: عهد الله الى خلقه) ،لاخفاء في أن ليس المراد بعهده الذين ينقضونه: (عهد الأنبياء) : لأنه لا نقض منهم ،ولا (عهد العلماء) ،لأنهم ليسوا الفاسقين الذين أضلهم الله بضرب المثل ،الا أن يراد البعض كعلماء اليهود ،فتعين أن يراد العهد الأول العام (لذرية آدم) عليه السلام ،فيعود الى الوجه الأول أعنى (ماركز في عقولهم) ،ويشبه أن يكون قوله: (العهد الأول الذى أخذه) دون أن يقول: (عهد أخذه) كما في عهد الأنبياء والعلماء[1] اشارة الى ذلك ، أو يراد / عهد علماء اليهود ،فيعود الى الوجه الثاني . ٩٨أ

قوله: (وهو ماوثقوا به) ،فسر الميثاق وهو في الأصل الموثق أى العهد بما وثق به العهد على أنه اسم آلة ،أو بالتوثقة والاحكام على أنه مصدر ،أما على تقدير عود الضمير الى العهد فلأنه ليس لعهد العهد كثير معنى ،وأما على تقدير عوده الى الله تعالى[2] فانه لا معنى لقولنا: ينقضون عهد الله من بعد عهد الله ،وجعل التوثيق على التقدير الثاني من جهة الله بالتأييد بالأدلة السمعية ،لاضافة الميثاق اليه ،وعلى التقدير الأول من جهة الناقضين بالقبول ،لأنه أدخل في تقريعهم وتقبيح حالهم حيث نقضوه بعد ماأحكموه بأنفسهم .

قوله: (طلب الفعل ممن هو دونك[3]) أى أدنى منك حقيقة أو بزعمك فيوافق ماقيل: انه الطلب على طريق الاستعلاء وان لم يكن علوا ،والأمر بهذا المعنى: واحد الأوامر ،وقد يطلق على واحد الأمور اطلاقا للمصدر بمعنى المفعول به ،لأنه كأنه مأمور به من جهة تشبيه الداعي اليه بالأمر به[4] ،فهو مأمور به بمعنى مدعو اليه ، والتشبيه بتسميته شأنا أى مشئونا ليس الا في كونه مصدرا بمعنى المفعول ،اذ هو مقصود حقيقة وليس بمأمور به الا على طريق التشبيه ،فضمير (اليه) و (يتولاه) و (به) و (له) للأمر بمعنى الشأن ،و (من يتولاه) مفعول (يدعو) والمنصوب في (يأمره) يعود اليه .

قوله: (لأنهم استبدلوا) اشارة الى أنهم جعلوا باطلاق الخاسرين عليهم بمنزلة التاجرين على طريق الاستعارة المكنية ، حيث استبدلوا أشياء بشيء ،وضمير

---

(١) وعبارة الكشاف ١ / ٩٠ فيهما : عهد خص به .
(٢) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٣) الكشاف ١ / ٩٠ .
(٤) في الأصل : بمنزلة الآمر به .

(عقابها) للنقض والقطع والفساد وغير (ثوابها) (للوفاء والوصل والصلاح) .

قوله : (حال الشيء تابعة لذاته) [١] أي توجد بوجوده وتنتفي بانتفائه ، يعني انه من حيث كونه تابعا له يكون بمنزلة الخاصة المساوية له ، فيكون امتناع ثبوت الذات مستتبعا لامتناع ثبوت الحال [ضرورة انتفاء التابع بانتفاء المتبوع ، والعارض بانتفاء المعروض ، وإذا كان امتناع ثبوت الحال] [٢] تابعا ولازما لامتناع ثبوت الذات ، كان انكار الحال انكارا للذات بطريق الكناية من جهة أن حال الشيء تابع لذاته ورديف لها . وكما يكنى باثبات التابع والرديف عن اثبات المتبوع والمردوف [٣] فكذا في جانب الانكار .

وبهذا التقرير يندفع ما يتوهم من أن غاية حال الشيء أن يكون لازما له ، وانتفاء الملزوم لا يستتبع انتفاء اللازم ، ولو سلم فتحقق التابع أعني انتفاء اللازم لا يوجب تحقق المتبوع أعني انتفاء الملزوم ، فلا ينتظم ماذكر من / التفريع بقوله : (فكان انكار الحال ٩٨ب انكارا للذات) وعلى تقدير الانتظام فلا معنى لتعليله بأن (حال الكفر تابع لذات الكفر) بل ينبغي أن يقال : لأن انتفاء الحال تابع لانتفاء الذات .

قوله : (اذا أنكر أن يكون لكفرهم حال توجد عليها) يشعر [٤] بأن " كيف " ههنا لانكار الحال على العموم : اما لأن وضعها لعموم الأحوال أو لأن توجه الانكار والنفي الى مطلق الحال وحقيقتها يوجب العموم ، أو لأنه وجب الحمل على ذلك لمقتضى [٥] المقام لوجود الصارف اللازم .

وذكر صاحب المفتاح أن للكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع والجهل به ، فالمعنى ههنا : أفي حال العلم بالله تكفرون أم في حال الجهل ؟ ، والحال حال العلم بمضمون القصة الواقعة حالا ، والعلم به يقتضي أن يكون [٦] للعاقل علم بأن له صانعا متصفا بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال ، وعلمه بأن له هذا الصانع صارف قوي عن الكفر ، وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ

---

(١) الكشاف ١ / ٩١ : في تفسير قوله تعالى " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " ٢٨ البقرة .

(٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل

(٣) خ : المردوف والمتبوع . (٤) م : مشعر

(٥) خ : بمقتضى

(٦) قوله " ان يكون " ناقص من خ .

فيكون سوق الآية لذلك .(١)

وقيل : هذا أولى لأن كيف في مثل هذا الموقع تكون سؤالا عن حال الفاعل عند مباشرة الفعل ،لا عن حال الفعل مع ما هو بمنزلة التابع له والرديف ،ألا ترى أن معنى : كيف يجيء زيد أي راكبا أم ماشيا ؟ والجواب:أن مراد المصنف أيضا هذا ، وهو المراد بحال الكفر ،ولا ينافي كونه تابعا له ،ألا ترى الى ماذكره في السؤال الأخير من استبعاد مآل اليه المعنى وهو (على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة؟) ثم جوابه بأن هذا السؤال لانكار الذات بانكار الحال ،لا للاستفهام عن الحال لينافي القطع باثبات الحال .

فان قلت: سوق كلامه يشعر بأنه انكار للكفر بأنه لا يكون كالطيران كما في (كيف تطير بغير جناح ؟) قلت: مراده أيضا أنه لا ينبغي أن يكون ،بل ينبغي أن لا يكون بقوة الصارف عنه كما لا تكون المحالات لاستحالتها في أنفسها ،ولهذا أضاف الى الانكار التعجب ،لكن ظاهر السوق على ماذكرت ،وليس بمستقيم لأنه كائن ،بل المعنى : أنه ينبغي أن لا يكون ووجوده مظنة توبيخ وانكار وتعجيب وتعجب على مايشعر به سوق كلام المفتاح (٢) فلهذا كان أحسن .

قوله : (لم تدخل الواو على كنتم أمواتا) (٣) يعني ليس هذا مما وقع فيه الجملة الفعلية الماضوية حالا ليحتاج الى قد،بل الواو الحالية / ههنا كالواو العاطفة فيما ٩٩أ اذا قصد عطف مضمون الكلام المشتمل على جمل مختلفة على جملة قبلها كما ذكرنا في قوله تعالى : " وبشر الذين آمنوا " (٤) .

قوله : (حتى تكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه) اشارة الى أن المعتبر في الحال : المقارنة لزمان (٥) وقوع العامل لا الحاضر الذي هو زمان التكلم ،للقطع بصحة قولنا : جاء زيد في السنة الماضية وقد ركب،وسيجيء زيد يركب،وفي التنزيل " سيدخلون جهنم داخرين " (٦) .

---

(١) مفتاح العلوم ١٧٠ (٢) المرجع السابق

(٣) الكشاف ١ / ٩١

(٤) من الآية ٢٥ من سورة البقرة . وانظر الكشاف ١ / ٧٨ ،والورقة ٨٧أ من هذه الحاشية .

(٥) م : بزمان .

(٦) من الآية ٦٠ من سورة غافر .

فان قيل (١): فينبغي أن لا يشترط في الماضي قد ، وأن لا يشترط في المضارع التجرد عن حرف الاستقبال ، وأن يصح جئت وقام الأمير ، بدون اضمار قد ، وسيجيء زيد سيركب لصحة المقارنة والحضور وقت الفصل ، على أن قد انما تفيد التقريب الى الحال الذى هو زمان التكلم ، لا زمان وقوع العامل ، بل ربما تفيد التبعيد كما في قولك: جاء زيد قبل هذا بشهور بل دهور (٢) وقد ركب الأمير .

قلت: اشتراط التحلى بقد ليشعر بالحضور حال وقوع العامل من جهة كونهـا في الأصل للتقريب الى الحاضر في الجملة ، فان الماضى لاستقلاله بالمضي لا يفيد المقارنة وان كان العامل أيضا ماضيا ، بل ربما يتوهم أنه ماض بالنسبة اليه سابق عليه ، واشتراط التجرد عن علم الاستقبال لمثل ذلك ، وليكون مما يصلح للحاضر فليتأمل .

قوله : (على أى حال تكفرون ؟) اشعار بأن " كيف " اذا وقع بعده كلام تام فهـو في محل النصب على الحال : ولهذا يجاب بالحال مثل : راكبا ، في جواب: كيـف جاء زيد ؟ ، ويبدل منه الحال مثل : كيف جاء ؟ أراكبا أم ماشيا ؟ بخلاف مثل : كيـف زيد ؟ فانه خبر ، أى على أى حال هو ؟ وجوابه : صحيح أو سقيم ، والبدل أصحيح أم سقيم ، ثم فيه اشارة الى أنه انما يعد من الظروف (٣) لكونه فى معنى الجار والمجرور حتى أنه فى مثل كيف زيد ، ظرف وقع خبرا مثل : أين زيد ؟ ومتى القتال ؟ لا اسـم مرفوع المحل على مايزعم بعض النحاة (٤)

قوله : (كالأقوال فى جمع قيل) وقد يجمع على أقيال أيضا ، أما الأقوال فلاشتقاق القيل من القول ، كالميت من الموت وأما الأقيال فلاشتقاقه من التقيل يائيا على ماصرح به فى سورة الدخان حيث قال : لأنهم يتقيلون ، وكلام الجوهرى يشعر بأن كليهما من الواو الا أن من قال : الأقيال ، لم ينظر الى الأصل بل الى مجرد لفظ قيل بالتخفيف (٥)

---

(١) خ : فان قلت.

(٢) قوله " بشهور " ناقص من الأصل ، وعبارة خ : قبل هذا بشهر بل دهر .

(٣) خ : فى الظروف .

(٤) من قوله : " مع أن ظاهر المرجع واحد " فى الورقة ٩٠ ب الى قوله هنا : " على مايزعم بعض النحاة " ناقص من ب .

(٥) يقول الجوهرى فى الصحاح مادة (قول) : " القيل ملك من ملوك حمـير دون الملك الأعظم ، وأصله قيل بالتشديد كأنه الذى له قول أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضا ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشددا " .

قوله : (ويجوز أن يكون استعارة) (١) ، لاخفاء أنه من قبيل / " صم بكم " (٢) فتسميته استعارة تسامح أو ذهابا الى ماعليه البعض ، والحاصل : أنا لا نسلم أن الموت عدم ٩٩ ب الحياة عما من شأنه ، بل الموت عدم الحياة مطلقا ، ولو سلم فالمعنى كنتم كالأموات .

والسؤال في مثل : " أمتنا اثنتين (٣) " أظهر ، لظهور أن الاماتة ازالة الحياة ، وقد أطلقت بالنظر الى الاماتة الأولى على ايجاد الجماد الذي لاحياة فيه ، والجواب أن الاماتة لا تستلزم أن تكون تغييرا من الحياة الى الموت كما يقال : وسع الدار ، وقصر الثوب بمعنى أوجده كذلك ، ثم اطلاق الموت على الحالة الجمادية اما حقيقة فلا اشكال ، واما استعارة فيلزم الجمع بين المجاز والحقيقة بالنظر الى الاماتة الثانية .

قوله : (يراد به الاحياء في القبر (٤)) ، لقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يراد مطلق الاحياء بعد الاماتة على مايعم الاحياء في القبر والنشور؟ فان الفصل وان لم يدل على العموم فلا يلزم أن يكون للمرة ، غاية الأمر : ان الاحياءين لشدة ارتباطهما واتصالهما في الانقطاع عن أمر الدنيا ، وكون القبر أول منزلة من منازل الآخرة ، عبر عنهما بلفظ واحد ، وحينئذ لا يرد السؤال بأنه لم ترك ذكر أحد الاحياءين ، وان الاحياءات ثلاث فلم قال : " أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين "؟ .

قوله : (فمنه) أي فمن لفظ " ثم " يعلم تراخي احياء القبر عن الموت ، وأما تراخي المصير الى الجزاء عن النشور فلأنه انما يكون في الجنة والنار .

قوله : (وأما الانتفاع الديني فالنظر (٥)) يعني مايتأدى اليه النظر ويحصل منه (٦) من معرفة المبدأ بالنظر في عجائب الصنع ، ومعرفة المعاد بالنظر فيما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها باعتبار اشتماله على أسباب الأنس ، فانها أنموذج نعيم

---

(١) الكشاف (٩٢/١) .
(٢) أي أنه تشبيه بليغ ، وقوله " صم بكم " من الآية ١٨ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ١١ من سورة غافر .
(٤) الكشاف (٩٢/١) .
(٥) وذلك في تفسير قوله تعالى : " هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم " ٢٩ البقرة .
(٦) م ، خ : ويحصل به .

الجنة ، وبمقابها من جهة اشتماله على أسبابه الوحشة التى هى أنموذج عذاب النار ، فضمير (فيه) و (مافيه) و (اشتماله) " لما فى الأرض[1] " ، و (مافيه) عطف على مجرور (فيه) من غير اعادة الجار ، وضمير (مافيه) الثانى يحتمل أن يكون لما فى الأرض ، وأن يكون (لما فيه) الأول .

قوله : (من غير أن يريد فيما بين ذلك) أى فى تضاعيف القصد الى السماء على ماصرح به فيما بعد[2] ، وذكر ذلك تحقيقا لمعنى الاستعارة ، فان هذا بمنزلة قولك : (من غير أن يلوى) فى تحقيق القصد[3] الجسمانى ، وجعل ذلك اشارة الى خلق مافى الأرض وهم ، لكن ماذكر من سؤال مناقضة " ثم " لهذا التفسير : يوهم أن المعنى فيما بين خلق مافى الأرض والقصد الى السماء / ، لكن قد دفعه بقوله : (على أنه لو كان ١٠٠ أ بمعنى التراخى) الى آخره ، وأشار الى أن ماذكره أولا من الجواب انما هو على سبيل الفرض والتقدير لتوجه السؤال .

قوله : (والمراد بالسماء جهات العلو) اثبات الجهات العلوية والسفلية ، والأيام الستة أو الأربعة[4] قبل خلق السماء والأرض ، مبنى على التقدير والتمثيل ، وللواقفين على أسرار الآية فيه كلام آخر ، ولا أرى باعثا على تفسير السماء بالجهات العلوية بعد مافسر الاستواء بالقصد اليها بمشيئته وارادته ، وهذا لا يقتضى سابقة الوجود .

ولم يجعل ضمير " فسواهن " عائدا اليها باعتبار كونها عبارة عن الجهات ، بل جعله مبهما مفسرا بسبع سموات مثل : (ربه رجلا) ، ونعم رجلا ، ويالها قصة . ويا له أمرا ماأبعده ، وويلها زوجة ، وهو كثير فى كلامهم ، وفيه من التفخيم والتشويق والابهام ثم التفسير والتمكين فى النفس ونحو ذلك مالا يخفى ، ولهذا جعله الوجه العربى المعول عليه دون أن يجعل الضمير للسماء لكونها (فى معنى الجنس) أو لكونها (جمع سماءة) فان الجمعية لم تثبت ، والجنسية لم تكن كافية فى عود ضمير الجمع المؤنث اليه ، مع فوات مافى الابهام ثم التفسير .

قوله : (فمن ثم خلقهن)[5] ، يشير الى أن الجملة اعتراض يقرر ماسبق ، وأنها من تتمة بيان خلق الأرض والسماء ، ولذا قدم هذا الكلام على سؤال التناقض ليكون السؤال

---

(١) أى فى الآية الكريمة .
(٢) حيث قال : " المعنى أنه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر " ، الكشاف (٩٢/١ .
(٣) فى الأصل " التعبد " وهو تحريف .   (٤) م : والأربعة .
(٥) الكشاف (٩٢/١ .

بعد تمام تفسير الآية .

قوله : (لم يلزم مااعترضت به) .فان قيل : يلزم أن لا يكون فيما بين خلق مافي الأرض والقصد الى السماء فى شأن .قلنا : هذا أيضا ليس بلازم لجواز أن يكون في شأن آخر غير ذلك .وتفسير الاستواء بما ذكر وحمل " ثم " على التراخي في الوقت : لا يقتضيان الا أن يكون بين خلق مافي الأرض والقصد الى خلق السماء [زمان ممتد .وأن لا يكون في أثناء القصد خلق آخر .ولا يدل على أن لا يكون فيما بين خلق مافي الأرض والقصد الى خلق السماء](١) خلق شيء آخر على ماوهم .

قوله : (أنا يناقض؟) هذا السؤال يتوجه على مافرض من حمل " ثم " على التراخي في الوقت .لكن جوابه بأن تقدم خلق جرم الأرض على خلق السماء لا ينافي تأخر دحوها عنه : ليس على ماينبغي .لأن " ثم " تدل على تأخر خلق السماء عن(٢) خلق مافي الأرض من عجائب الصنع .حتى أسباب اللذات والآلام .وأنواع الحيوانات حتى الهوام على ماذكر .لا عن مجرد خلق جرم الأرض .وسيذكر في حم السجدة مايدل على تأخر ايجاد السماء عن خلق الأرض ودحوها جميعا(٣) / حتى قيل : انه ٥٠ب خلق الأرض ومافيها في أربعة أيام .ثم خلق السماء وما فيها في يومين .وكثر ذلك في الروايات .فلا يفيد حمل " ثم " على تراخي الرتبة(٤) الا أن يحول على رواية كون ايجاد السماء مقدما على ايجاد الأرض فضلا عن دحوها على ماروى عن مقاتل(٥) . والأوجه أن يحام حول تأويل قوله : " والأرض بعد ذلك دحاها(٦) " على ماسيجيء ان شاء الله تعالى .

قوله : (كهيئة الفهر) (٧) .هو الحجر ملء الكف .يذكر ويؤنث وجمعها أفهار .
قوله : (واذ نصب باضمار اذكر) (٨) بقرينة المقام حيث لم يذكر له عامل ولم يناسب

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .   (٢) في الأصل : على .
(٣) انظر الكشاف ٤ / ١٤٨   (٤) خ : على التراخي في الرتبة
(٥) هو مقاتل بن سليمان .من أعلام المفسرين .ومن كتبه التفسير الكبير والقراءات وغير ذلك .توفي سنة ١٥٠ هـ . انظر الأعلام ٨ / ٢٠٦ .
(٦) الآية ٣٠ من سورة النازعات .وقال الزمخشري : معنى دحاها : بسطها ومهدها للسكنى . انظر الكشاف ٤ / ٥٥٧ .
(٧) الكشاف ١ / ٩٣ .
(٨) شروع في تفسير قوله تعالى : " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة " الى قوله تعالى : " وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون " ٣٠ — ٣٣ سورة البقرة .

شيء سوى ذلك مع كثرة استعماله (١) معه ،فان قيل : هو من الظروف فكيف يقع مفعولا به ؟ قلنا : قد جوزوا كونه اسما مجرورا باضافة الظرف اليه مثل : يومئذ ، وساعتئذ ،و " بعد اذ نجانا الله (٢) " ،ونحو ذلك ،أو منصوبا بكونه مفعولا به مثل : أتذكر اذ من يأتينا نكرمه ،ولم يجوزوا رفعه على الفاعلية لبعدها عن الظرفية التى تلزمها فى الغالب .

ومنهم من يأبى المفعولية أيضا ،اذ لا يوجد فى الكلام ،فيحمل مثل هذا على اذكر الحادث يوم كذا ،ثم الأحسن أن يجعل هذا الأمر عاطفا على محذوف قبله أى اشكر النعمة فى خلق الأرض والسماء (٣) واذكر ،وأما تقدير انتصابه بقالوا فهو ظرف ، والجملة بما فيها عطف على ماقبلها عطف القصة على القصة من غير التفات الى مافيها من الجمل انشاء أو اخبارا ،ولهذا جعل الوجه الأول أرجح .

قوله : (جمع ملأك) ،ظاهر كلامه أن الهمزة زائدة وأن اشتقاقه من ملك ،لما فيه من معنى الشدة والقوة كما فى الملك والمالك ،وملكت العجين : شددت عجنه ،ومنهم من يجعله من الألوك والألوكة بمعنى الرسالة فتكون الميم زائدة وفيما بين الفاء والعين قلب ،والأصل : مألك ،على أنه موضع الرسالة أو مصدر بمعنى المفعول ،ومنهم من يثبت لأك أصلا فلا قلب لكن ليس بمشهور . (والحاق التاء فى ملائكة لتأنيث الجمع) معناه : لتأكيد تأنيث الجماعة ،وعبارة المفصل " لتأكيد معنى الجمع ونظيره القشاعمة والصياقلة " (٤) .

قوله : (والمعنى خليفة منكم) يشعر بأن الخطاب لملائكة الأرض ،والأظهر انه للكل ،فلهذا رجح بعضهم الوجه الثانى (٥) والجواب أنه على طريقة قولهم : بنو فلان قتلوا زيدا ،وانما قتله البعض منهم ،فالخطاب لهم لأنهم كانوا سكان الأرض بالنظر الى البعض وانما / اختار الوجه الأول ،لدلالة قوله تعالى " قالوا أتجعل ١٠١ أ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " فان ذلك فى حق الذرية خاصة ،والا فمقتضى ظاهر العبارة هو الثانى ،ولهذا استشهد بقوله تعالى : " انا جعلناك خليفة فى الأرض (٦) " على أن داود عليه السلام خليفه من الله تعالى (٧) لا من آدم أو من بنى

---

(١) خ : مع كثرة الاستعمال .
(٢) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف
(٣) م ،خ : السماء والأرض
(٤) شرح ابن يعيش على المفصل ٥ / ٦٦ بتصرف
(٥) الذى بينه الزمخشرى بقوله : " ويجوز أن يريد : خليفة منى لأن آدم كان خليفة الله فى أرضه " انظر الكشاف ١ / ٩٣ .
(٦) من الآية ٢٦ من سورة ص
(٧) قوله " تعالى " ناقص من الأصل

آدم (١) .

وانما فرع سؤال الافراد (٢) على الوجه الأول خاصة ،لأن الخلافة فى سكنى الأرض انما هى لآدم وذريته لاله وحده ،فان قلت : وكذلك الخلافة فى الحكم تعم كل نبى (٣) ،قلت: نعم الا أن المقصود باخبار الملائكة واعلامهم هو خلافة آدم ، بخلاف الاخبار بسكنى الأرض .

وأما جوابه عن سؤال الافراد فوجهان : الأول ـ أن المراد بالخليفة آدم وحده ،والمعنى على جعله مع ذريته خلفاء فى الأرض استغناء بذكر من هو الأصل عمن يتفرع عليه ويتشعب عنه ،وكأنه قال : خليفة وخلفاء وهم ذريته كما تقول :الخلافة فى قريش أى فيه وفى أولاده بالنظر الى الأصل ،وان صار قريش (٤) اسما للقبيلة ولم يصر الخليفة عبارة عن الكل . والثانى ـ أن المراد بالخليفة : الكل باعتبار موصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى أى من يخلفكم أو خلفا يخلفكم .

قوله : (قبل كونهم) (٥) يتعلق (بيعرفوا) والضمير (٦) لآدم وذريته وكذا ضمير (استخلافهم) ، (صيانة لهم) أى للملائكة مفعول له للمحذوف فى صدر الجواب (٧) أى أخبرهم ليسألوا ويجابوا صيانة لهم .

قوله : (تعجب) اذ الانكار لا يتصور من الملائكة .

قوله : (وكل خلق) أى علموا أن جنس المخلوق المعصوم هم الملائكة وكل جنس سواهم من أجناس المخلوقين ليسوا كذلك ،بل قد يكون فيهم المعصوم وغيره ،ولا يخفى أنه يعود السؤال بأنه من أين ثبت ذلك فى علمهم وانما حال من سواهم غيب ؟

قوله : (التسبيح) التبعيد ،يعدى بنفسه وباللام وكذلك التقديس،فاللام فى ذلك فى المعنى تتعلق بالفعلين ،وكذلك الحال أعنى "بحمدك" ،وفائدة الجمع بين التسبيح والتقديس وان كان ظاهر كلام المصنف ترادفهما : أن التسبيح بالطاعات والعبادات ،والتقديس بالمعارف والاعتقادات . يعنون أن مجرد وجود المانع فيهم أو المرجح فينا كاف فى أن لا تجعلهم مكاننا وخلائف منا ،فكيف وقد اجتمع الأمران : قوة المانع فيهم وكمال المرجح فينا ،وذلك/ أنهم عرفوا من الانسان القوة الشهوية ١٠١ ب

---

(١) أنظر الكشاف ٤/ ٦٩

(٢) فى خ زيادة "على الافراد"

(٣) فى الأصل : كل شئ .

(٤) فى م ،خ زيادة "مثلا" .

(٥) الكشاف ١/ ٩٣ .

(٦) أى فى "كونهم" .

(٧) خ : صدر الجملة .

التى رزيلتها الافراطية هى الفساد فى الارض ،والقوة الغضبية التى رزيلتها الافراطية هى سفك الدماء وذهلوا عما فيه (١) من القوة العقلية ،فنبههم الله سبحانه وتعالى على ذلك .

قوله : (كفى العباد أن يعلموا) (٢) ان أراد أن من شأنهم أن يعلموا ذلك ولو بعد حين لما فيهم من القوة العقلية ،فليس بكاف فى ترك التعجب وهو ظاهر . وان أراد أنهم كانوا يعلمون ذلك فليس بمعلوم ولا العبارة دالة على ذلك ،ولذا ذكر الجواب الظاهر وهو أنه قد بين لهم بعض الحكم والمصالح على وجه يرشد لكونه أصل الفوائد فقوله تعالى (٣) : " وعلم " عطف على " قال " ،وقيل : على محذوف يكون المجموع بمنزلة التفسير لما لا تعلمون ،ولا دلالة عليه ،وقوله : " قال " استئناف وكذا " قالوا " اذا لم يجعل عاملا فى " اذ " .

قوله : (واشتقاقهم آدم) يعنى أن جعلهم هذه الأسماء الأعجمية مشتقة من المصادر والألفاظ العربية ليس بمستقيم وأما أنه يجوز أن يجرى الاشتقاق فى سائر اللغات وأن توافق لغاتهم لغة العرب فى مأخذ هذه الاشتقاقات ،أو أن آدم كان يتكلم بالعربية فذلك بحث آخر .

وأما الرد بأن الأعلام القصدية يعنى غير الغالبة والمنقولة لا معنى لاشتقاقها فليس بشيء ،لأنه اذا بين بين اللفظين تناسب فى المعنى والتركيب فهو معنى الاشتقاق . وكذا الرد بأن آدم كان فى غاية الجمال والأدمة والأديم لا يناسب ذلك (٤) .

قوله : (وأقرب أمره أن يكون على فاعل) اشارة الى رد ما ذكره الجوهرى وغيره أنه أفعل ،وأصله أأدم بهمزتين قلبت الثانية ألفا ،ومما يرجح كونه على فاعل اتفاقهم على أنه لو جمع فأوادم بالواو ،واعتذر الجوهرى بأنه لما لم يكن للهمزة أصل فى الياء معروف جعلت الغالب عليها الواو ،وأما الآدم من الانسان بمعنى الأسمر فأفعل وجمعه أدمان (٥) .

---

(١) م ،خ : عما فيهم
(٢) الكشاف ١/ ٩٤ .
(٣) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٤) م : لا يناسبه
(٥) الصحاح مادة (أدم) .

قوله : (أى أسماء المسميات) (١م) ، انما احتاج الى اعتبار هذا الحـــذف ليتحقق مرجع ضمير " عرضهم " وينتظم " أنبئونى بأسماء هؤلاء " ، ولم يجعل المحذوف مضافا أى مسميات الأسماء لينتظم تعليق الانباء بالأسماء فيما ذكر بعد التعليم ، وظاهر كلامه : أن اللام عوض عن المضاف اليه كما هو مذهب الكوفيين (٢) ، وقد نفى ذلك فـــى قوله تعالى : " فان الجحيم هى المأوى (٣) " ، ولم يقل به فى " واشتعل الــــرأس شيبا " (٤) فوجب أن يحمل على ماذكرنا فى " جنات تجرى من تحتها / الأنهار " (٥) وان كان ظاهر عبارته على خلافه ، أو يقال : ليس كل مايذكره من المحتملات مختارا عنده . ١٠٢ أ

وفيما ذكر اشارة الى الرد على من زعم أن الاسم هو المسمى (٦) ، وأن عود ضمـــير " عرضهم " الى الأسماء باعتبار أنها (٧) المسميات ، والمشهور فيما بين الأكثريـــن أن الخلاف فى أ س م لأن تمسكات الفريقين تشعر بذلك ، لأن القائلين بأن الاسم عـــين المسمى تمسكوا بقوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة " وقولــه تعالى : " سبح اسم ربك الأعلى (٨) " أى ذاته ، وقوله تعالى : " ماتعبدون من دونــه الا أسماء (٩) " الى غير ذلك ، وبأن لفظ الاسم مسمى بالاسم دون الفعل أو الحـــرف فهاهنا الاسم والمسمى واحد .

والقائلين بأنه غيره تمسكوا بمثل قوله تعالى : " فله الأسماء الحسنى " (١٠) مع القطع بوحدة الذات ، الا أن ماذكروه من التفصيل وهو أن من الاسم (١١) ماهو نفس المســمى كقولك : الله ، فانه يدل على الوجود أى الذات ، ومنه ماهو غيره كالخالق والرازق ونحو ذلك مما يدل على فعل ، ومنه مايقال أنه هو لاغيره كالعالم والقادر ، وكل مايدل علـى

(١م) الكشاف ١ / ٩٤ . (٢) البحر المحيط ١ / ١٤٦،١١٣

(٣) الآية ٣٩ من سورة النازعات ، وانظر الكشاف ٤ / ٥٥٨ .

(٤) من الآية ٤ من سورة مريم ، وانظر الكشاف ٣ / ٣ .

(٥) من الآية ٢٥ من سورة البقرة ، وقد ذكر فيها أن اللام مجرد تعريف قائم مقـــام التعريف الاضافى وليست عوضا من المضاف اليه . انظر الحاشية ٩٦ ب

(٦) وهم أهل السنة . انظر الانتصاف ١ / ٩٤ .

(٧) قوله " أنها " ناقص من الأصل

(٨) الآية الأولى من سورة الأعلى .

(٩) من الآية ٤٠ من سورة يوسف .

(١٠) من الآية ١١٠ من سورة الاسراء .

(١١) م : الأسماء .

الصفات القديمة يشعر بأن الكلام ليس في أ س م بل في مدلولاته مثل الانسان والفرس ، والاسم والفعل ، وكذا قولهم : ان اسماء الله تعالى متعددة فكيف تكون نفس الذات ؟ .

فان قيل : فقد ظهر أن الخلاف في الأسماء التي من جملتها لفظ الاسم وظاهر أنها أصوات وحروف هي من الأعراض المتزايلة فكيف يتصور كونها نفس مدلولاتها التي هي الأعيان والمعاني ؟ وان أريد بالاسم المدلول فلا خفاء في أنه نفس المسمى من غير أن يتصور فيه خلاف[1] لأنه بمنزلة قولك : ذات الشيء ذاته .

قلنا : الاسم الواقع في الكلام قد يراد به نفس لفظه كما يقال : زيد معرب ، وضرب فعل ماض ، ومن حرف جر ، وقد يراد معناه كقولنا : زيد كاتب ، وحينئذ قد يراد نفس ماهية المسمى مثل : الانسان نوع ، والحيوان جنس ، وقد يراد فرد منه مثل : جاءني انسان ، ورأيت حيوانا ، وقد يراد جزؤها كالناطق ، أو عارض لها كالضاحك ، فلا يبعد أن يقع اختلاف واشتباه في أن اسم الشيء نفس مسماه أم[2] غيره ، وما أورد في بعض المواضع من أن الكلام في لفظ الاسم لا ينافي ذلك ، لأنه ايضا اسم من الأسماء والمتمسكات أيضا تدل على هذا ، وقد بينا ذلك في شرح المقاصد [3] .

قوله : (وعلمه أحوالها وما يتعلق بها) يشير / الى أنا وان قدرنا المضاف اليه ، وجعلنا الأسماء غير المسميات . لا نقول بأن ماعلمه آدم وعلمه وعجز عنه الملائكة واستنبأهم آدم[4] على سبيل التبكيت هو مجرد الألفاظ واللغات من غير علم بحقائق المسميات وأحوالها[5] ومنافعها ، لظهور أن الفضيلة والكمال انما هي في ذلك ، والى هذا ذهب من جعل الاسم نفس المسمى أو حمل الكلام على حذف المضاف أي مسميات الأسماء . ٢٠١ ب

لكن يرد عليه أنه لا دلالة في الكلام على ذلك على تقدير حذف المضاف اليه ، والجواب أن الأحوال والمنافع أيضا من جملة المسميات التي علم أسماءها ولا يستتم

---

(١) في خ ، م زيادة " بل فائدة " (٢) خ : أو غيره

(٣) انظر شرح المقاصد ٢ / ١٦٨ ــ ١٧١

(٤) أي بقوله تعالى حكاية : " انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين " الآية ٣١ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٩٤ .

(٥) عبارة الأصل : " وأفعالها " .

بدون معرفتها على وجه يمتاز عما عداها ، وهذا كاف .

قوله : (على سبيل التبكيت) ، في الأساس : " بكته بالحجة وبكته : غلبه ، وبكته حتى أسكته ، وبكته قرعه على الأمر وألزمه حتى عيى بالجواب (١) " .

قوله : " ان كنتم صادقين " يعني فيما زعمتم من أني أستخلف من غالب أحواله الافساد وسفك الدماء من غير أن يكون فيه مايصلح لأن يستخلف ، لأن ذلك انما يصلح مانعا من الاستخلاف اذا لم يكن معه منافع راجحة على هذه المضرة ، ومصالح زائدة على هذه المفسدة .

فان قلت : هذا ينافي ماسبق من أنهم عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى (٢) ، أو من جهة اللوح ، أو نحو ذلك (٣) ، فانه صريح في كونهم صادقين ، قلت : المراد بذلك مجرد كون بني آدم ممن يصدر عنهم الفساد والقتل .

فان قلت : فما وجه ارتباط الأمر بالانباء بهذا الشرط ؟ وما معنى ان كنتم صادقين فيما زعمتم فأنبئوني بأسماء هؤلاء ؟ قلت : معناه ان كنتم صادقين فيما زعمتم من خلوهم عن المنافع والأسباب الصالحة للاستخلاف ، فقد ادعيتم العلم بكثير من خفيات الأمور فأنبئوني بهذه الأسماء ، فانها ليست في ذلك الخفاء .

ولقوة هذين السؤالين ذهب كثير من المفسرين الى أن المعنى : ان كنتم صادقين أني لا أخلق خلقا الا انتم أعلم منه وأفضل (٤) الا أنه لا دلالة في الكلام عليه فقوله : (ارادة) مفعول له لما يدل عليه الكلام ، و (ان فيمن يستخلفه) عطف على (الرد) أي قال ذلك ارادة لرد مقالتهم ودلالة على أن فيمن يستخلفه فضيلة العلم التي هي أجل الفضائل ، وفيه من الدلالة على شرف العلم وجلالة محله وانافته (٥) على الأعمال وسائر الكمالات مالا يخفى ، وقوله : (أراهم) و (بين) متوجهان الى (بعض ماأجمل) / وتوجيه الأول الى محذوف هو عجزهم بعيد . ١٠٣ أ

---

(١) عبارة الأساس مادة (بكت) : " وألزمه ماعي بالجواب عنه " .
(٢) قوله : " تعالى " ناقص من الأصل .
(٣) وقد سبق ذلك في الكشاف ١/ ٩٣ ، وانظر الورقة ١٠١ أ من هذه الحاشية .
(٤) وممن ذهب الى ذلك من المفسرين الامام الواحدي والامام البغوي والحافظ ابن كثير . انظر البسيط في التفسير ١/ ١٢٨ ، ومعالم التنزيل ١/ ١٣٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٣ .
(٥) أي ارتفاعه

قوله : (على وجه أبسط من ذلك وأشرح) حيث يعرض للتفاصيل وان كان " مالا تعلمون " أوجز وأشمل ، اللهم الا اذا خص بما خفى من مصالح الاستخلاف[1] فحينئذ يكون هذا أشمل وأكمل .

قوله : (والمعنى عرض مسمياتهن) يعنى فى قراءة عبد الله (أو مسمياتهما) يعنى فى قراءة أبى[2] فانما اعتبر حذف المضاف لأن العرض لا يصح فى الأسماء ، وكأنه أراد العرض المعقب بقوله تعالى : " فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء " والا فعليه منع " ظاهر " لجواز أن يعرض الأسماء ويسأل عن معانيها ، وانما لم يجعل الضمير للمسميات المحذوفة من قوله : " وعلم آدم الأسماء " ، لأن اعتبار ذلك الحذف انما كان لأجل ضمير " عرضهم " وأما على تقدير " عرضها " أو " عرضهن " فيصح عود الضمير الى الأسماء ، فلا يعتبر حذف المسميات ثمة مضافا اليه بل ههنا مضافا لئلا يكون نزعا للخف قبل الوصول الى الماء فليتأمل .

قوله : (استثناء متصل)[3] ، لأنه الأصل ، والمانع — وهو عدم دخوله فى الملائكة — مندفع بالتغليب ، ويدل عليه قوله تعالى : " مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك "[4] والظاهر أن الأمر لجميع الملائكة لا للأرضيين خاصة ، ووجه الانقطاع : أنه ليس بملك فلا يتناوله اسم الملائكة ، لكن ذكر الاباءة والاستكبار يدل على أنه مأمور بالسجدة وان لم يتناوله لفظ الملائكة .

قوله : (فكذلك أبى) ، يعنى أن الجملة تذييل للتعليل كما تفصح الفاء فى قوله : " ففسق[5] " عن أن خروجه عن الطاعة وانقياده لأمر السجود كان بسبب كونه من جنس الجن أى من ذريتهم .

---

(١) فى م ، خ زيادة " على مامر " وقد سبق ذلك فى الكشاف ١ / ٩٣ .
(٢) قرأ عبد الله بن مسعود : " عرضهن " ، وقرأ أبى : " عرضها " وذلك فى قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة " الآية ٣١ من سورة البقرة . وانظر الكشاف ١ / ٩٤ ، والبحر المحيط ١ / ١٤٦ .
(٣) أى موقع " الا ابليس " فى قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس .. " الآية ٣٤ من سورة البقرة ، انظر الكشاف ١ / ٩٥ .
(٤) من الآية ١٢ من سورة الأعراف .
(٥) من الآية ٥٠ من سورة الكهف .

قوله : (والسكني من السكون)[1] ، يعني ان اسكن أمر من السكنى بمعنى ايجاد المسكن ، لا من السكون بمعنى ترك الحركة ولذا يذكر متعلقه بدون في ، الا أن مرجع السكنى الى السكون ، وتأكيد ضمير " اسكن " " بأنت " ، لئلا يلزم العطف على المرفوع المتصل بلا فصل فيمتنع في فصيح الكلام ، [وصحة أمر الغائب][2] بصيغة افعل للتغليب مثل : أنا وزيد فعلنا ، وايثاره على اسكنا للاشعار بالأصالة والتبعية .

قوله : (أى أكلا رغدا) ، يقال : عيش رغد ورغيد أى واسع ، وفلان في رغد من العيش ، ورغد بالكسر رغدا .

قوله : (وحيث للمكان المبهم) جعله للابهام وفسره بالعموم[3] بقرينة المقام وعدم المرجع ، ولم يجعله متعلقا باسكن مع أنه أظهر من جهة المعنى لوقوع الفاصل .

قوله : (من شجرة واحدة) / الظاهر اللائق بمقام التوسعة الوحدة الشخصية ، ١٠٣ ب
ويحتمل النوعية ، وكيف ماكان فاللام في وصف اسم الاشارة[4] للجنس وقيل : للعهد .
ومعنى (الفائتة للحصر) أنها سبقت الحصر ولم تبق محصورة ، يقال : فاتني بكذا ، أى سبقني به وذهب به عني ، وجاريته حتى فته ، وفي الصحاح : " الفوت والفوات مصدر فاتني الشيء "[5] فالمعنى : أنها فاتت الحصر بمعنى لم يدركها الحصر .

(والبرابر) جمع بربر جيل من الناس يسكنون مابين الحبشة واليمن ، وأكثر سودان مكة منهم ، سموا بذلك لأن أبا بلقيس لما غزاهم قال : ماأكثر بربرتهم[6] ، وهي الصوت وكلام في غضب .

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة .. " الآية ٣٥ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/ ٩٥ .
(٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٣) حيث قال الزمخشري : "وحيث للمكان المبهم أى : أى مكان من الجنة " الكشاف ١/ ٩٥ .
(٤) أى اللام في " الشجرة " في قوله تعالى : " ولا تقربا هذه الشجرة " من الآية ٣٥ من سورة البقرة .
(٥) الصحاح مادة (فوت) بتصرف .
(٦) فتوح الغيب ١/ ١١٤ ، وتحفة الأشراف ١/ ٨٦ ، والبحر المحيط ١/ ١٥٨ .

قوله: (ينهون عن أكل وعن شرب)

صدره: يمشون دسما فوق قنته ،الأدسم : الكثير الدسم والمعنى : يصدر تناهيهم في السمن عن الأكل والشرب (١) ،وكذا معنى " مافعلته عن أمري (٢) " : ماأصدرت فعله عن أمري ،وما يقال أن في التضمين يورد الفعل المضمر على طريق الحال ليس بلازم •

قوله : (ان كان الضمير في عنها للشجرة (٣)) اذ لو كان للجنة لكان الاخراج قبل الازلال أو معه فلا يصح العطف بالفاء الا بتأويل •

قوله : (وهذا دليل) ،قيل : يجوز أن يكون الضمير للجنة على تضمين الوسوسة معنى التبعيد والازالة •

قوله : (لأنهما) دليل صحة خطابهما خاصة مع أن المراد الكل ،وقوله : (والدليل عليه) يعني على أن الأمر كذلك ،ومعنى الآية ذلك ،اذ القصة واحدة، و " اهبطا " (٤) خطاب لآدم وحواء ، " بعضكم لبعض عدو " حكم فيما بين الذرية مع كونه حالا من ضمير " اهبطا " ويدل على أن ليس المراد التعادي والتباغض (٥) فيما بينهما وبين ابليس بل فيما بين بني آدم : قوله تعالى : " فمن تبع هداي " الى آخره ،حيث قسمهم الى المؤمنين والكافرين ،وبين مالكل من الفريقين من الجزاء •

قوله : (الى يوم القيامة) لأنه متعلق بالظرف الواقع خبرا عن " مستقر " و "متاع " والاستقرار ثابت الى يوم القيامة بمكان القبر • (وقيل الى الموت) نظرا الى تعلقه بمتاع ،اذ لا تمتع بعد الموت ،ومن جعله على تقدير التفسير بيوم القيامة أيضا متعلقا

---

(١) يصف الشاعر مضيافا صدر الأضياف عنه شباعا ،والقنة : أعلى الجبل وهذا الشطر الذي أورده الزمخشري روى صدرا لبيت آخر وهو :

ينهون عن أكل وعن شرب * مثل المها يرتعن في خصب

انظر تنزيل الآيات ٣٢٧ ، ٣٤٥ ،ومشاهد الانصاف ١/ ٩٥ ، ٤٦ / ٣١٥ واللسان مادة (نهى) •

(٢) من الآية ٨٢ من سورة الكهف •

(٣) عبارة الكشاف ١/ ٩٥ : " ان كان الضمير للشجرة في عنها " ،وذلك في قوله تعالى : " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه •• " الآية ٣٦ من سورة البقرة •

(٤) من الآية ١٢٣ من سورة طه ،وانظر الكشاف ١/ ٩٦ •

(٥) خ : والتباغي •

بمتاع جعل ابتداء يوم القيامة من الموت لأن من مات فقد قامت قيامته ،أو جعل مقدمات الشيء من جملته ولا يخفى أن التفسيرين حينئذ واحد ،أو جعل السكنى فى القبر تمتعا فى الأرض وهذا أقرب .

١٠٤ أ قوله : (معنى تلقي الكلمات استقبالها [١]) / فى الأساس " تلقيته : استقبلته وتلقيته منه : تلقنته " [٢] من لقنته الشيء فتلقنه ،وانما لم يجعله من هذا مع ظهوره حيث استعمل بمن ليرتب عليه الأخذ والقبول والعمل وسائر مايدخل فى استقبال الرجل أعزته وأحباءه [٣] ،فعلى هذا يكون " من ربه " حالا من " كلمات " .

قوله : (أراجعى أنت) [٤] اسم فاعل أضيف الى المفعول ،وأنت فاعله لاعتماده على الاستفهام ،وان شئت فمبتدأ ،وأما نسخة زين المشايخ " أراجعى " بتشديد الياء فحملها على سهو القلم أقرب من أن تجعل أراجعى جمعا مضافا الى ياء المتكلم واقعا خبر أنت أى أنت راجعون لى كما فى قوله : ألا فارحمونى ياإله محمد ،وعلى النسختين فوقوع الجملة الاستفهامية جزاء الشرط محل بحث .

قوله : (للتأكيد . ولما نيط به [٥]) ،فان قيل : على الأول : فلم قدم ذكر تلقى الكلمات عليه ؟ وعلى الثانى : ان ماذكر لا يصلح علة للتكرير ،اذ أمكن أن تناط الزيادة بالأول من غير تكرير ،قلنا : أما الأول فلفرط الاهتمام بصلاح حاله وفراغ باله

---

(١) شروع فى تفسير قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .. " الآيات ٣٧ - ٣٩ من سورة البقرة . الكشاف ١/ ٩٦ .

(٢) أساس البلاغة مادة (لقى) بتصرف

(٣) ففى قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات " استعارة تبعية فى الفعل وهى مأخوذة من استقبال الناس بعض الأعزة اذا قدم بعد طول غيبة ،لأنهم حينئذ لا يدعون شيئا من الاكرام الا فعلوه ،واكرام الكلمات الواردة من الحضرة الالهية : العمل بها . انظر فتوح الغيب ١/ ١١٤ .

(٤) تفسير الطبرى ١/ ٥٤٢ .

(٥) أى كرر الله سبحانه وتعالى قوله " قلنا اهبطوا " فى الآيتين ٣٦ و ٣٨ من سورة البقرة للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله " فاما يأتينكم منى هدى " . وانظر الكشاف ١/ ٩٥ ، ٩٦ .

والاخبار بقبول توبته ، والتجاوز عن هفوته ، وازاحة ماعسى تتشبث به الملائكة فيما زعموا في حقه وقد فضله عليهم وأمرهم بالسجود له (١) ، وأما الثاني ، فليكون بيان حال فريقي المؤمنين والكافرين كالمذكور قصدا حيث استؤنف له ذكر الأمر بالهبوط ليرتب عليه الابتلاء بالتكليف ، وفي الكلام اشارة الى الرد على من زعم أن الهبوط الأول من الجنة الى السماء ، والثاني من السماء الى الأرض ، كيف وقد جعل الاستقرار في الأرض والتمتع حالا من الأول ؟ ، وان كانت حالا مقدرة .

قوله : (بدليل قوله) (٢) يعني جعل متابعة الهدى في مقابلة الكفر والتكذيب بالآيات المنزلة على لسان الرسل ، فتكون متابعة الهدى عبارة عن الايمان والتصديق بتلك الآيات وهذا تمهيد لما ذكره في تصحيح كلمة " ان " في قوله : " فاما يأتينكم " يعني أن اتيان الهدى بطريق الرسول والكتاب ليس بواجب فسواء يأتيهم الكتاب والرسول أم لم يأت فالايمان بالله وصفاته وتوحيده واجب لوجود العقل ونصب الأدلة فلو لم يكن طريق العقل كافيا لكان اتيان الرسول والكتاب واجبا ، فلم يكن يصح الاتيان بكلمة الشك ، فلما أتى بها أذن / أنه ليس بواجب فتعين للوجوب طريق ٤٠١ ب العقل (٣) ، وأما على أصلنا وهو أنه لا وجوب على الله تعالى ، فوجه كلمة "ان" ظاهر ، اذ لاقطع بالوقوع ، بل ان شاء هدى وان شاء ترك ، لكن لما علم من فضله ورحمته أكد كلمة ان بما والفصل بالنون ايماء الى رجحان جانب الوقوع .

قوله : (فالكبيرة لاتجوز على الأنبياء) (٤) المذكور في كتب الكلام أنه لا يجوز عليهم الكفر وتعمد الكذب في التبليغ ولم يصرف في ذلك مخالف ، وأما غير الكفر فالكبائر تمتنع عمدا عند الجمهور ، سمعا عندنا وعقلا عند المعتزلة ، وتجوز سهوا عند الأكثرين ، والصغائر تجوز سهوا بالاتفاق الا مايوجب الخسة كسرقة لقمة ، والتطفيف بحبة ، وكذا عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي (٥) لكن يشترط في العمد والسهو أن ينبهوا عليه

---

(١) قوله " له " ناقص من الأصل .

(٢) في خ ، م " بدليل قوله تعالى " ومافي الأصل هو الموافق لما في الكشاف ١ / ٩٦ .

(٣) خ : فتعين الوجوب بطريق العقل .

(٤) الكشاف ١ / ٩٧ ، وانظر الانتصاف لابن المنير الاسكندري ١ / ٩٧ .

(٥) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب أحد أئمة المعتزلة ، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ، ولد سنة ٢٣٥ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ . انظر وفيات الأعيان ٣ / ٣٩٨ .

فمنتهوا عنه ،وهذا بعد الوحي وأما قبل الوحي فلا تمتنع الكبائر خلافا لاكثر المعتزلة[1] والمصنف لم يفصل ههنا أن ذلك كان عمدا أو سهوا ،وقبل الوحي أو بعده .

قوله : (ماكانت الا صغيرة مغمورة بأعمال قلبية) ،خصها بالذكر ،لأنه لم يكن فى الجنة الأعمال البدنية والتكاليف الشرعية سوى المنع عن أكل الشجرة ،وأشار الى أن هذه الصغيرة كانت مكفرة بمجرد اجتناب الكبائر ،كيف وقد انضم اليه أعمال القلب ؟ لكن جرت عليها المؤاخذة تعظيما لشأن الأنبياء [عليهم السلام][2] ، وأنهم من الله تعالى بحيث لا ينبغى أن يصدر عنهم ترك الأولى ،فكيف ترك المأمور به ؟ فكان فى ذلك لطف لهم بالزجر عن المعاودة وللأمة بأن الأنبياء مع فخامة قدرهم يؤاخذون بذلك فكيف بحال من انهمك فى المعاصى ؟ فلا يكون هذا ظلما وقبيحا بل عدلا ومصلحة حسنة .

وقريب من هذا مايقال : أنها كانت صغيرة من[3] نسيان ،لكن عوتب عليها لتركه التحفظ وفرط الاحتياط ،ولهذا نسب الى الغواية والعصيان[4] ،ونسيان العهد ونحو ذلك[5] ،وفى هذا تحذير لهم وترهيب لأمتهم .

قوله : (فكيف يدخلها ذو خطايا جمة ؟) تعريض بمن لا يقول بخلود أصحاب الكبائر فى النار .

قوله : (على لغة هذيل) هى أن تقلب الألف المقصورة ياء وتدغم فى ياء الاضافة ليكون قبلها أخت الكسرة[6] وقوله : (فلا خوف بالفتح[7]) فى حيز (قرئ) .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ١ / ٣٠٢ . (٢) مابين المعقوفين زائد فى خ

(٣) م ،خ : عن .

(٤) أى فى قوله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى " من الآية ١٢١ من سورة طه .

(٥) كعدم العزيمة مثلا وذلك فى قوله تعالى : " ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما " الآية ١١٥ من سورة طه .

(٦) لأنه لا يمكن كسر ماقبل الياء – فى هداى من قوله : فمن تبع هداى – لأنه حرف لا يقبل الحركة ،وهى قراءة عاصم الجحدرى ،وعبد الله ابن أبى اسحق ، وعيسى بن أبى عمر . انظر البحر المحيط ١ / ١٦٩ .

(٧) وهى قراءة الزهرى ،وعيسى الثقفى ،ويعقوب . المرجع السابق .

قوله: (لقب له) (١) لكونه علما يشعر بمدح بملاحظة الأصل أى (صفوة الله) أو (عبد الله) فكذا مثل: عبد الله علما اذا قصد به الاشعار/ بأنه عبد الله تشريفا • ١٠٥ أ

قوله: (وأراد بها ماأنعم به على آبائهم) وعليهم ،وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز حيث جعل (٢)قوله "عليكم" مرادا به: ماانعم عليهم وعلى آبائهم ،فينبغى أن يحمل على حذف" وعليهم" أو اعتبار معنى جامع بأن يجعل الخطاب لجميع بنى اسرائيل الحاضرين والغائبين ، (ماأنعم به) اشارة الى حذف العائد الى الموصول، (مما عدد عليهم) فى مواضع من كتاب الله تعالى ، (ومن الغرق) عطف على (من فرعون) ، (ومن العفو) على (من الانجاء) (والتوبة) على (العفو) •

قوله: (والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد) ،لأنه نسبة بينهما بمنزلة مصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول ،ولا خفاء فى أن الفاعل هو الموفى ، فان أضيف الى الموفى مثل: أوفيت بعهدى ،و" من أوفى بعهده (٣) " ،فهو مضاف الى الفاعل ،واذا أضيف الى غيره مثل: [أوفيت بعهدى](٤) ،وأوفيت بعهدك ، فالى المفعول ،ففى " أوفوا بعهدى" و" أوف بعهدكم " تكون الاضافة الى المفعول ، فلذا قال: (بما عاهدتمونى عليه) وهو الطاعة و(بما عاهدتكم عليه) وهو الثواب ، ولا يستقيم غير هذا ،اذ لا معنى لقولك: أوف أنت بما عاهد عليه غيرك ،فما يتوهم من أن المذكور فى الكتاب مبنى على رعاية الأولى أو الأنسب(٥) ليس بشىء •

وقوله: (كقوله " ومن أوفى ") الآيات الثلاث(٦) أمثلة لاضافة العهد الى الله

---

(١) أى ليعقوب وذلك فى تفسير قوله تعالى: " يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون " الآية ٤٠ من سورة البقرة • الكشاف ١/ ٩٧ •

(٢) كلمة " جعل " ناقصة من م

(٣) من الآية ١١١ من سورة التوبة •

(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ومن م •

(٥) خ : والأنسب •

(٦) الآية الاولى : " ومن أوفى بما عاهد عليه الله " ١٠ سورة الفتح •
والثانية : " ومنهم من عاهد الله " ٧٥ سورة التوبة •
والثالثة : " رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه " ٢٣ سورة الأحزاب •

تعالى اضافة المفعولية ، ليحمل عليه " أوفوا بعهدى " لا استشهادات على أن المراد بالعهد الايمان والطاعة .

قوله : (وهو أوكد فى افادة الاختصاص) (١) ، قد سبق أن مثل : زيدا ضربت يفيد الاختصاص ،فاذا نقل الى الاضمار على شريطة التفسير مثل : زيدا ضربته ، ودلت القرينة على أن المحذوف يقدر مؤخرا ،كان أوكد فى افادة الاختصاص ، لأن الاختصاص عبارة عن اثبات ونفى ،فاذا تكرر الاثبات صار أوكد ،على أن الاثبات اللاحق يمكن أن يعتبر (٢) على وجه الاختصاص بقرينة كونه تفسيرا للسابق ،وان لم يكن هناك شىء من أدوات الحصر ،وحينئذ يتكرر الاختصاص فيصير أوكد ،وكذا الكلام فيما اذا كان الفعل أمرا ونهيا مثل : زيدا اضربه ،وزيدا لا تضربه .

وقد يؤكد الاختصاص بدخول الفاء فى الفعل مثل : زيدا فاضربه ،وعليه قوله تعالى : " بل الله فاعبد " (٣) و " بذلك فليفرحوا (٤) " ،و " ربك فكبر (٥) " ،أى ان كنت عابدا فالله اعبد ،وان فرحوا بشىء / فليخصوه بالفرح ،وذكر المصنف فى قوله ١٠٥ب تعالى : " وربك فكبر " أى " اختص ربك بالتكبير ،ودخول الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل : مايكن فلا تدع تكبيره (٦) " أى مهما يكن من شىء فلا تترك وصفه بالكبرياء .

وقريب منه مايقال : أن مثله على حذف أما أى أما زيدا فاضرب ،وقد يجمع بين الطريقين : أعنى دخول الفاء وتكرير الاثبات بأن يجعل الفعل مشغولا بالضمير نحو : زيدا فاضربه ،وعليه قوله تعالى (٧) : " فاياى فاعبدون (٨) " ،و " اياى فارهبون (٩) " ،وينبغى أن يكون أوكد من الأوكد ،ووجهه على قانون تقرير المصنف : مايكن من شىء فاياى ارهبوا ارهبونى ،فتكرير التعلق تأكيد للاختصاص ،وتعليقه بالشرط العام الذى هو وقوع شىء ما تأكيد على تأكيد ،وهذا تقرير واضح موضح للمقصود الا أن ههنا مباحث :

---

(١) الكشاف ١/ ٩٧-٩٨.
(٢) عبارة الأصل : أن يثبت
(٣) من الآية ٦٦ من سورة الزمر .
(٤) من الآية ٥٨ من سورة يونس .
(٥) الآية ٣ من سورة المدثر
(٦) الكشاف ٤/ ١٦٥ بتصرف
(٧) مابين المعقوفين ناقص من الأصل
(٨) من الآية ٥٦ من سورة العنكبوت
(٩) من الآية ٤٠ من سورة البقرة .

الأول : أن " اياى فارهبون " لا يصلح أن يجعل من باب الاضمار على شريطة التفسير مثل : زيدا رهبته ، لأن الفعل المشغول بالضمير لا يصلح ناصبا لهذا الاسم على تقدير التسليط لامتناع توسيط الفاء بين المفعول والفعل ، فينبغي أن يحمل على أنه مثله في كون الاسم منصوبا بفعل مضمر يدل عليه المذكور كما في باب الاضمار .

والجواب : أنه منقوض بمثل : " وربك فكبر " وهو كثير في الكلام من غير خلاف في أن المنصوب مفعول الفعل ، وسره : أن الفاء في الحقيقة داخلة على الاسم (١) أى وما يكن من شيء فربك كبر ، وانما زحلقت الى الفعل ليقع الاسم في موضع الشرط كما في : أما زيدا فاضرب ، ولهذا اتفقوا على أن في مثل : " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما (٢) " لولا اتفاق القراء على الرفع لكان من صورة الاضمار على شريطة التفسير التي يختار فيها النصب لا الرفع .

(الثاني : أنه لا وجه لجعل الفاء جزائية مع ظهور كونها عاطفة على ما صرح به صاحب المفتاح (٣) ، ولا يقدح في ذلك اجتماعها مع الواو العاطفة لأن الواو لعطف المحذوف على الكلام السابق مثل : " أوفوا بعهدي " ، والفاء لعطف المذكور على ذلك المحذوف . ووجه التغاير : أن مدلول الكلام ارهبوني رهبة بعد رهبة كما ذكر في قوله تعالى (٤) : " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا (٥) " أى كذبوه تكذيبا بعد تكذيب ، فالرهبة المستفادة من فارهبوني بعد الرهبة المستفادة من اياى ارهبوا فيتغايران ، أو يقال : أن الأول بطريق الاختصاص والثاني بدونه ، أو أن الثاني / ١٠٦ أ لقصد التفسير بخلاف الأول ومرتبة المفسر أن يقع بعد ما يقصد تفسيره .

وأنت خبير بأن هذا كله ذهاب عن قصد المصنف وهو ظاهر ، بل عن قصد السبيل ، اذ ليس معنى " اياى فارهبون " على تعدد الرهبة ، ولو كان ، فمثله ليس

---

(١) م ، ب : في الاسم .　　(٢) من الآية ٢ من سورة النور .

(٣) قال السكاكي : " وأما نحو قوله عز سلطانه : " واياى فارهبون " فانما ساغ لكون المعطوف عليه في حكم الملفوظ به لكونه مفسرا ، اذ تقديره : واياى ارهبوا فارهبوني " انظر مفتاح العلوم ١٣٥ .

(٤) كلمة " تعالى " ناقصة من م .

(٥) من الآية ٩ من سورة القمر .

من تأكيد الاختصاص في شيء ، واجتماع حرفي العطف في مثل : " وربك فكبر " لازم ، فالوجه (١) أن يقال : لا وجه لجعل الفاء عاطفة مفتقرة الى تعسفات كثيرة مع ظهور الجزائية الموافقة لمقصود الكلام ونقل الثقات ، نعم لما حذف الواقع موقع الجزاء حقيقة زحلقت الفاء الى المذكور المفسر له تحقيقا للمطابقة ، ودلالة على الجزائية ، واقامة للمذكور مقام ما لزم حذفه فانه كان بعد الفاء . /

ومنهم من حاول التوفيق بين كلامي الشيخين (٢) ذاهبا الى أن مراد صاحب المفتاح أن الفاء عاطفة في الأصل لا في الحال ، يعني أن الفاء العاطفة التي كانت في الفعل قبل الحذف زحلقت الى المفسر وجعلت جزائية بعد حذف الفعل .

وأنا أذكر لك كلام صاحب المفتاح (٣) ، لتعرف حال هذا التوفيق ، وذلك أنه قال : " شرط العطف بأي حرف كان تقديم متبوعه (٤) " ثم استشعر أنه لا يقدم في " عليك ورحمة الله السلام (٥) " فأجاب " بأنه عديم النظير ومع ذلك لم يسوغه الا نية التقديم والتأخير " (٦) ، واستشعر أنه لا ذكر للمتبوع في نحو : " واياي فارهبون " فقال : " وأما نحو قوله عز سلطانه : " واياي فارهبون " فانما ساغ لكون المعطوف عليه في حكم الملفوظ به لكونه مفسرا اذ تقديره : واياي ارهبوا فارهبوني (٧) " .

الثالث — أن تأخير الفعل في مثل : " بل الله فاعبد " و " ربك فكبر " ظاهر ، وفي مثل : زيدا رهبته مفوض الى قرينة المقام ، وأما في مثل : " واياي فارهبون " ، " فاياي فاعبدون " ونحو ذلك مما دخلت الفاء في المفسر فيقدر مؤخرا ألبتة ليقع الاسم موقع الشرط ويكون " اياي فارهبون " بمنزلة " وربك فكبر " ثم زحلقت الفاء بعد حذف الفعل الى المفسر ، ولأن فيه دلالة على الاختصاص ألبتة حيث جعلت رهبته

---

(١) خ ، م : فالأوجه .
(٢) الزمخشري والسكاكي حيث ذهب الأول الى أن الفاء جزائية والثاني الى أنهما عاطفة كما سبق .
(٣) في الأصل : " كلام المفتاح " .
(٤) مفتاح العلوم ١٣٥ بتصرف .
(٥) عجز بيت للأحوص وأوله :

ألا يا نخلة من ذات عرق

انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٠٥ ، والأمالي الشجرية ١ / ١٨٠ ، ومجالس ثعلب ١ / ١٩٨ ، والخزانة ١ / ٣١٢ والخصائص ٢ / ٣٨٦ .
(٦) مفتاح العلوم ١٣٥ بتصرف .
(٧) المرجع نفسه .

لازمة لمطلق الرغبة بأن قدر : ان كنتم ترغبون شيئا فاياى ارغبوا ،وكذلك فى سائر الأمثلة .[1]

وقيل : لأنه لو لم يقدر الفعل مؤخرا لزم فى الكلام تعبير آخر وهو جعل الضمير المتصل منفصلا ،وهذا مع أنه معارض بأن الأصل تقديم العامل لا يطرد فى مثل : زيدا فارهبوه ،والله فاعبدوه ،ونحو ذلك / من الأسماء الظاهرة ،هذا وسيجيء ١٠٦ ب لهذا المقام زيادة بيان فى قوله تعالى : " فاياى فاعبدون " ،وقوله تعالى : " بل الله فاعبد " .

ونقل عن المصنف أنه قال : فى " اياى فارهبون " وجوه من التأكيد : تقديم الضمير المنفصل وتأخير المتصل ،والفاء الموجبة معطوفا عليه ومعطوفا تقديره : اياى ارهبوا فارهبون أحدهما مضمر ،والثانى مظهر ،ومافى ذلك من تكرار الرهبة ،وما فيه من معنى الشرط بدلالة الفاء كأنه قيل : ان كنتم راهبين شيئا فارهبون[2] .

قوله : (ويجوز أن يريد) عطف على جملة قوله : (ومعنى وأوفوا) الى آخره ، وآخّر هذا الكلام وقراءة " أوف " بالتشديد[3] عن تفسير " واياى فارهبون " لأنه بحسب اللفظ عطف على " أوفوا " ،وبحسب المعنى متمم له .

قوله : " أول كافر به "[4] فيه اشكال من جهة اللفظ والمعنى :
أما من جهة اللفظ فلأن أول أفعل تفضيل بدليل الأولى والأولين ،وأصله : أوأل قلبت الهمزة واوا وأدغمت فيها الواو ،وأفعل التفضيل اذا أضيف الى النكرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف اليه بالتفصيل الى ما هو عليه من العدد فتجب مطابقته له مثل : هو أفضل رجل ،وهما أفضل رجلين ،وهم أفضل رجال ،وههنا الموصوف جمع والمضاف اليه[5] مفرد فوجب تأويل فى المضاف اليه بحيث يصير جمعا فى المعنى ،أو فى الموصوف بأن يجعل مفردا ليحصل التطابق وكلاهما ظاهر .

وأما من جهة المعنى فلأن اليهود لم يكونوا أول كافرين لينهوا عن ذلك بل المشركون قبلهم ،ولأن الكفر منهى عنه كيف ما كان من غير تقييد بالأولية .

---

(١) م ،خ : وكذا سائر الأمثلة . (٢) تحفة الأشراف ١ /٨٧
(٣) وهى قراءة الزهرى ،انظر الكشاف ١ /٩٨ ،والبحر المحيط ١ /١٧٥ ،وأنوار التنزيل ١ /٧٥ .
(٤) من الآية ٤١ من سورة البقرة .
(٥) قوله " اليه " :ناقص من الأصل .

فأجاب أولا : بأنه تعريض بأهل الكتاب ، وبأنه كان ينبغي أن يكونوا أول جماعة آمنوا ، لما عندهم من أسباب الأولية والأولوية .

وثانيا : بأنه على حذف أداة التشبيه أي ولا تكونوا مثل أول جمع كفروا به ، وهم المشركون ، والمعنى : لا تكونوا في الكفر والعناد مثل المشركين ولكم من المعرفة والكتاب ما ليس لهم .

فقوله : (ولا يكن كل واحد منكم) لتعميم النفي وادخال (كل) بعد اعتبار حكم النفي ، وضمير (به وبصفته) " لما أنزلت " أعني القرآن ، والمجرور في (كفروا به) و (أتباعه) (لمن أوحي اليه) أعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومعنى (استفتاحهم به على الكفرة) أنهم كانوا يطلبون الفتح والنصرة عليهم بأنه سيظهر نبي كذا وكذا ويقتلكم ، وضمير المجرور في (من أشرك به) لله ، وضمير (تعرفونه) و (لم يعرفه) ينبغي أن يكون "لما انزلت" / ليصلح هذا تفسيرا للكلام ، ولقد كان القرآن مذكورا ١٠٧ أ
في التوراة موصوفا [1] كما كان النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله : (وقيل : الضمير في به لما معكم) عطف على أول كلامه المبني على كون الضمير لما أنزلت [2] ، وما ذكر من (أنهم اذ كفروا بما يصدقه فقد كفروا به) انما يتم لو كان كفرهم به انه كذب كله ، وأما اذا كفروا بكونه كلام الله واعتقدوا أن فيه الصادق والكاذب فلا ، ولهذا كان هذا الوجه مرجوحا [3] ، وقد يتوهم أنه جواب ثالث عن الاشكال المعنوي ، وليس بذلك ، لأنهم لم يكونوا أول كافر بالتوراة بهذا المعنى ، بل المشركون قبلهم ، وانما وقع لهم ذلك [4] بعد الكفر بالقرآن .

قوله : (والاشتراء استعارة) [5] تحقيقية مبنية على تشبيه استبدال الرياسة التي كانت لهم بآيات الله تعالى بالاشتراء ، وجرت في الفعل بالتبعية كما في الآية [6]

---

(١) كلمة " موصوفا " زائدة في م ، خ .
(٢) أي عطف على قوله : " أول من كفر به " . الكشاف ١ / ٩٨ .
(٣) حيث أخره عن الوجه السابق وعبر عنه بقوله : " وقيل " .
(٤) م : وانما وقع ذلك عليهم .
(٥) أي في قوله تعالى : " ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا .. " من الآية ٤١ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٩٨ .
(٦) وهي قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى " من الآيتين ١٦ ، ١٧٥ من سورة البقرة .

والبيتين (١) الا أنه وقع التعبير عن المشترى بلفظ الثمن خلاف مافى الاشتراء الحقيقى ، فلذا جعله قرينة الاستعارة فقال : (والا) أى وان لم يكن الاشتراء استعارة للاستبدال لم يستقم ،لأن الثمن لا يصلح مشترى وانما (هو مشترى به) فى الاشتراء (٢) الحقيقى .

ولما فى هذا الكلام من (٣) نوع خفاء ذهب أكثر الناظرين فى الكتاب (٤) الى أن المراد أن هذه استعارة لفظية كاطلاق المرسن على الأنف ، لما أنه استبدال مخصوص استعمل فى مطلق الاستبدال ،لا معنوية مبنية على التشبيه ،اذ حينئذ تقع الرياسة فى مقابلة المشترى ،والآيات فى مقابلة الثمن على عكس مافى الآية ،والتمثيل بقولـــــه تعالى " اشتروا الضلالة بالهدى " وبالبيتين فى مجرد اطلاق الاشتراء على الاستبدال .

وقيل : يجوز أن يكون من باب القلب فى التشبيه كما فى قوله تعالى : " انمـــا البيع مثل الربا " (٥) . ورد بأنه على تقدير التشبيه لايكون ههنا الا تشبيه استبدال الرياسة بالآيات بالاشتراء ،وتشبيه الرياسة لكونها مطلوبة عندهم مرغوبة بالمشـــترى ، وتشبيه الآيات لكونها مبذولة فى نيل الرياسة بالثمن ،ولم يقع قلب فى شىء مـــن التشبيهات الثلاثة ،لأن معناه أن يجعل المشبه به مشبها وبالعكس .

فان قلت: فعلى ماذكرتم لم عبر (٦) عن الرياسة بلفظ الثمن ؟ قلت: للاشارة الى أنها ينبغى أن تكون وسيلة مبتذلة مصروفة فى نيل المآرب لا مرغوبة مطلوبة ببـــذل ماهو أعز الأشياء أعنى الآيات/ المضافة الى من هو منبع كل خير وكمال ، وفيه تقريـــع وتجهيل قوى: حيث جعلوا (٧) الأشرف الأكمل وسيلة الى الأخس الأنزل ،واغـــراب لطيف ،حيث جعل المشترى ثمنا باطلاق لفظ الثمن عليه ثم جعل الثمن مشـــــترى بايقاعه بدلا لما جعله ثمنا بدخول الباء عليه . ١٠٧ ب

---

(١) أما البيت الأول فقد سبق تحقيقه فى الورقة ٦٢ أ ،وأما الثانى فسيأتى تحقيقه .

(٢) عبارة الأصل : فى الاستبدال .

(٣) كلمة " من " ساقطة من م .

(٤) منهم الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ١١٧ ،واليمنى فى تحفة الاشراف ١ / ٨٨ .

(٥) من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة ،وممن قال ذلك الطيبى وتبعه اليمنى . انظـــر المرجعين السابقين .

(٦) أى الله سبحانه وتعالى .

(٧) فى الأصل : " جعل " .

(فانى شربت) أوله :

فان تزعمينى كنت أجهل فيكـــــم (١)

زعم من أفعال القلوب،أحد مفعوليه ضمير المتكلم والآخر كنت أجهل أى أتسافه على الناس فيما بينكم ،وقد يتوهم أن أجهل ههنا أفعل تفضيل فيروى بالنصب،والمعنى أجهل الناس ،كما توهم أن الزعم ههنا بمعنى القول وقد ذكر بعده الجملة ،ولا تكون زعمت الا من أفعال القلوب ،أو بمعنى كفلت ومصدره الزعامة ،أو بمعنى تكذب وتطمع.

قوله : (ولا تلبسوا الحق بالباطل (٢)) ،يقال : لبس الحق بالباطل - من باب ضرب - أى خلطه ،ولبست عليه الأمر ولبسته بالتشديد ،والتبست عليه الأمور ،وفى أمره لبس ولبسة بالضم : اذا لم يكن واضحا ،فالباء على الأول صلة ،وعلى الثانى للاستعانة أى لا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها غير واضح بسبب باطلكم ،وقول الجوهرى : " لبست عليه الأمر خلطته (٣) " يشعر بأنه راجع الى الأول الا أنه ترك ذكر المخلوط به ،وقد يرجح الأول : بأنه أظهر وأكثر ،وهو حق ،وبأن جعل وجود الباطل سببا لالتباس الحق ليس أولى من العكس ،وهو باطل .

قوله : (والواو بمعنى الجمع) ،وحقيقته لا يكن منكم لبس الحق وكتمان الحق ، والقصد الى أن ينعى عليهم سوء فعلهم الذى هو الجمع بين أمرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب الانتهاء عنه .

ثم اعترض : بأن النهى عن الجمع بين شيئين انما يحسن اذا أمكن افتراقهما فى الجملة ،ولبس الحق بالباطل مع كتمان الحق ليس كذلك . فأجاب : بأن التلازم انما هو بين مدلولى اللفظين على الاطلاق ،وأما ماقصد بهما وأطلقا عليه فى هذا الموضع فأمران متميزان وقد يفترقان ،اذ المراد بلبس الحق بالباطل : زيادتهم فى التوراة ماليس منها ،وبكتمان الحق : اخفاء بعض مافيها ،أو نقصه ومحوه عنهـــا .

---

(١) البيت لأبى ذؤيب الهذلى وهو فى ديوان الهذليين ١ / ٣٦ ،وشرح أشعار الهذليين ١ / ٩٠ ،ومشاهد الانصاف ١ / ٩٨ ،وتنزيل الآيات ٤٧٦ ،وتفسير القرطبى ١ / ١٨٣ ،والبحر المحيط ١ / ١٧٨ ،وشرح ديوان أبى تمام للتبريزى ١ / ٤٨ ،والخزانة ٤ / ٥٠٠ والعينى ١ / ٤٥٥ ،٢ / ٣٨٨ ،وسيبويه ١ / ٦١ ، والمقتضب ٤ / ١٣٨ ،وهمع الهوامع ١ / ١٤٨ واللسان مادة (زعم)

(٢) " ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون " الآية ٤٢ من سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١ / ٩٩ .

(٣) الصحاح مادة (لبس)

أو تحريفه وتبديله الى خلاف ما هو عليه فيها ، واعادة صريح لفظ الحق دون ضميره (١) ربما يشعر بذلك .

وتوجه الاعتراض على الوجه الثاني ، أعني كون الباء للاستعانة (٢)] أظهر والجواب تام على الوجهين لما سبق من أن المراد بجعل الحق ملتبسا (٣) بسبب الباطل هو أيضا كتابتهم في التوراة ماليس/ منها ، فقوله : (بالباطل) في تفسير الجمع وفي تقرير السؤال والجواب لا ينبغي أن يحمل على الصلة بل على مايحتمل الوجهين . ١٠٨ أ

قوله : (بمعنى كاتمين) (٤) يريد أن المضارع مع الواو بمعنى كاتمين أى في موقع الحال على حذف المبتدأ ، أى وأنتم تكتمون ، وفيه تأييد لما ذكر في الجواب ، فان الحال قد (٥) تكون قيدا في الفعل مفيدا غيرما أفاده الا اذا كانت مؤكدة .

قوله : (وهو أقبح) ، يعني أن ايراد الحال ليس لتقييد النهي به ، بل لزيادة تقبيح حالهم ، وكان الأولى أن يقول : في حال علمكم بذلك وبقبحه ، لينتظم التعليل بقوله : (لأن الجهل بالقبيح ربما يعذر راكبه) حق الانتظام ، وان أريد أن علمهم بقبحه ظاهر ، فعلمهم بكونهم لا بسين كاتمين أظهر ، وكأنه قصد الى أن العلم بقبحه من الظهور بحيث يستغني عن الذكر ، وانما المحتاج اليه علمكم بحالكم ، وفيه من التقريع ما لا يخفى ، وضمير (راكبه) (للقبيح) ، والعائد الى (الجهل) محذوفه

قوله : (يعني صلاة المسلمين (٦)) ، يريد أن اللام في " الصلاة والزكاة والراكعين " للاشارة الى المعلوم المعين ، ويجوز أن تكون للجنس والدلالة على أن صلاة غير المسلمين ليست بصلاة ، وفي الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع ، وللقائل بوجوب الجماعة أن يتمسك بالوجه الأخير ، والجواب (٧) أنه للمنع عما كانوا عليه من عادة الانفراد فيكفي كونها سنة مؤكدة ، يمنع من اعتاد تركها ويقاتل على الاصرار .

---

(١) حيث قال الله تعالى : " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق " .
(٢) من قوله " بسورة المدينة بمعنى حائطها " بالورقة ٨٢ أ الصفحة ٢ الى هنا ناقص من ط .
(٣) خ : ملتبسا بالباطل .
(٤) انظر الكشاف ١ / ٩٩ ، والبحر المحيط ١ / ١٨٠ ، وأنوار التنزيل ١ / ٧٦ .
(٥) كلمة " قد " ناقصة من م ، خ .
(٦) في تفسير قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " الآية ٤٣ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٩٩ .
(٧) خ : والجواب عنه .

قوله : (الهمزة للتقرير[1]) ،التقرير عندهم يقال للحمل على الاقرار والالجاء اليه ،وللتحقيق والتثبيت ،وكلاهما مناسبهنا ،وفي قوله تعالى : " أأنت قلت للناس[2] " تقريره بالمعنى الأول ،أي يقر بأنه لم يقل ذلك ،وفي قوله تعالى " هل ثوب الكفار[3] " بالمعنى الثاني .

قوله : (ويتناول كل خير) أي يطلق عليه ،ولم يرد ههنا أنهم يأمرون بكل خير ، (وقولهم) للمؤذن اذا قال : الصلاة خير من النوم : (صدقت وبررت) معناه : أتيت بالخير الكثير ،تقول[4] : بررت والدي بالكسر خلاف العقوق ،وبر في يمينه : صدق ، وبر خالقه أي أطاعه ،وبر حجه وبر مبنيا للفاعل والمفعول ،وحج مبرور : لا يخالطه شيء من الآثام ،من بر الله حجه .

قوله : (اطلعوا على ناس) [5] من قبيل " ونادى أصحاب الأعراف[6] " وخالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عليه .

قوله : (كالمنسيات) اشارة الى أن " تنسون " استعارة تبعية مبنية على تشبيه تركهم أنفسهم من الخير بالنسيان في الغفلة والاهمال ،لأن نسيان الرجل / نفسه محال . ١٠٨ ب

قوله : (توبيخ عظيم) ،وجهه ماأشار اليه في أثناء التقرير ،فان قيل : هذا أقوى دليل على أن قبح هذه الأشياء عقلي ،قلنا : بل على أنه شرعي : حيث رتب التوبيخ على ماصدر عنهم[7] بعد تلاوة الكتاب .

قوله : (وأن تصلوا) [8] عطف على (الجمع) بيان له ، وفيه اشارة الى أن الأنسب

---

(١) أي في قوله تعالى : " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " الآية ٤٤ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١١٦ من سورة المائدة .

(٣) من الآية ٣٦ من سورة المطففين . (٤) م : يقال

(٥) تفسير ابن كثير ١ /١٥٦ .

(٦) من الآية ٤٨ من سورة الأعراف .

(٧) في الأصل : عنه .

(٨) في تفسير قوله تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين " الآية ٤٥ من سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١ / ١٠٠ .

على هذا التقدير أن يقدم ذكر الصلاة ، الا أنه أخر دلالة على أن الصبر عليها على هذا الوجه أشق ، والأمر برعايته أحق ، وليس المراد بالجمع بينهما المقارنة وانما حصلت هي بتقييد الصبر بكونه على الصلاة بقرينة المقام ، وورود الأمر بالاصطبار عليها[1] .

ومعنى (يجبفيها) : يحق ويناسب ، والا فكثير من المذكورات ليس من واجبات الصلاة ، ومعنى (الاحتراس من المكاره) : صيانتها عما يكره فيها ، وضمير (أنه) للصلاة بالنظر الى الخبر أعني : (انتصاب) ، ومن جعله ضميرا مبهما يفسره مابعده بمعنى أن انتصابا للسؤال من الجبار كائن فقد سها .

قوله : (ومنه قوله تعالى) حيث أمر بالاصطبار على الصلاة ، على أن الأمر بأمر الأهل بالصلاة ربما يشعر بالأمر بالصلاة فيكون في الآية أمر بالجمع بين الصلاة والصبر عليها .

قوله : (قثم) [2] على معدول عن قاثم ، وهو كثير العطاء من قثم له من المال اذا أعطاه دفعة من المال جيدة ، وفي الأساس : " رجل قثم : معطاء ، وقيل لقثم ابن العباس : ماقيل لك قثم الا لأنك قثم [3] " استشهد بسمرقند ، ومشهده بها معروف [4] .

قوله : (أطال فيهما الجلوس) يعني بعد تمام الركعتين .

قوله : (وأن يستعان) ليس عطفا على (أن يراد) بل على (الصلاة) تفسيرا ، أي يجوز أن يراد الاستعانة بالصبر والدعاء ، وضمير (دفعه) (لله) أي في دفعه (للبلايا) .

قوله : (ويجوز أن يكون لجميع الأمور) فيه اشارة الى أن خطاب " استعينوا " أيضا لبني اسرائيل على ما هو ظاهر النظم لا للمسلمين لما فيه من تفكيك النظم ، كذا ذكره الامام الرازي[5] رحمه الله[6] .

قوله : (أي يتوقعون لقاء ثوابه[7]) ، لا نزاع في امتناع ملاقاة الله على الحقيقة ،

---

(١) أي في قوله تعالى : " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " الآية ١٣٢ من سورة طه .
(٢) انظر تفسير الطبري ٢ / ١٤
(٣) أساس البلاغة مادة (قثم) (٤) فتوح الغيب ١ / ١١٨
(٥) انظر تفسير الرازي " مفاتيح الغيب " ١ / ٣٣٤ .
(٦) قوله " رحمه الله " زائد في م .
(٧) في تفسير قوله تعالى : " الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون " الآية ٤٦ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١٠٠ .

لكن القائلين بجواز الرؤية يجعلونها مجازا عنها حيث لا مانع كما فى حق الكفار والمنافقين [١] ، وأما من لم يجوز الرؤية فيفسرها بما يناسب المقام كلقاء الثواب خاصة ، أو الجزاء مطلقا ، أو العلم المحقق الشبيه بالمشاهدة والمعاينة .

١٠٩ أ فان حمل الظن / على التوقع والطمع ، فمعنى ملاقاته : لقاء الثواب ونيل ما هو عند الله تعالى من الكرامة [٢] ، لظهور أن لا قطع بذلك ، وان حمل على التيقن أو قرئ " يعلمون [٣] " بدل " يظنون " فمعناها : ملاقاة الجزاء ، فان هذا ينبغى أن يكون مقطوعا به عند المؤمن لأن التردد فى يوم الجزاء كفر لا يصلح أن يذكر فى معرض المدح كما فى هذا المقام .

فقوله : (ولذلك) أى ولتفسير اللقاء بلقاء الجزاء وهو مما يجب أن يكون معلوما مقطوعا به ، لا مظنونا مقرونا بتجويز النقيض ، أو ولثبوت " يعلمون " الموجب لتفسيره بلقاء الجزاء (فسر يظنون) ههنا (بيتيقنون) للتوافق ، لكن لا يخفى أن الرجوع الى الله المفسر بالنشور أو المصير الى الجزاء مما لا يكفى فيه الظن ، بل يجب القطع فعطف قوله "وأنهم اليه راجعون " على " أنهم ملاقوا ربهم " يوجب تفسير الظن بالتيقن ألبتة ، اللهم الا أن يقدر له عامل أى ويعلمون ، مع أنه خلاف الظاهر .

قوله : (يتسخره) أى يستعمله بغير أجر .

قوله : (ومن ثم) أى ومن أجل أن الصلاة لا تكون شاقة على الخاشعين الموصوفين ، وسيجئ الحديث بتمامه فى موضع آخر [٤] ، وأما الحديث الآخر فقد روى عن سالم بن الجعد أنه قال : قال رجل من خزاعة : ليتنى صليت فاسترحت ، فكأنهم عابوا عليه ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أقم الصلاة يابلال أرحنا

---

(١) مثال المنافع .
(٢) فى الأصل : ونيل مانيل من الله من الكرامة .
(٣) وهى قراءة عبد الله بن مسعود ، انظر البحر المحيط ١ / ١٨٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ٧٨ .
(٤) عند الحديث عن قوله تعالى : " فيه آيات بينات مقام ابراهيم .. " الآية ٩٧ من سورة آل عمران ، وذلك فى الكشاف ١ / ٢٩٧ ، وفى الورقة ٢٨٨ ب من هذه الحاشية ، أما الحديث بتمامه فهو قول النبى صلى الله عليه وسلم : " حبب الى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة " انظر مسند الامام أحمد ٣ / ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ .

بها (١) ،أى أذن بالصلاة نستريح بأدائها من شغل القلب بها وبغير الله تعالى وقيل : كان اشتغاله بالصلاة راحة له ،فانه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا ،وكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى ،وهذا هو الوجه ،وأما على رواية المصنف فمعنى (روحنا) :أرحنا بالأذان أو الاقامة ،يقال : " روحه أى أراحه " ذكره في ديوان اللغة . (٢)

قوله : (على الجم الغفير (٣) من الناس) (٤) ،يعنى ليس المراد بالعالمين جميع ماسوى الله ليلزم تفضيلهم على الملائكة ،ولا جميع الناس ليلزم تفضيلهم على نبينا [صلى الله عليه وسلم] (٥) وأمته ،وقد فسر في بعض المواضع بعالمى زمانهم (٦) ، ووجهه : أن العالم اسم لكل موجود سواه ،فيحمل على الموجود بالفعل ،فلا يتناول من مضى أو من يوجد بعدهم ،على أنه لو سلم العموم في العالمين فلا دلالة على التفضيل من كل جهة عموما ،ولا من جهة القرب والمكانة عند الله خصوصا ، وانما أعاد النداء والأمر بذكر/ النعم (٧) لكونه أخذا في تعديد النعم على التفصيل . ١٠٩ اب

قوله : (لا تجزى لا تقضى) (٨) ،ومنه جزية أهل الذمة لأنها تقضى عليهم ،ففى صحيح البخاري :

" قال أبو بردة بن نيار خال البراء : يارسول الله ،انى نسكت (٩) شاتى قبل الصلاة ،وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ،وأحببت أن تكون شاتى أول مايذبح في

---

(١) مسند الامام أحمد ٥/ ٣٦٤ ، ٣٧١ ،ومختصر سنن أبي داود ٧/ ٢٧٧ الحديث رقم ٤٨٢٦ .

(٢) انظر ديوان الأدب ،كتاب ذوات الثلاثة ،أبواب الزيادات ،باب التفعيل .

(٣) الجم : الكثير ،يقال جم المال وغيره اذا كثر ،وجاءوا جما غفيرا أى جميعا شريفهم ووضيعهم لم يتخلف أحد .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " وأنى فضلتكم على العالمين " من الآية ٤٧ من سورة البقرة . وانظر الكشاف ١/ ١٠١ . (٥) مابين المعقوفين ناقص من م ،خ

(٦) وذلك كما فى معالم التنزيل ١/ ١٥٩ حيث يقول البغوى : " وأنى فضلتكم على العالمين أى عالمى زمانكم " .

(٧) أى فى الآيتين ٤٠ ، ٤٧ من سورة البقرة .

(٨) فى تفسير قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٩) النسيكة : الذبيحة ،والمنسك : الموضع الذى تذبح فيه .

بيتى ،فذبحت شاتى وتغذيت قبل أن آتى الصلاة . قال : شاتك شاة لحم . قال : يارسول الله ،فان عندنا عناقا [1] جذعة ،وهى أحب الى من شاتين ،أفتجـــزى عنى ؟ قال : نعم ، (ولن تجزى عن أحد بعدك) " [2]

أى لا تؤدى عنه الواجب ولا تقضيه . نيار : بكسر النون وتخفيف الياء ،الجذع مـــن الغنم : ابن سنة ،وقيل : ابن ثمانية أشهر ،وهو لا يجزى الا فى الضأن ،لأنـــه ينزو [3] ويلقح بخلاف المعز .

ولما كان " تجزى " متعديا احتمل " شيئا " أن يكون (مفعولابه) ،وأن يكـــون (مصدرا) ،بخلاف (أجزأ عنه) بالهمزة بمعنى (أغنى عنه) فانه لازم فلا يكـــون " شيئا " الا مصدرا ،وأما أجزانى بمعنى كفانى فلا يناسب ههنا .

قوله :

تروحى أجدر أن تقيلـــــى * غدا بجنبى بارد ظليـــــل [4]

فى الأساس: " راحوا الى بيوتهم رواحا ،وتروحوا اليها وتروحوها " [5] فعلى هذا لا حاجة الى تقدير: تصلى ،ليكون ناصبا لموصوف أجدر ،أى (ماء أجدر بــــأن تقيلى فيه) ولا الى تضمين معنى : اطلبى ،وأجدر: أفعل من جدر بالضم ،وأنـــت جدير بكذا أى خليق .

فان قلت: أى حاجة الى اعتبار الضمير فى (أن تقيلى) ؟ قلت: للربـــــط المعنوى ،والا فالمستكن فى أجدر عائد الى موصوفه المقدر ،وقد يتوهم أن لا ضمير فى أجدر ،وانما فاعله : أن تقيلى ،فلابد من تقدير العائد الى الموصوف لكن اعمال أفعل فى الاسم الظاهر فى هذا الموضع خارج عن القاعدة .

قوله : (ومنهم من ينزل [6]) أى يدرج فى الحذف قال السيد بن الشجرى [7]

---

(١) وهى الأنثى من ولد المعز .

(٢) انظر صحيح البخارى ٢٠/ ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، وصحيـــح مسلم ١٣/ ١١٢ ،وسنن النسائى ٢/ ٢٠٥ . (٣) نزا أى وثب .

(٤) لأبى على أحيحة بن الجلاح ،انظر مشاهد الانصاف ١/ ١٠١ ،وتنزيل الآيات ٤٧٧ ،والمحتسب لابن جنى ١/ ٢١٢ ،والخزانة ٢/ ٣٠٨ ،وشواهد العينى ٤/ ٣٦ ،وتهذيب اصلاح المنطق ١/ ١٤٤ وشرح الأشمونى ٢/ ٣٨٥، واللسان مادة (شول) .

(٥) أساس البلاغة مادة (روح) . (٦) الكشاف ١/ ١٠٢ .

(٧) هبة الله بن على بن محمد ابو السعادات المعروف بابن الشجرى قرأ علـــى الخطيب التبريزى وغيره وأقرأ النحو سبعين سنة ،صنف الأمالى وشرح اللمع لابن جنى وغيرهما توفى سنة ٥٤٢ هـ . بغية الوعاة ٢/ ٣٢٤ .

فى أماليه :

" قد يحذف العائد المجرور مع الجار كما في هذه الآية ، واختلف النحويون في هذا الحذف : فقال الكسائي : لا يجوز الا أن يكون قد حذف الجار أو لا ثم العائد ثانيا (١) ، وقال بعضهم : لا يجوز الا أن يكون المحذوف جملة الجار والمجرور معا ، وقال أكثر أهل العربية منهم سيبويه والأخفش : يجوز الأمران (٢) ، والأقيس عندى أن يكون الحرف قد حذف أولا فجعل الظرف مفعولا به كما قال الشاعر :

ويوم شهدناه (٣)

ثم حذف العائد (٤) ، فالأصل لا تجزى / فيه ثم لا تجزيه ثم لا تجزى " ١١٠ أ

ثم قال :

" الشائع الحسن حذف العائد من الصلة ، ثم من الصفة ، ثم من الخبر حتى أنه ضعيف قليل فى السعة ، لأن الجملة التى تقع خبرا عن المبتدأ حديث عنه

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ١٨٩ ، ١٩٠ (٢) المرجع السابق

(٣) والبيت بتمامه :

ويوم شهدناه سليما وعامرا * قليل سوى الطعن النهال نوافله

ونسبه سيبويه الى رجل من بني عامر ، يقول : ورب يوم شهدنا فيه ، فحذف الجار وأوصل الضمير بالفعل ، فصار الفعل كأنه متعد لمفعولين : الأول الضمير والثانى سليما أى قبيلتيهما ، قليل : صفة يوم والنهال : جمع ناهل أى ريان أو عطشان على التشبيه ههنا ، فهو من الأضداد ، ووصف الطعن بأنه ناهل مجاز عقلى ، لأن الذى يوصف به : الفارس والمعنى : أنهم يتشفون من غيظ قلوبهم بذلك الطعن والنوافل : فاعل قليل ، وقلة الغنائم ، لأن قومه لا يراعون حيازتها أو المعنى : أن أعداءه لا ينالون من قومه الا الطعن تهكما بهم .

انظر مفتاح العلوم ٤٨ ، ومشاهد الانصاف ٢/ ٣١٩ ، وتنزيل الآيات ٤٨٩ ، واعراب القرآن ٢/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبى ١/ ٣٢١ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٩٤ ، والأغفال للفارسى ١٢٤ ، والحجة فى القراءات ١/ ٢٦ ، والأمالى الشجرية ١/ ٦ ، والخزانة ٣/ ٢٢٥ ، ٤٧٠ ، والكامل للمبرد ١/ ٢١ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١/ ٨٨ ، وللتبريزى ٤/ ١٣٢ ، وسيبويه ١/ ٩٠ ، والمفصل ٣٠ والمقتضب ٣/ ١٠٥ ، ١٠٧ ، وارتشاف الضرب ١/ ٥٩ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٣ ، ومجمع الأمثال ١/ ١٢ ، واللسان مادة (جزى) .

(٤) عبارة ابن الشجرى : " أراد شهدنا فيه ثم حذف الجار توسعا " .

انظر الأمالى ١/ ٦ .

وأجنبية منه ،فالعائد منها تعلقها به ،لكنهم شبهوها بجملة الصفة كما شبهوا جملة الصفة بجملة الصلة من حيث كانت الصفة توضح الموصوف كما أن الصلة توضح الموصول الا أن الموصول يلزمه أن يوصل ،والموصوف لا يلزمه أن يوصف ،وانما حسن وكثر في الصلة ،لأنها كبعض أجزاء الكلمة ، فاذا قلت: الذى بعثه الله ،فقد نزلت الذى والفعل وفاعله ومفعوله منزلة اسم مفرد ، فآثروا التخفيف بحذف بعض الأربعة ،وكان المفعول أولى لكونه فضلة قد ورد حذفه في غير الصلة كثيرا حسنا ،ومن حذف العائد المنصوب من الصفة قول الحارث بن كلدة الثقفي من مقطوعة تتضمن ألطف عتاب وأحسنه ،قالها وقد خرج الى الشام ، فكتب الى بني عمه فلم يجيبوه وهي قوله :

ألا أبلغ معاتبتي وقولي .. * بني عمي فقد حسن العتاب

وسل هل كان لي ذنب اليهم * هم منه فأعتبهم غضاب

كتبت اليهم كتبا مرارا * فلم يرجع الى لها جواب

فما أدري أغيرهم تناء؟ * وطول العهد أم مال أصابوا؟

فمن يك لا يدوم له وصال * وفيه حين يغترب انقلاب

فعهدي دائم لهم وودي * على حال اذا شهدوا وغابوا[(١)]

وانما قال : أم مال أصابوا ،لأن الغنى في أكثر الناس يغير الاخوان على الاخوان[(٢)] ، فمن ذلك ماقال أبو الهول في صديق له أيسر فلم يجده كما يحب :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فأصبحت فيها بعد عسر أخا يسر

لقد[(٣)] كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر[(٤)] "

(ومنه الحديث[(٥)]) أى مما ورد فيه العدل بمعنى الفدية ماروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الناس لم

---

(١) قائل الأبيات كما ذكر ابن الشجري هو الحارث بن كلدة الثقفي ،وفي شرح الشواهد للعيني أنها لجرير ،وتروى أيضا لغيلان بن مسلمة الثقفي ،انظر الأمالي الشجرية ١/ ٥ ،٨ ،٢٦ ،٣٢٦ ،٣٣٤ ،والعيني ٤/ ٦٠ ،وتنزيل الآيات ٣٢٧ ،والبحر المحيط ١/ ١٩٠ ،وسيبويه ١/ ٤٥ ،٦٦ .

(٢) قوله " على الاخوان " ناقص من م .

(٣) خ : " فقد كشف .. " وما في الأصل هو الموافق لما في الأمالي الشجرية ١/ ٩ وانظر كذلك تنزيل الآيات ٣٢٧ .

(٤) الأمالي الشجرية ١/ ٥ ــ ٩ ، ٣٢٧ .

(٥) الكشاف ١/ ١٠٢ .

يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا (١) "صرف الكلام : مايتكلفه الانسان فيه من الزيادة وراء الحاجة ، والاستباء : افتعال من السبى ، كأنه ينهب به قلوب الناس ويأخذها أسراء ، وسميت التوبة صرفا لأنها تصرف من الحالة الذميمة الى الحالة الحميدة ، وما رواه المصنف نقل بالمعنى أو رواية أخرى .

قوله : (هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟) خص السؤال بذلك لأنه المتنازع فيه (٢) ، بخلاف/ قبول الشفاعة للمطيعين فى زيادة الثواب ، وعدم القبول للكفار أصلا ، فانه وفاق . ١١٠ ب

ولم يقتصر فى الاستدلال على أنه نفى أن تقبل من نفس شفاعة ، لأنه ربما يدفع بالاختصاص ببعض الحقوق ، أو بعض الشفعاء ، فبين أنه عائد الى ماسبقه من العموم فى الشفيع والمشفوع له والمشفوع فيه أعنى الفعل أو الترك الواجب الذى وقع الاخلال به بأن ترك مالزم فعله ، أو فعل مالزم تركه ، وهو معنى العصيان سواء كان ضمير (منها) للعاصية وهو ظاهر ، أو للشافعة لأن شفاعتها انما هى للعاصية ، وسواء كان (شيئا) مفعولا به وهو ظاهر ، أو مفعولا مطلقا ، لأن التصريح بتعميم نفى الفعل يفيد عموم نفى المفعول قطعا كما (٣) تقول : فلان لا يجزى جزاء ما ، وكون المخاطب بهذا الكلام هم الكفار ، أو كون الآية نازلة فيهم لا يدفع شيئا من العمومات المستفادة من اللفظ .

والجواب : أن فى مواقف القيامة كثرة وفى زمانها سعة ، ولا دلالة فى الكلام على عموم المواقف والأوقات (٤) ، ولو سلم فقد خص " شىء " بالواجب من فعل أو ترك ،

---

(١) انظر مختصر سنن أبى داود ٧/ ٢٨٨ كتاب الأدب الحديث رقم ٤٨٤١ .
(٢) فالمعتزلة على أنها لا تقبل للعصاة ، أما أهل السنة والجماعة فمعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين . انظر الانتصاف ١/ ١٠٢
(٣) قوله " كما " ناقص من خ .
(٤) يقول ابن المنير الاسكندرى : " وليس فى الآية دليل لمنكريها ، لأن قوله : " يوما " أخرجه مُنكَّرا ، ولا شك أن فى القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين ألف سنة ، فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة ، وبعضها هو الوقت الموعود ، وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام " الانتصاف ١/ ١٠٢ .

و " شفاعة " بالشفاعة للكفار وأهل الكبائر ،حيث قبلت للمؤمنين في زيادة الثواب مع شمول اللفظ اياها نظرا الى نفسه ،والعام الذى خص منه البعض ظني بالاتفاق ، فيجوز تخصيصه بالأحاديث الواردة في الشفاعة لأهل الكبائر .

وذكر في بعض الحواشي أنه أجاب القاضي [1] : بأن النصرة نفع [2] مع قوة ،فلا يلزم من نفي النصر [3] نفي من ينفعهم على طريق آخر ،وفيه أن الاستدلال بقوله : " لا يقبل منها شفاعة " لا بقوله : " ولا هم ينصرون " .

ونحن لا نجد في تفسير القاضي البيضاوي سوى " أن الآية مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة لأهل الكبائر ،ويؤيده أن الخطاب معهم ،والآية نزلت فيهم ردا لما زعمت اليهود أن آباءهم تشفع لهم " [4]

قوله : (ويجوز أن يرجع الى النفس الأولى) [5] يشير الى أن المختار هو أن يرجع الى النفس الثانية العاصية ،ليلائم قوله تعالى : " ولا هم ينصرون " فان الضمير فيها للنفوس العاصية ،وكذا في " لا يؤخذ منها عدل " على الأظهر ،وليوافق ما ذكره في موضع آخر : " ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة " [6] ،ولأنه حيث أريد هذا المعنى أضيفت الشفاعة الى الشافع مثل : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين [7] " . / ١١٩

ومايقال في ترجيح الوجه الثاني " أن المقصود نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد فنفى جميع مايتصور في ذلك من الطرق : أعني الاعطاء لنفس الحق وهو الجزاء ،أو بدله وهو الفدية ،أو ترك الاعطاء مع اللطف وهو الشفاعة ،أو القهر وهو النصرة ، غايته أنه لم يراع في الذكر الترتيب ،وغير في طريق النصرة الأسلوب : حيث لم يقل : ولا هي أى النفس الجازية تنصرها أى المجزية ،اشارة الى أن هذا الطريق مستحيل

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد قاضي القضاة البيضاوي ،كان اماما في الفقه والتفسير والعربية والمنطق ،صنف مختصر الكشاف والمنهاج في الأصول وغيرهما ، وكان شافعيا . توفي سنة ٦٩١ . انظر بغية الوعاة ٢/٥٠ ،وكشف الظنون ٢/٣١٤ .

(٢) خ : منح .
(٣) ط ،م : النصرة
(٤) أنوار التنزيل ١/٧٩
(٥) الكشاف ١/١٠٢
(٦) من الآية ١٢٣ من سورة البقرة .
(٧) الآية ٤٨ من سورة المدثر .

بحيث لا يصح أن يسند الى أحد ، وأنه لا خلاص لهم بهذا الطريق ألبتة ولا محالة (١) لما فى تقديم المسند اليه من تقوى الحكم " مردود (٢) بأن المقصود بسوق الآية نفى اندفاع العذاب وعدم الخلاص لأنه المناسب لوجوب الاتقاء ، وانما نفى الدافع بالعرض ، مع أن عود ضمير " لا يؤخذ منها عدل " الى النفس الثانية فى غاية الظهور وان حمل " ولا هم ينصرون " على ماذكر تكلف .

نعم لو قيل : ان القبول أو عدم القبول انما يكون حقيقة من الشفيع لا المشفوع له لكان شيئا ، وضمير (شفعت) و (أعطت) و (منها) للنفس الأولى ، وضمير (لها) و (عنها) للثانية العاصية ، وفي قوله : (ولو أعطت) اشارة الى أن الكلام فى الضميرين أعنى " لا يقبل منها " و " لا يؤخذ منها " وان اقتصر فى السؤال على الأول .

قوله : (يعنى مادلت عليه النفس المنكرة) (٣) اشارة الى أن ليس الضمير عائدا الى النفس المنكرة من حيث كونها لعمومها بالنفى فى معنى الكثرة ، على مايقع فى بعض العبارات بل الى ماتدل هى (٤) عليه من النفوس الكثيرة حتى ان هذا يكون من قبيل ماتقدم ذكره معنى بدلالة لفظ آخر بخلاف مثل : "فما منكم من أحد عنه حاجزين (٥) " فان الضمير عائد الى لفظ " أحد " لأنه فى معنى الجماعة .

ثم استشعر أنه لما عاد الضمير الى النفوس كان المناسب " هن " بالتأنيث لا " هم " بالتذكير ، فأجاب بأنه بتأويل النفوس (بالعباد أو الاناسى كما تقول ثلاثة أنفس) بالتاء مع تأنيث النفس لتأويل الأنفس بالأشخاص أو الرجال .

قوله : (ولذلك يصغر بأهيل (٦)) ، يعنى أنه لم يسمع فى تصغيره الا أهيل وان كان القصد الى تحقير من له خطر أو تقليلهم ، ثم (خص بأولى الخطر) بمعنى أنه جرى فيه تخصيصان حيث لا يضاف الى البلاد والحرف ونحو ذلك ، فلا يقال : آل مصر ، وآل الاسلام ، وآل البيت ، وآل التجارة ، ونحو ذلك ، كما يقال (أهلها)

---

(١) م : فلامحالة .
(٢) قوله " مردود " خبر المبتدأ وهو قوله " ومايقال " .
(٣) الكشاف ١ / ١٠٢ .
(٤) كلمة " هى " ناقصة من خ .
(٥) الآية ٤٧ من سورة الحاقة .
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب .. " الآية ٤٩ من سورة البقرة ، انظر الكشاف ١ / ١٠٢ — ١٠٣ .

ولا يضاف من العقلاء الا الى من له خطر فى / أمر الدين والدنيا كآل النبى صلى الله عليه وسلم ، أو الدنيا فقط كآل فرعون ، ولذا عقب هذا الكلام بتفسير (فرعون بمن ملك العمالقة) يعنى أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح [1] عليه الصلاة والسلام .

ويشبه أن يكون مثل فرعون وقيصر وكسرى من علم الجنس ، ولذا منع من الصرف ، لكن جمعه باعتبار الأفراد مثل : الفراعنة ، والقياصرة ، والأكاسرة : يدل على أنه علم شخص سمى به كل من يملك ذلك وضعا ابتدائيا ، ومعنى أهل الرجل : خاصته وقرابته ، وأهل البيت : سكانه ، وأهل الاسلام : المسلمون ، ونحو ذلك ، وعن بعضهم : الآل : القرابة بتابعها ، والأهل : القرابة سواء كان لها تابع أو لم يكن ، وقال الكسائى : " أصل آل : أول وسمعت أعرابيا فصيحا يقول : أويل [2] " .

قوله : (وفى ملح بعضهم) يريد نفسه ، وكذا فى كل بيت ينسبه الى بعضهم ، وملح الأحاديث : جمع ملحة مالطف منها وملح ، و (الموسى) : مايحلق به من أوسى رأسه : حلقه ، وقال الفراء : " هى فعلى وتؤنث " [3] ، يقال : رجل ماس مثل : مال أى خفيف طياش ، و (الكلوم) فعول من الكلم وهو الجرح ، وفى الأساس : " تفرعن النبات قوى وطال [4] " و (العرام) : الشر والخبث ، وضمير (جاءه) معلوم ، وهذا كناية عن الختان وبه النمو والقوة ، وهذا مع وضوحه وشهرته قد خفى حتى قيل : انه كناية عن حلق العانة [5] .

قوله : (يبغونكم سوء العذاب) أى يطلبونه لكم ، فى الصحاح : " بغيتك الشىء : طلبته لك [6] " ، وفى الأساس " ابغنى ضالتى : اطلبها لى [7] " ، وسمت المرأة المعانقة : أردتها منها وعرضتها عليها ، وسمته خسفا ، والأصل : سام البائع السلعة اذا عرضها للبيع وذكر ثمنها ، وسامها المشترى واستامها : طلبها ، وبما ذكر ظهر المقصود من غير تكلف تضمين الحمل والتكليف .

---

(١) تحفة الأشراف ١ / ٩٠ .
(٢) انظر اللسان مادة (أول) .
(٣) انظر شافية ابن الحاجب ٢ / ٣٤٨ ، واصلاح المنطق ٣٥٩ ، واللسان مادة (موس) .
(٤) عبارة أساس البلاغة مادة (فرعن) : " تفرعن النبات اذا طال وقوى " .
(٥) مشاهد الانصاف ١ / ١٠٣ ، وتنزيل الآيات ٥١٥ .
(٦) الصحاح مادة (بغى) .
(٧) أساس البلاغة مادة (بغى) .

قوله : (كأنه قبحه [1]) أى كأنه سبحانه وتعالى جعل هذا الأشد الأفظع قبيحا بالاضافة الى [ماسواه من العذاب، يعنى أن الكل قبيح فى نفسه لكن هذا قبيح بالاضافة الى] [2] الباقى حتى كأنه ليس بقبيح بالنسبة اليه ، وقد يروى : كأنه قبحه ، بلفظ المصدر أى كأن هذا الأشد قبح العذاب بالاضافة الى الباقى ، بمعنى أن اتصافه بالقبح انما هو باعتباره لكونه الأصل والعمدة فى التبح .

قوله : (يذبحون بيان لقوله : يسومونكم) ، وهو حال أو استئناف ، و " اذ نجيناكم " عطف على " نعمتى " .

قوله : (يضاهئون) [3] أى يضاهى قولهم قول أسلافهم الكفرة بذلك ، أو قول ١١٢ أ
المشركين / : الملائكة بنات الله ، وأياما كان فالجملة بيان لجملة " ذلك قولهم بأفواههم " أى هو قول لا أثر له فى القلب لكونه تقليدا محضا لا يستند الى شىء ، أو قولا بين البطلان لا يدخل فى عقل .

قوله : (والبلاء) ، هو الاختبار ، ويكون بالشر ليصبروا فيكون محنة ، وبالخير ليشكروا فيكون نعمة ، وكلاهما محتمل ههنا بحسب احتمال المشار اليه أن يكون مصدر " نجيناكم " ، أو مصدر " يسومونكم [4] " و " يذبحون " و " يستحيون " ، والأول أظهر وأليق بقوله : " من ربكم " ، وأوفق بمقام تعديد النعم .

قوله : (فيه أوجه) [5] : أولها ـ الاستعانة والتشبيه بالآلة ، فيكون استعارة تبعية فى معنى باء الاستعانة .

وثانيها ـ السببية الباعثة بمنزلة اللام ، وثالثها ـ المصاحبة فيكون الظرف مستقرا كما فى قول أبى الطيب :

كأن خيولنا كانت قديما * تسقى فى قحوفهم الحليبا
فمرت غير نافرة عليهم * (تدوس بنا الجماجم والتريبا) [6]

---

(١) الكشاف ١/ ١٠٣ .
(٢) مابين المعقوفين ناقص من خ .
(٣) من الآية ٣٠ من سورة التوبة .
(٤) ط ، م : يسومون .
(٥) أى معنى " بكم " فى قوله تعالى : " واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون " الآية ٥٠ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/ ١٠٣ .
(٦) والشعر من قصيدة يمدح المتنبى فيها على بن مكرم التميمى ، والقحوف جمع قحف بالكسر وقيل بالضم : وهو العظيم الذى فوق الدماغ ، واناء صغير من الخشب =

يصف خيله بأنها ألفت الحروب ، لا تنفر من القتلى ، وأنها كرام كانت تسقى الحليب ، اذ العرب انما تسقى الجياد خاصة ، والترائب عظام الصدور واحدها تريبة .

قوله : (قل بعصاك) ، قال [١] في الأساس : " قال بيده أهوى بها ، وقال برأسه : أشار ، وقال الحائط فسقط : مال " [٢] ، وبالجملة فالعرب تستعمل القول في غير الكلام فتقول : قال بيده أي أخذ ، وقال برجله أي مشى ، و (الكوى) بالكسر : جمع كوة كبدرة وبدر ، وبالضم : جمع كوة بالضم ، و (التسامع) في كتب اللغة معدى بالباء لا بنفسه [٣] .

قوله : (وقيل) [٤] ، أي انما قال الله : " أربعين ليلة " وخص الليل بالذكر مع أن الميقات ذو القعدة وعشر ذي الحجة بأيامها ولياليها لأن غرر الشهور تكون بالليالي حين يرى الهلال .

قوله : (وقرئ واعدنا) [٥] ، ولما لزم في المواعدة أن تكون من الجانبين بينهما (بأن الله تعالى وعده الوحي) ، وموسى (وعد المجيء للميقات الى الطور) ، وكثيرا مايسلك المصنف هذه الطريقة ، أعني جعل متعلق المفاعلة بالنسبة الى كل من المتشاركين شيئا آخر ، وعلى تقدير صحته فأربعين ليلة يقع ظرفا مع أن المواعدة لم تقع فيها ، وانما الكلام في المناجاة في أنها كانت فيها كلها ، أو في أولها ، أو في العشر الأخير منها ، أو بعد انقضائها على ماذكر في سورة الأعراف [٦] .

= انظر ديوان المتنبي ١/١٣٨ ، ومعاهد التنصيص ٣/١٣٥ ، وتنزيل الآيات ٣٣٨ ، ومشاهد الانصاف ١/١٠٤ ، وأنوار التنزيل ١/٨٠ .

(١) كلمة " قال " ناقصة من م ، خ .

(٢) أساس البلاغة مادة (قول) .

(٣) ففي مادة (سمع) في أساس البلاغة : " تسامعوا به " ، وفي القاموس المحيط : " تسامع به الناس " ، وكذلك في لسان العرب .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ... " الآيتان ٥١ — ٥٢ من سورة البقرة ، الكشاف ١/١٠٤ .

(٥) وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي ، انظر البحر المحيط ١/١٩٩ ، وأنوار التنزيل ١/٨١ .

(٦) فقد ذكر الزمخشري عند تفسير قوله تعالى " وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر " الى قوله " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه .. " الآيتين ١٤٢ ، ١٤٣ من سورة الأعراف أنه " قيل : أمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ، وأن يعمل فيها بما =

وحاصل الاشكال : أن " أربعين ليلة " اما مفعول فيه ، أو مفعول به ، ولا سبيل الى الأول / لأن المواعدة لم تقع فيها ، ولا الى الثانى ، أما بدون تقدير المضاف ١١٢ ب فلأنه لا معنى لمواعدة نفس الزمان ، وأما مع تقدير المضاف فلأنه : اما أن يقدر الأمران ، ولم يعهد فى العربية تقدير مضافين محذوفين لشىء واحد مثل : رأيت زيدا (١) بمعنى ثوبه وفرسه ، أو يقدر واحد منهما ، وليس يصح تعليق المواعدة به ، لأن الوحى موعود من الله تعالى لا من موسى ، والمجىء بالعكس ، وانما يصح ذلك فى قراءة " وعدنا " أى وعدنا موسى وحى أربعين ليلة .

وأجيب بوجهين :

أحدهما _ أنه على حذف مضاف يكون من الجانبين ويتفكك الى ما لهما من الأمرين ، أى واعدناه ملاقاة أربعين ، وانما يكون من الله لأجل الوحى ، ومن موسى لاجل الاستماع .

وثانيهما _ أنه على اعتبار التفكيك فى الفعل ، يعنى يفك " واعدنا " الى فعلين يتعلق بكل منهما واحد من الأمرين أى وعدنا نحن وحى أربعين ، ووعد موسى مجىء أربعين ، كما تقول (٢) : بايع الزيدان عمرا ، بمعنى باع زيد من عمرو ، وباع صاحبه أيضا من عمرو ، وان لم يكن هناك مفاعلة صدرت عنهما دفعة .

واعترض بأن الملاقاة ليس معنى واحدا يصح من الجانبين ولو سلم فيعود الكلام فى تعليقها بأربعين ، ويبطل ما ذكروه من كون الموعود هو الوحى ، والمجىء ، والاستماع وما أورد من نظير التفكيك فى تعليقها ليس بمستقيم ، فان مثله انما يتفكك الى بايع زيد عمرا ، وبايع زيدٌ الآخر عمرا ، كما تقول : ضرب الزيدان عمرا ، والكلام فى أن يتعلق فاعل بفاعله ومفعوله على أن يكون الصادر من كل منهما شيئا آخر مثل : بايع زيدٌ عمرا ، بأن يبيع زيد شيئا ، وعمرو شيئا آخر ، وليس كذلك ، بل معناه أن يصدر عنهما _ دفعة _ مناولة (٣) ومشاركة فى البيع والشراء بأن يبيع واحد ويشترى آخر .

= يقربه من الله ، ثم انزلت عليه التوراة فى العشر ، وكلم فيها ، وعن ابن عباس رضى الله عنه : كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح ، وقيل : انما كلمه فى أول الأربعين " . انظر الكشاف ٢ / ١١٨ _ ١١٩ .

(١) م ، خ : لقيت زيدا

(٢) خ : كما يقال .

(٣) ط : مبادلة .

وأجيب: بأن المراد الملاقاة بين موسى وملائكة الوحى ، أو بينه وبين ما يشاهده من الآثار واستماع الكلام ، أو نحو ذلك ، وتعليقها بأربعين بأن يقع فى جزء منها أو ما هو بمنزلة الجزء ، أى بعد الانقضاء من غير تراخ ، وما ذكروا من كون الموعود هو الوحى والمجىء والاستماع أخذ بالحاصل ، لا بيان للاعراب ، وما ذكرنا راجع اليه تحقيقا أو تقريبا ، وما ذكر ثم مناقشة واهية ، نعم حديث تفكيك الفعل والتنظير بباب الزيد ان عمرا ليس بشىء .

وقد / يجاب : بأن أربعين مفعول فيه تحقيقا أو توسعا (1) والمفعول به متروك ، ١١٣ أ
أى جرى بينه وبين موسى مواعدة متعلقة بأربعين ، بأن يقع فى جزء منها تحقيقا أو تقديرا ، وهو لا ينافى أن يكون الموعود من كل منهما شيئا آخر ، وذلك أن المواعدة لا تقتضى الا أمرا واحدا مشتركا بين الطرفين : أعنى الفاعل والمفعول الأول مثل : واعدت زيدا القتال ، أو أمرين لكل واحد منهما تعلق بالطرفين مثل : واعدته الاكرام وواعدنى القبول ، ولا يصح الاقتصار على واعدته الاكرام ، لأن المواعدة تقتضى المتعدد من الوعد .

وللمفاعلة استعمال آخر شائع: وهو أن يكون من أحد الطرفين فعل ومن الطرف الآخر مقابلة مثل : بايعت زيدا على أن منك البيع ومنه الشراء ، فعلى هذا يصح أن يكون التقدير: واعدنا موسى الوحى والمجىء ، ويكون هذا تفكيكا من غير تقدير مضاف ولا ورود اشكال فى كيفية وحدة الملاقاة وتعليقها بأربعين .

وفيه نظر:

أما أولا — فلأن المواعدة لم تقع فى الأربعين تحقيقا ولا تقديرا ، بل قبلها .

وأما ثانيا — فلأن الاشكال ليس الا فى أنه كيف يصح واعدته الاكرام وواعدنى القبول من غير أن يكون فى الأول منه وعد ، وفى الثانى منك قبول ؟ فان المفاعلة تقتضى المشاركة فى أصل الفعل فى كل واحد من أفراد الاستعمال ، بل الظاهر حينئذ : وعدته الاكرام ، ووعدنى القبول ، ولو أريد هذا كان فاعل بمعنى فعل ، والكلام انما هو على تقدير أن يكون فاعل على أصله ، وحينئذ لابد من الفرق بين واعدته ، ووعدته فى المثال المذكور ، ألا ترى أنك تقول فى خادعت : خدعان : خدع منك ، وخدع منه ، ولا تقول : مخادعتان .

وأما ثالثا — فلأنه اذا قدر واعدته الوحى والمجىء يعود الاشكال فى أنه كيف يصح ذلك ووضع الباب على أن يكون لأحد الطرفين من الآخر ما للآخر منه ؟ وكيف تقول :

---

(١) خ : أو تقديرا

جاذبته الثوب، ومنك جذب بالثوب ومنه جذب بشيء آخر ؟ أو جاذبته الثوب والعنان ، ومنك جذب الثوب ومنه جذب بالعنان ؟ وان أريد أن المعنى على هذا من غير تقدير للمفعول فهو الوجه الأول بعينه ، ولا كلام فى صحته لولا ضم باقى الكلام اليه وجعل أربعين ظرفا ، وأما مثل : بايعته فعلى جعل المبايعة مشاركة ومناولة فى أمر البيع والشراء مشتركة بينهما ، ومعناه بالفارسية : خريد وفروخت كردن ، وهذا معنى واحد بمنزلة / المعاملة ، والمضاربة ، والمزارعة ، ونحو ذلك ، وان شئت فتأمل فى تبايعنا ١١٣ ب فان فاعل وتفاعل لا يفترقان الا بأن فى تفاعل مجرد التشارك والاجتماع فى أصل الفعل ، وفى فاعل من حيث الاسناد الى أحدهما والايقاع على الآخر ، ولهذا كان من أسباب التعدية .

فان قلت: قد طال الكلام فما حقيقة المقام ؟

قلت: ان " أربعين ليلة " فى موقع المفعول به باعتبار مايتعلق بها من الأحوال والأفعال الصالحة لتعليق الوعدية ، ويكون من الطرفين وعد متعلق به ، الا أنه من الله الوحى وتنزيل التوراة ، ومن موسى المجيء أو الاستماع والقبول ، وكذا الكلام فى كل موضع يبين (١) اختلاف الطرفين فى باب المفاعلة ، وأما أن يذكر المفعول الثانى مثل : جاذبته الثوب ، ونازعته الحديث ، ويراد تعليق الفعل فى كل من الطرفين بشيء آخر ، أو يطلق فاعل ويراد من طرف أصل الفعل ، ومن طرف مقابله ، فأنا برىء من عهدته .

قوله : (من بعد مضيه (٢)) ، يعنى أن الضمير لموسى ، والمضاف محذوف ، (الأمر العظيم) استفيد عظمه من الاشارة بلفظ " ذلك " مع قرب المشار اليه .

قوله : (ارادة أن تشكروا) أخذ بالحاصل من استعارة " لعل " ، وعندنا (٣) لا يصح ذلك ، لأن ارادته تستلزم الوقوع ولم يقع فيحمل على كى تشكروا ، أو على كونهم فى صورة من يرجى منه الشكر وان لم تتعلق به الارادة .

---

(١) ب: ثبت .

(٢) الكشاف ١ / ١٠٤ .

(٣) أى عند أهل السنة — والسعد منهم — وهم يرون أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ويقول ابن المنير: هذه الآية معناها : لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل فينصرف الرجاء اليهم وينزه الله تعالى .
انظر الانتصاف لابن المنير الاسكندرى ١ / ١٠٤ .

قوله : (أو التوراة والبرهان [١]) عطف على قوله : (الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا) يعنى كما يحتمل التغاير بحسب الأوصاف يحتمل التغاير بحسب الذات ، ووصف الانزال علم من " آتينا " .

بقى سؤال التعريف باللام للكتاب والفرقان فى هذه الآية ، والفرقان خاصة فى قوله : " الفرقان وضياء وذكرا [٢] " ، والجواب : أن اسم الكتاب والفرقان قد صار مصهودا [٣] حتى كاد يلحق بالأعلام فى حق كل نبى بخلاف اسم الضياء والذكر . وقوله : (أو الشرع) عطف على (البرهان) .

قوله : (وهو البخع [٤]) : أن يقتل الرجل نفسه ، وأما حمله على (قتل بعضهم بعضا) فيجوز حيث جعل المقتول نفس القاتل ، لما بينهما من التعلق والاتحاد فى الاعتقاد ، وقوله : (وقيل : أمر) تفسير وتفصيل لهذا ، و (الضبابة) وتشبه سحابة تغشى الأرض كالدخان ، و (الاحتباء) : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بردائه أو بيديه ، والاسم : الحبوة ، وقد يقال : الحبوة لما يحتبى به ، و (الشفار) / : جمع ١٦٤ أ
شفرة بالفتح وهى السكين العظيم ، والشفرة أيضا حد السيف فعبر بالشفاء عن السيوف أو كانت سيوفهم السكاكين العظام .

قوله : (الأولى للسببية [٥] لاغير) أى لا للعطف على ماقال ابن الحاجب فى قولهم : الذى يطير فيغضب زيد الذباب : " الفاء انما جيء بها للسببية لا للعطف [٦] " ، ولو أراد أنها ليست لمجرد العطف بل للعطف مع السببية لم يفده فى الجواب عن وجوب الضمير فى المعطوف كما فى المعطوف عليه ، على أنه لا ضرورة ههنا فى عطف الأمر على الاخبار أعنى " انكم ظلمتم " ، يعنى أن هذه للسببية وهى لا تنافى كونها من مقول موسى عليه السلام [٧] ، كأنه قال : اذ قد ظلمتم فتوبوا .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون " الآية ٥٣ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١٠٤ - ١٠٥ .
(٢) من الآية ٤٨ من سورة الأنبياء .
(٣) خ : مشهورا .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم .. " الآية ٥٤ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٠٥ .
(٥) عبارة الكشاف ١ / ١٠٥ : للتسبيب .
(٦) انظر الكافية لابن الحاجب ١٣ .
(٧) قوله : " عليه السلام " ناقص من م ، خ

(والثانية — للعطف [١]) ،والثالثة تحتمل وجهين :

أحدهما — أن تكون جزاء شرط محذوف،أى (ان فعلتم فقد تاب عليكم) ،وأتى بلفظ (قد) ليصح دخول الفاء ،وانما (انتظم فى قول موسى) صلوات الله عليه وسلامه لأنه لا معنى لأن يقول الله تعالى لهم :الان ان تبتم فقد تاب الله عليكم .

وثانيهما — أن تكون عطفا على محذوف،أى (ففعلتم فتاب عليكم بارؤكم) ،ويكون خطابا من الله تعالى لهم على (طريق الالتفات) من الغيبة الى الخطاب ،حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ " قومه " ،وهذا مع وضوحه قد خفى على كثيرين حتى توهموا أن المراد الالتفات من التكلم الى الغيبة فى " فتاب عليكم " حيث لم يقل : فتبنا [٢] : على ما هو مقتضى الظاهر ،وان لم يكن بعد وقوع التعبير بطريق التكلم وهذا وان سلمنا كونه التفاتا : اذ قد وقع لفظ " بارئكم " فى كلام الله تعالى بطريق الغيبة لكن عبارة الكتاب تشعر بما ذكرنا ،وانما صرح بفاعل " تاب" [٣] لأنه لم يسبق له فى كلام الله تعالى ما يرجع اليه بل فى مقول موسى [صلى الله عليه وسلم] [٤] ولو كان ذكره ابتداء للشروع فى التفسير لكان المناسب أن يقول : عند بارئكم .

قوله : (من التفاوت والتنافر) يشير الى أن المراد بالتفاوت عدم تلاؤم الأجزاء والأعضاء ،وهو لا ينافى التميز بالأشكال المختلفة ، (حتى عرضوا) غاية ترك العبادة ، (خلقهم) جمع خلقة ، (غمط النعمة) بالفتح والكسر : احتقرها ولم يشكرها .

قوله : (قيل : القائلون السبعون) شروع فى تفسير " واذ قلتم ياموسى [٥] " ،وهل كان هذا فى ميقات الكلام ؟ فيه اختلاف يعرف بالجمع بين ماذكره ههنا وما ذكره فى سورة الأعراف . [٦]

---

(١) فى الكشاف ١ / ١٠٥ " للتعقيب " .

(٢) وممن ذهب الى هذا الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٩١ .

(٣) حيث قال : " فتاب عليكم بارؤكم " الكشاف ١ / ١٠٥ .

(٤) مابين المعقوفين زائد فى خ .

(٥) "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون " الآية ٥٥ من سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٠٥ .

(٦) ماذكره ههنا لا يفيد ان كان هذا فى ميقات الكلام أم لا ،وأما ماذكره فى سورة الأعراف فيفيد أنه فيه ،فقد ذكر أن موسى لما دنا من الجبل ومعه السبعون رجلا وقع على الجبل عمود الغمام ،فدخل فيه موسى ودخلوا معه ،فسمعوا كلام الله تعالى لموسى ،ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه فطلبوا الرؤية ، فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا : ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " انظر الكشاف ٢ / ١٢٠ — ١٢١ ، ١٢٩ .

قوله: (كأن الذى يرى بالعين جاهر) اشعار بأن هذا استعارة ،اذ حقيقة الجهر فى الصوت.

١١٤ ب / قوله: (وفى هذا الكلام) اشارة الى قوله: " لن نؤمن لك " ،فان لن للتأكيد ولا يقال ابتداء: لن أتيم بل لا أقيم ثم لن أقيم ،فكأنهم قالوا أولا: لا نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ،فرد عليهم موسى [صلى الله عليه وسلم[1]] ذلك مرة بعد أخرى ،فأصروا وقالوا: لن نؤمن ،وأما دلالته على أنه (عرفهم) ماذكر فلأن النبى عليه السلام لم يرد ما علقوا به ايمانهم الا بعد بيان جهة الرد.

هذا ،وفى هذا دليل على أن كفرهم لم يكن بسبب طلب الرؤية ،بل علقوا الايمان على الرؤية فى الدنيا تعنتا وعنادا ،وهذا بين لمن لم يعمه ولم يصمه حب عدم الرؤية والتعنت فى باطله [2].

قوله: (وموسى عليه السلام لم تكن صعقته) يعنى صعقته التى كانت فى طلب الرؤية واندكاك الجبل [3] ، وهل كانت صعقته التى هى غشية فى حال صعقتهم التى هى الموت أم لا ؟ فيه كلام.

قوله: (والظاهر) يشير الى ترجيح القول بأن (نارا وقعت من السماء فأحرقتهم).
قوله: (أو نعمة الله) التى كانت بكم قبل الصعقة والظرفان أعنى (بعد) و (اذا) متعلقان (بتشكرون) وقد يروى اذ رأيتم ،وهو تعليل لرجاء الشكر ، (وكفرانهم النعمة) هو تركهم الايمان وتعليقه بما لا يكون.

قوله: (يعنى فظلموا) ،وجه دلالة " ماظلمونا " على هذا المحذوف فأنه نفى بطريق العطف تعليق الظلم بمفعول وأثبته لمفعول آخر ،وهذا يقتضى سابقة اثبات أصل الظلم.

---

(١) مابين المعقوفين :ناقص من الأصل.
(٢) عنف من السعد - على غير عادته - فى مناقشته للزمخشرى ولعل ذلك بسبب تعنت الزمخشرى والمعتزلة فى انكار الرؤية على الرغم من توافر الأدلة السمعية والعقلية على وقوعها فى الدار الآخرة. انظر الانتصاف ١٠٦/١.
(٣) تلميح الى قوله تعالى: " رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا .. " الآية ١٤٣ من سورة الأعراف واندكاك الجبل: تفتته.

قوله : (أريحاء[1]) بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية قريبة من بيت المقدس ، وكونهم لم يدخلوا بيت المقدس لا ينفى الا كون الباب باب بيت المقدس لا أريحاء حتى يتعين كونه باب القبة .

قوله : (خبر مبتدأ محذوف) يدل عليه حال المتكلم أى (مسألتنا) ، أو المخاطب أى (أمرك) وشأنك يا ربنا " حطة " يعنى[2] أن تحط عنا ذنوبنا ، وكون أمثال هذه المصادر منصوبة فى الأصل رفعت للثبات انما عهد بأن تجعل مبتدأ خبره متعلقه مثل : الحمد لله ، وسلام عليك ، ليكون فى معنى الاصل أعنى الجملة الفعلية ، ولا يزيد عليها الا بالدلالة على الثبات ، ولا يصح ههنا أن يقال : عنا حطة ، أو نحو ذلك لأنه لا يؤدى معنى الأمر فلذا استشهد بالبيت اعنى قوله :

يشكو الى جملى طول السرى * ياجملى ليس الى المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى[3]

لظهور أن المعنى : اصبر صبرا جميلا ، مع أن التقدير أمرك وشأنك أو مطلوبنا منك ، ومن قال[4] : أن التقدير فى الآية : أمرنا حطة " أراد أمر / القائلين وشأنهم لا أمر ١١٥ أ
الله تعالى ليمتنع دخوله فى حيز " قولوا " ولا يرتب " يغفر لكم خطاياكم " عليه ، اذ لا يبعد أن يكون قولهم : نستقر فى هذه القرية مع الوفاء بالعهد سببا للغفران ، وأما تبديل هذا القول فلا يتصور الا بتكلف ، وهو أنه كان لمحض التعبد فحملوه على ماعن لهم من الرأى .

قوله : (والأجود) ، وذلك ليكون مقول القول جملة مفيدة ، والحق أن انتصابه

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة .. " الآية ٥٨ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١٠٦ .
(٢) ط ، م : أى .
(٣) السرى : السير ليلا ، وروى " شكى " بدل يشكو ، و " صبرا جميلا " بالنصب انظر أسرار البلاغة ٣٦٧ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٠٧ ، وتنزيل الآيات ٤٧٧ ، ومعانى القرآن للفراء ٢ / ٥٤ ، ١٥٦ ، وأمالى المرتضى ١ / ٧٢ ، وتهذيب اصلاح المنطق ٢٣٠ ، وشرح الأشمونى ١ / ١٠٦ ، وشرح التسهيل ٤٧ ، وسيبويه ١ / ١٦٢ .
(٤) هو أبو مسلم الأصفهانى ، انظر تحفة الأشراف ١ / ٩٢ .

بقولوا بحيث لا يضمر له فعل بعيد من جهة المعنى (١) .

قوله : (أي من كان) يشير الى أن قوله : " سنزيد المحسنين " عطف على قوله : " يغفر لكم " ولم ينجزم لوجود السين ، وأوثر هذا الطريق ليدل على أنه يفعل ذلك ألبتة .

قوله : (أمروا بقول معناه التوبة) (٢) ، هذا على التفسير المختار دون أن يقدر : أمرنا حطة ، وليس التبديل ههنا بمعنى التغيير بل من بدله بخوفه أمنا (٣) ، على حذف الصلة ، أى بدلوا بهذا القول قولا غيره ، والباء فى المتروك ، والنبط والنبيط : قوم ينزلون البطائح بين العراقين . (٤)

قوله : (عطشوا فى التيه (٥)) شروع فى تفسير قوله :

" واذ استسقى (٦) " وكان العطش والتظليل فى التيه ، ودخول القرية بعده ، ولم يراع الترتيب فى ذكرها قصدا الى تكثير النعم .

قوله : (بالسقيا) ، هو اسم من سقاه الله الغيث ، و(الأدرة) نفخة فى الخصية ، ورماه بكذا : عابه به ونسبه اليه . (ففر به) أى فر الحجر بالثوب .

قوله : (كان من آس الجنه) أى أساسه ، قيل : " هذا بعيد جدا ، والصواب من آس الجنة (٧) " يعنى شجرة الآس وهذه صفة العصا سها فيه المصنف ، والحمل على الحمار وان لم يحسن فى العصا ففى حجر طوله عشرة أذرع أبعد .

قوله : (وهى على هذا) ، العلم فى الفاء الفصيحة قول الشاعر :

---

(١) ولكن أبا حيان يرى أن نصبها بقولوا ليس بجائز لأن القول لا يعمل فى المفردات البحر المحيط ١ / ٢٢٢ .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم .. " الآية ٥٩ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٠٧ .

(٣) تلميح الى قوله تعالى : " وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " من الآية ٥٥ من سورة النور .

(٤) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، والعراقان : البصر والكوفة .

(٥) التيه : المفازة يتاه فيها .

(٦) الآية ٦٠ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٠٧ .

(٧) قاله الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٩٣ .

قالوا : خراسان أقصى مايراد بنـــا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا (١)

فهى على التقدير الثانى ، وفى المفتاح على التقدير الأول (٢) ، والأكثرون علـــى التقديرين ، (فعلى هذا) اشارة الى التعلق بمحذوف ، ووجه فصاحتها : انباؤها عن ذلك المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن ، مع حسن موقع ذوقى لا يمكـن التعبير عنه ، لكن فى حذف كلمة قد بعض نقصان .

وأما مايقال فى وجه فصاحتها من الدلالة على أن المأمور قد امتثل من غير توقف ، وظهر أثره ، على أن المقصود بالأمر هو ذلك الأثر لا الضرب نفسه (٣) ، والايماء الى أن السبب الأصلى هو أمره ، لا فعل موسى عليه السلام ، فانما هو فى مثل هـــذه الصورة خاصة .

قوله : (كل أناس) / ماذكر من شذوذ اثبات الهمزة انما هو مع اللام كالأنـــاس الآمنينا ، (٤) وأما بدونها فشائع فصيح . ١١٥ ب

قوله : (مما رزقكم) ، جعل الرزق بمعنى المرزوق وفصله الى الطعام نظرا الى " كلوا " والى الماء نظرا الى " اشربوا " ، ولا قرينة على الأول الا أن يلاحظ ماسبق من قصة تظليل الغمام وانزال المن والسلوى ، ولعدم التعرض لذلك فى هذه القصـــة فسر بعضهم الرزق بالماء وجعله مأكولا (٥) بالنظر الى ماينبت منه (٦) ، ومشروبا بحسب

---

(١) البيت للعباس بن الأحنف ، والقفول : الرجوع من السفر ، انظر ديوان العباس بن الأحنف ٢٦٦ ، والمطول ٢٨٩ ، ودلائل الاعجاز ٧١ ، والمصباح ٤٦١ ، والمثل السائر ٢ / ٣١٨ ، ومشاهد الانصاف ٣/ ٢١٤ ، وتنزيل الآيات ٥٥٥ ، والأغانى ٨/ ٢٤ .

(٢) يقول السكاكى : " انظر الى الفاء التى تسمى فاء فصيحة فى قوله تعالى : "فقلنــا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت " مفيدة : فضرب فانفجرت . انظر مفتاح العلوم ١٥١ .

(٣) لعله يشير بذلك الى رأى الطيبى حيث يقول فى فتوح الغيب ١ / ١٢٦ : " ووجه تسميتها بالفصيحة : كونها مختصة بكلام الفصحاء ، وانما اختصت بكلامهـم لأن المراد بالحذف الدلالة على أن المأمور لم يتوقف عن اتباع الأمر فكأن المطلـوب : الانفجار لا الضرب ، ومثل هذا المعنى الدقيق لا يذهب اليه الا الفصيح " .

(٤) فى خ زيادة " من قول الشاعر :

ان المنايا يطلعن على الأناس الآمنينـــا "

وهذا البيت سبق تحقيقه فى الورقة ٦١ ب .

(٥) م : مايؤكل .

(٦) مجاز مرسل بعلاقة السببية .

نفسه ولم يرتضه المصنف :

أما أولا ـ فلأنه لم يكن أكلهم فى التيه من زروع ذلك الماء وثماره .

وأما ثانيا ـ فلأنه جمع بين الحقيقة والمجاز ، ولا يندفع بكون " من " للابتداء دون البعضية ، لأن ابتداء الأكل ليس من الماء بل مما ينبت منه ، بل الجواب : أن " من " لا تتعلق بالفعلين جميعا ، وانما هو على الحذف أى كلوا من رزق الله واشربوا من رزق الله ، فلا جمع ، وفى قوله : " مما رزقكم الله " لابد من تقدير عائد الى الموصول أي به أو منه .

قوله : (لأنهم كانوا متمادين) يعنى ورد الكلام نهيا لهم عما كانوا عليه ، والا فالفساد منهى عنه كيف ماكان ، والحال متعلق بالفعل أى تماديكم فى الفساد فى حال الافساد ينبغى أن لا يكون ، أو بالنهى أى أطلب منكم أن لا تتمادوا فى حال افسادكم ، وبالجملة فليست الحال مؤكدة على ماتوهم .(١)

قوله : (فلاحة) (٢) أى حراثين (فنزعوا) : اشتاقوا ، (الى عكرهم) : أصلهم ، (أجمو) : كرهوا ، (ضربنا به) : تعودناه .

قوله : (ويجوز أن يريدوا) يريد الحمل على الوحدة النوعية باعتبار الاشعار بوصف كونه ناعما لذيذا بخلاف كونه من طعام أهل الفلاحة ، فانه مجرد اضافة .

قوله : (يخرج لنا) أى من الخفاء الى الظهور ، أو من العدم الى الوجود ، وفى الصحاح : " الفوم : الثوم ، ويقال : الحنطة ، وقال بعضهم : الحمص ، لغة شامية "(٣)

قوله : (أوفق) اذ يجمع مع العدس فى الطبخ والأكل الثوم لا الحنطة وان كانت من الحبوب كالعدس ، (زهير الفرقبى) (٤) رجل من أهل القرآن منسوبا الى موضع وفى الصحاح " الترقبية : ثياب بيض من كتان ، والفرقبي والثرقبى : ضرب من ثياب مصر

---

(١) وممن ذهب الى أن الحال مؤكدة أبو البقاء العكبرى فى كتابه التبيان فى اعراب القرآن ١ / ٢٦ ، والامام الطيبى فى حاشيته فتوح الغيب ١ / ١٢٦ ، والفاضل اليمنى فى تحفة الاشراف ١ / ٩٣ .

(٢) شروع فى تفسير قوله تعالى : " واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد .. " الآية ٦١ من سورة البقرة . الكشاف ١ / ١٠٨ .

(٣) الصحاح مادة (فوم) .

(٤) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣٣ .

بيض"[1] ،وقيل : هو الذى يدق الذهب ويرققه .

قوله : (اهبطوا مصرا) على ارادة القول أى فدعا موسى فاستجبنا وقلنا : اهبطوا ،وأسماء المواضع قد تعتبر من حيث المكانية فتذكر ،وقد تعتبر من حيث الأرضية فتؤنث ، ومصر ان جعل علما : فأما باعتبار كونه بلدة فالصرف مع وجود العلمية والتأنيث لسكون الوسط ،وأما باعتبار كونه بلدا فلا تأنيث ،وان جعل / اسم جنس ١١٦ أ فلا سبب ،وهو أوفق بقوله تعالى : " ادخلوا الأرض المقدسة[2] " يعنى الشام ، وان جعل معرب" مصرائيم " فانما جاز الصرف لعدم الاعتداد بالعجمة لوجود التحريف والتصرف ،أو لعدم التأنيث ،قال الجوهرى : " مصر هى المدينة المعروفة ،تذكر وتؤنث عن ابن السراج[3] والمصر واحد الأمصار "[4] .

قوله : (أو ألصقت)[5] عطف على (جعلت) بمعنى أن فى الذلة استعارة بالكناية ،حيث شبهت بالقبة أو بالطين ،وضربت استعارة تبعية تحقيقية بمعنى الاحاطة والشمول لهم أو اللزوم واللصوق بهم ،ولا تخييلية ،وهذا كما مر فى نقض العهد ،وعلى الوجهين فالكلام كناية عن كونهم أذلاء متصاغرين .

فما يقال : المراد أن الاستعارة اما فى " الذلة " تشبيها بالقبة فهى مكنية ، واثبات الضرب تخييلية ،واما فى الفعل أعنى " ضربت " تشبيها لالصاق الذلة ولزومها بضرب الطين على الحائط ،فتكون تصريحية تبعية مما لا يرتضيه علماء البيان .

(لزب) الشيء يلزب بالضم : لزق ،وطين لازب ،واللازب الثابت ،ومنه صار الشيء ضربة لازب ،و (المدقعة) سوء[6] احتمال الفقر ،من دقع الرجل بالكسر ،لصق بالدقعاء ذلا وهو التراب ،وباء فلان بفلان : صار كفؤاله ،والخلاقة : مصدر خلق بكذا بالضم : صار خليقا به .

---

(١) الصحاح مادة (ثرقب) .

(٢) من الآية ٢١ من سورة المائدة .

(٣) هو محمد بن السرى البغدادى النحوى أبو بكر ابن السراج أخذ عن المبرد وأخذ عنه الزجاجي والسيرافي والفارسى ،توفى سنة ٣١٦ هـ . نزهة الألباء ٣١٣ ،بغية الوعاة ٢ / ٤٤ ـ ٤٥ .

(٤) الصحاح مادة (مصر) .

(٥) الكشاف ١ / ١٠٩ .

(٦) خ : هى سوء .

قوله : (بغير الحق) ،الظاهر أن اللام للجنس ،والمعنى أنه باطل محض ، وظلم صرف فى اعتقادهم أيضا كما فى الواقع ،ونفى الجنس يفيد العموم كالنكرة فى قوله تعالى (١) ، " بغير حق (٢) " على ما فى آل عمران ،وقد تجعل اللام للعهد اشارة الى ما عندهم من الحق الذى يتدينون به ويعتقدونه .

قوله : (ذلك تكرار للاشارة) قصدا الى اثبات (٣) سبب آخر ،وصرح بقوله : (مع كفرهم) لئلا يتوهم أن هذا اضراب عن السبب الأول ،بل كل منهما سبب بالاستقلال ،ولذا أعاد اسم الاشارة ولم يكتف بعطف أحد السببين على الآخر ،اذ ربما يتوهم أن السبب اجتماع الأمرين ،وبالجملة فالسبب الأول هو الكفر والقتل ،والثانى هو العصيان واعتداء الحدود على الاطلاق ،وقد يفسر بالاعتداء فى السبت .

ويجوز أن يشار بذلك الثانى الى السبب السابق وهو الكفر ،وتكون الباء فى "بما عصوا " للسببية ،فتكون بيانا لسبب السبب مبالغة فى وجوب اجتناب المعصية والاعتداء بأنهما يفضيان الى الكفر بالآيات والقتل للأنبياء وهما من (٤) أشنع القبائح ،أو للمصاحبة أى ذلك الكفر والقتل كائن مع العصيان والاعتداء وقد كان كاملا فى السببية فكيف وقد انضم اليه ذلك ؟

/ قوله : (بألسنتهم من غير مواطأة (٥)) ،قيد بذلك ليدخلوا فى عداد الكفرة وينتظموا معهم فيصح الابدال والاخبار بأن من آمن منهم ايمانا خالصا فله كذا . ١١٦ ب

قوله : (وهم جمع نصران) الصواب : وهو ،لأن الضمير للفظ (٦) . وفى الصحاح : " جمع نصرانة أيضا ،قال الشاعر :

---

(١) قوله " تعالى " زائد فى م .
(٢) من الآية ١١٢ من سورة آل عمران .
(٣) خ ،م : الى بيان .
(٤) كلمة " من " ناقصة من م .
(٥) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " الآية ٦٢ من سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٠٩ .والمواطأة على الأمر : الموافقة عليه .
(٦) لعل النسخة التى اعتمد عليها السعد كانت عبارتها " وهم " فالنسخة المطبوعة التى أعتمد عليها عبارتها " وهو " انظر الكشاف ١ / ١٠٩ .

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها * كما أسجدت نصرانة لم تحنف "(١)

[أي لم تسلم](٢) أفرد ضمير " كلتاهما " نظرا الى لفظه ،وفي الأساس: "سجد البعير وأسجد : طامن رأسه لراكبه "(٣) ،وهكذا عن أبي عمرو : أسجد الرجل : طأطأ رأسه وانحنى (٤) ،فرأسها في البيت مرفوع فاعل أسجد ،تحنف الى الشيء : مال اليه ،وتحنف : أسلم ،يصف أتانين صاد احد اهما عقيب الأخرى .

قوله : (والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري) وذلك للدلالة على أنه منسوب الى ذلك عريق فيه ،لا مجرد موصوف بالحمرة ،وفي الصحاح : " لم يستعمل نصران الا بياء النسب "(٥) ويقال : نصران قرية بالشام ينسب اليها النصارى .

قوله : (والنصب ان جعلته بدلا) هو بدل البعض لأن من آمن حقيقة من هؤلاء الكفرة بعض منهم .

فان قيل : كيف يكون المؤمن الخالص بعضا من المنافقين ،أو الكافرين المجاهرين ؟ قلنا : المراد أن هذه الذوات بعض من تلك ،ولا يلزم بعد احداث الايمان أن يصدق عليهم ذلك الوصف .

قوله : (والفاء لتضمن " من " معنى الشرط) سواء جعلت " من " بدلا أو مبتدأ ،وذلك لأن اسم ان المعطوف عليه لا يتضمن معنى الشرط لفقد السببية للأجر ، فاعتبر التضمين في البدل الذى هو المقصود ،وما ذكر من كون "من" مبتدأ خبره " فلهم " يشعر بأنه جعلها موصولة اذ الشرطية خبرها الشرط مع الجزاء لا الجزاء وحده ،واذا جعل " من " مبتدأ فافراد الضمير وجمعه نظرا الى اللفظ والمعنى ، وكان ينبغي أن يبين أن وجه ذكر هذه الآية وما قبلها من ضرب الذلة في أثناء تعديد النعم استطراد .

---

(١) انظر الصحاح مادة (نصر) ،والشاعر هو أبو الأخزر الحماني ،انظر اعراب القرآن ومعانيه ٢/ ١١٤ ،وتفسير القرطبي ١/ ٣٦٩ ،وكتاب سيبويه ٢/ ٢٩ ، ١٠٤ ،والانصاف في مسائل الخلاف ٢٣٦ ،واللسان مادة (نصر) .
(٢) ما بين المعقوفين ناقص من خ " م " .
(٣) أساس البلاغة مادة (سجد) .
(٤) الصحاح مادة (سجد) .
(٥) الصحاح مادة (نصر) .

قوله : (من الآصار) (١) : جمع اصر وهو الثقل وكل أمر شاق ، فكأنه (٢) حصل لهم بعد هذا القسر والالجاء قبول واذعان اختياري ، أو كان يكفي في الأمم السالفة مثل هذا الايمان .

قوله : (واحفظوا) ، كأنه يريد أن للذكر معنى يشترك فيه ذكر اللسان وذكر القلب [أو يشير الى أنه يحتمل أن يكون من ذكر اللسان أو ذكر القلب] (٣)

قوله : (رجاء منكم) ، يعني ان تعلق " لعل " بخذوا واذكروا فالترجي على حقيقته لكونه من العباد ، وان تعلق بالقول المحذوف فمجاز عن الارادة على ما مر لاستحالة حقيقته على الله تعالى ، ويجوز على هذا أن يتعلق بخذوا على أن يكون قيدا للطلب لا للمطلوب .

١١٧ أ قوله : (مصدر سبتت) (٤) ، ليعلم / أن اعتداءهم كان في ذلك ، بخلاف ما لو قيل : اعتدوا في يوم السبت .

قوله : (فما كان يبقى حوت) من باب التنازع ، وجعل كان زائدة أو فيها ضمير الشأن لا يؤدي المقصود .

قوله : (شرعا) (٥) أي ظاهرة على وجه الماء ، وفي الصحاح : " حيتان شرع أي شارعات من غمرة الماء الى الجد (٦) " بالضم : أي النهر الذي يكون في موضع كثير الكلأ . (وشرعوا اليها الجداول) (٧) قيل : أظهروا ، من شرع من الدين كذا : بين وأظهر ، ولا يخفى بعده ، وقيل : جعلوا الجدول كالشارع المنتهي اليه وليس من اللغة ، والأحسن : أشرعوا ، من شرع الباب الى الطريق ، وأشرعته ، وشرع المنزل ، اذا كان بابه على طريق نافذ .

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة .. " الآيات ٦٣ - ٦٦ من سورة البقرة وانظر الكشاف ١/ ١١٠ .
(٢) خ : وكأنه .
(٣) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٤) الكشاف ١/ ١١٠ .
(٥) من الآية ١٦٣ من سورة الأعراف .
(٦) الصحاح مادة (شرع) .
(٧) جمع جدول وهو النهر الصغير .

قوله : (خاسئين) خبر آخر ، اذ لو كان صفة قردة لقيل : خاسئة (١) .

قوله : (من الأمم) بيان " لما بين يديها وما خلفها " على استعارتهما للزمان ، واقامة " ما " موقع " من " تحقيرا لشأنهم فى مقام العظمة والكبرياء ، ويعنى بمن قبلها : السابقون الذين مضوا وكان فى كتبهم أنه يكون تلك المسخة فاعتبروا بها وصح الفاء لأن جعلها نكالا للفريقين جميعا انما تحقق بعد القول والمسخ ، ويجوز أن يراد بما بين يديها : مابحضرة المسخة من المعاندين (٢) ، لأن اللفظ ينبىء عن القرب وكون الجهة مدانية لجهة من أضيف اليه اليد ، واللام على الوجهين للصلة ويجوز أن تكون للتعليل ، و " ما " على أصلها ، و " النكال " بمعنى (العقوبة) لا (العبرة) أى جعلنا المسخة عقوبة لأجل ذنوبهم المتقدمة على المسخة والمتأخرة عنها ، يعنى السيئات الباقية آثارها ، والا فلا ذنب منهم بعد المسخة ، والحاصل : ان المراد مايكون بعد المسخة بحسب الثبات والبقاء ، لا الصدور والحدوث ، ولا يخفى أن قوله : " وموعظة للمتقين " لا يلائم هذا المعنى فلذا لم يرتضه (٣) .

قوله : (فقتله بنو أخيه) (٤) الصواب : بنوا عمه ، كما فى سائر كتب التفسير (٥) وكما قال بعد ذلك : " قتلنى فلان وفلان لابنى عمه " (٦) ، ومنهم من لم يجوز السهو على المصنف فغير الكتاب الى " فقتل ابنه بنوا أخيه ليرثوه " (أى الشيخ ، ويدفعه ماذكره فى آخر القصة : " ولم يورث قاتل بعد ذلك (٧) " لأنهم لم يقتلوا المورث ، وقيل : ضمير

---

(١) والخسوء : الصغار والطرد .

(٢) م ، غ : من المعاصرين

(٣) حيث أخره عن التفسير الأول وعبر عنه بقوله : وقيل : نكالا : عقوبة الخ " الكشاف ١/ ١١٠ .

(٤) في بداية تفسيره لقصة البقرة من قوله تعالى : " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " الى قوله تعالى : " ويريكم آياته لعلكم تعقلون " الآيات ٦٧ — ٧٣ من سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١١١ — ١١٥ ، وعبارة الكشاف فى الجملة التى أوردها السعد : " فقتل ابنه بنو أخيه " الكشاف ١/ ١١١ .

(٥) ففي معالم التنزيل للبغوى ١/ ٩٧ " كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه " وفى تفسير السخاوى الورقة ٧أ " كان في بني اسرائيل شيخ موسر قتله ابنا عمه وأخذا ماله " ، وفى روح المعانى للألوسى ١/ ٢٦٦ " عمد أخوان من بنى اسرائيل الى ابن عم لهما فقتلاه ليرثا ماله " ، وفى الوسيط للواحدى ١/ ٣١ب : " كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه "

(٦) الكشاف ١/ ١١٤ .

(٧) المرجع نفسه .

(يرثوه) للابن ويكون قتل الابن بعد موت الشيخ ، ورد بأنه لا معنى لذكر الشيخ حينئذ ، اذ صارت القصة أنه كان رجل موسر قتله بنوا عمه ليرثوه ، وقيل : المعنى قتل ابن الشيخ بنوا أخي الشيخ ليرثوا الشيخ اذ مات[1] ، ويدفعه قصة " لم يورث قاتل بعد ذلك " وأنهم (جاءوا يطالبون بديته) .

قوله : (أتجعلنا مكان هزو) اشارة الى أن اتخذ يتعدى الى مفعولين هما المبتدأ والخبر كجعل وصير ، فوقع المصدر خبرا عن الجماعة فاحتاج الى التأويل بالحذف ، أو التجوز في المفرد أو في الحكم .

قوله : (في مثل هذا) أي مقام التبليغ والارشاد والجواب عما رفع اليه من القضية ، بخلاف مقام الاحتقار والتهكم مثل : " فبشرهم بعذاب أليم " [2]

قوله : (ماهي سؤال عن حالها وصفتها) لأن " ما " تكون سؤالا عن مدلول الاسم أو حقيقة المسمى أو وصفه مثل : ما زيد ؟ وجوابه الفاضل أو الكريم أو نحو ذلك على ماسيجيء في مواضع من هذا الكتاب وصرح به في المفتاح[3] والأولان معلومان فتعين الثالث .

ووجه السؤال : أنهم سمعوا للبقرة صفة ليست من شأن جنس البقرة ، وهي[4] أن يحيى الميت بضرب بعض منها فتعجبوا وسألوا عن حالها وصفتها ، أما اذا أريد بقرة معينة ــ على ما هو رأي البعض ــ فظاهر ، لأنه استفسار وطلب بيان للمجمل ، وأما اذا أريد بقرة من جنس البقر ــ على مااختاره المصنف ــ فلمكان التعجب وتوهم أن مثل هذه البقرة لا تكون الا معينة .

وقد تقرر في بعض الأذهان أن كلمة " ما " انما تكون سؤالا عن مدلول الاسم ، أو الحقيقة ، وأن السؤال عن الصفة انما يكون " بكيف " أو " أي " فزعموا أن " ما " ههنا أقيمت مقام " كيف " أو " أي " [5] ايماء الى أن هذه البقرة كأنها نوع أو فرد مخصوص لها أوصاف خارجة عما عليه جنس البقر .

---

(١) تحفة الأشراف ١ / ٩٤
(٢) من الآية ٢١ من سورة آل عمران .
(٣) انظر مفتاح العلوم ١٦٧ ــ ١٦٨ .
(٤) م : وهو .
(٥) لعله يشير الى رأي القاضي البيضاوي حيث قال في أنوار التنزيل ١ / ١٦٠ : " ماهي أي ماحالها وصفتها ؟ وكان حقه أن يقولوا أي بقرة هي ؟ أو كيف هي ؟ لأن " ما " يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ماأمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله " .

قوله : (خفاف بن ندبة) (1) ، خفاف بالضم ، وندبة بالفتح اسم أمه ، وكانت سوداء حبشية ، يهجو العباس بن مرداس السلمي ، يصف ما أعطاه الضيف بالهرم والهزال ، و (الفارض) اسم للمسنة ولذا لم يؤنث بالتاء وأنث (تساق) و (تقوم (2)) و (النصف) بالتحريك : المرأة بين الحديثة والمسنة قال الطرماح :

ظعائن كنت أعهد هن قدما * وهن لدى الاقامة غير جون
حسان مواضع النقب الأعالي * غراث الوشح صامتة البرين
طوال مشل أعناق الهوادي * (نواعم بين أبكار وعون) (3)

النقبة : اللون والوجه ، وأراد بالأعالي : مافوق المنكبين مما يظهر للشمس فاذا حسنت فغيرها أولى ، وغرثى الوشاح : كناية عن الهيفاء أي دقيقة الخصر ، والبرين : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وخلخال ونحوهما ، وصموت الخلخال كناية عن سمن الساق ، وأراد بالمشل : مايستر العنق من شللت الثوب : خطته ، وطوله كناية عن طول العنق ، والناعمة اللدنة (4) اللينة ، والهوادي أوائل / الوحش أراد تشبيه ١١٨ أ أعناقهن بأعناق الظباء ، (وقد عونت) صارت عوانا .

قوله : (كما جعلوا فعل نائبا) ، يعني يجوز أن يكنى باسم الاشارة عن أشياء كثيرة باعتبار كونها في (تأويل ماذكر وماتقدم) كما يكنى عن أفعال متعددة سابقة بلفظ فعل ، وقد بينهما في مثال واحد ، وقد يقع مثله في الضمير الا أنه في اسم الاشارة أكثر وأشهر ، فجعل الضمير متفرعا عليه لا مستقلا في ذلك ، ولهذا (قال رؤبة : أردت ذاك) وأردفه بلفظ (ويلك) على عادة العرب تحقيرا وتنبيها ، وفي الأساس : " شيء مولع : ملمع ، وفرس مولع ، وفي لونه توليع وهو استطالة البلق (5) " ، " وقال

---

(1) الكشاف ١/١١١ .
(2) انظر مشاهد الانصاف ١/١١١ ، وتنزيل الآيات ٤٧٧ .
(3) الظعائن : النساء في الهوادج ، والجون : جمع جوناء أي سوداء وروى البيت الثاني : حسان مواضع النقب الأعالي * نواعم بين أبكار وعون
انظر ديوان الطرماح ١٧٧ ، ومشاهد الانصاف ١/١١١ ، وتنزيل الآيات ٥٤٨ ، وأنوار التنزيل ١/٨٨ ، والخزانة ٣/٤١٧ ، والمنصف ٣/٥٨ واللسان مادة (عون) .
(4) في الأصل : الكريمة .
(5) أساس البلاغة مادة (ولع) ، والبلق هو البياض ، ويروى البيت : من بياض وبلق فلعل البياض بياض يرهقه قترة .

الأصمعي : اذا كان في الدابة ضروب من الألوان من غير بلق فذلك التوليع "(١) .
وولعه : جعله مخططا ، وقبله :

قود ثمان مثل أمـــراس الأبـــــق (٢)

أي أفراس طوال الظهور والأعناق مثل : حبال القنب .

قوله : (والذي حسن منه) أي من وضع اسم الاشارة مع افراده (٣) موضع المتعدد ، ومع تذكيره موضع المؤنث وفي " من " هذه شائبة تبعيض مثل : هز من عطفه ، وحرك من نشاطه ، ولما في ذلك من بعض الخفاء قيل : معناه والذي حسن هذا الكلام من رؤبة وهو تفسير الضمير باسم الاشارة .

يعني أن تثنية أسماء الاشارة والموصولات وجمعها ليس على قانون أسمـــاء الأجناس بأن يلحق بأواخرها ألف ونون ، وواو ونون ، بل بوضع صيغ مخصوصة ، وكذا تأنيثها ليس بالحاق التاء (٤) ، فجوزوا فيها مالم يجوزوا في أسماء الأجناس وأريد بالمفرد منها مايراد بالتثنية والجمع ، وبالمذكر مايراد بالمؤنث ولهذا جاز التعبير بلفظ " الذي " عن الجمع وان كان بتأويل كما سبق .

قوله : (أي ماتؤمرونه) ، قد يتوهم أن المراد أنه مثل : " لا تجزي نفس عن نفس " (٥) في حذف الجار والمجرور دفعة أو تدريجا ، أو أنه من قبيل التدريج حيث حذف الباء أولا ثم الضمير ، والظاهر من العبارة أنه من قبيل حذف المنصوب من أول الأمر ، لأن حذف الجار قد شاع في هذا الفعل وكثر استعمال " أمرته كذا " حتى لحقت بالأفعال المتعدية الى المفعولين وصار " ماتؤمرون " في تقدير ماتؤمرونه ، ولذا جعل (تؤمرون به) هو المعنى دون التقدير ، وأما جعل " ما " مصدريـــة

---

(١) الصحاح مادة (ولع) .
(٢) انظر ديوان رؤبة ١٠٤ ، وأسرار البلاغة ١٧٠ ، ومشاهد الانصاف ١/١١٢ ، وأنوار التنزيل ١/٨٥ ، والبحر المحيط ١/٢٥١ ، ٣/١٦١ ، وديوان المعاني ٢/١٣٠ والخزانة ١/٤٢ ، والعيني ١/٣٩ ، وسمط اللآلي ١/١٧٤ ، وتنزيل الآيات ٤٦٢ ، واللسان مادة (ولع) و (بهق) ، والصحاح مادة (بهق) .
(٣) قوله " مع افراده " ناقص من الأصل .
(٤) م : الهاء .
(٥) من الآية ٤٨ من سورة البقرة .

والمصدر [١] بمعنى المفعول ، أى المأمور بمعنى المأمور به فقليل جدا ، وانما كثر في صيغة المصدر .

(الوارس) الشديد الصفرة ، من الورس: نبت أصفر يصبغ به ، وكذا كل ماوقع في موقع التأكيد معناه : الشدة في ذلك اللون /و (الحانك) كأنه من حنك الغراب [٢] ، ١١٨ ب و (اللهق) أصله اللمعان ، استعمل في البياض المشف ، و (ذريحى) كأنه ذرح عليه الحمرة أى ذر ، و (المدهام) في الأصل : الشديد السواد توصف به الخضرة لأنه كمالها

و (الأورق) من الابل مالونه لون الرماد ، و (الرمكة) ورقة في سواد ، و (خطبانى) منسوبا الى خطبان وهو الحنظل اذا صارت فيه خطوط خضر ، و (الردان) الزعفران .

قوله : (فلم يقع توكيدا لصفراء) ربما يوهم أن المراد هنا التأكيد الصناعى ، لكن الظاهر أن مثل : (أصفر فاقع وصفراء فاقعة) من باب الصفة للتأكيد ، فوجه السؤال أن فاقع ههنا لم يقع صفة مؤكدة بل خبرا مقدما على المبتدأ ، فأجاب بأنه صفة سببية و " لونها " فاعل لا مبتدأ لما فيه من مخالفة الأصل بلا داع ، فتكون " صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها " سواء في كونهما من باب الوصف [٣] للتأكيد ، وان كان الثانى أوكد من جهة جعل الفقوع الذى هو من صفات الأصفر صفة الصفرة بناء على أن لون الصفراء في الواقع هو الصفرة وان لم يرد باللفظ الا مدلوله أعنى مطلق اللون ، وبهذا الاعتبار صار من قبيل (جد جده وجن جنونه) ، وهذا معنى قوله : (اللون اسم للهيئة وهى الصفرة) يعنى أن الهيئة التى أطلق عليها الاسم ههنا هى الصفرة ، فصار المعنى أنها شديدة الصفرة صفرتها ، لما أن الفاقع عبارة عن شديد الصفرة ، ووجه المبالغة أن صفة الشيء كأنها صارت من الكمال بحيث سرت الى صفاته التى من جملتها ذلك ، وبما ذكرنا سقط مايقال : لا نسلم أن المراد بلونها صفرتها فان اللون أعم واطلاق العام على الخاص مجاز والأصل عدمه .

قوله : (لقوله : تسر الناظرين [٤]) الظاهر أنه ليس من كلام على رضى الله عنه [٥] ، بل تعليل لما روى عنه .

قوله : (ولعله مستعار) يعنى قد جاز في الابل أن يقال : ناقة صفراء ، ويراد

---

(١) قوله : " والمصدر " ناقص من م .
(٢) في خ زيادة " اذا اسود " .
(٣) ب : الصفة .
(٤) الكشاف ١ / ١١٢ .
(٥) م : كرم الله وجهه .

سوداء ، لما أن سوادها تعلوه صفرة ، وليس معنى الفاقع الا شديد الصفرة فيجوز أن يطلق ويراد به الشديد السواد ، فيصح في الابل : صفراء فاقعة بمعنى سوداء شديدة السواد ، فيستعار منها للبقرة وتجعل سارة من جهة البريق ولمعان أثر الصفرة وان كان السواد في نفسه مما يورث الهم ، والحاصل أنه سواد خاص له أثر خاص .

(الركاب) الابل التي يسار عليها لا واحد له من لفظه وانما واحده : الراحلة ، والتشبيه بالزبيب علم في الوصف بالسواد ، وكون البعض من الزبيب أصفر / أو أحمر لا ١١٩
يدفع ذلك ، وحمل الصفر على الوصف بالصفرة وجعل (كالزبيب) خبرا عن الأولاد بمعنى أنها صفر وأولادها سود احتمال بعيد لا يحسن الا بالعاطف أي وأولادها[1] .

قوله : (تكرير للسؤال) يعني من جهة كونه سؤالا (عن حالها وصفتها) ، والا فهذا سؤال عن حال البقرة الموصوفة بالوصف الأول وطلب لزيادة البيان ، ووجه كونه في الموضعين سؤالا مع أنه في موقع المفعول ليبين أن المعنى : يبين لنا جواب هذا السؤال .

قوله : (لو اعترضوا) من اعترضت الشيء أخذت من عرضه وجانبه وفي الحديث[2] دلالة على منع السؤال عما ليس محلا للسؤال ، وأن سؤالهم كان كذلك ، وأن المأمور به أولا ذبح بقرة مطلقة وانما نسخ الى ذبح المعينة بشؤم سؤالهم ، وبهذا يشعر ايراد الحديث الثاني [3] ، وأما سؤال عمر رضي الله عنه في شأن الخمر فانما كان للاستكشاف والاسترشاد ، حيث شاهد فيها كثرة الفساد والمنع - في حال السكر - من الصلاة .

و(ذو الشامة) هو محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم[4] ، المعروف

---

(١) انظر ديوان الأعشى ٢٧ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١١٢ ، وتنزيل الآيات ٣٢٨ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٨٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٨٩ ، وشرح القصائد السبع ٢٣ ، والخزانة ٢ / ٤٦٤ ، والصحاح مادة (صفر) ، واللسان مادتي (صفر) و(خشب) .
(٢) انظر تفسير الطبري ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٣) وهو : " أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته " انظر مسند الامام أحمد ١ / ١٧٩ .
(٤) قوله " رضي الله عنهم " ناقص من م ، وفي خ " رضي الله عنه " وفي ط " رضي الله عنه وعن آبائه الكرام " .

بالباقر لتبقره في العلم أى تبحره وتوسعه [1] ،ولا يخفى حسن العدول في هذا المقام عن لقبه المشهور [2] ،وانما جاء (يشابه) بالتذكير نظرا الى اللفظ وان كان " الباقر اسما لجماعة البقر مع رعاتها " على ماذكر في الصحاح [3] ،ومن قرأ : ان البقر (تشابه) على لفظ المضارع مخففا بطرح التاء أو مشددا بادغامها فللنظر الى المعنى أعني الكثرة الجنسية [4] .

قوله : (لو لم يستثنوا لما بينت لهم) [5] أى البقرة : يؤيد كون المعنى : انما لمهتدون الى البقرة ،وكلمة " ان شاء الله " تسمى استثناء لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث التعليق بما لا يعلم الا الله تعالى. ،و(آخر الأبد) كناية عن المبالغة في التأبيد ،والمعنى الى الأبد الذى هو آخر الأوقات.

قوله : (ولا الأولى للنفي) [6] ،كان ينبغي أن يبين ماهي من اللاآت ؟ وقد أشار الى أنها بمعنى غير فكأنها اسم على ماصرح به السخاوى ،لكن لكونها في صورة الحرف ظهر اعرابها فيما بعدها ،ويحتمل أن تكون حرفا كما تجعل الا بمعنى غير في مثل : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " [7] مع أنه لا قائل باسميتها .

وأما الثانية فحرف زيدت لتأكيد النفي ،والتأكيد لا ينافي الزيادة كما مر ،على أنه يفيد التصريح بعموم النفي اذ بدونها [8] ربما يحمل اللفظ على نفي الاجتماع ،ولهذا تسمى لا المذكرة للنفي ،وصرح (بأن الفعلين صفتان لذلول) / مع الاشارة الى أن ١١٩ ب
" تثير " منفي لكونه صفة للمنفي فيصح في العطف عليه لا المزيدة لتأكيد النفي ،وفيه دفع لما ذهب اليه البعض من كون " تثير " نصبا على الحال كما وقع في تفسير الكواشي [9] .

---

(١) ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٣ هـ انظر وفيات الأعيان ٣١٤/٣ .
(٢) حيث عدل من الباقر الى الشامة لدفع ايهام أن قراءته موافقة للقبه . انظر فتوح الغيب ١٣١/١ .
(٣) الصحاح مادة (بقر) .
(٤) انظر البحر المحيط ٢٥٣/١–٢٥٤ ،واتحاف فضلاء البشر في القراءات ٨٥ .
(٥) تفسير الطبرى ٢٠٥/٢ .
(٦) الكشاف ١٥٣/١ .
(٧) من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .
(٨) قوله " اذ بدونها " ناقص من الأصل
(٩) انظر تبصرة في التفسير الورقة ٢٢ ب ،والكواشي هو الامام موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي المفسر الفقيه الشافعي ،برع في العربية والقراءات والتفسير وله التفسير الكبير والصغير ،مات بالموصل سنة ٦٨٠ هـ . انظر بغية الوعاة ٤٠١/١ .

قوله : (وقرأ أبو عبد الرحمن) عبد الله بن حبيب بن ربيعة (السلمى) الكوفى ، أحد أعلام التابعين وثقاتهم ، صحب عليا رضى الله عنه[١] ، وسمع منه ، (لا ذلول) بفتح اللام[٢] على أن "لا" لنفى الجنس ، والخبر محذوف ، والجملة صفة " ذلول" كناية عن نفى الذل عنه كما يقال : الدليل حيث هو ، كناية عن اثبات الذل له ، والذل بالكسر : ضد الصعوبة ، وهو اللين والانقياد ، وبالضم : ضد العز .

قوله : (من أسقى[٣]) ، فى الصحاح : " سقيته لشفته ، وأسقيته لماشيته وأرضه "[٤] .

قوله : (أو معبر الظهر) من أعبرت الغنم : تركت جزها سنة ، وأعبر البعير : ترك الوبر على ظهره (ينبى) يدفع ، انفعال من نبا السيف ، و (الولية) البرذعة ، يعنى أنها لا تثبت على ظهره لكثرة الوبر ، وترك اشباع الهاء فى (ربه) للضرورة[٥] .

قوله : (أى فحصلوا) يعنى أنها الفاء الفصيحة العاطفة على محذوف مثل : فضرب فانفجرت .

قوله : (حتى يكبر)[٦] بفتح الباء من كبر بالكسر أى أسن وأما كبر بالضم فبمعنى عظم ، (فشبت) أى صارت العجلة شابة ، و (المسك) بفتح الميم : الجلد .

قوله : (وكانوا طلبوا) جعل خبر كان فعلا ماضيا بغير قد مما يأباه النحاة ، لكنه واقع فى التنزيل مثل : " ان كان قميصه قد من قبل "[٧] فلا وجه للمنع ، وفى الأساس : " خذ من شق الثياب أى من عرضها ولا تختر "[٨] .

---

(١) م : كرم الله وجهه .
(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٢٥٦ ، وأنوار التنزيل ١ / ٨٩ .
(٣) البحر المحيط ١ / ٢٥٧ .
(٤) الصحاح مادة (سقى) .
(٥) والبيت نسبه سيبويه الى رجل من باهلة يصف بعيرا بأنه متروك من العمل فهو ينفر من الراكب لأنه لم يسافر أصلا حتى أن صاحبه لا حج ولا اعتمر انظر كتاب سيبويه ١ / ١٢ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٣ ، وتنزيل الآيات ٣٩٦ ، والبحر المحيط ١ / ٢٥٧ ، والخزانة ٢ / ٤٠١ ، والانصاف ٢٦٩ ، واللسان مادة (عبر) وأساس البلاغة مادة (نبو) .
(٦) الكشاف ١ / ١٤٤ .
(٧) من الآية ٢٦ من سورة يوسف .
(٨) أساس البلاغة مادة (شقق) .

قوله : (رجع منسوخا) لا خفاء ولا خلاف فى أن ظاهر اللفظ فى أول الأمر بقــرة مطلقة مبهمة ، ولا فى أن الامتثال فى آخر الأمر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا ، لكن اختلفوا فى أن المراد [1] المأمور به فـى أول الأمر هو البقرة المعينة وأخر البيان عن وقت الخطاب ، أو المبهمة ولحقها التغيــير الى المعينة بسبب تثاقلهم فى امتثالهم وكثرة سؤالهم واستكشافهم .

فذهب بعضهم الى الأول تمسكا بأن الضمائر فى الأجوبة أعنى " انها بقرة " كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا فى السؤال للتطابق ، والسؤال انما هو عن البقرة المأمــور بذبحها فتكون هى المعينة [2] .

وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوهــا معينة خارجة عما عليه صفة الجنس ، فسألوا عن حالها وصفتها فوقعت الضمائر لمعينة / ١٢٠ أ بزعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم ، وان لم يكن المراد من أول الأمر هى المعينة .

واختار المصنف أن المأمور بها أولا بقرة مبهمة غير مخصوصة بحيث يحصل الامتثال بذبح أية بقرة ، فيكون تمسكا بظاهر اللفظ ، وبقوله عليه السلام : " لو اعترضوا أدنــى بقرة فذبحوها لكفتهم " [3] وروى مثله عن ابن عباس [رضى الله عنهما] [4] وهـــو رئيس المفسرين [5] ، وبه يشعر قوله : " فافعلوا ماتؤمرون " قبل بيان اللون وكونهــا مسلمة غير مذللة .

فتوجه السؤال بأنه لما كان الأمر أولا بذبح بقرة ما ، وخص ثانيا بذبح البقـــرة المعينة بحيث لم يكن الامتثال الا بذبحها فما فعل الأمر الأول المطلق؟ فأجـــاب بأنه صار منسوخا ، حيث ارتفع حكمه الذى هو اجزاء أى فرد كان من جنس البقر وتخييرهم فى ذلك .

ولما كان من تمسكات القائلين بكون المأمور بها أولا هى المعينة : أنه دل الســياق ووقع الاتفاق على أنه لم يرد أمر متجدد غير الأول ، به يكون امتثالهم ، وانما الامتثال

---

(١) كلمة " المراد " ناقصة من م ، خ .
(٢) فى م زيادة " بذبحها " .
(٣) تفسير الطبرى ٢ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من خ .
(٥) انظر تفسير الطبرى ٢ / ٢٠٤ .

بالأمر الأول ،فيلزم أن لا يكون منسوخا ،وأن يكون أمرا بذبح البقرة المعينة ،لظهور أن الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة ،أجاب[1] بأنا لا نجعل نسخ الأمر الأول ، وانتقال الحكم الى المخصوصة مبنيا على ارتفاع حكمه بالكلية حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى أمر متجدد ،بل على أنه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى حصول الامتثال بأى فرد كان ،فارتفع حكمه فى حق ماعداها ،وبقى الامتثال بذبحها خاصة ، وكان ذبحها امتثالا للأمر الأول ،ولم يكن هذا منافيا لنسخ الأمر الأول[2] فى الجملة ولا موجبا لكون المراد به أولا ذبح المعينة .

ولا يخفى أن معنى (التناول) و(التخصيص) [3] فى عبارة الكتاب هو الاطلاق والتقييد كما يقال : ان الصفة تخصيص فى النكرات وتوضيح فى المعارف ،لا العموم والشمول والقصر على البعض كما هو مصطلح الأصول ،وقد يقال : ان معنى قوله : (على أن الخطاب) أن ذلك ليس بنسخ لأن ذبح البقرة المخصوصة ذبح للبقرة المطلقة وامتثال للأمر الأول ،فلا يكون نسخا ،وليس بمستقيم لأن حصول الامتثال بها لا ينفى النسخ فى حق الغير .

قوله : (فادارأتم فاختلفتم) يعنى أنه مجاز عن الاختلاف والاختصام ،أو كناية عنه لكون معناه الحقيقى وهو التدارؤ والتدافع من روادف الاختصام ولوازمه ،أو هو فى معناه الحقيقى أعنى تدافعتم وفيه وجوه :

الأول - أن البعض منكم يطرح قتلها على البعض ،فكل من الفريقين طارح ومطروح عليه ،فكل منهما من حيث أنه مطروح عليه يدفع الآخر من حيث أنه طارح .

الثانى /- أن طرح القتل فى نفسه دفع له ،وكل[4] من الطارحين دافع ،فتطارحهما تدافع من غير احتياج الى أن يعتبر بعد التطارح دفع المطروح عليه الطارح .

وفيه نظر ،لأن هذا لا يكون تدافعا لأن معناه دفع كل منهما الآخر ،لا دفع كل منهما القتل مثلا ،وانما يصح مثل هذا فى المتعدى مثل : طارحنا الكلام ،وتطارحناه .

---

(١) قول السعد " أجاب.. " جواب قوله " ولما .. "
(٢) كلمة " الأول " ناقصة من الأصل .
(٣) الكشاف ١/١٤٤ .
(٤) قوله " وكل " ناقص من م .

الثالث - أن كلا من الفريقين يدفع الآخر عن البراءة الى التهمة ، فكل منهما دافع ومدفوع وهو معنى التدافع .

قوله : (مظهر لا محالة[1]) ، بدلالة العدول الى الجملة الاسمية .

قوله : (قد حكى) ، يعني كما جاء حكاية الحال الماضية كذلك حكاية المستقبل الماضي .

قوله : (عجبها) هو أصل الذنب و (الغضروف) مالان من العظم ، و (البضعة) قطعة لحم .

قوله : (والمعنى فضربوه فحيي) يعني أن حذف ضربوه المعطوف على " قلنا " شائع مقرر في الفاء الفصيحة في فحيي ، وههنا قد حذف الفاء الفصيحة مع المعطوف بها (بدلالة قوله " كذلك يحيى الله الموتى ") مع الاشارة الى أن حياة القتيل كانت بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للضرب بالبعض .

قوله : (أما أن يكون خطابا) يعني يكون الكلام خطابا معهم ، وضمير " يريكم " و " لعلكم " لهم ، لا حرف الخطاب في " كذلك " فانه خطاب لمن يتلقى الكلام ، ايماء الى أن الاحياء أمر عظيم يجب أن يخاطب به كل من يتأتى له أن يخاطب ، واحتيج الى تقدير القول ليرتبط الكلام بما قبله وينتظم ، بخلاف ما اذا كان الخطاب (لمنكرى البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] فانه ينتظم بدونه بل معه يخرج عن الانتظام .

وتأويل " تعقلون " (بتعملون على قضية عقولكم) مبني على أن كونهم يعقلون محقق لا في صورة المرجو ، لكن جعلوا لعدم الجدى على موجب العقل كأنهم لا يعقلون . ولو قدر له مفعول ولم ينزل منزلة اللازم لم يحتج الى هذا التأويل .

ثم الأنسب أن يؤخر تفسير " لعلكم تعقلون " عن قوله : (واما أن يكون خطابا للمنكرين) ، وقوله (وأن من قدر) ينبغي أن يكون معطوفا على (عقولكم) لا على (أنه قادر) ، يعرف بالتأمل .

[قوله : (تقدير القربة على الطلب)[3] حيث أمر بأن تذبح البقرة ثم يشتغل بطلب القاتل][4] (ونفع اليتيم) عطف على (اللطف لهم) وكذلك (الدلالة) و

---

(١) الكشاف ١ / ١١٤ .
(٢) خ ، م : عليه السلام .
(٣) الكشاف ١ / ١١٥ .
(٤) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

و (تجهيل الهازئ) و (بيان أن من حق) ، ولا يخفى وجه تفرع جميع ذلك على (التشديد عليهم) ، و (من كلام الحكماء) بيان (لما لا يعلم) ، و (التنوق) اختيار الأنق الأحسن ، و (القحم) اليابس هزالا ، و (الضرع) الضعيف .

قوله : (وأن الزيادة) عطف على (أن من حق) يعني أن في / التشديد عليهم ١٢١ أ
لتشديد ثم بيان أن الزيادة في الخطاب نسخ له ، حيث صار الخطاب الدال على التخيير واجزاء أي بقرة كانت مرفوع الحكم في حق ما عدا البقرة المخصوصة ، وهذا ظاهر في أن الأمر الأول منسوخ ألبتة كما قررنا ، وليس مراد المصنف فيما سبق أنه يحتمل أن لا يكون منسوخا ، ثم هذا النسخ واقع قبل الفعل ، فكان في التشديد بيان جواز النسخ قبل الفعل ، وأما قبل امكان الفعل فلا يجوز لأنه يؤدي الى البداء (١) وظهور رأي غير الرأي الأول حيث لم تترتب عليه فائدة أصلا . وقد يجاب بأن الابتداء بعزم القلب عند الامكان ودخول الوقت فائدة .

قوله : (وليعلم) عطف على قوله : (لما في ذبح البقرة) .

قوله : (لا يعقل أن تتولد منهما حياة) فيه تسامح ، لأنه على تقدير تأثير السبب (٢) وصحة التولد لا يكون تولد الحياة من الموتين ، بل من مس الميت بالميت وضربه به .

قوله : (وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل) عليه مؤاخذة مشهورة ، وهو أن ليس حق القصة على تقدير أن تقص على ترتيبها أن يقدم ذكر الضرب ببعض البقرة [على الأمر بذبحها بل بالعكس ، لأن تقديم الوسيلة مناسب حيث أمر بأن يذبح البقرة] (٣) ثم يشتغل بطلب القاتل .

والجواب أن ليس المعنى تقدم ذكر القتيل وذكر الضرب ، ولا اللفظ موجب لذلك ، ألا ترى أن جاءني غلام زيد وعمرو ، لا يوجب مجيء غلام لهذا وغلام لذاك ؟ بل المعنى تقديم ما في الآية من ذكر مجموع الأمرين على الوجه الذي هو حق الترتيب ، وهو أن يذكر القتيل ، ثم الأمر بالذبح والضرب على ما أشار اليه بقوله : (وأن يقال) .

قوله : (انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات (٤)) وهذا لا ينافي أن يتضمن تعديد ما أنعم الله تعالى عليهم على (٥) ما ذكرنا .

---

(١) بدا له في الأمر بداء : نشأ له فيه رأي .
(٢) م ع : تأثير الميت .
(٣) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل
(٤) الكشاف ١ / ١١٥ .
(٥) كلمة " على " ناقصة من م .

قوله : (وما يتبع ذلك) عطف على (تقريعهم) ، لا على (الاستهزاء) ، اذ ليس سوى الاستهزاء وترك المسارعة أمر آخر يتعلق به التقريع ، وكذا (ما يتبعه) عطف على (التقريع) ، لا على (قتل النفس المحرمة) ، اذ لا معنى للتقريع على الآية العظيمة . (أن وصلت) بيان (لنكتة) أو على حذف الباء ، (دلالة) أى للدلالة ، (بضمير البقرة) متعلق بوصلت تعلق الآلة كما يتعلق به (بالأولى) تعلق الصلة ، و (حتى يتبين) غاية لرعاية النكتة بعد الاستئناف ، يعنى تبين من طريق الاستئناف أنهما قصتان ، ومن ربط الثانية بالأولى بضمير البقرة دون صريح اسمها أنها قصة واحدة .

قوله : (معنى ثم قست استبعاد القسوة) [1] بمعنى أنها ينبغى أن لا تقع لوجود أسباب وقوع الضد كما فى قوله تعالى " ثم أنتم تمترون [2] " ، لا بمعنى بعد المرتبة كما فى قوله تعالى : " ثم كان من الذين آمنوا " [3] ، لفظ " قست " استعارة تبعية تمثيلية تشبيها لحال القلوب فى عدم الاعتبار والاتعاظ بالقسوة . / ولاعتبار ١٢١ ب هذه الاستعارة حسن التفريع والتعقيب بقوله : " فهى كالحجارة " ، بخلاف ما اذا جعلت القلوب استعارة بالكناية والقسوة قرينة فانه لا يحسن ، بل لا يستقيم قولك : ينقضون عهد الله فهو كالحبل أو أوثق ، وذلك لأن استعارة الحبل أصل والنقض تبع ، على ما هو الواجب فى الاستعارة بالكناية ، وفيما نحن فيه الأمر بالعكس كما فى تقرى الرياح الرياض [4] ، وبالجملة فالاستعارة بالكناية [5] وقعت فى الحال والتعقيب بصريح التشبيه فى الذات ، فلا وجه لما يقال [6] " أن ظاهر الكلام كون التشبيه فرع الاستعارة ، والأمر بالعكس ، وأن فى قوله : (من عرف حالها شبهها بالحجارة) اشارة الى دفع ذلك بمعنى أن التشبيه مرتب على عرفان حالها ، وأنه حامل على التشبيه المؤدى الى الاستعارة " .

قوله : (مثل الحجارة) جعل الكاف اسما ليحسن عطف " أشد " عليه ، ولا يكون من عطف المفرد على الجملة الظرفية وان كان صحيحا .

---

(١) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة .. " الآية ٧٤ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١١٥ — ١١٦ .

(٢) من الآية ٢ من سورة الأنعام .

(٣) من الآية ١٧ من سورة البلد .

(٤) تلميح الى قول الشاعر :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة * اذا سرى النوم فى الاجفان ايقاظا

وقد سبق تحقيقه فى الورقة ٤٧ أ .

(٥) قوله " بالكناية " ناقص من خ .

(٦) اشارة الى ما ذهب اليه الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٩٧ .

قوله : (بنصب الدال) (١) أى بفتحها لكون الاسم مجرورا وكذا فى كل موضع يضاف الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم الى حرف من الكلمة يراد نفس الحركة أو السكون ، وأما الاعراب فانما يضاف الى الكلمة .

قوله : (والمعنى) (٢) تأويل لكلمة الشك الواقعة فى كلام علام الغيوب على الوجهين السابقين : أعنى حذف المضاف ، وبدونه بطريق اللف والنشر ، يعنى أن معناه على تقدير حذف المضاف أن من عرف حالها شبهها بأحد الشيئين ، وعلى تقدير عدم الحذف : أن من عرفها صدر عنه أحد الأمرين : اما التشبيه بالحجارة ، أو القول بأنها أشد ، فليس ههنا شك من المتكلم ولا من السامع ، وليس المراد أن " أو " ههنا للشك بالنسبة الى السامع ليرد الاعتراض بأن الألفاظ انما وضعت ليعبر بها المتكلم عما فى ضميره .

قوله : (لم قيل : أشد قسوة) ، لما فسر الأشد قسوة بالأقسى ، توجه سؤال وجه العدول عن الأخصر الى الأطول ، فأجاب بأنه أدل على شدة القسوة ، لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها ، وفى ذلك من الايماء الى الاعتناء ببيان الزيادة مالا يخفى (٣) .

ثم ذكر فى تفسير " أشد قسوة " وجها آخر لا يتوجه عليه السؤال ، وهو أن لا يقصد اشتراك القلوب والحجارة فى القسوة ثم تفضيل القلوب فيها ، بل اشتراك قسوتهما فى الشدة ثم تفضيل شدة القلوب بوصفها (٤) بكونها أشد وأزيد .

وانما اختار الوجه الأول لكونه أنسب بقوله " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " ولكون / مثل أشد وأبلغ اكثر استعمالا فى التوصل ، وقد يرجح الأول : بأن الأشد ١٢٢
محمول على القلوب دون القسوة فلا يفيد أن قسوتها أشد بل أنها أشد قسوة ، والثانى : بأن فى التوصل عدولا عن الظاهر من جهة أن أشد مثلا لم توضع الا للزيادة فى الشدة ولم يقصد بل قصد الشدة والزيادة فيما جعل تمييزا كالقسوة ، وقسوة

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٦٣ .
(٢) الكشاف ١/ ١١٥ .
(٣) ويقول ابن المنير الاسكندرى " ولأن سياق هذه الأقاصيص قصد فيه الاسهاب لزيادة التقريع " الانتصاف ١/ ١١٥ - ١١٦ .
(٤) فى م " فى وصفها " وفى خ " ووصفها ".

القلوب زائدة وشديدة بالنسبة الى الحجارة لا أزيد وأشد .

وأجيب عن الأول بأن التمييز فاعل فى المعنى فقولنا : قلوبهم أشد قسوة ، فى معنى : قسوة قلوبهم أشد ، من غير تفاوت الا بما يعطيه ظاهر اسناد اشد الى ضمير[1] قلوبهم من المبالغة على ماتقرر فى موضعه . وعن الثانى بأن مثل الشدة والزيادة من المعانى النسبية التى تقبل الشدة والضعف ، فكل زائد أزيد بالنسبة الى ما دونه فى الجملة فأوثر فى التوصل لفظ " أشد " ونحوه ليكون على صيغة التفضيل ويشعر به من أول الأمر .

قوله : (وان من الحجارة بيان وتقرير)[2] يعنى من جهة المعنى ، وأما بحسب اللفظ فعطف على جملة " هى كالحجارة أو أشد " .

قوله : (يتدفق منها الماء الكثير) اشعار بأن التفجر والأنهار كلا منهما مجاز[3] ، والكثرة مستفادة من صيغة الجمع ولفظ النهر وهو المجرى الواسع .

قوله : (والخشية مجاز عن انقيادها) اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم ، وحينئذ فالظاهر تعلق " من خشية الله " بالأفعال السابقة ، ولم يحملها على الحقيقة باعتبار خلق العقل والحياة فى الحجارة : اما لأن البنية واعتدال المزاج شرط فى الحياة عندهم ، واما لأن الهبوط والخشية على تقدير خلق العقل والحياة لا يصلح بيانا لكون الحجارة فى أنفسها أقل قسوة ، ثم مبنى كلامه على عدم التغاير أو التفارق بين الأمر والارادة ، وقيل : قلوبهم انما تمتنع عن الانقياد لأمر التكليف بطريق القصد والاختيار ، ولا تمتنع عما يراد بها على طريق[4] القسر والالجاء كما فى الحجارة ، وعلى هذا لايتم ماذكره ، فالأولى حمل الكلام على الحقيقة .

قوله : (أن يحدثوا الايمان)[5] يعنى ان " يؤمنوا " مستعمل فى معناه الشرعى من غير أن يحتاج الى ذكر متعلق له ، واللام للتعليل أو الاعتبار معنى

---

(١) كلمة " ضمير " ناقصة من خ .
(٢) الكشاف ١/ ١١٦ .
(٣) أى فى قوله تعالى : " وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار " ففى " يتفجر " استعارة تبعية ، واسناده الى " الأنهار " مجاز عقلى بعلاقة الملابسة بالمكانية .
(٤) م : بطريق .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " أفتطمعون أن يؤمنوا لكم " الى قوله تعالى : " يعلم مايسرون وما يعلنون " الآيات ٧٥-٧٧ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/ ١١٦ .

الاستجابة أى يحدثوا الايمان ويأتوا به مستجيبين لكم ، فى الأساس: " أجابه الى كذا ، واستجابه ، واستجاب له [1] " ولم يحملها على الصلة كما فى " وما أنت بمؤمن لنا " [2] أى مصدق لأن مثله لا يوجد فى الفعل ، ولذا حمل " فآمن له لوط " [3] على معنى أحدث الايمان لأجل دعوة ابراهيم واستجابته/ له . ٢٢ اب

قوله : (يعنى اليهود) بيان لضمير " يؤمنوا " وتنبيه على أنه لجنس اليهود ، ليصح جعل السابقين فريقا منهم وان كان احداث الايمان لا يتصور الا من المعاصرين .

قوله : (وقيل كان قوم) يعنى أن سماع كلام الله تعالى - على الأول - ممن يتلوه كما يسمع كل أحد منا القرآن ، و- على الثانى - من الله تعالى بلا واسطة كما سمعه موسى عليه السلام [4] ، والتحريف على الأول : التغيير ، وعلى الثانى : الزيادة فيه افتراء ، ولا يخفى أن فيما افتروا شاهدا على فساده حيث علقوا الأمر بالاستطاعة ، والنهى بالمشيئة ، وهما لا يتقابلان ، وكأنهم أرادوا بالأمر : غير الوجوب ، على معنى افعلوا ان شئتم وان شئتم فلا تفعلوا ، ولقائل أن يقول : على الوجه الأول المختار لا حاجة الى جعل ضمير " يؤمنوا " لمطلق اليهود وجعل السامعين المحرفين من السالفين .

[قوله : (فلهم سابقة فى ذلك) ، لأن أسلافهم كانوا كذلك فكيف يطمع من الأخلاف الايمان وترك التحريف] [5]

قوله : (قال منافقوهم) ، جعل ضمير " لقوا " لجنس اليهود كما فى " أن يؤمنوا " وخص ضمير " قالوا " بالمنافقين منهم ، واعتبر حذف المضاف لقيام القرينة ، ولم يجعل الشرطية عطفا على " يسمعون " لأن هذه الملاقاة والمقاولة والتحزب الى المنافق وغير المنافق لم تكن تخص الفريق السامعين المحرفين فلم يصح جعل الضمير لهم . ولا يخفى أن ضمير " قالوا [6] " للبعض الذين لم ينافقوا ، فلذا كان حمل البعض الذى هو فاعل " خلا " على غير المنافقين أحسن وأوفق بمراعاة النظم ، حيث وقع فاعل فعلى

---

(١) أساس البلاغة مادة (جوب) .
(٢) من الآية ١٧ من سورة يوسف .
(٣) من الآية ٢٦ من سورة العنكبوت .
(٤) قوله " عليه السلام " ناقص من خ .
(٥) ما بين المعقوفين ناقص من ط .
(٦) أى الثانى وهو " قالوا أتحدثونهم " .

الشرط والجزاء شيئا واحدا ، ثم جوز أن يكون ضمير " قالوا " للبعض الذين لم ينافقوا وهم رؤساء اليهود ، يقولون ذلك لأتباعهم وبقاياهم الذين لم ينافقوا قصدا لاظهار التصلب في اليهودية نفاقا مع اليهود أيضا .

والاستفهام في " أتحدثونهم " على الأول : للعتاب والانكار على ما كان يصدر عن المنافقين من التحديث ، بمعنى ما كان ينبغي أن يقع ذلك ، وعلى الثاني : لانكار أن يصدر عن الأعقاب تحديث فيما يستقبل من الزمان بمعنى لا ينبغي أن يقع ، وضمير (عليهم) الأول للأعقاب ، والثاني للمؤمنين .

قوله : (ليحتجوا عليكم) تفسير " ليحاجوكم " تنبيها على أنه ليس بقصد المشاركة ، وقوله : (بما أنزل ربكم) تفسير للضمير في " به " ، وقوله : (في كتابه) تفسير لقوله : (عند الله) ، وقد أوضحه بأن حاصل قولنا : (هو في كتاب الله كذا[1] وعند الله كذا ، واحد) لأن معناه : في حكم الله .

١٢٣ أ ومبنى / الكلام على أن المقصود التحذير عن الاحتجاج عليهم في الدنيا ، لا في الآخرة ويوم القيامة وحال مرافعة القضية الى الله تعالى على ما وقع في بعض التفاسير[2] ، لأن اليهود يعلمون أنهم يوم القيامة محجوجون سواء حدثوا أم لم يحدثوا . ويتوجه على ما ذكر أنه لا وجه حينئذ للجمع بين قوله : (به) ، وقوله : (عند الله) الا أن يجعل الثاني بدلا من الأول ، أو ظرفا مستقرا بمعنى ليحاجوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم ، وهل هو تمام تقرير المصنف ؟ فيه كلام .

قوله : (ومنهم أميون)[3] عطف على الجملة الحالية أعني " وقد كان فريق " يعني أن بعضهم عالمون معاندون ، وبعضهم جاهلون مقلدون .

قوله : (تمنى كتاب الله أول ليله)

تمامه : تمنى داود الزبور على رسل .

أي على تؤدة وهينة ، يذكر قصة عثمان رضي الله عنه وقوله : (ليله " ينبغي أن يكون بالاضافة وهاء الضمير ، لا بتاء الواحدة على ما في النسخ ، يعرف ذلك بالتأمل .

---

(١) لفظ الكشاف ١/ ١١٦ – ١١٧ : هكذا .

(٢) مثل البحر المحيط ١/ ٢٧٤ .

(٣) شروع في تفسير قوله تعالى : " ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني .. " الآيتين ٧٨ – ٧٩ من سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١١٧ .

ويؤيده ان ابن الأنباري أنشد تمامه (١) :

وآخره لاقى حمام المقـــادر (٢)

ولم يرد " وآخرها " بتأنيث الضمير ، والمقادر كان أصله : المقادير ، في الأســاس : " الأمور تجرى بقدر الله ومقداره وتقديره وأقداره ومقاديره (٣) " .

فان قيل : الأمي منسوب الى أمة العرب الذين لا يكتبون ولا يقرأون ، أو الـى الأم بمعنى أنه كما ولدته أمه ، قلنا : معناه أنه لا يقرأ من الكتاب ولا يعلم الخط ، وأما على سبيل الأخذ من الغير فكثيرا مايقرأون من غير علم بالمعاني ولا بصـــور الحروف ، وربما يفهم من ظاهر كلام المصنف أن الأمي من لا يحسن الكتابة والقراءة (٤) وهو لا ينافي أن يكتب ويقرأ في الجملة .

قوله : (وكذلك المختلق يقدر) ويحرز مايفتريه ، " وأما القارئ فيقدر ترتيب الكلمات بصورها المسموعة والمكتوبة ان كان كاتبا ، والمسموعة فقط ان كان أميـــا " [وفي بعض النسخ يقدران بتثنية الضمير بمعنى أن المختلق أيضا يقدر كلامه كلمة بعد كلمة ، وهذا أوجه لفظا والأول معنى] (٥) .

قوله : (الا أماني من الاستثناء المنقطع) لأن ماهم عليه من الأباطيل أو سمعوه من الأكاذيب ليس من الكتاب ، وكذا مايقرأون تلقنا من علمائهم لما فيه من التحريف والافتراء ، ولأنه ليس من جنس المعلوم ، والمعنى : لكنهم يعلمون ذلك ويعتقدونه جهلا أو يظنونه تقليدا .

---

(١) في خ زيادة " قوله " .

(٢) قائل البيت حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه ويروى الشطـــر الأول : تمنى كتاب الله في الليل خاليا ، والثاني : وافى حمام المقادر ، والحمام قدر الموت ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ١١٧ ، وتنزيل الآيات ٤٩٥ ، وأنوار التنزيل ١/ ٩٢ ، والبحر المحيط ١/ ٢٧٠ ، والفائق ٢/ ٢٥٧ ، والسيرة لابن هشـــام ١/ ٥٣٨ ، والأمالي للزجاجي ١٤ ، واللسان مادة (منى) .

(٣) أساس البلاغة مادة (قدر) .

(٤) حيث قال : أميون : لا يحسنون الكتب الخ . الكشاف ١/ ١١٧ .

(٥) مابين المعقوفين مقدم في ب على مابين القوسين المزدوجين .

قوله : (ونبه على أنهم فى الضلال سواء) حيث بين أن العلماء يعلمون ويقولون على خلاف مايعلمون ، والعوام يقلدونهم / ولا يتحققون . ٢٣ اب

قوله : (من محاز التأكيد) جمع محز من قولهم : أصاب المحز .

قوله : (من الرشا) اشعار بأن " ما " فى " مما يكسبون " موصولة ، وكذا فى " مما كتبت " لكن المصدرية أرجح لفظا ومعنى .

قوله : (تقديره ان اتخذتم) (١) أى ان كنتم اتخذتم ، اذ ليس المعنى على الاستقبال ، فان قلت : فلا يصح جعل " فلن يخلف الله " جزاء لامتناع السببية والترتيب لكون " لن " لمحض الاستقبال ، قلت : ذاك ليس بلازم فى الفاء الفصيحة نحو : فقد جئنا خراسانا (٢) ، ولو سلم فقد ترتب على اتخاذ العهد الحكم بأنه لا يخلف العهد فيما يستقبل من الزمان قط كما فى قوله تعالى : " وما بكم من نعمة فمن الله (٣) " .

قوله : (على سبيل التقرير) أى الحمل على الاقرار ، لانتفاء حقيقة الاستفهام أعنى (٤) استواء الأمرين فى علم المستفهم وكون السؤال عن التعين ، وذلك لأن علم المستفهم وهو النبى عليه الصلاة والسلام (٥) حاصل بأن المتحقق هو آخر الأمرين وهو الافتراء ، وفى بعض النسخ : أحدهما (٦) ، يعنى أحد الأمرين على التعين ، وقوله : (ويجوز أن تكون) فى معنى : واما أن تكون منقطعة ، عطفا على (اما أن تكون معادلة) ، وعلى تقدير الانقطاع فالاستفهام فى " أتخذتم " للانكار ، وفى " اتقولون " للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت ، وان شئت فبمعنى الحمل على الاقرار .

قوله : (اثبات لما بعد حرف النفى) ، وهو المس الا أياما معدودة ، بمعنى أنه لا يقتصر عليها ، لا بمعنى أنه لا يتناولها وتبقى هى خارجة ، فان قيل : فعلى

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده .. " الآيات ٨٠ـ٨٢ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١١٧ .

(٢) من قول العباس بن الأحنف :

قالوا خراسان اقصى مايراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

وقد سبق تحقيقه فى الورقة ١١٥ أ .

(٣) من الآية ٥٣ من سورة النحل .

(٤) عبارة الأصل : يعنى .

(٥) م ، ن : عليه السلام .

(٦) أى بدل قوله " آخر الأمرين " ، الكشاف ١ / ١١٨ .

هذا يكون معناه المس الدائم أبدا من غير احتياج الى الدليل ،قلنا : لا بل يجوز أن يكون ممتدا أياما كثيرة غير محصورة فوق ما أرادوا بالمعدودة من الأربعين والسبعة ،فلا بد للتأبيد من الدليل .

قوله : (يعنى كبيرة) ،لأن احاطة الصغيرة لا توجب الخلود وفاقا ،وفسر الاحاطة بعدم التفصى والخروج من [1] الكبيرة بالتوبة لأن ذلك كاف عنده فى الخلود ،وعندنا المراد : الاحاطة بجميع الجوانب من القلب واللسان والجوارح ،وهو معنى الكفر .

قوله : (ألا أراك ذا لحية) يعنى بلغت مبلغ الرجال ولم تعرف ما كان ينبغى أن تعرفه ،وضمير (عنها) و(بها) للخطيئة ،و(أنه) للشأن ،و(كل آيــــة) مبتدأ بحذف المضاف أى كل خطيئة آية ،وقوله : (فهى الخطيئة المحيطة) خبره ، ولك أن تجعل (كل آية) مبتدأ والعائد فى الخبر مدلولا عليه بقوله : (فهى) لكونه عائدا الى الخطيئة المنهى عنها ،-(فيها) أى فى الآية .

قوله : (وهو أبلغ) [2] ،فان قيل : ماذكر انما يصح لو كان الاخبار بلفـــظ الماضى ،قلنا : وكذلك بالحال :

١٢٤ أ / قوله : (ولابد من ارادة القول) ليحصل الارتباط بما قبله [3] ،فان قيل : لا وجه لتوسيط [4] هذا الكلام بين ماذكر من الدليلين على كون " لا تعبـــدون " بمعنى النهى ،ومن ههنا قد يتوهم أن معنى قوله : (ويدل عليه ايضا) أن المعنى أنه يدل على تقدير القول وارادته ،قلنا : قصد ذكره عقيب قراءة صريح النهى [5] ، لأنه لا محيص لها عن ارادة القول البتة فكان ألصق به ،وان كان المراد لزوم تقدير القول على القراءتين ،و(وبالوالدين) مبتدأ خبره (اما أن يقدر) ،قدم هذا الكلام على الوجوه الأخر فى (لا تعبدون) لأنها ضعيفة عنده ، ولذا ذكرها بلفظ (قيل) فحاول تمام الكلام فى المعطوف والمعطوف عليه على الوجه المختار .

---

(١) م : عن .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا اللـه وبالوالدين احسانا .. " الآية ٨٣ من سورة البقرة انظر الكشاف ١١٨/١ .

(٣) قوله " بما قبله " ناقص من خ .

(٤) ب : لتوسط

(٥) البحر المحيط ٢٨٢/١ ،وأنوار التنزيل ٩٤/١ .

ويحتمل وجهان في قراءة عبد الله[1] ،ولذا صرح وقال : (ويحتمل ان لا تعبدوا) وذلك لظهور أن قراءة العامة لا تحتمل ان المفسرة ،فعلى هذا دلالة هذه القراءة على كون "لا تعبدون" بمعنى أن لا تعبدوا بحذف الحرف ورفع الفعل يكون على أحد وجهيها بل على أحد احتمالى الوجه الثانى ،لأن على تقدير كون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق يحتمل أن تكون أن ناصبة والفعل منصوبا ،وأن تكون مصدرية والفعل نهيا ،فان المصنف كثيرا مايجعل "أن" مع الأمر والنهى فى تأويل المصدر ،ومما ذكر ههنا يعلم ان "لا تعبدون" فى قراءة العامة اذا كان فى معنى "ان لا تعبدوا" كان بدلا عن الميثاق ،ويحتمل أن يكون على حذف حرف الجر .

قوله : (وحسنى على المصدر[2]) رد على الزجاج حيث منع هذه القراءة وهما منه أن حسنى تأنيث الأحسن فلا يستعمل بدون اللام[3] .

قوله : (ثم توليتم على طريقة الالتفات) ،لأن ذكر بنى اسرائيل انما وقع بطريق الغيبة ،والخطابات انما وقعت[4] فى حيز القول[5] .

قوله : (وأنتم قوم) يعنى أن الجملة اعتراض لا حال لقلة فائدتها ،وان جاز مثل : " وليتم مدبرين "[6]

قوله : (لا يفعل ذلك)[7] أى السنك والاخراج . (جعل غير الرجل نفسه) أما فى " لا تخرجون أنفسكم " فصريحا ،وأما فى " لا تسفكون " فدلالة ،والقول بأن (قتل الغير بمنزلة قتل النفس لترتب القصاص) : يمكن اعتبار مثله فى الاخراج لما يلحقه من العار والصغار .

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٨٢ ، وانوار التنزيل ١/ ٦٤ .

(٢) وهى قراءة أبى وطلحة بن مصرف ،انظر البحر المحيط ١/ ٢٨٥ .

(٣) قال الزجاج : " حُسْنا بالتنوين وحَسَنا قراءة الناس ،وأما حسنى فخطأ لا ينبغى أن يقرأ به لأنه باب الأفعل والفعلى نحو الأحسن والحسنى والأفضل والفضلى ولا يستعمل الا بالألف واللام " . انظر اعراب القرآن ومعانية ٢/ ١٣٤ .

(٤) م ،خ : انما هى .

(٥) فهو التفات من الغيبة الى الخطاب .

(٦) من الآية ٢٥ من سورة التوبة .

(٧) فى تفسير قوله تعالى : " واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم " الى قوله تعالى " ولا هم ينصرون " الآيات ٨٤ـ٨٦ من سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١١٩ .

قوله : (على اقرار أسلافكم) يشعر بأنه في الوجه الأول المختار الأفعال المذكورة كلها انما كانت من أسلافهم لكن أسندت اليهم لكونهم على طريقتهم ، ومتصلين بهم أصلا ودينا ، وأما في قوله : " ثم انتم هؤلاء " الى آخره فقد صار الخطاب للحاضرين ، والاسناد اليهم حقيقة ، وصح استبعاد القتل والاجلاء منهم/ ١٢٤ا
وان كان الميثاق ، والاقرار ، والشهادة من أسلافهم لما ذكرنا من الاتصال والاتحاد .

ودلالة قوله : " ثم أنتم هؤلاء " على اعتبار التغاير انما جاءت من قبيل البيان بقوله : " تقتلون أنفسكم " اشارة الى نقض "لا تسفكون دماءكم " ، وبقوله : " تخرجون فريقا منكم " اشارة الى نقض " لا تخرجون أنفسكم "

قوله : (كما تقول : رجعت) يعني اعتبر التغاير ههنا بدلالة الكلام كما صرح به في قوله : (رجعت بغير الوجه الذي خرجت به) ، يقال ذلك اذا رجع الى البلد أو الدار[(١)] بوصف آخر ، ففيه تصريح بتغاير الوجه وكناية عن تغاير الذات ، وماذاك الا بحسب الوصف .

قوله : (وتكفرون ببعض) ، قيل : أخذ الله عليهم أربعة عهود : ترك القتال ، وترك الاخراج ، وترك المظاهرة ، وفداء أسراهم ، فأعرضوا عن كل ماأمروا به الا الفداء .

قوله : (يقاتل مع حلفائه) ، مفعول (يقاتل) متروك ، وبنو (قريظة) و (النضير) قبيلتان من اليهود ، و (الأوس والخزرج) من ا.. كين ، وكان بين الأوس والخزرج احن[(٢)] ومحاربات فحالف الأوس بني قريظة ، والخزرج النضير لنصرتهم ، ولم يكن[(٣)] بين اليهود مخاصمة وقتال ، وانما كانوا يتقاتلون مجتمعين مع حلفائهم اذا حاولوا مقاتلة أعدائهم ، وضمير " ديارهم " و "أخرجوهم " للمغلوبين من الفريقين ، وضمير (جمعوا) لمجموع الفريقين .

قوله : (لأن عصيانه أشد) حيث كفر بالبعض من كتابه أيضا ، وهذا اشارة الى أن ليس المراد بأشد العذاب أشد من عذاب الدنيا بل أشد انواع العذاب لأنه المفهوم من الاضافة .

---

(١) خ : أو الى الدار .
(٢) الاحن : الأحقاد .
(٣) م : وان لم يكن .

قوله : (ولا ينصرهم أحد) اشارة الى أن التقديم فى " ولا هم ينصرون " ليس للحصر بل للتقوى ورعاية الفاصلة .

قوله : (وقفاه به) (١) أى أتبعه ذلك الشيء الذى دخلته الباء ، أى جعلـه تابعا لما هو المفعول بلا واسطة ، وأصل الكلام : قفينا موسى بالرسل ، فترك المفعول وأقيم لفظ " من بعده " مقامه ، قال فى الأساس : " قفيته به ، وقفيت به على أثـره : اذا أتبعته اياه " (٢) .

قوله : (الكثير من الرسل) بدلالة الجمع المعرف مع القطع بعدم الاستغـراق ، وقيل : كانوا أربعة آلاف ، وقيل : سبعين ألفا ، الا أنهم كانوا على دين موسى عليـه السلام (٣) ، فجاء عيسى عليه السلام ناسخا لشريعته ، فلذا خص بالذكر ، و(أيشوع) معناه السيد .

قوله : (قلت لزير لم تصله مريمـه) * ضليل أهواء الصبا تندمـه (٤)

الزير/ من الرجال : الذى يكثر زيارة النساء ، والمريم من النساء : التى تحب محادثة الرجال ، لفظ عربى مشتق من رام يريم اذا فارق وبرح ، ولا يستعمل الا فى النفـى ، فيكون مفعلا لا فيعلا ، اذ لم تثبت الصيغة أعنى فعيلا ، ولا المادة أعنى م ر ي م ، والصهيل للصلب الشديد موضوع ليس بثبت والجمهور على أن مريم فى الأصل أعجمى معنـاه : الخادم فلا يعتبر له اشتقاق ، وعلى التقديرين سمى به فمنع الصرف لسببين أو لأسباب وأما فى البيت فاسم جنس ولذا أضيف ، والضليل : الضال جدا ، أسند الى تندمه مجازا وهو الندم ، و(عليب) اسم واد ، وكأن من منعه الصرف اعتبر التأنيث . ١٢٥ أ

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل " الى قوله تعالى: " فلعنة الله على الكافرين " الآيات ٨٧ ـ ٨٩ من سورة البقـرة ، الكشاف ١ / ١٢٠ .

(٢) أساس البلاغة مادة (قفو) .

(٣) ب: صلى الله عليه وسلم .

(٤) قائله رؤبة بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقى على البطالة ومغازلة النساء ، وروى مكان " تندمه " : يندمه : ومندمه بصيغة اسم الفاعل ، انظر ديوان رؤبـة ١٤٩ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٢٠ ، وتنزيل الآيات ٥١٦ ، وأنوار التنزيـل ١ / ٩٦ ، والخزانة ٢ / ٢٦٨ ، والعينى ١ / ١٣٩ ، واللسان مادة (زور) .

قوله : (بالروح المقدسة) يعنى أن القصد بهذه الاضافة الى تلبس الوصفية ، وهى ولا محالة تكون اضافة معنوية بمعنى اللام ، فلذا يكون العلم مأولا بواحد من المسمين به على ماقرر فى مضر الحمراء ونحوه ، ولا حاجة بل لاصحة لما يقال أن مثله فى الأصل وصف بالمصدر مبالغة كرجل عدل ثم اضافة للموصوف الى الصفة (١) فقوله : (فوصفه) بيان (٢) وتفسير لقوله : (قال : " وروح منه " (٣)) ، وتأنيث الضمير فى (وصفها) وتذكيره فى (وصفه) مع كونه عائدا الى الروح مبنى على أن المراد بالأول : الروح الانسانية ، وبالثانى : عيسى نفسه ، وقوله : (للكرامة) و (لأنه لم تضمه) متعلق (بوصفها بالقدس) ، ومبنى الثانى على أن مريم لم تحض ، وقوله : (وقيل بجبريل) عطف على قوله : (بالروح المقدسة) .

قوله : (والمعنى) شروع فى تفسير " أفكلما جاءكم (٤) " يعنى أن الفاء عطف على الكلام السابق أعنى " ولقد آتينا موسى الكتاب " الى آخره ، وقد عبر عنه المصنف بقوله : (ولقد آتينا يابنى اسرائيل أنبياءكم ماآتيناهم) ، والهمزة متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه للتوبيخ والتعجيب بالنظر الى ماد خلت هى فيه أعنى المعطوف ، وبالتحقيق للتوبيخ والتعجيب من ترتب مثل هذا الفعل على ماسبقه .

ثم جوز أن يكون عطفا على محذوف بعد الهمزة على ماهو الشائع فيما بين النحويين فى مثل هذا المقام ، استبعادا لتوسط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه ، ابقاء لحق الصدارة ، والمقدر الذى هو (فعلتم مافعلتم) يجوز أن يكون عبارة عما ذكر بعد الفاء ، فيكون العطف للتفسير ، وأن يكون غيره مثل : أكفرتم النعمة واتبعتم الهوى ؟ فيكون (٥) لحقيقة التعقيب .

قوله : (ولذلك سحرتموه) على ماسنذكره (٦) فى تفسير المعوذتين / ومعنى ١٢٥ ب "تعادنى " تراجعنى من عادته اللسعة اذا أتته لعداده ، والعداد : اهتياج الوجع لوقت معلوم ، كأنه يحاسب صاحبه أيام الافاقة ، فاذا تم العداد أصابه ،

---

(١) والذى ذهب الى ذلك هو الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ٩٩ .
(٢) كلمة " بيان " ناقصة من ط
(٣) من الآية ١٧١ من سورة النساء .
(٤) الكشاف ١ / ١٢١ .
(٥) قوله " فيكون " ناقص من خ .
(٦) م ، ط : سنذكر .

وعداد السليم [1] سبعة أيام ،مادام فيها قيل : هو في عداده ،و(الأبهر" عرق مستبطن في القلب اذا انقطع مات صاحبه ،والكلام على حذف المضاف أعني عادته أكلة خيبر [2] .

قوله : (مغشاة) خبر المبتدأ أعني(هي) ،و(خلقة) تمييز مقدم أو حال .

قوله : (فهم الذين غلفوا) هذا ليس بلازم من الرد عليهم ،لأنهم ادعوا عدم تمكنهم من قبول الحق ،فرد الله تعالى [3] عليهم بأنه ليس الأمر كذلك ،بل انما لعنهم الله وخذلهم بسبب أنهم صرفوا القدرة والارادة الى الكفر فخلقه الله تعالى في قلوبهم ،ولو صرفوهما الى الايمان والهدى لخلقهما على ماجرت به عادته ،فهم كاذبون فيما ادعوا من عدم الاستطاعة ،فانه لا نزاع في قدرة العبد ،وانما النزاع في تأثيرها ،وأما مايقال [4] : " من أن ادعاء [5] عدم الاستطاعة اذا كان بخلق الله تعالى كان فعلا له لا لهم ويصدق ادعاؤهم " ،فمنشؤه عدم التفرقة بين الفعل وخلقه ،وتوهم أن من خلق الكفر مثلا يكون متصفا به ،وذلك جهالة عظيمة .

قوله : (وما مزيدة) لتأكيد معنى القلة ،لانافية لأن مافي حيزها لا يتقدمها ، ولأنه وان كان بمعنى لا يؤمنون قليلا فضلا عن الكثير ،لكن ربما يوهم — سيما مع التقديم — أنهم لا يؤمنون قليلا بل كثيرا ،وأما المصدرية فلا مجال لها ،وانما لم يجعل " قليلا " من صفة الأحيان كما في :" قليلا ماتشكرون [6] " لأنهم لم يؤمنوا قط ، نعم اذا كانت(القلة في معنى العدم) فهو محتمل .

قوله : (وقيل غلف) أخر هذا عن تفسير " فقليلا مايؤمنون " ليقع بعد تفسير تمام الآية على الوجه المرضي .

---

(١) أي اللديغ: كأنهم تفاءلوا له بالسلامة ،وقيل : لأنه أسلم لما به .
(٢) لعل النسخة التي اعتمد عليها السعد كانت على ذلك الحذف ،لأن نص الحديث في الكشاف ١ / ١٢١ " مازالت أكلة خيبر تعادني .. " بدون حذف المضاف ،وانظر مسند الامام أحمد ٦ / ١٨ ،والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٣٨، والنهاية في غريب الحديث ١ / ١٨
(٣) قوله " تعالى" ناقص من خ .
(٤) اشارة الى ماذهب اليه الفاضل اليمني في تحفة الاشراف ١ / ١٠٠ .
(٥) " ادعاء " ناقصة من ط .
(٦) من الآية ١٠ من سورة الأعراف.

قوله : (لا يخالفه) يعني فيما يتعلق بالنبوة وما يدل عليها من العلامات ونحو ذلك مما وافق فيه القرآن التوراة .

قوله : (وقد وصف كتاب بقوله : من عند الله) .. هذا صحيح في مقام دفع السؤال وازالة الاستبعاد ، ولا يضره احتمال كون الظرف لغوا متعلقا بجاءهم ، فان قيل : اذا جعل الظرف مستقرا فجعل الحال من ضميره أقرب ، قلنا : بل تقييد المجيء بالحال أنسب .

قوله : (وجواب لما محذوف) اشارة الى ضعف ما يقال أن قوله : " فلما جاءهم ماعرفوا " جواب لما ، اذ لم يجيء في فصيح الكلام جواب لما الا فعلا ماضيا بدون الفاء (١) ، وأما ما يقال أن لما / الثانية تكرار للأولى والفاء للاشعار بأن مجيئه كان ١٢٦
عقيب استفتاحهم به (٢) ، فليس ببعيد لأن " ماعرفوا " حاصل الكتاب .

قوله (٣) : " وكانوا من قبل يستفتحون " حال مما قبله ، واستقام النظم لما بين الكتاب والنبي المستفتح به من الاتصال حتى أن الاستفتاح به استفتاح به (٤) .

قوله : (والمخصوص بالذم أن يكفروا (٥)) هذا انما يصح لو قال : كفروا ، بلفظ الماضي لظهور أن ما باعوا به أنفسهم واستبدلوها به في الماضي ليس هو أن يكفروا في المستقبل .

قوله : (حسدا وطلبا) فيه بيان جهة التعبير عن الحسد بالبغي وهو في الأصل : الطلب ، ويجوز أن يكون من البغي بمعنى الظلم ، (وهو) أي " بغيا " (علة اشتروا) ، وقال القاضي : " علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل " (٦) ، يعني أن المخصوص بالذم وان لم يكن أجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله لكن لا خفاء في أنه أجنبي بالنسبة الى الفعل الذي وصف به تمييز الفاعل ، والقول بأن المعنى على ذم ما باعوا به أنفسهم حسدا وهو الكفر ، لا على ذم ما باعوا به أنفسهم وهو الكفر

---

(١) التبيان في اعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١ / ٣٤ .
(٢) مفاتيح الغيب للامام الرازي ١ / ٤١٤ .
(٣) أي قول الله تعالى لا قول الزمخشري .
(٤) الضمير الأول يعود الى النبي والثاني الى الكتاب .
(٥) في تفسير قوله تعالى : " بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله .. " الآيتين ٩٠ـ ٩١ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٢٣ .
(٦) انظر أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي ١ / ٩٧ .

حسدا [١] + تحكم .

قوله : (فصاروا أحقاء) ، دل على الاستحقاق العطف بالفاء على " اشتروا " التى ساقته ، وفيه دلالة على تضاعف الجريمة بقوله : " بغيا " فصح استحقاق ترادف الغضب ولهذا اختار [٢] الوجه الأول فى جهة استحقاق ترادف الغضب وقوله : " بغضب " حال ، و " على غضب " صفة له .

قوله : (مطلق) أى غير مقيد بعليهم أو على غيرهم ، ثم لفظ " ما " عام فدل على كل كتاب ، وجعل " ويكفرون " (حالا) اما على حذف المبتدأ ، أو تجويز الواو فى المضارع المثبت ، ولم يجعله عطفا على " قالوا " بقصد الاستحضار والاستمرار لأن الحال أدخل فى رد مقالتهم ، أى قالوا ذلك مقارنا بالشاهد على بطلانه ، وقوله : " وهو الحق " حال مما وراءه ، وتعريف الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى أنه خاصة هو الحق الذى يقارن تصديق كتابهم ، ولولا الحال أعنى " مصدقا " لم يستقم الحصر لأنه فى مقابلة كتابهم وهو أيضا حق .

قوله : (ثم اعترض عليهم) ، فان قيل : المدعون هم اليهود المعاصرون ، والقائلون للأنبياء من قبل هم الماضون ، على أن تقييد المضارع بقوله : " من قبل " لا يستقيم ، قلنا : هو حكاية الحال الماضية كأنه قيل : فلم كنتم تقتلون ؟ ومعنى " نؤمن بما أنزل علينا " جنس اليهود من المعاصرين والماضين فايمانهم ايمانهم ، وفعلهم فعلهم فالاعتراض عليهم اعتراض عليهم ، وقد يجاب بأن المعنى : فلم ترضون بقتلهم ؟ الا أن فى تعلق " من قبل " بتقتلون بعض نبوة / عنه . ١٢٦ب

قوله : (يجوز أن يكون حالا) [٣] ، لو جعل " اتخذتم " من قبيل : اتخذ خاتما ، بمعنى صنعه وعمله ففائدة الحال ظاهرة ، وان جعل بمعنى (عبدتم العجل) على ما ذكره المصنف ، وحقيقته اتخذتموه معبودا ، ففائدته زيادة التوبيخ والتقبيح ، وأما الإعتراض ففائدته ظاهرة ، حيث لم يقيد ظلمهم بكونه فى العبادة بل مطلقا وعلى سبيل العادة ، وانما قيد فى الحال ليحسن تقييد الفعل به وارتباطه بالفعل ، فان الحال يجب أن [٤] يكون بمنزلة التبع للفعل ، ومبنى كلامه على ما عرفت من أنه لا يخصص

---

(١) لعله يقصد صاحب كشف الكشاف حيث قال : " المعنى على ذم الكفر الذى أوثر على الايمان بغيا ، لا على ذم الكفر المعلل بالبغى " انظر الكشف الورقة ٥٥ ب

(٢) ط ، م : اختاروا .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون .. " الآيتين ٩٢ - ٩٣ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٢٤ .

(٤) كلمة " أن " ناقصة من م .

الاعتراض بأثناء الكلام أو فيما بين الكلامين المتصلين .

قوله : (وكرر رفع الطور) أى حديثه وما نيط به حيث قال أولا : " واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه "(١) الى آخره ، وههنا مكان " اذكروا مافيه " " اسمعوا " ، ومكان " ثم توليتم " " قالوا سمعنا وعصينا " ، والزيادة التى ليست فى الآية الأولى هى قوله : " وأشربوا فى قلوبهم العجل "(٢)

قوله : (كيف طابق ؟) يعنى أن جواب اسمعوا اما سمعنا ، واما لا نسمع ، من غير ذكر شىء آخر ، فأجاب بأن هذا انما يكون اذا أمروا بمطلق السماع ، وههنا قد أمروا بسماع مقيد فأجابوا بنفيه باعتبار انتفاء القيد ، فهو مطابق .

قوله : (أى تداخلهم حبه) يريد أنه على حذف المضاف ، وأنه من قولهم : أشرب الثوب الصبغ ، اذا تداخل الصبغ أجزاءه تداخل الماء أعضاء الشارب ، كأنه جعل شاربا اياه ، وفى حذف المضاف واسناد أشرب الى أنفسهم من المبالغة ما لا يخفى كأنهم أشربوا بجملتهم العجل نفسه ، ثم ذكر القلوب على طريق البيان للمكان ، لا على طريق أن تكون هى المشربة ، كما لو ذكرت بطريق البدل مثلا ، ألا ترى أن فى قوله تعالى : " يأكلون فى بطونهم نارا "(٣) لا يسند الأكل الى البطن ؟ فههنا وان صح اسناد أشرب الى القلوب لكن ذكرت بطريق ما لا يسند .

قوله : (واضافة الأمر الى ايمانهم) يعنى اسناده اليه(٤) (تهكم ، وكذلك اضافة الايمان اليهم) أما الثانى فظاهر كما فى قوله : " ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون "(٥) تحقيرا واسترذالا ودلالة على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم ، وليس المراد أنه استعارة تهكمية فليتأمل ، وأما الأول فلأن الايمان انما يأمر ويدعو الى عبادة من هو غاية فى العلم والحكمة ، فالاخبار بأن ايمانهم يأمر بعبادة ما هو غاية فى / البلادة غاية التهكم والاستهزاء سواء جعل يأمر به بمعنى يدعو اليه ١٢٧ أ أولا وسواء قصد الاسناد الى السبب الباعث مجازا كما قد يتوهم أولا كما هو الحق .

---

(١) الآية ٦٣ من سورة البقرة .
(٢) فى م زيادة " بكفرهم "
(٣) من الآية ١٠ من سورة النساء .
(٤) فى خ : يعنى اسناده الى ايمانهم ، وفى ط : يعنى اسناد يأمر اليه .
(٥) من الآية ٢٧ من سورة الشعراء .

قوله : (تشكيك في ايمانهم) لاستحالة الشك على المتكلم على ماهو أصل " ان " ، والأولى أن يحمل على الفرض والتقدير كما ذكر في مواضع ، اذ لم يعهد استعمال " ان " لتشكيك السامعين .

قوله : (خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة [1]) لأن الخبر هو الظرف أعني " لكم " ، ومن لم يجوز الحال من اسم كان بناء على أنه ليس بفاعل جعلها حالا من الضمير المستكن في " لكم " ، لكن اللائق بالنظر النحوي أنه فاعل ، اذ قد اسند اليه الفعل على طريقة القيام به ، وان لم يكن قائما به ، ولذا لم يعدوه في الملحقات بالفاعل ، ولقد صرح بذلك من قال : ان الأفعال الناقصة ماوضع لتقرير الفاعل على صفة ، وذلك لأن الأفعال الناقصة أفعال عندهم ولا شيء من الأفعال بلا فاعل .

وأما الاستدلال على فاعليته بأن كان مسند الى ثبوت قيام زيد ، والثبوت مسند الى قيام زيد ، والقيام الى زيد ، فيكون كان مسندا الى زيد بالواسطة مع تأخر زيد عنه ، فيكون فاعلا اذ لا معنى للفاعل سوى ماأسند اليه الفعل مقدما عليه ، فليس بشيء ، لأنا لا نسلم أن المسند الى المسند الى شيء مسند الى ذلك الشيء بالمعنى المعتبر عند النحاة ، ألا ترى أن زيدا في : أعجبني قيام زيد ، ليس فاعل أعجبني ولا مسندا اليه ؟ .

فان قيل : هلا جعل " خالصة " خبر " كان " و "لكم " ظرفا لغوا متعلقا بكان أو بخالصة قدم للاهتمام كما في قوله تعالى : " ولم يكن له كفوا أحد " [2] ؟ قلنا : لأن الحمل على المستقر أولى ، وتخلل الظرف أعني " عند الله " بين الاسم والخبر لا يحسن ، وكذا تقديم " لكم " على " خالصة " وأما " عند الله " فمتعلق بكان أو بخبره ، ثم تقديم الخبر ان كان لمجرد الاهتمام فذاك ، وان كان للاختصاص ففائدة الحال التأكيد والتبيين .

قوله : (عن المبشرين بالجنة) هذا أعم من العشرة المبشرين المشهورين [3] وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس " الى قوله تعالى : " والله بصير بما يعملون " الآيات ٩٤-٩٦ من سورة البقرة الكشاف ١ / ١٢٤ .

(٢) الآية ٤ من سورة الاخلاص .

(٣) في خ : من العشرة المبشرة المشهورة ، وفي ط : من العشرة المشهورين ، وفي م : من العشرة المبشرة .

أبى وقاص، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح .

قوله: (بين الصفين) : يعنى صفه وصف العدو ، (فى غلالة) : ثوب رقيق يلبس تحت الدرع ، (سقوطه على الموت) : أن يكون عالما بأسبابه ، و (سقوط الموت عليه) : أن يفاجئه الموت[1] .

قوله : (على فاقة) أى حاجة وشوق الى الموت (صفين) موضع كان فيه حرب بين على [رضى الله عنه] [2] ، ومعاوية [رضى الله عنه] [3]

قوله : (وقوله : " ولن يتمنوه ") ليس تفسيرا له ليلزم تقديمه على تفسير " بما قدمت/ أيديهم " بل افادة فائدة بعد تفسير الآية . ١٢٧

قوله : (فان قلت : التمنى من أفعال القلب) [4] ، فان قلت: هذا اعادة للسؤال الأول بعينه من غير قدح فى الجواب المذكور ، قلت: بل هو قدح فى الجواب بمنع الملازمة بناء على أن التمنى عمل القلب فلا يطلع عليه أحد فلا ينقل ، فعدم النقل لذلك لا لعدمه من أصله ، فقوله : (فمن أين علمت) معناه أن السؤال باق .

فأجاب بأن التمنى فعل اللسان دون القلب ، والا لما وقع به[5] المباراة والمنازعة فى الغلبة ، لأن ذلك فى أفعال القلب محال ، واليه الاشارة بقوله : (ومحال أن يقع التحدى بما فى الضمائر) يقال : تحدى أقرانه أى باراهم ونازعهم فى الغلبة ، وليس المراد ههنا [6] اظهار المعجزة والزام مثله على ما وهم ليلزم اختلال الكلام ، ولا حاجة الى جعله بمعنى طلب دفع المعجزة ليلزم ارادة مالا دلالة عليه أصلا .

وقوله : (وليت كلمة التمنى) عطف على ماذكر من الدليل لزيادة التأنيس والتقريب ، لأن المعنى أنها أداة للفعل الذى هو التمنى ، ولا خفاء فى أنها ليست أداة لعمل القلب ، وذلك كما يقال : الهمزة كلمة الاستفهام ، ولعل كلمة الترجى ، وقد يجعل عطفا على مقول القول أى قالوا تمنى وقالوا ليت كلمة التمنى ، وليس بذاك .

---

(١) أنوار التنزيل ١ / ٩٩ .
(٢) مابين المعقوفين يوجد فى م ، خ ، ب وناقص من الأصل ومن ط .
(٣) " " " " " خ فقط وناقص من الأصل ومن م ، ط ، ب .
(٤) الكشاف ١ / ١٢٥ .
(٥) م : لما وقع فيه .
(٦) ب : هنا .

وانما احتاج الى اثبات المقدمة لأن السائل فى مقام المنع ،ثم أجاب على تقديـر التنزل الى كون التمنى فعل القلب بأنهم لو تمنوا لقالوا ،ولو قالوا لنقل ،والملازمتان بينتان ،واليه الاشارة بقوله : (ولو كان التمنى بالقلوب) .

والحاصل : أن التمنى اما فعل اللسان أو فعل القلب ،وأيا ما كان يثبت المدعى وهو أنهم لم يتمنوا ،فان قلت: أصل السؤال غير متوجه لأن الله تعالى أخبر بأنهـم " لن يتمنوه أبدا " وكفى به [(1)] دليلا ،قلت: القصد الى اثبات أنه اخبار صادق عن الغيب ليثبت كونه معجزا ،فيدل على أنه كلام الله تعالى ،فكيف يثبت صدقه بكونه كلام الله تعالى ؟ وهل يكون هذا الا مصادرة؟ نعم يتجه أن يقال : عدم نقل تمنيهم الموت الى الآن لا يدل على عدم تمنيهم أبدا ، ولا محيص سوى أن يكون الخطاب مع المعاصرين وقد انقرضوا ولم يتمنوا ،ويرد عليه أنه لا يحسن حينئذ سؤال "ما أدراك أنهم لن يتمنوا ؟ " بكلمة " لن " ،بل المناسب كلمة " لم " كما قال : (فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا ؟) .

قوله : (من الافتراء) [(2)] أى المفتريات والمحرفات: لأن الأشياء التى قاولوا بها ولم يصدقوا فيها ليست من [(3)] الافتراء والتحريف ونحوهما .

قوله : (ومفعولاه : هم أحرص) بنصب " أحرص" لأن لفظة " هم " حكاية للضمير المتصل المنصوب/ فى " لتجدنهم " . ١٢٨ أ

قوله : (حياة مخصوصة) أى نوعا من الحياة غير معين .

قوله : (لأن معنى " أحرص الناس " أحرص من الناس) فيه بحث ،والأولى : أحرص من باقى الناس ،فانه بعض من المضاف اليه بخلاف من ،ألا ترى الى صحة قولنا : زيد أفضل من الجن ،ولا يصح أفضل الجن ؟ .

قوله : (ويجوز أن يراد) المعطوف فى هذا الوجه هو أحرص المحذوف ،والمعطوف عليه أحرص المذكور ،وفى الوجه الأول المعطوف الجار والمجرور المذكور ،والمعطوف عليه الجار والمجرور المدلول عليه بالاضافة .

قوله : (لأنهم كانوا يقولون) تعليل لاشتراكهم فى أصل الحرص ،متعلق بقوله :

---

(١) قوله "به" ناقص من الأصل .
(٢) الكشاف ١ / ١٢٥ .
(٣) ب: ليست شىء.

(أراد) ،والأحوج الى البيان أصل حرص المشركين وزيادة حرص اليهود على حرص المجوس.

قوله : (كلام مبتدأ) بيان لشدة [1] حرص اليهود لأنهم المراد بالمشركين ،والا لم يكن لهذا الكلام ربط بما قبله ،وعلى هذا فمن الذين خبر مبتدأ محذوف أقيم مقامه صفته التي هي " يود أحدهم " فقد أطبقوا في مثل : " ومنا دون ذلك " [2] ، " وما منا الا له مقام معلوم " [3] على أن الظرف الثاني في موقع المبتدأ على حذف الموصول ، والأول خبر ،مع أن العكس أوفق بالمعنى .

قوله : (وقيل : الضمير لما دل عليه "يعمر") ،وفي الوجهين الأخيرين ضعف من جهة الفصل بالخبر ،وفي أوليهما : من جهة قلة الفائدة في البدل .

قوله : ("يود أحدهم" ماموقعه ؟) سؤال : على الوجه المختار وهو أن لا يكون " من الذين " كلاما مبتدأ ،وسؤال كيفية اتصال " لو يعمر " بيود : على الوجهين ، يعني أن مقتضى القياس بحسب المعنى : " أن يعمر " [4] ليكون مفعول "يود " ، ولهذا ذهب بعض النحاة الى أن " لو " هذه مصدرية بمنزلة " أن " [5] الا أنها لا تنصب ،فأجاب بأنه حكاية لودادة الأحد كأنه قيل : يود أحدهم قائلا : لو أعمر ، بمعنى ليتني أعمر ،الا أنه نظر الى أن لفظ " أحدهم " غائب فذكرت الحكاية بلفظ الغيبة ،كما تقول : حلف ليفعلن ،مقام لأفعلن ،بخلاف ما اذا أتى بصريح القول.

قوله : (فدك) [6] ،موضع بخيبر ، (وأشدها) أي أشد مرات المعاداة ، و (غلاما مسكينا) حال من ضمير (لقيه [7]) ،و (مدارس اليهود) موضع مدارستهم التوراة ، (ثم سألهم) ظاهر ،وفي بعض النسخ : ثم سألوه أي سأل اليهود عمر

---

(١) خ : بيان كثرة .
(٢) من الآية ١١ من سورة الجن .
(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات.
(٤) أي مكان " لو يعمر "
(٥) البحر المحيط ١ /٣١٤.
(٦) في تفسير قوله تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه .. " الآيتين ٩٧ ،٩٨ من سورة البقرة ،الكشاف ١ /١٢٦ .
(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي ١ /٢٣٨ - ٢٣٩ .

فأجابهم بما أجاب،وجرى كلام فقالوا الى آخره (١) .

قوله : (أكفر من الحمير) لأن الكفر نتيجة الجهل والبلادة والحمار مثل فيهما ، وقيل : لأن صاحبه يعلفه وهو يرمحه وذلك كفران ،وقال الميدانى " قولهم : أكفر من حمار ،وهو رجل من عاد يقال له : حمار بن مويلح ،كان له واد طوله مسيرة / يوم ١٢٨ ب
فى عرض أربعة فراسخ ،لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ،فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا ،فكفر وقال : لا أعبد من فعل هذا ،ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله ،فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه فضرب به المثل (٢) " ،فيجوز أن يكون (الحمير) عبارة عنه وعن قومه الذين كفروا .

قوله : (أى حفظه اياك) يعنى أن معنى التنزيل المسند الى جبريل هو التحفيظ والتفهيم كأنه جعله نازلا بالقلب حالا فيه ،والا فالمنزل حقيقة هو الله تعالى .

قوله : (كيف استقام ؟) يعنى أن من شأن الشرط والجزاء الاتصال بطريق السببية واللزوم فى الجملة ،فأجاب بأن الجزاء محذوف مسبب عن المذكور ،أى من كان عدوا لجبريل فلا وجه لمعاداته أو فلها وجه ،ولكل من التقديرين وجه ظاهر من الكتاب وحاصله : أن تنزيله القرآن المصدق لكتابهم من حيث أنه يوجب صحة كتابهم نعمة فى حقهم لا وجه لكفرانها ومعاداة موليها ،ومن حيث أنه يوجب صدق القرآن الموافق لكتابهم الجاء لهم الى مايكرهون واتيان بما لا يحبون ،وهو سبب المعاداة .

فان قيل : هذا التقدير أيضا لا يفيد سببية مضمون الشرط لمضمون الجزاء ،وهو ظاهر ،قلنا : يحمل على سببيته للاخبار بمضمون الجزاء كما فى قوله تعالى : "وما بكم من نعمة فمن الله " (٣) وقد أشرنا الى ذلك . وقيل : التقدير من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزله على قلبك .

قوله : (وأن عداوة الملائكة كفر) مبنى دلالة الكلام على ذلك أن (٤) الجزاء مرتبط بمعاداة كل واحد مما ذكر فى الشرط ،لا بالمجموع .

قوله : (وهم أشرف) هذه خلافية مشهورة (٥) ، أدلتها فى الكلام .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢ / ٣٨٤ ـ ٣٨٦ .
(٢) عبارة الميدانى : فضربت به العرب المثل فى الكفر . انظر مجمع الأمثال ٢ / ١٠٤ .
(٣) من الآية ٥٣ من سورة النحل .
(٤) كلمة " أن " ناقصة من الأصل .
(٥) عند المعتزلة الملائكة أشرف ،أما عند أهل السنة فالأنبياء أشرف . انظر حاشية عليان على الكشاف ١ / ١٢٧ ،ومفاتيح الغيب للرازى ١ / ٢٨٩ .

قوله : (وعاقبه) وجه الدلالة على ذلك أن مجرد المعاداة ظاهر معلوم[1] فحمل على الكناية لتكثير الفائدة ،وقيل : هو تفسير ،اذ لا معنى للمعاداة من الله تعالى الا المعاقبة ،واستفيدت الشدة من تأكيد الجملة الاسمية ،ولا خفاء في ثبوت المعاداة قبل العقاب فلا يتم ماذكر الا اذا أريد بالعقاب ارادته .

قوله : (والأحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب)[2] لأن الآية نزلت فيهم ، وطرفيها كلام في شأنهم ،والوصف بالتمرد أليق بحالهم .

قوله : (الواو للعطف على محذوف) اذ لا مجال للوجه الآخر وهو العطف على الكلام السابق ،وتوسيط الهمزة لغرض يتعلق بالمعطوف خاصة ،ولم تحمل قراءة اسكان الواو[3] على كونها عاطفة أسكنت اسكان الهاء في " وهو " لأنه لم يثبت مثل ذلك في الواو العاطفة ،بل حملت على أنها أو العاطفة للفعل / بعدها أعني " نبذه " المقيد ١٢٩
بالظرف قبله أعني " كلما عاهدوا عهدا " على صلة الموصول الذي هو اللام في " الفاسقون " ميلا الى جانب المعنى (كأنه قيل : الا الذين فسقوا أو نقضوا) ، وان لم يصح ابتداء وقوع صريح الفعل بعد اللام سيما مع تقديم[4] معموله ،وأشار الى معنى " كلما " وتعلقه بنبذه بقوله : (نقضوا عهد الله مرارا كثيرة) .

"أو" في مثل هذه المواضع تفيد تساوي الأمرين في الوقوع ،مع أن الثاني أبعد وأليق بأن لا يقع فتحمل على أنها بمعنى بل ،وقد أثبتها الثقات وشهد بها الاستعمال ودلت عليها ههنا القرينة ،أعني قوله : " بل أكثرهم لا يؤمنون " ترقيا الى الأغلظ فالأغلظ ،وقوله : (أو نقضوا) تصوير للعطف وتنبيه على أن مرجعه الى عطف الفعلية على الفعلية من غير نظر الى تعيين الفاعل ،والا ففاعل " نبذ " ليس ضمير الموصول بل " فريق منهم " .

---

(١) خ ،م : ظاهرة معلومة فحملت .
(٢) في تفسير قوله تعالى : " ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون .. " الآيات ٩٩ -١٠١ من سورة البقرة ،الكشاف ١ /١٢٧ .
(٣) انظر البحر المحيط ١ /٣٢٣ ،وأنوار التنزيل ١ /١٠١ .
(٤) م : تقدم .

قوله : (بعد مالزمهم تلقيه) يعني أن النبذ وراء الظهر يقتضي سابقة الأخذ في الجملة ، وهذا في حق التوراة ظاهر ، وانما الخفاء في الترك ، وفي حق القرآن بالعكس ، فجعل أخذه هو لزوم التلقي بالقبول ، وترك التوراة هو الكفر بمحمد عليه السلام .(١)

قوله : (لا يدخلهم فيه شك) خبر آخر لأن أي كأنهم لا يعلمون أنهم عالمون به من غير شك ، ودل على رصانة علمهم وضع الظاهر موضع المضمر حيث قال : " من الذين أوتوا الكتاب " دون منهم .

قوله : (والشعوذة)(٢) تروى بالجر والنصب ،(٣) في الأساس : " هي خفة في اليد وأخذ كالسحر ، وكذا الشعبذة ، وقيل للبريد : الشعوذي ، لخفته "(٤)

قوله : (أي على عهد ملكه) يعني أنه على حذف المضاف ، وليست على صلة التلاوة بل من قولهم : كان هذا على عهد فلان ، أي في وقته وزمانه .

قوله : (تسخر الانس) : استعملهم بلا أجر ، بهته بكذا : قال عليه ذلك(٥) الذي لم يقله ، (وسماه) عطف على (بهتت) أو على مايتضمنه (دفع) من معنى الفعل ، كأنه قال : دفع ذلك وسماه كفرا .

قوله : (علم السحر) هو مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأقوال تترتب عليها أمور خارقة للعادة ، ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرا ، وعده نوعا من الكبائر مغايرا للاشراك لا ينافي ذلك ، لأن الكفر أعم والاشراك نوع منه .

قوله : (عرفت الشر) هو لأبي نواس وآخره :

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه(٦)

قوله : (الضمير لما دل عليه " من أحد ") وهو الناس ، وليس " أحد " ههنا في معنى الجماعة حتى يصح عود ضمير الجمع اليه كما سيجيء في مواضع من هذا الكتاب

---

(١) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل .
(٢) في تفسير قوله تعالى : " واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان .. " الآية ١٠٢ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٢٨ .
(٣) الجر عطفا على " السحر " ، والنصب عطفا على " كتب" .
(٤) أساس البلاغة مادة (شعذ) .
(٥) في م زيادة " الشيء "
(٦) وروى بدل " من الناس" : من الخير ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٢٩ .

لقوله: " فلا تكفر " بالافراد ، وقد يتوهم صحة عود ضمير الجمع الى المفرد الواقع في سياق النفي نكرة وليس/ بذاك . ١٢٩ ب

قوله: (من حيلة وتمويه) يشير الى أن السحر لا حقيقة له وانما هو تمويه وتخييل كالشعوذة لكنه فوقها (١) ، والجمهور على خلافه اذ لا معنى لانزال علم لا حقيقة له على الملكين .

قوله: (ابتلاء منه) (٢) دفع لما يتوهم من أن مثل: (الفرك (٣) والخلاف) قبيح لا يليق بالحكيم خلقه .

قوله: (التي لا يؤمن) في الظاهر صفة (للفلسفة) لكن ينبغي أن يرجع الى (تعلمها) لأنه الذي قد يجر وقد لا يجر ، وأما هي نفسها فغواية .

قوله: (وقد ذكر وجهه فيما بعد) يعني في تفسير سورة الشعراء حيث قال : " وقرأ الحسن : " وماتنزلت به الشياطون (٤) " ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين (٥) ويبرون وفلسطين وفلسطون [فتخير بين أن يجري الاعراب على النون وبين أن يجريه على ماقبله فيقول : الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا : يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون " (٦) .

قوله: (من الهرت) ، يقال : هرت اللحم ، اذا طبخه ، وهرت الثوب اذا مزقه ، وهرت عرضه : اذا طعن فيه ، و (المرت) مفازة لا نبات فيها .

قوله: (وقرأ الأعمش: وماهم بضاري) (٧) ، نعم ماقال ابن جني أن " هذا من أبعد الشواذ " (٨) وذلك أنه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف الذي هو " به " ثم جعل المضاف اليه هو الجار والمجرور جميعا ، ولم يصلح أن تكون " من " مقحمة لتأكيد معنى الاضافة كاللام في " لا أباله " لأن هذه اضافة لفظية الى المفعول ليست بمعنى من .

---

(١) الكشاف ٦٥٦/٤ ، وحاشية عليان على الكشاف ١ / ١٢٩ .
(٢) الكشاف ١ / ١٢٩ .
(٣) الفرك: البغض بين الزوجين .
(٤) الآية ٢١٠ من سورة الشعراء ، وانظر البحر المحيط ١ / ٣٢٦ .
(٥) يبرين : موضع .
(٦) الكشاف ٢٦٧/٣ بتصرف .
(٧) البحر المحيط ١ / ٣٣٢ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٠٣ .
(٨) المحتسب في القراءات لابن جني ١ / ١٠٣ .

قوله : (كيف أثبت لهم العلم أولا ؟) فان قيل : انما يتوجه السؤال لو كان متعلق العلم فى موضعى الاثبات والنفى واحدا ، وليس كذلك ، فان المثبت هو العلم بأن من استبدل كتب السحر واثرها على كتاب الله تعالى فانه لا نصيب له فى الآخرة ، والمنفى هو العلم بسوء ما فعلوا من استبدال كتب السحر وايثارها على أنفسهم .

قلنا : مآل الأمرين واحد ، وتقرير الجواب أن المنفى ليس هو العلم بما ذكر بل العمل بموجب العلم ، كأنه قيل : لو كانوا يعملون بموجب علمهم ويجرون على مقتضاه (١) ، وجواب لو محذوف أى لا رتدعوا عن تعلم السحر وايثار كتبه ، أو لكان خيرا لهم . ومن الغريب مايقال : أن قوله : " يعلمون " جواب لو وخبر كان محذوف أى لو كانوا يعلمون يعملون بعلمهم .

فان قيل : الشرط فى مثل هذه المواقع يكون قيدا لما تقدمه ، ولا يقدر له جواب سوى مضمون الكلام السابق ، قلنا : نعم الا أنه اذا كان مضمون الكلام السابق متحققا على الاطلاق من غير تقييد كسوء ماباعوا به أنفسهم / وحسن مثوبة الله ، لزم التأويل أى لعملوا بمضمونه وجروا على مقتضاه ، واجتنبوا ما هو شىء مذموم ، وآثروا ما هو بالخيرية موسوم . ١٣٠ أ

فان قيل : فحينئذ لا حاجة الى تأويل نفى العلم بنفى العمل لصحة قولنا : لو كانوا يعلمون سوء السحر لاجتنبوه ، ولو كانوا يعلمون خيرية الثواب لهم (٢) لاختاروه .

قلنا : انما وجب التأويل فى الأول لما تقدمه من صريح الاثبات فليتدبره ، واللام فى " ولقد علموا " جواب القسم ، وفى " لمن اشتراه " ابتدائية تعلق العلم عن العمل (٣) " ولبئس ماشروا " عطف على جملة القسم والجواب ، أو على الجواب وعطف الانشاء على الاخبار كثير .

قوله : (كيف أوثرت) (٤) ، يرد على السؤال أن الاسمية لا تصلح جواب لو : أما لفظا فلاطباق النحاة على أنه لا يكون الا فعلية ماضوية (٥) ، وأما معنى فلأن خيرية

---

(١) م ، خ : ماالتقضاه .
(٢) قوله " لهم " ناقص من خ .
(٣) قوله " عن العمل " ناقص من م .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون .. " الآيات ١٠٣ – ١٠٥ من سورة البقرة . الكشاف ١ / ١٣٠ .
(٥) خ : ماضية .

المثوبة لا تتقيد بايمانهم واتقائهم ،ولا تنتفي بانتفائهما ،فالأولى أن الجواب محذوف أي لأثيبوا .

وعلى الجواب[1]أن الاسمية انما تدل على ثبات مدلولها ،وهو كون المثوبة خيرا لا على ثبات المثوبة ،وما ذكره انما يتم لو قيل : لمثوبة لهم .

والجواب: أنه ماضوية تقديرا ،اذ الأصل لأثابهم الله تعالى مثوبة ،فعدل الى : مثوبة لهم ،للدلالة على ثبات المثوبة لهم واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى ،ثم الى : مثوبة من عند الله خير ،تحسيرا لهم على حرمانهم الخير وترغيبا لمن سواهم في الايمان والتقوى .

قوله : (على سبيل المجاز) عن الارادة لأن التمني على الله تعالى محال بخلاف ارادة مالا يقع ،وأما عند أهل الحق القائلين باستحالتها فلا يجوز حملها على التمني الا حكاية على معنى أنهم بحال يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم .

قوله : (وأحسنوا سماع مايكلمكم) يريد أنه لا فائدة في الأمر بنفس السماع الحاصل عند سلامة الحاسة المنفي عند اختلالها ،فوجب الحمل على مايفيد ،وبينه بوجوه ثلاثة[2] ،ومعنى الثالث: اسمعوا ماأمرتم به من قوله : "قولوا انظرنا" أو قوله : "لا تقولوا راعنا" فانه أمر بترك تلك الكلمة .

قوله : (والثانية) يعني التي في "من خير" "مزيدة للاستغراق) لأن "خير" نكرة في سياق النفي بالواسطة حيث وقع فاعل "أن ينزل" وهو مفعول "يود" الداخل عليه "ما" النافية فيعم فتفيد من الاستغراقية زيادة في العموم وتأكيدا ، وليست من هذه صلة محضة .

قوله : (واذهابها لا الى بدل)[3] قد يتوهم ههنا اشكال وهو أن الآية صريحة في أن الاتيان بالخير/ أو المثل للنسخ والنسء جميعا فكيف يكون النسء ١٣٠ ب
اذهابا لا الى بدل ؟ والجواب: أن الخير أو المثل المأتي به لا يلزم أن يكون بدلا

---

(١) أي ويرد على الجواب .
(٢) كلمة "ثلاثة" ناقصة من خ .
(٣) في تفسير قوله تعالى : "ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .." الآيات ١٠٦ — ١١٠ من سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٣١ .

لأن معنى البدل [1] أن يشتمل على تبديل للحكم المنسوخ وبيان لانتهائه ،وبالجملة يكون [2] له تعلق بالآية المنسوخة ،والمأتي به لا يلزم أن يكون كذلك كما لو أذهب آية الرجم مثلا وأتى بآية ايجاب الزكاة .

ثم لا يخفى أن النسخ والنسوء بالتفسيرين كليهما نسخ باصطلاح الأصول ، فهو أعم ،وقد قوى هذا الاشكال على بعضهم حتى حمل كلامه على ما هو قريب من التحريف ،وهو أن في الجزاء أعني " نأت " الى آخره حذفا أي ما ننسخ من آية نأت بخير منها أو مثلها ،وما ننسى من آية لم نأت ببدلها [3] .

وقد يستدل بالآية على أن نسخ الكتاب لا يجوز شرعا الا بالكتاب ليكون ذلك اتيانا بالخير أو المثل ،وهو انما يتم لو أريد بالخير أو المثل آية أخرى على مافسره في الكتاب ،أما لو أريد أمر آخر وحكم سواء كان بطريق الوحي المتلو أولا فلا [4] .

قوله : (اكثر للثواب) ،قيل : معناه أشد تكثيرا للثواب ،والأولى اكثارا ،يقال : أكثر الله ماله ،أي كثره ،وقيل : هو من كثرته : غلبته في الكثرة ،على ما هو قياس في المغالبة [5] ،وليس بشيء لأنه لا يفيد المقصود ،أعني التعدية الى المال الا بمعنى لأجل المال أو في المال أو بالمال ،وحينئذ فليكن (أكثر) على أصله من غير تكلف .

ثم ههنا بحث في أن ذكر الخير أو المثل بطريق اللف والنشر بأن يرجع الخير الى النسخ ،والمثل الى النسوء أو لا بل يصح أن يرجع كل الى كل ،والظاهر الثاني اذ لا امتناع في أن يأتي بعد الانساء بآية يكون العمل بهما اكثر ثوابا .

قوله : (فهو يقدر [6]) ،الأنسب أن الخير الأول صفة بمعنى المتصف بالخيرية ،والثاني اسم تفضيل ،والثالث مصدر .

---

(١) م : لأن معنى الاذهاب الى بدل .
(٢) قوله " يكون " ناقص من الأصل .
(٣) انظر تحفة الأشراف ١/ ١٠٣ .
(٤) م : فلا يتم .
(٥) خ : في باب المغالبة .
(٦) ألكشاف ١/ ١٣١ .

قوله : (لما بين) اشارة الى تفسير " أم تريدون أن تسألوا رسولكم " ، وجواب لما (أراد أن يوصيهم) ، و (مما يتعبدهم به) بيان (لما هو أصلح لهم) ، و (أن لا يقترحوا) عطف على (الثقة) لكونه داخلا في حيز التوصية ، وانما ذكر التوصية بلفظ " أم " المنقطعة بمعنى بل ، والهمزة الانكارية : مبالغة في النهي حتى كأنهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال ، يعني أن من شأن العاقل أن لا يتصدى لارادة ذلك ، وقوله تعالى (١) " كما سئل " بلفظ المبني للمفعول ترشيح لهذا المعنى ، بمعنى أن من يسأل مثل هذا السؤال حقيق بأن يصان عن ذكره المقال ، والا فالمناسب/ أن يشبه سؤالهم بسؤال قومه ، أو سؤال نبينا بسؤال ١٣١
موسى عليهما الصلاة والسلام .

ثم ذيل الكلام بقوله : " ومن يتبدل الكفر بالايمان " وفسره بترك الثقة الى الاقتراح ، ليرتبط بما قبله من الكلام ، هذا والأنسب ماتشعر به عبارة الكتاب وهو أن " ما " موصولة و " كما " في موضع مفعول " أن تسألوا " أي كالأشياء التي سئلها موسى [عليه الصلاة والسلام] (٢) ، وذلك لأن الانكار عليهم انما هو لفساد المقترحات وكونها في العاقبة وبالا عليهم ، وما أشرنا اليه من كونها مصدرية في موضع المفعول المطلق هو المذكور في تفسير الكواشي (٣) .

قوله : (واما أن يتعلق) عطف على (أحدهما أن يتعلق) ميلا مع المعنى ، ووجه التعلق بحسدا : أن يكون مستقرا صفة له ، أي حسدا كائنا من عند أنفسهم بمعنى متبالغا منبعثا منها ليكون مفيدا ، والا فحسدهم لا يكون الا من عند أنفسهم ، وبود : أن يكون لغوا لأن الود يبدأ من عند أنفسهم ، وقوله : (وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم) تحقيق لذلك لا تنبيه على أنه مستقر صفة مصدر محذوف كما يقال في خرجت من البصرة : أن الخروج كائن من البصرة .

قوله : (بصير : عالم) اشارة الى نفي الصفات وأن ليس معنى السمع والبصر في حقه تعالى سوى تعلق الذات بمعلومات خاصة .

---

(١) قوله " تعالى " ناقص من م .
(٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٣) قال الكواشي : " كما سئل : الكاف منصوبة محلا ، صفة مصدر محذوف ، وما مصدرية أي سؤالا مثل سؤال " .
انظر تبصرة في التفسير الورقة ٣١ ب .

قوله : (فلف بين القولين) [١]-لقائل [٢] أن يقول : لما كان اللف بطريق الجمع كان المناسب أن يكون النشر كذلك لأن رد السامع مقول كل فريق الى صاحبه فيما اذا كان الأمران مقولين ، وكلمة "أو" لا تفيد الا مقولية أحد الأمرين ، والجواب : أن مقول المجموع لم يستلزم دخول الفريقين ، بل دخول أحدهما ، لكن بعضهم هذا بالتعيين ، وبعضهم ذاك بالتعيين .

قوله : (متصل بقولهم) أى من جهة المعنى ، فان طلب البرهان يكون متعلقا بالدعوى فالاعتراض يكون بين كلامين متصلين معنى ، فكأنه استضعف وجه حذف المضاف فأخره عن بيان كون الجملة اعتراضية ، اذ لا فرق بين الوجهين فى احتمال الاستئناف وعدمه .

قوله : (وأن كل قول) عطف على (أعدم شىء) بتقدير مضاف ، أى بيان أن كل قول ، أو المعنى: ودال على أن كل قول ، ووجه الدلالة : أنه ألزمهم اقامة البرهان وجعل الصدق بمنزلة الملزوم له .

قوله : (وأن يكون من أسلم فاعلا) عطف على (أن يكون "بلى" ردا) ، ولا خفاء فى أنه على هذا الوجه "بلى" رد لقولهم .

قوله : (الى ما) [٣] أى الى حد ليس بعده حد ، و(لا شىء) جعل بمنزلة
اسم واحد فدخله حرف الجر ، وليست "لا" بمعنى غير/ كما فى قوله تعالى "لا فارض ١٣١ ب
ولا بكر [٤]" واطلاق لفظ الشىء على المحال مبنى على تفسيره بما يصلح أن يعلم ويخبر عنه ، وهو المنقول عن سيبويه [٥] ، وقد سبق [٦] ، وأما قولهم : ان المعدوم الممكن شىء ، بخلاف المستحيل ، فذلك بحث آخر .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : "وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم .." الآيتين ١١١-١١٢ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٣٢ .
(٢) م : ولقائل .
(٣) فى تفسير قوله تعالى : "وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب .." الآيتين ١١٣ ، ١١٤ من سورة البقرة . الكشاف ١ / ١٣٣ .
(٤) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .
(٥) انظر كتاب سيبويه ١ / ٧ ، ولسان العرب مادة (شيأ)
(٦) بالورقة ٧٦ أ .

قوله : (أى مثل ذلك) يريد أن " كذلك " مفعول " قال " ، و " مثل قولهم " مفعول مطلق ، و (لاعلم عندهم) اشارة الى أن " لا يعلمون " متروك المفعول ، و (قالوا لأهل كل دين) بيان وتفسير لقوله : (قال الجهلة) ، وقيل " كذلك " صفة المصدر ، و "مثل قولهم " مفعول " لا يعلمون " أو " كذلك " مبتدأ ، و "مثل قولهم " مصدر أو مفعول " لا يعلمون " .

قوله : (ويجوز أن يحذف حرف الجر) فى الأساس: " منعته الشيء ومنعته منه وعنه " (١) ، واذا جعل " أن يذكر " مفعولا له فالمفعول الثانى محذوف أى العمارة لها أو العبادة فيها أو نحو ذلك ، وقيل : بل الأول أى منع الناس مساجد الله ، وليس تقدير الكراهة من جهة أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل (٢) مقارنا له فيصح حذف اللام لأنه جائز مع أن وأن بدون ذلك ، بل من جهة أن المفعول له اما غاية يقصد بالفعل حصوله (٣) ، أو باعث يكون علة للاقدام على الفعل ، والذكر فى المستقبل ليس واحدا منهما ، وانما الباعث كراهة الذكر ، وقد يقال : ان ذكر الارادة أو الكراهة فى أمثال هذه المواضع بيان للمعنى لا تحقيق أنها على حذف المضاف .

فان قيل : أليس المشرك (٤) أظلم ممن منع مساجد الله ؟ أجيب بأن المانع من ذكر الله تعالى الساعى فى خرابالمسجد لا يكون الا كافرا متبالغا فى الكفر لا أظلم منه فى الناس ، أو المراد من المانعين : الكفرة لأن الكلام فيهم لكن يحمل على عموم الكافر والمانع ، ولا يخص بالمانعين الذين فيهم نزلت هذه الآية ، كما صرح بعموم المساجد مع نزول الآية فى مسجد خاص .

قوله : (والمعنى ماكان) (٥) دفع لما يتوهم من أن الكلام اخبار بأنهم لا يدخلون الا خائفين لكنهم يدخلون (٦) ، يعنى أن الواجب ذلك لكنهم يتركون الواجب ظلما ، ولولا ظلمهم لأتوا به ، أو أن حكم الله تعالى أنهم يصيرون بحيث لا يدخلون الا

---

(١) أساس البلاغة مادة (منع) وعبارته " منعه الشيء ومنعه منه وعنه " .
(٢) وهو " منع "
(٣) م : حصوله بالفعل .
(٤) خ : البشر المشرك .
(٥) الكشاف ١ / ١٣٤ .
(٦) وقد ذهب الى أن الكلام اخبار بذلك : الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ١٠٤ .

خائفين ولو بعد حين ، أو أن اللفظ وان كان فى صورة الخبر فهو فى معنى النهـى عن تمكين الكفرة من الدخول ، والتخلية بينهم وبين المسجد الحرام ، فتكون حجـة للشافعى رحمه الله [١] ، ولهذا أخر هذا الوجه عن بيان الاختلاف فى جواز دخولهم ، لكن لا يخفى أن العبارة انما تفيد نهيهم عن الدخول كما فى قوله تعالى: "وماكان لكن أن تؤذوا رسول الله " [٢] لا نهى المؤمنين عن التمكين والتخلية ، ولو حاصـل الوجه الأول / ، ويحتمل أن يكون معناه أن ذلك هو الحق الثابت لولا ظلمهم ، وانما ١٣٢أ
لم يثبت لظلمهم .

قوله : (أنهك ضربا) من أنهكه السلطان عقوبة ، (وأبلغ اليه [٣]) يقال : أبلغت الى فلان أى فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه والبليغ .

قوله : (وهو مثل صيم) [٤] فى أن القياس خوف وصوم وانما اجترئ على قلب الواو ياء لقربها من الطرف .

قوله : (ففى أى مكان) [٥] يعنى أن أين ظرف لا مفعول به ، فمفعولا " تولوا " محذوفان ، ولا دلالة للكلام على جواز التوجه الى أى جهة كانت ، ومن جعل الآيـة نازلة فى صلاة المسافر الى أى جهة كانت ، أو حملها على التولية للدعاء والذكر دون الصلاة ، لم يقدر للتولية مفعولا ، لكن لا يبقى حينئذ لظرفية " أينما " كثير معنى ، ولا وجه لحمله على الجهة المتوجه اليها بمعنى أى جهة تولوا وجوهكم على أن يكون مفعولا به ، اذ هو لازم للظرفية ، هذا ولكن شاع فى الاستعمال : أينما توجهوا ، بمعنى الى أى جهة توجهوا .

قوله : (يريد الذين قالوا) [٦] يعنى أن الضمير لمن سبق ذكرهم من النصارى واليهود والمشركين الذين لا يعلمون .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ١ / ٤٦٣ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى ١ / ١٠٧ .
(٢) من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .
(٣) مفاتيح الغيب للامام الرازى ١ / ٤٥٩ .
(٤) البحر المحيط ١ / ٣٥٨ .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله .. " الآية ١١٥ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٣٤ .
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه .. " الآية ١١٦ مـن سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥ .

قوله : (أى كل مافى السموات) يعنى ليس المضاف اليه [1] المحذوف هو "واحد " أى كل واحد على ما هو الشائع فى كل اذا كان منونا ،لأنه لا يناسب " قانتون "بلفظ الجمع ،بل (مافى السموات والأرض) جميعا ،بقرينة سبق الذكر ،أو البعض منــــه خصوصا أى (من جعلوه ولدا) بقرينة المقام ،فحاصل القنوت على الأول : الانقيـاد لأمر التكوين ،وعلى الثانى : الانقياد لأمر التكليف .

قوله : (كيف جاء بما الذى [2] لغير أولى العلم) من المعارف أن السؤال انمــا يتوجه على الوجه الأول حيث جعل " قانتون " خبرا عن (كل مافى السموات والأرض) دون (كل من جعلوه ولدا) ،والجواب لا ينطبق عليه اذ لم تقع " ما " عبارة عن ذوى العلم خاصة كما يشعر به التمثيل بقوله : سبحان ماسخركن لنا ،والتنبيه على النكتة بقوله : (وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لشأنهم) ،ووجه التقصى : أنه بنى السؤال على الوجه الأول لأنه المعول عليه ،ووجه تطبيق الجواب أنه عبر عن العقلاء وغيرهــم بلفظ " ما " تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوا ولدا لله تعالى ، كما عبر عن الملائكة فى مثل هذا المقام بلفظ الجنة المنبئ عن التستر والخفاء [3] فكان هذا من قبيـل : ماسخركن لنا ،حيث عبر عن ذوى العلم خاصة بلفظ " ما " الدال على ابهام الوصـف تعظيما لشأنه على ماسيأتى ،فصار الحاصل ان اطلاق "ما " على أولى العلم فى ضمن الموجودات بقصد [4] الابهام / والتحقير كاطلاقه على ذى العلم خاصة فى تلك الآية ١٣٢ ب لقصد الابهام والتعظيم .

فان قيل : فعلى هذا يكون وجه الاستبعاد هو مجرد اطلاقه على أولى العلـم ، سواء كان مع قوله : " قانتون " أو لم يكن فلا معنى لذكره ،قلنا : معناه كيف غلب غير العقلاء وأتى بلفظ " ما " مع تغليب العقلاء فى نفس هذا الكلام من حيث جمع الخبر بالواو والنون فوقع فى الخبر تغليب العقلاء وفى المبتدأ عكسه ؟ فأجاب بأن تغليب العقلاء : على الأصل ،وعكسه : لنكتة التحقير ،وهذا مايقال أن "له مافى السمـوات

---

(١) خ : المضاف له .

(٢) عبارة الكشاف ١ / ١٣٥ : التى .

(٣) أى فى قوله تعالى : " وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا " من الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٤) م ،خ : لقصد .

والأرض " اشارة الى مقام الألوهية والعقلاء فيه بمنزلة الجمادات ، و"كل له قانتون " الى مقام العبودية والجمادات فيه بمنزلة العقلاء .

وأما تقرير السؤال بأنه كيف جاء بما لأولى العلم ، ففيه مانع هو ترك المناسبة مع مانع آخر هو قوله : " قانتون " اذ فيه ترك المطابقة ؟ فلا يساعده لفظ الكتاب .

وقد يقال : السؤال انما هو على الوجه الثاني حيث أريد بما في السموات والأرض من جعلوه ولدا ، وليس بشيء اذ ليس في كلامه ما يشعر بأن المراد بما في السموات والأرض هو من جعلوه ولدا ، وكون المضاف اليه (١) المقدر : من جعلوه لا يقتضي ذلك ، فليتدبر .

فان قيل : قد سبق أن " ما " يعم العقلاء وغيرهم فكيف بت القول بأنه لغير العقلاء ؟ قلنا : سيجيء أن ذلك انما هو في موضع الابهام ، وأنه اذا وقع التمييز فرق بين ما ومن .

قوله : (بزع الرجل) (٢) ، في الأساس : " غلام بزيع : ظريف ذكي ، وهو من صفات (٣) الأحداث ، وتبزع الغلام : تظرف " .

قوله : (من اضافة الصفة) قد تقرر فيما بين النحويين أن الصفة اذا أضيفت الى الفاعل كان فيها ضمير يعود الى الموصوف فلا تصح الاضافة الا اذا صح الاتصاف ، مثل : حسن الوجه ، حيث يصح اتصاف الرجل بالحسن لحسن وجهه ، بخلاف حسن الجارية ، وانما يصح زيد كثير الاخوان ، لاتصافه بأنه متقو بهم ، فعلى هذا لا يصح بديع السموات والأرض لامتناع اتصافه بذلك الا اذا أريد أنه مبدع لها ، وذلك صحيح الا أن من قال : انه بمعنى المبدع لم يرد هذا المعنى ، بل انه فعيل بمعنى المفعل كالسميع بمعنى المسمع ، فلذا اعترض المصنف بأنه لا يثبت (٤) لذلك ، ولا استشهاد في البيت لأن داعي الشوق لما دعا القائل صار هو سميعا لدعوته ، فتسبب لكونه سميعا

(١) قوله " اليه " ناقص من خ .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " الآية ١١٧ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٣٥ .

(٣) عبارة الأساس مادة (بزع) ، وهي من صفة .

(٤) حيث قال : وفيه نظر ، انظر الكشاف ١ / ١٣٥ ، واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٥٩٣ .

فأوقع على الداعي اسم السميع لكونه سببا فيه كقوله :

اذا رد عافي القدر من يستعيرهـــــا [1]

على أن الشاذ لا يصح القياس عليه ان ثبت/. والبيت لعمرو بن معد يكرب، و (ريحانة) اسم اخته [2]، و (الداعي) يعني داعي الشوق فاعل الظرف المعتمد على الاستفهام، ويؤرقني [3] حال، أو صفة على زيادة اللام كما في اللئيم [4]. ١٣٣ أ

قوله : (مجاز من الكلام) الأشبه أن من للبعضية (وتمثيل) من عطف الخاص على العام لقصد البيان، ووجهه : أنه شبهت الحالة التي تتصور من تعلق ارادتـه تعالى بشيء [5] من المكونات، وبسرعة ايجاده اياه من غير امتناع ولا توقف بحالة أمـر الآمر النافذ تصرفه للمأمور [6] المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال، فأطلق على هذه الحالة ماكان يستعمل في تلك الحالة من غير أن يكون هناك قول وأمر.

وهكذا شبه أبو النجم حالة ضمور الراحلة ولصوق بطنها بظهرها بحالـــة أن يكون من أمر أمر للبطن باللحوق واللصوق بالظهر بأن يقول له : الحق، فيمتثل ويلحق وتمام البيت :

قد ما فأضت كالفنيق المحنـــق [7]

المسعة بكسر النون هي التي تنسج عريضة للتصدير والقدم بالضم : المضي والاقدام،

---

(١) سبق تحقيقه في الورقة ٥٠ أ.

(٢) في مشاهد الانصاف ١ / ٤٦ أن ريحانه أخت دريد بن الصمة، التمس عمـرو منه زواجها فأجابه ومطله، وكذلك في تنزيل الآيات ٤٣٨.

(٣) أي في الشطر الثاني من البيت هو :

يؤرقني وأصحابي هجـــوع

انظر فتوح الغيب ١ / ٦٣، وأنوار التنزيل ١ / ١٠٨، وتنزيل الآيات ٤٣٨، ومشاهد الانصاف ١ / ٤٦.

(٤) تلميح الى قول الشاعر : ولقد أمر على اللئيم يسبني، وقد سبق تحقيقه في الورقة ٢٥ ب.

(٥) قوله "بشيء" ناقص من الأصل.

(٦) م، خ : في المأمور.

(٧) أضت أي صارت، ويروى البيت "اذا قالت" و "قد قالت" انظر مشاهـــد الانصاف ١ / ١٣٥، والخزانة ٣ / ١٠، والخصائص ١ / ٢٣، والحجة في القراءات ١ / ٢٤٨، والأغفال ٢٨٣، وأساس البلاغة مادتي (حنق)، و (قول)، ولسان العرب مواد (حنق)، و (قول)، و (دحي).

مضى قدما لا ينثنى ، والفنيق الفحل المكرم عند أهله ، والمكرم لا يؤذى ولا يركب ، وفى الأساس : " أحنق الفرس وغيره : اذا التحن (١) بطنه بصلبه ضمرا ، قال : كالفنيق المحنق " ، وفى الصحاح : " أحنق سنام البعير أى ضمر ودق ، والمحانيق الابل الضمر " (٢) الواحد المحنق ، وقد يقال : المحنق الحقود من حنق عليه اشتد غيظه وأحنقه غيره ، وهو وهم .

وما ذكره المصنف من حمل الكلام على التمثيل هو المعول عليه عند الجمهور ، وذهب بعضهم الى أنه حقيقة (٣) ، وقد جرت السنة الالهية بأن تكون الأشياء بكلمة " كن " فيكون المأمور هو الحاضر فى العلم ، والمأمور به هو الدخول فى الوجود .

وأما القول بأنه استعارة تحقيقية من غير احتياج الى تشبيه حالة اعتبارية مأخوذة من عدة أمور بل هو تشبيه حال بمقال ، فلا يخفى فساده ، اذ لابد فى المشبه من اعتبار تعلق الارادة ، فيكون الشىء وسرعة حصوله بلا توقف وامتناع ، وفى المشبه به (٤) من تعلق قول (٥) الآمر المطاع النافذ التصرف ، وسرعة امتثال المأمور ، وحصول المأمور به .

قوله : (أكد بهذا) أى بقوله : " واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " (استبعاد الولادة) المدلول عليه بقوله : " سبحانه " .

قوله : (استكبارا) (٦) أى قالوا : (لولا يكلمنا الله) استبعادا (٧) ، وقالوا : لولا تأتينا آية ، جحودا وانكارا واستهانة .

قوله : (ينصفون فيوقنون) ، يعنى لقوم يوقنون ايقانا صادرا عن الانصاف ، ليكون اذعانا وقبولا ، فيكون ايمانا / لأن مجرد الايقان بدون الاذعان والقبول ، بل مع اباء ١٣٣ ب
واستكبار ليس بايمان ، بل كأنه ليس بايقان ، يعنى أنهم تيقنوا أنها آيات واجبة

---

(١) عبارة الأساس مادة (حنق) ، اذا التصق .
(٢) الصحاح مادة (حنق) .
(٣) وقد ذهب الى ذلك ابن كثير فى تفسيره ١ / ٢٩٤ وانظر معالم التنزيل للبغوى ١ / ٢٩٤ .
(٤) قوله "به" ناقص من م ، خ
(٥) فى الأصل : قبول .
(٦) فى تفسير قوله تعالى: " وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية .. " الآية ١١٨ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٣٥ .
(٧) هكذا فى كل النسخ والصواب: استكبارا .

القبول لكن لم يذعنوا لها عنادا واستكبارا ،فللاشارة الى هذا المعنى زاد قيد الانصاف وتمام تحقيق هذا الكلام فى شرح المقاصد فى بحث الايمان (١) .

قوله : (وتصميمهم) (٢) ، فى الأساس: " صمم على الأمر: مضى على رأيه فيه (٣) ".

قوله : (مافعل أبواى؟) (٣) أى مافعل بهما ؟والى أى شئ انتهى أمرهما ؟ ، (ان المستخبر) على لفظ اسم المفعول ،و (يامستخبر) على لفظ اسم الفاعل .

قوله : (وان أبلغت)(٤) أى بالغت ولم تقصر على ماتشعر به كلمة "لن " .

قوله : (فحكى الله عز وجل) يعنى ليس قوله تعالى (٦) " ولن ترضى " ابتداء اخبار من الله تعالى بعدم رضاهم ،بل حكاية عنهم أنهم قالوا ذلك بطريق التكلم ، ليطابقه قوله : " قل ان هدى الله هو الهدى " على طريق الجواب عن مقالتهم .

قوله : (يعنى أن هدى الله) بيان لما دل عليه ضمير الفصل ،وتعريف الخبر باللام ،واطلاق الهدى المناسب للكامل الذى هو الهدى الحق ،ونفس المسمى الذى يصلح لاطلاق اللفظ والعموم الذى هو كل الهدى ،ووجه كون هذا الكلام جوابا عن مقالتهم : أنهم كانوا ادعوا أن ملتهم هى الهدى لا هدى سواها ،فقلبت عليهم القضية (٧) .

قوله : (أى من الدين المعلوم) لأن الذى أوحى اليه هو المعلوم لا العلم نفسه .

قوله : (دون المحرفين) (٨) يعنى أن بناء الفعل على المبتدأ وان كان اسما

---

(١) شرح المقاصد للتفتازانى ٢ /٢٤٧ـ٢٥٣ .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم " الآية ١١٩ من سورة البقرة ،الكشاف ١ /١٣٦ .
(٣) أساس البلاغة مادة (صمم) .
(٤) البحر المحيط ١ / ٣٦٨ ،وأسباب النزول للسيوطى ١ /١٨ .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . . " الآية ١٢٠ البقرة .
(٦) قوله " تعالى " زائد فى م .
(٧) فهو من قبيل قصر القلب . .
(٨) فى تفسير قوله تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به . . " الآية ١٢١ البقرة ،الكشاف ١ /١٣٦ .

ظاهرا — يفيد الحصر مثل : " الله يستهزئ بهم " (١) .

قوله : (حيث اشتروا) دل على ذلك أن الخسران انما يكون فى تجارة واستبدال .

قوله : (مجاز) (٢) لاستحالة حقيقة الابتلاء ممن لا يخفى عليه شئ ، وحاصله : أنه شبه بالاختيار بناء الأمر على الاختيار ، وقد يقال أنه مجاز باعتبار اطلاق الفعل (٣) على ارادة ما هو الغاية منه ، وهذا ما قال الراغب : (٤) " ان الابتلاء والبلاء يتضمن أمرين : تعرف ما يجهل من حاله ، وظهور جودته ورداءته بعد ، فربما قصد الامران ، وربما قصد أحدهما ، فاذا نسب الى الله تعالى فهو الأمر الثانى " (٥) ، وكأنهم لم يجعلوه من ابتلاه الله تعالى بكذا اذا أصابه بما يكرهه ويشق عليه اما لأن [(٦) حمل الأوامر والنواهى على المكاره وغيرها من البلايا ليس بمناسب ، واما لأنه ايضا اختبار ، فانه قد يكون بالخير ، وقد يكون بالشر ، وأما قراءة ابن عباس رضى الله عنه (٧) فانما حملها أيضا على المجاز لأن الابتلاء والاختبار وان صح من العبد لكن لا يصح أولا يحسن تعليقه بالرب .

قوله : (فتعليق الضمير به) أى بالفاعل أى بجعله / مضافا اليه ، واضافة الفاعل ١٣٤ أ اليه مع عوده الى المفعول المتأخر تقديرا ، والقصد من هذا السؤال تقرير المسألة وتفصيلها ، والا فمثله ليس مما يسأل .

قوله : (المستكن فى " فأتمهن ") يجب أن يعود الى ما وقع مفعول " ابتلى " لأن الفعل الواقع فى مقابلة الاختبار يجب أن يكون فعل المختبر اسم مفعول .

قوله : (ويعضده) أى يعضد تفسير اتمام الكلمات باعطاء ما طلب من غير نقصان :

---

(١) من الآية ١٥ من سورة البقرة .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن .. " الآيتين ١٢٤ ، ١٢٥ البقرة ، الكشاف ١ / ٣٦ لـ ١٣٨ .

(٣) فى الأصل : باطلاق الفعل .

(٤) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، أديب لغوى ، حكيم ، مفسر ، من تصانيفه مفردات ألفاظ القرآن وتحقيق البيان فى تأويل القرآن وغير ذلك توفى سنة ٥٠٢ هـ انظر روضات الجنات ٢٤٩ .

(٥) المفردات فى غريب القرآن ٦١ – ٦٢ بتصرف .

(٦) ما بين المعقوفين وهو من قوله " فتخيير بين أن يجرى الاعراب " فى الورقة ١٢٩ ب الى هنا ناقص من ط .

(٧) أى برفع ابراهيم ونصب ربه ، انظر البحر المحيط ١ / ٣٧٥ ، وأنوار التنزيل ١ / ١١٠ .

تفسير مقاتل الكلمات بالمسئولات المذكورة التى أعطاها الله تعالى واستجابها ،وقيل : أى يعضد كون المستكن لله تعالى لأنه لما كان السؤال من ابراهيم كان الاتمام أى الاعطاء من الله تعالى .

قوله : (نحو واذكر) (١) ،الظاهر أنه حينئذ مفصول به الا أن يقال : المراد واذكر الحادث اذ ابتلى ،وحينئذ فالقول بأنه مفعول (٢) اذكر يكون تجوزا .

قوله : (على الأول) أى على تقدير أن يكون عامل " اذ " مضمرا ،سواء كان اذكر أو غيره ، (وعلى الثانى) أى على تقدير أن يكون العامل " قال انى جاعلك " فانـــه يكون حينئذ (٣) معمولا متأخرا ،والواو داخلة على " قال " عطفا على ماقبله عطـــف القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله: " يابنى اسرائيل اذكروا " .

قوله : (ويجوز أن يكون بيانا) ،لا خفاء فى أن هذا انما هو على الوجه الأول وعلى قراءة العامة ،وكذا الاستئناف أيضا انما هو عليها ،وقد يقال ان جواز البيان يتأتى على الوجه الثانى أيضا ،فانه يجوز فى قولك : أعطاه حين أكرمه ،أن يكون اعطــاؤه بيانا لا كرامه ،فكذا قولك : قال له انى جاعلك حين ابتلاه ،وهذا وان كان له وجـه استقامة من جهة المعنى لكن لا يتبين به موقع " قال " سوى أن يكون جملة معطوفـــة فلا يكون وجها آخر ،فليتأمل .

قوله : (فيراد بالكلمات) ماذكره من الأمور ليتحقق تعددها ،لا مجرد القـــول بأنى جاعلك للناس اماما ،فانها واحدة ،لكن فى دخول الأمور الأربعة (٤) فى حيـــز " قال " خفاء لا يخفى .

قوله : (الفرق) هو تفريق شعر الرأس فى الجانبين ، (والاستحداد) استعمال الحديد لحلق العانة .

قوله : (عشر فى براءة) بأن يضم الى التسعة المذكورة الايمان المشار اليه بقوله : " وبشر المؤمنين (٥) " أو قوله : " ان الله اشترى من المؤمنين (٦) " ، (وعشر فـــى

---

(١) الكشاف ١ /١٣٧ .
(٢) م : مفصول .
(٣) خ ،م : حينئذ يكون .
(٤) وهى الامامة ،وتطهير البيت ،ورفع قواعده ،والاسلام .
(٥) من الآية ١١٢ من سورة التوبة .
(٦) من الآية ١١١ من سورة التوبة .

الأحزاب من قوله : " ان المسلمين والمسلمات " الى قوله : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات " (1) ، (وعشر فى المؤمنون وسأل سائل) ، من قوله فى المؤمنون : " الذين هم فى صلاتهم خاشعون " الى قوله : " والذين هم على صلواتهم يحافظون (2) " ، وفى سأل سائل : من قوله : " الذين هم على صلاتهم دائمون " الى قوله : " والذين هم على صلواتهم يحافظون " (3)

فان قيل : المذكور فى السورتين أربعة عشر : ست فى المؤمنون ، وثمان فى سأل / سائل ، واذا أسقط المكرر ، وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظون عليها ، ١٣٤ ب والذين فى أموالهم حق معلوم غير الفاعلين للزكاة لشموله ما يوصل به الأقارب والأصحاب ، ليرجع ما فى السورتين الى عشر ، لم يتحقق فى كل من براءة والأحزاب عشر لتكرر المؤمنين .

قلنا : يجوز أن يجعل الدائمون أيضا غير المحافظين ، أو يجعل الراعون للأمانات والعهد آيتين ليتحقق فى السورتين أحد عشر ، وفى براءة والأحزاب تسعة عشر ، فيكون المجموع ثلاثين ، لكن لا يبقى حينئذ فى كل من براءة والأحزاب عشر .

(والتعريف) (4) أى الوقوف بعرفة ، (على زنة الآلة) أى اسم الالة فان فعالا من صيغ الآلة كالازار والرداء وغير ذلك .

قوله : (عطف على الكاف) فيه أن الجار والمجرور لا يصلح مضافا اليه فكيف يعطف عليه ؟ وأن العطف على الضمير المجرور كيف يصح (5) بدون اعادة الجار ؟ وأنه كيف جاز (6) كون المعطوف مقول قائل ، والمعطوف عليه مقول قائل آخر ؟ .

فدفع الأولين بأن الاضافة اللفظية فى تقدير الانفصال ، و " من ذريتى " فى معنى بعض ذريتى ، (فكأنه قال وجاعل بعض ذريتى) ، وهو صحيح ، والثالث بأنه لعطف التلقين (كما يقال لك : سأكرمك ، فتقول : وزيدا) ، أى وتكرم زيدا ، تريد تلقينه ذلك ، ولم يجعله بتقدير أمر أى واجعل بعض ذريتى ، احترازا عن صورة الأمر ودلالة على أنه كأنه واقع كائن ألبتة .

---

(1) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب
(2) الآيات ٢ـ٩ من سورة المؤمنون .
(3) الآيات ٢٣ـ٣٤ من سورة المعارج .
(4) الكشاف ١ / ١٣٧ .
(5) خ : كيف صح .
(6) كلمة " جاز " ناقصة من الأصل .

قوله : (بريئا من الظلم) كأنه يريد أن الله تعالى قد استجاب دعاءه ، وانه أراد البعض البرئ من الظلم ، ووجه دلالة الآية (على أن الظالم لا يصلح للامامة) والخلافة ابتداء ظاهر ، وأما أنه لا يصلح لذلك بحيث ينعزل بطرءان الظلم فلا ، وبنى كلامه على أن الفسق نوع من الظلم ، وما ذكر (من عدم جواز حكمه وشهادته) وغير ذلك خلافيات مذكورة في الفقه .(١)

و (الدوانيقى) هو أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني عباس ، لقب بذلك لأنه زاد دانقا (٢) في الخراج ، والياء للاشباع كالصياريف ، نقل أنه أراد أبا حنيفة رضى الله عنه (٣) على القضاء فأبى وأصر ، فحبسه ومات في الحبس ، وقيل : انه سقاه السم لأنه كان يفتي بامامة ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن على رضى الله عنهم ، وهما اللذان ادعيا الامامة في زمن الدوانيقى ، وأما زيد ابن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم فانما ادعى الخلافة في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان قبل الدوا/نيقى بمدة فقتله أمير الكوفة من قبله يوسف ١٣٥ أ
بن عمر الثقفي عليه ما يستحق ، وعاش أبو حنيفة الى زمن المنصور الدوانيقى ، فكلام المصنف يجب أن يحمل على أن أبا حنيفة كان يفتي بالخروج مع زيد بن على رضى الله عنهما على من هو لص متغلب شبيه بالدوانيقى ، فان هشاما ايضا من هذا القبيل(٤)

قوله : (يثوبون) (٥) يعني أن الزائرين يثوبون اليه بأعيانهم وأنفسهم ، أو بأمثالهم وأشباههم ومن يقوم مقام أنفسهم ، لظهور أن الزائر ربما لا يثوب بل قلما يثوب ، لكن صح اسناد الثوب الى الكل لاتحادهم في الاسلام وقصد الحج والعمرة ، و " الناس " للجنس ولا دلالة على أن كل فرد يزور فضلا عن الثوب ، فما يقال أن المراد بالأعيان الأشراف حملا للناس على الكاملين (٦) ، أو أن المراد بالثوب القصد على ما هو مقتضى الديانة (٧) ، تعسف وتكلف .

---

(١) مفاتيح الغيب للامام الرازى ١ / ٤٧٨ ، ٤٧٩ .
(٢) الدانق بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم .
(٣) قوله " رضى الله عنه " ناقص من خ .
(٤) البحر المحيط ١ / ٣٧٨ .
(٥) الكشاف ١ / ١٣٨ .
(٦) هذا هو رأى الطيبى اذ يقول " التعريف في الناس للجنس والجنس اذا حمل على البعض في مقام المدح أريد به الكمال ، ومن ثم فسره بقوله : أعيان الذين يزورونه " انظر فتوح الغيب ١ / ١٦٦ .
(٧) وهو ما ذهب اليه الطيبى أيضا . انظر المرجع السابق .

قوله : (كقوله تعالى : " حرما آمنا ") [١] ،فان قيل : هذا القدر كاف فيما قصد من كون " آمنا " بمعنى موضع آمن فما معنى ضم " ويتخطف الناس من حولهم " اليه ؟ قلنا : هو بيان لوجه كونه آمنا ،كأنه قيل : لأن أهله يسكنون فيه فلا يتخطفون [٢] (ولأن الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له) ،وبهذا ظهر المعطوف عليه ،ثم لا خفاء فى أن وصف الحرم بكونه آمنا اسم فاعل مجاز ،لأن الآمن هو الساكن والملتجىء ، وكذا اذا جعل مافى الآية أعنى " وأمنا " على لفظ المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو جعل البيت لفرط الأمن عنده ، كأنه الأمن نفسه مثل :

فانما هى اقبال وادبار [٣]

أما اذا حمل على حذف المضاف أى موضع أمن فلا مجاز .

قوله : (لأنه مثابة لكل) [٤] ،يعنى أنه وان كان واحدا بالذات متعدد باعتبار الاضافات.

قوله : (دون الوجوب) بدليل الآية الدالة على جواز الصلاة والتولية شطر المسجد الحرام فى أى مكان اتفق من غير تفرقة بين المكتوبة وغيرها ،ونزول الآية بعد سؤال عمر رضى الله عنه [٥] ربما يشعر بوجوب أن يؤثر بالصلاة فيه ،لكن الاجماع يدفعه ،أو نقول : وجب أن يؤثر بكون الصلاة فيه أحب ،على مايشعر به لفظ (الفضل) أو (التبرك) .

قوله : (ورمل) أى أسرع ،والشوط : جرى مرة الى غاية ، (ومشى) أى بلا سرعة [٦] ، و (المقام) موضع القيام ،وقد قام ابراهيم عليه السلام [٧] على الحجر حقيقة وفى ذلك الموضع توسعا ،فكل منهما مقام ابراهيم ،وقد صار علما للموضع.

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة العنكبوت.
(٢) خ : ولا يتخطفون.
(٣) للخنساء ،وقد سبق تحقيقه فى الورقة ٨٦أ .
(٤) و " مثابات " قراءة الأعمش وطلحة ،انظر البحر المحيط ١/ ٣٨٠ ،وأنوار التنزيل ١/ ١١١ .
(٥) صحيح البخارى ٤/ ٦٦ ،وصحيح الترمذى ١١/ ٨١ ،وتفسير الطبرى ٣/ ٣٠ ،وأسباب النزول للسيوطى ١/ ١٨ .
(٦) والحديث فى صحيح مسلم ٩/ ٦ ،وصحيح الترمذى ٤/ ٩٠ ،وسنن النسائى ٢/ ٣٨ ،وسنن ابن ماجة ٢/ ٩٨٣ ،وتفسير الطبرى ٣/ ٣٦ .
(٧) خ : عليه الصلاة والسلام .

قوله : (وعن عمر رضى الله عنه) (١) ،قال ذلك لما وقع سيل الجحاف ،وقلع الحجر من مكانه مرميا الى أسفل مكة ،وعرف/ ذلك المطلب من أبي وداعة خاصة ، ١٣٥ ب لأنه قد ذرع من مكان الحجر الى البيت بخيط كان محفوظا عنده ،فأتى به وقويس ، ثم أمر عمر رضى الله عنه بضرب سد يمنع السيل عن المسجد ،وهو باق الى الآن •

قوله : (الحرم كله مقام ابراهيم) (٢) ،لأنه كان اتخذه مقاما ومسكنا حيث أسكن ذريته فيه ،فمعنى الأمر استحباب أداء العبادات فيه لمن تيسر ،أو وجوب التوجه اليه للآفاق كما فى قراءة " واتخذوا " بلفظ الماضى (٣) فانه ليس بمعنى أن الناس كانوا يصلون فيه بل اليه •

قوله : (بأن طهرا أو أى طهرا) ،يعنى أن كلمة " أن " مصدرية أو مفسرة ، وجعل أن المصدرية موصولة بالأمر والنهى مما يقول هو به (٤) ،والجمهور على أن صلتها لا تكون الا خبرية كموصولات الأسماء •

قوله : (أو المعتكفين) ،يقال : عكف على الشىء أى أقام مواظبا ،وكل من المجاور والمعتكف مقيم مواظب ،وأما جعله بمعنى (الواقفين) فكأنه من عكفوا حول الشىء استداروا ،والا فالعكف انما يكون بمعنى الوقف المتعدى يقال : عكفه ،اذا حبسه ووقفه ،ومنه قوله تعالى : " والهدى معكوفا " (٥) .

قوله : (هذا البلد أو هذا المكان) (٦) ،فعلى الأول يكون المسئول نفس الأمن ،وعلى الثانى يجوز أن تكون البلدية أيضا مسئولة ،وسيجىء لهذا زيادة بيان فى قوله : " اجعل هذا البلد آمنا " (٧) فى سورة ابراهيم ،و " آمنا " يحتمل أن يكون من باب النسب كلابن وتامر و "عيشة راضية " (٨) فيمن جعلها بمعنى ذات رضى ،لا بمعنى مرضية اسنادا للمبنى للفاعل الى المفعول ،ويجوز أن تكون اسنادا الى المكان مجازا كما فى ليل نائم الى الزمان •

---

(١) الكشاف ١/١٣٨ •
(٢) معالم التنزيل للبغوى ١/ ٣٠٧ •
(٣) وهى قراءة نافع وابن عامر ،انظر البحر المحيط ١/ ٣٨٠ ،وأنوار التنزيل ١/١١٢ •
(٤) خ : به هو •
(٥) من الآية ٢٥ من سورة الفتح •
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات " الآية ١٢٦ سورة البقرة ، الكشاف ١/١٣٨ •
(٧) من الآية ٣٥ من سورة ابراهيم ،وانظر الكشاف ٢/ ٤٣٤ •
(٨) من الآية ٧ من سورة القارعة •

قوله: (عطف على من آمن) عطف تلقين كأنه قال: قل: وارزق من كفر أيضا ، فانه مجاب ، وما ذكر من أن المعنى ، وأرزق بلفظ المتكلم ، تقرير للمعنى لا تقرير للفظ ، والذى يقتضيه النظر الصائب أن يكون هذا عطفا على محذوف أى أرزق من آمن ومن كفر ، بلفظ الخبر ، واجعلنى اماما وبعض ذريتى ، بلفظ الأمر ، فيحصل التناسب ويكون (١) المعطوف والمعطوف عليه مقول واحد .

قوله: (والزاما للحجة له) اللام الأولى تقوية فى المفعول الثانى ، والثانية فى الأول .

قوله: (فأنا أمتعه) ، قدر المبتدأ لتصح الفاء .

قوله: (فأضطره فألزه) هو فى التنزيل " ثم اضطره " والاعتذار بأنه ذكر بالفاء ايماء الى أنه من مواقع الفاء ليس بشىء ، فى الأساس: " لز هذا بهذا (٢) : قرن به وألصق ، ومن المجاز لزه الى كذا : اضطره/ " اليه ، وبهذا يظهر أن ماذكر فى الكتاب تكلف لاحاجة اليه . ١٣٦ أ

قوله: (فى قال ضمير ابراهيم) ، قال ابن جنى : " وحسن اعادة قال لطول الكلام ، وللانتقال من دعاء قومه الى دعاء آخرين ، ويحتمل أن يكون ضمير قال لله تعالى أى فأمتعه ياقادر يارزاق خطابا لنفسه على طريق التجريد ، ولم يلتفت اليه المصنف لبعده (٣) .

قوله: (شفر) بضم الشين واحد الأشفار وهى حروف الأجفان التى ينبت عليها الشعر .

قوله: (حكاية حال) (٤) كأنه قال (٥) : اذ كان يرفع .

قوله: (وهى صفة غالبة) أى صارت بالغلبة من قبيل الأسماء بحيث لا يذكر له موصوف ولا يقدر .

قوله : (أى أسأل الله أن يقصدك) يعنى أنه مصدر بحذف الزوائد فى موقع (٦)

---

(١) قوله " ويكون " ناقص من الأصل .
(٢) أساس البلاغة مادة (لزز) ، وعبارته : لز الشىء بالشىء الخ .
(٣) عبارة ابن جنى " .. انه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على آخرين ... " انظر المحتسب فى القراءات ١/١٠٥ .
(٤) شروع فى تفسير قوله تعالى : " واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. " الآيات ١٢٧-١٦٦ البقرة ، الكشاف ١/١٣٩ .
(٥) قوله " كأنه قال " ناقص من ط .
(٦) خ : فى موضع .

المفعول المطلق المحذوف على ماصرح به في المفصل [1]، ولا في موقع المفعول به كما ذهب اليه البعض، وتشعر به عبارة الكتاب، وما يقال : المراد أنه مصدر لأن يقعدك أي أسأل الله أن يقعدك تقعيدا ، مما لا قائل به ولا دلالة عليه [2]، بل أن يقعدك تفسير لقعدك، والمعنى : قعدتك الله تعالى تقعيدا ، أي سألته أي يحفظك - والقعيد : الحافظ - وأن يثبتك، كما أن عمرك الله معناه : عمرتك الله تعميرا ، بمعنى سألته أن يعمرك، وحقيقة عمرتك أعطيتك عمرا ، ولا يتصور هذا من المخلوق ، فاستعمل في معنى سألت الله أن يعمرك ، فلما ضمن معنى [3] السؤال عدى الى مفعول آخر أعني اسم الله ، وكذا قعدتك أي جعلتك قاعدا ثابتا - وان لم يستعمل قعدته - سألت الله أن يقعدك أي يثبتك تقعيدا ، ثم اقيم المصدر مقام الفعل مضافا الى المفعول ، فما ذكره المصنف بيان للمعنى لا تقدير للفظ .

قوله : (رفع الأساس البناء عليها) أنث الضمير ذهابا الى القاعدة ، وذكر الوجوه الثلاثة تحقيقا لرفع القواعد ، اذ الظاهر من رفع الشيء جعله عاليا مرتفعا ، والأساس لا يرتفع ، بل هو بحاله ، ووجه جمع القواعد في التأويل الثاني ظاهر لتعدد الساقات ، أي الصفوف من اللبن والطين ، فكل صف من ذلك ساف في الجدار، وأما في التأويلين الآخرين فباعتبار الأجزاء ، كأن كل جزء من الأساس أو من بقية البيت [4] أساس ، والقاعدة على الأخير من قعدت الرخمة [5] اذا جثمت [قال في الصحاح : " جثم الطائر بالأرض اذا تلبد "] [6]

قوله : (استوطأ) [7] أي صار وطيئا ، ولا يوجد في كتب اللغة الا متعديا ، يقال : فلان استوطأ المركب : وجده وطيئا بين الوطاءة .

---

(١) المفصل ١٩ .
(٢) يقصد السعد - على مايبدو - الى توهين ماذهب اليه الطيبي اذ قال : " وانتصاب قعدك على المصدر ، والأصل أسأل الله ان يقعدك تقعيدا " ، انظر فتح الغيب ١/ ١٦٧ .
(٣) كلمة " معنى " ناقصة من خ .
(٤) ط ، خ : من هيئة البيت .
(٥) الرخمة : طائر يشبه النسر في الخلقة .
(٦) الصحاح مادة (جثم) وعبارته " جثم الطائر أي تلبد بالأرض " وما بين المعقوفين ناقص من ط ومن الأصل .
(٧) الكشاف ١/ ١٣٩ .

قوله : (من زمرد) صححه الثقات بضم الزاي والميم والراء وبالدال / المعجمة [(١)] ١٣٦ ب
(برحجك) على لفظ المبني للمفعول من بر الله حجه ، وحج مبرور : لا يخالطه شيء من المآثم ، وقد جاء برحجه غير متعد ، و (أربعين حجة) بكسر الحاء ، و (حراء) ممدود : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث فيصرف ولا يصرف ، وأكثر العرب على منع صرفه .

ألسنا أكرم الثقلين طـــرا * وأعظمهم ببطن حراء نارا ؟ [(٢)]

(تمخض) تحرك وأخذه المخاض [(٣)] ، (عنه) عن الحجر الأسود ، (فيه) في أبي قبيس وهو جبل مشرف على مكة .

قوله : (فلما لمسته الحيض) في صحيح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم [(٤)]

قوله : (كان ابراهيم يبني) يشبه أن يكون تقديم القواعد على عطف اسماعيل اشارة الى هذا .

قوله : (أي يقولان) قدر الفعل ثم جعل المعنى على اسم الفاعل [(٥)] أي (قائلين) اشارة الى أن الأصل في العمل الفعل ، وفي الحال المفرد ، وقيد " السميع " بدعائنا ، و " العليم " بضمائرنا ليرتبط بما قبله ، وكان الأنسب أن يقول أنت السميع فتسمع دعاءنا ، والعليم فتعلم ضمائرنا ، وأخر سؤال القواعد التي هنا ليقع بعد بيان معنى الآية بتمامها ، ومثل هذا كثير في كتابه ، ولا يريد بقوله : (وتبيينها) أن من بيانية ، بل ابتدائية في موقع الحال من القواعد .

قوله : (والمعنى زدنا) ، لأن أصل الاخلاص والاذعان حاصل .

قوله : (لأنهما منه) أي لأن التثنية من الجمع على ما هو رأي البعض من أن [(٦)]

---

(١) وهو في الكشاف ١/ ١٣٩ بالمهملة .
(٢) البيت لجرير كما في كتاب سيبويه ولا يوجد في ديوانه ، وروى
ستعلم أينا خير قديمـــا * وأعظمنا ببطن حراء نـــارا
انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٩ ، ٢/ ١٧٥ ، وكتاب سيبويه ٢/ ٢٤ ، والمقتضب للمبرد ٣/ ٣٥٨ ، والصحاح مادة (حرا) ، وكذلك لسان العرب .
(٣) استعار للجبل ما يحدث للمرأة عند الولادة .
(٤) صحيح الترمذي ٤/ ١٠٨
(٥) م : على اسم فاعل .
(٦) كلمة " أن " ناقصة من خ .

أقل الجمع اثنان ،أو بمعنى أن فى التثنية ضم شئ الى شئ وهو معنى الجمع لغة ،فجاز اطلاق صيغة الجمع عليها بهذه المناسبة [١] ،وقد يتوهم أن فى عبارته قلبا والمعنى : اجراء حكم الجمع على التثنية ،ولا حاجة اليه ،بل معناه اجراؤها على الطريقة التي للجمع ،وهى صحة التعبير عنه بصيغة الجمع .

قوله : (ومن للتبعيض) أى واجعل بعض ذريتى أمة مسلمة ،وهذا ربما يرشد الى أن من ذريتي فى موقع المفعول الأول ،وأنه هو المبتدأ فى الأصل ،لكن مجئ ان من ذريتي أمة بالنصب يدفع ذلك ،ولما كان الأنسب فى مثل هذا الدعاء أن لا يقتصر على البعض من الذرية جوز كون من للتبيين ولم يقطع به لأن من البيانية مع المجرور تكون أبدا من تتمة المبين بمنزلة صفة أو حال ،ولم يعهد كونه خبرا عنه مثل : " الرجس من الأوثان " [٢] بمعنى هى الاوثان [٣] ،ولا محيص سوى أن يقال : المعنى أمة مسلمة هى ذريتى على / التعدى الى مفعول واحد ،أو على أن تكون أمة ١٣٧أ
مسلمة مفعولى جعل .

قوله : (لأن الكسرة منقولة) [٣] اذ الأصل أرئنا كأرعنا .

قوله : (أو استتابا لذريتهما) على حذف المضاف أى تب على ذريتنا ، أو تعبيرا عن الأتباع والفروع بالأصل .

قوله : (ورؤيا أمى) هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بنى زهرة ،رأت فى منامها أنها وضعت نورا أضاءت به قصور الشام من بصرى [٤]

قوله : (فى محل الرفع على البدل [٥]) يعنى الوجه المختار ،والا فالنصب على الاستثناء محتمل .

---

(١) يقول أبو حيان : "قرأ ابن عباس وعوف الأعرابى " مسلمين " على الجمع دعاء لهما وللموجود من أهلهما كهاجر ،وهذا أولى من جعل لفظ الجمع مرادا به التثنية " انظر البحر المحيط ١/ ٣٨٨ .

(٢) من الآية ٣٠ من سورة الحج .

(٣) فى الأصل : مع الأوثان .

(٣) وقراءة الاسكان هذه قرأ بها ابن كثير ويعقوب . انظر البحر المحيط ١/ ٣٩٠ ، وأنوار التنزيل ١/ ١١٣ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٣/ ٨٢ـ٨٣ ،والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٥٨ ومعالم التنزيل للبغوى ١/ ٢٣٤ .

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه .. " الايتين ١٣٠ـ١٣١ البقرة ،الكشاف ١/ ١٤١ .

قوله : (ويجوز أن يكون) تتميم لانتصاب النفس على التمييز لا وجه أخر، أي يجوز تعريف التمييز بالاضافة على الشذوذ كما جاز باللام في البيتين فيمن يجعل المنصوب تمييزا ، وأما على ما أختاره في المفصل من أنه "مشبه بالمفعول لا مميز (١) فالمعنى أنه يجوز تعريف المميز على الشذوذ كما جاز في المشبه بالمفعول الذي حقه التنكير لكونه في معنى المميز واقعا موقعه ، ولا يضره كون ذلك باللام وهي قد تعد زائدة كما في اللئيم (٢) ، بخلاف الاضافة لأن الأضافة (٣) أيضا قد لا يقصد بهـا التعيين ، قال حارث بن ظالم المري :

فما قومي بثعلبة بن بكـر * (ولا بفزارة الشعر الرقابـا)
وقومي ان سألت بنو لؤي ، وروى هم قريش
بمكة علموا مضر الضرابـا (٤)

كان يدعي أنه من قريش وأن أمه قد خرجت به الى مرة وهو صغير فنسب اليهم .
والشعر : جمع أشعر وهو كثير شعر الجسد ، وقال النابغة الذبياني :

فان يهلك أبو قابوس يهلـك * ربيع الناس والشهر الحـرام
ونمسك بعده بذناب عيـش * (أجب الظهر ليس له سنـام (٥))

---

(١) المفصل ٣٥ .
(٢) تلميح الى قول الشاعر:
ولقد أمر على اللئيم يسـبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيـني
وقد سبق تحقيقه في الورقة ٢٥ ب .
(٣) قوله (لأن الاضافة) ناقص من الأصل .
(٤) روى البيتان هكذا :
وما قومي بثعلبة "بن سعد" * ولا بفزارة "الشعرى رقابـا"
وقومي ان سألت بنو لـؤي * بمكة علمو "الناس الضوابـا"
انظر مشاهد الانصاف ١/ ١٤١ ، وتنزيل الآيات ٣٢٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٨ ، والبحر المحيط ١/ ٣٩٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ١٩٣ وللمرزوقي ١/ ١٩٨ ، والبيان والتبين ٣/ ٢٣٤ ، المفضليات ٢/ ١١٣ ، ١١٤ ، ١٠١ ، والأمالي الشجرية ٢/ ١٤٣ ، وديوان المعاني ١/ ١٧٠ ، والأغاني ١٠/ ٢٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٩٩ ، وكتاب سيبويه ١/ ١٠٣ ، والشواهد للعيني ٣/ ٦٠٩ ، ٦١٠ ، والمقتضب ٤/ ١٦١ ، والأشموني ٢/ ٣٦١ ، والانصاف ٧٦ .
(٥) الشعر للنابغة كما قال السعد ، وفي تفسير البيضاوي أنه لجرير ، وليس في ديوانه ، وانما هو في ديوان النابغة ، وتشبيه أبي قابوس — وهو النعمان المعافي بن الحارث الأصغر ملك العرب — بالربيع في الخير وبالشهر الحرام في الأمان : على سبيل الاستعارة التصريحية ، وفي البيت الثاني شبه العيش=

أراد بالربيع: طيب العيش ،وبالشهر الحرام : الأمن ،والأجب : الجمل المقطوع السنام الذى لا متمسك لراكبه ،وذناب الشيء بالكسر : عقبه ،أى نبقى بعده في طرف عيش لا خير فيه •

قوله : (زيد ظنى مقيم) الظرف أعنى فى ظنى خبر مبتدأ ، أى هذا المعنى ثابت فى ظنى ،والجملة اعتراض ،ولو جعل بمعنى مظنونى لم يحتج الى تقدير في قوله : (وتغمص الناس) (١) غمصته بفتح الميم وكسرها : احتقرته •

قوله : (وذلك أنه) بيان لصحة معنى الامتهان والاستخفاف فى هذا المقام •

قوله : (بيان لخطأ) كأنه يشير الى أن الجملة فى موقع (٢) الحال لكن ظاهر أنها جواب قسم محذوف ،فتكون الواو اعتراضية أو عاطفة والمقصود ماذكر ،وجعل " اذ قال " ظرفا لاصطفينا حسن من جهة المعنى ،وتوسيط " وانه فى الآخرة لمن الصالحين " / عطفا على " لقد اصطفيناه " لا يأباه لفظا لأنها تقرير وتأكيد ١٣٧ب
لجملة " لقد اصطفيناه " ،لأن اصطفاءه فى الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة ،ولا حاجة الى أن يجعل اعتراضا أو حالا مقدرة ،وأما اذا انتصب باضمار اذكر فانما يصح (٣) للاستشهاد على ماذكر اذا اعتبر معه الاستئناف الذى هو " قال أسلمت " وانما لم يجعل الظرف متعلقا بقال أسلمت على ماهو الظاهر من مثل : اذا جاء زيد قام عمرو ،لأن الأنسب حينئذ هو العطف لكونه من نمط " اذ ابتلى ابراهيم ربه " فدل ترك العطف على أنه من تتمة " ومن يرغب " الى آخره •

= الضنك الضيق ببعير مهزول على طريق المكنيه ، الذناب والظهر والسنام تخييل ،وروى " والبلد الحرام " بدل " والشهر الحرام " وكذلك " ونأخذ " بدل "ونمسك " انظر ديوان النابغة الذبيانى ٧٣ ،وتنزيل الآيات ٥١٦ ، وأنوار التنزيل ١/ ١١٤ ،ومشاهد الانصاف ١/ ١٤١ ،ومعاهد التنصيص ١/ ٣٣٩ ،ومعانى القرآن للفراء ٢/ ٤٠٩ ،والبحر المحيط ١/ ٣٩٤ ،٢ / ٣٦٠ ،٣٦١ ،وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢/ ١١٩ ،٤/ ١٨٥ ،وللمرزوقى ٤/ ١٦٤٣ ،والخزانة ٣/ ٣٦١ ،٤/ ٩٦ ،والأمالى الشجرية ١/ ٢١ ،٢/ ١٤٣ وديوان المعانى ١/ ٢٧ والأغانى ٩/ ١٦٦ ،وأمالى ابن الحاجب ١٥٩ ، وشرح المعلقات السبع ١٩٥ ،وسيبويه ١/ ١٠٠ ،والعينى ٣/ ٥٧٩ ،والمفصل ١١٩ ،والانصاف ٧٧ ،وتحفة الاشراف ١/ ١٠٧ ،والأشمونى ٢/ ٣٥٩ ، ٣/ ٥٩٠ وأساس البلاغة مادة (جبب) ،ولسان العرب مادتى (جبب وذنب)

(١) والحديث فى مسند الامام أحمد ١/ ٣٨٥ ،٣٩٩ ،٦/ ١٧٠ •

(٢) خ : فى موضع •

(٣) ط ،م : يصلح •

وانما لم يحمل قال له أسلم وأسلمت على الحقيقة أعنى احداث الايمان والاسلام لأن الانبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها ، ولأنه لا يتصور الوحى والاستنباء قبل الاسلام ، وأما الأمر بالطاعة والاذعان لجزئيات الاحكام فيجوز ، وكذا لو جعل أسلم بمعنى استقم واثبت عليه أو اسلم نفسك الى الله تعالى (١) وفوض أمورك اليه .

قوله : (فنزلت (٢)) أى آية " ومن يرغب " الى آخره .

قوله : (والضمير فى بها لقوله : أسلمت) (٣) لا للملة على ماقيل ، لأن قوله : " ووصى " عطف على " قال أسلمت " والمعنى قال ذلك فى حق نفسه ووصى به بنيه بأن يذكروه حكاية عن أنفسهم ، وكون " قال أسلمت " فى معنى نظر وعرف لاينافى بكلمه بهذه الكلمة ظاهرا أوفى نفسه ، ولو سلم فلا يمتنع عود الضمير الى اللفظ الحقيقى مع الاختلاف فى المعنى حقيقة ومجازا بل يجوز ولو لم (٤) يقصد المعنى أصلا ، هذا ولكن ترك المضمر الى المظهر أعنى ابراهيم ربما يرجح العطف على الكلام الأسبق وكون الضمير للملة ، وكذا عطف يعقوب على ابراهيم (٥) فليتأمل .

قوله : (معناه فلا يكن موتكم) تحقيق وتصريح بما هو مدلول اللفظ من حيث كون النهى راجعا الى القيد الذى هو الحال حيث أوقعه خبر كان الذى هو المقصود بالافادة ، وليس هذا نهيا للكون لأنه لمحض الربط ، ولا خفاء فى أن معنى : لا تجىء الا راكبا ، ولا يكن مجيئك الا على حال الركوب ، واحد لاتفاوت الا بتصريح وتوضيح ، كما يقال فى لا تأكل : معناه لا يكن منك الأكل ، وفى لا تأكل السمك وتشرب اللبن : لا يكن أكلك للسمك مقارنا لشرب اللبن ، ثم ليس المقصود النهى عن الموت فى غير حال الاسلام ، لأن الموت ليس بمقدور مع أنه كائن ألبتة ، والقيد وهو الكون على /خلاف ١٣٨ أ حال الاسلام مقدور ، فعاد الكلام الى النهى عن الاتصاف بالقيد والثبات عليه عند حدوث القيد الضرورى لما بين المعنيين من الاتصال والارتباط .

---

(١) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٢) انظر أسباب النزول للسيوطى ١/١٨ .
(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين .. " الآية ١٣٢ البقرة ، الكشاف ١/ ١٤٣ .
(٤) خ : وأن لم .
(٥) فى الأصل : الى ابراهيم

والجمهور على أنه كناية وان كان يحتمل المجاز ، وتقرير الكناية بأن طلب امتناع النفس عن فعل في غير حال يردفه ويلزمه طلب الامتناع عن كونها على غير تلك الحالة عند الفعل : ليس على ماينبغي : لأن أمر الكناية بالعكس ، وكذا تقريرها بأن ههنا كناية بنفي الذات عن نفي الحال كما أن قوله تعالى : " كيف تكفرون "(1) كناية بنفي الحال عن نفي الذات(2) ، وذلك لأن نفي الفعل المقيد بالحال ليس نفيا للذات بل ربما يدعي كونه نفيا للحال .

فان قيل : اذا كان النفي في الكلام المقيد راجعا الى القيد كان مدلول الكلام هو النهي عن كونهم على غير حالة الاسلام عند الموت ولا حاجة الى ماذكر من المقدمات والاعتبارات .

قلنا : اذا كان الفعل مقدورا مثل : لا تجيء الا راكبا فالمنهي هو الفعل في غير حالة الركوب حتى يحصل الامتثال بترك الفعل بالكلية وبالاتيان به في حالة الركوب ، وههنا الفعل ليس بمنهي ألبتة لعدم المكنة ، وانما المنهي هو الكون على خلاف تلك الحالة ، ولا يحصل الامتثال الا بالكون عليها ، ولهذا توجه ههنا سؤال الاستكشاف عن النكتة في ادخال حرف النهي على الفعل مع أنه ليس بمنهي عنه ، ولم يتوجه في مثل : لا تجيء الا وأنت راكب اذا قصد النهي عن المجيء راجلا .

وحاصل الجواب : ان النكتة فيه الدلالة على كون الفعل شبيها بالمنهي الذي حقه أن لا يقع ، ولو وقع كان بمنزلة العدم ، كما أن الأمر بمثل هذا الفعل في مت وأنت شهيد تنبيه على كونه بمنزلة المأمور به(3) الذي حقه أن يقع .

قوله : (هي أم المنقطعة)(4) بمعنى بل للاضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه ، بل بمعنى الأخذ فيما هو أهم وهو التحريض على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم(5) باثبات بعض معجزاته وهو الاخبار عن أحوال الأنبياء السابقين من غير سماع من أحد ولا قراءة من كتاب .

---

(1) من الآية ٢٨ من سورة البقرة .

(2) وهذا ماذهب اليه الطيبي في فتوح الغيب ١/ ١٧١ وتبعه اليمني في تحفة الأشراف ١/ ١٠٨ .

(3) قوله " به " ناقص من خ .

(4) شروع في تفسير قوله تعالى : " أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت .. " الآية ١٣٣ البقرة ، الكشاف ١/ ١٤٤ .

(5) في خ : عليه الصلاة والسلام ، وفي م : عليه السلام .

(ومعنى الهمزة الانكار) بمعنى لم يكن أى (ماكنتم حاضرين) ذلك (وما شاهدتم) تلك الأحوال ولا سمعتم ذلك المقال (وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى) (فالخطاب للمؤمنين ،وقيل : الخطاب لليهود) حيث زعموا أنه (مامات نبى الا على اليهودية) وقالوا للنبى عليه الصلاة والسلام : ألم تعلم أن يعقوب/ يوم ١٣٨ ب مات وصى بنيه باليهودية ؟

ورد المصنف بأنهم لو شهدوا ذلك الوقت وسمعوا وصية يعقوب لظهر لهم كونه على ملة الاسلام ووصيته لبنيه بذلك ،فكيف يقال لهم فى مقام الرد عليهم والانكار لمقالتهم : أكنتم حاضرين حين وصى [يعقوب بما ينافى دعواكم ؟ بل ينبغى أن يقال : أكنتم حاضرين حين وصى] (1) باليهودية وبما يحقق دعواكم ؟ مثلا تقول لمن يرمى زيدا بالفسق : أكنت حاضرا حين شرب أو قتل أو زنى ؟ ولا تقول : حين صام وصلى وزكى ٠

وقد يجاب بوجهين :

أحدهما — ان الاستفهام حينئذ يكون للتقرير ،أى كانت أوائلكم حاضرين حين وصى بنيه بملة الاسلام والتوحيد ،وأنتم عالمون بذلك ،فما لكم تدعون عليهم اليهودية ؟

وثانيهما — أن يتم الانكار عند قوله : " ماتعبدون من بعدى ؟ " ويكون قوله : " قالوا نعبد " بيان فساد ادعائهم لا داخلا فى حيز الانكار أى ماكنتم شهداء حين قال لبنيه ماتعبدون من بعدى وحين جرى قضية الاسلام واليهودية وما يتعلق بذلك، فكيف تدعون اليهودية ؟ وأن الأنبياء كانوا عليها ؟ ويعقوب وصى بها ؟ ثم بين بطلان دعواهم وتوجه الرد عليهم بقوله : " قالوا نعبد الهك (2) " ولا يلزم من كونه استئنافا أن يدخل فى حيز الاستفهام ليخل بما ذكرنا ،وهذا كما تقول : أحضرت اليوم مجلس الدرس حين] (3) قال الأستاذ لاصحابه : ماموقع قوله : " اذ قال لبنيه " ؟ وتقصد قطع الاستفهام عند ذلك ،ثم كأن سائلا قال : ماذا قال الأصحاب ؟ فتقول : قالوا : فى موقع البدل ولا يجوز أن يكون متعلقا بقالوا نعبد لاختلال النظم وانحلال الربط٠

ثم قال : (4) اذا كان الخطاب لليهود فالوجه أن تكون متصلة محذوفة المعطوف

---

(1) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ٠ (2) فى خ زيادة " واله آبائك "

(3) مابين المعقوفين وهو من قوله " المضمر حيث قال من الذين أوتوا الكتاب دون منهم " فى الورقة ١٢٩ أ الى هنا ناقص من ب٠

(4) أى بالمعنى والا فليس ماذكره السعد نص كلام الزمخشرى ،وكلمة " قال " ناقصة من الأصل ٠ الكشاف ١/ ١٤٤

عليه ،أي أتدعون على الأنبياء اليهودية أم تعلمون كونهم على الاسلام والتوحيد من جهة اعترافكم بحضور آبائكم مجلس وصية يعقوب واعلامهم اياكم قرنا فقرنا .

وليس الاستفهام على حقيقته حتى يعترض بأن كلا الأمرين معلوم التحقق ،بل على سبيل الفرض والتقدير والتفويض الى اخبارهم واقرارهم قصدا الى تبكيتهم والزامهم لقطعهم بالثاني من الأمرين أعني حضور أسلافهم ،وفيه نفي لما ادعوه من يهودية أنبيائهم .

فان قيل : لا معنى للاسلام الذى عليه يعقوب وبنوه سوى الاذعان والقبول للاحكام والاخلاص لله تعالى ونحو ذلك ،لا التصديق بنبينا صلى الله عليه وسلم(١) ،فالتوحيد والاسلام بهذا المعنى لا ينافي اليهودية ليلزم من ثبوتهما انتفاؤها .

قلنا : لا توحيد لهم لقولهم / "عزير بن الله "(٢) ،ولا اسلام لعنادهم واستكبارهم ١٣٩ أ
وترفعهم عن قبول كثير من الأحكام سيما نبوة نبينا (٣) محمد صلى الله عليه وسلم .

قوله : (الا أنهم) استثناء منقطع ،يعني لكن كونهم بحيث لو شهدوه لظهر لهم كذا يأبى هذا المعنى ،فان الآية لكون مضمونها أن موت الأنبياء كان على الاسلام منافية لقولهم : لم يمت نبي الا على اليهودية ،وليس المراد بمضمون الآية نفي شهودهم ،على مايعطيه الاستفهام الانكارى ليرد الاعتراض بأن شهودهم ينافي قولهم ،لاستلزامه العلم بموت الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام](٤) على الاسلام ،فكيف يكون نفي شهودهم أيضا منافيا لذلك؟

قوله : (وما عام)(٥) أى يصح اطلاقه على ذى العقل وغيره عند الابهام ،سواء كان للاستفهام أو غيره (واذا علم) أن الشيء من ذوى العقل والعلم (فرق بمن وما) فخص "من " بذوى العلم و"ما " بغيره ،ولهذا (٦) الاعتبار يقال : ان ما لغير العقلاء ، واستدل على اطلاق "ما "على ذوى العقول باطباق أهل العربية على قولهم : من لما يعقل من غير تجوز في ذلك ،حتى لو قيل : من لمن يعقل ،كان لغوا من الكلام بمنزلة أن يقال لذى عقل : عاقل .

---

(١) خ : عليه الصلاة والسلام . (٢) من الآية ٣٠ من سورة التوبة .
(٣) قوله " نبينا " ناقص من خ ،م .
(٤) ما بين المعقوفين ناقص من ط ومن الأصل .
(٥) الكشاف ١/ ١٤٤ . (٦) ط ،م : وبهذا .

فان قيل : ههنا يجب أن يفرق بما ومن ، لأن مايعقل معلوم أنه من ذوى العلم .
قلنا : نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعنى (يعقل) وأما الموصول نفسه فيجب أن يعتبر مبهما مرادا بشىء ما ليصح فى موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول من . وليقع وصفه بيعقل مفيدا غير لغو فليتأمل .

قوله : (ويجوز أن يقال) ، قد تقرر أن " ما " يقع سؤالا عن مفهوم الاسم ، وعن ماهية المسمى ، وعن الوصف ، فما فى الآية يجوز أن يحمل على الأخير ، وجعله عائدا الى الجنس بمعنى أن كل شخص باعتبار ماله من الصفة بمنزلة جنس على حده : تكلف .

قوله : (لانخراطهما) أى الأب والعم (فى سلك الأخوة) والأم والخالة كذلك ، أو لانخراط العم والخالة فى سلك الأخوة للأب والأم .

(صنو أبيه) أى مثله ، والصنوان نخلتان من غرق واحد قال النبى صلى الله عليه وسلم (1) ذلك لعمر رضى الله عنه حين كان يطلب زيادة فى الصدقة ، وكان العباسى رضى الله عنه لا يطيب نفسا بذلك . (2) .

قوله : (هذا بقية آبائى) يعنى الذى بقى من آبائى (3) ، يقال : بقية القوم لواحد بقى منهم ، ولا يقال : بقية الأب للأخ ، والحاصل أن بقية الشىء تكون من جنسه .

قوله : (ردوا على أبى) قال ذلك حين بعث العباس قبل عام الفتح الى مكة فأبطأ عليه ، وقيل : عام فتح مكة حيث قال : امض الى قومك فادعهم الى الهدنة قبل القتال فركب بغلة النبى عليه الصلاة والسلام (4) وانطلق ، فلما أبعد قال لأصحابه : ردوا على أبى ، وعروة بن مسعود / قدم الى (5) رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذن أن يرجع الى قومه ، فقال صلى الله عليه وسلم : انى أخاف أن يقتلوك فقال : لو وجدونى نائما ما أيقظونى ، فرجع الى الطائف ، فقدم عشاء ، فجاءته ثقيف يحيونه ، فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم ، فاتهموه وعصوه وأسمعوه مالم يكن منه فى حسبان ، فخرجوا من عنده ، حتى اذا أسحروا وسطع الفجر ، قام على غرفة له فى داره ، فأذن بالصلاة وتشهد ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتل ، فقال عليه الصلاة والسلام ١٣٩ ب

---

(1) خ : عليه الصلاة والسلام .
(2) والحديث فى مسند الامام أحمد ٣٢٢/٢ .
(3) خ ، م : من جملة آبائى .
(4) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ، وفى ب : صلى الله عليه وسلم .
(5) ط ، خ : على .

حين بلغه قتله : " مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه الى الله تعالى فقتلوه "(١)
يريد بصاحب ياسين حبيبا النجار .

قوله : (وفد يننا بالأبينا)
جمع أب والألف للاشباع ، وفي الآية قد سقطت النون بالاضافة ، وأول البيت :
فلما تبين أصواتنا بكين (٢)
ونون تبين وبكين للنساء اللواتي أسرن .

قوله : (الها واحدا بدل) تحقيقا للوحدانية ودفعا لما عسى يتوهم من قولهم " الهك واله آبائك " من التعدد ، وانما الاعادة لتأتي العطف على الضمير المجرور .

قوله : (من فاعل نعبد أو مفعوله) يعني على التفريق أو الجمع ، وعلى تقدير العطف فالعدول الى الاسمية للدوام والثبات مع رعاية الفاصلة ، وقوله (أي (٣) ومن حالنا) بيان لوجه الاعتراض .

قوله : (والمعنى أن أحدا (٤)) ، كلامه هذا يشعر بأن في " لها ماكسبت ولكم ماكسبتم " قصر المسند على المسند اليه أي لها كسبها لا كسب غيرها ، ولكم كسبكم لا كسب غيركم ، وهذا كما قيل في " لكم دينكم " أي لا ديني " ولي دين "(٥) أي لا دينكم ، وقوله : (متقدما كان أو متأخرا) يجوز أن يعود الى الخير ، وأن يعود الى كسب الغير وأن يعود الى أحد ، وقوله : (ذلك أنهم افتخروا) بيان لوجه انتظام هذا (٦) الكلام من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ فقوله : " لها ماكسبت " صفة أو حال او استئناف .

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/ ٦١٥ كتاب معرفة الصحابة ، والمغازي للواقدي ٣/ ٩٦٠ .
(٢) البيت لزياد بن واصل ويروى : ولما تعرفن أشباحنا ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ١٤٥ ، والبحر المحيط ١/ ٤٠٢ ، والأمالي الشجرية ٢/ ٣٧ ، والخزانة ٢/ ١١٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، والمحتسب في القراءات ١/ ١١٢ ، والمقتضب ٢/ ١٧٤ ، والخصائص ١/ ٣٤٦ ، وسيبويه ٢/ ١٠١ ، والصحاح مادة (ابا) وكذلك لسان العرب .
(٣) كلمة " أي " ناقصة من الأصل .
(٤) في تفسير قوله تعالى : " تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم .. " الآية ١٣٤ البقرة ، الكشاف ١/ ١٤٥ .
(٥) الآية ٦ من سورة الكافرون .
(٦) خ : انتظام ذلك الكلام .

قوله : (لا يأتيني الناس) رواية الجمهور يأتيني بالتخفيف ، فهو خبر في معنى النهي مثل : تذهب الى فلان تقول له[1] كذا و " تأتوني " منصوب على أن الواو للصرف[2] والنون للوقاية ، وقد حذفت نون الاعراب ، أي لا يكن من الناس الاتيان بالأعمال ومنكم بالأنساب ، وأما على رواية التشديد فهو صريح نهي .

قوله : (اني من دين)[3] قاله حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم[4] فعرض عليه الاسلام ، كأنه من على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يترك دينا عظيما يعني النصرانية ، لأنه جاء وفي عنقه صليب من ذهب .

قوله : (حال من المضاف اليه) للاطباق على جواز ذلك اذا كان / المضاف جزءا ١٤٠ أ
من المضاف اليه أو بمنزلة الجزء بحيث يصح قيامه مقامه مثل : اتبعوا ابراهيم اذا اتبعوا ملته ، ورأيت هندا اذا رأيت وجهها ، بخلاف رأيت غلام هند قائمة .

واختلفوا في عامل مثل هذا الحال فقيل : معنى الاضافة لما فيه من معنى الفعل المشعر به حرف الجر كأنه قيل : ملة ثبتت لابراهيم حنيفا ، والصحيح أن عامله عامل المضاف لما بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور ، وأما مثل : أعجبني ضرب زيد راكبا ، فلا كلام في جوازه وكون عامله هو المضاف نفسه ، وهو ظاهر .

قوله : (الحنف الميل) بفتح الحين فيهما ، قال الكسائي الحنف من كل حيوان في اليدين ، ومن الانسان في الرجلين ، قال في الأساس : وقد جعله في يديه من قال :

وأنت لحنفاء اليدين لو انها * تنفق ما جاءت بزند ولا سهم[5]

وأنشد قوله :

---

(١) قوله " له " ناقص من م .
(٢) هامش ب : للجمع .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا .. " الآية ١٣٥ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٤٥ .
(٤) خ : عليه الصلاة والسلام ، م : عليه السلام .
(٥) وروى الشطر الثاني : تباع لما جاءت بزند ولا سهم ، ونفق البيع راج والنفق سرب في الأرض له مخلص الى مكان ، والزند موصل طرف الذراع في الكف ، والسهم النصيب وواحد السهام ، انظر اساس البلاغة مادة (حنف) ، والأغاني ١٦/ ١٣٨ .

حنيفا ديننا عن كل دين (١)

للاستشهاد فى اعتبار معنى الميل فى اطلاق الحنيف على الدين المستقيم .

قوله : (وما كان من المشركين) الظاهر أنه عطف على الحال أعنى " حنيفا " .

قوله : (ويجوز أن يكون خطابا للكافرين) (٢) فيكون قوله : " وما أنزل الينا " واردا على عبارة الامر دون المأمور كأنهم أمروا بأن يقولوا هذا المعنى على وجه يليق بهم ، وهو أن يقولوا : وما أنزل اليكم أيها المؤمنون ، أو يراد الاشارة الى الكل لكونهم أمة الدعوة وقد أنزل الكتاب اليهم أيضا ، وعلى هذا فالمناسب أن يكون قوله : " بل ملة ابراهيم " بل كونوا أيها الكافرون ، أو اتبعوا ملة ابراهيم ليتلاءم الكلام ، وترك العطف فى قولوا لكونه بمنزلة البيان والتأكيد لاتباعهم ملة ابراهيم وكونهم عليها .

قوله : (واحد فى معنى الجماعة) ، بحسب الوضع لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب ، يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع ، والمذكر والمؤنث ، ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة "كل " أو فى كلام غير موجب ، نص على ذلك أبو على وغيره من أئمة العربية ، وهذا غير الأحد الذى هو أول العدد فى مثل : " قل هو الله أحد (٣) "

وليس كونه فى معنى الجماعة من جهة كونه نكرة فى سياق النفى على ماسبق الى كثير من الأوهام (٤) ، ألا ترى أنه لا يستقيم : لا نفرق بين رسول من الرسل ، الا بتقدير عطف؟ أى رسول ورسول ، و " لستن كأحد من النساء " (٥) ليس فى معنى كامرأة منهن .

قوله : (من باب التبكيت) لما كان ظاهر الكلام أن للدين الذى آمن به المؤمنون

---

(١) والبيت كما جاء فى الكشاف : فى مشاهد الانصاف ١/ ١٤٥ ، والبحر المحيط ١/ ٣٩٨ غير منسوب ، أما فى السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٨ فقد وجدته منسوبا لأبى قيس بن الأسلت لكن برواية " عن كل جيل " بدل " عن كل دين " .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط .. " الآيتين ١٣٦ـ١٣٧ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٤٦ .

(٣) الآية الأولى من سورة الاخلاص .

(٤) وذلك كما ذهب اليه أحمد بن المنير الاسكندرى الذى قال تعليقا على هذا الموضع من الكشاف : " وفيه دليل على ان النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع " انظر الانتصاف ١/ ١٤٦ .

(٥) من الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .

مثلا يحصل بهٔ الاهتداء / كما يحصل بدينهم ،وليس كذلك ،دفعه بوجهين : ١٤٠ ب

أحدهما — أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير قصدا الى التبكيت والالزام ،يعني ان حصلوا دينا مثل دينكم في الاستقامة ،وآمنوا به ،فقد اهتدوا ،لكن ذلك منتف لأن طريق الحق واحد ،فلا طريق الى الاهتداء سوى هذا الدين .

وثانيهما — ان الباء ليست صلة آمنوا ،بل للاستعانة ،وآمنوا بمعنى أوجدوا الايمان الشرعي ودخلوا فيه من غير احتياج الى تقدير صلة ،أي فان دخلوا في الايمان بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا .

وعلى الوجهين "ما " موصولة عبارة عن الدين أو الشهادة . وقوله، (" وان تولوا " عما تقولون) جار في الوجهين ،وقوله : (" وان تولوا " عن الشهادة) على الثاني خاصة . وقد يقال بزيادة المثل (١) ،أو بزيادة الباء (٢) ،أي ان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم على أن "ما " مصدرية ،وضمير " به " لله تعالى (٣) ،أو لمجموع ماذكر في قوله تعالى " قولوا آمنا بالله " الى آخره بتأويل المذكور ،أو للقرآن ،أو لمحمد عليه السلام (٤) .

قوله : (فسيكفيكهم) الضميران مفعولان ،تقول كفاه مؤنته ،وظهر عليه أي غلبه ، وأظهره الله ،ودلالة السين على التأكيد من جهة كونها في مقابلة لن ،قال سيبويه : لن أفعل نفي سأفعل . (٥)

قوله : (مصدر مؤكد) (٦) لنفسه لكونه مضمون جملة لا محتمل لها غيره وهي "آمنا بالله " ،فلهذا يجب حذف عامله ،أي صبغنا الله صبغته ،بمعنى طهرنا تطهيره ،وهو من قبيل المشاكلة أعني التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته بطريق المقال مثل : " تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك " (٧) أو الحال كما في هذا المقام ، وقد يجتمعان كما يقال (٨) لمن يغرس الأشجار : لم تغرس الأشجار؟ اغرس كما يغرس

---

(١) قال بذلك محمد بن أبي بكر الرازي في كتابه : أنموذج جليل في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل ١/ ١٠ .
(٢) وقال بذلك القاضي البيضاوي في تفسيره ١/ ١٩٣ ،وأبو البقاء العكبري في كتابه : التبيان في اعراب القرآن ١/ ٤٤ .
(٣) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .
(٤) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل ،ومن ط .
(٥) كتاب سيبويه ١/ ٤٠٧ .
(٦) في تفسير قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " الآية ١٣٨ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٤٧ .
(٧) من الآية ١١٦ من سورة المائدة . (٨) في ط ،م : كما اذا قلت .

فلان مشيرا الى رجل يصطنع الكرام لنفسه .

وأشار الى تقرير المشاكلة على تقدير أن يكون خطاب "قولوا" للكافرين بقوله : (فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا) وضمير (لهم) وان كان يقتضى ظاهر العبارة للنصارى لكن الأوجه الأليق بالمقام أن يجعل للنصارى واليهود جميعا ، واختصاص الغمس فى المعمودية بالنصارى لا ينافى صحة اعتبار المشاكلة فى ايمان الفريقين ،لأن ذلك الفعل كائن فيما بينهم فى الجملة .

والى (١) تقرير المشاكلة على تقدير كون الخطاب للمؤمنين بقوله : (أو يقول المسلمون) عطفا على (ان يقولوا لهم) ،أى أمر المسلمون بأن يقول المسلمون ،فوضع
١٤١ أ الظاهر موضع المضمر / للبعد وخوف الالباس .

وقيل : يجوز استعارة الصبغ للايمان من غير اعتبار المشاكلة لكونه حلية للمؤمن أو ظاهرا أثره عليه أو متداخلا في قلبه كما هو حال الصبغ مع الثوب .

فان قلت: خطاب (قل بل نتبع) للنبى عليه الصلاة والسلام فلا دلالة على أن المسلمين أمرو بأن يقولوا للكافرين : قولوا آمنا ، قلت: نعم الا أن المراد به خطاب النبى عليه الصلاة والسلام وجميع المؤمنين بدليل أنه جواب "قالوا كونوا هودا أو نصارى" ،ولهذا قدر (بل نتبع) (٢) بضمير الجماعة .

و "قولوا آمنا" على تقدير كونه خطابا للكافرين داخل فى حيز المقولية لا حيز "قل" ،وان ترك العطف على (نكون) أو (نتبع) للاختلاف خبرا وانشاء ،فصح ماذكر،وأما على تقدير كونه خطابا للمؤمنين فالأحسن أن يكون "قولوا آمنا" بمنزلة البدل والبيان لقوله تعالى : "قل بل ملة ابراهيم" ،لا داخلا فى حيز مقوليته ،فصح أنهم أمروا بأن يقولوا : آمنا وصبغنا ،ولا يلزم أنهم أمروا بأن يقولوا لأنفسهم : قولوا آمنا وصبغنا .

قوله : (وهفا العطف يرد) ماقيل : (أن صبغة الله) أى دين الله تعالى (٣) ، أو فطرة الله التى فطر الناس عليها (بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء) مثل : أخاك أخاك أى اكرمه ،لأن فى كل منهما فصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ،أعنى جملتى "آمنا" و "نحن له عابدون" بالأجنبى الذى لا يتعلق بما تتعلق به الجملتان ،اذ لم يدخل البدل ولا الاغراء فى حيز "قولوا" بل الأول من حيز عامل "ملة ابراهيم" ،والثانى مستقل ،وبمنزلة البيان والتأكيد لقوله تعالى "قولوا" ففى هذا

---

(١) أى وأشار الى .

(٢) خ : بل نكون بل نتبع.

(٣) قوله "تعالى" ناقص من الأصل ومن م .

فك لنظم الكلام ،واخراج له عن الالتئام مع أن في الابدال شيئا آخر هو الفصل بين البدل والمبدل منه بما لا يتعلق بعامله .

فان قيل: نحن لا نجعله عطفا علي " آمنا " بل على فعل الاغراء بتقدير القول ، أى الزموا صبغة الله وقولوا: نحن له عابدون ،ولو سلم ففيما ذكرتم أيضا فصل بين المعطوف والمعطوف عليه ،وكذا بين المؤكد والتأكيد بالأجنبي ،لأن قوله: " فان آمنوا " وقوله : " فسيكفيكهم الله " لا يدخل شيء منهما في حيز " قولوا " ،قلنا : لا وجه لارتكاب الاضمار بلا دليل مع ظهور الوجه الصحيح ،وما ذكر من الفصل وان لم يتعلق بقولوا لفظا فقد تعلق به معنى فلا فك للنظم .

اذا قالت حذام فصدقوها * فان (القول ماقالت حذام)(١)

من الأبيات الجارية مجرى الأمثال (٢) .

قوله : (يعني أن العمل) (٣) ،لم يتعرض لبيان / الاختصاص مع أنه الظاهر ، أى لنا أعمالنا لا أعمالكم ،وبالعكس ،أو لنا أعمالنا لا لكم وبالعكس . ٤١ اب

---

(١) انظر الكشاف ١/ ١٤٧ ،وحذام اسم امرأة الشاعر وهو لجيم بن صعب وقيل : لحيم بالحاء المهملة ،وقيل اسمه : وشيم بن طارق وقيل : ديسم بن طارق ،وقيل ديسم ابن ظالم الأعصرى ،وقيل : دميس بن ظالم الأعصري وروى " فأنصتوها " مكان " فصدقوها " انظر مفتاح العلوم ٨٤ ،ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢١٥ ، ٢/ ٩٤ ،وشرح الحماسة للتبريزى ٣/ ٣٢٥ ،والأمالي الشجرية ٢/ ١١٥ ،والخصائص ٢/ ١٧٨ ،والكامل للمبرد ١/ ٢٨٠ ، والشواهد للعيني ٤/ ٣٧٠ ،٣٧١ ، وما ينصرف وما لا ينصرف ٧٥ ،وشرح الأشموني ٢/ ٥٣٧ ،وأساس البلاغة مادة (نصت) ،والصحاح مادتي (نصت) ،و(رقش) ،واللسان مواد (نصت) ،و (رقش) ،و(حذم) .

(٢) انظر مجمع الأمثال ١/ ١٤١ ،١٦٥ ، ٢/ ٤٧ ، ١١١ ،والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٤٠ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم .. " الآيات ١٣٩ - ١٤١ سورة البقرة الكشاف ١/ ١٤٧ . وهذا القول أى " يعني أن العمل " متأخر في الكشاف عن قوله الآتي وهو " واصطفائه النبي " وكذلك عن قوله : " هم فوضى في ذلك " .

قوله : (واصطفائه النبى) (١) عليه الصلاة والسلام (٢) ،يدل على هذا قولــــه : " وما أنزل الينا " سابقا ،وقوله " ومن أظلم ممن كتم " تعريضا بكتمانهم شهادة اللـه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا حقا .

قوله : (هم فوضى فى ذلك) أى متساوون ،ومالهم فوضى بينهم : مختلط ،مـــن أراد منهم شيئا أخذ .

قوله : (والمراد بالاستفهام) أى كل من الأمرين منكر ينبغى أن لا يكون ، والا فالعلم حاصل بثبوت الأمرين ،وكذا اذا جعلت منقطعة ،وأما على قراءة . "أم يقولون" بياء الغيبة (٣) ،فلا تكون " أم " الا منقطعة لما فيه من الاضراب عن الخطاب فـــى " أتحاجوننا " .

قوله : (كتم شهادة عنده من الله) يريد أن الظرفين كلاهما صفة شهادة ، أى شهادة كائنة من الله تعالى (٤) ،بمعنى واصلة منه كائنة عند من كتم ،بمعنى متحققة عنده معلومة له أنها شهادة الله ،والمعنى :لا أظلم من أهل الكتاب لأنهم كتمـوا الشهادة ،على التحقيق ،أو لا أظلم من المسلمين لو كتموها ،على سبيل الفـــرض والتقدير ،فالفعل الماضى فى الأول على أصله ،وفى الثانى للتعريض بمن تحقق منـه الكتمان ،كما فى قوله تعالى : " لئن اشركت " (٥) .

قوله : (لكراهتهم) (٦) بيان لجهة كون القائلين هم اليهود ،أو للباعث لهم على قولهم ،وكذا قوله : (لحرصهم) بالنسبة الى المنافقين ،وأما فى المشركين فبين الجهة بطريق الحكاية لمقالهم .

قوله : (وأن الجواب) فائدة ثانية ،وما قبلها بجملتها فائدة واحدة .

قوله : (وهو ماتوجبه الحكمة) قيل : الضمير للصراط ،واشتماله على الحكمة والمصلحة بيان استقامته ،وفيه ان مشيئته تعالى لا تتعلق الا بما وجب فى الحكمة ،لكن بيانـــه بقوله : (من توجيههم) ينافى هذا المعنى لأن هداية الله لمن يشاء هدايته من أهل الأرض ليست الى التوجيه الذى هو فعل الله تعالى ،بل الى التوجه الذى هو فعلهم .

---

(١) فى الأصل " واصطفى به النبى" وهو يخالف مافى الكشاف .
(٢) م : عليه السلام ،وناقصة من الأصل .
(٣) البحر المحيط ١/٤١٤ .
(٤) قوله " تعالى " ناقص من ط،م ،ومن الأصل .
(٥) من الآية ٦٥ من سورة الزمر .
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها .. " الآيتين ١٤٢ — ١٤٣ سورة البقرة ،الكشاف ١/١٤٨ .

وقيل : الضمير للهداية المدلول عليها بقوله : "يهدى" لكن بيان الهداية الى الصراط بتوجيههم الى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى يقتضى أن يكون الصراط هو بيت المقدس أو الكعبة ، وليس كذلك .

وأجيب عن الأول بأن معنى الهداية الى التوجيه بيان أن الواجب هو التوجه ، وفيه نظر ، وعن الثانى يمنع ماذكر من الاقتضاء ، فان بيان جملة بجملة لا يقتضى البيان فيما بين أجزاء الجملتين .

قوله : (أى ومثل ذلك الجعل)(1) يريد أن ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا / الجعل به على مايتوهم من أن المعنى : ١٤٢ أ
ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم أمة وسطا ،(2) واذا تحققت فالكاف مقحم اقحاما كاللازم لايكادون يتركونه فى لغة العرب وغيرهم ، هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام .

قوله : (خيارا) جمع خير وهم خلاف الأشرار ، وقد يكون الخيار اسما من الاختيار ، و(الوسط) بالتحريك اسم لعين مابين الجوانب كمركز الدائرة ، وبالسكون مابين الطرفين من الأماكن المبهمة ، ولا يقع الا ظرفا ، تقول : جلست فى وسط الدار بالفتح ، وجلست وسط الدار بالسكون ، و(الانطاء) : الاعطاء بلغة أهل اليمن ، و(الثبج) : مابين الكاهل الى الظهر(3) ، و(أعور الفارس) بدا منه موضع خلل للضرب ، و(الطائى) أبو تمام ، يصف خراب قلعة بابك الخرمى الذى كان على طريقة مزدق ، خرج فى أيام المعتصم ، واسم القلعة بذ بالذال المعجمة(4) ، (السطات) جمع سطة ، يقال : هو وسط فى قومه ، وسطة ، ووسيط فيهم ، اذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا ، وهى فى الأصل مصدر وسطت القوم : حصلت فى وسطهم ، ومنه الأوسط والوسطى ، وقوله : (أو عدولا) عطف على (خيارا) .

وقوله : (مراعاة لحق الوصف) يعنى أنه لما جعل وصفا وعرض له ذلك روعى جانب الوصفية العارضة والحقت التاء كما هو حكم الصفات ، وهذا ماقال فى الفائق : الحقت

---

(1) الكشاف ١ / ١٤٨ .
(2) لعل ذلك اشارة الى ماذهب اليه الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ١٧٧ حيث يقول : " المشار اليه مايفهم من مضمون قوله "يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" وهو الأمر العجيب ، يعنى كما جعلناكم فى الدنيا أفضل الأمم وقبلتكم أفضل القبل جعلناكم فى الآخرة شهداء على الناس " .
(3) النهاية فى غريب الحديث ١ / ٢٠٦ .
(4) والبيت فى ديوان أبى تمام ٢ / ٣٧٤ :
كانت هى الوسط الممنوع فاستلبت * ماحولها الخيل حتى أصبحت طرفا
وانظر مشاهد الانصاف ١ / ١٤٨ ، وتنزيل الآيات ٤٥٥ ، والخصائص ٢ / ١٦٦ .

تاء التأنيث بالشيء لانتقاله من الاسمية الى الوصفية (١) .

قوله : (وكذلك قوله : " فكيف اذا جئنا " الآية) (٢) ، فان قيل : ماذكره في تفسير الآية (٣) " من أن شهيد كل أمة نبيهم ، و" هؤلاء " اشارة الى الذين كذبوا الأنبياء " لا يطابق القصة ، ولا يوافق ماذكره في هذه الآية ، قلنا : يطابقها من جهة أن تجعل شهادته على الأمم المكذبين هي شهادته بعدالة من شهد عليهم فيما أنكروا من التبليغ أعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قوله : (وشهادته لهم) لانتفاعهم بها بخلاف شهادة الأمة على الناس ، فانها عليهم حيث أنكروا تبليغ الأنبياء فلا يحتاج الى التأويل ، وكذا اذا أريد الشهادة في الدنيا على ماأشار اليه بقوله : (وقيل) عطفا على (روي أن الأمم) فانها تكون بالنسبة الى المنكرين عليهم ، وأما شهادة النبي صلى الله عليه وسلم (٤) بعدالة الأمة فلهم لا عليهم .

والجواب أن " على " ليست كما في قولهم : شهد على المنكر ، بل لتضمين معنى المراقبة والاطلاع اشارة الى أن التزكية والتعديل انما تكون عن خبرة ومراقبة للأحوال .

قوله : (وفي الآخر / اختصاصهم) أي تفرد هم بذلك كأنه قيل : شهيدا بالتعديل ١٤٢ ب
عليكم لا على غيركم من الأمم ، فلا ينافي كونه شهيدا على شهداء الأمم بالتعديل ، ولا على الأمم المكذبين بغير التعديل .

قوله : (انما هي ثاني مفعولي جعل) يعني بتقدير موصوف أقيمت هي مقامه ، أي الجهة التي ، وأما جعلها صفة للقبلة المذكورة على أن المفعول الثاني محذوف ، أي ماجعلنا القبلة التي كنت عليها ثابتة لا تنسخ أبدا ، فلا قرينة عليه ، مع مافي حذف أحد مفعولي باب علمت من الكلام .

قوله : (لنعلم الثابت) (٥) ، فسر " من يتبع " بهذا ليكون مقابلا لمن ينقلب ، لأن

---

(١) الفائق ١/٦ .
(٢) رقم ٤١ من سورة النساء ، والحديث في صحيح البخاري ١٧/١٥ ، وصحيح الترمذي ١١/٨٣ ، والمستدرك للحاكم ٢/٥٤٧ وتفسير الطبري ٣/١٤٥ ، ١٥٤ .
(٣) أي في سورة النساء وذلك في الكشاف ١/٣٩٦ .
(٤) خ : عليه الصلاة والسلام ، وناقص من م .
(٥) الكشاف ١/١٥٠

المنقلب يتبع فى الجملة ،ولو أريد من يتبع بعد هذا الجعل ،لم يحتج الى هـذا التأويل .

قوله : (ويجوز أن يكون) فعلى الأولى " التى كنت عليها " هى الكعبة ،و "القبلة" قبلة الآن ،وعلى الثانى " التى كنت عليها " بيت المقدس ،و " القبلة " قبلة ما مضى ، أى ما جعلنا فى هذا الوقت أو فيما مضى من الوقت .

قوله : (بينه وبينه) أحد الضميرين للنبى عليه الصلاة والسلام ،والآخر لبيت المقدس ،ولم يكن ذلك بالمدينة ،لأنها بين مكة وبيت المقدس .

قوله : (كيف قال لنعلم ؟) يعنى انه يشعر بحدوث العلم فى المستقبل وعلمه أزلى ،فأجاب بوجوه ثلاثة :

حاصل الأول — أن المراد علم مقيد بالحادث [1] فالحدوث راجع الى القيد .

وحاصل الثانى — التجوز فى اسناد فعل بعض خواص الملك اليه ،تنبيها على كرامة القرب والاختصاص ،وفى قوله : (وانما أسند) الى آخره دلالة بينة على أن ذلك ليس باعتبار حذف المضاف .

وحاصل الثالث — التجوز باطلاق السبب أعنى العلم على المسبب أعنى التمييز .

فان قيل : ان أريد التمييز فى الوجود العينى فهو حاصل قبل التحويل ،أو فى الوجود العقلى فحاصل فى علم الله تعالى [2] ،بل عينه ،وغير مسبب عن علم الله تعالى فى علم المخلوق ،فكيف يعبر بعلم الله عن التمييز فى علم المخلوق ؟ .

أجيب : بأن المراد الأول ،ولا خفاء فى أنه لا يكون الا بعد الوجود [3] .
وذكر فى موضع آخر وجها رابعا هو التمثيل ،أى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم [4] .

قوله : (اللام الفارقة) بين ان المخففة والنافية ،لا بينها وبين المشددة على ما وقع فى تفسير الكواشى [5] .

---

(١) غ : بالحوادث .
(٢) قوله " تعالى " ناقص من الأصل ومن م .
(٣) فى خ زيادة " أعنى التمييز " .　　(٤) الكشاف ١/ ٣٢٣ .
(٥) انظر تبصرة فى التفسير للكواشى الورقة ٣٨ ب .

قوله : (الا على الثابتين) فسره بهذا لأن المراد بهم " من يتبع " في مقابلة " من ينقلب " على ما مر ، ولهذا فسر " ايمانكم " بثباتكم على الايمان .

قوله : (ويجوز أن يراد) يعني أن عدم اضاعة الايمان كناية عن عدم ترك التحويل لكون اضاعة الايمان من روادف ترك التحويل في علم الله تعالى ،وقيل المراد /بالايمان(١) صلواتهم تجوزا . ١٤٣

قوله : (في أبي تراب) كنية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،حين دخل ذات يوم على فاطمة رضي الله عنها فقال عليه السلام(٢) : أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذاك مضطجع في صحن المسجد ، فوجده قد سقط الرداء عن ظهره ،وخلص التراب اليه فجعل عليه السلام (٣) يمسح التراب عن ظهره ويقول : اجلس أبا تراب(٤) ،ولهذا لم يكن اسم أحب اليه منه ،وان كان أعداؤه يقصدون بذلك الحط منه (٥) .

قوله : (ومعنى العلم المعرفة) يعني على القراءتين (٦) ،لأنه لم يذكر له الا مفعول واحد هو " من " الموصولة ،ويجوز أن تكون " من " استفهامية واقعة موقع المبتدأ ، و " يتبع " موقع الخبر ،فيكون العلم من المتعدى الى مفعولين معلقا بالاستفهامية ،و " ممن ينقلب " حال من فاعل " يتبع " أي متميزا منه كما في قوله :

ومن أين تدري ما العرار من الرند (٧) ؟

وبهذا يندفع ما ذكره أبو البقاء من أنه لا يجوز أن تكون " من " استفهامية ،لأنه يلزم التعليق ،ولا يبقى لقوله " ممن ينقلب " متعلق ،اذ لا معنى لتعلقه بيتبع ،ولا وجه لتعلقه بتعلم ،لأن ما بعد الاستفهام لا يتعلق بما قبله (٨) .

---

(١) قوله " بالايمان " ناقص من الأصل . (٢) قوله " عليه السلام " زائد في خ .
(٣) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل ،وكلمة " السلام " ناقصة من ط .
(٤) انظر صحيح البخاري ٤/ ١٠١ ،وجامع الأصول ١/ ٤٢ .
(٥) م : الحط من منزلته ،خ : حط منزلته .
(٦) انظر البحر المحيط ١/ ٤٢٤ ،وأنوار التنزيل ١/ ١١٩ .
(٧) العرار : نبت طيب الريح الواحدة عرارة ،والرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية ،انظر المطول ٢٣٦ ،ولسان العرب مادتي (عرر) ، (رند) .
(٨) انظر التبيان في اعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١/ ٤٤ ،واللباب من علوم الكتاب لابن عادل ١/ ٢٣٠ .

فان قيل : لا قرينة على حذف المميز ،قلنا : ممنوع ، بل فحوى الكلام ليس غيره على أنه مشترك الالزام ،اذ على تقدير الموصولية أيضا هو حال ممن يتبع بمعنى متميزا .

فان قيل : كيف يكون العلم بمعنى المعرفة ،والله تعالى لا يوصف بها ؟ قلنا : ذاك لشيوعها فيما يكون مسبوقا بالعدم ،وليس العلم الذى بمعنى المعرفة كذلك ، اذ المراد به الادراك الذى لا يتعدى الى مفعولين .

قوله : (ووجهها أن تكون كان مزيدة) (١) قد يناقش فى كون " كانوا " فى قول الفرزدق :

فكيف اذا مررت بدار قوم * (وجيران لنا كانوا كرام) (٢)

مزيدة مع اسمها لجواز أن تكون ناقصة اعتراضا أو صفة للدلالة على المضى ،والخبر محذوفا ،أو مقدما أعنى " لنا " ولو سلم فان أراد أن " كانت " مع اسمها مزيدة ،كانت " كبيرة " خبرا بلا مبتدأ ،وان المخففة واقعة بلا جملة ،ومثله خارج عن القياس والاستعمال ،وان أراد أن " كانت " وحدها مزيدة ،والضمير باق على الرفع بالابتداء فلا وجه لاتصاله واستكنانه .

وغاية مايتمحل أنه لما وقع بعد " كانت " و " كان " من جهة المعنى فى موقع اسم كان ،جعل متصلا مستكنا تشبيها بالاسم وان كان مبتدأ تحقيقا ، (٣) ولا وجه فى هذه

---

(١) الكشاف ١/ ٥١٥٠ .

(٢) البيت فى ديوان الفرزدق هكذا :

فكيف اذا رأيت ديار قومى * وجيران لنا كانوا كرام

وروى : وكيف اذا رأيت ديار أهلى ،وكذلك : فكيف ولو حللت ديار أهلى ،وكرام بالجر صفة جيران ،انظر شرح ديوان الفرزدق ٢/ ٨٣٥ ،ومشاهد الانصاف ١/ ١٥٠ وتنزيل الآيات ٥١٦ ،والبحر المحيط ١/ ٤٢٥ ،واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٤٨٦ ، واللباب من علوم الكتاب ١/ ٨٤ ،وأسرار العربية ١٣٦ ،وسمط اللآلى ٢/ ٧٥٨ ، والخزانة ٤/ ٣٧ ، ٣٩ ،والعينى ٢/ ٤٢ ،وسيبويه ١/ ٢٨٩ ،وارتشاف الضرب ١١٣٥ ، والمقتضب ٤/ ١١٦ ،والأشمونى ١/ ١١٧ ،واللسان مادة (كون) ،ومادة (كنن) .

(٣) ويرى أبو حيان أيضا أن ماذهب اليه الزمخشرى ضعيف ،ويقول أن " الذى ينبغى أن تحمل القراءة عليه أن تكون " لكبيرة " خبر مبتدأ محذوف ،والتقدير لهى كبيرة .. وتكون لام الفرق دخلت على جملة فى التقدير ،وتلك خبر لكانت " ثم يقول أبو حيان : وهذا التوجيه ايضا ضعيف ،وهو توجيه شذوذ .

انظر البحر المحيط ١/ ٤٢٥ .

القراءة أن تجعل فى "كانت" ضمير القصة ،وتقدر بعد اللام مبتدأ ،أى وان كانت القصة/ للتحويل كبيرة ،والعجب من المصنف أنه يرد القراءات السبع بأدنى مخالفة ١٤٣ ب
للقوانين المشهورة ،ويشتغل بتوجيه أمثال هذه القراءات .

قوله (قد أترك القرن مصفرا أنامله) (١)

كأن أثوابه مجت بفرصـــــاد (٢)

يعنى أن أصل "قد" فى المضارع للتقليل ،وقد استعيرت ههنا للتكثير بمناسبة التضاد كربما (٣) ،أو بوجه آخر يذكر فى قوله تعالى : "علمت نفس ماأحضرت" (٤) ،
ومعنى مجت بفرصاد صبغت بماء الفرصاد ،وحقيقته مج الفرصاد عليه من مججت الريق .

و(لنعطينك) حاصل معنى "لنولينك" والا فالشائع فى الاعطاء هو الايلاء لا التولية ،و (لتجعلنك تلى سمتها) مبنى على أن معنى ولاه :دنا منه ،وأوليته اياه ، ووليته : أدنيته منه .

ووصف الأغراض بالصحة والموافقة لمشيئة الله اشارة الى أن ميله الى الكعبة لم يكن من جهة هوى النفس ،واجابة الله تعالى اياه لم تكن لمجرد ميله ومحبته ،بل لموافقته ارادته وحكمته .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : "قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها . . " الآيتين ١٤٤ــ١٤٥ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٥١ .

(٢) قائل البيت: شماس الهذلى ،وقيل : عبيد بن الأبرص ،واصفرار الأنامل كناية عن الموت ،والفرصاد : ماء التوت وهو أحمر ،انظر ديوان عبيد بن الأبرص ٢٦ ، ومشاهد الانصاف ١/ ١٥١ ،وتنزيل الآيات ٣٦٧ ،والبحر المحيط ٤/ ١١٠ ، وسمط اللآلى ١/ ١٦٩ ،والخزانة ٤/ ٥٠٢ ،٥٠٤ ،وسيبويه ٢/ ٣٠٧ ،والمقتضب ١/ ٤٣ ،والصحاح مادة (قدد) ،واللسان مادتى (قدد وأسن) .

(٣) أى من قوله تعالى : " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " الآية ٢ من سورة الحجر ،وانظر الكشاف ٢/ ٤٤٣ .

(٤) الآية ١٤ من سورة التكوير ،ويقول الزمخشرى فى تفسيرها انه "من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ،ومنه قوله عز وجل : " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " ومعناه معنى كم وأبلغ منه ،وقول القائل : قد أترك القرن مصفرا أنامله ،وتقول لبعض القواد : كم عندك من الفرسان ؟ فيقول : رب فارس عندى ، وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد ،وأنه ممن يقلل كثير ماعنده فضلا أن يتزيد ،فجاء بلفظ التقليل ،ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين " . انظر الكشاف ٤/ ٥٦٦ ــ ٥٦٧ .

قوله :

وأطحن بالقوم شطر الملوك حتى اذا خفق المجـــدح (١) .

طحن فى المفازة : سار ، وطحنت بالقوم : سرت بهم ، وخفق النجم : غاب ، وفى الأساس : " خفق المجدح أى الدبران ، ونوءه غزير ، يقولون : ارسلت السماء مجاديح الغيث " (٢) وفى الفائق : " هو ثلاثة كواكب كأنها أثفية (٣) ، فشبه بالمجدح ، وهى خشبة لها ثلاثة أعيار (٤) يجدح بها الدواء ، أى يضرب ، والمجدح عند العرب (٥) من الأنواء التى لا تكاد تخطىء " (٦) ، والمعنى : انى أذهب بالقوم الى الملوك فى زمن القحط الى أن يزول ، أو أذهب بهم وأدخل على الملوك حين لا يدخل الا خواصهم .

قوله : (أى اجعل تولية الوجه) يشير الى أنه قد ترك أحد مفعولى " ول " ، و " شطر المسجد الحرام " ظرف بمعنى اجعل وجهك فى جهة المسجد وسمته ، ولو كان مفعولا به كما فى " لنولينك قبلة " لما ذكر " شطر " بل اقتصر على المسجد ، وانما اعتبر استقبال الجهة دون العين مع أن القبلة أى مايجب أن يستقبل هو الكعبة لما فى ذلك من الحرج على من بعد من مكة (٧) ، وفى ذكر المسجد دون الكعبة مع أنها المقصودة بالتوجه دلالة على أن الواجب هو الجهة ، اذ لو كان هو العين لكان المناسب ذكر الكعبة التى هى القبلة .

لا يقال : التوجه الى عين المسجد توجه الى عين الكعبة لاحاطته بها كالدوائر المحيطة بالمركز فانها لا تخرج عن المحاذاة وان كبرت وعظمت جدا ، لانا نقول : ربما يتوجه الى طرف من المسجد لا يحاذى عين الكعبة وهو ظاهر ، بل (٨) / فى الدائرة ١٤٤أ
المحيطة بالشىء ربما يتوجه اليها بحيث يقع الخيط من البصر على المحيط ، ولا يقع على المحاط .

---

(١) الشاعر : درهم بن زيد الانصارى ، وجواب اذا فى البيت الذى بعده وهو :

أمرت صحابى بأن ينزلـــوا * فناموا قليلا وقد أصبحـــوا

وروى مكان " أطحن " أظعن بالظاء المعجمة ، انظر البحر المحيط ١ / ٤١٨ ، والأزمنة والأمكنة ١ / ١٧٩ ، وأساس البلاغة مادة (طحن) ، والصحاح مادتى (طحن) ، و (جدح) ، واللسان مواد (طحن) ، و (جدح) ، و (خفق) .

(٢) أساس البلاغة مادة (جدح) .

(٣) الأثفية : مايوضع عليه القدر ، والجمع أثافى .

(٤) أى أركان ، وفى خ : ثلاثة أعناق .

(٥) قوله " عند العرب " ناقص من الأصل وهو فى عبارة الفائق وفى النسخ الأخرى .

(٦) الفائق ١ / ٩١ بتصرف .

(٧) خ : عن مكة .

(٨) كلمة " بل " ناقصة من الأصل .

فان قيل : يرد على وجوب العين صحة صلاة صف مستطيل جدا على الاستقامة ، وعلى وجوب السمت عدم صحة صلاة المصلى الى يمين ما يجعله قبلة والى يساره ، فان الخط الخارج من بصره يقع على الخط المار بالكعبة ، ولا معنى للسمت سوى هذا .

قلنا : بل سمت الكعبة أن يصل الخط الخارج من جبين المصلى الى الخط المار بالكعبة على استقامته بحيث تحصل قائمتان ، أو نقول : هو أن تقع الكعبة فيما بين خطين يلتقيان فى الدماغ ، فيخرجان الى العينين كساقى مثلث .

قوله : (انه الحق) بطريق الحصر (١) ، لا ترك التحويل لاستلزامه الكذب فى بشارة الأنبياء .

قوله : (جواب القسم المحذوف) الدال عليه اللام الموطئة (٢) فى " ولئن أتيت " لما تقرر فى موضعه من أن الجواب فى مثل هذا للقسم دون الشرط ، وان لم يكن ههنا مانع ، وقوله : " وما أنت بتابع " عطف على مجموع الكلام السابق ، لا على ما وقع فى موقع جواب القسم والشرط ولهذا عدل الى الاسمية .

قوله : (ماجوا) (٣) فى الفتنة : اضطربوا ، وجعل الماضى بدون " قد " خبر كان محل بحث ، [لكنه واقع فى التنزيل (٤) ولو بتقدير قد] (٥) .

قوله : (بعد الافصاح) متعلق (بقوله) الذى هو مبتدأ خبره (كلام وارد) ، ومعنى قوله : (مثلا) أن هذه الشرطية مبنية على الفرض والتقدير ، والا فلا معنى لاستعمال " ان " الموضوعة للمعانى المحتملة بعد تحقق الانتفاء بقوله : " وما أنت بتابع قبلتهم " .

وتفسير " الظالمين " (بالمرتكبين للظلم الفاحش) لما فى الكلام من وجوه المبالغة كالقسم ، واللام الموطئة ، وان الفرضية ، وان التحقيقية ، واللام فى خبرها ، وتعريف الظالمين ، والجملة الاسمية ، واذن الجزائية ، وايثار طريقة " من الظالمين " على " انك اذن ظالم " أو " الظالم " لافادتها أن ذلك مقرر محقق أنه معدود فى زمرتهم ، وايقاع الاتباع على ماسماه " أهواء " بمعنى أنه لا يعضده برهان ولا نزل فى شأنه بيان .

---

(١) ط ، م : القصر .
(٢) فى ط زيادة " للقسم " .
(٣) الكشاف ١٥٢/١ .
(٤) وذلك كما فى قوله تعالى : " ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " الآيتين ٢٦ ، ٢٧ من سورة يوسف .
(٥) ما بين المعقوفين ناقص من خ ، م .

ولا يخفى مافى ذلك من (اللطف للسامعين) بتقريبهم الى الاقتداء بهدى الأنبياء وتبعيدهم عن اتباع أهل البدع والأهواء ، ومن (زيادة التحذير) حيث كان هـذا حال أفضل الأنبياء ، فما بال العصاة الأشقياء بمتابعة الأهواء ؟ ومن (الاستفظاع لحال تارك الدليل) وهو ظاهر ، ومن (التهييج والالهاب لأجل الثبات على الحق) للقطع بأن النبى صلى الله/ عليه وسلم (١) لا يتبع أهواءهم ، فمثل هذا الخطاب معه ١٤٤ ب لا يكون الا تهييجا له على الثبات على ترك اتباع الهوى .

قوله : (كلتا القبلتين) يعنى أن قبلتهم كملتهم فى كونها واحدة فى حكم البطلان .

قوله : (يميزون بينه وبين غيره) (٢) ، فان قيل : سوق كلامه يشعر (٣) بأن المعنى يعرفونه بشخصه متميزا عمن عداه بحيث لا يشتبه بغيره ، ومعلوم أن المراد معرفة نبوته ، وأنه نبى الحق كما ذكر فى غيره من التفاسير (٣) قلنا : من دأبه أخذ المعانى من الألفاظ ، وظاهر أن معرفته كمعرفة أبنائهم لا تفيد الا المعنى الذى ذكره ، لكنه يفيد ماذكرتم من المراد ، لأن معناه أنهم يعرفونه من غير اشتباه ولا التباس أنه ذلك النبى (٤) الموعود فى كتابهم .

فان قيل : اذا عرفوه بعينه أنه ذلك النبى الموعود ، وقد اعترف بذلك باللسان بعضهم ، فكيف يكونون كفارا ؟ قلنا : من جهة أنهم لا يصدقون بما يعرفونه بمعنى الاذعان والقبول لذلك من غير اباء ولا استكبار ، فان مجرد المعرفة غير كاف ، وقد حققنا ذلك فى شرح المقاصد (٥) .

قوله : (وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر) فى هذا الكلام الوارد فى شأن النبى [صلى الله عليه وسلم] (٦) وان كان قد خوطب من قوله : " سيقول السفهاء " الى

---

(١) خ : عليه الصلاة والسلام .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ... " الآيات ١٤٦ ـ ٤٨ ا سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٥٣ .
(٣) قوله " يشعر " ناقص من خ .
(٣) فيقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١/ ٣٥٥ : " يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ماجاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده .
(٤) فى خ زيادة " عليه الصلاة والسلام " .
(٥) شرح المقاصد للتفتازانى ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .
(٦) مابين المعقوفين ناقص من م .

هنا مرارا فى الكلام الذى فى شأن القبلة ،فما قيل " ان المرجع مذكور فيما سبق لكن بطريق الخطاب ،فغاية الأمر الالتفات(١) " ،ليس بشيء ،ولهذا لم يذهب من جد فى الهرب من الاضمار قبل الذكر الا الى أنه (للعلم) المذكور بقوله : " ماجاءك من العلم " بمعنى المعلوم الذى أوحى اليه ،أو (للقرآن) أو (لتحويل القبلة) المدلول عليه بما سبق(٢) من الكلام .

قوله : (استثناء لمن آمن منهم) أى اخراج عن حكم الكتمان لمن أظهر ماعلمه من الحق وآمن به ،أو لمن لم يعلمه فلم يتصور منه الكتمان لاقتضائه سابقة العلم فاختص الكتمان بفريق منهم دون الفريقين الآخرين ،وكلمة (أو) فى قوله : (أو لجهالهم) لمنع الخلو لا الجمع ،والاعتراض بأن الجهال لا يدخلون فى الذين يعرفونه ،فكيف يصح اخراجهم ؟ مدفوع بأن اختصاص حكم المعرفة بالبعض لاينافى عموم " الذين آتيناهم الكتاب " وتناوله بحسب دلالة اللفظ للعارفين منهم والجاهلين ،وهذا كما ذكر فى قوله تعالى : " ان الذين كفروا سواء عليهم "(٣) فليتدبر ،وقريب منه مايقال : ان معنى " يعرفون " انه يوجد منهم العرفان اسنادا لفعل البعض الى الكل لاختلاطهم وارتباطهم .

قوله : (وفيه وجهان) أى فيما اذا كان " الحق " مبتدأ خبره " من ربك " اذ على تقدير كونه خبر / المبتدأ فاللام للجنس كما فى " ذلك الكتاب(٤) " ومعناه ان ماجاءك من العلم أو مايكتمونه هو الحق لا مايدعون ويزعمون ،ولا معنى حينئذ للعهد . ١٤٥ أ

وأما على تقدير كونه مبتدأ فاللام يحتمل أن تكون للعهد اشارة الى الحق الذى جاء به النبى عليه الصلاة والسلام أو الحق الذى يكتمه الفريق من أهل الكتاب ، وأن تكون للجنس كما فى : الحمد لله ،والكرم فى العرب ،والنسب الى الآباء ،دلالة على الحصر لوقوع المحكوم عليه نفس الجنس من غير قرينة البعضية .

ومما يجب التنبه له أن ماذكره فى بيان العهد والجنس تقرير لحاصل المرام ، لا تقدير لموقع مفردات الكلام ،فلا يتوهم أن فى الأول حذف مبتدأ ،ولا فى الثانى حذف خبر هو متعلق " من ربك " مع موصول به .

قوله : (وأن يكون حالا) أى مؤكدة مثل : هو الحق مبينا .

---

(١) وهذا ماذهب اليه الطيبى فى فتوح الغيب ١/ ١٨٠ .
(٢) م ،ط ،خ : بمضمون ماسبق .
(٣) الآية ٦ من سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١/ ٣٦ .
(٤) من الآية ٢ من سورة البقرة .

قوله : (فلا تكونن من الممترين) ان كان الخطاب عاما فظاهر أى لا ينبغى لأحد أن يشك ، وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم [1] فلقصد الثبات على اليقين ، ولنهى الأمة عن الامتراء بألطف وجه ، بمعنى ان من كانت أمة لك كان امتراؤها امتراءك .

قوله : (هو موليها) يعنى أن ضمير " هو " يجوز أن يكون لكل ، والمفعول المحذوف وجهه ، وأن يكون لله تعالى والمفعول المحذوف ضميرا عائدا الى كل ، وهذا معنى قوله (أى الله موليها اياه) ، واختار الأول لظهور المرجع .

وأما على قراءة الاضافة [2] فضمير " هو " عائد الى الله تعالى قطعا اذ لا ذكر للغير ، و (اللام مزيدة فى المفعول لتقدمه على العامل كما في لزيد ضربته) مع كون العامل اسم فاعل كما في قولك : زيد لعمرو ضارب ، فللام جهتان ، ومثل بالفعل لأنه اذا جاز فيه ففي اسم الفاعل أولى ، ثم مثل بمثال موافق لما نحن فيه بعينه [3] وهو قوله : (لزيد أبوه ضاربه) .

فان قيل : العامل فى المثال الموافق والممثل مشتغل بالضمير ، فكيف يعمل فى المتقدم ؟ قلنا : العامل محذوف والمذكور تفسير له ، أى لكل وجهة الله مول موليها ، ولزيد أبوه ضارب ضاربه ، والمفعول الآخر محذوف أى أهلها ، ولا حاجة الى ماقيل : أن الضمير للمصدر [4] ، أى مول التولية وضارب الضرب ، أو أن لكل وجهة انما هو المفعول الأول بحذف المضاف [5] ، أى لكل صاحب وجهة ، وضمير موليها هو المفعول الثانى ، وايراد النظيرين تنبيه على الوجهين ، لكن لا يخفى أنه لو أراد هذا لكان ينبغى أن يشير الى المضاف المحذوف ، وأما مايقال أن الاضافة الى ضمير المصدر لا تكون الا بطريق الاتساع والاجراء / مجرى المفعول به ، ولا سبيل اليه عند ذكر المفعول ٤٥ اب
به ، فليس بشىء لأنه ينبنى على التشبيه بالمتعدى الى مفعولين كما فى الاضافة الى غير [6] المصدر مثل :

ياسارق الليلة اهل الدار [7]

(١) م مخ : عليه السلام .
(٢) البحر المحيط ١/ ٤٣٧ ، وأنوار التنزيل ١/ ١٢٢ .
(٣) قوله " بعينه " ناقص من خ .
(٤) قال بذلك القاضى البيضاوى فى أنوار التنزيل ١/ ١٩٩ ، وأبو البقاء العكبرى فى التبيان فى إعراب القرآن ١/ ٤٥ .
(٥) ولقد ذهب الى ذلك الفاضل اليمنى فى تحفة الاشراف ١/ ١١٣ .
(٦) كلمة " غير " ناقصة من الأصل
(٧) رجز سبق تحقيقه في الورقة ٢٢ ب .

قوله : (وقد وليها) أى ولى كل تلك الجهة ، وترك ذكر الفاعل أعنى المولى لكونه معلوما ، ولأن الكلام ليس فيه ، وأتى بالواو ، وقد قصدا الى جعل الجملة حالا ، والأحسن تركها ليكون تفسيرا ، وقوله : (والمعنى لكل أمة) بيان لمعنى الآية على تقدير كون كل مفسرا بكل من أهل الأديان ، ثم ذكر أن ههنا معنى آخر يفسر فيه كل بكل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (١) ، وعلى الوجهين فالخيرات تعم أمر القبلة وغيره .

والاتيان بكم هو الاتيان للجزاء ، و(من موافق ومخالف) (٢) بيان لضمير الخطاب فى " بكم " مثل : أفديك من رجل ، ومثل : فديناك من ربح ، ويجوز أن تكون الخيرات اشارة الى (الجهات المسامتة للكعبة) يعنى أن الأفضل تحرى التوجه الى عين الكعبة وسمتها أقرب ما يمكن ، ومعنى الاتيان بكم جميعا : التجوز بذلك عن جعل صلواتهم مع اختلاف جهاتها فى حكم متحدة الجهة كأنها كلها مسامتة لعين الكعبة فى المسجد الحرام .

ثم مدلول " استبقوا " ليس الا طلب التسابق فيما بينهم ، ودلالته على سبق غيرهم من جهة أنهم لما أمروا بسبق بعضهم بعضا فبسبقهم غيرهم أولى .

قوله : (ومن حيث خرجت فول) (٣) قد جوزوا اعمال مابعد الفاء فيما قبلها فيكون " من حيث " متعلقا بول ، لكن لا مساغ لاجتماع الحرفين ، فالوجه أنه متعلق بمحذوف عطف عليه " فول " ، أى افعل ما أمرت به فول ، ويجوز أن يجعل " من حيث خرجت " فى معنى الشرط أى أينما كنت وتوجهت ، فالفاء للجزاء .

قوله : (وهذا التكرير) يعنى تكرير الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام ، حيث ذكر ثلاث مرات للتأكيد الذى يقتضيه المقام ، ولافادة ما رتب على كل مرة :

فعلى الأولى — تكريم النبى عليه الصلاة والسلام باجابة دعائه واعطاء متمناه وما كان يرضاه ويراه ، ثم أمر الكل باتباعه واظهار عناد أعدائه (٤) وخيبة رجائهم فيما كانوا يتمنون من اتباع أهوائهم .

---

(١) م خ : عليه الصلاة والسلام .
(٢) فى الأصل " من مخالف وموافق " وهو مخالف لعبارة الكشاف .
(٣) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك ... " الآيات ١٤٩ — ١٥٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٤ .
(٤) خ : غباوة أعدائه .

وبالثانية : عدم تفاوت الحال بحسب السفر والحضر والتصريح بحقية المأمور ،
والوعيد على من تركه ، وفي تفسير الضمير (بهذا المأمور به) تنبيه على جهة تذكيره ، مع عوده الى التولية التي يدل عليها " فول " .

وبالثالثة : تشريف أمته بافراد الخطاب ، وتعليل / الحكم بما رتب عليه من الحكم والمصالح . ١٤٦ أ

قوله : (الى التفصلة) أي التفرقة (بين النسخ والبداء) وذلك أن النسخ : بيان لانتهاء مدة الحكم الذى ظاهره التأبيد ، والبداء : ظهور رأى غير الرأى الأول بمنزلة الندم .

قوله : (استثناء من الناس) يعنى به البدل لأنه المختار فى كلام غير موجب ، فيكون مجرورا ، ويحتمل النصب على الاستثناء ، وفى كلامه اشارة الى أن اللام للعهد ، وان حكم النفى متعلق بكل فرد منهم لا بكل جمع ، وأنه لعموم النفى لا لنفى العموم ، [وأن " حجة " اسم كان] (1) ، و " للناس " خبره ، وأما " عليكم " فيحتمل أن يتعلق بالظرف أعنى " للناس " ، وأن يكون حالا من " حجة " على أنه فى الأصل صفة .

قوله : (ولم يبال بحجة المعاندين) حيث لم يأت بما لا يبقى لهم أيضا حجة ، أى افعل التولية لئلا يكون للمنصفين من اليهود حجة بأن يقولوا : (كيف لم يحول الى الكعبة كما هو مذكور فى نعته المذكور فى التوراة ؟) وأما المعاندون فلتكن لهم الحجة بأنه (لم يتوجه الى الكعبة الا ميلا الى قومه وحبا لبلده) فان ذلك ليس بحجة بل شبهة ظاهرة البطلان ، يسوقونها مساق الحجة والبرهان ، فما ذكر من اطلاق اسم الحجة عليها مبنى على أن الاستثناء من النفى اثبات ، أى الا للظالمين فانه تكون لهم حجة ، ويرد عليه أن المذكور فى صدر الكلام ان تناول هذه لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، والا لم يصح الاستثناء لأن الحكم مختص حينئذ بنفى الحجة الحقيقية ، ولا محيص سوى أن يراد بالحجة : المتمسك ، حقا كان أو باطلا ، ومن ههنا ذهب بعضهم (2) الى أن هذا من قبيل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم (3)

---

(1) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(2) هو الامام الطيبى ، وذلك فى فتوح الغيب ١ / ١٨٣ .
(3) صدر بيت للنابغة الذبيانى ، وتمامه :
بهن فلول من قراع الكتائب
انظر ديوان النابغة الذبيانى ٧ ، والمطول ٤٣٩ ، والايضاح ٢١١ ، وشروح =

قوله : (ثم استأنف) يعنى يكون " الذين ظلموا " مبتدأ خبره " فلا تخشوهم " .

قوله : (ومتعلق اللام) يعنى في[1] " ولأتم نعمتي " (وارادتى الاهتداء) يعنى " ولعلكم تهتدون " لاستحالة حقيقة الترجى ، ولم يفسره بكى تهتدوا ، تحاميا عن جعل لعل بمعنى كى ، وان كان يذكره فى مواضع ، وقدر المحذوف متأخرا قصدا الى الاختصاص ، والى أن الحذف دليل على أن الاهتمام بالمذكور أكثر ، وجعل العطف على " لئلا يكون " مرجوحا لبعد المناسبة ، ولأن ارادة الاهتداء انما تصلح علة للأمر بالتولية ، لا لفعل المأمور به على ماهو الظاهر فى " لئلا يكون " وايراد الحديث[2] والأثر[3] ربما يرجح العطف على المقدر .

قوله : (" كما أرسلنا " اما أن يتعلق) يشير الى أنه على الوجهين فى موقع المصدر ، ومن اقامة السبب مقام المسبب ، وعلى الثانى تتخلل الفاء بين العامل والمعمول مثل : " وربك فكبر "[4] .

قوله : (بل هم / أحياء) يعنى ليس هو عطفا على " أموات " عطف مفرد على مفرد ، ٤٦٦/ب
ولا عطفا على هم أموات ، عطف جملة على جملة ، لأنها ليست فى حيز القول ، بل هو اضراب عن نهيهم الى الاخبار بهذه الجملة ، فليتدبر .

قوله : (وقالوا يجوز) اشارة الى اثبات الحياة البدنية لأن الروحانية مشتركة بينهم وبين غيرهم .

قوله : (عطف على شىء[5]) هذا أوجه نظرا الى تنكير " نقص " ، " وبشر

= التلخيص ٤ / ٣٨٧ ، ومعاهد التنصيص ٣ / ١٠٧ ، وحسن التوسل ٥٨ ، والبديع لابن المعتز ٦٩٤ ، والعمدة ٢ / ٤٨ ، والصناعتين ٣٩٧ ، وأعجاز القرآن للباقلانى ١٠٧ ، ومشاهد الانصاف ٢ / ١١١ ، وتنزيل الآيات ٣٣٠ ، والكامل للمبرد ١ / ٣٢ ، ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٤ / ١٦ ، والمفردات فى غريب القرآن ١٠٨ ، والفائق ٢ / ١ ، ٥ واتمام الدراية ١٦٦ ، وشرح الحماسة للتبريزى ١ / ٢٧٦ ، ٣ / ٨٣ ، وللمرزوقى ١ / ١٢٢ ، ٢٨٥ ، ٢ / ٩٧٠ ، والأغانى ٩ / ١٦١ ، والخزانة ١ / ٣٧١ ، ٢ / ٩ ، ١١ ، وأمثال الضرب ٧٩ ، وسيبويه ١ / ٣٦٧ ، والعينى ٣ / ٢٧٠ ، ٤ / ٤٦ .

(١) قوله " يعنى فى " ناقص من الأصل .

(٢) وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم : " تمام النعمة دخول الجنة " . انظر صحيح الترمذى ١٣ / ٥١ .

(٣) وهو قول على كرم الله وجهه : " تمام النعمة الموت على الاسلام " انظر أنوار التنزيل للبيضاوى ١ / ١٢٣ .

(٤) الآية ٣ من سورة المدثر .

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ... " الآيات ١٥٥ — ١٥٧ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٥ .

الصابرين " عطف على " ولنبلونكم " عطف المضمون على المضمون ، " وأولئك " مبتدأ خبره " عليهم صلوات " والجملة في موقع الاستئناف .

والصلاة لما أنها في الأصل تحريك الصلوين ناسب أن يراد بها (الحنو والانعطاف ثم الرأفة) المناسبة لذلك [1] ولعطف الرحمة عليها بمنزلة أن يقال " رأفة ورحمة " [2] ، " والله رءوف رحيم " [3] ، وما يقال : ان الصلاة من الله رحمة فهذا أخذ بالحاصل ، وبأن الرحمة أيضا تنبيء عن الرأفة والانعطاف ومنه الرحم .

وجمع الصلوات للتكرير كالتثنية في لبيك وسعديك [4] ، بمعنى أنه لا انقطاع لرأفته ، وروعى مثل هذا في الرحمة بتنكير التفخيم ، وذلك لأن حمل الصلوات على عدة من ذلك : ثلاثة أو مافوقها مما ليس له كثير معنى ، ثم حاصل الرأفة والرحمة راجع الى ايصال المسار ودفع المضار .

قوله : (كالصمان) [5] هو موضع بجنب رمل عالج ، (والمقطم) جبل مصر ، مثل بهما لكونهما علمين مع اللام كالصفا والمروة .

قوله : (وهى العلامة) فى الصحاح : " الشعائر : أعمال الحج وكل ماجعل علما على طاعة الله [6] تعالى ، قال الأصمعى : الواحدة شعيرة وقيل : شعارة " .

والمنسك : موضع النسك أى العبادة ، وكذا المتعبد ، وقد جاء تعبده بمعنى أخذه عبدا ، وبالجملة فاضافة الشعائر الى الله تعالى [7] ههنا بمعنى أعلام مواضع العبادة ، وفى " يعظم شعائر الله " [8] بمعنى أعمال الحج ، وأما اذا أضيفت الى الشرع فالمراد ماهو بمنزلة الأعلام والعلامات كالأذان والاقامة وكثير من أفعال الحج .

---

(١) يقول الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ١٨٥ : " قيل للداعى : مصل ، تشبيها فى تخشعه بالراكع والساجد ، ثم الخشوع والخضوع يدل على الحنو والعطف ، وهو على الرأفة والرحمة ، وهو المراد بقوله : " فوضعت موضع الرأفة " وهى كناية تلويحية ، وذلك أن العطف والحنو على الله محال فكنى بها عن الرأفة " .

(٢) من الآية ٢٧ من سورة الحديد . (٣) من الآية ٢٠ من سورة النور .

(٤) قوله " وسعديك " ناقص من الأصل .

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ان الصفا والمروة من شعائر الله ... " الآية ١٥٨ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٦ .

(٦) عبارة الصحاح مادة (شعر) : لطاعة الله .

(٧) قوله " تعالى " ناقص من ط ، م ومن الأصل .

(٨) من الآية ٣٢ من سورة الحج .

قوله : (وهما في المعاني) يعني اذا قيل : الحج أو العمرة أو الاعتمار لا يفهم منه الا القصد والزيارة المخصوصان ، ولا يحتاج الى ذكر المتعلق بخلاف الفعل مثل : حج البيت .

قوله : (كيف قيل ؟) يعني لا تتصور فائدة في نفي الجناح بعد اثبات أنهما من شعائر الله بل ربما لا يتلاءمان اذ أدنى مراتب الأول الندب ، وغاية الثاني الاباحة .

قوله : (وأن لا يكون) عطف على (أجل) أو (فعل) وذلك اشارة الى الطواف بينهما لما عليهما من الصنمين الحجرين .

قوله : (وما فيه من التخيير) بمنزلة التفسير لرفع الجناح ، يعني ان الاباحة والتخيير بين الفعل / والترك هو المتبادر الى الفهم عرفا من رفع الجناح ، وان كان ١٤٧ أ مفهومه بحسب العقل مجرد عدم الحرمة أو الكراهة على مايعم الواجب والمندوب أيضا ، الا ان قرينة كونهما من شعائر الله ربما يدفع الاباحة المتبادرة ، وأما التطوع ففي اللغة التبرع ، وقد يقال ـ أى التطوع [1] ـ لفعل الطاعة تنقلا ، فبهذا الاعتبار استدل به على التطوع ، لكن تعديته بنفسه تشعر بأن المراد به الاتيان بالفعل طوعا فلا ينافي الوجوب ، والتشبيه بقوله : " فمن تطوع خيرا فهو خير له " [2] اشارة الى أن فيه نوع دلالة على عدم الوجوب وقراءة ابن مسعود [3] من الشاذة ، وهي ليست بحجة عند الشافعية ، نعم لو تم الاستدلال بوجه آخر لصح أن تنصره [4] .

قوله : (لقوله عليه السلام [5] : اسعوا) يعني أن الأمر بالسعي مع التعليل والتأكيد (بأن الله تعالى كتبه عليكم) يفيد غاية الوجوب بحيث يفوت الجواز بفوته وهو معنى الركنية .

قوله : (ما أنزلنا في التوراة) [6] اعتبر ذلك وفسر " البينات والهدى " بما فسر لأن هذا هو الذي يكتمه أحبار اليهود ، لا " القرآن وما فيه من الأحكام " على مافي

(١) قوله " أى التطوع " ناقص من الأصل . (٢) من الآية ١٨٤ من سورة البقرة .
(٣) البحر المحيط ١/ ٤٥٦ .
(٤) انظر معالم التنزيل للبغوى ١/ ٣٦٧ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٩ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى ١/ ١٢٥ .
(٥) خ : عليه الصلاة والسلام ، وما في الأصل هو الموافق لمافي الكشاف .
(٦) في تفسير قوله تعالى : " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ... " الآية ١٥٩ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٥٧ .

تفسير الكواشى (١) بناء على أن " من بعد " متعلق بأنزلنا ، ولا يستقيم الا على ماذكر ، لكنه متعلق بيكتمون فيستقيم .

ولم يأت بالفاء فى الخبر أعنى " أولئك يلعنهم الله " لئلا يتوهم أن لعنهم انما هو بهذا السبب ، بل له أسباب جمة .

ومعنى لعن الله اياهم التبرؤ عنهم وطردهم وتبعيدهم عن الرحمة والثواب . ومعنى لعن اللاعنين الدعاء عليهم بذلك ، وفسر " اللاعنون " (بالذين يتأتى منهم ذلك) اشارة الى أن هذا فى الفاعل مثل / " من قتل قتيلا (٢) " فى المفعول ، وأنه ليس على عمومه اذ من اللاعنين (٣) من لا يلعنهم بل غيرهم .

واستفاد من قوله : " يلعنهم " أنه فى الحياة ، ومن قوله : " عليهم لعنة الله " (٤) أنه بعد الممات ، لما أن أمر الدنيا على التجدد والحدوث ، وأمر الآخرة على الثبات والاستقرار ، وبهذا اندفع التكرار

قوله : (لأنه فاعل فى التقدير) (٥) وأما فى التحقيق فمضاف اليه مجرور ، والفاعل لا يكون الا مسندا اليه مرفوعا بالفعل وشبهه ، وكذا فى المضاف الى المفعول جوزوا عجبت من ضرب زيد وعمرا ، أى من أن ضربت زيدا وعمرا . [وعلى عكس هذا جوزوا عجبت من أن ضربت زيدا وعمرو بالجر] (٦) أى من ضرب زيد وعمرو ، وعليه حمل قوله :

فكأنما يغدون فى تلك السرى * أن يأسروا العيوق والدبران (٧)

أى أسر العيوق والدبران ، هذا ، ولكن فى كون اللعنة على معناها المصدرى بحيث لم ترد الا / للدلالة على المرة نظر ، بل هو بالحاصل من المصدر أشبه ، ولهذا لم يكن " عليهم أن يلعنهم الله " فى حسن " أن عليهم لعنة الله " . ١٤٧ ب

قوله : (أولا ينتظرون) عطف على مجموع قوله : (من الانظار أى لا يمهلون) لأنه على الأخيرين من النظر دون الانظار ، فى الأساس : " نظرته انتظرته ونظرت اليه

---

(١) من قول النبى صلى الله عليه وسلم : " من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه " انظر صحيح مسلم ١٢ / ٥٩ . (٢) م : اذ فى اللاعنين .

(٣) من الآية ١٦١ من سورة البقرة .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله ... " الآيتين ١٦١ـ١٦٢ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٧ .

(٥) مابين المعقوفين ناقص من خ .

(٦) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمه ، والدبران منزل من منازل القمر .

ونظرته قال :

ظاهرات الجمال ينظرن عوضا * مثل ماتنظر الأراك الظباء " (١)

فقوله : (ولا ينظر اليهم) بيان للمعنى لادلالة على حذف حرف الجر .

قوله : (فرد في الالهية) (٢) ، لا يخفى أن في قولنا : سيدكم سيد واحد ، من تقرير السيادة وتسليمها عند المتكلم ماليس في قولنا : سيدكم واحد ، وأن معنى الوحدة عنا التفرد بالسيادة ، و" لا اله الا هو " بحسب صدر الكلام نفى لكل الـه سواه ، وبحسب الاستثناء اثبات له ولألوهيته ، لأن الاستثناء من النفي اثبات سيما اذا كان بدلا ، فانه يكون هو المقصود بالنسبة ، ولهذا كان البدل الذي هو المختار في كل (٣) كلام تام غير موجب بمنزلة الواجب في هذه الكلمة حتى لا يكاد يستعمل لا اله الا الله بالنصب ، ولا اله الا اياه .

فان قيل : كيف يصح أن البدل هو المقصود ، والنسبة الى المبدل منه سلبية ؟ قلنا : انما وقعت النسبة الى البدل بعد النقض بالا ، فالبدل هو المقصود بالنفي المعتبر في المبدل منه لكن بعد نقضه ، ونقض النفي اثبات .

قوله : (ولا شيء سواه بهذه الصفة) يشير الى أن " الرحمن " خبر مبتدأ محذوف لابدل ، اذ لا بدل للبدل ، وأن قولنا : هو الرحمن الرحيم ، يفيد الحصر ، وفيه تقرير للتوحيد اذ النعمة والمنعم عليه لا يكون الها لما فيهما من الاحتياج .

فان قيل : الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بنعمة ولا منعم عليها ، قلنا : هي كلها من حيث القابلية والفاعلية ومايرجع الى الوجود والشيئية نعمة ، ومرجع الشر والقبح الى العدم ، ولهذا بيان في علوم أخر .

قوله : (أو ماينفع الناس) (٤) يعني يجوز أن تكون ما مصدرية ، وكان ينبغي أن يبين ضمير الفاعل والظاهر أنه للبحر أو للجري ، لا للفلك لكونه جمعا .

---

(١) أساس البلاغة مادة (نظر) بتصرف ، والبيت لابن قيس الرقيات وروى :
ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الأراك الظباء
انظر شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ١ / ١٣٩ ، والبحر المحيط ١ / ٣٣٩ .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " الآية ١٦٣ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٧ .

(٣) كلمة "كل " ناقصة من خ .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .. " الآية ١٦٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٨ .

قوله : (عطف على أنزل أم أحيا) يعني مع[١] خفاء المناسبة بين بث الدواب في الأرض وبين كل من انزال الماء من السماء واحياء الارض بالمطر ، بل غايته الاتحاد بين متعلق " بث " ومفعول " أحيا " ، والتضاد بين متعلق " بث " و " أنزل " أعني السماء والأرض ، وعامة الناظرين على أن المانع من العطف على أنزل وجود الفاصل الذي هو " فأحيا به الأرض " والخاصة لا يرضونه ، اذ لا يتوهم كون بعض أجزاء الصلة مانعا من العطف عليها ، ولا يلائمه الجواب/ بأن " أحيا به الأرض " متصل ١٤٨ أ بأنزل من السماء ماء مرتبط به بحيث صارا بمنزلة أنزل في الأرض من ماء فيحسن عطف " وبث فيها من كل دابة " عليه غاية الحسن وينتظم غاية الانتظام بتصرف في المعطوف عليه[٢] ، ويجوز أن يعطف على " أحيا " بتصرف في المعطوف ، وهو تقدير به ، أي بالماء ، أي ليؤول الى قولنا : أحيا بالمطر الأرض وبث المطر في الأرض الدواب من العقلاء وغيرهم ، ووجه السببية أنهم ينمون بالخصب وكثرة الأرزاق ، ويعيشون بالأمطار المبني عليها أمر النبات والأشجار ، والزروع والثمار ، والمياه والأنهار ، فيكثرون ، وهو معنى البث .

وجعل الأول هو الظاهر لدلالته على كون انزال الماء وبث الدواب آيتين ، واستغنائه عن تقدير الجار والمجرور وعن التكلف في "من " الداخلة على " كل دابة " لظهور كونها بيانية بخلاف الثاني ، اذ الظاهر أنها زائدة في الاثبات لأنه قد بث فيها كل دابة ، لكن الحق أنها تبعيضية بالنظر الى ما الكل من الأفراد المقدرة الثابتة في علم الله تعالى ، بل الى ما يزعم المصنف من أن في السماء أيضا دوابكما ذكره في حمعسق[٣]

قوله : (قبولا ودبورا) القبول : الصبا وهي التي تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ، والدبور تقابلها ، (والشمال) [هي التي تهب من] [٤] جانب القطب ، (والجنوب) تقابلها ، (والعقيم) مالا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ، و(اللواقح) جمع ملقحة على الشذوذ وهي التي تلقح الأشجار .

---

(١) قوله " مع " ناقص من م .
(٢) قوله " في المعطوف عليه " ناقص من خ .
(٣) ففي تفسير قوله تعالى : " ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة " الآية ٢٩ من سورة الشورى قال الزمخشري : " لا يبعد أن يخلق الله في السموات حيوانا يمشي فيها مشي الأناس على الأرض ، انظر الكشاف ٤/ ١٧٦ .
(٤) ما بين المعقوفين زائد في م .

قوله : (فمج بها) من مج الريق من فيه ،والباء لما فيه من معنى الرمى ،ووجه الدلالة على عدم التفكر أن من تفكر فيها فكأنه حفظها ولم يلقها عن فيه .[1]

قوله : (أندادا أمثالا)[2] اقتصر على ذلك لأنه لا يتصور فيما بين الأصنام المخالفة والمناوأة ،ولا دلالة على أنهم اتخذوها أندادا لله تعالى كما صرح به فى قوله تعالى : " فلا تجعلوا لله أندادا[3] " على قصد التهكم[4] ،وانما فهم اتخاذهم اياها أمثالا لله بمنزلة الآلهة من وصفها بقوله : " يحبونهم كحب الله " ،(واستدل بقوله) وجه الاستدلال أن التبرؤ لا يتصور من الأصنام ،والجواب أنه لا دلالة فى الكلام على كون الذين اتبعوهم الأنداد .

قوله : (مصدر من المبنى للمفعول) اذ لا دلالة فى الكلام على الفاعل أعنى
المؤمنين ،فالمعنى على تشبيه محبوبية الأصنام من جهتهم بمحبوبية الله تعالى من
جهة المؤمنين ،من حببته بمعنى أحببته ،وأما اذا أريد كمحبتهم الله فالمصدر من
المبنى للفاعل أضيف الى المفعول[5] لدلالة الكلام على الفاعل لكن / أضيف الى ١٤٨ ب
المفعول ،وبهذا يظهر الجواب عما يقال فى مثل هذا المقام أن لفظ المصدر بحاله
وقد أضيف الى ما هو مفعول فى المعنى ،فمن أين يحكم تارة بأنه مصدر مضاف الى
المفعول ،وتارة بأنه مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى ما هو قائم مقام الفاعل ؟ .

فان قيل : على الوجه الأول كيف ينتظم قوله : " والذين آمنوا أشد حبا لله " وقد حكم أولا بأنهم يحبون الأصنام كحب الله ؟ قلنا : التشبيه انما وقع بين المحبوبين ، والترجيح بين المحبين ،واثر " أشد حبا " على أحب لشيوعه فى الأشد محبوبية .

قوله : (باهلة) قبيلة من قيس عيلان ، (الحيمى) تمر يخلط بسمن وأقط ، (المجاعة) الجوع مصدر جاء بزيادة الميم ،وأما مجع بالكسر مجاعة فمعناه تماجن[6].

قوله : (الذين ظلموا اشارة الى متخذى الأنداد) وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن ما يرون من قطع العذاب انما هو بفاحش ظلمهم الذى هو الشرك

---

(١) ط : من فيه .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ... " الآيات ١٦٥ ــ ١٦٧ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٥٨ .

(٣) من الآية ٢٢ من سورة البقرة . (٤) انظر الكشاف ١ / ٧٢ .

(٥) قوله " أضيف الى المفعول " ناقص من خ .

(٦) من المجون وهو أن لا يبالى الانسان بما يفعل .

المدلول على عظمه وبلوغه الغاية باطلاق الفعل وترك المتعلق مثل : فلان يعطى.

وأشار الى أن " يرى " متعد الى مفعولين سد مسدهما " أن القوة لله " فهو بمعنى يعلم ، و" يرون " متعد الى مفعول واحد هو " العذاب " فيكون بمعنى يبصرون ويشاهدون [1] ، الا أنه فسره (بعاينوا) دون يعاينون لأن " اذ " للماضي ، فنزل ماهو للوقوع منزلة الواقع ، وحينئذ فكلمة " لو " في " ولو يرى " اما أن تكون بمعنى ان على مايراه بعض النحاة ، واما أن يكون المضارع بعدها لقصد استحضار الصورة الهائلة ، ويكون الجميع في تقدير المضى بمعنى لو رأيت حالهم الفظيعة لرأيت أمرا عظيما .

وأما على قراءة " ولو ترى " [2] بالخطاب فهو أيضا متعد الى مفعول واحد هو " الذين ظلموا " ، وينبغي أن يكون " اذ يرون " بدلا منه ، وكذا " اذ تبرأ " اذ لم يعهد الابدال من البدل ، " وأن القوة لله " في موقع بدل الاشتمال من " العذاب " ، وفي جعله بمنزلة المبصر المشاهد من المبالغة مالا يخفى .

وقيل : هو في معرض التعليل للجواب المحذوف أي لرأيت أمرا عظيما ، لأن القوة لله تعالى [3] جميعا ، وانه شديد العذاب للكافرين ، وفيه فصل بالجواب ومتعلقه بين البدل الذى هو " اذ تبرأ " والمبدل منه .

قوله : (الواو للحال) [4] دون العطف لتأديه الى ابدال " رأوا العذاب " من " اذ يرون العذاب " وليس فيه كثير فائدة ، ولأن الحقيق بالاستعظام والاستفظاع هو تبرؤهم في حال رؤية العذاب لاهو نفسه ، وأما تقطع مابينهم من الوصل والأسباب/ ١٤٩ أ
فمستقل في ذلك لا تبع للتبرؤ وقيد فيه ، فلهذا [5] جعله عطفا على " تبرأ " لا على " رأوا " مع أنه الظاهر ، ثم لا خفاء في أن ضمير " تقطعت بهم الأسباب " للمتبوعين والأتباع جميعا كضمير " رأوا العذاب " ، فلا وجه لجعله المرجح للحال على العطف .

ومعنى الباء في " بهم " السببية أي بسبب كفرهم ، أو الحالية أي ملتبسة بهم متصلة وكلامه على هذا أدل ، وهذا كقوله تعالى : " لقد تقطع بينكم " [6] في قراءة الرفع والنصب جميعا ، اذ لا تفاوت في حاصل المعنى.

---

(١) في الأصل " يبصر ويشاهد " .
(٢) وهى قراءة الحسن وقتادة وشيبة وأبى جعفر ويعقوب ، انظر البحر المحيط ١ / ٤٧١ .
(٣) كلمة " تعالى " ناقصة من الأصل . (٤) الكشاف ١ / ١٥٩ .
(٥) م ، خ : فلذا .
(٦) من الآية ٩٤ من سورة الأنعام ، وانظر الكشاف ٢ / ٣٧ .

قوله : (ليت لنا كرة) بيان للمعنى ، وأما بحسب اللفظ فان " لنا كرة " في موضع الرفع فاعلا لمحذوف، أي لو ثبت ، و" نتبرأ " مع أن المضمرة عطف عليه ، وانما تمنوا ذلك لأن التبرؤ منهم في الآخرة لا يغيظهم ، ولا يعود بضير عليهم لأنهم في شغل شاغل وهول هائل وذيل ذائل ، وأما على قراءة مجاهد [1] ففيه اشكال لأن الأتباع اذا تبرأوا في الآخرة لم يكن لهذا التمني معنى ، بل ينبغي ان يكون هذا من المتبوعين على ماقيل : أن حقه أن يقرأ " قال الذين اتبعوا " على البناء للمفعول ، واعترض بأن هذا يكون تمنيا لذل الدنيا بعد ذل الآخرة ، وفيه نظر .

قوله : (مثل ذلك الاراء) اشارة الى مصدر هذا الفعل على مامر في " وكذلك جعلناكم أمة " [2] واعتبر المصدر مجردا عن التاء لئلا يحتاج في تذكير اسم الاشارة الى تأويل ، وهذا رواية عن سيبويه " اراء واراءة ، واقام واقامة " [3] ونحو ذلك .

قوله : (في دلالته على قوة أمرهم) يعني ان تقديم المسند اليه سيما اذا كان ضميرا سيما اذا ولي حرف النفي كثيرا مايكون للاختصاص وحصر النفي فيما يلي حرف النفي مثل : " وماأنت علينا بعزيز " [4] ، " وما أنا بطارد الذين آمنوا " [5] ، ونحو ذلك .

وقد يكون لمجرد التقوى اذا لم يناسب الاختصاص المقام كما في الآية والبيت ، فانه ليس المقام مقام تردد ونزاع في أن الخارج هم أم غيرهم ؟ على الشركة أو الانفراد ، بل اللائق بمقام اراءة أعمالهم حسرات عليهم القطع والبت بأنهم لا يخرجون من النار البتة ، وكذا مراد الشاعر تحقيق أنهم يعدون كرام الخيل لاغاثة من يستغيثهم لكون ذلك مطمح نظرهم ومرمى غرضهم ، لا نفي الشركة أو انفراد الغير بذلك ، وان كان كلاهما صحيحا من جهة المعنى ، أما في البيت فادعاء ، وأما في الآية فبالنظر الى مقابل هؤلاء الكفرة من أصحاب الكبائر الذين ليسوا بكفار ، سواء أطلق عليهم اسم المؤمنين كما هو الحق /أولا كما هو مذهب المعتزلة ، وقد دل على ذلك قوله : " والذين ١٤٩ب
آمنوا أشد حبا لله " أي صدقوا ، وبهذا يندفع مايقال / انه لا يصح الحصر ، أما بالنسبة الى جميع من سوى الكفرة المتبوعين والأتباع فظاهر ، وأما بالنسبة الى المقابل فلأن مقابلهم الكفرة الذين ليسوا كذلك ، وان أريد بهم المشركون فالمقابل الكفرة الذين ليسوا بمشركين ، وان جعل مقابلهم المؤمنين فأصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين

---

(١) البحر المحيط ١ / ٤٧٣ .
(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ١٤٨ .
(٣) كتاب سيبويه ٢ / ٢٤٤ـ٢٤٥ .
(٤) من الآية ٩١ من سورة هود .
(٥) من الآية ٢٩ من سورة هود .

عند المعتزلة ، وكذا ما يقال " أن "هم" ليس للفصل فلا يفيد الاختصاص[1] " ، وأنه لا يصح تقدير تأخيره لبقاء كلمة " ما " بلا اسم ، ولأنه لو قدر خبرا قدم لافادة الاختصاص لكان عمل "ما" باطلا ، فلم يصح دخول الباء فيما أوقع خبرا ، الى غير ذلك من الكلمات .

قوله :

(هم يفرشون اللبد كل طمرة) * واجرد سباح يبذ المغاليا[2]

فى الأساس: " فرشت له فراشا وفرشته اياه وأفرشته " [3] فمن ههنا روى " يفرشون " بضم الياء وفتحها ، يصف قومه بأن من دأبهم[4] اعداد الخيول للركوب واغاثة لمن يستغيثهم ، أى يجعلون اللبد فراشا لظهر كل رمكة وثابة ، وكل فحل كريم سباح فى عدوه غلاب لمباريه ، والطمرة تأنيث الطمر : الفرس المستعد للوثب والعدو ، وقيل : المشمر الخلق ، والأجرد : الدقيق الشعر ، يبذ : علاه وفاقه ، والمغالى : جمع مغلاة وهى السهم يرمى به أبعد ما يقدر عليه ، ويروى : المغالى بضم الميم يعنى فرسا آخر يجاريه .

قوله : (طاهرا من كل شبهة)[5] ، لأن الطهارة من الحرمة قد دل عليه الحلال ، وقد يفسر بما تستطيبه الشهوة المستقيمة ، ورد بأن ما ليس كذلك اما حلال بلا شبهة فلا منع منه ، أولا فخارج بقيد الحلال .

قوله : (ومن للتبعيض) يعنى على تقدير أن يكون " حلالا " حالا ، اذ لو كان مفعولا فمن للابتداء لأن من التبعيضية فى موقع[6] المفعول ، أى كلو بعض ما فى الأرض .

فان قيل : لم لا يجوز أن يكون حالا من " حلالا " قدم عليه لتنكيره ؟ قلنا : لأن كون التبعيضية ظرفا مستقرا أو كون اللغو حالا مما لا يقول به النحاة .

وفى قوله : (لأن كل ما فى الأرض ليس بمأكول) اشعار بأن لزوم التبعيضية انما هو على تقدير المفعولية ، والى أنه لا يجوز أن تكون للتبيين ، وانما أخر بحث " من "

---

(١) والذى قال ذلك هو محمد بن مسعود السيرافى فى كتابه : تقريب الكشاف ٣٧ .
(٢) البيت للمعذل بن عبد الله الليثى ، وروى : " صباح يسد " بدل " سباح يبذ " انظر بغية الايضاح ١ / ١٢٦ ، وشروح التلخيص ١ / ٤٠١ ، ودلائل الاعجاز ٩٥ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٤ / ٢٧٥ ، وللمرزوقى ١٧٦٤ ، وحسن التوسل ٣١ .
(٣) أساس البلاغة مادة (فرش) .
(٤) خ ، م : من شأنهم ودأبهم .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ... " الآيتين ١٦٨ ، ١٦٩ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٥٩ .
(٦) ط ، خ : فى موضع .

عن تفسير " لاتتبعوا " لينتظم أمر الحل والحرمة والشبهة •

قوله : (كأنها على الواو) [(١)] والواو المضمومة قد تقلب همزة مثل [(٢)] : أقتت وأجوه •

قوله : (كالغرفة والغرفة) والفتح للمرة من الفعل ، والضم بمعنى المفعول / أى ١٥٠ آ
المغترف والمقبوض •

قوله : (شبه تزيينه) يشير الى أنه استعارة تبعية ويتبعها الرمز الى أنهم بمنزلة المأمورين له لما بين الأمرين [(٣)] من الملازمة والمرادفة ، ومبنى الكلام على أن فى الأمر العلو ، والا فمجرد الاستعلاء لا ينافى أن يكون له سلطان أى غلبة وعلو واستعلاء ، وعلى أن " عبادى" لعموم الكل بدليل استثناء الغاوين • [(٤)]

قوله : (وعدل بالخطاب عنهم) [(٥)] أى صرف عنهم الخطاب وذكروا بلفظ الغيبة لنداء الآخرين على ضلالتهم وأنهم أحقاء بأن يعرض عنهم ويضرب عن خطابهم لفرط جهلهم ، فاندفع ما توهم من أن ترك الالتفات والجرى على الخطاب أنسب بالنداء على ضلالتهم •

(قيل : هم المشركون) يعنى (ان الضمير للناس على طريقة الالتفات) لكن المراد بالناس الذين يقال لهم هذا القول : (قيل : المشركون ، وقيل : اليهود) ، ولو كان المراد أن فى مرجع ضمير " لهم " ثلاثة أقوال لقال : وقيل : هم المشركون بالواو •

قوله : (وألفينا بمعنى وجدنا) هذا مستغنى عن الدليل : اذ ليس له معنى آخر •

قوله : (والهمزة بمعنى الرد) أى لا ينبغى أن يكون ، وقد دلت على فعل بعينه قوله : بل نتبع ما ألفينا " فينبغى أن يكون معنى " أيتبعونهم ؟) أيتبعون رأيهم وطريقتهم وما وجدوهم عليه ؟ يعنى أن الاتباع مع استواء حال المتبوع فى العقل والاهتداء

---

(١) البحر المحيط ١ / ٤٧٩ •   (٢) كلمة " مثل " ناقصة من خ •
(٣) خ ، ط : لما بين الآمرين والمأمورين •
(٤) أى فى قوله تعالى : " ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين " الآية ٤٢ من سورة الحجر •
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا •• " الآية ١٧٠ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٦٠ •

وعد مهما باطل [١] ،بل انما يصح ذلك لو علم عقله واهتداؤه ،وهذا ليس بتقليد بـل
اتباع للدليل كما فى حقنا بالنسبة الى من علم صدقه .

قوله : (لابد من تقدير مضاف) [٢] لأن التشبيه وان كان مركبا [٣] على ماينـبـى
عنه لفظ المثل ،ويدل عليه تقريره وجه الشبه ،لا مفرقا مبنيا على تشبيه المفردات بالمفردات
فى الطرفين ،لكن لاخفاء فى أن المناسبة تقتضى اضافة المثل أى الحال والقصة فى
الطرفين الى المتناسبين الواقع أحدهما موقع الآخر ،وان لم يكن المقصود الأصلـى
تشبيهه به نحو : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا " [٤] ولا يحسن كمثل نار، " مثـل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار " [٥] ولا يحسن كمثل الأسفار،وبهذا
يندفع مايقال : لم لا يجوز أن يكون التشبيه مركبا غير مفرق فلا يحتاج الى تقديـــر
المضاف؟ .

ثم انه صرح فى الوجه الراجح للحال الذى وقع فيه التشبيه باضافة المثل الـــى
الداعى على ماذكره أولا من تقدير المضاف فى جانب المشبه ،وينساق الذهن منـــه
الى اعتباره فى جانب المشبه به ،وفى الوجه المرجوح بالعكس لأن اعتبار / اضافـــة ١٥٠ ب
الاتباع للأباء فى المدعو أظهر ،وان كان يصح أن يقال : مثل داعيهم الى الايمان
فى أنهم يتبعون آباءهم ولا يفهمون مايقوله الداعى ،وجوز فى الوجه الأرجـــح أن
يراد [٦] بما لا يسمع البهائم ،على ماهو الظاهر من كلمة "ما" ومن لفظ النعيـــق
الشائع فى تصويت البهائم على ماصرح به فى كتب اللغة ،وماذكره المصنف من (نعيق
المؤذن) قليل جدا ، (وأن يراد الأصم الأصلخ [٧]) لكونه بمنزلة غير ذى العقول .

ثم ذكر وجها لايحتاج فيه الى تقدير مضاف أى (مثل الكفار فى دعائهم الأصنام
كمثل الناعق بما لا يسمع)وزيفه بأنه لا وجه حينئذ للاستثناء أعنى قوله : " الا دعـــاء

---

(١) فى م : باطل منكر .
(٢) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء .. " الآية ١٧١ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٦٠ .
(٣) ويرى الفاضل اليمنى فى تحفة الاشراف ١/ ١١٦ أن التشبيه هنا مفرق حيـــث يقول : " قوله : لابد من مضاف محذوف أى اما عند المشبه واما عند المشبه بـــه لأن تشبيه الكفار بالداعى مع كون التشبيه مفرقا لايستقيم بدون تقديره " .
(٤) من الآية ١٧ من سورة البقرة . (٥) من الآية ٥ من سورة الجمعة .
(٦) خ : ان يكون المراد .
(٧) الأصلخ : الأصم جدا لا يسمع ألبتة .

ونداء " اذ لادخل له في التشبيه لأن الأصنام لا تسمع شيئا ، والتشبيه وان كان مركبا لكن المذكور في الجانبين لابد أن يكون له دخل في التشبيه ، وأن يكون مااعتبر في أحد الجانبين مما له مناسب في الجانب الآخر ، وبهذا يندفع مايقال : أن مبنى التزييف على أنه يجعل التشبيه من التشبيهات المفرقة دون المركبة .

قوله : (فانعق بضأنك) يرميه بأنه انما يصلح لرعي الغنم وأن ماتمنيه نفسه من الفخار ضلال وخيال [1] يقال : تمنيت الشيء ، ومنيته غيري تمنية . وقال جرير في جوابه :

لا تطلبن خؤولة من تغلب * فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبى اذ تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الأمثالا [2]

قوله : (من مستلذاته) [3] فان قيل : هب أن مارزقه الله تعالى لا يكون الا حلالا كما هو مذهبه لكن لم فسر الطيب هنا بالمستلذ لا بالخالي عن الشبهة كما في قوله تعالى : " كلوا مما في الأرض حلالا طيبا [4] " مع أن الحل فيه صريح ؟ قلنا : لأن هذا في مقام الامتنان وطلب الشكر وصيغة الجمع ، وذاك في مقام الأمر بالاحتياط والتحرز عن الشبهات وعن اتباع خطوات الشيطان .

قوله : (قرئ حرم على البناء للفاعل) مع نصب [5] الميتة هي القراءة و " ما " كافة ، ومع رفعها شاذة ، و " ما " حينئذ موصولة أي ان الذي حرمه الله عليكم هي الميتة ، وأما على قراءة (حرم بلفظ المبني للمفعول أو حرم بوزن كرم) [6] فالميتة رفع لاغير ، و " ما " تحتمل الوجهين ، ورجحت الكافة باتباع سنة الكتابة ، والموصولة بابقاء

---

(١) انظر ديوان شعر الأخطل ٥٠ ، ومشاهد الانصاف ١/ ١٦٠ ، وتنزيل الآيات ٤٧٧ ، وطبقات الشعراء ١٧١ ، وأمالي المرتضى ١/ ١٥٧ ، واللسان مادة (نعق) .
(٢) روى البيتان هكذا :
لا تطلبن خؤوله في تغلب * فالزنج اكرم منهم أخوالا
والتغلبى اذا تنبح للقرى * حك أسته وتمثل الامثالا
انظر ديوان جرير ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ، والبيان والتبيين ٣/ ٢٥٨ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧٨ ، والكامل للمبرد ١/ ٣٣٤ ، وديوان المعانى ١/ ١٧٠ ، والموشح ١٣١ ، والأغانى ٧/ ١٧٧ ، والأمالى الشجرية ١/ ١٩٤ ، ومجمع الأمثال ١/ ٤٣٨ ، والخزانة ٤/ ٤٥٣ وجمهرة أشعار العرب ٣٢٣ ، واللسان مادتي (طول ومثل) .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم .. " الآية ١٧٢ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٦١ .
(٤) من الآية ١٦٨ سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/ ١٥٩ .
(٥) كلمة " نصب " ناقصة من الأصل (٦) البحر المحيط ١/ ٤٨٦ .

" ان " عاملة وكل من كلمة انما ومن جعل المسند اليه موصولا والمسند معرفا بلام الجنس يفيد حصر التحريم على المذكورات ، وذلك بالاضافة الى ماحرمه المؤمنون معها من المستلذات ، والكفار دونها من السائبة والوصيلة والحام [1] ، فيصح القصر افرادا أو قلبا / اضافة ، وان لم يصح حقيقة لوجود محرمات أخر . ١٥١ أ

قوله : (بالاستئثار عليه) أى طلب أن يؤثر نفسه على ذلك المضطر الآخر بأن ينفرد بتناوله ويهلك الآخر ، ومعنى قوله : " فلا اثم عليه " لا حرج عليه فى أكل المحرمات ، بل ربما يأثم بترك الأكل .

قوله : (قصد ما يتفاهمه) يشير الى أن مبنى الكلام على العرف دون حقيقة اللغة كما هو الحكم فى الأيمان ، ومعنى (يتفاهمونه ويتعارفونه) يفهمونه ويعرفونه ، عدل الى تفاعل للكثرة فى الفاعل ، والا فليس فى اللغة الا تعارفوا بمعنى عرف بعضهم بعضا ، وقوله : (لاعتبار العادة والتعارف) ربما يشعر بكون العادة فى الأعمال والتعارف فى الأقوال .

وفى قوله : (لم يسبق الوهم) مبالغة ليست فى "لم يسبق الفهم " ، وانما قال فى مسألة اللحم : (وان أكل لحما فى الحقيقة وقال الله تعالى كذا) وفى مسألة الدابة : (وان سماه الله دابة) لأن هذه التسمية يحتمل [2] أن تكون من جهة الحقيقة اللغوية ، وأن تكون من جهة التشبيه بذوات الأربع ، ثم مبنى السؤال على أن " الميتة والدم " للعموم على ماهو الشائع عند عدم العهد ولا يخفى أن الحاق الشحم باللحم فى الحكم بدلالة النص أولى من جعله داخلا فى ذكر اللحم ، اذ لا تصح التبعية والوصفية فى شحم البطن الا بتكلف .

قوله : (ملء بطونهم) [3] بيان لحاصل المعنى ، وأما التحقيق فهو أنه جعل البطن بمثابة محل الأكل بمنزلة مالو قيل : جعل الأكل فى البطن أو فى بعض البطن .

---

(١) كان الرجل من أهل الجاهلية اذا قدم من سفره أو برئ من مرضه قال : ناقتى سائبة فيحرم ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وكانوا اذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٢) مابين المعقوفين وهو من قوله : " لا أعمالكم وبالعكس أولنا أعمالنا لالكم وبالعكس " بالورقة ١٤١ ب الى هنا ناقص من ب .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار ... " الآيات ١٧٤-١٧٦ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ٦٦ .

فهو ظرف متعلق بالأكل ،لاحال مقدرة على مافى تفسير الكواشى (١) .

قوله : (فكأنه أكل النار) ربما يوهم أن التجوز فى ايقاع الأكل على النار بناءعلى وقوعه على مايتلبس بها ،لكن قد صرح آخرا بأن التجوز فى المتعلق حيث جعـــل الاكاف(٢) مجازا عن ثمنه ،ومعنى قوله :

(أكلت دما ان لم أ رعك بضرة) * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر(٣)

أكلت دية ان لم أخوفك بضرة أتزوجها عليك ،طويلة العنق طيبة الرائحة ،ووجـــه الحلف بذلك أن أكل الدية عار عندهم ،وأنه يتضمن قتل أعزته .

قوله : (" لا يكلمهم الله " تعريض) لما ثبت بالنصوص أن الله تعالى(٤) يسألهم ، والسؤال كلام ،حمل نفى الكلام على التعريض بعدم اكرامهم ،أوعلى التعبير به عـن اذلالهم والانتقام منهم ،أوعلى نوع من الكلام هو الكلام (٤) بما يحبون ،فيكون على الأولين كناية ،وعلى الثالث صريحا .

قوله : (وقيل " فما أصبرهم " فأى شىء صبرهم ؟)يعنى أنه ليس صيغة التعجب

،بل كلمة "ما " استفهامية دخلت على الفعل المتعدى/ بالهمزة لقصد التوبيخ ونحوه، ١٥١ ب

ثم قال : (وهذا)أى كون " اصبره " بمعنى (صبره) أى جعله صابرا هو (أصل معنى أفعل) الذى فى ماأفعله ،يعنى أنه أيضا للتعدية الا أنه شائع فى كل فعل للتعدية وانه اذا كان أصل الفعل متعديا فهو لا يتعدى الا الى مفعول واحد مثل : ماأضربه ،حتى ذهب بعض أهل التحقيق الى أنه ينقل الى فعل بالضم ثم الى أفعل ،وانما ذكر ذلك تقريبا وتأنيسا وازالة لاستبعاد أصبره بمعنى جعله صابرا ،اذ لا يوجـد فى كتب اللغة الا بمعنى وجده صابرا .

---

(١) تبصرة فى التفسير للكواشى الورقة ٤٥ أ .

(٢) أى البرذعة ،والبيت لأبى حزابة وصدره :

ان لنا أحمرة عجافـــا

والأحمرة : الحمير والعجاف: المهازيل ،انظر الايضاح ١٥٥ ،والمصباح ٧٥٧، والأغانى ١٩/ ١٥٥ ،والمستقصى فى أمثال العرب٢/ ٢٠ ، ومشاهد الانصاف ١/ ١٦٢ ،واللسان مادة (أكف) .

(٣) البيت لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ،انظر الايضاح ١٥٦ ،والمصباح ٧٥٨ ، وشرح التلخيص ٤/ ٣٩ ،ومشاهد الانصاف ١/ ١٦٢ ،وتنزيل الآيات ٣٦٦ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٤/ ٣٥٨ وللمرزوقى ١٨٦٧ ،والبحر المحيط ١/ ٤٩٢، وسمط اللآلى ٢/ ٦٧٢ .

(٤) كلمة " تعالى " ناقصة من الأصل ومن ط .

(٥) قوله " هو الكلام " ناقص من الأصل .

والذى [1] سبق الى أفهام الناظرين فى الكتاب هو أن المراد أن أى شىء صبرهم هو أصل معنى فعل التعجب على أن تكون "ما" استفهامية نقلت الى التعجب [2] ، وأنت خبير بأن هذا خلاف ما ذهب اليه سيبويه من كون "ما" نكرة بمعنى شىء [3] ، والأخفش من كونها موصولة [4] ، وانما ذهب اليه شرذمة وليس مذهب المصنف ، فلا يحسن اطلاق القول به ، اللهم الا أن يجعل هذا داخلا فى حيز (قيل) .

قوله : (أى ذلك العذاب) يعنى يجوز أن يكون " ذلك " اشارة الى "العذاب" ، و " الكتاب " للجنس ، والمختلفون هم اليهود القائلون بأن البعض من هذا الجنس حق كالتوراة ، والبعض باطل كالقرآن ، وأن يكون اشارة الى كفر اليهود ، و "الكتاب" للمعهود أعنى القرآن ، والمختلفون هم المشركون ، حيث افترقوا فى شأنه فرقا وهو ظاهر ، وأما على الأول فالاختلاف عائد الى جنس الكتاب حيث جعلوه قسمين ، ووصف القوم به تجوز ، ثم السببية فى الوجهين راجعة الى الحال الذى هو القيد أعنى " وان الذين " الى آخره ، لا الى ما دخل فيه الباء نفسه فليتدبر ، (فأولئك) اشارة الى المشركين ، (وهؤلاء) الى [5] اليهود الذين فيهم الكلام .

قوله : (وذلك أنهم) [6] اشارة الى وجه توجه هذا الخطاب الى أهل الكتاب ، وقوله : (وقيل كثر) عطف على قوله : (الخطاب لأهل الكتاب) يعنى انه ليس خاصا بهم ، بل يعم المسلمين أيضا ، وعلى الأول حمل " البر " على اطلاقه ، والخبر أعنى " أن تولوا " على تقدير فى ، لأنهم لم يزعموا أن جنس البر ذلك بل فيه فنفى ، وعلى الثانى حمل البر على الكامل الذى كأنه البر كله ، والخبر على تقدير مضاف أى أمر أن تولوا والبحث عن ذلك والنزاع فيه ، لأن المسلمين لا يزعمون أن فى نفس تولية المشرق والمغرب براحتى ينفى ، بل فى شأن ذلك والبحث عنه ، وحينئذ لا يصح نفى البر بالكلية ، فتعين الحمل على الكامل .

/ قوله : و (على ادخال الباء على الخبر) [7] هذا على الوجه الثانى ظاهر . ١٥٦ أ

---

(١) خ : ولهذا .
(٢) وممن ذهب الى ذلك الطيبى فى فتوح الغيب ١/ ١٩٢ .
(٣) انظر كتاب سيبويه ١/ ٣٧ .
(٤) انظر ارتشاف الضرب ٩١٩ ، والأشمونى ٣/ ٣٦٣ ، والبحر المحيط ١/ ٤٩٤ .
(٥) كلمة " الى " ناقصة من الأصل .
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. " الآية ١٧٧ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٦٣ .
(٧) البحر المحيط ٢/ ٢ .

وأما على الأول فالأظهر أن يجعل الظرف خبرا .

قوله : (أو كما قالت) يعني يكون المجاز في الاسناد من غير اعتبار حذف المضاف ، ولا جعل المصدر مجازا عن الصفة ، فيجعل المؤمن كأنه تجسد من البر(١) كما جعلت الناقة متجسمة من الاقبال والادبار ، اذ لو أريد ذات اقبال أو مقبلة لم يكن شيئا في نظر البلغاء ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : " لو قلنا المراد أنها ذات اقبال وادبار لأفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا الى شيء مغسول ، وكلام عامي مرذول "(٢) .

والبيت للخنساء ترثي أخاها صخرا :

وما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اصغار واكبار
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما بأجزع مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار (٣)

العجول من الابل : الواله(٤) التي فقدت ولدها ، والجمع عجل بضمتين ، والبو : جلد الخوار يحشى ثماما (٥) ثم يعطف عليه الناقة ، يعني ليست الناقة التي هذه صفتها وعادتها طول حياتها أشد جزعا في يوم من الأيام مني يوم فارقني صخر ، ومعنى وصف الحنين بالاصغار والاكبار أنه تارة يصغر ويضعف ، وتارة يكبر ويقوى .

قوله : (وعن المبرد) (٦) هذا على سبيل الفرض والتقدير ، والقصد منه التنبيه على أن المعنى على الوصفية .

قوله : (والكتاب جنس الكتب) على تقدير كون " الكتاب " في " ذلك بأن الله نزل الكتاب "(٧) للجنس ، (أ القرآن) على تقدير كونه للقرآن ، ليتلاءم الكلام .

قوله : (أن تؤتيه) الحديث في جواب من قال : أي الصدقة أعظم أجرا ؟ لكن الرواية في البخاري ومسلم : أن تصدق ، والراوي : هو أبو هريرة رضي الله عنه (٨) .

---

(١) في الأصل " فيجعل المؤمن مجازا عن البر . (٢) دلائل الاعجاز ٢٠٧ .
(٣) سبق تحقيق هذا الشعر في الورقة ٨٦ أ .
(٤) الوله : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، وفي ب ع ، م " الناقة التي فقدت ولدها " .
(٥) الثمام نبت ضعيف شبيه بالخوص . (٦) البحر المحيط ٢ / ٣ .
(٧) أي في الآية السابقة وهي رقم ١٧٦ سورة البقرة .
(٨) انظر صحيح البخاري ٧/١٨٨ ، ٦٥/١٢٦ ، وصحيح مسلم ٧/ ١٢٣ ، والمستدرك للحاكم ٢/ ٢٧٢ ، وتفسير الطبري ٣/ ٣٤١ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٨٨ ، وتفسير عبد الرزاق الورقة ٩ أ ، والوسيط للواحدي الورقة ٦٥ ب .

فمن ههنا قيل : المراد ان ابن مسعود رضى الله عنه فسر الايتاء على حبه بهذا ٠

قوله : (ذى الرحم الكاشح) (١) فى الصحاح : " الكاشح : الذى يضمر لك العداوة ، يقال : كشح له بالعداوة وكاشحه بمعنى " (٢) ، وفى الأساس : " كشح : أدبر وولى بكشحه ، ومنه عدو كاشح " (٣) ٠

قوله : (والمراد الفقراء منهم) سواء حمل على الايتاء الواجب أو غيره ، لدلالة سوق الكلام وعد مصارف الزكاة على أن المراد الخير والصدقة ، وايتاء الأغنياء هبة لا صدقة ٠

قوله : (لأنه لا شئ له) وعند الشافعى رضى الله عنه : " المسكين من يملك مايقع موقعا من حاجته ولا يكفيه لقوله تعالى : " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر " (٤) ٠

(قوله : (المسافر المنقطع) ظاهره لفظ اسم الفاعل كأنه انقطع عن / سفره أو ١٥٢ ب
رفقته ، لكن الحق " المنقطع به " على لفظ اسم المفعول والتعدية بالباء ، وفى الاساس " انقطع به اذا كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طيته ، وهو منقطع به " (٥) ، وفى الصحاح : " انقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت ، أو دابة قامت أى وقفت وأعيت ، أو أتاه أمر لايقدر أن يتحرك معه " (٦) ٠

قوله : (لأن السبيل يرعفبه) أى يقدمه من رعف : تقدم ، وفرس راعف : سابق ٠ ورعف أنفه : سبق دمه ، والرعاف : الدم السابق ٠ (٧)

(والسائلين : المستطعمين) الظاهر أنه السائل للطعام غنيا كان أو فقيرا ٠ وقيل : أراد الفقراء ، وقيل : المساكين الذين يسألون فتعرف حاجتهم بسؤالهم ٠ وأراد بما سبق المساكين الذين لا يسألون وتعرف حاجتهم بحالهم ، واستقام التأكيد

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ١ / ٤٠٦ ، كتاب الزكاة ٠
(٢) الصحاح مادة (كشح) ٠ (٣) أساس البلاغة مادة (كشح) ٠
(٤) من الآية ٧٩ من سورة الكهف ، وانظر " الأم " للامام الشافعى ٢ / ٦١ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٦٠٣ ٠
(٥) أساس البلاغة مادة (قطع) ، والطية : النية ، ويقال : مضى لطيته أى لنيته التى انتواها ، وبعدت عنا طيته وهو المنزل الذى انتواه ٠
(٦) الصحاح مادة (قطع) بتصرف ٠ (٧) أساس البلاغة مادة (رعف)

بقوله : " وان جاء على ظهر فرسه "[1] من قبل أنه في الغالب يكون غنيا مليا ،فالراجل الفقير أحق بأن يكون له حق ؛

قوله : (ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة) يعني لا يكون القصد الى أداة الزكاة ليكون قوله : " وآتي الزكاة " تكرارا ،بل الى بيان مصارفها التي هي أهم وأكثر ثوابا ،على أن يكون " السائلين " اشارة الى الفقراء ،ويشترط في " ذوي القربى " و " اليتامى " الفقر ،والا فقد ترك ذكر البعض وذكر ماليس من المصارف.

ولمن أوجب حقا سوى الزكاة أن يتمسك بهذه الآية ،وبقوله تعالى : " وفي أموالهم حق للسائل والمحروم "[2] وبالأحاديث الواردة في ذلك ،وبالاجماع على وجوب دفع حاجة المضطرين ،وأن يجيب عن نسخ الزكاة وجوب كل صدقة[3] ،والحكم بأنه ليس في المال حق سوى الزكاة ،بأن المراد : الواجبات المقدرة .

قوله : (وهو مذهب مالك والشافعي)[4] هذا وهم محض ولا يوجد في كتب المذهبين ترددا في قتل الذكر بالأنثى[5] ،وماقيل : ان انتفاء الكل يجوز أن يكون بانتفاء البعض ،فاذا لم يقولا يقتل الحر بالعبد لم يقولا بالمجموع ،ليس بشيء ، لأن كلامه صريح في نفي كل من الأمرين ،ولو سلم فمثله لا يكون من كلام العاقل بمنزلة أن تقول : لا يقتل الحر الا بالعبد ،والذكر بالذكر ،والأنثى ،نعم روى عن مالك أنه اذا قتل الذكر بالأنثى فعلى أهل الأنثى خمسون ابلا ،فلو قيل : المراد أن الذكر لا يقتل بالأنثى سواء وبواء[6] عند الامامين بناء على ماروى / عن مالك لكان محملا[7] . ١٥٣ أ

قوله : (أخذا بهذه الآية) وجه الدلالة أنها بيان وتفسير لقوله تعالى : " كتب عليكم القصاص في القتلى "[8] فدل على اعتبار الموافقة ذكورة وحرية في القصاص، لا

---

(١) انظر سنن أبي داود ٩ / ٣٠٨ باب حق السائل ،وتفسير ابن كثير ١ / ٣٨٩.

(٢) الآية ١٩ من سورة الذاريات. (٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ١ / ١٣٢ .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ... " الآيتين ١٧٨ ، ١٧٩ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٦٦ .

(٥) انظر الأم للامام الشافعي ٦ / ٨ ،والبحر المحيط ٢ / ١٠-١٢ .

(٦) أي سواء . (٧) في الأصل : تمحلا .

(٨) أعتقد أن الصواب أنها بيان وتفسير لقوله تعالى " النفس بالنفس " بالآية ٤٥ سورة المائدة ،وذلك طبقا لما في الكشاف ١ / ١٦٦ .

أنها بمفهومها تدل على أن غير الأنثى لا يقتل بالأنثى .

أما أولا — فلأن القول بالمفهوم انما هو على تقدير أن لا يظهر للتقييد فائدة ، وههنا الفائدة أن الآية انما نزلت لذلك .

وأما ثانيا — فلأنه لو اعتبر ذلك لزم ان لا تقتل الأنثى بالذكر نظرا الى مفهوم الأنثى ، وهذا يرد على ماذكرنا أيضا ، ويدفع بأنه يعلم بطريق الأولى .

وأما ثالثا — فلأنه لا عبرة بالمفهوم فى مقابلة المنطوق الدال على قتل النفس بالنفس كيف ما كانت .

لا يقال : تلك حكاية عما فى التوراة ، لا بيان للحكم فى شريعتنا ، لأنا نقول : شرائع من قبلنا سيما اذا ذكرت فى كتابنا حجة (١) — وكم مثلها فى أدلة أحكامنا — حتى يظهر الناسخ ، وماذكر منها (٢) يصلح مفسرا فلا يجعل ناسخا ، وأما أن تلك ليست بناسخة لهذه ، فلأنها مفسرة بها فلا تكون منسوخة بها .

ودليل آخر على عدم النسخ أن تلك أعنى " النفس بالنفس " حكاية لما فى التوراة ، وهذه أعنى " الحر بالحر " الى آخره خطاب لنا وحكم علينا ، فلا ترفعها ، والى هذا أشار بقوله : (ولأن تلك) عطفا على مضمون قوله : (ويقولون هى مفسرة) .

لكنهم يقولون أن المحكى فى كتابنا من شريعة من قبلنا بمنزلة المنصوص المقرر فيصلح ناسخا ، وماذكرنا من كونه مفسرا بهذه انما يتم لو كان قولنا : النفس بالنفس مبهما ، ولا ابهام بل هو عام ، والتخصيص على بعض الأفراد لا يدفع العموم ، سيما والخصم يدعى تأخر العام حيث يجعله ناسخا ، لكن يرد عليه أنه ليس فيه رفع شىء من الحكم السابق ، بل اثبات زيادة حكم آخر ، اللهم الا أن يقال : ان فى قوله : " الحر بالحر " الآية دلالة على وجوب اعتبار المساواة فى الحرية والذكورة دون الرق (٣) والأنوثة [يعنى أنه يجب أن يساوى المقتول القاتل فى الحرية حتى لا يقتل الحر بالعبد ، وفى الذكورة حتى لا يقتل الذكر بالأنثى قولا بمفهوم المخالفة ، ولا يجب أن يساويه فى الرق حتى لا يقتل الرقيق بالحر ، والأنوثة حتى لا تقتل الأنثى بالذكر ، لأن هذا ليس بمعقول ولا مشروع ، ولو قيل النسخ ، بل يعلم العقل ههنا بطريق الأولى ، فلا يثبت مفهوم المخالفة ، وان كانت العبارة فى الكل على السواء] (٤) .

---

(١) كلمة " حجة " ناقصة من الأصل .
(٢) خ ، م : ههنا .
(٣) خ : دون اعتبار الرق .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من خ ، م .

قوله : (وأمرهم أن يتباوؤوا) أى يتساووا من باء / فلان بفلان صار كفؤا لـه ، والبواء : السواء ، قال الجوهرى : " وفى الحديث : " أمرهم أن يتباءوا " على وزن يتعالوا " والصحيح يتباوؤوا على وزن يتقاولوا [1] . ١٥٣ب

قوله : (شىء من العفو) يعنى أنه فى موقع المفعول المطلق المقيد الموصوف مثل : ضرب ضربا شديدا ، لما فى تنكير " شىء " من الدلالة على ذلك ، و " له " مفعول به ، لكن لكونه بواسطة حرف الجر كان مساويا للمصدر وغيره فى جواز الاسناد اليه ، و " من أخيه " يجوز أن يتعلق بالفعل ، وأن يكون حالا من " شىء " .

قوله : (يتعدى بعن الى الجانى) [2] يريد أن " عفى " لازم يتعدى الى المفعول بعن ، لكن تعديته بعن قد تكون الى الجانى مثل : " عفى الله عنك " [3] ، وقد تكون الى الجناية مثل : عفى عن ذنبه ، بمعنى أعرض عنه وتركه ، وعند تعديته الى الجناية اذا أريد ذكر الجانى ذكر باللام مثل : عفى الله لزيد عن ذنبه ، فحيث اقتصر على ذكر الجانى باللام علم أنه لم يقصد التعديه اليه بل الى الجناية ، لكن لم يذكر استغناء عنه بدلالة الكلام ، وحيث ذكر بعن علم أنه لم يقصد التعدية الى الجناية ، وحيث ذكرا جميعا مثل : عفوت له عن ذنبه ، علم أنه لم يلتفت الى الاستغناء بدلالة الكلام وقصد التصريح لغرض يتعلق بذلك .

وعلى هذا لا يرد مايقال : انه لو كان ذكر العفو مغنيا عن ذكر الجناية ، ففى كل موضع ذكر الجانى فقط يجب أن يكون باللام ، وذلك لأنه ربما يكون القصد الى العفو عن الجانى من غير التفات الى الجناية .

قوله : (عبارة قلقة) أى لا تستقر فى هذا المقام بل الشائع فى الاستعمال المتبادر الى الأفهام هو الحفو وترك المؤاخذة ، لا المحو والازالة ، وليس المراد أن استعمال عفى بمعنى محى وأزال غير موثوق به فلا يستشهد به فى تفسير العبارة القرآنية ، لأنه استعمال شائع فيما بين البلغاء ، مذكور فى كتب اللغة ، وقد قال فى الأساس : عفت الريح الديار [4] محت رسمها ، ومنه فلان يعفو عن الذنب والله عفو عن عباده [5] .

---

(١) الصحاح مادة (بوأ) بتصرف ، وانظر تفسير الطبرى ٣ / ٣٥٨ .
(٢) الكشاف ١ / ١٦٧ .
(٣) من الآية ٤٣ من سورة التوبة .
(٤) ط : الدار .
(٥) المذكور فى الأساس مادة (عفو) " عفى عليهم الخبال أى هلكوا والله عفو عن عباده " ووجدت فى الصحاح مادة (عفا) مايقرب مما ذكره السعد وهو " عفت الريح المنزل درسته وعفوت عن ذنبه اذا تركته ولم تعاقبه والعفو الكثير العفو " .

قوله : (وبعض منه) يعنى بنقصان فى العافى [1] أو المعفو عنه ، (لايعنف) بضم النون من عنف به وعليه : ترك الرفق .

قوله : (وحرم العفو) مبناء على أن قوله تعالى : " فمن تصدق به فهو كفارة له " [2] ليس فى التوراة ، لكن ماذكره فى قوله تعالى فى سورة الأعراف : " يأخذوا بأحسنها " [3] أن الحسن هو الاقتصاص والأحسن العفو [4] ، صريح فى أن ذلك / فى ١٥٤ أ التوراة اذ ضمير " أحسنها " للألواح .

قوله : (وخيرت هذه الأمة) ظاهر فى مذهب الشافعى رضى الله عنه [5] ، وأما عند أبى حنيفة فالواجب القصاص ، والدية بدل صلح لايكون الا برضا القاتل [6] ، وكأن المراد أن فى هذه الآية تخييرا فى هذه الأمور فى الجملة بحيث لا يتعين أحدهما ، لكن لا يخفى أن النصوص صريحة فى ايجاب القصاص على التعيين ثم تجويز العفو .

قوله : (من قتل غير القاتل) ظاهر أنه لا يصلح بيانا (لما شرع له) بل هو متعلق (بتجاوز) بمعنى أن ابتداء تجاوز المشروع يكون من ذلك .

قوله : (شديد الألم) [7] مستفاد من بناء " فعيل " وهو صفة مشبهة أسندت الى العذاب مجازا ، وقول قتادة [8] يدل على أن العذاب فى الدنيا .

قوله : (كلام فصيح) أى كامل فى الفصاحة عالى الطبقة فى البلاغة ، لاشتماله على الغرابة التى هى من نكت البلاغة ، ولكونه على غاية المطابقة لمقتضى الحال .

قوله : (من الحكم الذى هو القصاص) أى شرعيته (ولوقوع العلم) علة (للارتداع) ، و(لأنه اذا هم) علة (لحصول الحياة بالارتداع) ، وقصة كليب مشهورة ، وحرب البسوس مثل فى الشؤم [9] ، ووجه عظم الحياة ، لحياة جماعة كانوا يقتلون بالمقتول ،

---

(١) فى الأصل : عن العافى .　　(٢) من الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(٣) من الآية ١٤٥ .

(٤) عبارة الزمخشرى " يأخذوا بأحسنها أى فيها ماهو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو " انظر الكشاف ٢ / ١٢٤ .　　(٥) م : رحمه الله ، وناقصة من الأصل .

(٦) انظر الأم للامام الشافعى ٦ / ٧ ، والبحر المحيط ٢ / ١٤

(٧) الكشاف ١ / ١٦٧ .

(٨) انظر مسند الامام أحمد ٣ / ٣٦٣ ، والبحر المحيط ٢ / ١٥ .

(٩) فيقال " أشأم من البسوس " و " أشأم من ناقة البسوس " وذلك لأن حربا ضارية قامت بسببها بين بنى بكر وبنى تغلب استمرت أربعين عاما . انظر مجمع الأمثال ١ / ٣٤١ ، ٢ / ٣٥٩ ، والمستقصى فى أمثال العرب ١ / ١٧٦ ، وأمثال العرب ٥٦ .

وجماعة كانوا يقتلون فى الفتنة القائمة من جهة غير القاتل (١) ، ونوعيتها بكونها حياة من قصد القتل وارتدع ، ومن قصد قتله وارتدع عنه .

قوله : (له فضل اختصاص بالأئمة) لأن الحكم بالقصاص والمحافظة على حسد وده اليهم ، وان كان للناس جميعا فيه حياة .

قوله : (ثلاثة آلاف) (٢) أى من الدراهم لأنه المتعارف عند الاطلاق .

قوله : (وذكر فعلها) الذى هو " كتب " أى لم تلحقه التاء للفاصل وكون المصدر فى معنى ان مع الفعل ، وهذا وجه حسن التذكير واختياره ، والا فهو جائز فى المؤنث الغير حقيقى بلا فصل ، وأما تذكير الضمير فى " فمن بدله بعد ما سمعه " فجوازه يحتاج الى التأويل بأن يوصى .

قوله : (فنسخت بآية المواريث) اعترض بأن آية المواريث لا تنفى الوصية بل تؤكدها بقوله " من بعد وصية يوصى بها أو دين " (٣) والحديث (٤) لا يخرج بالتلقى بالقبول عن كونه خبر واحد ليصلح ناسخا ، والقول " بأن المراد النسخ بمجموع الآية والحديث ، بمعنى أن النسخ يثبت بالحديث والآية تبين ما ذكر فيه من اعطاء كل ذى حق حقه " خلاف الظاهر وان كان له وجه صحة على أصول الحنفية حيث يجعلون هذا الحديث (٥) فى حكم المتواتر ، ويسمونه المشهور ، ويجوزون / به الزيادة على الكتاب ونسخه . (٦) ١٥٤ب

والظاهر أن الوصية للوارث المدلول عليه بقوله " للوالدين والأقربين " كانت واجبة بحكم هذه الآية من غير تعيين لأنصبائهم ، فلما نزلت آية المواريث بيانا للأنصباء بلفظ الايصاء ، فهم منها بتنبيه النبى صلى الله عليه وسلم (٧) أن المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة ، كأنه قال : ان الله أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية ، وكان هذا معنى نسخ وجوب الوصية بآية المواريث على

---

(١) خ : من جهة قتل غير القاتل .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية .. " الآيات ١٨٠-١٨٢ سورة البقرة . وانظر الكشاف ١ / ١٦٨ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٣٤ .
(٣) الآية ١١ من سورة النساء .
(٤) انظر سنن ابن ماجه ٢ / ٩٠٥ .
(٥) م : يجعلون مثل هذا الحديث .
(٦) انظر روح المعانى للألوسى ١ / ٣٦٦ .
(٧) خ : عليه الصلاة والسلام ، م : عليه السلام .

مااشتهر فيما بينهم ،لا أن فيها دلالة على رفع ذلك الحكم ،ولهذا تعرضوا للحديث ولكونه بمنزلة المتواتر لأنه المبين صريحا لما ذكر من النسخ .[1]

بقى الكلام فى الأقرب الذى ليس بوارث وفيه خلاف ،ومن ذهب الى نفى وجوب الوصية له ،فكأنه يزعم أن آية المواريث تعيين للأقربين وبيان .

وبالجملة فقد أشار المصنف الى ظهور الاعتراض وخفاء النسخ بقوله : (وقيل لم تنسخ) الى آخره والى حمل آية الوصية على ايجاب الارث اجمالا وجعل آية المواريث بيانا لها بقوله : (وقيل ماهى بمخالفة لآية المواريث) الى آخره ،يعنى ليس مجرد عدم النسخ هو ثبوت الآيتين وحكميهما ،بل مؤداهما حكم واحد ،فظهر أن المعترضين لم يزيدوا على ماذكره المصنف شيئا .

قوله : (وهو أن لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز) مبنى على القولين الأولين لا الأخير ،وضمير (كان) للايصاء ،و(من الأوصياء) بيان (من غير) ، وقوله/: (أو التبديل) عطف على (الايصاء) يعنى أن ضمير " اثمه " يعود الى مفعول " بدله " وهو الايصاء المبدل ،ويصح اضافة الاثم اليه نظرا الى الوصف أو يعود الى التبديل المدلول عليه بالفعل ،و " الذين يبدلونه " مظهر وضع موضع المضمر يكون هو العائد من الخبر ان جعل الخبر هو الجزاء وحده ،وان جعل مجموع الشرط والجزاء فالمستتر فى " بدله " كاف.

قوله : (فمن توقع) لاخفاء فى أنه لا معنى للخوف من الميل والاثم سيما بعد الوقوع فلذا[2] ذهبوا الى أن الخوف فى مثل هذا الموقع مستعمل فيما يلزمه من التوقع والظن الغالب ،وان شئت قلت : العلم ، فان التوقع وان لم يستلزم الجزم لم ينافه ، فجاز الجمع بينهما ،نعم استعمال التوقع فيما لاجزم بوقوعه أكثر وأظهر[3] .

قوله : (لا يؤثم) بالتخفيف من آثمة على أفعله : أوقعه فى الاثم ،وأما أثمه بالتشديد فمعناه نسبه الى الاثم .

/قوله : (لعلكم تتقون)[4] أى تصيرون أتقياء ببركة التعظيم للعبادة القديمة ١٥٥ أ
والمحافظة عليها ،فانها تنور القلب ،أو لعلكم تجتنبون المعاصى بكسر القوة الشهوية

---

(١) قوله " من النسخ " ناقص من خ . (٢) م ،خ : فلهذا .
(٣) خ : أظهر وأكثر .
(٤) انظر تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ... " ١٨٣ — ١٨٤ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٦٩ .

على ما هو معنى الاتقاء لغة ، أو لعلكم تنتظمون فى زمرتهم وتعدون من جملتهم لتدرعكم بلباسهم وترديكم (١) فى شعارهم ، فهذا تجوز بالاتقاء عن التشبيه بالأتقياء والتزيى بزيهم والانتظام فى سلكهم ، وليس من الكناية فى شيء (٢) .

(الظلف) كف النفس عما لا يحل ، و(الوجاء) رض عروق الأنثيين (٣) مع ابقائهما ، والمشهور : " فان الصوم له وجاء " وتمام الحديث ما روى عن عبد الله أنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء " (٤) .

قوله : (وقيل معناه) عطف على قوله : (يعنى أن الصوم) وكذا قوله : (وقيل : كتب عليكم) ، فالتشبيه على الأول فى مجرد الفرضية ، وعلى الثانى فى الكمية ، وعلى الثالث فى الكيفية ، وقوله : (وقيل : كان وقوعه) عطف على قوله : (فأصابهم موتان) بضم الميم : موت الماشية ، يعنى قد اختلف فى سبب تغيير ثلاثين الى خمسين .

وأما قوله : (وقيل : الأيام المعدودات) فظاهر أنه عطف على قوله : (ولو شهر رمضان) ولا يصح لأنه لا يخص الوجه الثانى ، أعنى كون القصد الى التشبيه فى عدد الأيام ، اذ لا يعرف للأمم السالفة عدد سبعة وثلاثين على ما هو عدد عاشوراء مع ثلاثة أيام من كل شهر أعنى أيام البيض ، اللهم الا أن يراد بعدد الأيام كونها أياما قليلة متقاربة ، لا تعيين العدد .

واحتج القائل (٥) بكون الأيام المعدودات غير رمضان بأنها لو كانت نفسها لما كان لتكرير ذكر المريض والمسافر وجه ، وأجيب بأن ايجاب رمضان أولا كان على التخيير بينه وبين الفدية ، فحين غير الى الايجاب على التعيين أعيد ذكرهما تنبيها على أن تخييرهما بحاله لم يطرأ عليه تغيير .

---

(١) تردى وارتدى : لبس الرداء .

(٢) ويقول الطيبى " انه كناية ايمائية لأنه تعالى سماهم متقين لأنهم اكتسوا لباسهم وتزيوا بزيهم ، ومن ارتدى زى قوم فهو منهم " انظر فتوح الغيب ١ / ١٩٧ ، وتبع الطيبى فى ذلك اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ١٢٠ .

(٣) أى الخصيتين .

(٤) انظر صحيح البخارى ٩ / ٨٨ باب الصوم لمن خاف على نفسه من العزوبة ، ١٩٥ / ٥٦ ، ١٩٥ / ٥٧ كتاب النكاح ، وصحيح مسلم ٩ / ١٧٢ استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤونة .

(٥) م : القائلون .

قوله : (ثم نسخت بشهر رمضان) [أي بفرضية صومه بدلا من صومها] (١) ،
[فان قيل : كيف يكون الناسخ متصلا ؟ قلنا : الاتصال في التلاوة لا يدل على الاتصال في النزول] (٢) .

قوله : (ويتحكر فيه) يتضيق ، ومنه الحكر للبخيل ولضيق القلب ، (ويهال) أي يصب من غير كيل .

قوله : (وانتصاب " أياما " بالصيام) بناء على تجويز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل ، وان لم يجز في غيره ، وأما الاعتذار بأن مبناه على كون " كما كتب " في موقع الحال من الصيام (٣) ، لا في موضع (٤) المصدر لكتب فليس بمقبول لأن " ما "
في " كما كتب " مصدرية ، والمعنى مثل كتابته على من قبلكم ، والظاهر / أنه لا يصح ١٥٥ ب
حالا من الصيام الا بتكلف ، ولو سلم فالمراد بالأجنبي مالا يكون من معمولات ذلك العامل ، والحال ليس معمولا لذي الحال ، وان اكتفي بمجرد التعلق المعنوي فالمصدر أيضا كذلك نظرا الى كونهما من ملابسات فعل واحد ، وكون المصدر من صفات الفاعل كما ان الحال من صفات ذي الحال ، ولو سلم فقوله : " لعلكم تتقون " ليس من جملة الحال ، بل متعلق بكتب عليكم بمعنى لكي تتقوا على طريق الاستعارة ، فيكون فاصلا بالأجنبي .

قوله : (أو راكب سفر) (٥) اشارة الى أن كلمة " على " استعارة تبعية ، شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واعتلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء ، والا فمجرد الظرف لا يدل الا على معنى الكون والحصول ، أي كائنا على سفر يمتد به ويعد سفرا ، وللدلالة على هذه المعاني أوثر " على سفر " على " مسافرا " ، ومما يجب التنبيه له أنه اذا قدر في الظرف المستقر كان أو كائن فهو من التامة بمعنى حصل وثبت ، والظرف بالنسبة اليه لغو ، لا الناقصة والا لكان الظرف في موقع الخبر فتقدر كان أخرى ، وتتسلسل التقديرات .

قوله : (مكتوب عليهما) خبر مبتدأ محذوف أي هما مكتوب عليهما افطارهما وصومهما ، والا فالواجب مكتوبات الا بتأويل .

قوله : (فمن قائل) كأنه في موقع المبتدأ أي البعض من القائلين يقول : هو (كل

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من م . (٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٣) اشارة الى رأي السجاوندي في تحفة الأشراف ١ / ١٢٠ " قال السجاوندي : لا يعمل " كما " لأنه أجنبي عن العامل الا أن يجعل حالا للصيام .
(٤) خ : لا في موقع . (٥) الكشاف ١ / ١٧٠ .

مرض) ،أو كل مرض مبيح ، أو في موقع الخبر وكل مرض بقول قائل أي البعض من الناس من قائل هذا القول ،والتعليل بأنه (لم يخص مرضا دون مرض) مبني على ما مر مرارا من ان الاطلاق يفيد الشيوع حذرا من ترجيح (١) أحد المتساويين .

قوله : (وقائل) عطف على (قائل) ،وهذا العطف ربما يرجح الوجه الثاني، وضمير (يزيد) للمرض و(فيه) للصوم ،والمستتر في (يجهده) للصوم ،والبارز للمريض ،و(الجهد) نصب على المصدر أي المشقة التي لا يحتملها ،والمقرر من مذهب الشافعي رضي الله عنه (٢) أن الصوم واجب ما لم يتضرر (٣) ،والتمسك في اعتبار العسر بقوله تعالى (٤) : " يريد الله بكم اليسر " انه ذكر ذلك في معرض التعليل للترخيص ،فلابد من اعتبار عسر يقصد نفيه بالافطار ،لكن يشكل بالسفر حيث نفي على اطلاقه ،الجواب أن العسر فيه خفي بخلاف المرض ،فأدير الحكم على نفس السفر ،والمراد كل سفر جعله الشارع سفرا وبنى عليه الأحكام ،سواء اشتمل على مشقة من حر أو برد أو قلة زاد وراحلة ونحو ذلك ،أولا .

قوله : (فواتر) أي تابع بقرينة (ففرق) فقد نقل عن بعض أئمة اللغة / أن المواترة ١٥٦ أ المتابعة ،وعن الأصمعي : واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا ،وبين الخبرين هنيهة (٥) لكن ذكر في الصحاح " ان مواترة الصوم أن تصوم يوما وتفطر يوما أو يومين وتأتي به وترا وترا ،ولا يراد به المواصلة لأن أصله من الوتر " (٦) ،فالمراد التخيير (٧) بين الاتيان بهذه الطريقة وبين التفريق كيف شاء ،وأما المواصلة فأمرها ظاهر .

قوله : (فأغنى ذلك) أي تنكير " عدة " وتنوينها (عن التعريف بالاضافة) مع ما فيه من الوجازة ،وقد سبق أن ليس المراد أن التنوين عوض عن المضاف اليه ،فحاصل السؤال أن ليس المعنى على مطلق " عدة من أيام أخر " بل عدة أيام الافطار ،والتنكير لا يدل على ذلك ،فأجاب بأنه يدل عليه العقل .

قوله : (من فيعل وتفيعل) إذ لو كان من فعّل وتفعّل لكان بالواو دون الياء كما أن (تدير) لو كان تفعل على ما وقع في المفصل (٨) لكان تدور لأنه واوي ،ولهذا لما أورده زين المشايخ عليه أذعن له وقال : أغواني عبد القاهر ،وكذا (ديار) فيعال

---

(١) في الأصل : عن ترجيح .
(٢) م : رحمه الله .
(٣) الأم للامام الشافعي ٢ / ٨٩ .
(٤) قوله " تعالى " ناقص من م ومن الأصل .
(٥) لسان العرب مادة (وتر) .
(٦) الصحاح مادة (وتر) .
(٧) خ : فالتخيير .
(٨) المفصل ٢١٣ ،وشرح ابن يعيش ١٠ / ٩٦ .

،ولو كان فعالا لقيل : دوار ،وذكر المرزوقي أنه تفعل وجاء بالياء نظرا الى الديار[1] .

قوله : (وفيه وجهان) أى فيما قرأ به ابن عباس[2] ونقل عنه : حاصل الوجـــه الأول — (يطيقونه) ،لأن معناه يكلفونه[3] لأن الصوم فى نفسه تكليف ،والمطيـــق مكلف به اذ لا تكليف فوق الطاقة ،وحاصل الوجه الثاني — لا يطيقونه ،لأن معنـــاه (يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم) ومشقة ،أخذا من الكلفة بمعنى المشقة وبلـــوغ الجهد والطاقة ،فيكون المراد الشيخ والعجائز ، فتكون الآية غير منسوخة لأن حكم هؤلاء الافطار والفدية ،ثم قال : (ويجوز أن يكون هذا معنى) القراءة المشهـــورة أعنى (يطيقونه) أى يصومونه جاهدين غاية جهدهم وطاقتهم ونهاية وسعهم ،فـــلا تكون منسوخة .

قوله : (فالتطوع أخير له) يريد أن " خيرا " فى قوله : " فمن تطوع خـــيرا " مصدر خرت يارجل ،فأنت خائر ،قال الشاعر :

فما كنانة فى خير بخائـــــرة * ولا كنانة فى شر بأشـــــرار[4]

وفى قوله : " فهو خير له " اسم تفضيل بمعنى أزيد خيرا ،وضمير " فهو " للتطوع أو الخير المصدر ،فقوله : (أو الخير) عطف على (التطوع) ،ولو قدمه على الخـــبر لكان أظهر ،ولفظ (أخير) وان كان شاذا لكنه فى موقعه حيث قصد تفسير " خيرله " ومعنى تطوع بالشىء تبرع به ،وتطوع له : تكلف استطاعته حتى يستطيعه ،فخـــيرا نصب على انتزاع الخافض .

قوله : (من الرمضاء)[5] قد يتوهم أن المراد أن اشتقاق رمض من الرمضاء ،لأنهـــا أظهر وأشهر فى معنى الاحراق ،لكن كلام الأساس يدل على أن معنى رمض الرجل احترق من الرمضاء ،قال : " الرمضاء الحجارة / التى اشتد عليها وقع الشمس فحميت ، ١٥٦ ب وقد رمضت رمضا ،وأرض رمضة ،ورمض يومنا رمضا[6] ،ورمض الرجل اذا احترقت قدمـــاه

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ / ٥٩٥ . (٢) البحر المحيط ٢ / ٣٥ ،وأنوار التنزيل ١ / ١٣٥
(٣) قوله " لأن معناه يكلفونه " ناقص من الأصل .
(٤) قاله عقال بن هاشم ،وروى : وما كنانة ،بالواو ،انظر شرح ديوان الحماســـة للتبريزى ٤ / ٥٤ ،وللمرزوقي ٣ / ١٤٨٠ ،ولسان العرب مادة (خير) ،وكذلـــك الصحاح .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. " الآية ١٨٥ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٧١ . (٦) كلمة " رمضا " ناقصة من خ .

من الرمضاء [١] " .

قوله : (وجعل علما) أى مجموع المضاف والمضاف اليه ، والا لم تحسن اضافة " شهر " اليه ، كما لا يحسن انسان زيد ، ولهذا لم يسمع شهر رجب ، وشهر شعبان ، وبالجملة فقد أطبقوا على أن العلم فى ثلاثة أشهر هو : مجموع المضاف والمضاف اليه [٢] شهر رمضان ، شهر ربيع الأول ، شهر ربيع الآخر ، وفى الباقى [٣] لا يضاف شهر اليه ، ثم فى الاضافة تغيير فى أسباب منع الصرف وامتناع اللام ووجوبها حال المضاف اليه ، فيمتنع مثل : شهر رمضان وابن داية من الصرف ودخول اللام ، وينصرف مثل : شهر ربيع الأول وابن عباس ، وتجب اللام فى مثل : امرىء القيس ، وتجوز فى مثل : ابن عباس .

قوله : (لا ارتماضهم) من ارتمض الرجل من كذا اشتد عليه وأقلقه .

قوله : (" من صام رمضان ايمانا واحتسابا) غفر له ماتقدم من ذنبه " [٤] والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد ، يقال : " احتسب عند الله خيرا اذا قدمه ، ومعناه اعتده فيما يدخر " كذا فى الأساس [٥] ، وأما (من أدرك رمضان فلم يغفر له) فلا يوجد له تمام فيما اشتهر من الكتب ، ويحتمل أن تكون "من" استفهامية والمعنى ما أدركه أحد فلم يغفر له ، وبمعنى أن كل من أدركه غفر له ، فيكون كلاما تاما ، وقول الشاعر :

فهل لكم فيما الى فانـــــــنى * طبيب بما أعيى النطاسى حذيما [٦]

---

(١) عبارة الأساس مادة (رمض) " ورمض الرجل : أحرقت قدميه الرمضاء " .
(٢) فى الأصل زيادة " والا لم يحسن اضافة شهر اليه " .
(٣) م : وفى البواقى .
(٤) انظر صحيح البخارى ١ / ١٥٩ ، كتاب الايمان ، باب صوم رمضان احتسابا من الايمان .
(٥) أساس البلاغة مادة (حسب) .
(٦) البيت لأوس بن حجر ، وروى بدل " طبيب " " بصير " و " عليم " وفى المثل : " أطب من ابن حذيم " وهو رجل كان معروفا بالحذق فى الطب و "فيما الى" أى فيما يرجع نفعه وفائدته الى انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٧١ ، وتنزيل الآيات ٥١٦ ، ومجمع الأمثال ١ / ٤٠٥ ، والمستقصى فى أمثال العرب ١ / ٢٢٠ ، والخزانة ٢ / ٢٣٢ ، ٤٥٢ ، والخصائص ٢ / ٤٥٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٧٣ ، والمفصل ٥٠ ، ولسان العرب مواد (نطس) و (حذم) و (ألا) .

قد عده في المفصل من الحذف الملبس نظرا الى أنه لا يعلم أن اسم الطبيب حذيم أو ابن حذيم بخلاف " اسأل القرية "[1] فانه معلوم أن المسئول أهل القرية[2]، وعده ههنا من باب الحذف لأمن الالباس نظرا الى الشهرة فيما بين البعض كرمضان عند من يعلم أن الاسم شهر رمضان، أو جعله نظيرا لمجرد حذف المضاف مما هو كالعلم، وجاز الحذف من الأعلام وان كان من قبيل حذف بعض الكلمة لأنهم أجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف اليه حيث أعربوا الجزأين، في الأساس: "رجل نطس ونِدْس: فطن متنوق في الأمور، وتنطس في الكلام: تنوق فيه[3] وفي كل شيء اذا أدق فيه النظر، ومنه النطاسي والنطيس للعالم بالطب، وهو بالرومية نسطاس "[4].

قوله: (أو على أنه بدل من الصيام)[5] لأن ما تخلل متعلق بكتب لفظا أو معنى وليس بأجنبي، والبدل / بدل اشتمال، وان قدر مضاف أي صيام شهر رمضان ١٥٧ أ
فبدل كل، واذا جعل (خبر مبتدأ) فالمبتدأ ضمير يعود الى " أياما معدودات " أو الى " الصيام " بالتأويل المذكور.

قوله: (أو على أنه مفعول وأن تصوموا) اعترض عليه بأن فيه فصلا بين العامل والمعمول بالخبر[6]، سيما معمول هو بمنزلة جزء من الكلمة لأن " ان " المصدرية حرف موصول والفعل مع ما في حيزه صلة لها.

قوله: (ومعنى أنزل فيه)[7] احتاج الى هذه التأويلات لظهور نزول كثير من الآيات — بل أكثرها — في غير رمضان.

قوله: (مما يهدى الى الحق) اشارة الى أن " من الهدى والفرقان " صفة " بينات " والمصدر بمعنى الفاعل، لكنه مجاز والمعنى جنس ما هدى به الله تعالى[8]، فليس اشارة الى الهدى السابق، وفي ذلك دفع لسؤال التكرار لكنه حاول زيادة الايضاح، وفسر " الهدى " في " من الهدى " تارة بما يهدى، وتارة بما هدى اشارة

---

(١) من الآية ٨٢ من سورة يوسف.
(٢) انظر المفصل ٥٠.
(٣) عبارة الأساس " تأنق فيه ".
(٤) أساس البلاغة مادة (نطس).
(٥) الكشاف ١ / ١٧١.
(٦) من المعترضين بذلك على الزمخشري: رشيد الدين الوطواط وأبو حيان انظر تحفة الأشراف ١ / ١٢١، والبحر المحيط ٢ / ٣٩.
(٧) في الأصل " ومعنى انزاله " وهو يخالف ما في الكشاف ١ / ١٧١.
(٨) قوله " تعالى " زائد في م.

الى عدم التفاوت ،وكذا الفرقان قد اعتبر فيه تارة الفرق بين الحق والباطل ،وتـــارة بين الهدى والضلال لعدم التفاوت •

قوله : (ولا يكون) أى الشهر (مفعولا به) كما فى قولك : شهدت يوم الجمعة ، وشهدت عصر فلان ،بمعنى أدركته ،لظهور أن ليس المعنى كنت مقيما غير مسافر فـى يوم الجمعة ،وانما لم يكن مفعولا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر أى مدركان له ،مع أن المسافر لا يجب عليه الصوم على الوجه الذى يجب على المقـــيم ، أعنى من غير رخصة فى الافطار ،واذا جعل الشهر ظرفا ،والشاهد بمعنى الحاضر المقيم لم يتناول المسافر فلم يحتج الى تخصيصه كما احتيج الى تخصيص المريض المقيم فى الشهر ،ولا خفاء فى أن تقليل التخصيص أولى •

وما يقال : أن فيه اضمار المفعول به ،أى شهد البلد مثلا ممنوع ،بل المفعـــول متروك على ما أشار اليه بقوله : (أي حاضرا مقيما) هذا والقول بأن الشهر مفعول بـــه قول كثير من النحاة •

وأما الضمير فى " فليصمه " فظرف على الاتساع[1] كما فى " ويوم شهدناه[2] " لأن صام لازم ،ولهذا اقتصر فى نفى المفعول به على الشهر حيث قال : (ولا يكون مفعولا به) •

قوله : (ومن جملة ذلك)[3] يشير الى أن قوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر[4] " قرينة على أن المراد بقوله : " فعدة من أيام أخر " الترخيص فى الافطار ،لا ايجابــه على ما زعم بعض الناس ،فالمعنى فعليه عدة من أيام أخر لو اختار الرخصة فأفطر ،ومـــا ذكر من أن (يريد أن لا يعسر) مدلول " يريد الله بكم اليسر " لا مدلول " ولا يريد بكـم العسر " لأن عدم ارادة العسر لا يستلزم ارادة عدم العسر الا اذا ثبت لزوم تعلـــق الارادة بأحد /النقيضين •
١٥٧ ب

قوله : (يعنى جملة ما ذكر) أما ذكر الأمر بالصوم وبمراعاة العدة فظاهر ،وأمـــا الترخيص فقيل : بقوله : " يريد الله بكم اليسر " ،وقيل : بقوله : " فعدة من أيام أخر "

---

(١) خ ،م : بناء على الاتساع •

(٢) من قول الشاعر :

ويوم شهدناه سليما وعامـــــرا * قليل سوى الطعن النهال نوافله

وقد سبق تحقيقه فى الورقة ١٠٩ ب •

(٣) عبارة الكشاف ١ / ١٧٢ " وجملة ذلك " •

(٤) فى م زيادة " ولا يريد بكم العسر " •

انه معناه فعليه محدودات من أيام أخر ، لا أيام من رمضان بالتعيين كما فى حق الشاهد .

وههنا اشكال وهو أنه ذكر فى تفصيل المحلل أمر الشاهد بالصوم ، دون تعليم كيفية القضاء ، وفى تطبيق العلل ورد كل منها الى محلل بالعكس ، فلم يقع بازاء صوم الشهر علة ، وبازاء لتكبروا محلل .

والجواب أن أمر الشاهد بصوم الشهر توطئة وتمهيد ، وفى الأمر بمراعاة العدة تعليم لكيفية القضاء ، لأن معناه فليراع عدة ما أفطر ليصومها من شهر فيخرج عن العهدة ، واعادة كلمة (من) فى قوله : (ومن الترخيص) دون قوله : (وأمر المرخص) ربما تنبه على ماذكرنا من كون الأمر بصوم الشهر توطئة لما رتب عليه من المحللين .

وقد يجاب بأن قوله : (فقوله : لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة) معناه مراعاة عدة أيام الشهر كما فى الأداء ، وعدة أيام الافطار كما فى القضاء ، فيكون بيانا لعلة أمرين من الثلاثة ، ثم ان ذلك يتضمن أمرا رابعا هو تعليم كيفية القضاء فذكر له علة هى التكبير ، وفيه نظر للقطع بأن مراعاة العدة اشارة الى مراعاة عدة ما أفطر ، ولأنه لا معنى لتعليل الأمر بصوم الشهر باكمال عدة أيامه .

قوله : (علة ماعلم) أى تعليم ماعلم .

قوله : (لطيف المسلك) لدقته وخفائه على أنظار كثير من العلماء ، وتبينه للكاملين منهم ، و (النقاب) الذى ينقب عن الأمور أى يفتش عنها ، و (المحدث) المصيب فيما يصل اليه فكره كأنه حدث به ، ووجهه أنه لم يصرح بالملفوف أولا بل بما يدل عليه ، وحين قصد ذكره حذف اللفظ الدال عليه . (١)

قوله : (لتكبروا الله حامدين) لهم فى تقرير التضمين طرق أشيعها جعل الفعل المذكور حالا مثل : ليحمدوا الله مكبرين : ليكون ماتعلق به الجار والمجرور مذكورا قصدا ، وعكسه مثل : لتكبروا الله حامدين ، وآثره لأن التعليل بالتعظيم حال الحمد لله (٢) وجعله مقصودا من التعليم أنسب من العكس : لأن الحمد انما

---

(١) ويقول الامام الطيبى : " وأما لطف مسلكه فهو أن اللف هو الذى يستدعى مايرد عليه مما فى النشر من المعانى المناسبة ، وهذا بالعكس ، وتكون تلك المعانى مبنية عليه على ترتيبه السابق " وهذا ليس كذلك " . انظر فتوح الغيب ١ / ٢٠٠ .

(٢) قوله " لله " ناقص من خ ، ب .

يستحسن [١] ويطلب لما فيه من التعظيم ،وههنا طريق آخر هو أحمد اليك زيدا أى أنهى اليك حمده ،

قوله : (وارادة أن تشكروا) هذا حاصل استعارة " لعل " على ماмر والأنسب بقوله : لتكملوا ،أو لتكبروا لكى تشكروا ،

قوله : (والأول أوجه) لما فيه من اللف اللطيف المسلك ،مع الخلو عما فى الوجه الثانى من زيادة الاضمار اذ ليس فى الكلام مايحسن / أن يتعلق به قوله : (لتعلموا ١٥٨ أ
ماتعلمون) ،وما فى الثالث من الاختلال لأن زيادة اللام في مفعول الارادة — لقصد التأكيد لما فى اللام من معنى الارادة مثل : جئتك لاكرامك — انما يحسن اذا لم يلبس ،وههنا العطف على اليسر مع التخطى عن العسر الأقرب وارتكاب وقوع الفصل ملبس ،وجعل " لعلكم تشكرون " فى موقع [٢] المفعول أى يريد لعلكم تشكرون لا يحسن ،

قوله : (تعظيم الله) لا يخفى أن ماذكر من اللف انما يصح على هذا التفسير، دون تفسيره (بتكبير الفطر أو الاهلال) مع أنه تقييد بلا دليل ،فلذا جعله مرجوحا ،

قوله : (تمثيل) [٣] يعنى أن القرب حقيقة فى القرب المكانى ،وقد استعمل ههنا فى الحال الشبيه بحال من قرب مكانه مع اعتبار عدة أمور ،فيكون لفظ " قريب " استعارة تبعية تمثيلية ،فقوله : (فاذا دعى) عطف على (قرب) ،

قوله : (فنناجيه) رواية الكتاب بالنصب على جواب الاستفهام ،والأظهر الرفع على مافى كتب الحديث ،أى ان كان قريبا فنحن نناجيه [٤] ،

قوله : (كلفظ النيك) [٥] فانه افصاح وترك للكناية ،فى الأساس: " رفث فى كلامه وأرفث وترفث: أفحش. وصرح [٦] بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح ،ورفث الى

(١) م : يحسن ،
(٢) خ : فى موضع،
(٣) فى تفسير قوله تعالى : " واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ... " الآية ١٨٦ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٧٢ ،
(٤) تفسير الطبري ٣/ ٤٨٠ ،
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. " الآية ١٨٧ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ١٧٣ ،
(٦) عبارة الأساس " وأفصح ".

امرأته : أفضى اليها "(١) والى هذا أشار بقوله : (فكنى به عن الجماع) عطفا على قوله : (هو الافصاح) .

ولم يجعل مجازا لعدم المانع عن المعنى الأصلي وهذا ماقال الأديبي لا يكون رفث بمعنى جماع الا على سبيل الكناية ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل ماذكر الأزهري عن الليث أنه الجماع وأصله قول الفحش(٢) ، وما ذكره الزجاج في قوله تعالى : "فلا رفث(٣) " لا جماع ولا كلمة من أسبابه(٤) ، وما ذكر في الأساس من أنه قيل : الرفث بالفرج : الجماع ، وباللسان : المواعدة للجماع ، وبالعين : الغمز للجماع .(٥)

قوله : (وهن) يعني العيس(٦) (هميسا) مشيا سهلا ، وهمس الكلام اخفاؤه ، وهمس الأقدام .

والأخفاف أخفى مايكون من صوتها ، (ان تصدق الطير) أي عيافة حيث دلت على الوصول ، و (لميس) اسم امرأة(٧) ، (أرفثت) يروى بفتح الراء على أن الهمزة للاستفهام ، وبسكونها من الارفاث ، (انما الرفث ماكان عند النساء)(٨) أي القول الذي يجري معها عند الجماع .

ودلالته على معنى القبح من جهة أنه الافصاح بما يجب أن يكنى عنه ، ووجه السؤال أنه لما ترك التصريح بلفظ الجماع الى الكناية عنه(٩) كان ينبغي أن لا يكنى بمثل هذا اللفظ ، فأجاب بأنه لقصد استهجان ماصدر عنهم قبل الاباحة ، حتى لو كان لفظ أدل على القبح منه لكان مناسبا ، وان / كان المقام مقام الاباحة ، ألا ترى الى قوله تعالى : "علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم "؟ وكذا قوله تعالى : ٥٨ ب

---

(١) أساس البلاغة مادة (رفث) .
(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٥ / ٧٧ مادة (رفث) .
(٣) من الآية ١٩٧ من سورة البقرة .
(٤) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٢٣٢ .
(٥) أساس البلاغة مادة (رفث) .
(٦) وهي الابل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .
(٧) وروى "فهن" بالفاء وان "يصدق الظن" مكان "ان تصدق الطير" انظر معاني القرآن للفراء ١ / ١٩٢ ، وروح المعاني للألوسي ١ / ٣٧٤ ، والبحر المحيط ٢ / ٢٧ ، والمفردات في غريب القرآن ١٩٩ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٧٣ ، وتنزيل الآيات ٤٢٨ ، والفائق ٢ / ٣٣١ ، والصحاح مادتي (رفث) و (همس) ، وكذلك لسان العرب .
(٨) تفسير الطبري ٣ / ٤٨٧ .
(٩) قوله "عنه" ناقص من خ .

" فلا رفث " تنفيرا لهم عما نهوا عنه في الحج •

قوله : (لتضمينه معنى الافضاء) فان قيل : لم لا يجعل من أول الأمر كناية عن الافضاء كما يشير اليه كلامه في الأساس ؟ [1] قلنا : لأن المقصود هو الجمـــاع ، والافضاء أيضا كناية عنه •

قوله : (شبه) أي كل واحد منهما (باللباس المشتمل عليه) أي على صاحبـه ، لا على كل واحد كما يتوهم والتمثيل ببيت الجعدي وان كان لتشبيهه باللباس لكـن يفيد أن وجه الشبه هو الاشتمال ، لا ماقيل : أن كلا منهما يستر الآخر عن الفجور ، و (الضجيع) المضاجع ، (ثنى عطفها) أمال شقها ، (تثنت) مالت [2] ، وفيه أيضا أن اللباس استعارة ، وليس على حذف أداة التشبيه كما هو رأى الأكثرين ، وذلـك لأن الظاهر أن (عليه) متعلق به كما في " أسد على " [3] •

قوله : (لقضاء) أي لأجل قضاء (الشهوة وحدها) الظاهر أن الضمير للشهوة لكن المعنى على جعله لقضاء الشهوة •

قوله : (لأنه في الحرائر) نظرا الى كونهن الأصل في النكاح ، أو [4] كون الخطاب لجماعة كانت تحتهم الحرائر لا الاماء ، وضمير (لأنه) يعود الى مايعود اليه [5] (هو) وهو هذا الكلام ، أي لأنه وارد في الحرائر والعزل في حقهن منهي فتناسب الحمـل عليه ، ووجه الدلالة أن العزل ترك التناسل ، فالأمر بطلب التناسل يكون نهيا عـن عن العزل •

---

(١) حيث يقول : " رفث الى امرأته : أفضى اليها " أساس البلاغة مادة (رفث) •
(٢) والبيت للنابغة الجعدي كما في الكشاف ومعظم المراجع وقيل انه للنابغة الذبياني كما في روح المعاني للألوسي ، وروى : اذا ما الضجيع ثني جيدها – تداعت فكانت عليه لباسا ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٧٤ ، وتنزيل الآيات ٤٢٨ ، وتفســير القرطبي ١ / ٢٩٥ ، والألوسي ١ / ٣٧٤ ، وابن كثير ١ / ٤١٨ ، والبيضاوي ١ / ١٣٨ واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٢٢١ والايضاح ١٣٨ ، والفائق ٢ / ١٣١ ، ومادة (لبس) في الصحاح واللسان •

(٣) من قول عمران بن حطان :
أسد على وفي الحروب نعامـــة * فتخاء تنفر من صفير الصافـــر
وقد سبق تحقيقه في الورقة ٦٩ ب •
(٤) كلمة " أو " ناقصة من م •
(٥) خ : عليه •

قوله : (المحل الذى) اشارة الى وجه التعبير بما دون من ، يعنى ليس القصد الى المرأة نفسها بمنزلة ابتغوا المرأة التي كتبها الله لكم ، بل باعتبار المحلية بمنزلة ابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم .

قوله : (من بدع التفاسير) [1] يريد بها [2] مالا يكون مرويا عن الثقات ، ولا مبنيا على المناسبات وما اشتهر من اللغات ، ولم يجعل هذا من جملتها بناء على أن الكلام فى ليالى الصيام وفيها ليلة القدر .

قوله : (الفجر المعترض) احترازعن المستطيل وهو الفجر الكاذب فانه ليس منتهى الليل ، و (الغبش) بالتحريك بقية الليل ، ويقال : ظلمة آخر الليل . والجمع أغباش ، و (السدفة) فى لغة نجد : الظلمة (واضاءتها) تبينها ، وفى لغة غيرهم : الضوء ، وقيل : اختلاط الظلمة والضوء كما بين طلوع الفجر الى الاسفار ، و (أنار) الشىء بمعنى استنار ، وأناره غيره : نوره [3] .

قوله : (لأن بيان أحدهما بيان للثانى) يحتمل أن يريد البيان للخيط الأسود بأن المراد به سواد الليل ليكون استعارة صحيحة مقرونة / بشرائطها غير خارجة ١٥٩ أ
الى التشبيه ، وأن يريد أنه بيان له بمنزلة أن يقال : الخيط الأسود من الغبش ، حتى كأنه ذكر معه هذا اللفظ ، فيخرج الى التشبيه كالخيط الأبيض وهذا أنسب وهو اختيار صاحب المفتاح [4] ، وبه يشعر كلام المصنف .

وقد عرفت أن مثل قوله تعالى : " وما يستوى البحران " الآية [5] تشبيه لا استعارة مع أنه لا ذكر للمشبه أصلا ، ولا هو فى حكم المذكور بمعنى الاحتياج اليه فى صحة التركيب كما فى أسد على ، و " صم بكم " لا يقال : ففى كل استعارة دلالة على حذف المشبه لأنا نقول : لا بل فيها دلالة على أن المراد هو المشبه ، وفرق بين هذا وبين الدلالة على أن فى الكلام محذوفا مقدرا هو اسم المشبه ، سواء كان جزءا من الكلام تتوقف صحة التركيب عليه أولا ، فليتأمل .

---

(١) الكشاف ١ / ١٧٤ .   (٢) م : يريد به .
(٣) والبيت لأبى دؤاد الايادى ، وروى " مع الصبح " بدل " من الصبح " انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٧٤ ، وتنزيل الآيات ٣٩٧ ، والأصمعيات ١٩٠ ، والأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٢٣ ، والصحاح مادة (خيط) ، وكذلك اللسان .
(٤) مفتاح العلوم ١٨٩ .   (٥) رقم ١٢ من سورة فاطر .

قوله: (لأنه) أي لأن الخيط الأبيض (بعض الفجر) أي جزء منه على ما مر من تفسيره (بأول ما يبدو من الفجر) فيكون المعنى: حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر، وعلى تقدير البيان معناه: حال كونه هو الفجر، فيحتاج الى تأويل ان جعل الفجر اسما لمجموع البياض المعترض، وعلى التقديرين فتوسيط من الخيط الأسود ليس فصلا بين الحال وذى الحال بأجنبى، بل بما هو من متعلقات العامل مثل: مررت بهند راكبا، بل اذا تحققت فهو بيان للخيط الأبيض والأسود جميعا، لا للأبيض وحده، وهذا ما قال فى المفتاح " الخيط الأبيض والأسود يعدان من باب[1] التشبيه حيث بينا بقوله " من الفجر " ولولا ذاك لكانا من باب الاستعارة[2] ".

قوله: (فاذا زدت من فلان رجع تشبيها) يؤيد ما ذكر فى المفتاح من ان " نحو رأيت بزيد أسدا، ولقينى منه أسد تشبيه[3] "، لكن فى كون من البيانية تجريدية كلام.

قوله: (هى أبلغ) أي أدخل فى المبالغة أو فى البلاغة وذلك لما فى الاستعارة من ادعاء كون المشبه نفس المشبه به، لا أمرا مغايرا له مشبها به، وهذا أوفق بما يقتضيه المقام من بيان كمال الشبه، وضمير (كان) و(به) يعود الى (هذا) وهو اشارة الى ذكر الخيط الأبيض والأسود بدليل قوله: (ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران)، وكذا ضمير (يكون) وهذا الكلام ربما يرشد الى كون الخيطين من باب التشبيه، ووجه كونه تشبيها بليغا حذف الأداة ووجه الشبه كما فى زيد أسد، أى دخل فى التشبيه البليغ وخرج من الاستعارة المفقودة الشرط.

قوله: (فكيف التبس؟) أي الأمر أو الخيط، و(العقال) حبل يشد به وظيف البعير[4] مع/ ذراعه فى وسط الذراع، و(عرض الوسادة) رمز الى عرض القفا وهو تلويح الى البلاهة[5] وفرط الغفلة والنسيان، لاشعاره بكثرة الرطوبات فى الدماغ، و(ان كان) هى ان المخففة واللام فى (لعريضا) هى الفارقة[6]، وعرضه نسبه الى العرض، ومعنى (غفلته عن البيان) ذهوله عن قوله: " من الفجر " أو عن كونه بيانا للخيط الأبيض لاحتمال أن يكون بيانا لسبب التبيين، ولا يخفى ما فى الكلام مع التلويح ١٥٩ ب

---

(١) كلمة " باب " ناقصة من الأصل، وهى فى النسخ الأخرى وفى عبارة المفتاح.
(٢) مفتاح العلوم ١٨٩. (٣) المرجع السابق.
(٤) أي ساقه. (٥) خ: الى البلادة.
(٦) والحديث فى صحيح البخارى ٤/ ١١٣، ١٣٧/٨، وصحيح مسلم ١/ ٣٠١، وسنن أبي داود ١٠/ ٦٩، ومسند الامام احمد ٤/ ٣٧٧، وتفسير الطبرى ٥١٢/٣.

من .

قوله : (بعض البدويات) روى أنها أم كردس فاضل العريبو خادم المصنف[1] ، وكون (الميزان في الشمال) كناية أخرى عن البله ، و(انحص شاربه) تناثر شعره وانحسر ، و(الحسب) العد ، و(القيراط) نصف دانق[2] ، وأصله قراط كدينار أصله دنار بدليل الجمع ، وانحصاص شاربه اما لأنه يمعن في الفكر فيعض على شفتيه وشاربه ، وإما لأنه يمس شاربه باليد كل مرة كالمبتهج من الحمقى[3] .

قوله : (حيث لا يفهم منه[4] المراد) يعني أن ما أريد به من الاستعارة أو التشبيه ليس بمفهوم ، وما يفهم منه من حقيقة الخيط ليس بمراد ، فالتشبيه أن يراد بياض كالخيط ، والحقيقة أن يراد الخيط نفسه ، فلا اشعار بأن التشبيه ليس بحقيقة بمعنى الاستعمال في الموضوع له على ما يتوهم .

قوله : (فلم يصح عندهم) هذا لا ينافي صحته عند أئمة الحديث كالبخاري ومسلم[5] .

قوله : (ويعزم على فعله) ليس بسديد ، لأن القوم كانوا قبل البيان عاملين ، والحاصل أن في هذه الرواية تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال ، وانما الخلاف في التأخير عن وقت الخطاب وما ذكره من الفائدة انما يتأتى فيه .

وقد يجاب بمنع تحقق الحاجة قبل أوان الصوم الفرض ، ولعل أولئك الرجال انما فعلوا ما فعلوا في غير الفرض ، أو بمنع انتفاء دلالة الحال ، فمعلوم عند ذكر الصوم والافطار والليل والنهار أن ليس لذكر الخيطين الحقيقيين كثير اعتبار الا أنها قرينة خفية لا يهتدي اليها الا واحد بعد واحد من أولي الانظار ، فنزل البيان الظاهر بعد ذلك تيسيرا للأمر على سائر أولي الابصار ، غاية الأمر أن لفظ الخيط كان مجازا فصار حقيقة لكونه مشبها به حقيقة ولا تعرف له جهة امتناع .

على أن لنا في كون اسم المشبه به عند حذف الأداة حقيقة كلاما قد عرفته في قوله

---

(١) فتوح الغيب ١ / ٢٠٢ .   (٢) والدانق : سدس الدرهم .
(٣) انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٧٥ ، وتنزيل الآيات ٣٢٩ .
(٤) قوله " منه " ناقص من الأصل .
(٥) انظر صحيح البخاري ٩ / ٩٥ ، ١٧٠ / ٢٦ ، وصحيح مسلم ٧ / ١٠٢ وتفسير الطبري ٣ / ٥١٣ .

تعالى : "صم بكم "(1) ومن يجعله حقيقة ههنا لابد أن يقدر مضافا أى/ حتى يتبين ١٦٠ أ
لكم شبه الخيط الأبيض من الفجر كما تقدر الأداة فى مثل : زيد أسد ليصح الحمل ، أو
يجعل الخيط من الفجر بمنزلة خيط الفجر فيصير مثل : لجين الماء (٢) ، وعلى ماذكره
الشيخ عبد القاهر فى :

فانما هى اقبـال وادبـار (٣)

لا يبعد أن يجعل زيد أسد مجازا عقليا لتساوى أمر المجاز والاضمار .

قوله : (قالوا فيه دليل) أما الدلالة (على جواز النية بالنهار) فهو أن كلمة " ثم " للتراخي ، فاذا ابتدئ الصوم بعد تبين الفجر حصلت النية بعد مضى جزء من النهار ، لأن الأصل اقتران النية بالعبادة ، وكان موجب ذلك وجوب النية بالنهار الا أنه جاز بالليل اجماعا عملا بالسنة ، وصار أفضل لما فيه من المسارعة والأخـذ بالاحتياط ، قال أبو المعين النسفى (٤) : ان أبا جعفر الخباز السمرقندى هو الـذى استدل بالآية على الوجه المذكور .

لكن للخصم أن يقول : أمر الله تعالى بالصوم بعد الفجر ، وهو اسم للركـن لا للشرط ، وأيضا لما أمر بالصوم الشرعى عقيب آخر جزء من الليل متصلا ـ وما ذاك الا بالنية ـ لزم وجودها فى أول جزء من أجزاء النهار حقيقة بأن يتصل به ، أو حكما بأن تحصل فى الليل وتجعل باقية الى الآن .

قلت : قد أشار الى دفع الأول بقوله : الأصل اقتران النية بالعبادة ، علـى أن الصوم وان كان اسما للركن ، لكن اتمامه الاتيان به تاما كاملا على ماذكره المصنف فـى " وأتموا الحج " (٥) وذلك بالاركان والشرائط ، وبهذا يندفع أيضا مايقال أن تأخير المجموع لا يستلزم تأخير كل جزء .

---

(١) من الآية ١٨ من سورة البقرة . وانظر الورقة ٦٩ من هذه الحاشية فقد اختـار السعد ان اسم المشبه به عند حذف الأداة يكون مستعملا فيما شبه بمعناه الأصلى فيكون استعارة .

(٢) أى مثله فى اضافة المشبه به للمشبه ، ولجين الماء من قول ابن خفاجة :
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الأصيل على لجين المـاء

(٣) من قول الخنساء :
ترتع مارتعت حتى اذا ذكـرت * فانما هى اقبـال وادبـار
دلائل الاعجاز ٢٠٦ .

(٤) ميمون بن محمد بن مكحول النسفى الحنفى ، عالم بالأصول والكلام ، توفى سنة ٥٠٨ ، انظر معجم المؤلفين ١٣/ ٦٦ ، والأعلام ٨/ ٣٠١ .

(٥) من الآية ١٩٦ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/ ١٨٠ حيث قال الزمخشرى =

والى دفع الثاني بقوله : بعد تبين الفجر ،يعني لما أباح الأكل الى التبيين وقال : " ثم أتموا " أى بعد التبين علم أنه لا يكون الا في الجزء الثاني من النهار ، ومبنى ذلك على ان انقضاء الليل لايكون الا بتبين الفجر لأن الشيء انما ينقطع بضده (١) ،وقد يدفع بأن كلمة " ثم " للتراخي دون التعقيب ،وليس بشيء للقطع بلزوم الصوم عقيب انقضاء الليل وتبين الفجر من غير تراخ .

لا يقال : فيترك تراخي الامساك ضرورة ويعمل بتراخي النية تقليلا لمخالفة الأصل ،لأنا نقول : بل يترك التراخي بالكلية حذر الجمع بين الحقيقة والمجاز والفصل بين العبادة والنية .

وما يقال أن معنى " ثم " لا يقتضي أن يكون وجوب الصوم بعد تبين الفجر الذى هو نهاية اباحة الأكل لجواز أن يكون بعد ابتدائه كما في قوله تعالى : " فأحياكم ثم يميتكم " (٢) ، ليس بشيء للقطع والاتفاق على أن المعنى ثم بعد تبين الفجر لا ابتداء الأكل أو اباحته (٣) / وذلك لأن " أتموا " عطف على " كلوا " مع قيد الغاية ١٦٠ ب
كما لو قيل فأحياكم الى يوم كذا ثم يميتكم .

نعم يرد أن وجوب الصوم لو كان عقيب الفجر لزم أن لا يجب في الجزء الأول من النهار ،وهو خلاف الاجماع ،والدفع بأنه ليس الا (٤) بعد انقضاء الليل ،وهو ليس الا بدخول أول جزء من النهار ،غير مسموع ،بل الانقضاء قبل الدخول متصلا به لكن لا يعلم الا بالدخول ،وفرق بين تحقق الشيء والعلم بتحققه ،بل الدفع ان الوجوب بعد تبين الفجر وذلك في الجزء الأول ،نعم قد يناقش في أن اتمام الصوم هو الاتيان به تاما ،بل جعله وتصييره تاما ،وذلك يقتضي سابقة الشروع ،ولا وجوب للامساك قبل تبين الفجر ،فتعين وجوب النية فيكون في الآية دلالة على وجوب النية بالليل ،وقد يؤيد ذلك بأنه لا معنى لنية الفعل الا قصده وهو متقدم ألبتة ،وفيه نظر .

وأما الدلالة (على جواز تأخر الغسل) فلأنه لما أباح المباشرة الى تبين الفجر تعين الغسل فيما بعده ،لكن هذه الدلالة ليست في "ثم أتموا الصيام " — وان

= " وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما " .

(١) قوله " بضده " ناقص من .
(٢) من الآية ٢٨ من سورة البقرة .
(٣) خ ،م : واباحته .
(٤) كلمة " الا " ناقصة من الأصل .

جعلنا " ثم " للتراخي ، والاتمام عبارة عن الاتيان به تاما — بل فيما قبله أعنى " فالآن باشروهن " الى " حتى يتبين " .

وأما (على نفي الوصال) وهو أن يصوم يومين من غير أن يفطر بالليل ، فلأنه أمر بالصيام المنتهى بالليل وذلك يطرءان ضده وهو الافطار ، ومبناه على أن الليل غاية للصيام (١) والى متعلق به وهو ظاهر لا للايجاب ، ولما في الدلالات الثلاث من امكان المناقشة قال : (قالوا) .

قوله : (والمراد بالمباشرة الجماع) (٢) كناية أو مجازا لما فيه من ملامسة البشرتين بقرينة ورود هذا النهى عقيب الأمر المراد به الجماع .

وقيل : النهى على معناه اللغوي من غير قصد الى كناية أو مجاز فيدخل فيه (٣) الجماع وغيره من المباشرات أنزل أو لم ينزل ، وأما اذا أريد به الجماع فيفسد بالمس مع الانزال لكونه في معنى الجماع .

قوله : (وقالوا فيه دليل) وجه الدفع ظاهر بل ربما يدعى دلالته على أن الاعتكاف قد يكون في غير المسجد والا لما كان للتقييد فائدة ، وانما الخفاء في وجه الدلالة وهو أن المباشرة حرام في الاعتكاف اجماعا ، فلو لم يكن ذكر " في المساجد " لبيان أن الاعتكاف لا يكون الا في المساجد لزم اختصاص حرمة المباشرة باعتكاف يكون في
المسجد ، وهو باطل اتفاقا ، وبعبارة أخرى : ان التقييد يدل على ان/ له مدخلا في ١٦١ أ
علية الحكم (٤) ، فالحكم المتعلق به المتوقف عليه اما تحقق الاعتكاف أو حرمة المباشرة فيه ، والثاني منتف اجماعا فتعين الأول .

وأما الدلالة على أنه (لا ينفرد بالاعتكاف مسجد دون مسجد) فظاهرة حيث نهى عن المباشرة في اعتكاف المساجد كلها ، وقال سعيد بن المسيب : لا يجوز الا في مسجد المدينة وهو لنبينا صلى الله عليه وسلم (٥) ، والمسجد الحرام وهو لابراهيم عليه السلام (٦) ، وضم بعض العلماء اليهما المسجد الأقصى وهو لبعض الأنبياء (٧) لقوله صلى الله عليه وسلم " لاتشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد " (٨) ، والقول بأنه لا يجوز

---

(١) م : للصوم .
(٢) في الأصل زيادة " وقيل النهي على معناه اللغوى " وهو خطأ ناشئ من انتقال نظر الناسخ فهذه العبارة ستأتي في بداية الفقرة التالية .
(٣) قوله " فيه " ناقص من .
(٤) ط ، خ : في العلية .
(٥) م ، خ ، ط : عليه السلام ، وساقط من ب .
(٦) ب : صلى الله عليه وسلم .
(٧) انظر البحر المحيط ٢/ ٥٣ .
(٨) انظر صحيح البخاري ٧/ ١٢ ، وصحيح مسلم ٩/ ١٦٧ .

الا فى مسجد جامعحكى عن الزهرى وابن المنذ ر ،وقول العامة لايخالف عموم الآية ، لأن المراد بمسجد الجماعة ماأذن فى امامة الجماعة فيها حتى لا يجوز فى مسجـــد البيت ،أى الموضع الذى هيأه من بيته للصلاة ،فانه لا يدخل فى اطلاق المسجد ، وعن أبى حنيفة رضى الله عنه(1) أنه لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن معلـــــوم ويصلى فيه الصلوات الخمس بالجماعة • (٢)

قوله : (تلك الأحكام التى ذكرت) من باشروا وابتغوا ،وكلوا ،واشربوا للاباحة ، وأتموا الصيام للايجاب ،ولا تباشروهن للتحريم ، (حدود الله) والنهى عن الاتيان(٣) والقربان فى الحرام ظاهر ،وأما فى الواجب والمندوبوالمباح فمشكل ،وعن التعـــدى بالعكس •

وما ذكر من كون منع القربان مبالغة فى منــــــــــــــــع التعدى ،وكون التعدى عبارة عن ترك الطاعة والعمل بالشرائع ،ومجاوزة حيز الحق الى حيز الباطل ، يدفع الاشكالين ،لكن لابد من أدنى تأويل فى اللفظ ،وهو أن تلك الأحكام ذوات حدود فلا تقربوها كى لا يؤدى الى تجاوزها والوقوع فى حيز الباطل •

قوله : (كيف قيل ؟) يعنى أن منع تعدى الحد (٤) ومنع قربانه متدافعان(٥) من جهة أن منع التعدى يشعر بجواز القربان ،لا من جهة انه لا يمنع القربان فانـــه لا تدافع حينئذ ،ويجوز أن يريد بحدود الله ههنا مناهيه فيستقيم منع القربان قبـــل التعدى باعتبار أن الأوامر السابقة نهى عن أضدادها وهو فى أمر الاباحة مشكــل ، والأوجه أن يراد هذا وأمثاله •

قوله : (ولا يأكل بعضكم) تفسير لقوله : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " (٦) يعنى أن هذا ليس من مقابلة الجمع بالجمع كما فى لتركبوا دوابكم ،بل المراد نهــى كل عن اكل مال الآخر ،فقوله : " بالباطل " متعلق بتأكلوا ،و " بينكم " أيضا كذلك ، أو حال من الأموال وضمير/ " بها " للأموال على حذف المضاف أى شأنها والحكومــة فيها ،والمراد النهى عن التحاكم فى ذلك الى مطلق الحكام ،وقيل : المراد القــاء البعض منها الى حكام السوء على وجه الرشوة ،فى الأساس " أدليت دلوى فى البئر : ١٦١ب

---

(١) قوله " رضى الله عنه " زائد فى خ •
(٢) انظر مفاتيح الغيب للامام الرازى ٢/١٤٠ ،وروح المعانى للألوسى ١/٣٧٧•
(٣) م : من الاتيان •
(٤) ط ،م : الحدود •
(٥) ب ،م : يتدافعان •
(٦) الآية ١٨٨ من سورة البقرة ،الكشاف ١/١٧٦•

أرسلتها ، ودلوتها : نزعتها ، ومن المجاز دلوت حاجتي : طلبتها ، ودلوت به الى فلان : متت به وتشفعت به اليه ، وأدلى بحجته : أظهرها ، وأدلى بمال فلان الى الحكام : دفعه "[1] ، وفي الصحاح : " هو يدلي برحمه أي يمت بها "[2] .

" الحسن " من اللحن بالفتح : الفطنة ، أي أقوم بها وأقدر عليها ، ولحن القول بالسكون ، و(التوخي) التحري والقصد ، و(الاستهام) الاقتراع [3] .

قوله : (أو منصوب) أي لا يكن منكم أكل الأموال والادلاء الى الحكام ، وقد سبق في " وتكتموا الحق [4] " أنه يحتمل الجزم والنصب [5] وان مثل هذا الكلام وان كان للنهي عن الجمع لا ينافي كون كل من الأمرين منهيا .

قوله : (وأنتم تعلمون) [6] يوهم أنه من تتمة " وتكتموا الحق " والمقصود ما في هذه الآية .

قوله : (حتى يمتلئ ، ويعود) [7] يجوز فيه الرفع والنصب .

قوله : (معالم) يعني أن الميقات ما يوقت به الشيء كما ان المقدار ما يقدر به الشيء . وقد شاع في معنى المعلم .

قوله : (أو يتخذ) عطف على (نقب نقبا) ، عدل الى المضارع لأن المعنى فيه على الاستمرار .

قوله : (كأنه قيل) يبين وجه اتصال هذا الكلام بما قبله بثلاثة أوجه ، لا خفاء في الأخيرين منها وهو أنه استطراد ، وهو أن يذكر عند سوق الكلام لغرض ما يكون له نوع تعلق به ولا يكون السوق لأجله ، فلما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج ، وكان من جملة أفعالهم في الحج دخول البيوت من ظهورها ، نهاهم عن ذلك وبين أنه ليس من البر في شيء ، وأصله أن [8] الصائد قصد صيدا بعينه فعرض له صيد آخر فطرده لا عن قصد ، ومضى في أمره .

أو تمثيل لتعكيسهم في السؤال [9] ، حيث سألوا عما لا يهمهم ولا يليق بحالهم

---

(١) أساس البلاغة مادة (دلي) بتصرف . (٢) الصحاح مادة (دلو) .
(٣) والحديث في صحيح الترمذي ٦/ ٨٣ ، ومسند الامام أحمد ٦/ ٣٠٢ ، ٣٠٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٠ ، والمستدرك للحاكم ٤/ ٩٥ .
(٤) من الآية ٤٢ من سورة البقرة . (٥) انظر الكشاف ١/ ٩٩ .
(٦) قوله " تعلمون " ناقص من م .
(٧) في تفسير قوله تعالى : " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج . . " الآية ١٨٩ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٧٦ ، وانظر أسباب النزول للسيوطي ١/ ٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٣ . (٨) كلمة " أن " ساقطة من الأصل .
(٩) وهذا هو الجواب الثالث أما الاستطراد فهو الجواب الثاني .

أرسلتها ،ودلوتها : نزعتها ،ومن المجاز دلوت حاجتى : طلبتها ،ودلوت به الى فلان : متت به وتشفعت به اليه ،وأدلى بحجته : أظهرها ،وأدلى بمال فلان الى الحكام : دفعه "(1)،وفى الصحاح : " هو يدلى برحمه أى يمت بها "(2) .

" الحسن " من اللحن بالفتح :الفطنة ،أى أقوم بها وأقدر عليها ،ولحن القول بالسكون ،و(التوخى) التحرى والقصد ،و(الاستهام) الاقتراع (3) .

قوله : (أو منصوب) أى لا يكن منكم أكل الأموال والادلاء الى الحكام ،وقد سبق فى " وتكتموا الحق(4) " أنه يحتمل الجزم والنصب(5) وان مثل هذا الكلام وان كان للنهى عن الجمع لا ينافى كون كل من الأمرين منهيا .

قوله : (وأنتم تعلمون)(6) يوهم أنه من تتمة " وتكتموا الحق " والمقصود مافى هذه الآية .

قوله : (حتى يمتلىء ،ويعود)(7) يجوز فيه الرفع والنصب .

قوله : (معالم) يعنى أن الميقات مايوقت به الشىء كما ان المقدار مايقدر به الشىء . وقد شاع فى معنى المعلم .

قوله : (أو يتخذ) عطف على (نقب نقبا) ،عدل الى المضارع لأن المعنى فيه على الاستمرار .

قوله : (كأنه قيل) يبين وجه اتصال هذا الكلام بما قبله بثلاثة أوجه ،لا خفاء فى الأخيرين منها وهو أنه استطراد ،وهو أن يذكر عند سوق الكلام لغرض مايكون له نوع تعلق به ولا يكون السوق لأجله ،فلما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج ،وكان من جملة أفعالهم فى الحج دخول البيوت من ظهورها ،نهاهم عن ذلك وبين أنه ليس من البر فى شىء ،وأصله أن(8) الصائد قصد صيدا بعينه فعرض له صيد آخر فطرده لا عن قصد ، ومضى فى أمره .

أو تمثيل لتعكيسهم فى السؤال (9) ،حيث سألوا عما لا يهمهم ولا يليق بحالهم

---

(1) أساس البلاغة مادة (دلى) بتصرف . (2) الصحاح مادة (دلو) .
(3) والحديث فى صحيح الترمذى ٦ / ٨٣ ،ومسند الامام أحمد ٦ / ٢٠٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٠ ،والمستدرك للحاكم ٤ / ٩٥ .
(4) من الآية ٤٢ من سورة البقرة . (5) انظر الكشاف ١ / ٦٩ .
(6) قوله " تعلمون " ناقص من م .
(7) فى تفسير قوله تعالى : " يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج .. " الآية ١٨٩ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٧٦ ،وانظر أسباب النزول للسيوطى ١ / ٢٤ ، وتفسير الثعلبى ٢ / ٣ . (8) كلمة "أن " ساقطة من الأصل .
(9) وهذا هو الجواب الثالث أما الاستطراد فهو الجواب الثانى .

وتركوا مايهمهم من السؤال أو من أفعال البر ،يعنى أنهم فى ذلك كمن يترك بـــاب البيت ويدخل من ظهره ،فنهوا عن ذلك وأمروا بالتقوى .

وأما الأول فمنهم من قرره بأنه من باب الأسلوب الحكيم (١) ،وهو تلقى السائـــل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه تعدى السؤال اللائق بحالـــه والأهم له .

ومنهم من زاد بصيرة فقال : هو بيان لسبب الاعراض عن جواب سؤالهم الى سلوك/ ١٦٢ أ
طريق الأسلوب الحكيم ،يعنى أن ذلك السؤال لم يكن لائقا بحالهم ومهما لهم ،وانما المهم لهم السؤال عن وقائعهم مثل هذه الفعلة التى يحسبونها برا .

ومنهم من زاد وهو غاية فى التدقيق فقال لما كان جواب السؤال عن الأهلة مـــن الأسلوب الحكيم حيث سألوا عن السبب فأجيبوا (٢) بالحكمة والفائدة ،كان فيه التنبيه على تعدى (٣) موضع السؤال فهو بر وليس ماهم فيه من البر ،لأن السائل عن الأفعال الالهية فيما لم يتعلق بالمكلف اذا لم يكن برا فى أفعاله وأقواله فالأولى اصلاح حالـــه وترك التعرض لجواب سؤاله ،فسواء قيل : دعوا السؤال وانظروا ،أو قيل : هو بـــــر وما أنتم فيه ليس ببر ،لم يختلف المقصود ،اذ الغرض بيان الجامع بين الأمرين وقـــد انساق الكلام اليه . (٤)

وأنا لا أزيد على التعجب سوى أنى أقول : أى دلالة لقولهم : (مابال الهـــلال يبدو دقيقا ثم يزيد) على أنه سؤال عن السبب والفاعل دون الغاية والحكمة ؟ . ثـــم أى دلالة فى كلام المصنف على أنه فهم ذلك ؟ ،وهل قوله : (كأنه قيل لهم عنـــــد سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها) الى آخره ،وقوله : (والمـــراد وجوب توطين النفس (٥) على أن جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب حتى لا يســـأل عنه لما فى السؤال من الايهام بمقارفة الشك) الا مناديا على أنه فهم السؤال عـــن الحكمة والمصلحة وجعل الجواب جوابا عنه مطابقا له من غير عدول الى الأسلـــــوب الحكيم على مافهمه السكاكى (٦) ؟ ثم أى وجه لسكوت المصنف ههنا عن سؤال كيفيـــة

---

(١) ومن هؤلاء الامام الطيبى فى فتوح الغيب ١/ ٢٠٣ ،والفاضل اليمنى فى تحفـــة الاشراف ١/ ١٢٣ .
(٢) ب ،م : وأجيبوا .
(٣) خ : على تقرير .
(٤) كشف الكشاف الورقة ١٧١ أ
(٥) عبارة الكشاف ١/ ١٧٧ : النفوس .
(٦) ففى مفتاح العلوم صفحة ١٧٥ يقول السكاكى : " الأسلوب الحكيم هو تلقى =

مطابقة الجواب للسؤال ،والجواب عنه بأن مافيه بناء الكلام على الأليق الأهم ،على ماذكره في قوله تعالى : " يسألونك ماذا ينفقون " الآية [١] ؟ ،وكيف لم تقع منه ههنا اشارة ما الى هذا المعنى ؟ .

ثم وجه الاتصال على ماذكر ظاهر ،وهو أنهم لما أجيبوا عن سؤال الحكمة في الأهلة ببيان الحكمة لهم [٢] ،قيل لهم : دعوا السؤال عن الحكمة والمصلحة في أفعال الله تعالى ،واعتقدوا أنها كلها حكم ومصالح ،وانظروا في فعلة واحدة من أفعالكم تحسبونها برا وليست من البر في شيء ،فان هذا أليق بحالكم وأحق بأن تصرفوا اليه أفكاركم .

وفي هذا الكلام ارشاد الى وجه عطف " وأتوا البيوت من أبوابها " وهو أمر على " هي مواقيت " و " ليس البر " وهما خبران ،كأنه قيل : لا تسألوا عن أمثال هذا وانظروا في فعلتكم وأتوا البيوت من أبوابها ،هذا اذا كان الكل مقول "قل " بطريق العطف ،وأما اذا كان المعنى: ،قل [٣] هي / مواقيت ،وقل ليس البر ،وقل ائتوا البيوت . ١٦٢ب
فلا اشكال .

قوله : (الذين يناجزونكم) [٤] لما لم يكن لقولنا : قاتلوا الذين يقاتلونكم كثير معنى اذ المقاتلة تكون من الجانبين فسر الذين يقاتلون (بالذين يناجزون) القتال ويبارزون فيه ،أي ولا تقاتلوا المحاجزين المانعين ،أو (بالذين يناصبون الحرب) وتكون لهم قوة ذلك بخلاف مثل الشيوخ والصبيان ،أو (بالذين يضادونكم) ويقصدون قتالكم أي جميع الكفرة ،فتظهر الفائدة ،وعلى الأول يكون منسوخا في حكم مفهومه أي لا تقاتلوا المحاجزين لعموم قوله تعالى : " وقاتلوا المشركين كافة " [٥] مناجزين

= المخاطب بغير مايترقب أو السائل بغير مايتطلب كما قال تعالى: " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " قالوا في السؤال مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ،فأجيبوا بما ترى " .

(١) رقم ٢١٥ من سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١ / ١٩٤ ،حيث قال الزمخشري في تفسير تلك الآية : فان قلت : كيف طابق الجواب السؤال وهم قد سألوا عن بيان ماينفقون وأجيبوا ببيان المصرف ؟ قلت قد تضمن قوله " ماأنفقتم من خير " بيان ما ينفقونه وهو كل خير ،وبني الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها " .

(٢) قوله "لهم " ناقص من خ . (٣) م ،خ : اذا كان المعنى على قل .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا .. " الآيات ١٩٠ – ١٩٣ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٧٧ .

(٥) من الآية ٣٦ من سورة التوبة .

كانوا أو محاجزين ٠

وقوله : (وقيل لما صد المشركون) كأنه وجه رابع وهو أن المراد بالذين يقاتلونكم من يتصدى من المشركين للقتال في الحرم وفي الشهر الحرام ، وجواب (لما) قوله : (خاف المسلمون) فينبغي أن يكون (نزلت) بالفاء عطفا عليه ، أو " وخاف " بالواو عطفا على (رجع) ليكون نزلت جواب لما ، وقوله : " ولا تعتدوا " بابتداء القتال راجع الى الوجه الرابع أو بقتال من نهيتم الى بعض ما سبق ٠

قوله : (والثقف وجود) أي وجدان مصدر وجدت الشيء ، يقال : طلبناه فثقفناه في مكان كذا أي أدركناه ، وثقفت العلم : أسرعت أخذه ، وغلام ثقف وثقف بالكسر والسكون ، وثقف بالضم ثقافة (فليس الى خلود) أي من أثقفه ليس صائرا الى بقاء[1] ٠

قوله : (يتعذب به) حال من (الانسان) وعندي أنه[2] صلة بعد صلة كالخبر والصفة والحال ٠

قوله : (جعل الاخراج) يعني أن الحكم في هذا المقام بأن الفتنة أشد من القتل اشارة الى أن الاخراج من الوطن شديد على الانسان بحيث يتمنى فيه الموت تخلصا عن الأشد ، وليس المراد أن الفتنة للعهد والاشارة الى الخروج من الوطن ، لأنه قد ذكر أن المراد به البلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به من غير تعيين وتخصيص ، وهذا الذي ذكره أولا اشارة الى أن قوله : " والفتنة أشد من القتل " متعلق بقوله : " أخرجوهم من حيث أخرجوكم " ، ثم ذكر وجها آخر مبنيا على تعلقه بقوله : " اقتلوهم حيث ثقفتموهم " ، ثم وجوها أخر متعلقة بالمقام ٠

قوله : (وفتنتهم اياكم) أي اصابتهم اياكم بالفتنة المفضية الى ذهاب المال والحال (أشد من قتلكم اياهم في الحرم أو من قتلهم اياكم) على تقدير الوقوع (فلا تبالوا بقتالهم) على التقديرين ٠

قوله : (جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم) حيث جمع الضمير العائد اليهم من / غير تقييد بالبعض مع أن القتل لا يكون الا في البعض خاصة ، أما بالنظر ١٦٣ أ

---

(١) والبيت لخالد بن جعفر بن كلاب ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٧٨ ، وتنزيل الآيات ٣٦٧ ، والأغاني ١٠ / ١٢ ، والبحر المحيط ٢ / ٥٩ ، والصحاح مادة (ثقف) ، وكذلك لسان العرب ٠

(٢) قوله : " أنه " ناقص من الأصل ٠

الى ضمير المخاطبين فظاهر ، لأنهم لو قتلوا جميعا فكيف يؤمرون بقتل المشركين أو ينهون عنه ، وأما بالنظر الى ضمير الغائبين وهم المشركون فلأنه ليس المراد النهى عن قتلهم جميعا الى أن يصدر القتل عنهم جميعا (1) فضمير (بعضهم) و (فيهم) لمجموع الفريقين ، والتمثيل (بقتلتنا بنو فلان) ، و

(فان تقتلونا نقتلكـــــم) (٢)

ظاهر فى اعتبار ذلك فى الفاعل والمفعول جميعا ، والمصراع مما لم نجد تمامه ، ثـــم الظاهر أنه لا حاجة الى هذا التأويل فى قراءة " لا تقاتلوهم " وأنه أراد تخصيصه بالأخيرة (٣) .

قوله : (فتنة أى شرك) فسرها به ليصح العموم بالنفى ، وينتظم عطف " ويكـــون الدين لله " وفسر الانتهاء فى الموضعين بالانتهاء عن الشرك بقرينة المقام ، وضـــم اليه القتال فى الأول دون الثانى جريا على مقتضى سنن الكلام ، ولانه مراد فى الثانى أيضا .

قوله : (فلا عدوان الا على الظالمين) الظرف فى موقع الخبر مثل : لا قوة الا بالله ، أى لا عدوان كائن وثابت على قوم الا على الظالمين ، ولما كان فى ترتبه علـــى الشرط أعنى " ان انتهوا " نوع خفاء — اذ كان الظاهر أن يقال : فلا عدوان عليهم — ذكر له ثلاثة معان :

الأول — أنه كناية عن النهى عن العدوان على المنتهين ، أى العدوان مختـص بالظالمين والمنتهون ليسوا بظالمين فلا تعتدوا عليهم .

الثانى : أنه من قبيل المشاكلة وتسمية جزاء العدوان عدوانا ، أى لا تظلمـــوا الا الظالمين دون المنتهين ، بمعنى لا تفعلوا ما هو فى صورة الظلم ومجازاة له بمثله

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من خ .

(٢) صدر بيت من الشعر ويقول الفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ١٢٤ : " قولــه : فان تقتلونا نقتلكم لم أظفر بتمامه " . وكذلك قال السعد : " والمصراع مما لم نجـد تمامه " .

(٣) أى تخصيص التأويل بالقراءة الأخيرة وهى " ولا تقتلوهم ، حتى يقتلوكم ، فـــان قتلوكم " وهى قراءة حمزة والكسائى والأعمش ويقول أبو حيان : " فتحتمل (أى هذه القراءة) المجاز فى الفعل أى ولا تأخذوا فى قتلهم حتى يأخذوا فى قتلكم ، وتحتمل المجاز فى المفعول أى ولا تقتلوا بعضهم حتى يقتلوا بعضكم فان قتلوا بعضكم " انظر البحر المحيط ٢ / ٦٧ .

الا مع الظالمين ٠

ففى الوجهين القصد الى النهى مجازا أو كناية لكن النهى فى الأول عن قتـال المنتهين لكونه ظلما حقيقة وفى الثانى عن مجازاة غير الظالمين بما هو فى صورة الظلم بالنسبة الى الظالمين ٠

الثالث : أن المذكور سبب للجزاء أى ان انتهوا فلا تتعرضوا لهم كى لا تكونـوا ظالمين فيسلط الله عليكم من يعدو عليكم ،لأن العدوان لا يكون الا على الظالمين ، أو المراد أنه كناية على معنى ان انتهوا يسلط عليكم من يعدو عليكم على تقدير تعرضكم لهم لصيرورتكم ظالمين بذلك ٠

قوله : (قاتلهم المشركون عام الحديبية) (١) بمعنى الترامى بسهام وحجارة علـى ماذكره فى سورة الفتح ،وعن ابن عباس : رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم (٢) ، فلا ينافى ماصح فى كتب الحديث أنه لم يكن قتال ٠

قوله : (أى وكل حرمة) اشارة الى أن المعنى : والحرمات/ ذوات قصاص ، أو ١٦٣ ب فيها [قصاص ٠

قوله : (أى حرمة كانت) من حرمة البلد والشهر فيما يتعلق بالنفس والعـــرض والمال ، (منتصرين) منتقمين ٠

وتقبيض المال (٣) :] اعطاؤه لمن يأخذه (٤) ، (والاستقتال) الاستسلام للقتـل كالاستماتة (٥) وعدم المبالاة فى الحرب من الموت ، (والاخطار) الايقاع فى الخطـر والهلاك يعنى أن " لا تلقوا " متعلق بأنفقوا نهيا عن طرق التفريط والافراط فـى الجود ،أو بقاتلوا نهيا عن الافراط والتفريط فى الشجاعة ،ولهذا زيادة تحقيـق وتفصيل فى كتب الحكمة ٠

(والحلبيات) كتاب لأبى على الفارسى فى النحو (التضرة) الضرة (التسرة) السرور ،و (التنضية) شجرة ،و (التنفلة) ولد الثعلب ،و (الجوار) مصدر جاورته ، وبالغ فى البيان لقلة التفعلة بالضم فى المصادر ٠

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ٠٠٠ " الآية ١٩٤ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٧٩ ٠

(٢) الكشاف ٤ / ٣٦٣ ٠

(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ٠

(٤) انظر تفسير قوله تعالى : " وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ٠٠ " الآية ١٩٥ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٧٩ ٠

(٥) خ : بالاستهانة ٠

و (خرقاء) [1] اسم حبيبة ذي الرمة ، (واضحة اللثام) مسفرة ، وقد اشتهر ذلك حتى قيل : امرأة واضح أي لا خمار عليها [2] .

قوله : (أن تحرم بهما من دويرة أهلك) [3] هذا فيمن يكون من مكة على مسافة يمكن قطعها من غرة شوال الى عاشر ذي الحجة .

قوله : (ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين) يعني [4] على تقدير ظاهر اللفظ ، وهو الأمر بالاتمام فانه لا يدل على الأمر بأصل الفعل الذي أمر باتمامه الا أن يقال : معنى أتموهما ائتوا بهما تامين كاملين بأركانهما وبشرائطهما على ماسهن من التفسير بدليل [5] قراءة " وأقيموا " [6] فانها صريحة في ذلك ، والأصل توافق القراءتين ، وحينئذ يحتاج في الجواب الى أن يقال : ان ههنا قرينة صارفة عن حمل الأمر على الوجوب وهو تصريح الحديث بنفي الوجوب [7] واثبات الأفضلية والتطوع ، وهذا انما يصح لو ثبت سبق الحديث ليكون قرينة على عدم قصد الوجوب ، وأما اذا سبقت الآية ودلت على الوجوب كما هو الأصل ، فرفعه بالحديث يكون نسخا للكتاب بخبر الواحد ، وانه غير جائز ، وهذا بخلاف نحو " فاصطادوا " [8] فان معه قرينة عدم كونه للوجوب ، وهو أنه لاثبات اليسر ورفع الحرج والتضييق .

وقد يفهم من قوله : (بدليل قراءة من قرأ) أنه لو لم تكن القراءة المشهورة أيضا أمرا بالأداء لزم تعارض القراءتين ، وفساده ظاهر ، لأن التعارض انما هو بين الدلالة على الوجوب والدلالة على عدم الوجوب ، لا بينها وبين عدم الدلالة على الوجوب .

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى : " واتموا الحج والعمرة لله .. " الآية ١٩٦ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٨٠ .

(٢) والبيت في ديوان شعر ذي الرمة ٦٧٣ ، ومعاهد التنصيص ٣ / ٢٦٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٨٠ ، وتنزيل الآيات ١٧٥ ، والأغاني ١٦ / ١١٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٧٢ ، والخزانة ١ / ٥٢ ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٨٦ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٣ / ١٣٦٧ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٤ / ٨ ، وابن كثير ١ / ٤٤١ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١ / ٤٤١ والبحر المحيط ٢ / ٧٢ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١ / ١٤٢ ، واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ١ / ٢٢٩ .

(٤) قوله " يعني " ناقص من الأصل .

(٥) ط ، خ : بدلالة .

(٦) وهي قراءة علقمة ، انظر البحر المحيط ٢ / ٧٢ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٤٢ .

(٧) تفسير الطبري ٤ / ١٩ .

(٨) من الآية ٢ من سورة المائدة .

وقد يستدل بالآية على وجوبهما بأنه أمر باتمامهما مطلقا من غير تقييد بالشروع ، وأنه لا يتم الا بالشروع ، فيكون واجبا لأن مالا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب ، وفيه نظر .

قوله : (فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما) (١) اشارة الى التمسك بوجوه ثلاثة فى وجوب العمرة كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه (٢) / مع الجواب ، وكأن ١٦٤ أ
الأولين الزاميان ، والا فقول الصحابى ليس بحجة عنده ، وماذكر من جواب الأول تنفيه الرواية المشهورة " انها لقرينتهفى كتاب الله تعالى " وجواب الثانى ليس بسديد لأن قوله : " وجدتهما مكتوبين " ظاهر فى وجوبهما قبل الاهلال بهما ، للقطع بأنه لا يحسن : وجدت صلاة الضحى مكتوبة على شرعت فيها ، على أن الرواية المشهورة " فأهللت بهما " ، وفى جواب الثالث جمع بين الحقيقة والمجاز ، أو معنى المشترك ، وان أريد أنه دل على وجوبهما ثم دل الحديثان المذكوران (٣) على نفى الوجوب ، كان ذلك نسخا للكتاب بخبر الواحد ، على أن التمثيل بقوله (صم رمضان وستة من شوال) يأبى هذا المعنى لتصريحه بأنه أمر بفرض وتطوع .

قوله : (كأنهم قصدوا بذلك) (٤) يشعر بأن القراءة ليست بحسب الرواية والسماع ، ثم اعترض بأن القطع والعدول الى الجملة الاسمية أوكد فى الوجوب سيما مع لام الاختصاص ، ووجه احتياجه الى التأكيد أنه مظنة التقصير لاقبال الناس بالكلية على الحج ، ورد بأنه أوكد فى الحث والتحريض عليه لكونه مظنة التهاون والتوانى ، بناء على عدم الوجوب ، وماذكر انما يحسن بعد الدلالة على الوجوب مثل أن تقول : وأتموا الحج والعمرة لله .

قوله : (يقال أحصر فلان) (٥) يعنى أن الأكثر فى كلامهم استعمال " الاحصار " فى منع يكون من مثل (٦) الخوف والمرض ، و " الحصر " فيما يكون من جهة العدو ، وان كانا فى الأصل لمطلق المنع ، واعتبر أبو حنيفة فى حق الحكم مطلق المنع على ماهو أصل

---

(١) ب : رضى الله عنه .
(٢) انظر الأم للامام الشافعى ٢ / ١١٣ .
(٣) والحديث الأول فى صحيح البخارى ٢/٩ ، والثانى فى سنن النسائى ٢ / ١٣-١٤ وسنن ابن ماجه ٢ / ٩٨٩ .
(٤) انظر البحر المحيط ٢ / ٧٢ .
(٥) الكشاف ١ / ١٨١ .
(٦) م : فى مثل .

الوضع ، والشافعي المنع من جهة العدو لقيام الدليل وهو ان رئيس المفسرين ومن هو أعرف بمواقع التنزيل قد فسر الحصر بحصر العدو ،[1] على أن مجرد قول الصحابي ليس[2] حجة عنده ، لكن له أن يجيب بأنه حجة حيث لا دليل على خلافه لمطلق الكتاب ، وكذا الكلام في تفسيره لأنه تقييد من غير دليل ، وورود ه في حبس العدو لا يصلح دليلا كما يقال في العام : ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والحق أن تفسير رئيس المفسرين مع مقابلة الاحصار بقوله " فاذا أمنتم " يفيد الظن القوى بذلك وهو كاف •

قوله : (من كسر أو عرج) [3] الحديث تمسك لأبي حنيفة في التحلل بالمرض لكنه مأول بما اذا اشترط ذلك بدليل ماروى من الحديث الصحيح في أن التحلل بالمرض يحتاج الى الاشتراط [4] ، على أن هذا الحديث مما ضعفه المحدثون ، " كسر " على لفظ المبني للمفعول أي / أصابه كسر في بعض الأعضاء ، و (عرج) بالفتح أصابه شيء في ١٦٤ ب رجله فمشى مشية العرجان ، وأما اذا كان ذلك خلقة فهو عرج بالكسر •

(الجدية) شيء محشو تحت دفتي السرج أو الرحل ، و (الأمار) والأمارة بالفتح العلامة ، وفي الفائق : " ابعثوا بالهدى واجعلوا بينكم وبينه يوم أمار أي يوما تعرفونه ، فاذا ذبح الهدى بمكة حل " [5] ، وضمير (يده) للام في المبعوث و (على يده) قائم مقام الفاعل كعليهم في " المغضوب عليهم " [6] •

قوله : (وعندهما) أي عند أبي يوسف ومحمد ، لأنهما خالفا في الزمان بالنسبة الى الحج ووقع الاتفاق على المكان مطلقا أنه الحرم ، وعلى الزمان في العمرة أنه متى شاء ، وأما في الحج فالزمان عنده متى شاء ، وعندهما أيام النحر ، وعند الشافعي

---

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ٧٣ ، والأم للامام الشافعي ٢ / ١٣٩ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٦٩٨ ، وتفسير الطبري ٤ / ٢٤ ،

(٢) كلمة " ليس " ناقصة من الأصل •

(٣) انظر المستدرك للحاكم ١ / ٤٧٠ كتاب المناسك •

(٤) ففي صحيح مسلم ٨ / ١٣١ : " عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير فقال لها : أردت الحج ؟ قالت : والله ما أجدني الا وجعة • فقال لها : حجي واشترطي وقولي : اللهم محلي حيث حبستني "

(٥) الفائق ١ / ١٣٤ •

(٦) من الآية ٧ من سورة الفاتحة •

رحمه الله (١) لايبعث بل يذبح الشاة فى مكان الاحصار حين التحلل (٢) ، ومن ههنا كان قوله تعالى : " حتى يبلغ الهدى محله " أى مكانه الذى يجب نحره فيه ظاهرا على مذهب أبى حنيفة دون الشافعى ، والمحل بالكسر مفعل (٣) من حل يحل بالكسر ، مشترك بين الزمان والمكان .

وانما قال (ظاهر) لأنه قد يتكلف للشافعى بأن المراد [بمحله : مكانه الذى عينه الشرع وهو موضع الاحصار ، أو بأن المراد] (٤) ببلوغه محله وصوله الى حيث يجب أن يستقر فيه ، بمعنى الفراغ من نحره ، ولما لم يقع خلاف فى أن النبى صلى الله عليه وسلم (٥) نحر هديه حيث أحصر ، وكان الاحصار بالحديبية وليست من الحرم تمسكوا فى الدفع برواية عن الزهرى ومحمد بن اسحق والواقدى (٦) ، وتركوا ماذكره البخارى عن الثقات أنه كان خارج الحرم . (٧)

قوله : (أى فعليه ما استيسر) قيل : الصواب فعليكم ، وأجيب بأنه أراد أن يبين أنه رفع بالابتداء ويقدر جار ومجرور فيكون خبرا ، وأما أن يصلح (٨) فى هذا المقام الجمع أو الواحد ؟ فذلك شىء آخر ، ألا ترى أنه حين بين المعنى قال : (فعليكم اذا أردتم التحلل) .

قوله (مرض يحوجه الى الحلق) قيد بهذا ليلائم المعطوف أعنى " أو به أذى من رأسه " والا فالحكم عام فى كل مرض يحوج الى شىء من محظورات الاحرام .

قوله : (يعنى فاذا لم تحصروا) فسر الأمن بهذا ليوافق مذهب أبى حنيفة من جواز الاحصار بغير العدو ، والا فالظاهر أن المعنى : وان كنتم فى أمن وعدم خوف من العدو .

---

(١) قوله " رحمه الله " ناقص من الأصل .
(٢) انظر البحر المحيط ٢ / ٧٣ ، والأم ٢ / ١٣٥ .
(٣) ب ، خ : مفعل بالكسر .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٥) م ، خ : عليه السلام .
(٦) البحر المحيط ٢ / ٧٣ — ٧٤ ، وتفسير الطبرى ٤ / ٤٥ .
(٧) ففى البخارى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية " انظر تخريج احاديث الكشاف لابن حجر العسقلانى ١ / ١٨٢ ، وصحيح البخارى ٩ / ٢٢ — ٢٣ .
(٨) خ : أن الصالح .

قوله : (فمن تمتع) التمتع هو أن تحرم بالعمرة في أشهر الحج وتأتي بمناسكها ثم تحرم بالحج من جوف مكة وتأتي بأعماله ، ويقابله القران وهو أن تحرم بهما معا (١) وتأتي بمناسك الحج فتدخل فيها مناسك العمرة ، والافراد وهو أن تحرم بالحج وبعد الفراغ منه / بالعمرة . ١٦٥ أ

قوله : (وقيل) فالمعنى (٢) على الأول : من انتفع بالشروع في العمرة ممتدا أو منتهيا الى الانتفاع بالحج ، وعلى الثاني : من انتفع بالفراغ منها ممتدا الى الشروع في الحج .

قوله : (يجري مجرى الجنايات) (٣) لاساءته بتأخير احرام الحج عن الميقات (٤) ، ولهذا لم يوجبه على المكي ومن في حكمه ، والحجة بالكسر للمرة ، من الشواذ والقياس الفتح ، ومعنى " في الحج " في وقت الحج اذ نفس الفعل لا يصلح ظرفا ، لكن عند أبي حنيفة المراد أشهر الحج حتى يصح قبل احرام الحج ، وعندنا وقت الاتيان بأفعال الحج وفي أثناء أفعاله ، فلا يصح قبل الاحرام به (٥) ، وظاهر العبارة يشعر بأنه يجب عند أبي حنيفة أن يكون قبل احرام الحج ، وليس كذلك بل يجوز بعده بالاتفاق .

(ويوم التروية) هو الثامن من ذي الحجة ، لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده ، أو لأن ابراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه ، وفي التاسع عرف ، وفي العاشر اشتغل ، ثم لاخفاء في أن الأظهر ما ذهب اليه الشافعي من أن الرجوع هو الرجوع الى الأهالي والأوطان ، الا أنه لو نوى الاقامة بمكة فهي بمنزلة الوطن ، فلو صام السبعة بعد الفراغ وقبل الرجوع الى الوطن لم يجز عنده . (٦)

قوله : (كقوله : " أو اطعام (٧) ") التمثيل به في أنه مصدر منون ذكر له ظرف ، ونصب له مفعول ، لكن لنا كلام في أن المنصوب في مثل : صمت يوم الجمعة ، أو شهر رمضان ، أو نحو ذلك ، مفعول به أو ظرف ، والظاهر الظرفية وانتصاب المحل لأنه عند عدم الاضافة يكون منصوبا ، وان كان بتقدير في .

قوله : (مافائدة الفذلكة ؟) وهي قوله : " تلك عشرة " لظهور أن الثلاثة والسبعة تكون عشرة ، والفذلكة في الحساب أن تذكر تفاصيله ثم تجمل فيقال : فذلك كذا .

---

(١) في خ زيادة " في أشهر الحج " (٢) في الأصل " معناه " .
(٣) الكشاف ١٨٢/١ .
(٤) البحر المحيط ٧٧/٢ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٦٩٨ .
(٥) البحر المحيط ٧٨/٢ ، والأم ١٦١/٢
(٦) الأم ١٦١/٢ . (٨) من الآية ١٤ من سورة البلد .

قوله : (علمان خير من علم) قال الميدانى : " أصله أن رجلا وابنه سلكا طريقا ، فقال الرجل : يابنى ، أستبحث لنا عن الطريق ؟ قال : انى عالم ، قال : يابنى ، علمان خير من علم ، وأخذ يضرب فى مدح المشاورة والبحث "(1) .

قوله : (وقيل كاملة) يعنى على الأول كان تأكيدا بمعنى (2) كونها كاملة فى كونها عشرة ، وعلى هذا يكون مفيدا لمعنى كونها كاملة فى البدلية من " الهدى " والقيام مقامه ، بحيث لا يقصر ثوابها عن ثوابه كما هو حكم بعض الأبدال .

قوله : (ذلك اشارة الى التمتع(3)) لأنه الحكم المقصود من الكلام ، وعند الشافعى الى وجوب الهدى أو الصيام لأنه أقرب(4) ، ولفظ " ذلك " شائع فى المعانى لكونها بعيدة عن الحس / وان كانت قريبة فى الذكر ، وضمير (عندهم) لأبى حنيفة ١٦٥ ب
وأصحابه ، وضمير (منهم) و (عليهم) لحاضرى المسجد الحرام ، وقد وقع فى بعض النسخ " تقصر " بدل (لا تقصر) وهو سهو(5) .

قوله : (وعند الشافعى) (6) فان قلت : ماثمرة اختلافهما فى أن يوم النحر هل هو من أشهر الحج أم لا ؟ قلت : عند الشافعى لا يجوز الاحرام يوم النحر ،(7) وعند أبى حنيفة يجوز بلا كراهة (8) .

وما ذكر من أن شيئا من أفعال الحج لا يصح الا فيها يشكل بالرمى والحلق وطواف الركن ونحو ذلك مما يصح بعد فجر النحر ، وأجيب بأنه بيان (9) على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، والمراد بالأفعال الأركان وفيه بحث (10) .

قوله : (اسم الجمع) ميل المصنف الى المذهب المرجوع فى أقل الجمع وان لم يكن مختارا عنده ، لأن مثل هذا جائز فى دأب المناظرة ، أى لا نسلم أن صيغة الجمع لا تصح لأقل من الثلاثة ، ولو سلم فههنا اطلقت على الثلاثة المجازية ، حيث جعل بعض الشهر كعشرة أيام بمنزلة تمام الشهر ، فصارت الأشهر ثلاثة ، وههنا نوع

---

(1) مجمع الأمثال للميدانى ١ / ٤٢٩ بتصرف . وانظر المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ٢ / ١٦٧ .
(2) خ : لمعنى .
(3) الكشاف ١ / ١٨٣ .
(4) البحر المحيط ٢ / ٨٠ ـ ٨١ .
(5) تحفة الأشراف ١ / ١٢٦ .
(6) فى تفسير قوله تعالى : " الحج أشهر معلومات . . " الآية ١٩٧ سورة البقرة . الكشاف ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .
(7) الأم ٢ / ١٣٢ ، والبحر المحيط ٢ / ٨٥ ، والفقه على المذاهب الاربعة ٦١٩ .
(8) البحر المحيط ٢ / ٨٥ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٦١٧ .
(9) خ : بناء .
(10) فى ط ، خ زيادة " لأن الطواف ركن "

آخر من التجوز يصح في مجرد الشهر وهو الاطلاق على كل مافيه معنى الضم والجمعية[(١)] ،وأما التجوز باطلاق اسم الكل على البعض حتى يصح في الواحد ،فذلك بحث آخر ، وأما قوله : (بدليل قوله تعالى "فقد صغت قلوبكما"[(٢)]) ففيه أنهم صرحوا بأن مثل هذا ليس من المتنازع ،وكذا ضمير المتكلم مثل : نحن •

فان قيل : كان المناسب تقديم سؤال الصيغة على سؤال فائدة التوقيت ، قلنا : لا بل الأنسب بيان المعنى ثم الاشتغال بحل الاشكال وسؤال الفائدة بجوابه ببيان لمعنى الحكم بأن وقت الحج هي الأشهر •

ثم لما صح اطلاق لفظ الأشهر على شهرين وبعض ولم يثبت ان مالكا رضي الله عنه[(٣)] يجعل شيئا من أفعال الحج فيما بعد العشر ،توجه السؤال عن وجه جعله تمام ذى الحجة من أشهر الحج ،فذكر في الجواب احتمالين ،وأحال القول بهما على الغير لعدم تقرير مذهب مالك في ذلك •[(٤)]

قوله : (وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ماعرفوه[(٥)]) يعني في حكم تعيين أشهر الحج ،والا فكثير من الأحكام بل من تفاصيل الحج ليست كذلك •

قوله : (والتطريب) هو في الصوت مده وتحسينه بحيث تخرج الحروف عن مكانها ،فيحرم في كل كلام وفي قراءة القرآن أسمج ،وأما تزيين القرآن بالصوت الحسن والمدات التي لا تخل بالحروف فلا كراهة فيه •

قوله : (بالنصب)[(٦)] أي الفتح ،آثره ليلائم الرفع وقد سبق في "لاريب فيه"[(٧)] " أن الفتح نص في الاستغراق ،والرفع راجح يحتمل نفي [الفرد بصفة][(٨)] الفردية لكن ذكر[(٩)] لأن كلمة "لا" في "لاريب فيه" بالرفع/ ليست لنفي الجنس ،وأما ههنا [١٦٦أ] فالأظهر أنها لنفي الجنس ،والرفع للتكرير للاستغناء عن اضمار الفعل ،وأما على قراءة رفع الأولين وفتح الثالث فقد فهم من ايقاع المخالفة في الحركات قصد المخالفة في المعنى جريا على قضية المناسبة ،ولم يصح جعل "لا" بمعنى ليس لشذوذه ،وقد

---

(١) ب ،ي : والجمع • (٢) من الآية ٤ من سورة التحريم •
(٣) قوله "رضي الله عنه" ناقص من الأصل •
(٤) البحر المحيط ٢ / ٨٥ • (٥) الكشاف ١ / ١٨٤ •
(٦) البحر المحيط ٢ / ٨٨ •
(٧) من الآية ٢ من سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١ / ٢٧ •
(٨) مابين المعقوفين ناقص من الأصل • (٩) خ ،م : لكن ذلك •

كان المعنى على النهى فحمل الرفع على اضمار الفعل أى لا يكونن وبقى " لا جدال " اخبارا محضا مناسبا للمقام حيث كان (١) اشارة الى ارتفاع الخلاف والجدال بين العرب فى وقت الحج ومكان الوقوف .

قوله : (وهو النسىء) فعيل بمعنى مفعول من نسأته : أخرته ، وماذكره ههنا يوافق ماقيل : ان أهل الجاهلية كانوا ينسأون الحج فى كل عامين من شهر الى آخر، ويجعلون الشهر المنسي ملغى ، فيكون العام الأول ثلاثة عشر شهرا ، والعام الثانى كالأول من غير الغاء ، وكذلك الثالث مع الرابع ، فيستدير حجهم فى كل خمس وعشرين سنة الى الشهر الذى بدأ منه ، لأن كل عامين خمسة وعشرون شهرا (٢) ، وماذكره فى سورة براءة من أن تأخير حرمة المحرم الى صفر كراهة ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها لأن معاشهم كان (٣) من الغارة (٤) ، وهو المذكور فى كثير من كتب اللغة ويوافق قوله تعالى : " يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٥) " .

قوله : (واستدل) أجيب بأن ترك ذكره بناء على أن أمر الجدال والمراء أهون ، وأن العمدة فى النهى عن الرفث والفسوق ، وقوله : (وأنه لم يذكر) عطف على (قوله صلى الله عليه وسلم) (٦) .

قوله : (وأن يستعملوا) عطف على (الخير) ، وقوله : (أو جعل) عطف على الجملة التى الخبر فيها (حث) ، يعنى يجوز أن يراد بالخير مايقابل الشرور السابقة ، وأن يراد به مطلق ضبط النفس عن ارتكاب المنهيات والقبائح على ماهو حقيقة التقوى ، وقوله : (وقيل) عطف على مضمون الكلام السابق الدال على أن المراد تزود التقوى ، بل على قوله : (وينصره) ، وقوله : (يعنى أن قضية اللب) يستفاد من تخصيص الخطاب بأولى الألباب .

(والداج) (٧) اتباع الحاج كالخدم والأجراء والمكارين والحمالين ، من دج على الأرض أى دب ، ولفظ الداج والحاج مفرد والمعنى على الجمعية .

---

(١) كلمة "كان" ناقصة من خ .
(٢) فتوح الغيب ١ / ٢١١ .
(٣) ط ، خ : معايشهم كانت .
(٤) الكشاف ٢ / ٢١١ .
(٥) من الآية ٣٧ من سورة التوبة .
(٦) والحديث فى صحيح البخارى ٨ / ٦٠ ، وصحيح مسلم ٩ / ١١٩ ، وصحيح الترمذى ٤ / ٢٦ ، وسنن ابن ماجه ٢ / ٩٦٤ .
(٧) فى تفسير قوله تعالى : " ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم .. " الآيات ١٩٨ — ٢٠٢ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٨٥ .

قوله : (نكرى فى هذا الوجه) أى جهة الحج وطريقه ، (تأثموا) تحرجوا وفزعوا من وبال الاثم ، ذكر فى سبب النزول ثلاثة أوجه .[١]

قوله : (وانما يباح) أى الاتجار (مالم يكن شاغلا عن العبادة) أما عن الفرض فظاهر ، وأما عن الندب/ فلأنه حينئذ يرجح عدمه فلا يكون مباحا بمعنى اســـتواء الطرفين . ١٦٦ ب

قوله : (فى أن تبتغوا) بيان للاعراب ، ذكره بعد تفسير اللفظ وسبب النزول ، والظرف متعلق بجناح أو بالظرف الواقع خبر ليس أعنى " عليكم " .

قوله : (صب فى دقران)[٢] بفتح الدال وسكون القاف : اسم واد ، و (الخرش) نحو الخدش ، يقال : تخارشت الكلاب والسنانير : مزق بعضها بعضا ، وخراش البعير أن تضربه ثم تجتذ به تريد تحريكه فى السير ، و (المحجن) عصا معوج الرأس كالصولجان وحديث أبى بكر رضى الله عنه[٣] على مافى الفائق " أن النبى صلى الله عليه وسلم[٤] أتى قزح وهو يضرب بعيره بمحجنه ، وقزح اسم جبل بالمزدلفة "[٥] ، ولفظ " صب فى دقران " انما هو فى حديث آخر فى مسيره الى بدر ، ليس فيه بضرب بعيره[٦] .

" هضبوا فى الحديث أفاضوا وخاضوا من هضبتهم السماء وروضة مهضوبة أى مطرتهم " كذا فى الأساس[٧] ، ويدل على اعتبار معنى الصب ماذكر فى الصحـــاح : " ان الهضبة المطرة[٨] " العظيمة القطر ، ومايقال : أن هضبوا فى الحديث مـــن هضبوا بمعنى نزلوا من الهضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، لأن فى النزول من العلو اسراعا لا محالة ، فاختراع للغة .[٩]

---

(١) انظر أسباب النزول للسيوطى ١ / ٢٧ .
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٢ / ٢٢ ، ١٢٧ .
(٣) قوله " رضى الله عنه " ناقص من الأصل .
(٤) خ ، م : عليه السلام . (٥) الفائق ١ / ١٦٩ .
(٦) ففى الفائق ١ / ١٨٨ " فى مسيره صلى الله عليه وسلم الى بدر أنه مضى حتى قطع الخيوف وجعلها يسارا ثم جزع الصفيراء ثم صب فى دقران حتى أفتق من الصدمتين " والخيف ماانحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، والصفيراء شعب بناحية بدر ، وأفتق : خرج ، والصدمتان : جانبا الوادى .
(٧) أساس البلاغة مادة (هضب) . (٨) الصحاح مادة (هضب)
(٩) قوله " للغة " ناقص من الأصل .

قوله : (سمى بجمع مثل أذرعات) [1] ـ اسم بلدة بالشام ينسب اليها الخمر ـ فى أنه لا واحد له اذ لم يوجد أذرعة ولا عرفة ،قال الفراء " لا واحد له بصحة ،وقول الناس : نزلنا عرفة شبيه بمولد وليس بعربى محض " [2] ،قلنا : ولو سلم فعرفة وعرفات مدلولهما واحد ،وليس ثمة أماكن متعددة كل منها عرفة جمعت على عرفات .

ثم لا كلام فى استعماله منونا وان حكى سيبويه عن بعض العرب عدم التنوين [3] ، مثل : هذه أذرعات بالضم ،ورأيت أذرعات بالكسر [4] بغير تنوين ،وانما الكلام فى الصرف وعدمه ،فعند البعض غير منصرفة للعلمية والتأنيث ،والتنوين للمقابلة لا للتمكن ،يعنى جئ به ليكون فى جمع المؤنث السالم مقابلا للنون فى جمع المذكر السالم كمسلمون ،ومع هذا يكسر فى موضع الجر للأمن بهذا التنوين عن تنوين التمكن كما باللام والاضافة ،واختار المصنف أنه منصرف لعدم الاعتداد بالتأنيث ،أما لفظا فلأن هذه التاء ليست للتأنيث وهو ظاهر ،وأما تقديرا فلان اختصاصها بجمع المؤنث يأبى تقدير التاء ،لكونه بمنزلة الجمع بين علامتى التأنيث ،وهذه كتاء بنت ليست للتأنيث واختصت بالتأنيث فمنعت تقدير التاء ،فهذه التاء بمنزلة النعام لا تطير ولا تحمل الأثقال .

وفى قوله : / (كما فى سعاد) اشارة الى أن الاسم وان كان علما لمؤنث حقيقة فتأنيثه بتقدير التاء ،فعلى هذا لو جعل مثل بنت أو مسلمات علما لامرأة وجب صرفه لامتناع تقدير التاء ،وماذكره ابن الحاجب من أن هذا يقتضى أن تكون مسلمات علم امرأة غير منصرف بخلاف عرفات [5] ،ليس بشئ ،ثم ماذكر من امتناع تقدير التاء لا ينافى كون الاسم مؤنثا بحسب الاستعمال مثل : وقفت بعرفات ثم أفضت منها ، لأن تاء الجمع وان لم تكن لمحض التأنيث على ماهو المعتبر فى منع الصرف [6] ،لكنها للتأنيث فى الجملة . ١٦٧ أ

قوله : (وقالوا سميت) اشارة الى ماذكروا فى وجه تسميتها باللفظ المنبئ عن المعرفة لكنه ليس بمرضى عنده لبعده ،ولو سلم فلا يوجب كونه من الأعلام المنقولة لأن مجرد القياس والجواز لا يكفى ،بل لابد أن يوجد فى الاستعمال لفظ عرفات جمع عرفه جمع عارف ،ولم يوجد ،فلذا حكم بأنه من الأسماء المرتجلة ،مع الحكم بأنه لا

---

(1) عبارة الكشاف ١ / ١٨٦ "كأذرعات" (2) لسان العرب مادة (عرف) .
(3) قال سيبويه " ومن العرب من لا ينون أذرعات " انظر الكتاب ٢ / ١٨ .
(4) ط ،خ : بكسر التاء . (5) روح المعانى للألوسى ٢ / ٣٩٢ .
(6) فى الأصل : على ماهو المعتبر فى التأنيث .

يوجد عرفة الا جمع عارف ،ثم هذا لا ينافي ماذكر من أنه تسمية بجمع كأذرعات لأن معناه جمع مثل ،أذرعات في أنه لا يوجد له استعمال الا في العلمية ،وبهـــذا يتبين أن جعل قوله (الا أن تكون جمع عارف) استثناء من قوله : (وهي من الأسماء المرتجلة) (1) ليس على ماينبغي .

قوله : (وعن النبي صلى الله عليه وسلم (2)) تأييد لما ذكر من وجوب الوقـــوف بعرفة لكن لا يخفى أن فـي دلالة الآية والحديث على ذلك نوع خفاء ،فلذا قـال : (وقيل) ،ويمكن بيانه : أما في الحديث فبأنه لا معنى لكون الحج عرفة (3) ســوى أنه الوقوف بها ،فوجوبه وجوبه ،وأما في الآية فبأنه ذكر الافاضة بكلمة " اذا " الدالة على معنى القطع [أي بخلاف "ان " فانها للشك] (4) وهو في حكم الشرع :الوجوب كأنه قال : الافاضة واجبة عليكم فاذا أتيتم بها فاذكروا الله ،ثم انها تقتضي سابقـة الكون والاستقرار بعرفات ليكون مبدؤها منها ، وهو معنى الوقوف بها والحضــــور فيها .

وقد بين بوجوه :

الأول _ انه يدل على ان الذكر عند الافاضة واجب ،وهو يتوقف على الافاضة ، وهي على الوقوف ،وما لايتم الواجب الا به فهو واجب ،ورد بأن وجوب الذكر مقيـــد كما تقول : اذا حصل لك مال فزك ،وهو لا يفيد وجوب القيد بل الوجوب عنـــد حصول القيد ،وتحقيقه أن الافاضة قيد للوجوب لا للواجب ،كما لو قيل : ائتــــوا بذكر كائن عند الافاضة .

الثاني _ ان في " ثم أفيضوا " دلالة على تقدير أمر يعطف هو عليه ،كأنه قيل : افيضوا من عرفات ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض/ الناس . ١٦٧ ب

الثالث _ أن الفاء في قوله (5) : " فاذا أفضتم " لتعلقها بقوله : " فمن فرض " تدل على ترتب الافاضة على الحج من غير مهلة وتراخ ،وهو معنى وجوبها المقتضي لوجوب الوقوف .

---

(1) وهو ماذهب اليه الفاضل اليمني في تحفة الاشراف ١/ ١٢٧ .
(2) م ،خ : عليه السلام . (3) انظر صحيح الترمذي ١١/ ٩٩ .
(4) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(5) قوله " قوله " ناقص من خ .

وأنت خبير بأن شيئا من الوجهين (١) لا يستفاد من لفظ الكتاب ،و (الميقدة) موضع كان أهل الجاهلية يوقدون عليه النار ، (المأزم) كل طريق ضيق بين جبلين ، (الغلس) ظلمة آخر الليل ، (وجبل) الرحمة بعرفات .

قوله : (لما روى جابر) فانه يدل على أن اتيان المشعر الحرام كان بعد الركوب من المزدلفة ،وكان الدعاء والتكبير به ،وما ذلك الا بالجبل (٢) .

قوله : (أو جعلت) (٣) عطف على قوله : (محتاصا يلي) ،لما قيد الذكر بقوله : " عند المشعر الحرام " مع أن المزدلفة كلها موقف من غير تخصيص بالجبل أجاب بوجهين :

الأول — ان المعنى فاذكروا الله مما يلي المشعر أي مبتدئا من الموضع الذي يقربه ،ويكون ذلك للدلالة على أن الذكر ههنا أفضل كما أن الوقوف بقرب جبل الرحمة من عرفات أفضل .

الثاني — ان المراد بما عند المشعر جميع أعقاب المزدلفة وأطرافها لكونها متصلة به جسا وفي حكمه شرعا .

فقوله : (عند المشعر (٤)) ثاني مفعولي (جعلت) والتجوز باعتبار اطلاق كلمة القرب على ماله نوع اتصال بالمشعر وان كان بعيدا ،لا باعتبار اطلاق المشعر على المزدلفة كلها تسمية للكل باسم الجزء على ماقيل ،وفي قوله : (الا وادي محسر) دلالة على أنه من المزدلفة وان لم يكن موقفا ،وفيه كلام .

قوله : (ليلة جمع) أي ليلة كونهم بجمع ،وهو اسم للمزدلفة لاجتماع الناس فيه ، وقد دل على حرمته بقوله : (لا ينامون) ،وأما اذا كان المشعر هو الجبل على ما هو المختار فحرمته ظاهرة ،وما ذكر من اجتماع آدم وحواء (٥) والدنو منها وهم في التسمية بجمع والمزدلفة ،وما ذكر من جمع الصلاتين في الأول ومن التقرب الى الله تعالى في الثاني ،فلابد من اعتبار الوصف بوصف صاحبه في ازدلاف آدم وحواء (٦) .

قوله : (والمعنى اذكروه) يعني يتأتى كل من المعنيين على تقديري المصدرية

---

(١) أي الثاني والثالث .

(٢) انظر سنن ابن ماجه ٢/١٠٢٦ ،كتاب المناسك ،باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الكشاف ١/١٨٦ .

(٤) في الأصل زيادة " جميع أعقاب المزدلفة وأطرافها " وهو تكرير لعبارة سابقة نشأ من انتقال نظر الناسخ .

(٥) ب ،خ : مع حواء .

(٦) قوله " وحواء " ناقص من الأصل .

والكافة ،والفرق بين المعنيين أن الهداية فى الأول على اطلاقها ، وفى الثانى على الهداية الى كيفية الذكر ،وأيضا الكاف على الأول لقصد التشبيه ،وعلى الثانى للتقييد ،أى اذكروه على الوجه الذى علمكم ولا تعدلوا عن ذلك الوجه والطريق ، ومحل " كما هداكم " النصب على المصدرية بحذف الموصوف ،وعلى / الكافة لا عامل ١٦٨ أ
له كما لا معمول له [1] لأنه لم يبق حرف جر بل يفيد من جهة المعنى فقط .

قوله : (الحمس) فى الأصل جمع أحمس وهو الشديد الصلب ،سميت قريش وكنانة بذلك لتصلبهم فيما كانوا عليه ،يعنى أن ذلك الأمر الوارد بالافاضة من حيث أفاض الناس انما هو لأجل الترفع الذي كانت عليه قريش وكنانة من أن يساووا الناس فى الموقف ،أمر الحاج بأن لا يكونوا مثلهم بل مثل سائر الناس ،فتوجه سؤال " ثم " حيث كانت الافاضة المذكورة بعدها هى بعينها الافاضة المذكورة قبلها ،يعنى أن الافاضتين كلاهما من عرفات فما معنى عطف الأمر بها بكلمة " ثم " الدالة على التراخي عن الأمر بالذكر المقارن لها بل المتأخر عنها ؟ وكيف موقع " ثم " من كلام البلغاء ؟ فأجاب بأن موقعها موقع ثم فى قولك : أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم ،لما سبق من أن دلالة " فاذا أفضتم " على وجوب الافاضة من عرفات ،وأن معنى " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس " لتكن افاضتكم منه لا من المزدلفة . [فصار كأنه قيل : افيضوا من عرفات ثم لا تفيضوا من المزدلفة ،ومعنى " ثم " الدلالة على بعد ما بين الافاضتين : أعنى الافاضة من عرفات والافاضة من المزدلفة] [2] ،لأن الأولى صواب والثانية خطأ وبينهما بون بعيد . وهذا النوع من التباين لا ينافى تفاوت المرتبة وتباعدها بل يحققه .

هذا تقدير الكلام على وفق ما فى الكتاب ،وعليه سؤال ظاهر وهو أن التفاوت والبعد فى المرتبة انما يعتبر بين المعطوف والمعطوف عليه وهو ههنا عدم الاحسان الى غير الكريم وعدم الافاضة من المزدلفة ،لكن قد جرت عادته فى هذا الكتاب أنه يعتبر فى أمثال هذه المواضع التفاوت والبعد بين المعطوف عليه وبين ما دخله النفى من المعطوف ،لا بينه وبين النفى ،ذكر فى قوله تعالى : " وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون [3] " " أن ثم للدلالة على بعد ما بين توليهم الأدبار وكونهم ينصرون " .

---

(١) قوله " له " ناقص من خ ،م . (٢) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٣) من الآية ١١١ من سورة آل عمران وعبارة الزمخشري فى تفسيرها " فان قلت : فما معنى التراخي فى ثم ؟ قلت : التراخي فى المرتبة لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الأدبار "

واما الاعتراض بأن التفاوت يفهم من كون أحد الأمرين مأمورا به والآخر منهيا عنه سواء كان العطف بثم أو بالفاء أو بالواو فليس بشيء ، لأن المراد أن في ثم اشعارا بذلك ودلالة عليه من حيث كونها في الأصل للبعد والتراخي ، ولا كذلك الفاء والولو ، والأمر والنهي ، حتى لو علم علم بدلالة العقل ، نعم يرد أن هذا انما يطابق المثال لو أريد أفيضوا الى منى من غير تعيين عرفات ، أو أريد في المثال أحسن الى الناس الكرام ، وأما اذا أجرى الناس على الاطلاق وقد تقرر أن " فاذا أفضتم " يدل على وجوب الافاضة من عرفات ، فلا يطابقه ، الا أن هذا لا يضر بالمقصود وهو التطابق[1] في موقع ثم ، وفي الدلالة على تفاوت مابين الفعلين .

وذهب/ بعضهم الى أن مراده أن " ثم أفيضوا " عطف على " فاذكروا الله " ١٦٨ب قصدا الى التفاوت بينه وبين مايتعلق باذكروا ، أعني الافاضة المذكورة في ضمن شرطه الذي هو " فاذا أفضتم " وهو حاصل ماذكرنا .

قوله : (وقيل) اشارة الى وجه تكون " ثم " على أصلها ، وهو أن يكون المراد بالناس المعهود وهم الحمس ، فيكون أمرا بالافاضة من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات ، وفي قوله : (بعد الافاضة من عرفات) دون أن يقول : بعد الذكر بالمشعر ، اشعار بأنه عطف على أفيضوا من عرفات ، المدلول عليه بقوله : "فاذا أفضتم " لا على " اذكروا الله " لكنه يحمل على الأخذ بالحاصل محافظة على ماهو الظاهر من عطف الأمر على الأمر .

فان قيل : لاحاجة في هذا المعنى الى حمل الناس على الحمس لجواز أن يراد ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس اليه وهو المزدلفة ، قلنا : الظاهر من قولنا : من حيث أفاض الناس ، من حيث أفاضوا منه ، لا من حيث أفاضوا اليه .

قوله : (بكسر السين)[2] اكتفاء به عن الياء ، ووجه " ثم " على هذه القراءة غير مبين ، وكأنه اشارة الى بعد مابين الافاضة من عرفات والمخالفة عنها ، لأن معنى "ثم افيضوا " ثم لاتخالفوا عنها لكونه شرعا قديما .

قوله : (فاذا فرغتم) لأن معنى قضيت الحج أديته وأتممته ، والمناسك : جمع منسك وهو النسك أي العبادة .

قوله : (فأكثروا ذكر الله) هذا مستفاد من قوله : " كذكركم آباءكم " لأنه في

---

(١) كلمة " التطابق " ناقصة من الأصل .

(٢) البحر المحيط ١٠١/٢ ، وأنوار التنزيل ١٤٦/١ .

موقع[1] المصدر أي ذكرا مثل ذكركم آباءكم ، و (الأيام) عبارة عن الوقائع والحروب .

قوله : (عطف على ما أضيف اليه الذكر) اعترض[2] بأنه عطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ، وقد منعه في قوله تعالى : " تساءلون به والأرحام "[3] وأجيب بوجوه :

الأول ـ أن المنع انما هو فيما اذ كان الجار حرفا لأن اتصاله أشد ، ولهـذا جاز الفصل بين المضاف والمضاف اليه في الجملة ، ولم يجز بين الحرف ومجروره .

الثاني ـ ان المجرور ههنا في حكم المنفصل لكونه فاعل المصدر .

الثالث ـ أن المراد العطف من حيث المعنى ، وأما بحسب اللفظ فهو على حذف مضاف معطوف على الذكر ، أي أو ذكر قوم أشد ذكرا . والكل ضعيف .

قوله : (على أن ذكرا من فعل المذكور) يعني أن للأفعال المتعدية اضافات بين الفاعل والمفعول ، فالذكر مثلا من حيث الاضافة الى الفاعل[4] ذاكرية ، ومن حيث الاضافة الى المفعول مذكورية ، وتحقيقه أن المصدر عبارة عن أن مع الفعل ، والفعل قد يؤخذ مبنيا للفاعل أي ان ذكر أو يذكر ، وقد يؤخذ / مبنيا للمفعول أي أن ذكر ١٦٩ أ
أو يذكر ، فالمعنى على الأول كذكر قوم أشد ذاكرية لآبائهم ، وعلى الثاني كذكركم قوما أشد مذكورية لكم فليتأمل .

واعترض ابن الحاجب بأن أفعل للمفعول شاذ لا يرجع اليه الا بثبت ، فالوجه أن هذا من عطف الجملتين أي اذكروا ذكرا مثل ذكركم آباءكم ، أو اذكروا الله حال كونكم أشد ذكرا من ذكر آبائكم ، وليس من عطف المفرد ليلزم التشارك في العامل[5] .

وأجيب بأن أفعل هو لفظ " أشد " وما هو الا للفاعل ، ولا يلزم من جعل تمييزه مصدرا من المبني للمفعول محذور كما اذا جعل من الألوان والعيوب مثل : أشد بياضا وعورا ، أو من غير الثلاثي المجرد مثل : أشد دحرجة[6] ، واذا أريد الدلالة على أن مضروبية زيد أشد من مضروبية عمرو ، فهل طريق سوى أن يقال : هو أشد مضروبية ؟

---

(١) خ ، د : في موضع .
(٢) والمعترض هو ابن الحاجب انظر كتابه " الأمالي " ص١٥ .
(٣) من الآية الأولى من سورة النساء ، وانظر الكشاف ٣٥٦/١ .
(٤) قوله " الى الفاعل " ناقص من الأصل .
(٥) الأمالي لابن الحاجب ١٤ ـ ١٥ (٦) في م زيادة " واستخراجا " .

فهذا مثله ،وما ذكر من الوجه بعيد جدا لظهور كونه من عطف المفرد وعدم انسياق الذهن الى ماذكر .

واعلم أن ههنا وجها ظاهرا لم يذهبوا اليه وهو أن يكون نصبا عطفا على " كذكركم " أو جرا عطفا على " ذكركم " والمعنى ذكرا أشد ذكرا على الاسناد المجازى وصفا للشيء بوصف صاحبه كما يقال (1) : جده أجد ،وشديد الصفرة صفرته ، وقد ذكر في " شر مكانا وأضل سبيلا " (2) أنه من الاسناد المجازى (3) ، لأن التمييز فاعل في المعنى ،وفي تفسير الكواشي ههنا ماليس للناظر فيه الا التعجب والسكوت . (4)

قوله : (عطف) خبر بعد خبر وهو قوله (في موضع) ،ولفظ موضع ليس في موضعه .

قوله : (فان الناس) بيان لوجه ربط هذا الكلام بما قبله ،وأصل التركيب: الناس مقل ومكثر لاغير ،فزيد لفظ " بين " بمعنى أنه محاط بهما متردد بينهما لا يتجاوزهما ،وكلمة من بمعنى أنه كائن من بينهما لا يبتدي من موضع آخر ،وحصر المقل في طالب الدنيا فقط (5) ،لأن طالب الآخرة فقط بحيث لا يحتاج الى طلب حسنة في الدنيا لا يوجد في الدنيا ،وقيل : لأن ذلك ليس بمشروع لأن الانسان محفوف (6) بآفات الدنيا فلابد من الاستعاذة عنها أيضا ،ورد بأن عدم المشروعية في طالب الدنيا فقط أشد ،وأيضا الحكم انما هو بوجود القسمين لا بمشروعيتهما ،على أن قولنا : منهم كذا ومنهم كذا لا يفيد الحصر ،بل ربما يشعر بوجود قسم آخر ،لكنه فسره بذلك لكونه على وفق الوجود .

---

(1) خ : كما تقول .
(2) من الآية ٣٤ من سورة الفرقان .
(3) الكشاف ٣ / ٢٢٠ قال الزمخشري: ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى .
(4) قال الكواشي في كتابه " تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر " الورقة ٨٠ أ : " كذكركم آباءكم لأن العرب كانت اذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها ، أو فاذكروا الله تعالى كذكر الصبيان الصغار الآباء لأن الصبي أول مايتكلم يلهج بذكر أبيه لا يذكر غيره ،أى فاذكروا الله وحده لاغير " . فلعل السعد يقصد المعنى الثاني الذى ذكره الكواشي .
(5) كلمة " فقط " ناقصة من ط .
(6) في الأصل وفي ب: محفو .

قوله : (اجعل ايتائنا) اشارة الى أن المفعول الثانى متروك لأن عمه الدنيا نفسها ،كما أن عم طالب الدارين هى الحسنة [١] .

قوله : (أى من طلب خلاق) فان قيل : الطلب انما هو فى الدنيا وأما فى / ١٦٩ب الآخرة فليس الا الحظ أو الحرمان ،قلنا : لفظ " فى الآخرة " ليس ظرفا للطلب ،بل معناه : ليس له فى حق الآخرة وبالنسبة اليها طلب نصيب أصلا .

قوله : (أو ماله هذا الداعى) كان الأنسب أن يذكر هذا المظهر أولا مع أنه لا حاجة اليه .

قوله : (أولئك الداعون) يعنى يحتمل أن يكون " أولئك " اشارة الى الفريق الثانى ،وحينئذ ان جعل كسبهم عبارة عما عملوا[٢] من الحسنات ،فمن للبعضية على تقدير مضاف أى من جنس ماكسبوا ،أو للسببية من غير افتقار الى اعتبار حذف ،وحاصله أن من للابتداء والمبدأ بمنزلة المادة أو بمنزلة الفاعل ، وان جعل عبارة عن دعائهم وطلبهم ايتاء الحسنتين فمن للبعضية بمعنى أنهم لا يعطون الا البعض مما طلبوا ، وهو القدر الذى استوجبوه فى الدنيا نظرا الى المصالح ،وفى الآخرة نظرا الى الاستحقاق ،اذ الصانع حكيم لا يفعل ماليس بمصلحة ولا يعطى ماليس بمستحق ، ويحتمل أن يكون اشارة الى الفريقين ومن للابتداء المادى على حذف المضاف دون السببى ،لأن ماأعطى الفريق الأول من المطالب الدنيوية ليس[٣] بسبب أعمالهم الردية ،ولا يبعد المعنى الثالث أيضا وان لم يذكره بناء على مافى جعل الكسب عبارة عن دعائهم من التكلف .

قوله : (فواق ناقة) بالفتح والضم مابين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب .

قوله : (والمطاوعة)[٤] أى جعل " تعجل " لازما (أوفق) بنظم الكلام فى الآية ،لأجل قوله : "تأخر " وهو لازم ،كما أن المطاوعة أى جعل " المستعجل " من اللازم أوفق بالنظم فى البيت (لأجل المتأنى) فانه لازم .[٥]

---

(١) خ : هى الجنة .　　　　(٢) ب ،خ : عما فعلوا .
(٣) كلمة " ليس " ناقصة من الأصل .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " واذكروا الله فى أيام معدودات .. " الآية ٢٠٣ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٨٨ .
(٥) والبيت للقطامى وهو فى ديوانه صفحة ٢٥ ،وقيل : للأعشى ،وروى : قد يدرك =

قوله : (يوم القر) لأن الناس يستقرون فيه بمنى ، و(يوم الرؤوس) لأنهم كانـــوا يأكلون رؤوس الأضاحى ، وقوله : (ينفر اذا فرغ) بيان لوقت النفر وكون التعجيل فى اليومين يشعر بكونه فى الثانى ألبتة ليصح أنه تعجل فى يومين ، وعلى هذا لا يحتاج الى أن يقدر فى أحد يومين .

قوله : (وقيل أن أهل الجاهلية) يعنى ليس سوق الكلام لأجل التخيير ، بـــل لأجل نفى الاثم المتوهم على التقديرين .

قوله : (أى ذلك التخيير) يريد أن اللام فى " لمن اتقى " للبيان كما فى قولـــه تعالى : " هيت لك "[1] أى هذا الخطاب لك ، فالظرف عند التحقيق خبر مبتـــدأ محذوف وتخصيصه بالحاج المتقى لوجهين :

أحدهما — أنه الذى يعرض له[2] ذلك ويلتفت اليه .

والثانى — أنه / الحاج على الحقيقة ، وقوله : (منهما) أى من التعجيل والتأخير ١٧٠ أ
متعلق بيتخالج ، (وربقه) بالكسر : غشيه ، (والاثام) : جزاء الاثم ، وقوله :

(ثم قال) متعلق بالوجهين أى (اتقوا الله ليعبأ بكم) ويجعلكم ممن له التخيير ومعه الخطاب ، وأما على الوجه الأخير المشار اليه بقوله : (ويجوز أن يراد) عطفا علـــى قوله : (أى ذلك التخيير) الى آخره ، فالمعنى : اتقوا الله لتنتفعوا بذلك .

قوله : (تحلولى) [3] من احلولى الشىء بمعنى حلا وقد جاء متعديا كاعروريـــت الفرس ، ولا ثالث لهما .

قوله : (ثبت الغدر) بفتح الدال الموضع الصلب الكثير الحجارة ، ورجل ثبـــت الغدر أى ثابت فى القتال والجدال ، قال فى الأساس : " وأصل الغدر اللخاقيـــق كأنه يغدر بسالكه ، الواحدة غدرة "[4] ، واللخاقيق شقوق فى الأرض واحدها لخقوق ،

= المتنى ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٨٨ ، وتنزيل الآيات ٤٧٧ ، وديوان المعانى ١ / ١٢٤ ، وقواعد الشعر ٧٥ ، والخزانة ٢ / ٤٤٧ ، ٣ / ١٢٤ ، والعينى ٣ / ٢٩٧ واللسان مادة (بعض) .

(١) من الآية ٢٣ من سورة يوسف . (٢) قوله " له " ناقص من الأصل .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا .... " الآيات ٢٠٤ — ٢٠٦ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٠ .

(٤) أساس البلاغة مادة (غدر) .

،وكذا الاخاقيق .

قوله : (أو جمل الخصام ألد) فيكون من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه لكن على الاسناد المجازى لأن الألد هو الرجل المخاصم ، (وقيل الخصام) ليس بمصدر بل (جمع خصم) والمعنى أنه (أشد الخصوم خصومة) ،لا من جهة أن ألد أفعل تفضيل ،بل من جهة أن اللدد شدة الخصومة ،وكل شديد فهو بالنسبة الى مادونه أشد ،فمعنى الاضافة ههنا الاختصاص كما فى قولك أحسن الناس وجها ، وذلك لأن اللدد مما يبنى منه أفعل صفة بدليل لد فى جمعه ،ولداء فى مؤنثه ،فلا يبنى منه اسم التفضيل .

قوله : (وأن لا يخلى عنه) أى عن الاثم عطف على (ارتكابه) ،يقال : خلى عنه وخلى سبيله اذا تركه ،و(ضرارا) علة ارتكابه وعدم التخلية عنه ،وقوله : (أو على رد) عطف على الاثم .

قوله : (وقيل نزلت فى صهيب)[1] فعلى هذا لا يكون " يشرى " بمعنى يبيع ويبدل بل بمعنى يشترى ويجعل سالمة له ،ومعنى " رءوف بالعباد " ارادة الخير بهم حيث خلصهم من أيدى الكفار .

قوله : (وهو)[2] أى السلم بالكسر والفتح ،وكذا بفتح السين واللام : الانقياد والطاعة ،فالخطاب للمؤمنين [الخلص أو لأهل الكتاب المؤمنين بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين المؤمنين][3] بألسنتهم أو للكل و"كافة " حال من ضمير " ادخلوا " أو من " السلم " ،وقيل : " السلم " الاسلام ،وحينئذ لا يكون الخطاب للمؤمنين الخلص الا بتأويل الاسلام بشعبه وفروعه ،لأن قوله " ادخلوا "صريح فى الأمر باحداث الاسلام لا الثبات عليه أو الازدياد منه ،بل الخطاب[4] لأهل الكتاب أو للمنافقين أو لهما جميعا و"كافة " حال من ضمير " ادخلوا " أو من " السلم " وما فى الكتاب اشارة الى ماذكرنا

---

(١) عبارة الزمخشرى " نزلت فى صهيب " وذلك فى تفسير قوله تعالى : " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله .. " الآية ٢٠٧ سورة البقرة ،وانظر الكشاف ١ / ١٩٠ ، وأسباب النزول للسيوطى ١ / ٢٨ ،وتفسير ابن كثير ١ / ٤٨٠ ،ومعالم التنزيل للبغوى ١ / ٤٨١ ،وأنوار التنزيل للبيضاوى ١ / ١٤٨ ،ومعانى القرآن للزجاج ٢٤٠ .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة .. " الآيتين ٢٠٨ــ٢٠٩ البقرة ،الكشاف ١ / ١٩٠ــ١٩٢ .

(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٤) قوله " بل الخطاب " ناقص من خ .

قوله : (السلم تأخذ منها) / من ابتدائية متعلقة بتأخذ ، لا بيانية أو تبعيضية ١٧٠ ب
أى تأخذ منها أبدا ماتحبه وترضاه ، فلا تسأم من طول زمانها ، والحرب بالعكس اذ يكفيك اليسير منها وعدة جرع من مشربها .[1]

قوله : (وكافة من الكف) يعنى انه وان كان مستعملا للشمول والاحاطة ، فهو فى الأصل اسم فاعل من كف بمعنى منع ، كأن الجماعة منعوا باجتماعهم أن يخرج منهـم أحد[2] .

قوله : (اتيان الله)[3] الاتيان متعد الى واحد ، تقول : أتيته ، وكذا أتوته ، وقد يتعدى الى الثانى بالباء مثل : أتيته بالبينة ، فقوله : " الا أن يأتيهم اللـه " يحتمل الوجهين ، وكأن هذا مراد من قال : ان الاتيان يجىء لازما ومتعديا والآية تحتملهما ، وهو ظاهر ، الا أن الصواب فى قوله (للدلالة عليه بقوله " فان الله عزيز ") : " فاعلموا أن الله عزيز "[4] .

قوله : (أو على الغمام) هذا أقرب وبالتعريف أنسب .

قوله : (نزل منه العذاب) يشير الى أن اتيان العذاب فى ظلل من الغمـام نزوله منه .

قوله : (ومن ثمة اشتد) أى من جهة أن الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب ، أو من حيث يحتسب الخير ، وهذا أنسب بما ذكر فى تفسيره من انهم عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت .

قوله : (وهذا السؤال) أى السؤال المأمور به للرسول عليه السلام[5] أو لكل أحد لقصد تقريع بنى اسرائيل ، لا لقصد أن يجيبوا فيعلم من جوابهم أمر ، والآيات المؤتاة يحتمل أن تكون معجزات أنبيائهم عليهم السلام[6] على ماهو المعنى اللغـوى ، وأن

---

(١) والبيت للعباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة ، انظر ديوان العباس ٨٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ١٩١ ، وتنزيل الآيات ٤٣٨ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٤٨ ، وأساس البلاغة مادة (جرع) .
(٢) كلمة " أحد " ناقصة من الأصل .
(٣) فى تفسير قوله تعالى: " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام .. " الآيتين ٢١٠ ، ٢١١ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٢ .
(٤) من الآية ٢٠٩ سورة البقرة .
(٥) قوله " عليه السلام " زائد فى خ .
(٦) قوله " عليهم السلام " زائد فى خ أيضا .

تكون آيات كتبهم على ماهو المتعارف من آيات القرآن وغيره ، و " نعمة الله " اشـــارة الى الآية بمعنى العلامة ، أو آية الكتاب وضعا للظاهر موضع المضمر تصريحا بكونهـــا نعمة لقصد مزيد التقريع ، وتبديلها اما تغيير متعلقها بأن جعلوها أسباب الضلالة بعد ماأظهرت لتكون أسباب الهداية ، سواء أريد المعجزات أو آيات الكتب[1] ، وأما تغيير ذاتها اذا أريد آيات الكتاب وذلك لتحريفهم الآيات الدالة على دين محمـــد صلى الله عليه وسلم ، فقوله : (أو حرفوا) عطف على (ان الله أظهرها) واختار لفظ أظهر ليتناول اظهار المعجزات وانزال الآيات .

قوله : (تحتمل الأمرين) فان قيل : على تقدير الخبرية مامعنى السؤال ؟ وعلى تقدير الاستفهام كيف يكون السؤال للتقريع ، والاستفهام للتقرير ، ومعنى التقريع الاستنكار والاستبعاد ، ومعنى التقرير التحقيق والتثبيت ؟ قلنا : على تقدير الخبرية فالسؤال عن حالهم وفعلهم في مباشرة أسباب التقريع ، وعلى تقدير الاستفهام فمعنى التقريـــر الحمل على الاقرار / وهو لا ينافي التقريع و "كم آتيناهم " قيل : في موقع المصدر أي ١٧١ أ سلهم هذا السؤال ، وقيل : المفعول به ، وقيل بيان للمقصود كأنه قيل :[2] سلهـــم عن[3] جواب هذا السؤال ، وقيل : في موقع الحال أي سلهم قائلا : كم آتيناهم ، وأمـــا كلمة " كم " فمفعول ثان لأتيناهم ، و " من آية " تمييز على زيادة من ، قالوا واذا فصل بين كم ومميزها حسن أن يؤتى بمن .

قوله : (مامعنى من بعد ماجاءته ؟) يعني قد ذكر أن نعمة الله هي الآيات ، وقد وصفت بالايتاء فذكر المجيء بعد ذلك مستدرك سيما مع القطع بأن تبديل الشيء لا يتصور الا بعد مجيئه اليه وكونه عنده ، سيما وكونه نعمة عليه ينبيء عن وصوله اليه .

فأجاب بأنه مجاز عن معرفتها أو التمكن منها تشبيها لحضور المعنى عند القلـــب بحضور العين عند العين ، واعتبر التشبيه أولا في عدم المعرفة أو عدم التمكن منهـــا تحقيقا لمعنى المجيء المنبيء عن سابقة الغيبة ، حتى لو قيل : من بعد ماكانت عندهم لم يحتج الى ذلك ، والمعنى من بعد ماعرفها من حيث أنها آية ونعمة أو تمكن مـــن ذلك ، ولا يرد أن تبديل الشيء لا يكون الا بعد معرفته فالاستدراك بحاله .

فان قلت : كيف صلح " فان الله شديد العقاب " جزاء للشرط ، ولا سببية ولا ترتب ؟ قلت : من جهة أن المعنى يعاقبه الله أشد عقاب لأن الله شديد العقاب ،

---

(١) م : أو آيات الكتاب .　　(٢) كلمة " قيل " ناقصة من الأصل .

(٣) كلمة " عن " ناقصة من خ .

أو من جهة أن التذييل سبب للاخبار بأنه شديد العقاب كقوله تعالى: " ومابكم من نعمة فمن الله (١) " .

قوله : (المزين هو الشيطان) (٢) فيكون المسند والاسناد حقيقة ، أو المزين هو الله تعالى بمعنى أن خذلانه اياهم صار سببا لاستحسانهم الحياة الدنيا وتزيينها في أعينهم ، فيكون الاسناد مجازا كما في أقدمني بلدك حق لي على فلان ، أو بأن يكون التزيين عبارة عن امهال المزين الحقيقي الذي هو الشيطان فيكون المسند مجازا ، وقد يفهم العكس(٣) ، وماذكرنا أوفق باللفظ ، وقوله : (أو جعل) عطف على (خذلهم) ، (ويدل عليه) أي على ماذكرنا من ان الله قد زينها بأحد الطريقين المجازيين .

قوله : (أي لا يريدون غيرها) حيث زينت لهم بحيث اقتصرت همتهم عليها ، ووفر حظهم منها ، فهم يسخرون ممن ليس كذلك ، اما من جهة عدم الحظ منها ، أو من جهة اهتمامه بغيرها كالمؤمنين ، وفي قوله : (وهم يسخرون) اشارة الى أن الجملة(٤) في موقع الحال ، فلابد من تقدير المبتدأ / لتصح الواو ، والظاهر أنه لا مانع من ١٧١ب العطف على " زين " والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار ، ولا يبعد أن يكون تقدير المبتدأ اشارة الى ذلك ، وكذا الكلام في جملة " والذين اتقوا فوقهم " أي بحسب المكان أو الرتبة أو الاستعلاء والاستيلاء (٥) ، واللام في (لحالهم) للتقوية كما في ضارب لزيد .

قوله : (على من توجب الحكمة ؟) اشارة الى أنه لا يشاء الا مايجب في الحكمة ، والتوسعة على الكفار ليست كرامة ، بل استدراجا بالنعمة أي توقية واعلاء من درجة

---

(١) من الآية ٥٣ من سورة النحل .
(٢) في تفسير قوله تعالى: " زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا .. " الآية ٢١٢ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٣ .
(٣) كما فهم الطيبي حيث قال : " قوله : (ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم) ، فهو من اطلاق المسبب على السبب .. (أو جعل امهال المزين له تزيينا) ، فالاسناد على هذا مجاز نحو بنى الأمير المدينة وهزم الأمير الجند " فالمجاز على الأول في رأي التفتازاني عقلي وعلى الثاني مرسل ، وفي رأي الطيبي بالعكس . انظر فتوح الغيب ١ / ٢١٩ .
(٤) في الأصل زيادة " الواقعة " .   (٥) خ : أو الاستيلاء .

منها الى درجة ، لتكون النقمة عليهم[1] أشد وأفظع .

قوله : (لم قال ؟) أخره عن تفسير " والله يرزق " لما علم من عادته في تأخير السؤال عن تمام معنى الكلام ، يعني أن مقتضى الظاهر بعد قوله : " من الذين آمنوا " أن يقول : وهم ، وعلى تقدير وضع المظهر موضع المضمر أن يقول : " والذين آمنوا " الا أنه عدل الى " والذين اتقوا " ليشعر بأن السعادة عند الله بحيث تعلو على الكفار انما هي للمؤمن التقي ، وليحرض المؤمنين أي المتصفين بالتصديق على الاتصاف بالتقوى ، وهذا لا ينافي ماتقرر عندهم من دخول الأعمال في الايمان الصحيح المنجي ، على أنه قد يراد بالأعمال فعل الطاعات وبالتقوى اجتناب المعاصي فيصح افتراقهما[2] .

قوله : (والأول الوجه)[3] لدلالة القراءة[4] والآية[5] عليه ، ولكون الاتفاق على الايمان كما في أول زمن آدم وآخر زمن نوح عليهما السلام[6] مقررا محققا ، بخلاف الاتفاق على الكفر .

قوله : (أو مع كل واحد منهم كتابه) يعني يكون الكتاب للعهد ويعوض تعريف اللام عن تعريف الاضافة ، والمعنى مع كل واحد من الذين لهم كتاب ، وعموم " النبيين " لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة القرينة ، ثم الأظهر عود الضمير في " ليحكم " الى الكتاب ، اذ لابد في عوده الى الله من تكلف في المعنى أي ليظهر حكمه ، أو الى النبي عليه السلام[7] من تكلف في اللفظ حيث لم يقل : ليحكموا .

قوله : (بعد الاتفاق) أي على الحق ، فان بعثة الأنبياء وانزال الكتب لتحكم فيما اختلفوا فيه يقتضي سابقة اختلاف بعد الاتفاق ، أي على الحق والاسلام ، اذ لو

---

(١) قوله " عليهم " ناقص من الأصل ومن ب .
(٢) قوله : " فيصح افتراقهما " ناقص من الأصل .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. " الآية ٢١٣ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٤ .
(٤) أي قراءة عبد الله " كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله " انظر البحر المحيط ٢ / ١٣٥ .
(٥) رقم ١٩ من سورة يونس وهي قوله تعالى " وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا "
(٦) قوله " عليهما السلام " زائد في خ .
(٧) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل .

أريد الاتفاق على الكفر كما هو القول المرجوح ، لزم تقدير الاختلاف بعد البعثة وقبل انزال الكتب ، ويكون "ليحكم" علة للانزال فقط ، لكن لفظ "وأنزل معهم" يأبى هذا المعنى ، غاية الأمر أن يقدر وأنزل مع بعضهم لكن في الواو دون الفاء بعض نبوة ، فلهذا كان الوجه الاتفاق على الاسلام ، وتقدير الاختلاف قبل البعثة .

قوله : (أي ازدادوا في الاختلاف) لأن أصل الاختلاف كان موجودا قبل البعثة والانزال ، وكان ينبغي أن يتعرض لمتعلق "من بعد ماجاءتهم البينات/بغيا" ١٧٢أ
فان الجمهور على امتناع تعدد الاستثناء المفرغ مثل : ماضربت الا زيدا يوم الجمعة تأديبا ، واذا جعل متعلقا بمضمر أي اختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات[1] بغيا ، لم يفهم الحصر مع أنه مقصود ، وسيجيء لهذا زيادة بيان في قوله تعالى حكاية : "ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي "[2] .

قوله : (ومعنى الهمزة فيها) [3] أي الاستفهام في "أم" (للتقرير) بمعنى الحمل [4] على الاقرار ، (والانكار) بمعنى ماكان ينبغي أن تحسبوا أو لم حسبتم ؟ ، و (تشجيعا) علة (ذكر) وضمير (عليه) لرسول الله [صلى الله عليه وسلم][5] وهو متعلق باختلفوا على تضمين معنى التمرد والاستعلاء ، (وانكارهم) عطف على (الذين اختلفوا) أي تشجيعا على الصبر معهم ومع انكارهم ، و (قال) جواب (لما) وضمير (لهم) لرسول الله والمؤمنين ، وقد ذكروا بطريق الغيبة في عموم "النبيين" و "الذين آمنوا" ، فيكون خطابهم بقوله : "أم حسبتم" التفاتا ، وقد يقال : لما كان الكلام السابق لتشجيعهم على الصبر والثبات ، فكأنه قيل : ان من حقهم ان يصبروا ويثبتوا ثم خوطبوا بقوله : "أم حسبتم" ، وقد أشير في تفسير الفاتحة الى وجه كون الالتفات أبلغ[6] .

---

(١) في الأصل وفي م "من بعد ماجاءتهم العلم" .
(٢) من الآية ٢٧ من سورة هود ، الكشاف ٢ / ٤ ٠ ٣ .
(٣) في تفسير قوله تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم .. " الآية ٢١٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٤ .
(٤) في خ زيادة "أو التثبيت" .
(٥) مابين المعقوفين ناقص من م ، وفي خ : عليه السلام .
(٦) انظر الكشاف ١ / ١٢ ، والورقة ٢٣ ب من هذه الحاشية .

قوله : (نظيرة قد) في أن الفعل المذكور بعدها متوقع أي منتظر الكـــون ، فالمنتظر في (لما) أيضا هو الفعل لا نفيه .

قوله : (هي مثل في الشدة) لما سبق من أن لفظ المثل مستعار للحال والقصة العجيبة الشأن (١) ، ولا يخفى أن الذي يصيبهم مثل حالهم وشبهه لا نفسه ، ففـــي الكلام حذف .

قوله : (قال الرسول) اشارة الى أن المعنى على المضي سواء قرئ بالرفع علـــى حكاية الحال الماضية ، أو بالنصب (٢) على الاستقبال بالنظر الى ماقبله أعني " زلـزلوا " ، وكيف ماكان فهو غاية دالة على تناهي الأمر في الشدة حيث ضج وضجر واستبطأ النصر من هو غاية في الثبات والصبر .

قوله : (على ارادة القول) فان قلت : هلا جعلوا " ألا ان نصر الله قريب " مقول الرسول ، و " متى نصر الله " مقول من معه على طريق اللف والنشر ؟ قلت : أما لفظـا فلأنه (٣) لا يحسن تعاطف القائلين دون المقولين ، وأما معنى فلأنه لا يحسن ذكـر قول الرسول " ألا ان نصر الله قريب " في الغاية التي قصد بها بيان تناهي الأمـر في الشدة .

قوله : (قد تضمن) (٤) يعني قد ذكر بيان ماسألوه ضمنا بقوله : " من خير " ، وبيان ماهو الأهم قصدا بجملة الكلام ، فحصل الجواب مع الزيادة ، وليس من شرط جواب سؤال الاسترشاد الاقتصار على ماسأل ، بل المجيب فيه كالطبيب يبني المعالجة على مايقتضيه المرض ، لا على مايحكيه المريض ، لا سيما بطريق التعليم من حكيم هو فوق كل عليم / على ١٧٢ ب
أنه لو اعتبر السؤال على ماذكره (ابن عباس) في سبب النزول (٥) ، فكلا الأمريـــن مذكور فيه وانما الاختصار في النظم تعويلا على الجواب .

قوله : (ان الصنيعة) هي ماصطنعت لاحد من خير و (المصنع) مكان أو مصدر ،

---

(١) وذلك في تفسير قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا .. " الكشـــاف ١ / ٥٥ ، والورقة ٦٤ أ من هذه الحاشية .

(٢) وهي قراءة الجمهور أما قراءة الرفع فهي قراءة نافع . أنظر البحر المحيط ٢ / ١٤٠ وأنوار التنزيل ١ / ١٥١ .

(٣) خ : فانه .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين .. " الآية ٢١٥ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ١٩٤ .

(٥) انظر أسباب النزول للسيوطي ١ / ٢٩ ، وانوار التنزيل للبيضاوي ١ / ١٥١ .

،و (حتى يصاب) غاية للنفي ،أي عدم كونها صنيعة ممتدا الى هذه الغاية [١] .

قوله : (هي منسوخة بفرض الزكاة) يعني اذا كانت هي أيضا في الفرض [٢] .

قوله : (من الكراهة) [٣] لا من الاكراه ،وكونه بمعنى المكروه منقول عن الليث ، وكون الفتح والضم لغتين منقول عن الكسائي [٤] ،وكون المفتوح بمعنى الاكراه منقول عن كثيرين [٥] ،وايقاعه على القتال مجاز من جهة اطلاق الاكراه على مكروه عليه [٦] ،ثم حمل المكره عليه على ما هو شبيه به [٧] ،واليه أشار بقوله : (كأنهم أكرهوا عليه) وقد سبق أن مثل هذا تشبيه لا استعارة ،لكن لا خفاء في أنه على سبيل المجاز ،بل مجاز في عبارة الأكثرين .

قوله : (ومنه) أي ومن هذا القبيل قراءة ووجهها (قوله تعالى " حملته أمه كرها " [٨]) فقد ذكر ثمة أن الكره والكره كالفقر والفقر لغتان بمعنى المشقة ،أو من قبيل الكره بمعنى الاكراه لأنها بمنزلة المكرهة على ذلك لفرط مشقته عليها . [٩]

قوله : (وعلى قوله تعالى: وعسى) يعني أن جميع ما كلف به الانسان وارد على هذا الطريق ،حيث تكرهه النفوس ويشق عليها ،ولا يلزم منه كراهة حكم الله تعالى ومحبة خلافه وهو ينافي كمال التصديق ،لأن معناه كراهة نفس ذلك الفعل ومشقته كوجع الضرب في الحد مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له ،وهذا كما نقول : ان [١٠] الكل

---

(١) وروى الشطر الثاني من البيت هكذا " حتى تصيب بها طريق المصنع " وبعده :
فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها * لله أو لذوي القرابة أودع
انظر مشاهد الانصاف ١ / ١٩٥ ،وتنزيل الآيات ٤٣٩ ،والكامل للمبرد ١ / ٨٠ ، ولسان العرب مادة (صنع) .
(٢) خ : في الفرائض .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. " الآية ٢١٦ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ١٩٥ .
(٤) انظر تهذيب اصلاح المنطق ١ / ١٥١ ،والصحاح مادة (كره) .
(٥) منهم الفراء ،انظر البسيط في التفسير للواحدي ١ / ٤٥٩ .
(٦) م ،خ : المكره عليه .
(٧) قوله "به " ناقص من الأصل .
(٨) من الآية ١٥ من سورة الأحقاف .
(٩) عبارة الزمخشري " وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر ، وانتصابه على الحال أي ذات كره ،أو على أنه صفة للمصدر أي حملا ذا كره " الكشاف ٤ / ٢٣٩ .
(١٠) كلمة " ان " ناقصة من خ .

بقضاء الله ومشيئته مع أن البعض مكروه منكر غاية الانكار كالقبائح والشرور •

قوله : (والله يعلم مايصلحكم) يعني أن المفعول مراد لا متروك منزل فعله[1] منزلة اللازم ، لكن لو جعل " ما " موصولة كان الفعل من قبيل المتعدى الى مفعول واحد بمعنى المعرفة ، ولو جعلت استفهامية فالى مفعولين على الالغاء •

قوله : (وثلاثة معه)[2] قيل : هم الحكم بن سفيان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، ونوفل بن عبد الله ، (فقتلوه) أى قتل أصحاب السرية (عمرو بن عبد الله وأسروا اثنين من العير وكان ذلك) القتل والأسر فى أول يوم أو كان ذلك الوقت (أول يوم من رجب وهم يظنون) ذلك اليوم (من جمادى الآخرة) ، (يذعر) أى يفرق ، (فوقف العير) حبسها وأبى أن يأخذها ، وبعد ذلك ردها (والأسارى) يعني الأسيرين ، أو جعل كل ما أخذوه أسيرا على التغليب ، (وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت) أى توبتهم (أخذ) يعني أن روايته / تخالف رواية رد ١٧٣ أ الغنيمة •

قوله : (والمعنى) شروع فى تفسير قوله تعالى: " يسألونك عن الشهر الحرام " والأظهر[3] أن ضمير يسألون للمؤمنين أو للجميع ، لا للكفار خاصة اذ لا تلائمه الأسئلة الآتية سيما " يسألونك عن الخمر " وأشار بقوله : (عن القتال) الى أن السؤال عن نفس القتال فى الشهر الحرام وكذا الجواب ، لا كما قيل : ان السؤال عن فرد معين أقدم عليه عبد الله بن جحش والجواب عن قتال آخر يكون القصد فيه هدم الاسلام وتقوية الكفر بناء على أن النكرة اذا أعيدت كانت غير الأولى ، وذلك لأن هذا البس بضربة لازب ، وان المصدر وان كان نكرة فأكثر مايقصد به الجنس ، كيف وقد وصف بقوله : " فيه " ؟ وعندهم ان النكرة تعم بعموم الوصف ، ومن ههنا جاز ابداله من المعرفة وجعله مبتدأ خبره " كبير " •

قوله : (وما نسخت من مقول عطاء[4] ، و (أكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله : " فاقتلوا المشركين[5] ") كلام المصنف ، وفى القرآن " فاقتلوا " جزاء لقوله تعالى[6] :

---

(١) " فعله " ناقص من الأصل •

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ••• " الآيتين ٢١٧ ، ٢١٨ سورة البقرة ، انظر الكشاف ١ / ١٩٦ ، وتفسير الطبرى ٤ / ٢٠٢ـ٣١١ •

(٣) خ : الظاهر •

(٤) البحر المحيط ٢ / ١٤٦ •

(٥) من الآية ٥ من سورة التوبة •

(٦) لفظ " تعالى " ناقص من خ •

"فاذا انسلخ الأشهر الحرم " يعنى الأشهر الحرم المعينة فى أربعة أشهر[1] حرم قتالهم فيها ،وأشير اليها بقوله تعالى : " فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر[2] " فلا ينافى نسخ حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا .

فان قيل : هذه الآية[3] انما تعم الأمكنة بقوله " حيث وجدتموهم "دون الأزمنة ، فغايته النسخ فى حق البلد الحرام دون الشهر الحرام ،قلنا : بعضهم على أن الايجاب المطلق يرفع التحريم المقيد كالعام للخاص ،ولو سلم فالاجماع على أن حرمتى المكان والزمان لا يفترقان ،فيجعل عموم الأمكنة قرينة عموم الأزمنة وترتفع حرمة الأشهر .

فان قيل : " قتال فيه كبير " نكرة فى الاثبات وهى لا تعم ،فمن أين يلزم بايجاب قتال المشركين نسخه ؟ قلنا : بل هو عام بعموم الوصف أو بقرينة المقام ،ولو سلم فقتال المشركين مراد قطعا لأن قتال المسلمين حرام مطلقا من غير تقييد بالأشهر الحرم .

قوله : (والمسجد الحرام عطف على سبيل الله)[4] لامتناع عطف على الضمير المجرور فى به ،اذ لا اعادة للجار ولا معنى للكفر بالمسجد الحرام الا بتكلف . وههنا حاشية عن المصنف قد تلحق[5] بالمتن حاصلها ان عطف " وكفر به " على "صد عن سبيل الله " انما جاز قبل تمامه بصلته التي من جملتها " والمسجد الحرام "المعطوف على "سبيل الله" بوجهين :

<u>الأول</u> — ان الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى ،فكأنه لا فصل بالأجنبى بين سبيل الله وما عطف عليه ،ولا عطف للكفر[6] على الصد قبل تمامه ،بمنزلة أن يقال : وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام .

<u>الثانى</u> — أن هذا التقديم لفرط العناية ،ومثله لا يعد فصلا .

والأول أوجه ،قيل : / الجيد ان يتعلق بمحذوف أى ويصدون عن المسجد ١٧٣ ب

---

(١) فى خ ،ط " التى هى أربعة أشهر " وفى م " التى فى أربعة أشهر "
(٢) من الآية ٢ من سورة التوبة .
(٣) أى " فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .. "
(٤) الكشاف ١ / ١٩٦ .
(٥) خ : قد ألحقت .
(٦) قوله " للكفر " ناقص من الأصل .

الحرام (١) ،وهو في غاية الرداءة .

قوله : (وأنهم) عطف على (دوام) أى اخبار عن أن الكفار لا ينفكون عن العداوة حتى يردوا المسلمين عن دينهم .

قوله : (وان استطاعوا استبعاد) يعنى استعمل " ان " مع الجزم بعدم الوقوع اشارة الى أن ذلك لا يكون الا على سبيل الفرض والتقدير كما يفرض المحال ،وهو معنى الاستبعاد .

قوله : (يطاوعهم) أى الكفار (على رده) أى ردهم اياه اضافة للمصدر الى المفعول ، (اليه) (٢) أى الى دينهم (لما يفوتهم) متعلق بحبطت ،و (مما للمسلمين) بيان لما يفوتهم ،و (من ثمرات) بيان لما للمسلمين ،ثم عطف (باستدامتها) على (باحداث) ،والضمير للردة ،و (من ثواب) على (مما للمسلمين) .

قوله : (وبها احتج الشافعى [رضى الله عنه] (٣) بناء على أنه لو أحبطت الأعمال مطلقا لما كان للتقييد بقوله " فيمت وهو كافر " فائدة ،لا بناء على أنه جعل شرطا فى الاحباط وعند انتفاء الشرط ينتفى المشروط ،لأن الشرط النحوى والتعليقى ليس بهذا المعنى ،بل غايته السببية والملزومية ،وانتفاء السبب أو الملزوم لا يوجب انتفاء المسبب أو اللازم لجواز تعدد الأسباب ،ولو كان شرطا بهذا المعنى لم يتصور خلاف فى القول بمفهوم الشرط ،واحتج أبو حنيفة بقوله تعالى : " ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله " (٤) ،وأجيب بأنه يحمل على المقيد عملا بالدليلين ،ورد بأن ذلك انما يكون اذا كان القيد فى الحكم واتحدت الحادثة ،وأما فى السبب فلا يجوز أن يكون المطلق سببا كالمقيد ،وتمام ذلك فى الأصول ،قيل : ثمرة الخلاف تظهر فيمن صلى ثم ارتد — نعوذ بالله — ثم أسلم ،يلزمه عند أبى حنيفة قضاء تلك الصلاة ، خلافا للشافعى ، (٥) وفيه نظر .

---

(١) صاحب هذا الرأى هو أبو البقاء العكبرى حيث قال فى كتابه : التبيان فى اعراب القرآن ١ / ٦١ : " والجيد أن يكون متعلقا بفعل محذوف دل عليه الصد تقديره : ويصدون عن المسجد كما قال تعالى : هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام " .

(٢) قوله " اليه " ناقص من الأصل .

(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل وفى ب ،م : رحمه الله ،وانظر البحر المحيط ٢ / ١٥٠ .

(٤) من الآية ٥ من سورة المائدة .

(٥) انظر البحر المحيط ٢ / ١٥٠ ،والأم ١ / ٦١ .

قوله : (جعلهم الله أهل رجاء) يعنى أنهم مع كمال العلم جعلهم الله تعالى فى معرض الرجاء لرحمته ، ومعلوم ان من رجى الشىء لم يسكن عن طلبه ، ومن خاف الشىء هرب منه وترك ما يفضى اليه ، فكيف يتكل عصاة الأمة ؟ وكيف يرجون الرحمة ، بل يقطعون بالنجاة ؟ وهذا كما ترى تعريض بأهل الحق .

قوله : (مذهبة للعقل) (1) أى يكثر فيها ذهاب العقل وسلب المال .

قوله : (فشربها قوم) لما فهموا أن المعنى أن فيهما ما يفضى الى الاثم لا أن نفسهما أو تناولهما كذلك بدليل قولك : " ومنافع " وقوله بعد ذلك : " لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى " (2) .

قوله : (موضحة) اسم لنوع من الشجة (3) يوضح العظم ، فهو من قبيل : قعد القرفصاء ، ولا حاجة الى تقدير الموصوف .

قوله : (لم أرعه) اسناد الرعى الى أصحاب الماشية شائع مثل : رعينا الغيث ، (لم تتبعنى) لقطعتها .

قوله : (وهو/ حرام) أى القليل منه والكثير ، وكذلك (نقيع الزبيب والتمر) أى ١٧٤ أ
حرام قليله وكثيره ، وقوله : (الذى لم يطبخ) قيد فى العصير والنقيع جميعا ، وان كان بحسب اللفظ صفة للنقيع ، فان قوله : (فان طبخ) الى آخره حكم لهما جميعا ، وهو المسمى بالمثلث ، وعند الشافعى رضى الله عنه (4) : كل شراب أسكر فهو حرام قليله وكثيره (5) ، وهل يسمى الكل بالخمر حقيقة ؟ فيه كلام ، فان وجه التسمية وان كان هو ستر العقل والتمييز لكن لا يلزم اطراده ، ومن لم يبت القول بحرمته فللاحتراز عن تفسيق الصحابى ، فقد نقل شرب المثلث عن البعض ولم يشربه البعض (6) احتياطا واحترازا عن شبهة الحرام .

---

(1) فى تفسير قوله تعالى : " يسألونك عن الخمر والميسر ... " الآيتين ٢١٩ ، ٢٢٠ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ١٩٧ .

(2) من الآية ٤٣ من سورة النساء . (3) خ : من الشجاج .
(4) قوله " رضى الله عنه " ناقص من الأصل وفى م : رحمه الله .
(5) انظر الأم ٦/ ١٣١ .
(6) كلمة " البعض " ناقصة من خ .

قوله : (يقال : يسرته اذا قمرته) [الأحسن أي قمرته][1] ، في الأساس : " يسر الرجل بالقداح ييسر بالكسر ، ويسروا الجزور : قسموها "[2] و " قمر بالقمار والنرد[3] وقامرته وقمرته أقمره بالضم : غلبته ، وقمرته المال أقمره وأقمره " ، وفي الصحاح : " قمرت الرجل أقمره بالكسر لاعبته فيه فغلبته ، وقامرته فقمرته أقمره بالضم فاخرته فيه فغلبته "[4] و " يسر ييسر بالكسر : لعب بالقداح[5] " و " خاطرته على كذا : راهنته "[6] .

قوله : (أقول لهم) البيت لسحيم بن وثيل ، (ييسرونني) يقطعونني ويقسمونني كما يفعل بجزور القمار وتمامه :

ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

ويروى : ألم تيأسوا ، بمعنى ألم تعلموا ، وزهدم اسم فرس، سمى به لسرعته ، وهي في الأصل فرخ البازي ، وقيل : اذ ييسرونني اذ يأخذون فدائي ويقتسمونه[7] ، وفي الصحاح : " كان وقع عليه سباء فضربوه بالسهام "[8] .

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من خ أيضا . (٢) انظر أساس البلاغة مادة (يسر) .

(٣) عبارة الأساس مادة (قمر) : " قمر بالقداح وبالنرد " الخ .

(٤) الصحاح مادة (قمر) .

(٥) الصحاح مادة (يسر) وعبارته " الياسر اللاعب بالقداح وقد يسر ييسر " .

(٦) الصحاح مادة (خطر) وعبارته " الخطر السبق الذي يتراهن عليه ، وخاطره على كذا " .

(٧) والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي كما ذكر التفتازاني وذكر بعض العلماء أنه لولده جابر بن سحيم كما في لسان العرب مادة (يأس) ومادة (زهدم) ، وروى :
أقول " لأهل الشعب اذ يأسرونني "
ألم تيأسوا أني ابن فارس " لازم " ؟
انظر مشاهد الانصاف ١٩٨/١ ، وتنزيل الآيات ٥١٧ ، والبحر المحيط ١٥٤/٢ ، وتفسير القرطبي ٣/ ٥٣ ، والمحتسب في القراءات ١/ ٣٥٧ ، والفائق ١٧٦/٢ ، وشرح القصائد السبع ٥٦٧ ، وأساس البلاغة مادة (يئس) ، ولسان العرب مادة (يسر) ، والصحاح مادتي (يسر) و (يئس) .

(٨) عبارة الصحاح مادة (يسر) " كان قد وقع سباء فضرب عليه بالسهام " .

قوله: (وهى الأزلام) يعنى أن الأقداح العشرة يقال لها : (الأزلام والأقلام) الواحد زلم وقلم بالفتح ، ثم قوله : (الفذ) الى آخره تفصيل لأسمائها ، وجعل الأجزاء ثمانية وعشرين ظاهر لأنها عدد الأنصباء السبعة على الترتيب ، وأما جعلها عشرة فلم يبين فيه كيفية القسمة ، وفى تغريم ثمن الجزور أيضا اختلاف رواية ، وما ذكره المصنف من أنه يغرمه من خرج له قدح ما لا نصيب له يخالف ما نقل عن الثقات ، وقد مرت بى فى مطالعاتى رسالة فى هذا المعنى ، نلحق محصلها بالكتاب ان شاء الله تعالى .

قوله: (وفى حكم الميسر) أما فى حرمة القمار فيها بأن يشترط المال فى أى جانب[1] صار مغلوبا ، فبالاتفاق ، وأما فى حرمة اللعب نفسه ، أو فى الرهان من جانب بأن يأخذ المال ان غلب والا لم يؤخذ منه شىء ، ففى الشطرنج خلاف .

قوله: (بدليل قوله : فيهما اثم) لظهور أن ليس الاثم فى عينهما .

قوله: (والقمار) عطف على (شرب) ، و(الطرب) على (الالتذاذ) / ولا يظهر بينهما فرق يعتد به (والأبرام) جمع برم وهو الذى لا يدخل فى القمار ، ومعنى الكثرة أى كثرة الاثم فيهما مع أن تعاطى كل منهما ليس الا اثما واحدا ، أو أن كلا منهما سيما شرب الخمر يفضى الى اكتساب آثام كثيرة ، ولهذا تسمى الخمر أم الخبائث . ١٧٤ب

وأما معنى (قرب الاثم) فهو أن مجرد الاشتغال بهما بل العزم عليهما اثم ، و(الجهد) بالضم : الطاقة ، وبالفتح : المشقة ، وفى الصحاح كلاهما بمعنى الطاقة[2] .

قوله :

(خذى العفو منى تستديمى مودتى)

ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

البيت قيل : لأبى الأسود الدؤلى يخاطب زوجته ، وقيل : لأسماء بن خارجة الفزارى أحد حكماء العرب ، أى خذى ما سهل ولم يشق على من الأموال لتستديمى محبتى[3] .

---

(١) م ، ع : من أى جانب . (٢) الصحاح مادة (جهد) .

(٣) فالعفو : السهل اليسير ، والسورة : شدة الغضب ، وبعد البيت :

فانى رأيت الحب فى الصدر والأذى

اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب .

انظر مشاهد الانصاف ١/١٩٩ ، وتنزيل الآيات ٣٢٩ ، والايضاح ١٠٦ ، والبحر =

(والحذف) بالخاء المعجمة رمى الحصا بالأصابع ، قال الأزهري : أن تأخذها بين سبابتيك وترمى بها أو ترمى بالخشب بين السبابة والابهام "[1] قيل : هو منهى ، والرواية الصحيحة بالحاء المهملة ، (عقره) جرحه ، و(يتكفف الناس) أي يمد كفه يسأل الناس ، (عن ظهر غنى)[2] لفظ (ظهر) مقحم فى الظاهر ، وقد سبق تحقيقه فى " ظهر الغيب "[3] ، وظاهر اللفظ أن المراد الغنى بالمال ، والتوفيق بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم[4] : " خير الصدقة جهد المقل "[5] أن هذا فيما اذا كان بالفقير جزع وقلة صبر بحيث يحتاج الى التكفف ، وذاك فيما اذا كان له شدة صبر وقوة توكل بحيث لا يبث شكواه الا الى الله تعالى[6] ، وقيل : المراد بالغنى غنى القلب ، وقوله : (يتصدق به) ظاهره حال وحقيقته بيان ، ومعنى (يجلس يتكفف) يقعد عن الكسب ولا يقوم بواجب الصبر والتوكل .

قوله : (فى الدنيا والآخرة) ذكر أنه متعلق بيتفكرون او بيبين الله ، وعلى الأول — فقوله " كذلك " أى مثل ذلك التبين اما ان يكون اشارة الى جواب " يسألونك ماذا ينفقون " وفيه معنيان ، أو الى جواب " يسألونك عن الخمر والميسر ، ولا بعد فى الاشارة بذلك الى الأبعد بوقوع الفصل بينه وبين ذكر المشار اليه ولا حاجة الى الاعتذار بأنه ليس بأجنبي بناء على كونه عطفا على سؤاله ، وقصدا الى الأمر بالمعروف بعد النهى عن المنكر ، وعلى الثانى — لم يبين المشار اليه بقوله : " كذلك " فكأنه جميع ماسبق من البيانات ، وعلى هذا فتقديم التعليل أعنى ارادة التفكر على ذكر المتعلق لفرط الاهتمام ، وقوله : (فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع) أى كما بين لكم فى الانفاق أن العفو أبقي للمال فى الدنيا وأكثر منفعة فى الآخرة / للتمكن بذلك من ١٧٥ أ
كثرة الخيرات ، وقوله : " ويجوز أن يكون) عطف على قوله[7] : (فيكون المعنى) .

= المحيط ٢ / ١٥٨ ، وتفسير القرطبى ٣ / ٦١ ، والأغانى ١٨ / ١٢٨ ، والصحاح مادة (عفا) ، وكذلك لسان العرب .

(١) تهذيب اللغة ٧ / ٢٧ ٣–٢٨ ٣ مادة (خذف) وعبارته " الخذف رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك ، أو تجعل مخذفة من خشبة ترمى بها بين الابهام والسبابة " .

(٢) تفسير الطبرى ٤ / ٣٤١ .

(٣) من قول الحطيئة : كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تأتينى
وذكر السعد ان القصد به الى المبالغة حيث يجعل للشئ ظهر يكتنف به أنظر الورقة ٨٧ ب .

(٤) خ ، م : عليه السلام .

(٥) أنظر المستدرك للحاكم ١ / ٤١٤ ، وسنن أبى داود ٨ / ٩٥ ، وسنن النسائى ١ / ٣٤٩ ، وتفسير الطبرى ٣ / ٣٤٤ .

(٦) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل .

(٧) قوله " قوله ناقص من الأصل ومن ط .

قوله: (فشق)[1] عطف على (اعتزلوا) وضمير (عليهم) و (يوقعهم) للذيـــن اعتزلوا ، وان كان قد يتوهم كونه لليتامى ، وحمل المخالطة على مصاهرتهم أى التزوج منهم لينتظم قوله: " ولا تنكحوا المشركات " فى معنى الكلام فى هذا المقام ،
(وأحرجكم) أوقعكم فى الحرج بحيث يشق عليكم جدا ، وان لم يكن تكليف مـــالا يطاق .

قوله: (والقاء حركتها على اللام)[2] يعنى بعد[3] حذف حركة اللام لأن هذا قياس تخفيف الهمزة لا أن تحذف مع الحركة ، ثم لزم فى " فلا اثم "[4] حذف الألـــف أيضا لالتقاء الساكنين لكن اقتصروا فى الكتابة على طرح الهمزة فقط كما هو قانـــون الخط .

قوله: (الا ماتتسع فيه طاقتهم) أى من غير حرج وتضييق ، ولهذا لم يقل: الا مايطيقون .

قوله: (أو لا تزوجوهن)[5] أنفسكم أوغيركم ، واذا كان المراد بالمشركـــــات الحربيات خاصة فالآية ثابتة أي غير منسوخة لأن الحرمة باقية ، وان كان أعم منهـــا ومن الكتابيات فالآية منسوخة بقوله تعالى فى سورة المائدة : " والمحصنات مـــن الذين أوتوا الكتاب[6] " حيث أثبت الحل فى الكتابيات ، ولا يجوز أن تكون هـــى منسوخة بهذا العام للاطباق على أنه لم ينسخ من المائدة شىء ، ومبنى الكلام على أن قصر العام على البعض بدليل غير موصول نسخ .

قوله: (ولو أعجبتكم) كلمة "لو" فى مثل هذا الموضع لا تكون لانتفاء الشـــىء لانتفاء غيره ، ولا للمضى ، وكذا كلمة " ان " لاتكون لقصد التعليق والاستقبال ، بـــل المعنى فيها ثبوت الحكم ألبتة ، ولذا[7] يقال: انه للتأكيد ، والواو عندهم[8] للعطف على مقدر هو ضد المذكور ، أى لو لم يكن كذلك ولو كان كذلك ، وعند المصنـــف للحال لكن مقتضاه أن يكون الواقع بعد الواو أعنى الفصل مع الحرف فى موقع الحال

---

(١) أسباب النزول للسيوطى ١/ ٢٩ .
(٢) البحر المحيط ٢/ ١٦٣ .
(٣) كلمة " بعد " ناقصة من الأصل .
(٤) من الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن .. " الآية ٢٢١ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ٢٠٠ .
(٦) من الآية رقم ٥ من السورة .
(٧) خ : ولهذا .
(٨) م ، خ : عند بعضهم .

ولا يستقيم (١) ، فلذا يقدر المصنف : (ولو كان الحال) كذا ، دون : والحال لو كان كذا ، ولا يخفى حاله .

قوله : (أولئك اشارة الى المشركين والمشركات) (٢) على نوع من التغليب [في "يدعون" لكونه صيغة جماعة الذكور غلبوا على الاناث لامتناع الحمل على تغليب الاناث ، أو استعمال المشترك في معنييه ، سيما وفيه لزوم أن يكون كل واحد من الواو والنون ضميرا وليس بضمير ، وأما استعمال "أولئك" في مجموع الذكور والاناث وغير العقلاء أو أحد هؤلاء ، فالظاهر أنه بحسب الاشتراك المعنوى دون اللفظى] (٣) .

والنار مجاز عما يؤول اليها وهو الكفر ، وجعل "والله يدعو" في معنى / (وأولياء ١٧٥ب الله يدعون) بتقدير المضاف ، أو بجعل دعوتهم بمنزلة دعوته : تشريفا لهم ، وذلك بدلالة وقوعه في مقابلة "أولئك يدعون الى النار" وهم أعداء الله ، وتقييده بقوله : "بأذنه" ولا يستقيم أن يقال : الله يدعو باذنه .

قوله : (وأن يؤثروا على غيرهم) هو الصحيح دون "ان لا يؤثروا على غيرهم" كما في كثير من النسخ سهوا من الناسخ ، وجعل "لا" زائدة تمحل ، قال المطرزى : الصواب : وأن لا يؤثر عليهم غيرهم (٤) .

قوله : (بتيسير الله) لا يخفى أنه انما يحتاج الى هذا اذا أريد الله يدعو ، أما اذا أريد أولياء الله يدعون فمعنى "باذنه" بأمر الله ورضاه على ما هو الظاهر (٥) .

قوله : (هل يباشر) (٦) ؟ أي يماس بشرتها (على سفلتها) (٧) بكسر الفاء ، يعنى ما بين السرة والركبة ، وهى في الأصل قوائم البعير ، (وما روى زيد) عطف على (حديث عائشة رضى الله عنها) ، (ثم شأنك) (٨) نصب باضمار فعل ، أو رفع

---

(١) في خ زيادة "ظاهرا" .
(٢) عبارة الكشاف ١/ ٢٠١ "الى المشركات والمشركين" .
(٣) ما بين المعقوفين ناقص من م .   (٤) فتوح الغيب ١/ ٢٢٦ .
(٥) هذه الفقرة ناقصة من خ .
(٦) في تفسير قوله تعالى : "ويسألونك عن المحيض قل هو أذى .." الآيتين ٢٢٢ ، ٢٢٣ سورة البقرة ، الكشاف ١/ ٢٠١ .
(٧) الموطأ للامام مالك ١/ ٥٨ ، كتاب الطهارة ، باب ما يحل للرجل من امرأته وهى حائض .
(٨) المرجع السابق ١/ ٥٧ ، وسنن الدارمى ١/ ٢٤١ .

بالابتداء ، أى استمتع بما فوق ذلك .

وهذان الحديثان يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار كما هو رأى أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله [١] ، فلذا قال محمد بعد ما رواهما : (وهذا قول أبى حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا) يعنى ما هو رأيه ، وبينه بقوله : (عن عائشة رضى الله عنها [٢] أنها قالت : " يجتنب شعار الدم) تعنى الكرسف وهى خرقة الحيض كناية عن الفرج ، أو علم الدم وهو الفرج نفسه ، وأما لو حمل على الازار لتوافق المروى عن عائشة رضى الله عنها أولا ، فلا يكون دليل الأرخص بل قول أبى حنيفة [٣] .

قوله : (ويطهرن بالتخفيف) عطف على (يطهرن بالتشديد) لا على (يتطهرن) ، ليكون هذا [٤] أيضا قراءة عبد الله [٥] ، وكلتا القراءتين مما يجب العمل به لتواترهما ، فعمل أبو حنيفة بقراءة التخفيف فى أكثر الحيض وهو عنده عشرة أيام بلياليها ، حتى لو كان انقطاع الدم لعشرة أيام حل له وطؤها قبل الاغتسال ، وبقراءة التشديد [٦] فى أقل من ذلك أعنى ما دون العشرة حتى لا يحل له وطؤها الى ان تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة كامل لأن الدم قد يدر تارة وينقطع أخرى ، وبالاغتسال يترجح جانب الانقطاع ، وكذا بمضى وقت يقتدر فيه على الاغتسال والتحريمة تصير الصلاة دينا فى ذمتها فتكون [٧] قد طهرت حكما ، فقوله : (وفى أقل الحيض) ينبغى أن يحمل على هذا بمعنى أقل من العشرة فى الحيض مثل : أحسن البلد ، والا فأقل الحيض عند أبى حنيفة ثلاثة أيام بلياليها / وعند الشافعى يوم وليلة [٨] . ١٧٦ أ

قوله : (وهو قول واضح) حيث جعل الحل موقوفا على النقاء والاغتسال جميعا على ما هو موجب القراءتين ومقتضى قوله : " فاذا تطهرن " [٩] .

قوله : (مما عسى يندر) من قولك : ندرت منه نوادر غضب أى خطأ وسقطات

---

(١) قوله " رحمهما الله " ناقص من خ .
(٢) قوله " رضى الله عنها " ناقص من خ ، ط ، وانظر سنن الدارمى (١ / ٢٤٣ .
(٣) انظر البحر المحيط ٢ / ١٦٧ . (٤) ط ، ب : لتكون هذه
(٥) البحر المحيط ٢ / ١٦٨ .
(٦) قوله " وبقراءة التشديد " ناقص من الأصل .
(٧) قوله " فتكون " ناقص من الأصل .
(٨) انظر البحر المحيط ٢ / ١٦٧ — ١٦٨ ، والأم (١ / ٥٨ .

عند ما اشتد من ارتكاب مانهوا عنه كالوطء [1] قبل الطهر أو التطهر ، والاتيان في غير المأتى .

قوله : (وهذا مجاز) ، قيل : باعتبار اطلاق الحرث على موضع الحرث .
وقيل : باعتبار تغيير حكم الكلمة في الاعراب من جهة حذف المضاف كما في " واسأل القرية " [2] .

وقيل : باعتبار حمل المشبه به على المشبه بعد حذف الأداة كما في زيد أسد ، فكثيرا مايقال له المجاز وان لم يكن استعارة ، وكان التجوز في ظاهر الحكم بأنه هو ، ثم أشار الى أن هذا التشبيه متفرع على تشبيه النطف الملقاة في أرحامهن [3] بالبذور اذ لولا اعتبار ذلك لم يكن بهذا الحسن .

وقيل : المراد بالمجاز الاستعارة بالكناية ، لأن في جعل النساء محارث دلالة على أن النطف بذور على ما أشار اليه بقوله : (تشبيها لما يلقى) الى آخره ، كما تقول : ان هذا الموضع لمفترس الشجعان ، ومنتقض العهود ، ولا أرى ذلك جاريا على القانون الا أن يقال : التقدير نساؤكم حرث لنطفكم [4] ليكون المشبه مصرحا وجعل المشبه به مكنيا .

قوله : (تمثيل) شبه حال اتيانهم النساء من المأتى بحال اتيانهم المحارث في عدم الاختصاص بجهة دون جهة ، ثم اطلق عليه لفظ المشبه به .

قوله : (من الكنايات) فان الأذى كناية عن الشيء المستقذر قصدا الى التنفير ، والاعتزال كناية عن ترك المجامعة قصدا الى التبعيد عنها ، وحيث أمركم الله كناية عن القبل قصدا الى كونه على وفق المأمور به وترغيبا فيه عن الدبر ، واتيان الحرث كناية عن مجامعتهن بحيث يحصل الولد قصدا الى أن هذا ينبغي أن يكون الغرض الأصلي لاقضاء الشهوة .

ثم في هذه تعريضات باليهود والنصارى والراغبين في اتيان غير القبل ومن يجرى مجراهم ، فقوله (من الكنايات) خبر مبتدأ هو قوله : " هو أذى " الى آخره

---

(1) خ : من الوطء
(2) من الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(3) في الأصل " على أرحامهن " .
(4) قوله " لنطفكم " ناقص من الأصل .

تعداد للمقولات، و (في كلام الله) حال عاملها ما في اسم الاشارة من معنى الفعل .

(والمجبية) [١] على لفظ اسم الفاعل ، في الأساس " جبى تجبية اذا ركع " [٢] وفي الصحاح ، " قال أبو عبيد : التجبية تكون في حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم ، والآخر أن ينكب على وجهه / باركا وهو السجود " [٣] . ١٧٦ ب

قوله : (ترجمة له وتفسيرا) في موقع [٤] المفعول له لقوله : (يعني) ، وذلك أنه علم من هذه الجملة تفسير ما وقع مبهما في جملة " فأتوهن من حيث أمركم الله " وهو موضع الحرث أعني القبل ، وزالت الشبهة التي ربما تقع للبعض من أن الغرض قضاء الشهوة وذلك يحصل بكلا الفرجين ، وظهر أن الغرض طلب النسل الذي هو بمنزلة الريع من الزرع ، وبهذا يعلم أن هذه الأوامر كلها في حيز "قل " لظهور ان "وقدموا " و "اتقوا " عطف على الأمر قبلهما ، وأما " بشر المؤمنين " فليس كذلك ، بل هو عطف على " قل هو أذى " ، وفيه تحريض على امتثال ما سبقه من الأوامر والنواهي .

بقي الكلام في قوله : " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم " [٥] انه عطف على الأوامر الداخلة في حيز "قل " ، أو ابتداء نهي من الله تعالى عطفا على مقدر أي امتثلوا ما أمرتم به بلسان نبينا ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ، وهذا هو الظاهر .

قوله : (بغير واو ثلاث مرات) : " يسألونك ماذا ينفقون " [٦] ، " يسألونك عن الشهر الحرام [٧] " ، " يسألونك عن الخمر [٨] " ، (ثم مع الواو ثلاثا): " ويسألونك ماذا ينفقون " [٩] ، " ويسألونك عن اليتامى [١٠] " ، " ويسألونك عن المحيض [١١] " .

فان قيل [١٢] : يكفي في العطف بحرف الجمع اجتماع الجملتين في الوقوع مع

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٧ / ٣٦ ، وصحيح الترمذي ١١ / ١٠٢ ، وأسباب النزول للسيوطي ١ / ٣٠ .
(٢) أساس البلاغة مادة (جبي) .
(٣) الصحاح مادة (جبا) .
(٤) م ، خ ، ب : في موضع .
(٥) الآية ٢٢٤ من سورة البقرة .
(٦) من الآية ٢١٥ من سورة البقرة .
(٧) من الآية ٢١٧ من سورة البقرة .
(٨) من الآية ٢١٩ من سورة البقرة .
(٩) من الآية ٢١٩ من سورة البقرة .
(١٠) من الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .
(١١) من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة .
(١٢) خ : فلو قيل .

وجود الجامع سواء كان فى وقت واحد أولا ، لما تقرر من أن الواو ليست للمعية ولا للترتيب ، فوقوع السؤال عن الحوادث الأول فى أحوال متفرقة لا يوجب ترك العطف ، قلنا : المراد أنه لما كان كل منها سؤالا مبتدأ من غير تعلق بالآخر ولا مقارنة معه لم يقصد الى جمعها بل أخبر عن كل على حدة ، بل يجوز أن يكون الاخبار عن هذا قبل وقوع الآخر ، بخلاف السؤالات الأخر حيث وقعت فى وقت واحد عرفا كشهر كذا ويوم كذا مثلا ، فقصد الى جمعها ، ثم لا يخفى أن قوله : (وسألوا عن الحوادث الأخر فى وقت واحد) غير كاف فى المقصود وهو وجه كون الثلاثة مع الواو ، بل ينبغى أن يقال : السؤال عنها وعن الخمر كان فى وقت واحد الا أنه اكتفى عنه بقوله : (كأنه قيل) الى آخره .

قوله : (العرضة) [1] يعنى أنها جاءت اسما لما تعرضه دون الشىء ، أى تجعله قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه (من عرض العود على الاناء) يعرض ويعرض بالضم والكسر ، ولما يعرضه للأمر من التعريض للبيع ونحوه ، / تقول[2] : عرضت ١٧٧ أ
فلانا للحرب فتعرض لها ، كأنك قدمته لذلك ونصبته له .

فمعنى الآية على تقدير جعل العرضة هى الأولى أى بمعنى الحاجز والمانع : ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من الخيرات كالبر والاتقاء والاصلاح ونحو ذلك أن لا تفعلوها ، فان الحلف على الشىء أعم من أن يكون قد حلف أن يفعله أو لا يفعله ، ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم [3] " من حلف على يمين " ؟ ، فالايمان مجازعما يتعلق بها ويتلبس من الأمور المحلوف عليها بالترك و " أن تبروا " عطف بيان لها ، واللام متعلق بالفعل فى " لا تجعلوا " أو بعرضة تعلق المفعولية لأن العرضة ماعرضته دون الشىء [4] ، فيكون المعنى لا تجعلوه شيئا عرض للمحلوف عليه الذى هو البر فاعترضه وصار حاجزا دونه ، وأما جعله صفة [5] عرضة فلا تظهر له زيادة معنى مع

---

(١) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم .. " الآيتين ٢٢٤ ، ٢٢٥ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٠٣ .
(٢) م فخ : يقال .
(٣) م : عليه السلام وكذلك فى خ ، وانظر تفسير الطبرى ٤ / ٤٢٠ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٦٨١ ، وسنن الدارمى ٢ / ١٨٦ والحديث بتمامه : " من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه " .
(٤) فى خ زيادة " فاعترضه " .
(٥) كلمة " صفة " ناقصة من الأصل .

افتقاره الى زيادة تقدير •

ثم جوز أن تتعلق اللام بالفعل تعلق العلية و " الأيمان " على حقيقتها و " أن تبروا " بتقدير اللام متعلقا تعلق المفعولية بالفعل أو بعرضة ، أى لا تجعلوا الله لأجل أيمانكم وكثرة حلفكم به للبر عرضة وحاجزا ، أو عرضة يعترض البر ويمنعه ويحول بينكم وبينه ، ولا يخفى أن هذا أظهر معنى من تعلقه بالفعل الا أن يكون تعلق الحالية •

وفى قوله : (بالفعل) دون أن يقول : بلا تجعلوا ، تنبيه على أنه متعلق بالمنفى لا بالنفى ، وحاصل المعنى أن جعل الله للبر عرضة ، أو جعل الله شيئا يمنع البر ويعترضه لأجل حلفكم به منهى •

ومعنى الآية على تقدير جعل العرضة على الأخرى أى بمعنى المعرض للأمر : ولا تجعلوا الله معرضا يأتيه الحلف منكم دائما لأن تبروا ، فاللام متعلق بعرضة والأيمان على حقيقتها و " أن تبروا " مقدر باللام علة للنهى أى طلب الكف لا الفعل أعنى الجعل ، والمعنى أنهاكم عن ذلك ارادة منى أن تبروا ، وتقدير الارادة بيان للمعنى لا احتياج اليه فى حذف اللام لكونه قياسا مطردا مع أن وان •

وبالجملة فالنهى معلل ، وعلى الأول المعلل منهى ، ويحتمل أن لا يكون التعليل للنهى الذى هو طلب الترك والكف ، ولا للمنهى الذى هو الفعل أعنى الجعل ، بل للمطلوب الذى هو ترك الفعل والكف عنه أى اتركوا الجعل لكى تبروا وارادة منكم ذلك ، فالتعليل بل سائر القيود الواردة بعد الأمر يحتمل أن تتعلق بالطلب وبالمطلوب الذى هو الفعل ، وبعد النهى يحتمل أن تتعلق بالطلب وبالمطلوب الذى هو
١٧٧ب الترك / وبالمنهى عنه الذى هو الفعل فليتنبه لذلك •

قوله : (فيعترض) عطف على (تعرضه) ، وضمير (دونه) و (منه) للشئ •

(فلا تجعلونى عرضة للوائم)

أوله :

دعونى أنح وجدا كنوح الحمائم

وقبله :

فكيف صفت[1] للعالمين عزائمى ؟

---

(١) قوله " صفت " ناقصة من الأصل ومنم •

أى لم تمل عزائمى للعاليين عن سننها بل أنا مستقر على ماعزمت فلا تلمنى اللوائم لأنى لا أبالى بالملام ، وفى ديوان أبى تمام :

متى كان سمعى خلسة للوائم * وكيف صغت للعالمين عزائمى (١)

ورواية عين المعانى : عرضة مكان خلسة . (٢)

قوله : (على الأولى) ، قيل : معناه على اللغة الأولى (٣) واللغة الأخرى ، وليس بجيد اذ لم نسمعهم يقولون فى المشترك لغتان ، واختلف الفقهاء فيه أى فيما هو المراد باللغو من اليمين بعد الاتفاق على تفسيره وبيان مفهومه ، فعلى قول الشافعى رضى الله عنه عدم العقد (٤) ظاهر (٥) ، وأما على قول أبى حنيفة فمعناه عدم القصد الى الكذب فى اليمين لأنه حلف على الشىء حال كونه ظانا أن الشىء كائن على الوجه الذى حلف هو عليه من الثبوت أو الانتفاء (٦) ، (هو قول العرب) هذا على طريق المثال وايراد بعض الجزئيات ، وفى التقييد بالمسجد الحرام اشارة الى أنه مع كونه من الأيمان المغلظة بالمكان ينكر كونه يمينا وحلفا .

قوله : (وفيه) أى فى قوله سبحانه (٧) " لا يؤاخذكم الله " الآية معنيان :

مبنى الأول على قول أبى حنيفة فى أن المراد باللغو الحلف بالظن ، ولهذا لا يجرى على قول الشافعى وان كان قائلا بأنه لا عقاب على الحلف بالظن ، بل فيه الكفارة فقط (٨) ، وأيضا تفسير " ماكسبت قلوبكم " بالحلف على خلاف ماعلم أعنى الغموس لا يوافق مذهبه وان كان قائلا بأن فيه المؤاخذة الأخروية التى هى العقاب ، بل هو عنده يعم الغموس والمعقودة وفيهما مع الكفارة العقاب الا فى المعقودة على الخير .

---

(١) وجدته فى ديوان أبى تمام ٣/١٤٣ :
متى كان سمعى خلسة للوائم * وكيف صغت " للعاذلات " عزائمى
وانظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٠٣ ، وتنزيل الآيات ٥١٧ ، وتفسير القرطبى ٣ / ٩٨ ، والبحر المحيط ٢ / ١٧٤ ، والموازنة ١ / ٢٠ .
(٢) تحفة الأشراف ١ / ١٣٤ .
(٣) يشير الى رأى الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٢٢٨ .
(٤) خ : عدم القصد . (٥) الأم ٧/٧ .
(٦) البحر المحيط ٢ / ١٧٩ . (٧) قوله " سبحانه " ناقص من ب .
(٨) انظر الأم ٧ / ٥٦ .

ومبنى الثانى على قول الشافعى رضى الله عنه فى تفسير اللغو والمكسوبة بما لا قصد معه وما معه القصد ، ولهذا لا يجرى على مذهب أبى حنيفة وان كان قائـــلا بأنه لا كفا حيث لاقصد ، وأيضا الزام الكفارة فيما معه القصد على الاطلاق ليـــس مذهبه اذ لا كفا عنده فى الغموس بل العقاب فقط (١) .

ومن قال : ان كلا من المعنيين يجرى على كل من المذهبين ، أراد أنه يصح فى كل منهما حمل المؤاخذة على العقاب فى العقبى أو الكفارة فى الدنيا اذا فسر اللغو والكسب بما يليق به .

١٧٨ أ قوله : (كيف عدى ؟) (٢) يعنى سواء قرىء : يؤلون ، أو آلو ، أو / يقسمون (٣) (كيف عدى) الايلاء والاقسام (بمن وهو معدى بعلى ؟) تقول : آليت على كـــذا وأقسمت عليه ، كما تقول : حلفت عليه ، والجواب أن الايلاء أو الاقسام عدى فى القسم على قربان المرأة بمن لتضمين معنى البعد ، على أن من فى هذا الموضع خاصة يجوز أن لا يكون متعلقا بيؤلون أو يقسمون ، بل بالظرف الواقع خبر المبتدأ ، أى حاصـل لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر ، واذا تحققت فهو حال من الضمير فى الظـرف ، والأول هو الوجه الجارى فى جميع الموارد ، ولذا قال : (والايلاء من المرأة) .

قوله : (ثم يوقف المولى) أى يجعل موقوفا مطالبا بالفيئة أو الطلاق (٤) ، وفـى غير الأكثر (٥) يكون يمينا ولا يثبت حكم الايلاء (٦) ، وكون الفىء فى الأشهر هو مذهب أبى حنيفة ووجه دلالة قراءة عبد الله عليه هو أن الأصل توافق القراءتين وان كانـت احداهما أو كلتاهما من الشواذ ، وليس المراد التمسك بقراءته أو تقييد المشهـورة بها ليرد بأنها شاذة (٧) .

قوله : (ماعسى يقدمون) أقحم لفظ عسى لافادة الاحتمال ، والا ففيه جعـل الصلة انشاء واستعمال عسى استعمال كاد اذ فيه ضمير الموصول ، و(يقدمون) فـى موضع الخبر ، وضمير (هو) لطلب الضرار ، وضمير (يكون) للايلاء ، و(اشفاقا) علـة

---

(١) البحر المحيط ٢ / ١٨٠ ، وروح المعانى ١ / ٢٤ .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ... " الآيات ٢٢٦ ـ ٢٢٨ ، الكشاف ١ / ٢٠٤ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ١٨٠ (٤) الأم ٥ / ٢٥٦ .
(٥) فى خ زيادة " أى من الأربعة أشهر " .
(٦) الأم ٥ / ٢٤٩ . (٧) البحر المحيط ٢ / ١٨١ ـ ١٨٢ .

(رضا) ،و(الغيل) العلوق فى الرضاع ،وارضاع المرأة وهى حامل ،و(لأجل الفيئة) متعلق(بيغفر للمولين) •

قوله : (فتربصوا) بمنزلة التفسير لقوله : " وان عزموا " وجواب الشرط " فان الله" (وعلى قول الشافعى) الى آخره عطف على قوله : (ومعنى قوله : فان فاءوا) الى آخره •

قوله : (كيف موقع الفاء ؟) لما كان الفاء فى قوله : " فان فاءوا " ظاهرا فى أن ذلك بعد أربعة أشهر كما هو مذهب الشافعى ،وكذا قوله : " فان الله سميع "يشعر بأن من الزوج قولا يسمع وهو الطلاق اذ مجرد عزم الطلاق ليس مما يسمع ،احتاج الى الجواب عنهما ،وكون التفصيل عقيب المفصل صحيح لكن ذلك انما هو بحسب الذكر ،وأما بحسب الوجود فلا تغاير ليصح العطف فضلا عن التعقيب ،فتحمل الفاء على الترتيب بحسب الذكر والاستحقاق •

والعجب أنه حمل قوله تعالى : " ونادى نوح ربه فقال [1] " على ارادة النداء لتصح الفاء [2] ،مع أن القول تفصيل لندائه ،ولا خفاء فى أن نحو : (أنا نزيلكم هذا الشهر) أيضا على تقدير العزم والارادة ،ولا كذلك " تربص أربعة أشهر " ، على أن قوله : " فان فاءوا " وقولك : (فان أحمدتكم) ليس تفصيلا لنفس الكلام السابق ،بل لما علق به من الغرض ورتب/ عليه من الأثر • ١٧٨ ب

وما ذكر من (تحديث النفس والدمدمة) أى الكلام الخفى ان أراد بحسب اللفظ فلا غالب ،وان أراد كلام النفس فليس مذهبه ،وبالجملة فلا خفاء فى أن الآية ظاهرة فيما ذهب اليه الشافعى رحمه الله[3] ونقل عن كثير من الصحابة •

قوله : (أراد المدخول بهن) لانه لا عدة على غير المدخول بها ،وعدة غير ذوات الأقراء لحمل أو صغر أو كبر بوضع الحمل أو بالأشهر ،ولابد من قيد الحرية اذ عدة الأمة قرآن لا قروء • [4]

---

(١) من الآية ٤٥ من سورة هود •

(٢) قال الزمخشرى : " فان قلت: فاذا كان النداء هو قوله "رب" فكيف عطف " قال رب" على "نادى" بالفاء ؟ قلت: أريد بالنداء ارادة النداء • ولو أريد النداء نفسه لجاء بغير فاء " انظر الكشاف ٢ /٣١١ـ٣١٢ •

(٣) قوله " رحمه الله " ناقص من خ • (٤) الأم ٥ /١٩٩ •

قوله : (بل اللفظ مطلق)[1] نفى لما عليه الجمهور من أن الجمع المعرف باللام عام مستغرق[2] لجميع الأفراد ، وذهاب الى أنه لا عموم فيه ولا خصوص ، بل هو موضوع لجنس الجموع ، والجنسية معنى قائم فى الكل وفى البعض ، والتعيين دائر مع الدليل .

والعجب أنه كثيرا مايقول فى المطلق : أطلق ليتناول جميع الأفراد ، وفى مثل : " العالمين "[3] أنه " جمع ليتناول كل ماسمى به "[4] ، وفى قوله : " وما الله يريد ظلما للعالمين[5] " أنه " نكر ظلما وجمع العالمين على معنى أنه لا يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه "[6] ، والأقرب أن يقال : هو عام خص منه المذكورات .

قوله : (كالاسم المشترك) يعنى فى صحة الاطلاق على مايصلح له ، لكن الصلوح ههنا باعتبار أمر مشترك هو الجنسية القائمة بالكل وبكل بعض على ماذكرنا ، ولا كذلك المشترك اللفظى فان صلوحه انما هو بتعدد الوضع .

قوله : (هو خبر فى معنى الأمر) ظاهر هذا الكلام على ماسيجئ فى قوله تعالى : " والوالدات يرضعن[7] " أن هذا المضارع الواقع خبر المبتدأ فى معنى الأمر فيصير مثل : زيد اضربه ، بالرفع على جعل خبر المبتدأ جملة[8] انشائية مثل : أين زيد ؟ ، ومتى القتال ؟ ، ونعم الرجل زيد ، على أحد الوجهين ، و " بل أنتم لا مرحبا بكم "[9] ، وأمثال ذلك ، وتقدير القول تكلف لا حاجة اليه ، ولا يبقى معه ماذكره فى هذا المقام من التأكيد ، وقد لخصنا ذلك فى شرح تلخيص المفتاح[10] ، ووجه هذا المجاز تشبيه ما هو مطلوب الوقوع بما هو متحقق الوقوع فى الماضى كما فى

---

(١) الكشاف ١ / ٢٠٥ .   (٢) خ ، م : مستوف .
(٣) من الآية الثانية فى سورة الفاتحة .
(٤) قال الزمخشرى " فان قلت لم جمع ؟ (أى العالمين) قلت : ليشمل كل جنس مما سمى به " . انظر الكشاف ١ / ٩ .
(٥) من الآية ١٠٨ من سورة آل عمران .
(٦) عبارة الزمخشرى " ونكر ظلما وقال " للعالمين " على معنى مايريد شيئا الخ " انظر الكشاف ١ / ٣٠٧ .
(٧) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٢١٢ .
(٨) كلمة " جملة " ناقصة من خ .   (٩) من الآية ٦٠ من سورة ص .
(١٠) المطول ٢ / ١٨ ، ٢٤٦ .

رحمه الله ،أو فى المستقبل أو الحال كما فى هذا المثال ،وبهذا يظهر أن فى قوله : (فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص) تسامحا ،والصواب يمتثلن ألبتة فهو يخبر[1] عنه موجودا فى الحال أو الاستقبال •

قوله : (وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد) اما لتكرر الاسناد[2] ، واما لأنك لما ذكرت المبتدأ أشعرت السامع بأن هناك حكما عليه ،فاذا ذكرته كان أوقع عنده من أن يذكر ابتداء[3] ،وقد بينا ذلك زيادة بيان[4] •

قوله : (لم يكن / بتلك الوكادة) أى التأكيد ولا يوجد فى كتب اللغة ،ولا فى ١٧٩ أ
استعمالات العرب ،الا أن المصنف ثقة فى اللغة فكفى استعماله ،أو هو مصدر من وكد وكده أى قصد قصده ،استعمله فى التأكيد لما بينهما من التلبس •

قوله : (لأن فيه) أى فى ذكر الأنفس ،وفاعل (يحملهن) ضمير (ذكر الأنفس) أو (مايستنكفن) ، (وذلك) أى التهييج وزيادة البعث ،و (يغلبنها على الطموح) أى يأخذن الطموح[5] من الأنفس ،يقال : غلبته على كذا أى أخذته منه ،وهذا المعنى لم يوجد فى الايلاء لأنه لم تحصل لهن المفارقة وحرمة القربان ليتحقق لهن طموح يحتاج الى مبالغة وتأكيد فى الأمر بالتصبر والتربص •

قوله : (وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام[6] " دعى الصلاة أيام أقرائك[7] ") ظاهر كلامه أن القرء ليس كما اشتهر مشتركا بين الطهر والحيض ،بل بمعنى الحيض خاصة ،لكن المتمسكات المذكورة لا تفيد ذلك ،أما الحديث فلأنه لا يدل على استعماله بمعنى الحيض ولا نزاع فيه ،وأما البواقى فظاهرة •

ولو حملنا كلامه على أنه مشترك لكن المراد فى الآية هو الحيض ،لم يكن الاستدلال بمجيئه فى الحديث وفى استعمال العرب بمعنى الحيض موجها ،ولا الاعتراض بمجيئه

---

(١) خ : فهو مخبر •
(٢) كما هو رأى السكاكى ،انظر المصباح للسيد الشريف ٢٦٧ •
(٣) على ماذهب اليه الامام عبد القاهر ،انظر دلائل الاعجاز ٩٧ •
(٤) المطول ١٨١ ــ ١٨٣ •
(٥) كلمة " الطموح " ناقصة من خ •
(٦) ب ،خ : عليه السلام •
(٧) انظر سنن ابن ماجه ١ / ٢٠٣ ،وحديث "طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان" فى صحيح الترمذى ٥/١٥٢ ،وسنن ابن ماجة ١ /٦٧٢ ،والمستدرك للحاكم ٢ / ٢٠٥ •

فى بيت الأعشى بمعنى الطهر متوجها .

والذى يلوح من كلامه أنه ينكر كونه بمعنى الطهر لكن لما قال به جماعة أقسام الأدلة على أنه فى الآية بمعنى الحيض ، ووجه الدلالة فى الحديث وفى استعمال (أقرأت وتقرئها) أنه قد ثبت فى لسان الشرع واللغة مجيئه بمعنى الحيض ، فوجب الحمل عليه حتى يثبت غيره ، ومن ادعى الثبوت فعليه البيان .

وجوابه حديث ابن عمر رضى الله عنهما على ماثبت فى الصحيحين " فليطلقها فى كل قرء تطليقه " (١) ونقل أئمة اللغة كالجوهرى وغيره (٢) ، وماذكر من حديث طلاق الأمة ليس بثبت عند الثقات ، وأما الآية فلا دلالة فيها على اقامة الأشهر مقام الحيض ، لأن الطهر لا يتصف بالعدد مالم ينقطع بالضد الذى هو الحيض فلا تتحقق الأطهار الثلاثة عند اليأس من الحيض كما لا يتحقق الحيض من غير فرق . فيجوز أن تكون الأشهر مقام الأطهار كما يجوز أن تكون مقام الحيض .

وما قلنا من الانقطاع بالدم أولى مما قيل : أن المحسوب طهر محتوش بدمين . لأن الطهر الذى وقع فيه الطلاق محسوب وان لم يكن قبله دم . وبما ذكرنا يندفع مايقال : أنه يلزم انقضاء العدة بطهر ساعة لأن الطهر اسم يقع على القليل والكثير كالماء والعسل فتتحقق الأطهار / فى ساعة ، ومن تمسكاتهم القوية أن الثلاثة اسم ١٧٩ ب
لعدد خاص لا يطلق على الأقل والأكثر ، ولزمكم بطلان ذلك حين جوزتم العدة بتمام طهرين وبعض الطهر الذى وقع فيه الطلاق ، والجواب أنه طهر واحد باعتبار انقطاعه بالدم .

وقد يعترض بأنه لم لا تكون ساعة بل لحظة من الثالث طهرا واحدا باعتبار ابتدائه من الدم ، ويجاب بأن الأول يتصف بالوحدة والكثرة عرفا دون الثانى ، كمن

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٠ / ٦٠ ، وصحيح البخارى ١٩ / ١٧٧ ، وصحيح الترمذى ٥ / ١٢٣ ، وسنن النسائى ٢ / ٩٤ ، وابن ماجه ١ / ٦٥١ ، ومسند الامام أحمد ٢ / ٦ .

(٢) قال الجوهرى : القرء بالفتح الحيض والقرء أيضا الطهر ، وقال أبو عمرو بن العلاء : وانما القرء الوقت فقد يكون للحيض وقد يكون للطهر ، وقال أبو عبيد : القرء يصلح للحيض والطهر . انظر مادة (قرأ) فى الصحاح واللسان .

كان جالسا حين دخل زيد فقام ثم جلس[1] ثم قام ، يقال : جلس جلستين مادام زيد داخلا ، بخلاف ما لو كان قائما فجلس ثم قام ثم جلس ولم يقم ، ولا يخلو عن مناقشة[2] ، ولو سلم فالمصنف قائل بجواز الأقل والأكثر مجازا حيث قال في " أربعة أيام سواء[3] " ان " سواء " لدفع التجوز[4] ، وتحقيق ذلك أنه يجعل ذلك البعض بمنزلة الكل فيصح حينئذ أن المجموع ثلاثة أو أربعة من غير أن يراد باسم العدد الأقل أو الأكثر ، ولهذا المقام زيادة بسط أوردناه في شرح التنقيح .

أما المعقول فقد يدفع بأن الطهر المحتوش بدمين أدل على استبراء الرحم من الحيض ، وهو ظاهر الفساد لأنه لو سلم اشتراط الاحتواش بالدمين فذلك من جهة الدمين لا الطهر نفسه .

قوله : (فما تقول ؟) تمسك الشافعي رضي الله عنه[5] في كون العدة بالطهر بقوله تعالى " فطلقوهن لعدتهن "[6] أي في عدتهن ، اذ اللام في مثله تفيد التأقيت والتخصيص بالوقت ، قال الله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة "[7] ، " أقم الصلاة لدلوك الشمس[8] " ، " ولما جاء موسى لميقاتنا "[9] ، " يجري لأجل مسمى "[10] .

والتأويل (بمستقبلات لعدتهن كما في قولك : لقيته لثلاث بقين) لا يدفع التمسك بل يقويه لأنه انما يقال ذلك حيث يتصل الفصل بأول الثلاث ، واذا اتصل التطليق بأول العدة كان بقية الطهر الذي وقع فيه التطليق محسوبا من العدة وفيه المطلوب ، وأما الاستقبال لا على وجه الاتصال بل مع تخلل الفصل ، فليس مدلول

---

(١) في الأصل زيادة " ولم يقم " .
(٢) خ : من مناقشة .
(٣) من الآية ١٠ من سورة فصلت .
(٤) الكشاف ٤ /١٤٧ .
(٥) قوله " رضي الله عنه " ناقص من الأصل وفي م : رحمه الله .
(٦) من الآية الأولى من سورة الطلاق ، وانظر كتاب الأم للامام الشافعي ٥ / ١٩١ .
(٧) من الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .
(٨) من الآية ٧٨ من سورة الاسراء .
(٩) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .
(١٠) من الآيات ٢ من سورة الرعد ، ١٣ من سورة فاطر ، ٥ من سورة الزمر .

اللفظ ولا مشهور الاستعمال •

قوله : (فما تقول فى قول الأعشى ؟)

أفى كل عام أنت جاشم غـــزوة * تشد لأقصاها عزيم عزائكـــــا

مورثة مالا وفى الحى رفعـــــة * (لما ضاع فيها من قروء نسائكا ؟)(١)

أى من أطهارهن اذ لا جماع فى الحيض ،فهذا تمسك لمن يجعل القرء اسمـــــا للطهر أيضا على ما أنشده الجوهرى(٢) ،فدفعه المصنف بأنه مجاز عن المدة ليصيـــر كناية عن طول المدة ،أو مرادا به الوقت ،فقد جاء القارئ والقرء بمعنى الوقـــت، قال الهذلى :

كرهت العقر عقر بنى شليـــل * / اذا هبت لقارئها الرياح(٣) ١٨٠ أ

أى لوقتها ،وقال الآخر :

اذا ما السماء لم تغم ثم أخلفت * قروء الثريا أن يكون لها قطر(٤)

---

(١) يخاطب الأعشى جاره بذلك ،ويحتمل أن يكون الخطاب لنفسه على سبيـــــل التجريد ،وروى :
" وفى " كل عام أنت جاشم " رحلـــة "
تشد لأقصاها "عظيم" عزائكـــــا
و " مؤثلة عزا وفى المجد " رفعة ،وكذلك : " وفى الأصل رفعة " و"وفى الحمـــد رفعة " ،انظر ديوان الأعشى ١٣٢ • ومشاهد الانصاف ١/ ٢٠٦ ،وتنزيـــــل الآيات ٤٧٠ ،وتفسير القرطبى ٣/ ١١٣ ،والمحتسب لابن جنى ١/ ١٨٣ ،والكامل للمبرد ١/ ١٦٢ ،والخزانة ٢/ ٦١ ،والعمدة ٢/ ٢٩٢ ،وارتشاف الضرب ١/ ١٥٦ ، وهمع الهوامع ٢/ ١٤١ ،والصحاح مادة (قرأ) ،ولسان العرب مادتى (قرأ) و (غزا) •

(٢) الصحاح مادة (قرأ) •

(٣) البيت لمالك بن الحارث ،والعقر مكان ،وكرهه لأنه قوتل فيه ،وشليل جد جريـــر ابن عبد الله البجلى ،وروى : شليل بدون تصغير ،و " شنئت " مكان " كرهت " انظر ديوان الهذليين ٣/ ٨٣ ،واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٢٦٥ ،وتفسير القرطبـــى ٣/ ١١٣ ،والصحاح مادة (قرأ) ،ولسان العرب مواد (قرأ) ، (شلل) ، (عقر) •

(٤) الثريا نجم ،وروى " أن يصوب" بدل " أن يكون " انظر مادة (قرأ) فى الصحـــاح واللسان •

يريد وقت نوئها الذى تمطر فيه الناس حتى قال أبو عمرو : " انما القرء الوقت فقد يكون للحيض وقد يكون للطهر " (١) .

ولا خفاء فى بعد الوجهين (٢) عن مقتضى المقام وبعد اشتهار القرء بمعنى الحيض فى الاعتداد بهن قبل ورود الشرع ، فكيف وبعد ، هذا الخلاف ؟ وفى أنه اذا جاء بمعنى الوقت طهرا كان أو حيضا احتملت الآية كلا منهما ، كما (٣) اذا كان مشتركا واحتيج الى الترجيح .

ومعنى البيت أنه ينكر على نفسه طول غيبته عن الحى وركوبه كل عام مخاطرة الحروب والغارات ، لكن القصد الى اثبات ذلك فهو استفهام لتقرير يشوبه انكسار ، وجشمت الأمر : تكلفته على مشقة ، والظرف متعلق بجاشم لكون التقدير راجعا اليه ، والعزيم (٤) : العزيمة ، والعزاء : الصبر ، مورثة : صفة غزوة أى تورث المال والجاه ، لأجل ماضاع من أطهار النساء وبسببها ، فهو علة للتوريث أى لأجل صرف الأوقات وترك الشهوات قد ظفرت بالأمرين ، وليس تعليلا للانكار ، ولا من قبيل : " ليكون لهم عدوا وحزنا " (٥) .

قوله : (فعلام انتصب ؟) يعنى هب أنها بمعنى الحيض لكن مامعنى تربص ثلاثة حيض ؟ ، وكان ينبغى أن يبين المفعول اذا جعل " ثلاثة قروء " ظرفا .

قوله : (يتسمون) يعنى أن ذلك جائز على السعة فلا استبعاد كيف والمرجح قائم وهو كثرة الاستعمال ؟ وأما " الأنفس " فكأن النكتة فى تقليلها الايماء الى أن التطليق ينبغى أن يكون قليل الوقوع من الرجال .

قوله : (من الولد أو من دم الحيض) والأول أوجه لأنه المخلوق فى الرحم دون الدم ، (أن تضع) مفعول (ينتظر) ، و (لطلاقها) أى لأجل طلاقها ، و (أو كتمت حيضها) عطف على (كتمت حملها) ، و (يجحدنه لذلك) أى لاستعجالهن الطلاق أو لطلبهن الاسقاط .

---

(١) الصحاح مادة (قرأ)
(٢) أى الذين ذهب اليهما الزمخشرى فى بيت الأعشى .
(٣) قوله "كما" ناقص من خ .
(٤) كلمة " العزيم " ناقصة من الأصل .
(٥) من الآية ٨ من سورة القصص

قوله : (تعظيم لفعلهن) (١) يعنى ان قوله : " ان كن يؤمن " ليس شرطا لقوله : " لا يحل " حتى لو لم يؤمن حل لهن ذلك ، بل هو متصل بيكتمن قصدا الى عظم ذلك الفعل ، بحيث أن عدم الأقدام عليه من لوازم الايمان .

قوله : (فى مدة ذلك التربص) يعنى ان " ذلك " اشارة الى التربص ، والمضاف محذوف .

قوله : (المعنى أن الرجل) يعنى ليس المعنى أن بعولتهن أحق بالرجعة منهن بها ليلزم أن يكون لهن حق فيها ، بل ان بعولتهن أحق بالرجعة منهن بالاباء ، وان جعلت الباء للملابسة فالمعنى أنهم أحق حال تلبسهم بالرجعة منهن / لذلك ، وذلك لأن تلبسهم بها : ارادتها ، وتلبسهن : اباؤها ، وقد يقال : ١٨٠ ب
معنى كلامه أن اباء المرأة سمى الرجعة للتلبس أو المشاكلة أو من باب الصيف أحر من الشتاء (٢) ، وليس بذاك .

قوله : (درجة زيادة فى الحق وفضيلة) وذلك أن الدرجة هى المرتبة والمنزلة حيث (٣) يعتبر الصعود كدرجة السطح والسلم فلذا يعبر بها عن المنزلة الرفيعة وهو معنى الفضيلة ، وأصلها بمعنى الدنو والتقارب ، يقال : درج الصبى اذا حبا لتقارب مواضع انتقالاته ، وكذلك الصعود لصعوبته بالنسبة الى الانحدار والمشى على مستو ، ومنه التدريج فى الأمور والاستدراج من الله تعالى .

قوله : (على التفريق) (٤) بأن يوقع فى كل طهر ، ثم الظاهر أن هذا مدلول المثنى الذى قصد به التكرير ، لأن معنى قولنا : واحد بعد واحد ، عدم الاجتماع فى الحدوث ، وان جاز الاجتماع فى الوجود ، فما قيل : لم يرد أنه اذا حمل على التكرير أفاد ذلك ، بل أراد أن المعنى مرة بعد مرة وانه لا ينافى الترتيب والاجتماع اذ لا يراد فى لبيك مثلا ان الاجابات لا يجتمعن ، ولكن لما كان الامساك بدعيا تعيين

---

(١) الكشاف ١ /٢٠٧ .
(٢) والذى قال ذلك هو الفاضل اليمنى فى كتابه تحفة الأشراف ١ /١٣٦ .
(٣) م : من حيث .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " الطلاق مرتان .. " الآيتين ٢٢٩ — ٢٣٠ سورة البقرة ، الكشاف ١ /٢٠٧ .

أن يحمل على التفريق ،ليس على ماينبغي ،وليت شعري اذا لم يكن في الآيـــة دلالة على التفريق كيف يكون تعليما لكيفية التطليق ؟، •

قوله : (لبيك وسعديك) أى البابا بعد الباب ،واسعادا بعد اسعاد ،على حذف الزوائد ،ومعنى ألب بالمكان أقام به ،و (حنانيك) أى رحمة بعد رحمـة ،و (هذا ذيك) أى قطعا بسرعة بعد قطع ،و (دواليك) أى مداولة بعد مداولة ،من تداولته الأيدى : أخذته هذه فهذه •

قوله : (بعد أن علمهم) اشارة الى الفاء فى " فامساك " اذ الامســـاك بمعروف أو التسريح باحسان انما يتصور قبل الطلقات[1] لا بعدها ،يعنى أنهـــا للترتيب على التعليم ،كأنه قيل : اذا علمتهم[2] كيفية التطليق فالواجب احـــد الأمرين •

قوله : (معناه الطلاق الرجعى) يعنى أن اللام للعهد والاشارة الى مادل عليه قوله : " وبعولتهن أحق بردهن " ،يعنى أن الطلاق المعقب للرجعة ثنتـان فالمثنى على أصله والفاء على ظاهرها •

قوله : (انما السنة)[3] ،قيل : هذا انما يدل على أن جمع الطلقتين أو الطلقات فى طهر واحد ليس بسنة ،وأما أنه بدعة فلا ،لثبوت الواسطة ،وقد علم من الحديـث أن ماذكر فى قوله تعالى : " فطلقوهن لعدتهن[4] " من أن المعنى مستقبـــلات لعدتهن التى هى الحيض ،لا يفيد كون الطلاق قبل العدة / ليكون فى الطهـــر 181أ
وذلك لأنه أمر [باستقبال الطهر ،فلو كان معنى[5]] الاستقبال ماذكر ،لزم كون الطلاق فى الحيض •

قوله : (لا بأس بارسال الثلاث)[6] بمعنى أنه ليس بحرام ولا طلاق بدعى وان لم يكن من السنة ،ووجه التمسك أنه لا يجوز للنبى عليه الصلاة والسلام[7] تقريـــر

---

(١) فى الأصل " الطاعات " ،وفى ط : قبيل الطلقات •
(٢) خ ،ط : اذا علمتم •
(٣) سنن الدارمى ٢/١٦٠ •
(٤) من الآية الأولى من سورة الطلاق ،وانظر الكشاف ٤/٤٤٣ •
(٥) مابين المعقوفين ناقص من الأصل •
(٦) انظر الأم ٥/١٢٢ •
(٧) ب ،خ : عليه السلام •

المعصية سيما بمحضر من المسترشدين (١) .

قوله : (جميلة بنت عبد الله) اتفقوا على ان الصواب : أخت عبد الله (٢) .
(لا أنا ولا ثابت) أصله لا أجتمع أنا وثابت ، فحذف الفعل ، ومعنى (اكره الكفر في الاسلام) ان بغضي له أخاف أن يفضي الى ما هو كفر في الدين ، وقد يقال : المراد كفران العشير ، وليس بذاك .

قوله : (لم يطابقه قوله : فان خفتم) لأنه ليس للأزواج قطعا بل للحكام .

قوله : (لأنهم الذين يأمرون) هذا القدر كاف في اسناد الأخذ والايتاء اليهم وان لم يكن مسبوقا بالترافع ، قيل : لا يبعد أن يكون الخطاب ما لم يقصد به مخاطب دون مخاطب (٣) ، كأنه قيل : أيها الناس ، أو يكون للأزواج والحكام وينصرف الى كل منهم ما يليق به من الأحكام .

قوله : (من الصدقات) بضم الدال ، يقال للمهر : صدقة بضم الدال ، وصدقة بضم الصاد وسكون الدال ، وصداق وصداق بالفتح والكسر .

قوله : (ترك اقامة) تفسير " أن لا يقيما " بترك الاقامة ثم تعليله بما يحدث من النشوز اشعار بأن عدم الاقامة لا باختيار منه ولا بنشوز منها لا يوجب حل الأخذ .

قوله : (من بذل ما أوتيت) اشعار بأن عدم الجناح لا ينحصر في أخذ بعض ما أوتيت على ما يشعر بظاهر الاستثناء حيث كان في معنى " الا أن يخافا " فانه حينئذ يحل (٤) أن تأخذوا شيئا مما آتيتموهن ، ولهذا لم يقتصر على الاستثناء بل ضم اليه " فان خفتم " الى آخره ، لكن عموم " ما افتدت " يشعر بجواز الزيادة أيضا فلذا قال (٥) : (وهو جائز في الحكم) .

---

(١) وحديث العجلاني هذا في صحيح البخاري ١٩ / ١٨٣ كتاب الطلاق ، باب من أجاز طلاق الثلاث ، و ١٩ / ٢٢١ باب اللعان ومن طلق بعد اللعان ، وصحيح مسلم ١٠ / ١١٩ كتاب اللعان ، وسنن النسائي ٢ / ٩٦ .
(٢) انظر صحيح البخاري ١٩ / ١٩٨ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٦٦٣ ، وتفسير الطبري ٤ / ٥٥٢ ، وابن كثير ١ / ٥٤١ ـ ٥٤٢ .
(٣) قوله " دون مخاطب " زائد في م . (٤) خ : " يحل حينئذ " .
(٥) ط ، خ : فلهذا قال .

قوله : (أقر لعيني منهن)(١) من صفات الأحيان أى ليلة أقر لعينى من تلك الليالى الثلاث •

قوله : (يعنى بما لها كله)(٢) قال المصنف : هذا مبنى على قولهم : " خذه ولو بقرطى مارية " كان فيهما درتان ثمينتان قيمتهما أربعون ألف دينار ، ومارية بنت ظالم بن وهب أم الملوك من غسان جدة جبلة بن الأيهم ، يقال : انها أهدت قرطيها الى الكعبة وفيهما درتان كبيضتى حمام لم ير الناس مثلهما ، يضرب في الشيء الثمين المرغوب(٣) " ، ويجوز أن يكون وجه الكناية بالقرط عن كل المال ما اشتهر في العرف من قولهم : أخذوا مال فلان حتى نزعوا القرط من آذان نسوانه •

قوله : (ونحوه : " وأسروا النجوى "(٤)) في كون المظهر بدلا من الضمير المرفوع البارز/ والا فالضمير ههنا معين والبدل اشتمال ، وفي " أسروا " مبهم والبدل كل أو بعض • ١٨١ ب

قوله : (ويعضده قراءة عبد الله(٥)) حيث لم يسند الخوف أى الخائفية اليهما •

قوله : (فان طلقها) الوجه الأول ناظرا الى كون " الطلاق " للجنس و " مرتان " للتكرير ، والثانى الى كونه للعهد و " مرتان " للتثنية ، ومعنى الفاء على هذا ظاهر ، وأما على الأول فللتفريع وللترتيب على التعليم كأنه قال : اذا علمت ذلك فان طلقها ذلك الطلاق مكررا الى الثالثة فلا تحل ، لكن لا يخفى أنه لا يبقى حينئذ لقوله " من بعد ذلك " كبير فائدة ، سيما وقد قالوا : ان قوله : (واستوفى نصابه) بيان وتوضيح لا تقدير وتقييد •

قوله : (لابد من الاصابة لما روى(٦)) ، من قواعدهم أن الزيادة على الكتاب

---

(١) تفسير الطبرى ٤/ ٥٧٦ • (٢) قوله " كله " ناقص من الأصل •
(٣) انظر المستقصى فى أمثال العرب ٢/ ٧٣ ، ومجمع الأمثال ١/ ٢١٢ •
(٤) من الآية ٣ من سورة الأنبياء • (٥) البحر المحيط ٢/ ٢١٣ •
(٦) والحديث فى صحيح البخارى ١٩/ ١٨٤ ، وصحيح مسلم ١٠/ ٢ ، وصحيح الترمذى ٥/ ٤٢ ، وسنن النسائى ٢/ ٨٠ وسنن ابن ماجه ١/ ٦٢١ ، وتفسير الطبرى ٤/ ٥٩٥ •

لا تجوز بخبر الواحد الا اذا كان مشهورا تلقته الأمة بالقبول ،فيكون كالمتواتر وان لم يبلغ مرتبته ،وخبر العسيلة كذلك ،الزبير بفتح الزاى وكسر الباء والعسيلة : مجاز عن قليل الجماع اذ يكفى قليل انتشار ،قال الجوهرى : " شبهت تلك اللذة بالعسل ،وصغرت بالهاء ،لأن الغالب على العسل التأنيث ،وقيل : لأنه أريد العسلة وهى القطعة منه كما يقال للقطعة من الذهب: ذهبة [1] " ،وفى الأساس: " من المستعار العسيلتان للحضرين ،لكونهما مظنتى الالتذاذ [2] "

قوله : (لأرجمنك) تشديد وتغليظ ومبالغة فى الزجر والمنع ،ولذلك قال : (فمنعها) أى بالكلية ،وكذا قوله : (لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما)[3] .

قوله : (لا) أى لا أجوز (الا نكاح رغبة) [4] ،والمدالسة تشبه المخادعة .

قوله : (فقد وهم) بالكسر أى غلط ، أما لفظا فلأن أن الناصبة لا تقع بعد العلم لأنه للتحقيق ،والاستقبال ينافيه ،وانما تقع بعده [4] المخففة من الثقيلة ،وأما معنى فلأن الانسان بالنظر الى ذاته لا يعلم مافى الغد .

قوله : (أى آخر عدتهن [5]) لا خفاء فى أن ليس المعنى على بلوغهن الأجل ووصولهن الى العدة ،ولا على بلوغهن آخره بحيث ينقطع الأجل ،بل على وصولهن الى قريب من آخره ،فوجب تفسير الأجل بآخر المدة ،والبلوغ بمشارفته والقرب منه ، ولفظ (أيضا) فى قوله : (ويتسع فى البلوغ أيضا) ربما يشعر بأن اطلاق الأجل على أحد المعنيين وهو آخر المدة على ماذكره الجوهرى [6] ،وجميعها على مانقل الأزهرى عن الليث بطريق الاتساع [7] .

---

(١) الصحاح مادة (عسل) .   (٢) اساس البلاغة مادة (عسل) .

(٣) النهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٣١ .

(٤) فى المستدرك للحاكم ٢/ ١٩٩ عن ابن عمر لا عن عثمان رضى الله عنهما .

(٥) قوله "بعده " ناقص من الأصل ومن ط .

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ... " الآيتين ٢٣١ ، ٢٣٢ ،الكشاف ١/ ٢١٠ .

(٦) ماقاله الجوهرى هو " الأجل مدة الشىء ،واستأجلته فأجلنى الى مدة " الصحاح مادة (أجل) .

(٧) وما وجدته فى تهذيب اللغة للأزهرى ١١/ ١٩٣ ،مادة (أجل) هو " قال الليث: الأجل غاية الوقت فى الموت ومحل الدين ونحوه " . ومن هنا يتبين أن مانسبه السعد الى الجوهرى من اطلاق الأجل على آخر المدة ،الصواب أنه هو مانقله الأزهرى عن الليث وأن اطلاق الأجل على جميع المدة هو ماذكره الجوهرى لا ما نقله الأزهرى عن الليث .

وأما الغاية فى قوله : (من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية) فالمراد بها المسافة أو ذو الغاية مطلقا على مايعم المكانى والزمانى بطريق الحذف أو ١٨٢/أ التوسع لاجميع المدة حقيقة لاختصاصها بالزمان ٠

قوله : (وقال) أى الطرماح :

(كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى أمده[1])

أى أجله ومدته ، وقد ذكر فى موضع آخر ان اطلاق الأمد على الجميع تجوز[2] .

قوله : (ويقال : قد وصلت) يعنى أن هذا الاتساع جار فى كل ماهو فى معنى البلوغ كالوصول ، وتحقيقه أنه مجاز باعتبار مايؤول ، أو استعارة تشبيها للمتقارب الوقوع بالواقع فى البعد عن القوة المحضة ، والقرب من حصول الأثر ٠

قوله : (ولأنه قد علم) عطف من حيث المعنى على قوله : (والأجل يقع على المدة) الى آخر الكلام ، يعنى أن المعنى شارفن منتهاها لأن استعمال بلوغ الأجل فى هذا المعنى جائز ، ودليل امتناع الحمل على حقيقته قائم ، وقد يجعل عطفا على (يتسع فى البلوغ) ٠

قوله : (فاما أن يراجعها) فى موقع خبر مبتدأ أى فالواجب اما المراجعة واما التخلية ، وقوله : أو تسريح باحسان ، صوابه : أو سرحوهن بمعروف[3] ، كما فى بعض النسخ[4] .

قوله : (أى جدوا فى الأمر) يعنى أن هذا النهى كناية عن ذلك الأمر ٠

قوله : (والا فلا تلعب بالتوراة) جعل ترك العمل بها والجد فى أمرها بمنزلة

---

(١) البيت فى ديوان الطرماح ص ١١٢ هكذا :
كل حي مستكمل "عدة العمر" ومود اذا "انقضى عدده" وروى " اذا انتهى أجله " انظر شواهد الانصاف ١/ ٢١٠ ، وتنزيل الآيات ٨٧ ، ٣٧٨ ، ٤٧٨ ، والفائق ١/ ٢٦ ٠

(٢) نص فى تفسير قوله تعالى : " وحمله وفصاله ثلاثون شهرا " من الآية ١٥ من سورة الأحقاف قال : " فان قلت : المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام ، فكيف عبر عنه بالفصال ؟ قلت : لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى المدة بالأمد من قال : ٠٠ " وذكر البيت ٠ انظر الكشاف ٤/ ٢٣٩ ٠

(٣) قوله " بمعروف " ناقص من الأصل ٠

(٤) مثل النسخة التى بين يدى ١/ ٢١١ ٠

للحصيها فضلا عن ذلك .

قوله : (بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم) فسر النعمة بهذا ليحسن عطف " اذكروا " على " لاتتخذوا آيات الله هزوا " ويحسن عطف " ماأنزل عليكم " على " نعمة الله " فيتلاءم النظم غاية التلاؤم ، وليس عطف " ماأنزل " على " نعمة " المفسرة بما ذكر عطف الخاص على العام ، أو بمنزلة التفسير والبيان ، وان كان الانعام بالاسلام والنبوة شاملا لانزال القرآن والسنة لأن المنزل غير الانزال .

قوله : (ولحمية الجاهلية) يجوز أن يتعلق (بلا يتركون) وأن يكون عطفا على (ظلما) و(لا يتركون) بيان وتفسير (لتعضلوهن) .

قوله : (واما أن يخاطب به الأولياء) (فأزواجهن) على هذا باعتبار ماكان ينكحونهم يرجعن اليهم ، وعلى الأول باعتبار مايؤول ومعنى (ينكحنهم) يحسن ذوات نكاحهم من قولهم : فلانة ناكح في بني فلان ، وحاصله ينكحن أزواجهن (١)

قوله : (والوجه أن يكون خطابا للناس) ليتناول عضل الأزواج والأولياء جميعا مع السلامة من انتشار ضميري الخطاب ، فان الخطاب في قوله تعالى : " اذا طلقتم " لا يصلح للأولياء قطعا ، وأما قوله : (لأنه اذا وجد) الى آخره ، فتعليل لصحة التعبير بلا تعضلوا ، عن لا يوجد فيما بينكم العضل ، فان لا تعضلوا يقتضي مباشرة كلهم العضل ، يعني أن كونهم كالمباشرين للعضل بحيث / يصح نهيهم عنه من لوازم ١٨٢ ب
وجود العضل فيما بينهم مع رضاهم به ، فيجعل النهي عن اللازم كناية أو مجازا عن النهي عن الملزوم .

قوله : (فاصطنعني اعترافا) ان جعل (لن) متعلقا (بقصائدي) لما فيها من معنى الفعل أي مدائحي ، وان جعلته خبر (ان) و(فغاض) خبرا آخر ، فهو تهجين وتفريح ، أي اذا كان كذلك فأحسن الي ، والعقيلة : الكريمة ومعنى (عدلن عن النكاح) أن بنات أفكاري لم تزف الى غيرك ، ولم يمدح بهن سواك من كثرة الراغبين فأحسن الي وأنعم بأداء مهورهن .(٢)

---

(١) ن ، م : ينكحن الأزواج .
(٢) والبيت لابراهيم بن هرمة وهو في ديوانه ص٦٠ هكذا :

قوله : (وبلوغ الأجل على الحقيقة) لا المشارفة كما في الآية السابقة ، لأن النهي عن العضل انما هو بعد التمكن من النكاح ، وذلك بعد انقضاء العدة ، بخلاف الامساك فانه انما يكون في العدة ، وهذا معنى (دلالة سياق الكلامين على افتراق البلوغين) (١) .

قوله : (المروة) (٢) أصلها المروءة بالهمزة من المرء ومعناها كمال الرجولية والانسانية ، يريد بعضها يستحسن في الرسوم والعادات .

قوله : (ومن مذهب أبي حنيفة) تأييد لتفسير " المعروف " بمهر المثل ، وحق الاعتراض عليهم أن يتم لها مهر المثل أو يفارقها ، وعندهما ليس لهم حق الاعتراض (٣) وأما عند الشافعي فليس للمرأة أن تزوج نفسها أصلا . (٤)

قوله : (لمن الخطاب؟) يعني أن الكاف في مثل : " ذلك " و " أولئك " وان كان حرفا لا ضميرا و كناية عن مخاطب ، لكن لابد له من معنى الخطاب (٥) ، وههنا افراده يمنع كونه خطابا لمن خوطب بلا تعضلوهن ، فجعله خطابا للرسول [صلى الله عليه وسلم] (٦) ، فانه الأصل في تلقي الكلام ، أو لكل أحد ممن يتلقى الكلام ، وحرف الخطاب يكون لمن يسمع ويتلقى الكلام ، سواء كان هو المخاطب بالحكم أو لم يكن ، ومثله : " ثم عفونا عنكم من بعد ذلك " (٧) ، ولعلك تطلع مما ذكرنا على فساد ما قيل : أن مبنى الأول على أن خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب كلهم ، كما في قوله تعالى (٨) : " يا أيها النبي اذا طلقتم النساء " (٩) ، ولذا قال " من كان منكم " ، وان كان (١٠) الثاني

= " كأن " قصائدي لك فاصطنعني * " كرائم " قد عضلن عن النكاح
وانظر مشاهد الانصاف ١ / ١١٤ ، وتنزيل الآيات ٥٨٣ ، والبحر المحيط ٢ / ٢٠٦ .

(١) انظر الأم للامام الشافعي ٥ / ١٠٥ . (٢)

(٢) عبارة نسخة الكشاف التي بين يدي " المروءة " انظره ١ / ١١٤ .

(٣) أي عند أبي يوسف ومحمد ، انظر مفاتيح الغيب للامام الرازي ٢ / ٦٦٢ .

(٤) انظر الأم ٥ / ١١٤ .

(٥) خ ، م : لابد فيه من معنى خطاب .

(٦) مابين المعقوفين ناقص من م .

(٧) من الآية ٥٢ من سورة البقرة .

(٨) قوله " تعالى " ناقص من الأصل .

(٩) من الآية الأولى من سورة الطلاق ، ولعل السعد يشير بذلك الى ماذهب اليه القاضي البيضاوي حيث قال في انوار التنزيل ١ / ٢٤٤ : " اذا كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فهو كقوله تعالى : " يا أيها النبي اذا طلقتم النساء " للدلالة على أن حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل أحد " .

(١٠) كلمة " كان " ناقصة من خ .

أرجح من جهة أن الخطاب السابق واللاحق لكل أحد ،فالأنسب أن يكون المتوسط كذلك . (١)

قوله : (أطهر من أدناس الآثام) ينبغي أن يكون من وصف الشيء بوصف صاحبه ،لأن التنزه من دنس الاثم والتلطخ به يكون من صفات العبد دون الفعل أو المترك ،كترك العضل المشار اليه بقوله " ذلكم " ،ثم اذا كان " أزكى " من قبيل تزكيهم بها أي تطهيرهم ،فعطف " وأطهر " للتفسير ،وان كان من زكى بمعنى نمى ، فمعنى " أزكى " أفضل وأكثر/ خيرا ،وحينئذ فالأنسب أن يراد بالأطهر الأطيب ١٨٣ أ
لقلة الفائدة في تبعيده من دنس الآثام مع ما فيه من التكلف .

قوله : (يرضعن) (٢) قد مر ههنا بأنه في معنى الأمر ،ووجه التأكيد بناؤه على المبتدأ .

قوله : (لأنه) أي ذكر الحولين و " عشرة " (٣) ونحو ذلك (مما يتسامح فيه) فيطلق على الأقل القريب من التمام ،وهذا لا ينافي ما ذكروا من أسم العدد خاص في مدلوله لا يحتمل الزيادة ولا النقصان ،لأن معناه أنه لا يطلق على التسعة أو أحد عشر مثلا ،والتسامح الذي أثبته هو أن يجعل شيء من أبعاض الآحاد منزلا منزلة الواحد فتطلق العشرة ولا يراد منها الا عشرة آحاد ،لكن في بعض الآحاد بطريق التشبيه وتنزيل بعض الشيء منزلة كله كما يقال للقريب من الحول : حول .

قوله : (تشبيها لأن بما) (٤) لتشاركهما في كون الفعل معهما في تأويل المصدر ،ولهذا انصب بما كما في قوله عليه الصلاة والسلام (٥) : " كما تكونوا يول عليكم " وان كان بينهما فرق من جهة اختصاص أن بالمستقبل بخلاف ما .

قوله : (هيت لك) (٦) أي هلم وأسرع ،و "لك" بيان لمن خوطب بهذه الكلمة أنه واحد مذكر ،يقال : هيت لك ،لكما ،لكم ، لك ،لكما ،لكن ،فتبين بذلك حال المهيت به ،يقال : هيت به وهوت به أي صاح به ،وأما بحسب اللفظ فهذا الظرف

---

(١) ولكن الطيبي يرى ان " الأول أوجه لأنه أوفقهما في سورة الطلاق " انظر فتوح الغيب ١ /٢٤٧ .

(٢) شروع في تفسير قوله تعالى : " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ... " الآية ٢٣٣ سورة البقرة ،الكشاف ١ /٢١٢ .

(٣) من قوله تعالى : " تلك عشرة كاملة " من الآية ١٩٦ سورة البقرة .

(٤) البحر المحيط ٢ /٢١٣ .

(٥) خ : عليه السلام .

(٦) من الآية ٢٣ من سورة يوسف .

يعد خبر مبتدأ محذوف ،أى هذا الخطاب أو الحكم لك ،وقد يذكر فى مثل : " ذلك لمن خشى العنت "(١) .

قوله : (بوقت) أى بحد ،مصدر وقته فهو موقوت اذا بين له وقتا يفصل فيه .

قوله : (أو معتدة من نكاح)(٢) وذلك فى الرجعية ،وأما فى البائن فاختلاف رواية .

قوله : (فما بال الوالدات ؟) يعنى اذا كان وجوب الارضاع على الأب دون الأم فما بال الوالدات أمرن بالارضاع أوكد أمر بقوله : " والوالدات يرضعن " على مامر(٣) .

قوله : (أراد الوالدات المطلقات) ،وحينئذ فايجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع لعدم بقاء علقة النكاح الموجب لذلك ، فلو لم ترضعهم الوالدات لم تجب النفقة والكسوة لهن .

قوله : (وله فى محل الرفع) وكأنه لم يجعل الفاعل ضمير الولد لأنه غير مقصود ، وانما المقصود أن(٤) رزقهن على من وقعت الولادة له .

قوله : (وللأبناء آباء)(٥) فى حيز (انما) فالمعنى مالهم الا الآباء دون الأمهات ،فرواية " للآباء أبناء " لا تستقيم فضلا عن أن تكون أولى ،ومعنى قوله : (أنشد للمأمون) أنشد لأجله وفى حقه لما روى أنه عابه / هشام بن على فقال : بلغنى أنك تريد الخلافة ،وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة ؟ فقال : كان اسماعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فأخرج الله تعالى من صلب اسماعيل خير ولد آدم عليه السلام(٦) ،فأنشد ١٨٣ ب

---

(١) من الآية ٢٥ من سورة النساء ،وعبارة ب: " وقد يذكر مثل ذلك فى" لمن خشى العنت" .
(٢) انظر أنوار التنزيل ١٦٢/١ ،والبحر المحيط ٢١٢/٢ ،والأم ٧٨/٥ .
(٣) أى من أنه خبر فى معنى الأمر ووجه التأكيد بناؤه على المبتدأ .
(٤) كلمة " أن " ساقطة من الأصل .
(٥) رواية نسخة الكشاف التى معى : " وللآباء أبناء " انظر الكشاف ٢١٢/١ .
(٦) فتوح الغيب ٢٤٨/١ .

الشاعر :

لا تزرين بفتى من أن تكون لــه * أم من الروم أو سوداء دعجــاء[(١)]

فانما أمهات .. البيت ، والدعج شدة سواد الحدقة وشدة بياضها ، وفى التصريح باسم الأب لطف لا يخفى .

قوله : (لا تكلف بالنون) [(٢)] ولا محالة تقرأ " نفسا " بالنصب .

قوله : (على النهى) [(٣)] يعنى فى قراءتى الفتح والكسر ، فالفتح للخفة ، والكسر على أصل حركة الساكن (وهو) أى " لا تضار " سواء كان بالفتح أو بالكسر محتمل لبناء الفاعل ، بأن تكون الراء الأولى فى الأصل مكسورة ، ولبناء المفعول بأن تكون مفتوحة .

قوله : (على نية الوقف) بأن يكون الاسكان للوقف فيغتفر التقاء الساكنين بخلاف الجزم .

قوله : (ويجوز أن تضار) يعنى لما كان " تضار " فى أصله متعديا بنفسه قدر له مفعول ، وجعل الباء فى " بولده " للسببية ، فيجوز أن يكون بمعنى تضر لتكون الباء صلة له ، والمجرور فى موقع المفعول به .

قوله : (لما نهيت المرأة) هذا ظاهر على تقدير كون " تضار " بمعنى تضر ، والولد فى موقع المفعول به ، وأما على الوجه المختار فيمكن تمشيته بأن اضرار الزوجة بالزوج [(٤)] أو بالعكس بسبب الولد يعود الى الاضرار بالولد .

قوله : (وعلى الوالدات عطف) يعنى أن جملة " على الوارث مثل ذلك " عطف[(٥)] على جملة " على المولود له رزقهن " ، والمراد بالوارث وارث المولود له على العموم

---

(١) هذا وقيل ان المأمون انشد ذلك حين كتب اليه أخوه الأمين يوبخه على الخلافة بغير استحقاق ، وروى : " لا تزرين فتى " و " عجماء " مكان " دعجاء " والعجماء التى لا تفصح فى كلامها ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢١٢ ، وتنزيل الآيات ٣١٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٢١٤ ، وسمط اللآلى ٢ / ٧٩٥ .

(٢) الكشاف ١ / ٢١٢ .

(٣) البحر المحيط ٢ / ٢١٥ .

(٤) خ ، م : الزوج بالزوجة .

(٥) كلمة " عطف " ساقطة من الأصل .

أو الصبي نفسه ،أو وارث الصبي على العموم ،أو بقيد أن يكون ذا رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير أن يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى ، أو بقيد أن يكون أحد أصوله من الآباء والأمهات والاجداد والجدات ،أو بقيد أن يكون من عصبته ،وأما جعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة [1] فقلق في هذا المقام ،اذ ليس لقولنا : فالنفقة على الأب وعلى من بقي من الأب والأم ،معنى يعتد به .

قوله : (بعد التحديد) أى تعيين الحولين بحيث لا يزاد ،وأما جواز النقصان فقد علم من قوله : " لمن أراد أن يتم " على ماذكره قتادة ،وحينئذ يشكل القول بأن هذه التوسعة انما هي في جانب النقصان في مدة الحولين ،وان عدم جواز التجاوز بحاله ،وغايته أن يقال : القصد الى الاعلام بأن لهم دخلا في ذلك .

قوله : (وانما اعتبر تراضيهما) [المقصور عليه مجمل مقدر يفصله / قوله : (أما ١٨٤ أ
الأب) الى آخره ،أي انما اعتبر تراضيهما] [2] لما أذكر ،أما اعتبار الأب (فلا كلام فيه) أى فلولايته وقوة نظره ،وأما اعتبار الأم فلفرط شفقتها وعلمها بحال الصبي .

قوله : (وقرئ فان أراد) [3] أى المولود له .

قوله : (استرضع منقول) قاعدة التصريف أخذ استفعل وسائر أبواب المزيد من المجرد ،لكن المعنى ههنا على طلب أن ترضع الأم الصبي ،من أرضعت المرأة الصبي ،لا على طلب أن يرضع الصبي الأم ،من رضع الصبي الأم أو الثدي : فلهذا جعله منقولا من أرضع لا من رضع ،وحذف أحد مفعولي باب أعطيت جائز ،لكن ههنا بمنزلة الواجب وقلما يوجد في الاستعمال استرضعوا فلانة ولدها ،وماذكر من الاستغناء انما هو عند عدم القصد الى خصوص المرضعة .

قوله : (ما أردتم ايتـــــــاءه) لأن ما تحقق ايتاؤه لا يتصور تسليمه في المستقبل ،وكذا قراءة " ما أتيتم " [4] معناه ما أردتم فعله ،اذ لا يستقيم على ظاهره كما توهم بخلاف قراءة " ما أوتيتم " [5] .

---

(١) قوله " لغة " ناقص من خ .　　　　(٢) مابين المعقوفين ناقص من م .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٢١٧ .
(٤) أنوار التنزيل ١ / ١٦٣ ،والبحر المحيط ٢ / ٢١٨ .
(٥) البحر المحيط ٢ / ٢١٩ .

قوله : (وليس التسليم) جواب سؤال وهو أن ظاهر الكلام كون التسليم شرطا لرفع الجناح حتى لو انتفى ثبت الجناح وانتفى الصحة والجواز ، وليس كذلك ، وحاصل الجواب أن اشتراط التسليم دعاء الى الأولى ودلالة على أن الأكثر ثوابا أن يكون الاسترضاع مقرونا بتسليم ماتعطى المرضع ، أو ارشاد الى ماهو الأصلح للولد ، وهو أن يكون مايراد اعطاؤه منجزا على ماينبى عنه لفظ التسليم ليكون كناية عن أنه ينبغى أن يكون أهنأ مايكون وأطيبه ، وأوفق بحالها بحيث يفضى الى زيادة اهتمامها بشأن الصبى ، فقوله : (ماأعطيتموهن) أى أردتم اعطاء اياهن .

فان قلت: فقد ظهر أن فائدة تقييد الحكم بالتسليم الدلالة على أولويته نظرا الى أمر الدين والدنيا لا يوقف عليه ، لكن لا يظهر وجه ذلك وكيفية موقعه فى أساليب الكلام ، قلت: وجهه أنه شبه ماهو من شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة فى فرط الاعتناء به ، حتى كأن الصحة تنتفى بانتفائه ، فاستعير له العبارة الموضوعة لافادة التعليق وتوقف الصحة .

قوله : (متعلق بسلمتم) أى اذا سلمتم بالوجه المعروف والطريق المألوف فيما بين الناس السالكين طريق الانسانية ، وبالجملة الطريق الذى لا ينكره الشرع والمروءة .

وقوله : (والذين يتوفون) [1] مبتدأ خبره قوله تعالى [2] : " يتربصن " ولا عائد فيه ، فقدر حذف المضاف الذى يرجع اليه ضمير / " يتربصن " وهو الأزواج ، أو حذف ١٨٤ ب
الضمير العائد الى " الذين يتوفون " حال كونه مجرورا (كما فى قولهم : السمن منوان بدرهم) أى منه ، فكذا ههنا التقدير يتربصن بعدهم ، ولو قدر يتربصن لهم لم يبعد ، ولى فى هذا المقام كلام وهو أن الربط حاصل بمجرد عود الضمير الى الأزواج لأن المعنى يتربص الأزواج اللاتى تركوهن ، وسيجىء لهذا زيادة بيان فى موضع آخر .

قوله : (تناقضه هذه القراءة) لأن الحكاية تدل على عدم صحة اطلاق المتوفى

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا .. " الآيتين ٢٣٤ ، ٢٣٥ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢١٤ .
(٢) قوله " قوله تعالى " ناقص من ط ، خ .

على الميت لأن معناه قابض الحياة ، والقراءة [1] تدل على صحته بناء على أن معناه المستوفى لمدة عمره بحيث لم يبق له شيء من زمن الحياة ، ووجه التوفيق ماذكر في المفتاح ـ وقد نسبت تخطئة السائل الى علي كرم الله وجهه ـ وهو أن السائل لم يكن ممن يعرف وجه صحة ذلك فلم يصلح للخطاب به . [2]

قوله : (ذهابا الى الليالي) لأن الشهور غررها بالليالي نظرا الى الهلال ، فتكون الأيام تبعا ، وحكى الفراء : " صمنا عشرا من شهر رمضان [3] " مع أن الصوم انما يكون في الأيام ، وقال سيبويه " هذا باب المؤنث الذي استعمل في التأنيث والتذكير ، والتأنيث أصله [4] " ، وقوله تعالى : " ان لبثتم الا يوما [5] " بعد قوله : " ان لبثتم الا عشرا " [6] ظاهر في أن المراد بالعشر الأيام ، لكن الكلام في أنه هل يصح هذا في الأيام التي يعلم أنه لا اعتبار معها لليالي حتى يخرج من باب التغليب وان كان من تغليب المؤنث بناء على الخفة وكون المؤنث أجدر بالاعتبار نظرا الى كونه غرة الشهر عندهم أعني الهلال ؟ فيه تردد ، وقولهم (صمت عشرا) لا يدل عليه لأنه مثل قولهم : صمت شهر رمضان .

قوله : (فاذا بلغن أجلهن) فسره بانقضاء العدة لأن حقيقته بلوغ آخر المدة .

قوله : (والمعنى أنهن) يشير الى بيان الفائدة في هذا الكلام لأن ظاهره أنه

---

(١) أي بفتح الياء في " يتوفون " انظر البحر المحيط ٢ / ٢٢٢ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٦٤ .

(٢) يقول السكاكي : " وما فصل ذلك كرم الله وجهه الا لأنه عرف من السائل أنه ماأورد لفظ المتوفى على الوجه الذي يكسوه جزالة في المعنى وفخامة في الايراد وهو وجه القراءة المنسوبة اليه " والذين يتوفون " بلفظ بناء الفعل للفاعل من ارادة معنى والذين يستوفون مدد أعمارهم " انظر مفتاح العلوم ١٢٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ١٥١ .

(٤) عبارة سيبويه هكذا : " هذا باب المؤنث الذي يقع على المؤنث والمذكر ، وأصله التأنيث " . انظر الكتاب ٢ / ١٧٣ .

(٥) من الآية ١٠٤ من سورة طه .

(٦) من الآية ١٠٣ من سورة طه .

لا جناح عليكم فى أفعالهن التى لا ينكرها الشرع ، فانه معلوم أن لا جناح لأحد فى ذلك ، بل لا جناح لهم فى أفعالهن المنكرة أيضا ، يعنى أن هذا كناية عن أنه يجب عليهم منعهن لو فعلن المنكر ، وان لم يمنعوا كان عليهم الجناح .

قوله : (ومن غرضى أن أتزوج) (١) عطف على جملة (انك لجميلة) وعدل عن أو الى الواو لئلا يتوهم عطفه على جميلة مثل : (صالحة) و (نافقة) ، وكل من المذكورات مثال للتعريض ، ولا حاجة الى الجمع على ماوهم ، وضمير (هو أن يقول) للتعريض لا لما عرضتم به ، (ولا يصرح) منصوب معطوف على (يقول) وبالرفع ابتداء
كلام / ، (وقدمى فى الاسلام) يروى بفتح القاف وكسرها أى ثباتى أو تقدمى ، و (يؤخذ ١٨٥ أ
عنك) فاعله ضمير العلم بقرينة الحال ، والأظهر أن الجار والمجرور فى موقع الفاعل ، (أو قد فعلت؟) يروى بكسر التاء خطابا لها وانكارا عليها تخطئة الامام ، والأوجه الضم انكارا منه أن يكون قد نص الخطبة فى العدة ، ثم استشهد بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن أم سلمة (٢) ، فانه كان أكثر من هذا وأظهر ولم تكن تلك المقالة خطبة .

قوله : (الكناية) ليس القصد الى تعريفها حتى يعترض بأن ذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له شامل للمجاز ، بل الى تميز أحدهما عن الآخر ، وحاصله : ان الكناية : أن تذكر معنى مقصودا بلفظ لم يوضع له لكن استعمل فى الموضوع له لا على وجه القصد اليه بل لينتقل منه الى الشىء المقصود ، فطويل النجاد مستعمل فى معناه لكن لا ليكون هو المقصود بالاثبات بل لينتقل منه الى طول القامة ، فخرج بقيد الاستعمال فى معناه المجاز ، وبقيد عدم القصد الصريح من الحقيقة .

والتعريض أن تذكر شيئا مقصودا فى الجملة بلفظه الحقيقى أو المجازى أو الكنائى لتدل بذلك الشىء على شىء آخر لم يذكر فى الكلام مثل : أن تذكر المجىء للتسليم بلفظه لتدل على التقاضى وطلب العطاء ، فالتسليم مقصود وطلب العطاء غرض ، وقد أميل اليه الكلام من عرض أى جانب ، وبكون المعنى المذكور اولا مقصودا امتاز عن الكنايات التى ليست كذلك فلم يلزم صدقه على جميع أقسام الكناية . فمثل : جئتك لأسلم عليك كناية وتعريض ، ومثل : زيد طويل النجاد كناية لا تعريض ، ومثل قولك فى

---

(١) الكشاف ١ / ٢٦٤ .

(٢) تفسير الطبرى ٥ / ٩٩ .

عرض من يؤذيك وليس المخاطب : آذيتني فستعرف ، تعريض بتهديد المؤذي لا كناية .

ثم اذا كان الاصطلاح على أن (التلويح اسم للتعريض[١]) كان جعل السكاكي التلويح اسما للكناية البعيدة لكثرة الوسائط مثل كثير الرماد للمضياف [٢] ، اصطلاحا جديدا .

قوله : (لامحالة) مستفاد من السين .

قوله : (أو تأبدا) أي توحش وابعدن عنها ، والألف بدل من النون الخفيفة[٣] .

قوله : (ثم عبر به) أي بالسر الذي هو كناية عن الوطء عن النكاح بمعنى العقد
، لأن النكاح بمعنى العقد سبب للنكاح بمعنى الوطء ، (كما فعل بالنكاح) أي كما
عبر بالنكاح الذي هو حقيقة في الوطء عن النكاح الذي هو العقد اطلاقا لاسم
المسبب على السبب ، والحاصل / أنه جعل كناية الوطء وهو لفظ السر مجازا عن ١٨٥ أ
العقد كما جعل صريح الوطء وهو لفظ النكاح مجازا عنه ، وانما لم يجعل السر من
أول الأمر مجازا عن العقد لعدم العلاقة ، ولا مجازا عن الوطء ليكون اطلاقه على
العقد من مجاز المجاز بل جعله من مجاز الكناية ، لأنه لا مانع من ارادة الموضوع له .

قوله : (بلاتوا عدوهن) يعني أن " الا أن تقولوا " ان أجري على ظاهره ففي موقع المفعول المطلق ، أي الا مواعدة هي قول معروف ، وان كان على حذف الباء ففي موقع المفعول به بواسطة ، أي لا تواعدوهن بطريق الا بطريق التعريض ، ولو جعل استثناء منقطعا من " سرا " وقع موقع المفعول به بلا واسطة مثل " سرا " فكأن المعنى لا تواعدوهن الا التعريض ، وليس بمستقيم لأن التعريض طريق المواعدة لا الموعود نفسه .

---

(١) الكشاف ١ / ٢١٥ . (٢) مفتاح العلوم ٢١٨ .

(٣) والبيت للأعشى من قصيدة قالها في رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ظهوره ، وروى " ولا تقربن جارة " وكذلك " ولا تقربن حرة كان سرها " ، انظر ديوان الأعشى ٤٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢١٥ ، وتنزيل الآيات ٣٦٨ ، وتفسير القرطبي ٣ / ١٩١ ، والبحر المحيط ٢ / ١٥٥ ، ٢٢٧ ، والسيرة لابن هشام ١ / ٣٨٨ ، والشواهد للعيني ٣ / ٦١ ، واصلاح المنطق ٢١ ، واللسان مادة "نكح "

قوله : (وقيل معناه) يناسب أن يكون عطفا عن حيث المعنى على قوله : (ثم عبر به عن النكاح) يعنى أن السر كناية عن الجماع وقد أبقى على كنايته من غير أن يجعل مجازا عن العقد ، والاستثناء على هذا يحتمل الوجهين ، أى الا مواعدة معروفة أو الا بطريق معروف لا فحش فيه ولو بطريق الكنايات المشهورة مثل : اللمس والغشيان ، وقوله : (وقيل لا تواعدوهن سرا أى فى السر) عطف على قوله : (السر وقع كناية عن النكاح) و "سرا" على هذا فى موقع التمييز ، أو الحال بمعنى مسرين ، أو المصدر أى وعدا سرا ، أو الظرف على ما هو ظاهر لفظ الكتاب ، والمواعدة المقيدة به كناية عما يستهجن التصريح به ، والاستثناء مفرغ على أحد الوجهين السابقين ، ولا وجه للمنقطع ، يظهر بالتأمل ، ومآل الوجهين الآخرين واحد الا أن الكناية على الأول فى نفس السر وعلى الثانى فى المواعدة فى السر .

قوله : (ومعناه لا تعزموا) أى لا تقصدوا قصدا جازما لا تردد معه ، نهى عن العزم ليكون أبلغ فى منع الفعل [1] ، وقدر المضاف لأن العزم انما يكون على الفعل كالعقد لا على نفس "العقدة" ، (وقيل معناه لا تقطعوا) عقدها بمعنى لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه ، فيكون النهى عن نفس الفعل لا عن قصده ، وبهذا يمتاز عن الوجه الأول والا ففى العزم بمعنى القصد أيضا معنى القطع كما يقال : هذا أمر معزوم عليه ومقطوع به .

واستدل على كون العزم بمعنى القطع بالحديث الوارد بروايتين : احداهما بلفظ العزم والأخرى بلفظ البت [2] وهو القطع ، ولا يخفى أن ليس المعنى بت الصوم وقطعه الا الجزم به وقطع التردد عنه ، ولو كان العزم بمعنى القطع / الذى هو الفك ١٨٦ أ لحملنا كلام هذا القائل على معنى لا تقطعوا عقدة نكاح الزوج المتوفى بالكلية بحيث تعقدون عليها عقدا آخر ، ولم يحتج الى تقدير مضاف .

---

(١) فى الأصل : فى معنى الفعل .
(٢) فى سنن النسائى ١ / ٣٢٠ برواية "لمن لم يجمع" وكذلك برواية "من لم يبيت" وهو بهذه الرواية الاخيرة فى الكشاف ١ / ٢٦٦ ولعل رواية "لمن لم يبت" جاءت فى بعض النسخ التى اعتمد عليها السعد . وانظر تخريج احاديث الكشاف لابن حجر ١ / ٢٦٦ ، وصحيح الترمذى ٣ / ٢٦٣ ، والنهاية فى غريب الحديث ١ / ٩٢ .

قوله : (يعنى ماكتب) فسر الكتاب بالمدة المفروضة ومعنى بلوغها الأجل انقضاؤها كالانسان يبلغ آخر مدته المقدرة •

قوله : (الا أن تفرضوا) [1] ذكروا أن " أو " تنصب المضارع اذا كانت بمعنى "الا أن " ، وقيل : بمعنى " الى أن " وعبر عنه المصنف (بحتى) ، ولهم كلام فى أن النصب باضمار " أن " أو بنفس " أو " ، وبالجملة فايجاب المهر منتف مدة عدم المجامعة الا أن يسموا المهر فحينئذ يجب فيصح معنى الاستثناء أو الغاية ، والى هذا أشار بقوله : (وذلك) أى اخراج فرض المهر عن عدم الجناح أو جعله غاية له أن للمطلقة غير المدخول بها نصف المهر [2] ان سمى المهر ، والا فلا مهر لأن مهر المثل لا ينصف •

فان قيل : لم لم تجعل "أو" عاطفة لتفرضوا على " تمسوهن " ويكون المعنى مالم يكن المسيس ولا فرض المهر ، لما تقرر من أن " أو " فى سياق النفى تفيد العموم ؟ أجيب بأن العطف يوهم تقدير اعادة النفى [3] أى أو لم تفرضوا ، فيفيد أن شرط عدم وجوب المهر أحد النفيين ، لا نفى أحد الأمرين ، أعنى نفى كل ، وليس كذلك ، وفيه نظر لأن محل الوهم هو اللفظ وسواء جعلها ناصبة أو عاطفة فهو بحاله ، وكما لا وهم فى تقدير كونها ناصبة فكذا فى تقدير كونها عاطفة على المنفى المجزوم بلم • ويمكن الجواب بأن عموم " أو " فى سياق النفى مما فيه نوع خفاء حتى ذهبوا فى نحو : " ولا تطع منهم آثما أو كفورا " [4] الى تأويلات ، وقد أمكن ههنا وجه شائع لا اشتباه فيه فحمل الكلام عليه ، على أن مساق قوله : " وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم " أنسب بأن يكون بعد الحكم بأنه لا مهر اذا كان الطلاق قبل المسيس الا ان توجد ، أو الى أن توجد تسمية المهر ، أى فاذا كان ذلك حين وجدت التسمية فالواجب نصف المسمى بخلاف مالو قيل : لا مهر مالم يوجد

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة •• " الآيتين ٢٣٦ ، ٢٣٧ البقرة الكشاف ١ /٢١٦ •
(٢) عبارة الأصل : " ان للمطلقة غير المدخولة له نصف المسمى " •
(٣) خ : حرف النفى •
(٤) من الآية ٢٤ من سورة الانسان •

شئ من الأمرين ،فان المناسب حينئذ أن يقال : فان وجد هذا فالحكم كذا ،أو ذاك فكذا .

قوله : (ولكن المتعة) اشارة الى أن (1)قوله : " ومتعوهن " عطف على ما هو في موقع الجزاء أي اذا طلقتم بدون المسيس والفرض فلا مهر لهن ومتعوهن بمعنى ان الحكم هذا وذاك ،فلا يضر عطف الانشاء على الاخبار .

قوله : (اثبات للجناح المنفي ثمة) بمعنى كونه ايجاب المهر لا كونه (2) النصف بعينه .

قوله : (من نصف) متعلق بالظرف أي يثبت لها دائما من نصف مهر المثل ومن المتعة / ماهو أقل ،وليس الفاء للترتيب على مجرد (الا ان يكون مهر مثلها أقل) ١٨٦ بل على مجموع قوله : (المتعة) كذا (الا أن يكون)كذا .

قوله : (الموسع) من أوسع الرجل اتسع حاله وصار ذا سعة وغنى ،والمقتر المقل من اقتر اذا افتقر .

قوله : (هو الذي يختص به) يعني أن اضافة القدر الى الموسع أو المقتر ينبئ عن اختصاصه به ،ولا معنى لهذا الاختصاص سوى أن يطيقه والا فنسبة المقادير الى الكل على السواء .

قوله : (الا لهذه) أي لغير المدخولة التي لم يسم لها مهر ،لكن ظاهر قوله : "وللمطلقات متاع " يدل على العموم كما سيجئ .

قوله : (أو حق ذلك) يحتمل أن يكون عطفا على (واجبا) يعني أنه في موضع الصفة على أن يكون بمعنى واجبا ،أو بمعنى المصدر لفعل محذوف والجملة صفة ،وأن يكون عطفا على (صفة) بمعنى أنه مصدر لفعل محذوف لا صفة لمتاعا .

قوله : (وسماهم اشارة الى ان اسم الفاعل لا يكون بمعنى المستقبل الا بتأويل ولو في الصلة التي قالوا : انها فعل في صورة الاسم .

قوله : (هو مذهب الشافعي) في قوله القديم في الصغيرة (3) .

---

(1) كلمة " أن " ساقطة من الأصل .　　(2) ط ،خ " لا لكونه " .

(3) كما ذهب الى ذلك القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١ / ٢٤٩ ،ولكن أحمد ابن المنير الاسكندري يتهم الزمخشري بأنه وهم فيما نسبه الى الشافعي لأن مذهب الشافعي كمذهب أبي حنيفة في أن " الذي بيده عقدة النكاح " هو الزوج ،ويذكر صاحب البحر المحيط أن للشافعي قولين ،والمذكور في كتاب " الأم " يدل على أن الشافعي يرى أنه الزوج لا الولي ،انظر الانتصاف ١ / ٢١٧ ،والبحر المحيط ٢ / ٢٣٦ ،والأم ٥ / ٦٦ ، ١٥١ .

قوله : (فيها نظر) لأن معنى العفو اسقاط شيء أو تركه ، لا اعطاء زيادة ، وانما هو فضل .

قوله : (على طريق المشاكلة) لوقوعه في صحبة عفو المرأة ، فان قلت: هب أنه صح[1] الاطلاق لكن كيف صح العطف على المستثنى وحكمه ترك الواجب وههنا الزيادة عليه؟ قلت: من جهة اشتراكهما في أن ليس معهما اعطاء النصف ، أي فعلى الزوج نصف المفروض الا أن تعفو المرأة فلا شيء ، أو يكمل الزوج فلا نصف ، بقي الكلام في أن الاستثناء متصل أو منقطع .

قوله : (وعن جبير بن مطعم)[2] في حكايته الأولى أن " أو يعفو " اشارة الى اكمال الزوج المهر ، وفي الثانية الى ان " الفصل " في " ولا تنسوا الفضل " دال عليه ، (تمرأ) الرجل : تكلف المروءة ، (واستقصى) في الأمر وتقصى : بلغ أقصاه ، أي ولا تنسوا أن لا تنافسوا في أن تنقصوا مما وجب لكم شيئا أو تزيدوا على ما وجب عليكم .

قوله : (وأن يعفو بالياء) أي الذي بيده[3] عقدة النكاح .

قوله : (بكسر الواو) على أصل تحريك الساكن .

قوله : (يوم الأحزاب[4]) هم طوائف من الكفار من قبائل شتى أحاطوا بالمدينة فاشتغل النبي صلى الله عليه وسلم[5] والمسلمون بحفر الخندق وفاتتهم صلاة العصر[6] ، وكذا سليمان عليه الصلاة والسلام[7] شغلته خيل كانت تعرض عليه ففاتته صلاة العصر فطفق على الخيل مسحا بالسوق والأعناق[8] ، ولفظ الحديث " صلاة الوسطى "

---

(١) ط ، خ : يصح .	(٢) تفسير الطبري ٥ / ١٦٥ .
(٣) قوله " بيده " ناقص من الأصل ، وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٣٨ .
(٤) في تفسير قوله تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ... " الآيتين ٢٣٨ ، ٢٣٩ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٦٨ .
(٥) م ، خ : عليه السلام .
(٦) انظر صحيح البخاري ١٧ / ٤٠ ، وصحيح مسلم ٥ / ١٢٧ ، وصحيح الترمذي ١١ / ١٠٦ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٢٢٤ ، ومسند الامام أحمد ١ / ٨١ ، وتفسير الطبري ٥ / ١٨٣ والسنن الكبرى ١ / ٤٥٩ .	(٧) م : عليه السلام .
(٨) تلميح الى قوله تعالى : " اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق " الآيات ٣١ - ٣٣ من سورة ص .

بعد ون اللام ، وما / روى عن حفصة وعائشة رضى الله عنهما [١] يكون من القراءات الشاذة ١٨٧
فيصلح تأييد للروايات ، (قبيصة) بفتح القاف ، ومعنى (وتر النهار) أن صلاة النهار
شفع ركعتان كالفجر أو أربع كالظهر والعصر ، وهذه أعنى المغرب ثلاث متوسطة بينهما
بحسب العدد وأيضا لا يقصر من الثلاث ، بخلاف الفجر فانها اثنتان ، والظهر والعصر
فانهما يجعلان اثنتين ، فيكون المغرب أفضل . [٢]

قوله : (فى الصلاة) اشارة الى أن " لله " متعلق بقوموا ، وأن المراد به قيام الصلاة ،
وما ذكر عكرمة [٢] من كون هذا نهيا عن التكلم فى الصلاة [٣] يظهر غاية الظهور اذا جعل
" لله " متعلقا بقانتين ، وما ذكر مجاهد [٤] اشارة الى أن ذكر الله ينبغى أن يكون
بجميع الأعضاء [٥] ، وما روى آخرا زيادة وتفصيل لذلك .

قوله : (فصلوا راجلين) المقيد بالشرط هو المذكور من الصلاة رجالا وركبانا .
قوله : (مالم يمكن الوقوف) [٦] ينبغى أن يكون فى موقع البدل من حال (المشى
والمسايفة) لاقيدا زائدا .

قوله : (كما علمكم) مكافأة ، والذكر اما الصلاة واما مطلق الشكر والعبادة ، ومعناه
على الأول صلوا على الوجه الذى علمكم فى الصلاة حال الأمن ، وعلى الثانى اشكروا الله
كما أحسن اليكم وأنعم عليكم ، يعنى فى مقابلة ذلك وأداء لحقه ، (وكيف تصلون ؟)
ظاهره عطف على (من الشرائع) لكنه بيان لما وحال عنه ، وكيف ليس كذلك ، فالوجه أن
يقدر وبتعليمكم أو بما علمكم على أن تكون "ما " فى المقدر مصدرية لا موصولة كما فى
المذكور .

قوله : (تقديره) مبتدأ خبره (وصية) وهذا شروع فى تفسير قوله تعالى [٧] : "
والذين يتوفون " الآية [٨] ، (وفيمن قرأ بالنصب) [٩] عطف على (فيمن قرأ " وصية "

---

(١) انظر صحيح مسلم ٥ / ١٣٠ ، وصحيح الترمذى ١١ / ١٠٥ ، وسنن أبى داود ٣ / ٦٧ ، ٦٣
وتفسير الطبرى ٥ / ١٧٤ ، ١٧٧ .   (١) تفسير الطبرى ٥ / ٢١٤ .
(٢) هو عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس حدث عنه وعن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة وغيرهم ،
وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها ، توفى سنة ١٠٧ هـ . انظر وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٧ .
(٣) تفسير القرطبى ٣ / ٢١٤ .
(٤) هو مجاهد بن جبر ، تابعى مفسر من أهل مكة ، من شيخ القراء والمفسرين ، توفى
سنة ١٠٤ هـ . انظر الاعلام ٦ / ١٦١ .   (٥) البحر المحيط ٢ / ٢٤٢ .
(٦) المرجع السابق ٢ / ٢٤٣ .   (٧) لفظ " تعالى " زائد فى خ .
(٨) رقم ٢٤٠ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٢٢٠ .
(٩) وهى قراءة أبى عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وحفص عن عاصم ، وقرأ الحرميان ، والكسائى =

بالرفع) ولا يخفى أنه لا يدخل فى قاعدة (انما أنت سير البريد) اذ لم يقع بعد نفى أو معنى نفى ، فالتشبيه به[1] فى مجرد الوقوع فى موقع الخبر وليس بخبر .

قوله : (وقرأ أبى متاع)[2] مكان وصية (وروى فمتاع) لتضمن المبتدأ معنى الشرط ، واعرابه كاعراب وصية ، ولو جعلنا وصية أو متاع مبتدأ محذوف الصفة و " لأزواجهم " خبره ، أى وصية منهم كائنة لا زواجهم لم يبعد .

قوله : (ومتاعا) فى قراءة غير أبى (نصب بوصية) على حذف الجار أى بتمتع ان كانت وصية رفعا أو نصبا بتقدير الزم ، وأما ان نصبت (بيوصون) فالعمل للفصل لأن الحذف غير لازم ، وانما الخلاف فى اللازم ، ولما لم يكن متاع فى قراءة أبى الا مرفوعا كان عاملا فى متاع لأنه ههنا فى معنى المصدر كالسلام والكلام ، لا اسم لما يتمتع به ، فان قيل : كيف جاز نصب (حمد الشاكرين) / بالحمد مع الفصل بالخبر ؟ ١٨٧ ب
قلت[3] : الخبر كان فى الأصل معمولا للحمد فى موقع المفعول كما تقول : حمدا له ، فجاز لذلك ، وكذا كل مصدر جعل متعلقه خبرا عنه مثل : الضرب لزيد ضربا شديدا ، والقيام فى الدار قياما الى ساعة ، وهو كثير .

قوله : (غير اخراج مصدر مؤكد) قيل : ان الوصية بأن يمتعن حولا تدل على أنهن لا يخرجن فكان " غير اخراج " توكيدا له كأنه قيل : لا يخرجن غير اخراج ، لكن التمثيل (بهذا القول غير ماتقول) يشعر بأنه من التاكيد لغيره ، اذ مضمون هذا القول يحتمل أن يكون خلاف مايقوله المخاطب ، وأن يكون وفاقه ، فغير ماتقول دفع لكونه على وفاقه ، وهو بالحقيقة صفة مصدر أى أقول قولا غير ماتقول ، والعامل فيه[4] أقول ، وأما أن يكون العامل فيه نفى الفعل ومضمون المصدر هو المأخوذ من النفى مثل : ماخرجت غير خروج ، بمعنى انتفى الخروج انتفاء خروج ، فلم يعهد ، فالوجه أن الوصية بالتمتع تحتمل الاخراج وعدمه فدفع الاخراج ، لكن الفعل المحذوف لا يستقيم الا منفيا مثل لا يخرجن .

قوله : (أو بدل من متاعا) بدل اشتمال ، وقيل : على حذف المضاف أى متاع غير اخراج .

= وأبو بكر " وصية " بالرفع ، انظر البحر المحيط ٢ / ٢٤٥ ، وانوار التنزيل ١ / ١٦٧ .
(١) قوله : " به " ناقص من الأصل ومن م . (٢) البحر المحيط ٢ / ٢٤٥ .
(٣) ط ، خ : قلنا . (٤) قوله " فيه " ناقص من الأصل

قوله : (والمعنى) بيان لمقصود الآية على جميع الوجوه من الاعراب ، وفي قوله : (قبل ان يحتضروا) دفع لما يتوهم من أن في الكلام اثبات الوصية بعد الوفاة ، يعني ان الذين يتوفون على المشارفة ، أو المراد بالوصية الوصية قبل الموت ، وفسر المتاع أي التمتيع بالانفاق عليهن ، أما على تقدير الحال فظاهر ، وأما على تقدير التأكيد والبدل فلأن عدم الاخراج بلا نفقة يكون تضييقا لا تمتيعا .

قوله : (وكان ذلك) أي وجوب الانفاق والاسكان في مساكنهن بحيث لا يجوز تزوجهن [1] حولا كاملا في بدء الاسلام ، ثم نسخت مدة الحول الثابتة بهذه الآية بقوله تعالى : " يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا " [2] [وان كان متقدما في التلاوة بمعنى أنه نسخ الحول ووجبت أربعة أشهر وعشر] [3] بنص جديد ، وقيل : بل نسخت الزيادة على أربعة أشهر وعشر وبقيت هي بالنص الأول ، ومبنى الخلاف على أن نسخ البعض هل يكون نسخا للكل ؟ يشكل هذا بما يقال ان هذا الترتيب كان ثابتا في اللوح وفي سماء الدنيا قبل التنزيل ففيه نسخ المتأخر بالمتقدم ، والجواب أن المتأخر في ذلك الترتيب أيضا لا يلزم أن يكون متأخرا في الورود ، وأما نسخ النفقة بالارث فمبني على أن مفهوم قولنا : فلهن الثمن مما ترك ، انه كان لهن ذلك لا غير ، واختلفوا في أنها هل تستحق السكنى مدة / العدة فقيل : لا لصيرورة ماله ١٨٨ أ
للوارث ، وقيل : نعم لقوله صلى الله عليه وسلم [4] : " امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله " [5] يعني البيت الذي كانت هي ساكنة فيه ولم يكن ملكا لها .

قوله : (فيما فعلن) كان ينبغي أن يفسر قوله : " فان خرجن " أنه الخروج من العدة بانقضاء الحول أم الخروج من البيت من غير اخراج الورثة ؟

قوله : (كيف نسخت الآية المتقدمة) حق السؤال أن يذكر عقيب قوله : (ثم نسخت المدة) الا أنه أخره الى الفراغ من تفسير تمام الآية .

قوله : (عم المطلقات بايجاب المتعة) [6] يعني نظرا الى ظاهر اللفظ وان كان

---

(١) خ : خروجهن .
(٢) من الآية ٢٣٤ من سورة البقرة .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٤) خ : عليه السلام .
(٥) انظر مسند الامام أحمد ٦ / ٣٧٠ .
(٦) في تفسير قوله تعالى : " وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين " الآية ٢٤١ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٢٠ .

مخالفا لما هو المذهب عند أصحابه على ماسبق (١) ،ثم ذكر من الأقوال (٢) مايوافق مذهبه ،وجعل التمتيع أعم من الواجب والمستحب ليس من استعمال المشترك في معنييه ،أو الجمع بين الحقيقة والمجاز اذ ليس هنا صيغة أمر ،ومايقال : " ان اللام في المطلقات للعهد والتكرير للتأكيد " (٣) بعيد جدا ،وكذا القول بتخصيص هذا العام بالآية السابقة الواردة في المطلقة قبل المسيس وفرض المهر ،لابتنائه على أن افراد بعض أفراد العام (٤) بحكم يدل على كون البعض الآخر بخلافه ،وان تخصيص المنطوق بالمفهوم جائز .

قوله : (ألم تر تقرير) (٥) أي حمل على الاقرار بما دخله النفي ،وسماع قصتهم بمنزلة رؤيتهم النظرية تجوزا ،أو العلمية وهو ظاهر ،وصلة الرؤية بالى ان كانت بمعنى الابصار فلاعتبار معنى النظر ،وان كانت ادراكا بالقلب فللتضمين على معنى ألم ينته علمك اليهم ؟ .

والأوجه عموم الخطاب دلالة على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغي لكل أحد أن يتعجب منها ، وأنه حقيق بأن يحمل على الاقرار برؤيتهم ،وان لم يرهم ولم يسمع بقصتهم ولم يكن من أهل الكتاب واهل أخبار الأولين ،وتحقيق جرى هذا الكلام مجرى المثل أنه شبه حال من لم يره بمن رآه في أنه ينبغي ان لا تخفى عليه هذه القصة ،وأنه ينبغي أن يتعجب منها ،ثم أجرى الكلام (٦) معه كما يجرى مع من رآهم وسمع قصتهم قصدا الى التعجب واشتهر في ذلك .

قوله : (مرعليهم) في الصحاح : " مرعليه وبه اجتاز " (٧) (حزقيل) اسم

---

(١) حيث قال في تفسير قوله تعالى "لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن " قال : وعند أصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها ،وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب " انظر الكشاف ٢١٦/١ .

(٢) البحر المحيط ٢٣٢/٢ .

(٣) والذي قال ذلك هو القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ٢٥١/١ .

(٤) في الأصل " بعض العام " .

(٥) في تفسير قوله تعالى : " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... " الآيتين ٢٤٣ ـ ٢٤٤ سورة البقرة ،الكشاف ٢٢٠/١ .

(٦) خ : هذا الكلام .

(٧) في الصحاح مادة (مرر) : " مرعليه وبه يمر مرا ومرورا : ذهب واستمر مثله ، والممر موضع المرور " .

نبى ، (لواه) فتله ، (الشدقان) نهايتا الفم من الجانبين ،ولى الشدق والأصابع حالة يفعلها المتعجب ،وقد يقال : لوى شدقيه اذا تفاصح .

قوله : (وهم ألوف) جمع كثرة مع التنكير فيدل على الكثرة [فيكون هذا رد لما قيل انها عشرة] (١) .

قوله : (ومن بدع التفاسير) لبعده لفظا ومعنى ورواية .

١٨٨ب قوله : (وانما جيء) أى / بمعنى أماتهم كائنا على عبارة " قال لهم موتوا " للدلالة على أن موتهم كان شبيها بامتثال أمر واحد من آمر مطاع لا يتوقف فى امتثاله فيكون دفعة وخارجا عن العادة فى موت الجماعات ، (وهذا تشجيع) كأنه قال : انظروا وتفكروا وقاتلوا فى سبيل الله ، (وأن الموت) أى ودلالة على أن الموت كائن لا محالة فأولى أن يترتب عليه له ذكر فى الدنيا ومرتبة فى الآخرة .

قوله : (وكما بصركم) يعنى أن " الناس " على العموم ،وفى الوجه الثانى (٢) للذين أماتهم الله ثم أحياهم .

قوله : (المتخلفون والسابقون) من أهل الجهاد ، فلان (من وراء الجزاء) أى يسوقه حيث شاء ومتى شاء .

قوله : (اقراض الله تعالى (٣) مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه) (٤) تشبيها باعطاء العين ليقضى ويطلب بدله وهو حقيقة الاقراض ،والقرض قد يطلق بمعناه ،وبمعنى نفس ذلك المال المعطى ،فلذا فسره (بالمجاهدة) التى هى صرف القوى فيكون مفعولا مطلقا ،و (بالنفقة) فيكون مفعولا به ،أى من ذا الذى يجاهد فى سبيل الله مجاهدة حسنة أو ينفق نفقة فى سبيل الله طلبا للثواب الكثير ،ولا يخفى أن حمل القرض على النفقة ،والاقراض على الانفاق أقرب ،سيما وقد نزلت الآية فى أبى الدحداح حين تصدق بحديقة له (٥) ،لكن جوز الحمل على الجهاد لكون ماقبله وما بعده حديث الجهاد والقتال .

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من خ .   (٢) قوله " الثانى " ناقص من الأصل .
(٣) لفظ " تعالى " زائد فى خ .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا .. " الآية ٢٤٥ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ٢٢١ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٥٦٤ ،وتفسير الطبرى ٥ / ٢٨٤ .

قوله : (وعن السدي)[١] " كثيرة " بالنصب[٢] مصدر كثر ، وفي الرفع تكلف .

قوله : (يوسع على عباده) تفسير ليبسط ، و (يقتر) ليقبض ، ولا وجه لعكس الترتيب سوى التنبيه على أنه المقصود في هذا المقام ، وانما ذكر القبض للمقابلة وبيان كمال القدرة ، والأقرب أن يراد (بما وسع عليكم) أعم من الأموال والقوى لينطبق على الانفاق والجهاد ، وذكر الرجوع اليه دلالة على أنه منعم في الدنيا والآخرة .

قوله : (هل الأمر كما أتوقعه ؟)[٣] صريح في ان الاستفهام عن المتوقع على ماصرح به في قوله : (فأدخل " هل " مستفهما عماهو متوقع عنده) ومعنى الاستفهام التقرير بمعنى التثبيت للمتوقع ، وان كان الشائع من التقرير هو الحمل على الاقرار .

فان قيل : القياس أن يكون الاستفهام عما دخله حرف الاستفهام ، وهو ههنا التوقع والظن ، أعني مضمون " عسى " لا مضمون خبره الذى هو " أن لاتقاتلوا " فكان ينبغي أن يجعل الاستفهام والتقرير عائدا الى التوقع بمعنى كون ترك المقاتلة متوقعا مظنونا في الجملة ، لاالى توقع المستفهم بالخصوص ليدفع بأنه لا معنى / لاستفهام

الرجل عن توقعه فتعين الصرف الى المتوقع . ١٨٩أ

قلنا : لا خفاء في أن مدلول اللفظ التوقع والرجاء من المتكلم لاغير ، ولا معنى لاستفهامه عنه[٤] ولو على سبيل التقرير ، فانه مقرر بمجرد دلالة الكلام ، والتحقيق أنه لما كان المقصود مضمون الخبر ، كانت القيود من الاستفهام والتوقع ونحو ذلك ـ كما في باقي ألفاظ المقاربة ـ عائدة اليه ، حتى كأنه حاول اثبات تركهم المقاتلة مقيدة بكونه على سبيل التوقع دون الجزم ثم بكونه مستفهما عنه للتقرير ، بل اذا تحققت فالشرط أيضا أعني " ان كتب عليكم القتال " قيد فيه لا في التوقع .

---

(١) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، تابعي ، صاحب التفسير والمغازى والسير وكان اماما عارفا بالوقائع والأيام . انظر الأعلام ١ / ٣١٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٣ / ٢٣٧ ، ومعالم التنزيل للبغوى ١ / ٩٣ ٥ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى .. " الآية ٢٤٦ البقرة .

(٤) قوله " عنه " ناقص من الأصل .

قوله : (وأى داع لنا الى ترك القتال ؟) لما كان الشائع فى مثل هـــذا أن يقال : مالنا نفعل كذا أو لا نفعل ؟ ،على أن الجملة حال ،وقد أتى ههنا بكلمة أن المصدرية لكون المعنى على الاستقبال جعله على حذف حرف الجر ليتعلق بالظرف أعنى " لنا " بمعنى أى داع ثبت لنا الى أن نترك القتال ؟ أو أى غرض لنا فيــه ؟ [وقد يتوهم من ظاهر اللفظ أنه متعلق بداع وغرض الذى فى ضمن كلمة " ما " وهــو تكلف لا حاجة اليه] (١) ،وان المعنى عليه والمرجع اليه .

قوله : (وقد أخرجنا) حال عامله " لا نقاتل " أو الظرف أعنى " لنا " .

قوله : (فأسروا) أى قوم جالوت من أبناء ملوك بنى اسرائيل أربعمائــــة وأربعين بعد ماظهروا عليهم وسبوا ذراريهم .

قوله : (لما وصف به) (٢) يعنى ان موافقته للطول فى الحروف الأصول وهــو ظاهر ،وفى أصل المعنى وهو ماوصف به من البسطة فى الجسم بقوله تعالى : " وزاده بسطة فى العلم والجسم " ،اقتضى الحكم باشتقاقه ،الا أن فيه مانعا هو امتنــاع صرفه ،ومجرد المقتضى بدون انتفاء المانع لا يكفى ،وانما كان مانعا لاقتضائه سببين وليسا الا العلمية والعجمة ،ولا عجمة مع الاشتقاق من الطول الا بتأويل وهو أنه اسم أعجمى وافق عربيا هو فعلوت من الطول ،فحكم بالاشتقاق نظرا الى ظاهر الموافقة ، ومنع الصرف نظرا الى حقيقة العجمة .

قوله : (أنى: كيف ومن أين) يعنى أن كلا من معنييه يستقيم ههنا .

قوله : (والمعنى كيف يتملك) يشير الى أن ذا الحال الضمير فى " له " ،وكمـــا أن المعطوف أعنى " ولم يؤت سعة " حال منه لكونه بيانا لهيئته فكذا المعطوف عليه ، لئلا يلزم العطف على الحال مع اختلاف ذى الحال ،كما تقول : لقيته مصعدا ومنحدرا بمعنى مصعدا هو ومنحدرا أنا ،ثم أشار الى أن الحالين فى موقع التعليل لما هــو الحال فى الحقيقة أعنى عدم استحقاقه التملك ،فقوله : (وانه فقير) عطف على (وجود)

---

(١) مابين المعقوفين فى الأصل " واياك ان تتوهم من ظاهر اللفظ أنه متعلق بــداع وغرض الذى فى ضمن كلمة "ما " فانه لا يستقيم لفظا لفقد العامل " .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا .. " الآية ٢٤٧ سورة البقرة ،الكشاف ١ /٢٢٢ .

وانما لم تجعل الواو الثانية أيضا للحال / على الترادف لأن الأصل هو العطف ١٨٩ ب
والجمع فيما قصد اثباته جميعا ٠

قوله : (هو الذى اختاره عليكم) يشير الى أن بناء الفعل على المبتدأ للحصر ، ودخول "ان" ليس بمانع ٠

قوله : (وذلك) أن كون المصلحتين أنفع ، (الجسيم) العظيم الجثة ، (الجهارة) أن يكون الرجل ذا جهر ومنظر يكبر فى العيون ، و(الأهيب) أفعل للمفعول من قولهم رجل مهيب أى ذو هيبة يهابه الناس ٠

قوله : (كان يمد) يعنى أن القائم لم يكن ينال رأسه الا بالمد ٠

قوله : (أى الملك له) وهو معنى الاضافة و(من يستصلحه) مبنى على أنه لا يشاء الا الأصلح ، (يوسع على من ليس له سعة) لأن هذا معنى سعة العطاء ٠

قوله : (فتئن) [١] من الأنين ، وهو عطف على خبر (كان) أعنى (فيه) ، والضمير للصورة [٢] ، (والزفيف) الاسراع ، (والريح الهفافة) الساكنة الطيبة ، و(الرضاض) الفتات من رضه : كسره وفرقه ، (وكان رفعه الله) يعنى التابوت ، (غلبهم عليه الكفار) أى أخذوه من بنى اسرائيل قهرا وغلبة واستيلاء ٠

قوله : (لقلته نحو سلس) أى مافاؤه ولامه من جنس واحد ، (فلا يكون فاعولا) من ثبت بل (فعلوتا) من تاب ، وأما (تابوه) بالهاء [٣] ففاعول لعدم فعلوه بأن يكون من التوب والهاء زائدة ، الا أن تجعل الهاء بدلا من التاء فيكون فعلوتا الا أن ابدال الهاء من غير تاء التأنيث ضعيف ٠

قوله : (وهو غريب) لا يوجد فى الأوزان ٠

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ٠٠ " الآية ٢٤٨ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٢٣ ٠

(٢) فى الأصل " للسكينة " ٠

(٣) وهى قراءة أبى وزيد بن ثابت ٠ انظر البحر المحيط ٢ / ٢٦١ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٧١ ٠

قوله : (بعدهما) أي بعد موسى وهارون عليهما السلام[1] ، (عمران بن قاهث) بالقاف والثاء المثلثة نسبة الى الجد لأنه ابن يصهر بن قاهث[2] ، (فكان أولاد يعقوب آلهما) أي قرابتهما بتابع .

قوله : (فصل)[3] لا كلام في استعماله متعديا ولازما ، فيجوز أن يكون اللازم مأخوذا من المتعدي بحذف المفعول ، وأن يكون أصلا برأسه فيكون فصله فصلا بمعنى ميزه ، وفصل فصولا بمعنى انفصل ، لغتين مثل : وقفه وقفا ، ووقف وقوفا ، وصده صدا أي منعه ، وصد صدودا أي أعرض وامتنع ، ورجعه رجعا ، ورجع رجوعا ، فقوله : (وقيل) عطف على (صار) أي حتى صار في حكم غير المتعدي وحتى جعل مصدره في زنة مصادر غير المتعدي كدخل دخولا وخرج خروجا ، وقد توهم عطفه على قوله : (وأصله فصل نفسه) ولا معنى له ، و (القيظ) حمارة الصيف أي شدة حره ، وقاظ يومنا : اشتد حره ، في الاساس " بنى على أهله : دخل عليها ، وأصله أن المعرس كان يبني على أهله خباء ، وقالوا : بنى بأهله كقولهم : أعرس بها "[4] ، وفي الصحاح : " العامة تقول : بنى بأهله ، وهو خطأ "[5] .

١٩٠ أ / قوله : (فمن ابتدأ شربه) جرى فيه على حقيقة من الابتدائية ، اذ لا وجه للعدول الى المجاز بخلاف مسألة من حلف لا يشرب من هذا النهر ، اذ اشتهر في العرف فلان يشرب من الفرات أي من مائه ، فذهب أبو حنيفة الى الحقيقة حتى لا يحنث بغير الكرع ، وهما الى العرف[6] ، يقال : (كرع) في الماء بالفتح والكسر اذا

---

(١) قوله " عليهما السلام " ناقص من الأصل ومن ب .

(٢) أي لأن عمران هو ابن يصهر بن قاهث على ماذكر الزمخشري في سورة آل عمران في تفسير قوله تعالى " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين " حيث قال : " موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر " . وانظر الكشاف ١ / ٢٧٢ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر .. " الآية ٢٤٩ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٢٣ .

(٤) اساس البلاغة مادة (بنى) (٥) الصحاح مادة (بنا) .

(٦) البحر المحيط ٢ / ٢٦٤ .

تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه أو باناء •

قوله : (ومن لم يذقه) لما استعمل " لم يطعمه " في مقابلة " شرب منه " وأوقعه على الماء مع أن طعم شائع في معنى أكل ، فسره بلم يذقه واستشهد بقول الشاعر •

فان شئت حرمت النساء سواكم
(وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا)(١)

والنقاخ : الماء العذب ، وقد جعله مفعول لم أطعم وعطف عليه البرد وهو النوم ، وقد جاء استعمال الذوق فيه مثل : (ماذقت غماضا) بالفتح والضم أي قليل نوم ، وماذقت اليوم في عيني نوما •

قوله : (بل هو أشد منه) أي مما ابتلى به أهل أيله لمنعهم عن الشرب أحوج ماكانوا اليه ، اذ الزمان قيظ والمكان مفازة •

قوله : (مم استثنى ؟) لا خفاء في أن من اغترف غرفة ليس ممن شرب منه بمعنى الكرع ، ولا ممن لم يذقه ، بل هو قسم مقابل لهما محتاج الى أن يبين حكمه ، والحكم في أحد القسمين المقابلين له هو المنع المعبر عنه بقوله : " فليس مني " ، وفي الآخر عدم المنع بل الاتصال والاتحاد به ، وقد استثنى المغترف وليس استثناء متصلا لعدم الدخول ، فوجه السؤال أنه من أي الجملتين استثنى الاستثناء المنقطع ليثبت له الحكم المخالف لها ؟ أمن الجملة الثانية التي هي أقرب ليكون الحكم في المغترف أنه ليس مني بوجه(٢) ، فيكون الاستثناء [لزيادة المنع ؟ أم من الأولى ليكون الحكم أنه أيضا مني بوجه فيكون الاستثناء](٣) للرخصة في الاغتراف ؟ فاستفاد المصنف من قوله تعالى : " فشربوا منه الا قليلا منهم " أنه مستثنى من الجملة الأولى على ماهو مقتضى النظر الصائب في أساليب الكلام للعارف بصياغات المعاني(٤) ، وذلك أنه ورد

---

(١) والبيت للعرجي انظر ديوانه ص١٠٩ ، وانظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٢٤ ، وتنزيل الآيات ٣٦٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٢٦٤ ، والأغاني ٣ / ١٠٧ ، والصحاح مادتي (نقخ) و (برد) ، وكذلك اللسان •

(٢) قوله " في المغترف " ناقص من خ ، وقوله " بوجه " ناقص من الأصل ومن م •

(٣) مابين المعقوفين ناقص من خ ، م •　　(٤) ط ، خ : للعارف بصياغاته •

في معرض بيان مخالفة الأكثرين للمأمور به وارتكابهم المنهي عنه ، وقد اقتصر على ذكر الكارعين دون المغترفين فعلم أن الاغتراف ليس بمنهي بل رخصة ، وهذا معنى قوله : (ومعناه) أي معنى الاستثناء (الرخصة في اغتراف غرفة باليد من غير كروع) بالماء وشرب بالفم ، والدليل على أن معنى الاستثناء الرخصة في الاغتراف لا زيادة المنع على ماهو مقتضى الاستثناء من الجملة الثانية : قوله تعالى : " فشربوا منه الا قليلا منهم " .

قوله : (والجملة الثانية في حكم المتأخرة) يعني ليس الاستثناء في الحقيقة واقعا / بعدها ليترجح كونه استثناء منها بل سابقا عليها (الا أنها انما قدمت ١٩٠ ب لمجرد العناية) لأن بيان حال الأخذ بالعزيمة أهم من الأخذ بالرخصة ، كما قدم " الصابئون " على خبر " ان " [1] لذلك ، وكان في الحقيقة بعد مضي الخبر فجاز عطفه على محل اسم ان ، أو كونه مبتدأ محذوفا الخبر عطفا [2] على جملة ان مع الاسم والخبر ، أو اعتراضا .

فان قلت : أي حاجة للاعتراض الى اعتبار التأخير ؟ قلت : ليكون الدال على الخبر سابقا ، وهذا من ميلهم مع المعنى ، والا فالواجب النصب لكونه استثناء من كلام موجب ذكر فيه المستثنى منه كما في قول الفرزدق :

اليك امير المؤمنين رمت بنا * شعوب النوى والهوجل المتعسف
وعض زمان يابن مروان لم يدع * من المال الا مسحت أو مجلف [3]

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة المائدة ، وانظر الكشاف ١ / ٥١٥ .
(٢) في خ زيادة " للجملة " .
(٣) للفرزدق يخاطب عبد الملك بن مروان ، وروي :
" عموم المنى " بدل " شعوب النوى " وكذلك " الا مسحتا أو مجلف " بنصب الأول ورفع الثاني ، وروي " أو مجرف " أي ان الزمان لم يترك الا شيئا مستأصلا عالكا ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٢ / ٥٥٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٢٤ ، وتنزيل الآيات ٤٥٦ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٦٦٢ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٣ ، ٤٨٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، والمحتسب لابن جني ١ / ١٨٠ ، والخصائص ١ / ٩٩ ، وطبقات الشعراء ١٥ ، والوساطة ٦ ، وجمهرة أشعار العرب ٣١٥ ، والانصاف ١٠٩ ، والخزانة ١ / ١١٥ ، ٢ / ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والموشح ١٠١ ، والصحاح مادتي (سحت) و (جلف) ، ولسان العرب مواد =

حيث رفع مسحت مع كونه استثناء مفرغا في موقع المفعول به ميلا الى أنه من جهة المعنى في موقع الفاعل ،لأن معنى لم يدع أي لم يترك في معنى لم يبق ،اذ ليس ههنا فصل من الزمان وانما الاسناد اليه مجاز ،والحقيقة أنه لم يبق فيه من المال الا مسحت أي مستأصل من الاسحات وهي لغة نجد ،والسحت لغة الحجاز ، والمجلف: الذي بقيت منه بقية ،وقد يقال : المجلف هو الذي ذهب ماله ،والمعنى وجهتنا اليك طرق في الجبال من بعد ،ومهامه متعسفة لا علم بها ،واصابة سنة وقحط ذهبت بالأموال والاخوان ،وقد روى البيت في سورة طه :

" الا مسحتا أو مجلف[1] "

بنصب الأول ورفع الثاني وهي الرواية في كثير من الكتب كالصحاح وغيره[2] ،ولا ميل فيه مع المعنى ،بل التقدير ، الا مسحتا أو شيئا هو مجلف ،فحذف الموصوف وصدر الجملة الواقعة صفة [اللهم الا أن يجعل عطف مجلف على مسحت مبنيا على أنه في معنى لم يبق الا مسحت][3] ،والشعوب : جمع شعب بالكسر وهو الطريق في الجبل ،ومن الغريب ماقيل انه جمع شعبة وهي غصن الشجر ،والهوجل : الفلاة لا أعلام بها ،وقال الأصمعي : " الهوجل : الأرض تأخذ مرة هكذا ومرة هكذا "[4] ، والمتعسف : الاخذ في غير الطريق ،[5] وعض زمان بالاضافة عطف على شعوب .

وقوله : (ميلهم مع المعنى) أي مالوا معه حيث مال ،وكان مقتضى الاعراض عن اللفظ أن يقال : الميل الى المعنى لكن الشائع في مثل هذا المقام : الميل مع المعنى ،وقوله : (كان معنى فشربوا في معنى[6] فلم يطيعوه) اشارة الى ان (لم يطيعوه) معنى المعنى ،لا معنى لفظ " فشربوا " .

= (ودع) و (سحت) و (جلف) و (عجل) .

(١) الكشاف٣/٥٦ .

(٢) انظر الصحاح مادة (سحت) و (جلف) ،والوساطة ٦ ،وجمهرة أشعار العرب ٣١٥ ،واللسان مادة (سحت) ،والانصاف ١٠٩ ،والبحر المحيط ٣/٣٣ ، والخزانة ١/١١٥ ،واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢/٦٦٢ ،ومعاني القرآن للفراء٢/١٨٢ ،والمحتسب لابن جني ١/١٨٠ ،والموشح ١٠١ ،وطبقات الشعراء١٥ .

(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٤) الصحاح مادة (عجل) .

(٥) في الصحاح مادة (عسف) : " العسف الأخذ على غير الطريق وكذلك التعسف والاعتساف " .

(٥) خ " في حكم " وهو مخالف لعبارة الكشاف١/٢٢٤ .

قوله : (وأيقنوه) اشارة الى ان " يظنون " ليس في معنى يعتقدون اعتقادا راجحا بحيث يقابل العلم ، يعنى ان " الذين آمنوا " / من وضع الظاهر موضع المضمر ١٩١ أ اشارة الى القليل الذين لم يشربوا ، وضمير " قالوا " لهم باعتبار البعض ، و " الذين يظنون " هم البعض الآخر الذين هم أشد يقينا وأخلص اعتقادا وبصيرة ، فان المؤمنين وان تساووا فى أصل اليقين والاعتقاد جاز أن يتفاوتوا فى قوة ذلك ، ولا يلزم من ذلك خلل فى ايمانهم ، وجاز أن يكون ضمير " قالوا " للكثير الذين انخذلوا فشربوا منه ، و " الذين يظنون " من وضع الظاهر موضع المضمر اشارة الى الذين آمنوا .

قوله : (وزوجه) أى داود (طالوت) بنت جالوت ، وروى أنه أى طالوت حسد داود على الزوجة .

قوله : (يدفع بعض الناس ببعض [1]) يعنى أن " الناس " للجنس ، والبعضان على ابهامهما ، أو البعض المدفوع هم الكفار والمدفوع بهم هم المسلمون ، وفساد الأرض اما فساد الكفار فيها وقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضى الى خرابها ، واما هلاك أهلها بالكلية بشؤم عموم الكفر ، وقد يتوهم أن فى الوجهين الأخيرين اللام فى الناس للعهد اشارة الى المسلمين والكفار [2] .

قوله : (يعنى القصص) [3] اشر ذلك جريا على قضية القرب والمناسبة ، وقد يجعل اشارة الى جميع ماسبق من أول السورة .

قوله : (لما أوجبذ لك) [4] أى التفضيل ، (من تفاضلهم) يعنى ان الموجب للتفضيل هو مافيهم من الحسنات على تفاوتها ، لا مجرد المشيئة والعناية على ماهو رأى أهل السنة .

قوله : (كليم الله بمعنى مكالمه) كالجليس بمعنى المجالس ، [والأنيس بمعنى

---

(١) قوله " ببعض " ناقص من خ ، ط .

(٢) وهذا ماذهب اليه الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٢٥٥ ، وتبعه اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ١٤١ ، وفى خ : " اشارة الى فريقى المسلمين والكفار " .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق . . " ٢٥٢ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٢٥ .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . . . " ٢٥٣ — ٢٥٤ البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٢٢٦ .

المؤانس]⁽¹⁾ ، والنديم بمعنى المنادم ، وهو كثير .

قوله : (لأنه هو المفضل عليهم) هذا هو المختار في أفضل الأنبياء على ما استقر عليه رأى العلماء . وفي التعبير عنه باللفظ المبهم تنبيه على أنه من الشهرة بحيث لا يذهب الوهم الى غيره في هذا المعنى ، ألا ترى ان التنكير الذى يشعر بالابهام كثيرا مايجعل علما على الاعظام والافخام ؟ فكيف اللفظ الموضوع لذلك ؟ .

قوله : (لا ينبغي) لعل هذا تواضع منه ، وتعظيم ليحيى عليه الصلاة والسلام⁽²⁾ وتنبيه على علو شأنه ، واظهار العلم برفعة مكانه .

قوله : (وهذا دليل بين) هذا مما لا نزاع فيه وانما الكلام في ما ادعى أن التفضيل لابد أن يكون لموجب⁽³⁾ في النبى عليه السلام من الحسنات ، ولا دليل على ذلك ، وما ذكر من ايتاء الآيات انما هو بيان للتفضيل لا موجبات له .

قوله : (مشيئة قسر والجاء)⁽⁴⁾ ، لهم أصلان فاسدان لا يستقيم معهما معظم ماوقع في التنزيل من نسبة المشيئة الى الله تعالى :

أحدهما — أن الله لايريد الشرور / والقبائح ألبتة ، وانما يريد الخيرات ١٩١ ب والحسنات .

وثانيهما — أن ليس ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، بل قد شاء مالم يقع كايمان الكافر وطاعة العاصى ، وقد وقع مالم يشأ ككفر الكافر وفسق الفاسق .

فعلى هذا لا يستقيم أنه لو شاء ترك الاقتتال والاختلاف لوقع ، ولا انه لم يشأ ترك الاقتتال والاختلاف فلم يقع ، على ماهو وضع كلمة " لو " من انتفاء الثانى لانتفاء الأول ، لأن ترك الاقتتال حسن قد شاءه ، فاضطروا الى تقييد المشيئة بمشيئة القسر ليصح أنه لو شاء لوقع ، وأنه لم يشأ عدم الاقتتال مشيئة قصر وان شاءه مشيئة تفويض الى اختيارهم ، ولما لم يكن كل ماأراده الله واقعا كما ذكرنا لم يستقم أنه يفعل كل مايريد ، فلهذا خصصه (بالخذلان) المفضي الى فعل القبائح ، و (العصمة) المانعة عنه ، ومن كان له شمة من الانصاف فهم من هذه الآية ان الكل بمشيئة الله

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

(٢) م : عليه السلام .

(٣) ب : بموجب .

(٤) في الكشاف ١ / ٢٢٧ "مشيئة الجاء وقسر" .

تعالى[1] .

فان قلت: الاستدراك بعد استعمال كلمة " لو " على قاعدة العربية أن يذكر انتفاء الشرط ليثبت انتفاء الجزاء ،أى لكن لم يشأ عدم الاقتتال فاقتتلوا ،وعلى قاعدة الاستدلال أن يذكر انتفاء الجزاء ليعلم انتفاء الشرط ،أى لكنهم اقتتلوا فعلم أنه لم يشأ عدم الاقتتال ،فما وجه قوله : " ولكن الله يفعل ما يريد " ؟ قلت: معناه لكنه لم يشأ عدم الاقتتال بل ثبوته فثبت لأنه يثبت ما يريده ايا كان .

قوله : (فى حط الواجبات) من الانفاق وغيره ، يعنى أن تدارك مافاتكم من الانفاق اما بالأداء بعد الحصول بطريق المعاملة أو المجاملة ،واما بالابراء ، ولا سبيل الى شئ من ذلك اذ لا بيع ولا خلة ولا شفاعة سيما فى اسقاط حقوق العباد ، وأما (أن الشفاعة لا تكون الا فى زيادة الفضل) فطريقة الاعتزال والكلام عليه مستوفى فى علم الكلام .

قوله : (ولأنه جعل) عطف على(التغليظ) ،يعنى عبر عن تارك الزكاة بالكافر تغليظا عليهم حيث شبه فعلهم الذى هو ترك الزكاة بالكفر ،أو جعل مشارفة على الكفر ،أو تعبيرا باللازم عن الملزوم ،حيث جعل ترك الزكاة فى موضع آخر[2] من صفات الكفار ولوازمهم ،فهو على الأول استعارة تبعية أو مجاز مشارفة ،وعلى الثانى كناية أو مجاز لزوم .

قوله : (الحى الباقى) [3] تفسير وبيان للمراد بالحى فى حق البارى تعالى ، وأما بحسب اللغة فالحى ذو الحياة ،ولا يفهم منه الا قوة تقتضى الحس والحركة ، ولما اتفقوا على أن البارى تعالى حى ،فسر المتكلمون /الحى بالذى يصح أن يعلم ١٩٢ أ
ويقدر ،ليصدق على البارى تعالى ،سواء جعل الحياة صفة وجودية زائدة أولا ، لكن فى صدقه على غير ذوى العلم من الحيوانات نظر .

وأما " القيوم " فقد فسره بوجه ينبئ عن الاشتقاق ولا يصدق على غير البارى .

---

(١) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ،وانظر الانتصاف ١ / ٧ ٢ .
(٢) وذلك فى قوله تعالى : " وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة " من الآيتين ٦ ، ٧ من سورة فصلت .
(٣) فى تفسير آية الكرسى ،الكشاف ١ / ٢٢٨ .

تعالى وتقدس[1] وبه يشعر كلام الجوهري حيث قال[2] : " القيوم اسم من اسماء الله تعالى "[3] ،وفى الأساس : " الحى القيوم الدائم الباقى[4] " .

قوله : (والسنة) أصلها وسنة كعدة ،وسن بالكسر يوسن فهو (وسنان) (أقصده) أصابه من رماه فأقصده أى قتله مكانه ،و(رنق)النعاس أى خالط عينه من رنق الطائر : وقف فى الهواء صافا جناحيه يريد الوقوع ،دل البيت على أن الوسن غير النعاس لا النوم الخفيف ،ووسنان صفة أحور فى البيت السابق وهو :

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جاذر جاسم[5]

وفى تقديم السنة[6] مراعاة ترتب الوجود على طريقة " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة[7] " قصدا الى الاحاطة والاحصاء .

قوله : (وهو) أى " لا تأخذه سنة ولا نوم " من جهة المعنى (تأكيد للقيوم)

---

(١) قوله " تعالى وتقدس " ناقص من الأصل .
(٢) فى م ،خ "" ولقد صرح الجوهرى بذلك حيث قال " .
(٣) الصحاح مادة (قوم) .
(٤) اساس البلاغة مادة (قوم) .
(٥) لعدى بن الرقاع فى تشبيب مدح الوليد بن عبد الملك ،وعن الأصمعى أنه لأحمد بن الرقاع ،وبين النساء أى دون النساء وقد روى كذلك ، وأيضا وسط النساء ،والحور صفاء سواد العين وبياضها ،والجاذر جمع جؤذر وهو ولد الظبية ،وجاسم موضع بعينه ،انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٢٨ ،وتنزيل الآيات ٥١٧ ،وتفسير القرطبى ٢٧٢/٣ ،والبحر المحيط ٢ / ٢٧٢ ،والوساطة ١٣ ، والعمدة ١ / ٣٠١ ،والكامل للمبرد ١ / ٨٦ ،ومعاهد التنصيص ١ / ٣٣٦ ،وديوان المعانى ١ / ٢٣٥ ،والأغانى ١٧٤/٨ ،وأمالى المرتضى ٢ / ١٥١ ،وسمط اللآلىء ١ / ٥٢١ ،وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ / ١٣٨ ،وللمرزوقى ١ / ١٤٣ ، ولسان العرب مادة (نعس) ، و(رنق) و(جسم) و(وسن) .
(٦) أى على النوم فى قوله تعالى " لا تأخذه سنة ولا نوم " .
(٧) من الآية ٤٩ من سورة الكهف .

لأنه من لوازمه ،واثبات اللازم بعد اثبات الملزوم تأكيد ،ووجه اللزوم أن من جاز عليه النوم لا يكون قيوماً ،وينعكس بعكس النقيض الى من يكون قيوما لا يجوز عليه النوم .

قوله : (وكان ذلك من قومه [(١)]) يعنى أن موسى عليه السلام [(٢)] كان عالما بأن الله تعالى لا ينام كما كان عالما بأنه لا تجوز رؤيته .

قوله (لأن فيهم العقلاء) فجاز أيديهم وخلفهم بضمير العقلاء تغليبا ،لكن لا يخفى أنه حينئذ لا ينتظم قوله : (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم أى ماكان قبلهم ومايكون [(٣)] بعدهم) سيما وقد فسره آخرا بأنه يعلم أحوال الخلائق ومن يستوجب منهم الشفاعة ومن لا يستوجب ،وكأنه أراد أن الضمير لما فيهما من العقلاء خاصة . وقيل : ان المعنى على الوجه الأول أنه مالك للكل وتصرفه فى الكل بحسب العلم التام والحكمة البالغة ،وعلى الثانى أنه [(٤)] لا مجال لأحد أن يشفع عنده الا باذنه لأنه يعلم ماتقدم من ذنوب المشفوع لهم وما تأخر منها وهم لا يعلمون من أحوالهم الا ماشاء الله تعالى [(٥)] ،فربما شفعوا نظرا الى ظاهر الحال لمن لا يستحق الشفاعة حقيقة ،فقوله " لا يحيطون " من تتمة قوله : " يعلم مابين أيديهم " فلذا عطف أو جعل حالا من مرفوع " يشفع " أو مجرور " باذنه " أو الضمير المتحول اليه وانه [(٦)] . فى موقع الحال أى الا ملتبسا باذن الله .

قوله : (لم يضق) هو معنى " وسع " .

قوله : (وماهو الا تصوير لعظمته) تفسير للكلام / وتحقيق للمرام يعنى حاول أن ١٩٢ب
يصور المعقول بصورة المحسوس ،ويبرز الغائب عن الحس فى صورة المشاهد ،وحقيقته تمثيل عظمته بعظمة من يكون له كرسى لا يضيق عن السموات والأرض ثم اطلاق لفظ المركب الحسى المتوهم على المعنى العقلى المتحقق .

قوله : (ألا ترى ؟) يعنى أن صدر الآية بيان لعظمته وأنهم لم يعرفوا كنه عظمته .

قوله : (تسمية بمكانه) لأن الكرسى مكان العالم الذى فيه العلم فيكون مكانا للعلم بتبعيته ،لأن العرض يتبع المحل فى التحيز حتى ذهب المتكلمون الى أن هذا

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٥ / ٣٩٣ .

(٢) قوله "عليه السلام" زائد فى م .

(٣) قوله " يكون " ناقص من خ .

(٤) قوله " أنه " ناقص من خ .

(٥) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل .

(٦) خ : لأنه .

معنى قيام العرض بالمحل ، وكذا الكلام في كونه مكانا للملك والسلطنة .

قوله : (الرابع) أنه كرسي حسي حقيقي هو دون العرش ، ولم يجعل قول الحسن (١) وجها خامسا لضعفه ، حيث اشتهر أن الكرسي غير العرش ، أو أراد بالرابع أنه كرسي حسي هو العرش أو غيره .

قوله : (حفظهما) بين مرجع الضمير مع قربه اذ ربما يتوهم أنه جمع فلا يصلح مرجعا لضمير التثنية .

قوله : (فالأولى) ، لاخفاء في أن الثانية " له مافي السموات ومافي الأرض " ، والثالثة " من ذا الذى يشفع " ، والرابعة " يعلم مابين أيديهم " الى " بما شاء " ، والخامسة " وسع كرسيه " (٢) ، وانما الكلام في الأولى فقيل : " لا تأخذه سنة " لأنه أولى الجمل المترتبة بلا حرف عطف الواقعة موقع البيان (٣) ، وقيل : جملة قوله : " الله لا اله الا هو الحي " الى قوله : " ولا نوم " اذ قد سبق أن " لا تأخذه " تأكيد للقيوم فمعنى كونها بيانا لقيامه بتدبير الخلق أن القصد والغرض منها ذلك وليس المعنى أنها وقعت بيانا لجملة قبلها فلم تعطف عليها ، ولا يخفى أن هذا لا يناسب المقصود ، لأنه بصدد ذكر البيانية المانعة من العطف ، ولأن أصل الكلام وهو " الله لا اله الا هو " ليس بيانا للقيام بل للوحدانية ، ولأن السؤال انما هو في الجمل المترتبة على أول الكلام كيف ترتب بلا عاطف ؟ فالأولى لابد أن تكون من جملتها ، ثم الظاهر من سوق كلامه أن الكل مترتبة على جملة واحدة بيانا لأمر فيها ، لا أن كل واحدة بيان لما قبلها ، فان جعلنا " الحي القيوم " بدلا من " هو " أو خبرا ثانيا فالمترتب عليه جملة " الله لا اله الا هو الحي القيوم " وأولى الجمل المترتبة " لا تأخذه " ، وان جعلناه خبر مبتدأ محذوف فالأولى " الحي القيوم " مع ماوقع تأكيدا للقيوم أعني " لا تأخذه " .

قوله : (وتعلقه بالمعلومات) بيان لسعة علمه ، وضمير تعلقه لله تعالى لا لعلمه على ماهو المفهوم / عندهم ، وهذا اشارة الى الوجه الثاني في " وسع كرسيه " ، ١٩٣ أ وقوله : (أو لجلاله) الى الأول والثالث والى الرابع أيضا بوجه .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٢٧٩ . (٢) في خ زيادة " السموات " .
(٣) وذهب الى ذلك الفاضل اليمني في تحفة الاشراف ١ / ١٤٢ .

قوله : (الا اعتجرتها) فى الاساس: " هجره وعاجره واعتجره [1] " بمعنى .

قوله : (لم يمنعه) يعنى لم يبق من شرائط دخول الجنة الا الموت [2] ، وكأن الموت يمنع ويقول : لابد من حضورى أولا لتدخل الجنة .

قوله : (علم أهل العدل) الظاهر أنه أراد كلامهم خاصة ، و(الأعداء) هم أهل الحق من المتكلمين ، لكن لا يخفى أن آية الكرسى انما تشتمل على التوحيد بمعنى نفى كل معبود سوى الله تعالى ، وعلى الصفات بمعنى اثباتها لا نفيها ، والاخلاص على التوحيد ، والاحتياج اليه ، وبعض التنزيهات .

قوله : (فان العرانين) الفاء من لفظ الكتاب ، والبيت:

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا [3]

عرنين الشيء : أوله ، وعرانين القوم : ساداتهم ، وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف بحيث يكون فيه الشم [4] .

قوله : (بالشيطان) [5] ، " الطاغوت " فعلوت من طغى ، أصله طغيوت ثم طيغوت ثم طاغوت ، وقال الجوهرى : " هو الكاهن والشيطان وكل رأس فى الضلال ، يكون واحدا مثل : " يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به " [6] ، وجمعا مثل : " أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم " [7] .

قوله : (وهذا تمثيل) شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبل المحكم المأمون تقطعها ، ثم ذكر المشبه

---

(١) أساس البلاغة مادة (عجر) (٢) شعب الايمان للبيهقى ٢ / ٤٢ .
(٣) للمغيرة شاعر آل المهلب ، وقيل للمهلبية : ما أكثر حسادكم فأنشدوه ، والبيت فى الكشاف ١ / ٢٣١ برواية " ولا ترى " بدل " ولن ترى " ويروى أيضا " وما ترى " انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٣١ ، وتنزيل الآيات ٣٦٩ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٤ / ٢٨٣ ، وللمرزوقى ٤ / ١٧٧٥ ، وذيل اللآلىء ٢٢ ، وأساس البلاغة مادة (حسد) .
(٤) خ : الشم .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى .. " ٢٥٦ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣١ .
(٦) من الآية ٦٠ من سورة النساء .
(٧) من الآية ٢٥٧ من سورة البقرة ، وانظر الصحاح مادة (طغا) .

به وأراد المشبه ، ولم يمنع كون العروة استعارة عن العهد أو الكتاب كما في قوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله " (١) ، وكثيرا مايترك المصنف بعض المحتملات من وجوه الاعراب والبيان ويذكره في موضع آخر .

قوله : (وقيل) عطف على قوله : (أي لم يجر الله أمر الايمان على الاجبار) يعني أن لفظ " لا اكراه في الدين " خبر ومعناه نهي منسوخ أو مخصوص .

قوله : (أي أرادوا أن يؤمنوا) (٢) لأن من آمن حقيقة فهو مخرج من الكفر لا يتصور اخراجه ، وكذا " الذين كفروا " محمول على العزم والتصميم ، ثم لابد أن يحمل ايمانهم الذي يخرجون منه على الايمان الفطري أو كفرهم الذي صمموا عليه على الارتداد ، ثم ذكر وجها آخر يكون آمنوا وكفروا على ظاهره بأن يراد بالظلمات الشبه ، وبالنور البينات .

قوله : (أن آتاه الله الملك) (٣) بحذف اللام أو الوقت ، وعلى الأول اللام للعلية والسببية اما حقيقة بمعنى أن ايتاء الملك صار سببا / للتكبر والعتو وهو للمحاجة ، واما ١٩٣ب استعارة وتشبيها لاستعقاب الايتاء المحاجة باستعقاب العلة المعلول كما دخلت اللام في قوله تعالى : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا (٤) " على ماليس بغرض تشبيها له بما هو غرض ، فههنا تشبيه بالعلية والسببية وثمة بالمعلولية والغرضية والتمثيل بقوله تعالى : " وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " (٥) في أنهم جعلوا شكر الرزق ضد ماكان ينبغي أن يكون .

قوله : (آتاه ماغلب به) ، من له مسكة من الانصاف (٦) يعلم أنه لا معنى لايتاء الملك والتسليط الا ايتاء الأسباب ، ولو سلم ففي ايتاء الأسباب يتوجه السؤال ، ولو سلم فما من قبيح الا ويمكن أن يعتبر فيه غرض صحيح مثل الامتحان .

---

(١) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران ، ولقد ذكر في تفسير تلك الآية أنه يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره بالله ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه به . انظر الكشاف ١ / ٢٠٢ .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور .. " ٢٥٧ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣٢ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك .. " ٢٥٨ — ٢٥٩ البقرة . (٤) من الآية ٨ من سورة القصص .

(٥) الآية ٨٢ من سورة الواقعة . (٦) يقال : فيه مسكة من خير أي بقية .

قوله : (نصب بحاج)[1] يعني بالاستقلال (أو بدل) ،وعلى الوجهين يشكل موقع "قال أنا أحيي وأميت" الا أن يجعل استئنافا جواب سؤال .

قوله : (وكان الاعتراض) أي اعتراض ابراهيم على ماقال نمروذ (عتيدا) أي حاضرا مهيئا وهو أن ماأتيت به ليس باحياء واماتة ،لأن الاحياء اعطاء الحياة لمن لا حياة له ،والاماتة ازالتها بلا مباشرة الأسباب الظاهرة كالقتل .

قوله : (جوابه الأحمق) وصف بوصف صاحبه كالكتاب الحكيم ،وهو اسناد مجازي للحماقة الى بعض مايتلبس بفاعله الحقيقي ،أعني الجواب الذى هو من ملابسات المجيب ،وان حاولت جعله من ملابسات الفعل فمفعول بواسطة أي أحمق هو فيه وسببه .

قوله : (ولكن انتقل) فان قيل : ماكان ينبغي للنبي [صلى الله عليه وسلم][2] أن ينتقل ،بل كان عليه ازاحة[3] الشبهة دفعا لوهم الافحام ،قلنا : انما يكون ذلك اذا كانت للشبهة قوة والتباس على السامعين ،وأما في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض عنها وعدم الالتفات سيما مع المجادل الأحمق الخارج عن دائرة التوجيه ، فان اللائق بحاله الانتقال الى دليل آخر لا يجد فيه مجالا للجواب أصلا ليلزم انقطاعه من أول الأمر ،والى هذا أشار بقوله : (سمع جوابه الأحمق) وقوله : (ليبهته أول شيء) أي يأخذه بغتة ،ولا يخفى أنه لا يتأتى في طلوع الشمس وغروبها مثل شبهة الحياة والموت التي ربما تلتبس على بعض الاغبياء من السامعين ،أما الاتيان من المغرب فظاهر ،وأما ادعاء أنه الذى يأتي بها من المشرق فانه جرى على هذا دهور ولا أثر من نمروذ ،وبالجملة لا / يصدقه في ذلك أحد من السامعين[4] . ١٩٤أ

قوله : (وهذا دليل على جواز الانتقال) ان أراد بعد اتمام الحجة الأولى فلا نزاع للاتفاق على جواز اقامة الأدلة الكثيرة ،وان أراد قبلها فلا دلالة لأن الأولى قد تمت على ماذكرنا .

وفي كلامه اشعار بأن ماذكر حجتان : تقرير الأولى أن الله تعالى ان كان

---

(١) الكشاف ١ / ٢٣٣ .

(٢) مابين المعقوفين ناقص من م وفي خ : عليه السلام .

(٣) ط ،خ : ازالة .

(٤) م ،خ : من السامعين أحد .

متفردا بالاحياء والاماتة كان متفردا بالمبدئية والألوهية واستحقاق العبودية ونحو ذلك ، والملزوم حق . وتقرير الثانية انه ان كان متفردا بالاتيان بالشمس من المشرق الى آخره — ولا يخلوا عن ملاحظة للأولى — فان الشمس بمنزلة الروح للعالم ، والنور شبه حياة ، والظلمة شبه ممات .

والتفرد وان كان حقيقة فى الواقع لكن المراد فى هذا المقام التفرد بالنسبة الى الملعون المدعى للألوهية دفعا لدعواه وردا عليه ، ولهذا لم يتوجه للملعون أن يمنع كون ذلك من الله تعالى [لأنا لا نعنى بالاله الحق الا من كان هذا فعله] (١) فلا بد للملعون من اثبات المشاركة (٢) فيه أو التفرد به ، وبالجملة فظاهر الاحتجاج اقناعى بمقدمات مشهورة مسلمة ، ولا يبعد أن يجعل برهانيا بتحقيقات وتدقيقات فلسفية .

قوله : (معناه أو أرأيت) بسكون الواو لأنها " أو " العاطفة الواقعة فى النظم ، وتقرير المقام أن كلا من لفظ " ألم تر " و " أرأيت " يستعمل لقصد التعجيب ، الا أن الأولى تتعلق بالمتعجب منه ، يقال ألم تر الى الذى صنع كذا ؟ بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله ، والثانية بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذى صنع كذا ؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل ، ولا يصح : ألم تر الى مثله ؟ ، اذ يكون المعنى انظر الى المثل وتعجب من الذى صنع ، فلذا لم يستقم عطف " كالذى مر " على " الذى حاج " واحتيج الى التأويل فى المعطوف بجعله متعلقا بمحذوف أى أرأيت كالذى مر ؟ ليكون من عطف الجملة ، أو فى المعطوف عليه نظرا الى أنه فى معنى أرأيت كالذى حاج ؟ ليصح العطف عليه ، فظهر أن عدم الاستقامة ليس بمجرد امتناع دخول كلمة " الى " على " الكاف " اسمية كانت أو حرفية ، حتى لو قلت : ألم تر الى الذى حاج أو مثل الذى مر ؟ فعدم الاستقامة بحاله عند من له معرفة بأساليب الكلام .

وان هذا ليس من زيادة الكاف فى شىء ، بل لابد فى التعجب بكلمة " أرأيت " من اثبات الكاف أو ما فى معناها ، يقولون : أرأيت كزيد أو / مثل زيد ؟ وهو شائع فى سائر اللغات ، نعم لو قيل : أرأيت زيدا كيف صنع ؟ قصدا الى التعجب بكلمة كيف ٩٤ اب

---

(١) فى م " لأنا نعنى بالاله الحق من كان هذا فعله " .
(٢) خ : الشركة .

أو قرينة أخرى ، فذلك باب آخر .

قوله : (والمار كان كافرا بالبعث) هذا قول مجاهد وأكثر المعتزلة[(١)] ، واستدل على كونه هو الظاهر بانتظامه مع نمروذ في سلك حيث سيق الكلام للتعجب من حالهما ، وبأن كلمة الاستبعاد في مثل هذا المقام تشعر بالانكار ظاهرا ، وانما تكون لمجرد التعجب اذا علم أن المتكلم جازم بالوقوع كما في " أني يكون لي غلام ؟ "[(٢)] ، و" أني يكون لي ولد ؟ "[(٣)] ، ومجرد الاحتمال لا ينافي الظهور ، ومايقال : انه قد انتظم مع ابراهيم أيضا في سلك ليس بمستقيم ، وانما ذلك مجرد مقارنة في الذكر اذ لم يذكر على الوجه الذى ذكر ابراهيم وهو معنى الانتظام في السلك ، نعم لو قيل : الانتظام في سلك يدل على كونه مؤمنا ليكون الاتيان توضيحا وتمثيلا وتفصيلا لما سبق من الاخراج من الظلمات الى النور وبالعكس ، لكان شيئا .

قوله : (أراد أن يعاين) جواب عن الاستدلال على الكفر بالانتظام مع نمروذ ، وقوله : (أني يحيي اعتراف بالعجز) جواب عن الاستدلال بذلك على كفر المار .

قوله : (والقرية بيت المقدس) يعني ليس المراد بها أهل القرية بل نفسها بدليل قوله : " وهي خاوية على عروشها " أى ساقطة على سقوفها بأن سقط السقف أولا ثم سقطت الجدران عليه ، ولا أرى لتأخير التفسير الى سورة الحج[(٤)] جهة ، وأما قوله : " أني يحيي هذه الله بعد موتها " فلا خفاء في أن المراد به أهل القرية .

قوله : (بناء على الظن) يعني لم يتيقن أنه يوم أو بعض يوم ، وأما على ماروى من أنه قال ذلك بعد ما رأى بقية من الشمس ، فيحتمل أن تكون " أو " بمعنى بل اذ الغرض تقليل المدة ، والا فعلى تقدير أن لا يرى بقية من الشمس لم تكن المدة يوما تاما لأنه مات ضحى .

قوله : (لأن لامها هاء) بدليل سانهت مسانهة ، أو واو بدليل سنوات ، فعلى

---

(١) انظر كتاب أنموذج جليل في بيان اسئلة وأجوبة من غرائب اى التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازى ١/ ٢٣ .

(٢) من الآيتين ٨ ، ٢٠ من سورة مريم . (٣) من الآية ٤٧ من سورة آل عمران .

(٤) وذلك في الآية ٤٥ من سورة الحج ، وانظر الكشاف ٣/ ١٢٧ .

التقدير الأول تكون الهاء في " لم يتسنه " لام الفعل وعلامة الجزم السكون ، وعلى الثاني الهاء للسكت وعلامة الجزم حذف اللام اذ الأصل يتسنى من السنة وأصلها سنوة ، وقيل : يتسنى مقلوب اللام من النون على أنه مضاعف لا منقوص ، لكن لا يوجد في معناه الا الحمأ المسنون أي المتغير المنتن ، و (نخرت العظام) بليت وتفتتت ، (يهذها) يقرؤها سريعا ، (ماخرم) أي مانقص وما قطع أو ما أفسد من خرمت الخرز أثأيته .

قوله : (هي عظام الحمار) / اذا أريد انظر الى الحمار كيف تفرقت عظامه ، (أو عظام الموتى) اذا أريد انظر الى حمارك سالما . ١٩٥ أ

قوله : (فحذف الأول) أي أسقط من اللفظ وجعل موضعه الضمير ، وهذا على قانون البصريين في باب التنازع ، وعند الكوفيين بالعكس[٢] ، لكن ترك الضمير في " أعلم " ينفي كون الكلام على مذهبهم ، اذ المختار حينئذ اضمار المفعول ، وان جعل فاعل " تبين " ضمير (ماأشكل) لم يكن من التنازع ، واما قراءة " تبين " مبنيا للمفعول[٢] فمن تبينت الشيء علمته بينا ، وقراءة العامة من تبين الأمر ووضح ، وقراءة " قال اعلم "[٣] على لفظ الأمر خطاب لنفسه على طريق التجريد ، (كيف يسوغ) الصواب فكيف[٤] .

قوله : (ولم يكن اذ ذاك كافرا) ليس على ما ينبغي ، لأن الايمان انما حصل بعد تبين الأمر ، والكلام قبله ، فالأولى تجويز أن يكلم الله الكافر لقصد الهداية كما جاء للاهانة مثل : " اخرج منها[٥] " و " اخسئوا فيها "[٦] وقد يقال : الممتنع الكلام[٧] في دار التكليف بطريق الملاطفة لما فيه من التكريم .

قوله : (أو لم تؤمن ؟)[٨] الاستفهام للتقرير ، ووجهه أنه وان لم يطلب الا تبصر

---

(١) الثأى : الخرم والفتق ، وأثأيت في اليوم جرحت فيهم .

(٢) شرح الأشموني ١ / ٢٠٣ . (٢) البحر المحيط ٢ / ٢٩٥ .

(٣) وهي قراءة أبي رجاء وحمزة والكسائي ، البحر المحيط ٢ / ٢٩٦ وأنوار التنزيل ١ / ١٧٩ .

(٤) كما هو موجود في عبارة النسخة التي بين يدي ١ / ٢٣٥ .

(٥) من الآية ١٨ من سورة الأعراف . (٦) من الآية ١٠٨ من سورة المؤمنون .

(٧) لفظ " الكلام " ناقص من خ .

(٨) انظر تفسير الآية ٢٦٠ من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣٥ .

كيفية الاحياء وهو مشعر بالتصديق بالاحياء لكن طلب ذلك بالنسبة الى بعض الطالبين قد يكون لحصول العلم ،فأجاب بأني مصدق ، ولكن للعيان لطيف معنى ، فبالمشاهدة يحصل اطمئنان لايكون مع العلم اليقيني ،لما فيه من الاحساس الذى قلما يقع فيه شك ،ومن تظاهر الأدلة ،ومن العلم التفصيلى الذى هو أبعد عن الشبهة وان كان الاجمالى كافيا فى أصل الايمان على ماقال : "أو لم تؤمن ؟ " ،وأما تجويز التشكيك مع العلم الاستدلالى فانما يصح اذا أريد بالعلم الاعتقاد الجازم المطابق من غير اشتراط الثبات .

قوله : (ارادة طمأنينة) بيان للمعنى ،والا فاللام يصح فلا حاجة الى تقدير الارادة .

قوله : (بضم الصاد) أمر من صار يصور ،وبكسرها من صار يصير وهما لغتان ،والمعنى أماله .

قوله : (ولكن أطراف الرماح)

أوله :

وما صيد الأعناق فيهم جبلة .

وقيل :

فما تقبل الاحياء من حب خندف (١)

والصيد : الميل والاعوجاج ،يعنى ان امالة الاعناق انما هى من الرماح .

(الفرع) الشعر التام ، (والوحف) الكثير ، (الليت) صفحة العنق ، (القنوان) جمع قنو وهو العنقود ، (الدوالح) بالحاء المهملة من دلح اذا مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه ،شبه الفرع بالقنوان المثقلات بالحمل (٢) . (صر)

---

(١) وهو كذلك فى شرح ديوان الفرزدق ١/ ٢٧٥ والشطر الثانى :
ولكن أطراف العوالى تصورها
وخندف قيل : انها امرأة الياس بن مضر واسمها ليلى نسب ولد الياس اليها وهى أمهم ،والخندفة مشية كالهرولة ،يقول : لا تسالم الاعداء خندف حبا ولكن خوفها ،وأن الرماح تعطفها اليها صاغرة ،انظر مشاهد الانصاف ١/ ٢٣٦ ،وتنزيل الآيات ٣٩٧ .

(٢) وصف الشاعر محبوبته بكثافة الشعر وسواده وان الضفائر على عنقها بحيث تميله من كثرتها مثل عنا قيد الكروم الكثيرة الحمل ،انظر مشاهد الانصاف ١/ ٢٣٧ =

الفرس أذنيه : ضمهما وجمعهما ،صريت الشاة/ تصرية اذا لم تحلبها أياما حتى ١٩٥ب
يجتمع اللبن في ضرعها .

قوله : (تعالين باذن الله) يشير الى أنه متعلق بالفعل المأمور به لا بالطلب نفسه ،فليتأمل .

قوله : (وحلاها) حلية الانسان صفته وما يرى فيه [1] من لون وغيره ،والجمع حلى بالضم والكسر.

قوله : (ولذلك قال) يعني لئلا تلتبس ،ولا يتوهم أنها غير تلك ،كان الاتيان بسرعة .

قوله : (لابد من حذف مضاف) [2] أى من اعتبار الحذف وتقديره في جانب المشبه أو المشبه به ،لتحصل ملاءمة المثل للمثل ،وان كان التشبيه من المركب الذى لاعبرة فيه بتشبيه المفردات.

قوله : (تصوير للاضعاف) في قوله تعالى : " فيضاعفه له اضعافا كثيرة " ابرازا للمعقول في صورة المحسوس أى المدرك بالحس حقيقة أو تقديرا كما في الخياليات التي لو أدركت كان ادراكها بالحس ،لكن اثبات سبع سنابل وأكثر منها أضعافا مما تحققناه في الحنطة .

قوله : (متعاورة مواقعها) من تعاوروه : تداولوه فيما بينهم ،يعني بأخذ هذا موضع ذاك وبالعكس .

قوله : (أي يضاعف تلك المضاعفة) يعني أنه على ترك المفعول به لكن مع ارادة خصوصية المفعول المطلق ،أو على حذفه بدلالة القرينة ،فعلى الأول معناه أن تلك المضاعفة التي الى سبعمائة تكون لبعض المنفقين دون البعض ،وعلى الثاني معناه أنه يزيد على ذلك [3] أضعافا لمن يشاء من المستحقين ،فقوله : (ويزيد عليها)تفسير لقوله : (يضاعف).

= ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٧٤ ،وشرح القصائد السبع ٥٥٤ ،وتنزيل الآيات ٣٥٨ ،والصحاح مادة (صير) وكذلك لسان العرب .

(١) خ : عليه .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل " ٢٦١ سورة البقرة ،الكشاف ١/ ٢٣٧ .

(٣) في الأصل : في ذلك .

قوله : (المن أن يعتد)(١) من عده فاعتد أى صار معدودا ، ثم يعدى بالباء يقال : اعتد به أى جعل معدودا معتبرا على المنعم عليه .

قوله : (وفيها) أى فى (نوابغ الكلم) والتأنيث باعتبار الأصل والا فقد صار اللفظ اسما لكتابه المؤلف فى جمع أمثال هذه الكلمات ، (الآلاء) النعم جمع الى بالفتح ، (والمن) الترنجبين ، (والآلاء) بوزن فعال شجر حسن المنظر مر الطعم ، و (مع المن) حال من الضمير فى (أمر) ، و (أزلت اليه) : نعمة أسديتها .

قوله : (الموصول لم يضمن ههنا) يريد بتضمين معنى الشرط اعتبار السببية ، وبهذا الاعتبار حصل فرق لفظى هو وجود الفاء وعدمها ، ومعنوى هو الدلالة بحسب اللفظ عند الاتيان بالفاء على ان استحقاق الأجر(٢) انما هو بحسب الانفاق ، والخلو عن هذه الدلالة عند تركها ، فتضمن الشرط وعدمه باعتبار وجود الفاء وعدمها فرق لفظى ، وباعتبار الدلالة على السببية وعدمها فرق / معنوى ، فلا يرد الاعتراض بأن التضمين أيضا معنوى ، ولا بأن المبتدأ فى مثل هذا الموضع متضمن لمعنى الشرط ضمن أو لم يضمن . ١٩٦ أ

قوله : (لاختصاصه بالصفة)(٣) ، أما فى المبتدأ فظاهر ، وأما فى المعطوف فلما أشار اليه بأن المعنى عفو من المسئول عن السائل ، أو مغفرة من الله تعالى(٤) ، أو من السائل ، على أنه ليس فى القواعد احتياج المعطوف على المبتدأ الى التعريف أو التخصيص .

قوله : (مثله ونفقته) يعنى تشبيه المجموع بالمجموع ، اذ لو قلت : المنفق كالصفوان ، والنفقة كالتراب ، والرياء كالوابل ، لم يكن شيئا .

قوله : (ويجوز أن تكون الكاف) أى " كالذى ينفق " فى موقع الحال من فاعل " لا تبطلوا " ، وعلى الأول كان فى موقع المفعول المطلق على حذف المضاف .

قوله : (كيف قال لا يقدرون ؟) يعنى أنه حال من " الذى ينفق " ، أو استئناف والضمير عائد اليه ، فكان الواجب افراده ، فأجاب بأن " الذى ينفق " فى معنى الجمع

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى .. " ٢٦٢ البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣٨ .

(٢) خ : الجزاء .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ... " ٢٦٣ ـ ٢٦٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣٦ .

(٤) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ب .

بأن يقدر موصوف الجنس أو النوع ، أو يجعل من باب الميل مع المعنى مثل : "فأصدق وأكن "(١) لأنه كثيرا مايقال : من ينفق ، في موضع الذى ينفق ، فكأنه قيل : كمن ينفق ، وأريد الجمع ، فجاز لايقدرون لذلك ، وهذا كما قال في " لباب النحو " : " الأسماء المبنية هي التي تناسب مالا تمكن له ، أو وضع لا لغرض التركيب "(٢) بتذكير ضمير " وضع " مع عوده الى " التي " لأنه كأنه قيل : هي مايناسب أو وضع .

قوله : (على سائر العبادات)(٣) متعلق بقوله (ليثبتوا) ، وضمير (منها) لأنفسهم ، أى وليجعلوا البعض من أنفسهم ثابتا على باقي العبادات حيث جعلوها ببذل المال مذللة خاضعة سهلة الانقياد للأوامر ، كما أنها لو أهملت حتى اتبعت الشهوات صارت جامحة آبية عن الامتثال والطاعة ، وهذا معنى قوله : (وبالعكس) ، و (تحامل عليه) أى مال ، وتحاملت على نفسي أى تكلفت الشيء على مشقة ، وفي الأساس: " تحاملت الشيء : احتملته على مشقة ، وتحامل على فلان : لم يعدل "(٤) .

قوله : (ويجوز أن يراد) ، يعني أن التثبيت الأول كان بمعنى جعل الشيء ذا ثبات ، و" من أنفسهم " في موقع المفعول ، وعلى هذا معناه(٥) جعل الشيء محققا ثابتا ، والمفعول المحذوف هو الاسلام والجزاء ونحو ذلك ، ومن لابتداء الغاية لغوا أى تحقيقا من عند أنفسهم ، أو مستقرا أى كائنا منها ، ويحتمل أن يكون المفعول المحذوف هو كون الانفس صادقة مخلصة في الايمان ، أى يجعلون هذا المعنى ثابتا من أنفسهم(٦) .

قوله : (والمعنى ومثل نفقة هؤلاء) قد مر مرارا أن التشبيه وان / كان مركبا ١٩٦ب لابد في اضافة المثل من رعاية المناسبة ، فالتشبيه على الأول لحال النفقة بحال الجنة بالربوة في كونها زاكية متكثرة المنافع عند الله كيف ماكانت الحال ، فلذا(٧) احتاج الى

---

(١) من الآية ١٠ من سورة المنافقون .
(٢) انظر لباب النحو للقاضي الاسفراييني ، لورقة ١٨ أ ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٤٢ هـ .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ... " ٢٦٥ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٣٩ .
(٤) أساس البلاغة مادة (حمل) .
(٥) قوله " معناه " ناقص من الأصل .
(٦) خ ، ط : من عند أنفسهم .
(٧) م : فلهذا .

تقدير المضاف ،وعلى الثاني لحالهم بحال الجنة على الربوة في أن نفقتهم كثسرت أو قلت زائدة زاكية [1] في حسن حالهم ،كما أن الجنة تضعف أكلها قوى المطر وضعيفه فهذا أيضا تشبيه مركب الا أنه لوحظ الشبه فيما بين المفردات ،وحاصله أن حالهسم في انتاج القل والكثر منهم تضعيف أجورهم كحال الجنة في انتاج الوابل والطل [2] الواصلين اليها تضعيف ثمارها •

قوله : (ضربت مثلا لعمل) [3] يعني بالنظر الى الجنة ،وقوله : (لرجل) بالنظر الى صاحبها ،ومعنى عنى بكذا ،على لفظ المبني للمفعول اهتم به وصرف عنايتـــه اليه ،فبطلان الأعمال الحسنة على الأول بالرياء ،وعلى قول ابن عباس رضي اللـــه عنهما [4] بعمل السيئات ،وعلى قول الحسن [5] لا تعرض له ،والأنسب بالمقام وبكلمة الفاء في قوله : " فأصابها اعصار " أن يجعل ذلك باتباع المن والأذى •

قوله : (أفقر ماكان) نصب على الظرف (لضعف جسمه وكثر صبيانه) ،وتوضيحه أن "ما " مصدرية و "كان " تامة ،والزمان مقدر ،و (الى جنته) متعلق بأفقر أي فــي زمان أحوج أزمنة حصوله الى جنته ،واسناد أفقر الى ضمير الزمان مجازي ،وكـــذا الكلام في (أفقر مايكون الى عمله) الا أنه رفع على الابتداء ،و (اذا انقطعت) خبره ، على أن اذا اسمية لا ظرفية كما نقل عن سيبويه [6] في اذا يقوم زيد اذا يقعد عمرو •

قوله : (تغليبا لهما) فيكون المعنى له جنة من كل الأشجار المثمرة فيصح أن له فيها من كل الثمرات ويندفع سؤال انه اذا كانت الجنة من النخيل والأعناب كيف يكون له فيها من كل الثمرات ؟ وجواب آخر ان ليس المراد بالثمرات ثمرات الأشجار ليمتنع كل الثمرات مع كون الجنة من النخيل والأعناب خاصة ،بل المنافع التي كانت تحصـل له في تلك الجنة من أي جنس تكون ، كما أن المراد بالثمر في الآية المذكورة [7] عـين المنافع حتى فسرها بقوله : " أي كانت له في الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة [8]

---

(١) خ : زاكية زائدة •
(٢) الوابل : المطر العظيم القطر ،والطل : المطر الصغير القطر •
(٣) في تفسير قوله تعالى : " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ••• " ٢٦٦ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ٢٤٠ •
(٤) انظر صحيح البخاري ١٧ / ٤٣ ،والمستدرك للحاكم ٢ / ٢٨٣ ، وتفسير الطبري ٥ / ٥٤٥ •
(٥) البحر المحيط ٢ / ٣١٣ •
(٦) قوله " عن سيبويه " ناقص من خ •
(٧) أي قوله تعالى : " وكان له ثمر " من الآية ٣٤ من سورة الكهف •
(٨) أي الكثيرة •

من الذهب والفضة وغيرهما " (١) ، والا فلا فائدة في قوله : " وكان له ثمر " بعد قوله : " جنتين من أعناب " الآية (٢) ، وهذا المقام مع وضوحه قد خفي حتى قيل : وجه السؤال أن النخيل والأعناب داخلان في كل الثمرات فما معنى/ اختصاصهما بالذكر؟ ١٩٧ أ ثم قرر الجواب بما ليس فيه صواب . (٣)

قوله : (علام عطف ؟) يعني أن المصدرية وان كانت صالحة للدخول على الماضي مثل : عجبت من أن قام ، لكنها اذا نصبت المضارع كانت للاستقبال قطعا [فلم تصلح للماضي] (٤) فلم يصح عطف " أصابه " على " تكون " ، فأجاب بأن الواو للحال بتقدير قد ، أو للعطف ميلا مع المعني كما في " فأصدق وأكن (٥) " ، كأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر ؟ والاعتراض بأن ليس المعنى على دخول " أصابه الكبر " في حيز التمني ، ليس بشيء لأنه داخل في حيز التمني المنكر المنفي ، أي لا يود أحدكم ذلك ولا يتمنى (٦) ، وكذا " فأصابها اعصار " فانه عطف على " أصابه الكبر " حتى ان تمني حصول الجنة الموصوفة أيضا منكر منفي باعتبار هذين المعطفين ، والحاصل أن الكلام انكار واستبعاد لتمني هذا المجموع .

وقد توهم أن قوله " فأصابها اعصار " عطف على " أيود " لكونه في معنى النفي ، فيجوز أن يكون " أصابه الكبر " أيضا عطفا عليه ، وأنا اتعجب من هؤلاء الفضلاء كيف يتبعون أمثال هذه الأهواء ؟ ؟ ولا يتأملون أنه اذا لم تكن الاصابتان (٧) في حيز

---

(١) الكشاف ٢ / ٥٦٣ .
(٢) رقم ٣٢ من سورة الكهف .
(٣) يشير السعد بذلك الى ماذهب اليه الطيبي حيث قال في فتوح الغيب ١ / ٢٦٨ : " وجه السؤال أن النخيل والأعناب نوعان من أنواع الاشجار المثمرة وداخلان تحت قوله " وله فيها من كل الثمرات " فما وجه اختصاصهما بالذكر ثم اتباعهما بقوله " من كل الثمرات " ؟ فأجاب عنه بجوابين : احدهما — انه من باب التتميم على منوال " الرحمن الرحيم " ذكر أولا ما هما أفضل الجنس واراد بهما جميع الجنس تغليبا ، ثم أردفهما بما يشتمل على الجنس ليكون كالتتمة والرديف لهما ، وثانيهما : أنه من باب التكميل فيكون ذكرهما من اطلاق أعظم الشيء على الشيء كله فعلم من هذا أن له جنة كثيرة الأشجار والثمار ولم يعلم أن له فيها منافع أخر غيرهما فقيل له " فيها من كل الثمرات " ليعلم أن له غيرهما " .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٥) من الآية ١٠ من سورة المنافقون .
(٦) م ، خ : ولا يتمناه . (٧) خ : اذا لم يكن دخول الاصابتين .

الاستفهام والاستبعاد ، والدخول تحت الودادة اما بالحالية أو العطف ، لم يكن للكلام معنى أصلا •

قوله : (معناه ومن طيبات ماأخرجنا لكم) [1] ، لاخفاء فى أن الجواب لا يطابق ظاهر السؤال وهو أنه لم لم تترك كلمة " من " ليكون " ماأخرجنا " عطفا على "ماكسبتم" بناء على أنه أقرب وأنسب فيشتمل الطيب عليهما جميعا ؟ فجوابه المطابق بيان النكتة فى العدول وهى أن فى اعادة حرف الجر الدلالة على استقلال على من الانفاقين كما ذكر فى قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " [2] مع حصول الدلالة على شمول الطيب بتقدير المضاف بقرينة ذكر الطيبات فى المكسوب الواقع فى معرض المقابل للمخرج ، وبقرينة النهى عن الخبيث لئنه يطابق حقيقة الجواب كما لا يخفى ، وانما لم يحمل الطيب على الحلال لأن فى الأمر بالانفاق دلالة عليه ، لا يقال : الانفاق من المخرج واجب جيدا كان أورديئا فلا يكون هذا على حذف المضاف فجيء بكلمة " من " لذلك ، لأنا نقول : اذا كان الأمر للوجوب لزم حمل المكسوب أيضا [3] على مال التجارة ، والجيد والرديء فيه سواء •

قوله : (تخصمونه بالانفاق) بمعنى تجعلونه منفردا بذلك ، بيان لتقديم الجار والمجرور ، والمعنى تقدرون ذلك ، لأنه حال مقدرة و " لستم / بآخذيه " حال آخر ١٩٧ ب [على التداخل أو الترادف•

قوله : (الا بأن تتسامحوا) اشارة الى أنه على حذف الجار ، ومتعلق بآخذيه على معنى] [4] لا تأخذونه بوجه من الوجوه الا بالاغماض والتسامح ، واستعمال الاغماض فى التسامح كناية أو استعارة على مايشعر به قوله : (كأنك لا تبصر) ، ومعنى بيت

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ••• " ٢٦٧ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤٠ •

(٢) من الآية ٧ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٤١ فقد ذكر ثمة أنه لو لم يكرر الجار فى قوله " وعلى سمعهم " لكان انتظاما للقلوب والأسماع فى تعدية واحدة ، وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم فى الموضعين •

(٣) كلمة " أيضا " ناقصة من خ ، ب •

(٤) مابين المعقوفين ناقص من خ •

الطرماح : أنا ندرك الثأر ولا تبقي لناترة عند أحد ، وللضيم ومحمل الظلم رجال غيرنا راضون بالاغماض والمسامحة في درك الثأر (١) ، والباء في (بالوتر) للتعدية والملابسة ، والوتر والترة: الثأر ، حالة كالحقد والعداوة ، تكسر فيه الواو وتفتح .

وقد يستعمل الاغماض مذكور المفعول ، في الاساس " أغمضت عنه وغمضت واغتمضت اذا أغضيت وتغافلت :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب(٢)

وأغمضت المفازة على القوم اذا لم يظهروا فيها كأنما أغمضت عليهم أجفانها ، وأغمض لي فيما بعته أي زدني فيه لرداءته أو حط لي من ثمنه " (٣) ، وأما اغمضته بمعنى أدخلته في الغمض وجذبته اليه ، أو بمعنى وجدته مغمضا على مافسرته قراءة قتادة(٤) فلا يوجد في كتب اللغة ، نعم في تفسير الحسن تأييد له من جهة (٥) أنه اعتبر الاغماض من جانب المأخوذ منه دون الآخذ .

قوله : (والوعد يستعمل في الخير والشر) (٦) ، قال الفراء : " يقال وعدته خيرا ووعدته شرا ، فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير : الوعد والعدة ، وفي الشر : الايعاد والوعيد " (٧) .

قوله : (اغراء الآمر للمأمور) يعني أن " يأمركم " استعارة تبعية .

قوله : (وأن يخلف عليكم) في الأساس: " أخلف الله عليك : عوضك مما ذهب منك خلفا " (٨) ، وفي الصحاح : " يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو شيء يستعاض: أخلف الله عليك ، أي رد الله (٩) عليك [مثل ما ذهب فان كان قد هلك له والد أو عم

---

(١) ويروى في البيت " وللذل أناس " بدل " وللضيم رجال " انظر ديوان الطرماح ٨٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٤٠ ، وتنزيل الآيات ٤٣٤ ، وتفسير القرطبي ٣ / ٣٢٧ . (٢) اساس البلاغة مادة (غمض) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البحر المحيط ٢ / ٣١٩ ، وانوار التنزيل ١ / ١٨٢ .

(٥) كلمة " جهة " ناقصة من الأصل .

(٦) في تفسير قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء .. " الآية ٢٦٨ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤١ .

(٧) الصحاح مادة (وعد) . (٨) اساس البلاغة مادة (خلف) .

(٩) لفظ الجلالة غير موجود في عبارة الصحاح مادة (خلف) .

أو خال (١) ،قلت: خلف الله عليك] (٢) بغير ألف ،أى كان الله خليفة والدك أو من فقد ته عليك " (٣) .

قوله : (تنكير تعظيم) (٤) فالتكثير (٥) يستفاد من الوصف والتعظيم من التنكير.

قوله : (العلام العمال) بمنزلة التفسير للحكماء الا أن لفظ العلام فى جمع عالم كريه على السمع قليل أو عديم فى الاستعمال ،والمقصود أن " أولوا الألباب" مظهر أقيم مقام المضمر.

قوله : (والمراد به الحث) بيان مناسبة الأذى وما تضمنته الاى ،وهو أن تنفق من الطيب وتجتنب الخبيث ،وأن لا تخشى الفقر ،وترجو المغفرة والفضل ،وأن لا تتبع منا ولا أذى .

قوله : (من نفقة) و(من نذر) (٦) مثل هذا البيان يكون لتأكيد العموم ومنع الخصوص/ ، (وهو مجازيكم عليه) يعنى ان اثبات العلم كناية عن هذا المعنى والا ١٩٨
فهو معلوم.

قوله : (من أنصار) ،فان قيل : نفى الانصار لا يوجب نفى الناصر ،قلنا : على طريق المقابلة والتوزيع ،أى لا ناصر لظالم قط.

قوله : (ابداؤها) (٧) يعنى أن " هى " هو المخصوص بالمدح لكن على حذف المضاف ،ليحسن ارتباط الجزاء بالشرط ،ويدل على هذا تذكير الضمير فى " فهو خير لكم " أى اخفاؤها .

قوله : (على محل مابعد الفاء) بمعنى أن مجموع الجزاء وهو الفاء مع مابعدها مجزوم ،ومابعده وحده مرفوع ،اذ لا أثر للعامل فيه ، فقراءة الرفع والجزم (٨) محمولة على الاعتبارين ،وقوله : (أو على أنه) عطف على قوله : (عطفا) ،وقوله : (جملة

---

(١) عبارة الصحاح " أو أخ " .　　(٢) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٣) الصحاح مادة (خلف) .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .. " ٢٦٩ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤١ .　　(٥) م ،خ : فالتكثير .
(٦) من الآية ٢٧٠ سورة البقرة .
(٧) فى تفسير قوله تعالى : " لمن تبدوا الصدقات فنعما هى .. " ٢٧١ البقرة .
(٨) قرأ ابن كثير ،وأبو عمرو ،وأبو بكر بالنون مرفوعا ،وقرأ نافع ،وحمزة ،والكسائى بالنون والجزم ،انظر البحر المحيط ٢ / ٣٢٥ ،وأنوار التنزيل ١ / ١٨٣ .

مفيدة) أى غير داخلة فى حيز الشرط بل بمنزلة الاستئناف حتى لو اعتبر عطفها كانت معطوفة على الجملة الشرطية لا على الجزاء ،وكذا اذا جعلته اسمية (١) بحذف المبتدأ أو يحمل العطف على مابعد الفاء ،وأما على مجموع الجزاء ففيه تردد ،وفى قراءة الحسن (٢) لابد من اضمار أن الناصبة وجعل المصدر الحاصل أعنى التكفير عنكم عطفا على جزء الجزاء أعنى " خيرا " على مابينه بقوله : (يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم) لا على مبتدئه أعنى " هو " لقلة الفائدة ووقوع الفصل .

قوله : (يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه) (٣) عدول صريح عن المنهج ،وهو أن الهدى بمشيئة الله يخلقه فيمن يريد ويتركه عمن يريد .

قوله : (لا ينتفع به غيركم) يعنى الانتفاع الاخروى ،والا فالفقير ينتفع به لا محالة ،والاختصاص مستفاد من اللام ومن المقام ،وقوله : (فلا تمنوا به) يشعر بأن الضمير المحذوف للانفاق وهو المناسب اذ انتفاعه به لا بالنفقة نفسها ،والعائد الى المبتدأ أعنى "ما" الشرطية : يكون فى الشرط [أى ماتنفقوه] (٤) لكنه لا يراعى ذلك بدليل قول : (فما بالكم تمنون بها ؟) أى بنفقتكم ،وقوله : (يوف اليكم ثوابه) أى ثواب الخير الذى تنفقونه ،وذلك لشدة الاتصال .

قوله : (فلا عذر لكم فى أن ترغبوا فى (٥) انفاقه وأن يكون) ،كأنه على حذف حرف النفى أى فى أن لا ترغبوا ولا يكون ،والأظهر " عن انفاقه " كما هو أكثر النسخ .

قوله : (فنزلت) يعنى " ليس عليك هداهم " الى آخره (٦) وعلى هذا لا تتعلق هذه الآيات بالنهى عن المن والأذى وانفاق الخبيث على مافسره ،فلذا قال : (وقيل) يعنى أن على هذه الروايات يكون التفسير بوجه آخر ،وهو أن ليس هداهم اليك حتى تمنعهم الصدقة ليدخلوا فى الاسلام ،فتصدقوا عليهم لوجه الله تعالى (٧) ، ولا تنظروا الى كفرهم ،فان نفع الصدقة راجع اليكم ،وكفر المنفق عليهم / لا يضركم ١٩٨ ب

---

(١) قوله " اسمية " ناقص من الأصل (٢) البحر المحيط ٢ /٣٢٥ .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء .. " ٢٧٢ سورة البقرة ،الكشاف ١ /٢٤٢ . (٤) مابين المعقوفين ساقط من نسخة ط .

(٥) عبارة الكشاف ١ /٢٤٢ "عن " ،ويبدو أن النسخ التى اعتمد السعد عليها كانت كما أورد وقد نبه هو الى ذلك .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٣٢٠ ،ومعالم التنزيل للبغوى ٨/ ٣٢٠ .

(٧) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل .

،فتصدقوا على أقاربكم المشركين .

قوله : (وهم نحو من أربعمائة) [1] شاعت هذه العبارة فيما اذا كان العدد على التقريب دون التحقيق ، (السقيفة) الرواق ، (الرضخ) بالحاء المهملة والخاء المعجمة : كسر النوى ونحوها ،كانوا يأخذون عليه الأجرة ويصرفونها ، (فمن كان) أى من السرية (عنده فضل طعام)أو شراب (أتاهم) أى أهل الصفة بذلك الفضل ،فى الأساس : " لحفنى فضل لحافه أعطانى فضل عطائه " [2] ، " البذاء بالمد : الفحش ،وفلان بذئ اللسان ،والمرأة بذيئة " أورده الجوهرى فى المهموز والمعتل اللام [3] ،والالحاف فى السؤال : الالحاح .

قوله : (على لا حب) قيل : أوله :

سدا بيديه ثم أج بسيره

وقيل : آخره :

اذا سافه العود الديافى جرجرا[4]

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض .. " ٢٧٣ سورة البقرة ،الكشاف ١ / ٢٤٣ .

(٢) أساس البلاغة مادة (لحف) .   (٣) الصحاح مادتى (بذأ) و(بذا) .

(٤) البيت لامرئ القيس وقوله :

سدا بيديه ثم أج بسيره

يروى أيضا صدرا لبيت قائله ركاض الدبيرى وتمامه

كأج الظليم من قنيص وكالب .

والظليم : الذكر من النعام ،والقنيص والقانص: الصائد ،وكالب أى ذو كلاب كتامر ولابن ،وقد شرح السعد البيت بما فيه الكفاية ،انظر ديوان امرئ القيس ٦٦ ،ومفتاح العلوم ١٥٢ ،وشروح التلخيص ٣/ ٤٣٧ ،وحسن التوسل ٨١ ، والمصباح ٤٧٤ ،والعمدة ٢ / ٨٠ ،والمثل السائر ٢ / ٢٥٩ ،والايضاح ١٠٦ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٤٣ ،وتنزيل الآيات ٣٩٧ ،والبحر المحيط ١ / ٧٣ ، ١٩١ ، ٢٥٥ ،واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ١٤ / ٣ ،وشرح أشعار الهذليين ١ / ٣٦ ،وأمالى المرتضى ١ / ١٦٥ ،والأمالى الشجرية ١ / ١٩٢ ،وسمط اللآلى ٢ / ٩٦٨ ،وشرح القصائد السبع ١٥٢ ،والخزانة ٤ / ٢٧٣ ،والخصائص ٣/ ١٦٥ وأساس البلاغة مادة (سوف) ،والصحاح مادة (كلب) ، ولسان العرب فى المواد الآتية : (كلب، (أجج) ، (ديف) ، (سوف) ، (لحف) ، (سدا) ، (نسا) .

سدا بيديه : مدهما في السير ، أج الظليم : عدا ، اللاحب الطريق الواسع ، سافه : شمه ، العود بالدال المهملة : المسن من الابل ، والديافي بالدال المهملة الضخم الجليل ، الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ، ولا يخفى أن هذا الوجه أعني نفي السؤال والالحاف جميعا أدخل في التعفف وفي أن يحسبوا أغنياء ، لكن المصنف جعله كالمرجوح لما أن هذه الطريقة انما تحسن اذا كان ذلك القيد بمنزلة اللازم ، فان الغالب من حال الشفيع أن يطاع ، ومن حال المنار أن يهتدى به ، فيكون نفي اللازم نفيا للملزوم بطريق برهاني ، وليس الالحاف بالنسبة الى السؤال كذلك بل لا يبعد أن يكون ضده — وهو الرفق والتلطف — أشبه باللازم .

قوله : (بالليل والنهار سرا وعلانية) (١) لا خفاء في أن الأربعة ليست أقساما متقابلة بالذات بل باعتبار الوصف ورعاية الجهة ، أعني كونه في ليل أو نهار بأي صفة أنفق ، وكونه سرا أو علانية في أي وقت أنفق .

قوله : (علف الخيل) (٢) بالسكون مصدر علفت الدابة ، وكون السبب هذا لا يقتضي خصوص الحكم به ، بل العبرة بعموم اللفظ .

(التفخيم) (٣) ههنا : امالة الألف الى مخرج الواو ، (أي المصروع) تفسير للذي يتخبطه الشيطان [وجعل الخبط والمس من زعمائهم لا يدل على انكار الجن ، لكن قوله : (ورأيتهم لهم في الجن قصص) ربما يشعر بذلك ، وقوله : (كما يقوم المصروع من جنونه) مبني على أن المصروع تفسير للذي يتخبطه الشيطان] (٤) ، والمعنى من حاله الشبيهة بالجنون ، (والمخبل) الفاسد العقل من الخبال ، وهو فساد يعتري الانسان فيورثه اضطرابا كالجنون ، وفي الأساس : / " به خبل وخبال جنون وفساد في العقل ، وخبلته الجن وخبلته فهو مخبول ومخبل (٥) " ، (الجدث) ١٩٩ أ التراب ، (الايفاض) الاسراع .

قوله : (لأن الكلام في الربا) متعلق بما يتضمنه (هلا قيل ؟) من استبعاد

---

(١) من الآية ٢٧٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤٤ .
(٢) انظر اسباب النزول للسيوطي ١ / ٣٥ ، وتفسير القرطبي ٣ / ٣٤٦ ، وتفسير الطبري ٥ / ٦٠١ .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ... " ٢٧٥ ، ٢٧٦ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤٤ .
(٤) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٥) اساس البلاغة مادة (خبل) بتصرف .

" انما البيع مثل الربا " فليتأمل ،فان التعليل لا ينتظم الا هكذا .

قوله : (وكانت شبهتهم) وذلك أن من أعطى درهميه وأخذ مايساوى درهما كان كمن باع درهميه بدرهم ،ولا خفاء فى فساده ،فان الفضل فى الربا متحقق وههنا متوهم لاختلاف الأسواق والأوقات ،وأيضا من اشترى مايساوى درهما بدرهمين فقد أخذ فى مقابلة كل من درهميه شيئا ،بخلاف من باع درهميه بدرهم فان أحد درهميه بقى [1] بلا مقابل .

قوله : (ودلالة على أن القياس يهدمه النص) حيث نقل قياسهم وأبطله بمجرد قوله : " وأحل الله البيع وحرم الربا " من غير تعرض لفساد القياس ،فما يقال أن هذا انما يتجه لو كان القياس صحيحا ،ليس بمتجه .

قوله : (وهذا دليل بين على تخليد الفساق) كآكلى الربا ،وهذا استدلال بين الفساد ،لأن الكلام فى مستحلى الربا ،والمعنى من عاد الى ماكان عليه ،ألا ترى الى قوله تعالى : " والله لا يحب كل كفار أثيم " ؟ وأما الجواب بأنه للتغليظ فيأباه سياق الكلام ،هذا ولكن لا يخفى أن فى قوله " فله ماسلف " بعض نبوة عن جعل هذا جزاء للاعتقاد والاستحلال ،وأن المراد من جاءه موعظة فانتهى عن أكل الربا ، وأنه اذا جعل النار جزاء للاستحلال بقى جزاء مرتكب الفعل غير مذكور فى الكلام ، مع أنه المقصود الأعم والأهم والأتم ،فانه اذا علم أن جزاء الفعل خلود النار علم أن جزاء الاعتقاد الذى هو كفر يكون ذلك أو فوقه ،بخلاف العكس .

قوله : (لأن تأنيثها غير حقيقى) لم يذكر الفصل لأنه باعث ضعيف قلما يقع فى الكلام الفصيح جائنى امرأة .

قوله : (ويزيد المال) جعل هذا فى ارباء ماتصدق به غير سديد الا أن يقال : وقوع زيادة المال والبركة فيه بسببه فضيلة فيه وارباء له لتضاعف الثواب بسببه .

قوله : (كل كفار) يحمل على التعميم بعد السلب دون العكس .

قوله : (أخذوا ماشرطوا) شروع فى تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله " الآية [2] ، (المحل) بالكسر ، وقت حلول الدين ، (الجنف) الميل ، (مارضى لكم) موصول مفعول (ارضوا) ،أو للمدة على معنى ارضوا له مادام رضى لكم ، و (ماضى

---

(١) قوله " بقى " ناقص من خ .

(٢) رقم ٢٧٨ سورة البقرة ،الكشاف ١ /٢٤٦ .

العزيمة) فاعل رضى ، والجملة بعده صفة له .(1)

قوله : (ان صح ايمانكم) فسر بهذا لانه خاطبهم أولا بقوله : " ياأيها الذين آمنوا " / لكن أشار بقوله : (دليل صحة الايمان وثباته) أنه يحتمل أن يراد ان ١٩٩ب كنتم ثابتين على الايمان الذى أحدثتموه .

قوله : (من ذلك) أى من الايمان يعنى من الأعمال الداخلة فيه ، أو المتفرعة عليه كالتقوى ، وترك الربا ، وغير ذلك ، وقيل : ذلك اشارة الى التقوى وترك الربا(2) .

قوله : (وهو) أى المذكور (من اذن) (3) بمعنى علم (وآذن) بمعنى أعلم .

قوله : (لا يدى لنا) (4) من قبيل : لا أباله ، باقحام اللام لتأكيد الاضافة ، وعند ابن الحاجب بحذف النون تشبيها بالمضاف(5) .

قوله : (قالوا يكون مالهم فيئا) هذا نما يصح لو كان الخطاب للمستحلين الذين آمنوا بألسنتهم ، وأما المؤمنون ظاهرا وباطنا ، فاذا لم يتوبوا فحكمهم التعزير ، وان كانوا ذوى شوكة فالمحاربة .

قوله : (وان وقع) اشارة الى ان "كان " تامة وصح وقوع فاعله جثة باعتبار ما يتضمن من معنى الحدث ، وأما فى قراءة عثمان(6) فناقصة ، وقدر (ان كان الغريم) دون ان كان غريم ، لأن الضمير معرفة سيما اذا كان مبتدأ ، (الانظار) التأخير والمهلة ، (المياسرة) المساهلة ، و(المقبرة) و(المشرقة) بالفتح قياس ، وبالضم شاذ لأنهما من أسماء المكان ، وأما الميسرة فمصدر ، (وقرئ بهما) بفتح السين وضمها حال

---

(1) والبيت لجرير وهو فى ديوانه ص ٣٠٨ هكذا :

هو الخليفة فارضوا ماقضى لكم * بالحق يصدع مافى قوله جنف

وانظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٤٦ وتنزيل الآيات ٤٥٦ ، وتفسير القرطبى ٣ / ٣٦٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٣٧ ، والمحتسب لابن جنى ١ / ١٤١ ، ولسان العرب مادة (صدع) .

(2) وقائل ذلك هو الطيبى ، انظر فتوح الغيب ١ / ٢٧٢ .

(3) فى تفسير قوله تعالى : " فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .. " ٢٧٩ ـ ٢٨١ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤٦ .

(4) انظر معالم التنزيل للبغوى ٢ / ٦٥ ، وتفسير الطبرى ٦ / ٢٧٨ ، وتفسير القرطبى ٣ / ٣٦٣ .

(5) الأمالى لابن الحاجب ١٤١ .

(6) وهى أيضا قراءة أبى وابن مسعود وابن عباس ، انظر البحر المحيط ٢ / ٣٤٠ .

كون الاسمين (مضافين) الى ضمير ذى عسرة [1] ،واعتبر حذف التاء جوابا عما قال الأخفش أنه غير جائز لأنه ليس في الكلام مفعُل الا مكرمٌ ومعونٌ . [2]

قوله : (وأخلفوك) أوله :

جد الخليط غداة البين فانجردوا

وقيل :

بان الخليط بسحرة فتبددوا [3]

ورد بأنه وزن آخر ،الخليط : المخالط كالنديم والصديق يقع على الواحد والجمع، انجرد بنا السير: امتد بنا من غير لى على شيء ،فمعناه أسرعوا ،ويقال : أخلفه ماوعده ،وهو أن يقول شيئا ولا يفعله ،وأخلفه أيضا : وجد موضعه [4] خلفا ،و(عدا الأمر) أصله عدة الأمر فحذف التاء كما في " اقام الصلاة " [5] .

قوله : (فيؤخره) مرفوع معطوف على (يحل) [6] والنفى منسحب على المجموع يعنى لا يكون حلول يعقبه تأخير ،والا كان استثناء مفرغا في موقع الصفة لرجل ،أو الحال ،والمعنى كلما كان هذا كان ذاك ،وقد يقال : هو نصب بتقدير ان ،أو رفع بحذف المبتدأ ، أي فهو يؤخره ،وليس بذاك .

قوله : (فتعملوا به) نصب على أنه جواب النفى الذى يتضمنه الشرط ،أى لا تعملون

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٤٠ ،وأنوار التنزيل ١ / ١٨٦ .
(٢) قال الأخفش: "وهو غير جائز في الكلام لأنه ليس في الكلام مفعل بغير الهاء ، وأما مكرم ومعون فهما جمع مكرمة ومعونة " ،انظر الصحاح مادة (يسر) .
(٣) والبيت لزهير بن أبي سلمى ،وهو في ديوانه ص٢٦ برواية :
ان الخليط أجدوا البين فانجردوا ❊ وأخلفوك عدا الأمر الذى وعدوا
وأجدوا البين أى اجتهدوا في الفراق ،وقيل : البيت لأبي امية الفضل بن العباس بن عتبة ، وأما قوله :
بان الخليط بسحرة فتبددوا
فهو صدر بيت للطرماح وهو في ديوانه ص١٣٩ وتمامه :
والدار تسعف بالخليط وتبعد
انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٤٧ ،وتنزيل الآيات ٣٦٩ ،ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٤ ،والبحر المحيط ٢ / ٣٤٠ ،وشرح القصائد السبع ٩٧ ،والخصائص ٣ / ١٧١ ،وارتشاف الضرب ٥٤ ،والشواهد للعينى ٤ / ٥٧٣ ،وشرح الشافية ١ / ١٥٨ ،و شرح الأشمونى ٢ / ٣٠٤ ،وأساس البلاغة مادتى (خلط) و (سعف) والصحاح مادتى (غلب) و (وعد) ،واللسان مواد (وعد) و (غلب) و (خلط) .
(٤) ب ،م: موعده .
(٥) من الآية ٧٣ من سورة الأنبياء ،و٣٧ من سورة النور .
(٦) انظر الحديث في سنن ابن ماجة ٢ / ٨٠٨ ،ومعجم أبي يعلى ٢٨ أ .

ذلك فتعملوا به ، فنفى العلم كناية عن نفى العمل ، او استعارة على مايشعر به ظاهر العبارة .

قوله : (على البناء للفاعل) [١] من رجع رجوعا ، (والمفعول) [٢] من رجعه رجعا ، (وقراءة الياء [٣] التفات) في كلام واحد ، وهو / قليل [٤] ، ومنه قوله : " ليريه ٢٠٠أ من آياتنا " [٥] فيمن قرأ بياء الغيبة [٦] .

قوله : (معطيا أو آخذا) [٧] أى معطيا اياه غنيا أو آخذا منه غنيا ، كما تقول : بايعته ، اذا بعت منه شيئا أو باع منك ، وهذا معنى (بعته وباعك) على مال ، قال في الأساس: " بعته الشيء وبعته منه " [٨] ، و (أروى) اسم امرأة ، والبيت يدل [٩] على أنه داينها معطيا فلزمها الدين [١٠] .

---

(١) وهى قراءة يعقوب وأبى عمرو ، انظر البحر المحيط ٢ / ٣٤١ وأنوار التنزيل ١ / ١٨٧ . (٢) وهى القراءة المشهورة .

(٣) وهى قراءة الحسن ، انظر البحر المحيط ٢ / ٣٤١ .

(٤) يقول ابن جنى: " كأن الله رفق بالمؤمنين عن أن يواجههم بذكر الرجعة ، اذ هى مما تتفطر له القلوب ، فقال لهم واتقوا ، ثم رجع في ذكر الرجعة الى الغيبة رفقا بهم " ، انظر المرجع السابق .

(٥) من الآية الأولى من سورة الأسراء .

(٦) والذى قرأ بها هو الحسن ، انظر الكشاف ٢ / ٥٠٥ .

(٧) فى تفسير قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ... " ٢٨٢ ، ٢٨٣ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٤٨ .

(٨) أساس البلاغة مادة (بيع) ، وعبارته " باعه الشيء وباعه منه " .

(٩) قوله " يدل " ناقص من الأصل .

(١٠) وقائل البيت رؤبة ، يقول : عاملت محبوبتي أروى بدين لى عليها من لوازم المودة ، فمطلت أى أخرت بعضا منه وأطالت مدة تأخيره ، وقضت بعضا منه ، انظر ديوان رؤبة ٧٩ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٤٨ ، وتنزيل الآيات ٤٣٤ ، وحسن التوسل ٨٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٤٢ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٣١٧ ، والحجة لأبى على الفارسى ١ / ٥٨ ، وسمط اللآلى ١ / ٢٣١ ، وتفسير أرجوزة أبى نواس ٨٦ ، والخصائص ٢ / ٩٦ ، وشرح شافية ابن الحاجة ٢ / ٣٠٥ ، والشواهد للعينى ٣ / ١٣٩ ، وكتاب سيبويه ٢ / ٣٠٠ ، ولسان العرب مواد (أضض) و (بيع) و (روى) و (دين) .

قوله : (لوجب أن يقال فاكتبوا الدين) ،أما وجوب ذلك فلأن المستحب كتابة الدين أى القدر المعلوم الثابت في الذمة ،حتى لو كتب ذلك من غير ذكر للمعاملة لكفى ،وأما عدم حسن النظم حينئذ فأمر ذوقي يعترف به العارف بأساليب الكلام ، وتنبيه عليك أنك لو قلت: اذا تداينتم الى أجل فاكتبوا الدين ،كان أمرا بكتابة مالم يذكر في مضمون الشرط وتركا لما ذكر.

فان قيل : فليقل : فاكتبوه ،أى الدين لدلالة " تداينتم " عليه لما مر من أن المعاملة بدين ،قلنا : لا يعلم عود الضمير اليه ،لأن عوده الى المصدر أعني التداين [بمعنى معاطة الدين] (١) بالدين ومقابلته به .

قوله : (ولأنه أبين لتنويع الدين) كأنه يجعل " الى أجل " صفة "دين " .

قوله : (بالعدل متعلق بكاتب) تعلق التابع بالمتبوع ،وان كان بحسب الاعراب معمولا لمحذوف أي كائن بالعدل ملتبس به ،ومثل هذا كثير في هذا الكتاب،فكونه ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف لا ينافي تعلقه بكاتب بهذا المعنى ،ولا تفسير الكلام بأنه (يكتب بالسوية) لأنه معنى تلبسه بالعدل ،وقد يفهم من هذا أنه متعلق بكاتب تعلق الظرفية دون الوصفية ،ويتوجه أن يقال : لم لم تجعله متعلقا بقوله : " فليكتب " مع أن الفعل أولى بالعمل ؟ وجوابه أن سوق الكلام يشعر بأن القصد ههنا الى بيان حال الكاتب انه كيف ينبغي أن يكون ؟ وأيضا ذكر فاعل الفعل بلفظ اسم فاعله نكرة (٢)قليل الجدوى جدا ،بخلاف مااذا قيد ،وهذا معنى ماقال : (وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب) مع أن ظاهره أمر للكاتب ،فليتأمل .

قوله : (مثل ماعلمه الله كتابة الوثائق) مشعر بأن "ما " مصدرية أو كافة ، ومفعول " علم " محذوف أى يكتب على الوجه الذى علمه الله ، ولم يظهر من كلامه أن الكاف في موقع المفعول المطلق أو به ،وأنه هل يتفاوت العامل اذا جعل الكلام من قبيل : " أحسن كما أحسن الله اليك (٣) " ؟ ،وأنه من أين يتأتى حديث النفع؟ وبالجملة هذا موضع نظر دقيق .

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من خ ، م . (٢) كلمة " نكرة " ناقص من الأصل .
(٣) من الآية ٧٧ من سورة القصص .

قوله : (كما علمه الله [1] يجوز أن يتعلق بأن يكتب)وهو ظاهر ، (وبقوله فليكتب) وهو من قبيل : " وربك فكبر [2] " ، " ولربك/ فاصبر " [3] باعمال مابعد الفاء فيما قبلها على ماسبق ،وأيهما يتعلق يكون قيدا له تقييدا للفعل بالمفعول به أو المفعول المطلق المخصوص . ٢٠٠ب

وفرق بين الوجهين بأن الأول أمر بالكتابة الواقعة على النهج الذى علمه الله تعالى [4] بعد النهى عن تركها والاباء عنها ،ولاخفاء فى ان الأمر بالشىء تأكيد للنهى عن ضده ،لكونه نفسه ،أو متضمنا له ،أو مستلزما اياه على اختلاف الآراء .

والثاني أمر بالكتابة الواقعة على ذلك النهج بعد النهى عن ترك الكتابة المطلقة والاباء عنها ،وهذا ليس من الأمر بالشىء والنهى عن ضده ليكون تأكيدا ،بل أمر يفيد فائدة جديدة . ومبنى الأمر على أنه حمل المطلق الوارد بعد المقيد عليه ،لكون السبق قرينة ظاهرة سيما مع الفاء المشعرة بالترتيب ،ولم يحمل المطلق السابق على المقيد عليه لعدم القرينة عند الذكر.

قوله : (ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق) يعنى ان الكلام فى الفاعل لا فى الفعل نفسه ،الا أنه لم يقدم اكتفاء بتعليق الحكم بالوصف ،فانه يشعر بالاختصاص، مع أن جعل فعل الأمر خبرا عن المبتدأ محل نظر.

قوله : (أو غير مستطيع) يشير الى أن " لا يستطيع " جملة معطوفة على مفرد هو خبر "كان " ويدخل فيه (الشيخ المختل) أيضا ،لكن لما ذكره فى (الضعيف) تركه ههنا ، وحمل وليه على ما هو أعم من الولى المعتبر فى الشرع كالأب والجد وغيرهما ليعم من يمل عن السفيه والضعيف وغير المستطيع ،وجعل من يلى أمر السفيه (وصيا) خلاف الاصطلاح ،ولم يتعرض لولى الشيخ المختل والأظهر أنه (الترجمان) أو (الوكيل) ،ودلالة " أن يمل هو " على الاستطاعة بالغير من جهة أن كلمة " هو " [وقعت تأكيدا مشعرا بأنه لا يستطيع أن يمل هو نفسه بل يستطيع أن يمل غيره من جهته ،لكن دلالة] [5] التأكيد اللفظى على هذا المعنى محل نظر.

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود فى خ .
(٢) الآية ٣ من سورة المدثر.
(٣) الآية ٧ من سورة المدثر.
(٤) لفظ " تعالى " ناقص من خ .
(٥) مابين المعقوفين ناقص من م .

قوله : (عثمان البتى) [1] خليفة الحسن البصري ،كان يبيع البت وهو الكســاء الغليظ .

قوله : (فليشهد رجل وامرأتان) الأنسب فالشهيدان رجل وامرأتان أو فليستشهد رجل وامرأتان [2] ،اذ المأمور هم المخاطبون لا الشهداء .

قوله : (كيف يكون ضلالها مراد الله تعالى ؟) ،فان قيل : أى حاجة الى تقدير الارادة ؟ ولو سلم فالمفعول له ينبغى أن يكون فعل المأمور مثل : اضربه تأديبا ،فمن أين يلزم كونه ارادة الله تعالى ؟ ولو سلم فقد فسر الضلال بعدم الاهتداء للشهادة بناء على نسيانها ،ولا قبح فيه ليمتنع من الله تعالى ارادته .

قلنا : قد سبق ان متعلق الأمر والنهى / قد يكون قيدا للفعل ، ١٢٠١
قد يكون قيدا للطلب ،تقول : اسلم لتدخل الجنة ،واسلم لأنى أريد بك الخير ،والعلة ههنا لبيان شرعية الحكم واشتراط العدد فى المرأة ،فيجب أن يكون فعلا للآمر وقيدا للطلب وباعثا عليه ، وليس هو الا ارادة الله تعالى [3] للقطع بأن نفس الضلال او التذكير بحده ليس هو الباعث على الأمر بل ارادة ذلك ،ثم ان النسيان وعدم الاهتداء للشهادة ينبغى أن يكون من الشيطان فلا يكون مراد الله تعالى ،سيما وقد أمر بالاستشهاد .

وتقرير الجواب ان الارادة لم تتعلق بالضلال نفسه أعنى عدم الاهتداء للشهادة ، بل بالضلال المصرح بترتب الاذكار عليه وتسببه عنه ،ومن قواعدهم أن القيد فى الكلام هو المصب للغرض والمرجح للفائدة ،فصار كأنه علق الارادة بالاذكار المسبب عن الضلال والمترتب عليه ،كما اذا قلت : ارادة أن تذكر احداهما الأخرى ان ضلت .

ومن الغلط فى هذا المقام أن المراد من الضلال الاذكار اطلاقا لاسم السبب على المسبب [4] ،لظهور أنه لا يبقى حينئذ لقوله تعالى : " فتذكر " معنى ،وانه لا يوافق قول المصنف: (كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار) ، واعلم ان هذا الجواب مأخوذ من كلام سيبويه وجمع من المحققين حيث قالوا : ان

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٤٥ .   (٢) مابين المعقوفين ناقص من خ .
(٣) لفظ " تعالى " ناقص من م ،ط .
(٤) يشير الى ماذهب اليه الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٤٢٧ .

المعنى استشهدوا امرأتين لأن تذكر احداهما الأخرى [١] .

وانما ذكر " أن تضل " لأن الضلال هو السبب الذي به وجب الاذكار ، الا أن المصنف قدر الارادة لأنه الباعث على الأمر لا الاذكار نفسه ، وكذا الكلام في المثالين ، وهذا بخلاف ما اذا كان الميل أو مجيء العدو حاصلا بالفعل ، فانه يصح أعددت الخشبة لميل الجدار ، دون أن يميل الجدار .

قيل : والنكتة في ايثار أن فضل فتذكر ، على أن تذكر ان ضلت ، هي شدة الاهتمام بشأن الاذكار بحيث صار ما هو مكروه في نفسه مطلوبا لاجله ومن حيث كونه مفضيا اليه . [٢]

قوله : (وقرأ حمزة ان تضل) بكسر الهمزة ، فالفعل مجزوم ، والفتح لالتقاء الساكنين ، والفاء في الجزاء لتقدير المبتدأ وهو ضمير القصة أو الشهادة ولا يخلو عن تكلف ، بخلاف قوله تعالى : " ومن عاد فينتقم الله منه " [٣] أي فهو . وما كان ينبغي أن يتعرض له وجه تكرير لفظ " أحداهما " ، ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر ، اذ ليست المذكرة هي الناسية الا أن تجعل " احداهما " الثانية في موقع المفعول ، ولا يجوز لتقديم المفعول على الفاعل في موضع الالباس ، نعم يصح أن يقال : فتذكرها الأخرى ، فلابد للعدول من نكتة .

قوله : (ومن بدع التفاسير) [٤] ، لأن / التذكير بهذا المعنى لا يحسن [٥] في مقابلة النسيان ، ولأن كونهما بمنزلة ذكر ليس نتيجة تذكير احداهما للأخرى ، ولأن هذا مما لم ينقل به من يوثق به من أئمة التفسير . ٢٠١ ب

قوله : (وقيل لهم شهداء) أي أطلق عليهم لفظ الشهداء على هذا الوجه وهو ما اذا دعوا ليستشهدوا [٦] بطريق المشارفة . (الحواء [٧]) جماعة بيوت من

---

(١) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٣٢٠ .
(٢) روح المعاني للألوسي ١ / ٥٠٤ .   (٣) من الآية ٩٥ من سورة المائدة .
(٤) ففي تفسير الطبري ٦ / ٦٣ــ٦٤ : " عن أبي عبيد القاسم قال : حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس تأويل قوله " فتذكر احداهما الأخرى " من الذكر بعد النسيان انما هو من الذكر بمعنى أنها اذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر " ، وفي تفسير القرطبي ٣ / ٣٩٧ : " قاله سفيان بن عيينة وعمرو بن العلاء ، وفيه بعد .. "
(٥) ب : لا يحصل .   (٦) م : وهو اذا مادعوا ليستشهدوا .
(٧) تفسير الطبري ٦ / ٦٨ .

الناس مجتمعة والجمع أحوية . (كنى بالسأم) يعنى أن السآمة والملالة انما تكون بعد الشروع فيه والاكثار منه ، والمراد ههنا النهى عن الكسل من أن يكتب ابتداء ، فكنى عنه بالسآمة لكونها من لوازمه وروادفه ، ولم يجعله مجازا لعدم المانع من الحقيقة فى الجملة (١) ، ثم جوز أن يكون فيمن كثرت مداينات واحتياجه الى الكتابة فيكون على أصله .

قوله : (الكسل صفة المنافق) من قوله تعالى : " واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى " (٢) .

قوله : (مل كثرة الكتب) يقال : مللت الشيء ومللت منه .

قوله : (يجوز على مذهب سيبويه (٣)) ، قسط يقسط قسوطا معناه الجور والعدول عن الحق ، والمعنى ههنا على العدل ، والفعل منه أقسط يقسط ، فلزم أن يكون أقسط من المزيد لقصد الزيادة فى القسط ، قال تعالى : " ان الله يحب المقسطين " (٤) ، لا من المجرد لأن معناه الزيادة فى القاسط وهو الجائر " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا " (٥) ، وكذا أقوم معناه أشد اقامة لا قياما .

ثم جوز أن يكون تفضيلا فى القاسط بمعنى ذى القسط أى العدل على طريقة لابن وتامر فيكون أفعل لافعل له كأحنك الساقين ، وكذا أقوم من قويم بمعنى مستقيم أى أشد استقامة ، ولقد نفى فى سورة الكهف أن يكون " أحصى " أفعل من الاحصاء وقطع بأنه فعل ماض . (٦)

قوله : (بلاءنا) عناءنا وقتالنا ، و (يوم أشنع) علا شره وارتفع ، وكونه (ذا كواكب) كناية عن شره وظلامه على الأعين بحيث ترى الكواكب ، أو عن كثرة غبار الحرب بحيث يستر ضوء الشمس . (٧)

---

(١) قوله " فى الجملة " ناقص من ن . (٢) من الآية ١٤٢ من سورة النساء .

(٣) انظر همع الهوامع ٢ / ١٦٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٥١ ، والتسهيل لابن مالك ١٣٢ .

(٤) من الآية ٤٢ من سورة المائدة .

(٥) الآية ١٥ من سورة الجن . (٦) الكشاف ٢ / ٥٥٠ .

(٧) والبيت لعمرو بن شاس ، وروى الشطر الثانى :

اذا كان يوم ذو كواكب أشهب

انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٥٠ ، وتنزيل الآيات ٤٣٩ ، والبحر المحيط ٤ / ١٢٢ والحجة فى القراءات ١ / ١١٠ ، والخزانة ٣ / ٦٠٠ ، وكتاب سيبويه ١ / ٢٢ ، ولسان العرب مادة (ظلم) .

قوله : (والدليل عليه) أى على احتمال البنائين .

قوله : (والمعنى نهى الكاتب) يعنى على تقدير المبنى للفاعل ، (والنهى عن الضرار بهما) يعنى على تقدير المبنى للمفعول ،والمنهى حينئذ هم المخاطبون أو المتبايعان ،و (أعجله عن المهم) الجأه الى تركه قبل الاتمام ،وعجل عنه تركه غير تام ، (ولز) الشيء بالشيء : ألصقه وشده به شدا وثيقا ، (ولا يضار بالكسر) (١) على أصل حركة الساكن ،والفتح للخفة .

قوله : (وان تفعلوا) اما كناية عن ضرار الكاتب والشهيد فضمير " انه " للضرار ، واما على معناه والمفعول محذوف والضمير للفعل .

قوله : (أرأيت ؟ (٢)) أى أخبرني / ماذا يكون الحكم؟ يشير الى ترجيح قراءته ٢٠٢ أ بأنها أشمل لأن عدم وجدان الكتاب يكون لعدم الكاتب او الصحيفة أو الدواة ،لأن وجود الكتاب يستلزم وجود المجموع ،بخلاف وجود الكاتب ،اللهم الا أن يقال : المراد عدم وجدان الكاتب من حيث هو كاتب بالفعل .

قوله : (ليس الغرض) يعنى ان القول بمفهوم الشرط وانتفاء الحكم عند انتفائه انما يكون اذا لم يكن خارجا مخرج الأغلب ،على ما بين فى الأصول .

قوله : (وعند مالك يصح الارتهان) أى يتم ويلزم ويترتب عليه الحكم بمجرد الايجاب والقبول ،وعند الآخرين لايتم الا بالقبض . (٣)

قوله : (فان أمن) تقول : أمنته أى كنت فى أمن منه ،وأمننيه غيرى أى جعلنى فى أمن منه وذلك بأن وصفه بالأمانة مثلا ،وهذا معنى كلام المصنف الا أن يكون من آمنه بمعنى نسبه الى الأمن أو وجده آمنا ،لأنه لا يتعدى الى مفعولين .

قوله : (ظن الدائن به) ،ضمير (به) و (منه) و (له) و (ائتمنه) و (منه) للمديون وضمير (أمنه) و (ائتمانه) و (اليه) والمستكن فى (ائتمنه) و (لم يرتهن) للدائن ، وضمير (عليه) للحق ،وقوله (لائتمانه) أى لائتمان الدائن المديون (عليه) أى على الدين بتركه أخذ الرهن منه .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٥٣ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٦ / ٩٥ ،والبحر المحيط ٢ / ٣٥٥ ،واتحاف فضلاء البشر ١٠١ .

(٣) فالقبض عند مالك شرط فى كمال فائدته وعند أبى حنيفة والشافعى شرط فى صحته ،انظر البحر المحيط ٢ / ٣٥٥ والانتصاف ١ / ٢٥١ .

قوله : (والقراءة) يعني[1] القراءة المعتد بها وأؤتمن مبنى للمفعول من ائتمنه على كذا أصله أؤتمن بهمزتين قلبت الثانية الساكنة واوا لوقوع الهمزة المضمومة قبلها ، أعنى همزة الوصل ، فاذا وقعت في الدرج سقطت وعادت الهمزة المنقلبة همزة وحذفت ياء الذى لالتقاء الساكنين فصار الذ ءتمن بهمزة ساكنة بعد الذال ، وجاز قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ماقبلها فصار الذ يتمن بياء ساكنة بعد الذال ، ومثل هذه الياء لا تدغم في تاء افتعل فلا يقال في ايتزر اتزر ، بخلاف مثل : اتسر واتعد[2] ، وقد بين ذلك في علم الصرف فلذا حكم بأن مانقل عن عاصم ليس بصحيح ، ولم يتعرض في تفسير الكواشي لهذه القراءة مع مبالغته في نقل القراءات وتوجيهها[3] .

قوله : (كقوله سفه نفسه) يعني فيمن جعله تمييزا ، أو على انتزاع الخافض ، فيكون المعنى أثم في قلبه ، وأما على مااختاره من أنه مفعول وسفه متعد فلا .

قوله : (لمن استوجبا المغفرة)[4] هذا على عادته في قطع الأمور عن المشيئة الى الاستحقاق وأن حظ التائب هو المغفرة ألبتة ، وحق المصر العقوبة لا محالة .

قوله : (ومما أظهر) متعلق بالتوبة ، وضمير (أظهر) لمن وضمير (منه) للسوء ، والعائد الى " ما " محذوف أى أظهره ، و(النشيج[5]) / مصدر نشج الباكى اذا غص ٢٠٢ب بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

قوله : (فهو يغفر) وحينئذ فالجملة اسمية ، والعطف على الجزاء .

قوله : (لاحن مخطىء) هذا على عادته في الطعن في القراءات السبع اذا لم تكن على وفق قواعد العربية[6] ، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم الا في الراء لما فيها من التكرار الفائت بالادغام في اللام ، وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة ، والنقل بالتواتر اثبات علمى وقول النحاة نفى ظنى[7] ، ولو سلم عدم التواتر فأقل الأمر أن تثبت لغة بنقل العدول وترجح بكونه اثباتا ، ونقل ادغام الراء في اللام عن أبى عمرو من الشهرة والوضوح بحيث لا مدفع له[8] ، ووجهه من حيث التعليل مابينهما من شدة

---

(١) م : بمعنى

(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٥٦ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٨٩

(٣) تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر للكواشي الورقة ١٢٧ أ والتبصرة في التفسير له أيضا الورقة ٧٣ ب .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله .. " ٢٨٤ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٥٣ .

(٥) تفسير الطبري ٦ / ١٠٦ ــ ١٠٨ .

(٦) فى الأصل " قراءات العربية "

(٧) فى الأصل " نفى ضمنى "

(٨) البحر المحيط ٢ / ٣٦٣ .

التقارب حتى كأنهما مثلان بدليل لزوم ادغام اللام فى الراء فى اللغة الفصيحة ، الا أنه لمح تكرار الراء فلم يجعل ادغامه فى اللام لازما .

قوله : (الا أهل النحو) هو العلم الباحث عن أحوال الكلم من حيث الاعراب والبناء أعنى الهيئات فيتناول الصرف على ماحواه كتاب سيبويه فى النحو ، وكتاب المفصل فى صنعة الاعراب .

قوله : (متى تأتنا تلمم) بدل بعض او اشتمال من تأتنا نظرا الى أنه اتيان لا توقف فيه أو نزول خفيف ، فالفعل مجزوم بدلا من الشرط المجزوم ، وفى الآية من الجزاء ، وضمير (تأججا) للحطب والنار ، وقيل للنار بتأويل القبس ، أو بأن يكون مضارعا حذفت احدى تاءيه ثم أكد بالنون الخفيفة من غير طلب على الشذوذ وانقلبت فى الوقف ألفا ، ووصف الحطب بالجزل اشارة الى قوة النار وكثرة الضيفان وفرط الاهتداء الى النار .[1]

قوله : (لأن التفصيل) تعليل لما يتضمنه الكلام من صحة كون التفصيل من نكات البدل ، فهذا التفصيل[2] بمنزلة بدل البعض ان جعل المغفرة والعذاب من جملة الحساب ، وبمنزلة بدل الاشتمال ان جعلا من لواحقه وثمراته وتفاريعه ومتعلقاته ، ومعنى (العقل) الفهم والادراك مصدر عقلت الشيء ، لا نفسه الناطقة وقوته العاقلة ليكون بعضا من الشخص كالرأس .

قوله : (أى كلهم آمن)[3] فكل مبتدأ لكونه معرفة فى المعنى ، أو نكرة موصوفة أى كل منهم و " آمن " خبره والجملة مستأنفة ، ولذا حسن الوقف على " المؤمنون "[4] ، والظاهر أنه لا حاجة الى قوله : (من المذكورين) وان كان " المؤمنون " مبتدأ

---

(١) البيت لعبيد الله بن الحر ، وروى " فمن يأتنا يلمم " مكان " متى تأتنا تلمم " و " يجد أثرا دعسا " مكان " تجد حطبا جزلا " انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٥٣ ، وتنزيل الآيات ٣٥٥ ، وتفسير القرطبى ١ / ٣٢٨ ، والبحر المحيط ١ / ١٩٤ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٩٠ ، وروح المعانى ١ / ٥٠٩ ، والمفصل ١٣٤ ، والانصاف ٣٠٩ ، والخزانة ٣ / ٦٦٠ ، وكتاب سيبويه ١ / ٤٤٦ ، وارتشاف الضرب ٨٦٥ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٢٨ ، وشرح الأشمونى ٢ / ٤٤٠ ، وأساس البلاغة مادة (جزل) ، ولسان العرب مادة (نور) .

(٢) قوله " التفصيل " ناقص من الأصل .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون .. " ٢٨٥ سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٥٣ .

(٤) خ : المؤمنين .

فلا خفاء فى عدم الوقف عليه ،وكان الضمير / الذى التنوين نائب عنه للمؤمنين خاصة ٢٠٣ أ
،والضمير العائد الى " كل " المضاف الى الجمع تقديرا يجوز افراده نظرا الى كل
واحد ،وجمعه نظرا الى المجموع ،وفى قوله : (على معنى كل واحد منهم) بعد ما
قال : (أى كلهم) تنبيه على عدم التفاوت فى المعنى وأن ليس الحكم فى كلهم الا
على كل واحد على ما هو معنى الايجاب الكلى .

قوله : (يريد القرآن أو الجنس) يعنى أن الاضافة كاللام للتعيين والاشارة الى حصة من الجنس أو الى الجنس نفسه ،وحينئذ قد تدل القرينة على البعضية فيصرف الى البعض ،وقد لا فيصرف الى الكل وهو معنى الاستغراق ،وكما أن فى جانب القلة تنتهى البعضية فى المفرد الى الواحد وفى الجمع الى الثلاثة ،كذلك فى جانب الكثرة يرتقى فى المفرد الى أن لا يخرج منه فرد ،وفى الجمع الى أن لا يخرج منه جمع ،لأن معناه ما فيه الجنسية من الجموع ،وذلك لا يوجد فى الواحد والاثنين ، وهذا معنى ما قيل : ان استغراق المفرد أشمل [1] ،وأن (الكتاب اكثر من الكتب)[2] ،وما ذكر فى قوله تعالى : " والملك على أرجائها " [3] أن الملك أعم من الملائكة بمعنى أن قولك : ما من ملك الا وهو شاهد ، أعم من قولك : ما من ملائكة [4] " ،وهذا فى النكرة المنفية مسلم للقطع بأن " لا رجل " نفى لكل فرد بخلاف " لا رجال " وكذا فى نحو : كل رجل ،وكل رجال ،وأما فى المعرف فلا ،للقطع واتفاق أئمة التفسير والأصول والنحو على أن الحكم فى مثل " الرجال فعلوا كذا " على كل فرد لا على كل جماعة ،وهكذا فسره فى كل موضع من هذا الكتاب فليتدبر .

واعترض على المنكر أيضا [5] بأنه ان أريد أن رجل ورجال عامان ،فهو ظاهر الفساد ،والا لكان لا رجل ولا رجال نفى العام ،وان أريد أن نفى رجل ونفى رجال عامان فلا يلزم الا أن يكون نفى المفرد أشمل من نفى الجمع ،وهو لا يستلزم أن يكون المفرد أشمل من الجمع ،والجواب أن المراد أن رجل ورجال المنفيين عامان فى حكم النفى ،والمفرد أعم وأشمل بمعنى أنه يتناول فى حكم النفى ما لا يتناوله الجمع فيه ، وكذا النكرة بعد كل ،وهذا فى غاية الظهور .

---

(١) مفتاح العلوم ١١٦ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٥٣ .
(٣) من الآية ١٧ من سورة الحاقة .
(٤) الكشاف ٤ / ١ ٤٨ .
(٥) كلمة " أيضا " ناقصة من خ ،ب .

قوله : (وأحد في معنى الجمع) قد كرر هذا المعنى في مواضع من هذا الكتاب ومعناه ماذكر في كتب اللغة أن " أحدا " اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه الواحد والمثنى والمجموع ، والمذكر والمؤنث [1] ، فحين أضيف " بين " اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك ، فالمراد به جمع من الجنس الذى يدل الكلام عليه ، فمعنى " لا نفرق بين أحد " لا نفرق / بين جمع من الرسل ، ومعنى " فما ٢٠٣ب منكم من أحد " [2] فما منكم من جماعة ، ومعنى " لستن كأحد من النساء [3] " كجماعة من جماعات النساء ، وكثير من الناس يسهو فيزعم أن معنى ذلك أنه نكرة وقعت في سياق النفى فعمت وكانت بهذا الاعتبار فى معنى كسائر النكرات .

قوله : (دون مدى الطاقة) [4] أى لا يكون المكلف به غاية طاقته ، أو يكون دون وأدنى من غاية مقدوره ومجهوده .

قوله : (لا يؤاخذ بذنبها) اشارة الى مايفيده تقديم الخبر أعنى " لها " و " عليها " من الحصر (والاعتمال) اضطراب فى العمل ومبالغة واجتهاد ، والسبب فى ذلك أن النفس الى الشر أميل ، والنكتة التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير كيف ماوقع ، ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه [5] وقوة التصرف .

قوله : (ويجوز أن يدعو) وجه ثالث فى الجواب ، وهو أن المقصود طلب دوام ماعلم حصوله من ترك المؤاخذة والاعتداد بالنعمة فى ذلك ، وقد كان حاصل الأول : لا تؤاخذنا بتفريط أو اغفال يفضى الى خطأ أو نسيان ، والثانى : لا شىء لنا نؤاخذ به الا الخطأ والنسيان ان كان بهما مؤاخذة ، ويرد على الثالث أن المعتزلة وكثيرا من أهل السنة على أنه لا يجوز التكليف بغير المقدور حتى يكون ترك المؤاخذة على الخطأ فضلا يستدام ونعمة يعتد بها ، وانما يتم ذلك على رأى من يقول انه جائز عقلا غير واقع فضلا من الله تعالى . والجواب أن غير المقدور هو نفس الخطأ والنسيان وليس الكلام فى المؤاخذة عليه ، بل على الفعل المترتب عليه كقتل المسلم مع نسيان

---

(١) الصحاح مادة (أحد) .   (٢) من الآية ٤٧ من سورة الحاقة .

(٣) من الآية ٣٢ من سورة الأحزاب .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... " الآية الاخيرة من سورة البقرة ، الكشاف ١ / ٢٥٤ .   (٥) قوله " فيه " ناقص من ح .

حرمة القتل أو عصمة المقتول ، وكقتل المسلم بالرمى الى صيد أو كافر ، أو بصفعة خفيفة ، أو نحو ذلك مما يكون ترك المؤاخذة عليه فضلا من الله تعالى اتفاقا (1) .

قوله : (لا يستقل به) أى لا يستطيع رفعه ، وقد كان فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام (2) وجوب القصاص بحيث لا يندفع بالعفو والصلح (3) ، ووجوب قطع ما ينجس من الثوب أو الجلد كالخف والفروة ، وأنه لا يطهر بالغسل ، وفرض عليهم خمسون صلاة ، وكان يحرم عليهم بعض المباحات بارتكاب الخطيئة ، الى غير ذلك من الأعباء التى ليست فى شريعتنا . (4)

قوله : (هذه المبالغة) ، فعل يجىء للتكثير والمبالغة مثل : قطعت الثياب ، وغلقت الأبواب ، وحملت عليه الأثقال ، وللتعدية نحو : فرحته ، وذكرته الشىء ، وحملته الثقل .

قوله : (ثم عما نزل) / ، قد يستدل بهذه الآية على جواز تكليف ما لا يطاق ، ٢٠٤ أ
والا لم يكن لهذا الدعاء فائدة ، فأجاب بأن المراد به ليس هو التكليف الشرعى بل انزال العقوبات التى أنزلت على من قبلنا على تقصيرهم فى المحافظة على التكاليف الشاقة ، وقد أجيب بأن المراد به التكليف الشاق الذى يشبه ما لا يستطاع أصلا ، فضعفه (5) بأنه حينئذ يكون تكريرا لما سبق من قوله : " ربنا ولا تحمل علينا اصرا " ، والحمل على الفائدة الجديدة أولى وأليق بالعطف ، ويحتمل أن يكون هذا من كلام هذا القائل يعنى أنه تكرير للتأكيد والاشارة الى سبب طلب الاعفاء وهو أنه لا طاقة لنا به .

قوله : (فمن حق المولى) ، لما رتب قوله " فانصرنا " على قوله : " أنت مولانا " وقد ذكر للمولى ثلاثة معان ، بين وجه الترتيب على كل من المعانى .

قوله : (عند كل كلمة) (6) أى كل كلمة من كلمات الدعوات ، أو كل دعوة من الدعوات ، وهذا أظهر معنى ، والأول لفظا ، ثم الظاهر أن دعاءه عليه الصلاة

---

(1) م ، ب : بالاتفاق . (2) ب ، م : عليه السلام .
(3) قوله " والصلح " ناقص من الأصل .
(4) انظر البسيط فى التفسير للواحدى ١ / ٦٠٦ .
(5) خ : وضعفه .
(6) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٨٦ ، وتفسير الطبرى ٦ / ١٠٥ ، ١٤٤ .

والسلام [1] بهذه الدعوات قراءته لهذه الآيات ، ويحتمل أن يكون قد دعى بها فنزلت الآية حكاية لها ، والنكتة في صيغة الجمع أن للاجتماعات تأثيرات وبركات ولارادة العبد خيرا لأخيه أثرا في استنزال الخيرات .

قوله : (كفتاء) أي عن قيام الليل على ماورد في الحديث الاخير ، ويحتمل العموم لاطلاقه .[2]

قوله : (من كنوز الجنة) تمثيل لما فيها من كثرة الخير والبركة والثواب ، وكذا (الكتابة باليد) تمثيل وتصوير لاثباتهما ، وتقد يرهما (بألفي سنة) [3] تصوير لقدمهما ، لأن مثل هذا يقال لطول الزمان لا للتحديد .

قوله : (هل يجوز؟) وجه السؤال أنه قد ورد في كلام البعض منع ذلك .

قوله : (ولا فرق) يعني ان كان المنع للاضافة الى مالا يليق به فقد أطبقوا على الجواز في أمثال ذلك كسورة الزخرف وهو الذهب ويشبه به كل مزور مموه وقد اشتهر فيه ، وسورة الممتحنة على لفظ اسم المفعول ، وبيانهما في موضعه ، وان كان منع البقرة للالباس فلا الباس لقيام القرينة [4] ، لا يقال : حذف المضاف ههنا حذف لبعض الكلمة لأن المجموع اسم علم كعبد الله ، لأنا نقول : قد جاء ذلك كرمضان في شهر رمضان .

قوله : (فسطاط القرآن) هي الخيمة أو المدينة الجامعة ، سميت بذلك لاشتمالها على معظم أصول الدين وفروعه ، والارشاد الى كثير من مصالح العباد ، ونظام المعاش ونجاة المعاد ، وسميت/ (السحرة بطلة) لانهماكهم في الباطل ، أو لبطالتهم ٢٠٤ب عن أمر الدين ، ومعنى عدم استطاعتهم تلك السورة أنهم مع حذاقتهم لا يوفقون لتعلمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها [5] .

ونحن نحمد الله على التوفيق ونسأله الهداية لسواء الطريق ، وهو [6] بتحقيق الآمال حقيق .

---

(١) خ ، م : عليه السلام .
(٢) انظر صحيح البخاري ١٥ / ١٨٩ ، ١٩ / ٢١ ، ٣٩ ، وصحيح مسلم ٦ / ٩٢ ، وصحيح الترمذي ١١ / ١٢ .
(٣) صحيح الترمذي ١١ / ١٣ ، وسنن الدارمي ٢ / ٤٤٩ ، ٤٥٠ .
(٤) في ط زيادة " مثل قرأت البقرة " .
(٥) انظر صحيح مسلم ٦ / ٨٩ ، والمستدرك للحاكم ١ / ٥٦٤ ، وتخريج احاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني ١ / ٢٥٦ .   (٦) لفظ " هو " ناقص من الأصل .

سورة آل عمـــــــران

بسم اللـــه الرحمــن الرحـــــيم (١)

قد سبق أن هذه الأسماء من قبيل المعربات وان لم يمسها الاعـــراب بالفعل كسائر الأسماء قبل التركيب ، وسماها البعض مبنية لعدم الاعـــراب بالفعل لعدم المقتضى ، أعنى التركيب والعامل ، وان سكون أعجازهــــا سكون وقف لا سكون بناء . كيف وفيما هو عريق فى البناء لم يجئ البنـــاء على السكون عند لزوم التقاء الساكنين مثل : أين . وحيث ، وهـــؤلاء ، لكن هذا السكون الوقفى ليس تغييرا من حركة الى سكون كما فى الوقف على المعربات الواقعة فى التركيب ، أما الحركة الاعرابية فظاهر ، اذ لا اعـــراب قبل التركيب ، وأما البنائية فلأن التقدير أنها معربة ، وعلى تقدير البنـــاء فلا وجه (٢) للعدول عن السكون فى مثل :ألف ، وواحد ، ونحو ذلك الـــى الحركة حتى تغير الى السكون ، ولا لخصوصيات الحركات (٣) .

وبالجملة فلا نزاع للقائلين بالبناء أن هذا السكون فى حكم الوقـــف ، ومن الدليل على أن هذه السكونات عند التعديد وقفية أو فى حكم الوقفيـــة أنه يغتفر فيها التقاء الساكنين مثل : لام ميم وكتاب وثوب ، وأنه يثبـــت فيها ألفات الوصل مثل : واحد اثنان ، وفصل اسم ، وأن التاء فيها تقلـــب هاء مثل : أربعه خمسه .

واذا تقرر هذا فنقول : كان مقتضى قياس الوقف وحق كون هـــذه الألفاظ مقطوعة البعض عن البعض أن يقال : " الم الله " بسكون المـــيم وفتح الهمزه ، لكن أطبق القراء الا فى رواية يحيى عن أبى بكر عن عاصـــم على فتح الميم وطرح الهمزة (٤) ، فذهب سيبويه وكثير من النحاة الى أنـــه حركة لالتقاء الساكنين وأوثر الفتحة للخفة والمحافظة على التفخيم فى " الله (٥) "

---

(١) البسملة غير موجودة فى الأصل (٢) ب ، خ : فلا جهـة .

(٣) ب : ولا لخصوصية الحركات (٤) البحر المحيط ٢/ ٣٧٤ .

(٥) انظر كتاب سيبويه ٢/ ٢٧٥ ، والأغفال لأبى على الفارسى ٣٦

واليه ذهب المصنف فى المفصل [1] اتباعا لكتاب سيبويه ، واختار ههنا أنه حركة الهمزة فى " الله " نقلت الى الميم بعد حذف الهمزة تخفيفا .

فاعترض بأن همزة الوصل تسقط فى الدرج والتخفيف ونقل الحركة انما يكون فيما له ثبوت ، وكيف لا وابقاء حركتها ابقاء لها ودلالة عليها ، فأجاب بأن " ميم " اذا كان فى حكم الموقوف عليه لم تكن الهمزة فى الدرج / بل فى الابتداء ، فجاز تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ١٢٠٥أ
الساكن قبلها كما فى واحد ثنان بكسر الدال وحذف الهمزة .

فان قيل : تعديد هذه الألفاظ اما على سبيل الدرج والوصل فلاثبات الهمزة فلا نقل لحركتها ، واما على سبيل الوقف وقطع البعض عن البعض فلا وجه لنقل الحركة من هذه الى تلك لأنه من أحكام الاتصال ، قلنا : قطع معنى وحقيقة فلذا يغتفر التقاء الساكنين وتثبت الهمزة فى واحد اثنان وتقلب التاء هاء فى أربعه خمسه ، ووصل لفظا وصورة لعدم السكت لأنه انما يكون للراحة بعد التعب ولا تعب ههنا فلذا أدغم الميم التى هى آخر " لام " فى التى هى أول " ميم " وجاز نقل حركة الهمزة الى ما قبلها تخفيفا سواء كانت للوصل كما فى واحد اثنان أو للقطع كما فى ثلاثة أربعة على ما حكى سيبويه [2] وهو ثقة فلا وجه لمنع المازنى [3] ، وكما فى قول الشاعر ،

أقبلت من عند زياد كالخرف * تخط رجلاى بخط مختلف
وتكتبان فى الطريق لام ألف [4]

---

(١) المفصل ١٩٦ (٢) كتاب سيبويه ٢ / ٣٤

(٣) فى شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٢٣ : " نقل المبرد عن المازنى منع نقل حركة الهمزة فى ثلاثة أربعة الى الهاء وسيبويه أوثق من أن ترد روايته عن العرب " . (٤) لأبى النجم العجلى ، ويروى " خرجت " بدل " أقبلت " انظر كتاب سيبويه ٢ / ٣٤ ، والمقتضب ١ / ٢٣٧ ، ٣ / ٣٥٧ وهمع الهوامع ٢ / ٦٩ ، والخزانة ١ / ٤٨ ، ٤٩ ، والخصائص ٣ / ٢٩٧ وشرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٢٣ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ١٩ ، والصحاح مادة (خرف) ، ولسان العرب مواد خرف و (كتب) و (خطط) .

وهذا ليس من اجراء الوصل مجرى الوقف فى شىء حتى يتوجه اعتراض ابن الحاجب بأنه ضعيف لا تبنى عليه القراءة المجمع عليها (١) ويدفع بأنه قوى عند الحاجة الى التخفيف كما فى ثلاثة أربعة .

فان قيل : ما ذكر من حديث الوقف انما يصح فيمن يجعل هذه الألفاظ على نمط التعديد ، وأما فيمن يجعلها أسماء السور فهى اسم مرتبط بما بعده أو بما قبله قد يوقف عليه وقد لا يوقف ، قلنا : قد سبق أنها على هذا التقدير محكية ، ومبنى الكلام على أصلها الذى يحكى قبل التركيب والعلمية .

قوله : (هلازعمت) ليس اعتراضا (٢) على كلامه السابق بل استفسار عن وجه العدول عما ذهب اليه سيبويه ، وأبو على ، وكثير من النحاة ، وتبعهم المصنف فى المفصل (٣) .

فأجاب أولا — بأنا بينا أنها فى حكم الوقف والتقاء الساكنين يغتفر فيه .
وثانيا — بأنه لو كانت لالتقاء الساكنين لحرك كل ما وقع فى السور كذلك مثل : لام ، ميم ، صاد ، كاف ، قاف ، نون ، ونحو ذلك ، ولم يقيد بأن يقع بعدها ساكن ثالث كاللام من الله .

ثم اعترض بأن المغتفر فى الوقف التقاء الساكنين دون الثلاث ، ورده بابتداء دليل على المدعى يتضمن دفع الاعتراض (٤)

أما الدليل فهو أن الحركة لو كانت لملاقاة الساكنين الساكن الثالث ، لما جازت الحركة حيث أمكن النطق ولم يوجد الساكن الثالث مثل : واحد اثنان بسكون الدال والثاء ، واللازم منتف للاتفاق على الجواز .

---

(١) روح المعانى ١/١٦/٥ (٢) فى خ زيادة " لأن نفى المدعى وادعاء مقابله لا يكون اعتراضا " .
(٣) انظر الكتاب ٢/٢٧٥ ، والأغفال ٣٦ ، والمفصل ١٩٦ وانظر الصفحة السابقة .
(٤) خ ، ب : دفع الرد .

وأما دفع الاعتراض / فهو أنا لا نسلم عدم امكان النطق بدون التحريك عند ملاقاة الساكن الثالث كما فى أصيم ومديق بالوقف ففى كل منهما ثلاث سواكن الا أن القصد بايرادهما الى مجرد الجمع بين ساكنين من غير أن يكون الثانى منهما سكون وقف ، فلا وجه لاعتراض التقريب بأن ذلك لكون أول(١) الساكنين حرف لين (٢). ٥٠ آب

قوله : (فما وجه قراءة ؟) ، قد استدل من قال أن سكونها سكون بناء والحركة لالتقاء الساكنين بأن بعض العرب يحرك الساكن فى مثل ذلك بالكسر ، وعليه قراءة من قرأ " ألم الله " بكسر الميم (٣) ولا وجه له سوى الحركة لالتقاء الساكنين دون النقل لأن الهمزة مفتوحة ، فأجاب بأنه لا اعتداد بهذه القراءة ، اذ لم يثبت مثله عن الثقات ، ومن قرأ فعلى توهم ان الحركة لالتقاء الساكنين .

وقال ابن الحاجب : لما فقد فى هذه الأسماء مقتضى الاعراب وجب البناء لعدم الواسطة (٤) ، واذ قد رأينا العرب اسكنتها وجب الحكم بالبناء على السكون وان كان على خلاف ما عليه وضع كلام العرب ومستلزما لالتقاء الساكنين فى البعض ، وانما اغتفر ذلك فيها لأن الغرض فى وضعها هو التركيب ليفيد المعانى التركيبية ، فكان الأصل فيها الاعراب الذى هو مقتضى التركيب وسببه ، والقطع عن التركيب عارض كما أن الوقف على الكلمة المعربة عارض ، فاغتفر الجمع بين الساكنين ههنا كما اغتفر فى الوقف لاشتراكهما فى عروض ذلك فيهما وان كان أحدهما معربا والآخر مبنيا ، وأوثر فى التحريك الفتح حذار جمع الكسرات والياء وترقيق اسم الله تعالى بعد ثبوت تفخيمه فى الابتداء .

---

(١) كلمة " أول " ناقصة من الأصل . (٢) انظر تقريب التفسير الورقة ١٥ ب . (٣) نسبها الزمخشرى الى عمرو بن عبيد ونسبها ابن عطية الى الرواسى ونسبها أبو حيان الى أبى حيوه ، انظر الكشاف ١/٢٥٧ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٧٤ .

(٤) الأمالى لابن الحاجب ٢٨٤.

ولقائل أن يقول : لا نسلم عدم الواسطة بين المبنى والمعرب بمعنى ما فيه من الاعراب بالفعل ، بل بمعنى ما من شأنه الاعراب ، وانتفاء التركيب انما يوجب انتفاء الاعراب بالفعل (١) لا انتفاء كون الاسم من قبيل المعربات على ما اختاره المصنف.

قوله : (اسمان أعجميان) ، دخول اللام فى الأعلام الأعجمية محل نظر ، والقول باشتقاق التوراة من وريت الزناد منقول عن الفريقين ، فقال الكوفيون : أصلها توريه بفتح الراء ، فقلبت الياء ألفا ، ولما لم يوجد فى الكلام تفعله قال بعضهم (٢) : انها تفعلة بالكسر كالتوصية ففتحت ثم قلبت كما تقول فى تجصية : توصاة ، وقال البصريون : الأصل وورية على فوعلة ، قلبت الواو الأولى تاء كما فى تولج من ولجت (٣) ، واليه ذهب المصنف فى المفصل (٤) ، وذكر فى الصافات أن من يجوز كونها عربية يجعلها مشتقة من الورى على أنها / فوعلة (٥) ، وفى المائدة أنه انما أنث ضميرها لكونها ١٢٠٦أ نظيرة موصاه ودوداه (٦) ، وجوز فى طالوت مع كونه أعجميا ان يعتبر اشتقاقه من الطول على الوجه الذى مر (٧) ، ومنع اشتقاق آدم لكونه أعجميا (٨) ، فهذه وجوه وأقوال نذكرها فى مواضع ونشير فى بعضها الى ما هو المختار عنده ولا بأس بذلك .

قوله : (متعبدون) بفتح الباء أى مكلفون مأمورون من تعبدته اتخذته عبدا ، يعنى أن من قال بذلك فسر " الناس " على وجه العموم وحمله عليه ذهابا الى الجنس ، ولم يجعله للعهد اشارة الى قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام (٩)

---

(١) قوله " بالفعل " ناقص من خ (٢) وهو الفراء ، انظر البحر المحيط ٣٧١/٢. (٣) المرجع السابق (٤) المفصل ٢٠٤

(٥) الكشاف ٤٦/٤ (٦) الكشاف ٤٩٤/١

(٧) وهو أن يقال انه اسم عبرانى وافق عربيا كما وافق " حنطا " حنطة ، و " بشمالا لها رخمانا رخيما " بسم الله الرحمن الرحيم ، فهو من الطول كما هو كان عربيا . انظر الكشاف ٢٢٢/١

(٨) الكشاف ٩٤/١ فى تفسير قوله تعالى " وعلم آدم الأسماء كلها " ٣١ البقرة.

(٩) فى ط ، خ ، ب : عليهما السلام.

قوله : (من كتبه) أى مطلقا ناظرا الى الجنس و(من هذه الكتب) ناظرا الى الكتب الثلاثة ، وهذا على الوجهين من عطف الصفة ، واعتبار التغاير بحسبها اما على وجه أعم من المعطوف عليه كما فى الوجه الأول ، أو مساو كما فى الثانى ويظهر وجه اعادة لفظ "أنزل" ، وأما اذا أريد بالفرقان الزبور فهو ظاهر من جهة التغاير فى الذات وحمل الكلام على انزال الكتب الأربعة المشهورة ، لكن فى وجه اعادة لفظ "انزل" خفاء ، وكذا فى وجه كونه فرقانا مع أنه ليس الا مواعظ وأمثالا ، ووجه الأول أنه ليس فى مرتبة الكتب الثلاثة ، ووجه الثانى أن فى المواعظ أيضا تفرقة وترغيبا فيما هو طاعة ، وتبعيدا عن ضده .

قوله : (أو كرر) عطف على (أراد) ، وهذا أيضا من عطف الصفة لكن بالنظر الى أحد الأمور المذكورة ، ووجه اعادة لفظ "أنزل" ما ذكرنا مع الايماء الى ان للقرآن تنزيلا وانزالا ، وانما غير المصنف أسلوب الجملة الاسمية الذى هو الظاهر الى قوله :(أو أراد) ، (أو كرر) لأنه كأنه يرى هذين الوجهين أبعد من الأولين .

قوله : (فعبر عنه بالسماء والأرض)(1) لما أنهما العالم كله فى النظر الظاهر ، وجعله من اطلاق الجزء وارادة الكل ليس بسديد ، اذ لا يصلح ذلك فى كل جزء وكل ، وفى قوله : (فهو مطلع) لترتب هذا الكلام وارتباطه بما قبله ، كأنه قيل : يعذبهم الله الذى له كمال القدرة والغلبة والعلم بأحوال العباد .

قوله : (كيف يشاء من الصور) يعنى أنه فى موضع (2) الظرف ، والمعنى فى أى صورة وعلى أى هيئة يشاء يصوركم ، يقال : صوره صوة حسنة فتصور أى صار ذا صورة ، وأما تصوره بمعنى صوره لنفسه ، فكأنه من تصورت الشىء بمعنى توهمت صورته فتصور لى .

---

(1) فى تفسير قوله تعالى : "ان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء " ٥ ـ ٦ آل عمران ، الكشاف ٢٥٨/١

(2) م : فى موقع .

قوله : (وكان يخفى) اسم (كان) ضمير (عيسى) ، وهو عطف على خبر (ان) ، أى نبه بالتصوير على أنه عبد كثيره لأن كل مصور ٢٠٦/ب في الرحم عبد له ، وانه كان يخفى عليه بعض الأمور لاحتجابه بالرحم ، وأقل الأمر ابتداء تصوره فى الرحم ، وكل من كان عبدا أو خافيا عليه بعض الأمور لا يكون ربا [١] ، فعلى هذا لا يكون الحجاج مجموع قوله : " ان الله لا يخفى عليه شيء " الى قوله : " كيف يشاء " ولا يكون معناه ما ذكر من تأكيد العذاب .

قوله : (بأن حفظت من الاحتمال [٢]) هذا يناسب ما فى أصول الشافعية أن المحكم المتضح المعنى [٣] ، والمتشابه [بخلافه لأن معنى ايضاح المعنى أن يظهر عند العقل أن معناه هذا لا غيره ، وهذا غير المحكم والمتشابه] [٤] على الوجه المذكور فى أصول الحنفية [٥] ، فقوله تعالى : " لا تدركه الابصار [٦] " محكم فى أن معناه لا يدركه شيء من الابصار ، وقوله " الى ربها ناظرة [٧] " متشابه لا يعرف أن معناه أنها ناظرة اليه أو منتظرة ثوابه أو نعمه أو نحو ذلك ، فرجح الى الأول وحمل على غير معنى النظر اليه ، وكذا " لا يأمر بالفحشاء [٨] " محكم فى أنه لا يأمر بالقبيح ، وقوله : " أمرنا مترفيها ففسقوا " [٩] مشتبه أن معناه أمرناهم بالفسق أو بالطاعة .

قوله : (من النظر) بيان (لما يحتاجون فيه) فان طريق النظر والاستدلال يحتاج الى الفحص والتأمل فى الأمور ليترتب منها ما يناسب

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٦٧/٦ ، وابن كثير ٩٤/٢ ، والبغوى ٩٤/٢ .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات آيات محكمات ... " ٧ آل عمران ، الكشاف ٢٥٨/١ .
(٣) كلمة " المعنى " ناقصة من خ (٤) ما بين المعقوفين ناقص من خ أيضا .
(٥) البحر المحيط ٣٨١/٢ ، وروح المعانى ٥٢١/١ .
(٦) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام (٧) الآية ٢٣ من سورة القيامة .
(٨) من الآية ٢٨ من سورة الأعراف (٩) من الآية ١٦ من سورة الاسراء .

المطلوب ، واعترض بأن الاعراض عن النظر والاستدلال فيما أريد بالمحكم لا يستلزم تعطيل طريق النظر مطلقا ، بل فى ذلك المطلوب خاصة ، ولا فساد فيه ، والجواب أن المراد لزوم ذلك فيما هو الأصل للأدلة الشرعية والمرجع للشرع ، وكفى بالوقوع فى تيه التقليد فسادا ، بل الاعتراض أن غايته لزوم ترك التأمل فى نفس معرفة معانى الألفاظ ومن أين يلزم تعطيل ذلك فى ترتيب البعض على البعض ، واستنباط ما فى كل من العلل والنكات والفروع وأمثال ذلك .

قوله : (ولما فى المتشابه) عطف على المقدر قبل قوله : " لو كان أى لأنه لو كان كله محكما ولما فى المتشابه ، وقوله : (ان لا مناقضة) مفعول (المعتقد) ، (ولا اختلاف) يعنى اختلافا يفضى الى اختلال فى الكلام أعم من التناقض ، ضمير (بينه) (لما يتناقض) لتعدده معنى ، و (ازداد) جواب (اذا رأى) والجملة خبر (أن المؤمن) ، وضمير (راجع) و (تبين) للمؤمن من تبينت الشىء علمته بينا .

قوله : (التأويل الذى يشتهونه) يدل على هذا التقييد سوق الكلام ، كما دل على تقييد " ما يعلم تأويله " (بالتأويل الحق) ، لكن فى قوله : (لا يهتدى اليه[1] الا الله) ركاكة وسماجة[2] ولا أدرى كيف خفى ذلك عليه[3] مع أنه يعض فى معرفة الكلام بضرس قاطع ، أى يتمكن / فيها غاية التمكن . ١٢٠٧ أ

قوله : (ويفسرون المتشابه بما استأثر الله) أى تفرد (بعلمه) ويكون الغرض من انزاله ابتلاء الراسخين بالتوقف وكبح عنان التصرف .

---

(١) عبارة الكشاف ١/٢٥٩ " الى تأويله " .
(٢) وذلك لأنه لا يجوز اطلاق الاهتداء على الله تعالى لما فيه من ايهام سبق جهل وضلال جل الله تعالى عن ذلك لأن اهتدى مطاوع هدى ولذا يسمى الكافر اذا أسلم مهتديا ، انظر الانتصاف ١/٢٥٩ .
(٣) ب : عليه ذلك .

قوله : (والأول هو الوجه) :

أما أولا — فلأنه لو أريد بيان حظ الراسخين مقابلا لبيان حظ الزائغين ، لكان المناسب أن يقال : وأما الراسخون فيقولون .

وأما ثانيا — فلأنه لا فائدة حينئذ فى قيد الرسوخ بل هذا حكم العالمين كلهم .

وأما ثالثا — فلأنه حينئذ لا ينحصر الكلام فى المحكم والمتشابه على ما هو مقتضى ظاهر العبارة حيث لم يقل : ومنه متشابهات ، لأن مالا يكون متضح المعنى ويهتدى العلماء الى تأويله ورده الى المحكم مثل : " الى ربها ناظرة [1] " لا يكون محكما ولا متشابها بالمعنى الذى ذكر ثم ، وهو كثير جدا .

وأما رابعا — فلأن المحكم حينئذ لا يكون أما للكتاب بمعنى رجوع المتشابه اليه ، اذ لا رجوع اليه لما استأثر الله به [2] كعدد الزبانية ونحوه .

وقد يرجح الثانى بأن " اما " للتفصيل فلا بد فى مقابلة الحكم على الزائغين من حكم على الراسخين ليتحقق التفصيل ، غاية الأمر أنه حذف كلمة أما والفاء من اللفظ ، وأن الآية من قبيل الجمع والتقسيم [والتفريق فالجمع فى قوله : " أنزل عليك الكتاب " ، والتقسيم] [3] فى قوله تعالى : " منه آيات محكمات .. وأخر متشابهات " والتفريق فى قوله : " فأما الذين فى قلوبهم زيغ " فلا بد فى مقابلة ذلك من حكم يتعلق بالمحكم وهو مضمون قوله : " والراسخون فى العلم " الى قوله : " أولوا الألباب " .

والجواب أن كون أما للتفصيل أكثرى لا كلى ، ولو سلم فليس ذكر المقابل [فى اللفظ بلازم ، ثم لو سلم كون الآية من الجمع والتفريق والتقسيم ، فذكر المقابل] [4] على سبيل الاستئناف أو الحال أعنى " يقولون " الى آخره كاف فى ذلك .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة القيامة . (٢) قوله " به " ناقص من الأصل .
(٣) ما بين المعقوفين ناقص من خ . (٤) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

والحق أنه ان أريد بالمتشابه مالا سبيل اليه للمخلوق ، فالحق الوقف على " الا الله " ، وان أريد مالا يتضح بحيث يتناول المجمل والمأول ، فالحق العطف .

قوله : (ويقولون كلام مستأنف) يعني على الوجه الأول ، والظاهر أنه لا حاجة الى تقدير مبتدأ أي هم يقولون ، على ما يشعر به كلام الكثيرين ، وضمير " به " للمتشابه أو للكتاب ، وعلى كل تقدير فالمضاف اليه المحذوف من " كل " أمر آخر يناسبه ، ولم يبين أن جملة " كل " من عند ربنا " بيان للايمان أو للمؤمن به وأن " ما يذكر " عطف على " يقولون " أو " ما يعلم تأويله " ، ويجوز كون " يقولون " حالا من المعطوف فقط لقيام القرينة كما في قوله تعالى : " ويعقوب نافلة [1] ، وكل من قراءة عبدالله وأبي ترجح الوجه . الثاني[2] .

قوله : (لا تبلنا ببلايا)[3] يعني أن الكلام كناية أو مجاز ، اذ / لا ٢٠٧ ب يحسن من الله ازاغة القلوب ليسأل نفيها لأنه اضلال ، وأما على قراءة لا يزغ " [4] من زاغ يزيغ فنهي غائب عن القلوب بتذكير الفعل أو بتأنيثه .

قوله : (أي تجمعهم) يعني أنه من اضافة اسم الفاعل الى المفعول ، واليوم متعلق به على حذف المضاف لأن الجمع ليس لليوم نفسه على طريقة : كنت أعددت لهذا الوقت ، واللام للتوقيت كما في قوله تعالى : " لدلوك الشمس " [5] وهو ظاهر فتعين حذف الحساب أو الجزاء كما في قوله تعالى : " يوم يجمعكم ليوم الجمع " [6] أي لحسابه أو جزائه ، اذ ليس المعنى الا هذا .

---

(١) من الآية ٧٢ من سورة الأنبياء (٢) البحر المحيط ٣٨٤/٢ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا .. " الآيتين ٨ ، ٩ آل عمران ، الكشاف ٢٦٠/١ .

(٤) البحر المحيط ٣٨٦/٢ (٥) من الآية ٧٨ من سورة الإسراء .

(٦) من الآية ٩ من سورة التغابن .

قوله : (معناه أن الالهية) يعنى أن العدول عن المضمر المخاطب على ما هو الظاهر الى الاسم المظهر بغير لفظه المتقدم وهو " ربنا " للدلالة على أن الحكم مرتب على ما يدل عليه اسم الله كما فى التعليق بالوصف، ولا يخفى أن فى هذا ملاحظة ما لأصل المعنى قبل العلمية .

قوله : (والميعاد الموعد) بمعنى المصدر لأنه اللائق بمفعولية " يخلف " لا الزمان أو المكان .

قوله : (وهذا من الجد) حيث استثقل الفتحة التى هى أخف الحركات وذلك مثل : حتى نلاقى محمدا و " وأعط القوس باريها " (١)

ومعنى أغنى عنه (٢) : أجزأ عنه وكفاه ، فشيئا ينبغى أن يجعل نصبا على المصدر ، وقد يجعل مفعولا به لما فى أغنى من معنى الدفع لأنه فى الأصل دفع الحاجة ، ولكن لا يخفى أن ليس المعنى لا يدفع عنهم شيئا بدل الرحمة أو الطاعة ، ولا يدفع الظن شيئا بدل الحق ، نعم يصح أن يكون مفعولا به لأن معنى أغنى عنه كفاه ، و " شيئا " ثانى مفعولى كفى كقوله تعالى : " وكفى الله المؤمنين القتال " (٣)

قوله : (ومنه ولا ينفع) (٤) أى أن فاعل " لا ينفع " " الجد " و " من " للبدلية كما فى قوله :

فليت لنا من ماء زمزم شربة (٥)

---

(١) أى استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه وينشد :
يابارى القوس بريا لست تحسنها * لا تفسدنها وأعط القوس باريها
انظر مجمع الأمثال ١/ ٤٢٥ (٢) انظر تفسير قوله تعالى : " ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ... " ١٠ - ١٢ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٦٠ . (٣) من الآية ٢٥ من سورة الاحزاب .

(٤) والحديث فى مسند الامام أحمد ٣/ ٨٧ . (٥) صدر بيت للأحول الكندى، وقيل : ليعلى بن الأحول الأزدى ، وقيل : ليعلى بن مسلم بن قيس البشكرى وتمامه : مبردة باتت على الطهيان
والطهيان اسم قمة جبل باليمن وروى " على طهيان " و " على شدوان " وروى " حمنان " بدل " زمزم " ، انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢/ ١٦٢ ، وللمرزوقى ٢/ ٩٠٥ والفائق ١/ ٦٩٠ ، ٢/ ٣١٩ ، والخزانة ٢/ ٤٠٤ ، ٤/ ١٣٣ ، ولسان العرب مواد (شدا) و (طوى) و (حمن) .

أى بدله ، لكن لا بد من حذف مضاف أى بدل طاعتك مثلا ، ويحتمل أن يكون للابتداء متعلقا بينفع أو بالجد فى " ذا الجد " أى لا ينفعه منك الجد وانما ينفعه التوفيق [أولا ينفع ذا الجد منك جده الذى منحته وانما ينفعه التوفيق] (١) منك ، ذكره فى الفائق (٢) ، وقد يتوهم أن فاعل " ينفع " مضمر و " منك الجد " مبتدأ وخبر أى لا ينفع ذا الجد جده وانما الجد ما يكون منك وليس بذاك .

قوله : " (والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم) ليصح التشبيه بآل فرعون ويحسن ذكر " والذين من قبلهم " بعد ذلك .

قوله : (دأب هؤلاء) أى شأنهم وحالهم ، وأما على تقدير (٣) النصب فهو فى معنى المصدر المأخوذ من عامله ، أى عدم اغناء مثل عدم الاغناء / عن ٢٠٨أ
آل فرعون ، أو توقدا بهم مثل التوقد بأولئك ، ومثل بمثالين هو فى أولهما فى معنى المصدر المبنى للفاعل ، وفى ثانيهما المبنى للمفعول ، يقال : (جورف) الرجل اذا حرم وبعد عن رزقه وجعل فى حرف منه أى طرف بعد ما كان فى وسط ، ورجل محارف محدود (٤) منقوص الحظ لا ينمو له مال ، وأدركته حرفة الأدب بالضم .

قوله : (كذبوا بآيات الله) هو فى القرآن " كذبوا بآياتنا (٥) " ، وكونه تفسيرا لدأبهم مبنى على كون الكاف مرفوع المحل ، فان شأنهم وحالهم يشمل الأمرين أعنى (ما فعلوا) وهو التكذيب ، (وما فعل بهم) وهو أخذهم بذنوبهم ، وأما على النصب فهو استئناف لبيان السبب .

قوله : (يعنى يوم بدر) أى تلك الغلبة الموعودة هى مغلوبية المشركين يوم بدر ، فعلى هذا يجب أن يكون قوله : " قد كان لكم آية (٦) "

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من خ . (٢) انظر الفائق ١/١٩٠ .
(٣) فى الأصل " وانما على طريق " . (٤) م ، خ : محروم
(٥) وهو كذلك فى الكشاف ١/٢٦١ ولعل ما أثبته السعد كان فى النسخ التى اعتمد عليها . (٦) أى فى الآية التالية وهى رقم ١٣ آل عمران .

خطابا لهم بعد ذلك ليستقيم .

قوله : (فنزلت) (١) أى " قل للذين كفروا " ، ومعناه على القصة الأولى : لا تشكوا يامعشر اليهود فانى ان غلبت اليوم فستغلبون أنتم غدا وتحشرون الى جهنم ، وعلى الثانية : ستغلبون منا كما غلبت قريش .

قوله : (معنى القراءة بالتاء) ، حاصل الفرق أن المعنى على تقدير تاء الخطاب أمر النبى صلى الله عليه وسلم (٢) بأن يخبرهم من عند نفسه بمضمون الكلام ، حتى لو كذبوا كان التكذيب راجعا اليه ، وعلى تقدير ياء الغيبة (٣) أمره بأن يؤدى اليهم (٤) ما أخبر الله تعالى من الحكم بأنهم سيغلبون بحيث لو كذبوا كان التكذيب راجعا الى الله تعالى .

قالوا : فعلى الخطاب الاخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة بلفظه (٥) ، والأظهر أن الأمر بالعكس ، وكأنهم جعلوا ضمير (بلفظه) (لما أخبره به) والحق أنه للنبى صلى الله عليه وسلم (٦) كالمنصوب فى (أخبره) والمرفوع فى (يحكى) ، أى أمر بأن يحكى لهم بلفظه هذا الوعيد على الوجه الذى تناسب ، ولا خفاء فى أنه لا يناسب أن يقول لهم : سيغلبون بلفظ الغيبة ، فأحسن التدبر ففى المعنى تدقيق وفى اللفظ تعقيد ، حيث قال : (وهو) أى معنى ستغلبون (الكائن) أى ما هو كائن (من نفس المتوعد به) أى الأمر الذى وقع به الوعيد ، (فمن) للبيان ، ضمير (به) للام فى (المتوعد) ، والباء صلته ، و (الذى يدل) عطف على (الكائن) ، واذا كان الأمر بالاخبار بهذا المعنى فلا بد من الاتيان باللفظ الدال عليه ، بخلاف الأمر بحكاية الاخبار فان اللفظ من عنده على ما يقتضيه سوق الكلام ، هذا وما ذكروه بعبارة الكتاب أوفق / وما ذكرنا بحسب المعنى أليق . ٢٠٨ ب

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٦ / ٢٢٧ ، وأسباب النزول للسيوطى ١ / ٣٧

(٢) خ ، ط : عليه الصلاة والسلام . (٣) وهى قراءة حمزة والكسائى ، انظر البحر المحيط ٢ / ٣٩٢ . (٤) قوله " اليهم " ناقص من م .

(٥) وممن قال ذلك الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٢٨٦ ، واليمنى فى تحفة الاشراف ١ / ١٥٤ . (٦) م ، خ : عليه السلام .

وذكر فى قوله تعالى : " قل للذين كفروا ان ينتهوا " [1] أن المعنى لأجلهم ، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل : ان تنتهوا يغفر لكم بالخطاب [2] ، فكذا ههنا يجوز أن يكون المعنى قل لأجلهم وفى حقهم ، فذكر فى كل من الآيتين أحد الوجهين .

قوله : (الخطاب لمشركى قريش) [3] ، لما كان مقتضى المناسبة أن يكون هذا الكلام مع الذين أخبر بأنهم سيغلبون لأنهم السابقون ذكرا [4] المفتقرون الى آية ودليل على ما خوطبوا به ، جعل الخطاب لمشركى قريش واستدل عليه بقراءة نافع [5] دفعا لما قيل : ان الخطاب لليهود لأن منهم من حضر الوقعة ينظر لمن الكرة [6] ، أو خطاب " لكم " لكفار قريش ، و " ترونهم " فى قراءة نافع لليهود على ما فى تفسير الكواشى [7] ، أو الخطاب للمؤمنين ، أو للكل لأن للكل آية فى ذلك على ما ينبئ عنه التذييل بقوله " والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار ".

قوله : (يرى المشركون) يعنى بعدما بين أن الخطاب لمشركى قريش ففى " يرونهم " ضمير الفاعل للفئة الكافرة ، وضمير المفعول للفئة المقاتلة المسلمة ، وعبر عنهما بالمشركين والمسلمين تنبيها على جهة العدول عن الافراد أعنى يراها الى الجمع ، وضمير " مثليهم " يحتمل أن يكون للفئة الكافرة وان يكون للفئة المؤمنة . وقوله : (قريبا من ألفين) لأن الكفار [8] كانوا تسعمائة وخمسين وقوله : (ستمائة) وكذا ، لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة الانفال (٢) الكشاف ٢/١٧١

(٣) فى تفسير قوله تعالى : قد كان لكم آية فى فئتين التقتا .. " ١٣ آل عمران ، الكشاف ١/٢٦١ . (٤) كلمة " ذكرا " ناقصة من خ .

(٥) هو نافع بن عبدالرحمن أحد القراء السبعة المشهورين ، انتهت اليه رياسة القراءة فى المدينة ، توفى سنة ١٦٩ هـ انظر الأعلام ٨/٣١٧ ، والبحر المحيط ٢/٣٩٤ .

(٦) وهذا ما ذهب اليه القاضى البيضاوى ، انظر أنوار التنزيل ٢/٦

(٧) انظر تبصرة فى التفسير للكواشى الورقة ٧٦ب ، ٧٧أ

(٨) خ : لأن الكافرين .

وثلاثة عشر ، (والدليل عليه) أى على أن الخطاب لمشركى قريش (قـــراءة نافع ترونهم) بتاء الخطاب ، فان المشركين هم الذين كثر المؤمنون فـــى أعينهم لا اليهود ، ولا يليق بنظم القرآن أن يجعل خطاب " ترونهم " لغير من له خطاب " قد كان لكم " ، وفى قوله : (مثلى فئتكم الكافرة) اشـــارة الى ان الضمير للفئة الكافرة المذكورة بطريق الغيبة لا للمخاطبين بترونهـــم ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة ، وخطاب " ترونهم " للمخاطبين بقولـــه " لكم " لا للفئة الكافرة ليلزم الالتفات من الغيبة الى الخطاب ، و " أخـــرى كافرة " فى موقع[1] الخبر أى عما فئة تقاتل وأخرى كافرة ، أو البدل مـــــن " فئتين " ، أو المفعول ، أو الحال ، وليست عبارة عن المخاطبين فـــى " لكم " بحيث يكون مقتضى الظاهر التعبير عنها أيضا بطريق الخطـــــاب ليلزم الالتفات من الخطاب الى الغيبة ، فاعلم أنه لا التفات فى هذا الكـــلام أصلا ، ولا يلتفت الى قول / من زعم أن فيه ثلاث التفاتات على ما أشرنا اليه . ٢٠٩أ

قوله : (فلما لافوهم) بالفاء أى خالطوهم والتفوا عليهم ، فـــى الأساس : " أرسلت الصقر على الصيد فلافه اذا التف عليه وجعله تحـــت رجليه ، وما تصافوا حتى تلافوا ، ولا فقناهـــم " [٢]

قوله : (وقيل يرى المسلمون[٣]) تفسير للكلام على وجه لا يتوجـــه السؤال ، وذلك أن ضمير الفاعل وضمير " مثليهم " لفئة تقاتل ، وضمـــير المفعول لأخرى كافرة ، والمعنى أن المسلمين كانوا يرون المشركين مثلـــى المسلمين مع أنهم كانوا ثلاثة أمثالهم وأكثر ، فيكون هذا تقليلا للمشركـــين لا تكثيرا للمسلمين فلا يناقض ما فى الأنفال[٤] ، وهذا معنى قوله : (وكـــان

---

(١) م : فى موضع . (٢) أساس البلاغة مادة (لفف) .

(٣) لفظ " المسلمون " ناقص من خ .

(٤) على ما قرر هناك من مقاومة الواحد الاثنين وذلك فى قوله تعالـــى " فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين " وانظر الكشاف ٢ / ١٨٣ .

الكافرون ثلاثة أمثالهم) عطفا على (يرى المسلمون) ، أو حالا لكن قراءة نافع لا تساعد على هذا المعنى لأن التقدير أن خطاب " لكم " للمشركين ، فينبغى أن يكون خطاب " ترونهم " أيضا لهم حذار تنافر النظم فيلزم أن يكون الضمير على قراءة ياء الغيبة أيضا لهم [1] لتتفق القراءتان .

قوله : (ولذلك وصف) أى ولأنهم كلفوا أن يقاوم الواحد منهم العشرة (وصف ضعفهم) أى ضعف المسلمين (بالقلة) فى قوله تعالى : " واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا [2] " (لأن الضعف قليل بالاضافة الى عشرة الأضعاف) أى الأمثال على ما قال الجوهرى وغيره : " التضعيف أن يجعل الشيء مثلين أو أكثر ، وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه ، وأضعافه أمثاله " [3] ، و " أتت أكلها ضعفين [4] " أى مثلى ما كانت تثمر ، و " يضاعف لها العذاب ضعفين " [5] أى مثلى عذاب غيرها [6] ، فما يقال : أنه كان الأنسب أن يقال تسعة الأضعاف [7] ، ليس على ما ينبغى .

قوله : (معاينة) ظاهره يقتضى أن هذه رؤية عين وهو الابصار فيكون " مثليهم " حالا لا مفعولا ثانيا ، لكن المعنى على المفعولية ، فالوجه أنه متعد الى مفعولين لكونه بمعنى العلم علما يستند الى المعاينة لا بمنزلة أن يقال : يبصرونهم ، فليتأمل .

---

(١) قوله " لهم " ناقص من الأصل (٢) من الآية ٤٤ من سورة الأنفال .
(٣) الصحاح مادة (ضعف) . (٤) من الآية ٢٦٥ من سورة البقرة .
(٥) من الآية ٣٠ من سورة الاحزاب (٦) فى خ زيادة " فاللازم فى له ضعف العشرة عشرون وفى ضعف درهم درهمان ، وفى ضعفى درهم ثلاثة " . (٧) اشارة الى رأى الطيبى حيث قال فى فتوح الغيب ١/٢٨٦ : " ولو قال تسعة الأضعاف لكان أحسن لأن العشرة تسعة أضعاف الواحد لأن ضعف الواحد اثنين ضعفا الواحد ثلاثة " وتبع الطيبىَ فى ذلك اليمنىُّ انظر تحفة الاشراف ١/١٥٥ .

قوله : (والوجه أن يقصد تخسيسها[1] ،) أى جعلها خسيسة منسوبة الى الخسة والاسترذال ، لا أن يقصد المبالغة فى كونها مشتهاة لأن هذا المعنى أنسب بمقام التنفير عنها والترغيب فيما عند الله على ما يشعر به قوله تعالى : " ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب " .

قوله : (قال زين) الى آخره من تتمة تقرير هذا الوجه ، وعبارة / ٩٠ب (ما هو الاشهوات لا غير) مما منعه عبدالقاهر والسكاكى[2] ، والاعتزار بأن " لا " فى " لا غير " لنفى الجنس لا للعطف وهو اختيار بعض النحاة ، ليس بشىء لأن مثل هذا واقع فى هذا الكتاب كثيرا حيث لا طريق سوى العطف كقوله : " وما كان ذلك الاختلاف الا حسدا لا شبهة فى الاسلام[3] " ، وكم مثله ، وقد يعتذر بأنها صفة كما فى " بقرة لا فارض[4] " ، وظل لا بارد[5] ، وهو من جهة المعنى بعيد جدا .

واحتج عبدالقاهر على هذا الامتناع بأن شرط المنفى بلا العاطفة أن لا يكون منفيا قبلها بشىء من أدوات النفى ، لأنها موضوعة لأن تنفى بها ما أوجبته للمتبوع لا لأن تفيد بها النفى فى شىء قد نفيته[6] ، هذا كلامه وبه يظهر فساد ما قيل فى التقرير أن وضعها للنفى فلو كان مدخولها منفيا قبلها كان نفيا للنفى ، ونفى النفى اثبات فيكون مدخولها مثبتا ، وهو خلاف وضعها ، وأيضا هى لنفى ما وجب للأول لا لنفى ما نفى عن الأول ، وفى الاعتراض أنه لا يلزم من كون مدخولها منفيا قبلها أن تكون هى لنفى النفى ، وانما يلزم لو كان عطفا على ذلك المنفى وليس كذلك ، فان لا عمرو فى قولنا :

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " زين للناس حب الشهوات ... " ١٤ ـ ١٧ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٦٢ . (٢) دلائل الاعجاز ٢٣٥ ، ومفتاح العلوم ١٥٩ (٣) الكشاف ١/ ٢٦٦

(٤) من الآية ٦٨ من سورة البقرة . (٥) فى ب ، خ " وظل من يحموم لا بارد ولا كريم " . الآيتان ٤٣ ، ٤٤ من سورة الواقعة .

(٦) دلائل الاعجاز ٢٣٥ بتصرف.

ما يقوم الا زيد لاعمر ، عطف على زيد الذى حكمه الاثبات وفائدته التأكيد والدلالة على أن القصر انما هو بالنسبة اليه لا غير .

قوله : (والمقنطرة مبنية ، قال الامام المرزوقى : " ان من شأن العرب أن يشتقوا من لفظ الشئ الذى يريدون المبالغة فى وصفه ما يتبعونه به تأكيدا وتنبيها على تناهيه ، من ذلك ظل ظليل ، وداهية دهياء ، وشعر شاعر[1] " ، والمصنف أخذ الاشتقاق أعم من طريق الفاعلية والمفعولية ، ومعنى (ألف مؤلفة وبدر[2] مبدرة) كاملة ، ولا يبعد أن تكون المقنطرة من قنطرت الشئ رفعته ، ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد ، على ما ذكره فى سورة النساء[3] .

قوله : (أو المطهمة) هى التامة الخلق ، قال الأصمعى : " التام منه كل شئ على حدته فهو بارع الجمال "[4] ، ولم يبين اشتقاق ذلك وكأنه من السوم فى البيع لأنها تسام كثيرا ، أو من السومة لأنها كأنها علم فى الحسن .

قوله : (الأزواج الثمانية) الذكر والأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز .

قوله : (ذلك المذكور) يريد بيان وجه تذكير اسم الاشارة وافراده مع كونه اشارة الى جميع ما سبق[5] ، وقد جوزوا فى الضمير الافراد والتذكير والتأنيث بالنظر الى الخبر .

قوله : (وترتفع جنات على هو جنات) الأظهر فى (ترتفع) الرفع ابتداء / كلام بمعنى وحينئذ ترتفع " و يحتمل النصب عطفا على (يتعلق) . ٢١٠ أ
وانما لم يجعل " عند ربهم " فى موقع الخبر لجنات لأن الظاهر تعلقه

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢/٥٨٣ — ٥٨٤ .
(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم (٣) الكشاف ١/٢٧٩
(٤) الصحاح مادة (طهم) وعبارته : التام كل شئ منه الخ
(٥) خ : الى جميع ما ذكر وسبق .

بالفضل على معنى ثبت بقولهم عند الله ، شهادة لهم بالاخلاص، ولأن ما عند الله هو الثواب ونحوه ، ولم يسمع عند الله الجنة .

قوله : (وتنصره)[1] اذ لا يبقى حينئذ للام موقع ظاهر سوى أن تتعلق بخير على معنى بما يفضل ذلك المذكور ويزيد عليه للمتقين ، أو بخير كائن للمتقين مختص بهم ولا يجوز أن يعتبر فى " خير من ذلكم" تعلق الوصفية لا ستلزامه أن تكون الجنات بعضا من جملة الشهوات ، فمن تفضيلية ألبتة .

قوله : (ويجوز الجر صفة للمتقين) أى " للذين اتقوا " هذا بعيد جدا سيما اذا جعل اللام متعلقا بخير لكم لكثرة الفاصل ، ولذا قال : (ويجوز) وأما فى جعله (صفة للعباد) فالبعد من جهة المعنى حيث خص كونه بصيرا بالعباد المخصوصين .

قوله : (بين الصفات) هى ههنا " الصابرين " وما عطف عليه ، فانها صفات للذين يقولون ، أو للذين اتقوا ، وحينئذ فالتوسط انما هو بين بعض الصفات .

قوله : (وقد مر الكلام فى ذلك) فى قوله تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل اليك "[2] .

قوله : " اليه يصعد الكلم "[3] الاستشهاد على أحد[4] المعانى المذكورة فى موضعها وهو أن العمل الصالح يرفع الكلم[5] الطيب وهو التوحيد والدعاء من الاستغفار وغيره[6] .

قوله : (شبهت) مشروع فى تفسير قوله تعالى " شهد الله[7] " يعنى أنه استعارة تصريحية تبعية حيث شبهت بالشهادة دلالته على الوحدانية

---

(١) البحر المحيط ٢/٣٩٩ . (٢) من الآية ٤ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١/٣٢ . (٣) من الآية ١٠ من سورة فاطر
(٤) م ، خ : أخذ . (٥) لفظ " الكلم " ناقص من خ .
(٦) الكشاف ٣ / ٤٧٥ (٧) الآية ١٨ من سورة آل عمران ، الكشاف ١/٢٦٣ .

بما نصب من الأدلة العقلية ، ونزل من الأدلة السمعية ، وكذلك الاقـــرار والاحتجاج من الملائكة [وأولى العلم من الثقلين ، ولا يبعد على قواعد الملة سلوك الملائكة](١) طريق الاستدلال والاحتجاج ، على أن الاحتجاج لا يلـزم أن يكون للاكتساب بل للاثبات على الغير .

فان قيل : الاقرار مع مطابقة القلب : حقيقة الشهادة لا شبيه بهـا ، ولو سلم أنه لا بد من زيادة خصوص فهى ممكنة من الملائكة والثقلين ، فـأى حاجة الى اعتبار المجاز ؟ وان بنى ذلك على امتناع الجمع بين الحقيقـة والمجاز فكذلك الجمع بين معنيين مجازيين كالدلالة والاقرار .

قلنا : الدلالة والاقرار من أفراد معنى مجازى هو الأمر الشبيـه بالشهادة . لا معنيان مجازيان لتمتنع ارادتهما ، وانما لم يعتبر تقديـر اعادة الفعل ليكون الأول مجازا والثانى حقيقة لأنه خلاف الظاهر مع الغنيـة عنه بالمجاز المستفيض .

قوله : (مقيما للعدل) اشارة الى أن الباء للتعدية ، ولم يجعلـه من قبيل قام اذا ثبت ملتبسا به مباشرا له على طريق الاستعارة / من القيـام ٢١٠ ب
بمعنى الانتصاب ، مبالغة فى تجنب وصفه بصفات المخلوقين ، وقوله : (ويثيب) عطف على (يقسم) ، وكان الأحسن اعادة الموصول كما فى قوله : (وما يأمـر) لأن (ما يقسم) قد فسر بالأرزاق والآجال ، و (على السوية) متعلـق (بالعمل) ، أى ومن عمل العباد فيما بينهم على طريق العدل والسوية ، وقد يجعل متعلقا (بيأمر) على معنى أنه لا يكلف البعض بزائد أو ناقـص ، وهو بعيد .

قوله : (وانتصابه) أى انتصاب " قائما " يحتمل خمسة أوجـه : الحال ، أو المدح من فاعل " شهد " ، أو ضمير " هو " ، والنعت لاسم " لا " المبنى أعنى " اله " ، فقوله : (أو على المدح) عطف على قولـه : (على انه حال) ، وضمير (منه) لله .

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

وقد بين جواز افراد المعطوف عليه بالحال كالمعطوف فى " نافلة " (١)، وبقى بيان جهة تأخيرهما عن المعطوفين ، وكأنهما الدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما . ثم بين جواز كون المنتصب على المدح نكرة بالنقل والاستعمال ، وبقى بيان جواز ذلك فيما اذا كان المنتصب عنه معرفة كما فى الآية ، والبيت ليس كذلك ، والقياس المنع لأنه بمنزلة الوصف.

ثم الفصل بين الموصوف والصفة بالخبر والبدل أعنى " الا هو " مما لا كلام فيه ، لأنه ليس بأجنبى ، فاعتذر عن الفصل بالأجنبى من كل وجه أعنى المعطوفين بأنه من اتساعاتهم فى اللغة وتجويزهم فى بعض المواضع ما يمتنع فى القياس ويقل فى الاستعمال لأغراض تتعلق بذلك مثل ما ذكرنا من قرب المنزلة ، وبقى بيان اتساع هذا الاتساع بحيث يفضى الى الفصل بين ما هو بمنزلة أجزاء الكلمة الواحدة أعنى ما هو فى صلة " أن " المفتوحة ، ولو ثبت فلا خفاء فى أنه بعيد غاية البعد ، وكان الأنسب أن يقول : " نعم " مكان قوله : (لا يبعد).

وأما الاستبعاد من جهة أن نفى المعبود القائم بالقسط لا يوجب نفى المعبود فلا يتم التوحيد بل ربما يتوهم (٢) ــ على قاعدة مفهوم الصفة ورجوع النفى الى القيد ــ اثبات معبود آخر غير قائم بالقسط ، فمدفوع بأن هذا الوصف مساو للموصوف لأن كل مستحق للعبادة قائم بالقسط بالضرورة فنفيه نفيه ، لكن تتوجه المطالبة بفائدة هذا الوصف ولا وجه للمدح فى مقام النفى ، والجواب أنها للتعديل بعد التوحيد وانسحاب الشهادة على الأمرين .

قوله :

انا بنى نهشل لا ندعى لأب * عنه ولا هو بالابناء يشرينا (٣)

---

(١) من قوله تعالى : "ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة " من الآية ٧٢ سورة الأنبياء . (٢) خ : يوهم .

(٣) البيت لبشامة بن حزن النهشلى ، ويقال : انهُ لبعض بنى قيس ابن ثعلبة برواية " انا بنى مالك " ، ويقال : ادعى فلان فى بنى هاشم اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبه عنهم .

أى لا نعدل بالنسب عن نهشل لأجل أب آخر ، ولا هو يبيعنا بغيرنا من الأبناء .

قوله : (ويأوى) أى الصائد ، و(عطل) جمع عاطل من الحلى ، و(شعث) جمع شعثاء تأنيث أشعث وهى التى لا / تمشط شعرها ٢١١ أ
ولا تدهن ولا تغسل ، و(المراضيع) جمع مرضاع : كثيرة الارضاع أو جمع مرضع على الاشباع ، و(السعالى جمع سعلاة وهى أخبث الغيلان [1] ، وترك العطف فى (شعثا) [2] دلالة على أنها أسوأ حالا ، ولهذا لم يجعل عطفا على المحل ، وقد جرت عادتهم بقطع بعض الأوصاف الى نصب أو رفع على تقدير فعل أو مبتدأ ملتزم الاضمار قصدا الى اختصاص ذلك الوصف بمزيد اعتناء ، ويسمونه النصب والرفع على المدح أو الذم أو الترحم أو نحو ذلك مما يقتضيه المقام .

= انظر المطول ٢٤٥ ، والكامل للمبرد ١/ ٦٦ ، ومشاهد الانصاف ٣/ ٣٥ ، وتنزيل الآيات ٥٤٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١/ ٩٩ ، وللمرزوقى ١/ ١٠٢ ، والخزانة ١/ ٢٢٤ ، ٣/ ٥١٠ ، والشواهد للعينى ٣/ ٣٧٠ .

(١) والبيت لأمية بن أبى عائذ الهذلى يصف رجلا يصيد ويرجع الى زوجته وبناته الفقيرات العاريات من الحلى والثياب اللاتى تغيرت وجوههن من شدة الجوع ، ويروى البيت فى ديوان الهذليين ٢/ ١٨٤ هكذا . له نسوة عاطلات الصدور عوج مراضيع مثل السعالى ويروى "يائسات" مكان " عطل " ، انظر مفتاح العلوم ٤٩ ، ٢٩٥ ، والبحر المحيط ٢/ ٤٠٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٠٨ ، والأغفال لأبى على الفارسى ٣٥٨ ، والأمالى لابن الحاجب ٧٠ ب ، ومشاهد الانصاف ١/ ٢٦٤ ، وتنزيل الآيات ٤٧٨ ، والخزانة ١/ ٤١٣ ، ٢/ ٣٠١ ، والشواهد للعينى ٤/ ٦٣ وكتاب سيبويه ١/ ١٩٩ ، ٢٥٠ ، والمفصل ٢٥ ، وشرح الأشمونى ٢/ ٤٠٠ ، ولسان العرب مادة (رضع) .

(٢) فى هامش ب " أى سيبويه " والعطف غير متروك فى كتاب سيبويه فى الموضعين اللذين ورد فيهما البيت فى الجزء الأول صفحتى ١٩٩ ، ٢٥٠ . ولعل نسخ الكشاف التى اعتمد السعد عليها كانت بدون عطف .

قوله : (نعم[1] لأنها حال مؤكدة) تقرير هذا أن المانع من صحة انتصابه حالا عن " هو " ليس الا عدم العامل فى هذه الجملة ، وهو ليس بمانع ، فضمير (هى) و(فيها) للحال المؤكدة ، و(عامل) اسم يكون ، وضمير (فائدتها) للجملة ، وفيه اشارة الى ان الحال المؤكدة تقرير لمضمون الجملة لا تقييد ، حتى اذا قدر عامله أحقه أو أثبته لم يكن ذلك قيدا فيه ، وكذا اذا جعل العامل " شهد " ، لكنه تقرير للشهادة أو للألوهية ؟ فيه تردد ، والحق الثانى ، وكذا فى " لا اله الا هو " هى تقرير لما بعد " الا " كما ذكروا فى (أنا عبدالله شجاعا) لشهرة عبدالله بالشجاعة ، حتى لو لم يجعل عبدالله علما لم يصح ذلك ، اذ ليس فى الشجاعة تقرير العبودية ، فان قيل : هلا جعل العامل ما فى لا التبرئة من معنى التنزيه ؟ قلنا : لأنها تقرير وتأكيد للاثبات لا للنفى .

قوله : (وهو) أى انتصابه حالا عن " هو " (أوجه) لأنه أقرب وأدل على المقصود ، أعنى دخول التعديل تحت الشهادة كالتوحيد وأوفق بما عليه غالب الاستعمال من كون الحال المؤكدة عقيب الجملة الاسمية حتى ذهب كثيرون الى أنها لا تكون الا كذلك ، وبهذا يشعر ظاهر عبارة المفصل : " هى التى تجئ على اثر جملة عقدها من اسمين لا عمل لهما لتوكيد خبرهما وتقرير مؤداه "[2] ، ومنهم من ذهب الى أن هذا ليس بتعريف ، بل بيان أنها خاصة تجئ بعد الجملة الاسمية بخلاف المنتقلة ، أو تعريف للحال المؤكدة التى يجب حذف عاملها .

وبالجملة فقد شاع فى هذا الكتاب القول بالحال المؤكدة فى الجملة الفعلية ، ومبناه على أنه يجعل كل حال ليست مما تثبت تارة وتزول أخرى مؤكدة ، ولا كلام فى وقوع مثل هذا فى الكلام ، فلك أن تقول : الحال المؤكدة مقولة بالاشتراك على المعنيين ، وأن تسمى هذه حالا ثابتة ، فتقسم الحال الى المنتقلة والثابتة والمؤكدة .

---

(١) قوله " نعم " ناقص من ب (٢) المفصل ٢٣ .

وفى قوله : (من انتصابه عن فاعل شهد) تنبيه على أن قولنـــا :
" جعل حالا من شئ " فى قوة "أنتصب حالا عنه " لكنه يشعر بأن / (عن) ٢١١ ب
متعلق (بانتصب) وليس مثل " من " فى قوله : حال من كذا ، وكـأن
المعنى : انتصب مسببا عن كذا ومتفرعا عنه .

قوله : (وكذلك انتصابه على المدح) أى ومثل الانتصاب عن " هـو "
الانتصاب على المدح فى كونه أوجه من الانتصاب عن فاعل " شهد " لكونـه
أدل على المقصود وأوفق بالاستعمال ، لاللقريب لأنه بصدد الاحتمـال
[وقيل معناه مثل الانتصاب عن فاعل " شهد " الانتصاب على المدح فـى
كون الانتصاب عن " هو " أوجه منه ، وذلك لبعد النصب على المدح نكرة
عن معرفة وفوت الدلالة على المقصود اذا جعل نصبا على المدح من فاعل
" شهد "] (1) وقيل : معناه مثل الانتصاب على الحال الانتصاب على المدح
فى ان الانتصاب عنه أوجه من الانتصاب عن فاعل " شهد " لكونه أقرب وأدل على
المقصـود .

قوله : (نعم اذا جعلته) هذا على تقدير الوصفية ظاهر ، وعلـى
تقدير الحالية مبنى على أنها تقرير لمضمون الجملة المشهود بها ، وكأنهم
قالوا : نحق ذلك ونثبته قائما ، وأما على تقدير المدح فلأنه بمنزلة التابع
لما انتصب عنه والوصف له ، فكأنهم قالوا : نعنى قائما ، ولذا قال : (منـه)
أى من " هو " اذ لو جعل نصبا على المدح من فاعل " شهد لم يفـد
ذلك لأن المعنى أعنى قائما .

قوله : (على أنه بدل من هو) لامتناع وصف الضمير ، وهذا قـول
بالابدال من البدل نظرا الى ظاهر الأمر وكونه أقرب كما يقال فى جاءنـى
زيد وعمرو وبكر : ان بكرا عطف على عمرو ، والى أن فى ابداله من اسـم
" لا " واعمال النفى بعد الانتقاض أى لا اله الا القائم بالقسط نـوع
دقة وغموض ، على أنه قد نقل عن المصنف أن الواقع بعد " الا " فى مثـل :
لا اله الا الله خبر لا بدل ، لكن المشهور — وهو المذكور فى المفصـل —

---

(1) ما بين المعقوفين ناقص من خ .

أن الخبر محذوف أي موجود ، أو في الوجود [1] ، "والا الله بدل ، وقد صرح بعض النحاة بأن هذا الابدال واجب لا يجوز فيه النصب على الاستثناء ، وليس مثل قولنا : ما جاءني من أحد [2] الا زيد ، حيث يجوز الا زيدا ، وان لم يكن مختارا .

قوله : (العزيز الحكيم صفتان) يعني الصفة المعنوية لا النعت النحوي ، وسكت عن الاعراب لأنه مثل القائم بالقسط بعينه ، فيكون بدلا أو خبر مبتدأ محذوف ، وقوله : (لا يعدل) أي لا يميل عن العدل أي التسوية وعدم الجور ، والحاصل أن العزة تلائم الوحدانية ، والحكمة تلائم القيام بالقسط ، فأتى بهما لتقرير الأمرين على ترتيب ذكرهما .

قوله : (وهم علماء العدل والتوحيد) ان أراد المعترفين بذلك المحتجين عليه على ما فسر به شهادتهم فجميع علماء الاسلام سيما / أهل ٢١٢أ السنة علماء العدل والتوحيد ، بل كثير من العوام العالمين بذلك بأدلة اجمالية ، وان أراد علماء المعتزلة على ما سموا به أنفسهم فباطل بل كفر ، لأن أولي العلم الشاهدين بذلك [3] هم الأنبياء والأولياء والعلماء وكل من يعترف به ويعرفه بالدليل من الأمم السالفة ، فكيف يصح الحصر على حثالة المعتزلة ؟! .

قوله : (مؤكدة للجملة الأولى) [4] يعني " شهد الله أنه " الى آخره ، وقيل :: مضمون قوله : " أنه لا اله الا هو " ، وقيل : قوله : " لا اله الا هو " المذكور ثانيا ، والأول أوجه وأنسب بسوق كلامه المشعر بأن " ان الدين عند الله الاسلام " ايذان واعلام من الله تعالى بمضمون ذلك ، لا داخل في حكم الشهادة ، ووجه الايذان أنه لو لم يقصد ذلك لم يكن لهذا الكلام موقع حسن .

وتعريف الخبر وضمير الفصل في قوله : (الاسلام هو العدل) أي الاقرار

---

(١) المفصل ١٨ (٢) ب ، خ : ما جاءني أحد .
(٣) قوله " بذلك " ناقص من الأصل .
(٤) في تفسير قوله تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام .. " الآية ١٩ آل عمران ، الكشاف ١/٢٦٤ .

به والتصديق لقصر المسند اليه على المسند ، وفى قوله : (وهو الدين) لقصر المسند على المسند اليه ، وضمير (هو) للعدل والتوحيد ، والافراد باعتبار الخبر أو باعتبار كونهما الاسلام ، وليس ضمير فصل أو ضميرا عائدا الى الاسلام ، اذ ليس المقصود افادة أن الاسلام هو الدين .

ثم لا يخفى أن المراد (بما عداه) التجويز والاشراك ، والا فكم فى الدين من أحكام أخر وتصديقات ، نعم التوحيد هو الأساس للاسلام ، والعدل أعنى الشهادة به من أصوله العظام .

قال أبو البقاء : " عند الله " ظرف ، والعامل فيه " الدين " وليس بحال لأن "ان " لا تعمل فى الحال (1) ، وما ذكر من القصر مستفاد من تعريف الخبر ، والحق أنه قصر المسند اليه على المسند ، اذ المعنى : ان الدين هو الاسلام لا غير الاسلام .

قوله : (وفيه) أى فى قوله : " ان الدين عند الله الاسلام " بالمعنى الذى ذكر دلالة على ان من ذهب الى تشبيه كالمجسمة وأهل الحشوية أو الى ما يفضى الى التشبيه كأهل الحق القائلين بجواز رؤيته [فان ذلك يفضى الى كونه جسما أو عرضا فى حيز وجهة اذ المرئى لا يكون الا كذلك ، أو ذهب الى الجبر] (2) أى الحمل على الأفعال بالكره كالقائلين بأنه يأمر عباده وينهى ويثيب ويعاقب مع أن أفعالهم بمحض قدرته ومشيئته من غير تأثير لهم فيها ، وهذا ظلم محض ليس على دين الاسلام لكون التشبيه وما يؤدى اليه مخلا بالتوحيد والجبر مخلا بالعدل ، أما الثانى فظاهر ، وأما الأول فلأن ما يكون فى حيز وجهة لا يصلح (3) الها لما تقرر فى موضعه ، والتوحيد هو الاعتراف بالله مع نفى اله سواه ، وقيل : لأنه يكون مركبا فان كان شئ من أجزائه ممكنا كان الواجب ممكنا وان لم يكن / كان الواجب متعددا . ٢١٢ ب

---

(1) انظر التبيان فى اعراب القرآن لأبى البقاء العكبرى ١/٨٥ .
(2) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(3) ط ، خ : لا يكون .

والجواب أنا لا نسلم أن جواز الرؤية مطلقا يقتضى المقابلة والجهة وانما ذلك فى الشاهد ، ولا نسلم أن تصرف المالك على الاطلاق يكون جورا وظلما وانما ذلك فى العباد ، وهذا بين جلى على صبيان الكتاب ولكن الأعمى لا يهتدى الى طريق الصواب .

قوله : (والبدل هو المبدل منه)[1] أما فى بدل الكل فظاهر ، وأما فى الآخرين فبمعنى أنه المقصود بالنسبة الى المبدل منه فالمحكوم عليه بالحكم هو .

قوله : (وهذا أيضا شاهد) لأن الفصل واقع على " ان الدين عند الله الاسلام " والحكم بالتوحيد والعدل اعتراض مؤكد لذلك ، فيكون دين الإسلام هو العدل والتوحيد ليصلح هذا تأكيدا لذلك ، ولا أدرى ما قصده المصنف من تكرير هذا الكلام ؟! فان أحدا من أهل الاسلام لم ينازع فى أن التوحيد والعدل أساس الاسلام لكن[2] بمعنى أن الاله واحد لا شريك له فى الألوهية وأنه عدل فى أفعاله لا ظلم منه أصلا ، ولم تدل الآيات والقراءات الا على هذا ، فأين هذا من التوحيد بمعنى نفى الصفات القديمة ؟ والعدل بمعنى وجوب ثواب المطيع وعقاب العاصى ، وتفويض أفعال العباد الى قدرتهم وارادتهم ، والشرور والقبائح الى الشياطين ، واثبات مالا يحصى من الخالقين ؟! حتى زعمت المجوس أنهم بين بين اذ لم يثبتوا الا اثنين ، وأى فائدة لهم فى تسمية طريقتهم وطريقة الاسلام بالعدل والتوحيد بحسب اشتراك اللفظ ؟! على أن هذه تسمية من قبل أنفسهم[3] لا غير ، ولو أنهم ارتقوا الى السماء فليس لهم اسم الا المعتزلة من الاسماء ، واذا تحققت فعدلهم يبطل توحيدهم لاستلزامه كثرة الخالقين ، وتوحيدهم يبطل عدلهم لاستلزام نفى الصفات نفى الأفعال على ما بين فى موضعه ، ولعمرى ان ما يلوح من كلامه من دلالة الآية على أن دين الاسلام هو التوحيد والعدل الذى هو طريقة الاعتزال المنافية لطريقة أهل الحق ، ان كان عن اعتقاد منه فالرجل

---

(١) الكشاف ١/٢٦٥ (٢) كلمة لكن ناقصة من م .
(٣) خ ، م : من عند أنفسهم .

قليل البضاعة ، وان قصد بذلك تغليط الصوام وتسليط الأوهام فكثير الوقاحة ، عصمنا الله تعالى واياكم عن أمثاله بالنبي وآله .

قوله : (حال من المذكورين) يعني " الصابرين والصادقين " الى آخره ، وهذا قول بانتصاب الحال عن الصفة الا ان يجعل المذكورون نصبا على المدح بناء على أن " الذين يقولون) رفع على المدح فلا يصلح موصوفا للصابرين ، وان اعتبر " الذين يقولون " فهو أيضا لا يصلح ذا حال / الا اذا كان نصبا على المدح ، فان قيل : لا يحسن في ٢١٣ أ
المعنى تقييد عامله بالحال ، قلنا : هذه حال مؤكدة لا توجب التقييد فصار ذو الحال بالآخرة هو العباد والعامل يصير ، والأقرب أن يجعل انتصاب شهداء على المدح كالرفع .

قوله : (فصالح عطف على هذه القراءة) يعني قراءة " شهداء الله " بلفظ الجمع نصبا أو رفعا [1] ، وما قيل : ان العطف على المستكن لوقوع الفصل انما هو على تقدير الرفع ، وأما على تقدير النصب فالملائكة وأولوا العلم مبتدأ محذوف الخبر أي وهم كذلك [2] ، تحكم " محض منشوه جعل (هذه القراءة) في السؤال اشارة الى قراءة الرفع . وتوهم بعضهم قراءة " شهداء الله " بالاضافة ، وليس بذاك .

قوله : (ذكره أولا) يريد أن هذا ليس تكرارا محضا لا يفيد الا التأكيد والتقرير ، بل فيه شائبة تأسيس ، وثانيا اشارة الى العدل والتوحيد ، ولذا قرن به ذكر " العزيز الحكيم " لتكون اشارة ثالثة ، و " ان الدين عند الله الاسلام " رابعة ، " وما اختلف الذين أوتوا الكتاب " خامسة ، لأن معناه أنهم بعد علمهم بحقية التوحيد والتعديل عدلوا عنهما الى الاشراك والتجويز ، وهذا من هيمانه في وادي عدله وتوحيده ، وذهابه كل مذهب في ترويج مذهبه وتأييده ، فلا تأخذوا عليه لو أخذ من العدل

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٤٠٣ (٢) وقد ذهب الى ذلك الطيبي في فتوح الغيب ١/ ٢٩٠ ، وتبعه اليمني في تحفة الأشراف ١/ ١٥٧ .

فى العدول أولم يعلم فى التقرير ما يقول ٠

فقوله :(للدلالة على اختصاصه بالوحدانية) معناه اتصافه بهما واثباتها له على ما صرح به ، حيث قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل ، ويحتمل ان تكون الباء للملابسة دون الصلة ، أى اختصاصه بالألوهية ملتبسا بالوحدانية متسما بها ، أو تكون الباء فى المقصور عليه أى قصره على الوحدانية لا يتجاوزها الى الكثرة لأن ذلك حاصل تفرده بالألوهية وقصرها عليه ،وكذا الكلام فى اختصاصه بالأمرين ، لظهور أنه لا دلالة لقولنا " لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين " على تفرده بهما وقصرهما عليه ، وأما أن اعتبار الوحدانية فى مرجع الضمير يفضى الى كون المعنى ، لا اله الا الله الذى لا اله الا هو ، فربما يدفع بضم العدل اليها ، كأنه قيل : لا اله الا الله المتفرد بالألوهية القائم بالقسط فتحصل الفائدة ٠

قوله : (واختلافهم أنهم تركوا الاسلام) (١) لاخفاء فى أن المراد اختلافهم فيما بينهم على ما يشعر به سوق كلامه ويدل عليه قوله تعالى " بغيا بينهم " فتفسيره باتفاقهم على ترك التوحيد والعدل الى الاشراك والتجويز لا يكون مناسبا / اللهم الا أن يراد اختلافهم فى ذلك ٢١٣ ب الاشراك والتجويز ، حيث أثبت النصارى ثلاثة ، واليهود اثنين ، وادعى كل فريق تفرده بالاستحقاق وأن الآخر ليس على شئ ٠

قوله : (وهذا تجوير لله) انما يستقيم لو سلموا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليعتقدوا أن الله تعالى(٢) قد جار عليهم وظلمهم حيث جعل النبوة فى غيرهم مع كونهم أحق ٠

قوله : (لا شبهة فى الاسلام) عطف على (حسدا) وهو من قبيل : ما جاءنى الا زيد لا عمرو ، يرد أن " بغيا " مفعول له لما دل عليه ما والا من ثبوت الاختلاف بعد مجئ العلم كما تقول : ما ضربت الا زيدا تأديبا ، وأما ما أشار اليه من حصر الباعث فى البغى فمن المقام وهو

---

(١) الكشاف ١/ ٢٦٥ ٠ (٢) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ٠

ظاهر ، أو من الكلام ان جوزنا تعدد الاستثناء المفرغ ، أي ما اختلفوا في وقت لغرض الا بعد العلم لغرض البغي . كما تقول : ما ضرب الا زيد عمرا ، بمعنى ما ضرب احدٌ احدا الا زيد عمرا . (وطئ عقبه) اقتدى به ، حضر فلان و (احتضر) على لفظ المبنى للمفعول : حضره الموت ، (استودعته) الوديعة أي استحفظته اياها .

قوله : (أي أخلصت نفسي وجملتي) [1] يعني أن الوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته كما في : " ويبقى وجه ربك " [2] ، أو عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل بأشرف الأجزاء .

قوله : (يعني أن ديني) بيان كيفية الربط بين الشرط والجزاء أعني " ان حاجوك فقل أسلمت " ، و (ثبتت) بلفظ الماضي نسخ السماع ، وبلفظ المضارع نسخة الأصل ومعناه استمرار الثبوت ، (فهو) أي قوله : " أسلمت " (دفع للمحاجة) بأنه لا معنى لها لكونها مجادلة فيما اتضح حقيته . (والاستقصار) النسبة الى التقصير ، يعني ليس القصد في مثل هذا الى حقيقة الاستفهام لعدم اقتضاء المقام ، (والأسداد) جمع سد ، و (ما يضرب) موصولة أو مصدرية [3] في موقع مبتدأ خبره (للمعاندة) ، (والبلادة) بالفتح ضد الذكاء ، و (الكلة) بالكسر مصدر كل السيف [4] وسيف كليل الحد .

قوله : (فقد نفعوا) يعني أن " اهتدوا " كناية عن هذا المعنى ، والا فلا فائدة في الشرطية ، وكذا الكلام في " فانما عليك البلاغ " .

قوله : (وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون) [5] بعطف "الذين" على النبيين من غير اعادة للفعل ، وقوله : (وهم) أي الذين يكفرون ويقتلون هم

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله .. " ٢٠ آل عمران ، الكشاف ١/٢٦٦ . (٢) من الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٣) خ : مصدرية أو موصولة . (٤) في الأصل " مصدر كللت من الشيء " ، وفي م " مصدر كللت من السيف " (٥) في تفسير قوله تعالى : "ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم " ٢١ آل عمران ، الكشاف ١/٢٦٧ ، والبحر المحيط ٢/٤١٤ .

(أهل الكتاب) ، ووجه المضارع الدال على الاستقبال أو الحال مع أن قتل الانبياء انما كان فيما مضى أن أوائل أهل الكتاب قتلوا الأنبياء وأتباعهم الآمرين / بالقسط ، والمعاصرون راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله ٢١٤أ
صلى الله عليه وسلم (١) والمؤمنين (٢) ، وذلك فى حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الأنبياء واتباعهم فصح المضارع الدال على الاستمرار ، ويكون الحكم على المعاصرين بقرينة قوله : " فبشرهم " لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز على ما قد يتوهم ، على أن الماضين قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار على القتل فى الكل أيضا مجاز فلا جمع .

قوله : (لتضمن اسمها معنى الجزاء) أى الشرط وهو السببية مع عدم المانع ، ثم الظاهر أن الجملة الطلبية فى موقع الخبر كما فى الجزاء من غير افتقار الى تقدير القول على ما يذهب اليه الأكثرون ، وليت ولعل مانعان لتغير معنى الابتداء لنقلهما الكلام الى الانشاء .

قوله : (نصيبا وافرا) (٣) لافادة التنكير التكثير ، واللام للعهد والمعهود التوراة ، (ومن اما للتبعيض) لأن ما فهموه مع وفوره ليس الا البعض من التوراة لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى ، (واما للبيان) بمعنى أن النصيب الوافر الذى أوتوه هو التوراة ، وعلى هذا فالأنسب أن لا يفسر الايتاء بالتحصيل ، بل بالانزال عليهم واظلاعهم عليها ، (٤) ثم جوز أن تكون اللام للجنس ومن للابتداء أو للتبعيض ، وأن تكون للعهد والمعهود اللوح ، ومن للابتداء والنصيب التوراة ، ووصفها بالعظم أنسب من وصفها بالكثرة .

(المدارس) (٥) بيت العلم والدراسة ، (وثم لاستبعاد التولى) اذ لا تراخى فى الزمان ، وفى قوله : (لا يزال الاعراض ديدنهم) اشارة

---

(١) م : عليه السلام . (٢) فى الأصل " والمؤمنون " .
(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ..." ٢٣ ، ٢٥ آل عمران الكشاف ١/ ٢٦٧ . (٤) خ : عليه .
(٥) والحديث فى تفسير الطبرى ٦/ ٢٨٨ .

الى أن جملة " وهم معرضون " اعتراض لا حال لقلة فائدة تقييد المتولى بـه وان استقام على أن يكون حالا مؤكدة ، ولا صفة لفريق على ما فى تفسير الكواشى[1]، لقلة الفائدة وقلة الواو فى الصفة .

قوله : (والوجه) فى تفسير الآية أن لا يراد ما سبق من الاختلاف بين اليهود والرسول فى ملة ابراهيم أو فى الرجم ، بل يراد اختلاف يقع فيما بينهم بدليل قوله : " ليحكم بينهم " .

قوله : فكيف تكون حالهم ؟)[2] يعنى أن كيف سؤال عن الحال ، والفصل محذوف ، وهذا الاستفهام للاستعظام والتهويل والدلالة على أنهم كذا ، وأن ما حدثوا به أنفسهم كذا ، (والأشهاد) ليس جمع شاهد لأن فاعلا لا يجمع على أفعال ، بل جمع شهود جمع شاهد أو جمع شهد بالسكون اسم جمع كركب وصحب ، أو جمع شهد بالكسر تخفيف شاهد[3] كوتد وأوتاد .

قوله : (يرجع الى كل نفس) يعنى ضمير "هم " وواو " لا يظلمون " عائد الى / " كل نفس " لكن مجرد العموم لا يكفى فى عود ضمير الجمع ٢١٤ب بل لا بد من التأويل لما هو فى معنى الجمع أى كل الناس ، كما لا يكفى فى اثبات التاء فى ثلاثة أنفس مجرد كون النفس عبارة عما هو مذكر بل لا بد من التأويل .

قوله : (الميم)[4] يعنى الميم المشددة فى " اللهم " عوض عن حرف النداء : اذ الاصل ياالله ، وأوثر الميم لقربه من الواو التى هى حرف علة ، وشدد لكونه عوضا عن حرفين ، ولذلك لا يجتمعان فلا يقال : " يااللهم "، وقول الشاعر .

انى اذا ما حدث ألما * أقول يااللهم يااللهما[5]

---

(١) انظر تبصرة فى التفسير للكواشى الورقة ٧٩ أ .
(٢) الكشاف ١/٢٦٨ . (٣) كلمة " شاهد " ناقصة من خ .
(٤) شروع فى تفسير قوله تعالى : قل اللهم مالك الملك ..." ٢٦ - ٢٧ آل عمران ، الكشاف ١/٢٦٨ - ٢٦٩ . (٥) البيت لأبى خراش الهذلى ، ويروى " دعوت " بدل " أقول " ، انظر الأمالى الشجرية ٢/١٠٣ ، ونوادر أبى زيد ١٦٤ ، ١٦٥ ، والخزانة ١/٣٥٨ ، وأسرار العربية =

وقولـــــه :

وما عليك أن تقولـى كلمـا * سبحت أو صليت ياالله‌مـا (١)

محمول على الضرورة مع كونه مجهولا ، وعند الكوفيين أصله : ياالله أمنا بخير ، ثم كثر حتى خفف كما فى عموا صباحا أى أنعموا ، وكما فى أيش ، أى أى شئ " (٢) ، ورد بأنه يستلزم أن يجوز الجمع فى السعة وأن يمتنع مثل : اللهم العنه واهلكه ، وهذا الحذف (٣) والتعويض بعض خصائص اسم الله تعالى (٤) كما اختص بتاء القسم ، وجمع حرف النداء مع لام التعريف ، وبقطع همزته الوصلية حال النداء ، وغير ذلك كتفخيم لامه ودخول أيمن ويمين عليه فى القسم والميم فى م الله .

قوله : (مالك الملك) لم يبين وجه نصبه ، فعند سيبويه هو نداء ثان لأن اللهم لا يوصف لأنه بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا وصار مثل : حيهل ، اذ الميم بمنزلة صوت مضموم الى اسم مع بقائهما على معنييهما ، بخلاف مثل سيبويه وخالويه حيث صار الصوت جزء الكلمة ، وجوزه قوم كما يوصف ياالله وجعلوا ا "مالك الملك " صفة (٥) .

قوله : (فالملك الأول عام) عن المصنف ان اللام فى " الملك" فى المواضع الثلاثة للجنس ، الا أن الأولى للجنس فى عامة الملك ، والأخريان للجنس فى بعضها ، وتحقيقه ما سبق (٦) أن المعرف بلام الجنس

= ٢٣٢ ، والانصاف ١٩١ ، ١٩٣ ، والمقتضب ٤ / ٢٤٢ ، وارتشاف الضرب ١١٣٤ ، وهمع الهوامع ١ / ١٧٨ ، واللسان مادة (أله) .

(١) يروى " صليت أو سبحت " وكذلك " سبحت أو هللت " ، انظر معانى القرآن للفراء ١ / ٢٠٣ ، واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٣٤٦ ، وأسرار العربية ٢٣٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٥٧ ، والانصاف ١٩١ ، وارتشاف الضرب ١١٣٤ ، واللسان مادة (أله) .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٤١٦ (٣) م ، خ : وفى هذا الحذف

(٤) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ط .

(٥) البحر المحيط ٢ / ٤١٩ (٦) وذلك بالورقة ٨٨ أ من هذه الحاشية .

صالح لأن يراد به الجنس الى أن يحاط به وأن يراد البعض الى الواحد في المفرد والى الثلاثة في الجمع ، والتعويل على القرائن ، ووجه بعضية الأخيرين أن المعطى أو المنتزع يكون حصة من الجنس ألبتة .

قوله : (عام الأحزاب) هم طوائف من الكفار من قبائل مختلفة توجهوا الى المدينة لقتال المسلمين وكانوا عشرة آلاف ، ضمير (صد عنها) و (منها) للصخرة ، والمستكن للضربة ، وضمير (لابتيها) للمدينة وهما حرتان تكتنفانها ، والحرة كل ارض ذات حجارة سود كأنها محترقة من الحر ، واللوب : الحوم حول الماء للعطش عند الازدحام ، وقيل : العطش ، واللام في (لكأن) جواب قسم محذوف ، (والحيرة) بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة ، وتشبيه القصور بأنياب الكلاب(١) / في بياضها وصغرها وانضمام ٢١٥ أ
بعضها الى البعض(٢).

قوله : (كما تكونوا يولى عليكم) أى ان كنتم أهل الطاعة يول عليكم أهل الرحمة ، وان كنتم أهل المعصية يول عليكم أهل العقوبة .

قوله : (من دون المؤمنين) أى من غيرهم ومن مكان متجاوز مكانهم ، وحاصله النهى عن ايثار ولايتهم على ولاية المؤمنين ، (مندوحة) سعة ، (من الله تعالى) أى (من ولاية الله تعالى) ، وقد كان الظرف صفة لشئ فصار بالتقديم حالا عنه ، (والنوك) الحمق ، (العازب) الغائب .(٣)

(قشرت له العصا) أبديت له ما في ضميرك ، (المخالقة) المخالصة بالخلق ، (كن وسطا) أى في معاشرتهم ومخالقتهم ، (وامش جانبا) من موافقتهم فيما يأتون ويذرون .

---

(١) لفظ " الكلاب " ناقص من الأصل (٢) انظر مسند الامام أحمد ٤ / ٣٠٣ .

(٣) وبعد البيت :

فليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى في المغايب

يقول : ان الصديق من لا يصادق بغيض صديقه ، ومن يراعى الأخوة بظهر الغيب لا برأى العين ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٦٩ ، وتنزيل الآيات ٣٢٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٢٣ .

قوله : (ويجوز أن يضمن) عطف من جهة المعنى على قوله : (إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا) يعنى أن " من " للابتداء متعلق بتتقوا و " تقاة " [مصدر بمعنى المفعول فى موقع المفعول به ، ويجوز أن تكون " من " صلة " تتقوا " على تضمين معنى تحذروا أو تخافوا و " تقاة] " (١) على أصله فى موقع المفعول المطلق ، وهذا يشعر بأن حذره وخاف يجئ متعديا بمن ، بخلاف اتقى فانه ليس الا متعديا بنفسه ، ولم نجد فى كتب اللغة خاف ، وحذر الا متعديا بنفسه .

قوله : (وهى ذاته) (٢) قد سبق أن الذات فى الأصل مؤنث ذو ، وقد قطعت عن لزوم الوصفية والاضافة وأجريت مجرى الأسماء المستقلة بمعنى نفس الشئ وحقيقته ، وأجريت تاؤها مجرى الأصلية ، فقالوا فى النسبة " ذاتى " باثباتها ، وجوزوا اطلاقها على الله تعالى مع امتناع مثل : علامة لوجود التاء ، ومعنى اتصاف البارى تعالى (٣) بالعلم الذاتى وكونه عالم الذات : أن علمه نفس ذاته من حيث تعلقها بالمعلومات ليس له صفة زائدة قائمة بالذات كما فى علم المخلوقات ، وهذا معنى قولهم : عالم بلا علم ، وكما أن نسبة ذاته الى كل الموجودات على السوية فكذلك نسبة علمه الذاتى الى كل المعلومات وكذا باقى الصفات .

قوله : (فان ذلك) أى جسارته على تبيع أو تقصيره عن واجب ، (مطلع عليه) على لفظ اسم المفعول المسند الى الجار والمجروره فلاحق به) أى بسبب ذلك (العقاب) اياه ، أعنى ذلك الأخذ .

قوله : (ونصب عليه) أى على بعض العبيد ، وكذا ضمير (أموره) و (حذره) و (أمره) (يتوقع) .

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٢) انظر تفسير قوله تعالى : " قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله .. " ٢٩ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٧٠ .
(٣) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن م .

قوله : (وهو آمن) حال عامله ما فى (بال) من معنى الفعل ،
ولم نجد فى الاستعمال هذه / الحال بالواو ، و ٢١٥ ب

مابال عينك منها الماء ينسكب (١)

قوله : (خيرها وشرها حاضرين) (٢) اشارة الى أن الفعل واقع على " ما عملت من خير " وعلى " ما عملت من سوء " ، والمعنى وما عملت من سوء كذلك أى محضرا ، وليس ذلك من حذف المفعول الثانى بل من العطف على المفعول الأول دون الثانى كما تقول : علمت زيدا فاضلا وعمرا ، وضمير " بينه " فى هذا الوجه لليوم ، وفى الوجه الثانى لما عملت من سوء ، وفى الوجه الثالث أعنى جعل " تود " حالا يحتمل الأمرين على ما قال : (وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء) .

قوله : (ولا يصح أن تكون " ما " شرطية لارتفاع " تود ") عليه اعتراض مشهور وهو أنه اذا كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين ان الشرطية وأسماء الشرط ، ولا يمتنع اطباق القراء على أحد الجائزين وان كان مرجوحا كقوله تعالى " وجمع الشمس والقمر " (٣) ،

---

(١) صدر بيت لذى الرمة ، وتمامه :
كأنه من كلى مفرية سرب
والكلى جمع كلية أو كلوة ، والمفرية : المقطعة ، والسرب : السائل ، وروى " الدمع " بدل " الماء " انظر ديوان شعر ذى الرمة ١ ، وبغية الايضاح ١/١٥٠ ، ومعاهد التنصيص ٤/٢٢٩ ، وحسن التوسل ٦٦ ، والوساطة ١٥٧ ، والعمدة ١/٢٢٢ ، والصناعتين ٤١٨ ، والموشح ٥٤ ، ١٧١ والكامل للمبرد ٢/٧٦ ، والأغانى ١٥/١٢٠ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٣٨ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٣/١٢٥٧ ، وأمالى المرتضى ١/٢٠١ ، وسمط اللآلى ٢/٨٦٩ ، وتنزيل الآيات ٣٢٦ ، والخزانة ١/٣٧٩ ، ٢/٢٦ ، ٢٨٧ والشواهد للعينى ٤/٢٠٣ ، والصحاح مادتى (سرب) و(غرف) ، ولسان العرب مواد (سرب) و (غرف و(عجل) .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .." ٣٠ آل عمران ، الكشاف ١/٢٧٠ .

(٣) الآية ٩ من سورة القيامة .

وما يقال : ان المراد الارتفاع على وجه اللزوم ليس بشيء لأن اللزوم انما هو من جهة أنه ورد كذلك ولا مجال لتغيير نظم القرآن كما لزم في قوله :

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم (١)

محافظة على الوزن (٢) .

وقد يجاب بأن رفع المضارع في الجزاء شاذ كرفعه في الشرط ، نص عليه المبرد (٤) ، وشهد به الاستعمال حيث لم يوجد الا في ذلك البيت .

قوله : (لا كلام في صحته) في الجملة بناء على ارتفاع مانع الارتفاع، لكن الحمل على الموصولة أولى ، لكونها أوفق لفظا بقراءة العامة وأجرى على سنن الاستقامة ، لأن هذا الكلام حكاية الكائن في ذلك اليوم ، فيجب أن يحمل على ما يفيد الكينونة والوقوع ، ولا كذلك الشرطية فان معنى ما صنعت صنعت : ان صنعت هذا صنعت هذا ، أو ذاك فذاك الى ما لا يحصى ، على أنه للاستقبال ولا عمل سوء في استقبال ذلك اليوم .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان ، يقول : ان أتاه خليل أي فقير من الخلة بفتح الخاء لم يتعلل بل اعطاه وأغناه ، وروى الشطر الأول :

فان أتاه خليل يوم مسغبة

والمسغبة المجاعة ، انظر ديوان زهير ٩١ ، وشروح التلخيص ٢/٥٨ ، ومعاهد التنصيص ٢/٢٥٨ ، والكامل للمبرد ١/٧٨ ، والبحر المحيط ٢/٤٢٨ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/٥٨٣ ، ومشاهد الانصاف ١/٤١٦ ، وتنزيل الآيات ٥١٩ ، وسمط اللآلي ١/٤٦٦ ، ٢/٩٢١ ، والخزانة ٣/٦٤٣ ، ٦٥٢ ، وتهذيب اصلاح المنطق ٢/٦٨ ، وكتاب سيبويه ١/٤٣٦ ، والشواهد للعيني ٤/٤٢٩ ، ٥٨٢ ، والمقتضب للمبرد ٢/٧٠ ، وشرح الاشموني ٣/٥٨٥ ، وهمع الهوامع ٢/٦٠ ، والمفصل ١٧٦ ، والانصاف في مسائل الخلاف ٣٢٨ والصحاح مادتي (خلل) و (حرم) ، وكذلك لسان العرب .

(٢) قوله " محافظة على الوزن " ناقص من الأصل .

(٤) انظر كتابي المبرد : المقتضب ٢/٧١ ، والكامل ١/٧٩ .

فان قيل : هذا يوجب نفى (١) صحة كونها شرطية ، قلنا : الشرط وان لم يدل على الوقوع فلا ينافيه ، فربما ينصرف اليه بحسب المقام ، وحديث الاستقبال يندفع بتقدير كان ، أى وما كان عملت من سوء ، على ما سيجيء فى مواضع ، وقد يقال : ان فى الصحة كلاما لأن الجملة على تقدير الموصول حال أو عطف على " تجد " والشرطية لا تقع حالا ولا مضافا اليه للظرف فلم يبق الا عطفها على اذكر ، وهو بتقدير صحته يخل بالمعنى وهو كون هذه الحال والودادة فى ذلك اليوم / ولا محيص سوى جعلها ٢١٦أ حالا بتقدير مبتدأ ، أى وهى ما عملت من سوء ودت ، وفى قوله : (الحمل على الابتداء والخبر) اشعار بأنها لو جعلت شرطية لم تكن فى موقع المبتدأ (٢) كما فى قولك : ما تصنع أصنع ، لأن " عملت " لم يشتغل بضميره بل بقى متسلطا عليه ، وهذا بين لمن تبين أحوال أسماء الاستفهام والشرط فى الاعراب .

قوله : (محضرا) كقوله ابتداء كلام يعنى ان معنى قوله : محضرا " كمعنى قوله : " ووجدوا ما عملوا حاضرا " (٣)

قوله : (ليكون على بال) الأحسن ما قيل : ان ذكره أولا للمنع عن موالاة الكافرين ، وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل السوء .

قوله : (ويجوز أن يريد) عطف على قوله : (يعنى ان تحذيره نفسه) ، فهو على الأول تتميم وعلى الثانى تكميل .

قوله : (محبة العباد لله) (٤) ، المحبة من الوجدانيات التى لا يكشف عنها المقال غير الخيال ، وهى بالارادات أشبه منها بالادراكات ، وما ذكره المصنف فى محبة الله تعالى (٥) ذلك مبلغه من محبة الله ، وأنى

---

(١) خ : يوجب منع . (٢) فى م زيادة " بل المفعول " .

(٣) من الآية ٤٩ من سورة الكهف . (٤) شروع فى تفسير قوله تعالى : " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ... " ٣١ ـ ٣٢ آل عمران ، الكشاف ٢٧١/١ (٥) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ب .

ينكشف ذلك لمن كانت عقيدته فى أولياء الله وأحبابه ما ينبى عنه وقيمتـــه فيهم ، ونصم ما قال الامام فى هذا المقام : " هب أنه اجترأ على الطعـــن فى أولياء الله !! فكيف اجترأ على مثل ذلك الفلحش فى تفسير كـــلام الله تعالى ؟! ولا يليق بالعاقل أن يكتب مثله فى كتب الفحش؟! "(١)

قوله : (لا يعرف ما الله ؟) أى يحسب الأوصاف فان " مــــا " تقع سؤالا عن شرح الاسم والصفة والحقيقة والجنس.

قوله : (احب) بفتح الهمزة وكسر الحاء ، واستشهد بالبيــت لأنه لم يجئ فى المضاعف يفعل بالكسر متعديا الا ويشركه يفعل بالضم ما خلا هذا الحرف ، و(عبيد ومشرق) ابنا الشاعر ، وفى البيت اقــواء وهو اختلاف حركة الروى(٢) .

قوله : (ويدخل) تحت القول أى على تقدير المضارع لكونه خطابـــا مثل " أطيعوا " .

قوله : (ماثان سليمان)(٣) لم يأت بينهما بلفظ " ابن(٤) " لأن ماثان ليس ابنا لسليمان " بل بينهما آباء(٥) كثيرون ، وكذا بين ايشا ويهوذا ،

---

(١) هذا نقل ـ بتصرف ـ لما قاله الامام الرازى فى تفسيره الكبــــير " مفاتيح الغيب " ٢/ ٤٣٨ . (٢) والشعر لغيلان بن شجاع النهشلى ، يقول : أحب هذا الرجل من أجل تمره ولولا تمره ما حببته ولو كـــان أقرب الى من ولدى : لأن القلوب جبلت على حب من أحسن اليهـــا ، وروى المبرد بدل الشطر الأخير :

وكان عياض منه أدنـــى ومشــــرق

وعلى هذه الرواية فلا اقواء فى البيت ، ويروى " أبا مروان " مكان " أبـــا ثروان " ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ٢٧١ ، وتنزيل الآيات ٤٦٣ ، وروح المعانى ١/ ٥٥٩ ، والخزانة ١/ ٣٩ ، ٤/ ١٢٢ ، وشرح القصائـــــد السبع ٢٠١ ، والخصائص ٢/ ٢٢٠ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٢ ، والصحاح مادة (حبب) وكذلك لسان العرب . (٣) فى تفسير قوله تعالى : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ... " ٣٣ ـ ٣٧ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٧٢ . (٤) لعل ذلك كان فى بعـــض النسخ التى اعتمد عليها السعد من الكشاف ، والا فهذا اللفـــظ مذكور فى الكشاف ١/ ٢٧٢ . (٥) خ : أبناء .

لأن غرضه بيان انتساب عيسى ومريم الى اسحق ، فاقتصر على ذكر المشاهير من الآباء ، وقد يروى سليمان ابن ، وبهذا ابن بالرفع ، وهو على طريقة الاخبار .

قوله : (واذ منصوب به) أى بسميع عليم على التنازع ، أو بسميع بمعنى أنه يسمع مقالتها ، (مريم البتول) أى المنقطعة من الأزواج ، أو من الدنيا الى الله تعالى ، وبهذا المعنى فاطمة البتول ، أو لانقطاعها عن نساء زمانها دينا ونسبا وحسبا / (وقد تزوج زكريا بنته) أى بنت عمران ٢١٦ ب
ابن ماثان ، (ايشاع أخت مريم) صوابه ايشاع بنت فاقوذ خالة مريم كما قال عن زكريا : " عندى خالتها " [1] وقال [2] : رغب فى أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها ، وأجيب بأن ايشاع أخت مريم من الأب واخت حنة من الأم ، على أن عمران نكح أم حنة فولدت له ايشاع ، ثم نكح حنة على حل نكاح الربائب فى شريعتهم فولدت مريم ، فكانت ايشاع أخت مريم من الأب وخالتها ، وهذا احتمال لا رواية فيه .

وقيل : كانت حنة وايشاع بنتى فاقوذ فمريم بنت أخت ايشاع ، وكثيرا ما تطلق الأخت على بنت الأخت ، وبهذا الاعتبار جعل يحيى وعيسى [3] ابنى خالة لما كان عيسى من بنت خالة يحيى وهذا تأويل ما قال النبى عليه الصلاة والسلام فى حديث المعراج فى شأن يحيى وعيسى عليهما السلام [4] : " وهما ابنا خالة " [5] ، لكن على هذا لا يصح أن ايشاع بنت عمران .

قوله : (الى أن عجزت) [6] ، فى الصحاح " عجزت المرأة تعجز بالضم عجوزا ، وعجزت تعجيزا صارت عجوزا " [7]

---

(١) الكشاف ١/ ٢٧٤ (٢) فى م زيادة " المصنف " .
(٣) خ : عيسى ويحيى . (٤) قوله " عليهما السلام " ناقص من م .
(٥) صحيح البخارى ١٥/ ١٠٠ ، وصحيح مسلم ٢/ ٢١٢ .
(٦) تفسير الطبرى ٦/ ٣٣٠ (٧) الصحاح مادة (عجز)

قوله : (أن أتصدق) بدل من (نذرا) ، و(شكرا) مفعول له لما تضمنه الكلام من الفعل أو حال .

قوله : (وما كان التحرير) ابتداء كلام منه واستشعار سؤال وهو أنها كيف قطعت بأن ما في بطنها ذكر حتى نذرت تحريره ؟ فأجاب بأنه مبني على التقدير ، أى نذرته محررا ان كان ذكرا ، أو اشارة الى طلب أن يكون ذكرا على ما هو قاعدة اشارة النص ، حيث سيق الكلام لنذر التحرير ، وفهم منه ضمنا طلب أن تلد ذكرا ليتأتى تحريره ، [فكأنها قالت : طلبت ذكرا ونذرت تحريره](١)

قوله : (كان أنثى في علم الله) تعالى(٢) ، يعني لما علم المتكلم أن مدلول " ما " مؤنث جاز له تأنيث الضمير العائد اليه وان كان اللفظ مذكرا هذا في قوله : " فلما وضعتها " ، وأما في قوله تعالى حكاية : " رب انى وضعتها أنثى " فقد توجه السؤال بأنه كيف صح ايقاع " أنثى " حالا من الضمير المعتبر فيه معنى التأنيث؟ ، فأجاب بأن تأنيث الضمير ههنا ليس باعتبار العلم بكونه مؤنثا كما في " فلما وضعتها " ليلزم اللغو ، بل باعتبار قاعدة أخرى هي أن كل ضمير وقع بين اسمين مذكر ومؤنث هما عبارتان عن مدلول واحد ، جاز فيه التذكير والتأنيث كقولنا : الكلام يسمى جملة ، فلفظ " انثى " ههنا حال ، وهي بمنزلة الخبر ، فأنث الضمير العائد الى " ما " نظرا الى الحال من غير أن يعتبر فيه معنى الأنوثة ليلزم اللغو ، فكأنه قيل : وضعت ما في البطن أنثى ، كما في قوله تعالى : " فان كانتا اثنتين(٣) فان ضمير " كانتا " لمن يرث وهو مفرد ، وانما ثنى نظرا الى الخبر / وكان المعنى : وان كان من يرث اثنتين ، ولا لغو فيه ، ومنهم ٢١٧ أ
من لم يفرق بين الموضعين فزعم أن جواب المصنف ليس بموجه ، لأن السؤال انما هو على تقدير تأنيث الضمير بناء على العلم بكونه أنثى ، فلا يكون الجواب بأن ذلك باعتبار تأنيث الحال موجها .

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل (٢) لفظ " تعالى " زائد في خ ، م .
(٣) من الآية ١٧٦ من سورة النساء .

قوله : (كما أنث الاسم) أى الضمير العائد الى " ما "(١)

قوله : (فلم قالت ؟) يعنى أى فائدة فى هذا الاخبار وقد علم المخاطب الحكم ، وكون المخبر عالما به ؟ ، فأجاب بأنه ليس لقصد الاخبار والاعلام ليلزم افادة الحكم أو لازمه ، بل لقصد اظهار التحسر والتحزن ، فقد ترد صورة الجملة الخبرية لأغراض جمة سوى الاخبار ، قال الامام المرزوقى فى قوله :

قومى هم قتلوا أميم أخى(٢)

" هذا الكلام تحزن وتفجع وليس باخبار "(٣) ، فى الأساس : " ما أردت الى ما فعلت ؟ أى ما حملك ؟ "(٤)

قوله : (تعظيما لموضوعها) أى ولدها الذى وضعته ، والضمير لامرأة عمران ، وكذا ضمير (لها) ، وأما ضمير (وهب) فللموصول ، وضمير (منه) للموضوع ، وضمير (به) و (يجعله) للشىء ، (وأن يجعله) عطفا على (عظائم) ، (وولده) هو عيسى بن مريم .

قوله : (فما معنى ؟) يعنى لما دل قوله(٥) : " والله أعلم بما وضعت " على عظم شأن الموضوع وعلو قدره ، فقد دل على أنه أفضل من الذكر ، فما معنى ذكره ؟ ، فأجاب بأنه لقصد البيان والتفسير ، واللام فى الذكر والأنثى للعهد ، أما الأنثى فلسبق ذكرها صريحا ، وأما الذكر فلدلالة " انى نذرت لك ما فى بطنى محررا " على أنها طلبت ذكرا ، فهو كناية عن الذكر .

قوله : (عطف على انى وضعتها أنثى)(٦) ، لأن التسمية انما هى منها لا من الله بدليل قوله " وانى أعيذها بك " ، وما بين المعطوف والمعطوف

---

(١) عبارة خ " كما أنث يعنى بالاسم الضمير العائد الى من " والصواب ما أثبته (٢) صدر بيت للحارث بن وعلة الجرمى ، وتمامه :

فاذا رميت يصيبنى سهمى

وقد سبق تحقيقه فى الورقة ٨٧ ب (٣) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١ / ٢٠٤ (٤) أساس البلاغة مادة (رويد) بتصرف .

(٥) قوله " قوله " ناقص من الأصل . (٦) الكشاف ١ / ٢٧٣

عليه جملتان معترضتان متعاطفتان [كما أن قوله تعالى : " وانه لقسم لــو تعلمون عظيم[١] " جملتان اسمية وشرطية محذوفة الجزاء معترضتان متداخلتان[٢]] لأن قوله : " لو تعلمون " اعتراض بين الموصوف والصفة ، و " ان " مـع اسمها وخبرها اعتراض بين القسم أعنى " فلا أقسم بمواقع النجوم[٣] " وجوابـه أعنى " انه لقرآن كريم "[٤] ، فعلى قراءة " وضعت " بالضم[٥] يكـون " وليس الذكر كالأنثى " أيضا من كلام امرأة عمران تتميما للتسلية على مـا أشار اليه بقوله[٦] : (ولعل هذه الأنثى خير من الذكر) .

فان قيل : فعلى قراءة العامة أو الخطاب تكون المعترضتان من كـلام الله تعالى من غير حكاية ، وما فيه الاعتراض أعنى " انى وضعتها " و " انـى سميتها " من كلام امرأة عمران ، فكيف ذلك ؟ ، قلنا : هما أيضا من كلام اللـه تعالى[٧] لكن حكاية عن امرأة عمران ، ولا بعد فى الاعتراض بكلام غير محكى بين كلامين / محكيين ، والحق ان هذا اعتراض فى اثناء كلام واحد من متكلم واحد ، وهو قوله تعالى " قالت رب " الى آخره ، كما تقول : ضرب زيـد عمرا ـ ونعم ما فعل ـ وبكرا وخالدا ، فليتأمل . ٢١٧ ب

قوله : (فلم ذكرت ؟) ، لما ذكر أنه عطف على " انى وضعتهـا " ، توجهت المطالبة بفائدة ذكر ذلك لله تعالى ، كما توجهت بفائدة ذكـر " انى وضعتها أنثى " ، فأجاب بأن فائدتها[٨] التقرب والطلب المذكور ، كما أن فائدة ذلك التحسر والتحزن لا الاعلام والاخبار .

(وأن يعصمها) مفعول (الطلب) و (اليه) متعلق به على تضمين معنى التوجه والتوسل ، ومثله محذوف من التقرب على طريقة التنازع ، ولا وجـه

---

(١) الآية ٧٦ من سورة الواقعة (٢) ما بين المعقوفين ناقص من م .
(٣) الآية ٧٥ من سورة الواقعة . (٤) الآية ٧٧ من سورة الواقعة .
(٥) وهى قراءة ابن عامر وأبى بكر ويعقوب ، انظر البحر المحيط ٢ / ٤٣٩
(٦) قوله " بقوله " ناقص من الأصل .
(٧) لفظ " تعالى " زائد فى ط . (٨) ب ، ط : بأن فائدته .

لتعلقه بالتقريب للفصل ، وضمير (ظنها) لامرأة عمران ، و (فيها) و (بها) لمريم ، والمستكن فى (أتبعه) (١) لله ، والبارز لذلك أى ذكر التسمية ، وكان الأنسب " اتبعته " على أن الضمير لامرأة عمران لكنه اعتبر الحكاية ، ولو قرئ " أتبعه " على لفظ المبنى للمفعول ورفع (طلب الاعاذة) لم يبعد ، وحمل " أعيذ " على طلب الاعاذة ، ومعناه اجعلها عائذة بك محل بحث ، وفى قوله (واغوائه) تنبيه على أن المراد الاعاذة من أن يغويها الشيطان لا الاعاذة من أن يمسها الشيطان وينخسها على ما قيل ، ثم أورد الحديث الدال على ذلك ، وطعن أولا فى صحته لمجرد أنه لم يوافق هواه ، والا فأى امتناع فى أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما يرى ويسمع ؟ ولا يكون ذلك فى جميع الأوقات حتى يلزم امتلاء الدنيا بالصراخ ؟ ولا تلك المسة للاغواء ليدفع بأنه لا يتصور فى حق المولود حين يولد ؟! وكفى بصحة الحديث رواية الثقات اياه ، وتصحيح مثل البخارى ومسلم من غير قدح من غيرهما (٢) ، ثم أوله على تقدير الصحة بأن المراد بالمس الطمع فى اغوائه ، واستثناء مريم وابنها لعصمتهما ، ولما لم يخص هذا المعنى بهما عم الاستثناء بكل من يكون على صفتهما ، وهذا اما تكذيب للحديث بعد تسليم صحته ، واما قول بتحليل الاستثناء والقياس عليه ، وليت شعرى من أين ثبت تحقق طمع الشيطان ورجائه ، وصدقه فى أن هذا المولود محل لاغوائه ليلزمه اخراج كل من لا سبيل له الى اغوائه ، فلعله يطمع فى اغواء من سوى مريم وابنها ولا يتمكن منه .

ولما ورد عليه ان الاستهلال صارخا من المس انما يصح ترتبه على حقيقة المس دون مجازه المذكور ، أجاب بأنه تخييل وتصوير لطمعه بأن يوقع ذلك المعنى فى الخيال بصورة محسوسة ، والا فلا استهلال ولا صراخ ، وتحقيقه أنه استعارة تمثيلية شبه حال / الشيطان فى قصد الاغواء بحال ٢١٨ أ

---

(١) فى الكشاف ١ / ٢٧٣ "اتبعته" على ان الضمير لامرأة عمران وهو الأنسب على ما سيذكر السعد بعد ذلك.

(٢) انظر صحيح البخارى ١٧ / ٥٠ ، وصحيح مسلم ١٥ / ١٢٠ ، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ١ / ٢٧٤ .

من يمس الشيء باليد ويعينه لما يريد به على ما ذكر في مثل " والسموات مطويات بيمينه [1] " ، وكذلك قول ابن الرومي تخييل وتصوير لانتقال الطفل الى دار الحوادث والآفات و وتمثيل لحال من تؤذيه الدنيا بذلك ، فيدرك ويبكي لأجل ذلك ، والا فلا ايذان من الدنيا ، ولا بكاء من الطفل لأجل الحلم بذلك ، فقوله : (صارخا) حال مقيد باعتبار تعلقه ، أي يرفع الصوت صارخا من المس ، وقوله : (لما تؤذن) متعلق بيكون ، و" ما " موصولة ، و" من " للبيان ، و" كان " تامة ، و(ساعة) ظرف ليكائه ، ويجوز أن تكون ناقصة خبرها (لما تؤذن) وبعده :

والا فما يبكيه منها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد [2]

وهذا تصريح بالتشبيه كما أن البيت الأول تمثيل ، وفي الأساس : " عيط : مد صوته بالصريخ وهو العياط ، وناقة عيطاء اذا استطالت في السماء ، وقصر أعيط : منيف " [3]

وقد يستدل على ان الحديث ليس على ظاهره بأن اعاذة أم مريم كانت بعد الوضع ، فلا يصح حملها على الاعاذة من المس الذى يكون حين الولادة ، والجواب أن المس ليس الا بعد الانفصال وهو الوضع ومعه الاعاذة ، غايته أنه عبر عنه بالمضارع لقصد الاستمرار بخلاف الوضع والتسمية .

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الزمر ، الكشاف ٤/ ١١٠ .
(٢) الأبيات لابن الرومي ويروى " وانه لأفسح " بدل " وانها لأوسع " ، و" اذا عاين " بدل " اذا أبصر " ، و" بما سيلاقي " وكذلك " بما هو لاق " بدل " بما سوف يلقى " ، انظر ديوان ابن الرومي ٣٩٣ ، والمطول ٤٦٠ ، وشروح التلخيص ٤/ ٤٦٧ ، وحسن التوسل ٥٤ ، والمثل السائر ٢/ ٢٥ ، وشاهد الانصاف ١/ ٢٧٤ ، وتنزيل الآيات ٢٧٠ ، وسمط اللآلي ١/ ٣٢٩ ، ٢/ ٩٢٧ .
(٣) أساس البلاغة مادة (عيط) بتصرف .

قوله : (فيه وجهان) كان الظاهر أن يقال : فتقبلها قبولا ، لأنه مصدر ، فاحتيج لتصحيح معنى الباء الى حمل القبول على الاختصاص المذكور الذى هو ما يقبل به الشيء اما بجعله بمعنى المفعول بالواسطة أعنى ما تقبل به ، وهو قريب من الآلة ، واما بجعله على حذف المضاف أى ذى قبول ، فصار المعنى تقبلها ملتبسة بهذا الاختصاص ، ثم جوز أن يكون تقبل بمعنى استقبل وتلقى فتكون الباء صلة ٠

قوله : (صاحب قربانهم)[1] هو الذى يلى أمر القرابين فى البيت الذى تنزل فيه النار ، والقربان ما يتقرب به الى الله تعالى ، والاضافة فى صاحب قربانهم مثلها فى حب زمانك ٠

قوله : (عندى خالتها) فى نسخة الأصل ، فغيرت الى أختها لما سبق من ان ايشاع كانت أخت مريم بنتى عمران بن ماثان[2] ، وقيل : ذكرها باسم الأخت تارة والخالة أخرى تنبيها على أنها كانت اختا لها كما مر[3]

قوله : (ويجوز) عطف على قوله : (فيه وجهان) لأن هذا وجه ثالث فى بيان معنى (رضى بها فى النذر) ، وقيل : بل مقابل له فيكون عطفا عليه ٠ ٢١٨ / ب

قوله : (وخير الأمر) أى[4] خيرته وفضيلته على أنه بمعنى المصدر كما فى قولهم : لا خيره يرجى ولا شره يخشى ، و " ما " فى (ما استقبلت) مصدرية ، أى خير الأمر أن تأخذه بأوله لا أن تهمله حتى يفوت ثم تتبعه ، وقيل : موصولة أى خير الأمر ما أخذته أول ما يقبل قبل أن يتبدل ، فخير على هذا اسم تفضيل ، والأول أوفق بقوله (وليس بأن تتبعه) وهو مضارع مخاطب بحذف احدى التاءات[5]

---

(١) الكشاف ١ / ٢٧٤ (٢) الكشاف ١ / ٢٧٢ ، وفى الأصل " كانت أخت حنة " (٣) الكشاف ١ / ٢٧٢ ، والورقة ٢١٦ ب من هذه الحاشية

(٤) كلمة " أى " ناقصة من خ : م ٠ (٥) والبيت للقطامى وهو فى ديوانه ص ٣٥ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١ / ١٣٥ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٧٤ ، وتنزيل الآيات ٤٣٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٤١ ، والفائق ٢ / ٣١٩ ، والأمالى الشجرية ٢ / ١٤١ والخزانة ١ / ٣٩٢ ، وطبقات الشعراء ١٨١ ، ومجمع الأمثال ١ / ٣٢٧ وكتاب سيبويه ٢ / ٢٤٤ ، والخصائص ٢ / ٣٠٩ ، ومادة (تبع) فى الصحاح وفى لسان العرب ٠

قوله : (خذ الأمر بقوابله) أى ملتبسا بأوائله ومقدماته قبل أن يدبر ويفوت ، وقيل : الباء بمعنى فى أى فيما يستقبلك منه (١)

قوله : (مجاز عن التربية) بطريق الاستعارة أو ذكر الملزوم وارادة اللازم .

قوله : (وربها) على لفظ الأمر (٢) من التربية تفسير أنبتها .

قوله : (هذا الرزق الذي لا يشبه) ، استفيدت الاوصاف من اسم الاشارة المستعمل لكمال العناية بالتميز ، لما له من الأوصاف العجيبة الشأن ، والباء فى (الداخل به اليك) للتعدية أو للملابسة ، والضمير للرزق ، (آثرته) أى النبى صلى الله عليه وسلم (٣) (بهما) اى بالرغيفين والبضعة [يعنى كانت محتاجة اليهما لكن آثرت النبى صلى الله عليه وسلم على نفسها ، (فرجع النبى صلى الله عليه وسلم بهما) أى بالرغيفين وبالبضعة](٤) (اليها) أى الى فاطمة [رضى الله عنها](٥) (وقال هلمى) أى أقبلى وتعالى ، (فبهتت) أى دهشت وتحيرت (عليه) أى على الطبق .

قوله : (انتبه على جواز ولادة العاقر) (٦) من جهة أن الود بمنزلة (الثمرة) ، والعقر بمنزلة (غير أوانه) ، لا من جهة مجرد أنه علم أنه زمان ظهور خوارق العادات .

قوله : (على قولهم : فلان يركب الخيل) أى على طريق (٧) نسبة حكم الفرد من الجنس الى الجنس نفسه نحو : فلان يركب الخيل ويلبس الديباج ، وان لم يركب ولم يلبس الا واحدا .

قوله : (والذرية تقع على الواحد (٨)) وهو المراد ههنا ، (والجمع)

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١/ ٢١٢ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢/ ٧٢ .
(٢) البحر المحيط ٢/ ٤٤٢ (٣) فى م ، خ : عليه السلام .
(٤) ما بين المعقوفين ناقص من ب ، وقوله " على نفسها " ناقص من الأصل .
(٥) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل . (٦) فى تفسير قوله تعالى : " هنالك دعا زكريا ربه ..." ٣٨ ـ ٤١ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٧٦
(٧) ب ، خ : طريقة . (٨) كان ينبغى تقديم هذا القول على القول السابق ليكون على ترتيب الكشاف ١/ ٢٧٦ .

مثل : " ذرية بعضها من بعض(١) ، وهى منسوبة الى الذر بالفتح بمعنى البث لأن الله تعالى(٢) قد بثهم فى الأرض ، أو بمعنى النمل الصغير ، لما روى من أن الله تعالى أخرجهم من صلب آدم كهيئة النمل ، والضم من تغييرات النسب ، وفى الأساس : " هذه ذرارة الطيب وغيره وهى ما تناثر منه اذا ذررته ، ومنه الذر لصغار النمل وللمنبث فى الهواء من الهباء كأنها طاقات الشىء المذرور"(٣) ، وفى الصحاح " الذرية وهى نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق : خلقهم ، الا أن العرب تركت همزها "(٤)

قوله : (يالها من سيادة) نداء تعجب والضمير مبهم يفسره ما بعده ، ومثله : يالك من ليل .

قوله : (حصرا لنفسه) اشارة الى أن من لايقربهن لعدم الميل أو / القدرة لا يسمى حصورا . (والمربح) الذى يشترى الخمر بربح ٢١٩ أ
أو يجعل بائعها رابحا ، و (بالكأس) متعلق (بنادمنى) ، و (بالحصور) خبر (لا) بمعنى ليس على زيادة الباء والاسم محذوف اى ليس هو ببخيل . و (فيها) متعلق (بسأر) أى كثير السؤر وهو عيب عند الشرب(٥) .

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة آل عمران (٢) لفظ " تعالى " زائد فى ط .

(٣) أساس البلاغة مادة (ذرر) بتصرف . (٤) الصحاح مادة (ذرأ) .

(٥) والسؤر هو البقية من أسأر اذا أبقى فى الكأس بقية ويروى " بسوار " من السورة وهى الوثبة والعربدة انظر ديوان الأخطل ١١٦ ، وطبقات الشعراء ١٧٣ ، والأغانى ١٣ / ١٤١ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ / ١٢٥ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٧٦ ، وتنزيل الآيات ٣٩٨ ، وشروح التلخيص ٣ / ٣٠٠ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٤٨ ، ومعانى القرآن ٢ / ٢٦ ، والمفردات فى غريب القرآن ٢٤٨ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٣٥٧ ، وتهذيب اصلاح المنطق ١ / ١٢٥ ، وارتشاف الضرب ٣٦٦ ، والصحاح مادتى (حصر) و (سأر) ، ولسان العرب مواد (حصر) و (سور) و (سأر) .

قوله : (استبعاد من حيث العادة) لا انكا لما قالته الملائكـــة ، (والأفاعيل) جمع أفعال ، وقيل : أفعولة صفة تختص بما يتعجب منه .

قوله : (ترجف) تضطرب وتتحرك ، أراد (بالروانف) اليتيـــه ، لأن الاليتين وانفتان لا غير وهما طرفاهما ، ولذلك ثنى ضمير (تستطــارا) والأصل تستطاران سقط النون بالجزم ،ولا حاجة الى جعل الألف بــدلا من النون الخفيفة داخلة على الجزاء (١)

قوله : (سمى كائنا) حيث جعل التكلم متناولا لها ، لكن فيـــه جمع بين الحقيقة والمجاز .

قوله (أو ارهاصا) (٢) هو تأسيس النبوة بظهور الخوارق قبل البعثة كاظلال الغمام لنبينا صلى الله عليه وسلم (٣) فى طريق الشام ، ولم يحملـــه على الكرامات ميلا الى (٤) انكارها ، وكأنه يحمل فاكهة الصيف والشتـــاء أيضا على ذلك ، والا فهى كرامة ظاهرة ، والحمل على معجزة زكريا عليــه السلام بعيد لأن من شرطها التحدى والقصد الى الاتيان .

قوله : (بالكرامة السنية) هى رزق المحراب ، (قرفك) اتهمك وقد اتهمها اليهود بيوسف النجار عابد من عباد بنى اسرائيل ، ومعـــنى التطهير عنه خلقها طاهرة عن ذلك مبرأة ، ولا حاجة الى سابقة التلوث .

---

(١) والبيت لعنترة يخاطب عمارةبن زياد العبسى لما قال لقومه :: ليتنى لقيته فأرحتكم منه وأعلمتكم أنه عبد ، وروى " خلوين " بدل " فردين" و" روادف " بدل " روانف " ، انظر ديوان عنترة ١٠٨ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٢٧٧ ، وتنزيل الآيات ٣٩٨ ، وروح المعانى ١/ ٥٧٥ ، والأمالى الشجرية ١/ ١٩ ، والخزانة ٢/ ٢٠٠ ، ٣/ ٣٥٩، ٣٦٢ ، ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، والشواهد للعينى ٣/ ١٧٤ ، والمفصل ٣٢، وشرح الأشمونى ٣/ ٥٧٩ ، وأسرار العربية ١٩١ ،وسمط اللآلى ١/ ٤٨٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٣٠١ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٤ مادة (طار)، وأساس البلاغة مادة (رنف) ، ولسان العرب مواد (طير) و(ألا) و(رنف) (٢) فى تفسير قوله تعالى : " واذ قالت الملائكة يامريـــم ان الله اصطفاك .. " ٤٢ ــ ٤٣ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٧٧ .

(٣) م : عليه السلام ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٥٦

(٤) فى الأصل " على "

قوله : (ثم قيل لها واركعى) يعنى[1] بعد الأمر بالصلاة أمرت بقيد فى الصلاة وهى الجماعة ، أو بالمواظبة على ذلك بحيث تعد من جملة المصلين وتنسب اليهم ، أو بحقيقة الركوع والكون مع الذين يركعون ، لا مع الذين يصلون بلا ركوع .

قوله : (على سبيل التهكم)[2] يعنى أنه يخبر بما لا سبيل اليه لنظر العقل ، وأنتم تنكرون الوحى وتعترفون بعدم السماع ، فلم يبق لنا بمقتضى قولكم ما يحتاج الى النفى سوى المشاهدة التى هى أظهر الأمور انتفاء .

قوله : (أقلامهم أزلامهم) ، قال الزجاج : " الأقلام ههنا القداح ، جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ، وسمى السهم قلما لأنه يقلم أى يبرى وكلما قطعت منه شيئا فقد قلمته "[3]

قوله : (أيهم يكفل بم يتعلق ؟ يعنى أنه من جهة المعنى مرتبط بيلقون ولا يصح تعلقه به ، لأنه ليس من الأفعال التى تعلق / بالاستفهام ، ٢١٩ ب
ولا مما يحكى ، فأجاب بأنه متعلق بمحذوف هو فى موقع الحال أو المفعول له ، لكن تعليق ينظرون ينافى كون التعليق من خواص أفعال القلوب ، فهو أيضا على اعتبار معنى العلم ، ولذا قدر صاحب المفتاح " ينظرون ليعلموا[4] " ، وتعليقه بيقولون لا يفيد فائدة يعتد بها ، وفى كلام ابن الحاجب ما يشعر بان التعليق لا يخص أفعال القلوب المتعدية الى مفعولين بل يجرى فى عرفت وعلمت بمعنى عرفت وما أشبههما[5] ، نعم لا يجرى فى غير أفعال القلوب ، والنظر ههنا يحمل على نظر البصيرة فيصح تعليقه .

قوله : (ومشتقهما)[6] أى ومن يجعل المسيح مشتقا من المسح لأنه

---

(١) قوله " يعنى " ناقص من الأصل (٢) فى تفسير قوله تعالى : " ذلك من أبناء الغيب نوحيه اليك ... " ٤٤ آل عمران ، الكشاف ٢٧٨/١
(٣) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٣٦١/٢ ، بتصرف
(٤) مفتاح العلوم ١٥١ (٥) روح المعانى ٥٨١/١
(٦) فى تفسير قوله تعالى : " اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم .. " ٤٥ ـ ٥١ آل عمران ، الكشاف ٢٧٨/١

كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ ، أو كان ممسوحا بالبركة من الله تعالى، أو مسح من الأوزار(١) أى طهر ، وعيسى مشتقا من العيس وهو بياض تعلوه حمرة ، فهولا يحلى بطائل ولا يقول بكلام مفيد(٢) اذ لا معنى لاعتبار الاشتقاق فى الأسماء الأعجمية ، لكن دخول اللام فى المسيح ربما يشعر بأنه عربى مشتق كالخليل لابراهيم عليه السلام(٣) ، الا أن يقال : لما عرب أجرى مجرى الاوصاف لما كان فى لغتهم بمعنى المبارك .

قوله : (ويجوز أن يبدل من اذ يختصمون) على تقدير الابدال من " اذ قالت الملائكة " جاز أن يكون وقت هذا القول وقت ذاك ، فكان الابدال ظاهرا ، وأما وقت الاختصام فظاهر أنه قبل وقت البشارة بمدة ، فاحتيج فى جواز الابدال الى ان يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام فى بعض اجزائه والبشارة فى بعض آخر فيصح بالنظر الى ذلك الزمان أنهما فى زمان واحد ، كما يقال : وقع القتال والصلح فى سنة واحدة ، مع أن القتال فى أول السنة والصلح فى آخرها ، وتحقيقه أن كلا من الزمان والمكان قد يؤخذ حقيقيا وهو القدر الذى ينطبق على الشئ ولا يفضل عليه ، وقد يؤخذ غير حقيقى وهو الذى يفضل ، وفى عبارة الأصوليين الوقت قد يكون معيارا كالنهار(٤) للصوم ، وقد لا كالوقت للصلاة .

قوله : (لم قيل اسمه المسيح ؟) أى كيف صح جعل الثلاثة على التعاقب خبرا عن " اسمه " ؟ وانما الاسم واحد منها هو عيسى ، فأجاب بأن ليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقب على ما توهمت ، بل العلامة التى بها الامتياز وهى مجموع الثلاثة لا واحد ولا كل واحد : اذ ربما يقع الاشتراك فيه ، وليس المراد أن المجموع علم واحد بمنزلة / التسمية ببيت ٢٢٠ أ
من الشعر لظهور أن ليس الأمر كذلك ، نعم لو جعل كل واحد علامة مميزة لم يبعد ، فان قيل : " ابن مريم " لا يصح حمله على اسمه أصلا ، لأن الابن هو المسمى لا الاسم ، قلنا : نعم اذا أريد به المفهوم لا اللفظ ، وكذا المسيح وعيسى .

---

(١) خ ، ط : من الاقذار . (٢) ب : بكلام يقبل .
(٣) قوله " عليه السلام " زائد فى خ (٤) قوله " كالنهار " ناقص من خ .

قوله : (وجيها حال من كلمة) ولم يجعله حالا مؤكدة من " المسيح عيسى " كما فى " أنا عبدالله شجاعا " لأن ذلك انما يكون حيث يتسم الشخص بمضمون الحال ويشتهر ليكون تأكيدا ، ولا كذلك حال البشارة بل الأحوال المنتقلة التى ذكرها أيضا انما تصح باعتبار التقدير كما فى "محلقين رؤسكم ومقصرين" (١)

فان قيل : علية امتناع الحال من النكرة قائمة فى النكرة الموصوفة ، قلنا : جواز الحال من النكرة الموصوفة ما لم ينازع فيه أحد ، فينبغى أن تجعل الصلة أمرا آخر كما فى المبتدأ ، فان قيل : لم جعل " ومن المقربين " ، " ويكلم " ، " ومن الصالحين " عطفا على الحال أعنى " وجيها " لا على صفة النكرة أعنى " اسمه المسيح " ؟ قلنا : لأنه أقرب لفظا وأنسب معنى .

قوله : (وفى المهد فى محل النصب على الحال) مبنى ذلك على عطف " كهلا " عليه وهو حال ، والا فلا منع من جعله ظرفا لغوا ، وفى قوله : (ومعناه) الى آخره اشارة الى أن ليس كل من المعطوف والمعطوف عليه مستقلا بالحالية بل المجموع حال واحد ، (يستحكم) على لفظ المبنى للفاعل ، (ويستنبأ) على لفظ المبنى للمفعول : يجعل نبيا كاستقضى جعل قاضيا .

قوله : (ونعلمه عطف على يبشرك) الى آخره ، لا يخفى أن هذه الوجوه سوى الوجه (٢) الرابع انما تحسن بعض الحسن على تقدير قراءة "يعلمه" بياء الغيبة (٣) ، وأما على قراءة النون فلا تحسن الا بتقدير القول ، أى ان الله يبشرك بعيسى ويقول : ونعلمه ، [وكذلك الله يخلق ما يشاء ويقول : نعلم عيسى ، أو حال كونه وجيها ومقولا فيه : نعلمه] (٤) ، واعتذر بأن " يبشرك " و " يخلق " وان وقعا فى كلام الملائكة بطريق الغيبة ،

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة الفتح . (٢) كلمة " الوجه " ناقصة من الأصل .
(٣) انظر البحر البحيط ٢/٤٦٣ (٤) ما بين المعقوفين ناقص من خ .

لكن ذلك حكاية من الله تعالى ، فكأنما وقعا بطريق التكلم من الله تعالى ، وحينئذ يستقيم العطف ، ولا يخفى أنه مع هذا لا يحصل[1] حسن انتظام الكلام .

وأما حديث الالتفات[2] (٣) فمما لا ينبغي أن يلتفت اليه ، لأن التكلم في الحكاية لا يكون الا من الحاكي ، ألا ترى أنك لوقلت : قال النبي صلى الله عليه وسلم[3] " ان الله أرسل رياحا تثير السحاب فسقناه[4] " لم يكن كلاما ؟ فبقى أن يكون كلاما مبتدأ غير داخل في حيز قول الملائكة وان كان ما يصلح لعطفه عليه غير ظاهر ، وانما لم يجعل عطفا على " اسمه المسيح " صفة لكلمة تلأن اشكال طريق التكلم بحاله مع القطع عن الأقرب / الأنسب ويتوجه على الأولين سؤال الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله : " قالت رب أنى يكون لي ولد " الى آخره ، وكان ينبغي أن يؤخر عن ذكر الأوصاف . والأحوال ، ولا محيص سوى اعتبار الاهتمام به . ٢٢٠ ب

قوله : (علام تحمل) أي تعطف " ورسولا " ، " ومصدقا " في حكم التكلم[5] من المنصوبات السابقة وهي " وجيها " وما عطف عليه ، و" في المهد " وما عطف عليه ، ولا وجه ظاهرا للعطف على شيء منها ، لأنهما كلها في حكم الغيبة ، وهما أعني " رسولا " و " مصدقا " في حكم التكلم بدليل تعلق " أني قد جئتكم " و " لما بين يدى " بهما ، فيصير المعنى : يبشرك به وجيها هو ورسولا ومصدقا أنا ، أو يكلم طفلا هو ورسولا ومصدقا أنا ، فأجاب بأنه ليس عطفا على شيء منها ، بل منصوب متعلق بمحذوف وهو مفعول فعل معطوف على " يعلمه " اعني يقول ، ولو سلم فيصح العطف

---

(١) خ : لا يحسن (٢) وهو ما ذهب اليه الفاضل اليمني حيث قال في تحفة الأشراف ١/١٦٣ : " وأما على القراءة بالنون ففيه التفات وايذان بأن التعليم من أجل النعم التي يجب تعظيم موليها ".

(٣) م ، خ : عليه السلام . (٤) تلميح الى قوله تعالى : " والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت " من الآية ٩ من سورة فاطر . (٥) قوله " في حكم التكلم " ناقص من ب.

على كل من الحالين من غير أن يكون فى " أنى قد جئتكم " و" لما بين يدى " ما ذكرتم من الاباء لأنهما متعلقان بما يتضمنه " رسولا " و" مصدقا " من معنى النطق ، وهما على طريق الغيبة ، أى حال كون عيسى عليه السلام[1] رسولا ناطقا بأنى قد جئتكم ، ومصدقا ناطقا بأنى أصدق ما بين يدى ، ولا يخفى أن فى هذا نوع خروج عن قانون التضمين ، وان كان فى بعض تقادير " نعلمه " نبوة عن الوجه الأول ، لأنه على تقدير عطفه على " يبشرك " أو " يخلق " يكون التقدير ان الله يبشرك أو الله يخلق ما يشاء ويقول عيسى كذا عطفا على الخبر ، ولا رابط الا بتكلف عظيم .

قوله : (أى أقدر لكم) تفسير لقوله : " أخلق لكم من الطين كهيئة الطير " ، وليس متعلقا (بالكسر[2] والاستئناف) .

قوله : (الضمير للكاف) ليكون المرجع فى اللفظ ، وان كان المرجع فى التحقيق الشىء الموصوف بالمماثلة ، وفى المائدة " تنفخ فيها[3] " بتأنيث الضمير على تقدير يخلق هيئة كهيئة الطير ، وليس الضمير لهيئة الطير لأنها[4] لم يخلقها عيسى عليه السلام ولا نفخ فيها ، وقراءة فأنفخها[5] ليست من الاتساع أو الحذف والايصال ، قال فى الأساس : " نفخ فى النار ونفخ النار "[6] ، ولهذا استشهد ببيت النابغة :

مولى الريح روقيه وجبهته * (كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما)[7]

يصف ثور وحش - شبه ناقته به - بأنه يحفر فى الكناس ليوسع مكانه حال كونه مولى الريح قرنيه وجبهته للاكباب على الحفر كالهبرقى

---

(١) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل (٢) البحر المحيط ٢/ ٤٦٥
(٣) من الآية ١١٠ من سورة المائدة (٤) خ : لأنه .
(٥) البحر المحيط ٢/ ٤٦٦ . (٦) أساس البلاغة مادة (نفخ) .
(٧) يروى الشطر الأول " مولى الريح قرنيه وكلكله " أى صدره انظر ديوان النابغة الذبيانى ٦٨ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٢٧٩ ، وتنزيل الآيات ٥١٧ ، وتهذيب اصلاح المنطق ١/ ١٧٠ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢/ ٣١٧ ، والصحاح مادة (هبرق) ، وكذلك لسان العرب .

وهو الحداد والصائغ اذا انحرف ينفخ فى الفحم ، وهو ساكن العين وقد جاء بالفتح .

قوله : (أحيى سام بن نوح) ، قيل : الصواب / كعب بن حام . ١٢٢١ أ

قوله : (ولأحل رد على قوله : بآية) أى منتظم معه معطوف عليه ظاهرا ، لكنه فى التحقيق من عطف الجمل ، أى جئتكم بآية وجئتكم لأحل ، اذ لاوجه لعطف المفعول له على المفعول به ، ولما كان تخلل " ومصدقا " فيما بينهما مستبعد جدا لكونه عطفا على شيء آخر ، جوز أن يكون " مصدقا " أيضا مردودا على قوله : " بآية " بالوجه الذى ذكرنا . ولك أن تجعل الكل فى معنى الحال فيستقيم العطف ، أى جئتكم ملتبسا بآية وكائنا لأحل ومصدقا لما بين يدى ، والمعنى لأبين الحل وأعلمه .

(الثرب) شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ، (الصيصية) شوكة فى رجل الديك ، وقيل : المخلب الذى يقاتل به ، وللسمك فى أطرافه ، وهى فى الديوان والمجمل بالهمزة [1] وفى الاساس فى الصاد مع الهمزة : صأصأ الجرو حرك عينيه ولما يفتح ، ضربه الديك بالصئصئة وهى مخلبه فى ساقه ، وأسنة كصياصى البقر وهى قرونها ، والصياصى الحصون "[2] ، وكلام الجوهرى لا يشعر بأنها بالهمزة أو الياء ، لأنه لم يوردها الا أنه ذكر فى باب الهمزة " صأصأ الجرو [3] ، ولا دليل فى الصياصى على الياء لجواز الانقلاب .

قوله : (وهو ما بين يدى) [4] أى الفاعل ضمير يعود الى (ما بين يدى) أو الى (الله تعالى) وهما مذكوران ، أو الى (موسى) وهو فى حكم المذكور .

قوله : (علامة يعرف بها [5] أنه رسول) يعنى ليس المراد بالآية المعجزة ليرد الاعتراض بأن مثل هذا القول قد يصدر عن بعض العوام ، بل

---

(١) انظر مجمل اللغة ٢٦٧/٢ (٢) أساس البلاغة مادة (صأصأ) .
(٣) الصحاح مادة (صأصأ) . (٤) البحر المحيط ٤٦٨/٢
(٥) عبارة الكشاف ٢٨٠/١ " يعرف منها " .

المراد أنه بعد ما ثبتت نبوته بالمعجزة كان ذلك القول لكونه طريقة الأنبياء ودليل الاهتداء علامة لنبوته يفيد المسترشد قوة يقين وزيادة اطمئنان ، وقيل ان حصول المعرفة والتوحيد [والاهتداء للطريق المستقيم في الاعتقادات والعبادات ممن نشأ فى قوم بدلوا] (١) الدين ، وحرفوا، وقتلوا الأنبياء ، من خوارق العادات .

قوله : (ومخبره) عطف على (بآية) المبينة (بما ذكرت) لحصول التغاير بالبيان ، (وقرأ عبدالله) استشهاد لهذا الوجه ، و(فاتقوا الله) تفريع على المجيء بالآيات لا اعتراض ، و(ان الله ربى) بالكسر ابتداء كلام لا بيان الآية بتقدير القول ، وبالفتح متعلق بقوله : (فاعبدوه) على حذف اللام ، أى اعبدوه لأنه ربى وربكم ، أو متعلق بآية بحذف " على " أى آية دالة على أنه ربى وربكم ، وقوله " فاتقوا الله وأطيعون " اعتراض بين آية وما تعلق بها ، وانما لم يجعل / " ان الله ربى وربكم " فى معرض التعليل ٢٢١ ب وبيان السبب لقوله : " فاتقوا الله وأطيعون " لفوات حسن الانتظام بالنسبة الى " أطيعون ".

قوله : (فلما علم) (٢) اشارة الى ان الاحساس ههنا استعارة للعلم اليقينى الجلى ، لأن الكفر ليس ما يحس.

قوله : (يضيفون أنفسهم الى الله) تعالى(٣) أى يميلونها وينسبونها اليه فى النصرة لى فى أمر الدين وقهر المخالفين ، وهذا حاصل معنى (الحال من الياء) أى من ينصرنى حال كونى ذاهبا الى الله ملتجئا الى دينه ، فالمقصود طلب النصرة لرسوله فى دينه ، فلذا فسر " نحن أنصار الله " بأنصار دينه ورسوله اما على الاطلاق فيهما ، واما على طريق اللف والنشر غير المرتب ، وذكر فى سورة الصف وجها آخر (٤)

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص من م . (٢) فى تفسير قوله تعالى : " فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله ... " ٥٢ ـ ٥٤ آل عمران ، الكشاف ١/ ٢٨٠ . (٣) لفظ " تعالى " زائد فى خ .

(٤) وذلك فى تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن =

قوله :(حوارى الرجل) من الحور شدة البياض ، وتحوير الثياب تبييضها ، فكأنه نسبه الى الحور ، وزيادة الألف من تغييرات النسب.

قوله : (يبكين (جواب الأمر ، وقيل : أمر بحذف اللام كما في قوله :

محمد تفد نفسك كل نفس(1)

(ولا تبكنا) عطف على (قل) ، والمعنى لا تبكنا الحضريات ، فانا لا نموت على الفراش كالحضريين ، بل نحن أهل البدو والحرب ، أولا نريد بكاء النساء بل حسن الأحدوثة ، أو بكاء الكلاب النوابح التى كانت تدل الضيفان علينا ونحن الينا وتألفنا فى البوادى(2).

= أنصار الله " من الآية ١٤ من تلك السورة ، فقد ذكر ان معنى قوله " من أنصارى الى الله " من جندى متوجها الى نصرة الله ؟ واضافة " أنصارى " خلاف اضافة " أنصار الله " فان معنى " نحن أنصار الله " : نحن الذين ينصرون الله ، ومعنى " من أنصارى ": من الأنصار الذين يختصون ويكونون معى فى نصرة الله ؟ ". انظر الكشاف ٤/٤٢٢ .

(1) صدر بيت لأبى طالب ، وقيل : لحسان ، وقيل : للأعشى وليس فى ديوانهما ، وتمام البيت :

اذا ما خفت من شىء تبالا

وروى " من أمر " بدل " من شىء " ، والتبال هو الوبال قلبت واوه تاء ، انظر مشاهد الانصاف ٤/٤٢١ ، وتنزيل الآيات ٥٠٥ ، وتفسير القرطبى ٣/٣٨٣ ، واللباب من علوم الكتاب ٣٠١ ، والأغفال ٢٢ ، والأمالى الشجرية ١/٣٧٥ ، والخزانة ٣/٦٢٩ ، وأسرار العربية ٣١٩ ، والمفصل ١٨٠ ، والمقتضب ٢/١٣٢ ، وكتاب سيبويه ١/٤٠٨ ، والشواهد للعينى ٤/٤١٨ ، وشرح الأشمونى ٣/٥٧٥، والانصاف ٢٧٦ ، ٢٨٣.

(2) والبيت لأبى جلدة اليشكرى ، انظر مشاهد الانصاف ١/٢٨٠ ، وتنزيل الآيات ٣٥٨ ، والبحر المحيط ٢/٤٧٠ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/٣٦٨ ، وأمالى ابن الحاجب ٢٥١ ، ومادة (حور) فى كل من أساس البلاغة ، والصحاح ، ولسان العرب .

قوله : (طلبوا شهادته) أى شهادة عيسى ، لأن الرسل لما كانـــوا يشهدون لقومهم بما عملوا من الخير، وعليهم بما عملوا من الشر ، فاذا طلـــب من هو من الأمة فى الدنيا أن يصير النبى شاهدا بايمانه ، كان على ثقـــه من ايمانه ، جازما بالثبات عليه ، عازما أن لا يخل به قط ، وهو معـــنى التأكيـــد .

قوله : (وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم) [1] وجه المرجوحيـــة خفاء وجه الدلالة على هذا المعهود .

قوله :(غيلة) نوع من الاغتيال وهو أن يخدعه فيذهب به [2] الى موضع ، فاذا صار اليه قتله .

قوله : (أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا) يعنى أن هذا معنى الخبريـــة فى المكر ، (وأقدرهم على العقاب) يعنى أن هذا معنى المكر فى حق الله تعالـــى .

قوله : (أو لمكر الله) [2] ، هذا أوجه اذ ليس لتعليق كونه أقدر على العقاب بزمان دون زمان كثير معنى .

قوله : (أى مستوفى أجلك) . لما كان ظاهر الكلام أنه يميته مقارنـــا لرفع السماء ، ولم يكن كذلك ، أو بحيث يحتمل أن يكون معه أو قبلـــه أو بعده ، ولم يكن فى الاخبار بذلك كثير فائدة ، احتاج الى تفسيره بوجـــه يفيد فائدة يعتد بها ، فذكر أربعة أوجه :

الأول ـ أنه كناية عن عصمته من أن يقتله الكفار لكون / ذلـــك مردوفا ومتبوعا لتأخيره الى أجله واماتته فى وقته . ٢٢٢أ

الثانى ـ أنه عبارة عن قبضه من وجه الأرض ثم رفعه الى السماء .

الثالث ـ أنه اخبار بأن موته يكون بعد النزول من السماء ، لا الآن ، ولا فى السماء

---

(١) خ ، م : عليه السلام (٢) قوله : به " ناقص من خ .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى .." ٥٥ ـ ٥٧ آل عمران ، الكشاف ١/٢٨١ .

الرابع – أنه اخبار بأنه انما يرفعه الى السماء بعد تسليط النوم عليه بحيث لا يشعر بذلك.

ففى هذه الأوجه الثلاثة يكون توفيه ورفعه اليه بمنزلة حكم واحد.

قوله : (يعلونهم) تفسير للفوقية بأنها رتبية وشرفية لامكانية ، وضمير الفاعل للذين اتبعوك ، والمفعول للذين كفروا.

قوله : (من اليهود) بيان [1] للذين كذبوه ، (والنصارى) للذين كذبوا عليه بأنه ابن الله ونحوه ، فلا اتباع لليهود ، ولا فوقية على الكفرة الى يوم القيامة للنصارى ، فتعين أن المتبعين هم المسلمون الموافقون فى أصل الدين والمعترفون بنبوته الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم [2]

قوله : (فأحكم بينهم) [3] الصواب " بينكم " وهو مرتب على قوله " ثم الى مرجعكم " فان كان الخطاب للذين اتبعوا ، والذين كفروا، فالتفات من الغيبة الى الخطاب ، للدلالة على شدة ارادة ايصال الثواب والعقاب ، لأن الخطاب أدل فى اثبات ما أجرى له الكلام ، وان كان لهم مع عيسى [عليه الصلاة والسلام] [4] فتغليب للمخاطب على الغائب والأصل مرجعك ومرجعهم.

ثم فصل المجمل باعتبار وصفى الايمان والكفر ورتب على كل ما يليق به بضمير الغائب العائد الى الموصول [5] اشارة الى علية الوصفين ، وهل هذا التفات من الخطاب الى الغيبة ؟ فيه كلام.

قوله : (تفسير الحكم قوله : فأعذبهم) بالنسبة الى (الذين كفروا) ، و (فيوفيهم أجورهم) بالنسبة الى (الذين آمنوا) ، واعترض بأن الحكم مرتب على الرجوع الى الله تعالى أعنى الميعاد وذلك فى القيامة

---

(1) كلمة " بيان " ناقصة من خ (٥) م : عليه السلام.
(٢) لعل النسخ التى اعتمد عليها السعد كانت كذلك والا فالصواب "بينكم" كما هو فى الكشاف ١ / ٢٨٩ وكما سيذكر السعد.
(٤) ما بين المعقوفين ناقص من ب. (٥) ب ، خ : الى الموصوف

لا محالة ،فكيف يصح فى تفسيره العذاب فى الدنيا ؟ وأجيب بوجوه :

الأول ـ أن المقصود التأبيد وعدم الانقطاع من غير نظر الى الدنيا والآخرة كما فى قوله : " خالدين فيها ما دامت السموات والأرض " (١) .

الثاني ـ أن المراد بالدنيا والآخرة مفهومهما اللغوى ،أعنى الأول والآخر ، ويكون ذلك عبارة عن الدوام ،وهذا أبعد من الأول جدا .

الثالث ـ أن المرجع أعم من الدنيوى والأخروى ،وكونه بعد جعل الفوقية الثابتة الى يوم القيامة لا يوجب كونه بعد ابتداء يوم القيامة ، وعلى هذا فتوفية الأجور أيضا تتناول نعيم الدارين ،ولا يخفى أن فى لفظ/ " كنتم " فى قوله : " فيما كنتم فيه تختلفون " بعض نبوة عن هذا المعنى ،وأن المعنى : أحكم بينكم فى الآخرة فيما كنتم تختلفون فيه (٢) فى الدنيا . ٢٢٢ ب

الرابع ـ أن العذاب فى الدنيا هو الفوقية عليهم ،والمعنى : أضم الى عذاب الفوقية السابقة عذاب الآخرة ،وهذا بعيد من اللفظ جدا ،اذ معنى أعذبه فى الدنيا والآخرة ليس الا أنى أفعل عذاب الدارين ،الا أن يقال : أن ايجاد الكل لا يلزم أن يكون بايجاد كل جزء ،فيجوز أن يفعل فى الآخرة تعذيب الدارين بأن يفعل عذاب الآخرة وقد فعل فى الدنيا عذاب الدنيا ،فيكون تمام العذابين فى الآخرة .

قوله : (ذلك بمعنى الذى) (٣) ،وهو مذهب الكوفيين (٤) ،كما فى قوله :

أمنت وهذا تحملين طليق (٥)

---

(١) من الآية ١٠٨ من سورة هود . (٢) ط ،خ " فيه تختلفون " .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم " ٥٨ آل عمران ،الكشاف ١ / ٢٨ . (٤) انظر البحر المحيط ٢ / ٤٧٦ .

(٥) عجز بيت ليزيد بن مفرغ الحميرى وصدره :

عدس مالعباد عليك امارة

وعدس اسم صوت لزجر البغل ،وعباد هو ابن زياد وكان الشاعر قد أكثر من هجوه حتى حبسه وضيق عليه حتى خوطب فى أمره معاوية فأمر باطلاق سراحه ، فلما خرج من السجن قدمت له بغلة ليركبها فنفرت فقال هذا الشعر ،ويروى بدل " أمنت " : " نجوت " وكذلك " عتقت " انظر اعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٢٥٠ =

وههنا احتمال ظاهر لم يذكره ، وهو أن يكون " من الآيات " في موقع الحال ، ثم جوز في ذلك أن يكون نصبا بمضمر على ما هو قاعدة الاضمار على شريطة التفسير ، الا أن الرفع أجود للاستغناء .

قوله : (وصف بصفة من هو) أي القرآن من (سببه) أي متعلق به ، والسبب في الأصل الوصلة والحبل ، فيكون من الاسناد المجازي كعيشة راضية [١] ، أو شبه القرآن لكثرة حكمه بالانسان الناطق بالحكمة وهو الحكيم ، فيكون من اجراء المشبه به على المشبه مثل : " صم بكم " [٢] وكما تقول : مررت بزيد الأسد ، أو شبه اشتماله على الحكم الكثيرة بالاتصاف بها فيكون استعارة تبعية ، وللمكنية أيضا وجه [٣] .

قوله : (في أحد الطرفين) [٤] أي في الوجود من غير أب ، فلا يمنع اختصاص آدم دون عيسى بالوجود من غير أم من تشبيه عيسى بآدم ، لأن المماثلة المعتبرة في تشبيه الشيء بالشيء هي المشاركة في بعض الاوصاف .

قوله : (وهما في ذلك) أي في أن وجدا وجودا خارجا عن العادة (نظيران) لا مزية لأحدهما في نفس ذلك المعنى ، فصح [٥] التشبيه بلا اشتباه ، وجعل المشبه عيسى لأنه المقصود بنظر المقام ، والا فالأصل في مثل هذا [هو الحكم بالتشابه] [٦]

قوله : (ولأن الوجود) الظاهر أنه وجه ثالث أي صح هذا التشبيه وترك التساوي

= وتفسير القرطبي ١/٣٦٤ واللباب من علوم الكتاب ٣٦٠ ، ومعاني القرآن ١/١٣٨ ، ٢/١٧٧ ، وأمالي ابن الحاجب ٨٠ ب ١١٦ أ ، والأمالي الشجرية ٢/١٧٠ ، والخزانة ٢/٢١٦ ، ١٤٥ ، ٣/٨٩ ، والأغاني ١٧/٦٠ ، والشواهد للعيني ١/٤٤٢ ، ٣/٢١٦ ، ٤/١٤ ، ١٥٥ ، ٣ ، وهمع الهوامع ١/٨٤ ، وشرح الأشموني ١/٧٤ ، ٢/٤٩ ، والمفصل ١٧ ، واعراب القرآن ١/٢١٣ ، والصحاح مادة (عدس) ، واللسان مادتي (عدس وحدس) .

(١) من الآية ٧ من سورة القارعة . (٢) من الآية ١٨ من سورة البقرة .

(٣) وهذا الوجه مبين عند الطيبي حيث قال : " واذا شبه القرآن لكثرة حكمه بانسان ذي حكمة ثم خيل القرآن نفس ذلك الشخص ثم أطلق القرآن على المتخيل ورمز بقوله الحكيم وهو من روادف المشبه به الى المشبه وهو القرآن فتكون استعارة مكنية " .

انظر فتوح الغيب ١/٣٠٤ .

(٤) في تفسير قوله تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم .. " ٥٩ آل عمران ، الكشاف ١/٢٨١ . (٥) خ : فيصح .

(٦) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

لكونه [1] أدل على المقصود ، وقيل : اللام متعلق بقوله : (فشبه) وهو بيان لاشتمال التشبيه على شرطه وهو كون المشبه به أتم وأكمل .

قوله : (قدره جسدا) فسر الخلق بذلك وقوله " كن " بانشائه بشرا ، تصحيحا لكلمة " ثم " ، وحمل " يكون " على حكاية الحال الماضية لأن المقام للمضى ، أى قال كن فكان .

قوله : (الحق من ربك خبر مبتدأ) [2] على أن يكون " من ربك " حالا من الضمير / ٢٢٣ أ في " الحق " ، وانما لم يجعل " الحق " مبتدأ خبره " من ربك " لأن المقصود الدلالة على أن كون عيسى مخلوقا كآدم هو الحق لا مايزعم النصارى من اللاهوتية ، وتطبيق كونهما مبتدأ وخبرا على هذا المعنى لا يتم الا بتكلف ، لكن قوله : " من بعد ماجاءك من العلم " أوفق به كما أن " فلا تكن من الممترين " أوفق بالأول .

قوله : (محمد والخميس) [3] أى هذا محمد والجيش ، قالوا ذلك حينما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم [4] صباحا بالجيش وقد فتحوا الحصن ، والجيش يسمى خميسا لأنه خمسة أركان : القلب ، والميمنة ، والميسرة ، والمقدمة ، والساقة .

قوله : (لاصرار عليها) [5] هو خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها فصيلها ، و (تخالي القوم) خلا بعضهم ببعض من خلا فلان بفلان ، (والعاقب) من يخلف السيد ، جاء وفد نجران الى النبي صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا فيهم العاقب أميرهم والسيد ثمالهم [6] وأبو حارثة أسقفهم وكان من كبار علمائهم ، والسقف طول في انحناء ، " قال ابن السكيت : ومنه أسقف النصارى لأنه يتخاشع [6] ، والأظهر أنه معرب اسكف بالرومية .

قوله : (ولا نبت) عطف على (عاش) لأنه في حكم النفي لعطفه على (باهل) فجيء بلا المذكرة [7] للنفي ، (ونجران) بلد من اليمن .

---

(١) خ : لأنه .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " الحق من ربك فلا تكن من الممترين " ٦٠ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٨٢ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٤ / ٣٢ .

(٤) م : عليه السلام .

(٥) في تفسير قوله تعالى: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم .. " ٦١ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٨٢ .

(٦) ثمالهم أى قوامهم وغياثهم .

(٦) الصحاح مادة (سقف) .

(٧) خ : المؤكدة .

قوله : (ولا يبق) الصواب " ولا يبقي [1] " لأنه عطف على (فتهلكوا) وهو منصوب جوابا للنهي لا مجزوم ، فكأنه من قبيل : " فأصدق وأكن " [2] .

قوله : (ألف في صفر) يروى صفر وجب بالكسر والتنوين ، وفي نسخة الأصل بالفتح ، ولعله أوجه ، لأن المراد صفر ذلك العام ورجبه ، (درعا عادية) قديمة أو عظيمة ، (المرط) كساء من صوف أو خز أو غيرهما [3] مرجل [4] بأعلام كالرحال .

قوله : (لذلك) أي الابتهال ، و (على ثقته) عطف على (ثقته بحاله) ، (الظعينة) المرأة مادامت في الهودج ، فلان (حامي الحقيقة) أي يحمي مايحق عليه أن يحميه .

قوله : (وفيه دليل) من جهة الدلالة على أنهم أحب الناس اليه وأعزهم لديه ، وأما من جهة ارجائه [صلى الله عليه وسلم] [5] ببركة تأمينهم ولجاءهم الى الله تعالى ، وما تفرس فيهم أسقف النصارى ونحو ذلك ، فانما هي في القصة لا الآية . نعم فيه دليل وأي دليل ؟ ، لكن متى احتاج النهار الى دليل ؟ .

قوله : (وأصلها أن تدخل على المبتدأ) [6] ، لأنها لام الابتداء لكن زحلقت الى الخبر كراهة توالي حرفي تأكيد .

قوله : (بمنزلة البناء على الفتح) قد سبق أن قراءة " لاريب فيه [7] " بالفتح توجب الاستغراق وبالرفع تجوزه بمعنى أنه يحتمل عدم الاستغراق احتمالا مرجوحا ، [8] فيشير / ههنا الى أنه اذا زيدت من الاستغراقية فهي بمنزلة البناء على الفتح في ٢٢٣ ب كونه نصا في الاستغراق ، لا الاعراب بالرفع في كونه ظاهرا فيه .

قوله : (من غير رجوع) [9] متعلق (بلا نطيع) أو (بما أحدثوا) فيه .

قوله : (فوجب عليكم) ، الوجوب تفسير " قولوا " ، والاعتراف والتسليم تفسير (الشهادة) والحصر من المقام .

---

(١) كما هو موجود في الكشاف ١ / ٢٨٢ .
(٢) من الآية ١٠ من سورة المنافقون .
(٣) قوله " أو غيرهما " ناقص من ب .
(٤) مرجل أي منقوش .
(٥) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٦) في تفسير قوله تعالى : " ان هذا لهو القصص الحق ... " ٦٢ـ٦٣ آل عمران الكشاف ١ / ٢٨٣ .
(٧) من الآية ٢ من سورة البقرة .
(٨) انظر الكشاف ١ / ٢٧ .
(٩) في تفسير قوله تعالى : " قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم .. " ٦٤ـ٦٨ آل عمران .

قوله : (الأشخاص الحمقى) يعنى أن اسم الاشارة للتحقير والاسترذال .

قوله : (بيان حماقتكم) نظم الكلام ليس على ماينبغي .

قوله : (أأنتم على الاستفهام) [1] بتوسيط ألف بين همزة الاستفهام وهمزة "أنتم" ،فلان يعلم علم كذا أى كيفيته وحقيقته .

قوله : (ثم أعلمهم بأنه برئ من دينكم) شبه التفات ،والظاهر " من دينهم " .

قوله : (أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى) ،فيكون من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على علة أنه ليس منهم ،وتعريضا بأنهم مشركون ،وتأكيدا لكونه حنيفا مسلما .

قوله : (وهذا النبى خصوصا) يعنى أنه داخل فى " الذين اتبعوه " وانما خص بالذكر لشرفه ،ولا خفاء فى أن مؤمنى أمته أيضا كذلك [2] ، والأحسن أن يراد الذين اتبعوه فيما مضى ثم النبى والمؤمنون ،وعلى قراءة نصب " النبى " فالذين آمنوا عطف على الذين اتبعوه ،وأما على قراءة الجر [3] ،فيحتمل العطف على " النبى " ،وعلى الذين وهذا أوجه .

قوله : (بآيات الله) [4] ، المراد بها اما التوراة والانجيل و" تشهدون " من الشهادة مجازا عن الاعتراف بحقيقتها ، واما القرآن ومعنى " تشهدون " تشاهدون نعت الرسول عليه السلام [5] المذكور فى التوراة والانجيل ،واما آيات الله جميعا ومعنى " تشهدون " تعلمون حقيقتها بلا شبهة بمنزلة علم المشاهدة .

قوله : (تلبسون بفتح الباء) من لبست الثوب فتكون الباء فى " بالباطل " بمعنى مع ،وأما على قراءة الكسر فهو من لبست الشيء بالشيء خلطته به [6] ،واستشهد لاستعمال اللبس وما فى معناه للاتصاف بالشيء والتلبس به بقوله عليه الصلاة والسلام [7] : "المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور " [8] ،وبقول الفرزدق :

---

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ٤٨٦ ،وروح المعانى ١ / ٥٠٨ .
(٢) قوله " كذلك " ناقص من خ " (٣) البحر المحيط ٢ / ٤٨٨ .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون .. " ٧٠ـ٧١ آل عمران ،الكشاف ١ / ٢٨٥ .
(٥) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل ومن ب .
(٦) البحر المحيط ٢ / ٤٩١ . (٧) ب ،خ : صلى الله عليه وسلم .
(٨) انظر صحيح البخارى ١٩ / ١٥٩ .

فلا أب وابنا مثل مروان وابنه * (اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا)(١)

المتشبع : الذى يرى أنه شبعان وليس به ، والمراد المتصلف ، ولابس ثوبى زور هو الذى استعار ثوبا يتجمل به أو يتنسك(٢) لتقبل شهادته ، فهو يشهد به زورا ، ويظهر أنه له ، وليس له ، فيتلبس بجهتى زور ويصير كأنه لابس ثوبين من الزور ، قال فى الفائق : / " المتشبع على معنيين : أحدهما - المتكلف اسرافا فى الأكل وزيادة فى الشبع ليمتلىء ويتضلع ، والثاني - المتشبه بالشبعان وليس به ، وبهذا المعنى استعير للمتحلى بفضيلة لم يرزق ، وشبه بلابس ثوبى زور ، أى ذى زور ، وهو الذى يزور على الناس ويتزيى بزى أهل الزهد رياء ، وأضاف الثوبين الى الزور على معنى اختصاصهما به من جهة كونهما ملبوسين لأجله ، أو أراد أن المتحلى كمن لبس ثوبين من الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر "(٣) . ٢٢٤أ

قوله : (من كان مسرورا)(٤) البيت لربيع بن زياد يرثى مالك بن زهير العبسى ، وبعده :

يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن أوجههن بالأسحار(٥)

---

(١) والبيت قيل أنه للفرزدق يمدح مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، وليس فى ديوان الفرزدق ، وقيل : لرجل من بني عبد مناة بن كنانة ، ويروى " لا أب " بدون الفاء ، ويروى الشطر الثاني:

اذا ما ارتدى بالمجد ثم تأزرا

انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٨٥ ، وتنزيل الآيات ٣٩٨ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٢٩٤ ، والأغفال ٤٠٦ ، ومعاني القرآن للفراء ١ / ١٢٠ ، والفائق ١ / ٣١٣ ، وشرح القصائد السبع ٢٨٨ ، والخزانة ٢ / ١٠٢ ز ، وكتاب سيبويه ١ / ٣٤٩ ، والشواهد للعينى ٢ / ٣٥٥ ، والمفصل ٤٢ ، والمقتضب ٤ / ٣٧٢ ، وشرح الأشمونى ١ / ١٥٣ .

(٢) قوله " أو يتنسك " ناقص من خ ، ط . (٣) الفائق ١ / ٣١٣ بتصرف .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ... " ٧٢ - ٧٤ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٨٥ .

(٥) روى " محزونا " بدل " مسرورا " ، و " ساحتنا " بدل " نسوتنا " ، و " يضربن " بدل " يلطمن " ، وروى الشطر الأخير : " يندبن بين عوانس وعذارى " ، و " بالصبح قبل تبلج الاسحار " ، و " قد قمن " ، و " يبكين " بدل " بالصبح " انظر مشاهد الانصاف ١ / ٢٨٥ ، وتنزيل الآيات ٣٩٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٩٣ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٣٧٨ ، وروح المعانى ١ / ٦١١ ، والأغانى ١٦ / ١٨ ، =

وكانت عادتهم أن لا يندبوا على القتيل قبل أخذ الثأر ، فيقول : من كان فرحا بقتل مالك ، شامتا بأوليائه فليحضر ساحتنا فى أول النهار ليرى أن ماكان محرما من الندبة قد حل ، ويجد النساء مكشوفات الرءوس يذكرنه بما كان فيه من الفضائل على اتصال الأوقات وتعاقب الليل والنهار .

قال المرزوقى : " رأيت ابن العميد (١) يقول : انى لا تعجبنى من أبى تمام مسح تكلفه رم جوانب (٢) مااختاره من أبيات كيف (٣) ترك قوله : " فليأت نسوتنا " ؟ وهى لفظة شنيعة جدا " (٤) ، ونعم ماقال المرزوقى : " فليأت ساحتنا " (٥) ، وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه ؟ وحافظ على لفظ الشاعر ورأيه فى القراءات أن القراء يقرأون برأيهم .

قوله : (ولا تؤمنوا متصل بقوله : أن يؤتى) مرتبط به معنى عامل فيه لفظا ، اما بتقدير حرف الجر ان اعتبر فيه معنى الاعتراف ، أى لا تعترفوا بأن يؤتى ، أو لا تظهروا التصديق بذلك ، واما بدونه بمعنى لا تظهروا تصديق أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب والرسول وأن يحاجوكم ويغلبوكم بالحجة يوم القيامة الا لأتباعكم (٦) ، يعنى أن علمكم بذلك حاصل لكن لا تظهروه للمسلمين لئلا يزدادوا تصلبا فى الدين ، ولا للمشركين لئلا يرغبوا فيه ، وأوثر فى عطف " يحاجوكم " كلمة " أو " على " الواو " ليفيد العموم مثل : " ولا تطع منهم آثما أو كفورا " (٧) ، ولذا لم تجعل بمعنى " الى أن " .

= ٢٧ ، وأمالى المرتضى ١ / ١٥١ ، وشرح القصائد السبع ١٥٦ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣ / ٣٧ ، وللمرزوقى ٢ / ٩٩٥ ، والخزانة ٣ / ٣٠٩ ، ٥٣٨ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٥١ ، ٥٤ ، وأمثال العرب ٣٠ ، وأساس البلاغة مادة (وجه) ، وكذلك لسان العرب .

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد ، كان أديبا ، وكاتبا ، وشاعرا ولغويا ، وحكيما ، وسياسيا ولى الوزارة لركن الدين البويهى ، وتوفى سنة ٣٦٠ هـ . انظر انظر الأعلام ٦ / ٣٢٨ .

(٢) رم الشيء : أصلحه .

(٣) كلمة " كيف " ناقصة من خ .

(٤) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٢ / ٩٩٥ — ٩٩٦ . ووجه الشناعة أن الاتيان اذا نسب الى النساء كان كناية عن الجماع قال تعالى : " فأتوا حرثكم أنى شئتم " وانظر تحفة الاشراف ١ / ١٦٦ .

(٥) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٩٩٥ .

(٦) قوله " الا لأتباعكم " ناقص من الأصل .

(٧) من الآية ٢٤ من سورة الانسان .

قوله : (فما معنى الاعتراض؟) يعنى انه فى الغالب يكون للتأكيد وههنا ليس كذلك فما معناه ؟ ، فأجاب بأن معناه الرد عليهم فيما حاولوا من عدم زيادة ثبات المسلمين ، وعدم رغبة / المشركين ، وما يقال : ان الاعتراض من متكلم والمعترض فيه من متكلم آخر ، ليس بشيء ، لأنه فى أثناء كلام هو قوله تعالى : " وقالت طائفة "(١) الى آخر المقولات ، فليتدبر . ٢٢٤ب

(والزى) مصدر زواه : قبضه ، أى لا ينفع منعكم واخفاؤكم تصديقكم عن الفريقين ، وكذلك قوله : " قل ان الفضل " يعنى أنه أيضا اعتراض بالمعنى المذكور لكن فى آخر الكلام .

قوله : (أو يتم الكلام) عطف على قوله : (لا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد) يعنى اما أن يكون " أن يؤتى " معمولا لقوله : " لا تؤمنوا(٢) " ، فلا يتم الكلام عند قوله : " الا لمن تبع دينكم " ، واما أن لا يكون معمولا ، ويتم الكلام عند قوله : " الا لمن تبع دينكم " ، وحينئذ ففى موقع " أن يؤتى " ثلاثة أوجه :

الأول — أن يتعلق بفعل مضمر على حذف اللام ، أى لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم فعلتم مافعلتم .

الثانى — أن يكون خبر " ان الهدى " .

الثالث — أن ينتصب بفعل مضمر ، أى فلا تنكروا أن يؤتى .

هذا ضبط المقام ، فليرجع الى شرح الكلام .

قوله : (على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر) بقرينة سبق الذكر (الا لمن تبع دينكم) اى الا لأجل من كان على دينكم قبل ذلك ، بقرينة صيغة الماضى ، أى لا تفعلوا الايمان وجه النهار الا لأجلهم وعلى قصد رجوعهم عن الاسلام ، وانما حصروا الغرض فى ذلك لأنه كان عندهم أقرب حصولا وأطيب وصولا ، وعلى هذا قوله : " قل ان الهدى " لا يكون اعتراضا ، وهل يكون " أن يؤتى " مع عامله المحذوف داخلا فى حيز " قل " ؟ فصنع المصنف أنه يدخل ، كأنه قيل : قل ان الهدى هدى الله وقل لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم قلتم ماقلتم وكدتم ماكدتم ، والمعنى أكد عليهم

---

(١) فى خ زيادة " من أهل الكتاب " .　　(٢) فى الأصل " لا تؤمنون " .

أن الهدى مافضل الله تعالى (١) من ايتاء الكتاب غيركم ، وأنكر عليهم أن يمتعضوا من أن يؤتى أحد مثل ماأوتوا ويشق ذلك عليهم ويكيدوا بما كادوا .

قوله : (والدليل عليه) (٢) لدلالتها قطعا على انقطاع " أن يؤتى " عما قبله ، ثم انه مفرد لابد له من متعلق به يتم كلاما ، فجعله على حذف اللام وتقدير الفصل كما مر ، وقيل : منصوب بالفعل أى أتنكرون أن يؤتى أو أتشنعون (٠) ؟ ، وقيل : مرفوع مبتدأ محذوف الخبر ، أى أن يؤتى تقرون به أو تنكرونه .

قوله : (ولما يتصل به) يعنى أن " يحاجوكم " عطف على " أن يؤتى " [والمعنى لأن يؤتى (٣)] أحد مثل ماأوتيتم ولما يتصل به ويترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة دبرتم مادبرتم ، أى لم يكن داع الى هذا الفعل والكيد وباعث عليه سوى الحسد والغيظ/ ، ووجه العدول عن " الواو " الى " أو " الاشارة الى أن كلا من الأمرين ٢٢٥ أ
مستقل بكونه سبب الغيظ والحسد ، وحقيقة المعنى أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأن الايتاء والمحاجة المذكورين كائنان ألبتة ، وبه يظهر أن ليست اللام مثلها فى " ليكون لهم عدوا " (٤) .

قوله : (للتقرير) ، كلا معنييه مناسب أعنى التثبيت والحمل على الاقرار .

قوله : (حتى يحاجوكم) يشير الى أن " أو " على هذا المعنى بمعنى " الى أن " اذ ليس الهدى كله هو أحد الأمرين لان المحاجة نفسها (٥) لا تصلح لذلك الا مرتبطة بالايتاء ومرتبة عليه ، وفى قوله : (فيقرعوا ويدحضوا) اشارة الى أن معنى " عند الله " فى حكمه وقضائه ، لا مجرد يوم القيامة ، وذكر قراءة " ان " بالكسر (٦) عقيب هذا الوجه لتشاركهما فى كون " أو يحاجوكم " بمعنى: حتى يحاجوكم ، والا كان المناسب ذكرها عقيب تمام الأوجه .

ثم الظاهر من كلام المصنف أن اتصاله بكلام أهل الكتاب هو أن يكون مقول "قولوا " معطوفا على " لا تؤمنوا " فحذف " قولوا " مع حرف العطف ، وقيل : بل تقدير

---

(١) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ط .
(٢) البحر المحيط ٢/٤٩٦ . (٠) ب " أتذكرون أن يؤتى أو أتشيعون " .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٤) من الآية ٨ من سورة القصص .
(٥) خ : بعينها .
(٦) وهى قراءة الأعمش وشعيب بن أبى حمزة ، انظر البحر المحيط ٢/٤٩٧ .

" قولوا " بيان للمقصود وتوضيح له ،والا فهذه الجملة الاخبارية أعني " أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم " مقول : " قالت طائفة " عقيب " آمنوا بالذى أنزل " الى قوله : " الا لمن تبع دينكم " من غير تقدير قول ،وبالجملة فقوله : " قل ان الهدى " على هذه القراءة اعتراض .

قوله : (ويجوز أن ينتصب) معطوف على (يجوز أن يكون) ،وهو معطوف على قوله : (معناه لأن يؤتى) ،وقوله : (وأن قولهم) بيان لوجه دلالة " لا تؤمنوا " على هذا المضمر ،أعنى (فلا تنكرو" ،وتقديره أن يكون معنى " واكفروا آخره " استمروا على اليهودية ،ومعنى " لا تؤمنوا " لا تقروا الا لمن كان على دينكم فانه لا دين سواه يماثله فى الحقية ،ولن يؤتى أحد مثله ،وهذا انكار لأن يؤتى أحد مثل ماأوتوا أو يكون لأحد وسيلة محاجة وغلبة عليهم عند الله ،فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم (١) : قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم أو يحاجوكم ،ويجوز أن يراد حتى يحاجوكم ، وعلى هذا الوجه لا يكون معنى " لا تؤمنوا " ماسبق من لا تؤمنوا هذا الايمان الا لمن أسلم من أتباعكم .

قوله : (تأمنه) (٢) من أمنته على كذا ائتمنته ، (الأوقية) أربعون درهما ،قال الجوهرى : " كذا كان فيما مضى ،أما اليوم فالذى يتعارفه الناس ويقدر عليه الأطباء أنها وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم ،وهى استار وثلثا استار " (٣) .

قوله : (بكسر الهاء والوصل) أى وصلها بياء اشباعية ،وبغير وصل أى مجرد الكسر ،وسكون الهاء على اجراء الوصل مجرى الوقف (٤). " تيمنه " بكسر التاء لغة من ٢٢٥ب يكسر حرف المضارعة ،و (دام يدام) كخاف يخاف لغة فى دام يدوم ،ولا نجدها فى كتب اللغة (٥) .

---

(١) خ ،م : عليه السلام .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ... " ٧٥ - ٧٦ آل عمران ،الكشاف ١ / ٢٨٧ .
(٣) الصحاح مادة (وقى) بتصرف.
(٤) والأولى أى قراءة الكسر مع الاشباع هى قراءة الجمهور ،والثانية قراءة قالون ، والثالثة قراءة أبي عمرو وأبى بكر وحمزة والأعمش ،انظر البحر المحيط ٢ / ٤٩٩ .
(٥) المرجع السابق ٢ / ٥٠٠ .

قوله : (وما فعلنا) عطف على (شأن) أي وفيما فعلنا بالأميين ، و" واو" (تفاوضهم) لرجال من قريش ، و "هم " لليهود ، و (تحت قدمي [1]) أي منسوخ متروك .

قوله : (فتقولون ماذا ؟) [2] الصواب ماذا تقولون ؟ بتقديم الاستفهام الا أن مثله شائع في الكلام فيحمل على حذف متعلق الاستفهام متأخرا .

قوله : (بحيرا) يروى مقصورا مكبرا بفتح الباء ، وممدودا مصغرا .

قوله : (ممتارين) [2] م طالبين الميرة ، أميركم أعطيكم الميرة من ماره يميره .

قوله : (شاعداك [3]) أي عليك (شاعداك أو) عليه (يمينه) ، (من حلف على يمين) سمى المحلوف عليه يمينا لأنها تكون بمعنى الحلف ، والمصدر يجيء بمعنى المفعول ولو بواسطة .

قوله : (مالم يعطه) [4] فاعل أعطى ، يعني حلف أنه [5] أعطى في ثمنها القدر الذي لم يعطه في الواقع .

قوله : (ولا ينظر اليهم مجاز) يريد أن ترك النظر عند قرينة مانعة عن ارادة معناه الحقيقي يكون مجازا عن الاستهانة والسخط ، كما أن النظر يكون مجازا عن الاكرام والاحسان ، لكون النظر من لوازم الاحسان وتركه من لوازم الاهانة .

ثم فرق بين استعمال النظر نفيا أو اثباتا في حق من يجوز عليه النظر أي تقليب الحدقة كالانسان ، وبين من لا يجوز كالباري تعالى [6] وان كان بصيرا بمعنى أن له صفة البصر ، بأنه اذا استعمل فيمن يجوز عليه النظر وأريد الاكرام والاحسان ، فهو كناية حيث جاز ارادة المعنى الحقيقي ، بل ربما أريد لكن لا ليكون مناط الاثبات والنفي

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦ / ٥٢٢ .   (٢) تفسير الطبرى ٦ / ٥٢٤ .

(٢) م في تفسير قوله تعالى "ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ... " ٧٧ ـ ٧٨ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٨٨ .

(٣) والحديث في صحيح البخاري ١٧ / ٥١ ، وصحيح مسلم ٢ / ١٥٨ ، وصحيح الترمذي ١١ / ١٢٢ ، وسنن ابن ماجة ٢ / ٧٧٨ ، وتفسير الطبري ٦ / ٥٣٢ .

(٤) انظر أسباب النزول للسيوطي ١ / ٣٩ .

(٥) خ : حلف على أنه .   (٦) لفظ " تعالى " زائد في ط .

والصدق والكذب ، والأمر والنهى ،ونحو ذلك ،بل لينتقل منه الى معنى آخر •

واذا استعمل فيمن لا يجوزعليه النظر فهو مجاز لاغير،لأن ارادة المعنى الحقيقى أو جواز ارادته لاغير شرط للكناية ،وههنا العلم بامتناع النظر عليه قرينة مانعة عن ارادته •

وفى كلامه اشارة الى أنه عند الكناية قد يتحقق المعنى الحقيقى ويراد لا قصدا اليه ،وقد لا يتحقق أصلا وان جاز •

وما ذكر ههنا مشكل بما ذكر فى قوله تعالى : " بل يداه مبسوطتان [1] " و " السموات مطويات بيمينه " [2] ،و " الرحمن على العرش استوى " [3] ،ونحو ذلك أنها كلها كنايات مع امتناع المعنى الحقيقى قطعا •

٢٢٦ أ فان أجيب بأن ارادة المعنى الحقيقى لا تستلزم / تحققه ،وهو ظاهر،ولا يلزم منه الكذب،لأن ارادته لا تكون على وجه القصد اليه اثباتا ونفيا ،وصدقا وكذبا ،بل لينتقل منه الى المقصود ،قلنا : فكذلك النظر فى حق من لا يجوز عليه النظر يراد ولا يتحقق ويكون كناية •

وأما مايقال : من أنه اذا أريد المعنى الحقيقى لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز [4] وهو ممتنع ،فمدفوع بأن ذلك انما هو حيث يكون كل منهما مناط الحكم ومرجع الصدق والكذب،وأما اذا أريد الأول لينتقل الى الثانى فلا •

ولقد صرح صاحب المفتاح " بأن فى الكناية يراد بالكلمة معناها ومعنى معناها جميعا ،وفى الحقيقة معناها فقط ،وفى المجاز معنى معناها " [5] ،يعنى بالحقيقة الصريحة ،والا فقد صرح هو بأن الكناية حقيقة حيث قال : " الحقيقة والكناية تشتركان فى كونهما حقيقتين ،وتفترقان فى الصريح وعدمه " [6]

وبهذا يظهر أن الكناية ليست واسطة بين الحقيقة والمجاز بل قسما من الحقيقة ،

---

(١) من الآية ٦٤ من سورة المائدة ،الكشاف ١ / ٥٠٩ •

(٢) من الآية ٦٧ من سورة الزمر ،الكشاف ٤ / ١١٠ •

(٣) الآية ٥ من سورة طه " الكشاف ٣ / ٤٠ •

(٤) فى خ زيادة : " بمعنى ارادة المعنى الحقيقى والمجازى " •

(٥) وعبارة السكاكى فى هذا المقام هى " ان الكلمة اذا استعملت فاما أن يراد معناها وحده ،أو غير معناها وحده ،أو معناها وغير معناها معا ،فالأول هو الحقيقة ، والثانى هو المجاز والثالث هو الكناية " انظر مفتاح العلوم ٢٢٠ •

(٦) المرجع نفسه •

وحيث تجعل واسطة يراد بالحقيقة الصريح منها • وأما عند الأصوليين فكل من الحقيقة والمجاز إن استتر المراد به فكناية ، وإلا فصريح ، فليست الكناية واسطة ولا داخلة في المجاز بناء على الاستعمال في غير الموضوع له على ماتوهم •

قوله : (يفتلونها) أي الألسنة ، يقال : فتله عن وجهه فانفتل أي صرفه فانصرف[1] يعني أنه على حذف المضاف من الكتاب وهو[2] القراءة ، والباء للاستعانة أو الظرفية ، والضمير في " لتحسبوه " لما حصل باللي[3] وهو الحرف أو المضاف المحذوف هو الشبه ، والضمير له ، ولواه بمعنى عطفه ، والباء صلة كما في قولك لوى لسانه بالشعر[4] اذا قاله مع تعمد ، وقيل : للآلة •

وانما اعتبر في وجه قراءة ابن كثير[5] قلب الواو همزة ثم نقل حركتها لتكون على القاعدة ، بخلاف نقل حركة الواو ثم حذفها على ماعرف في التصريف •

قوله : (أو أن نأمر بغير عبادة الله) ، قال المصنف " نأمر بعبادة غير الله " أحسن طباقا لما سبقه ، لأن الكلام لم يقع في نفيهم عن أنفسهم الأمر بغير عبادة الله ، بل بعبادة غير الله تعالى وهو النبي صلى الله عليه وسلم[6] ، ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام : " أن نعبد غير الله"[7] ؟ ولم يقل : أن نفعل غير عبادة الله ، والاعتراض كأنه قدح في الرواية ، وجوابه أن المعنى بعبادة غير عبادة الله ، فموصوف " غير " هو " عبادة " لا أمر أعم ، وقد يجاب بأن الأمر بغير عبادة الله أعم من الأمر بعبادة غير الله تعالى ، ونفي الأعم أبلغ من نفي الأخص ، وفيه نظر ، لأن الكلام في صحة نفي الأعم ، ورواية معالم التنزيل لامام محيي السنة[8] : " فقال معاذ الله أن آمر بعبادة / غير الله "[9] . ٢٢٦ب

(١) قوله : " فانصرف " ناقص من الأصل • (٢) خ : وهي •
(٣) م ، خ : بالكتب • (٤) خ : بالسوء •
(٥) البحر المحيط ٢ / ٥٠٣ • (٦) ب ، خ : عليه السلام •
(٧) انظر تفسير الطبري ٦ / ٥٣٩ •
(٨) هو الحسين بن مسعود الفقيه المحدث المفسر ، له معالم التنزيل وغيره ، توفي سنة ٥١٠ هـ وفيات الأعيان ١ / ٤٠٢ • وطبقات الشافعية ٧٤ •
(٩) معالم التنزيل ٢ / ١٧٥ •

قوله : (ولكن يقول) ينبغى أن يكون بالنصب لأنه تذكير واعادة " ليقول " المذكور فى قوله تعالى : " ثم يقول للناس " ، واشارة الى أن المعنى : لكن (١) كان للبشر الذى آتاه الكتاب أن يقول للناس : كونوا منسوبين الى الرب متمسكين بطاعته وعبادته بسبب علمكم أو تعليمكم ودراستكم ، فالباء متعلق بكونوا ، فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم ، وهذا انما يدل على أن الربانية والتمسك بطاعة الله اذا لم تكن مسببة عن العلم لا تكون معتدا بها واقعة على وفق المأمور به ، لا على العكس كما زعم المصنف ، وان كان (٢) الأمر كذلك فى نفس الأمر وما ذكر من أنه لم تثبت النسبة الى الرب الا للمتمسك بطاعته ، فعلى تقدير التسليم لا يدل على نفيها عن الغير ممن علم ودرس ووقع منه تقصير فى العمل ، وأما رواية " ولكن يقول الرسول " بالرفع فليس له ما يحسن استدراكه منه .

قوله : (أحدهما ـ أن تجعل " لا " مزيدة لتأكيد معنى النفى) سيما مع طول العهد وتخلل الفصل ، والمعنى ما صح وما استقام لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يترتب عليه أن يقول للناس : كونوا عبادا لى [ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ، وليس المعنى : ماكان لبشر ايتاء الكتاب اياه ولا قوله : كونوا عبادا لى] (٣) ولا أمره بالاتخاذ ، فليتأمل .

وثانيهما ـ أن تكون " لا " نافية معطوفا هذا النفى على " ثم يقول " قصدا الى ترتب هذا المجموع على الايتاء ، بمعنى ماكان لبشر أن يؤتى النبوة ثم يترتب على ذلك أمره بعبادة نفسه ونهيه عن عبادة الملائكة والنبيين مع استواء الكل فى عدم استحقاق العبادة ، وعدم الأمر وان كان أعم من النهى لكن فسره به لكونه أمس (٤) بالمقصود وأدخل فى الاستبعاد وأوفق بالواقع ، (وقراءة الرفع) (٥) لخلوها عن التكليف (أظهر) فى المقصود ، والخطاب على كل حال التفات .

قوله : (وتنصرها قراءة عبد الله) لأن أن الناصبة لا تدخل على " لن " ، فلا يصح " أن لن يأمره " كما يصح " ان لا يأمره " وأما قوله : " أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه (٦) " ؟ ، فأن مخففة لا ناصبة .

---

(١) كلمة " لكن " ناقصة من الأصل . (٢) خ : فاذا كان .

(٣) مابين المعقوفين ناقص من خ . (٤) م : أحق .

(٥) البحر المحيط ٢ / ٥٠٦ .

(٦) الآية ٣ من سورة القيامه ، ولفظ " الانسان " غير موجود فى الأصل وفى خ .

قوله : (لام التوطئة) (١) كأنها وطأت طريق جواب القسم ،أى سهلت تفهم الجواب ،وقيل : هى التى تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا أو تقديرا لتؤذن أن الجواب له لا للشرط ،لكن تجويزه كون "ما" موصولة يدل على أن الموطئة لا يجب أن تدخل الشرط ،ولقد صرح بذلك حيث قال فى قوله تعالى فى سورة هود : "وإن كلا لما ليوفينهم (٢) " : "اللام موطئة وما مزيدة (٣) ".

/ قوله : (بمعنى للذى أتيتكموه) قدر الضمير لامتناع خلو الصلة عن العائد ، ٢٢٧ أ وأما على تقدير الشرطية فهى مفعول "أتيتكم" ،والموصولة مبتدأ ،و "لتؤمنن به" ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدأ ،وعلى التحقيق الخبر محذوف أى تؤمنون به .

قوله : (ومعناه لأجل ايتائى) (٤) ظاهر كلامه أن اللام متعلق بقوله : "لتؤمنن" ، وليس كذلك ،بل هو بيان للمعنى ،وأما بحسب اللفظ فمتعلق بأقسم المحذوف ،صرح بهذا فى قوله تعالى : "فيما أغويتنى لأقعدن " (٥) .

قوله : (قلت بلى) تصديق لما بعد النفى ،أى بلى (يجوز) ،لأن قوله : (كيف يجوز ؟) فى معنى لا يجوز ،يعنى أن "ما معكم" مظهر وضع موضع المضمر فهو العائد ، واعتبر هذا فى قراءة "لما" بالتشديد (٦) للربط المعنوى (٧) لا للاحتياج الى الضمير ، وفى قوله : (وجب عليكم الايمان) اشعار بأن جواب "لما" محذوف بقرينة جواب القسم ،وذكر أن الأوجه فى "لما" ههنا بالتشديد أن يكون أصله "لمن ما" فحذفت الميم الأولى .

بقى الكلام فى "اللام" فقيل : موطئة على ما هو اختيار البعض ،وفى "من" فقيل : زائدة ،وكلام المصنف أنها للسببية ،وفى متعلقها والكلام فيه كما فى اللام على قراءة حمزة .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ..." ٨١ ـ ٨٣ آل عمران ،الكشاف ١/ ٢٩٠ .

(٢) من الآية ١١١ .   (٣) انظر الكشاف ٢/ ٢٢٨ .

(٤) انظر البحر المحيط ٢/ ٥٠٩ .

(٥) من الآية ١٦ من سورة الأعراف وقد ذكر فى تفسيرها أن الباء تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره : فبما أغويتنى أقسم بالله لأقعدن أى فبسبب اغوائك أقسم . انظر الكشاف ٢/ ٧٢ .

(٦) وهى قراءة سعيد بن جبير والحسن انظر البحر المحيط ٢/ ٥٠٩ .

(٧) فى م : بالربط المعنوى ،وفى الأصل : بل للربط المعنوى .

و(الاصار) حبل قصير يعقد به أسفل الخباء الى الوتد [(١)] ،جمل (عُسُبُر)
أسفار ،وجمال عبر أسفار ،وناقة عبر أسفار ،يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث مثل الفلك
،أى لا يزال يسافر عليها ،وكذلك عبر أسفار بالكسر .

قوله : (وأنا على ذلكم) الصواب " وأنا معكم " ،و" وأنا على ذلكم " انما هو فى
سورة اقترب[(٢)] ،وقد يقال : انه بيان للمعنى بذكر المشهود عليه .

قوله : (كتنى الجبل) زعزعته ونقضه (والاشفاء على الموت) الاشراف عليه ،كأنـــه
بلغ شفا الحياه واطلع على مبادى الموت.

قوله : (مخلصون أنفسنا له) [(٣)] الى آخره تفسير للاسلام المعدى باللام مـــع
التقديم ،وضمير (عباداتها) للأنفس .

قوله (للشياخ) أى عدم التقييد لقصد المعمم على مامر مرارا .
قوله : (كيف يلطف ؟) [(٤)] فسر الهداية بذلك لأنها بمعنى نصب الأدلة تعـــم
الكل ، (طعمة بن أبيرق) بكسر الطاء وضمها .

قوله : (علام عطف؟) يشعر بأنه ليس عطفا على " كفروا " ،لأن الظاهر تقييـــد
[المــــعطوف بما قيد به] [(٥)] المعطوف عليه ،وشهادتهم هذه لم تكن بعد ايمانهم
بل معه أو قبله ،وقيل : لأنهم ليسوا جامعين بين الكفر والشهادة ،ورد بالمنـــع ،
بل هم جامعون لكن لا يقابل بتقديم الشهادة ،ألا ترى أنه صح جعله حالا مع أنه
أجدر بمقارنة العامل ؟ ،فأجاب بأنه عطف على ماتضمنه / المصدر من معنى الفعــــل ٢٢٧ب
كأنه قيل : بعد [(٦)] ... أن آمنوا وشهدوا ،كما عطف " وأكن " وهو مجزوم علـــى
" فأصدق " [(٧)] وهو منصوب بتقدير " أن " ،لأنه قد يكون مجزوما ،وذلك عند عـــدم
الفاء ، كأنه قيل : " لولا أخرتنى الى أجل أصدق وأكن " ،وكما عطف(ولا ناعب) وهو

---

(١) خ ،م: ذى الوتد .   (٢) من الآية رقم ٥٦ .
(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ونحن له مسلمون ... " ٨٤ـ٨٥ آل عمران ،الكشاف ١ / ٢٩١ .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم ... " ٨٦ـ٨٩ آل عمران ،وانظر الكشاف ١ / ٢٩٢ ،وتفسير الطبرى ٦ / ٥٧٢ ـ ٥٧٤ ،وتفسير ابن كثير ٢ / ١ / ١٨ ،ومعالم التنزيل للبغوى ٢ / ١ / ١٨ .
(٥) مابين المعقوفين ناقص من خ .   (٦) ط : من بعد .
(٧) وذلك فى الآية ١٠ من سورة المنافقون .

مجرور على (مصلحين) وهو منصوب، لأنه قد يكون مجرورا بزيادة الباء في خبر ليس ، كأنه قيل : " ليسوا بمصلحين ولا ناعب " ، والبيت لأبي الأحوص الرياحي وقبله :

وليس بيربوع الى العقل حاجة * ولا دنس تسود منها ثيابهـــا

فكيف بنوكى مالك ان كفرتـــم * لهم عذ ، أم كيف بعد خطابهـــا

شائيم ٠٠ البيـــت(1)

قوله : (وأصلحوا ماأفسدوا) يعني أن مجرد الندم على مامضى من الارتـداد والعزم على تركه في الاستقبال غير كاف ، بل لابد من تدارك لما أخلوا به من الحقوق على أن " أصلح " متعد محذوف المفعول ، أو من دخول في الصلاح في الأمر الظاهر والباطن على أنه لازم من قبيل : أصبحوا : دخلوا في الصباح ٠

قوله : (داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم(2)) اشارة الى أن ليس المـــراد أنهم يتوبون ولا تقبل توبتهم ، بل هم من قبيل من لا يحصل له قبول التوبة بناء على

---

(1) لأبي الأحوص الرياحي كما ذكر السعد ، وقيل : للفرزدق ، وروي " سوى دنس تسود منه " بدل " ولا دنس تسود منها " ، و " ولا ناعق الا بشؤم " مكان " ولا ناعب الا ببين " ، وتمام البيت :

ولا ناعب الا ببين غرابهـــا

والناعب : الصائح ، والبين : الانفصال والبعد ، وصوت الغراب كثيرا ماتتشاءم منه العرب، وهو كناية عن تشتت الشمل وتفرق الجمع ، انظر شرح ديوان الفـرزدق ١ / ١٢٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٢٩٢ ، وتنزيل الآيات ٣٢٩ ، والكامل للمـبرد ١ / ٢٣٠ ، واصلاح المنطق ١٥١ ، وتهذيب اصلاح المنطق ١ / ٢٣٦ ، والخزانة ٢ / ١٤٠ ، والخصائص ٢ / ٣٥٤ ، واللباب من علوم الكتاب ١٠٩ ، والبيـــان والتبيين ٢ / ١٨٧ ، وكتاب سيبويه ١ / ٨٣ ، ١٥٤ ، ٤١٨ ، وارتشاف الضـــرب ١١٦٩ ، والانصاف ١١٠ ، ٢١٧ ، ٢٩٧ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٠٢ ، والصحاح مادة (شأم) ، وكذلك لسان العرب ٠

(2) في تفسير قوله تعالى : " ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ٠٠ " ٩٠ - ٩١ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣ / ٢٩ ٠

عدم التوفيق للتوبة ،وفي هذا تحقيق كونه من قبيل الكناية دون المجاز حيث أريد بالكلام معناه لينتقل منه الى الملزوم .

قوله : (ولا دليل فيه على التسبيب) فان قيل : أليس ترتب الحكم على الوصف دليلا على السببية ؟ قلنا المراد الدلالة بلفظ موضوع لذلك كالفاء ،ولا كذلك الموصول فانه كثيرا مايكون لأغراض أخر كتحقيق الخبر في هذا المقام .

قوله : (ردا على ملء) أي بدلا أو عطف بيان ،ولابد من تقدير وصف ليحسن البدل ،ولا دلالة عليه ،ولم يعهد بيان المعرفة بالنكرة ،وجعله خبر مبتدأ محذوف انما يحسن اذا جعلت الجملة صفة أو حالا ،ولا يخلو عن ضعف .

قوله : (كيف موقع قوله ولو افتدى[1] ؟) يعني أن مثل هذه الواو انما يؤتى بها حيث يراد تحقق الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه ،حتى ذهب بعضهم الى أنها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور ،أي لو لم يفتد به ولو افتدى به ،وههنا المقصود عدم قبول الفدية سواء كانت ملء الأرض أو لم تكن ،فمقتضى الظاهر أن يقال لا تقبل فدية ولو كانت ملء الأرض ،أو لا يقبل ملء الأرض لو افتدى به ،بدون الواو ، فأجاب بوجوه :

الأول ــ أن عدم قبول ملء الأرض كناية عن عدم قبول فدية ما ،لأنه كان / غاية ٢٢٨أ
الفدية ،وضمير " به " لحقيقة ملء الأرض ،فيصير المعنى[2] : لا تقبل منه فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا .

الثاني ــ أن المعنى : ولو افتدى بمثله أيضا ،فيصير المعنى : لا يقبل ملء الأرض فدية ولو زيد عليه مثله .

الثالث ــ أن لا يحمل " ملء الارض " أولا على الافتداء بل على التصدق ،ولا يكون الشرط المذكور من قبيل مايقصد به تأكيد الحكم السابق ،بل يكون شرطا محذوف الجواب ،ويكون المعنى : لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا تصدق به ،ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه ،ففي ضمير " به " يعتبر نفس ذلك المال من غير اعتبار وصف التصدق .

قوله : (و

لا نيشم الليلة للمطـــــــى) * ولا فتى مثل ابن خيبرى[3]

---

(١) في ب ،خ زيادة "به". (٢) قوله " فيصير المعنى " ناقص من خ .
(٣) نيشم جمال يحسن مراعاة الجمال ،ويروى " في المطى " بدل " للمطى " ،و =

هى " لا " النافية للجنس ، ولا يلى بعدها أو ينصب إلا النكرة ، فعند دخولها فـى العلم يقدر مضاف محذوف هو " مثل " فانه لا يتعرف بالاضافة ، فيكون التقدير : لا مثل هيثم فى حسن رعيه الابل أو حسن الحداء بها ، ولا مثل أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه (١) فى العلم وفصل الخصومات والقضاء فى الوقائع على ماقال صلى الله عليه وسلم (٢) : " أقضاكم على " (٣) .

وقد تجعل مثل هذه الأعلام لاشتهارها (٤) بالوصف بمنزلة اسم الجنس ، فـلا يحتاج الى تقدير المثل ، كأنه قيل : لا راعى أو لا حادى ، ولا عالم أو لا قاضى ، ويرجح هذا الوجه بالتزام خلو هذه الاعلام عن أداة التعريف استعمالا حتى لا يقال لا أبا الحسن ، وبوقوعه حيث لا يصح تقدير المثل كقوله :

تبكى على زيد ولا زيد مثلـه * برىء من الحمى سليم الجوانح (٥)

فكانا فى حكم شىء واحد ، فكأن زيادة المثل كلا زيادة ، وحذفه كلا حذف .

قوله : (مل لرئن) بضم اللام الأولى وفتح الثانية من غير همزة (٦) لنقل حركة كل الى ماقبلها ثم حذفها .

قوله : (لن تبلغوا حقيقة البر) (٧) ، يريد أن اللام للجنس والحقيقة ، ومعنى نيله : الوصول اليه والاتصاف به ، أو للعوض عن تعريف الاضافة فتقع على نوع من الجنس ، ومعنى نيله : اصابته ووجدانه . (بيرحا) بفتح الباء : اسم ضيعة ، قال المصنف : وشيوخ مكة يروونها " بيرحا " بكسر الباء ، فان صح فهو اضافة الى " حا " اسم قبيلة ، (وبخ بخ) كلمة مدح ، وهى مبنية على السكون وقد تكسر وتنون ، (مال رائح) (٨) أى يروح نفعه

= " ولا فتى الا " مكان " ولا فتى مثل " ، انظر تنزيل الآيات ٥٦٣ ، والخزانـة ٢ / ٩٨ ، ٩٩ ، وأسرار العربية ٢٥٠ ، والمسائل الحلبية ١٥٧ ، ٢٥١ ، وكتاب سيبويه ١ / ٣٥٤ ، وهمع الهوامع ١ / ١٤٥ ، والمستقصى فى أمثال العرب ٢ / ٨٩ ، وشرح الأشمونى ١ / ١٤٩ ، والشواهد للعينى ٢ / ١٦ .

(١) خ ، م : كرم الله وجهه . (٢) م : عليه السلام .

(٣) انظر سنن ابن ماجه ١ / ٥٥ ، والمستدرك للحاكم ٣ / ٣٠٥ .

(٤) فى الأصل : لاشتهار .

(٥) الجوانح : الأضلاع ، والبيت فى شرح ديوان الفرزدق ١ / ١٥١ هكذا :

تبكى على زيد ولم تلق مثلـه * بريئا من الحمى صحيح الجوانح

وانظر همع الهوامع ١ / ١٤٥ .

(٦) قرأ بها أبو جعفر وأبو السمال ورويت عن نافع ، انظر البحر المحيط ٢ / ٥٢٠ .

(٧) فى تفسير قوله تعالى : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .. " ٩٢ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٩٤ . (٨) تفسير الطبرى ٦ / ٥٩٢ .

بقربه[١] من البلد ، (أو رابح) ذو ربح ونفع كثير ، (أسامة بن زيد) هو ابن زيد بن حارثة ، (وجد في نفسه) شق ذلك عليه[٢] ، (جلولاء) موضع بقرب فارس.

قوله : (كل المطعومات)[٣] ، لما كانت كلمة " كل " عند الاضافة الى / المفرد ٢٢٨ ب المعرف لعموم الاجزاء مثل : أكلت كل الرمان ، وكان القصد ههنا الى عموم أفراد المطعوم ، حمل الطعام على المطعومات بدلالة اللام ، أو قدر مضاف هو جمع عام بالاضافة ، فوقعت كلمة " كل " لتأكيد العموم المستفاد من اللام أو الاضافة .

قوله : (والحل مصدر) فاطلاقه على المطعومات بمعنى الفاعل ، أو على حذف المضاف .

قوله : (كنت أطيبه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (لحله) أي عند ارادته الحل من الاحرام (وحرمه) أي ارادته الاحرام[٤] .

قوله : (أشارت عليه) دلت وحكمت ، (نعى عليهم) من نعى عليه هفوته : شهره بها ، (وجحود ماغاظهم) عطف على (براءة ساحتهم) ، (امتعضوا) غضبوا وشق عليهم .

قوله : (علم جرا) أي تعالوا على هينتكم كما يسهل عليكم ، وأصله من الجر في السوق وهو أن تترك الابل والغنم ترعى في سوقها ، وانتصابه على المصدر .

قوله : (من جرهم)[٥] حي من اليمن ، وهم أصهار اسماعيل عليه السلام[٦] ، (العمالقة) من ولد عمليق ابن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم أمم تفرقوا في البلاد ، (الضراح) : بيت في السماء حيال الكعبة ، وهو البيت المعمور ، سمي بذلك لأنه ضرح من الأرض أي أبعد[٧] ، (أمر راتب) أي دائم ثابت ، (أغبطته)

---

(١) خ ، ط : لقربه .   (٢) ب : عليه ذلك .

(٣) في تفسير قوله تعالى " كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه ... " ٩٣ ـ ٩٤ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٩٥ .

(٤) والحديث في صحيح البخاري ٨ / ٧١ ، وسنن أبي داود ١٠ / ٢٩٢ ، وسنن النسائي ٢ / ١٠ ، وسنن ابن ماجه ٢ / ٩٧٦ .

(٥) في تفسير قوله تعالى : " ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة ... " ٩٦ ـ ٩٧ آل عمران ، انظر الكشاف ١ / ٢٩٦ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ١٩٠ .

(٦) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل .

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢ / ١٩١ .

الحمى : كأنها ضربت عليه القبيط وهو الرحل لتركبه ،نحو ركبته الحمى .

قوله : (كأنها سميت) يشبه أن يكون من كلام المصنف تفسيرا لكلام قتادة ،ووجه الازدحام فى ذلك من وجه خاص غير الأول ،فلا تكرار [١] .

قوله : (اذا الشريب) أى المشارب الذى يورد ابله مع ابلك ،فعيل بمعنى مفاعل كنديم وأكيل ، " والأكة ،شدة الحر مثل الأجة ،الا أن الأكة : الحر المحتدم الذى لا ريح فيه ،والأجه : التوهج " يقول : اذا ضجر الذى يورد ابله مع ابلك لشدة الحر انتظارا ،فخله حتى يزحمك ،كذا فى الصحاح [٢] .

قوله : (وكثير سواهما) انحراف الطير عن موازاة البيت وأن تعلوه ،وكعدم تعرض ضوارى السباع لصيد الحرم ،وكانخذال من قصده من الجبارين ،وكظهور الخصب فى البلاد التى تكون فى ناحية الركن الذى ظهر فيه الغيث حتى اذا عم الغيث البيت [٣] عم الخصب البلاد .

قوله : (ونحوه فى طى الذكر) وان لم يكن لغرض الاشتهار وقصد الكثرة كما فى الآية ،بل لقصد السكوت عنا ليس بذم ،وهو الثلث الصميم [٤] .

قوله : (وقرة عينى فى الصلاة) [٥] كلام مبتدأ قصد به الاعراض عن ذكر الدنيا وما تحبب فيها ،وليس عطفا على (الطيب/ والنساء) كما قد يسبق الى الفهم لأنها ليست ٢٢٩ أ
من الدنيا .

---

(١) وكأن هذا رد لكلام الطيبى حيث قال : " قوله كأنها سميت ببكة " ينبغى أن يجعل من تتمة كلام قتادة لئلا يلزم التكرار " .
انظر فتوح الغيب ١ /١٧(٣ .

(٢) الصحاح مادة (أكك) ،وانظر البيت فى مشاهد الانصاف ١ / ٢٩٦ ،وتنزيل الآيات ٤٧١ ،والسيرة النبوية لابن هشام ١ / ١١٤ ،والأزمنة والامكنة ٢ / ٢٣ ، والصحاح مادتى (شرب) و (بكك) ،ولسان العرب مواد (شرب) و (أكك) و (بكك) .

(٣) لفظ " البيت " ناقص من خ .

(٤) وصميم الشيء : خالصه أى أن الشاعر لم يذكر الثلث الثالث وهم السادة الأشراف بدليل الحصر فى الأثلاث والترقى من العبيد الى المتقى ،والبيت فى ديوان جرير ص ٤٩٨ برواية " صارت حنيفة " بدل "كانت حنيفة " ،وانظر مشاهد الانصاف ١ /٢٩٧ .

(٥) انظر الحديث فى مسند الامام أحمد ٣ /١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ .

قوله : (فلم ينزل) (١) لأن سارة شرطت على ابراهيم عليه السلام (٢) أن لا ينزل غيرة على هاجر أم اسماعيل ٠

قوله : (وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام) الظاهر أن ذلك اشارة الى كونه حرما آمنا لا يتعرض لداخله لاطمئنان خواطر (٣) ساكنيه بالسكون فيها ، وزوال استيحاش في كونها أرضا قفراء ، لكن ورد في الحديث الصحيح : أنا الله خلقت مكة وحرمتها منذ خلقت السموات والأرض (٤) ٠

قوله : (وعنه : ذلك على قدر الطاقة) تقرير لمذهب مالك بعبارة أخرى عنه مع زيادة بيان ٠

قوله : (وقيل له في ذلك) أي في حصول الاستطاعة بمثل ايجار نفسه كيف يكون ذلك ؟ (حبى) الصبي على استه : زحف ، (كل مأتى) أي كل ما يؤتى به الى الشيء (فهو سبيل اليه) ٠

قوله : (يعني أنه حق واجب) بيان لما تفيده لام الملك ، وكلمة الاستعلاء ، وايثار الجملة الاسمية ، وتقديم الخبر ، والتصريح بذكر الناس ، ومعنى (ينفكون عن أدائه) لا ينفكون عن وجوب أدائه ووجوب (الخروج عن عهدته) الا بالأداء ٠

قوله : (وان لم يقل) عطف على (قوله) يعني أن في مجرد العدول عن المضمر الى المظهر تأكيدا للأمر ، سيما بلفظ " العالمين " المشعر بأنه غني عن العالمين فضلا عمن كفر ، وبأنه غني عمن يتناول من كفر أيضا ، فيدخل فيه دخولا أوليا ، وهذا معنى قوله : (وما فيه من الدلالة) الى آخره ، وبهذا يظهر أن عطفه على قوله : (وان لم يقل) ليس عطفا تفسيريا بل مغايرا ، وأما قوله : (ولأنه يدل) فالظاهر أنه عطف على قوله : (لأنه اذا استغنى) ، وليس بمستقيم من جهة المعنى ، فالوجه أن يعطف على مضمون الكلام السابق كأنه قيل (٥) : لما فيه من التأكيد والدلالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل بحيث لا يفتقر الى شيء مما سواه بوجه من الوجوه ، وذكر الاستغناء في هذا المقام كناية عن السخط ، فكماله كماله (فضمير (لأنه) و (وقع) لقوله " عن

---

(١) معالم التنزيل ١/١١/٣ ٠

(٢) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل ومن ط ، ب

(٣) لفظ " خواطر " ناقص من خ ٠

(٤) في صحيح البخاري ١٠٧/٨ ومسلم ١٢٣/٩ أحاديث مختلفة عن فضل مكة وتحريمها وليس فيها لفظ هذا الحديث ٠

(٥) خ : كأنه قال ٠

العالمين " ، وضمير (عنه) للموصول .

قوله : (وعن سعيد بن المسيب) اشارة الى تفسير الآية بوجه يكون الكفر على حقيقته .

قوله : (أهل الأديان كلهم) (١) بالنصب تأكيدا لأهل الأديان ، والأنسب " كلها " بالجر تأكيدا للأديان اذ الم يجمع الأهل كلهم وكان المراد التأكيد بحسب الاضافة الى الاديان .

قوله : (وكفرت به خمس ملل) : هم اليهود ، والنصارى ، والصابئون ، والمجوس ، والمشركون ، على مايدل عليه قوله تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا " الآية (٣) ، فالاشراك ان كان ملة هي عبادة الأوثان فظاهر ، والا فتغليب .

قوله (يمنع/ البرجانيه) أي يتعذر قطعه لخوف ونحوه ، (ونفقت) الدابة : سقطت وهلكت ، (مانوظروا) ما أمهلوا ، بل أعجلوا بالعقوبة . ٢٢٩ب

قوله : (تبغونها عوجا (٤) : تطلبون لها) أي لسبيل الله (اعوجاجا) ، في الأساس: " ابغني ضالتي أي اطلبها لي " (٥) ، وفي الصحاح : بغيتك الشيء : طلبته لك (٦) " ، ولم يشعر كلامهم بأن فيه حذفا وايصالا ، بخلاف وهب فانه لم يثبت في اللغة الا متعديا الى واحد مثل : وهبته لك ، فوهبتك مالا : على حذف اللام ، وأما وهبته منك ، فعبارة الفقهاء .

قوله : (فيه معنيان) حاصل الأول ـ تفعلون مايوهم العوج فيه ، والثاني ـ تتعبون أنفسكم بطلب المحال .

قوله : (ومحل تبغونها) بيان للاعراب بعد تمام تفسير الآية .

قوله : (يوم بعاث) (٧) بالعين المهملة وهو موضع بالمدينة ، والغين المعجمة تصحيف عن الأزهري (٨) ، وانما هو طائر دون الرخمة (٩) بطيء الطيران ، وقيل : مالا

---

(١) تفسير الطبري ٧ / ٤٩ . (٢) قوله " كلهم " ناقص من الأصل .

(٣) رقم ١٧ من سورة الحج .

(٤) من الآية ٩٩ من سورة آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠١ .

(٥) أساس البلاغة مادة (بغى) . (٦) الصحاح مادة (بغى) .

(٧) انظر تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين " ١٠٠ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠١ .

(٨) قال الأزهري : " وذكر ابن المظفر هذا في كتاب العين فجعله يوم بغاث فصحفه " . انظر تهذيب اللغة ٢ / ٣٣٤ .

(٩) والرخمة طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وجمعه رخم .

يصيد من صغار الطير كالعصافير ونحوها .

قوله : (فما كان يوم أقبح) (١) بالرفع صفة يوم ، وبالنصب خبر كان .

قوله : (غضة طرية) (٢) مستفاد من المضارع الدال على الحال ، أعني " تتلى " .

قوله : (ويجوز أن يكون) يعني أنه على حذف المضاف ، أي يعتصم بدين الله تعالى ، أو استعارة للالتجاء الى الله تعالى (٣) .

قوله : (فقد حصل له الهدى لا محالة) يستفاد من جعل الجزاء فعلا ماضيا مع حرف " قد " فانه لا ينقلب الى المستقبل مثل : ان تكرمني فقد أكرمتك .

قوله : (وروى) (٤) مانقل عن عبد الله (مرفوعا) الى النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

قوله : (والتقاة) أصلها وقية ، وأصل اتقى او تقى ، وكذا (التؤدة) و(اتأد) ومعناه تثبت ولبث .

قوله : (معناه ولا تكونن على حال) يعني أن النهي راجع الى القيد .

قوله : (قولهم : اعتصمت بحبله) يريد أولا تحقيق الاستعارة في هذا الكلام أينما وقع ، ثم تفسير الآية ، وهي اما استعارة تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز في المفردات ، واما محمولة على كون الحبل استعارة للعهد الذي يتمسك به ، والاعتصام استعارة للوثوق بالعهد ، أو ترشيحا لاستعارة الحبل .

فقوله : (أو ترشيحا) عطف على مقدر هو متعلق (لوثوقه) ، وضمير (استظهاره) و (وثوقه) و (عهده) للمتكلم ، وضمير (به) و(حمايته) للمضاف اليه في (حبله) . ومعنى الآية على التمثيل : (اجتمعوا على استعانتكم بالله) تعالى (٦) ، وعلى اعتبار المفردات : (اجتمعوا على التمسك بعهد الله) .

ثم جوز أن يكون الحبل استعارة لكتابه ، ومعنى / الاجتماع مأخوذ من مقابلة ٢٣٠ أ " ولا تفرقوا " ومعناه النهي عن التفرق أو عما يكون سببا فيه ومما يأباه بيان (مايكون)

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧ / ٥٥ .
(٢) في تفسير قوله تعالى: " وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ... " ١٠١ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠٢ .
(٣) وعلى حذف المضاف أيضا يكون الاعتصام استعارة للتمسك بدين الله .
(٤) في تفسير قوله تعالى: " ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ... " ١٠٢ـ١٠٣ آل عمران .
(٥) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٩٤ ، وتفسير الطبري ٧ / ٦٥ .
(٦) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل .

وضمير (هو) لجامعكم .

(لايخلق) أى لا يبلى من أخلق الثوب: بلى ، (عن كثرة الرد) [1] أى التكرار والترديد فى القراءة .

(وتدابر القوم) تقاطعوا وولى كل واحد صاحبه دبره وعاجره ، وتذكير الضمير فى (أنتم عليه) [2] مع عوده الى (التى) لكونه عبارة عن الاجتماع .

قوله : (بينهم الاحن) جملة اسمية أو ظرفية وقعت خبر (كانوا) .

قوله : (وقيل هم الأوس [3]) ، على الوجه الأول كان الحكم يعمهم وغيرهم .

قوله : (وهو منها) أى الشفا من الحفرة ، قيد بذلك ليصح تأنيث الضمير العائد اليه كما فى قوله : [4] سقطت بعض أنامله ، وقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

شرق بريقه : غص ، واستعماله فى صدر القناة استعارة عن جمود الدم عليه بحيث يكون بين الظهور ويصير سمة عليه ، وسيجئ شرح البيت فى آخر سورة الأعراف ، حيث أورد هناك بيتين قبله بهما يتعلق معناه [5] .

قوله : (من فروض الكفايات) يعنى أن فرض الكفاية انما يجب على البعض من غير تعيين ، كما ان الواجب المخير بعض مبهم من الأمور المعينة ، وبذا مذهب مردود .

---

(١) انظر صحيح الترمذى ١١ / ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) فى الكشاف ١ / ٣٠٢ " أنتم عليها " ولعل النسخ التى اعتمد عليها كانت كما أورد . (٣) فى خ زيادة " والخزرج " .

(٤) ب : كما فى قولهم .

(٥) فقد قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى " والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " : لاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة ، قال الأعشى :

فلو كنت فى جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم

ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم أنى عنكم غير مفحم

وقال السعد " قوله : الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفل الى علو فيكون استصعادا ، أو بالعكس فيكون استنزالا ، وقد استعمل فى البيت فى مطلق معناه ، أى لينقلنك هجائى من البئر استصعادا ومن السماء استنزالا ، حتى تهره أى تكره ذلك القول وتبغضه " . =

والمختار أنه يجب على الكل ، ويسقط بفعل البعض بدليل أنه لو ترك أثم الجميع ، ولا معنى للوجوب على الجميع سوى هذا ، ولو وجب على بعض مبهم لكان الاثم بعضا مبهما وهو غير معقول بخلاف الاثم بواحد (١) مبهم كما في الواجب المخير . والاستدلال على أنه لا يجب على الكل بعدم الوجوب على الجاهل : مردود بأنه اذا ترك بالكلية فذلك الجاهل أيضا اثم ، كمن وجب عليه الصلاة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل ، ولهذا ذهب البعض الى أن " من " للبيان ، بمعنى أنه واجب على كل الأمة ويسقط بفعل البعض لحصول المقصود .

قوله : (المآصر) : المحابس جمع مأصر ومأصر بالفتح والكسر من أصره حبسه ، (والأخصاء) جمع خصيص ، وفي قوله : (هم الأخصاء) مبالغة في التخصيص لدلالته على أن غيرهم ليس من الأخصاء ، والمقصود أنه ليس من المفلحين . (أوصلهم) أي للرحم .

قوله : (جميع المنكر تركه واجب) فيه نظر ، اذ المكروه منكر يندب تركه ولا يجب ، والا كان حراما .

قوله : (وأينا يفعل مايقول ؟) فان قيل : "لم تقولون مالا تفعلون "؟ (٢) ، قلنا : مخصوص (٣) بالاجماع على وجوب الأمر بالمعروف من غير تفرقة / بين أن يفعل وأن لا يفعل . ٢٣٠ب

قوله : (فلا يأمر أحد) منصوب على جواب التمني ، أعني (لو ظفر) ، وفيه نظر ، لخفاء وجه السببية " (٤) .

= هذا وروى " عندكم غير مفحم " بدل " عنكم غير مفحم " انظر الكشاف ١ / ٣٠٣ ، ٢ / ١٤٢ ، وحاشية السعد الورقة ٣٨٤ ب ، وديوان الأعشى ١٨٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٠٤ ، وتنزيل الآيات ١٨٥ ومعاني القرآن للفراء ١ / ١٨٧ ، ٢ / ٣٧ ، ٣ / ٢٨ والكامل للمبرد ١ / ٣٢٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤ / ٢٧٥ ، وللمرزوقي ١٨٨٣ ، والخزانة ٢ / ٣٣٠ ، والشواهد للعيني ٣ / ٣٧٨ ، وكتاب سيبويه ١ / ٢٥ ، والخصائص ٢ / ٤١٧ ، وهمع الهوامع ٢ / ٤٩ ، والمقتضب ٤ / ١٩٧ ، ١٩٩ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣١٠ ، والصحاح مادة (صدر) ، ولسان العرب مواد (صدر) و (شرق) و (ثقل) .

(١) خ : بواجب .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون " الآية ٢ من سورة الصف .

(٣) م : مخصص .

(٤) قوله " لخفاء وجه السببية " ناقص من الأصل ومن ط .

قوله (وهم المشبهة) [1] : القائلون بالتجسيم وما يفضي اليه ، (والمجبرة) القائلون بأن الله تعالى جبر العباد على الأفعال من غير تأثير منهم [2] ، (والحشوية) القائلون بأنه يجوز أن يخاطبنا الله بالمهمل ، (وأشباههم) كالمرجئة والخوارج والروافض ومن يجري مجراهم ، وما كان ينبغي للمصنف أن ينقل هذا النوع ، لأنه يعلم أن أول مبتدعي هذه الأمة وأشهرها وأكثرها من هم ؟ .

قوله : (والظاهر أنهم أهل الكتاب) لأن الآيات السابقة فيهم .

قوله : (درج دمشق [3]) الطريق المرتفع .

قوله : (وهي الثواب المخلد) لأن ما ينقطع محنة لا رحمة ، ولقرينة مقارنته بقوله تعالى : " هم فيها خالدون " ومقابلته بقوله تعالى [4] : " فذوقوا العذاب " .

قوله : (ونكر " ظلما " وقال " للعالمين [5] ") ، أما دلالة التنكير فلأنه للتقليل بقرينة المقام ، فيدل في سياق النفي على أنه لا يريد شيئا من الظلم ، وأما دلالة " العالمين " فمبنية على أن الحكم المتعلق بالجمع المعرف باللام متعلق بكل فرد من الآحاد ، لا بالمجموع ولا بكل جمع ، وانه في سياق النفي أيضا قد يكون لعموم النفي لا لنفي العموم بقرينة المقام ، وقد سهى بيان ذلك .

قوله : (فسبحان من يحلم) أما الرضا بالقبائح فلا نقول به ، وأما ارادة القبائح فسبحان من تنزه أن يقع شيء بخلاف ارادته ، ولعله لا يحكم على ذلك رئيس قرية . فان قيل : فالظلم واقع ولا يريده ، قلنا : المنفي ظلم يكون منه على ما يشعر به كلامه ، ودل عليه سوق الآية ، والظلم منه غير متصور [6] ، لأن الكل ملكه وله فيه التصرف كيف شاء .

قوله : (كان عبارة عن وجود الشيء) [7] يعني الوجود بصفة ، لأن الكلام في كان الناقصة ، وأما التامة فمعناها وجد بمعنى صار موجودا ، وهو معنى وقع وحدث .

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ... " ١٠٥ _ ١٠٧ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠٦ .

(٢) قوله " منهم " ناقص من خ .

(٣) انظر صحيح الترمذي ١١ / ١٢٧ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٦٢ ، والمستدرك للحاكم ٢ / ١٤٩ .

(٤) لفظ " تعالى " زائد في ط .

(٥) أي في قوله تعالى : " وما الله يريد ظلما للعالمين " ١٠٨ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠٧ .

(٦) ط ، م ، خ : والظلم غير متصور منه .

(٧) في تفسير قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس ... " ١١٠ _ ١١١ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠٧ .

ولا يصح أن يدعى فيه الدلالة على عدم سابق ، وأما الناقصة فلا دلالة فيها على ذلك ،ولا على الدوام ،وهذا معنى الابهام ،فلذلك تستعمل فيما هو حادث مثل : كان زيدا راكبا ،وفيما هو دائم مثل : " كان الله غفورا رحيما "[1] ،فقوله : " كنتم خير أمة " لا يدل على أنهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا وانقطع ذلك عنهم ،وليس معنى قوله : (وجدتم خير أمة) أنها تامة على ماتوهم ، لظهور أنها ناقصة ،وانما قصده بالأقوال الثلاثة تحقيق معنى المضى •

قوله : (فكأنه غير مؤمن بالله) لأن حقيقته التصديق به[2] فى ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه ،فيلزم الايمان بجميع ماجاء عنه وثبت أنه حكمه •

/ قوله : (والدليل عليه) وجه الدلالة أن كلمة " لو " لانتفاء الجزاء لانتفاء الشرط ،فيدل على نفى ايمانهم على الاطلاق ،ويدخل فيه نفى الايمان بالله تعالى[3] أو يراد ههنا لو آمنوا بالله ،بقرينة ذكره فى مقابلة " تؤمنون بالله " • (٢٣ أ)

قوله : (بأنهم لا يقدرون) متعلق بتثبيت ،والضمير للكفار ،وفى نسخة المعزى " توبيخهم " بالرفع عطفا على (تثبيت) ،والأحسن الجر عطفا على (التلهى) كما فى نسخة الصمصام •

قوله : (مع أنه) أى الله تعالى (وعدهم) أى المسلمين (الغلبة عليهم) أى على الكافرين المذكورين •

قوله : (ماموقع الجملتين ؟ أعنى : منهم المؤمنون) مع ماعطف عليه ، (ولن يضروكم) مع ماعطف عليه ؟ ،فأجاب بأنهما واردان على سبيل الاستطراد[4] ،ولهذا لم يعطفا على الجملة الشرطية قبلهما أعنى "ولو آمن " لأنهما معطوفة على" كنتم خير أمة " مرتبطة بها على معنى : لو آمن أهل الكتاب كما آمنوا ، وأمروا بالمعروف كما أمروا ،لكان خيرا لهم[5] ،وانما لم يعطف الاستطراد الثانى على الأول لتباعد مابينهما ،وكون كل منهما نوعا آخر من الكلام •

قوله : (كما يقول القائل) اذا كان فى حديث ينجر الى ذكر زيد كما يقول : ان

---

(١) من الآية ٩٦ من سورة النساء • (٢) قوله " به " ناقص من الأصل •
(٣) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن م •
(٤) خ " الاستعلاء " وهو خطأ • (٥) قوله " لهم " زائد فى خ •

عمرا من عظماء الأنام [وكرماء الأنام (١)] ، يؤثر أضياف الانسان بأنواع الاحسان ، ويؤدي أهل الايمان الى ظل الأمن والأمان ، ولو سار زيد بسيرته ، وجرى على طريقته ، لكان أحرى ، وعلى ذكر زيد فانه من غلاة اللئام [(٢) وعداة الكرام ، دوامه دوام اللؤم ، وزمانه زمان النحس والشؤم ، فقوله : " وعلى ذكر زيد " أي أبنى عليه وأتعرض له : تصريح بأنه على سبيل الاستطراد . وهذا التركيب شائع في عبارة البلغاء ، ولخفائه على من لا دراية له بأساليب الكلام يحرفه تارة الى " وعلى ذكره " بتشديد الياء ورفع " ذكره " ، ويأوله أخرى تأويلات هي من التحريف أردى وأخزى .

قوله : (وهو استثناء من أعم عام الأحوال (٣)) ، هذه الاضافة كما في قولهم : حب زمان زيد ، حيث لا زمان له ، فان القصد الى اضافة الحب المختص بكونه للزمان الى زيد ، وكذا القصد الى اضافة أعم العام ، أعني الذي لا أعم منه في الجنس الذي منه الاستثناء من الفاعلية والمفعولية والحالية والغرضية ، لا اضافة العام . ومثله : ابن قيس الرقيات ، فان الملتبس بالرقيات ابن قيس لا قيس ، ففي مثل هذا لابد من ذكر المضاف والمضاف اليه ثم الاضافة ، وتحقيقه أن مطلق الحب مضاف الى الزمان ، والحب المقيد بالاضافة الى الزمان مضاف الى زيد .

ثم لما كان الاستثناء المفرغ انما يكون من غير الموجب / الا عند استقامة المعنى [بين استقامة المعنى] (٤) بقوله : (ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال) أي جميعها (الا في حال اعتصامهم) ، ولما كان استقامة المعنى عند التحقيق راجعة الى تقدير النفي حتى ان معنى قرأت الا يوم كذا (٥) : ما تركت القراءة الا يوم كذا ، أشار اليه بقوله : (أي لا عزلهم قط الا هذه الواحدة) . (٢٣ ب

قوله : (باءوا بغضب من الله استوجبوه) اقتصر على هذا لما سبق من تحقيقه في سورة البقرة (٦) ، وأنه من قولك : باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به ، أي

---

(١) قوله : وكرماء الأنام " ناقص من م .   (٢) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٣) في تفسير قوله تعالى : (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا ... " ١١٢ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٠٨ .   (٤) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٥) خ : الا يوم الجمعة .
(٦) عند الحديث عن قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى .. " الآية ١٧٨ ، انظر الكشاف ١ / ١٦٦ ، والورقة ١٥٣ أ ، ب من هذه الحاشية .

صاروا أحقاء بغضبه وهو ارادة الانتقام منهم ،وكذا قوله : " وضربت عليهم المسكنة " على تشبيه المسكنة بالقبة استعارة بالكناية ،ثم اثبات الضرب عليهم تخييلا ، أو تشبيه احاطتها بهم واشتمالها عليهم بضرب القبة على ذى القبة استعارة تبعية .

وأما اعتبار كونه كناية كما فى :

قبة ضربت على ابن الحشرج (١)

فوهم فاسد . ثم ماذكر ههنا فى قوله تعالى (٢) " ذلك بما عصوا " هو أحد الوجوه الثلاثة المذكورة ثمة .

قوله : (الكفر وحده ليس بسبب) لا يريد أنه منفردا ليس بسبب ،بل مجتمعا ،وانما المراد أنه ليس منفردا بالسببية ،بل العصيان أيضا سبب .

قوله : (لأنه أبين وأدل) (٣) لما فيه من التفصيل لما هو العمدة فى الصلاة ، والتعبير الصريح عما هو فى نفسه من محاسن الطاعات ،وعما به تتميز صلاتهم عن صلاة أهل الكتاب .

قوله : (غيركم) بالنصب خبر (ليس) (فمن أهل الأديان) يكون حالا من (أحد) .

قوله : (ويجوز أن يريد) أى تكون اللام للعهد ،وعلى الأول للجنس ،ودل على الرضا واستحقاق الثناء (٤) الاتصاف بالأوصاف السابقة .

قوله : (نقيض ذلك) اشارة الى الشكر بمعنى توفية الثواب (٥) ،قال المصنف : " فلن يكفروه " تعريض بكفرانهم نعمته وأنه لا يفعل مثل فعلهم ،وجيء على لفظ المبنى للمفعول لأمرين : لتنزيهه عن اسناد الكفران اليه كقوله تعالى : " وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا (٦) ،وليأتى به على لفظ الكبرياء

---

(١) من قول زياد الأعجم فى مدح عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور :
ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج
انظر دلائل الاعجاز ٢٠٩ ،والمطول ٤١١ ،والايضاح ١٨٦ والمصباح ٥٨٥ ، وشروح التلخيص ٢٥٩/٤ ،وحسن التوسل ٢٧ ،والطراز ١٧٨/١ ، ٤٢٢ ، ومعاهد التنصيص ١٩٥/١ ،ومشاهد الانصاف ١٠٦/٤ ،والأغانى ١٤٨/١٠ ، ١٠١/١٤ .

(٢) لفظ "تعالى" زائد فى ب .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ... " ١١٣ — ١١٦ آل عمران ،الكشاف ٣٠٩/١ .

(٤) ب ،ع : الثواب .

(٥) أى فى قوله تعالى : " والله شكور حليم " من الآية ١٧ من سورة التغابن .

(٦) الآية ١٠ من سورة الجن .

صاروا أحقاء بغضبه وهو ارادة الانتقام منهم ، وكذا قوله : " وضربت عليهم المسكنة " على تشبيه المسكنة بالقبة استعارة بالكناية ، ثم اثبات الضرب عليهم تخييلا ، أو تشبيه احاطتها بهم واشتمالها عليهم بضرب القبة على ذى القبة استعارة تبعية .

وأما اعتبار كونه كناية كما فى :

قبة ضربت على ابن الحشرج (١)

فوهم فاسد ، ثم ما ذكر ههنا فى قوله تعالى (٢) " ذلك بما عصوا " هو أحد الوجوه الثلاثة المذكورة ثمة .

قوله : (الكفر وحده ليس بسبب) لا يريد أنه منفردا ليس بسبب ، بل مجتمعا ، وانما المراد أنه ليس منفردا بالسببية ، بل العصيان أيضا سبب .

قوله : (لأنه أبين وأدل) (٣) لما فيه من التفصيل لما هو العمدة فى الصلاة ، والتعبير الصريح عما هو فى نفسه من محاسن الطاعات ، وعما به تتميز صلاتهم عن صلاة أهل الكتاب .

قوله : (غيركم) بالنصب خبر (ليس) (فمن أهل الأديان) يكون حالا من (أحد) .

قوله : (ويجوز أن يريد) أى تكون اللام للعهد ، وعلى الأول للجنس ، ودل على الرضا واستحقاق الثناء (٤) الاتصاف بالأوصاف السابقة .

قوله : (نقيض ذلك) اشارة الى الشكر بمعنى توفية الثواب (٥) ، قال المصنف : " فلن يكفروه " تعريض بكفرانهم نعمته وأنه لا يفعل مثل فعلهم ، وجىء على لفظ المبنى للمفعول لأمرين : لتنزيهه عن اسناد الكفران اليه كقوله تعالى : " وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا (٦) " ، وليأتى به على لفظ الكبرياء

---

(١) من قول زياد الأعجم فى مدح عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور :
ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج
انظر دلائل الاعجاز ٢٠٩ ، والمطول ٤١١ ، والايضاح ١٨٦ والمصباح ٥٨٥ ، وشروح التلخيص ٤ / ٢٥٩ ، وحسن التوسل ٢٧ ، والطراز ١ / ١٧٨ ، ٤٢٢ ، ومعاهد التنصيص ١ / ١٩٥ ، ومشاهد الانصاف ٤ / ١٠٦ ، والأغانى ١٠ / ١٤٨ ، ١٤ / ١٠١ .
(٢) لفظ " تعالى " زائد فى ب .
(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ... " ١١٣ — ١١٦ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٠٩ . (٤) ب ، ف : الثواب .
(٥) أى فى قوله تعالى : " والله شكور حليم " من الآية ١٧ من سورة التغابن .
(٦) الآية ١٠ من سورة الجن .

والعظمة .

قوله : (لم عدى الى مفعولين ؟) أحدهما ــ ضمير المخاطبين القائم مقـــام الفاعل ، والآخر ــ الضمير المنصوب ، والأصل : لن يكفر كموه أى جزاءه ، بمعنى لـــن يترك توفيته ، ولو لا تضمين الحرمان لكان الواجب : لن يكفر لكم نفسه (١) ، مثل : شكرت الله نعمته ، قال : وفى هذا التضمين زيادة تنزيه أن ينسب اليه معنى الكفران .

قوله : (بشارة للمتقين) أما البشارة فلأن المعنى أنه عالم بتقواهم فلا يضيعها ، بل يثيبهم عليها بحسب مايليق به ، وأما الدلالة على الاختصاص فلما فيه من الاشعـــار بأن السبب هو التقوى .

قوله : (لا تعدلن) (٢) ، عدله / به سواه ، (والأتاوى) الغريب الذى لا يعلم ٢٣٢ أ من أين أتى ، يقال : أتى وأتاوى اذا جاء من حيث لا يدرى ، (والمحالات) القدر ، والرحى (٣) ، والدلو ، والشفرة ، والفاس ، فان من كانت عنده هذه الأدوات حل حيث شاء ، والا احتاج الى أن يجاور الناس ليستعير (٤) منهم بعضها ، وفى الصحاح : "لا يعدلن " بلفظ المبنى للمفعول وياء الغيبة و " أتاويون " بالواو مرفوعا . (٥)

قوله : (كما قالت) أى وصف الشاعر الريح بالصر كما وصفتها ليلى بالصرصر ، والبيت فى مرثية صاحبها توبة بن الحمير ، وقبله :

كأن فتى الفتيان توبة لم ينـــخ * بنجد ولم يطلع مع المتغـــور

" لم ينخ " من أناخ بالمكان ، وفى الأساس : " غار النجم وتغور : غرب (٦) " ، و (يملأ) مجزوم معطوف على (يغلب) ، (السديف) قطع السنام . (٧)

---

(١) خ : بنفسه .
(٢) فى تفسير قوله تعالى : " مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيهـــا صر ... " ١١٧ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢١٠ .
(٣) قوله " والرحى " ناقص من الأصل . (٤) خ : ليستعين .
(٥) انظر الصحاح مادتى (أتا) و (حلل) ، والمراد بالبيت : لا تسو بين الغرباء وبين أصحاب البيوت ، انظر البيان والتبيين ٣ / ٢٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٤١٠ ، وتنزيل الآيات ٣٥٠ ، واصلاح المنطق ٩٨ ، ٣ والحجة فى القراءات ١ / ٢٧ ، وأساس البلاغة مادة (حلل) ، ولسان العرب مادتى (أتى) و (حلل) .
(٦) أساس البلاغة مادة (غور) بتصرف .
(٧) والبيتان فى ديوان ليلى الأخيلية ص ٧٢ برواية "لم يسر" بدل " لم ينخ " ، و " الخصم الضجاج " بدل " الخصم الألد " ، والضجاج : المشاغبة كالمضاجة ، انظر =

قوله : (فما معنى) يعنى اذا كان الصر هي الريح الباردة فمعنى " ريح فيها صر " ريح فيها ريح باردة ، فما معناه ؟ وثالث الأجوبة أنه من باب التجريد ، انتزع من الريح ريحا باردة مبالغة في بردها ، والا فهي نفسها صر ، كما أن الله كاف ، والرسول أسوة .

وفى الرحمن للضعفاء كافى

يجئ شرحه في سورة النساء ان شاء الله تعالى (١) .

قوله : (هو من التشبيه المركب) ولا يلزم فيه أن يكون مايلى الأداة هو المشبه به كقوله تعالى : " انما مثل الحياة الدنيا كماء (٢) " ، ولقد بسط الكلام في ذلك في قوله تعالى : " أو كصيب من السماء (٣) " ، وصرح بأن تقدير مثل ذوى صيب انما هو لضرورة مرجع الضمير (٤) ، نعم اذا صرح بتشبيه المثل بالمثل لزم أن يراعى فيما أضيف

= مشاهد الانصاف ١ / ٣١٠ ، وتنزيل الآيات ١٣٥ ، ٤٠٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٢ ، والكامل في اللغة والأدب ٢ / ٥٠ ، والفائق في غريب الحديث ١ / ٥٣ ، والأمالي الشجرية ١ / ٥٠ ، وسمط اللآلي ١ / ٢٨١ ، والاغاني ١٠ / ٧٣ .

(١) قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : "وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا .. الآية " : وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم كما قال القائل :

لقد زاد الحياة الى حبـــا * بناتى انهن من الضعــاف
أحاذر أن يرين البؤس بعـدى * وأن يشربن رنقا بعد صافى

وقال السعد : قوله " كما قال القائل " هو أبو خالد القنانى ، وبعد البيتين :

وأن يعرين ان كسى الجـوارى * فتنبو العين عن كرم عجـاف
ولولا هن قد سومت مهـرى * وفى الرحمن للضعفاء كـاف

يعنى أن حبى الحياة وتخلفى عن الحرب انما هو لأجل بناتى فانى ان قتلت لم يبق لهن من يقوم بأمرهن فيعرين ، ويجعن ، وتنبو عين من يتزوجهن عنهن ، ولولا هن سومت مهرى للحرب ، أى جعلت له علامة ، والرنق كدر الماء ، ويقال : رجل كرم ، وقوم كرم ، ونسوة كرم . انظر الكشاف ١ / ٣٦٩ ، وحاشية السعد الورقة ٢٥٩ أ .

وهذا وقيل : الأبيات لمحمد بن عبد الله الأزدى ، وقيل : لعمران بن حطان ، وقيل لمرداس بن أدية ، وقيل : لسعيد الشيبانى ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٣١١ ، وتنزيل الآيات ٤٥٦ ، والكامل للمبرد ٢ / ١٠٨ ، ومادة (كرم) فى الصحاح واللسان .

(٢) من الآية ٢٤ من سورة يونس . (٣) من الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٤) الكشاف ١ / ٦١ .

اليه المثل فى الجانبين المناسبة ،على ماقدرفى: " مثل الذين كفروا كمثل الـــذى ينعق[1] " فليتدبر ،ولهذا قدرفى هذه الآية أيضا : الاهلاك أو المهلك حسين أرجعه الى تشبيه المثل بالمثل ،لكن الاضافة فى (اهلاك ماينفقون) الى المفعول ، وفى (اهلاك ريح) الى الفاعل ،ولا بأس به ،وقد يتوهم انه على التقديرين الأخيرين من تشبيه المفرد بالمفرد وليس بذاك ،وقد عرفت أن المثل عبارة عن الحال والقصة[2] .

قوله : (وقرئ " ولكن[3] " بالتشديد)[4] ،فان قيل : على كل من القـــراءتين اشكال وهو ان " ماظلمناهم "[5] كلام فى الفاعل[6] ،و " لكن أنفسهم يظلمون " فـى المفعول ،أما على القراءة المشهورة فلصريح تقديم المفعول ،وأما على قراءة التشديد فلأنه بنى الكلام على " أنفسهم " حيث جعل فى موقع المبتدأ مع أنه المفعول فى المعنى ، والذى يقتضيه ظاهر النظم أن يكون الكلام فى الفاعل ،أى مانحن ظلمناهم ولكن هـم ظلموا أنفسهم ،كما تقول : ماأنا قلت هذا ولكن غيرى قاله .

٢٣٢ب قلنا تقديم المفعول فى المشهورة لرعاية الفاصلة / لا الاختصاص والقصد الـــى الفعل من حيث تعلقه بالفاعل ،أى ماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ،وهو ظاهر ،وأمـا على قراءة التشديد فبناء الكلام على أنفسهم من حيث فاعليتها لا مفعوليتها ،بمنزلـة أن تقول ،ولكن هم لا غيرهم ظلموا ،والى هذا أشار بتأكيد ضمير الفاعل حيث قال : (ولكن أنفسهم يظلمونها هم) تأكيدا لضمير الأنفس الفاعل ،ولم يقل : اياها ،تأكيـدا للمفعول .

قوله : (انما يجوز فى الشعر) كقوله :

ان من لام فى بنى بنت حســـا * ن ألمه وأعصه فى الخطوب[7]

أى انه اذ لو كان " من لام " اسم " ان " لكان " ألمه " خبره فلم يصح جزمه ،وهـــذا ماقال النحاة : ان حذف ضمير الشأن منصوبا ضعيف الا مع أن المخففة فانه لازم .

---

(١) الكشاف ١/ ١٦٠ .
(٢) وذلك فى تفسير قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا " الكشاف ١/ ٥٥ .
(٣) " ولكن " ناقص من م ،ط . (٤) البحر المحيط ٣/ ٣٨ .
(٤) الصواب: "ماظلمهم الله " من الآية ١١٧ سورة آل عمران .
(٥) ب ،ط ،خ : فى الفعل .
(٦) للأعشى وهو فى ديوانه ص٢٧ برواية :
من يلمنى على بنى ابنة حســـا * ن ألمه وأعصه فى الخطـــوب
وانظر تنزيل الآيات ٣٢٨ ،وشرح القصائد السابع ٢٣٠ .

قوله: (بشقوره) (١) بأموره وحاجاته ، " قال الأصمعي : بفتح الشين ،وقال أبو عبيد الضم أفصح لأنها الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له ،الواحد شقر ،والشقور بالفتح بمعنى النعت " (٢) ، (الشعار) ثوب يلي الجسد ،و(الدثار) فوقه (٣) ، (الجهد) بالضم : الطاقة ،وبالفتح : المشقة ،ومعنى (لا آلوك جهدا) : لا أمنعك جهدا لأن من قصر في حقك فقد منعك شيئا ، (الانهياض) الانكسار ، (تحاملت) على نفسي : تكلفت الشيء على مشقة .

قوله: (كيف موقع هذه الجمل ؟) يعني " لا يألونكم " ، " قد بدت البغضاء " ، " قد بينا الآيات " ،لظهور أن قوله : " وما تخفي صدورهم أكبر " حال ،وأن قوله : ودوا ماعنتم " بيان وتأكيد لقوله : " لا يألونكم خبالا " فحكمه حكمه ،ولذا لم يذكره عند تفصيل المواقع ،وقيل : لأنه لما وقع بين الصفتين تعين أنه صفة .

قوله: (وأحسن منه) أي مما ذكر ،وذلك لما في الاستئناف من الفوائد ،وما في الصفات من الدلالة على خلاف المقصود أو ايهامه لا أقل ،وهو يفيد النهي بكون البطانة على هذه الصفات ،وليس معنى قوله : (مستأنفات كلها) أن الكل علة واحدة بالاجتماع ،بل ان كلا منها علة للنهي بالاستقلال بترك تعاطفها تنبيها على الاستقلال ،كما في قوله تعالى " ذلك بأنهم كانوا (٤) .. ذلك بما عصوا " (٥) ، أو بمعنى أنها مستأنفات للتعليل على طريق الترتيب بأن يكون اللاحق علة للسابق الى أن تكون الأولى علة للنهي ويتم التعليل بالمجموع ، أي لا تتخذوهم (٦) بطانة لأنهم لا يألونكم خبالا لأنهم يودون شدة ضرركم بدليل أنه قد تبدو البغضاء من أفواههم وان كانوا يخفون الكثير ،لكن لا يحسن ذلك في " قد بينا " اذ لا يصلح تعليلا لبدو البغضاء ،ويصلح تعليلا للنهي بأنا قد(٧) بينا الآيات الدالة على وجوب معاداة اعداء الله تعالى ،وان كان الأحسن أن يكون ابتداء كلام ،ولا يبعد أن تكون مستأنفات كلها اشارة / الى ماسواه .

٢٣٣ أ

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ... " ١١٨ — ١١٩ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢١٢ .

(٢) الصحاح مادة (شقر) .

(٣) انظر الحديث في المستدرك للحاكم ٤ / ٧٩ .

(٤) من الآية ١١٢ من سورة آل عمران . (٥) من الآية ١١٢ من سورة آل عمران .

(٦) خ : لا تتخذ منهم . (٧) كلمة " قد " ناقصة من الأصل .

قوله : (وقيل هؤلاء موصول) والصواب أولاء [1] .

قوله : (والواو في وتؤمنون للحال) يعني بتقدير المبتدأ ، وقد يترك ذكر ذلك اعتمادا على ما ذكره في بعض المواضع ، ولم يجعله عطفا على " تحبونهم [2] " مع ظهوره لأن ذلك في معرض التخطئة ولا كذلك الايمان بالكتاب كله فانه محض الصواب . والحمل على انكم تؤمنون بالكتاب كله وهم لا يؤمنون بشيء منه لأن ايمانهم كلا ايمان فأين جامع المحبة ؟ سديد في تقرير الحالية دون العطف .

قوله : (ويوصف المغتاظ والنادم) لأنهما يفعلان ذلك عند الغيظ والندم . ولما لم يكن في المغتاظ سيما عض الأباهم بذلك الظهور استشهد له بالبيت [3] ، و (الأباهم) أصله الأباهيم فحذفت الياء .

قوله : (والمراد بزيادة الغيظ) يشير الى أن هذا من كناية الكناية ، عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء زيادة [4] غيظهم الى حد الهلاك ، وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز أهله ، وذلك لأن مجرد الموت بالغيظ أو ازديادة ليس مما يحسن أن يطلب ويدعى .

قوله : (فمعناه أخبرهم) هذا معنى التراخي للأمر والدعاء المذكور ، كأنه قال : قل بل نحن نعلم بما في ضمائركم من الغيظ والحنق فموتوا به .

قوله : (ويجوز أن لا يكون ثمة [5] قول) من رسول الله صلى الله عليه وسلم [6] للكفار بأن لم يؤمر بحقيقة القول ، بل المعنى : طب نفسا وكن مستبشرا بأن الله يعز الاسلام ويذل الكفر ، بحيث يزداد غيظ الكفار الى حد الهلاك على ما سبق من طريق الكناية ، وكون هذه المعاني من لوازم هلاكهم غيظا ، لكن لا بد للفظ " قل " من معنى مجازي أو كنائي ، فحمل على الاستعارة تشبيها لطيب نفسه أو استبشاره بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك .

---

(١) كما هو في الكشاف ١ / ٣١٣ ، ولعل النسخ التي اعتمد عليها السعد كانت عبارتها كما أورد .

(٢) في الأصل " يحبونكم " .

(٣) للحارث بن ظالم المري ، وروى " وأقتل " بالواو ، و " أصول الأباهم " بدل " رؤوس الأباهم " ، انظر مشاهد الانصاف ١ / ٣١٣ ، وتنزيل الآيات ٥١٩ ، والبحر المحيط ٣ / ٤١ ، والأغاني ١٠ / ٢١ .

(٤) ط ، خ : ازدياد .

(٥) في الكشاف ١ / ٣١٣ " ثم " .

(٦) م : عليه السلام .

قوله : (المس مستعار لمعنى الاصابة) [1] عن المصنف انما جمع المس والاصابة لافتنان الكلام لانه أفصح وأحسن ، وقد جمع الله تعالى فى كلامه الفصيح والأفصح ، هذا ولكن لا يخفى أن المس ينبىء عن أدنى مراتب الاصابة ، ويدل على أن أدنى اصابة خير تسؤهم ، وأما الشر والسيئة فانما تسرهم الاصابة منه والوصول التام بحيث يعتد به .

قوله : (كنتم فى كنف الله) تعالى ، كأنه [2] يشير الى أن الجزاء بالحقيقة هو ملزوم " لا يضركم " .

قوله : (لاتباع ضمة الضاد) هذا ماقالوا ان فى المجزوم والأمر من المضاعف المضموم العين يجوز الفتح للخفة ، والكسر لأجل تحريك الساكن ، والضم للاتباع ، فلا حاجة الى ماقيل : أنه مرفوع بتقدير الفاء .

قوله : (وقد قال الحكماء) فيه شيء ، وهو أن ماذكر الحكماء معناه : انك كلما ازددت فضلا / فى نفسك ازداد الحسود احتراقا بنار الحسد ، فكأن هذا مقابلة لـ ٢٣٣ب بالايذاء والاضرار الأشد ، وما فى الآية أنك ببركة الصبر والتقوى لكونه من محاسن الطاعات ومكارم الاخلاق تكون فى كنف من الله تعالى وحمايته من أن يضرك كيد العدو .

قوله : (أقاموا بشر محبس [3]) اذ لا ماء ولا طعام ، (يقرا مذبحة) أى القطيع من البقر ، (ذباب السيف) طرفه الذى يضرب به ويذب ، (فان رأيتم) جوابه محذوف ، أى فملتم [4] ، (واكرمهم الله) صفة للرجال تحققت حال الاخبار عنهم ، لا حال قولهم ذاك المقال ، (فلم يزالوا به) أى ملتبسين به ، (اللأمة) الدرع ، مهموز ، (نشير) دال على المخصوص بالذم ، أى اشارتنا ، أو الفعل منزل منزلة المصدر ، (يقوم بهم) أى بدلهم ومكانهم (القدح) أى سهام الميسر ، وقريب من ذلك كون الباء للتجريد ، (عدوة الوادى) جانبه ، (انضحوا عنا) : فرقوا النبل فيهم كالماء المنضوح

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " ان تمسسكم حسنة تسؤهم ... " ١٢٠ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣١٣ .

(٢) قوله " تعالى " ناقص من الأصل ، وقوله " كأنه " ناقص من خ .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال .. " ١٢١ — ١٢٢ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣١٤ .

(٤) فى خ زيادة " أو فافعلوا " .

فمن تطوع خيرا فهو خير له •	١٨٤	٤٤٥
تلك عشرة كاملة •	١٩٦	٥٩٨
فلا رفث ولا فسوق •	١٩٧	٤٧٦
فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله •	١٩٨	٧٣١
فلا اثم عليه •	٢٠٣	٥٢٤
يسألونك ماذا ينفقون •	٢١٥	٥٢٨
يسألونك عن الشهر الحرام •	٢١٧	٥٢٨
يسألونك عن الخمر •	٢١٩	٥٢٨
ويسألونك ماذا ينفقون •	٢١٩	٥٢٨
ويسألونك عن اليتامى •	٢٢٠	٥٢٨
ويسألونك عن المحيض •	٢٢٢	٥٢٨
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء •	٢٢٨	١٤٧ ٢٥٢٥
والوالدات يرضعن •	٢٣٣	٥٣٤
يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا •	٢٣٤	٥٦٢
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به •	٢٣٥	٢٦٥
لا تأخذه سنة ولا نوم •	٢٥٥	٢٨٧
أولياؤهم الطاغوت	٢٥٧	٥٧٨
مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة •	٢٦١	٢٢٧
آتت أكلها ضعفين •	٢٦٥	٦٢٧
انما البيع مثل الربا •	٢٧٥	٣٢٨

سورة آل عمران

فأما الذين فى قلوبهم زيغ •	٧	٢٩٢
اننا آمنا •	١٦	١٩١
فبشرهم بعذاب أليم •	٢١	٣٥٩
ذرية بعضها من بعض •	٣٤	٦٥٩
قالت هو من عند الله •	٣٧	٧٣٦
أنى يكون لى ولد •	٤٧	٥٨٦
تعالوا الى كلمة سواء •	٦٤	١٤٨

فلا تجعلوا لله أندادا •	٢٢	٤٤٩
فأتوا بسورة من مثله •	٢٣	١٠٢
وبشر الذين آمنوا •	٢٥	٣٠٥
جنات تجرى من تحتها الأنهار •	٢٥	٣١٣
ينقضون عهد الله •	٢٧	١٥٣
كيف تكفرون بالله •	٢٨	٤١٩
فأحياكم ثم يميتكم •	٢٨	٤٨٢
وعلم آدم الأسماء كلها •	٣١	٣١٣
أوفوا بعهدى •	٤٠	٣٠٢
وإياى فارهبون •	٤٠	٣٢٣
وتكتموا الحق •	٤٢	٤٨٥
لا تجزى نفس عن نفس شيئا •	٤٨	٣٦١
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك •	٥٢	٥٤٧
وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور		
خذوا ما آتيناكم بقوة •	٦٣	٧٣٠
بقرة لا فارض •	٦٨	٨١
وإذا لقوا الذين آمنوا •	٧٦	
وويل لهم مما يكسبون •	٧٩	١٩٥
وقالوا قلوبنا غلف •	٨٨	١٥٦
ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون •	٩٢	٢٣٥
يختص برحمته من يشاء •	١٠٥	٤٠
بديع السموات •	١١٧	١٨٢
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون •	١٢٣	٣٣٩
وكذلك جعلناكم أمة •	١٤٣	٤٥١
أولئك عليهم صلوات من ربهم •	١٥٧	٢٦
عليهم لعنة الله •	١٦١	٤٤٦
كلوا مما في الأرض حلالا طيبا •	١٦٨	٤٥٥
مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق •	١٧١	٢٢٧
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى •	١٧٥	١٦٩

فهارس الشواهد

الآيات القرآنية الكريمة

سورة الفاتحة

الآيات	أرقامها	الصفحات
اياك نعبد ٭	٥	٤٠
اهدنا الصراط المستقيم ٭	٦	١١٥
غير المغضوب عليهم ٭	٧	٤٩٣

سورة البقرة

الآيات	أرقامها	الصفحات
ألم ٭	١	٣١ ، ٩٧
ذلك الكتاب لا ريب فيه ٭	٢	٩٧
والذين يؤمنون بما أنزل اليك ٭	٤	٦٣٠
اولئك على هدى من ربهم ٭	٥	٧٢
ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ٭	٦	١٣٩ ، ٤٣٩
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ٭	٧	١٥٦
وما هم بمؤمنين	٨	٧٠
واذا لقوا الذين آمنوا ٭	١٤	٧٣٠
يمدهم في طغيانهم يعمهون ٭	١٥	٢١٢
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ٭	١٦	١٦٩
فما ربحت تجارتهم ٭	١٦	١٨١
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي ٭	١٧ ، ١٨	١٦٨
او كصيب من السماء ٭	١٩	٧٠٢
ان الله على كل شيء قدير ٭	٢٠	١٢
فأخرج به من الثمرات رزقا ٭	٢٢	٢٨٠

:: الفهـــــارس ::

ماينبغي وقدر ماينبغي (١) ، ويجوز أن يكون كناية عن قرب انجاز ماوعد من الأجر ، لكونهما (٢) من لوازمه .

قوله : (تخصيصا (٣)) أي ذكر تخصيصا بعد التعميم (٤) المستفاد من الأمر بالصبر المقيد باطلاقه الصبر على كل مايجب الصبر عليه (٥) ، وانما خص بعد التعميم (لشدته وصعوبته) فكان أكمل وأفضل من الصبر على ماسواه ، فيكون كعطف جبريل على الملائكة (٦) ، والصلاة الوسطى على الصلوات (٧) .

قوله : (كعدل صيام) هو بالفتح : المثل من غير الجنس ، وبالكسر : المثل من الجنس ، (الا لحاجة) متعلق بالفعلين (٨) .

قوله : (بكل آية أمانا (٩)) اعتبر في الأمان تعددا بحسب أجزاء الزمان والمسافة ، والله أعلم (١٠) .

* * *

---

(١) قوله " وقدر ماينبغي " ناقص من الأصل .
(٢) ب ، ط : لكونها .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " ٢٠٠ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٥٤ .
(٤) م : بعد تعميم .   (٥) م : عليه الصبر .
(٦) أي في قوله تعالى : " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " .   الآية ٩٨ من سورة البقرة .
(٧) في قوله تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين " الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .   (٨) انظر سنن النسائي ٢ / ٦٣ .
(٩) تفسير الوسيط للواحدي الورقة ١١٠ أ .
(١٠) قوله " والله أعلم " ناقص من م ، وفي ط : " والله أعلم بالصواب " .

أصحمة عطية) صح "عطية "(١) بغير تنوين لتكون على وفق "أصحمة " في منع الصرف ،وقيل : المعنى أنه في الأصل بمعنى "عطية " في العربية اذا جعل علما ولوحظ المعنى الأصلي .

قوله : (على علج) هو في الأصل القوي الغليظ من الكفار (٢) .

قوله : (فابصر) سرير (النجاشي (٣)) ليس هذا في الرواية ،وانما قصد به دفع تمسك الشافعي رضي الله عنه (٤) في جواز الصلاة على الغائب (٥) .

قوله : (لفصل الظرف) [يعني انما يجوز دخول اللام في خبر ان دون اسمه كراهة توالي حرفي تأكيد ،وانما جاز ههنا لانتفاء التوالي بوقوع (٦) الظرف] (٧) أعني الخبر فاصلا كما في قوله تعالى : " وان منكم لمن ليبطئن " (٨) فان اللام في " لمن " لام ابتداء دخلت على / اسم " ان " لوقوع الخبر فاصلا ،وأما لام " ليبطئن " ٢٥١ أ فلام جواب قسم محذوف ،والجملة صلة من .

قوله : (وما أنزل اليهم) الضمير لأهل الكتاب [أو لمن يؤمن منهم نظرا الى المعنى ،وأما " خاشعين " فيتعين كونه حالا من فاعل " يؤمن " لأن جميع أهل الكتاب] (٩) ليسوا خاشعين ولا غير مشترين ،ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير المستكن في الظرف لأن المقيد بالخشوع ايمانهم لا كونهم من أهل الكتاب ، و " لا يشترون " حال آخر ، و " أولئك لهم أجرهم " استئناف ،واختصاص الأجر مستفاد من الاضافة و " أجرهم " فاعل الظرف ، أو مبتدأ والظرف خبره ،و " عند ربهم " حال من " أجرهم " أو من ضميره في الظرف .

قوله : (لنفوذ علمه) يعني أن الاخبار بكونه سريع الحساب كناية عن كمال علمه ليدل على علمه بمقادير الأجور (١٠) ومراتب الاستحقاق ، وأنه يوفيها كل عامل على

---

(١) قوله " صح عطية " ناقص من الأصل ومن م .
(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري ١٠٦/٧ ، ١٥٥/٩٦ ،وصحيح الترمذي ٢٥٩/٤ ،وتفسير الطبري ٤٩٦/٧ .
(٣) كان ينبغي تقديم هذا القول على القول السابق ليكون على وفق ما في الكشاف ٣٥٣/١ .
(٤) قوله " رضي الله عنه " ناقص من خ ،ط .
(٥) انظر الأم للامام الشافعي ١٩٥/٧ .
(٦) م " لوقوع " وكذلك في ب .
(٧) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٨) من الآية ٧٢ من سورة النساء .
(٩) ما بين المعقوفين ناقص من م .
(١٠) في الأصل : الأمور .

قوله : (لأن التقلب لوغره لاغتربه) اشعار بأن السبب غر التقلب ، والمسبب الاغترار به ، والنهى ورد عن الأول ، والمراد النهى عن الثانى أعنى الاغترار ، مجازا أو كناية ، فما قيل : أن السبب تقلبهم والمسبب الغرور به فنهى التقلب لنهى غروره (١) ، ليس على ماينبغى .

قوله : (لانقضائه) اشارة الى أن مبنى قلته على العدم اللاحق فى أزمنه غير متناهية ، وأما العدم السابق فى أزمنة غير متناهية ، فمشترك بينه وبين نعيم الآخرة وشوابها بل جميع الحوادث .

قوله : (ماالدنيا فى الآخرة) (٢) أى فى جنبها وبالاضافة اليها ، وهو حال عاملها معنى النفى (٣) ، وقد يقدر مضاف أى : ماتقدير الدنيا واعتبارها ، فهو العامل .

قوله : (اذا الجبار (٤)) أى المتسلط العاتى ، (ضافنا) نزل بنا وصار ضيفا لنا ، والباء فى (بالجيش) للتعدية أو المصاحبة . (٥)

قوله : (والعامل اللام) أى مع مجرورها يعنى الظرف وهو " لهم " لأن "جنات" فاعل له لاعتماده ، ويجوز باتفاق النحاة أن يجعل " جنات " مبتدأ والظرف خبرا مقدما فهو حال من الضمير فى الظرف ، فقوله : (ويجوز أن يكون) قائم مقام اما [كأنه قال : اما] (٦) على أنه حال ، واما على أنه مصدر مؤكد لمضمون جملة " لهم جنات " وعلى هذا لايكون اسما لما يقام للنازل بل مصدرا (٧) بمعنى اعطائه وتهيئته ، والعامل محذوف أى رزقوا رزقا وأعطوا اعطاء .

قوله : (النجاشى (٨)) بفتح النون وتخفيف الجيم والياء ساكنة ، (ومعنى

---

(١) وهو ماذهب اليه القاضى البيضاوى فى أنوار التنزيل ١/ ٢٥٣ ، وابن مسعود السيرافى فى تقريب الكشاف ٦٨ب ، والطيبى فى فتوح الغيب ١/ ٣٥٩ .
(٢) والحديث فى صحيح الترمذى ٩/ ١٩٩ ، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ .
(٣) ط : وهو حال عامله مافى " ما " من معنى النفى .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله .. " ١٩٨ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٥٣ .
(٥) انظر مشاهد الانصاف ١/ ٣٥٣ ، وتنزيل الآيات ٤٧٩ .
(٦) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٧) ط : بل هو مصدر .
(٨) فى تفسير قوله تعالى : " وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله .. " ١٩٩ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٥٣ .

أما التعليم ففى النداء بلفظ ينبي، عن أنه الرب ونحن المربوبون ، مع هضم النفس ، والاستبعاد عن مظان الزلفى ، والاقتران بالأعمال البدنية والقلبية ، والاعتراف بكون مصنوعاته مشتملة على الحكمة الكامل ، والدلالة على وجوب الطاعة واجتناب المعصية ، وكون الصانع منزها من (١) النقائص ، واظهار غاية الخوف من جلال عظمته وغناه ، وأنه لا ناصر سواه .

وأما الاعلام ففى ترتب (٢) الاستجابة على ايمانهم وذكر أعمالهم واذكارهم واستغفارهم عن المعاصى ، ثم تعليل الاستجابة بأن الله لا يضيع عمل عامل ، وأن المهاجرة عن الأوطان وتحمل مشاق التكليف والجهاد فى الدين سبب لادخال الجنة وحسن الانابة . وأما القطع والتسجيل ففى ضمن ذلك .

ولقد أحسن فى التنبه لهذه الدلالات (٣) ، لكنه غفل أو تغافل عما تحتها من الاشارات ، حيث رتب سؤال الوقاية من العذاب على الاذكار والاعمال والافكار ، وسؤال الثواب والنجاة على وعده ، وصرح باسناد ادخال الجنة الى ذاته ، وكرر أن الثواب من عنده ، أفليس فى هذا اشارة خفية الى أن الأعمال وسائل عادية ؟ لا أسباب حقيقية ؟ ، وأن له أن يعذب مع الأعمال ؟ / وأن يثيب مع الاخلال ؟ ، اذ الكل من عنده والفضل ٢٥٠ ب بيده ، فلا ينبغى أن يفضى الرجاء الى أمن من نقمته ، ولا الخوف الى يأس من رحمته ، بل يخشى مع الطاعة عقابه ، فوق مايرجى مع المعصية ثوابه .

قوله : (أتبع ذلك) أى الاخبار بالاستجابة (رافع الدعاء (٤)) أى العمل الصالح .

قوله : (والمضطرب (٥)) موضع الاضطراب مبالغة ، الضرب بمعنى السير فى الأرض ابتغاء للمعيشة ، (والدهقن) من الدهقان : رئيس القوم (٦) ومقدم أصحاب الزراعة ، وهو معرب .

---

(١) خ ، ط : عن .
(٢) ب ، خ ، ط : ترتيب .
(٣) خ : الدلالة .
(٤) لفظ " الدعاء " ناقص من الأصل .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد " ١٩٦ - ١٩٧ آل عمران ، الكشاف ١/٣٥٢ .
(٦) ب ، م ، ط : رئيس القرية .

قوله : (وهى المهاجرة) أى الى آخرها من الخروج من الدار والأذى فى سبيل الله والقتل والقتال ،ويجوز أن يكون (واضطروا)[1] عطفا على ماتتضمنه (المهاجرة) من معنى الفعل ،كأنه قيل : وهى أن هاجروا ،واضطروا ،وأوذوا ، وقاتلوا ،وقتلوا ،وفى قوله : (واضطروا) ،دون أن يقال " وأخرجوا أى اضطروا الى الخروج " اشعار بذلك ، وقوله : (بما سامهم المشركون) متعلق باضطروا ،وفيه اشارة الى وجه تفسير " أخرجوا " باضطروا الى الخروج ،وذلك أنه لم يكن من المشركين اخراج بل ايذاء وظلم اضطرهم الى الخروج ،وتفسير " فى سبيلى " بقوله : (من أجل السبيل وبسببه)[2] ملائم لما هو/ المتعارف من قولهم : جاهدوا فى سبيل الله ، ٢٥٠أ وبعث فلان فى سبيل الله أى لأجله وبسببه .

فان قيل : هب أن المهاجرة والقتل والقتال من الأعمال ،فكيف الاضطرار الى الخروج والأذى فى سبيل الله ؟ قلنا : تحمل ذلك وعدم التضجر وبث الشكوى ونحو ذلك كلها أعمال .

قوله : (على التقديم) أى تقديم " قتلوا " بالتخفيف أو التشديد على " قاتلوا " فهما قراءتان[3] ،ومبناهما على أن الواو لا توجب الترتيب ،فلا ينافى أن يكون المقتول هو القاتل ،أو على أنه قتل البعض وقاتل الآخرون .

قوله : (وعنده مثل) أى قوله : " والله عنده حسن الثواب " ليس معناه أن الثواب بحضرته وبالقرب منه على ماهو حقيقة لفظ[4] " عنده " بل [هو استعارة تمثيلية][5] مثل كونه يقدرته وفضله وبحيث لا يقدر عليه غيره بحال الشىء الذى يكون بحضرة أحد لا يد عليه لغيره ،فالاختصاص مستفاد من هذا التمثيل حتى لو جعل " حسن الثواب " فاعل " عنده " لا مبتدأ مقدما عليه كان الاختصاص بحاله .

قوله : (وهذا) أى قوله : " الذين يذكرون الله " الى قوله : " حسن الثواب " (تعليم) لكيفية الدعاء والابتهال ، (واعلام) بأسباب الاجابة والانابة ، (وقطع) لطمع من يتمنى الثواب بدون العمل ، (وتسجيل) عليه بأنه جاهل غبى .

---

(١) فى الأصل وفى م : " فاضطروا " وهو مخالف لعبارة الكشاف ١/ ٢٥١ .
(٢) فى الكشاف " من أجله وبسببه " .
(٣) الأولى قراءة حمزة والكسائى ،والثانية قراءة طلحة بن مصرف . انظر البحر المحيط ٣/ ١٤٥ .
(٤) كلمة " لفظ " ناقصة من ط .
(٥) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

وهذا في التعدية الى الداعي ،وأما الى الدعاء فشائع بدون اللام مثل : استجاب الله دعاءه ،ولهذا قيل : ان البيت على حذف المضاف أي لم يستجب دعاءه ،واليه أشار في سورة القصص(1) .

قوله : (على حذف الباء) ينبغي أن يبين وجه تعلقها بما قبلها وما معنى استجاب بأني لا أضيع أي بعدم اضاعتي ،وأما على ارادة القول (2) فموقعه الحال ،أي قائلا : اني .

قوله : (بيان لعامل) على أن المراد به الشخص العامل ليعم الذكر والانثى .

قوله : (فكل واحد منكم) استفيد العموم من اضافة البعض مع الابهام ،و " من بعض " على حذف المضاف أي من أصل البعض الآخر ،أو على الاستعارة التمثيلية — فليتدبر — وتشبيه اتصالهم موافقة ومخالطة أو دينا واسلاما باتصال شيئين يكون أحدهما جزءا من الآخر .

قوله : (على سبيل التعظيم له) أي للعامل أو عمله ،وذلك لما فيه من التفصيل بعد الاجمال ،والتخصيص بعد التعميم ،والاخبار على سبيل القسم بتكفير السيئات ، وادخال الجنات وعظم الثواب من الله تعالى (3) الجامع لصفات الكمال .

= والأصمعيات ٩٦ ،والخزانة ٤/ ٣٧٠ ، ٣٧٥ ،وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٥٦٠ ،ومشاهد الانصاف ١/ ٣٥١ ،وتنزيل الآيات ٣٣٠ ،وتفسير القرطبي ١/ ١٨٤ ،وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٦ ،واعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢/ ٢٢٠ ، والحجة لأبي علي الفارسي ١/ ٢٦٥ ،والشواهد للعيني ٣/ ٤٧ ، ٢٤٨ ،وارتشاف الضرب لأبي حيان ٤٩٨ ،وشرح الأشموني ٢/ ٢٨٤ ،وأساس البلاغة مادة (جوب) ،والصحاح مادة (جوب) ،ولسان العرب مواد (جوب) ،و(علل) ، و(لمم) .

(1) حيث أورد البيت في معرض تفسيره لقوله تعالى : " فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ... " الآية ٥٠ من تلك السورة وقال : وأما البيت فمعناه : فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف .
انظر الكشاف ٣/ ٣٣١ .

(2) وهي قراءة عيسى بن عمر ،انظر البحر المحيط ٣/ ١٤٣ .

(3) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل .

قوله : (أى آمنوا) يعنى يجوز أن تكون " أن " مفسرة بمعنى " أى "، وأن تكون مصدرية على حذف الباء ، أى ينادى للايمان بطريق طلب الايمان وايراد صيغة " آمنوا " ، فان " ان " المصدرية[1] وان دخلت الماضى والمضارع والأمر لكن لا ينبغى أن يجعل الحاصل من الكل مجرد معنى المصدر ، بل معنى " أن آمنوا " بلفظ الماضى : حصول الايمان فى الماضى ، و " أن تؤمنوا " : فى المستقبل ، و " أن آمنوا " : طلبه .

قوله : (وصاحب وأصحاب) الجمهور على أنه لم يثبت جمع فاعل على أفعال ، وان أصحاب جمع صحب بالسكون أو صحب بالكسر مخفف صاحب بحذف الألف .

قوله : (ألا تراه ؟) الضمير لقوله : " ما وعدتنا على رسلك " أى أنه /ذكر تابعا ٢٤٩ب لأمرين : أحدهما ـ ذكر الرسول ، والآخر ـ التصديق ، وتصديق الرب تصديق الرسول ، فصار ذلك قرينة لما قدر من المضاف ، وآثر هذا الوجه لأن المنزل أو المحمول على الرسل ليس هو الثواب أو النصرة بل الاخبار به وأما على تقدير : (ألسنة رسلك) فلم يبين متعلق " على " ، والظاهر أنه " وعدتنا " لكن لا بطريق الصلة .

قوله : (استجاب له[2] هو الشائع فلذا استشهد للمتعدى بنفسه بقول كعب الغنوى فى مرثية أخيه :

وداع دعى يامن يجيب الى الندى * (فلم يستجبه عند ذاك مجيب)

فقلت ادع اخرى وارفع الصوت مرة

— ويروى : جاهرا —

لعل أبا المغوار منك قريب[3]

---

(١) خ : فان المصدرية .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .. " ١٩٥ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٥١ .

(٣) روى البيت الأول " وداع دعى هل من مجيب الى الندى ؟ " وكذلك " يامن يهيب الى الندى " ، " فلم يستجب عند النداء مجيب " وكذلك " فلما يجبه عند ذاك مجيب " ، وروى فى البيت الثانى مكان " مرة " : " ثانيا " و " دعوة " و " رفعة " و " بعدها " ، " لعل أبى المغوار منك قريب " وأيضا : " لعا لأبى المغوار " وهى كلمة تستعملها العرب عند العثرة والسقطة ، يقولون : لعا لك أى أنهضك الله ، انظر ديوان مختارات شعراء العرب ٢٩ـ٣٠ ، وديوان المعانى ٢/ ١٧٩ ، وطبقات الشعراء ٨٣ ، ونوادر أبى زيد ٣٧ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٥٠ ، والأمالى الشجرية ١/ ٢٣٧ ، =

اللزوم للشرط بحيث لافائدة في ذكره مادام محمولا على اطلاقه ، فيحمل على أخص الخصوص ليفيد ، (الصمان) اسم جبل ،

قوله : (اللام اشارة) يعني أنها للعهد ،والتعبير عن المعهود بلفظ " الظالمين" اشعار[1] بأن مايفعلونه ظلم وأنه السبب لاستحقاق / النار ،لكن قد سبق أن النصرة هي الدفع بطريق الغلبة ،والشفاعة بطريق المسألة ،فنفي الناصر لا يدل على نفي الشفيع ،ولهذا لم يكن نفيهما كما في قوله تعالى : " ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون " [2] تكرارا ،ثم لو صح ماذكره فانما يدل على نفي الشفيع من ادخال النار لا من الاخراج منها ،لكن يدفعه عدم القول بالفصل فان من جوز الشفاعة جوزها في الأمرين ومن لا فلا ، ٢٤٩ أ

قوله : (لأنك وصفته) أي الرجل (بما يسمع) في صورة النكرة مثل : (سمعت رجلا يقول كذا) ،أو جعلت مايسمع حالا عنه في صورة المعرفة مثل (سمعت زيدا) ، فأغناك عن ذكر المسموع ،لكن لا يخفى أنه لا يصح ايقاع فعل السماع على الرجل الا باضمار أو مجاز ، أي سمعت كلامه ،وأن الأوفق بالمعنى فيما جعله وصفا أو حالا أن يجعل بدلا بتأويل الفعل بالمصدر على مايراه بعض النحاة ،لكنه قليل في الاستعمال فلذا آثر الوصفية والحالية ، (وأن يقال) عطف على المجرور في (منه) لكن[3] باعادة الجار تقديرا ،اذ الحذف من ان وأن شائع،

قوله : (فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته) أي شأنهما ،لكن ماذكر بتفخيم المنادي له والمهدي اليه أليق ،لأنه الذي أبهم ثم فسر ،ولو استفيد تفخيم المنادي من ابهامه وتنكيره أو من أن تفخيم المنادي له يستعقب تفخيم المنادي فذلك تقرير آخر ،وكذا لو جعل شأن المنادي عبارة عن صفته وحاله التي هي النداء المفخم باعتبار متعلقه ،

قوله : (واقعان جميعا) يعني أن في الدعاء الى الشيء والنداء له والهداية اليه اختصاصا للفعل به وانتهاء له اليه ،فسواء عبرت باللام التي للاختصاص أو الى التي لانتهاء الغاية حصل المقصود ،

---

(١) في ط " للاشعار " وناقصة من الأصل ، (٢) من الآية ١٢٣ من سورة البقرة ، (٣) م ،خ : لكنه ،

قوله : (هل لك أن تأذنى ؟) تطييب لقلبها ، والا فليس لها حق شغل وقته عن العبادة ، (الحقو)الخصر وموضع شد الازار ، (لاك) اللقمة : علكها ، (فلم) أى فلم تظله سحابة ، وانما عهد حذف الفعل من لما دون لم (1) .

قوله : (ذكرا دائبا) من دأب فى عمله : اجتهد ، فالاسناد الى الذكر مجاز ، ولا خفاء فى أن تعميم الأحوال لا يكون على حقيقته ، اذ من الأحوال مالا يتيسر معه الذكر ، فلذا قال : (فى أغلب أحوالهم) .

قوله : (قياما) مصدر بمعنى الفاعل ، وأما (قعودا) فيحتمل أن يكون جمع قاعد .

قوله : (على عظم شأن) بدل من (عليه) بتكرير العامل ، (وما دبر فيها) عطف على (اختراع) أو على (صنعتها)لا على(مايدل) لئلا تتفكك أجزاء الصلة ، ولا يلزم الفصل بين البدل والمبدل منه بالأجنبى . فان قيل : من قواعدهم ان المبدل منه فى حكم المنحى وحينئذ يلزم خلو الصلة عن العائد ، قلنا : لا من كل وجه بدليل صحة : زيد لقيت غلامه رجلا صالحا ، هذا والأحسن أن يجعل (على عظم)متعلقا (بيتفكرون) على تضمين معنى الاستدلال (2) والاحتجاج .

قوله : (ولذلك) أى ولكون الدلالة على وجوب الطاعة واجتناب المعصية مأخوذة من " ربنا ماخلقت هذا باطلا " ، حسن عمل " فقنا عذاب النار " به ، كأنهم قالوا : ان فيها دلالة على وجوب طاعتك فنحن نطيعك فقنا العذاب الذى هو جزاء من عصاك ، وحقيقته : فوفقنا للعمل بما فهمنا من الدلالة .

قوله : (هذا المخلوق العجيب)مستفاد من العدول عن الضمير الى اسم الاشارة الدال على أن المذكور يجب أن يعتنى بكمال تمييزه تعجبا منه واستعظاما له ، ولهذا قال : (وفى هذا) أى فى هذا الكلام أو فى لفظ هذا (ضرب من التعظيم) .

قوله : (ويجوز أن يكون " باطلا " حالا)وعلى الأول كان صفة مصدر محذوف .

قوله : (فقد أبلغت فى اخزائه) (3) هذا مستفاد من جعل الجزاء امرا ظاهر

---

(1) وعبارة الكشاف ١/ ٣٤٩ : " فلم تظله " بدون حذف ولعل النسخ التى اعتمد عليها السعد كانت بالحذف . (2) فى الأصل " الاستبدال " .

(3) فى تفسير قوله تعالى : ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ... " ١٩٢ — ١٩٤ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٥٠ .

قوله : (فلا تحسبنهم تأكيد) (١) والفاء للاشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحسبان والنهى عنه ،قال الزجاج : " العرب تعيد اذا طالت القصة فى حسبت وما أشبهها اعلاما أن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد ،فتقول : لا تظنن زيدا اذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظننه صادقا " (٢) .

قوله : (والمفعول الأول محذوف) هذا انما هواذا جعل التأكيد هو مجموع " لا تحسبنهم " أعنى الفعل والفاعل والمفعول ،وأما اذا جعل التأكيد هو الفعل والفاعل على ماهو الأنسب — اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفاعل — فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الأول ولا حذف ،ألا ترى أنه لم يحمل القراءتين السابقتين (٣) على حذف المفعول الثانى من أحد الفعلين (٤) أعنى التأكيد أو المؤكد .

قوله : (من اخبارك) أى اخبارهم اياك . (٥)

قوله : (ومعنى يفرحون بما أوتوا) تفسير لقراءةعلى رضى الله عنه (٦) ،ولم يؤخره عن قوله : (وقيل : يفرحون بما فعلوا من كتمان) عطفا على (يفرحون بما فعلوا من تدليسهم) لئلا يتوهم أنه فى حيز القيل ، ولم يؤخر قراءة على رضى الله عنه الى ههنا ليقع ذكر القراءات متقاربة (٧) .

قوله : (واستحمدوا اليه بترك الخروج) (٨) ،أى طلبوا الحمد متوسلين اليه بذلك/ اذا انتهوا اليه طالبين الحمد بذلك ،قال فى الأساس : " يقال : استحمد ٢٤٨ب الله الى خلقه باحسانه اليهم وانعامه عليهم " (٩) .

قوله : (فى النصائح الصغار (١٠)) اسم كتاب له فى المواعظ والنصائح ،وآخر اسمه:النصائح الكبار .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " ١٨٨ آل عمران ،الكشاف ١/ ٣٤٧ . (٢) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢/ ٤٤٨ بتصرف.

(٣) البحر المحيط ٣/ ١٣٧ . (٤) م ،خ : المفعولين .

(٥) والحديث فى صحيح البخارى ١٧/ ٦٧،وصحيح الترمذى ١١/ ١٤٧،والمستدرك للحاكم ٢/ ٢٩٩ ،وتفسير الطبرى ٧/ ٤٧٠ .

(٦) البحر المحيط ٣/ ١٣٨ . (٧) خ : متعاقبة .

(٨) أسباب النزول للسيوطى ١/ ٤٧ .

(٩) أساس البلاغة مادة (حمد) ،وعبارته : تقول استحمد الله الخ .

(١٠) فى تفسير قوله تعالى : " ولله ملك السموات والأرض والله على كل شئ قدير . " ١٨٩—١٩١ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٤٨.

ضارب زيد أى لا ضارب ،والمعنى : ذكرته ماكان بيننا من العهود والمودات ،وعاتبته أدنى عتاب ،فما وجدته طالب رضائى ،يقال : استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى .

قوله : (تزيل هذا الوهم) وبهذا يزول وهم أن ينسب اليه ماينسب الى بعض المعتزلة من نفى عذاب القبر ونعيمه .

قوله : (الفوز المطلق) يشير الى وجه ترك ذكر متعلق " فاز " .

قوله : (ويأتى الى الناس)[1] أى يفعل بهم مايحب أن يفعل به .

/ قوله : (متاع بلاغ) أى تبليغ وايصال الى الآخرة . ٢٤٨ أ

قوله : (خوطب المؤمنون بذلك) أى بقوله : " لتبلون فى أموالكم " الآية[2] .

(والصبر) عطف على (احتمال) ،وضمير (لقوها) لما سيلقون ،أو للشدائد .

قوله : (من معزومات) يعنى أن العزم مصدر بمعنى المفعول [أى المعزوم عليه][3] ،يقال : عزمت على الأمر واعتزمت ،ولم يسمع عزمته ،والفاعل هو العبد بمعنى أنه يجب عليه أن يعزم على ذلك ،أو الله تعالى بمعنى عزم الله أى اراد وقصد وقطع وقضى أن يكون ذلك ويحصل ،وذكر الامام المرزوقى أن " حقيقة العزم توطين النفس وعقد القلب على مايرى فعله ،ولذلك لم يجز على الله تعالى "[4] .

قوله : (واذكر وقت أخذ)[5] يشعر بأن " اذ " مفعول به لا ظرف الا أن يكون المراد : واذكر الحادث وقت الأخذ .

قوله : (أكد عليهم)بلام جواب القسم ونون التأكيد فى بيان الكتاب ،وبالعطف على جواب القسم فى اجتناب كتمانه حيث قال : " ولا تكتمونه " .

قوله : (على أنه) الضمير للشأن ،و(أن يبينوا) خبره (مأخوذ) .

قوله : (لتقية) أى خوف من شئ (لا دليل عليه) يفيد العلم بتحققه (ولا أمارة) تفيد الظن .

قوله : (لو كنت نبيا) يروى بفتح التاء وضمها خطابا وتكلما .

---

(١) انظر الحديث فى مسند الامام أحمد ٢/ ١٦١ ،١٩١ ،١٩٢ ، وسنن ابن ماجه ٢/ ١٣٠٧ .

(٢) ١٨٦ سورة آل عمران ،الكشاف ١/ ٣٤٦ .

(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . (٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١/ ٧١ .

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه .. " ١٨٧ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٤٦ .

قوله : (تلك آياتهم) (1) مبتدأ وخبر والجملة خبر (كان) ، و(كان يقرب) أى يذبح ذبيحة مبين لذلك وهذه اشارة الى مادعوا من العهد اليهم .

قوله : (مامعنى ؟) يعنى أن " الذى قلتم " هو ألفاظهم وعباراتهم ولا معنى لمجيء الرسل بها ، فالمراد : المجيء بمعناه ومؤداه كما في قوله تعالى : " ثم يعودون لما قالوا " (2) على أحد الوجوه ، أي يعودون للتماس الذى فى شأنه ورد الظهار والقول : أنت على كظهر أمى .

قوله : (بطرح التنوين) (3) الأصل فى التنوين عند ملاقاة الساكن أن يحرك بالكسر ، وقد جاء الحذف كما فى قول أبى الأسود الدؤلى .

فذكرته ثم عاتبته * عتابا رقيقا وقولا جميلا

فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا (4)

الأصل : ذاكر بالتنوين (5) مجرورا معطوفا على " مستعتب " ولا اضافة لأن " الله " منصوب واسم الفاعل معتمد على النفى أو على المبتدأ فى التقدير كما تقول : أنت غير

---

(1) في تفسير قوله تعالى : " الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ... " ١٨٣ — ١٨٤ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٤٤ .

(2) من الآية ٣ من سورة المجادلة ، وانظر الكشاف ٤/ ٣٨٩ .

(3) فى تفسير قوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت .. (١٨٥ آل عمران ، الكشاف ٣٤٥/١ .

(4) كان أبو الأسود الدؤلى يجلس الى فناء امرأة جميلة بالبصرة فقالت له : هل لك أن أتزوج بك ؟ فانى حميدة الخصال وكيت وكيت . فقال نعم . وتزوجها ، فوجدها بضد ماقالت ، فعاتبها وخاطب أهلها بشعر منه ذلك ، ثم طلقها أمامهم ، انظر ديوان أبى الأسود الدؤلى ٢٠٣ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٣٤٥ ، وتنزيل الآيات ٤٧٩ ، ودلائل الاعجاز ٢٥٠ ، وأنوار التنزيل ١/ ٢٤٩ ، ومعانى القرآن للفراء ٢/ ٢٠٢ واللباب من علوم الكتاب ٣٥٠ ، والأمالى الشجرية ١/ ٣٨٣ والخزانة ١/ ١٣٧ ، ٤/ ٥٥٤ ، ٥٥٧ ، والأغانى ١١/ ١٠٧ ، والموشح ٩٥ ، وكتاب سيبويه ١/ ٨٥ ، والمفصل ١٨١ ، والمقتضب ٢/ ٣١٣ ، والخصائص ١/ ٣١١ ، والانصاف ٣٤٩ ولسان العرب مادتى (عتب) و (غسل) .

(5) قوله "بالتنوين " ناقص من الأصل .

قوله : (من مال وغيره) كالملك والولاية والأحوال [١] التى تنتقل من واحد الى آخر ،ولا تعد فى الشرع مالا ،ولعل فى أهل السماء أيضا مثل ذلك.

قوله : (قال ذلك) اشارة الى قولهم : " ان الله فقير ونحن أغنياء "[٢] ، و (اليهود) فاعل (قال) ، و(أيهما) نصب خبر(كان) ،والاسم ضمير ذلك القول ، أي سواء كان عن اعتقاد أو استهزاء ،أو رفع مبتدأ وكان تامة .

قوله : (ومعنى سماع الله) تعالى [٣] ،يعنى معلوم أن الله سميع عالم بالمسموعات ،فمعنى تخصيص هذا القول بالذكر أنه أعد له عقابا يناسبه على طريق الكناية .

قوله : (أو سنحفظه) يعنى أن الكتابة ههنا حقيقة والتجوز فى الاسناد / ، أو ٢٤٧ ب استعارة والاسناد على حقيقته .

قوله : (على وجه [٤]الوعيد) يعنى أن القصد بهذا الاخبار الى الوعيد ،والسين لتأكيد الاثبات ،كما أن لن لتأكيد النفى ،أتى بها ليكون الوعيد على طريق التأكيد كالاخبار بوجود السماع .

قوله : (قرينة له) أى مقرونا بقولهم [٥] : " ان الله فقير ونحن أغنياء " ،مضموما اليه .

قوله : (كتب مع أبى بكر رضى الله عنه) [٦] أى مصحوبا له ومبعوثا على يده .

قوله : (ذق عقق [٧]) أى ذق جزاء فعلك ياعاق ،من عق والده عقوقا ،وهو عدل فى الصفة كعمر وزفر فى العلم .

قوله : (على سبيل التغليب) كأنه قيل : ذلك العقاب بسبب سيئات أعمالكم التى اكثرها أو كثير منها بالأيدى ،وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد [٨]ليترك عقاب من يستحقه ،فبين بالسؤال والجواب أن لهذا مدخلا فى سببية العقاب ،اذ الظالم قد يترك عقاب المسىء كما يترك ثواب المحسن ،وأما وجه الاتيان بصيغة المبالغة فسيذكر فى موضع آخر .

---

(١) فى م ،خ زيادة " والأهوال " . (٢) من الآية ١٨١ آل عمران ،الكشاف١/ ٣٤٣ .
(٣) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل . (٤) فى الكشاف١/ ٣٤٤ " على جهة " .
(٥) خ : بقوله . (٦) انظر تفسير الطبرى ٧/ ٤٤١ ،٤٥٥ .
(٧) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٢٧٧ .
(٨) قوله " للعبيد " ناقص من الأصل ومن م .

(مطلعا) حال من أن يحرف ، والظاهر من هذا الوجه أن "من" في "من رسله" للتبعيض ، ومن الوجه الأول أنها للبيان .

قوله : (بأن تقد روه) ناظرا الى الايمان بالله (وأن تنزلوهم) الى الايمان برسله .

قوله : (والذى سوغ)[١] قد شاع في هذا الكتاب جواز حذف أحد مفعولى باب علمت ، وعلله فى سورة النور باتحاد الفاعل والمفعولين[٢] ، كما ذكر[٣] في قوله تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا " على قراءة ياء الغيبة[٤] ، ففهم منه بعضهم أنه لا يجوز الا لذلك ، وههنا ليس كذلك ، والجواب أن المراد الجواز لقوة الدلالة وظهور القرينة وههنا كذلك ، على أن " الذين يبخلون " وهو الفاعل لما اشتمل على ذكر البخل ، صار هذا في حكم اتحاد الفاعل والمفعولين .

قوله : (سيلزمون) اشارة الى أن هذا تمثيل ولا طوق حقيقة ، وقيل : هو على حقيقته وأنهم يطوقون حية أو طوقا من نار ، وقولهم : (تقلدها طوق الحمامة) الضمير للخصلة القبيحة التى كنى عنها (بالهنة) . والتشبيه بطوق الحمامة لفرط اللزوم وعدم المزايلة[٥] ، وفي قوله : (من الزكاة) اشارة الى أن الوعيد فى مانعى الزكاة ، وكذا كل واجب مالى ، (والنهش) بالشين المعجمة : للحية خاصة ، وبالمهملة : يعمها وغيرها كالعقرب والكلب ، (القرن) جانب الرأس (والأقرع) الذى لم يبق على رأسه شعر لكثرة سمه وطول عمره[٦] .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم .. " ١٨٠ آل عمران ، والكشاف ١ / ٣٤٣ .

(٢) فقد جوز فى قوله تعالى : " لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض .. " الآية ٥٧ من تلك السورة أن يكون الأصل - على قراءة الياء - لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ، ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الأول ، وقال : وكان الذى سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشىء واحد ، اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث . انظر الكشاف ٣/ ٩٩ ١ .

(٣) لفظ " ذكر " ناقص من الأصل .

(٤) وعلى تقدير : ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا ، أى ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا ، وجاز حذف المفعول الأول لأنه فى الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ فى قوله : " أحياء " والمعنى : هم أحياء ، لدلالة الكلام عليهما .
انظر الكشاف ١ / ٢٣٨ .

(٥) مجمع الأمثال ١ / ١٥٣ .

(٦) والحديث فى صحيح البخارى ٧ / ١٧٥ ، ١٧ / ٦٢ ، وسنن النسائى ١ / ٣٣٣ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٥٦٨ .

أن يكون مرادا له ومطلوبا وغرضا فقد جعلوا ازدياد الاثم سببا باعثا كما في: قعدت عن الحرب عجزا أو جبنا ، لا غرضا يطلب حصوله كما في : جئتك لتكرمني ، ولما لم يكن الازدياد حاصلا قبل الاملاء ليصلح علة له باعثة عليه ذهب الى أن هذا انما هو على طريق الاستعارة والتشبيه بالعلة الباعثة بناء على حصوله في علم الله تعالى سابقا .

فان قيل : هلا اعتبر التشبيه بالغرض والغاية كما في : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا "(1) ، فلا يحتاج الى هذه التكلفات ؟ قلنا : لأن هذه الجملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها ، فلو كان الاملاء لغرض صحيح ترتب عليه هذا الأمر الفاسد القبيح (٢) لم يصح ذلك ، ولم يصلح هذا تعليلا لنهيهم عن حسبان املائهم خيرا لهم ، فليتأمل .

قوله : (ان املاءنا لازدياد الاثم) يعني أن " ما " على هذه القراءة مصدرية ، و " ليزدادوا " في موقع الخبر ، (كما يفعلون) يعني من ازدياد الاثم ، ولما لم يكن الاملاء الذي للتوبة والدخول في الايمان ملائما لمقارنة العذاب بل الثواب ، وجعل الواو داخلة (٣) في حيز النهي عن الحسبان قيدا في زيادة الاثم بمنزلة أن يقول : ليزدادوا اثما وليكون لهم عذاب ، وظاهر أن هذا المعنى لا يحصل بالواو العاطفة ، بل ليس ههنا مايحسن عطف هذه الجملة عليه ، نعم للاعتراضية جهة .

قوله : (اللام) في " ليذر " في قوله : " ماكان الله ليذر المؤمنين (٤) " (لتأكيد النفي) ، لما تجد من الفرق بين قولك : ماكان زيد يقوم ، وما كان متصديا / لأن (٥) يقوم . ٢٤٧ أ

قوله : (حتى يعزل) في الصحاح : " مزت الشيء أميزه ميزا : عزلته وفرزته (٦) " ، وأما أماز بمعنى ميز فلا نجده في كتب اللغة .

قوله : (للمصدقين) أي باللسان ليعم المنافقين ، وكذا قوله : (لا تفاقكم على التصديق) وسوى كلامه في تفسير " ليطلعكم على الغيب " يشعر بأنه يدخل في هذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، وضمير (صحيحها) لمضمرات القلوب ، و

---

(١) من الآية ٨ من سورة القصص . (٢) كلمة " القبيح " ناقصة من خ .
(٣) ب ، خ : حالية .
(٤) الآية ١٧٩ آل عمران ، وانظر الكشاف ١ / ٣٤٢ .
(٥) قوله " لأن " ناقص من خ . (٦) الصحاح مادة (ميز) .

حيث يمتنع بدون البدل ، أعني ما كان قيس هلك واحد ، ويصح معه ، لا يقال : قد سبق منه تجويز حذف أحد المفعولين ، لأنا نقول : فرق بين الحذف والاقتصار ، ولا نزاع في امتناع الثاني وهو اللازم ههنا .

قوله : (ويجوز أن يقدر مضاف) يعني أن القول بالابدال دون المفعولية كان من جهة مغايرته للمفعول الأول وعدم صدقه عليه ، فلو قدر مضاف في أحد الجانبين بحيث يصح الحمل ويصدق الثاني على الأول ارتفع المانع وتم الكلام بالمفعولين ، وهذا كما يقال في قولهم : " ان الكلمة اما أن تدل على معنى في نفسها " : ان قولهم " أن تدل " لا يصلح خبرا لأن الكلمة ليست دلالة / فلابد من تقدير مضاف في ٢٤٦ب جانب الاسم أو الخبر ، أي أن دلالتها اما أن تدل أو لأنها ذات أن تدل (1) .

قوله : (وهو) أي " الذين كفروا " فيمن قرأ " لا يحسبن " بياء الغيبة (2) (رفع) على أنه فاعل " يحسبن " ، و " انما نملي لهم خير " في موقع المفعولين ، (الطول) بكسر الطاء وفتح الواو : الحبل الذي يطول للدابة لترعى فيه .

قوله : (من منحهم) أي على تقدير تفسير الاملاء بالتخلية ، (أو قطع آجالهم) أي على تقدير تفسيره باطالة العمر ، ومبناه على مذهبهم أن المقتول مقطوع عليه الأجل لا ميت بالأجل .

قوله : (كيف جاز ؟) القائلون بأن الخير والشر بارادة الله تعالى (3) يجوزون التعليل بمثل هذا ، اما لأنه غرض والغرض لا يلزم أن يكون مطلوبا بل يكفي جعله غاية للفعل ، اما لأنه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة ، وهم الذين لا يجعلون فعل الله معللا بالغرض ، وأما المعتزلة القائلون بأن فعله معلل ، وأن القبيح لا يصلح

= وقال الأصمعي : هذا البيت أرثى بيت قالته العرب وقال ابن الأعرابي : هو قائم بنفسه ماله نظير في الجاهلية ولا الاسلام ، وروى " وما كان قيس " بالواو ، انظر ديوان المعاني ١/ ١٥٢ ، ٢/ ١٧٥ ، ١٨١ والأغاني ١٢/ ١٤٨ والبيان والتبيين ٢/ ٢٤٣ ، ٣/ ١١٤ ، ومعاهد التنصيص ١/ ١٠٢ ، والوساطة ٣٨١ ، والعمدة ٢/ ١٥٣ ، ٢٩١ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٢٨٦ ، وللمرزوقي ٢/ ٧٩٢ ، وشرح القصائد السبع ٩٢ ، وأمالي المرتضى ١/ ٧٨ ، وتفسير القرطبي ٣/ ٤٤ ، والأغفال ٤٢٠ ، والبحر المحيط ٣/ ١٢٣ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢/ ٤٤١ ، وكتاب سيبويه ١/ ٧٧ .

(1) خ : أو لأنها اما ذات دلالة أو تدل .

(2) البحر المحيط ٣/ ١٢٢ .

(3) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن م .

الخروج معه عليه السلام[1]، أو للخارجين معه، أو للجميع ؟ الظاهر الأول ، لأن الخارجين لم يخافوهم بل خافوا الله تعالى وقالوا : " حسبنا الله " ، ويجوز أن يكون الخطاب للجميع قصدا الى التعريض بالقاعدين ، واذا كان الخطاب للقاعدين فأولياءه على أحد الوجهين من وضع الظاهر موضع المضمر نعيا عليهم أنهم أولياء الشيطان .

قوله : (يقعون فيه) [2] يعني ضمنت المسارعة معنى الوقوع والرغبة فعديت بفي .

قوله : (معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك) يعني أن المنهي هو الحزن المعلل [3] بهذه العلة واللائق هو الحزن [4] من جهة كون النفاق أو الارتداد قبيحا منكرا عند الله ، وذكر في سورة المائدة أن المعنى يسارعون في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين [5] ، ولا يخفى أن هذا أيضا قبيح يحتاج [6] الى تأويل .

قوله : (من حيث ان التعويل على البدل) يعني ان المبدل منه وان لم يصح [7] لتمام الكلام لكنه في حكم المنحى ، والمقصود انما هو البدل ، وهو كاف في تمام الكلام لكون ان المفتوحة مع الاسم والخبر صالحا للوقوع موقع المفعولين ، اما باعتبار حصول المقصود أعني تعلق أفعال القلوب بالنسبة بين المبتدأ والخبر ، واما باعتبار الحذف ، أي لا تحسبن خبرية الاملاء ثابتة على اختلاف الرائين ، واستشهد بمثل (جعلت متاعك بعضه فوق بعض) من حيث انه يمتنع السكوت على المبدل منه عن المبدل ، اذ لا معنى لقولك : جعلت متاعك فوق بعض ، ومع الاتيان بالبدل يتم المقصود كما ترى فكذا ههنا مع الاقتصار على المفعول الأول لا يصح الكلام ، ومع الاتيان بالبدل يصح ، وهذا كقول الحماسي :

فما كان قيس هلكه هلك واحد [8]

---

(١) قوله " عليه السلام " زائد في خ .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا ... " ١٧٦ــ١٧٨ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٤١ .

(٣) ط : يعني أن النهي عن الخوف المعلل .

(٤) قوله " هو الحزن " ناقص من خ . (٥) الكشاف ١/ ٤٩٢ .

(٦) ب ، م ، ط ، خ : يفتقر . (٧) ط ، ب ، خ : يصلح .

(٨) صدر بيت لعبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم وتمامه :

ولكنه بنيان قوم تهدما

قوله : (انما ذلكم المثبط) [١] يعني أن " ذلكم " ان [٢] كان اشارة الى القائل : " ان الناس قد جمعوا لكم " فالشيطان [٣] يحتمل أن يكون خبرا وأن يكون صفة ، والمعنى على التشبيه ، وان كان اشارة الى القول فالشيطان خبر على تقدير المضاف ، والشيطان هو ابليس ، والمعنى ان ذلك القول قول ابليس ، فالتجوز في الاضافة حيث أضيف قول نعيم الى ابليس .

وعلى التقادير فأولياءه ثاني مفعولي " يخوف " والأول محذوف ، أي يخوفكم من أوليائه الذين هم أبو سفيان وأصحابه ، ويدل عليه قوله : " فلا تخافوهم " حيث كان الظاهر عود ضمير " هم " الى الأولياء ، فيجب أن يكونوا هم المخوف منهم ليلائم النهي عن الخوف منهم ، ويحتمل أن يكون المذكور هو المفعول الأول على أن المراد بهم القاعدون عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] ، والثاني متروك أو محذوف للعلم به ، أي توقعهم في الخوف ، أو تخوفهم من أبي سفيان وأصحابه ، وحينئذ لا يصح عود ضمير " لا تخافوهم " الى الأولياء فوجب جعل " فلا تخافوهم " متعلقا بقوله : " الذين قال لهم الناس " الى قوله : " فاخشوهم " [وجعل الضمير عائدا الى الناس في قوله : " ان الناس قد جمعوا لكم " يدا لقول الناس الأول " فاخشوهم "] [٥]

وقوله : (فتقعدوا) نصب جوابا للنهي أو جزم عطفا على النهي ، وقوله : " ولا يخشون أحدا الا الله " [٦] استشهاد لا عطف على (أن تؤثروا) ليلزم حذف النون ، وقوله : (والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان) الظاهر أن هذا على تقدير وصفية الشيطان ، وأما على تقدير خبريته فنعيم لأنه المثبط ، ولما كان في هذا نوع تحكم قيل : المراد أن الشيطان نعيم أو أبو سفيان على كل من تقديري الخبرية والوصفية بجعل أبي سفيان مثبطا بمعنى كونه باعثا لنعيم على التثبيط كما جعل مخوفا لذلك ، ويصير المعنى أنه يخوفكم من نفسه وأصحابه ، وهو مستقيم ، وقيل : تخويفه هو ما قال عند انصرافه / من أحد : يا محمد ، موعدنا موسم بدر القابل . ٢٤٦ أ

بقي الكلام في أن خطاب " ذلكم " الى قوله " ان كنتم مؤمنين " للقاعدين عن

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه .. " ١٧٥ آل عمران . الكشاف (١ / ٣٤١) . (٢) كلمة " ان " ناقصة من ع .

(٣) في الأصل " ان كان " اشارة الى القول فالشيطان الخ " .

(٤) م : عليه السلام . (٥) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

(٦) من الآية ٣٩ من سورة الأحزاب .

والثانية بغزوة بدر الصغرى وهي المذكورة في هذه الآية "(١)

قوله : (تعني أبا بكر والزبير) لأن أمه أسماء بنت أبي بكر ، وهذا نوع تغليب ، وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز الا أن يراد بالأب الأصل او الطارف فيعم الأب وأب الأم . (بدر) اسم ماء كان (٢) لبني كنانة ، وهو في الأصل اسم رجل .

قوله : (قدم معتمرا) أي رجع من مكة وأتى مر الظهران .

قوله : (حتى وافوا) متعلق بقوله :(فخرج في سبعين) ، (تجارات) أي أشياء يتجر فيها ، (فالناس الأولون) المذكورون بقوله : " قال لهم الناس " (والآخرون) المذكورون بقوله : " ان الناس " ، يعني ان المعرفة وان أعيدت فليس الثاني عين الأول ، ولا اللام العهدية اشارة الى ماذكر صريحا بل الى مايعرفه المخاطبون . (فلان يصل جناح فلان) : يمده ويعاونه فيما يقصده ، تشبيها له بطائر يطير الى مقصده (٣) .

قوله : (أو مقوله) اكتفى به عن مصدر قالوا / لأن حكمهما واحد . ٢٤٥ب

قوله : (لما لم يسمعوا قوله) أي مقوله ، لأن الكلام هو المسموع حقيقة لا نفس المصدر الذي هو ايقاع الكلام . بني الجواب أولا على أن نفس التصديق والاعتقاد يقبل الزيادة والنقصان [وثانيا على أن الأعمال داخلة في الايمان فزيادتها زيادته ، وأما من لم يجعل الأعمال منه ، ولم يجعل التصديق قابلا للزيادة والنقصان](٤) فهو يحمل النصوص والآثار الدالة على أنه يزيد وينقص على أن ذلك بحسب المتعلق أعني مايؤمن به .

قوله : (قم بنا) يريد الذهاب الى مجلس الحلم .

قوله : (لرجح) أي ميزان ايمان أبي بكر (به) أي بسبب ايمانه ، والأظهر أن ضمير (رجح) لمصدر (وزن) ، والباء للتعدية ، أي يجعل ذلك الوزن ايمان أبي بكر راجحا .

قوله : (وفي ذلك)أي في قوله " فانقلبوا " الى آخره ايقاع للمتخلفين في الحسرة ، ونسبة لهم الى الخطأ ، حيث فوتوا على أنفسهم مافاز به هؤلاء .

---

(١) أي قوله تعالى : "الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .. " الآية ١٧٣ آل عمران ، وانظر تفسير الامام الرازي مفاتيح الغيب ٩٨/٢-٩٩

(٢) لفظ " كان " ناقص من الأصل . (٣) في الأصل "الى مقصد " وكذلك في م .

(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

يلائم القناديل المعلقة تحت العرش .

قوله : (لم يدركوا فضلهم) الخليفة فى هذا الوجه بمعنى التأخر الرتبى والشرفى ، وفى الوجه الأول بمعنى التأخر الزمانى ، وسوق كلامه أن " من خلفهم " بدل من الصلة أو صلة بعد صلة كما فى النعت والخبر .

قوله : (بدل من الذين) هو بدل اشتمال والمعنى : يستبشرون بعدم الخوف والحزن على الذين خلفهم من المؤمنين ، فضمير (أنهم يبعثون) لمن خلفهم من المؤمنين(١) ، وباقى الضمائر للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله .

قوله : (واحماد) وذلك بأنهم مدحوا بأنهم يستبشرون بحصول النعمة والفضل وعدم الخوف والحزن لمن خلفهم .

قوله : (وبشرى للمؤمنين) عطف على (بعث واحماد) وذلك ان استبشار الشهداء (٢) بأن المؤمنين فى نعمة وفضل وأمن ، يتضمن لا محالة الاخبار بأن لهم ذلك ، وهو معنى الفوز .

قوله : (وأن ذلك) أى وبيان لأن ذلك ، ووجه البيان على قراءة " أن الله " بالفتح ظاهر ، وأما على قراءة الكسر(٣) فلأن الاعتراض تأكيد وبيان .

قوله : (خبره للذين أحسنوا)(٤) أى مع فاعله أو مبتدئه أعنى " أجر عظيم " يعنى ان الخبر هو الجملة الظرفية أو الاسمية ، وأما على تقديركونه صفة أو مدحا فالجملة اسمية استئنافية .

قوله : (الروحاء) موضع بين مكة والمدينة ، (حضر يومنا)(٥) أى وقعتنا ، وأيام الحرب ووقائعهم .

قوله : (حمراء الأسد) ليست هى بدر الصغرى على ماقيل ، لأن ذلك كان عقيب وقعة أحد وبدر الصغرى بعد سنة ، قال الامام الرازى " مدح الله تعالى المؤمنين على غزوتين : تعرف احداهما بغزوة حمراء الأسد ، وهى المذكورة فى الآية المتقدمة (٦)

---

(١) قوله " من المؤمنين " ناقص من الأصل .

(٢) ب : ان استبشارهم أى الشهداء . (٣) البحر المحيط ٣/١١٦ .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ... " ١٧٢ـ١٧٤ آل عمران ، الكشاف ١/٣٣٩ . (٥) تفسير الطبرى ٧/٣٩٩ـ٤٠٣ .

(٦) وهى قوله تعالى : " الذين استجابوا لله والرسول .. " الآية ١٧٢ آل عمران .

الكلمة ، وقد ورد الحذف على قلة ، فقيل : المراد بالاقتصار الترك بحيث لا ينوى ولا يقدر كما جاء : أعطيت درهما ، بمعنى أن الذى صدر منى اعطاء الدرهم من غير قصد الى من أعطى ، وقيل : الجواز مذهب الأخفش ، والمنع مذهب سيبويه (١) ، فان قيل : كيف جاز (٢) نهى المقتولين ؟ قلت : لأنهم أحياء ونفوسهم باقية مدركة .

قوله : (بل احسبهم احياء) (٣) بلفظ الأمر ، ولا منع من الأمر بالحسبان لأنه ظن لا شك ، والتكليف بالظن واقع كقوله تعالى : " فاعتبروا " (٤) أمرا بالقياس وتحصيل الظن على مايراه الأصوليون ، وأما التكليف بالمجتهدات أعنى الأفعال التى لا يعلم وجوبها قطعا بل ظنا ، فليس أمرا بالظن ، وهو ظاهر .

قوله : (ذووا زلفى) يعنى ليس "عند" ههنا للقرب المكانى لاستحالته ، ولا بمعنى فى علمه وحكمه كما فى قولهم : هو كذا عند سيبويه ، لعدم مناسبة المقام ، بل بمعنى القرب شرفا ورتبة ، وفى الحواشي أن الخليل يكتب الألف عند ضمير الجماعة فرقا بينه وبين سائر الواوات ، وغيره لا يكتبها جريا على القياس ، اذ الخط يتبع اللفظ ولا ألف فى اللفظ (٥) ، فان كان اعتذارا لكتابة الألف فى ذووا فليست الواو ضميرا ، وان أرادوا المنع بناء على أنه ليس من المتنازع فله وجه ، لكن الواقع من الثقات كتابة الألف فى ذووا (٦) فكأن المقصود ههنا أن الخليل يكتبها بعد ضمير الجمع ، فكذا فى ذووا لأنه صيغة جمع على التشبيه .

قوله : (فى أجواف طير خضر) (٧) قيل : هو على ظاهره ، وأن أرواح الشهداء أعنى نفوسهم التى بها الادراك والتمييز تحل أبدان الطيور الخضر المتنعمة فى الجنة فتلتذ بذلك ، أو تتمثل طيورا خضرا وتتعلق بها فيمن / جعلها (٨) مجردة ، وقيل : ٢٤٥ أ
المراد أنها تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك ، أو تكتسب زيادة كمال ، وهذا

---

(١) قال سيبويه فى كتابه ١ / ١٨ : " هذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله الى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر ، وذلك قولك : حسب عبد الله زيدا بكرا " ، وانظر ارتشاف الضرب ٩٢٦ ، وهمع الهوامع ١ / ١٥٢ ، وشرح الأشمونى ١ / ١٦٣ .

(٢) لفظ " جاز " ناقص من ن .

(٣) انظر البحر المحيط ٢ / ١١٣ .

(٤) من الآية ٢ من سورة الحشر .

(٥) فتوح الغيب ١ / ٣٤٩ ، وتحفة الأشراف ١ / ١٨٧ .

(٦) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

(٧) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٩٧ ، وتفسير الطبرى ٧ / ٣٨٦ .

(٨) ب ، خ : يجعلها .

التصافن : اقتسام الماء بالحصص عند ضيق الماء ، ويكون بمقلة (١) ، يسقى الرجل قدر ما يغمرها ، وحاول العنبرى الزيادة المفرطة على حقه لفرط عطشه وكونه واسع البطن ، وهو معنى الجراضم بضم الجيم ، والصرائم : جمع صريمة وهى منقطع الرمل ويقل فيه الماء ، والاجهاش : تضرع الانسان الى غيره مع تهيئه للبكاء كالصبى الى الأم ، وغضون الجلد : مكاسره كالجبين ، وأسند الاجهاش اليها لأن مخايله تظهر فيها .

قوله : (وقد قعدوا) يعنى أن الواو للحال لأنه أمس بالمقصود من العطف .

قوله : (فجدوا) أمر من وجد يجد ، والمعنى أن ما ادعيتم من أنا قعدنا فنجونا من القتل ، ولو قعد اخواننا أيضا لنجوا ، ليس بمستقيم ، ولو فرض استقامته فليس بمفيد لكم ، ولا موجب لابتهاجكم ولا دعائكم الحزم وكمال الفكر فى العواقب ، أما عدم الاستقامة فلأن أسباب النجاة كثيرة فلم زعمتم أنه فى حقكم القعود ؟ غاية الأمر أن القعود والنجاة وجدا معا ، وهو لا يدل على السببية ، وأما عدم الفائدة فلأن المهروب عنه بالذات هو الموت ، وانما القتل أحد طرقه وأسبابه ، فان صح ما ذكرتم فادفعوا سائر/ الأسباب لتسلموا عن الموت كما سلمتم عن القتل ، لكنكم مع كمال عنادكم ٢٤٤ب معترفون بأنه لا سبيل لكم الى دفع الموت ، فأى فائدة لكم فى دفع أحد الأسباب ؟ هذا اذا كان متعلق الصدق هو ما تضمنته مقالتهم من أن سبب نجاتهم القعود عن القتال ، واذا كان متعلقه هو صريح مقالتهم أن اخوانهم لو أطاعوهم لما قتلوا ، فظاهر أنه لا قطع بذلك ، بل ربما لو قعدوا لقتلوا فى مقاعدهم كما قتلوا فى المعركة ، فقوله : (وما أنكرتم) عطف على (مقالتكم) ، " وما " مصدرية أى ان كنتم صادقين فى مقالتكم أن سبب نجاتكم القعود ، وفى انكاركم أن يكون السبب غيره .

قوله : (استهزاء بهم) قيل : على الوجهين ، وقيل : على الوجه الثانى ، ولكل جهة .

قوله : (ويجوز أن يكون " الذين قتلوا " فاعلا) (٢) قد اشتهر فيما بين النحاة امتناع الاقتصار فى باب علمت على أحد المفعولين ، وعلل بأنهما بمنزلة اسم واحد ، لأن المفعول بالحقيقة هو مضمونهما ، فحذف أحدهما بمنزلة حذف بعض أجزاء

---

(١) وهى حصاة تلقى فى الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ... " ١٦٩ – ١٧١ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٣٨ .

قوله : (على الرد على الذين نافقوا) بدلا منه أو صفة له .

قوله : (أو رفعا) أى (١) على الذم على تقدير : هم الذين قالوا ، وفى أكثر النسخ " نافقوا " وليس على ماينبغى .

قوله : (ويجوز أن يكون مجرورا) وحينئذ يكون من باب التجريد كما فى قوله :

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا (٢)

أى ويشرب بكف من كرم وجاد ، واستشهد لابدال المظهر من ضمير الغائب بقول الفرزدق :

على حالة لو أن فى القوم حاتما * (على جوده لضن بالماء حاتم)

بجر (حاتم) بدلا من ضمير (جوده) ، لأن القوافى على الكسر ، وقبله :

فلما تصافنا الاداوة أجهشت * الى غضون العنبرى الجراضم

فجاء بجلمود له مثل رأسه * ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على حالة .. البيت (٣)

---

(١) كلمة " أى " ناقصة من الأصل .

(٢) للأعشى وهو فى ديوانه ١٧١ ، وأسرار البلاغة ٢٩١ ، والمطول ٤٣٣ ، والايضاح ١٦٢ ، ٢٠٦ ، وحسن التوسل ٧٨ ، والكامل فى اللغة ١/ ٣٥ ، ومعاهد التنصيص ٣/ ١٤ ، وسمط اللآلى ١/ ٤٥ ، والخزانة ٤/ ٣٨٥ .

(٣) للفرزدق يعتذر عما وقع منه فى السفر مع عاصم العنبرى ، وكان دليل الفرزدق فضل به الطريق ، وعند اقتسام الماء أراد العنبرى أن يزيد على حقه فمنعه الفرزدق وكان من الأجواد ، فكأنه وجد من نفسه وعذرها بهذه الأبيات وقد شرح السعد مفرداتها بما فيه الكفاية ، وروى " فلما تضاما فى الاداوة أجهشت " وفى البيت الثانى : " وجاء " بجلمود له مثل رأسه " ليسقى عليه الماء " .. وفى الثالث " على ساعة لو كان فى القوم حاتم "

" على جوده ضنت به نفس حاتم "

انظر شرح ديوان الفرزدق ٢/ ٨٤١ ، ٨٤٢ ، والعمدة لابن رشيق ١/ ٢٦٠ ، والكامل للمبرد ١/ ١٣٧ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٣٣٧ ، وتنزيل الآيات ٥١٩ ، واعراب القرآن ٢/ ٥٧٧ ، والمستقصى فى أمثال العرب ١/ ٥٤ ، وتفسير أرجوزة أبى نواس ٢٠ ، وسمط اللآلى ٢/ ٨٤١ ، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٢٢٠ ، والشواهد للعينى ٤/ ١٨٦ ، وأساس البلاغة مادة (صفن) ، والصحاح مادة (حتم) ، ولسان العرب مواد (جلمد) ، (جرضم) ، (حتم) ، (صفن) .

قوله : (وانما لم يقل فقالوا) لو نعلم قتالا ، بدل " قالوا " .

قوله : (دعاء المؤمنين) فى قوله تعالى : " قيل لهم تعالوا قاتلوا " ، (فماذا قالوا لهم ؟) أى المنافقون للمؤمنين .

قوله : (كلاما مبتدأ) عطف على جملة " وما أصابكم فباذن الله " .

قوله : (قسم الأمر) تفسير لقوله : " قيل لهم تعالوا " سواء كان من تتمة الصلة أو لا ، (رأسا) أى بالكلية ، فى الأساس : " دخل [1] فى الدغل ، وهو نحو الغيل والشجر الملتف الذى يتوارى فيه للختل والغيلة ، ودغل القانص دخل فى مكان خفى لختل الصيد ، ومن المجاز : دغل أى فساد وريبة "[2] .

قوله : (ووجه آخر) [3] هذا الوجه ظاهر ، وهو أن نفى العلم بالقتال كناية عن نفى أن يكون ماهم فيه قتالا ، بناء على أن القتال الحقيقى هو أن يكون للجانبين نوع تكافؤ وتقارب ورجاء مدافعة أو غلبة ، وأما فى الوجه الأول فدلالة نفى العلم بالقتال على نفى القدرة عليه غير ظاهرة ، وكأنه [4] جعل العلم بالفعل الاختيارى من لوازم القدرة عليه فعبر بنفيه عن نفيها .

قوله : (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) الظروف كلها متعلقة بأقرب ، لما فيها من الاتساع ، لكن تعلق " للكفر " باعتبار الزيادة ، وتعلق " للايمان " من حيث المفعولية / كأنه قيل : قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان ، وصلة القرب ٢٤٤ أ تكون " من " أو " الى " ، تقول : قريب[5] منه واليه ، ولا تقول : له ، وقيل : اللام بمعنى الى ، وأما على تقدير حذف المضاف أعنى أهل الكفر وأهل الأيمان ، ففى كلامه اشارة الى أن اللام متعلق بالتميز المقدر ، أعنى " نصرة " كما تقول : أنا لزيد أشد ضربا منى لعمرو ، ولا يبعد ذلك عند عدم اعتبار حذف المضاف أيضا ، وقوله : (تباعدوا) مبنى على أن القريب بالنسبة الى الأقرب بعيد .

---

(١) فى خ زيادة " عليه " .
(٢) انظر اساس البلاغة مادة (دغل) ، والختل : الخدع والغيل : الشجر الملتف ، ويقال : قتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به الى موضع فيقتله فيه .
(٣) أى فى تفسير قوله تعالى : " لو نعلم قتالا لا تبعناكم " الكشاف ٢٣٧/١ .
(٤) خ : فكأنه .
(٥) ب ، م ، ط : قرب ، خ : يقرب

قوله : (قد أصبتم [١]) أى نلتم ووجدتم فى موضع [٢] الصفة لمصيبة ، و " قلتم " جواب " لما " فانه ظرف بمعنى حين ، يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماض لفظا أو معنى ، والجملة بعده فى محل الجر لاضافة لما اليها ، كما في سائر الظروف اللازمة الاضافة ، وناصبه ماوقع موقع الجزاء ، و " أنى هذا " جملة اسمية متقدمة الخبر وقعت مقول القول فكانت نصبا على المفعولية ، وجملة : قلتم كذا لما أصابتكم كذا : فعلية معطوفة على قوله : " ولقد صدقكم الله وعده " الى قوله : " لفى ضلال مبين " لأن الكل متعلق بقصة أحد من غير تخلل أجنبى ، والهمزة فى " أو لما أصابتكم " متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه ، (للتقرير) بمعنى التثبيت/ أو الحمل على الاقـرار ، ٢٤٣ ب (والتقريع) على مضمون المعطوف .

قوله : (لقوله : من عند أنفسكم) فى هذه الآية ، و " من عند الله " فى الآية المستشهد بها [٣] ، ولو كانت " أنى " بمعنى كيف ، لم يطابق هذا الجواب ، ومعنى كونه من عند أنفسهم أنهم السبب فيه ، لا الفاعل والخالق كما فى " عند الله " .

قوله : (يصيب بكم) أصاب منه : هزمه ونال منه ماأراد ، وأصاب به : جعله واجدا [٤] من العدو ماأراد .

قوله : (فهو كائن باذن الله) اشارة الى أن الظرف خبر المبتدأ ، ودخول الفاء لتضمن معنى الشرط ، ووجه السببية ليس بظاهر ، اذ ليست الاصابة سبب التخلية ، بل بالعكس ، فهو من قبيل : " وما بكم من نعمة فمن الله [٥] " ، أى ذلك سبب للاخبار بكونه من الله تعالى [٦] على ماذكرنا أن القيد فى الأمر قد يكون للمطلوب ، وقد يكون للطلب ، فكذا فى الاخبار . فان قيل : تقدير (هو كائن) يخالف ماتقرر من أن الظرف مقدر بالفعل ، قلنا هو بيان للمعنى ، والا فالتقدير : فباذن الله يكون ويحصل . وجعل الاذن مجازا عن التخلية اللازمة للاذن ، لأن حقيقته انما تكون عند الأمر أو الرضا . و " ليعلم " عطف على " باذن الله " ، والمراد التمييز لحصول العلم قبل الاصابة .

---

(١) فى تفسير قوله تعالى : " أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ... " ١٦٥ـ١٦٨ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٣٦ .

(٢) ب ، م ، ط : فى موقع . (٣) وهى الآية ٣٧ من سورة آل عمران .

(٤) خ : أخذا . (٥) من الآية ٥٣ من سورة النحل .

(٦) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ب .

قوله : (والمعنى) أى على تقدير ذووا درجات أنهم ذووا منازل متفاوتة ، أو ذووا أحوال متفاوتة .

قوله : (عالم بأعمالهم) يشير الى أنه لا معنى لكونه سميعا بصيرا سوى العلم (١) بالمسموعات والمبصرات .

قوله : (وانه لذكر) (٢) أى شرف ونباهة ، (ذروة) الشيء أعلاه ، (الضئضيء) الأصل ، وكذا (العنصر) بضم الصاد وفتحها ، (الحضنة) جمع حاضن ، (السواس) جمع سايس كحكام جمع حاكم (٣) ، ساس الرعية سياسة : قام بأمرهم ، (محجوجـــا) يحجه الناس ، أى يقصدونه ، وتمام الخطبة بعد قوله : (الا رجح به) قوله : " فـــان كان في المال قل ، فالمال ظل زائل ، ولهو حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقـــد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ماعاجله وآجله من مال كذا ، وهـو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل . (٤)

قوله : (وفيه وجهان) (٥) مبناهما على أن كلا من اذ واذا كما تستعمل ظرفـــا تستعمل اسما ، فعلى الظرفية ههنا المبتدأ محذوف أى منه أو بعثه ، والظـــــرف [متعلق به (٦) ، و " من من الله " خبره ، والدال على المحذوف هو الخبر ان قدر منه ، والظرف (٧)] ان قدر بعثه ، وكذا في (أخطب مايكون الأمير قائما) يكـــون الخبر محذوفا والظرف دالا عليه ، أى أخطب اكوان الأمير وأوقاته حاصل اذا وجـــد قائما ، وعلى الاسمية لا حذف ، لأن " اذ " مرفوع على الابتداء و " من من اللــــه " خبره ، أى من من الله وقت بعثه ، على طريقة : نهاره صائم ، واذا مرفوع على الخبرية أى أخطب أوقات الأمير وقت كونه قائما ، وما ذكر من لزوم حذف الخبر انما هو علـــى تقدير ظرفية " اذا .

قوله : (من قبل) ظرف لغو متعلق بكان ، و " في ضلال " مستقر خبر كـــان ، وكان مع الاسم والخبر خبر " ان " المخففة المحذوفة الاسم الذى هو ضمير الشـــأن ، وان مع الاسم والخبر في موقع الحال .

---

(١) خ : سوى كونه عالما .
(٢) من الآية ٤٤ من سورة الزخرف .
(٣) الأصل : نحكام في حاكم .
(٤) قوله " وخطر جليل " ناقص من الأصل ومن ط .
(٥) البحر المحيط ٣/١٠٤ .
(٦) قوله " به " ناقص من م .
(٧) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .

ليطلع طلع العدو ، أى حقيقة أمرهم .

قوله : (فغنمت غنائم) (١) على لفظ المبنى للمفعول أى حصلت غنائم بعد بعث الطلائع .

قوله : (تغليظا وتقبيحا) قد استقبحت من المصنف هذه العبارة ، فان العادة قد جرت باللطف مع النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ، والأولى أنه تعظيم لجانبه حيث عد أدنى زلة منه غلولا .

قوله : (ألا لا أعرفن) (٣) يحتمل أن يكون دعاء ، وأن يكون نهيا على طريقة : لا أرينك ههنا ، ظاهره نهى نفسه ، والمقصود نهى المخاطب أن يكون بتلك الحال .

قوله : (وعن بعض) ايراده فى كتب التفسير انما يليق بالجفاة .

قوله : (يأت (٤) بما احتمل من وباله) تعبير بما غل عما لزمه من التبعة والاثم .

قوله : (ليتصل به) يعنى أن ظاهره غير متصل لعدم الرابط .

قوله : (هم درجات) (٥) تشبيه بحذف الأداة ، والضمير لمن اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله جميعا .

قوله : (أنصب للمنية) البيت لابن عرمة ، وقيل : لبلقاء بن قيس ، أى أمنصبون لها (رجالى) بمنزلة الهدف (تعتريهم) بلا مبالاة ، (ام هم) طرق (السيول) تسلكها على / تفاوت الدرجات؟ ، وضمير تعتريهم لرجالى ، لكونه مقدما تقديرا ، لكونه مبتدأ ، يصف موتانا وقع فيهم (٦) ٢٤٣ أ

---

(١) تفسير الطبرى ٧ / ٣٥١ . (٢) خ : عليه الصلاة والسلام .
(٣) انظر صحيح البخارى ٧ / ١٧٤ ، وصحيح مسلم ٢ / ١٦ ٢ ، وتفسير الطبرى ٧ / ٣٥٦ .
(٤) فى الكشاف ١ / ٣٣٥ : يأتى .
(٥) شروع فى تفسير قوله تعالى : " هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ... " ١٦٣ ــ ١٦٤ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٣٥ .
(٦) انظر ديوان ابن عرمة ١٩٢ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٣٥ ، وتنزيل الآيات ٤٧٩ ، واعراب القرآن ومعانيه ٢ / ٤٣٥ ، والخزانة ١ / ٢٠٣ ، والأزمنة والأمكنة ١ / ٣٠٧ ، وكتاب سيبويه ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، وأساس البلاغة مادة (درج) ، وكذلك لسان العرب .

الآية ،والضمير لله تعالى على حذف المضاف ،أى من بعد خذلانه فهو اسم للوقت ، أو بدون الحذف فهو للمكان وقصد به مجرد المجاوزة.

قوله : (وفيه ترغيب) من جهة دلالته على أنه لا ناصر سواه ،مع العلم بأنه/ لا ٢٤٢ب نصرة منه ولا خذلان بدون الاستحقاق.

قوله : (ولأن ايمانهم) اشارة الى ماتقرر من أن تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية ،وايجاب الايمان ذلك مبنى على أن فيه التصديق بصفات الله تعالى وأحواله وأنه الذى يتولى أمور العباد .

قوله : (هدايا الولاة غلول) (٢) خيانة وسرقة من بيت المال .

قوله : (ومنه (٣) ليس) (٤) ،لم يقل "وقوله" اشعارا بأنه ليس من حديث النبى صلى الله عليه وسلم (٥) ،ففى الفائق أنه قول شريح ،وغير المغل : من لا خيانة عنده (٦) .

قوله : (وعنه) لم يقل " ومنه " اشعارا بأنه كلام النبى صلى الله عليه وسلم (٧) ، ذكر فى الفائق " أن النبى صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة عام الحديبية كتب بينه وبينهم كتابا وكتب فيه " أن لا اغلال ولا اسلال وأن بينهم عيبة مكفوفة " ،يقال : غل على فلان كذا ،اذا اقتطعه ودسه فى متاعه ،من غل الشىء فى الشىء أدخله فيه فانغل ،وسل البعير وغيره فى جوف الليل اذا انتزعه من بين الابل ،وهى السلة ، وأغل وأسل : صار ذا غلول وسل (٨) ،ويكون أيضا بأن يعين غيره عليهما ،وقيل : الاغلال لبس الدرع ،والاسلال سل السيوف ،والمكفوفة المشرجة أى المشدودة الشرج ، مثل بها الذمة المحفوظة التى لا تنكث (٩) " .

قوله : (كما لم يقسم يوم بدر) فى احدى الروايتين ،وفى أخرى أنه قسمها ، (بالسوية) بعد أن جعلت له صلى الله عليه وسلم ، (طليعة الجيش من بعث

---

(١) وهى قوله تعالى : " مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده " من الآية ٢ من سورة فاطر .
(٢) انظر مسند الامام أحمد ٥/٤٢٤ . (٣) فى الكشاف ١/٣٣٣ " وعنه "
(٤) انظر النهاية فى غريب الحديث ٣/٣٨١ .
(٥) م : عليه السلام . (٦) الفائق ٢/١١٥ .
(٧) النهاية فى غريب الحديث ٢/٣٩٢ .
(٨) ب ،ح : وسلة . (٩) الفائق ٢/١١٤ ـ ١١٥ .

قوله : (بالموت أو القتل) [1] ،قدم الموت ملاحظة لقوله تعالى : " ماماتوا وما قتلوا " ،وان كان القتل مقدما فى المفسر أعنى قوله : " ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم " لأنه أوفق بالمقام وأحق بالمغفرة والرحمة ،وقدم فى الاخبار بالحشر الموت ،لأن المحشور بالموت أكثر من المقتول ،[(طلاع) الشيء : ملؤه ، (الذهبة) القطعة من الذهب][2] .

قوله : (ولوقوع اسم الله تعالى) يعنى لما كان اسما للذات الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره فى معرض الوعد منبئا عن غاية الرضا والكرم والرحمة ،وفى معرض الوعيد عن غاية السخط والانتقام ،وتقديمه يدل على الحصر [أى اليه تحشرون لا الى غيره ، فلا رجاء ولا خوف الا منه ،وادخال لام القسم على الحرف المتصل به يشعر بتأكيد هذا الحصر][3] والاختصاص وبأن ألوهيته هى التى تقتضى ذلك .

قوله : (مامزيدة) [4] الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور ،وزيادة " ما " انما تفيد تأكيد ذلك ،فلذا قيل : ان فى كلامه حذفا ،أى مامزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة .

قوله : (ربطه) أى ربط الله على جأش النبى صلى الله عليه وسلم [5] ،وجأش القلب بالهمز روعه اذا اضطرب عند الفزع ،وفلان رابط الجأش وربيط الجأش أى شديد القلب كأنه يربط نفسه عن الفزع بشجاعته ، وانما جعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجأش لأن من ملك نفسه عند الغضب كان كامل الشجاعة ، (المباثة) المحادثة بالحزن من البث وهو الحال والحزن (الفظاظة) سوء الخلق وترك حسن العشرة ، و(غلظ القلب) القساوة وعدم الرقة وقلة تأثر القلب .

قوله : (على الأرشد الأصلح) يعنى ليس التوكل اهمال التدبير بالكلية ،بل مراعاة الاسباب مع تفويض الأمر الى الله تعالى .

قوله : (من بعده) [6] الأول من تتمة الآية المستشهد بها [7] ،والثانى من هذه

---

(١) فى الكشاف ١ / ٢٣٢ " والقتل " .
(٢) مابين المعقوفين مقدم فى خ ،ب ،م ،ط على قوله السابق ص ٨٤٥ " ونهى المسلمين عن ذلك " ومافى الأصل هو الموافق لما فى الكشاف .
(٣) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٤) فى تفسير قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم .. " ١٥٩ آل عمران ، الكشاف ١ / ٢٣٢ .
(٥) ب ،م : عليه السلام ،خ : عليه الصلاة والسلام .
(٦) فى تفسير قوله تعالى " ان ينصركم الله فلا غالب لكم ... " ١٦٠-١٦٢ آل عمران ،الكشاف ١ / ٢٣٣ .

الاستقبال ، وتقييد القول بالضرب انما هو باعتبار الجزء الأخير وهو الموت والقتل ، فانه وان لم يذكر لفظا لدلالة قوله : " ماماتوا وما قتلوا " عليه ،فهو مراد معنى ، والمعتبر المقارنة عرفا كما في قوله تعالى : " فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام[1] " ،وكقولك : اذا طلع هلال المحرم أتيتك في منتصفه .

ولا أرى ماذكروه تقريرا لكلام المصنف ،وقال الزجاج : " اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل "[2] ،يعني انه لمجرد الوقت أو لقصد الاستمرار،والذي يقتضيه النظر الصائب أن لا يجعل " اذا ضربوا " ظرف " قالوا " بل ظرف مايحصل للاخوان حتى يقال لأجلهم وفي حقهم ذلك القول ،كأنه قيل : قالوا لأجل الأحوال العارضة للاخوان[3] اذا ضربوا ،بمعنى حين كانوا يضربون .

قوله : (مامتعلق ليجعل ؟) أجاب بأن متعلقه " قالوا " ،فيدخل في صلة المشبه به وتكون اللام للتشبيه بالغرض حيث ترتب ذلك على قولهم . أو " لا تكونوا " فلا يدخل في الصلة وتكون اللام على حقيقة العلية والغرضية ،لكن حينئذ يجوز أن يكون " ذلك " اشارة الى قولهم كما في الوجه الأول ،فيكون اسناد جعله حسرة الى الله تعالى بمعنى أنه يرتب عليه الحسرة ويضعها عقيبه في قلوبهم ،وأن يكون اشارة الى مضمون "لا تكونوا " أو هو أعني انتفاء كونكم مثلهم قد جعله الله سبب حسرتهم ، فالنسبة بين مفعولي " يجعل " مجازية على الوجه الأول[4] ،لكن في الثالث على طريق السببية المجعولة من الله تعالى حقيقة بخلاف الأولين ،فقوله / (فاعتقاده ٢٤٢ أ فعلهم) مبتدأ وخبر ،وضمير اعتقاده لذلك المعتقد الفاسد وهو أنهم لو كانوا معهم لما ماتوا ،واضافة (مخالفتهم) و (مضادتهم) الى المفعول ،والضمير للكافرين .

قوله : (كما يموت العير) هو حمار الوحش يموت غالبا بطبعه مع طول عمره لا يذبح ولا يهلك في قتال .

قوله : (لمغفرة جواب القسم) اشارة الى أن اللام في " ولئن قتلتم " هي الموطئة للقسم ،وكذا في "ولئن متم " .

قوله : (ونهى المسلمين عن ذلك) الزعم بقوله : " لا تكونوا كالذين كفروا " .

---

(١) من الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

(٢) انظر اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٤٣٣ .

(٣) قوله " للاخوان " ناقص من الأصل .

(٤) لفظ " الأول " ناقص من الأصل .

ومغبرة رفع عطفا على حزون فيما قبله :

لعمرك ما عند وان شحطت بها * نوى غربة عما أريد شطون

بناقضة عهدى ولو حال دونها * حزون بدا من دونهن حزون (١)

قوله : (على حذف التاء) اذ لم يجئ في جمع فاعل فعل بالتخفيف ، بل فعله سيما في المنقوص كقضاة وعصاة .

قوله : (كيف قيل : " اذا ضربوا ") — وهو للمستقبل — (مع " قالوا ") — وهو للماضى فيصير المستقبل من وقت المسافرة ظرفا للقول الماضى ؟ فأجاب بأنه على حكاية الحال الماضية ، ومعناه أنك تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان الماضي ، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن ، وهذا كقولك : / قالوا ذلك حين يضربون ، ٢٤١ ب والمعنى حين ضربوا ، الا أنك جئت بلفظ المضارع استحضارا لصورة ضربهم في الأرض ، وهذا مشعر بأن الموقع موقع ان .

واعترض بوجهين :

الأول — أن حكاية الحال انما تكون حيث يؤتى بصيغة الحال ، والمذكور ههنا صيغة الاستقبال لأن معنى " اذا ضربوا " حين يضربون فيما يستقبل .

الثانى — أن قولهم : " لو كانوا عندنا " انما هو بعد موتهم فكيف يتقيد بالضرب في الأرض كيفما اعتبر وانما هو حال حياتهم ؟ .

وأجيب عن الأول بأن " اذا ضربوا " في معنى الاستمرار كما في قوله : " واذا لقوا الذين آمنوا " (٢) ، فيفيد الاستحضار نظرا الى الحال .

وعن الثانى بأن " قالوا لاخوانهم " في موقع جزاء الشرط من جهة المعنى ، فيكون المعنى لا تكونوا كالذين كفروا ، واذا ضرب اخوانهم في الأرض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا ، قالوا لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، فالضرب والقول كلاهما في معنى

---

(١) النوى نية النفس حيث تنوى وتذهب اليه ، وشطون أى بعيد ، والحزون : الغلاظ من الأرض ، والمغبرة : الأرض ، والآفاق : الجوانب بين الأرض والسماء ، وخاشعة : مستوية ملساء لاصقة بالأرض ، وروى : " ولو شحطت " بدل " وان شحطت " أي بعدت ، وروى " بناسية " بدل "بناقضة " ، انظر ديوان امرئ القيس ٢٨٣ ، والفائق ٢ / ٦٣ .

(٢) من الآيتين ١٤ ، ٧٦ من سورة البقرة .

وسلم [١] من الثبات فى المركز ، واما الذنوب السابقة لا بطريق الانجرار بل /بطريق ١ ٢٤١ أ كراهتهم الجهاد معها ، فاستزلال الشيطان بها ايقاعهم فى التولى بتذكيره اياهم تلك الذنوب حالة القتال ، فصار للوجه الثانى أربعة أوجه لا خفاء فيها •

وانما الخفاء فى الوجه الأول المبنى على أن الزلل ليس هو التولى والانهزام ، بل الذنوب المفضية اليه من جهة منعها التأييد وتقوية القلب ، والمعنى : ان الذين تولوا انما سبب توليهم استزلال الشيطان اياهم ببعض الذنوب ، أى ايقاعهم فى الزلل ودعاءهم اليه ، بأن اقترفوا ذنوبا لم يستحقوا معها التأييد الالهى وقوة القلب فلذا تولوا ، والجار والمجرور أعنى " ببعض ماكسبوا " فى موقع البيان والتقرير للزلل ، كأنه قيل : دعاهم الى الزلل وأوقعهم فيه بأن أطاعوه واقترفوا الذنوب ، كما يقال [٢] استزله الشيطان بقتل المسلم ، فقوله : (استزلال الشيطان اياهم هو التولى) معناه أن الزلل الذى يتضمنه " استزلهم الشيطان " هو التولى ، وذلك لكونه زللا عن موطىء القدم والمركز المأمور به ، وعن موقف الحق أيضا ، واذا أريد به الذنوب فبالمعنى الأخير •

قوله : (كقوله تعالى : ويعفو عن كثير) [٣] فى أنه انما يؤاخذ بالبعض ، ومبناه على أن " ماكسبوا " هو سيآت ماكسبوا ، وان أريد مفهومه الأعم فالذنوب بعضها لا محالة •

قوله : (والله غفور) فى القرآن " ان الله غفور " [٤] •

قوله : (غزى) [٥] بالتشديد جمع على فعل كفسق ، وقد قل هذا الجمع سيما فى المنقوص فاستشهد بقول أمرىء القيس :

ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى * لها قلب (عفى الحياض أجون)

الصوى جمع صوة وهى الحجارة تنصب علما فى المفازة ، يصفها بأنها غير مسلوكة ، وبأن حياضها دارسات ، ومياهها آجنة متغيرة ، والقلب جمع قليب وهى البئر القديمة

---

(١) ب : عليه السلام ، خ : عليه الصلاة والسلام •
(٢) خ : كما تقول • (٣) من الآية ١٥ من سورة المائدة •
(٤) وكذلك فى الكشاف ١ / ٣٣١ ولعل النسخ التى اعتمد عليها السعد كانت كما أورد •

(٥) فى تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى ••• " ١٥٦ ـ ١٥٨ آل عمران الكشاف ١ / ٣٣١ •

لي لا تضرب ،فحاصل السؤال أن متعلق الظن نسبة اخبارية لكونها [1] من دواخل المبتدأ والخبر ،فكيف يقع ما هو حكاية عن الاستفهام ترجمة له والمطابقة واجبة بين الحكاية والمحكى ؟ فأجاب بأن السؤال لما كان صادرا عن الظن بناء على أنه طلب علم فيما يشك أو يظن ،جاز ابداله منه ،اذ الظن أو العلم عند التحقيق متعلق بما يقال في جواب ذلك الاستفهام ،كما تقول : أمرني قال لي : اضرب ،ونهاني قال لي : لا تضرب ،فقوله : (فلذلك جاز ابداله) أي ابدال ما هو مسألة عن الأمر (منه) أي من الظن ،أو ابدال " يقولون " من " يظنون " .

قوله : (بين الحال وذي الحال) هو في التحقيق : الواو في " يقولون هل لنا " ، وفي الظاهر : " يقولون " [حيث جعل [2] " يخفون " حالا منه .

قوله : (ويقولون بدل من يخفون) يعني " يقولون [3]] لو كان لنا " . (والأجود أن يكون) " يخفون " (استئنافا) لا حالا ،لكثرة فوائد الاستئناف ،وقلة الاعتراض بين الحال وذي الحال ،ولأنه لو كان بدلا من " يخفون " و " يخفون " حال من " يقولون هل لنا " لكان هو أعني " يقولون لو كان لنا " في موقع الحال من " يقولون هل لنا " ولا خفاء في عدم المقارنة اذ " يقولون لو كان لنا " مرتب على قوله : " ان الأمر كله لله " المقول بعد قولهم : " هل لنا " ،ومن هنا قيل : المعنى ان الأجود أن يكون " يقولون " استئنافا ،لا بدلا من " يخفون " لتأديه الى ذلك ،ومنهم من علل عدم المقارنة بامتناع اجتماع قولين من متكلم واحد ،وأنت خبير بأن مقارنة الحال والعامل ليس على هذا التضييق ،كيف وقد سبق أن المراد قولهم في أنفسهم على أحد الوجهين ؟ .

قوله : (طلب منهم الزلل [4]) ذكر في معنى الآية وجهين : مبنى الثاني على أن الزلل الذي أوقعهم فيه ودعاهم اليه هو التولي ،و " بعض ما كسبوا " اما الذنوب السابقة — ومعنى السببية انجرارها اليه [5] كما في الطاعات يجر البعض الى البعض — واما قبول ما زين لهم الشيطان من الهزيمة ،واما مخالفة ما أمر به النبي صلى الله عليه

---

(1) ح : لكونه .　　(2) ب ،خ : يجعل .
(3) ما بين المعقوفين ناقص من ط .
(4) في تفسير قوله تعالى : " ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان .. " ١٥٥ آل عمران ،الكشاف ١/ ٤٣١ .
(5) قوله " اليه " ناقص من خ .

قوله : (يقولون فى أنفسهم [1]) اذ لو قالوا ذلك للمؤمنين لما كانوا منافقين بل مجاهرين .

قوله : (لم يكن بد) جزاء الشرط ، أعنى (من علم الله) ، ومن مبتدأ خبره الشرط والجزاء ، والعائد فى الشرط أعنى (منه) ، وضمير (وجوده) (لذلك) ، وهو اشارة الى أنه يقتل ويصرع .

قوله : (وقيل : معناه) عطف على قوله : (معناه هل لنا معاشر المسلمين ؟) .

قوله : (وليبتلى الله) متعلق بمحذوف أو عطف على علة محذوفة مع معللها .

قوله : (كيف مواقع الجمل) الخمس الاخبارية التى هى [2] : " قد أهمتهم أنفسهم " ، " يظنون بالله " ، " يقولون هل لنا " ، " يخفون فى أنفسهم " ، "يقولون لو كان " ، والواحدة الطلبية التى هى : " قل ان الأمر " ، ولم يجعل شيئا من الجمل فى موقع الخبر لطائفة قصدا الى أن مضمونها مقرر معلوم الثبوت للمنافقين ، لا حاجة الى الاخبار عنه ، فالخبر محذوف أى وثمة طائفة ، أو ومنكم طائفة على أن الخطاب للجميع من المؤمنين والمنافقين ، أو وطائفة أخرى لم يغشهم النعاس ، وذهب الزجاج الى أن " قد أهمتهم " صفة و " يظنون " خبر [3] ، ولا يبعد أن يكون " قد أهمتهم " خبر ، لأن النكرة موصوفة فى التقدير ، أى وطائفة أخرى ، وبالجملة الواو للحال نص عليه سيبويه [4] ، وقيل : للعطف على الجملة الفعلية اشعارا بحدوث الأمن للمؤمنين واستمرار الخوف بالمنافقين ، ولا يخفى أن هذا انما يحسن على تقدير أن تجعل بعض الجمل فى موقع الخبر . ٢٤٠ / ب

قوله : (كيف صح أن يقع ماهو مسألة عن الأمر بدلا من الاخبار بالظن) اعترض بأن ماجعل بدلا ليس هو المسألة عن الأمر ، بل القول بها ، وأجيب بأن المراد القول بها ، ويدفعه مانقل عن المصنف فى تقرير السؤال وهو أن " يقولون هل لنا " تفسير للظن وترجمة له ، والاستفهام لا يكون ترجمة للخبر ، لا يصح أن تقول : أخبرنى زيد قال لى : لا تذهب ، وكذلك كل مالاطباق له نحو : نهانى قال لى : اضرب ، وأمرنى قال

---

(١) كان ينبغى تقديم هذا القول على القول السابق ليكون على وفق مافى الكشاف ١ / ٣٣٠ .

(٢) كلمة " هى " ناقصة منم .

(٣) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢ / ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٤) كتاب سيبويه ١ / ٤٧ .

قوله : (بمعنى نعستم أمنة) ان أراد أنه مفعول له للمصدر الذي هو "نعاسا " ففيه تقديم معمول المصدر ، وان أراد أنه بتقدير فعل هو نعستم فليس للفصل موقع حسن .

قوله : (وقد أهمتهم) أهمه الأمر : كان مهما له معتنى بشأنه ، وأهمه : أقلقه وأحزنه ، فالأول من الأول ، والثاني من الثاني ، والحصر مستفاد من المقام .

قوله : (غير الحق) اما مفعول مطلق ليظنون على طريق النوعية دون التأكيد ، و " ظن الجاهلية " بدل منه ، واما مصدر مؤكد لمضمون الجملة محذوف العامل ، و " ظن الجاهلية " مفعول مطلق ، أي يظنون ظن الجاهلية يقولون قولا غير الحق ، ثم في اضافة ظن الجاهلية سواء كان بدلا أو مفعولا مطلقا وجهان ،

أحدهما — أن تكون اضافة (١) الموصوف / الى مصدر الصفة ، ومعناها الاختصاص ٢٤٠ أ بالجاهلية كما في حاتم الجود ورجل صدق ، على معنى حاتم المختص بوصف الجود ورجل مختص بوصف الصدق .

والثاني — أن تكون اضافة المصدر الى الفاعل على حذف المضاف ، أي ظن أهل الجاهلية ، أي الشرك والجهل بالله تعالى (٢) وبالحق .

واسناد (أن يظن) الى ضمير الظن ربما يشعر بأن المراد بغير الحق المظنون لا الظن ، فلا يكون مفعولا مطلقا ، فالوجه الحمل على الاسناد المجازي .

قوله : (غير ماتقول) أي أقول قولا غير ماتقول ، و (لا قولك) أي لا أقول قولك وكل منهما مؤكد (لقولك : هذا القول) لدفع احتمال الغير .

قوله : (معناه هل لنا ؟) يشير الى أن " من شيء " مبتدأ وخبره "لنا " ، أو فاعل للظرف لاعتماده على الاستفهام ، و " من " مزيدة ، و " من الأمر " حال من فاعل الظرف أعني الضمير في " لنا " أو " شيء " لكونه مرفوعا حقيقة لا مجرورا .

قوله : (لله ولأوليائه) يعني أن كون الأمر له تعالى كناية عن كونه لخواصه أيضا لكونهم بمكان من الله تعالى ، وكونهم منصورين غالبين على الأعداء ، فلا معنى لنفي الأمر بمعنى النصر والاظهار عنهم .

---

(١) كلمة " اضافة " ناقصة من خ .　　(٢) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل

قال : (المسلمون على آثارهم / يحسونهم حتى اذا فشلوا) ،فالوجه أن السؤال عما ٢٣٩ ب
يتم به " حتى اذا " ويدخل في معنى اللازم ،فأجاب بأنه محذوف ،فاذا شرطيـــة وحتى ابتدائية داخلة على الجملة ،أو لا حذف و " حتى " حرف جر بمعنى الـــى داخل على اسم نحو " اذا " فانه قد يقع اسما كما في قولهم : اذا يقوم زيـــد اذا يقعد عمرو ،وكما في قوله تعالى : " والليل اذا يغشى [1] " فيمن جعله بدلا مـــن الليل ،وفي قوله : (الى وقت) اشارة الى أن حتى ههنا ليست على دخول مابعدها في حكم ماقبلها ،وفي قوله : (أين متعلق حتى اذا) دون أن يقول : " متعلق حتى " اشارة الى أن وجه السؤال ماذكرنا ،وبه يندفع اعتراض التقريب بأن (منعكم) ليـــس متعلق (حتى اذا) لأدائه الى كون زمان الفشل غاية منع النصر [2] .

قوله : (نصيبصرفكم أو بيبتليكم) وما بينهما اعتراض (أو باذكر) يعني جنـــس هذا الفعل فيقدر اذكروا ،لا اذكر ،ويحتمل أن يكون من قبيل : " ياأيها النبي اذا طلقتم " [3] .

قوله : (وقد ذكرنا وجهها) وهو قلب الواو همزة ثم تخفيفها [4] .

قوله : (بسبب غم) فالباء متعلق بأثابكم ،وعلى الثاني ظرف مستقر ،و (الجــرح) عطف على (ماأرجف به) ،و (ظفر المشركين) يعني غلبتهم ،والا فالظفر كـــان للمسلمين ،و (آساكم) من آسيته [5] بمالي مواساة : جعلته أسوتي فيه ،والبـــاء للسببية ،ويحتمل البدلية كما في الوجه الأول لا الاتصال .

قوله : (التثريب) التعيير والاستقصاء في اللوم ، (الحجفة) [6] الترس .

قوله : (وعن ابن الزبير) الصواب : عن الزبير لأن ابن الزبير ولد في السنة الأولى من الهجرة ،وقيل : بعد عشرين شهرا منها ،وغزوة أحد كانت في شوال ســـنة ثلاث من الهجرة .

قوله : (نعاسا بدل من أمنة) على أنه كان نفس الأمنة ،وكذا على تقدير جعـــل " أمنة " حالا من " نعاسا "

---

(١) الآية الأولى من سورة الليل .
(٢) انظر تقريب التفسير الورقة ٦٤ أ .
(٣) من الآية الأولى من سورة الطلاق .
(٤) البحر المحيط ٣ / ٨٢ .
(٥) في الأصل " من واسيته " .
(٦) تفسير الطبري ٧ / ٣١٧ .
(٧) تفسير الطبري ٧ / ٣٢٣ ،ومعالم التنزيل للبغوي ٢ / ٢٧٢ .

والنصارى ، وأما المشركون .

قوله :

(ولا ترى الضب بها ينجحر)

صدره :

لا تفزع الأرنب أهوالها[1]

يصف مفازة بأنه لا وحش بها .

قوله : (ولقد صدقكم الله وعده[2]) من صدقته الحديث متعديا الى مفعولين ، ولقد كان النصر الى حين ترك الصبر والتقوى ، وهو معنى صدق الوعد ، وأما جعل الوعد هو القاء الرعب المقرون بالتأكيد والتعليل فضعيف اذ لا يلائم[3] الانتهاء بالفشل ، ولأنه كان بعد وقعة احد اما قبل الانهزام الى مكة أو بعده على اختلاف الروايتين السابقتين ، وسياق الآية على أن ذلك قبل الوقعة .

قوله : (قتلا ذريعا) سريعا ، من قولهم : موت ذريع سريع فاش لا يكاد الناس يتدافنون .

قوله : (وحالت الريح) يجوز أن يكون على ظاهره لأن الريح اذا كانت من المقابلة أضرت بالمقاتلة ، وأن يكون كناية أو مجازا عن انقلاب ريح النصر .

قوله : (أين متعلق حتى [اذا) الظاهر أن السؤال عما تكون " حتى " غاية له ونهاية ، لكن الجواب لا يطابقه لأن المحذوف وأغنى (منعكم نصره) جواب " اذا " لا متعلق " حتى[4] "] ، وأيضا قد دل فيما سبق أنه متعلق بتحسونهم[5] حيث

---

(١) لعمرو بن أحمد الباهلي ، يقول : لا تخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء أي لا هول فيها حتى يفزعه ، فما في البيت كناية عن ذلك كقوله : ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب فيها يدخل جحره ، وروى " ولا ترى الذئب " ، انظر مفتاح العلوم ٥٧ ، ١٥٢ ، والايضاح ١٠٦ ، والمصباح ٤٧٤ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٢٨ ، وتنزيل الآيات ٤٠٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٧٧ ، والفائق ١ / ٣ ، والمثل السائر ٢ / ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، وأمالي المرتضى ١ / ١٦٥ ، والأمالي الشجرية ١ / ١٩٢ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ / ١١٥ ، ٢٣٥ ، ٢ / ١٥٨ ، ٣ / ٩٠ ، ٤ / ١٣٣ ، وللمرزوقي ١ / ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢ / ٥٩٩ ، ٣ / ١٠٧٣ ، ٤ / ١٥٧٤ ، والخزانة ٤ / ٢٧٣ ، ٥٢٩ ، والخصائص ٣ / ١٦٥ ، ٣٢١ وشرح أشعار الهذليين ١ / ٣٦ ، وأساس البلاغة مادتي (جحر) ، و (رنب) .

(٢) انظر تفسير قوله تعالى : " ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ... " ١٥٢ ـ ١٥٤ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٢٨ .

(٣) ب ، خ : لا يلائمه .

(٤) ما بين المعقوفين ناقص من م .

(٥) في الأصل " بصدقكم " .

اللفظ ،وقد اعتبر حيث أفرد ضمير " معه " ،ورد بأنه ليس من اعتبار المعنى فى شىء فانه صريح فى الكثرة ،غايته أنه ليس بصيغة جمع ليؤنث ضميره .

قوله : (فالفتح على القياس) لأنه (١) منسوب الى الرب بالفتح .

قوله : (فما وهنوا عند قتل النبى) عليه السلام (٢) ناظرا الى الوجه المرجوح ، وهو كون الفاعل ضمير النبى عليه السلام ،وقد يقال : ان على تقدير كون الفاعل "ربيون" لا ينافى قتل النبى عليه السلام أيضا ،بل ربما يشعر/ لفظ " معه " بأنه أيضا قتل ، ٢٣٩ أ
كما تقول : ضرب مع عمرو زيد ،فلا يراد به (٣) أنه ضرب حال كونه مصاحبا لعمرو ، بل يقصد مشاركتهما فى الضرب ،أصالة لزيد ،وتبعية لعمرو ،غايته أنه لا يوافق رواية سعيد ابن جبير .

قوله : (والدعاء بالاستغفار) مبتدأ خبره (أقرب) على رواية الرفع ،و(ليكون) متعلق بقوله : (مقدما) و(عن زكاء) خبره ،وأما على رواية نصب(أقرب) فهو خبر (ليكون) ،و(عن زكاء) حال من (طلبهم) (٤) أو خبر آخر ،والظرف أعنى (ليكون) خبر المبتدأ أعنى (الدعاء) ،والأوجه أن (الدعاء بالاستغفار) عطف على(اضافة الذنوب) لأنه أيضا من جملة (هذا القول) ،و(ليكون) متعلق بالدعاء بقيد التقدم ،و(أقرب) منصوب خبر (يكون) ،وعلى ماقالوا فهذا القول هو مجرد اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم ،وليس كذلك .

فان قيل : فعلى ماذكروا (مقدما) حال من المبتدأ ،وعلى ماذكرتم من المعطوف على خبر المبتدأ ،ولا يفيد كونه فى معنى هذا القول ،وهو اسم كان لأنه ليس فى كلامه الا خبر المبتدأ ،قلنا : مثله واقع فى عبارات المصنفين ،فان أبيت فعلى تقدير الفعل .

قوله : (وقيل : هو عام فى جميع الكفار) (٥) والمخاطبون هم المؤمنون جميعا ، وعلى الأول كان الخطاب للصحابة ،والكافرون للعهد ،اما المنافقون ،واما اليهود

---

(١) قوله " لأنه " ناقص من خ .
(٢) قوله " عليه السلام " ناقص من الأصل ومن م ،ب.
(٣) قوله "به " ناقص من خ .   (٤) فى الأصل " عن طلبهم "
(٥) فى تفسير قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم ... " ١٤٩-١٥١ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٢٧.

أنه ليس غير نفسه .

قوله : (المعنى أن موت الأنفس محال) أى لا يكون الا (بمشيئة الله) تعالى ، فان قيل : هم يجوزون وقوع الفعل بدون مشيئته ، بل على خلاف مشيئته ، فلم لا يجوز الموت بدونها ؟ ، قلنا : ليس المراد الاستحالة العقلية ، بل بمعنى أنه ثبت بالأدلة أن الموت لا يكون بدون مشيئته ، فان قيل : أى حاجة الى اعتبار التمثيل وتشبيه الموت بفعل لا ينبغى لأحد (١) أن يقدم عليه الا باذن الله تعالى؟ ولم لا يكفى جعل الاذن مجازا عن المشيئة نظرا الى كونها من لوازمه؟ .

قلنا : لأنه لا يكفى فى تصحيح قولنا : ماكان له أن يموت ، لأن هذا انما يصح فى الفعل الذى يقدم عليه اختيارا ، وبهذا يظهر أن ماتوهمه القوم (٢) من أن المراد أنه اعتبر التمثيل فاستعير الاذن للمشيئة ، ليس على ماينبغى .

قوله : (ولأن ملك الموت) عطف على مضمون الكلام السابق كما لا يخفى ، وانما الخفاء فى تحقيق هذا الوجه .

قوله : (نهزة) مفعول له أو حال والعامل المصدر ، أعنى (اسلام قومه) أى تركهم وتخليتهم اياه ، و (من الحفظ) بيان (ماصنع) ، و (الكلاءة) بالكسر الحفظ .

قوله : (الجزاء المبهم) (٣) مستفاد من ترك ذكره ، وليس معنى الابهام العموم ، بل أن لا يكاد يدخل تحت البيان .

قوله : (والقراءة بالتشديد تنصر (٤)) كون الفاعل " ربيون " لأن التكثير يناسب جمعية الفاعل ، وكذا رواية سعيد (٥) تنصره ، وقيل : " كأين من نبى " أيضا يفيد التعدد والكثرة ، لأنه مركب من أى ، والكاف ، لا على قصد التشبيه ، والقول بأن الفاعل ضمير النبى [عليه الصلاة والسلام (٦)] مبنى على أنه بيان " كأى " والا فالضمير لكأى لأنه الواقع مبتدأ ، وأجيب بأن هذا اعتبار للمعنى ، فلا يحسن بعده اعتبار

---

(١) قوله " لأحد " ناقص من الأصل .

(٢) ومنهم الامام الطيبى فى فتوح الغيب ١ / ٣٣٨ ، والفاضل اليمنى فى تحفة الأشراف ١ / ١ / ١٨ .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " وسنجزى الشاكرين " ١٤٥ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٢٦ .

(٤) فى تفسير قوله تعالى : " وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ... " ١٤٦ — ١٤٨ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٢٧ ، وانظر البحر المحيط ٣ / ٧٢ .

(٥) فى خ زيادة " ابن جبير " .

(٦) مابين المعقوفين ناقص من الأصل ومن ب ، م .

ثم لا خفاء في أن الفاء في " أفان مات " تفيد تعليق الجملة الشرطية ،أعني مضمون الجزاء — مع اعتبار التقييد بالشرط — بالجملة قبلها وهي " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل " تعليقا على وجه تسببها عن الجملة السابقة وترتبها عليها ،وتوسيط الهمزة لانكار ذلك ،أي لا ينبغي أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم [بعد هلاكه ،بل سببا لتمسكهم بدينه ،كما هو حكم سائر الأنبياء ،ففي انقلابهم على أعقابهم[1]] تعكيس لموجب القضية المحققة التي هي كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل .

قوله : (لم ذكر القتل ؟) يتوجه أيضا لم ذكر الموت بان وقد علم أنه يكون ؟ والجواب أن كلمة "ان " في كلام الله تعالى لا تكون على ظاهرها قط ،لعلمه بالوقوع أو اللاوقوع ،بل لاعتبار معتقد السامع ،أو أمر آخر يناسب المقام .

قوله : (أما علموه ؟) يعني على تقدير نزول " والله يعصمك من الناس[2] " قبل وقعة أحد .

قوله : (يختص بالعلماء) الاستعمال العربي : يختص به العلماء وكلا الجوابين ضعيف ،بل الجواب أن ليس كل آية يسمعها كل أحد ،ولا كل سامع يستحضرها في كل مقام ، سيما مثل ذلك المقام الهائل .

قوله : (الا ماكان من قول المنافقين) ظاهره متصل لأن المنافقين مسلمون في الظاهر ،وماقالوه ارتداد عن الاسلام الظاهري ،وأما حقيقة فلا اسلام ،فلا ارتداد فالاستثناء منقطع ،ثم قال : ويجوز أن يراد بالانقلاب الارتداد / ،ويكون اثباته لهم ٢٣٨ب
على وجه التغليظ والاستعظام لما صدر عنهم من الفرار والهزيمة وخذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واهماله والتخلية بينه وبين الهلاك[3] ،وهذا معنى (اسلامه) عطفا على (الانكشاف) .

قوله :(فما ضر الا نفسه) مستفاد من تقييد الفعل بالمفعول ورجوع النفي الى القيد[4] ،فيكون المعنى أنه صدر عنه ضرر لكن لا بالنسبة الى الله تعالى ،ومعلوم

---

(١) مابين المعقوفين ناقص من الأصل . × (٢) من الآية ٦٧ من سورة المائدة .
(٣) الكشاف ١ /٣٢٦ .
(٤) ن : القيد الى المنفي ، ب: القيد الى النفي .

: ذو حرقة ، (أجهزت) على الجريح : أسرعت قتله ، (من غاز) بيان للكاف مثل : أفديك من رجل ، وفديناك من رجل ، ومعنى قوله : (حتى يقولوا) طلب أن يبقى له ذكر حسن ويقتدى به غيره .(١)

قوله : (لما رمى عبد الله بن قمئة) (٢) ، قد سبق أنه عتبة بن أبي وقاص (٣) ، فذكر الروايتين ، (ثم شد) أي حمل عليهم (بسيفه) ، (تشحط في دمه) اضطرب (٤) .

قوله : (وما محمد الا رسول) صرح صاحب المفتاح بأنه قصر افراد ، اخراجا للكلام لا على مقتضى الظاهر ، بتنزيل استعظامهم هلاكه منزلة استبعادهم اياه وانكارهم ، حتى كأنهم اعتقدوا فيه وصفين : الرسالة ، والتبرؤ عن (٥) الهلاك ، فقصر على الرسالة نفيا للتبرؤ عن الهلاك .(٦)

وفيه بحث من جهة عدم اعتباره الوصف ، أعني " قد خلت من قبله الرسل " حتى كأنه لم يجعل (٧) وصفا ، بل ابتداء كلام لبيان أنه ليس متبرئا عن الهلاك كسائر الرسل ، وعلى اعتبار (٨) الوصف لا يكون القصر الا قصر قلب ، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما خلوا ، ويجب التمسك بدينه بعده كما وجب التمسك بدينهم [بعدهم ، فرد عليهم بأنه ليس الا رسولا كسائر الرسل ، سيخلو كما خلوا ، ويجب التمسك بدينه كما وجب بدينهم] (٩) ، وهذا صريح كلام المصنف ، ومن زعم أنه يلزم من حمله على قصر القلب أن يكون المخاطبون منكرين للرسالة ، فقد أخطأ خطأ بينا وذهل عن الوصف .

---

(١) الأبيات لعبد الله بن رواحة ، وروى " حتى يقال " بدل " حتى يقولوا " ، و " تقذف الزبد " أي تمج الدم الذي تعلوه الرغوة لكثرته ، والجدث : القبر ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ٣٢٤ ، وتنزيل الآيات ٢٧٠ ، والبحر المحيط ٣/ ٦٧ ، والسيرة لابن هشام ٢/ ٣٧٤ .

(٢) في تفسير قوله تعالى : " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ... " ١٤٤ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٢٥ .

(٣) وذلك في الكشاف ١/ ٣١٧ . (٤) انظر تفسير الطبري ٧/ ٢٥٤ – ٢٥٦ .

(٥) خ : والبعد عن .

(٦) عبارة السكاكي في هذا المقام هي : " ومن الوارد في التنزيل على قصر الافراد قوله تعالى : " وما محمد الا رسول " فمعناه : محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك ، نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزلة المبعدين لهلاكه ، وهو من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر " .
انظر مفتاح العلوم ١٥٧ .

(٧) م ، ط : لم يجعله . (٨) م ، خ : اذ على اعتبار .

(٩) ما بين المعقوفين ناقص من الأصل .

اضرب عنك الهموم طارقهـــا (١)

وقيل : هو تحريك لالتقاء الساكنين بالفتح ايثارا للأخف ، واتباعا للام ، وابقاء لتفخيم اسم الله تعالى ، ولم يرتكب هذا الوجه البعيد فى " ويعلم الصابرين " لامكان الوجه الصحيح الشائع وهو اضمار " أن " على معنى : لم يكن العلم (٢) بالمجاهد يـــن والعلم بالصابرين ، أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة مع الجمع بين عدم متعلقى العلمين ، أعنى الجهاد والصبر ؟

والأصوب : مع عدم الجمع بين الأمرين ، لأن مرجع واو الصرف الى عطف مصـــدر بعده على مصدر الفعل السابق ، فكما أن معنى " لا تأكل السمك وتشرب اللبن " لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن ، أى الجمع بينهما ، فكذا ههنا المعنى الواقع حالا هو مضمون قولك : لم يكن منه العلم بالجهاد والعلم بالصبر ، أى لم يتحقق الأمـــران جميعا .

قوله : (على أن الواو للحال) بتقدير المبتدأ أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولـم يسبق منكم مجاهدة مقيدة بالصبر؟ والظاهر أن المراد الصبر عليها ، " ولما يعلـم" حال من " تدخلوا " ، و" يعلم الصابرين " من " يعلم الله الذين جاهدوا " علـــى التداخل .

قوله : (معاينين مشاهدين (٣)) أى لا على غفلة واشتغال بأمر سواه ، وهذا ما قال الزجاج : " المعنى فقد رأيتموه وأنتم بصراء ، كما تقول : قد رأيت كذا ، وليس فـــى عينك علة ، أى قد رأيته حقيقة ، ففيه توكيد " (٤)

قوله : (لا يذهب) وهلة (٥) (وهمه) وقصده ، (تنفيقا) : ترويجا ، (مؤتة) بالهمز : موضع بالشام استشهد فيها (٦) جعفر بن أبى طالب ، (ردكم الله) الــى أهاليكم سالمين ، (القرع) : السعة ، ضربة قريع / وقرعاء ، واسعة : رجل (حران) ٢٣٨ أ

---

(١) صدر بيت لطرفة بن العبد ، وتمامه :

ضربك بالسوط قونس الفـــرس

ويروى " بالسيف " مكان " بالسوط " ، وقونس الفرس : أعلى رأسها ، وقيل شعـــر عنقها ، انظر الكشاف ٤/ ٦٧ ، ١٨٦ ، ومشاهد الانصاف ٤/ ٦٧ .

(٢) لفظ " العلم " ناقص من خ .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : " ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتمـــوه وأنتم تنظرون " ١٤٣ آل عمران ، الكشاف ١/ ٣٢٤ .

(٤) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٢/ ٤١٩ " بتصرف " .

(٥) يقال : لقيه أول وهلة أى أول شئ .

(٦) م ، خ : بها استشهد .

ليكون منافيا لكونه من باب التمثيل المبنى على تشبيه الحال بالحال ، فغاية الأمر أن يقال : معناه فعلنا ذلك فعل من يريد أن يتميز الثابت عنده ، من غير الثابت ، لكن يرد عليه أن هذا زيادة تجوز لا حاجة اليه ، اذ يكفى أن يقال : فعل من يريد ان تحصل له حقيقة العلم .

وانما لم يحمل الكلام على حقيقته لدلالته على أن العلم يحصل بعد الفعل ، وعلم الله تعالى أزلى لا يتصف بالحدوث ، ولو سلم فالعلم بالمؤمن والكافر حاصل قبل ذلك الفعل ، وأجاب بعضهم بأن المراد علم لا يحصل الا بالفعل وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات ، ولا يلزم منه التغيير فى علم الله تعالى وكون ذاته محلا للحوادث ، لأن الحدوث انما هو فى تعلق العلم كما قرر فى كثير من المواضع ، ولهذا المعنى زيادة تحقيق فى كتب الحكمة / والكلام . ٢٣٧ ب

قوله : (معناه : وفعلنا ذلك) كناية عن قوله : " وتلك الأيام نداولها " ، اذ على هذا الوجه الثانى[١] المعلل مذكور ، وانما المحذوف هو العلة ، عكس الوجه الأول .

قوله : (وانما حذف للايذان) يعنى من أول الأمر ، والا فبعد ذكر المعطوفات يعلم ذلك وان لم يحذف المعطوف عليه ، (ليسليهم) تعليل الايذان .

قوله : (ومعنى الهمزة فيها الانكار)[٢] بمعنى ماكان ينبغى ، أو لا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقيقته النهى عن الحسبان .

قوله : (لأن العلم متعلق) لما كان علم الله تعالى بالشىء من لوازم تحققه ، جعل عدم العلم كناية عن عدم ذلك الشىء ، فصار معنى لم يعلم الله جهادهم : لم يجاهدوا .

وفى الكلام اشارة الى أن اللزوم الذى هو مبنى الكناية يعتبر أولا فى العلم ووجود المتعلق ، ثم فى نفيه ونفيه ، وبهذا يندفع مايقال : انه شرط فى الكناية امكان المعنى الحقيقى ، وههنا نفى العلم عن الله تعالى محال .

قوله : (أراد النون الخفيفة) تشبيها للنفى بالنهى ، وحذفها من غير ملاقاة ساكن بعدها كما فى قوله :

---

(١) كلمة " الثانى " ناقصة من م .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " ١٤٢ آل عمران الكشاف ١ / ٣٢٣ .

فلا وأبي الناس لا يعلمون * فلا الخير خير ولا الشر شر

وأنشده ابن مالك :

فثوب نسيت وثوب أجر * ويوم نساء ويوم نسر

على أن ثوب ويوم رفع بالابتداء بتقدير الوصف أي ثوب لي وثوب آخر ، ويوم لي ويوم آخر ، والعائد من الخبر محذوف ، وقال : البيت لامرئ القيس (١) .

قوله : (ابن أبي كبشه) هو رجل من قريش كان يعبد الشعرى العبور ، وكان ذلك منكرا عندهم ، فشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم به (٢) لمخالفته دينهم ، وكان هذا الرجل يخالف قريشا في عبادة الأوثان .

قوله : (الحرب سجال) (٣) ، قيل : جمع سجل (٤) ، وقيل : مصدر ساجله فاخره في أن يصنع مثل صنيعه في جرى وسقى (٥) ، (فقد خبنا) تهكم (٦) .

قوله : (يرد المياه) يصف شعره بالشهرة ، والمعنى يصل الى القبائل النازلين بالمياه والدارين عليها ، و(مداولا) على لفظ اسم المفعول ، وقبله :

فلأهدين مع الرياح قصيدة * مني محبرة الى القعقاع (٧)

قوله : (معناه وليتميز الثابتون) بيان لحاصل المعنى لا اشارة الى أن العلم مجاز عن التميز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب ، على ماذكره في سورة البقرة

---

(١) وقيل للنمر بن تولب ، وروى بدل " قشيب " : " لبست " وكذلك " نسيت " ، وفي شرح التسهيل لابن مالك الورقة ٤٨ ب " ومن الابتداء بالنكرة لأجل العطف عليها قول الشاعر :
فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر
انظر تحفة الأشراف ١/ ١٨٠ ، ومشاهد الانصاف ١/ ٣٢٢ ، وتنزيل الآيات ٤٠٠ ، والصناعتين ١٧٧ ، والبحر المحيط ٣/ ٦٣ وأمالي ابن الحاجب ٣٠٠ ، والخزانة ١/ ١٨٠ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٣٨ ، وكتاب سيبويه ١/ ٤٤ ، والشواهد للعيني ١/ ٥٦٥ ، وهمع الهوامع ١/ ١٠١ .

(٢) قوله " به " ناقص من خ ط . (٣) مجمع الأمثال ١/ ١٩٥ — ١٩٦ .

(٤) والسجل الدلو اذا كان به ماء قل أو كثر ، وقيل : الدلو الملأى .

(٥) خ : أوسعى . (٦) انظر المستدرك للحاكم ٢/ ٢٩٧ .

(٧) لزهير بن علس وهو خال أعشى قيس وكان الأعشى راويته ، والقعقاع اسم الممدوح ، والمحبرة المحسنة ، وروى مكانها " مغلغلة " أي يتغلغل بها الناس لحسنها ويسلكون بها كل غامض ، انظر مشاهد الانصاف ١/ ٣٢٣ ، وتنزيل الآيات ٤٣٩ ، والمفضليات ١/ ٥٨ — ٦٠ ، وطبقات الشعراء ٥٩ .

قوله : (يعني حثهم [1]) أي حث الناس أو المخاطبين ، وفسر الهدى بزيادة التثبيت لأن المتقين مهتدون .

قوله : (ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية) يشير الى أنه متعلق بما سبق من قصة أحد من جهة المعنى ، وأما بحسب اللفظ فالظاهر أنه عطف على " فسيروا في الأرض فانظروا " ، وتوسيط حديث الربا وما بعده قيل : استطراد ، وقيل : اشارة الى أن هذا نوع آخر من عداوة الدين ومحاربة المسلمين ، ومن في (وتقوية من قلوبهم) للتبعيض بالنسبة الى كل قلب كما في قولهم : هز من عطفه ، وحرك من نشاطه .

قوله : (ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي) من جهة المعنى ، وأما بحسب اللفظ [2] فجزاؤه ما يدل عليه النهي ، ثم انه قيد لطلب الترك أو للترك نفسه لا للفعل ، وفيه نوع تهييج وتنبيه على أن مافيهم من قوة القلب ينافي الوهن .

قوله : (فكيف قيل) [3] سؤال على تقدير كون ذلك يوم أحد ، وعلى التقديرين فقد أشار الى أن الشرط والجزاء ههنا في معنى المضي دون الاستقبال وذلك اما بتقدير كان ، أي ان كانوا قد نالوا ، واما على القول بأن " ان " قد تجيء لمجرد التعليق من غير نقل للماضي الى المستقبل ، ولا بد من حمل " يمسسكم " على حكاية الحال لقصد الاستحضار .

/ قوله : (هي الأيام) بجعل الضمير اشارة الى حاضر في الذهن ، و(تبلى كل جديد) في موقع الحال لما في الضمير من معنى الاشارة كقوله : هي الجرعاء صادية رباها [4] ، ولو جعل الضمير للقصة أو مبهما تفسره " الأيام " لم يكن مما نحن فيه . ٢٣٧ أ

قوله : (فيوما علينا) أي فتري يوما علينا ، والأحسن أن يقدر : فيوما يكون الأمر علينا أي بالاضرار ، (ويوما لنا) أي بالنفع ، فيكون يوما ظرفا ملائما لقوله : (ويوما نساء) من سيء فلان : أصيب بحزن ، من ساءه أحزنه ، (ويومانسر) من سره جعله مسرورا ، وقبله :

---

(١) في تفسير قوله تعالى : " هذا بيان للناس وهدى موعظة للمتقين ... " ١٣٨ — ١٣٩ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٢١ . (٢) ب ، خ : وأما من جهة اللفظ .

(٣) في تفسير قوله تعالى : " ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ... " ١٤٠ — ١٤١ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣٢٢ .

(٤) الجرعاء : الأرض السهلة ذات الرمل ، وصادية أي متعطشة ، والربوة : ما ارتفع من الأرض .

الجنة البتة (١) ؟ ، وأنه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان ؟ وهل القطع بذلك الا مكابرة للعقل ومعاندة للرب ؟ على أن الكلام وارد لترغيب أكلة الربا أولا ، وترغيبهم في الاقلاع عنه ثانيا ، فالتقييد بعدم الاصرار ليلائم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة ، وهو أن لا تظهر فائدة أخرى .

قوله : (جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه) (٢) ، نعم بمعنى ترتبه على الفعل بحيث لو أضيف اليه لم يستبعد في مجاري العقول والعادات ، لا بمعنى الوجوب على الله تعالى ، (كما يقول المبطلون) وفيما أورد من الآثار دلالة بينة على أن دخول الجنة بمحض الجود والكرم لا الوجوب .

قوله : (ترجو النجاة) من أبيات أبي العتاهية :

لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس * وان تترست بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت نافذة * لكل مدرع منا ومترس

مابال دينك ترضى أن تدنسه * وثوب دنياك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس (٣)

---

(١) كلمة " الجنة " ناقصة من الأصل ، وفي ط : الجنة قطعا .

(٢) في الأصل " جزاء واجب وأجر مستحق على العمل " وفي م : " جزاء واجب ومتحقق على العمل " وما أثبته هو الموافق لعبارة الكشاف ١ / ٣٢١ .

(٣) لأبي العتاهية كما ذكر السعد ، وقيل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو في ديوانهما ، ورويت الأبيات هكذا :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس * وان تمنعت بالأبواب والحرس

فما تزال سهام الموت قاصدة * في جنب مدرع منا ومترس

وفي البيت الثالث " وثوب نفسك " بدل " وثوب دينك " وفي الرابع " طريقتها " بدل " مسالكها " . انظر ديوان أبي العتاهية ١٣٣ ، وديوان علي بن أبي طالب ٣ ، والأغاني ٣ / ١٧٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣٢١ ، وتنزيل الآيات ٤٢٨ ، والبحر المحيط ٣ / ٦٠ ، والخزانة ١ / ٥٣٠ .

ذات مقيدة بالحال يكون اثباتا للذات ونفيا للحال [1] ،وهذا أيضا ليس بمراد ،اذ ليس المعنى على اثبات الاصرار ونفي العلم .

وثانيهما ـ أن يقصد نفي الفعل والقيد معا بمعنى انتفاء كل من الأمرين مثل : ماجئتك راكبا ،بمعنى لا مجيء ولا ركوب ،وهذا أيضا ليس بمناسب ،اذ ليس المعنى على نفي العلم ،أو بمعنى انتفاء الفعل من غير اعتبار لنفي القيد أو اثباته ،وهذا هو المناسب في الآية ،أى لم يصروا عالمين ،بمعنى أن عدم الاصرار متحقق ألبتة ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله : (وحرف النفي منصب عليهما معا [2]) ،والحاصل أن القيد في الكلام المنفي قد يكون لتقييد النفي ،وقد يكون لنفي المقيد ،بمعنى انتفاء كل من الفعل والقيد ،أو القيد فقط ،أو الفعل فقط .

قوله : (لأنه قد يعذر) يعني انما اعتبر في ايجاب جزاء المغفرة عدم الاصرار المقيد بالعلم ،دون مطلق الاصرار ،لأن الاصرار مع الجهل قد يعذر صاحبه ويغفر له .

قوله : (أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات) يعني الذين صدقوا بالله ورسوله ، والا فالمصرون عنده ليسوا بمؤمنين الايمان الصحيح ولا كافرين .

قوله : (وأن الجنة للمتقين والتائبين) أما على تقدير عطف " والذين " على " المتقين " فظاهر ،وأما على تقدير كونه مبتدأ فللاخبار عنه بقوله : " جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات " فهو من جهة المعنى بمنزلة العطف ،فلا يلزم كون الجنة أعدت للمتقين خاصة .

قوله : (دون المصرين) لتقييد المذنبين بعدم الاصرار مع ما في اللام من معنى الاختصاص ،ومن اتبع عقله وأطاع ربه علم أن ليس في هذه الآيات سوى أن الجنة أعدت للمتقين والتائبين ،أو للمتقين خاصة ،والتائبون أجرهم مغفرة / وجنة ، اما مع ٢٣٦ ب سكوت عن حكم المصرين ،أو دلالة ظنية على أنهم ليسوا كذلك ، ولا نزاع في أن الجنة ليست معدة لهم ولا جزاء هم ،لكن من أين البيان القاطع أنهم لا يدخلون

---

(١) قال الزمخشري : " لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ،كما تقول : لا يلقاني زيد مسلما ،هو نفي للسلام لا للقاء " . الكشاف ٣ / ٢٣٣ .

(٢) في الأصل " جميعا " وهو مخالف لعبارة الكشاف ١ / ٣٢٠ .

الاستغفار معترضا بينه وبين ماعطف عليه ،وبأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له حيث أورد الجمع المعرف باللام دلالة على أنه يغفر كل ذنب بحيث لا يبقى منه [1] شـيء ، وبأنه لا مفزع سواه حيث حصر المغفرة عليه ،وبأن عدله يوجب المغفرة للتائب حيث أورد عقيب ذكر الاستغفار ماينبىء عن كونه المعروف بمغفرة الذنوب .

قوله : (وفيه تطييب) اشارة الى معان أخر مدمجة في قوله تعالى : " ومن يغفر الذنوب إلا الله " راجعة الى العباد ، ووجه الاشعار بها ظاهر ،ومبناء على سعة الرحمة وقرب المغفرة من الاستغفار والتوبة .

قوله : (والمعنى) اشارة الى محصل معنى الجملة الاعتراضية [2] التي هي " من يغفر الذنوب الا الله " ،ومنهم من توهم أنه من تتمة قوله :
(وفيه تطييب) مندرج تحت ماعدد من الأمور ،وليس بذاك .

قوله : (ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين) هذا المجموع تفسير لقوله : " ولم يصروا " لأن عدم الاصرار هو أن لا يقيم على القبيح من غير استغفار ،بل يرجع عنه بالتوبة ،ومنهم من توهم أن عدم الاستغفار قيد في عدم الاصرار ،والمعنى أنهم لم يكونوا مصرين غير مستغفرين ،وبنى عليه كلاما لا طائل تحته .

قوله : (وهم يعلمون حال من فعل الاصرار) ،الحال بعد الفعل المنفي وكذا جميع القيود قد يكون راجعا الى النفي قيدا له دون المنفي مثل : ماجئتك لاشتغالي بأمورك أو مشتغلا بها ، بمعنى تركت المجيء لذلك/ وقد يكون راجعا الى مادخله ٢٣٦ أ
النفي مثل : ماجئتك راكبا ،وما ضربته تأديبا ،فقوله : (حال من فعل الاصرار) اشارة الى أن قوله : " وهم يعلمون " ليس قيدا للنفي لعدم الفائدة لأن ترك الاصرار موجب للأجر والجزاء سواء كان مع العلم بالقبيح أو الجهل ،بل مع الجهل أولى .

واذا كان قيدا للفعل المنفي فله معنيان :

أحدهما — وهو الأكثر — أن يكون النفي راجعا الى القيد فقط ويثبت أصل الفعل مثل : ماجئت راكبا ،بمعنى جئت غير راكب ،وقد ذكر في قوله تعالى : " لم يخروا عليها صما وعميانا " [3] أنه نفي للصمم والعمى واثبات للخرور وأن النفي اذا ورد على

---

(١) ط ،خ : منها .
(٢) ط : المعترضة .
(٣) من الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

مضاعفة "ليست لتقييد النهي بها بحيث تنتفي الحرمة عند انتفائها عند من يقول بالمفهوم ، بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على أنهم كانوا على هذه الطريقة المذمومة التي ربما (١) يستقبحها أكلة الربا أيضا .

قوله : (وقد أمد ذلك) الايماء (بما أتبعه) ، الضمير عائد الى (ذلك) ، والعائد الى الموصول محذوف أي أتبعه اياه .

قوله : (وان قال الناس ما قالوا) من أن لعل وعسى في كلام العزيز الكريم للايجاب على ماذكره هو أيضا في قوله تعالى : " يا أيها الناس اعبدوا " الآية (٢) ، ثم لا كلام للفطن في دقة مسلك التقوى وصعوبة نيل الرضى ، وانما كلامه في سد باب الغفران ، وعدم تجويز الكرم والاحسان ، وأنه لا يفعل الا ما استوجبه بعمله الانسان .

قوله : (والمراد وصفها بالسعة) (٣) يعني / ليس القصد (٤) الى تحديد عرض الجنة بذلك ليمتنع كونها في السماء بل هو كناية عن غاية السعة والبسطة بما هو غاية في ذلك في علم السامعين .

قوله : (بطائنها من استبرق (٥)) أي ديباج ثمين فما ظنك بالظهائر؟ . (اجتر البعير) من الجرة وهو مايخرجه البعير الى فمه (٦) للاجترار .

قوله : (الا من عصم الله) استثناء منقطع ، وهو ظاهر ، أو متصل لما في القلة من معنى العدم كأنه قيل : ان هؤلاء في أمتي لا يوجدون الا من عصم الله تعالى (٧) فانه يوجد في أمتي .

قوله : (فيتناول كل محسن) صريح في أن استغراق الجمع للآحاد دون الجموع .

قوله : (نادمين) على الفعل فيما مضى (عازمين) على الترك في المستقبل .

قوله : (وصف لذاته بسعة الرحمة) ، حيث ذكر اسم الله تعالى المفيد للمبالغة في الوصف الذي سيق له الكلام ، مع استغراق الذنوب باللام ، والافصاح عن تقرير كونه غفار الذنوب بما أورد من الاستفهام ، وبقرب المغفرة حيث أورد هذا الكلام عقيب

---

(١) كلمة " ربما " ناقصة من خ .

(٢) رقم ٢١ من سورة البقرة ، وانظر الكشاف ١ / ٧٠ .

(٣) في تفسير قوله تعالى " وسارعوا الى مغفرة من ربكم .. " ١٣٣ — ١٣٧ آل عمران الكشاف ١ / ٢١٩ .

(٤) ب ، خ : ليس الغرض .

(٥) من الآية ٥٤ من سورة الرحمن .

(٦) خ : في فمه .

(٧) لفظ " تعالى " ناقص من الأصل ومن ط .

قوله : (واتباعه) مصدر مضاف الى الفاعل ، مفعوله الأول قوله : " أو يتوب عليهم " ، والثاني قوله : " أو يعذبهم فانهم ظالمون " ، و(تفسير بين) خبر المبتدأ ، يعني أن ذكر " أو يعذبهم " مقيدا بالظلم أي ترك التوبة ، بعد " أو يتوب عليهم " أي يتوبوا فيتوب الله عليهم ويقبل توبتهم ، دليل على ان المراد بمن يشاء في جانب المغفرة هم المتوب عليهم وفي جانب التعذيب هم / الظالمون على ماروى عن الحسن ٢٣٥ أ وعطاء .

وهذا تغيير بين لما هو مدلول كلام الله تعالى ، حيث نفى أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم شيء من أمرهم ، ثم قال : " ولله مافي السموات وما في الأرض " أي الأمر كله لله ، والى الله ، تابع لمشيئته ، يغفر لمن يشاء تائبا كان أو غير تائب ، ويعذب من يشاء ظالما كان (١) أو غير ظالم ، لحكم ومصالح لا يحيط بها الا هو وحده ، أو لأنه الغني المطلق الذي لا يسأل عما يفعل ، الا أن غالب حاله الكرم فلذا قال : " والله غفور رحيم " ، وعقب التعذيب بقوله : " فانهم ظالمون " .

ومن العجائب أنه يجعل كل مايوافق هواه من الروايات صحيحة بمنزلة النص القاطع ، وان لم يعرف لاسناده وجه صحة ، وما يخالفه : افتراء وان كان من صحاح الأحاديث والآثار بنقل الثقات ، وأنه يجعل مجرد تعقيب قوله : " أو يعذبهم " بقوله : " فانهم ظالمون " دليلا على أن الظلم هو السبب الموجب بحيث لا تعذيب بدونه ولا مغفرة مع وجوده ، مع أنه لا يفيد الا مجرد الاستحقاق العادي بمعنى أنه لو أضيف اليه في مجاري العقل لكان ملائما ، ولا يجعل قوله : " لله مافي السموات وما في الأرض " ، وتعقيبه بتعليق المغفرة والتعذيب بالمشيئة ، ثم تذييله بقوله : " والله غفور رحيم " : دليلا على أنه يفعل مايشاء من غير وجوب عليه ولا استيجاب (٢) من العبد ، كل ذلك لما على قلبه من رين التعصب والميل الى الهوى ، والا فهو أجل في معرفة خواص التراكيب من أن يخفى عليه أمثال هذا ، وأما نحن فندعو له ونرجو أن يعفو الله عنه .

قوله : (مع توبيخ بما كانوا عليه) (٣) اشارة الى أن هذه الحال أعني " أضعافا

---

(١) لفظ " كان " ناقص من الأصل .　　(٢) م ، خ : ولا استحقاق .
(٣) في تفسير قوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة .. " ١٣٠ — ١٣٢ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣١٨ .

البينات ، فيصلح سببا للتوبة على تقدير الاسلام ، أو لتعذيبهم على تقدير البقاء على الكفر بجحودهم بالآيات ، وان أريد التعذيب في الدنيا بالأسر فالأمر ظاهر . فان قيل : هو يصلح سببا لتوبتهم والكلام في التوبة عليهم ، قلنا : يصلح سببا لاسلامهم الذى هو (١) سبب للتوبة عليهم ، فيكون سببا لها بالواسطة .

قوله : (اعتراض) بين المعطوف المتعلق بالآجل والمعطوف عليه المتعلق بالعاجل .

قوله : (وقيل : أو يتوب) (٢) لما كان في وجه سببية النصر للتوبة والتعذيب نوع خفاء ، وفي العطف مع وجود الفصل بالاعتراض المتعلق بالمجموع نوع بعد ، ذهب بعضهم الى أن " يتوب " ليس منصوبا بالعطف على "يقطع" بل باضمار أن على أنه من قبيل عطف المضارع المنصوب على الاسم المجرور أعنى " الأمر " أو المرفوع أعنى "شيء " ، وعلى التقديرين هو من عطف الخاص على العام ، لكن في مثل هذا العطف بكلمة " أو " نظر ، وذهب بعضهم الى ان " أو " بمعنى " الى أن " ، وهذا أيضا من النصب باضمار أن على ما بين في النحو .

وقد يقال في الفرق بين العطف على " الأمر " والعطف على " شيء " : ان الأول سلب توابع التوبة من القبول والرد ، وتوابع التعذيب من الخلاص والمنع من النجاة ، والثاني سلب نفس التوبة والتعذيب ، بمعنى أنك لا تقدر على أن تجبرهم على التوبة أو تمنعهم عنها [ولا أن تعذبهم أو تعفو عنهم (٣)] ، وكأنه يريد بالتوبة ما هو سبب التوبة عليهم أعنى الاسلام ، والا فالمذكور في الآية هو أن يتوب الله عليهم ، لا توبتهم .

قوله : (وقيل : شجه) (٤) يشبه ان يكون هذا وجها آخر في معنى " ليس لك من الأمر شيء " ، وهو أنه نوع معاتبة على انكار فلاح القوم ، ولم يكن ذلك فيما سبق ، وكذا القيل الآخر فانه نهى للنبى صلى الله عليه وسلم (٥) ان يدعو عليهم (٦) ، وقيل : القيلان انما هما لمجرد بيان سبب النزول .

---

(١) في خ زيادة " يصلح " .
(٢) في الكشاف ١ / ٢١٧ " وقيل : ان يتوب "
(٣) ما بين المعقوفين ناقص من خ .
(٤) انظر صحيح مسلم ١٢ / ١٤٩ ، وصحيح الترمذى ١١ / ١٣٠ ، وتفسير الطبرى ٧ / ١٩٧ ، وأسباب النزول للسيوطى ١ / ٤٢ .
(٥) ب ، م : عليه السلام ، خ : عليه الصلاة والسلام .
(٦) في الأصل " عليها " .

قوله : (كالآيسين من النصر) حيث أكدوا نفى كفاية الامداد ، تقول لصاحبك : لا أقيم غدا ، فاذا بالغت وأردت التأكيد قلت : لن أقيم غدا .

قوله : (ثم قال : وان تصبروا) والصواب بدون الواو (١) .

قوله : (خرج من فوره) من للابتداء أى مبتدئا من حالته التى لا بطء فيها ولا اقامة على شيء .

قوله :

(لأكبت حاسدا وأرى عدوا) * كأنهما وداعك والرحيل

أى فى الكراهة والايجاع ، (وأرى) بفتح الهمزة وكسر الراء ، أى أضرب على الرئة ، واللام متعلق بما قبله وهو قوله (٢) :

رويدك أيها الملك الجليل * تأن وعده مما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلا * فما فيما تجود به قليل (٣)

أى أمهل بسيرك وأخره وعد ذلك من عطائك وجد جودك بالاقامة وان قلت فانها كثيرة .

قوله : (واللام) فى " ليقطع طرفا " متعلق بقوله : " لقد نصركم الله ببدر " على تقدير أن يجعل " اذ تقول " ظرفا لنصركم " لابدلا ثانيا من " اذ غدوت " ، لأن ذاك يوم أحد [فيكون أجنبيا فيلزم الفصل به] (٤) ، وأما تعلقها بقوله : " وما النصر الا من عند الله " فيصح على التقديرين ، لكن العامل هو النفى المنقوض بالا أو النصر الواقع مبتدأ ؟ فيه تردد ، والظاهر من كلامه هو الأول .

قوله : (أو يتوب) (٥) عطف على ليقطع ، أو ليكبت ، ووجه سببية النصر على تقدير تعلق اللام بقوله : " وما / النصر الا من عند الله " ظاهر ، وأما على تقدير تعلقها ٢٣٤ب بقوله : " لقد نصركم الله ببدر " فلأن النصر الواقع ببدر كان من أظهر الآيات وأبهر

---

(١) كما فى الكشاف ١ / ٣١٦ ولعل بعض النسخ بالواو ، وهى التى نقل منها السعد .
(٢) قوله : " وهو قوله " ناقص من الأصل .
(٣) لأبى الطيب المتنبى يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن انطاكية ، انظر ديوانه ٣ / ٣ – ٤ ، ومعاهد التنصيص ٣ / ٢٥٩ ، والوساطة ٢٣٤ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣١٧ ، وتنزيل الآيات ٤٧٨ .
(٤) مابين المعقوفين ناقص من الأصل .
(٥) فى تفسير قوله تعالى : " ليس لك من الأمر شيء ... " ١٢٨ – ١٢٩ آل عمران الكشاف ١ / ٣١٧ .

أى الجاد فى الأمر.

قوله : (ما معنى[1] ما روى) ؟ ، وجه السؤال أن الآية تنعى عليهم ما صدر عنهم من الفشل وعدم الرجوع فما معنى الابتهاج بذلك؟ ، أو ان ظاهر كلامهم يشعر بأن عدمهم كان قصدا وعزيمة ، لا خطرة وحديث نفس .

قوله : (غير المأخوذ بها) صفة الهمة ، و(لأنها) تعليل الوصف ، و(كانت سببا) خبر (أن) .

قوله : (والأذلة جمع قلة) [2] بالتنكير وهو الأصل ، اذ لا وجه للتعريف ، ولأنه أنواع البتة وهذا واحد منها ، ثم لما انتقل الذهن الى أنه اذا كان هذا جمع قلة فما جمع كثرته ؟ قال : (والذلان جمع الكثرة) بالتعريف ، وقال : (وجاء بجمع القلة) للعهد .

قوله : (وكان عدوهم) من تمام بيان ذلتهم وقلتهم ، اذ لو كان العدو أقل منهم وأذل ، كان حالهم حال كثرة وعزة ، لا قلة وذلة .

قوله : (زعاء ألف) أى قدرها ، (الشكة) ، السلاح ، (والشوكة) : شدة البأس .

قوله : (أو لعلكم ينعم الله) تعالى [3] ، يعنى أنه كناية أو مجاز عن نيل نعمة أخرى توجب الشكر .

= البلاء فهو البأس فى الحروب ، وفى البيت الثانى روى : " واقحامى على المكروه " و "واقدامى على المكروه " و " واعطائى على المكروه مالى " ، وكذلك " واضرب" بدل " وضربى " ، وفى البيت الثالث : " وقولى كلما جشأت لنفسى " بدل " أقول لها اذا جشأت وجاشت " ، انظر ديوان المعانى ١ / ١١٤ ، والكامل فى اللغة ١ / ٥٤ ، ٢ / ٢٩٣ ، والعمدة ١ / ٢٩ ، والمثل السائر ٢ / ١٦٦ ، والمطول ٤٣٣ ، ومشاهد الانصاف ١ / ٣١٥ ، وتنزيل الآيات ٣٥٩ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٦ ، والخزانة ١ / ٤٢٣ ، وسمط اللآلى ١ / ٥٧٤ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٣٠٢ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣ ، وارتشاف الضرب ٨١٧ ، والشواهد للعينى ٤ / ٤١٥ ، وشرح الأشمونى ٣ / ٥٦٩ ، والخصائص ٣ / ٣٥ ، وأساس البلاغة مادة (جشأ) ، ولسان العرب مادتى (جشأ) ، و (شيح) .

(١) فى الكشاف ١ / ٣١٥ " فما معنى " .

(٢) فى تفسير قوله تعالى : " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ... " ١٢٣ — ١٢٧ آل عمران ، الكشاف ١ / ٣١٦ .

(٣) لفظ " تعالى " زائد فى خ .

ذا بين عنا (١) .

قوله : (أجريا مجرى صار) في مثل : قام يفعل كذا ، وقعدت كأنها حربة ، ومنه " فتقعد مذموما " (٢) .

قوله : (أو عمل فيه معنى سميع عليم) أي يجمع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر ، اذ لا معنى لتقييد كونه سميعا عليما بذلك الوقت ، فلذا لم تجعل الصفة المشبهة عاملة الا من جهة انها تصلح للعمل في الظرف ، ألا ترى الى قوله : (سميع لأقوالكم عليم بنياتكم) ، وبالجملة فنحن قاطعون بأن السميع العليم ههنا صفة مشبهة لا صيغة مبالغة للسامع والعالم بحيث يعتبر فيهما معنى الحدوث ، والا فلا كلام في جواز عمل صيغة المبالغة في المفعول به أيضا مثل : انه سميع دعاء من دعاء عليم حال من ناداه .

قوله : (فعزم الله [تعالى لهم على] (٣) الرشد) أي أرشدهم الله وخلق فيهم عزيمة الثبات ، وحقيقته : أوجد الله تعالى فيهم الرشاد بعزم منه ، وكلام ابن عباس يشعر بأن همهم كان عزيمة وقصدا للرجوع عن الحرب اتباعا لعبد الله ، وذهب المصنف الى أنه انما كان خطرة وحديث نفس ، لما أن هذا أليق بحال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ، وأوفق بقوله تعالى : " والله وليهما " ، ثم أشار الى أن ذلك ليس بقطعي لجواز أن يكون " والله وليهما " في موقع الحال ، على معنى أنهما عزما على الفشل والرجوع مع المانع القوى من ذلك وهو أن الله تعالى ناصرهما ومتول أمرهما ، ويجوز أن يراد : والله وليهما حيث رجعتا عن الهمة والعزيمة وثبتتا خشية من الله تعالى وطلبا لرضاه ورضى رسوله / صلى الله عليه وسلم . ٢٣٤ أ

قوله : (أقول لها) أي للنفس (اذا جشأت) ارتفعت من مكانها ، (وجاشت) اضطربت ، وقبله :

أبت لي همتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وأجشامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح (٥)

---

(١) انظر مسند الامام أحمد ٣ / ٣٥١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٢ ، والمغازي للواقدي ١ / ٢٠٩ .
(٢) من الآية ٢٢ من سورة الاسراء
(٣) مابين المعقوفين ناقص منم ، ولفظ " تعالى " غير موجود في الكشاف ١ / ٣١٥ وكذلك في الأصل وفي ب .
(٤) خ : عليه الصلاة والسلام ، ب ، م : عليه السلام .
(٥) لعمرو بن الأطنابة وهي أمه ، وأبوه يزيد بن مناة بن ثعلبة من باهلة ، وروى في البيت الأول : " أبت لي عفتي وأبى تلادي " والتلاد : المال القديم الموروث أما =